تبعات الاستقلال

حاجتنا الى أنواع جديدة من التفكير

بقلم رئيس التحرير

لا بد لنا بعد فترة الابتهاج بالمعاهدة والاغتباط بما حققت من أمانينا ، من ان نعكف على التفكير فى حالتنا الجديدة ، وما يكتنفها من مشاكل وأعباء ، وما يترتب عليها من فروض وتبعات . فلقد صفينا « الحساب » - أو كدنا - بيننا و بين الدخيل ، وعلينا الآن تدبير أمرنا و « ترتيب بيتنا » على حد التعبير المشهور

انصرف جهادنا فيما مضى الى الغرض الاسمى - تحررنا السياسي - فيجب اليوم تحويل هـذا الجهاد إلى مناح أخرى ، وبذل الجهود فى السبل التى من شأنها تدعيم ما أصبنا من استقلال ، و إخراجه من حيز البنود والنصوص إلى حيز الحقائق الراهنة المتغلغلة فى صميم حياتنا

فالاستقلال محبب إلى النفوس - لا لاسمه وإن حلا وقعاً، ولا لصورته وإن حسنت شكلا - بل لما يحققه من أمن وعدل ورفاهية

***

أين نحن من التطور العالمى ؟ وأي شوط قطعنا فى طريق الحضارة التى نعيش بين ظهرانيها ؟ لا يضيرنا أن نعترف بأننا مازلنا فى أول مسيرنا ، وأن المراحل الباقية أطول من المرحلة المقطوعة - فنحن بين الدول كالطفل يحبو متلمساً طريقه وسط العقبات

وأول ما يشترط على من ينشد التقدم ألا يرضى بحالته الراهنة ، وأن يصبو إلى حالة تفضلها . ونظرة الى بعض الأمم المعاصرة تقنعنا بأن من الميسور تعجيل التطور واحداث تغيير شامل فى فترة قصيرة من الزمن : فايطاليا قد عرفت كيف تقلب كيانها وتتحول من الفوضى الى النظام والقوة فى مدة وجيزة ، ومثلها المانيا . ولا تنسين تركيا ، فهذه أمة شرقية مثلنا قد تغلبت على العوائق الجسيمة التى اعترضتها وأفلحت أيما فلاح

على أن ما ننشده من تبديل حالنا لا يتأتى لنا إلا إذا عرفنا كيف نحدث التيارات الفكرية الممهدة له - فكل تطور انما يبدأ فى الفكر

فاذا تجدد الفكر ، تجددت النظم والقوانين
وإذا تجدد الفكر ، تجددت العادات والتقاليد
وإذا تجدد الفكر ، تجددت العلائق بين الأفراد ، وبينهم وبين الحكومة
اجل . إنما حاجتنا الى التفكير على اساليب جديدة ، وفى اتجاهات جديدة
ولعلنا نوفق فيما يلي الى الاشارة إلى بعض أنواع التفكير المطلوبة فى عهدنا الجديد

١ ـ تفكير « دولى »

كان وضعنا السياسي حتى الأمس يحول دون عنايتنا ـ إلا عرضاً ـ بالعلائق الدولية والمسائل العالمية . أما الآن فقد بدت لنا آفاق جديدة وتكشفت لنا سبل ومسالك كانت مسدودة فى وجهنا . وغير خاف أن حجارة الدول دائمة التنقل على شطرنج السياسة ، فيجب أن نفطن على الدوام لحركاتها و « مناوراتها » ، وأن نتبين موقفنا منها ، وأين موضع الخطر ، وأين موضع الامان

ولا يبرحن من ذهننا أن هناك عصبيات وروابط تؤلف بيننا وبين بعض الأمم القريبة منا ، فينبغى لنا أن نعزز هذه العصبيات والروابط ما استطعنا ، لنركن اليها عند الاقتضاء ونتعاون وإياها للخير المشترك ـ ونقصد على الخصوص :

(١) الرابطة الشرقية (٢) الرابطة العربية (٣) الرابطة الاسلامية

فهذه العصبيات الثلاث عوامل لا يستهان بها فى مضمار السياسة الدولية . وهى تزداد شأنا سنة بعد سنة كما يتضح لمتتبع الأحوال العامة . ومصر تكاد تكون مركز الدائرة لهذه العصبيات ، ولها مكانة ممتازة لدى جيرانها وذوى قرباها ـ ونخص بالذكر بن أقطار الشرق العربى سورية التى فازت بمعاهدة استقلالها بعد مصر بقليل ، وسوف يقتفى لبنان خطواتها .. والعراق الذى سبق مصر وسورية فى هذا المضمار . وفلسطين التى نرجو لها من حسن المصير مثل ما حازت شقيقتاها ـ باذن الله

٢ ـ تفكير « اجتماعي »

ان مشاكلنا الاجتماعية كثيرة لا تحصى . ونحن حتى اليوم ـ وا أسفاه ـ لم نبذل لحلها العناية الكافية ، فما زلنا جد متأخرين فى طريق تحقيق « العدل الاجتماعى »

فمشكلة الفلاح ـ مثلا ـ ظاهرة بل تكاد تكون فاضحة . وهى تتطلب علاجاً معجلا ،

والا تعقدت واستفحلت . ولتكفنا الاشارة الى ان الفلاح الروسي كان قبل الثورة الشيوعية أشبه الناس بالفلاح المصرى

ومشكلة المرأة تصدمنا فى كل يوم بل فى كل ساعة . فقد طغت علينا نزعات هذا الزمان ، وكدنا ننقاد لها من دون وعى ، بل كدنا نقطع صلتنا بماضينا ، وهل تستقيم حال لا ترتكز على أساس من الماضى ؟ عندنا . ان المانيا وايطاليا قد أصابتا فى فهمهما مركز المرأة ، فوضعتا الامور فى نصابها ، وأعادتا المرأة الى مكانها الحقيق بها بعد ما أوشكت ان تضل السبيل وتضيع فى غياهب من الكلام المنمق والاهواء الجامحة

ومشكلة التربية هي مشكلة المشاكل ، لأنها مرجع كل تقدم وكل فلاح . فلا شك ان مدارسنا ما زالت مقصرة فى آداء مهمتها، ولا شك اننا نسير مبطئين فى هذه السبيل . فأساليبنا لا تتفق ومقتضيات هذا الزمان ، بل ان الناشئة التى تخرجها مدارسنا قل ان تصلح لكفاح الحياة الحاضرة

على اننا اذا استطعنا توحيد روح التعليم فى جميع أدواره ، وتوجيهه وفق خطة مرسومة ، أمكننا فى خلال عقدين أو بضعة عقود ان ننشىء أمة جديدة قوية الجسم متينة الخلق

٣ ـ تفكير « اقتصادي »

ان عصرنا هذا هو عصر الاقتصاديات ، وتكاد السياسة تتحول الى العناية بالمسائل الاقتصادية

ولن يتوطد استقلالنا السياسى الا بتوطيد استقلالنا الاقتصادي ـ تلك حقيقة طالما رددها رجالنا ـ ولكنها ما زالت تفتقر الى عقول فتية جبارة تعمل على تطبيقها التطبيق المحكم الجرىء

ومن المحال حصر مشاكلنا الاقتصادية ، فللزراعة مشاكلها ، وللصناعة مشاكلها ، وللتجارة مشاكلها . وليس علاجها بالامر اليسير . بل ان معظم الدول التى سبقتنا فى هذا المضمار يئن من تلك المتاعب المتجددة باستمرار

٤ ـ تفكير « دستوري »

العالم اليوم يتنازعه مذهبان : الشيوعية ، والدكتاتورية . على ان هذين المذهبين وان عظم الاختلاف بينهما فى الظاهر ، فان أوجه تشابههما متعددة

وبين المذهبين نرى « الديمقراطية » حيرى محرجة . فهل تثبت أمام ما يصيبها من الهجمات والصدمات ؟ مسئلة فيها نظر . على انه ما من شك فى ان الديمقراطية تحتاج اليوم الى بعض التعديل : فميراث الثورة الفرنسية قد أصبح رثاً ، وكلمات الحرية والاخاء والمساواة قد بليت بل كادت تصبح جوفاء لا يتفق وقعها ونغمات هذا الزمان الصاخب العنيف

ونحن فى مصر قد اقتبسنا نظماً حديثة وكان معظم اقتباسنا من كتب القانون الدستورى ، وقد تبين الآن ان بعضها لا يصلح لبيئتنا وعقليتنا وأحوالنا الخاصة . وعلى كل حال فلم تبق دولة اليوم لم تعد النظر فى نظمها الدستورية ، ولا يضيرنا ان نستنير بما خبرته الدول الأخرى فى هذا المضمار ، لكى يستقيم الحكم وتتركز السلطة ، فاننا فى فاتحة عهد جديد أحوج ما نحتاج إليه فيه القرار السريع والعمل المجدي

على أنه مهما يكن نظام الحكم ــ فان اتجاه العالم كله إلى « اليسار » ، أى إلى تغلب نزعة « الحكم لمصلحة سواد المحكومين » لا لمصلحة طائفة منهم . وهذا هو الاتجاه الذى يجب أن تتجه اليه مصر فى نظمها الدستورية

***

إنها لتبعات هائلة تلك التى يتصدى لها أبناء هذا الجيل ، ولكنها غير عسيرة الاحتمال على قلوب مفعمة بالايمان ، وعقول مليئة بالعلم ، ونفوس طموحة إلى المجد

فمن تاق إلى مكان فى الشمس وجب أن يدفع ثمنه كاملا

والاستقلال فن تتقنه الامة بالاقدام والمران ــ كمن يقدم على تعلم السباحة فانه انما يستفيد من الأغلاط التى يرتكبها والأخطار التى يتعرض لها ، حتى إذا ملك فنه شق طريقه بهدوء وأمان إلى الأمام

ولسوف تتقن مصر فن الاستقلال فى عهد مليكها المحبوب فاروق الأول ، فيترعرع المليك الشاب ، ويترعرع فى كنفه الاستقلال الشاب ، حتى يكتمل نموهما معاً باذن الله

اميل زيدان

لو استقل العالم العربي

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

« .. فاستقلال العالم العربي استقلالا منفرداً محلياً كما تبدو بوادره في هذه الايام، ينتهي ان عاجلا أو آجلا الى نظام يشبه نظام عصبة أمم شرقية عربية مؤلفة من بلدانه، ويشتد التعاون الوثيق بينها على قدر الثمار التي تقتطفها من هذا النظام .. »

لم تستطع الدعوة الى الاخوة البشرية ـ على ما فيها من نغمة عذبة جذابة ـ ولا المذهب الاشتراكي الحر ـ على ما فيه من قواعد معقولة مقبولة ـ ان يطمسا معالم القومية الجنسية، أو يذهبا بالفوارق اللغوية الثقافية، فالعالم لا يزال مقسوما الى انكليز وألمان وفرنسيين وطليان وعرب واسبان وما الى ذلك من أقوام وشعوب، ناهيك بتلك الاضطهادات الجنسية الحادة القائمة مثلا على زعم النازيين الالمان بأن دمهم لا يجوز ان يختلط بدم اليهود أبناء سام! وما نزال نقرأ في العلوم الاجتماعية والتاريخية شأن الثقافات الاغريقية والرومانية والعربية والجرمانية والانجلوسكسونية واللاتينية، وقد استجد اليوم شأن الثقافة التركية وقول المتحمسين لها ان مدنيتها هي الاولى، وان لغات العالم كله مشتقة من لغتها لأنها « لغة الشمس »

لا غرو اننا نجد الشعوب النازلة بالعالم العربي، والتي شعرت بالروابط الثقافية الاجتماعية الاساسية التي تربط بعضها ببعض، تهب من رقدتها فتجد في هذه الروابط من عوامل التعاون والتضافر والاتحاد ما يعد فاتحة انقلاب سياسي خطير في تاريخ القرن العشرين

وقد تجلى هذا الشعور بعض التجلي بما فعله أبناء العرب لفلسطين، على ما فيه من نقص وابطاء، فقد تضافروا في أفريقيا وآسيا على مد يد المعونة لاخوانهم الفلسطينيين في جهادهم الوطني، فتألفت في العالم العربي اللجان لتنظيم الاعانات المالية، ونشر الدعاية الفلسطينية، وغير ذلك مما كان له الأثر الطيب، وكان نداء ملوك العرب مسك الختام تجلت فيه بوادر التنظيم السياسي من ناحية الملوك والأمراء العرب بتوسطهم، ومن ناحية الشعب الفلسطيني بنزوله طائعاً مختاراً على هذا التوسط

وفى الحق ان هذه البادرة لأسبقية يهمنا معاشر العرب الاحتفاظ بها ، وان حاولت أوربا ان تقلل من شأنها ، وهى فى الخطورة تأتى فى الدرجة الثانية فقط عن البطولة التى أبداها الفلسطينيون مع اخوانهم الذين أتوا لنجدتهم من سورية ومن العراق

والآن نرى أوربا تنقسم الى معسكرات ، ونجد التطاحن بين البلشفية والفاشيستية والديمقراطية بالغاً أشده ، وعصبة الأمم تخسر ما بقى لها من أثر ضئيل ، والمعاهدات تصبح قصاصات ورق ، وآخر الدول التى تنفض عن نفسها الغبار المكدس فوقها ، دولة بلجيكا ـ فبعد هذا كله و بعد تسابق القابضين على زمام الممالك الى الاستعانة بالاقوام الناشئة ، ماذا يحدث يا ترى لو هبت هذه الروح التى نجدها فى فلسطين اليوم كما وجدناها فى العراق سنة ١٩٢٠ وفى سورية سنة ١٩٢٥ فعمت جميع بلدان العالم العربى ، وظهرت البطولة الكامنة فيه كما ظهرت فى نابلس والخليل والقدس ويافا وحيفا وغزة وبئر السبع وسائر تلك البقاع التى سيردد ذكرها الاحفاد كما يرددون ذكر معارك « المزرعة » و « الغوطة » و « الحاضر » فى سورية الشمالية

ان هذا يعني أمراً واحداً وهو ان هذه البلدان ستسير فى سبيل الحرية ، شاء الذين يسخرونها للاغراض الحقيرة أم أبوا ، فلا يمضى حين من الزمن إلا وهى تتمتع باستقلالها الذاتى . والأمم مثل الافراد متى انتهت من مشاغلها المحلية وتدبير أمورها الداخلية انصرفت الى علائقها الخارجية و بحثت عن المنافع التى تصيبها من القوى المحيطة بها ، فكما ان الأخ يبحث عن أخيه كذلك القطر الشقيق يبحث عن شقيقه ، وهكذا تسير الأمور نحو التعاون المنشود بين بلدان هذا العالم

فاستقلال العالم العربي استقلالا منفرداً محلياً كما تبدو بوادره فى هذه الايام ، ينتهى إن عاجلا أو آجلا الى نظام يشبه نظام عصبة أمم شرقية عربية مؤلفة من بلدانه ، و يشتد التعاون الوثيق بينها على قدر الثمار التى تقتطفها من هذا النظام ، ولا سيما متى أصبحت حوزتها الدولية مضمونة بحمايته وتحت رعايته من الصولات الاستعمارية التى يصولها الغرب للبسطة السياسية والاقتصادية

ونظرة واحدة على المصور الجغرافى ، تدل على المقام الرفيع الذى يتمتع به عالمنا العربى . فهو يقف جبهة واحدة منضمة متشابهة من خليج الاسكندرونة فى الطرف الشمالى للجانب الشرقى من البحر المتوسط الى مضيق جبل طارق فى الغرب حيث يتصل البحر المتوسط بالمحيط الاطلنطى

فتشمل هذه الجبهة سورية وفلسطين وسيناء وقناة السويس ومصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أو المغرب الأقصى. وحسبك من هذه الأقطار ان تذكر اسمها فقط لتعلم انها أقطار تجمع بينها أواصر اللغة والعقيدة والتاريخ والشيء الكثير من لحمة النسب . وهي تعلم ان ماضيها متشابك ومستقبلها يدور حول مركز واحد .وقصارى القول ان هذه الأقطار لو أرادت ان تؤسس امبراطورية أو ان تؤلف حلفاً ما كان الأعضاء الداخلون فى هذه الامبراطورية أو هذا الحلف أبعد عن الوئام والتشابه من أعضاء « الامبراطورية البريطانية » أو ولايات « الولايات المتحدة » فى أمريكا . أين هذه الجبهة المتشابهة المتحدة فى الشق الجنوبي من البحر المتوسط من الجبهة المخروقة الممزقة المتنافرة فى الشق الشمالى التى تبتدىء من الأناضول وتنتهى كذلك بجبل طارق فتشمل الترك وهم فى وضعهم الحاضر مثل شجرة القرآن لا شرقيون ولا غربيون . وتشمل كذلك الصرب والألبان والكرواتيين والفنيسيين والايطاليين والفرنسيين والاسبانيين

ان هذه الجبهة العربية التى تستقل بالنصف الجنوبى من البحر المتوسط هي الممر الطبيعى لكنوز آسيا وأفريقيا الى أوربا ، وهي نفسها تفيض بالخيرات والبركات ، ففيها منابع الزيت ومنابت القطن وحقول الحبوب وبساتين الثمار وحدائق الازهار ، وهى وارثة الامبراطوريات القديمة وفى ظلها الوارف تم الاتصال بين الثقافات الخالية والمدنية الحاضرة . فاذا ما قدر لأهلها ان يحصلوا أولا على حريتهم الموضعية ثم على تعاونهم الشامل ، فان قسطاس السياسة العالمية يصبح بيدهم لانهم يتحكمون حينئذ فى حوض البحر المتوسط ومن تحكم فيه تحكم فى العالم اجمالا

ونحن معاشر العرب مع اعترافنا بقصورنا وانهماك كثير من أقطارنا فى الشؤون الموضعية البحت وغفلة زعمائها عن قيمة هذا التعاون الخطير ــ نقول لقد صار للعروبة كلمة صريحة فى السياسة الدولية وأخذ بعض القابضين على أزمة الممالك يتسابقون الى خطب ودها ، فهى ذات نفوذ فى لندن وباريز وروما،ولن يكون اليوم بعيداً الذى يعترف لها فيه بشأنها فى حل المعضلات العالمية. وهذا كله يتوقف على تنظيمها تنظيما حديثاً ، وتسليحها بجميع الوسائل التى تجعل جانبها عزيزاً وكرامتها موفورة

عبد الرحمن شهبندر

الحرية ومدلولها الإنسانى

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

كنا نقرأ قبل الحرب العالمية الأخيرة تعاريف للحرية نعتبرها من البديهيات التى لا تحتاج إلى بحث أو تحليل . ولعل كثيرين ما يزالون يذكرون تعريفاً كان الناس يتداولونه على أنه حقيقة مقررة ، وما يزال الناس في بعض الأمم يذكرونه إلى اليوم ، ويرون فيه من الحق شيئاً كثيراً . ذلك أن الحرية تتلخص فى أن يفعل الانسان ما يشاء على ألا يعتدى على حرية غيره . فى هذه الدائرة له أن يفكر كما يريد ، وأن يعمل كما يحلو له . هو ملك نفسه . ومن ثم كان له التصرف في نفسه بما يشاء . وما دخل فى ملكه صار من حقه ، وله أن يتصرف فيه بما يشاء. لاحد لتصرفه ذاك الا حرية غيره . فليس يجوز أن يصيبها من جراء تصرفه مساس ، لانها حرم مقدس ، كما أن حريته هو حرم مقدس

ولقد دقق الكتاب والفلاسفة فى تحديد هذا التعريف . ذكر هربرت سبنسر ، وكان من أشد المدافعين عنه ، أن الذى يسير فى الطريق فيشم بنزين سيارة يجرى بها غيره ، يفقد من حريته بمقدار ما يدخل خياشيمه من هذا البنزين . وكان من الأمور المتفق عليها قانوناً أن للمالك من حرية التصرف فى ملكه ما يبيح له أن يفسده أو يعدمه . ونظرية الحرية فى العقود من النظريات التي لم تكن تعرف حداً من الحدود . وما يذكر اليوم من حدود الآداب والنظام العام كان غير معترف به فى هذا الباب إلا على أنه استثناء وشذوذ يجب أن يطبق فى دائرة الشذوذ والاستثناء . ولما كانت قوانين التملك والتعامل مقدسة إلى ما قبل الحرب العالمية ، فقد بقي هذا التعريف للحرية مقدساً هو الآخر فى نفوس الناس جميعاً ، خلا نفوس أولئك الثائرين الذين كانوا ينادون بالمبادىء الاشتراكية وما إليها ، والذين لم يتح لهم فى الحياة العملية حظ يذكر من النجاح . وإذا قلنا النجاح قصدنا به تولى الأمر لتطبيق المبادىء على الجمعية بوجه عام

على أن هذا التعريف للحرية وحق الفرد فى التصرف المطلق قد بدأ ينكمش بعد الحرب العالمية ، وبدأ الناس ينظرون للحياة الفردية وللحياة الاجتماعية بعين غير التى كانوا ينظرون بها

من قبل . ويرجع السبب فى ذلك إلى انهيار المبادىء التى كانت مقررة للتملك وتوزيع الثروة ، والتى كان معمولا بها فى أنحاء العالم كله على أنها المبادىء المتفقة مع سنة الطبيعة ، والكفيلة بتحقيق أكبر حظ مستطاع من النعمة للانسان . من يومئذ جعل الناس يفكرون فى مقاييس جديدة للحياة تنتظم شؤون الفرد وشؤون الجماعة . وهم ما يزالون مختلفين ، وما يزال خلافهم يؤدى إلى الاضطراب والثورة المسلحة حيناً ، والكمينة حتى تتسلح حيناً آخر

ويجمل بنا إذا أردنا أن نعرف الأسباب التى أدت إلى انهيار هذه التعاريف للحرية أن نذكر أن التعاريف لا تزيد فى الحياة الاجتماعية على تصوير الواقع وترتيب النتائج التى تسمح بها حياة الجماعة في حدود هذا الواقع . وسيظل الأمر كذلك ما بقي العلم الاجتماعى وقوانينه أدنى إلى الفن منه إلى العلم ، وما دمنا لا نستطيع أن نحدد سنن الاجتماع بالدقة التى نحدد بها سنن الطبيعة الثابتة . وإن قوما ليذهبون إلى اننا لن نستطيع أن نحدد سنن الاجتماع بمثل هذه الدقة ، لأننا لن نستطيع ، وإن حاولنا أن نخضع الاجتماع للملاحظة الموضوعية المجردة من كل عقيدة أو هوى ذاتى . فالعقائد والأهواء بعض غرائزنا الذاتية ، والعقائد والأهواء من آثار الاجتماع ومن موروثاته ، وهى من ثم بعض سنن الاجتماع ، فمن العسير علينا أن ننظر اليها ونحن بعيدون عنها كما ننظر الى الافلاك والاجرام ، ومن العسير كذلك علينا أن نثبت لها سننا لا تتغير ونحن خاضعون لها ، يتغير نظرنا وملاحظتنا بتغيرها

على أننا مع ذلك بحاجة إلى التماس ما يتصل بهذه السنن مما يكيف حياتنـا الفردية والاجتماعية لنفيد من الحياة خير ثمراتها الروحية والعقلية والمادية . ودأبنا فى التماس المعرفة هو بعض هذا الخير . وتتبع مافطنته الانسانية حقائق فى مختلف العصور وما وضعت له التعاريف على أنه حقائق بعض ما يدنينا من هذه المعرفة ، فلنلتمس على هدى هذه التعاريف معنى للحرية الانسانية غير ما ألفناه . وغاية ما نطمع فيه أن يتفق هـذا المعنى وصورة الواقع فى زمننا ، وأن يكون له نظائر في الماضى تؤيد ثباته وتجعل له شيئاً من الصحة عند من يخلفنا

ويخيل إلىّ أن الحرية الانسانية فى أحسن صورة لها تنحصر فى أن يكون الكلام أداة الناس إلى التفاهم والى النضال والى الغلب والى تقدير مايعتقدونه الخير للفرد وللجماعة ، وفى اذعان المغلوب بسلطان الكلام بعد أن تلزمه الحجة كاذعان المغلوب بالقوة المادية والحيوانية . وبعبارة أخرى ألا يلجأ الانسان في النضال الانسانى إلى غير السلاح الانسانى ، وهو الكلام . فمن التعاريف التى حفظها الناس أن الانسان حيوان ناطق ، نطقه أثر من آثار تفكيره . فاذا هو

اقتصر على أن يجعل النطق سلاحه فى الحياة كما يجعل الحيوان نابه وظفره وقوة عضلاته سلاحه فى الحياة ، فهذه غاية الحرية . أما ما لجأ الناس فى نضالهم إلى الأسلحة المادية والحيوانية ، فقل على الحرية السلام ، لأن الحرية تصبح كلمة يحترمها الناس ما لم تعارض هواهم ، فان عارضت هذا الهوى نزعوا ثوب إنسانيتهم وانقلبوا حيوانات تناضل بالظفر والناب ، أو بما تناضل به الحيوانات ذات الظفر والناب من سيوف ومفرقعات وغازات وما إليها

الى ان يستطيع الناس ، أفراداً وجماعات وأمماً، أن يجعلوا الكلام أداتهم الى التعامل فى الحياة وان ينبذوا القوة الحيوانية ، والقوة التى يناضلون بها الحيوان ، كأداتهم فى التعامل ، فستبقى الحرية اسما شعريا يختلف الناس على مدلوله و يحدده الخيال أكثر مما يعرف الناس له حدوداً فى الواقع . فالحرية يحميها القانون كما يقولون . لكن القوانين انما يضعها القوى وينفذها القاهر بقوة السلاح . وهو يحترمها بمقدار ما يستطيع الآخرون مقاومته إذا اعتدى عليها. فاذا ضعفت المقاومة نقذها على هواه ، ووضع قوانين غيرها ، ووجد لتسويغ وضعها منطقا . يصدق ذلك على أفراد الامة الواحدة فى تعاملهم . فالقوى يملى ارادته حين التعاقد مع الضعيف كما يشاء . ويصدق على الهيئات المختلفة فى الامة الواحدة حين يضع الاقوياء ذوو الغلبة التشريع الذى يرونه كفيلا ببقاء غلبتهم . ويصدق على الامم فى معاملاتها حين يقهر القوي الضعيف باسم تحضيره أو بأى اسم آخر

والانسانية اليوم فى مرحلة من مراحل حياتها غلبت فيها الحيوانية وأصبحت لقوة الاذرع والمدمرات الكلمة الاخيرة . فهذه الثورات الاهلية التى ما فتئت تقوم منذ الحرب ، وهذه الحروب بين الامم على رغم عهدة العصبة التى أنشئت باسم عصبة الامم لضمان السلام ، وهذا الاضطراب فيما يسمونه التوازن الدولى ــ هذا كله نذير بأن الانسانية ما تزال بعيدة عن ان تحتكم الى العقل والى حجته ومنطقه ، وما تزال حيوانيتها أشد غلبة عليها من انسانيتها ، لذلك كانت حريتها حرية حيوانية ، وكان حديثها عن الحرية حديثاً حيوانيا ، وكانت المعانى الانسانية للحرية ما تزال ألفاظاً يتخذها أصحابها ستاراً لأغراضهم الحيوانية

وأنت واجد دليلا على ذلك فى فهم الناس معنى الحرية . فالحرية عندهم مادية حيوانية بحتة . الحرية عندهم أن يأكل أحدهم ما يشاء ، ويشرب مايشاء ، ويلعب كما يشاء ، ويتملك قدر ما يشاء . أما الحرية الفكرية ، وأما حرية العقيدة ، فكلام يقولونه ولا يكادون يسيغونه . وهم لذلك يحاربونه بكل وسائل الحرب المادية ، مسلحة وغير مسلحة . والرأي والعقيدة عندهم

يجب أن يتصلا بمصلحة أو سلطان . فأحدهم لا يرى الرأى لغيره أو للجماعة أو للانسانية كلها ، قبل أن يفكر فيما يجره هذا الرأى من خير ، وقبل أن يفكر فى وسيلة تغليب هذا الرأى بالقوة المادية إن عجز عن تغليبه من طريق الحجة والاقناع ، بل هو يتخذ الحجة وسيلة لتأليب القوى المادية على أنها أدنى الوسائل إلى إلزام الحجة . وإذا كانت صورة السيف فى قول أبى تمام : « السيف أصدق أنباء من الكتب » قد أصبحت لا تصف حياة عصرنا بطياراته ومفرقعاته ، فما يزال هذا المعنى صاحب السيادة فى الانسانية ، وما تزال القوة المادية صاحبة الكلمة الأخيرة

إذا أردت ان تكون حراً فى هذا العالم الانسانى الذى نعرفه ، فكن اذن قويا ، ولتكن قوتك المادية حاضرة دائما الى جانب حجتك الكلامية لتنصرها . حجتك الكلامية قوية بها ، ضعيفة من غيرها . ولكن لا تتكلم ، إذا كان هذا رأيك ، عن حرية الآخرين ، وإذا تحدثت عنها فعلى أنها سخرية يجب ان يؤمنوا بحقيقتها فى كنفك انت . وهم لا يأبون هذا الايمان إذا رأوا القوى يطعمهم ويكسيهم . فهم بعد أدنى الى الحيوان منهم الى الانسان . والطعام عندهم كل شىء ، والمعدة عندهم باب العقل ومصدر الايمان

هذه حرية رخيصة . لكنها حرية هذا العالم الذى نعيش فيه ، فأما الحرية الصحيحة فهى التى صورتها من قبل ، هى الحرية الانسانية التى تجعل من الكلام أداة التعامل الانسانى . فاذا وصلت الانسانية الى هذا الادراك لمعنى الحرية كان للحرية معناها الصحيح

أما الى يومئذ فالحرية كلمة متغيرة المدلول مضطربة الحدود ، وحدودها القانون الذى يضعه الأقوياء ، وقوامها لذلك القوة المادية التى تؤازر الحجة والبرهان وتجعل من ضعفهما قوة

محمد حسين هيكل



حرية الفتيات فى اختيار الأزواج

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى

وبعد ، فالحرية المطلقة فى المجتمع غير موجودة ، بل غير ممكنة ، بل غير متصورة . فان إطلاقها لانسان ما يستلزم بالضرورة ، الحد من حرية غيره ، بل لقد يستلزم العدوان على حريات الآخرين وعلى حقوقهم جميعاً . فلقد ترى من حريتك أن تحتل دار جارك مثلا أو تستصفى ماله ، أو تسد الطريق العام على الغادى والرائح، أو نحو هذا مما يتحيف من حريات الناس وينتقص من حقوقهم ، ويحول بينهم وبين ما أحلت الطبيعة لهم . فكيف مع هذا تتسق الحرية المطلقة لهؤلاء المعتدى على أموالهم وعلى أنفسهم معاً ؟ وإنما سقنا هذا على جهة التمثيل ، لأنه أوضح من أن يحتاج الى التدليل

وليس يصح فى الأذهان شىء ... اذا احتاج النهار الى دليل

وانك لو قلبت النظر فى الشرائع السماوية ، وخاصة فى أبواب المعاملات وما يلحق بها من أبواب القصاص ، وفى القوانين الوضعية ، لرأيت أحكامها جميعاً قائمة على تنظيم العلائق بين أفراد المجتمع. وإن شئت قلت إن هذه الأحكام قائمة على الحد من الحريات ، ضمانا لقيام الحقوق والحريات «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب» صدق الله العظيم . إذاً ، فالحرية فى قيامها مدينة للحد منها .

> « البنت المصرية الآن إن لم تكن ثائرة ، فهى على جناح ثورة بالآباء والأمهات ، وعأثور العرف والتقاليد جميعا . ان لها لعقلا وقلبا ، وان لها لارادة وعاطفة وحسا . ولقد توافرت لها جميع الشرائط اللازمة لحرية التصرف المباحة لجميع العقلاء الأحرار فكيف يجوز الحجر عليها فى التصرف فى أخص شئونها ؟ . . »

ولولا هذا ما قامت حرية ، ولا انتظم حق ، بل لأفضى إطلاق الحريات الى تصدع بنيان المجتمع ، بل لعله يفضى الى هلاك الناس جميعاً

على أن حد الشرائع والقوانين من حريات الناس ، لم يقف عند تنظيم العلائق بين الأفراد ضمانا للحقوق والحريات العامة . بل لقد يشتد ويقسو الى حد التصرف فى أساليب معيشة الأفراد ، بل فى حياتهم نفسها فى غير جرم ولا عدوان ، بل توسلا الى سلامة المجموع وأمنه ، والذياد عن أرض الوطن ، وتحقيق أمانيه فى اتساع رقعة الدولة . وذلك بتجنيد القادرين ونظمهم فى الجيش ، وسوقهم ، ما دعت الضرورات ، الى ميادين القتال

بل ان هذه القوانين لتحد من الحريات العامة فيما دون ذلك من كفالة صحة المجموع ، بل السعى الى رفاهيته . وذلك بحتم التطعيم ضد الجدرى ، والحجر على حرية التنقل عند هبوب

الأوباء مثلا . وتحريم إحداث الضوضاء فى أثناء الليل خاصة ، وكف الباعة المترققين بأبدانهم عن النداء على بياعاتهم فى بعض الأحياء

بل ان لها ، فوق هذا ، أن تستكره الآباء على تعليم أبنائهم وبناتهم والا استهدفوا للعقاب ، لـكيلا تنتظم الأمة الا المثقف المستنير ، القادر للواجبات والعارف بالحقوق ، والمساهم ، بقدر ما ، فى الرقي العام

على أن الانسان نفسه لم يقنع بالكف من حرياته طوعا لأحكام القوانين . بل لقد جعل يأخذ نفسه ، على الزمان ، بألوان من التطوع بما لا تلزمه القوانين ، وتحرم كثير مما أحلت له القوانين ، تهديا بمثل الانسانية ، وانبعاثاً بوحى الضمير ، وحفاظاً للأدب العام . حتى انتظم من هذا عرف وانعقدت به تقاليد أصبحت لها عند الانسان المرىء سطوة لا تقل عن سطوة القوانين . والشواهد على هذا ماثلة للأعيان ، حاضرة فى كل مكان

* * *

وبعد ، فلست الآن بسبيل بيان الحريات وما أحل منها للناس وما حرم عليهم . وما ورد من هذا فى الشرائع السماوية ، والقوانين الموضوعة ، أو ما انعقد عليه العرف وجرى به مأثور التقاليد. وانما سقت من هذه القواعد ما سقت تمهيداً للكلام فى لون واحد من ألوان الحريات ، وأعنى به مدى حق الفتيات فى اختيار الأزواج ، وما عسى أن يكون للوالدين وسائر الأولياء فى هذا الباب من السلطان

واذا لم يكن للحديث فى هذا الموضوع شأن جليل من عشرين سنة خلت ، فلقد جل خطره فى هذه السنين ، بعد أن جعلت الفتيات فى بلادنا يأخذن بحظ من العلم والثقافة لا يقل فى كثير من الأحيان عن حظوظ الفتيان ، وبعد أن استشرفت المرأة للمباراة فى وجوه الأعمال التى كانت من قبل حبساً على الرجال . وبعد أن شاع السفور أو كاد ، وتيسر للجنسين من الاختلاط والاتصال ما كان محظوراً على غير المحارم والأقرباء . وأخيراً ، بعد أن شعرت المرأة المصرية بحقها وكرامتها ، وتداخلتها الأنفة من الرضا بعيش الأرقاء . وانزالها فى عامة شأنها على الهوان ، والتصرف فيها تصرف المالك المطلق فيما بين يديه من الأموال !

نعم ، لقد كانت الفتاة المصرية ، الى وقت قريب ، تخطب الى الرجل لا تعرف من هو ، ولا تدرى ما حليته ونسبه ، ولا أصله وفصله ، ولا شكله وسمته . بل قد يضن عليها الأولياء باسمه ولقبه ، اللهم الا أن يسر اليها شيئاً من ذلك بعض أترابها ، الى أن تزف اليه ، ولقد يمنعها الحياء أياما من توسم وجهه وإرسال النظر فى ضواحى خلقه !

كان هذا هو السنة الشائعة فيما خلا من الزمان ، لا تنشز عليها أسرة من الأسر . فاذا اجترأت

إحداها على مراجعة الفتاة فى أمر زواجها ، وطالعتها بشخص خطيبها ، فقد استهدفت من جمهرة الناس لسوء المقال !

كذلك كانت السنة العامة ، وما برح يجرى عليها الكثيرون . على أنى لا أحسبها إلا مهرولة فى طريق الزوال ، بحكم انتشار التعليم ، واطراد السفور ، والتوسع فى الحريات

إذاً لقد جعلت الفتاة المصرية ، وأعنى الفتاة المتعلمة على وجه خاص ، تستشرف لحريتها ، وتتطلع الى حقها في اختيار ذلك الذى يبنى بها . والذي تعقد بينها وبينه أخص شركة وأوثقها وأخطرها فى هذه الحياة !

جعلت الفتاة المصرية تستشرف لهذا، ولقد تصارح الأولياء به . بل لقد تنشز على إرادتهم وتؤذنهم بالعصيان والتمرد . وهنا يختلف شأن الوالدين والأولياء مع فتياتهم اختلافا كبيراً . فنهم وهم الأندرون عددا ، من يرسلون الحبل لبناتهم فى الاختيار والانتقاء . ومنهم ، وهؤلاء ما برحوا قلة أيضاً ، من يراجعون بناتهم فيمن يتخيرون لهم من الأزواج ، بحيث لا يقطعون فى أمرهن الا بعد رضا منهن وارتياح . أما الكثرة الكثيرة فما زالت على نهجها القديم من عدم الاحتفال لرأى البنت لو قد اجترأت على المباداة بالرأي ، وإكراهها على الزواج ممن يرضون لها لا ممن ترضى هى من الرجال

وأنت خبير بأن هذا الاختلاف الواسع للدى فى منازع الناس فى هذا الشأن ، انما يرجع الى أننا مازلنا فى ثورة اجتماعية جامحة لقد تناولت أسبابنا جميعاً ولما تطمئن بعد الى قرار

هذا الاختلاف فى منازع الأولياء طوعا لتقديرهم واعتدادهم بسلطانهم على بناتهم من جهة ، وهذه الحرية الطاغية على الشباب من جهة أخرى ، لقد استحدثت فى حياة بعض البنات أحداثا جليلة . ولن تلبث ، اذا اطردت هذه الحال ، حتى يقوم لنا منها مشكلة اجتماعية خطيرة لقد يعز علاجها الا فى الزمان الطويل !

البنت المصرية الآن إن لم تكن ثائرة ، فهى على جناح ثورة بالآباء والأمهات ، وبمأثور العرف والتقاليد جميعاً . إن لها لعقلا وقلباً ، وإن لها لارادة وعاطفة وحسا . ولقد توافرت لها جميع الشرائط اللازمة لحرية التصرف المباحة لجميع العقلاء الأحرار . فكيف يجوز الحجر عليها فى التصرف فى أخص شئونها . بل فى روحها وبدنها . وفى قلبها وعاطفتها . فلا يروعها إلا أن ترى نفسها وقد سلكت مع فلان فى قرن واحد . تقضى العيش معه الى الأبد . وتتوافى له الى غير حد ، وتشركه فى الذرية والولد . وتبذل له من ذات نفسها مالا يبذل لأحد . أليس هذا ظلماً لا يلحقه ظلم ، واستبداداً أرفق ما يقال فيه انه غير كفء لنظم الحياة فى هذا الزمان ؟ !

وليس يعوزهن إقامة الأدلة . أو على الأقل ضرب الأمثال . على ما تفضى اليه تلك الأساليب

من فنون الأسواء التى تلحق الفتاة فى معيشتها ، وفى مستقبلها ، وقد تمس فى بعض الأحيان شرفها والعياذ بالله !

إن الفتيات لايتهمن أولياءهن بكراهتهن أو الرغبة فى الكيد لهن ، ولا بقلة الاحتفال لسعادتهن. ولكنهن يرين أن تفكيرهم فى زواج بناتهم مصروف كله الى الأسباب المادية من إيثار الغنى أو المنصب أو الجاه ، أو مجرد الرغبة فى التخلص من الفتاة مخافة أن تعلو بها السن أو نحو ذلك من الأسباب ، ما يرعون فى ذلك لها رأيا ، ولا يدخلون قلبها وعاطفتها فى الحساب . ولقد يزوجونها بمن يكبرها بالأربعين أو الخمسين من الأعوام . ولقد يزفونها الى من تشوهه الآفة ، أو إلى من لا يمكن أن تهوى اليه نفسها وتصغو له مهما تمادت بها الأيام . فلا يكون العيش إلا نكدا للزوجين كليهما وعذابا لا يعدله فى الدنيا عذاب . وفى هذه الحال إما أن تنفصم العروة ويتصدع البناء . واما أن تحل كارثة من هذه الكوارث التى تطالع الصحف بأنبائها فى الصباح وفى المساء . ولعل ما خفى كان أعظم . والله سبحانه وتعالى أعلم !

***

اللهم إن هذا ما كان من تفكير بعض الفتيات . أو ما سيكون غداً من تقدير أكثر الفتيات !

أما الكثرة الغامرة من الوالدين . فقد حشيت نفوسهم بالشعور بالسلطان المطلق على أولادهم بحكم ولادتهم وتجليتهم فى هذه الدنيا أولا ، وبحكم كفالتهم والجهد فى تربيتهم وتأديبهم ثانيا ، وبحكم الانفاق المرهق أحياناً فى مطعمهم وملبسهم وسائر أسبابهم ثالثا ، وبحكم الاضطلاع بما يقتضيه تزويجهم من جليل الأموال رابعا ، وبحكم ما لعلهم مكابدوه من شديد العناء إذا أساءت الفتاة اختيار البعل خامسا

على أن الشعور بهذا الحق للآباء على الأبناء يلابسه شعور آخر لا يقل عنه قوة وخطرا . أعنى به شعور أولئك بالواجب عليهم وبالمسئولية الملقاة على عواتقهم نحو هؤلاء . فان الوالد ليرى نفسه مسئولا أى مسئول عن سلامة ولده من الأذى فى جسمه وفى نفسه معا . وعن إسعاد عيشه وإعلاء شأنه ، وإعزاز مستقبله . وهو فى هذا يطول تفكيره وتدبيره ، وهو فيه يكد ويجهد ، ولقد يضن فى هذه السبيل على نفسه ، ويكفها عن كثير من متناول المنى ، ولقد يغامر بما يضنى الجسم ويسرع بالأجل . كل هذا يفعله راضيا مطمئنا لا يشعر أدنى شعور بمن على الولد ولا تطول لأنه يراه بعضه . أو على الأصح لأنه يرى فيه نفسه . وهذا من فعل الأثرة بالانسان !

أفترى مع هذه الحقوق ومع هذا الشعور بالمسئوليات ، ومع كل هذه التضحيات التى يسيغها العطف والحب والايثار ، أفترى مع هذا ألا يكون للوالدين السلطان كله فى أمر زواج البنات ؟

ان البنت لتخطىء أشنع الخطأ إذا ظنت أن والدها لا يدخل قلبها وعاطفتها فى الحساب . ولكن الواقع أن الفتاة لا تجعل فى الغالب لغير الهوى فى هذا الغرض بالا . فالهوى عندها هو كل

شيء . على أن نظر الأب أبعد مدى ، وتقديره أوسع آفاقا . الأب إنما يطلب السعادة الحقة لبنته ، يطلب لها فى الزوجية العيش المطمئن الدائم الثابت على هوج العواصف . هذا العيش الذي تتصل به حياة الأسرة فى غير ورع من صرف الأيام ، فى ظله يرعى الولد ويدبر مستقبل الدرارى والأنسال. ولو كان مجرد الهوى ونزعة القلب مما يحقق هذه الطلبة ، ما تردد فى إجابته أولئك الآباء !

إن الهوى كثيراً ما يكون نزعة وقتية لا تلبث أن تخمد جذوتها الأيام !

إن الفتاة ، فى الغالب ، غرة تملأ جوانحها المنى ولا يتراءى لها الا معسول الأحلام . قل أن تفطن الى أعقاب الأمور أو تنفذ بصيرتها الى ما وراء الظواهر من الشرور والمحن . لقد تقع رجلاها فى أول شرك ينصبه لها شاب لا قيمة له ولا رجولة فيه ، ولا هو بكفء لأن يكون يوما ما فى عداد الأزواج . ولقد يكون ذئبا صائلا ليس له من صفات الانسان إلا شكله وسمته . وكثيرا ما يخدع الفتاة بتأنقه فى زيه ، وتظرفه فى إيماءته وحديثه . حتى إذا باداها بحديث الهوى حسبته ذلك الملك الكريم الذى طالما جلته على نفسها المنى ، وعقدت هى به أسعد سعادات الحياة !

وهذه الأمثلة على سرعة انخداع الفتيات بالشبان المائعين والنصابين لا يكاد يحيط بها الاحصاء !

ولنقدر أخيرا أن هذا الزوج إنسان كسائر الناس . فلقد دلت التجاريب على أن الزواج الذى يقوم على الغرام الوشيك قل أن يدوم أو تطول مدته ، لأن هذا الغرام ما يلبث أن يتبخر ، فسرعان ما تكون الصدمة الهائلة بخيبة الأمل ، وسرعان ما تتكشف الحياة عن أرزاء ألهى الهوى من قبل عن إدخالها فى الحساب !

أثم هذا يجوز أن تطلق للفتاة الحرية أو أن يكون لها رأى فيمن يصلح لها من الأزواج ؟ اللهم إن هذا لا يعد إهمالا من الآباء فحسب ، بل إنه منهم لقسوة بل إجرام

* * *

وبعد فلا شك فى أن للفتيات حرية كسائر الناس . ولكن هذه الحرية يجب الحد منها كسائر الحريات . وإنما يحد منها حفظا للفتاة نفسها ، وكفالة لأمنها وسعادتها على الايام

وهذا ما يذهب اليه رأى الآباء . فترى هل لهذه المشكلة الجديدة من علاج ؟

عبد العزيز البشرى

ما هى الحرية ؟

* الحرية اثنتان إحداهما كاذبة ، وهى ان يفعل الأنسان ما يريد ، والأخرى صحيحة ، وهى ان يفعل ما يجب عليه ان يفعله (كنجزلى)

* للناس فى الحرية آراء خطأ . فهم يزعمون ان الحرية ان يفعل المرء ما يريد . لكن الحرية الحقيقية هي ان تزول كل القيود التى تمنع المرء من عمل ما يجب عليه ان يعمله (روبرتسون)

نشيد الاستقلال

بقلم الأستاذ محمود أبو الوفا

مصر من فوق الجميع تاجها التاج الرفيع
شعبها الشعب المنيع مصر من فوق الجميع

***

مصر فى قدس الجهاد أقسمت ألا تساد
أقسمت ألا تذلا
أقسمت أن تستقلا
لا تريد العيش إلا حرة بين العباد

***

لعلعى يا رماح دمدمي يا رعود
ان عصف الرياح لا يخيف الأسود
واكتبوا فوق الحراب مصر تفدى بالشباب
مصر من فوق الجميع

***

مصر بالنيل المقدس بالضحايا الأبرياء
حلفت حلفاً شديدا
أن ترى الاهرام بيدا

أو ترى النصر الأكيدا خافقاً فوق اللواء

***

حطموا القيود دكدكوا الجبال
ليس فى الوجود مطلب محـــال
ثم خطوا بالدماء مصر من فوق الفداء
مصر من فوق الجميع

***

نحن بالحلم عرفنا واشتهرنا من قديم
غير أنا إن ظلمنا
عند ذا نرتد جنا
لا نبالى بالمنايا لا نبالى بالجحيم

***

حطموا القيــود دكدكوا الجبـال
ليس فى الوجود مطلب المحـال
ثم خطــوا بالدماء مصر من فوق الفداء
مصر من فوق الجميع

محمود ابوالوفا



حرية الفكر
هى حرية الحياة

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

حرية الفكر هى شىء أعم من حرية الآراء العقلية كما نفهمها على أنها جزء من الانسان معزول عن الشعور والاخلاق والبواعث العملية وأسباب العيشة

حرية الفكر هى حرية التعبير عن «الشخصية الانسانية» بكل ما تشمل من حس وإدراك وخلق ومزاج ومجهود

وحرية الفكر بهذا المعنى هى شىء لا يختلف من حرية الحياة أو حرية الوجود

فسيان أن تمنع الانسان أن يحيا، وأن تمنعه أن يفكر ويستوفى جوانب «الشخصية» التى تبلغ تمام مظاهرها فى التمييز والتفكير

وسيان أو يكادان يستويان أن تمنع التفكير وأن تمنع التعبير عن التفكير لان الفكرة التى لا ترى ضوء الشمس هى فكرة ميتة أو هى فكرة حية ولكن حياتها هى سبب الالم والكبت والفساد

> «.. لست أدرى ما عسى أن تنسجه الأعوام المقبلة من سرابيل المجد والفخار، وليس فى ميسورى أن أحلم بما سوف ينال من الفتوح والمغانم فى ميادين العقول، لكنى أدرى وأنا أنظر الى بحر المستقبل اللجى أن شاطئ الحياة لن تسمه نعمة أنفس، ولا بركة أندر من الحرية ...»

وإذا كانت حوادث الدفاع عن حرية الفكر لم تبلغ ما بلغته حوادث الدفاع عن حرية الحياة من الكثرة والعنف، فذلك لا يدل على أن حرية الفكر أقل من حرية الحياة، ولكنه يرجع الى أسباب متى اتضحت ظهر لنا أن الفكر والحياة فى الشخصية الانسانية شيئان قلما يختلفان

ان الافكار عند الجمهرة الغالبة من الناس تتشابه وتتقارب بحيث يكفى للتعبير عنها منزع واحد هو المنزع الشائع بين السواد فى زمن من الازمان

فالرجل العامي الذى لا يعبر عن فكرة خاصة، ولا يقاتل فى سبيل التعبير عنها كما يقاتل فى سبيل الدفاع عن حياته، انما يفعل ذلك لان فكره هو فكر صاحبه، وفكرهما معاً هو فكر القرية كلها أو المدينة بأسرها أو الامة بحذافيرها. فلا نزاع فيه ولا حائل بينه وبين التعبير عنه كما يظهر فى العادات العامة والآراء المتواترة والعقائد الشائعة

ومن ثم لا تشعر «شخصيته» بالنقص فى جانب من جوانبها، ولا يعالج مضض الحرمان من حرية التعبير التى نقول إنها تساوى عنده حرية الحياة

ولكن هات هذا الرجل وهات صاحبه وهات أمثاله وأمثال صاحبه وفاجئهم بعقيدة تمنعهم أن يعتقدوا كما يحبون ويستريحون ، وأنت ترى أنهم يشعرون بالخطر كما يشعرون بالموت ، او يجازفون فى هذا السبيل كما تجازف الجماهير فى سبيل الحياة

ذلك شأن العامة الذين تتشابه أفكارهم وتتقارب بحيث يكفى للتعبير عنها المنزع الشائع بين السواد

أما الرجل الممتاز الذى تستولى عليه فكرة يخالف بها سواد الناس ويسبق بها الاجيال ، فهو كذلك لا يرى فرقا معدوداً بين القضاء على شخصيته ، والقضاء على تلك الفكرة ، أو الحيلولة بينه وبين التعبير عنها والاستجابة لدواعيها

غاية الفرق بين القضاء على الحياة والقضاء على الفكرة أن الحياة يقضى عليها مرة واحدة ثم ينتهى الاشكال فيها بين القاتل والمقتول

أما الفكرة فقد يطول أجل القضاء عليها أياما أو شهورا أو سنوات ، فاذا كان صاحبها يصابر قاتليها احيانا ، فليس ذلك دليلا على أن الحياة أعز وأغلى من الفكرة ، ولكنه دليل على أن تأجيل لدفاع عن الحياة مستحيل حين تهدد بالهلاك ، خلافاً للفكرة التى يجوز تأجيل الدفاع عنها ذهابا مع الامل فى صيانتها وتغليبها بعد حين

وربما كان شأن الانسان السابق للاجيال بأفكاره وأخلاقه كشأن كل حى فى مصارع الطبيعة يشعر بفضل من القوة فى بدنه وتركيبه . فان هذه القوة الفاضلة تندفع بالحيوان الى الموت فى سبيل تخليدها وانتاج النسل الذى يحفظها ويعممها ويزيدها فى مدارج الترقية والتمام : يصارع كل حيوان ينافسه حتى يغلب منافسيه جميعاً أو يموت دون الغاية ، وهكذا الفكرة الجديدة إذا ملكت صاحبها دفعت به الى مكافحة الموت لاستبقاء هذه الظاهرة الجديدة أو هذه الغنيمة المستحدثة فى تاريخ الحياة

ولا شك أن حماية الغنيمة المستحدثة فى تاريخ الحياة واجب على بنى الانسان أجمعين ، بل هو الواجب الاول عليهم لانه هو الطريق الوحيد الى الترقى والمزيد

ويضاعف هذا الواجب أن الأفكار الجديدة كثيرة الأعداء قليلة الأنصار . . وهل كانت تحتاج الى الحماية لولا أنها كثيرة الأعداء قليلة الأنصار ؟ ؟

وهنا يبدو لنا التناقض العجيب فى تاريخ الحرية الفكرية حيث كان :

فكثرة الأعداء هى الموجب للحماية

وكثرة الأعداء هى فى الوقت نفسه المانع للحماية

وعلى المفكرين أن يواجهوا هذا التناقض الذى يتعرضون وحدهم لجرائره قبل ان يشعر بها من حولهم من الجماعات

وإنما تبدو لنا هذه الصعوبة على حقيقتها المرهوبة ، اذا ذكرنا أن تاريخ بنى الانسان لم يكن قط تاريخ ترحيب وهوادة مع الفكر الجديد كائناً ما كان الزمن أو الشعب أو موضوع الخلاف

فهذه اليونان القديمة قد اشتهرت بالحرية الفكرية . وأكبر فلاسفتها الثلاثة قد نكبوا من أجل الحرية الفكرية : سقراط مات محكوما عليه بتجرع السم القاتل ، وأفلاطون قضى معظم حياته بين هارب ومغترب ، وقيل انه بيع مرة كما يباع العبيد ، وأرسطو نجا بحياته من أثينا فأوقعه الهرب السريع فى عقابيل الداء المميت

وانجلترا الحديثة - ولا سيما فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر - قد اشتهرت كذلك بالحرية الفكرية وكانت على ما نعتقد أرحب صدراً لها من اليونان القديمة . ولكن ترى هل كانت انجلترا الحديثة تسمح بحرية الفكر لو لم تكن كل فكرة فيها توافق مصلحة فريق من الناس قادر على الدفاع والهجوم ؟

فانجلترا الحديثة فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر كانت مثلا نادراً من أمثلة التوازن بين القوى المتعارضة والمصالح المتقاتلة : كان أصحاب المزارع الواسعة فيها أغنياء أقوياء يطلبون الحجر على التجارة والمحافظة على التقاليد ، وكان أصحاب المصانع فيها أغنياء أقوياء يكرهون الحجر على التجارة وينفرون من التقاليد ، وكان العمال أصحاب صوت مسموع وإن كانوا فقراء معوزين ، وكان الفلاسفة يعتمدون على انتشار التعليم وعلى تناقض القوى والمصالح فيقولون ما يشاءون ، وكان البرلمان قد سجل مكانه والعرش قد عرف حدوده والكنيسة قد لزمت نطاقها ، ومشت كل قوة باعتدال وانصاف لأنها لا تملك غير الاعتدال والانصاف

فهل كانت حرية الفكر تسعد فى انجلترا الحديثة لولا هذا التوازن النادر الذى لا فضل فيه لانسان والفضل فيه لكل انسان ؟

ان هذا لخليق أن يلهمنا صعوبة الحرية الفكرية ، ثم يفهمنا بالبداهة أنها تستحق من الحماية والرعاية بقدرما تستهدف له أبداً من تلك الصعوبة . ولكن العقدة هنا عقدة التناقض الذى لا يحل بالاختيار ولا يتأتى حله فى وقت من الأوقات الا بمعزل عن الارادة والتفكير

يقول الشاعر الأمريكى جيمس رسل لويل : « عبيد أولئك الذين يرهبون القول ذياداً عن المكروبين والضعفاء ، وعبيد أولئك الذين يختارون فلا يؤثرون البغضاء والاستهزاء والأذى على النكوص محجمين عن الحق الذى ينبغى لهم ان يعتقدوه ، وعبيد أولئك الذين لا يجرءون أن يمضوا على الحق مع اثنين أو ثلاثة ! »

والذى قاله الشاعر الامريكى ليس بالحماسة الخطابية التى تغفل الحقيقة أحياناً فى ابتغاء الايقاع والتأثير . بل هو المشاهدة العلمية والواقعة المحسوسة التى تعرضها علينا سجلات الشعوب . فلا الحرية الفكرية ولا الحرية السياسية وجدت أو استقرت قط فى الأمة التى يرهب أبناؤها الحق مع

اثنين أو ثلاثة ولا ينصرونه الا حين يكون فى غنى عن الانصار . وانهم لعبيد حقاً أولئك الذين يخافون الباطل ويزدرون الحق لأنهم يكرهون أنفسهم على ذلك أو يكرههم عليه الآخرون . وماذا يفرض السيد على العبد أشد من هذا التسخير الموصوم ؟

وصح على الأمم أن تحمى الحرية الفكرية لتحمى نفسها من غوائل الذل والنفاق والغباء . فهى حماية مفيدة لها ، عائدة بالخير والرفعة عليها ، مطلوبة من أجل حسناتها ومزاياها ، ولكنها لو خلت من المنافع ولم يبق منها الا أنها الحرية فى استكمال جوانب الشخصية والتعبير عن النفس الانسانية لكان هذا حريا بفرضها على كل أمة وكل مخلوق من أبناء آدم . لأن استكمال الحياة واجب لا شك فيه ولا حاجة به الى الفوائد والبراهين

وصدق أيضاً « انجرسول » حين قال :

« أيتها الحرية ! رفرفى أبداً على الأفق البعيد ولا تظلى أبداً حلماً فى خيال الغيور والمصلح والشاعر المفتون ، بل هلمى الينا واتخذى لك سكناً بين بنى الانسان

« لست أدرى ما عسى أن ينبثق عنه رأس العالم من المكشوفات والمخترعات والآراء ، ولست أدرى ما عسى أن تنسجه الأعوام المقبلة من سرابيل المجد والفخار ، وليس فى ميسورى أن أحلم بما سوف ينال من الفتوح والمغانم فى ميادين العقول ، لكنى أدرى وأنا أنظر الى بحر المستقبل اللجى أن شاطىء الحياة لن تمسه نعمة أنفس ، ولا بركة أندر من الحرية على رجل أو امرأة أو طفل صغير »

عباس محمود العقاد

فى الحرية

* الحرية بالنسبة الى الجماعة هى ان تخضع الجماعة للقوانين التى هى من وضعها ، وبالنسبة للفرد هى ان يخضع الفرد للشرائع الدينية ولمبادىء الآداب والفضيلة (كولى)

* لا حياة لأمة بلا حرية ، ولا حياة للحرية بلا فضيلة (روسو)

الثقافة العربية

هل ينبغي استقلالها عن الثقافات الأجنبية

بقلم الدكتور زكي مبارك

الاستقلال ؟ تلك كلمة نسمعها فى مناسبات كثيرة ونغفل عن مدلولها الحق فى أكثر الأحيان يهتف الهاتفون : ليحى الاستقلال ! أترونهم يريدون بذلك أن يتطلعوا الى الانقطاع عن العالم انقطاعاً تاما فلا يكون بينهم وبين غيرهم من الممالك أخذ ولا عطاء ؟

ماذا يريد المصريون مثلا حين يقولون : فليحى الاستقلال التام ! انهم يريدون ألا يكون لأحد عليهم سلطان ، ولكنهم لا يأبون أن يكونوا مثل الانجليز الذين يعلنون حاجتهم الى معاملة من بعد عنهم من الممالك والشعوب

الاستقلال فى عالم السياسة هو السيادة ، وهو شىء يختلف عن الانعزال ، فالأمة المستقلة تسود ولكنها لا تعتزل ، لأن العزلة ليست من مذاهب الأحياء. وكذلك نقول فى استقلال الثقافة العربية عن الثقافات الأجنبية ، فنحن نريد أن تكون للأمم العربية ثقافة لها خصائص وأصول ، ولكننا ننكر انقطاعها عن الثقافات الأجنبية ، لأن الانقطاع عن العالم من علائم الضعف والجمود

> « ان الثقافة هى خلاصة المعارف والتجارب ولا يغمض عينيه عن تجارب غيره الا غافل أو جهول . أما العاقل ، فيتطلع الى مختلف المعارف والثقافات فى مختلف الممالك والشعوب »

ومن أجل ذلك أنكر تنقية اللغة العربية من الالفاظ الأجنبية ، لأن اللغة التى تخلو من الألفاظ الأجنبية تشهد على أهلها شهادة سيئة ، إذ تصورهم منقطعين فى الميادين الصناعية والاقتصادية . والأمة التى تخلو لغتها من الالفاظ المعاشية والمدنية هى أمة ضعيفة لا تعرف كيف تعامل الناس . وهل يعيب الانجليز والفرنسيس والالمان أن يكون فى لغاتهم ألفاظ أجنبية ؟

لقد قيل ان فى الانجليزية أكثر من ألف كلمة عربية تدور على الالسنة فى المخاطبات والمكاتبات، فهل كان ذلك دليلا على ضعف الانجليز ؟ هيهات ، انه بالعكس دليل الفتوة والجبروت ، وهو يدل على أن الانجليز خالطوا الامم العربية فأخذوا وأعطوا بلا تهيب ولا اشفاق ، وسيأتى يوم ينحصر فيه الانجليز فى جزيرتهم على نحو ما كانوا فى الاعصر الخالية . ويومئذ لا يكون هناك ما يدل على ماضيهم المملوء بالحركة والتغلب غير ما يبقى فى لغتهم من الالفاظ الاجنبية

ان فكرة الاستقلال فكرة سياسية ، لا مدنية ولا علمية ولا أدبية ، واذا جاز أن يكون لهذه اللفظة ألسنة تلوكها فى عالم السياسة فانه لا يصح أن تجد من ينطق بها فى عالم العلوم والآداب والفنون

لا ينبغى أبداً أن تستقل الثقافة العربية عن الثقافات الاجنبية . ولكن يجب أن يكون للثقافة العربية مقام ملحوظ بين سائر الثقافات . وهل استقلت الثقافة الفرنسية أو الثقافة الانجليزية ؟

إن هاتين الامتين مدينتان لعناصر أجنبية أشهرها ما ورثوه عن اليونان والرومان

وكيف تستقل الثقافة وهي لا تقوم الا على أساس الادراك والاستيعاب ؟

أيمكن أن نقارن من أطلع على أدب واحد بمن اطلع على أدبين ؟

ان الثقافة هي خلاصة المعارف والتجاريب . ولا يغمض عينيه عن تجاريب غيره الا غافل أو جهول . أما العاقل فيتطلع الى مختلف المعارف والثقافات فى مختلف الممالك والشعوب . لأنه يدرك جيداً ما يعود على عقله وذهنه من النور وهو يتلقف ما جادت به القرائح فى مختلف البلاد

يجب أن نستوعب الثقافات الأجنبية ، ويحسن حين يمكن ذلك أن نهضمها بحيث تصبح عنصراً من ثقافتنا القومية ، وهل كانت أكثر معارف فولتير إلا اقتباساً استفادها من أسفاره فى الممالك الأوربية ثم حولها بلباقته الى أصول فرنسية ؟

اذكروا لى رجلا واحداً من المصلحين كان أدبه كله وليد البيئة المحلية ، ان جميع المصلحين فى العالم كانوا من أهل الشره فى الاطلاع على الثقافات الأجنبية ، وكانت قرائحهم تتوق الى اقتناص الشوارد من الأفكار والآراء

انظروا الى مصر فى الماضى والحاضر تجدوا المصلحين كانوا قوما اتصلوا بأهل الشرق أو الغرب ، انظروا الى كبار الأدباء والكتاب والمفكرين تجدوهم قد اتصلوا بأهل الشرق أو بأهل الغرب ، وإن اتفق لكم أن تروا رجلا مستنيراً لا يعرف لغة أجنبية فثقوا بأنه اتصل بالآداب الأجنبية عن طريق المترجمات أو الاتصال بمن درسوا الآداب الأجنبية ، فان لم يكن هذا ولا ذاك فثقوا بأن الجو الأدبى نقل الى ذهنه طوائف من الصور والأساليب

وتذكروا دائماً اني لا أوصيكم بالفناء فى الآداب الأجنبية ، ولكنى أوصيكم بالتخلق بأخلاق الأقوياء من الأجانب ، وعهدى بهم ينقلون الى لغاتهم ما يملكون نقله من جيد الآراء ، ثم يتصرفون تصرف العبقريين لا تصرف الناقلين

***

وما الذى يمنع من التذكير بماضى اللغة العربية ؟ ان هذه اللغة مدينة منذ أجيال طوال للغات الأجنبية ، ألم ينقل العرب الى لغتهم أنفس ما عرفوا من آثار الهنود والفرس والروم ؟ ألم تمض على العرب أزمان وهم يتصرفون فى تراث اليونان ؟

وكيف كان يمكن أن نتصور أدب العرب لو أغمضوا أعينهم عن طرائف الآداب الفارسية واليونانية ؟

وأنا فى هذا المقام أدعو الى التخلق بأخلاق العرب القدماء ، فانهم هضموا أكثر ما عرفوا من الثقافات الاجنبية ، ثم فرضوا ثقافتهم على من اتصل بهم من الناس ، وما أريد أن نكون اليوم آلات حاكية تردد ما يقول الاجانب بلا فهم ولا وعى ، وإنما أريد أن يكون لنا بجانبهم وجود ذاتى ، وان تكون ثقافتنا من المراجع ، وأن يكون أدباؤنا أئمة يهتدى بهم أهل الشرق والغرب ، على نحو ما يتفق لبعض الآداب الاوربية التى تقرأ ذخائرها فى الصين واليابان

***

لقد لاحظت أن بعض الطوائف يكثر فيها العرج ، فسألت أحد الاطباء عن سر ذلك ، فأخبرنى أن السبب يرجع الى انهم يتزاوجون فيما بينهم ولا يصاهرون الاجانب على الاطلاق

أفلا يصح فى عالم المعانى ما صح فى عالم الاجساد ؟

ألا يمكن أن يقال ان بعض الامم تصاب (بالعرج العقلى) حين تنطوى على نفسها فى أفق الفكر والبيان ؟

أنظروا الموسيقا الشعبية فى مصر ، وتأملوا كيف ركدت حين وقفت عند الطبل والأرغول .

ثم انظروا كيف ارتقت الثقافة الموسيقية فى مصر حين استبحنا نقل الموسيقا الغربية

أما بعد فان الاستقلال يمكن تصوره فى كل شىء ما عدا العلوم والآداب والفنون

يمكن لكل انسان أن يكتفى بما عنده من طعام وشراب ، ويمكن لكل رجل أن يلبس كما كان أجداده يلبسون ، ولكن لا يمكن لعاقل أن يكتفى بما فى وطنه من المعارف والآراء ، لان الزهادة فى تثقيف العقل باب من الخبال

انهبوا الدنيا كلها ان استطعتم ، وانهبوا ما فيها من محسوس ومعقول ، واتركوا التغنى بموروث التقاليد للعجزة والضعفاء ، فان الجد الكبير كان دائماً سناد الخائبين

***

وهنا كلمة واجبة :

فقد نرى بعض الناس يتشدقون بالتحدث عن الثقافات الاجنبية وهم من نماذج الضعف فى الثقافة العربية ، وإلى هؤلاء نسوق الحديث :

لا يليق بالرجل أن يجهل ما يملك ، أو ما يجب أن يملك ، من التراث الاصيل ، ثم يتشدق بما لا يملك من أدب الناس

ان المثل الأعلى للأديب أن يتفقه فى لغته أولا ، ثم يدرس من اللغات ما يشاء

والأدباء النابهون فى الدنيا هم ادباء فى لغتهم أولا ، أما المخلوقات الحديثة التى تجهل اللغة العربية

ثم تتحدث عن ذخائر الآداب الأجنبية فهي من مبتدعات الشيطان في هذا الجيل

وحين ندرس أقطاب الأدب في العصر الحاضر نجدهم من أهل البصر بلغاتهم ، وكذلك كان الحال في كل أرض وفي كل زمان

فالأديب العربي مسئول عن التعمق في اللغة العربية ، ولا يليق به أن يعرف شكسبير قبل أن يعرف المتنبي ، ولا يصح أن يعرف ملتون قبل أن يعرف المعرى

فان سمعتم أن في بعض المصريين أو السوريين أو العراقيين من يحسن الكلام عن ويلز أو بازاك وهو لم يسمع باسم ابن خلدون ، فاعرفوا أنه أديب شيطاني سيموت عند حلول رمضان

الأديب الحق بين العرب هو الذي يعرف من أسرار اللغة العربية ما يعرف الأديب الفرنسي أو الانجليزي أو الألماني من أسرار الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية

الأديب الحق يعيش مغمور القلب بالعواطف الوطنية ، ومعمور الرأس بالمعارف العالمية ، هو رجل يتكلم بلغته القومية ، ولكنه يتسامى الى التفكير على نحو ما يفكر أكبر عقل ، وإن كان صاحب ذلك العقل من سكان المريخ

زكي مبارك

كلمات مأثورة

* انه لأسهل عليك أن تزحزح الجبال وتقذف بها بعيداً من أن تفلح بوضع أغلال العبودية في أعناق الذين يصرون على نيل الحرية (سوفي)

* الحرية للجماعة كالصحة للفرد ، فاذا ذهبت الاولى زالت سعادة الجماعة . واذا ذهبت الثانية زالت سعادة الفرد (بولنجبروك)

* لا أرضى السجن ولو في الفردوس (درايدن)

* الحرية هي حق مباح لكل امرىء منذ ولادته . فهو يرضعها مع أول نسمة من الهواء يستنشقها عندما يجيء الى هذا العالم (بكارد)

* تنتهي حرية المرء عند النقطة التي تصبح فيها هذه الحرية لعنة للآخرين (فارار)

* الاستقلال لا يوهب بل يؤخذ (كولتون)

بين الحرية والدكتاتورية

الدكتاتورية جسر بين الملكية والجمهورية

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

من هو الدكتاتور – أول دكتاتور فى العالم – الديمقراطية أصل فى الحكم – ناموس الردة – هل الدكتاتورية مجيدة – لا غنى للديمقراطية عن الدكتاتورية

من هو الدكتاتور ؟

الدكتاتور بالاصطلاح السياسى هو الحاكم الذى يملى ارادته فتنفذ . لا فرق بينه وبين الملك ذى الحكم المطلق إلا أن هذا وارث السلطة (أو الملك) ومورثها . وفى عرف زمانه وعرف التاريخ تعد سلطته شرعية أو الهية ، أى مستمدة من سلطة الله . وذاك ، أى الدكتاتور ، حاصل على السلطة إلى أجل غير مسمى ، اما اغتصابا أو بقرار اختيارى أو اجبارى من هيئة ممثلة للشعب

هذا النظام الديكتاتورى قديم كقدم النظام الديمقراطى الذى تردد أمداً طويلا قبل أن استتب . لذلك يختلف معنى الديكتاتور اليوم عنه فى القديم . فهو اليوم بمعنى الحاكم الذى يتمتع بسلطة أعلى من السلطة التى يخولها الدستور . ولكنه فى الدولة الرومانية التى نشأت فيها الدكتاتورية كنظام سياسى صريح هو الحاكم الأعلى الحائز السلطة العسكرية المطلقة والذى ينفذ سلطته هذه فى الازمات الجندية التى تنشأ من جراء اختلاف القواد . فالدكتاتور حينئذ هو الحكم الأعلى وأمره الأمر

وكان قمع الثورات الأهلية فى البلاد الرومانية من أهم البواعث لانشاء النظام الدكتاتورى . فكان حكم الدكتاتور وقتيا ، حتى اذا ما انتهت مهمته فى قمع الثورة أو فى رد الأمن إلى نصابه تخلى عنها وعاد إلى مقامه السابق . (إلا إذا تسنى له أن يستمر فى الحكم فلا يتنازل عنه غالباً)

كان النظام الدكتاتورى فى زمن الجمهورية الرومانية احياء لنظام الحكم الملكى مع شىء من التقييد . فلم يكن للدكتاتور يد فى التشريع . وكانت سلطته محصورة فى ايطاليا لا تتجاوزها إلى البلاد الخاضعة لها . وكان أحد مجلسى الأمة يعينه . وانما كان مجلس الشيوخ يدعى دائما السلطة العليا فوقه وفوق سائر الحكام . وبالفعل كانت السلطة دائما موضوع النزاع بين الدكتاتور ومجلس الشيوخ

أول دكتاتور فى العالم

تعين أول دكتاتور فى سنة ٥٠١ ق . م . وكان آخر دكتاتور سنة ٢١٦ ق . م . وكان

زمن الحروب القرطجنية الثانية كامتحان لنظام الدكتاتورية فى الازمات ، إذ انتخب الشعب فابيوس مكسيموس دكتاتوراً وعين مينوسيوس معاونا له

والنظام الدكتاتورى الذى نفحه « سلا » فى أول عهد الجمهورية لم يكن مطابقاً للنظام الذى نفحه قيصر فى أواسطها : كانت دكتاتورية « سلا » طبقاً للشكل الذى وضعته الحكومة . وكان الغرض من تعيين « سلا » دكتاتوراً انعاش الجمهورية ، لا القضاء عليها . وأما دكتاتورية قيصر فكانت بالعكس . كان الغرض منها انشاء حكم ملكى وقتى بقطع النظر عن رغبة قيصر فى أن يكون هذا الحكم وقتيا أو أبديا . على أن انطونيوس ألغى هذا النظام سنة ٤٤ لكى يقطع الطريق اليه على النظام الملكى القيصرى

وكانت الدولة الاسرائيلية فى كثير من الأحيان مزيجاً من الدكتاتورية والديمقراطية . فكان ثمة مجلس قضاة أو شيوخ أو (رؤساء قبائل) ينتخبون ملكهم ويعينونه ، وكانوا يضطرون أن يسلموه السلطة المطلقة فى أثناء حروبهم مع الامم المجاورة لهم . فكان الملك شبه دكتاتور أكثر مما هو ملك بالمعنى الذى نفهمه اليوم أى وارث الملك ومورثه . بل كان ممكناً أن يخلع وينصب آخر مكانه . ويمكن أن يختار من أى طبقة

فمما تقدم ومن دراسة الحضارات القديمة والحديثة نستنتج أن الحكم الفردى والحكم الشعبى الديموقراطى متنازعان منذ ارتقى المجتمع إلى الدرجة التى تكفل فيها أنظمته استتباب اجتماعيته . وانما كانت الغلبة فى أكثر الأحوال للحكم الفردى المطلق أو المقيد قليلا أو كثيراً . لأن القبائل والأمم كانت دائماً محتكة متنازعة متقاتلة . والنظام العسكرى الذى هو مجتمع القوة الحربية لا تقوم له قائمة إلا باطلاق السلطة للقيادة العامة . فكانت طبيعة الحال تقضى بالسلطة المطلقة إلى قائد عام يكفل للامة سلامتها ونصرها . فاذا أحرز القائد العام السلطة فى الحرب فقد لا يتنازل عنها فى زمن السلم إلا مكرها . وليس من السهل انتزاعها من يده وزمام النظام المحكم فى يده . من هنا نشأ الحكم الفردى المطلق واستتب أمره عصوراً طويلة متتابعة حتى العصر الأخير . وقلما تخلله الحكم الشعبى الديموقراطى فى الأعصر الغابرة للأسباب المتقدمة

الديمقراطية أصل فى الحكم

لعلك تلاحظ مما تقدم ، ومن نظرة عامة الى نشوء الحضارات وتطورها ، أن الأصل فى الحكم هو الحكم الشعبى ، أى أن الأفراد الذين تواطأوا على أن يعيشوا مجتمعين متعاونين ، اضطروا أن يولوا فرداً منهم تدبير شؤونهم العامة فضلا عن قيادتهم فى القتال ، فكانوا يضعون سلطة قوتهم فى يد زعيمهم باختيارهم ، وينتزعونها منه متى أرادوا . ولكن متى قبض الزعيم على عنان السلطة ملكها ، واستطاع ان كان حاذقا أن يحتفظ بها وأن ينفذ بواسطتها ارادته المطلقة

فالحكم الفردى المطلق دخيل على الحكم الشعبي

وبالرغم من استفحال الحكم الفردى المطلق فى العصور الثانية ، حتى الوسطى ، ثم العصر الأخير ، وبالرغم من تعود العوام هذا الحكم والفتهم الخنوع له بقيت غريزة الحكم الشعبي فى المجتمع قوية كسائر غرائز الفرد الحيوية . ولذلك كانت الجماهير كلما انضغطت تحت وطأة الحكم الفردى الاستبدادى حاولت التملص بثورة لكى تخرج من تحت الضغط إلى حرية الحكم الشعبي

كانت هذه الغريزة تنشط حتى فى أزمنة الجهل ، فكيف لا تنشط في أزمنة انتشار المعرفة التى ترى الانسان حقوقه واضحة تحت ضوئها ؟

فانتشار المعرفة بين القرنين التاسع عشر والعشرين نشط الجماعات إلى استرداد الحكم الشعبي واستخلاصه من براثن الحكم الفردى المطلق المستبد . لذلك جعل ظل النظام الملكى المطلق ينقشع رويداً أمام نور النظام الديمقراطى إلى أن كاد يتلاشى

وللقارىء أن يسأل الآن : لماذا إذن نرى الحكم الفردى الدكتاتورى يعود فى هذا العصر إلى ساحة الأنظمة الاجتماعية بعد أن تلاشى بالرغم من أن أخلاق هذا الزمان قد تطبعت بالطبع الديموقراطى وتشبعت بالروح الاستقلالية ، بل لماذا نرى بعض الامم الآن تتغنى بدكتاتورية حاكمها كأنها نعمة من الله ، اذا كانت هذه الأمم قد ظفرت بالحرية وتلذذت بها ؟

ناموس الردة

أقول : فى الحياة الاجتماعية كما فى الحياة الفردية ناموس الردة يفعل فعله Atavism . فلا ننتظر أن ينقرض الحكم الفردى المطلق أو الاستبدادى دفعة واحدة بعد أن تمرس به المجتمع البشرى دهوراً وصار خلقة فيه وسجية له . فلا بد من تردده بين حين وآخر قبل أن يتلاشى نهائيا . فهو جسر الانتقال من الحكم الملكى إلى الحكم الجمهورى . فما هو نظام ملكى بحت ولا هو نظام ديمقراطى بحت. هو نظام متردد بينهما ، يقرب تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك حسب براعة الدكتاتور ومشادة الجمهور له . ولأن هذا النوع من الحكم (أى النظام الدكتاتورى) يختلف عنه فى الأزمنة السابقة معنى وفعلا كما تقدم الوصف فلا يخلو من محامد ، بل كثيراً ما تكون محامده أكثر من مساوئه

لم يعد النظام الدكتاتورى خطراً كبيراً على حرية الامة الراقية واستقلالها كما كان قديماً (وكما يكون الآن على الأمم المنحطة) لأن الأمم فهمت قيمة الاستقلال وعرفت أن الحرية هى الحياة بعينها ، فلم تعد تسلم باستبداد فرد بها ، وقد وفرت لها وسائل التفاهم على كيفية استرداد حريتها واستقلالها وكيفية اعتصابها فى الخروج على الحاكم المستبد والتملص من استبداده

لذلك لم يعد أى دكتاتور يجرؤ أن يغتصب السلطة اغتصابا مطلقاً ويستغلها لمطامعه ولاحراز السيادة المطلقة ولو بتضحية الأمة فى هذا السبيل . بل الدكتاتور يبذل كل جهده فى خدمة مصالح

الأمة بكل أمانة واخلاص لكي يبرهن لها أن دكتاتوريته أصلح لها من حكمها الذاتي الحر . وهي لا تخنع له إذا ظهر منه أي مطمع ينافي مصالحها . ولا تعذره إذا أخطأ الخدمة حتى ولو كان حسن النية . فهي له بالمرصاد ، حتى إذا هي اشتبهت بسوء تصرفه خرجت عليه وقدرت أن تخلعه مهما استعصى . وهو لا يستطيع أن يستعصي إلا إذا كان على حق وكان فائزاً بثقة الأمة ، لأن حسناته تضعف من مناهضة خصومه له وتكثر انصاره

موسوليني وهتلر وكمال أتاتورك وستالين وغيرهم لم يستطيعوا أن يحتفظوا بدكتاتوريتهم الا لأنهم قدموا لأممهم خدماً جليلة كما تظنها أممهم كذلك ، أو كما تتوقعها أن تكون كذلك . وفي أثناء الحرب الحبشية كان العالم يلغط في أنه اذا فشلت ايطاليا في هذه الحرب قتل موسوليني سياسيا . يعنون ان استبداد دكتاتوريته لا يثبت ساعة أمام ثورة الشعب اذا ذهبت تضحية الشعب سدى ، ويعنون أيضاً أن الدكتاتورية ليست الحكم المطلق المستبد الذي لا يقاوم ، وإنما هي حكم مطلق في الادارة والسياسة ، ولكنه مقيد بارادة الشعب

وما من دكتاتور من هؤلاء وغيرهم اغتصب السلطة اغتصابا ، وإنما تسلمها من يد الشعب . موسوليني دعا الشعب للانضواء تحت رايته لانقاذ البلاد من حماقة الاشتراكيين الذين أساءوا تنفيذ النظام الاشتراكي ، وزحف بعصابته الى العاصمة . وكان كلما تقدم انضم اليه الجماهير الذين ضاقوا ذرعا من نتائج رعونة العمال الى أن طهر البلاد من هؤلاء . ولو كان هؤلاء العمال منظمين ما استطاع كبح جماحهم . ولكن يفهم بالبداهة أن النظام يتغلب على الفوضى . فموسوليني دكتاتور لأنه نظم حزبا وقاده في ثورة لتخليص البلاد من حزب آخر . فنجاحه كفل له دكتاتوريته ، ولكن برضا الشعب

وهتلر انتخبه الشعب انتخابا ، وسمح له حزبه أن يتصرف تصرف الدكتاتور ، لأنه وعده بأماني عظيمة . وقد نجح في تحقيق بعض هذه الأماني ، ومنها استرداد منطقة الرين

وكمال أتاتورك لما رأى أن بلاده على شفا الوقوع تحت وطأة الاحتلال الأجنبي ، استدعى كبار البلاد لتأليف مجلس وطني ، وهذا المجلس عينه دكتاتوراً حربياً ومالأه على التمرد على السلطنة العثمانية لانقاذ البلاد من الاحتلال الأجنبي . وقد نجح فيما عاهد المجلس عليه فتوطدت دكتاتوريته . ولا تزال الأعمال المجيدة التي تعملها حكومته الى الآن في اصلاح البلاد توطد دكتاتوريته

هل الدكتاتورية حميدة ؟

ولا بد أن يسأل القارىء : لماذا كانت الدكتاتورية روح هذا الزمان ؟ اذا كان مرجع الأمر للأمة على كل حال . واذا كان في وسع الأمة أن تخلع الدكتاتور ، وليس في وسعه أن يستعصي ؟ فلماذا لا تسير الأمور دستوريا بمقتضى طبيعة الحال ؟

والجواب : اذا كانت الأمة لم تتطبع بالحكم الذاتي الديموقراطي فهي عرضة للفوضى والثورة الأهلية لأي خلاف يحتدم بين أحزابها ، وإذا كان في وسع زعماء الأحزاب أن يستهووا أتباعهم ويثيروهم ثوراناً أعمى جنونياً كما يحدث أحياناً في بعض الأمم اللاتينية (في جنوب أميركا حيث لا تتبدل حكومة بواسطة الانتخاب بل بثورة) فالوسيلة الفضلى لتلافي الثورة الأهلية وتدارك ويلاتها ونكباتها هي التذرع بالحكم الدكتاتوري اذا توفقت الأمة اليه

ولكن كيف تتوفق الأمة الى الحكم الدكتاتوري المنقذ الذي يتلافى الفوضى والثورة ؟

تتوفق اذا رزقت زعيماً لائقاً للدكتاتورية أو للزعامة الصحيحة على الاقل . فهو يأخذ صولجان الدكتاتورية من أمته ويسيطر وينقذ . والأمة في إبان أزماتها تتطلع الى منقذ . وبتطلعها هذا تقدم الصولجان لمن يستطيع حمله . فان تقدم لها رجل الساعة القدير توفقت الى الدكتاتور المنقذ وإلا وقعت النكبة لا محالة . . والشاهد على ذلك اسبانيا . لو كان رئيس حكومة اسبانيا زعيماً قديراً ، ولو كانت حكومته محسنة الحكم وخادمة مصالح الأمة باخلاص – لو كان قديراً وصالحاً لما أفلت عنان قوة الجيش من يده وتسلمه حزب الفاشيست ، بل لبقي هو قابضاً على الزمام وكان في وسعه أن يخنق الثورة في مهدها ويتدارك هذه النكبات النازلة في بلاده الآن . ولكن لا هو كفء، ولا حكومته أحسنت عملا ، ولا الأمة متطبعة تمام التطبع بالديموقراطية فوقعت الكارثة . كانت اسبانيا في حاجة الى دكتاتور صالح . ولكنه لم يوجد أو لم تنجبه ، فنكبت

قد تقول إن الشعب الألماني ليس دون الشعب الانجليزي رقياً فلماذا احتمل دكتاتوراً ؟

والجواب أن الشعب الألماني يضارع الشعب الانجليزي ثقافة وفناً وصناعة الخ . ولكنه دونه في التربية السياسية . فهو منذ تم الاتحاد الجرماني في دولة ألمانيا الضخمة الى اليوم كان خاضعاً لقدر غير قليل من الاستبداد . منذ ذلك العهد الى الآن والشعب الالماني يألف قيود الحرية في الصحافة والطباعة والمنبر الخ . فلا تستغرب أن يحتمل الحكم الدكتاتوري وإن كان لا يحتاج اليه . على أن دكتاتورية هتلر ليست في نظر الالمان دكتاتورية مستفحلة كما هي في نظرنا لأنهم تعودوا الخضوع الذي أشرنا اليه آنفاً . ومع ذلك لولا نجاح هتلر في مغامراته السياسية ما احتمل الشعب دكتاتوريته

لا غنى للديمقراطية عن الدكتاتورية

وبعد فان الدكتاتورية في هذا العصر ليست نتيجة فشل الديموقراطية كما يظن بعض المتفلسفين في الحياة الاجتماعية ، وإنما هي « ردة » وقتية لا بد منها بمقتضى السنة الطبيعية في صنوف الحياة . ولا غنى عنها في كثير من الأحوال ما دامت الأمم لم تتشبع تمام التشبع بالروح الديموقراطية ولم تتطبع بعد بطبيعة الحكم الذاتي الصرف . ولا يستتب حكم جمهوري أو ديموقراطي في بلاد لم تتطبع بعد بالطبعة الديموقراطية الا عن يد الدكتاتورية . فالبلاد المتأخرة التي لا تتوفق الى دكتاتورية صالحة

خير لها أن تبقى مصونة تحت الحكم الملكى المطلق حتى ولو كان استبداديا ، الى أن تترقى وتستعد لقبول الحكم بأهلية تامة . وإلا فان طرحت عنها نير الحكم الملكى ولم تتوفق لدكتاتور كفء قدير حاذق تعرضت للانجراف مع تيار التقدم العالمى وانسحقت تحت الأقدام

الأمة اليونانية لم تتطبع بعد بالطبع الديموقراطى البحت ففشلت جمهوريتها ولم يكن فنيزيلوس ولا غيره صالحا للزعامة الدكتاتورية . فكادت تدخل فى فوضى لو لم تتداركها الملكية الجديدة . وما الملك الحالى سوى دكتاتور مقيد تتربى تحت رعايته الأمة اليونانية تربية ديموقراطية إن أحسن التربية ، حتى متى نضجت سقط الحكم الملكى من تلقاء نفسه ، وقام الحكم الجمهورى على أساس راسخ

فلا ينبغى أن تزمهر العيون على النظام الدكتاتورى فى هذا العصر وإن كان فيه معنى الاستبداد . فهو اذا صلح كان كاستبداد الأب بالابن

على أنى اعتقد ان النظام الديموقراطى مهما استتب ومهما تطبعت الأمم بطبيعة الحكم الذاتى فلا غنى لها عن شىء من الدكتاتورية لتلافى أضرار الخصومات الحزبية اذا استفحلت فضلا عن تلافى الاخطار الخارجية اذا فاجأت وباغتت . ودستور الولايات المتحدة الاميركية يؤيد هذه النظرية ، فهو يخول الرئيس سلطة واسعة ليست لرئيس جمهورية آخر حتى ولا لبعض الملوك . وبهذه السلطة الواسعة يتدارك كثيراً من دواعى الثورة ومن الاخطار الخارجية والداخلية

نقولا الحداد

---

* عاملوا الأمراء بمحض المودة ، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة ، وعاملوا السفلة بالمخافة المحضة

(كسرى انو شروان)

* فضل الرجل الحر في تجنب الخطر ، لا يقل عن فضله فى التغلب عليه

(سبينوزا)

* ليس من الحرية الادبية أن تقول على الغائبين شيئاً لا تجرؤ أن تقوله أمامهم

(السنغ)

الحرية الحمراء

للمرحوم احمد شوقي بك

(قيلت في عيد ١٣ نوفمبر)

في مهرجان الحق أو يوم الدم
مهج من الشهداء لم تتكلم
يبدو على هاتور نور دمائها
كدم الحسين على هلال محرم
يوم الجهاد بها كصدر نهاره
متهلل الأعطاف مبتسم الفم
طلعت تحج البيت فيه كأنها
زهر الملائك في سماء الموسم
لم لا تطل من السماء ، وانما
بين السحاب قبورها والأنجم
ولقد شجاها الغائبون وراعها
ما حل بالبيت الفقيد المظلم
واذا نظرت الى الحياة وجدتها
عرساً أقيم على جوانب مأتم
لا بد للحرية الحمراء من
سلوى ترقد جرحها كالبلسم
وتبسم يعلو أسرتها كما
يعلو فم الثكلى وثغر الأيم
يوم البطولة لو شهدت نهاره
لنظمت للأجيال ما لم ينظم
غبنت حقيقته وفات جمالها
باع الخيال العبقري الملهم
لولا عوادي النفي أو عقباته
والنفي حال من عذاب جهنم

لجمعت ألوان الحوادث صورة
مثلت فيها صورة المستسلم
وحكيت فيها النيل كاظم غيظه
وحكيته متغيظاً لم يكظم
دعت البلاد الى النهار فغامرت
وطنية بمثقف ومعلم
ثارت على الحامى العتيد وأقسمت
بسواه جل جلاله لا تحتمى
نثر الكنانة ربها وتخيرت
يده لنصرتها ثلاثة اسهم
من كل اعزل حقه بيمينه
كالسيف فى يمنى الكمى المعلم
لم يحجموا فى ساعة قد أظفرت
ملك البحار بكل قيصر محجم
وتفوا مطيهمو بسلم قصره
والبأس والسلطان دون السلم
وتقدموا حتى اذا ما بلغوا
اوحوا الى مصر الفتاة تقدمى
سالت من الغاب الشبول غلابها
لبن اللباة وهاج عرق الضيغم
يوم النضال كستك لون جمالها
حرية صبغت اديمك بالدم
أصبحت من غرر الزمان وأصبحت
ضحكت اسرة وجهك المتجهم
ولقد يتمت فكنت أعظم روعة
ياليت من سعد الحمى لم تيتم
لبثم او الاشبال ملء جفونه
ليس الشبول على العرين بنوم

شوقى

عبادة الحرية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقى

تعيب الحرية من الكلام فى هذا العصر اكبر نصيب . ولا غرو ، ففى أثناء الحرب العالمية الأخيرة وما جرته من الانقلابات ، كانت الكلمة التى يجتمع شباب الأمم حولها ، ويندفعون تحت شعارها الى ميادين التناحر ، وفى قلوبهم الطاهرة نية القتل ـ سواء فيهم القاتل والمقتول ـ إنما هى كلمة الحرية . وكان ينادى المنادون بهم أن يخوضوا غمرات الحرب للقضاء على الحرب ، وأن يسفكوا الدماء حقناً للدماء ، إذ يتم بالنصر المؤزر لهم زوال الطغيان دولة وفكرة ، فلا يبق لتحكم الاقوياء عين ولا أثر ، بل كلمة الحرية هى العليا

ولكن هذه الحرب الطاحنة التى بذلت فيها المهج الغالية ، وسالت النفوس الزكية على مذبح الحرية ، حتى كاد يخلو وجه المعمورة وقتئذ إلا من الثاكلين والثكالى ، والإيتام والأيامى ، وإلا بقية باقية من الشباب معظمهم مشوهو الخلقة ، مبتورو الأوصال ، فاقدو البصر ، أو على الأقل أنضاء منهوكو العصب ـ نقول هذه الحرب الطاحنة فى سبيل الحرية وتمكين الديموقراطية ، قد شاء لها القدر الساخر أن تعقب ، وأن يكون ما تعقبه الوبال على الحرية والديموقراطية . فحيثما ولى المرء وجهه فى الآونة الحاضرة وجد نفسه وجها لوجه أمام دكتاتوريات سافرة أو مقنعة فى ايطاليا وألمانيا والنمسا والمجر وتركيا وبولونيا ويوغوسلافيا وروسيا وارلندا الحرة وغيرها

> « وهذا الايمان بالحرية » ايمان معرفة . ويقترن به كما هو الشأن فى المتصوفة مقام الشوق ، فهم يشتاقون الحرية ويتطلعون اليها بعاطفة لدنية . . وهى فى هذه الناحية كالحق والخير والكمال ـ كلها معان مطلوبة ينشدها من ينشدها خالص وجهها . . »

وما بنا أن نعرض هنا لنظام من النظم بالتأييد أو التفنيد ، ولا أن نحرق البخور بين يدى الحاكمين بأمرهم أو نحصبهم على البعد بالرجوم . وإنما همنا أن نصور الحال التى عليها اليوم طلاب المثال من عباد الحرية

فالحاكمون بأمرهم لا يطيقون حقيقة الى جانب الحقيقة التي يدعون اليها . وليس لأحد ان يطلب الحقيقة فى ذاتها ، بل محتوم على الناس فى ايطاليا أن يفكروا تفكيراً « فاشياً » ، وفى المانيا ان يعتقدوا عقيدة « نازية » وفى روسيا ان يتثقفوا ثقافة « شيوعية » الى آخر ما هنالك . ولقد أتاح تقدم العلم لهؤلاء من اسباب الدعاية لأنفسهم ما لم يعرفه السلاطين والأباطرة والقياصرة فى التاريخ القديم ، فاتخذوا من الصحافة المسخرة لهم قلما مشرعا لاختلاب القارئين ، ومن الصور

المتحركة مظهرا معروضا لكل ذى بصر ، ومن الاذاعة اللاسلكية صوتا مسموعا لكل ذى سمع فى طول البلاد وعرضها

ومهما يكن من خطر هذه الوسائل وأثرها فى التسلط على أذهان القارئين والسامعين والناظرين ، فان من وراء هذه وسيلة أعظم خطراً وأبقى أثرا ، وهى تسخير معاهد التعليم فى صوغ النشء ، وهم بعد مادة غفل وعجينة منطاعة للجبل قابلة للتشكيل ، وصهر نفوسهم على الغرار المراد ، وطبع عقولهم بالطابع المطلوب ، وصبهم جميعاً فى القالب المصنوع المرسوم ، وتعهدهم مرحلة بعد أخرى بحيث يخرجون بعد هذه التنشئة إلى الدنيا وكأنهم ولدوا فاشيين أو نازيين أو شيوعيين ، لأن هذا هو الغرض الأول من التربية أما تحصيل العلوم والمعارف فيأتى فى الأهمية بعد هذا كما يقول هتلر

ثم ان الحاكمين بأمرهم فى الوقت عينه ، وفضلا عن هذا الحول والطول ، يحرمون على غيرهم حق ابداء الرأى كلاما أو كتابة أو مساجلة ، ويمنعون عنه كل اتصال فكرى أو روحى لا يتفق وأغراضهم . فليس للارلندى فى ارلندا الحرة أن يطالع ما يكرهه البابا ولا يستسيغه دى فاليرا من المؤلفات أو الروايات لأمثال ألدس هكسلى ، جويس ، برناردشو . وإذا كان يحلو لأحد شعر هينى الغنائى يترنح فيه الأسى والسحر والنغم الساحر ، فليطلبه فى غير الريخ ، فان البلاد التى كانت منذ سنوات معدودات تترنم به ، تنكر اليوم وجوده وتخلو مكاتبها منه ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ، والمانيا النازية لا تحمل غير الزراية والكراهية للاجناس السامية وفى مقدمتها اليهودية ، وصاحبنا الشاعر وإن يك منبته ومنبت أبويه فى المانيا وعلى الرغم من اعتناقه المسيحية ، فان دعاة العصبية الشمالية الجرمانية يذكرون له فى عصرنا هذا وبعد تطاول الزمن على وفاته أنه كان ــ ولا حيلة له فيما كان ــ فى بعض أيامه يهوديا ، وفى عروقه يجرى الدم السامى . كذلك فى روسيا السوفيتية تحرم قراءة أكبر تاريخ عن الثورة الروسية بقلم تروتسكى وهو زعيم من أكبر زعماء الثورة ومؤلف جيشها الأحمر من أجل التنافس أو الخلاف المذهبى بينه وبين الرفيق ستالين

على أن هذه الحال على كل ما وصفنا لا تعنى الجماهير ، أو هى لا تحفزهم إلى معارضتها ، ما داموا آمنين على معاشهم . ولقد عرف فيهم هذا أباطرة الرومان الأقدمون فكانوا كلما خشوا من فكرة تؤلب الجمهور عليهم أمروا بتوزيع الحنطة والخمر على الغوغاء لتشبع وتطرب يوما أو بعض يوم . فيكون لهم ما أرادوا من رضاهم وانقيادهم إلى حين . والجماهير ليست ترى أنها المغبونة فيما فعلت . فما التفكير عندها بشىء حتى تعز عليها التضحية

ولكننا قبل المضى نحب مع هذا الا نبخس الجماهير حقها على الحرية . فهى وان تكن فى بعض البلاد قد طابت نفوسها الآن عن الحرية طوعا أو على مضض ، وارتضت بديلا منها وحدة العمل تحقيقاً للعزة القومية بين سائر الاقوام ، واتساع الرقعة بحق القوة ، وامتداد السلطان باسم نشر التمدين والعمران ، ثم معالجة الاحوال الاقتصادية حسما للخصومة بين الرأسمالية والعمل ومكافحة

للبطالة وتوفيراً للارزاق ، إلى آخر هذه الدعاوة التي أدخلوا في روع الشعوب ألا تحقيق لها إلا بالنزول عن الحرية في ظل النظم الدكتاتورية ـ نقول ان هذه الجماهير التي لم يزل بها دعاة الحكم المطلق ، يزينون لها المحال ويزجون الآمال ، حتى انصرفت اليوم عن الحرية وطويت صحيفة ذكرها ، هي بعينها الجماهير التي كانت في عهود أخرى من تاريخها تبذل في سبيلها النفس والنفيس وتشتريها بدم المهج وتذهب أرواحها بالألوف ومئات الألوف من أجلها. هذا حق الجماهير واجب علينا تقريره . إلا اننا نقرر الى جانبه أن الجماهير سواء مع الحرية أو عليها ، مدفوعة بتفكير الأفراد الممتازين ، ملهوبة بعواطفهم ، مسوقة بتدبيرهم . فالذين ماتوا منهم في الحالتين ، هم الضحايا ، وليسوا بالشهداء

أما شهداء الحرية الذين يحلو لنا الحديث عنهم هنا ، فليس ما بهم كالجماهير ، فورة جائحة عابرة ، تهب عليهم من خارج أنفسهم فيجرون وراءها جريهم وراء كل ناعق ، ويموتون في سكرتها ميتة لايشعرون بمرارتها . وإنما هم يلبون هاتفاً من داخل أنفسهم يشوقهم إلى الحرية ويكشف لهم عن ضرورتها وهم أشبه ما يكونون بالمتصوفة لما يتميزون به من الشوق والمعرفة

أولاء لا يعرفون معنى للوجود غير الترقي في معارج الكمال ، وانه لهذا كان « التطور » سنة الخليقة ، وكان الانسان شأن كل شيء في الخليقة « متطوراً » . ومتى صح هذا ، فقد صح أن الحجر على حرية الفرد في تمدد شخصيته واستيفاء نمائها وتمام تعبيره عنها ، تعطيل لوظيفته ، وإلغاء لذاتيته يتركه حشوا وتكراراً ، وتعويق للتطور الذي يقوم على تراكيب العناصر ويسير به بدافع القوى

ثم انهم يعرفون في الانسان فطرة العقل ، كما يعرفونه غير معصوم من الخطأ . فليس إذاً لذوى السلطان أن يقصروا الفكر عليهم دون سواهم لما فيه من مخالفة الفطرة من ناحيتين : استلاب عمل العقل في سائر الناس ، وافتراض العصمة لعقولهم . ولقد حوكم سقراط ، وجوردانو برنو ، وسرفيتوس ، وحكم عليهم جميعاً لجاهرتهم بآراء لم ترق أصحاب السلطان في أيامهم ، وهي اليوم علة تكريمهم وإعظامهم . وكيف يستقيم للمستبدين العذر وتنهض الحجة على اصالة رأيهم ولا سماح باعتراض أو مساجلة يزعمونها بالحق أو بالباطل قائلة غبينة . على أن معارضة المعترضين قلما تكون خطأ كلها ، ففيها ولا ريب نصيب من الصواب ولو يسير . فاذا خلى المستبدون بينها وبين الظهور لم تلبث هذه الشذرات المتفرقات من الحق أن تندمج على توالى الأيام في الرأى السائد فيصبح أدنى الى الكمال

وان الذي يذهب بالمذاهب هو التعنت في الحرص وإطباق النوافذ والأبواب عليها ، فانها مهما كانت صالحة بحاجة في كل فينة الى التهوية

وينوه هؤلاء العارفون بأن النشاط الفكرى ضربة لازب . واذا كان الانسان كما يقول أرسطو يتميز عن الحيوان بالعقل خاصة ، فان أطيب حياة يحياها هي التي يستطيع فيها إعمال عقله حفل

طاقته ووسع مداه . وفى هذا كرامته وفيه أيضاً سعادته . فان قصارى السعادة انصراف المرء الى ما خلق له ، ومباشرته لما يحسنه ويكاد ألا يحسنه غيره إحسانه . ولئن كان الانسان متميزاً بجملة نوعه عن الحيوان ، فانه فوق ذلك ليتفاوت أفراده فيما بينهم وليختلف بعضهم عن البعض . وذلك بطبيعة أنهم ليسوا قطيعاً ، وأن فى أذهانهم لفتات تدق أو تجل ، فاذا منهم الأفذاذ فى مجالات العلم والفن . ولو حالت السلطات دون مضيهم على سجيتهم ، وحاولت تقويم لفتاتهم ، وتوجيه حياتهم على ما تهوى ، لعقمت الانسانية فى هذه الظروف غير المؤاتية عن اخراج العباقرة ، وحرمت الدنيا من مطالعة مسرحيات شكسبير الخالدة على ما فيها من عنجهية ومبالغة ونبوات عوراء ، ومن سماع موسيقى الفحولة والفخامة وقوة التلوين من فاجنر مع ما يؤخذ عليها من صخب وإعنات وسياق رتيب ، ومن التأمل فى روائع التماثيل والصور وفي بعضها استفزاز للحس من فرط تمجيدها للجسد

وأخيراً تعمد السلطات الى دعوى الاشفاق من انحلال الجماعة وتقوض كيانها اذا تسامحت فى استقلال الأفراد . فيطمئنها هؤلاء العارفون ـ لو كانت حاجتها الى الطمأنينة ـ بأن النغمات مع تعينها ، وقيام كل نغمة بذاتها ، واختلاف ما تصدر عنه من آلات ، ليتنظمها التأليف فاذا هى نشيد لا ينبو عنه السمع بل يلذه ويطرب له

وهذا الايمان بالحرية كما رأيت ايمان معرفة . ويقترن به كما هو الشأن فى المتصوفة مقام شوق . فهم يشتاقون الحرية ويتطلعون اليها بعاطفة لدنية . أى أنها عندهم مطلوبة لذاتها ، من غير ما نظر الى نفعها . وهى فى هذه الناحية كالحق والخير والكمال ، كلها معان مطلقة ينشدها من ينشدها لخالص وجهها ، ولا تكون للحياة قيمة عالية من دونها

وبينما تهب الجماهير من أجل الحرية حينا ، ثم تكفر بها وتجحدها وتنتقض عليها حينا آخر . فان هؤلاء عباد الحرية فى كل حين ، وعلى الأخص حين لا يكون عابد لها غيرهم . وهم للحرية كسدنة المحراب الموكلين بشعلته المقدسة لا يزالون يقبسون لها جذوة حياتهم جيلا بعد جيل فلا تنطفىء لمحرابها جذوة

واذا كنا نبكى ضحايا الحرية ، فان هؤلاء رسلها وشهداؤها يذهلنا عن بكائهم روعة احساسنا بعلوهم وعظمتهم . فلتكن العبرات للضحايا ، أما هؤلاء فعلى أجداثهم تنفخ الأبواق وتقرع الطبول وتضع أكاليل الغار

عبد الرحمن صدقى

الديمقراطية

طبيعة فى محمد على وخلفائه

بقلم الاستاذ طاهر احمد الطناحى

تعنى دار الهلال بطبع كتاب فخم عن جلالة ملك مصر وضعه الاستاذ طاهر احمد الطناحى بعنوان (فاروق الأول) تسجيلا لحياة جلالته السعيدة منذ كان ولياً للعهد الى أن تبوأ الأريكة المصرية. وقد سلك فيه المؤلف طريقة حديثة فى التأليف التاريخى وشمل جميع النواحى الخاصة بموضوعه. وسيكون هذا الكتاب من هدايا هذا العام الى مشتركى الهلال. ونحن ننشر منه هذا الفصل

لم تعرف مصر الديمقراطية قبل محمد على باشا الكبير، فقد كان حكمها فى عهد الاستقلال حكماً أوتوقراطياً. وفى عهد الفتح والتبعية كانت خاضعة لهذا الحكم وتقاليده. فكان الملك ابن الاله فى عهد الفراعنة، والحاكم بأمر الله فى العهود الأخرى، فلا ارادة للشعب، ولا سلطة له

وقد ظهرت الديمقراطية فى العصر الحديث، فكان أول من اعتنقها فى الشرق محمد على باشا، وكان حكمه قائماً على ارادة الشعب وتأييده. ولعله أول حاكم فى مصر تولى حكمها باختيار الامة له على نحو ما تختار الشعوب الديمقراطية حكامها من زعمائها البارزين

فقد امتاز محمد على بطبيعته الديمقراطية، فكان يتقرب من الشعب، ويعنى بشئونه منذ كان قائداً للجنود الالبانيين فى مصر. فلما قامت الثورة الاهلية ضد الوالى «خورشيد باشا» اتجهت انظار زعماء الشعب اليه وحده، ووجدوا فيه المنقذ الكفء، فخاطبوه فى اختياره والياً على البلاد

وأنت حين ترجع الى هذه الحادثة التاريخية التى كانت سبباً فى الانقلاب المصرى الاخير، ترى كيف أسس محمد على باشا حكمه على أحدث الاصول الديمقراطية، فقد نادت الامة المصرية باختياره والياً عليها، وأعلنت رغبتها فى حكمه، واستجاب زعماؤها لهذا النداء، واقتنعوا بصوابه، فذهبوا ينادون بصوت واحد: «لا نقبل خورشيد واليا علينا»، فأطل عليهم محمد على، وقال: «ومن تريدون اذن؟»

فقالوا: «لا نريد سواك»

فاعتذر عن قبول الولاية ، فأصر الشعب على اختياره ، وألح عليه في القبول ، فأذعن أخيراً لاصراره ، وأحضر الزعماء « الكرك والقفطان » وألبسوه إياهما ، واضطر الباب العالى تحت تأثير ارادة الشعب أن يعترف بولايته

فهذه الحادثة تكشف للمؤرخ عن حكم محمد على القائم على ارادة شعبه ورغبته . فلم يكن حاكما مطلقا ، ولا مغتصبا لحقوق الرعية ، بل كان يوقن أن ثبات حكمه بثبات هذا التأييد

ولذلك كان أول من اشترع فى مصر الحكم الديمقراطي ، وأقام فيها أول مجلس نيابى هو النواة الاولى للحكم البرلمانى الذى تنعم به البلاد الآن ، ففى سنة ١٨٢٩ ألف « مجلس المشورة » من ١٥٦ عضواً من علماء القطر وأعيانه وكبار موظفيه ، وأسند رئاسته للبطل الخالد ابراهيم باشا ، وهذا المجلس أصدق فى الحياة النيابية من «الديوان» الذى ألفه نابليون بونابرت فى مصر من أعيان القاهرة فقط

هذا مجمل ديمقراطية محمد على باشا فى الحكم ، أما ديمقراطيته الذاتية ، فقد كان ذا طبيعة ديمقراطية خالصة ، حببته إلى الشعب ، وكان لباسه ديمقراطيا لا أبهة فيه ولا تكلف ، وكان يكره المباهاة والتظاهر بالعظمة وكثرة الحاشية ، فلم يكن على بابه إلا رجل واحد يحرسه ، وإن كان هناك شىء يفخر به ، فهو عصاميته التى كان يحب التحدث بها كأنما أراد أن يضرب لغيره الأمثال بهذه العصامية النادرة

ابراهيم باشا

أما ابراهيم باشا ، فكان كأبيه ديمقراطيا بسليقته ، وهو أول رئيس لمجلس نيابى فى مصر ، وكان فى حياته العسكرية ديمقراطيا ، فمع صرامة النظام العسكرى وتطبيقه له هو على نفسه ، كما يطبق على جنوده ، كان لا يأنف من مجالسة الجنود والضباط ومقاسمتهم السراء والضراء ، وكان رحمه الله يتعشق البساطة فى مأكله وملبسه ، ويقطع المراحل الشاسعة سيراً على قدميه كجنوده ، وكان يمقت تكلف العظمة وينفر من الابهة التى اصطنعها غيره من الامراء وأحاطوا بها أنفسهم ، وكان أعظم آماله أن ينشر الديمقراطية فى الشرق باحياء القومية العربية . . .

ولهذه الديمقراطية أحبه أعوانه وجنوده وأهالى البلاد ، فتفانوا فى خدمته واستعان بهم فى فتوحاته الكبرى

الخديو اسماعيل

وكان الخديو اسماعيل كأبيه وجده ديمقراطيا فى حياته الخصوصية وحياته الادارية ، وقد وطد فى مصر دعائم الديمقراطية فى الحكم ، وتوسع فيها تبعا للعصر الذى ظهر فيه ، فلم يقتصر على انشاء مجلس نيابى يضم علية المصريين ، بل انشأ فى مراكز المديريات هيئات نيابية كان الغرض منها أن يدرب الشعب على الحكم النيابى باشراك أهالى القطر مع رؤسائهم الاداريين فى الحكم . فكان في كل مركز مجلس ادارى ، وفى كل مديرية مجلس محلى ، وعين المديرين من المصريين ، وتنازل عن جانب من حقوقه للشعب ، وقرر لنفسه راتبا ، وظفرت مصر فى عهده بحكم ديمقراطى صحيح دون أن تراق قطرة دم كما حدث في الأمم الأخرى

وكان اسماعيل باشا يكره الرسميات ، واذا قابل أحداً ممن يتشرفون بالمثول بين يديه حمله ببراعته وروحه الديمقراطية على الاطمئنان اليه ونسيان رهبته . وهو لا يميل إلى الابهة ومظاهر العظمة الاحيث تقتضيه تقاليد الامارة ، فكان فى وقت فراغه يخرج للنزهة بلباس عادي ، وصفه بعض معاصريه بأنه استامبولية بسيطة ، وطربوش أحمر ، ولا يصحب معه غير بضعة رجال من حاشيته

الملك فؤاد الاول

ومن المعروف أن جلالة الملك فؤاد الأول كان ديمقراطيا فى حياته وفى حكمه ، فهذه آثاره تشهد بما كان عليه رحمه الله من حبه لرعيته ومشاركته إياها فى السراء والضراء . وهذا البرلمان القائم أثر من مفاخره . وقد ختم حياته بتوطيد الحكم الديمقراطى فى مصر . ونحن نترك وصف هذه الديمقراطية للماجور بولس نيومان حيث قال فى كتابه « بريطانيا فى مصر » :

« جلالة الملك فؤاد ملك واسع الثقافة ، واسع الاطلاع ، ولوع بتشجيع العلوم والفنون والألعاب الرياضية ، وهومع هذا ملك بلاد عريقة فى التقدم والحضارة

« وجلالته أحسن مثل للملك البار برعيته ، العامل لمصلحة بلاده . ومعظم خدماته لشعبه انما هى فى سبيل البر به ، ورفعة مستواه ، ففازت مصر فى عهده بنعم لا تحصى

« وقد صارت القاهرة بفضل عنايته من أكبر عواصم البلاد ، وأصبحت من خيرة البلدان التى تقام فيها المؤتمرات الدولية . وهو كثير الاتصال بشعبه يحضر حفلاته العلمية والرياضية ، ويوزع الجوائز بيده

« وروحه الديمقراطية فى مقابلة الماثلين لديه تغمرهم بعطفه وتشعرهم بالاطمئنان اليه ، وتزيل من نفوسهم التصنع الذى يمقته جلالته . وحديثه كثير الصراحة خال من الكلفة والغموض

« أما معارفه فتشمل العالم كله ، والدرجات الكثيرة التى حازها من الجامعات المختلفة انما حازها باستحقاق ، لا لكونه ملكا بل لعلمه وسعة ثقافته وفضله . وقد سار جلالته فى الاصلاح ورائده خدمة بلاده ورضا شعبه ، وسياسته فى هذا الاصلاح سياسة جوهرية فى جميع فروعها

« وجلالة الملك فؤاد جدير باعجاب الاجانب بما نشأ عليه من روح ديمقراطية ، وبما غذى نفسه من العلوم والمعارف الواسعة ، وبما حباه الله من ارادة حديدية

« ولقد كنت كلما تتبعت أعماله التى ينهض بها جلالته فى سبيل رفاهية شعبه على الرغم من الدسائس السياسية والاحتلال الاجنبي ، ازددت إعجابا بشجاعته وبعقله الكبير وبتفاؤله الدائم . وقد قابلت جلالته ، وحادثته مراراً ، فلم أره يوماً ما ، حتى في أشد الازمات السياسية ، محرجا ضعيف الرجاء ، بل لقد كان يقول إن المثابرة مع الصبر والتأنى ، والايمان والثقة برعاية الله ، تؤديان حتما الى الفوز »

تلك فقرات مما تحدث به الماجور نيومان عن ديمقراطية الملك الراحل وحبه لشعبه وخدماته له . وقد قال جلالته مرة لأحد الفرنسيين ، وهو فى زيارته لاوربا :

« أما أن تكون ملكا فليس بشيء ، وأما أن تكون نافعا فذلك كل شيء »

وهى كلمة لا يقولها الا ملك ديمقراطى يحب شعبه ويستجيب لندائه ، ويعمل لسعادته .

ولعل أبلغ مثل على هذه الديموقراطية تلك العبارات القيمة التي قالها جلالته رحمه الله لاعضاء الجبهة الوطنية ، حين تشرفوا بمقابلته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٣٦ فقد دعاهم الى الجلوس قائلا :

« ليس بيننا كبير ولا صغير ، فلنجلس جميعا بغير مراعاة للرسميات . وها أنذا كواحد منكم . وانى لأشعر فى هذه اللحظة ونحن جميعا مصريون ندين بالاخلاص والمحبة لبلادنا ، اننا أفراد أسرة واحدة نشعر جميعا بشعور واحد » . !

هذه هى ديموقراطية أسلاف الملك الشاب فاروق الأول ، وهذه هى الطبيعة التى نشئوا عليها ، وكانت ديدنا لهم فى حياتهم وطابعا لهم فى أعمالهم ، فليس غريبا أن نرى جلالته أحسن مثل لهذه الديمقراطية الحقة ، وهذا الطبع القويم . . .

طاهر احمد الطناحى

أبطال الاستقلال في الغرب

أبطال الاستقلال كثيرون ، لا تتسع لهم ولا لسيرتهم عدة أعداد من المجلة . ولذلك رأينا أن نقتصر هنا على أشهرهم لنعطى القارىء فكرة عن حياة كل منهم ، وما أداه لبلاده من خدمات فى سبيل الحرية والاستقلال

جورج واشنجتن

بطل استقلال أمريكا الشمالية

١٧٣٢ — ١٧٩٩

كان جورج واشنجتن بطلا سياسيا حكيما . ولد يوم ٢٢ فبراير سنة ١٧٣٢ فى بروجز كريك بولاية فرجينيا ، وكان أبوه مزارعا موسراً ، مات وخلفه طفلا ثم دخل المدرسة ولكن تعليمه كان غير منتظم ولا متواصل . ولما بلغ السادسة عشرة من عمره عين مساحاً للأرض . وقد حفزته هذه الوظيفة على الاكتشاف والمجازفة ، فعهدت اليه الحكومة فى اكتشاف منطقة غابات يقطنها الهنود الحمر وإنذار الجيش الفرنسى بأن الحصون التى أقامها على الحدود تعتبر عدوانا على الولاية . وقد قام بهاتين المهمتين خير قيام

وفى سنة ١٧٥٩ تزوج واشنجتن بأرملة غنية تدعى مارثا كستيس فضم أرضها الى أرضه واستقال من الجيش ليتفرغ لادارة تلك المزارع

وفى سنة ١٧٦٥ اشتد النزاع بين انجلترا ومستعمراتها الأمريكية فارتأى واشنجتن أن يقاطع الامريكيون كل البضائع البريطانية التى فرضت عليها ضرائب ، وقد نجحت المقاطعة الى حد اضطرت انجلترا معه الى الغاء هذه الضرائب ، ولكنها أبقت منها ضريبة الشاى . وأدى ذلك الى استعار نار الخلاف من جديد ، فأنشأ الامريكيون قوات أهلية ليقاوموا بها الجنود الانجليزية وعهدوا الى واشنجتن فى القيادة العامة

ولما رأى أن القوات البريطانية تفوق جيشه عدداً وعدة ، تقهقر بانتظام وكان ذلك عملا حربيا باهرا ، واستمرت الحرب بين الفريقين فلقي واشنجتن الهزيمة فى عدة وقائع وعانى الشدائد من الخلاف والدسائس بين قواده ومن نقص الذخيرة والمؤونة . ولولا قوة ارادته وثباته الذى يضرب به المثل لتفرقت القوات الامريكية شذر مذر . ومع هذا استطاع بهذه القوات أن ينال ظفرا باهرا فى واقعة ترنتون يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٧٧٦ ، وكانت واقعة حاسمة وضعت الأساس الفعلى لاستقلال أمريكا . وفى واقعة مونموت كادت الخيانة تقضى على الجيش الامريكى ولكن

واشنجتن ببراعته وتأثيره الشخصى فى الجنود استطاع أن يقلب الهزيمة انتصارا باهرا

وظلت الحرب بعد ذلك سجالا بين الفريقين ، ثم تدخلت فرنسا فى الحرب وساعدت الامريكيين وما لبث ان أسر القائد الانجليزى كورنواليس فانتهت الحرب بانتصار الامريكيين وتحقق بذلك استقلالهم وتم انفصال بلادهم عن انجلترا

وكان واشنجتن قد اضمحلت صحته من هول ما لاقاه فى تلك الحرب فما أن وضعت أوزارها حتى آوى الى بيته واستقر فى مزارعه وأخذ يصلح ما أفسده الاهمال فى غيابه . ولكن أمته أصرت على انتخابه رئيساً لجمهوريتها الناشئة يوم ٣٠ ابريل سنة ١٧٨٩ . فاستطاع بنفوذه الشخصى وسعة عقله وحكمته أن يسير بالبلاد سيرا عظيما فى سبيل الاصلاح والتقدم حتى اذا انتهت مدة رياسته أعيد انتخابه . وفي خلال ذلك وضع أساس مبدأ مونرو القاضى بعدم تدخل أمريكا فى شؤون أوروبا . ثم أرادوا انتخابه للمرة الثالثة فأبى وآوى الى مزرعته حتى وافته منيته يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩

سيمون بوليفار

١٧٨٣ — ١٨٣٠

هو بطل استقلال الجمهوريات الامريكية التى كانت تابعة لاسبانيا . ولد فى بلدة كاراكاس بفنزويلا وقد تعلم فى اسبانيا ثم سافر الى المانيا وانجلترا وفرنسا ، حيث درس الهندسة فى مدارسها العليا وعاد الى وطنه فنزويلا فاشترك في الثورة التى كانت قائمة فيها ضد الحكم الاسبانى . وسرعان ما رقى الى رتبة الكولونيل . حتى اذا وافت سنة ١٨١٢ كان قائدا عاما للثورة فاستطاع فى ثلاثة أشهر أن يقاتل في خمس عشرة واقعة دحر فيها الاسبانيين وأقصاهم عن فنزويلا ثم عاد الى كاراكاس عودة الظافر على عربة تجرها اثنتا عشرة من الحسان وعلى أثر ذلك لقب بلقب « المحرر » أو « المنقذ » ومنح سلطة دكتاتورية لا حد لها

غير أن الاسبانيين عادوا فوافاهم المدد تحت قيادة « موريلو » واضطر بوليفار أمام تكاثرهم أن يفر سنة ١٨١٥ الى جزيرة هايتى ، فجمع فى بضعة أشهر جيشا وأسطولا وقصد مصب نهر « أورينوكو » وهناك نودى به رئيساً للجمهورية فنزويلا وعندئذ بدأت حرب الاستقلال الفعلية ، وقد ظل فيها ثلاث سنوات وهو على رأس قوة قليلة من أولى العزم ، وعمد الى حرب العصابات فصار ينزل بالجيش الاسبانى اضراراً بالغة . وفى سنة ١٨١٩ انتقل من فنزويلا الى « غرناطة الجديدة » وعبر الانديز ثم ضم غرناطة الجديدة الى فنزويلا ، وأطلق عليها اسم (جمهورية كولمبيا) . ثم عمد الى تحرير « بيرو » ودخل مدينة ليما دخول القائد المظفر سنة ١٨٢٣ وفى السنة التالية أسر (لاسرنا) نائب الملك فى اياكوشو . وفى سنة ١٨٢٦ استولى على « كالاو » فكان ذلك إيذانا بانتهاء الحكم الاسبانى

فى تلك البلاد . وعندئذ فكر بوليفار فى إيجاد (اتحاد تعاهدى) بين الأقطار الثلاثة التى دان له الأمر فيها وهى : كولمبيا ، وبيرو ، وبوليفيا على أن تسمى (الولايات المتحدة الجنوبية) . غير أنه اتهم بالسعى فى سبيل الملك فلم يجد بدا من التنازل عن السلطة فى سنة ١٨٣٠ ، وبعد سبعة أشهر مات كليم الفؤاد من الفوضى التى انتهت اليها هذه الأقطار

جيزبي غاريبالدي

١٨٠٧ – ١٨٨٢

ولد بطل استقلال ايطاليا . فى نيس يوم ٤ يوليو سنة ١٨٠٧ وكان أبوه صائد اسماك

وفى سنة ١٨٣٤ اشترك فى حركة (ايطاليا الفتاة) التى أشعل مازينى أوارها . وساهم فى ثورة محلية كاد يقتل فيها لكنه فر إلى أمريكا الجنوبية فمكث بها إلى سنة ١٨٤٨ وفى خلال هذه المدة اشترك فى حروب عديدة بالبر والبحر وأبدى فيها بسالة فائقة . ولما قامت الحركات الثورية فى أوروبا فى سنة ١٨٤٨ عاد غاريبالدى إلى ايطاليا فاخذ يجند الوطنيين المتطوعين وينفث فيهم وطنيته وحماسته . ولكن ثورته هذه فشلت كسابقتها ففر من البلاد ثانيا وذهب إلى نيويورك

وفي سنة ١٨٥٤ عاد إلى ايطاليا مرة أخرى واستقر فى كابريرا فى كنف حكومة سردينيا . وفى سنة ١٨٥٩ شبت الحرب بين سردينيا والنمسا فاشترك فيها غاريبالدى برجاله وعاونه نابليون الثالث أمبراطور فرنسا فى ذلك الحين وقد أبلى غاريبالدى بهذه المعاونة بلاء حسنا . ثم عقد صلح فيلا فرانكا وقد أملاه فى الواقع نابليون الثالث ولم ينس أن يفوز من حليفته سردينيا بغنيمة وكانت مدينة نيس مسقط رأس البطل الايطالى ، فساءه أن تصبح بلدته فرنسية فانقلب على الفرنسيين وأشعل نار الثورة فى جزيرة صقلية ضد مملكة نابولى البوربونية . وكان كافور السياسى الايطالى الداهية يؤيده سراً وان أنكره علنا فجمع غاريبالدى ألفاً من المتطوعين (أصحاب القمصان الحمراء) وهجم بهم على صقلية فطرد منها الجنود الفرنسية وكان عددهم لا يقل عن عشرين ألفا . ثم نزل بهم فى أرض ايطاليا وزحف على نابولى فهرب ملكها الفرنسى « فرنسيس الثانى » . وعلى أثر ذلك دخل فيكتور عمانويل مدينة نابولى فنادى به غاريبالدى ملكا على ايطاليا الموحدة

ولم تقف جهود غاريبالى في سبيل تحرير بلاده وتوحيدها عند هذا الحد بل هاجم مملكة البابا فى روما وهو يحسب أن الملك عمانويل يؤيده فى هذا المشروع فاذا بالحكومة الايطالية تناصبه العداء وما لبث أن دحر فى واقعة اسبرومونتى

وبعد ذلك عمد إلى الهدوء حيناً ولكن سرعان ما عاد إلى حرب العصابات واشترك فى محاربة النمسا سنة ١٨٦٦ . وفى السنة التالية حاول مرة أخرى أن يغزو مدينة روما ولكن الجنود الفرنسية

التي تحميها هزمته في واقعة منتانا . وعاد إلى السكون حينا حتى قامت الحرب السبعينية بين فرنسا وألمانيا وقدم خدماته للجيش الفرنسي في جهات الفوج

جوزيف بلسودسكي

١٨٦٧ ـ ١٩٣٥

كان بطل استقلال بولونيا من أسرة بولونية عريقة يرجع عهدها الى أمراء ليتوانيا الاولين ، وقد ولد سنة ١٨٦٧ في بلدة زولوف باقليم فيلنا

وفي سنة ١٨٨٧ اتهم بالتآمر على قيصر روسيا فحكم عليه بالسجن خمس سنين في سيبريا الشرقية . مع أن المحاكمة أظهرت براءته من تلك التهمة . ثم عاد الى فيلنا سنة ١٨٩٢ وأسس الحزب الاشتراكي البولوني . وفي سنة ١٨٩٤ أصدر جريدة « روبوتنيت » أي العامل ، وكانت جريدة سرية ذات افكار متطرفة وكان بلسودسكي يحررها ويطبعها ويوزعها بنفسه . وقد جعلته شجاعته معبود العمال كما حاز احترام الطبقة المتعلمة

ولم يلبث أن جعل المقاومة المسلحة من ضمن برنامج الحزب ، وصارت الجنود المسلحة تحرس اجتماعات العمال وكثيرا ما تلاحمت مع الجنود والشرطة

وفي سنة ١٩٠٠ قبض على بلسودسكي وزوجته ماري توسكيفيكزفي لودز ، وزج به في قلعة وارسو حيث مكث عاما ثم ادعى الجنون ، فنقل الى مستشفى سانت نيقولا بسان بطرسبورج ، فدبر أصحابه خطة لفراره ونجحت الخطة ففر من المستشفى يوم ١٣ مايو سنة ١٩٠١ وبعد ذلك قصد الى لندن حيث مكث برهة ثم عاد الى كراكوف سنة ١٩٠٢

وفي خلال الحرب الروسية اليابانية دبر ثورة ضد روسيا ، ولكنها فشلت لقلة المعدات . وعندئذ سافر بلسودسكي الى اليابان ملتمساً معاونتها لبولونيا على روسيا ولكنه فشل في هذه المهمة كذلك

ولما قامت الثورة في روسيا سنة ١٩٠٥ وأعلن نظام الحكم النيابي ، أمل بلسودسكي وأعوانه خيرا فكفوا عن اضرام نار الثورة حيناً ، ولكنهم لم يلبثوا أن ساءهم من الحكومة الدستورية مثل ما كان يسومهم من حكومة الاستبداد . وعلى ذلك نقل بلسودسكي مركز القيادة الى كراكوف ولفوف واخذ يثير اللاجئين من الاقاليم الروسية وشرع يكون جيشاً لبولونيا خاصة

وقد قدر بلسودسكي بفراسته وقوع الحرب العظمى وكان يؤمل أن تنتصر المانيا والنمسا على روسيا ثم تنتصر فرنسا على المانيا فلما نشأت الحرب فعلا عاون النمسا في عدة وقائع فأبدى بسالة فائقة ونظاما باهراً

وفي سنة ١٩١٦ استقال من القيادة . وفي الوقت نفسه اتصل بفرنسا وانجلترا بواسطة بعض خلصائه ثم أعلن استقلال بولونيا يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩١٦ بواسطة الدول الوسطى وعين بلسودسكي

وزيراً للحربية فى الحكومة البولونية الجديدة . وفى يوليو سنة ١٩١٧ رفضت جنود بلسودسكى أن تحلف (يمين الاخاء فى السلاح) لالمانيا والنمسا فقبض الالمان على بلسودسكى واعتقلوه حتى جاءت الحكومة الثورية فى ألمانيا سنة ١٩١٧ فأفرجت عنه فخضعت جميع السلطات العسكرية له ، والقيت فى يده مقاليد الحكم فى بلاده وانتخب بالاجماع رئيسا للدولة ومنحه الجيش لقب المارشال الأول لبولونيا

توماس جاريج مازاريك

ولد سنة ١٨٥٠

هو بطل استقلال تشيكوسلوفاكيا وأول رئيس لجمهوريتها . ولد يوم ٧ مارس سنة ١٨٥٠ فى بلدة هودونين على حدود مورافيا وكان أبوه حوذيا فى خدمة المزارع الامبراطورية النمسوية

وابتدأت حياته السياسية حين أصدر فى سنة ١٨٨٩ مجلة أسبوعية سياسية اسمها « كاز » أى الوقت . وفى ذلك الحين كان حزب المحافظين التشيكوسلوفاكى قد بدأ يعانى الوهن ويغلبه حزب الأحرار على أمره وكان مازاريك من رجال هذا الحزب فاختاره ضمن نوابه فى سنة ١٨٩١ ولكنه استقال بعد عامين ليقوم بحملة خلقية بين الشعب التشيكوسلوفاكى

ولم تكن آراؤه الوطنية محببة الى قومه خصوصا بعد أن عارضهم فى كرههم لليهود . ولكن سرعان ما اقتنعوا بآرائه واتخذوها مبادىء لهم

وفى سنة ١٩٠٠ أنشأ أتباعه حزبا جديداً باسم « حزب التقدم » وقد أعيد انتخابه لعضوية البرلمان النمسوى بالنيابة عن ذلك الحزب فى سنة ١٩٠٧ . وما إن دخل البرلمان حتى أخذ يندد بخضوع النمسا لألمانيا وينتقد السياسة النمسوية فى البلقان

وفى خلال الحرب العظمى أصدر كتابا باسم « أوروبا الجديدة » وفيها هاجم امبراطورية النمسا والمجر شر مهاجمة ، وقال إنها من بقايا القرون الوسطى . وكان لا يزال عضوا فى البرلمان النمسوى ، فاضطر الى الفرار من النمسا فى ديسمبر سنة ١٩١٤ وقام بحملة دعاية واسعة النطاق فى سويسرا وفرنسا وانجلترا وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة منددا بحكم النمسا مطالباً بالاستقلال لبلاده

وفى يوليو سنة ١٩١٥ ألقى خطابه السنوى فى جنيف فهاجم فيه النمسا بعنف ثم أصدر على أثره منشوراً ثوريا وقعه معه كثيرون من مواطنيه الذين يعيشون فى خارج بلادهم . ثم ألف موقعو المنشور (مجلسا وطنيا) رئيسه مازاريك ووكيله (بنيش) . ولما وجد جواسيس النمسويين يطاردونه فى سويسرا انتقل الى انجلترا حيث نشط فى نشر الدعاية لاستقلال وطنه

ولما قامت الثورة فى روسيا سنة ١٩١٧ سافر اليها وكان عدد كبير من الأسرى التشيكوسلوفاكيين قد بدءوا يكونون جيشاً ، فاستطاع مازاريك أن يغرى حكومة الثورة الروسية بالموافقة على ذلك

وفى مايوسنة ١٩١٨ سافر مازاريك الى الولايات المتحدة ، فكانت ثمرة نشاطه السياسى إصدار (تصريح لانسنج) يوم ٢٩ مايو من تلك السنة ، وفيه توكيد لعطف الولايات المتحدة على استقلال تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا . وقد وافقت حكومات الحلفاء على ذلك التصريح يوم ٣ يونيو من تلك السنة . وعلى أثر ذلك اعتبرت أمريكا ودول الحلفاء (المجلس الوطنى) الذى يرأسه مازاريك حكومة لتشيكوسلوفاكيا المستقلة . ثم انتخب مازاريك رئيساً للجمهورية التشيكوسلوفاكية يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ وأعيد انتخابه يوم أول مايو سنة ١٩٢٧

ايمون دي فاليرا

ولد سنة ١٨٨٢

هو بطل استقلال ايرلندا الذى يعرفه المصريون حق المعرفة . ولد فى مدينة نيويورك يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٨٨٢ وكان أبوه اسبانيا وأمه ايرلندية . ثم أرسل الى موطن أمه فى تشارلفيل وهو طفل وتعلم فى كلية بلاكروك ثم فى الجامعة الملكية بدبلن . وفى ١٩١٣ انضم الى حركة التطوع التى نشطت فى ايرلندا ، وفى سنة ١٩١٦ كان على رأس فرقة من الثوار . ولكنه قبض عليه يوم ٣٠ ابريل من تلك السنة وحكم عليه بالاعدام ثم أبدل بهذا الحكم السجن المؤبد . ولم يلبث أن أفرج عنه على أثر صدور العفو العام ، وسرعان ما أخذ يجدد تنظيم الحزب الجمهورى المعروف باسم (سين فاين) والمتصل اتصالا وثيقا بالجيش الجمهورى . وانتخب فى نفس الشهر الذى أفرج فيه عنه ليكون نائبا بالبرلمان البريطانى فاتبع فيه خطة العناد والمشاكسة

ثم انتخب رئيساً للجمهورية الايرلندية على أن يكون لها مجلس نيابى فى دبلن ، ولكنه قبض عليه فى مايو سنة ١٩١٨ بتهمة تدبير ثورة جديدة وزج به فى سجن لنكولن . ففر منه يوم ٣ فبراير سنة ١٩١٩ وسافر الى الولايات المتحدة حيث أخذ يجمع الاكتتابات للقيام بثورة عامة فى ايرلندا

وفى سنة ١٩٢١ عقدت هدنة بين انجلترا والوطنيين الايرلنديين وعين دى فاليرا مفاوضين عنه لاجراء المفاوضة مع الحكومة الانجليزية ، وقد نقض المعاهدة التى سبق أن وقعها اثنان من زعماء ايرلندا وهما زميلاه أرثر جريفث وميشيل كولنز . غير أنه لما جرت الانتخابات العامة فى ايرلندا سقط فيها ، فتنازل عن رياسة الجمهورية وعاد يقود القوات الجمهورية حتى قبض عليه فى أغسطس سنة ١٩٢٣ فزج به فى السجن ، ثم أفرج عنه فى يوليو سنة ١٩٢٤ فعاد يتزعم الحزب الجمهورى ، وقد قاطع البرلمان الايرلندى ولم يشترك فى الانتخابات العامة . وأدى ذلك الى الانقسام فى حزبه حتى اذا كانت سنة ١٩٢٧ كون حزبا جديدا واشترك به فى الانتخابات ففاز الأغلبية ، ودخل البرلمان وقد حلف يمين الطاعة لملك انجلترا مضطرا ، وصرح على أثر ذلك بأن « اليمين شكل من الأشكال السياسية الخاوية »

ثورة الحرية في وجه الاستبداد

نضال قديم يبقى إلى الأبد

تشغل الثورة الاسبانية اليوم أنظار الناس فى جميع أقطار العالم لأنها مظهر من مظاهر النضال بين نظامين سياسيين، يعرف أحدهما بالدكتاتورية أو نظام الحكم المطلق، والآخر بالديمقراطية أو حكم الشعب. وقد استفحل النضال بين هذين النظامين فى السنوات الأخيرة واتسعت ميادينه. فهو غير محصور فى جهة من جهات العالم بل امتد لهيبه حتى عم جميع الأقطار. وسيظل مستمراً وتظل الحرب سجالا بين النظامين المذكورين إلى ما شاء الله

وإذا رجعنا إلى تاريخ الاجتماع منذ أدواره، اتضح لنا أن جميع الحروب — ما عدا حروب الفتح التى قام بها كبار الغزاة — يمكن ارجاعها إلى النضال بين هذين المذهبين، حتى ليصح القول بأنه ما من ثورة أو حرب أهلية إلا وهى مظهر من مظاهر ذلك النضال. وليس فى وسع الباحث إن يحصى جميع الثورات التى نشبت فى العالم، فان ما هو مدون منها أقل مما لم يدون، وأكثرها — إن لم نقل كلها — هو وليد ذلك النضال. ذلك أن الدكتاتورية — أو السلطة المطلقة — كلما استتب لها الأمر وانبسط رواقها على الناس، طغت وتجبرت وعادت لا تقيم لحقوق الأفراد وزنا ولا ترعى لهم ذماماً. فيثور الشعب مدفوعاً بعوامل اليأس، وإذا توفرت له عوامل النجاح فاز على الدكتاتورية وانتزع منها زمام السلطان. وما هو إلا القليل حتى يستتب الأمر لحكومة الشعب وينتشر ظلها. الا أن القائمين بالسلطة — سواء فى ظل الديكتاتورية أو الديمقراطية — هم بشر كسائر الناس قد تبطرهم النعمة وتدفعهم إلى شر أنواع المظالم. فيفعلون ما تدفعهم اليه أهواؤهم وينقلبون ظلاما مستبدين، وذلك سبب معظم الثورات — إن لم نقل كلها — وآخرها الثورة الاسبانية التى لا تزال رحاها تدور وتذهب بالارواح والاموال

« .. على أن النضال سيظل قائما بين الحرية والاستبداد الى الابد، فأنصار النظم الاستبدادية لن يصبروا على ضياع السلطة من أيديهم، وإنما يطول أمد سلطانهم بقدرما يظهرونه من العدل والانصاف فى معاملة الرعية. ولكن العدل والانصاف إذا كانا من صفات الفرد لا يرجى لهما دوام. وإنما يرجى لهما الدوام إذا كانا من صفات الجماعة .. »

ثورة الحرية فى التاريخ القديم

وثورات الحرية كثيرة لا يلم بها حصر. ومن أقدمها فى التاريخ ثورة المصريين على الهكسوس

أو الملوك الرعاة . وكان الهكسوس قبائل من البدو الرحل غزوا مصر وحكموا أهلها بالجور والاستبداد . قيل وهم أول من أدخل الخيل مصر . ولما ثقلت وطأتهم على الأهلين شق هؤلاء عليهم عصا الطاعة وقلبوا لهم ظهر المجن . وآلت الثورة إلى طرد الرعاة واستتباب الأمر للمصريين

ومن أشهر ثورات التاريخ ثورة الاغريق على الفرس فى القرن الخامس قبل المسيح . وكان هؤلاء قد غزوا بلاد اليونان واستتب لهم الأمر فى بعض أنحائها . والمشهور عنهم أنهم كانوا يميلون إلى الظلم والجور . ولهذا ضاق الاغريق بهم ذرعاً ، فثاروا عليهم غير مرة ، وانتهت تلك الثورات بطرد الفرس وعودة الأمر إلى الاغريق

ولم يخل تاريخ الأمبراطورية الرومانية من ثورات وحروب أهلية شبت نيرانها فى مختلف أدوار تلك الأمبراطورية . وكانت أسبابها متماثلة ونتائجها هى النتائج المتوقعة من استفحال شرور الحكم المطلق واستئثار الحاكم بالأمر والنهى فى رعيته ، وكانت خاتمة تلك الثورات تهدم صرح الأمبراطورية وتفكك عراها

ثورة الحرية فى التاريخ الحديث

وفى تاريخ الدول الأوربية الحديثة أنباء ثورات كثيرة لا تقع تحت حصر . وجميعها متشابهة فى أسبابها ونتائجها . ولا نعرف دولة من دول الغرب سلمت من نيران الثورات أو لم تكتو بنار حرب أهلية . ففى تاريخ انجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وايطاليا وغيرها من دول أوربا ، صفحات مكتوبة بدماء الذين سقطوا فى ميادين الثورات . ولعل أعظمها وأهولها الثورة الفرنسية المعروفة . ويذهب بعض المؤرخين إلى أنها أعظم ثورات التاريخ بلا شك ، لأن نتائجها كانت ذات شأن عظيم ، ولم يقتصر تأثيرها على فرنسا فقط ، بل جاوزها إلى غيرها من شعوب العالم

وقد شبت هذه الثورة فى أواخر القرن الثامن عشر ، وكان لها أسباب مباشرة وغير مباشرة لا يتسع هذا المجال للافاضة فيها . وإنما يجمعها ظلم الحكام واستبدادهم بالرعية ، وعدم اكتراثهم لما كان الجمهور يعانيه من شظف العيش وضيق أبواب الرزق . وكان المظنون فى أول الأمر أن الثورة ستظل محصورة ضمن حدود فرنسا الجغرافية . ولكن ما عاناه الفرنسيون من ظلم حكامهم فى ذلك العهد جعلهم يكرهون الاستبداد فى فرنسا وفى خارج فرنسا أيضا ، حتى أعلن الثائرون أنهم مستعدون لتأييد أية أمة تريد الثورة على حكامها ، زعما منهم أن ما كانوا يعاونونه فى فرنسا كانت تعانيه جميع الشعوب فى البلاد الأخرى

وكانت وثيقة حقوق الانسان التى أعلنتها فرنسا الثائرة يومئذ دستوراً جديداً للناس فى جميع الأقطار . بل كانت تلك الوثيقة بدء عهد جديد لشعوب اوربا التى أخذت تتذوق طعم الحرية والديمقراطية . الا أن هذا العهد لم يسلم مما يكدر صفوه ، فقد حدث ما يسمونه « رد الفعل » اذ

أفلت زمام الأمر من أيدي الزعماء وانقلبت الثورة مجزرة فظيعة . وبعد أن كان الزعماء يقودون الجماهير ويتلاعبون بعواطفهم، اصبحوا مقودين لهم لايجرءون على صدم تلك العواطف أو محاولة كبح جماحها . وكانت النتيجة أن ذهب الكثيرون من أولئك الزعماء ضحية حنق الجماهير وشدة هياجهم

وفي نحو ذلك الزمن شبت نار الثورة الامريكية أيضاً ، وهي الثورة التي احرزت الولايات على أثرها استقلالها التام . ولذلك يسميها الامريكيون حرب الاستقلال

وكانت أسباب تلك الثورة شبيهة في جوهرها بأسباب كل ثورة أخرى ، وهي جور الطبقة الحاكمة واستبدادها ، وعدم اعتدادها بشكاوى الرعية ، وعدم اكتراثها لما تعانيه من ظلم وارهاق . والارجح أنه لو لم يفرط الانجليز في ارهاق المستعمرات الامريكية بصنوف المكوس والضرائب لظلت تلك المستعمرات خاضعة لهم حتى الآن ولظل الأمريكي رعية بريطانية

ومما يذكر عن هذه الثورة أن الفرنسيين وقفوا فيها إلى جانب الامريكيين واعانوهم على حكامهم الانجليز . وكان للجنرال لا فاييت الفرنسي الذي انضم إلى الجيش الامريكي أثر كبير في تقرير مصير تلك الثورة وفي انتصار الثوار على الحكومة الانجليزية

في الأمم المعاصرة

وفي السنين الحديثة وقعت ثورات كثيرة كانت أسبابها متماثلة متشابهة . ولعل الشعوب الاسبانية في أوربا وفي قارة أمريكا الجنوبية ، أوفر الشعوب حظاً من تلك الثورات ، ليس لأن تلك الشعوب أكثر ميلا إلى الحرية من غيرها، بل لأن الشعب الاسباني أقرب إلى المزاج العصبي من أي شعب آخر. فهو سهل الاستفزاز سريع الاندفاع شديد الميل إلى الحرب والكفاح . وفي الحقيقة أنه لا ينقضي عام الا وتقع فيه ثورة أو حرب أهلية في البلدان الاسبانية ولا سيما الامريكية ــ ويسميها الامريكيون أمريكا اللاتينية ــ وفي ذلك دليل على صحة القول بان مزاج الشعب اللاتيني مزاج عصبي ، بخلاف مزاج الشعب الانجلوسكسوني ومزاج شعوب أوربا الشمالية فهو أقرب إلى الهدوء والرزانة والاتزان . وقد أدرك الامريكيون هذه الصفة اللازمة لجيرانهم الامريكيين اللاتين ، وتوقعوا كثرة نشوب الثورات بينهم ، وخشوا تعرض دول أوربا لهم، فأعلنوا مذهب مونرو الشهير ، وحرموا على أية دولة أوربية أن تتعرض لشؤون أمريكا الشمالية أو الجنوبية

وأقرب الثورات الاسبانية عهداً منا ــ ونقصد الاسبانية الأوربية ــ ثورة البرتوغال منذ نحو ثلاثين عاما ، وقد أفضت الى خلع الملك عمانوئيل عن العرش وفراره الى انجلترا واقامته بها . ثم الثورة الاسبانية التي وقعت منذ بضع سنوات وافضت الى فرار الملك وخروجه من اسبانيا ــ ولا يزال يطالب بعرشه الى هذا اليوم . أما الثورة التي لا تزال مستعمرة الاوار في تلك البلاد ، فهي لجميع

الثورات التاريخية المعروفة ، مظهر من مظاهر الصراع بين الدكتاتورية والديمقراطية أو - بتعبير أهل هذا الجيل - بين الفاشستية والشيوعية . وليس لنا ، ونحن قريبو العهد من هذه الثورة ، أن نحكم عليها أو لها ، فان ذلك من شأن المؤرخ فى الأجيال القادمة

ومن أعظم الثورات التى حدثت فى هذا القرن الثورة الروسية الشيوعية أو البلشفية . وقد وقعت هذه الثورة فى أثناء الحرب العظمى الماضية . وأول من أوقد جذوتها الرسل الالمان الذين كانوا يعملون فى روسيا فى الخفاء فى ابان تلك الحرب . وكان غرض أولئك الرسل نشر المبادىء الماركسية أى الاشتراكية المتطرفة واثارة الروس على الحكومة القيصرية . وقد تسنى لهم ما أرادوا ، فثار الروس على اسرة القيصر وأهلكوها ونشروا فى البلاد حكماً شيوعياً شديد الوطأة على طبقة الملاك والاغنياء واصحاب المعامل والشركات ومديرى المصالح العامة . وكان الانقلاب الروسى عظيما جداً وقد أفضى الى كثير من المآسى والمساوىء ، لأنه كان بمنزلة « رد فعل » لنظام الحكم القيصرى الذى كان قائماً على الشدة والاستبداد . على أن البلاشفة الذين ارادوا أن يهدموا صرح الحكم المطلق الذى كان يمثله الحكم القيصرى ، أقاموا مكانه صرحا آخر أشد ظلماً واستبداداً من النظام الذى تقدمه . ولا تزال الحالة غير مستقرة فى روسيا الى هذا اليوم . ولا يكاد الذى يخرج من منزله فى الصباح يضمن العودة الى أسرته فى المساء ، لان الجواسيس الذين كثر عددهم لا يستطيعون الارتزاق إلا من الوشاية بالغير والايقاع بهم . ولذلك نجد البلاشفة اليوم خاضعين لحكومة أشد جورا واستبداداً من كل حكومة تقدمتها

وليس هنا مجال البحث فى المبادىء البلشفية ، أو المقابلة بينها وبين غيرها من المبادىء الاجتماعية والاقتصادية . وانما نقول إن البلاشفة ما فتئوا منذ تقلدهم أزمة الحكم فى روسيا يبذلون جهود الجبابرة لايقاد جذوة عالمية تنتشر الشيوعية على أثرها فى جميع الاقطار . وهم ينفقون فى سبيل ذلك الاموال الوافرة ولا يضنون بشىء فى سبيل تلك الغاية . وقد اوتوا قسطا من النجاح فى أنحاء كثيرة ، فما الحروب التى تقع من وقت الى آخر فى الصين ، أو بين الصين واليابان ، أو فى أمريكا الجنوبية ، أو فى جهات أخرى ، سوى مظهر من مظاهر جهاد الشيوعية فى سبيل بلشفة العالم . بل يقال ان الثورة الاسبانية الحالية هى من صنع البلاشفة ، وانهم هم راسمو خططها ومديرو رحاها . والدول الدكتاتورية أو الشبيهة بالدكتاتورية تراقب مساعيهم فى هذا الشأن وتكافحها بوسائل شتى لا يتسع لها المجال

***

ولا شك أن أهم ما يهمنا من أخبار الثورات الاخيرة ثورة كل من مصر وسوريا وفلسطين . وقد أسفرت فى القطرين الاولين عما يحبه لهما أنصارهما . والامل وطيد أن تسفر ثورة فلسطين أيضا عن مثل ذلك

ومما يجدر بالذكر أنه لما كانت الثورة قائمة فى مصر على الانجليز وفى سوريا على الفرنسيين ، كان أعداء تلك وهذه يذيعون أن الثورة من صنع البلاشفة ، وان المصريين والسوريين ما كانوا ليثوروا ثورتهم لولا تحريض المحرضين من رسل البلاشفة وغيرهم ، ولكن تلك التهمة لم تكن تستند ـ حتى فى أذهان مروجيها ـ الى شىء من الحقيقة . فما كان المصريون أو السوريون يسيرون فى جهادهم الا مدفوعين بقوة العقيدة الصادقة واليقين الذى لا يتزعزع . وقد بذل المصريون ضحايا هائلة فى سبيل الحصول على غايتهم العظمى . وضربوا للاقطار الشرقية المجاورة أبلغ مثل على ما يجب أن يتسلح به كل شعب أعزل يحارب القوة الغاشمة ، وحذت سوريا حذو مصر ، واضعة خطتها نصب عينيها ، وكانت النتيجة تحقيق الآمال الى أقصى حد مستطاع

ولا حاجة بنا الى الاسهاب فيما بذلته مصر من الجهود ، فحديث ذاك معروف لدى الجميع . وانما نقول إن تلك الجهود لم تكن مقصورة على طائفة معينة من المصريين دون غيرها ، بل اشترك فيها الجميع ـ من رجال ونساء وشبان وشابات . ولم يكن فى مصر أحد الا ويشعر بالتبعة الملقاة عليه ازاء الثورة ، وما يطلبه منه الوطن من خدمة وتضحية . ولسنا نعلم ثورة تحققت أغراضها بالوسائل السلمية كالثورة المصرية . نعم لقد ذهبت بدماء الكثيرين من الضحايا الابرياء . ولكن اذا قابلنا عدد أولئك الضحايا بعدد الضحايا فى أية ثورة أخرى من ثورات التاريخ ، تبين لنا أن الخطة التى جرت عليها مصر فى ثورتها ، كانت قائمة على أكمل شروط الحكمة والرزانة والعقل ، متجنبة سفك الدماء بأقصى ما يمكنها من ثبات الجأش وضبط النفس ـ الأمر الذى يشهد لزعمائها بالحكمة وحسن السياسة ، ويتضح فضل مصر بأكثر جلاء اذا تذكرنا انها قامت بثورتها السلمية وهى عزلاء من كل سلاح سوى سلاح الحق

وقد دب فى نفوس جميع الأمم الشرقية شعور قوى بأن لها من الحقوق ما لغيرها من أمم الغرب ، وعليها من التبعات ازاء الحضارة ما على غيرها منها . وفى ذلك دليل على يقظة الشرق كله يقظة لن يستنيم بعدها الى ظلم

على أن النضال سيظل قائماً بين الحرية والاستبداد الى الابد . فأنصار الاستبداد لن يصبروا على ضياع السلطة من أيديهم . وانما يطول أمد سلطانهم بقدرما يظهرونه من العدل والانصاف فى معاملة الرعية . ولكن العدل والانصاف اذا كانا من صفات الفرد لا يرجى لهما دوام . وإنما يرجى لهما الدوام اذا كانا من صفات الجماعة . والجماعة التى تتصف بالعدل والانصاف لا ترضى باستبداد الفرد واستئثاره بالحكم . لذلك لا يرجى دوام لاى حكم يقوم على الاستبداد

هل نحن أحرار

بقلم الأستاذ علي أدهم

« لا ينال الانسان حريته الا اذا تحرر عقله من نير السلطة ، وجسمه من تأثير الحاجة . ولا سبيل الى ذلك الا بتوطيد النظام الديمقراطي واصلاح عيوبه ، ومعالجة المشكلة الاقتصادية . . »

من المأثور عن روسو قوله : « يولد الانسان حراً ولكنه فى كل مكان يجر سلاسل الاستعباد » ولا أراه فى هذا القول قد سدد السهم وأصاب الشاكلة . والألصق بالحق فيما اعتقد هو أن الانسان قد ولد مكبلا بالقيود ، مستعبداً للضرورات ، تستذله الغرائز ، وتصرفه الأهواء ، وتحتكم فيه البيئة ، وعليه أن يجاهد جهاداً متصلا مرهقاً بلا ونية ولا سأم لينال قسطاً من الحرية . والانسانية برغم تاريخها الطويل الحافل بروائع الأحداث ، لم تستطع الخلاص من الأصفاد . بل المشاهد المعهود هو أن بعض الأمم بعد أن تتروح نسمات الحرية السياسية يعاودها الحنين الى السلاسل والقيود اذا عرضت لها الأزمات الجائحة . ولكن الحرية على ما فى طريقها من الأشواك والعوائق ، وبرغم ما تمنى به من الخطوب الجائحة ، لا يخفت صوتها ولا تنطفىء جذوتها ، بل تظل على الدوام أملا مرجوا ومثلا أعلى منشوداً . وذلك لأن الروح الخالقة المنتجة فى الدنيا قوامها الحرية . والحياة تتطلب الحرية للمجازفة فى عوالم الفكر والمخاطرة فى ميادين العمل . ومن طبيعة الحياة التجديد ، وتأبى البقاء على حالة واحدة . وكل محاولة نبيلة أو تحد جرىء فى سبيل فكرة سامية وغاية جليلة باعثها فى الواقع النزوع الى الحرية . فالحرية هى التى توجد التقدم وتوحى المعايير الراقية للحياة . والعمل على سحق الحرية فى أى مظهر من مظاهرها يحدث القلق الدائم ويولد النقمة المستمرة والثورة العاصفة . ولعل أبرز ظاهرة يمتاز بها المجتمع الراقى عن المجتمع الجامد المتخلف ، هو التفاوت الملحوظ فى نصيب كل منهما من الحرية . والجماعة المتأخرة ترزح تحت أعباء عادات قاسية وتقاليد لجة لايستطيع الفرد أن يكسر نيرها ويشذ عن سنتها دون أن يستهدف للهلاك العاجل المحتوم . وتروى عن القبائل المستوحشة حوادث كان فيها بعض الأفراد يخالفون التقاليد المقدسة غير عامدين ، فيقضون نحبهم من الفزع والارتياع . ومعروف أن الحضارة الاوربية الراهنة مدينة باختراعاتها العجيبة وانتصاراتها الباهرة لما تستمتع به من الحرية والطلاقة . وأكثر من

وفقوا الى هذه الاختراعات رجال شكوا فى التقاليد المتبعة وتمردوا على القواعد المقبولة .. والاحتفاظ بهذا القدار من الحرية الذى لا يقاوم الابتكار ولا يسحق الطرافة ، هو الأساس المتين الذى يقوم عليه التجديد والاصلاح . واذا تطرق الشك الى قيمة الابتكار وأقيمت فى سبيله الموانع، فنتيجة ذلك هى الامم الجامدة المتخلفة ذات الرتابة المملة والشخصية المطموسة والطابع المسيخ

وقد يكون من الغريب بعد انصرام الثلث الاول من القرن العشرين التحدث عن مسألة الحرية والعودة الى عرض قضيتها وتبيان مزاياها . وقد جربت الانسانية أزمانا طويلة سوء أثر الاستبداد فى السياسة والدين والعلوم والفنون ، وبلت سوء مغبة القضاء على الحرية فى أمثال هذه المسائل . وقد يبدو أن الحياة الفكرية القائمة على النظر والتأمل والتفكير فى العزلة لا تتأثر بالحياة السياسية القائمة على القوة والمضاء والكفاية العملية . ولكن السياسة تعنى بمسارب الفكر ومدارج الرأى . وذلك لأن كل حكومة حريصة على اكتساب عطف رعاياها وفرض الاحترام عليهم . وكل نظام سياسى يتطلب من الافراد الولاء التام والتفانى الخالص سواء أكان جمهورى النزعة أم ملكي الصبغة أم فاشستى الصورة أم بولشيفى المذهب . ومفروض أن الحب والولاء قائمان على الاعجاب بالحكومة والايمان بسداد خطتها وصحة نظامها . وعناية الحكومات بآراء رعاياها وحرصها على تلوين تلك الآراء بلونها ووسمها بميسمها يظهر فى صور متعددة حسب تقدير الحكومة لحرية الرأى . فالحكومات الديموقراطية الحرة المعتدلة تكتسب التأييد وتظفر بالولاء بطرائق سلمية خالية من الشدة والاعنات . ومحاولتها التأثير على الرأى العام مقصورة على بضعة أشياء لا ترى بداً من الاحتفاظ بها ، ابقاء على مكانتها وتدعيماً لكيانها ، وتترك التفكير فى سائر الاشياء حراً الى حد بعيد . أما الحكومات الديكتاتورية فان الولاء فيها مفروض على الشعب قسراً في غير لين ولا هوادة ، ونفوذ الحكومة متغلغل فى كل شىء ولا عاصم من تدخله وطغيانه . فهى تصوغ للشعب أفكاره وتعمل على ترويجها بما أوتيت من قوة وتعرقل نشر الأفكار التى لا تروقها مهما كان نصيبها من الحق

ولكن حرية الفكر فى الأمم الديموقراطية محدودة فى الناحية العملية الى حد ما . وذلك لوجود مسائل خاصة تحتفظ بها الحكومة وتصونها عن مجال النقد والتجريح . كما أن هناك أفكاراً خاصة تشجعها الحكومة الديموقراطية وتعين على اذاعتها . فهى لا تشجع أية فكرة تعرض سلامة الدولة للخطر ، ولا ترضى أن تصبح مسألة الدفاع عن الوطن وصدق الولاء للحكومة من المسائل التى يعرض لها البحث ويتناولها الشك . وكلما عظم نصيب الحكومة من الحرية قلت من المحظورات وأوسعت المجال لحرية الفكر ولكن ظلا من عدم الاعتدال والميل الى الاستبداد موجود حتى فى أشد الحكومات عطفاً على الحرية وأكثرها إيماناً بضرورتها . ومن هذه الثلمة يجد أنصار الفوضوية منفذاً لالقاء بذور أفكارهم الهادمة الخطرة . وعندما تتعرض الحكومة الديموقراطية لخطر خارجى تتسع منطقة الارغام على الطاعة والولاء ، بل ربما طغى نفوذ الحكومة على الكثير من

الحريات ، ويصبح بعض الأفكار فى نظر الحكومة حقائق مطلقة لامفر من التسليم بصحتها والخضوع لها فى غير تردد وبلا مناقشة صونا للدولة ودرءاً للخطر عن حوزتها

وحكومة الطغيان تدعى القوة المطلقة والسيطرة التامة على حياة الرعية جميعها وتأبى الا الهيمنة على عقولهم وعواطفهم . والفرد فى نظرها خادم للدولة وليس له وجود الابها ، ولا ضير فى التضحية بحريته ومصالحه من أجل مصلحة الدولة . وهذا السمو بفكرة الدولة يجعل المعارضة ضربا من التجديف والتطاول على المقدسات . والديكتاتورية بحكم مركزها وطبيعة خطتها تجعل المعارضة ممتنعة . وهى تعمل على حصر أفكار الشعب فى أضيق نطاق ممكن ليتسنى لها توجيهه حيث شاءت ، وتمزج اخلاص الشعب لفكرة الحكومة باخلاصه للطغيان والطاغية باعتباره أكبر ممثل للحكومة . وفى هذه الحالة يستلزم الاخلاص للحكومة الاعتقاد بفكرة كمال الزعيم وعصمته . وأمثال هذه الأفكار تبثها الديكتاتوريات وتغذيها وتلقنها للشعب فى صورة أفكار ثابتة لايأتيها الباطل ولا يشوبها النقص ، فهى فوق الشك والبحث وعلينا الأخذ بها والاعتقاد بصحتها بلا مراجعة ودون أن نحتكم إلى العقل أو نستعين بالتجربة . وولوع الديكتاتوريات بالاعلان والدعاية وحب المظاهر من الأمور المعروفة . وهى تلجأ إلى ذلك صرفا للافكار عن تأمل العيوب وادراك النقائص

ومن مصلحة الفكر والفن وجود اشخاص عشاق المشارب والميول وجماعات منوعة الغايات والمطالب لكل منها مميزاته البارزة واخلاقه الخاصة ، ولكن حكومة الطغيان تعمل على محو الخصائص وازالة الفوارق فى سبيل وحدة مبتسرة وتوازن زائف دون أن تفسح مجالا لكل فريق ليساهم بنصيبه فى تنمية الحضارة وتوسيع ثروتها

والشرط الأول لحرية الفكر هو رفع العقوبات الراصدة للتعبير عن الرأى . ولكن لم يوجد بعد أمة قد سمت الى هذا المستوى الرفيع . وما زالت بعض الآراء فى الأمم الراقية تضطهد ويحجر على حريتها ، لأن الأغلبية تعتبرها آراء خطرة مستنكرة مع علمها أن أمثال هذه الفكرة هى التى سوغت وجود محكمة التفتيش بقسوتها البالغة وفظائعها الرهيبة . على أن العقوبات القانونية فى العصر الحاضر أخف وطأة فى محاربة الفكر واضطهاده ، وانما أشد العقوبات وأقواها أثراً هو العقوبات الاقتصادية . إذ لا نزاع أن الفكر ليس حرا حيث يحول اعتناق الانسان لافكار خاصة بينه وبين ما يعيش منه ويقيم به أوده ويمسك به رمقه ، وإنما يكون الرأى حراً عندما تتاح له الفرصة للتعبير عن نفسه والتسابق مع سائر الآراء والمعتقدات، وعندما يباح لصاحب الرأى أن يشرح قضيته ويبسط وجهة نظره من دون أن تنزل به عقوبة قانونية أو تهدده ضائقة اقتصادية

والحجر على الفكر يبعث التعصب ويشغل العقول عن تأمل الأشياء من جميع جوانبها. ويخلق المرارة فى النفوس ويوقظ روح الاضطهاد فى الجانبين المختلفين . والطريق الوحيد لمعرفة الحق والاستيثاق منه هو أن نتحرى صحة الوقائع المتصلة بأى أمر من الأمور ، ونلم بجوانبه المختلفة ، وأن

نكبح خلال ذلك أهواءنا ونناقش أصحاب الفكرة المناقضة لفكرتنا ونكون على استعداد للتخلي عن رأينا اذا اقتنعنا بعدم رجحانه وهذا هو الاسلوب المتبع فى العلم . وكل عالم علمى النظرة مخلص فى طلب الحقيقة لا يتردد فى التسليم بأن ما يعد فى الوقت الحاضر من المعرفة العلمية قد يثبت تقدم العلم غداً بطلانه ، ولو أمكن تعميم هذه العقلية العلمية المتسامحة والمستعدة على الدوام لتلقى مختلف الآراء ومناقشتها فى جو من النزاهة والتجرد ، لاستقام الكثير من أحوال العالم المضطربة

ومن المسائل التى لا تعود الذهن حرية التفكير ، الاساليب المتبعة فى التربية الحالية : حتى عند أرق الامم . لانها جميعها قائمة على تلقين الاطفال معلومات عرضة للشك على أنها حقائق ثابتة . والتربية الحقة ترمي الى غايتين : الاولى هى تزويد العقل بمبادىء المعرفة مثل القراءة والكتابة والرياضيات وما الى ذلك من ضروب المعلومات . والثانية اثارة التفكير وتنشيط الفهم حتى يمكن تحصيل المعرفة الصحيحة وتكوين الاحكام المضبوطة . ولئن كانت الغاية الاولى ترمى الى حشد الذهن بالمعلومات ، فان الغاية الثانية تقصد ارهاف العقل وصقل الذكاء . والملحوظ ان أكبر جهد فى التعليم متجه الى الغاية الاولى ومنحرف عن الغاية الثانية ولهذا يكثر بين المتعلمين من لا يستطيعون وزن الامور ولا يجترئون على التفكير بأدمغتهم ، ومن ثم يصبحون قابلين لتصديق كل فكرة خاطئة ودعاية زائفة . والحكومات الديكتاتورية تقدر ما للتربية من الخطر ، ولذلك تحاول صب عقول الناشئة فى القوالب التى تريدها من طريق اعداد الكتب ووضع البرامج وإلقاء المحاضرات اللائمة لخطتها ، وتستغل فى ذلك كل الوسائل التى يسرها لها العلم الحديث

والحرية الصادقة قرينة الديموقراطية الحقة تقوى بقوتها وتضعف بضعفها . وأسباب ضعف الديموقراطية فى العصر الحديث هى نفسها سبب الازمة التى تعانيها الحرية . ويعزو بعض المفكرين سبب ما طرأ على الديموقراطية من الوهن الى شعور الفرد بعجزه عن أن يكون له أثر يذكر فى السياسة ، وذلك لاشتباك الروابط الاقتصادية وتعقيد مشكلاتها واعتقاده بأن المعضلات الاقتصادية التى تواجه العالم فى هذا العصر نتيجة عوامل اقتصادية لا سيطرة له عليها . ومن شأن هذا الاعتقاد أن يجعل الفرد متراخياً فى حقوقه أو ثائراً راغباً فى قلب النظام الحاضر . وقد تعودت الانسانية فى العصر الحاضر التسامح والاعتدال فى المسائل الدينية الى حد ما . ولكن السياسيات والاقتصاديات قد شغلتا المكان الذى كان يشغله الدين قديما . ولا ينال الانسان حريته الا اذا تحرر عقله من نير السلطة وجسمه من تأثير الحاجة ولا سبيل الى ذلك الا بتوطيد النظام الديموقراطى واصلاح عيوبه جهد الطاقة ومعالجة المشكلة الاقتصادية علاجا رائده اسعاد البشرية والسمو بها لا لمصلحة طبقة خاصة أو حزب معين

على أدهم

عصور استقلال لا عصور استعباد

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

> « .. وكيف نتصور مصر أسيرة ترزح فى اصفاد العبودية فى ظلال الدول الطولونية ، والاخشيدية ، والفاطمية ، والايوبية ، ومن قام من بعدهم على عرشها من اسر المماليك المختلفة .. »

تستأنف مصر منذ حصلت فى ٢٦ أغسطس الماضى على وثيقة استقلالها الكامل ، حياتها الحرة المستقلة التى قطعت آخر حلقاتها بدخول انجلترا مصر فى سبتمبر سنة ١٨٨٣

وهذا الحادث السياسى الجلل الذى يرد مصر الى حياة الاستقلال والحرية ، يثير مسألة تاريخية فقهية يهم مصر المستقلة أن تسجل فيها وجهة نظرها ، وأن تفهم على وجهها الصحيح

هل كانت مصر الاسلامية قبل الفتح العثمانى من الوجهة التاريخية والسياسية ، دولة مستقلة كاملة السيادة والحرية ؟ ان البحث الحديث يرى أن مصر كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الكامل فى عهد محمد على ، ومن بعده بنوع من الاستقلال المحدود حتى عصر اسماعيل ، ولكن البحث الحديث ينكر على مصر أنها تمتعت باستقلالها فى ظل الدول الاسلامية المختلفة ، ويصور لنا مصر القديمة منذ العصور الغابرة ضحية مستمرة للفتح والاستعباد المستمر ، حيث افتتحها الفرس ، ثم اليونانيون ، ثم الرومانيون ، ثم العرب ، فمختلف الأسر والدول الاسلامية ، ثم الترك العثمانيون حتى العصر الأخير

والبحث الغربى يجرى على هذا التصوير لمراحل التاريخ المصرى ، ولا يعترف لمصر الاسلامية بشخصية مستقلة ، ولما كانت معظم الكتب والمصادر الحديثة التى وضعت عن مصر وتاريخها غربية أجنبية ، فان هذه النظرية قد أصبحت فى رأى الغرب شبه حقيقة لا سبيل الى مناقشتها ، ومن الاسف اننا ، ونحن فى عصر انتقال ، ننقل عن الغرب هذه النظرية فى تاريخنا القومى ، ونلقنها للنشء فى مدارسنا ومعاهدنا

وقد كانت مصر ، كلما اضطرمت بحركتها القومية ، ورفعت صوتها للمطالبة بحقوقها وحريتها كاملة مستقلة ، شهرت صحف الاستعمار فى وجهها هذا الزعم ، وتساءلت كيف تطالب بالاستقلال والحرية ، أمة لم تذق طعم الاستقلال والحرية منذ آلاف السنين ؟

وهذه النظرية التى يسجلها علينا البحث الغربى نظرية خاطئة لا تقوم على منطق التاريخ وحقائقه ، وهى فوق ذلك نظرية مغرضة اشتركت فى تكوينها وترويجها عوامل ومؤثرات استعمارية لا تخفى غايتها

لقد كانت مصر فى العهدين اليونانى والرومانى فريسة الاستعمار الأجنبى ، ولو أنها تمتعت فى عصر البطالسة بمرحلة استقلال حقيق ، ولكن الفتح العربى جاء لمصر نذير الحرية والاستقلال ، واذا استثنينا القرنين الأولين اللذين كانت مصر فيهما خاضعة لسلطة الخلافة كولاية من ولاياتها ، فان مصر الاسلامية كانت من الوجهتين التاريخية والسياسية أمة حرة مستقلة فى ظل الأسر والدول الاسلامية المختلفة حتى محنة الفتح العثمانى فى سنة ١٥١٧ م

ولبيان ذلك نقول إن سياسة الخلافة أسفرت فى مصر غير بعيد عن خلق شعب مصرى جديد ، يعتنق الاسلام والعربية ، ويمتاز بخواصه الجنسية والاجتماعية الجديدة ، ولا تفرق بينه وبين المجتمعات الاسلامية الأخرى التى انضوت تحت لواء الخلافة حواجز دينية أو اجتماعية خطيرة . فلما انفصلت مصر عن الخلافة كأثر لاحداث الحرب والسياسة ، استقلت مصر بأمرها ومصايرها فى ظل أمير نابه أو أسرة ملكية ناشئة أو متغلبة من نفس المجتمع الاسلامى العام الذى لبثت مصر برغم استقلالها وحدة من وحداته تمت اليه بأوثق الصلات الروحية والعقلية والاجتماعية

ولم يكن قيام هذه الأسرة الملكية الناشئة فى قلب مصر أو المتغلبة على عرشها ليسلب مصر شخصيتها الحرة المستقلة . ذلك أن هذه الاسر لم تكن تمثل فى حكمها دولة متغلبة أخرى ، ولم تكن تعمل لحساب دولة أخرى غير مصر ، بل كانت مصر مستقرها وملاذها وموطن سلطانها وسؤددها ، ولم تكن مصر ترى فى أسرها الملكية سادة تحنى هامها لبطشهم ، ولم تكن تشعر انها تحيا فى ظلهم حياة الذلة والعبودية ، بل كانت ترى فيهم زعماء وقادة اختارتهم أو اختارهم القدر لقيادتها ، والاشراف على مصايرها وقيادتها الى ميادين الحرب والسلام ، ويرون عظمتهم فى عظمتها ومجدهم فى مجدها ، وسؤددهم فى سؤددها

وكيف نتصور مصر أسيرة ترزح فى أصفاد العبودية فى ظلال الدول الطولونية والاخشيدية والفاطمية والأيوبية ، ومن قام من بعدهم على عرشها من أسر المماليك المختلفة ؟ وكيف نتصورها أسيرة مستعبدة فى ظلال زعماء كأحمد بن طولون ، ومحمد الأخشيد ، والمعز لدين الله ، وصلاح الدين ، والكامل ، والظاهر ، والناصر ، وكل هذا الثبت الحافل من الملوك والقادة ؟ ولمن كان يعمل أولئك ؟ وبمن كانوا ملوكا وقادة ؟ وعمن كانوا يذودون ؟ وللمجد من كانوا يغزون ويفتتحون ؟ كانوا يعملون لمصر ، وكانوا ملوكا بمصر ولمصر ، وكانوا يذودون عن مصر بجيوش مصر ومواردها ، وكانوا غزاة وفاتحين باسمها ولحسابها ، وكانوا مصريين فى قلوبهم ومشاعرهم ، تحبوهم مصر بحبها لأنهم يقودونها الى ميادين الظفر والعظمة والرخاء ، ولأنهم

ربطوا مصايرهم بمصايرها ، وغدوا من أبنائها وخدامها : ذلك هو الوضع التاريخى الصحيح لتلك الدول الاسلامية المتعاقبة التى تبنتها مصر وعاشت فى ظلالها حرة مستقلة منذ القرن التاسع الميلادى حتى الفتح العثمانى

ونستطيع أن نفهم طبيعة هذه الأوضاع السياسية للدول الاسلامية اذا ذكرنا ظروف الأمم الاسلامية فى تلك العصور ، وذكرنا روح هذه العصور ذاتها ، فقد كان العالم الاسلامى فى ذاته وحدة سياسية كبيرة ، وكان تقلب العروش والدول الاسلامية فى تلك الأسرة الكبرى أمراً طبيعياً ، ولم يكن تعاقب الزعامة والرياسة بين الدول الاسلامية يتخذ صورة الفتح الأجنبى الا فى فرص قليلة يكون الفاتح فيها أجنبياً أو محدثاً فى الاسلام كالسلاجقة والتتار والترك ، فقد كان هؤلاء أجانب ، وكانوا محدثين فى الاسلام ، وكانت غزواتهم للعالم العربى والاسلامي فتحاً واستعباداً

ويجب من جهة أخرى أن نفهم نظرية الاسر الملكية هنا على حقيقتها ، فهذه الاسر المتغلبة على عرش مصر ، او الناشئة فى مصر ذاتها على انقاض أسر أخرى ، لم تكن فى العرف السياسى سوى أسر مصرية أو متمصرة ، تخلع فى الحال ثوبها الاجنبي ، وتغدو منذ جيلها الاول ممثلة مصر الحقيقية ، تجيش بآمالها وأمانيها ، وتشعر بكل مشاعرها . هكذا كان شأن الدولتين الفاطمية والايوبية ، وهما الدولتان اللتان اتخذتا حين دخولهما مصر صفة الفاتح أو المتغلب ، ولكن ألم يكن المعز لدين الله ممثل مصر وزعيمها وقائدها منذ ارتبطت مصاير اسرته بمصايرها ، ومذ غدت مصر منزل الدولة الفاطمية ومعقلها ومثوى سلطانها وآمالها ؟ ثم ألم يكن صلاح الدين بطل مصر وزعيمها وقائدها الى ميدان النصر فى المعارك الصليبية ؟ والواقع اننا لانستطيع أن نفهم نظرية الاسر والدول فى مصر الاسلامية على غير هذا الوضع ، والا انعكست الآية فى تكييف شخصية الأمم وتكييف حرياتها واستقلالها . وأمامنا فى التاريخ الاوربي أمثلة بارزة لأمم فى مثل هذه الظروف والأوضاع ، فقد كان كارل الاكبر (شارلمان) أعظم ملوك فرنسا فى العصور الوسطى ينتمى الى اسرة فرنجية المانية وهى التى حكمت فرنسا خلال القرنين الثامن والتاسع ، ولكن شارلمان يمثل فى تاريخ فرنسا القومى ملكا من اعظم ملوكها وبطلا من أعظم ابطالها الذين اشتركوا فى بناء عظمتها القومية ، ولم يقل مؤرخ ان فرنسا كانت فى ظل المملكة الفرنجية أمة مفتوحة مستعبدة فقدت استقلالها وحرياتها فى ظل الاجنبي . ثم ألم يكن نابليون بونابرت ايطاليا قبض على مصاير فرنسا وقادها الى ميادين الظفر وجلس على عرشها ؟ ومع ذلك فلم يقل أحد ان فرنسا فقدت فى ظل حكمه استقلالها وحرياتها

وأخيراً ينعون على مصر أنها لبثت فى ظل الحكم التركي ثلاثة قرون لا تفيق من محنتها ، ولا تحرك ساكنا لاسترداد حريتها . ومع أن هذا القول لا يمثل كل حقائق هذه المرحلة السوداء من تاريخ مصر ، لأن مصر حاولت غير مرة على يد زعمائها الاقطاعيين أن تحطم النير الأجنبي ، فانا نستطيع

أن نلاحظ أن مصر لم تنفرد بهذه الحالة بين الأمم المغلوبة . وأمامنا عدد من الأمم الأوربية التى لبثت عصوراً تحت الحكم الاجنبى ثم فازت بعد طول الأسر والكفاح بحرياتها واستقلالها . مثال ذلك اليونان التى لبثت قروناً تحت حكم الرومان والبنادقة والترك ، وايطاليا التى تتبوأ اليوم مقامها بين الدول العظمى ، والتى لم تفز بحرياتها واستقلالها الا منذ أواخر القرن الماضى ، ثم بولونيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر التى لم تفز بحرياتها إلا كأثر لارادة الحلفاء الظافرين فى الحرب الكبرى

ومع ذلك فلم يقل أحد أن هذه الامم ليست جديرة بأن تتمتع بحرياتها واستقلالها لانها لبثت عصوراً تعانى مرارة الحكم الاجنبى

لقد فازت مصر باستقلالها وحرياتها بعد طول كفاح ، وقد عرفت مصر نعمة الحرية والاستقلال من قبل عصورا ، كما عرفت ويلات العبودية والحكم الاجنبى عصوراً ، وها هى الآن تستأنف عصور الحرية والاستقلال ، وتستقبل عهدها الجديد ، مغتبطة مستبشرة تضطرم بأعظم الامانى والآمال

محمد عبد الله عنان

أتركوا الأبناء فى الحياة الحرة

أتركوا الأبناء معشر الآباء فى الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا الوطن ويخدموا انفسهم فى غير دائرة الوظائف . أتركوهم أحرارا غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ، ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع لكي تزدادوا بذلك شرفاً وفخرا ، وتزدادوا بذلك أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا ، وإلا فان أهملت تربية الأمة وبقى الكبراء منعكفين فى ادارة شئونهم الخاصة ، واستمر الآباء يلقون بالأبناء الى مهاوى التوظف فى الوظائف ، وبقيت التجارة والصناعة فى كساد ، ودامت الأمة فى حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها دام الانحطاط ودام التأخر ودام الخطر

مصطفى كامل

الحرّيّة
مالها وما عليها

بقلم الدكتور أمير بقطر

تطور الحرية ـ الحرية حلقة من سلسلة اجتماعية خطيرة ـ ما عليها ـ مالها ـ متى ينجح الاستبداد ـ متى تنجح الحرية

إذا صح الاعتقاد العلمى أن الانسان نشأ فى البدء حيواناً صغيراً ذا خلية واحدة ، ثم تزايدت خلاياه على مدى مئات الألوف من السنين ، فان الاطوار التى مرت على الحرية ، لا تختلف كثيراً عن تلك التى مرت بذلك الكائن الحى الذى ندعوه الانسان

وحسبنا الرجوع بالحرية الى ثلاثة عصور ، العصر القديم ، والعصور الوسطى ، والعصر الحديث . ففى العصر القديم (الشرق) أو كما يسمونه عصر الأنهار المقدسة (الكنج والنيل والفرات ودجلة) كانت الحرية ذات خلية واحدة ، بمعنى أنها كانت مقصورة على الحاكم أو ولى الأمر دون سواه ، وهذا معنى الاوتوقراطية . وفى العصور الوسطى ـ ابتداء من عصرى الاغريق والرومان وما بعدهما مما يسمونه مدنية البحر الابيض المتوسط ـ كانت الحرية ذات خلايا قليلة تعد على الأصابع . لأنها كانت محصورة فى عدد قليل من الاشراف ، وهذا معنى الارستقراطية . وفى العصر الحديث ، أو ما يسمونه مدنية المحيط الاطلانطى ، تتجه الحرية الى أن تكون ذات مئات الملايين من الخلايا ، لانها تشمل مئات الملايين من السكان . وان وقفت البلشفية والنازية والفاشية فى سبيلها ، وهذا معنى الديموقراطية

الحرية حلقة من سلسلة اجتماعية خطيرة

قلما تأتى حوادث الدهر فرادى ، فكل وثبة فى ناحية اجتماعية ، لا بد من أن تتبعها وثبات من نواح أخرى ، بعضها مؤيدة للوثبة الاولى ، والبعض الآخر مشوه لمحاسنها ، ان لم يكن معطلا لنجاحها . فالحرية وليدة الانتقال من العصر الزراعى الى العصر الصناعى ، ومن سكنى الريف والقرى ، الى سكنى الحضر والمدن . فما كادت موجة هذا الانتقال تغطى وجه اليابسة ، حتى هبت نسمات الحرية ، وولدت الديموقراطية ، وتبوأ العلم مكانة رفيعة ، وفقدت الفنون الجميلة شيئاً من

منزلتها السامية ، ونهضت المرأة وفكت من أغلالها ، وفصمت عروة الزواج والاسرة فى كثير من البلدان ، وكسر قانون الاخلاق القويم ، وهدمت أركان الزهد والشرف ، ورفع مقام الشهوة فوق القناعة ، وقلت الوقائع الحرية عدداً ، ولكنها زادت هولا واشتد لهبها وطيساً ، وانحلت تقاليد وعادات ، وذابت كالشمع عقائد ، وتقوضت أركان فلسفات روحية ، وقام على أنقاضها فلسفات ميكانيكية مادية . وأطلق العنان للتفكير الحر . ووضع حد للارستقراطية والملكية

ما عليها

اعتاد الناس أن يسيئوا استعمال الحرية ، ثم هم ينقلبون عليها فيلومونها . وشأنهم فى ذلك شأن الحقوق الممنوحة ، وشأن المكتشفات والمخترعات . والتمادى فى الحرية الى حد يتألم منه الغير ، تمادياً أساسه الانانية ، وتغلب العاطفة على العقل الانسانى

قال فولتير : « إن التفكير فى المانيا أصبح عملا غير شرعى بعد موت فريدريك الكبير » ، وقد ظلت الحالة كذلك الى نهاية الحرب العالمية ، حيث أطلقت الافكار من عقالها ، وانفجرت عواطف ظلت مكبوتة طيلة ذلك الزمن ، فذهب تيارها الجارف الى أبعد مدى ، ولم يبق أمامه من شىء . وفى العبارة التالية التى أنقلها عن كاتب أمريكى فى مؤلف جليل ظهر هذا العام [١] خير وصف للحرية الجامحة وهى :

« ... ولم تكد الحرب العالمية تضع أوزارها ، حتى أطلقت الحرية للشعب الالمانى فى شىء من اليأس والاستسلام والاستهتار ، فسفت الاخلاق الى الحضيض ، وهبطت الى أعمق الاغوار ، وغطى الادب والفن والصحافة والمسرح طوفان من الخلاعة ، وتمخضت الطبيعة الحيوانية بغير رادع ، وغصت شوارع برلين ببنات الهوى ، وفتحت أمام عيون البوليس مواخير لممارسة اللواط ، وغيرها لممارسة السحاق ، فاكتظت الواحدة بالرجال والغلمان ، وامتلأت الاخرى بالنساء والفتيات ، وضاق « الالدرادو » بقرب ميدان نولندورف (Nollendorf Platz) على سعته بالرجال فى زى النساء ، الى أن قضى عليه النازى أخيراً ، وانتشرت القهوات التى تدير حفلات الرقص فى الدور الاول ، وغرف النوم فى الثانى . . . »

وكثيراً ما يؤدى الاسترسال فى الحرية الى الاستخفاف بالسلطات العليا ، والازدراء بالقوانين والشرع ، والاستهزاء بأحكام القضاء ، كما نجد ذلك ممثلا فى العصابات الامريكية التى يتألف أفرادها عادة من مهاجرين لم يألفوا تلك الحرية المطلقة ، ولم يسبق لهم فى بلادهم عهد بالديموقراطية الحقة . وها هى حرية النشر ، تنقلب عند من يسيئون الحرية ، الى حرية التشنيع والقذف والهجو . فلا يتورع أصحابها أن يتخذوها سبيلا الى غزو الأفراد فى أعز ما لديهم من شرف وعزة وكرامة ،

(١) Colton, "Four Patterns of Revolution" Association Press, New-York

فيتجسسون وراءهم فى أنديتهم وخلواتهم وغرف نومهم ، ثم يرسمون للجمهور على حسابهم أحط الفضائح الانسانية ، واذا نوقشوا عليها الحساب ، رفعوا عقيرتهم ، وتستروا وراء الحرية فى جبن وصفاقة

وهناك فئة قليلة (والحمد لله) من الناس ، اذا أطلقت لها الحرية على منتهاها ، انتفضت على رب الحرية ، وفتكت به ، كالحية التى توددت اليها المرأة وبالغت فى اكرامها ومداعبتها ، فلما ضمتها الى صدرها ، أنشبت فيه نابها ، ونفثت فيه السم الزعاف

وتنبئنا الحوادث أن نغمة الحرية التى تتغنى بها الجماعة تؤدى فى بادىء الأمر الى عصر ذهبي يأخذ فيه العدل مجراه بين الافراد على اختلاف نزعاتهم ، ولكن كثيراً ما يحدث أن الزعماء بعد أن تستتب لهم القوة والزعامة يجنحون الى الظلم والاستبداد ، ناسين أنهم لم يتبوءوا الزعامة الا باسم الحرية والديموقراطية والعدل . كذلك الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها ، التي كانت تنشد الحرية بالأمس ، لا تكاد تحرر من نير الاستعباد حتى تشرع فى استعباد غيرها والقضاء على حرية الآخرين

وللحرية والديموقراطية أعداء ، يسددون اليهما أحيانا ، أشد السهام فتكا . وبين هذه السهام قولهم أن الحرية عند حلول الأزمات ، ووقوع الكوارث والضائقات القومية ، عاجزة كل العجز عن انتشال الأمة من وهدة السقوط . وللكاتب الانجليزى المعروف « ماكولى » قول مأثور بهذا الصدد ، وهو : « كم من جيش انتصر بقيادة جندى غير باسل ، ولكن هل سمع أحد عن جيش انتصر بقيادة برلمان ؟ »

وقال عالم حديث من علماء التوالد : « إن الحرية تحتاج الى كثير من الذكاء ، ولكن إحصاء المواليد يدلنا على أن فى كل دقيقة يولد فى العالم مئنا غبي ، فكيف يتسنى لهذا الجيش من الأغبياء ضعاف العقول ، أن يصونوا الحرية ، ويعيشوا فى جو الديموقراطية ؟ »

وفولتير ، على دفاعه المجيد فى سبيل الحرية الفكرية ، كان يؤثر الملكية على الديموقراطية . لأن الأولى تحتاج الى تربية رجل واحد ، فى حين أن الثانية تتطلب تربية الملايين ، وحفار القبور يدفن هذه الملايين قبل أن يتمكن أولو الشأن من تربية عشرة فى المائة منهم

مزاياها

ولكن مهما قيل فى عيوب الحرية ، فان هذه العيوب لا تنصب على الحرية مباشرة ، بل على أولئك الذين يتخذون من صفاتها السمحة وسيلة للتعدى على حقوق الغير والحد من حريتهم . ومهما قيل فى طبيعة بعض بنى الانسان من التدهور والانحطاط ، إذا ما أعطيت نصيباً وافراً من الحرية ، فان هذا العيب لا يعد شيئاً فى جانب المزايا التى تنالها الانسانية جمعاء من العيش فى جو

تسوده روح الحرية . فالشجاعة الادبية والاقدام والثقة بالنفس والاعتماد عليها ، والمغامرة واقتحام المصاعب ، والابتكار ، والتغيير ، كلها صفات لا تحيا الا بالحرية ، ولا تسمو الا بها . وأكبر دليل على ذلك أن ألمانيا تلك البلاد التي لعلمائها الفضل العظيم على الاختراع والحضارة ، والعلم ، والثقافة والادب ، يشكو أبناؤها اليوم مر الشكوى من قلة الانتاج الادبي . وقد هبط هذا الانتاج هبوطاً عظيما منذ أن ضربت النازية نطاقها الحديدي حول حرية الفكر ، وحرية الصحافة ، وحرية الكلام . وايطاليا يشكو أبناؤها كذلك من أنهم يعتمدون في قراءتهم على المؤلفات والكتب الاجنبية المترجمة الى الايطالية ، ولعلهم لا يستطيعون الانكار أن هذا الفقر الادبي لم يكن الا نتيجة منتظرة للفاشية ويدها الحديدية ، تلك اليد التي ساقت الناس كالاغنام ، مدفوعين من الخلف دفعاً ميكانيكياً صناعياً لا طبيعياً . وما هذه الشجاعة التي نراها مجسمة في الاستعداد للقتال والنزوع الى الحرب ، سوى ثورة نفسية وقتية ، مصدرها الخوف والاستسلام

يقول الفلاسفة المحدثون إنه في كل ما يتعلق بالبشر ، كل شيء صناعي يرجع الى أصل طبيعي . فالتعبير - كالابتسام والنظرات والحركات وتغيرات الوجه - طبيعي ، ولكن اللغة صناعية ، والدين طبيعي ، ولكن أماكن العبادة (الكنيسة والمسجد) صناعية . والمجتمع طبيعي ، ولكن الدولة صناعية . والحرية طبيعية ، ولكن القوانين والشرائع صناعية . وليس الخوف أن ننشيء هذه المنشآت الصناعية كاللغة ، وأماكن العبادة ، والدول ، والقوانين ، ولكن الخوف أن نتمادى فيها تمادياً ينسينا الطبيعة ويحيدنا عنها . فكثرة القوانين والشرائع مثلا دليل الضعف وإجحاف بحقوق الافراد ، وافتيات على حرياتهم . ويقول المثل الانجليزي : « خير الحكام من قل حكمه[1] »

من أبدع ما جاهر به المفكرون في أمريكا عند مقاومة تحريم الخمور قولهم ان المفروض في كل البلدان أن بعض الناس أغبياء ، يسيئون استعمال الخمور . غير ان سن القوانين التي تحرم الخمور بتاتا ، اعتراف ضمني أن جميع أبناء الامة أغبياء . وهذا ما لا يرضاه شعب حر ديموقراطي كالشعب الامريكي

كتب روائي ، لا أذكر اسمه الآن ، يصف بلداً من البلدان التي أصبحت فيها الحرية تاريخاً قديماً . وقد أصاب وصفه البديع كبد الحقيقة فلم يسعني الا أن أدون في مذكراتي الخاصة هذه العبارة وهذه ترجمتها :

« . . . كمت الافواه . وهمس الناس في آذان بعضهم البعض . وحرمت المناقشة في الموضوعات العامة . إلا من خلف الاستار والحجب . فتمكن الاحتراس والحذر من نفوس القوم . حتى اضمحلت أذواقهم ، ودفنت شهواتهم الطبيعية ، وذوت ميولهم ، وباتوا في منازلهم كالفيران في جحورها ، والجرذان في أوكارها . تسير في حذر على أصابعها ، وتنزلق على سطوح الاشياء في

(١) He governs best who governs least.

دياجير من الظلم . ولم يك ثمة فى تلك البلاد من دليل على أن طاحونة الحياة تدور دواليبها ، سوى صناديق المهملات خارج المنازل ، تحمل فضلات الطعام والشراب ... »

متى ينجح الاستبداد

الامم التى يقتلها القنوط واليأس ، هى التى ترضى بالاستبداد ، وتخضع للدكتاتورية ، وتستسلم لقتل الحرية ، فالبلشفية ، والفاشية ، والنازية ، لم تنجح إلا بعد جوع ، وفاقة ، وعذاب وضياع أمل ، وقحط ، ووحشية فى الاولى ، وقنوط اقتصادى فى الثانية والثالثة . وقد حاولت أمريكا ان تسير تدريجاً فى طريق الفاشية ففشلت . ولم يستطع أنصار الفاشية أن يخطوا فى ذلك الطريق خطوة واحدة . وذلك لانها لم تيأس ولم تقترب من شبح اليأس شبراً واحداً . وقد حاولت بعض الهيئات فى انجلترا عبثاً ان تسبر غور هذا الطريق الوعر فشلت اقدامها قبل البدء فى السير . لان انجلترا كما قال « أدن » وزير خارجيتها أخيراً ، تؤمن بالحرية والديموقراطية ، ولكنها لا تنادى بهما على رءوس الاشهاد . والايمان كما نعلم ضد اليأس وفقدان الرجاء

لما نالت امريكا استقلالها كتب فى وثيقة الاستقلال هذه العبارة : « ان أغراض الحكم الذاتى ثلاثة : الحياة والحرية والسعادة » ويغلب على الظن أن ذوى الايدى الحديدية فى هـذا العصر لم يجدوا السعادة فى الحرية والديموقراطية ، فراحوا يبحثون عنها فى ما هو على النقيض منهما

متى تنجح الحرية

من الاقوال المأثورة فى علم سياسة الدول أن الحرية كالصدقة يجب أن تبدأ بالاقارب والاهلين . ومعنى ذلك أوسع مما يدل عليها ظاهرها . إذ أن حرية الشعوب الحقة ، لا تتم الا بايمان أبنائها بهذه الحرية ، وبشعور الأفراد بها ، وبتقديسهم إياها ، وغيرتهم عليها ، والدفاع عنها ، كلما تعرضت للأذى ، دفاعاً صادراً عن عقيدة شخصية ووازع داخلى . ولا يخفى أن أشد الناس عداوة للحرية هم الذين لم يتذوقوا حلاوتها الا فى سن متأخرة ، ولذا تراهم فيما يتعلق بالآخرين يمقتون الحرية ويحاربونها بكل قواهم ، ونجدهم على الدوام يعلقون كباراً بأسنانهم بالسلاسل التى قيدت بها أيديهم وأرجلهم صغاراً

ويتبع حرية الأفراد حرية الجماعات والمؤسسات . فالحرية فى المعاهد العلمية (الحرية الجامعية والمدرسية) ، والحرية فى الدين ، والتفكير الدينى ، والحرية فى السياسة والتفكير السياسى ، والحرية فى الخطابة والكتابة والكلام ــ كلها حريات يجب أن تسبق الحرية القومية ، وبدونها تكون هذه الحرية حبرا على ورق . وقد تستولى على القارىء الدهشة إذا علم أن جل ما شغل أذهان علماء التربية هذا العام فى أوربا وأمريكا ، فى مؤتمراتها العديدة ، ومجتمعاتها وأنديتها ، هو الحرية المدرسية أو الجامعية (academic freedom) وحسبنا أن نذكر أن جامعات اكسفورد وكمبردج

وبرمنجهام رفضت دعوة وجهت اليها من جامعة هيدلبرج ، وهى من أشهر جامعات المانيا وأعرقها بمناسبة مرور ٥٥٠ عاماً على تأسيسها ، نظراً لزوال الحرية الجامعية هناك منذ قيام النازية

إن الحرية أو الديموقراطية فى رأى علماء أمريكا وكبار ساستهم ، تستند على أساسين متينين ، وهما (أولا) ان الغالبية هى التى تقرر السياسة العامة ، وتبت فى مسألة معينة فى وقت معين . (وثانياً) حق الأقلية فى أن تحاول أن تكون غالبية طبق مبادئها ، وذلك بما يجب أن يخول لأفرادها من حرية الكلام والصحافة والاجتماع . وما يخول لأعضائها من احترام الرأى وصيانة النفس

الحرية والنظام يتصادمان فى كثير من الأحوال . ولذا يعتقد الاوتقراطيون أن رأس الحكمة حفظ النظام ، وأن رأس الحماقة التغيير والحرية . غير أن الجماعة الكاملة ، كما قال أحدهم ، هى ما كان يحكمها مزيج من الفوضى والنظام ، أى الحرية والقانون

كان تاليراند (Talleyrand) يقول : « من لم يعش قبل سنة ١٧٨٩ (الثورة الفرنسية) لم يذق طعم الحياة والحرية . إذ كان المجتمع قبل ذلك التاريخ يشبه بناية مكونة من طبقات منفصلة بعضها عن بعض ، ولم يكن بين الطبقة والأخرى سلم . فكان الفلاحون فى الطبقة السفلى يحرثون الأرض ولا يستطيعون التسلق الى الطبقة العليا ، وكان الأشراف فى الطبقة العليا يرتعون فى مراتع القصف والترف واللهو ولا يبالون بحياة جيرانهم فى الطبقة السفلى »

حرية الفرد تنتهى حيث تبدأ حرية سواه . هكذا يقول الذين يفهمون معنى النظام ومراعاة الآخرين ، والمدنية (كما يقول الفلاسفة) بغير ضابط أو تحفظ مستحيلة ، ولا حرية بدون ضابط ، ولا توجد حرية حيث لا يوجد قانون يضع حداً للتطرف والأنانية

امير بقطر

أمطرى لؤلؤاً جبال سرنديب وفيضى آبار تكرور تبرا
أنا ما عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أفقد قبرا
همتى همة الملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفرا

الشريف الرضى

هل هناك دولة ذات استقلال تام

بقلم الأستاذ محمد شوكت التونى

ماهو الاستقلال — مصر اقدم دولة مستقلة — الدولة المستقلة — حقوق الدولة المستقلة — هل هنـــاك دولة ذات استقلال تام

الاستقلال هو الحق الذى تملكه الدولة فيكون لها بمقتضاه أن تتصرف فى جميع شئونها الداخلية والخارجية حرة لا معقب لارادتها غير القوانين التى وضعتها ، وبه ترد كل تدخل أجنبي فى أمورها الداخلية والخارجية

وفكرة الاستقلال نشأت معاصرة لوجود الجماعة المتحدة قبل قيام الدول السياسية . فالمعروف أن النظام الاجتماعى ابتدأ بالاسرة . ثم أعقبه نظام القبيلة ، ثم المدينة. وبعد ذلك تكونت الدول من اتحاد بعض المدن . وقد ابتدأ الاستقلال مع نشوء الأسرة ، فكل أسرة كانت تعيش مستقلة عن الأخرى ، لها عرفها ولها قوانينها البدائية (primitif) . ولها ملكيتها الخاصة التى تدافع عنها دفاعاً يثير الحرب ، ولا تربطها بالأسرات الأخرى أية رابطة من الروابط السياسية أو الاجتماعية . وكذلك كان الحال عندما نشأت المدن . وأقدمها نشأ فى مصر القديمة ثم اليونان . وقد كانت كل من اسبرطة وأثينا مدينة مستقلة ذات حكومة سياسية . ثم اتحدت مدن اليونان وكونت دولة أو دولا مستقلة . وكذلك نشأت روما مدينة مستقلة ثم كونت الامبراطورية الرومانية الغربية التى أصبحت دولة مستقلة

مصر أقدم دولة مستقلة

غير أنه قد سبق نشوء الدولة اليونانية ، والدولة الرومانية ، قيام دولة سياسية مستقلة استقلالا تاما على ضفاف النيل . توافرت فيها كل عناصر تكوين الدولة ، ويجوز أن يكون عاصر قيامها قيام أمم مستقلة أخرى كأمة الأشوريين والفينيقيين والصين . ولكنها كلها لم تكن دولا مستقلة وإنما كانت أمماً ــ أما مصر فقد كانت دولة مستقلة لها أرض وفيها جماعة تنتسب الى أصل واحد وتتكلم لغة واحدة ، لها نظام حكومى . وهى ذات سيادة فى الداخل والخارج ، تحيا حياة اجتماعية راقية

وقد كان الاستقلال فى صورته الأولى أحرى أن يسمى « عزلة » وقد كانت كل من الاسرة والمدينة والدولة منعزلة عن غيرها ، لا تدخل الواحدة مع الاخرى فى علائق . . . . . إلا علائق الحرب ، ثم تقدمت المدنية بالدول فاستجدت بينها علائق كانت مبدأ نشوء القانون الدولى

ولعل مصر هي مهد القانون الدولى . فقد تحالف ملوكها مع أمم أشور وبابل وبلاد العجم واليونان وغيرها محالفات سياسية وأخرى تجارية . وكان منها ما يتعلق بأيام السلم ومنها ما يتعلق بأيام الحرب ، فكانت بذلك أقدم أمة مستقلة . وأقدم أمة نشأ فيها القانون الدولى

ولسنا نذهب هذا المذهب فى رأينا مدفوعين بعاطفة وطنية ، ولكننابحثنا طويلا فى سبيل توكيد هذا الرأى فوجدنا أن العالم الكبير أوبنهيم (Oppenheim) قد ذهب هذا المذهب ورأى هذا الرأى[١]

وقد أخذ الاستقلال على ممر الأيام يتدرج من شكل العزلة شيئاً فشيئاً بين الدول تحوطه مظاهر وعوامل جعلته محدوداً فى كل دولة من الدول كما سنرى عند التكلم عن الدول المستقلة

الدولة المستقلة

الدولة المستقلة هي التي يكون لها حق السيادة التامة فى الداخل والخارج

وسيادة الدولة (Sovereignty) هي حقها فى ادارة شئونها الداخلية والخارجية دون رقابة من الدول الأخرى[٢] ويلاحظ أن هناك فرقا بين الاستقلال (Independence) والسيادة (Sovereignty) فهما فى المبدأ مظهران لحالة قائمة فى الدولة تجعلانها تتمكن من التصرف بحرية فى شئونها

غير أن السيادة أعم من الاستقلال . والاستقلال جزء من السيادة ومظهر من مظاهرها وهذه المظاهر يمكن حصرها فيما يلى :

١ ـ حريتها فى التصرف فى شئونها الداخلية والخارجية بلا هيمنة أو رقابة من الدول الاخرى وهو المعبر عنه بالاستقلال Internal and External Independence

٢ ـ سلطان الدولة على كل ما يوجد فى اقليمها من أشخاص وأملاك وهو ما يسمى فى لغة القانون بالسيادة الاقليمية Dominium or Territorial

٣ ـ سلطان الدولة على أفراد رعاياها سواء أكانوا مقيمين داخل اقليمها أم خارجه . ويعبرون عن ذلك بالسيادة الشخصية Imperium or Personal Supremacy[٣]

حقوق الدولة المستقلة

وللدولة المستقلة حقوق تمارسها ، هى مظهر سيادتها في الداخل والخارج . ففى داخل بلادها لها الحق فى اختيار شكل الحكومة ونظام الحكم فيها بما يكون مطابقاً لظروفها وتعديل هذا النظام كما يتراءى لها فى نطاق من حقوق الدول الأخرى

كما أن لها الحق فى التشريع حسب حاجاتها الاجتماعية وتطبيق هذه التشريعات على أهلها والأجانب ـ وذلك أيضاً فى حدود لا تتعدى حقوق الدول الأخرى

---

(١) Oppenheim; P. 28 (٢) Laurence. Int. Law P. 119

(٣) القانون الدولى العام للدكتور سامي جنينة

ولها حق تقرير أمورها الدينية والادارية ومعاملة أهلها فى حدود وطنها

وفى خارج بلادها لها أن تعلن الحرب وتعقد الصلح وتبعث الممثلين السياسيين وتتفاوض وتعقد المعاهدات منفردة بلا شريك ولها حق اختيار الدول التى تريد أن تدخل معها فى علائق سياسية

ولها الحق فى قبول وإبعاد الأجانب وتنظيم ذلك بقوانين

ولها حق الملكية على أراضيها ـ وقد تكون ملكية سياسية ـ اذ لا يمنع أن يكون للاجانب ملكيات خاصة فى كثير من الدول. ولها حق التملك فى الفتح والاستعمار، ووضع اليد، وانشاء حقوق ارتفاق على أراضى الدول، والتنازل عن حقوق لها، وحماية غيرها من الدول الصغيرة. وتأجير أراض ـ قد تكون وطناً لبعض الأمم ـ وإيجاد منطقة نفوذ سواء فى الماء أو الأرض أو الهواء، والتدخل فى شئون الدول الأخرى عند ما ينشأ ما يمس كيانها أو أهلها أو يمس القانون الدولى

كل هذا فى نطاق من الحدود. وهذه الحدود هى السياج الذى تقف عنده حقوق الدول الأخرى أمام حقوقها وجها لوجه وهذا ما نجمله فيما يأتى:

هل هناك دولة ذات استقلال تام

وقد كانت سيادة الدولة تامة فعلا فى العصور القديمة والعصور الوسطى، لكن فى العصور الحديثة أصبحت السيادة التامة وهما وخيالا

ولقد كانت حرية الفرد واسعة لا نطاق لها فى الأزمان القديمة، ولكنها فى العصور الحديثة أصبحت محدودة بالقوانين السموية، وبالقوانين الوضعية بما تعطيه هذه وتلك من حقوق للآخرين على حساب الفرد مما يحد من حريته وينتقص من صميمها الشىء الكثير

ولقد تواضع العلماء على تقرير أن حرية الفرد المطلقة غير موجودة على الأرض. وأن اعطاء هذه الحرية موجب للفوضى، ومقوض لدعائم النظام الاجتماعى، ومفسد لقوانين الأرض والسماء

وكذلك اتجهت الآراء الحديثة. واتفق العلماء على أن حرية الدول وسيادتها واستقلالها كلها نسبية. وانه ما من دولة فى الأرض تستطيع أن تكون حرة من كل قيد. لأن هذا يوجب بقاءها منعزلة عن العالم كله، وخاصة بعد أن اشتبكت مصالح الدول بعضها ببعض بفعل العوامل الاقتصادية والتجارية ونشوء طرق المواصلات العديدة والسريعة. وأمست الدول جميعها تعتبر أنها تعيش فى مجتمع دولى، وانها أعضاء فى هيئة انسانية. أما اعتبارات الدولة بشخصها والفرد بذاته وتبعيته للدولة فتأتى فى المرتبة الثانية بعد الاعتبارات الانسانية. وقد كثرت القيود التى تتقيد بها الدول العظمى منها والصغرى فى تصرفاتها دون أن تعتبر تلك القيود حداً من حريتها أو انتقاصاً من سيادتها، لأنها جميعاً تعارفت على أن السيادة الفعلية هى السيادة النسبية لا المطلقة

وانا نورد فيما يلى بعض الامثلة للقيود التى تتقيد بها الدول :

ا ـ لكل دولة الحق فى أن تقيم فى بلادها نظاما حكومياً كما تبغى وتحب ، ولكنها تقف عند حد حقوق الدول الأخرى بحيث لايكون النظام السياسى الذى تقيمه الدولة فى بلادها مخالفاً لأسس المدنية والحضارة . ولا أن تسمح دولة من الدول بجعل بلادها وكراً للمؤامرات

ب ـ لكل دولة الحق فى معاملة رعايا الدولة الأخرى المقيمين على أرضها بكل ما يرد فى قوانينها من مبادىء وعقوبات . ولكنها لا تستطيع أن تشرع قوانين ضد قواعد القانون الدولى العام ، أو ضد معاهدة قائمة . ومع حرية الدولة فى معاملة الأجانب بقوانينها فانها لا تستطيع تجنيدهم . ومع حريتها فى معاملة أفرادها المقيمين على أرض دولة أخرى كما تشاء ، إلا أنها لا تستطيع أن تجعلهم يقومون بأعمال مخالفة لقوانين الدولة التى يقيمون فيها بعمل ما هو محظور أو الامتناع عما هو واجب

جـ ـ كون الدولة عضواً فى العائلة الدولية يحتم عليها قبول كل ما تقرره الدول العظمى فى مؤتمراتها

فمثلا أوجد المؤتمر الأوربى (Le Concert européen) الذى نشأ عقب مؤتمر فيينا حالات تدخل من الدول العظمى التى اشتركت فيه مست سيادة الدول ـ ومنها هذه الدول العظمى ـ سواء فى القارة الأوربية أو فى غيرها

وقد ساعد اليونان إلى الوصول إلى استقلالها (١٨٣٠) وعضد بلجيكا فى حركتها الانفصالية عن هولندا وأعلن استقلالها ثم قرر وضعها فى حالة حياد دائم (وهو الحياد الذى حطمته المانيا فى الحرب العظمى) ومد تأثيره الى الروسيا حتى جعلها تستبدل قرارات مؤتمر برلين بمعاهدة سان استيفانو سنة ١٨٧٨ وتولى تنظيم المسائل الخاصة بالملاحة الدولية وغيرها من المسائل التى تهم القارة

كما تدخل فى أمر محمد على لما أراد انشاء الأمبراطورية المصرية وهاجم تركيا واضطر اليابان إلى رد بورت أرثور الى الصين

د ـ المعاهدات والمحالفات وما تستلزمه من ايجاد قيود والتزامات

محمد شوكت التونى

المحامى

حرية الأحزاب السياسية
بين الديمقراطية والفاشسم

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

تمثل الحرب الأهلية الناشبة فى اسبانيا صورة مروعة من الصراع القائم فى أوربا الآن بين الديمقراطية والفاشسم

فمنذ أن بسط الفاشسم سلطانه على ايطاليا والمانيا وتمكنت نظرياته من عقول وقلوب العناصر الساذجة فى هاتين الأمتين ، ومنذ أن استطاعت ايطاليا وهي فى ظل النظام الفاشستى أن تخرج ظافرة من حرب الحبشة بعد إذلال بريطانيا وإضعاف عصبة الأمم ، ومنذ استطاعت المانيا وهي فى ظل النظام الفاشستى أن تهدم شيئا فشيئا معاهدة فرسايل وتعقد مع بريطانيا الاتفاق البحرى وتعلن التجنيد الاجبارى ، وتحتل منطقة الرين المجردة من السلاح ، وتضاعف مدة الخدمة العسكرية — منذ أن قامت الأمتان الفاشستيتان الكبيرتان بهذه الأعمال كلها ، سرت عدوى الفاشسم بشكل ظاهر فى مختلف الأمم الأوربية ولا سيما بين أحزاب اليمين المحافظة وفى دوائر كبار أصحاب الأعمال ورءوس الأموال

كانت الأمم الديموقراطية وفى طليعتها فرنسا وبريطانيا قد اعتادت أن تحل مشاكلها بالطرق الدبلوماسية بعد أن خبرت الحرب وعرفت ويلاتها . فجاء الفاشسم يبشر بالروح العسكرية ويلوح بشبح الحرب ويهدد فى كل لحظة باعلانها ، وهكذا تمكن من التهويش على الأمم الديموقراطية وانتفع بالمنازعات السياسية القائمة بينها فأحرز النصر فى مسألة الحبشة وفي تقويض دعائم معاهدة فرسايل

ولولا إسراف بريطانيا فى الاعتماد على مهارتها السياسية وتهاونها فى تعزيز سلاحها لما خاطر موسولينى بغزو الحبشة ولما انتصر الفاشسم هناك

ولولا رغبة بريطانيا فى التخلص من ضمان سلامة فرنسا جارتها الديموقراطية وميلها الى إضعاف فرنسا وتقوية المانيا لتتولى هي قيادة السياسة الأوربية . ما تمكن الفاشسم فى المانيا من هدم معاهدة فرسايل ، وما دفعت فرنسا بايطاليا الى غزو الحبشة تحذيراً لبريطانيا وإرهاباً لها

فالخلافات التى نشبت بين الأمتين الديمقراطيتين الكبيرتين خدمت الفاشسم الذى خرج منتصراً وأصبح يهدد الآن النظام الديموقراطى فى أوربا بأسرها

ظهر الفاشسم فى البرتغال فى شخص السنيور أولفيرا سالازار ، وظهر فى فرنسا فى شخص

الكولونل دى لاروك ، وظهر فى انجلترا فى شخص السير اسوالد موزلى ، وظهر فى اسبانيا ممثلا فى بقايا أنصار عهد الطغيان المقترن باسم الديكتاتور بريمودى ريفيرا

أمام ذلك تألفت الجبهة الشعبية فى فرنسا والجبهة الشعبية فى اسبانيا من مختلف أحزاب الوسط واليسار التى نسيت خلافاتها الحزبية وتضافرت لحماية الديموقراطية ، أو بمعنى أوضح حماية حرية الأحزاب السياسية خاصة وحرية الأمة عامة

ولا يسعنا كى يدرك القارىء مبلغ ما فى الفاشسم من خطر على حرية الأحزاب أى على الديموقراطية ، الا أن نرسم له صورة سريعة صادقة من حقيقة هذا النظام :

الفاشسم نظام يفنى الفرد فى شخصية الدولة والدولة فى شخصية الحزب الفاشستى والحزب نفسه فى شخصية زعيمه الدكتاتور

والفاشسم نظام ينهض على تمثيل الطوائف والحرف ، وعلى توسط الحكومة فى شتى المنازعات التى تقوم بين العمال وأصحاب العمل ، وفرض التحكيم على العمال فرضا ، وإخضاع مصالحهم لمصلحة الدولة فى الظاهر ولمصلحة الحزب الفاشستى فى الواقع باعتباره الوحدة الكبرى التى تنحدر منها وتنصب فيها جميع قوى الأمة

والدولة ممثلة فى الحزب الفاشستى وحده هى كل شىء فى نظر أصحاب هذا المذهب . أما الفرد وحقوقه وحريته الشخصية وحقه فى التمتع بهذه الحرية فلا شىء

وما دامت الدولة هى الهدف الأكبر فيجب أن تنمو ما استطاعت ، ويجب أن تتضخم ما أتاحت لها الظروف ، ويجب أن تنشر سيادتها وعظمتها كما سنحت الفرص . ولذلك يقترن التوسع والاستعمار على الدوام بفكرة الفاشسم . وهذا الذى دفع بأصحاب رءوس الأموال إلى اعتناقها وتأييدها وترويج الدعوة لها واستخدامها فى سحق طبقة العمال والغاء احزابهم وحل نقاباتهم وفى البحث عن اسواق جديدة ومستعمرات جديدة يمكن أن تستثمر فيها رءوس الأموال بواسطة أيد عاملة قليلة التكاليف

فالفاشسم الذى ينصب نفسه حاميا عن الدولة، والذى لا ينفك يتشدق بعقيدة الدولة، والذى لا يعترف بمصالح الطبقات فى سبيل مصلحة الدولة ، لا ينهض فى الحقيقة إلا لحماية وخدمة مصالح طبقة واحدة ألا وهى طبقة المتمولين الكبار ـ تلك الطبقة التى شجعته وأغدقت عليه المال بلا حساب

وفى ذلك يقول الكاتب الفرنسى المدقق ارنست روجيه مارتان فى كتابه (نحن والفاشسم) : « لولا الرأسمالية الايطالية لتحطم الفاشزم فى ايطاليا . ولولا أموال البارونات الالمان واقطاب رجال الصناعة ما كان للفاشسم وجود فى المانيا . ولقد أدركنا الآن أن هذا النظام هو ألد الأنظمة عداء لحرية الفكر وحرية الصحافة وحرية الاجتماعات وسائر الحريات التى تتمتع بها فى فرنسا فى ظل الديمقراطية ، وهو فى مجموعه رجعة بالحضارة إلى الوراء ، وتنظيم لحكم الفرد فى صورة جديدة »

والواقع أن الفاشسم نظام يقضى القضاء المبرم على حرية الاحزاب السياسية ، ويحول بين المعارضة

والأعراب عن رأيها بالطرق المشروعة التي تعرفها الديمقراطية . بل يقطع الطريق سلفا أمام كل هيئة معارضة تتطلع إلى القبض على زمام الحكم بالوسائل الدستورية كما هو الحال في النظام الديمقراطي

وليس شك في أن الغرض من الديمقراطية أن تمثل مختلف رغبات ومطالب الشعب في مختلف الأحزاب السياسية ، وأن تتيح فرصة الاستيلاء على الحكم لأي حزب من هذه الأحزاب يستطيع الفوز بتأييد الأغلبية الساحقة من الشعب . ولكن الفاشسم يجهز على هذه النظرية ويركز السلطة في يد حزب واحد بل في يد رجل واحد ـ ثم يمعن في التنكيل بخصومه ويستخدم مبدأ « القوة » لا في السياسة الخارجية فحسب بل في السياسة الداخلية أيضاً

إذاً فالديمقراطية باعترافها لكل هيئة بحق الانتظام في شكل حزب سياسي ينشر آراءه ويعلن مطالبه ويذود عنها في حرية مطلقة ضمن حدود القانون ، تعمل من تلقاء نفسها على تربية الأمة وانعاش روح المعارضة في طبقاتها ، وايقاظ نفسية هذه الطبقات ودفعها إلى الاهتمام بمصالحها والاهتمام بحركات الحكومة ومراقبة الحكومة في معالجة هذه المصالح وتوجيهها

أما الفاشسم فبالغائه الأحزاب وقضائه على حريتها السياسية يخنق روح المعارضة ويستبد في تصريف الأمور ويشل ملكات الفحص والمراجعة والنقد في نفوس الشعب ، ويسلب الشعب كل ارادة ويجرده من كل سلطان ويحيل الجماهير إلى قطيع أعمى يهوش عليها تارة بالتهديد والارهاب وأخرى بالسجن أو النفي أو التعذيب أو الموت

فاذا كانت الأمة في النظام الديمقراطي هي مصدر السلطات ، فالحزب المسيطر الفرد هو مصدر السلطات في النظام الفاشستي

وعليه فوجود الاحزاب السياسية وحرية هذه الاحزاب في اجتماعاتها وفي الأعراب عن مطالبها وفي الدفاع عن آرائها وخططها في دائرة القانون ، هي القاعدة الأولى لكل نظام يناهض الاستبداد ويرمي إلى نضج الشعب ورفع مستواه النفسي والعقلي واشراكه في الحكم اشراكا عملياً فعالا

من أجل الاحتفاظ بهذه الحرية تناضل الجبهة الشعبية في اسبانيا الديمقراطية ضد الفاشسم

ومن أجل الاحتفاظ بهذه الحرية تناضل الجبهة الشعبية في فرنسا الديمقراطية ضد الفاشسم

ومن أجل الاحتفاظ بهذه الحرية أيضا يناضل الديمقراطيون في انجلترا وفي بلجيكا وفي رومانيا وفي بولونيا وفي المكسيك وفي مختلف الأمم التي يأبى عليها حبها الحرية وسعيها المتواصل لرقي الجماعة أن تخضع لحزب واحد ممثلا في شخص ديكتاتور يضرب عليها وصايته ويفرض مشيئته وسلطانه ويردها إلى حكم الفرد

ابراهيم المصري

خُلق الانسان حُرًّا

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

الحرية والاستقلال غاية فطرية ـ وظيفة الحكومة فى أدوار التاريخ ـ ما هى الحرية التى يتطلبها المتمدنون ـ رأينا فى الحرية ، وفى الحكومة التى تتولد منها

الحرية من الغايات الانسانية التى فطرت النفوس على تطلبها ، والانجاه اليها ، والتهالك على تحقيقها ، ولسنا بمغالين إن قلنا إنه لا يوجد فى المثل العليا كلها ما بذل الانسان فى سبيله من ماله ودمه وجهده ما بذله فى سبيلها . وان شئت قلت ما شبت حرب منذ خلقت الانسانية ، ولاثارت ثائرة بيعت فيها الأرواح رخيصة ، وابتذلت المهج مهينة ، الا كانت الحرية وكان الاستقلال علتين لها اما مباشرة أو بالواسطة

خلق الانسان حراً لا سلطان لأحد عليه ، فكان يعيش معيشة الأنعام السائمة معتمداً فى دفاعه عن نفسه على قوته البدنية . فلما آنس أن حفظ ذاته من العوادي يقضى عليه بالاجتماع على آحاد من بنى نوعه ، تنازل فى سبيل ذلك عن قدر كبير من حريته المطلقة ، مرجحاً هذا التقيد مع الأمن والطمأنينة ، على ذلك الاطلاق المشوب بالمخاوف والمعاطب

ولكن هذا العهد الاجتماعى كما كان أول خطوة فى طريق الانسانية الصحيحة ، والكمال المرجو من ناحيتيه الأدبية والمادية ، كان كذلك باباً لشرور كثيرة . فان المعارك التى كان يشنها بعض الأفراد على بعض فى عهد الحياة الفردية ، تزاحماً على انثى أو تنافساً على فريسة ، انقلبت إلى معارك بين جماعات غفيرة ، وأدت إلى ضروب من التناحر لا تبقى ولا تذر . فتاريخ الانسانية فى كل صقع من اصقاع الارض يكاد ينحصر فى وصف هذه المعارك وبيان اسبابها ، ودراسة أدوارها وتطوراتها

ولكن مما ينفس عن النفس بعض كربها حيال هذه المجازر الشنيعة ، أن أفراداً من المفكرين استطاعوا فى فترات السلام كشف بعض مصادر القوى الكونية ، ووقفوا على شىء من أسرار المعارف الطبيعية ، تمكنوا بها من تحسين حال الحياة البشرية ، ورفعها قليلا عن حضيض البهيمة

إلى ذلك العهد كانت الأمم كلها تعيش معيشة الجيوش المعبأة للحروب ، وكان الفرد فانياً فى الجماعة ، لا يعد شخصه إلا كعضو فى جسم حى لا وجود له خارجاً عنه

ولكن ما لبثت القوى العقلية بعد الوصول إلى هذه الدرجة من العلم أن انبجست منها تيارات

فكرية جديدة كالبحث فى حقيقة العقائد ، وفى امتيازات الطبقات ، وفى حقوق الأفراد وواجباتهم المتبادلة ، وفى نصيب الضعفاء ازاء الأقوياء ، وكان من أشدها خطورة ما يتعلق بالبحث فى مهمة الحكومة ، فأدى كل تيار من هذه التيارات الفكرية إلى قيل وقال لاحد لهما ، ولكن التيار الأخير دفع بالناس إلى أن يتجاوزوا حدود القول والكتابة إلى الثورة . فحدثت مجازر كانت من أفظع ما عهده الناس من ضروب التناحر . لذلك نتبسط فى الكلام فى وظيفة الحكومة على قدر ما تسمح به عجالة فى مجلة فنقول :

وظيفة الحكومة فى أدوار التاريخ

وظيفة الحكومة القيام بمصالح الجماعة ، وحسم المنازعات بين الأفراد ، وصيانة حقوق الضعفاء ، واقامة العدل بين الكافة . وهى لأجل الاضطلاع بهذه المهام الخطيرة فى حاجة إلى سلطان تستمده من الطبقات التى أوجدتها حاجات الحياة فى سالف الزمان . أما الآحاد فكانت الضرورات المعيشية ، والجهالة السائدة عليهم ، قد جردتهم من حقوقهم الطبيعية ، فكانوا بين الحكومة وتلك الطبقات لا يمتازون عن الأنعام المسخرة

ولكن تطاول الدهور ، وتواتر المظالم ، أخذت توقظ الأفراد للتفكير فيما هم فيه من أسر الأقوياء . وتطوعت منهم ألسنة حداد للدفاع عن أنفسهم ، فنشأت نزعة المطالبة بالمساواة أمام القانون ، وبالغاء امتيازات الطبقات ، واصطلح على استخدام كلمة واحدة للدلالة على هذه المطالب : « الحرية »

ولقد كانت ثمرة هذا النضال الطويل بين الحكومات وطلاب الحرية أن بطل نظام الطوائف الممتازة فى الأمم الراقية ، واعترف بمبدأ المساواة بين الكافة . ولكن الحرية الصحيحة بالمعنى الذى يفهمه أهل الجهاد لم توجد الى اليوم . فلا يزال باب الكفاح مفتوحا على مصراعيه حتى فى أعلى الأمم كعبا فى المدنية . وهذا ما يدعونا لبيان مجال هذا الصراع فى تلك الأمم التى يظن أنها بلغت المكان الأرفع من الحرية

ما هى الحرية التى يتطلبها المتمدنون ؟

الحرية في حدها الأصولى هى أن يكون الانسان حراً فى أن يعمل كل ما يبدو له أن يعمله فى حدود القانون . والقانون مفروض فيه أنه لا يسمح بما يقع منه ضرر على أى فرد أو على الجماعة . وقد تولى مشترعون كثيرون تحديد كلمة «الحرية»، فكان أشهر التحديدات ما أتى به (فانتروب) Vanthrop مشترع ولاية ماساشوزيت بالولايات المتحدة إذ قال : « الحرية هي حق الانسان فى أن يعمل بدون وجل كل ما هو حق وخير » وقد أدمج هذا التحديد فى عبارة أكثر المؤلفون من نقلها عنه وهى :

« لا يجوز أن نخدع أنفسنا فيما يجب علينا أن نفهمه من معنى الاستقلال ، ذلك أنه يوجد ضرب فاسد من الحرية يشترك فيه الحيوان الأعجم مع الانسان ، وذلك أن يعمل كل ما يبدو له . فهذه الحرية الحيوانية عدوة كل حكومة ، وهى تأنف من التكاليف وتنحط بنا عن مستوى الانسانية . فهى عدوة الحق والسلام . وقد حاربها الخالق نفسه . ولكن هناك حرية مدنية خلقية تستمد قوتها من الاجتماع ، ومهمة الحكومة أن تحميها وأن تنوب عنها ، وهى حرية الانسان فى أن يعمل كل ما هو حق وخير . فهذه الحرية المقدسة هى التى يجب أن ندافع عنها فى كل فرصة ، وأن نفدى بالحياة اذا دعت الضرورة لذلك »

هذا كلام حكيم تقره كل نفس شريفة ، ويرتاح اليه كل قلب سليم ، ولكن أنصار الحرية قد تسرب اليهم الغلو من جراء انتصاراتهم المتوالية على الحكومات ، فلم يروا فى هذا التحديد مقنعاً ، واعترضوا عليه بكل عنف فقالوا : « ان القوانين التى تصدر عن هذه المقدمة تستحيل الى قيود حديدية تكبل بها الحرية الصحيحة ، بل تستحيل فى النهاية الى نظم دينية . والقوانين لأجل أن تكون عادلة يجب أن تعمل فى حدود الشؤون الاجتماعية لا تتعداها الى غيرها »

وقالوا : « ان كل الحريات متضامنة وعمادها جميعا المساواة بين الأفراد ، فكل حرية لا تمنح للجميع على السواء تسمى امتيازا للمتمتعين بها . فالحق الطبيعى يقضى بوجوب سن قانون يحصر الحريات الفردية فى حدودها الطبيعية ، ولكن مع توافر شرطين فيها : أولهما ألا يبطل هذا القانون الحرية الأولية التى يشعر بها كل فرد بحجة تنظيمها . ثانيهما أن يجعل الحقوق التى للافراد منتجة بمنح القانون لكل متمتع بها الوسائل التى تمكنه من ممارستها

« فالدولة والحكومة التى تمثلها لم تجعل لفض المنازعات فحسب ، ولكن لتوزيع العدالة بين الأفراد المتساوين فى الحقوق اسما ، ولم يتساووا فيها فعلا ، لموانع تحول بينهم وبينها من ضروب شتى . وذلك باستخدام أساليب دقيقة ، لجعل فوائد الاجتماع تعم الكافة على السواء ، بملء الهوات التى بين الضعفاء والأقوياء ، وسد الثغرات التى يولدها التفاوت بين الأغنياء والفقراء ، والعلماء والجهلاء ، ليرتفع الكافة الى مستوى واحد من العاملات ، ومع السهر على اعادة كل من سقط عن هذا المستوى اليه بالوسائل الناجعة »

ولكن مذهب الحرية Le libéralisme لا يسمح للحكومة بمهمتى التعديل والتوزيع المذكورتين خشية أن تصبح حاصلة على قسط من السيطرة والتدخل مما لا يسمح به مبدأ الحرية الصحيحة

رأينا فى الحرية وفى الحكومة التى تتولد منها

لا مشاحة فى أن الحرية غريزة قوية من غرائز النفس البشرية ، ناهيك انها هى الحالة الأولية التى كان عليها الانسان قبل أن يجتمع على أمثاله ، ويتنازل عن شطر عظيم منها لمصلحة الجماعة .

فهى الأصل الذى يجب أن يراعى فى كل تشريع يتعلق به ، وفى كل حكومة تتسلط عليه . هذا مالا خلاف فيه بين أحد من المتكلمين فى هذه الشؤون ، ولكن الخلاف فى القيود التى يجب أن يخضع لها الأفراد لمصلحة الجماعة

فالأقدمون قد استغلوا الضرورة التى تقضى على الانسان بالاندماج فى مجتمع ، ففرضوا عليه من القيود الثقيلة ما اضطر أن يتحملها صاغراً ، هربا من الفناء المعجل . وكان لهم من جهالته التامة ، وعمايته المطبقة ، أكبر عون على تسخيره وإذلاله . والذين يجرون على شاكلتهم اليوم يرون وجوب بقاء هذا النير على عاتقه ، متعللين بعبارات خلابة من حفظ النظام وحماية المجتمع من التحلل

وأنصار الحرية من ناحية أخرى يرون ضرورة رفع هذه القيود عنه الا ما تقضى به الضرورة من حماية الضعفاء وتوزيع العدالة

وقد غلت طوائف منهم فقالوا بضرورة رفع كل هذه القيود بلا استثناء ، وقصر مهمة الحكومة على أن تكون حكما بين المتنازعين لا أقل ولا أكثر ، وهذا مؤدى مذهب « الليبراليسم »

بل تطرف بعضهم الى أقصى حد وهم الفوضويون فقالوا بوجوب حذف الحكومة بتاتاً ، وترك الناس وشأنهم يعدل بعضهم عوج بعض ، مدعين أن الحرية متى أطلقت أوجدت طبيعة الأشياء الامم فى حالة من الاتزان يقوم عليها الناس على أكمل نظام

ولكن هذا المذهب لم تكتب له الحياة ، وقد شب وشاب وهو ضامر ضمورا لايرجى له ابلال منه . ولولا رءوس نزاعة الى الأخذ بكل شاذ ما وجد فى بنى آدم من يقول به

أما الذى يؤسف عليه أن الكثرة الغالبة من المتكلمين فى الحرية يرون أن الحكومة لايجوز أن تعنى بغير الأمور التى تقضى بها الضرورة الاجتماعية ، تاركة حبل الناس على غاربهم فيما يتعلق بالمسائل الخلقية ، كراهة أن تتضخم اختصاصات الحكومة فلا تقف مزاعمها عند حد

فهم يقررون أن الناس يجب أن يكونوا أحرارا حيال الاشياء كلها حتى التى اجمعت القوانين على ضررها كالخمر والفسق والمقامرة والتهتك الخ الخ ، وذلك لا ميلا منهم إلى مذهب الاباحة ، ولكن رجاء أن يتولى الرأى العام القضاء عليها بما ينتهى اليه تحت تأثير العلم والتربية والمدنية من الرقابة الفعالة على الآداب العامة

ونحن مع كراهتنا أن تبلغ الحكومة حدا من السيطرة يدفعها للاسراف في التسلط ، نرى أن لا خوف من وصولها إلى هذه الحالة ما دامت تحت رقابة برلمان منتخب انتخاباً عاما حراً . فى هذه الحالة يكون المسيطر بحق هو الشعب نفسه بواسطة وكلائه الذين انتخبهم لتمثيله

وما دام غلاة الأحرار انفسهم يسمحون بأن تتدخل الحكومة فى الصغريات مثل البصق فى الطرقات وتنظيم السير فيها الخ الخ ، فمن التناقض أن تستثنى من رقابتها الآثام الخطيرة التى تجر إلى خراب المجتمع وتلاشيه ، كشرب الخمر واتيان الفسق وتهتك النسوة الخ الخ ، فكل هذه المهلكات

يجب أن تسيطر عليها الحكومة بحق وكالتها الشرعية عن الشعب بواسطة مجالسه النيابية

هذا رأينا ، والشذوذ عنه فى نظرنا يجر إلى وجود حكومة مطلقة لا تقف سيطرتها عند حد ، تحفز إلى وجودها ، والرضاء بها ، أخطار تهدد كيان الأمم من جراء سوء تصرفها فى الحرية ، كما هو ظاهر للعيان اليوم فى أعرق الأمم الأوربية فى المدنية ، وأعلاها كعباً فى المعارف الدستورية ، حتى ان أرفع الناس فيها رأساً لا يستطيع أن يذكر اسم الحرية

إن نزوع الأمم للحرية والاستقلال أمر أثبته الواقع ، وبنيت عليه أكبر الانقلابات العالمية . وهذا النزوع منها ثمرة النزعة الفطرية وراء الحرية الفردية . فان هذه الحرية الفردية لا تتحقق إلا فى مجتمع مستقل عن كل سيطرة اجنبية . لهذا ألهمت الشعوب أن تحرص على هذا الاستقلال وأن تهب للدفاع عنه إذا هدده مهدد بكل ما أوتيت من حول وحيلة

محمد فريد وجدى

« ألقوا دلوكم حيث أنتم »

حدث مرة أن احدى السفن الضالة فى عرض البحار لمحت سفينة أخرى قد ارتفعت على ثبج الأمواج ، فأرسلت اليها اشارة تقول : « الماء . الماء . نحن نهلك من العطش » فردت عليها السفينة الأخرى : « ألقوا دلوكم حيث أنتم » فأعادت السفينة المنكوبة اشارتها : « الماء . الماء ، نحن نهلك من العطش » فجاءها الرد ثانيا : « ألقوا دلوكم حيث أنتم » وتكررت الاستغاثة ، وكان الرد لا يتغير . وأخيراً استمع ركاب السفينة المنكوبة لاشارة السفينة الاخرى ، فألقوا دلوهم ورفعوه ، فاذا بالماء عذب زلال ، واذا بالسفينة تمخر عباب نهر الامزون عند مصبه ، فالى أولئك الأفراد الذين تجمعنى واياهم الوحدة القومية ، والذين يطمحون الى ترقية أحوالهم فى بلاد أجنبية ، أقول : « ألقوا دلوكم حيث أنتم »

أقول : ألقوا دلوكم فى الزراعة ، والصناعة ، والتجارة . وان أعظم ما نتعرض له من الأخطار هو أننا فى وثوبنا من العبودية الى الحرية ، قد ننسى أنه يجب على سواد الشعب الزنجى أن يعيش بكد يديه

(بوكر واشنطون ـ الزنجى)

كفاح الشرق فى سبيل الحرية والاستقلال

كيف استعمرت بلاد الشرق، وكيف نهضت لاسترداد حريتها

بقلم الأستاذ أمين سعيد

يكاد تاريخ العالم منذ فجره يدور على هذا النضال المستمر بين الشرق والغرب. فكلما آنس أحدهما من نفسه قوة وعزما، ومن الآخر ضعفا وعجزاً، مشى اليه وانقض عليه محاولا اخضاعه لسلطانه والاستيلاء على أراضيه وبلدانه، فيلقى نجاحاً ويفوز بمغانم ويستولى على بعض الأقطار، ثم لا تلبث ان تنتقض عليه وتثور طلبا للحرية والاستقلال فيتجدد الكفاح والنضال وتنعكس الآية فيصبح المدافع مهاجما والمهاجم مدافعا

ولقد كانت الحروب الصليبية آخر الملاحم الكبرى التي اشتبك فيها الغرب بالشرق. وقد امتدت نحو قرنين حاول الغرب فيها ان يبسط سلطانه على الشرق فخانه الحظ ورجع بصفقة المغبون. على ان ربحه من النواحى العلمية والصناعية والاقتصادية كان مما لايستهان به. فقد جنى الغربيون أعظم الفوائد من رحلاتهم الى الشرق ومن احتكاكهم بالشرقيين فأخذوا كثيراً من صناعتهم وفنونهم وعلومهم، فكانت نواة النهضة الكبرى التي نهضها الغرب بعد ذلك

وظهرت فكرة الاستعمار الجديدة فى أوربا بعد ما استقرت قواعد نهضتها ونمت شعوبها واتسع نطاق متاجرها وصناعاتها، فانطلقت تبحث عن أماكن جديدة تبسط عليها نفوذها وتروج فيها متاجرها وتتخذها مهاجر لأبنائها، فكان الشرق قبلة أنظارها لضعفه وعجزه وانحطاط شعوبه وأممه فحملت عليه بخيلها ورجلها فكان هذا النضال الضعيف المتواصل من أواسط القرن السابع عشر للآن. وهو يتمثل فى صور وأشكال شتى، على انه تحول بعد الحرب العظمى تحولا خطيراً فنهض الشرقيون فى كل مكان يكافحون الاستعمار الأوربي ويحطمون نيره، فأدركوا نجاحا وتم لهم تحرير جانب كبير من أقطارهم ولا يزالون يواصلون الكفاح والنضال لانقاذ الباقي، وسيفوزون فى النهاية قياسا على ما جرى حتى الآن والأمور تقاس بأشباهها ونظائرها

ونتكلم بإيجاز عن هذا النضال فى مراحله، مراعين الترتيب التاريخى ومبتدئين بالهند، فهى أول قطر شرقى أغار عليه الاستعمار الأوربي، فكان سقوطه بين مخالب الليث البريطاني نكبة عامة أصابت الشرق كله، فقد تذرع الانكليز باحتلالهم لهذا القطر العظيم فاستولوا على الاقطار

المجاورة له أو الواقعة في الطرق المؤدية اليه مما سبب كثيراً من الحروب والغارات وولد كثيراً من الاحن والمشكلات

بلاد الهند

بدأ الانجليز نضالهم في سبيل الاستيلاء على الهند من سنة ١٦٤٥ وما زالوا يغادون هذا القطر العظيم ويراوحونه حتى استضعفوه كله وأخضعوه لسلطانهم بعد الثورة العظمى التي نشبت سنة ١٨٥٥ وكلفتهم كثيراً من الانفس والاموال

وهجعت الهند عقب هذه الضربة هجوعا طويلا. ولم تستيقظ إلا في أوائل هذا القرن ، فظهر فيها زعماء وقادة . على ان النهضة الوطنية في الهند لم تبلغ أشدها ولم تخرج شطأها وتستوى على سوقها إلا بعد ختام الحرب العظمى، فقد نهض الهنود في سنة ١٩١٩ بقيادة المهاتما غاندى يطالبون انكلترا بانصافهم واصعاد قطرهم الى مرتبة المستعمرات المستقلة (دومنيون) فأبوا عليهم ذلك وأخذوهم بالسيف والنار

وامتد النضال في الهند وطال أمده وقبض الانكليز على غاندى وسجنوه ، وملأوا السجون بالاحرار والمنافي بالشبان فزاد ذلك الهنود استبسالا، فأرسل الانكليز لجنة الى الهند في سنة ١٩٢٧ برئاسة السير جون سيمون وزير داخليتهم الحالى للبحث في أسباب الشكوى واقتراح ما تراه لازما لحل مشكلتهم فقاطعها الهنود وأبوا الاتصال بها

ودعا الانكليز زعماء الهند الى مؤتمر لمعالجة القضية الهندية (مؤتمر المائدة المستديرة) فعقد في لندن سنة ١٩٣١ وفي سنة ١٩٣٤ منحوا الهند نظاما دستوريا يحسن حالتها بعض تحسين ، فاعترض عليه معظم الطوائف وأنكروه . والحركة الهندية الآن في ركود وجمود بسبب حرب الطبقات أو النضال الاجتماعي الداخلي ، فقد شغل به غاندى عما سواه والظاهر انه كان سبباً في ضياع كثير من نفوذه

أفغانستان

كانت أفغانستان وهي تجاور الهند ، في جملة الاقطار التي بسط الانكليز عليها نفوذهم السياسي بعد حروب عنيفة انتهت في سنة ١٨٨١ بتنازلها عن سيادتها الخارجية لهم يمارسونها باسمها. وبمقتضى هذا الحق كانوا يمثلونها في البلاد الأجنبية

ولما آل الملك الى أمان الله خان يوم ٢٠ فبراير ١٩١٩ جرد سيفه يوم ٧ مارس من تلك السنة وأقسم ألا يعيده الى غمده حتى يعيد لأفغانستان استقلالها وحريتها ، فدارت بينه وبين الانجليز حروب انتهت يوم ٨ أغسطس ١٩٢١ وبها استردت أفغانستان استقلالها الكامل وتحررت من سيطرة الانكليز

ايران

وما يقال عن أفغانستان يقال عن ايران أيضاً . فقد واصل الانكليز السعي لبسط سلطانهم عليها لوقوعها على طريق الهند ،وقد كادوا يفوزون فيما أملوه ويضعون يدهم على هذه المملكة العظيمة ،لولا ان تداركها الله بالشاه رضاخان بهلوى ، فمزق معاهدة طهران المعقودة فى سنة ١٩١٩ بين السر برسى كوكس والبرنس فيروز فرمان فرما رئيس الوزارة الايرانية - وكانت تقضى بادخال ايران تحت الحماية البريطانية - ورد الى بلاده حريتها واستقلالها

تركيا

وطبق الانكليز الأساليب التى طبقوها بعد الحرب العظمى فى ايران على تركيا ،فأرسلوا اسطولهم الى الآستانة عقب هدنة موندروس فى شهر أكتوبر ١٩١٨ وأنزلوا جيوشهم وقبضوا على زمام السلطة ووضعوا السلطان محمد السادس تحت سيطرتهم ،فكبر ذلك على أحرار الترك فنهضوا بقيادة مصطفى كمال باشا (اتاتورك) وبرزوا يقاتلون اليونانيين الذين كان الانجليز من ورائهم ، وانتهت الحرب بفوز الترك ، فلم يسع الانجليز سوى التسليم بالامر الواقع ،فجلوا عن الآستانة واعترفوا لتركيا بحريتها واستقلالها

بلاد العرب الشرقية

بلاد العرب الشرقية هى الواقعة فى شرق مصر : الشام ، والعراق ، والحجاز ، وقد ظلت حتى اعلان الحرب العظمى جزءاً من الامبراطورية العثمانية

وسرت بين سكان هذه الاقطار فكرة الانفصال عن الترك وانشاء امبراطورية عربية تحيي مجد العرب . واشتدت هذه الفكرة عقب اعلان الدستور العثماني فى سنة ١٩٠٨ وانطلاق الألسنة والأقلام ، فتألفت الجمعيات السرية والعلنية فى الآستانة والشام ومصر وبيروت والمهاجر الامريكية لخدمتها ، واغتنم الترك فرصة الحرب العظمى فقبضوا على دعاتها وانصارها وساقوهم الى المحاكم العرفية ، واعدموا فريقاً كبيراً منهم فى الميادين العامة فى بيروت ودمشق والقدس وحلب وبغداد . وكانت الغاية التى وضعوها نصب أعينهم اجتثاث فكرة الاستقلال العربي فى محو دعاته

وأنتج عملهم هذا عكس النتائج التى أرادوها منه وسعوا اليها ، وهكذا تكون فى الغالب نتيجة كل عمل يصبغ بالدم ، فانتقض سكان البلدان العربية عليهم ، وقاموا يحاربونهم ويطاردونهم ، وما زالوا بهم حتى طردوهم من بلادهم

ولقد كان الشريف حسين باشا بن على أمير مكة قبل الحرب العظمى أول أمراء العرب انتقاضاً على الترك لما أنزلوه بقومه من المظالم . فجرد السيف ودعا الى الجهاد والكفاح للانتقام وتحرير العرب

وانشاء الدولة العربية الكبرى فلبوه ومشوا تحت لوائه

وأبى الحلفاء الاعتراف بالدولة السورية التى انشأها الملك فيصل فى دمشق سنة ١٩١٨ كما أنكروا عهودهم المقطوعة للملك الحسين باسم العرب ، وتنص على الاعتراف باستقلالهم وبمساعدتهم فى انشاء دولة عربية تمتد حدودها من مرسين أدنه حتى الخليج الفارسى شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا ـ يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى ـ ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا

واحتل الفرنسيون دمشق فى سنة ١٩٢٠ وقضوا على الحكومة الجديدة وأخرجوا الملك فيصل من سورية بعد نضال شديد ، فولد اخراجه حركة وطنية جديدة اتسع نطاقها تدريجيا بقيادة الدكتور عبد الرحمن شهبندر زعيم حزب الشعب السورى . وانتهى هذا الدور باعلان الثورة السورية الكبرى فى سنة ١٩٢٥ على الفرنسيين فقادها سلطان باشا الاطرش وانتهت سنة ١٩٢٧ أى بعد نضال عنيف استمر سنتين بتغلب الكثرة على الشجاعة ، فلجأ سلطان باشا الى شرق الأردن وأقام فى الكرك ، ولجأ الدكتور شهبندر الى القاهرة ولا يزال نزيلها من سنة ١٩٢٧

ولم تلبث الحركة الوطنية فى سورية أن استردت نشاطها وقوتها فاصطدمت بالفرنسيين مرة ثانية فى أوائل هذا العام . وكان الاصطدام سلبياً لادموياً ، وسلبياً لا إيجابيا ، فقد اضربت سورية اضرابا عاما ابتدأ من يوم ١٩ يناير سنة ١٩٣٦ وانتهى يوم ٢ مارس بقبول فرنسا طلبات السوريين

فى العراق

ولقد كان العراقيون أسبق من السوريين الى الثورة والانتقاض على الانجليز الذين جاءوهم زمن الحرب كحلفاء ومحررين ، فأنشئوا نظام حكم استعمارى شاذ ، فذكرهم العراقيون بالعهود والوعود ، وطالبوهم بانشاء دولة عربية ، فأبوا وأخذوهم بالشدة ، فثاروا عليهم فى صيف سنة ١٩٢٠ وقاتلوهم قتالا مراً ، وكان لفتاوى السيد محمد تقى الشيرازى مجتهد الشيعة الأكبر فى النجف يد لا تنكر فى ابقاء هذه الثورة ، واعترف الانجليز بعد لأى باستقلال العراق وبدولته الجديدة برئاسة جلالة الملك فيصل بن الحسين سنة ١٩٢١

فى فلسطين

واقتطعت بريطانيا فلسطين من سورية وأنشأت فيها حكومة أشبه بحكومات المستعمرات وعاهدت اليهود على أن تجعلها دار هجرة لهم (وطن قومى) فاحتج العرب الفلسطينيون على هذا التصرف الباطل ، وكرروا الاحتجاج فلم يفدهم ذلك ولم يكشف عنهم ضراً ، فأجمعت كلمتهم على منازلة بريطانيا فى معركة حاسمة ، ولقد بدأت هذه المعركة يوم ١٧ ابريل سنة ١٩٣٦ واستمرت حتى يوم ١٢ اكتوبر الماضى ، فأضربت فلسطين اضرابا تاما فى خلال هذه المدة الطويلة ، وأقفلت

أبوابها ، وعطلت متاجرها ، ثم تقلد فريق كبير من أبنائها السلاح واعتصم بالجبال يناضل الانجليز ويقاتلهم . وقد تولى قيادة الثورة العامة فوزى بك القاوقجى أحد زعماء الثورة السورية الكبرى وأخذ الفلسطينيون الى السكون تلبية لنداء ملوك العرب الذين ناشدوهم الكف عن الاضراب

فى مصر

أما مصر فهى أول قطر فى الشرق العربي استهدف لغارات الاستعمار الاوروبى . فانه ماكاد زعماء الجمهورية الفرنسية الاولى يفرغون من توطيد قواعد جمهوريتهم،حتى أعدوا حملة عسكرية كبيرة قادها الجنرال نابوليون بونابرت الى الاسكندرية في صيف سنة ١٧٩٨ فاستولى عليها وزحف منها الى القاهرة ، فاحتلها ثم بسط نفوذه على القطر تدريجيا

وسعى نابليون للتقرب من الشعب المصرى وبذل شتى الوسائل لاكتساب مودته مناديا بأنه ما جاء إلا لتحريره من ظلم المماليك والترك فلم يجده ذلك ، فتقلد المصريون السلاح لقتال الفرنسيين فكان ذلك فاتحة نضال امتد زمن الاحتلال الفرنسى كله فلم يضع الفرنسيون السلاح من أيديهم إلا بعد ركوبهم السفن التي أقلتهم الى بلادهم . ومما لاريب فيه أن احتكاك المصريين بالفرنسيين فى خلال تلك الفترة ، سواء أكان فى ميدان الحرب أم فى ميدان العلم أم التجارة والاقتصاد ، أثر تأثيراً بعيد الغور فى نفوس المصريين وانشأ روحا جديدة فى البلاد استغلها المرحوم محمد على باشا الكبير حينما آل الأمر اليه بعد خروج الفرنسيين

وقاتل محمد على باشا الترك وتغلب عليهم سعياً وراء انشاء امبراطورية عربية كبيرة عاصمتها القاهرة ،فقاومه الانجليز وقاتلوه خوفا على الهند . ومازالوا به حتى أعادوه الى داخل حدود مصر القومية وقضوا على حركة التوسع المصرى ثم شرعوا يسعون للاستيلاء على وادى النيل

وأخذت الحكومة الخديوية بالاتفاق مع الانجليز المحتلين ، زعماء الثورة العرابية بأقصى ضروب الشدة ، فحكمت على سبعة منهم بالاعدام ، ثم ابدلت الحكم بالنفى المؤبد فارسلوا الى سيلان فمات بعضهم وعاد البعض الآخر بعدسنين فاقد القوى ، وعاقبت اعوانهم وأنصارهم عقوبات قاسية وهكذا اخمدت الحركة القومية الجديدة التي أيقظتها ثورة عرابى باشا

وساد مصرسكون عميق بعد هذه الاحداث .ولم تستيقظ إلا على صوت مصطفى كامل باشا فقد ظهر في أواخر القرن الماضى يدعو الى جلاء الانجليز

وجاهد مصطفى كامل باشا فى سبيل حرية الوادى ،ورفع صوته عاليا ثم خر صريعا في ميدان الجهاد وهو فى عنفوان شبابه وغض إهابه ، فخلفه فى زعامة الحركة محمدفريد بك ، فجاهد وكافح ثم لجأ الى تركيا قبيل الحرب العظمى ، ثم قصد أوربا وظل يتنقل فيها حتى وافاه الأجل المحتوم

ونهضت مصر نهضة مباركة بعد الحرب العظمى ، فتألف الوفد المصرى برئاسة المغفور له سعد

باشا زغلول فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ للسعى بالطرق السلمية المشروعة حينا وجد للسعى سبيلا

ولا تتولى هنا سرد ماجرى بعد ذلك فهو معروف مشهور. فقد واصل الوفد الكفاح والنضال برئاسة زعيمه المغفور له سعد باشا ثم برئاسة خليفته النحاس باشا، وتم على يد دولته حل القضية المصرية بمعاهدة قصر الزعفران. وقد وقع عليها فى لندن يوم ٢٧ اغسطس الماضى، فاستردت مصر حريتها واستقلالها ونالت ما كانت تصبو اليه وترجوه

بلاد العرب الغربية

بلاد المغرب، أوبلاد العرب الغربية، ويطلقون عليها شمالى أفريقية، من أعظم الاقطار العربية ثروة وعمرانا واتساعا وازدحاما بالسكان

ولقد ظلت هذه الأقطار وهى برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى تابعة لتركيا ماعدا الاخير فقد احتفظ باستقلاله ولم يخضع للترك مطلقا حتى سنة ١٨٢٧ ففيها ضرب الاسطول الفرنسى الجزائر واستولى على سواحلها

ولما شرع الفرنسيون فى الزحف على الداخلية صمد لهم المغاربة بقيادة الامير عبدالقادر الجزائرى بطل الوطنية الجزائرية وقاتلهم من سنة ١٨٣٣ حتى سنة ١٨٤٦ فنى تلك السنة اضطرته الظروف القاسية فسلم مرفوع الرأس وأقر الفرنسيون الاقتراحات التى اقترحها، وقابلوه بالترحيب والتعظيم وبالغوا فى احترامه وتوقيره اعترافا بشجاعته وشهامته

ولما استقرت أقدام الفرنسيين فى الجزائر، ولوا وجههم شطر تونس فدخلت فى حمايتهم سنة ١٨٨١ ثم اتجهوا صوب المغرب الأقصى جار تونس من الغرب فاستولوا عليه سنة ١٩١٢ بالاتفاق مع اسبانيا واقتسموه معها ومنحوها جانباً صغيراً منه

ووثبت ايطاليا فى سنة ١٩١١ على طرابلس الغرب وبرقة فاستولت عليها فخسرت هذه الاقطار الخمسة استقلالها فى خلال مدة لا تزيد على ٦٠ سنة. ونبهت هذه الاحداث المغاربة وكانت تونس هى المجلية فى هذا الميدان فقد أيقظتها صيحات الاستاذ عبد العزيز الثعالبى من رقادها فقامت تطالب بالحرية والاستقلال. وأنشأ فى سنة ١٩١٨ أى عقب الحرب، الحزب الدستورى التونسى وهو الحزب الذى لا يزال يكافح ويناضل فى سبيل حرية تونس واستقلالها، وأقصت السلطة فى تونس الاستاذ الثعالبى عن وطنه فى سنة ١٩٢٣ ولا يزال من ذلك التاريخ بعيداً عنه

وقاوم الطرابلسيون والبرقاويون الغارة الايطالية مقاومة شديدة، فقاد المرحوم السيد احمد الشريف السنوسي حركة الجهاد فى برقة من سنة ١٩١١ حتى سنة ١٩١٥ ثم سافر الى الآستانة، نخلفه ابن عمه السيد محمد ادريس المهدى السنوسى فقاد الحركة حتى سنة ١٩٢٢ ثم جاء مصر للتداوى فتسلم راية الجهاد السيد عمر المختار من شيوخ السنوسية وأبطالها فظل يقاتل ويكافح حتى

سقط أسيراً بيد الايطاليين فى سنة ١٩٣١ فأعدموه وهو فى الثمانين

وقاد حركة النضال فى طرابلس الغرب فى مرحلتها الاولى الشيخ سليمان باشا الباروني ، وتغلب عليه الايطاليون فلجأ الى تونس ومنها سافر الى الآستانة

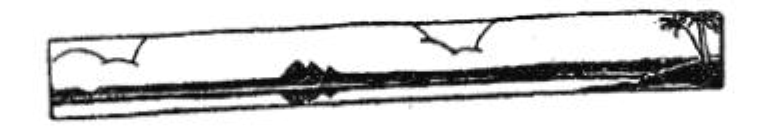
وفى سنة ١٩١٥ أى بعد اعلان الحرب العظمى جاء الى طرابلس بغواصة فنزل فى السلوم واستأنف القتال بالاتفاق مع الزعماء والرؤساء وفى سنة ١٩١٩ عقد اتفاقا مع الايطاليين اعترفوا فيه بجمهورية طرابلس ثم نقضوه فاستؤنفت الحرب واستمرت حتى سنة ١٩٢٣ فتغلب الايطاليون ولا يزالون يحكمون تلك البلاد حكما عسكريا

وتمخضت الحرب العظمى فولدت فى المغرب الاقصى زعيما حربياً فتيا هو السيد عبد الكريم الخطابي . فقد نهض فى مليلا (احدى مدن المقاطعة المغربية الاسبانية) فى سنة ١٩٢١ يحارب الاسبانيين وانتصر عليهم وأجلاهم عن كثير من المناطق ، فخاف الفرنسيون العاقبه لان فوز المغاربة على اسبانيا يضعف مركزهم فى افريقية الشمالية ، فحالفوا اسبانيا وانضموا اليها فى قتال عبد الكريم وكانت الغلبة فى النهاية للكثرة لا للشجاعة ، وللقوة لا للحق . فسلم عبد الكريم نفسه للفرنسيين فى سنة ١٩٢٦ فاقتادوه الى احدى الجزر النائية ولا يزال فيها حتى الآن يقاسى آلام الأسر والوحدة

وهبت على الجزائر بعد الحرب العظمى نسمة من نسمات الحرية والاستقلال فأنعشتها ، فقام عربها يطالبون بحقوقهم ويقود الحركة الجديدة زعيمان كبيران : الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء الجزائريين ، والدكتور مصطفى بن علول . والاول زعيم النهضة الدينية ومؤسس الحركة الفكرية ، والثانى زعيم الحركة السياسية وقد انضم اليهما الشيخ الطيب العقبي رئيس جمعية العلماء فى مدينة الجزائر . وعلى أكتاف هذا الثالوث تقوم النهضة الوطنية الجديدة فى الجزائر

وحركة الجزائر كالحركة التونسية مطبوعة بالطابع السلمى ، وشعارها السعى للتفاهم مع فرنسا واستفادة الحقوق بمنح من قبلها ، ولم تنل حتى الآن ربحا ماديا يستحق الذكر

أمين سعيد



مظاهر الاستقلال
فى تركيا الحديثة

بقلم الأستاذ مجد الدين ناصف

« زار كاتب هذا المقال الاستاذ مجد الدين ناصف تركيا فى صيف هذا العام ، وتنقل فى ربوعها ، وتحدث الى رجالاتها ، فشهد من مظاهر الاستقلال فى البلاد التركية ما يرى القارىء خلاصته فيما يلى »

صححت تركيا حدودها بمعاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ وهذا أول شروط الاستقلال

ووحدت الأهلين فعمدت الى تبادل السكان ، فاستعادت كثيراً ، من الاتراك المقيمين فى البلغار واليونان ويوغوسلافيا ، وأصبحت كتلة واحدة فى الجنس والدين والميول . وبهذا اتقت كثيراً من الكوارث التى حلت بها بسبب تباين سكانها من قبل ، والتى حلت مثلها بالامبراطورية النمسوية فى الحرب الكبرى

وانشأت جيشاً يقرب من نصف المليون فى السلم . وتخصص كل عام ثلث ميزانيتها للدفاع الوطني . وأسست فى بلادها مصانع للسلاح بأنواعه تصنع كل ما يلزم لهذا الجيش . وهذا السلاح يكلفهم فى بلادهم أكثر مما يكلفهم لو استوردوه من المانيا وغيرها . ولكن وجود المصانع فى البلاد ضمان لامداد الجيش وقت الحصر أو تعذر المواصلات أو قطع العلائق المحتملة مع الدول التى تستورد منها . كما أن نفقات هذا التسليح تصرف داخل الدولة وتعود على مجموعها بالرخاء

وبمعاهدة (منترو) التى عقدت هذا الصيف حملت تركيا الدول على تحصين المضايق ، وانتهت من سياسة « الباب المفتوح » سواء من البحر الاسود عند مدخل البوسفور أو من البحر الابيض عند مدخل الدردنيل

ولتركيا اسطول لابأس به يكفى للدفاع عن سواحلها المفتوحة . وقد شهدنا بين وحداته (حميدية) و (جوبن) التى كان لها شأن أول الحرب الكبرى ، والتى فقدت جنسيتها الألمانية وتجنست بالجنسية التركية باسم (ياوز) ، كما شهدنا غواصات . وقد ارتقت المدرسة البحرية فى (هيبللى) حتى صار يعتمد عليها فى تخريج ضباط أكفاء

وقد أنشأت تركيا مطارات عدة وتجهزت بطيارات كثيرة العدد حسنة التسليح . وقد سن الغازى سنة تستحق أن يقتدى بها ، وهى أن المدائن بدلا من أن تستبق فى الأعياد والمناسبات الى اقامة الزينات والولائم ، تقدم كل منها طيارات حربية قوية الى الدولة هدية وتذكارا

ومن شرائط التخرج فى أى مدرسة بعد تأدية امتحاناتها ، أن يكون الطالب قد أدى الخدمة العسكرية وأدى التمرين العسكرى صيف كل عام فى معسكر الجامعة (فى قرية ترك) . وهذا يعني أن كل تركي جندى متمرن تستطيع الدولة تجنيده فى أى وقت دون ان تحتاج الى تدريبه أثناء الحرب

والاتراك مهتمون بفنون الحرب . وعندهم لها مدارس متوسطة وعليا وأ كاديمى ومخازن . ولم ينسوا أن ينظموا المواصلات الحربية سواء بالسكك الحديدية أو الطرق أوالجسور ، فضلا عن التلغراف والتلفون. على أن تركيا من أشد الدول ميلا الى السلام ، فقد أحاطت نفسها بسلسلة متينة من المعاهدات ، سواء للصداقة ، أو التحكيم ، أو الحياد ، أو الاقامة ، أو التجارة ، أو الشئون القنصلية والقضائية . ويكفي أن نذكر أن العداوة التاريخية مع روسيا واليونان لا أثر لها ، وأن انجلترا قد أصبحت صديقتها « الروح بالروح »

وقد تعاهدت تركيا والعراق وايران هذا الصيف أيضا معاهدات حية . وهذا الجيش وهذه القوة انما يتوفرون عليهما للطوارىء لا للاعتداء . وقد شهدنا هذا الصيف أن حركات ايطاليا أعطتها كل الحق فى احتلال المضايق — على طريقة المانيا — ولكنها لم تفعل وانتظرت طويلا حتى عقد مؤتمر (منترو) وخولها هذا الحق . وفى هذا السلام تنتهز الفرصة للاستغناء بما لديها عن أكبر عدد ممكن من منتجات البلاد الأخرى . لقد عكفت على استخراج الحديد والفحم والبرنز وكثير من المعادن من بطن أرضها ، وعلى العناية بالغابات التى لديها ، وعلى زراعة الحبوب والفاكهة والدخان ، وحتى القطن ، وعلى تربية الماشية والدواجن ، والاستكثار من الصوف والألبان ، وعلى تحسين الطباق (الدخان) ، وانشئوا مصانع لكل ما هو لازم من آلات وأدوات ومنسوجات وأشربة ومحفوظات . ولما أيقنت انها تستطيع أن تقدم لشعبها كل شيء حمت هذه المنتجات بحواجز جمركية . وأنشأت بواخر للتجارة والسياحة ، فضلا عن المواصلات التى تكلمنا عنها داخل بلادها الى حدود العراق ، والشام ، والروسيا . وليس الخير فقط فى انها تستطيع تصريف بضائعها ، وانما فى اعتمادها على نفسها وقت الحرب والسلم على السواء

وليس استقلالهم بشئونهم مقصوراً على التجارة والصناعة، بل شمل كل شيء ، فاذا احتاجوا الى استخدام خبير فى فن أو علم أو صناعة فانما يقيدونه بعقد يجعله ملزماً بالعمل لمصلحة الدولة فقط ، على أن يمرن فى فترة وجيزة عدداً من مساعديه الاتراك ليتم تدريبهم على ممارسة العمل نفسه ونظائره فى نهاية العقد ، وبأنه لايشتغل لحسابه الخاص . مثال ذلك أن الطبيب الاجنبى الذى تستدعيه الحكومة لانشاء مستشفى أو للتعليم لايسمح له بمباشرة مهنته إلا فى عيادة طبيب تركى يفيد منه مالا وعلماً

واذا ألحت الضرورة لمشاركة شركة أجنبية فى عمل ما ، أعطيت لها امتيازات بأرباح محدودة

لوقت قصير مع الرقابة الشديدة من طرف الدولة ، ومع تغليب العنصر التركي على العنصر الاجنبي فى أثناء مدة الامتياز

وهى تسمح للبعثات العلمية بانشاء مدارس أمريكية أو فرنسية أو انجليزية على ألا تشتغل بالتعاليم الدينية ، وعلى أن تكون اللغة التركية اجبارية فيها ، وكذلك التاريخ التركي ، كى يتاح لأبنائهم وبناتهم الاستفادة من الثقافات الاجنبية دون مساس بالدين أو اللغة أو القومية ، وإلا أغلقت فى الحال

على أن جميع الاجانب عرضة لرقابة الدولة . فهم خاضعون للرقابة الدائمة من يوم دخولهم البلاد الى يوم خروجهم منها . وكلما انتقلوا من مدينة لأخرى أو من عنوان الى عنوان فى المدينة الواحدة سارعوا الى إبلاغ البوليس ، وإلا حق عليهم العقاب بالغرامة ، ثم الحبس ، ثم الطرد . بهذا يصونون أنفسهم من كل من تحدثه نفسه بالعبث بمصالح الدولة سياسياً أو اقتصادياً أو خلقياً فى هذه الدائرة . وبعد هذا الاحتياط تجدهم أحراراً فى بلادهم كرماء لضيوفهم حقاً

وهذا الأجنبي لابد من أن يفيد تركيا بماله الذى يرد اليه من بلاده لا أن يستفيد هو على حساب أبنائها . فهو لايقبل موظفاً أو تاجراً إلا بشروط ثقيلة . وليس له أن يخرج أموالا كسبها فى تلك البلاد . فان توافر لديه مال فعليه بشراء عقار داخل البلاد . وفى البنوك والجمارك رقابة شديدة يتعسر معها على الأجنبي أن يخرج بأموال غير ما قد يتبقى معه آخر اقامته ، أى أن ثروات البلاد تتداول فيها ولاسبيل للاجانب الى استنزافها . ومن هذا أنهم جملوا مدائنهم ومصايفهم ومدن المياه عندهم واتقنوا صناعة الفنادق والمقاهى ومعارض المصنوعات إتقاناً لايدع مجالا للبحث عن الأجنبي أو تفضيله . وقد رأيت فى أنقرة وبلوفا وفلوريا وفى الأماكن الجديدة متنزهات ودورا للفرجة لاتقل عن نظائرها فى أوربا ان لم تفقها

ومن مظاهر الاستقلال فى تركيا التنظيم المالى المحكم وتكوين رءوس أموال أهلية وعدم الاستدانة برغم الاصلاحات الثقافية والصحية والعمرانية التى تتمتع بها البلاد عاما فعاما . وعمل الميزانيات الخماسية أى ان المشروعات الضخمة توزع على سنوات خمس ، فتضمن البلاد تقدمها المطرد على قاعدة عدم الاسراف وتفضيل الأهم على المهم . ومن هذا أن قلت العناية بالمظاهر فى الحكومة والشعب ، وانصرف الناس الى الحقائق وتوافر العمل للجميع وتوارى العمال العاطلون بخلاف ما هو كائن فى أوربا

لقد أحكمت الحكومة التركية النظام المالي وجعلت الصناعات الكبرى فى يد الدولة . وكذلك التصدير من اختصاصاتها ، كما سيطرت على التجارة الخارجية والنقد وتقوم بتدبير رءوس الاموال اللازمة للصناعات الاهلية ، ولكن أهم هذه المظاهر عدم الانسياق وراء الدول التي تشترك واياها فى المصالح أو وراء المذاهب المعروفة وهى البلشفية والفاشية (ومذهب الحرية) . وانما

استنت لنفسها مذهب (الكمالية) الذى يجمع مزاياها ويبتعد عن عقباتها التى تتعثر فيها أوربا تعثراً جعلها كالذى يرقص على بركان، بينما تركيا سائرة نحو التقدم والسلام الداخلى والخارجى والعمران والازدهار. ولعلك تسر اذا أيقنت أن هذا الاستقلال من مستلزماته فى تركيا أن يبث الحرية فى النابتة والطلبة والموظفين والشعب، وتحسين الخلق تحسيناً جعلها انموذجاً للبلاد ذوات الدنيات العتيقة وحب الاخلاد الى القانون واشتغال الناس بأنفسهم عن غيرهم

كل أولئك من مظاهر الاستقلال فى تركيا الكمالية. حقاً لقد أملى كمال أتاتورك كل هذا على شعبه، ولكنك اذا زرت تركيا أيقنت أن هذه الفضائل قد أصبحت طبيعية لا تكلف فيها

مجد الدين حفنى ناصف

فى الاستقلال والحرية

* الاستقلال لا يوهب بل يؤخذ (كوشان)
* ان حب الاستقلال متغلغل فى كل خلية من خلايا القلب (واشنطن)
* أيتها الحرية. ما أكثر الجرائم التى ترتكب باسمك (مدام رولان)
* انه لأسهل عليك أن تزحزح الجبال، وتقذف بها بعيداً من ان تفلح فى وضع أغلال العبودية فى اعناق الذين يصرون على الحرية والاستقلال (سونى)
* الحرية للجماعة كالصحة للفرد، فاذا ذهبت الأولى زالت سعادة الجماعة، واذا ذهبت الثانية زالت سعادة الفرد (ولنجبروك)

كيف تنهض مصر المستقلة

استثمار المرافق الاقتصادية

بقلم الأستاذ عبد الحليم الياس نصير

كسبت مصر وثيقة الاستقلال فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ بتوقيع المعاهدة المصرية الانجليزية. وقد أصبح واجب المصريين أن ينهضوا لممارسة حقوق الاستقلال بروح الحكمة والثقة والاقدام. ومن علامات التجديد أن تقل هجرة أهل الريف الى عاصمة البلاد . وهذه ظاهرة يجب البدء بالقضاء عليها

والآن تدخل مصر فى دور البناء والانشاء ، بناء الاستقلال ، وإنشاء السيادة الدولية . وستبلغ البلاد ذروة الاستقلال بفضل تعاون جميع السكان وإخلاص الزعماء ، ويومئذ تصبح مصر الناشئة كبيرة بمنشآتها عظيمة بأعمال بنيها قوية بمؤسساتها الدفاعية والعلمية والمالية والصناعية والتجارية والزراعية . فما هى عدتنا لتحقيق هذه الأمانى ؟

مهمة الحكومة

فى اعتقادنا أن الحكومة ينبغى أن تكون فى عهد الانشاء على رأس كثير من الأعمال العمرانية ، فتساهم مع الأمة فى تأسيس بنك صناعى قومي ، وتساهم فى تأسيس بنك عقارى زراعى قومى ، ولا تتردد فى إنشاء بنك مركزى يكون بنكا للبنوك مستقلا كل الاستقلال عن جميع البنوك القائمة ، لكن يسمح للبنوك بالمساهمة فيه ، وبهذا تنظم الأسواق المالية

أما العمل الحيوى فى نظرنا فهو الاقدام على استثمار الثروة المطمورة فى مصر : فى الصحارى والجبال وماء النهر وسواحل البحار . ومن حسن التوفيق أن استقلال مصر يعلن فى الوقت الذى بدأ الشعب يفهم فيه شيئاً عن الثروة الهائلة الكامنة

ماذا تعلمنا عن الثروة المصرية

لقد تلقينا الدراسة الابتدائية منذ ربع قرن فتعلمنا على بعض أساتذتنا أن مصر لا يمكن أن تصبح قطراً صناعياً ، وعللوا ذلك بعدم وجود الحديد والفحم فى مصر ، فنشأنا كما نشأ من قبلنا نعتقد أن مصر لا تنتج غير الحاصلات الزراعية ، وأما الصناعة فلها دورها فى أوربا ، بذا حكمت الطبيعة ، وبذا جرت المقادير ، وسنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . هذه هي العبارات التى كان يجرى بها لسان بعض الأساتذة ولا يزال رنينها يدوى فى أذنى

تعلمنا أن مصر فقيرة الموارد ، إلا مورد الزراعة . فهل حقا ان مصر ليس بها حديد ، وليس بها وقود لتوليد القوة المحركة ؟ الجواب : لا . . .

ولقد عنى علماء الانجليز فى مصر بدراسة الثروة الطبيعية ، وكتبوا بالانجليزية تقارير نفيسة لا نظن أن كثيراً من المصريين اطلعوا عليها . فمن ذلك تقرير لجناب الدكتور هيوم مدير مصلحة الكيمياء سابقاً . كتبه عن الحديد فى مصر

مناجم الحديد فى مصر

اتفق أن علماء طبقات الأرض عقدوا مؤتمرا فى مدينة استوكهلم فى سنة ١٩١٠ للبحث فى احصاء مناطق مناجم الحديد فى العالم . ونشط الباحثون قبل موعد المؤتمر بسنوات لعمل بحوث على الطبيعة. وقام مدير مصلحة الكيمياء المصرية بدوره فى مصر ، وأجرى عدة تجارب عن طبقات الصحراوين الشرقية والغربية ، وأراضى سيناء والواحات ووادى حلفا والسودان والحبشة

وتبين أن مصر غنية جداً بمناجم الحديد . ولكن التقرير مع ذلك يستهل بقوله : « ان عدم وجود مواد الوقود فى مصر مع وجود الحديد فى مناطق سيئة الموقع قد عاق الاقدام على استثمار الحديد المصرى تجاريا »

وعندنا أن هذه الجملة المثبطة لا يكاد يخلو منها تقرير اقتصادى يعمله انجليزى فى المستعمرات المغلوبة على أمرها . فكل اكتشاف يفضى الى النهوض الصناعى ، أو ينبه أذهان الأهالى الى مستقبل ينتظرهم مثل ذلك الاكتشاف ، يحاط بالغموض والتثبيط والابهام . ولهذا عملت الخرائط الجيولوجية فى مصر خالية من مناطق الحديد الا من موقع واحد فى سيناء ، بينما تقرير الدكتور هيوم يفصح لنا عن مناطق عدة : وتتلخص مناطق الحديد فيما يلى :

١ – فى غرب سيناء فى مساحة ٢٠٠ كيلو متر مسطحا ممتزجا بالمنجنيز

٢ – فى شرق سيناء

٣ – فى الصحراء الشرقية وعلى الأخص فى ثلاث مناطق وهى (وادى ديب) و (أبوماروات) و (أبو جريدة) وجميعها من أحسن أنواع الحديد فى العالم . ولكن يقول تقرير مستر هيوم أن عيبها بعدها عن البحر

٤ – قرب الرنجة

٥ – فى اسوان ووادى حلفا

٦ – فى النوبة

٧ – فى الواحات البحرية أنواع عظيمة وقيمة من الحديد الخام

٨ – فى دارفور وكوردفان أنواع جيدة من الحديد . ونظرة الى هذه المواقع تشعرنا بأن الأمر

أخطر من أن يكون مسامرة لطيفة أو قصة من أفانين ألف ليلة

لهذا بادرنا الى مكاشفة مدير مصلحة المناجم فى مايو سنة ١٩٣٠ بأمر تقرير دكتور هيوم . وكنت قد علمت فى الوقت نفسه ان المرحوم سير هنرى خبير مصلحة التجارة والصناعة المصرية ، قد أحضر عينة من منطقة خزان اسوان وحللها فى معامل لندن فأسفرت النتيجة عن نجاح مبين ، فقد انتجت القطعة من الحديد الصافى ٦٣ فى المائة . فرجوت من مدير المناجم المصرى الدكتور حسن صادق بك أن يوجه عناية خاصة لدراسة مناجم الحديد فى منطقة اسوان لقربها من الخزان واحتمال توليد الكهرباء ، حيث يتسنى ـ إذا صح توافر الحديد هناك ـ إنشاء أفران ذات حرارة عالية لصهر الحديد وإعداد الفولاذ الكهربائى . فرحب مدير المناجم بكل ما أبديت . وقال لى إن المستحسن عدم نشر شىء قبل إتمام البحث فوعدته بذلك

أما هو فلم يضع وقتاً ، وانتهز الشتاء التالى فأحضر عدة عينات وحللها فى معامل انجلترا فأسفرت عن نتائج باهرة شجعته على مسح المنطقة طبوغرافيا لمعرفة مسطح مناجم الحديد فى اسوان . وتبين كذلك أنها واسعة ـ وهذه ثمار بحث فى منطقة واحدة من المناطق العديدة

ونضيف الى هذا أن ما عرف من طبقات أرض مصر الى الآن قليل جداً

أما القوة المحركة فمتوافرة فى الطبيعة من مساقط المياه ، وفى جوف الأرض من آبار البترول المصرى قرب ساحل البحر الأحمر

فالذين قالوا لنا إن مصر بلد زراعى فقط لعدم وجود الحديد والوقود فيها ، قد غابت عنهم هذه الحقائق . ولقد تحقق الآن أن ما ذهبوا اليه إن هو إلا عقيدة فاسدة

الأيدي العاملة

ومن أركان نجاح الصناعة وفرة الأيدى العاملة الرخيصة . ولمصر ميزة فى ذلك . وتتبين فداحة أجور العمال فى انجلترا مثلا متى علمنا أنها تبلغ نحو ٤٠ فى المائة من قيمة مجموع خيوط القطن المغزولة

ولقد جاء الوقت الذى ينبغى أن يعلم الجميع أن مكاسب الصناعة أضعاف مكاسب الزراعة . ولقد حق على الأمة حكومة وشعباً أن تواجه مشكلة البطالة ببرنامج اقتصادى صناعى ينهض بشتى المرافق. وهناك الى جانب الرجال المتعطلين الآن ، سواعد أخرى محتجبة مكتوفة ، ونعنى أيدى النساء المتعطلات عن ممارسة الصناعة . ولكن متى ظهرت المصانع الكبرى ومتى نظمت النهضة الصناعية ، فسيجد الملايين من النساء المصريات مرتزقا يوميا ، وسيجدن صناعات هامة تنتظرهن داخل الدور وخارجها . وستجد المصانع القومية العتيدة من أيدى الرجال وأنامل النساء مصدر خير وبركة وسعادة للأسرة

عبد الحليم الباسى نصير

ثورة المصريين القدماء
في سبيل الحرية والاستقلال

بقلم الاستاذ احمد يوسف

ساعد النزاع الداخلى ، واستبداد الاشراف وكثرة ماكان يجبى من الضرائب على شبوب الفوضى فى مصر القديمة ، وأدى الى التخاذل بين الجماعات والافراد . فسهل ذلك السبيل لدخول الاجنبي ، فنزح الهكسوس الى مصر ، وثبتوا اقدامهم فيها . وكانت منهم حكومة أجنبية خضعت البلاد لها حوالى سنة ١٧٣٠ ق . م

وأسس الهكسوس بمصر أسرتين ،هما الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، بعد أن ازداد نفوذهم العام بعد العام . وكانت مدة وجودهم بمصر نحو مائة وخمسين عاما ، عز فى خلالها على نفر من الأمراء الوطنيين ، أن تستمر البلاد فى خضوعهالأولئك الدخلاء المغيرين . واستعد كل فى اقليمه . وكان الجزء الجنوبى بعيداً عن دائرة حكم الهكسوس ، حيث اتخذ هؤلاء عاصمتهم فى أواريس التى ثبت الآن انها كانت فى احدى جهاتمديرية الشرقية . فقد كان أهل الصعيد وأمراؤه كثيرى التمرد ضد الحكم الجديد . وأخذ الأمراء فى الوجه القبلى يناوشون الهكسوس بين الحين والحين فرادى وجماعات . وكانت حركتهم هذه سبباً فى ازعاج الهكسوس واخراجهم وأصبحت مصر فى الواقع وقتئذ ذات حكومتين ، حكومة أجنبية تحت سلطة الهكسوس ، ومقرها فى الشمال ، وحكومة شعبية يتقاسمها الأمراء المصريون ، ومقرها فى الجنوب . ولم يتعد نفوذ الهكسوس ، بسبب ذلك ، حدود مديرية المنيا . أو مدينة الأشمونين بالقرب من ملوى . بل كان ينكمش أحياناً الى هليوبوليس

بدأ المصريون فى القتال ضد الهكسوس ،الأجانب المغيرين ، فكانت حروب الاستقلال ، التي استمرت نحو أربعين عاما ، لم يكل فيها المصريون ، ولم يحجموا . واشتد القتال بقيادة أمير طيبة أو ملك مصر العليا ، «سقنن رع »

هنا اشتعلت الحمية فى أفكار المصريين لتحرير البلاد من الدخيل . ومن هو هذا الدخيل ؟ هو أحد الشعوب التى كان المصريون يحتقرونها . فقد كان الفراعنة وأهل مصر القدماء يعدون أنفسهم أرقى الناس وأطيبهم أرومة ، فكيف يصبرون على حكم الدخيل ـ ذلك الدخيل الذى كانوا يعرفون أنه أسيوى بدوى ، وأنه لم يدخل بلادهم إلا فى زمن الغفلة وتخاذل أبناء الوطن

والآن نذكر كيف بدأت الحرب ـ أو الثورة على وجه التدقيق ـ فهى مع ذلك لم تنشب

عدائية من أحد الجانبين . بل إن الطرف الأجنبي ، على مايظهر من بعض أوراق البردى ، قد أخذ فى احراج الطرف المصرى ومضايقته ، وكان الأمراء المصريون جميعا يدفعون الجزية لملك الشمال الهكسوسى . وأول من ثار من المصريين كان كما ذكرنا الامير ، أو الملك ، (سقنن رع الاول) ومات وتبعه الملك (سقنن رع الثانى) . حتى اذا جاء عهد الملك (سقنن رع الثالث) شبت الحرب شديدة . وكان الملك الهكسوسى إذ ذاك يدعى (أبابى) أو (ابو فيس)

وقد ذكر المصريون فى ورقة بردية ـ ولعلهم لايقصدون بذلك غير السخرية والتهكم ـ أن ملك الشمال (أبابي) المذكور جمع السحرة وأهل العلم واستفتاهم فى أمر ملك الجنوب ليفتوه بشيء يتمحل به سبباً لاعلان الحرب عليه . فأفتوا بأن يكتب اليه شاكياً من صوت حيوان فرس البحر الموجود بقناة طيبة ، لانه يزعجه ويقلق راحته ، ولا يدعه ينام الليل ـ وقد يدرك القارىء معنى التهكم الذى قصده المصريون فى هذا التعليل العجيب ، حيث تبتعد طيبة عن أواريس نحو ٧٠٠ ميل ـ وقصد أصحاب الفتوى من ذلك أن يتخذ الملك من احتجاج المصريين على فكرتهم تكأة لقيام الحرب

وقامت الحرب سجالا بين الفريقين . وقاد (سقنن رع الثالث) الجيش المصرى والتقى مع العدو ، وتطاحنا بالقرب من الاشمونين . واذا بسقنن رع الثالث يقع شهيد وطنيته قتيلا فى ميدان الحرب . وجثته الآن بالمتحف المصرى يرى فيها أثر ضربة بلطة شجت جبهته ، وأثر ضربة أخرى فوق العين اليمنى ، ووخزة فى الخد من سن رمح . وقد ضغط الملك لسانه بأسنانه مما يدل على أنه كان ثائراً مستبسلا

وخلفه ابنه البطل (كاموزى) فقاد الحرب طاحنة مرة أخرى ، وأخذ يهاجم ويقاوم ، وينظم المعارك ، حتى نجح فى طرد الهكسوس الى مدينة منف . ولكن أخبار معاركه لم تعرف لنا ، بل الذى عرف أنه مات أيضا ولم يحقق ان كان هو الآخر قد مات فى ميدان القتال . ثم آل الامر الى أن يتولى القيادة ملك جديد هو (احمس الاول) المعروف بأموزيس، وكان أصغر أبناء (سقنن رع الثالث) ولكنه بز الجميع شجاعة واقداماً . حيث ضرب الهكسوس الضربة القاضية . واعتبر فى التاريخ منقذ مصر ، بعد أن طهر البلاد من شرهم ، وأعاد لمصر حريتها السابقة واستقلالها

وهنا يجب أن نشير الى أن جزءاً كبيراً من الفضل فى نجاح الثورة المصرية إذ ذاك ، ونجاح الحروب الطويلة من أجلها ، يجب أن ينسب الى أم أولئك الملوك الشجعان المدعوة « اعح حتب » التى كان لها اليد الطولى فى تقوية عزائمهم ، والعمل على تشجيعهم وتهوين الصعاب أمامهم

كانت مهمة (احمس) من أشق المهمات ، ومركزه العسكرى من أدق المراكز . فعليه أن يوحد صفوف المصريين جميعاً ليكون منهم جبهة قوية أمام العدو ، بعد إذ رأى اخفاق سلفه فى تحقيق الغرض. فجمع الناس جميعاً تحت لوائه . ونظر الى ما هو أهم من ذلك وهو ضمان الحالة فى الجنوب حتى لايثور عليه الثائرون المتحينون للفرص . فتزوج من ابنة ملك ايتيوبيا الذى أمده

بجيش نوبى كبير ، استغنى عن معظمه بتطوع الكثير من المصريين . وكان أقصى رغبته أن لا يشارك المصريين أحد فى استرجاع استقلالهم المسلوب . وقد كان أن قسم القيادة بين اثنين هما (احمس بن أبانا) الذى خرج على رأس الاسطول فى النيل ، و (احمس بنخنبت) الذى رأس الجيش فى البر . وسار الجيش والاسطول متحاذيين واحتفظ الملك (احمس) بالقيادة العليا . وبدأت المعركة في منف . فقهر الهكسوس ، وانكمشوا فى أواريس . فتعقبهم (احمس) فيها ، وكانت حصناً حصيناً ، احتاط له الهكسوس بأن جعلوا الترع تحيط بها من كل مكان . فحاصر المصريون المدينة حصاراً شديداً استمر عدة سنوات ، سقطت بعدها المدينة فى أيدى المصريين . فتركها الهكسوس وولوا نحو الشرق ياوذون ببعض الحصون . ولكن (احمس) كان يتابعهم ويهاجمهم في كل حصن حصين احتموا فيه ، حتى أجلاهم عن الارض كلها . وواصل الهجوم وراءهم حتى أوصلهم الى مدينة شاروهين فى الجنوب الغربى من فلسطين ، التى احتموا فيها وتحصنوا . ولكنه حاصرهم فيها أيضاً ، حتى سقطت فى يده . وبسقوطها قضى على كل آمالهم . غير أن (احمس) مازال وراء الهكسوس بعد ذلك يشردهم في البلاد حتى اختفوا عن نظره . وهنا عاد الى بلاده ظافراً كل الظفر ، آمنا كل الامان . فرحبت به البلاد أعظم ترحيب . وقد وضع (احمس) بذلك حجر الاساس فى بناء الامبراطورية المصرية ، وبدأت به الاسرة الثامنة عشرة . فافتتحت صحيفة مجيدة فى تاريخ مصر . كان عنوانها عودة الحرية والاستقلال ، بعد أن حرمت مصر منهما نحو مائة وخمسين عاماً

احمد يوسف

الرجل الحر

إننا لا نعجب برجل الدعة الذى يجفل من العمل ، ولكننا نعجب بالرجل تتجسم فيه الجهود الظافرة . ذلك الرجل الذى لا يؤذى جاراً ، والذى يبادر الى معونة غيره ، ولكنه مع ذلك حاصل على صفات الرجولة اللازمة فى الانتصار فى معارك الحياة القاسية . وليس من ينكر مشقة الفشل ، ولكن شر الفشل ألا يحاول الانسان النجاح . وفى هذه الحياة الراهنة لا نحصل على شىء ما الا بالجهود . ومن ليس فى حاجة الى جهد فى وقته الراهن ، كان فى حاجة اليه فى الماضى . وقد اختزن منه حاجته فى المستقبل . فانما يتحرر الانسان من قيد الاضطرار الى العمل لأنه هو وآباؤه قد عملوا فى الماضى ونجحوا ، فاذا كانت هذه الحرية قد أحسن استعمالها ، واذا كان صاحبها لا يزال يشتغل شغلا من طراز آخر فانه بعمله هذا يثبت جدارته ، أما اذا كان يعتبر خلو باله من هموم يكدح للمعاش فرصة للتمتع بضروب اللذات ، فانه عندئذ يصير عالة على الناس

(تيودور روزفلت)

من قصص الحرية

يوم مورجارتن العظيم

يوم مورجارتن العظيم ، يوم من أيام الحرية والاستقلال . وهو ذوقصة عجيبة ، انتهت باستقلال سويسرا وحريتها من ربقة الذل والعبودية . وهي تصور أسمى غايات الشجاعة والشرف القومي ، والكرامة الوطنية في شخص « وليم تل » بطل هذه القصة الرائعة

لوسرن ! . . هذه البحيرة التي تموج وسط سويسرا ، كأنها قلب يخفق في صدر انسان ، لم يهبها التاريخ من مجده وجلاله ، أقل مما آتتها الطبيعة من فتنتها وروعتها . .

فعلى ضفافها يقوم جبل سمى باسم « بيلاطس » الحاكم البنطي الذي قضى بصلب المسيح عليه السلام . فقد تواترت عن الأجيال القديمة خرافة مؤداها أن هذا الحاكم لما تبين ما اجترح من نكر أثيم ، هامت روحه في أرجاء الأرض نادمة نادبة ، حتى بلغت بحيرة لوسرن ، فاستقرت في قمة هذا الجبل . . وكان الناس يرونها مرة كل عام ، في مثل الليلة التي صلب فيها المسيح ، وقد نفرت من وكرها باكية نائحة ، وظلت تقاسي عذابها الأليم أجيالا تلو أجيال ، الى أن غامر رجل من المجازفين فصعد الى مقرها ، وأخذ يهدىء روعها ويهون الخطب عليها ، فانزوت في مخبئها واطمأنت اليه منذ ذلك الحين ، ولكن الناس مازالوا يرهبون هذا الجبل ويخشون الاقتراب منه ، مخافة أن تتراءى لهم هذه الروح الخبيثة التي تنذر بشق الغير والخطوب ! . .

وفي مدينة لوسرن أقيم تمثال رائع لاسد صريع ، تخليداً لذكرى جماعة من أبناء سويسرا ، ذهبوا ضحية من ضحايا الثورة الفرنسية الدامية . فقد اعتاد ملوك فرنسا أن يتخذوا لهم حراساً من أهل سويسرا ، لما عرف عن أبناء تلك الجبال من الشدة والبأس ، ومن الوفاء والنبل ، فلما هاجم الشعب قصر التويلري يوم ١٠ اغسطس سنة ١٧٩٢ ، صمد هؤلاء الحراس أمام سيل الجمهور الزاخر ، حتى ظهر عليهم الشعب الناقم الثائر ، فانهال عليهم قتلا وذبحاً ، الى أن أودى بهم

وعلى شاطىء البحيرة نشأ البطل الخالد « وليم تل » الذي يدين له شعبه بحريته واستقلاله

***

منذ ستمائة عام كانت سويسرا ترزح تحت نير النمسا التي تولى عليها من رجالها من يأخذ الناس بالبغي والجور ، ويسومهم سوء العذاب . وكان من أولئك الحكام الغلاظ الجفاة ، رجل اسمه جيسلر ، فتنته القوة عن الحق ، وأضله الصلف عن العدل ، فأقام في ساحة السوق بمدينة التدورف عموداً ، وضع قبعته في أعلاه ، وأمر كل من يمر بهذا الميدان أن يحسر رأسه تحية

واجلالا ، ثم ينحني راكعاً ذلة وخضوعاً . .

ومر ذات يوم فتى من فتيان الجبال ، الذين تجرى فى عروقهم الدماء الأبية العزيزة ، فأبى أن يطيع هذا الامر القاسى السخيف ، بل ألقى على القبعة نظرة ملؤها السخرية والازدراء . فأمسك به الحارس المكلف برقابة الرائحين والغادين، وأمره أن يقدم الى القبعة مالها عليه من تجلة وتبجيل، فأبى الفتى ـ وليم تل ـ أن يستذله هذا الأجنبي الدخيل على هذه الصورة المنكرة

فكبل بالاغلال وسيق الى الحاكم ، الذى أراد أن يثأر لقبعته شر ثأر ، فقال الفتى :

ـــ يقال انك تحذق تسديد السهام ، وان يدك لا تخطىء الهدف أبداً ، وأريد أن اختبر مهارتك بنفسى ، فسنأتى بابنك ونربطه الى تلك الشجرة ، ونضع على رأسه هذه التفاحة ، فان أصبتها أنجيناك من الموت ، وان قتلت ولدك اتبعناك به

وجيء بابنه الصغير وشد بحبل الى الشجرة ، ووقف الرجل ينظر الى فلذة كبده نظرة ملؤها الحب والحنان ، بل عبرها اليقين والايمان . ثم تناول سهمين لأمر أضمره في نفسه ، وفوق أولها فأصاب التفاحة فى منتصفها . فأعجب جيسلر بمهارته الفائقة ، ورأى أن يعفو عنه ، ولكنه راح يسأله لماذا وضع فى قوسه سهمين وهو ليس بحاجة إلا الى سهم واحد ، فقال الفتى فى صوت قوى حازم :

ـــ لو أصاب السهم الأول رأس ابنى ، لأنفذت السهم الثانى الى قلبك

فقال الطاغية وهو يبتسم :

ـــ لقد أمنتك على حياتك ، ولن أخلف وعدى هذا . ولكنك ستقضى حياتك هذه فى غيابة سجن لا ينفذ اليها الضوء ، ولا يتجدد فيه الهواء ، منذ بناها أجدادى الغابرون . .

وكبل «تل» بالاغلال مرة وأخرى ، وحمل الى سفينة جيسلر لتعبر به البحيرة ذاهبة الى القلعة التى سيزج به فى سجنها . وسارت السفينة حتى توسطت عباب البحيرة ، حيث هبت العواصف العاتية ، وثارت الأمواج المتلاطمة ، وأرسلت السماء أمطارها غزيرة ، فاضطربت السفينة وسط هذا الخضم الهائج ، وتقاذفتها الأمواج هنا وهناك ، وظهر لجيسلر وأعوانه ألا نجاة ولا خلاص . . ولكنهم كانوا يعرفون عن تل مهارته فى قيادة السفن ، فطلب اليه جيسلر أن يقود السفينة وجزاؤه ان نجا بهم اطلاق سراحه . . وما هى إلا لحظة حتى كان الفتى يعالج المجاديف فى حنكة ومهارة ، ويقلب الشراع ذات اليمين وذات الشمال ، فانقادت له الريح وانبسطت أمامه صفحة الماء ، وبلغ بهم الشاطىء وقد نجوا من موت كان قاب قوسين أو أدنى . .

لكن وليم تل كان يعلم ما انطوت عليه دخيلة هذا الطاغية اللئيم ، فما أن اقتربت السفينة من الشاطىء حتى قفز منها واندفع وسط الآجام والأدغال ، وتربص بجيسلر وراء أكمة مستورة ، حتى اذا أقبل وسط حاشيته . فوق اليه سهما نفذ الى قلبه فأودى بحياته . وبذلك انبثق نور

الحرية فى سويسرا التى غمرتها ظلمة العبودية دهراً طويلا . .

***

ترامت الأنباء الى دوق النمسا أن بعض مقاطعات سويسرا ـ شوتز . وأورى ، وانتروالدن ـ تتأهب للتمرد والثورة ، فحزم أمره على أن يضرب أولئك العصاة ضربة قاسية حاسمة ، تكون لهم عقابا أليماً ، ولغيرهم عبرة بالغة . . وكان الأمر سهلا ميسوراً ، فتحت إمرته جيوش وافرة العدد كاملة العدة ، خبيرة بأصول الحرب وفنون القتال . وليس أمامه إلا شراذم مفككة من أجلاف الفلاحين والرعاة ، لايملكون من عدة الحرب إلا العصى والحجارة ، ولا يعرفون من فنون القتال الا مشاجرات يتضاربون فيها بالأكف والسواعد . . ومع هذا فقد أعد جيشاً ضخما يبلغ رجاله أربعة وعشرين ألفا ، لا ليحاربوا ويقاتلوا ، بل ليعيدوا ويقتصوا

أما شراذم الرعاة السويسريين فلم يجاوز عددهم الالف إلا قليلا ، فنفروا الى سفح جبل مورجارتن حيث أعدوا أكواما من الأحجار الثقيلة ، والصخور الصلدة ، وجذوع الأشجار الضخمة . ثم تربصوا بالجيش العادى حتى أقبل تجاههم . فلما صار فى الممر الضيق الذى ينحصر بين الجبل والبحيرة ، دفعوا بهذه الأكوام الهائلة فانحدرت فوق السفح ، وقد جرفت أمامها الأعداء وقذفت بهم الى الماء . فأما من ابتلعته مياه البحيرة فقد لقى من الموت أهونه . وأما من نجا من الغرق وهام بين الصخور فقد أجهز عليه الرعاة بعصيهم وصخورهم

عندئذ خر السويسريون لله ساجدين ، شاكرين معونته تعالى على عودة حريتهم المسلوبة اليهم ، ورفع نير الغاصبين عن رقابهم . وما زالوا حتى اليوم يقيمون الحفلات الدينية الشعبية ، فيفد الحجيج الى سفح الجبل من كل فج من البلاد ، تخليداً ليوم مورجارتن العظيم

***

أثار هذا النصر سائر المقاطعات ، فحزمت أمرها جميعاً على أن تقف فى وجه الغاصب ، الذى أحفظته الهزيمة المنكرة ، فأعد العدة للثأر والانتقام . .

وذات يوم من أيام الصيف القائظ ، خرج طفل صغير الى شاطىء البحيرة يلعب ويلهو . حتى أخذه التعب فنام الى أن أدركه الليل . وتحت جنح الظلام أقبل جماعة من الناس يسترقون الخطا ويتهامسون الحديث ، فصحا الطفل وتبع الجماعة حتى اكتشف سراً هائلا : كانت النمسا قد أعدت عدتها للتنكيل باهالى لوسرن الذين أفنوا جيشها واحداً واحداً . فاحتفرت سرداباً تحت الارض ينتهى فى قلب المدينة ، واتفقت مع خائن من أهلها على أن يدبر الخطة ويرسم الطريق . .

ظل الطفل يقتفى آثارهم وهو يصيخ السمع ، حتى نزلوا السرداب يتآمرون والطفل من ورائهم ، وبينما هو مأخوذ بما يسمع ويرى ، إذ برجل منهم حديد البصر يراه ، فيثب عليه ويهم بتمزيقه إربا إربا ، واذا بأفراد العصابة يشهرون سيوفهم ويستلون خناجرهم ، ولكنهم لم يجدوا

الجاسوس إلا طفلا لم يبلغ العاشرة من عمره ! .. وجثم الرجل الخائن لكي يذبح الغلام خشية أن يفضح خبيئة أمره ، ولكن رئيسهم أبى عليهم أن يبدءوا عملهم باراقة دم الطفولة الطاهر

وعدا الطفل الى المدينة راجعاً الى بيته ، حيث وجد أباه وصحبه يسمرون حول الموقد ، وحار الطفل فى الأمر حيرة شديدة : أيقول لهم عما رأى فيحنث بيمينه ويمتهن شرفه ؟ . أم يسكت فيخون أهله ووطنه ؟ . ولكن عقل الطفل أوحى اليه أن يقف أمام الموقد ويقول :

— أيها الموقد ! . . لقد رأيت اليوم أمراً عجيباً . . صدقنى انى سمعت اليوم قصة غريبة . .

فضحك أبوه ومن معه أولا ، ولكن الطفل ظل يتكلم بصوت باك متهدج ، فظن الرجال أن الطفل قد اختلط عقله ، ولكن الطفل ظل يتحدث الى الموقد حتى أكمل قصته العجيبة ، عندئذ فطن الرجال الى ما دبر لهم من كيد أثيم . وفى ظلمة الليل الداجى كان الناس قد أفاقوا جميعاً ، متأهبين للدفاع والكفاح ، فلما جاءت كتائب العدو لقيت الموت يرقب مجيئها . . وهكذا أنقذ المدينة الخالدة طفل يلهو ويلعب ! . .

***

نشبت الحروب بين النمسا وسويسرا ، هذه تريد الحرية التى وهبها الله كل فرد وكل شعب ، وتلك تريد أن تغير سنة الله بقوتها الغشوم . .

وزحفت جيوش النمسا تحت إمرة القائد ليوبولد نحاه مدينة أوسلير ، وأحدق الجيش بالمدينة ووقع ابن زعيمها أسيراً فى يد القائد ، فأخذ يهدد أباه بقتله والتمثيل به إن لم يسلم المدينة .. ولكن الرجل رضى أن ينتثر جسم ابنه أشلاء مبعثرة ، وأن يدمى قلبه جراحا غائرة

ثم أمر ليوبولد كتيبة من جيشه أن تتراص فوق القنطرة التى ينفذ منها أهل المدينة الى حيث يأتون بأقواتهم . . ولكن القنطرة لم تحتمل أثقال هذه الكتيبة فهوت بهم فى اليم ، وأخذتهم المياه بين لججها الصاخبة وأمواجها المتلاطمة . . فماذا يفعل أهل المدينة ؟ أيسجدون لله شكراً لأنه أعانهم على القوم الظالمين ؟ أم ينتهزون الفرصة فيجهزوا على من بقى من جيش الغاصبين . . كلا ! . . بل أسرعوا الى النهر وقد نسوا كل عداء وبغضاء ، وراحوا ينقذون أعداءهم وكأنهم اخوة أو أولياء . فما كان من القائد وقد بهرته هذه الروح النبيلة المجيدة ، الا ان ذهب الى المدينة فى نفر من رجاله يطلب اليهم ان يتخذوا عدوهم اللدود صديقا حميا ، وبهذا استحال الصراع عناقا ، والتناحر وداداً ، والحرب سلاما . .

(تلخيص) **عبد الحميد عبد الغنى**

حيرة الساسة والمفكرين

فى حلّ مشكلة السّلام

الساسة يريدون السلم ، لكنهم يريدونه محققاً لمطامعهم . . ! !

الكل يخشى الحرب وينشد السلام ، والكل مع هذا يتسلح من قمة الرأس إلى اخمص القدم . والمفكرون من ساسة وأدباء يحاولون حل مشكلة السلام ، لكنهم فى حيرة وتناقض واضطراب . وسنحاول فى هذا المقال عرض مختلف الحلول التى فكر فيها ساسة اوربا ومفكروها لاقرار السلم ومحو شبح الحرب

يحار مفكرو اوربا من ساسة وأدباء فى حل مشكلة السلام ، وقد أنشئت عصبة الأمم ، ولكنهم سرعان ما شعروا بضعفها وفشلها . فارادوا أن يعززوها بمحالفات ، وعقد اتفاقات ، وتنظيم خطط سياسية اجتماعية ولكن هذا الجهد لم يثمر ، ولم يصل بالامم الى الغاية التى يرمى اليها هؤلاء المفكرون

اقتراح فرنسا

وقد تقدم السياسى الفرنسى المشهور المسيو فلاندان بمشروع جديد لسلم لا يقبل التجزئة

وينص هذا المشروع على تنظيم السلم مع المساواة فى الحقوق ، وعلى احترام استقلال دول أوروبا كما تكونت بعد الحرب الكبرى ، وعلى احترام المعاهدات والالتزامات ، والأخذ بمبدأ التحكيم ، والتوسع فى المساعدة المتبادلة بعقد اتفاقات إقليمية عند الاقتضاء

وكان من رأى المسيو فلاندان أن توضع تحت تصرف عصبة الأمم قوة عسكرية بحرية وجوية لارهاب المعتدى ، وأن تتعهد كل دولة بعدم المطالبة باجراء أى تعديل جغرافى فى أراضى دولة أخرى إلا بموافقة الجميع وبعد انقضاء ٢٥ سنة

وزاد المسيو فلاندان على ما تقدم أن من واجب كل دولة توقع هذا الميثاق أن تسرع لمساعدة أية دولة مشتركة فيه إن اعتدت عليها أخرى فجأة وبدون استفزاز

النظرية الالمانية

هذا ما عرضته فرنسا وقصدت به إلى وضع حد لنيات الالمان ومطامعهم ، ولكن المانيا الساعية

لتحطيم معاهدة فرساي وتبديل الحالة التى استقرت فى أوربا عقب الحرب الكبرى ، أدركت أن المشروع الفرنسى عمل سياسى يراد به تطويقها وعزلها وحشد المجموع الاوربى ضدها ، وارغامها على قبول المركز الذى وجدت فيه بعد الحرب ، فرفضت المشروع ومضت فى طريقها تتحين الفرص لهدم معاهدة فرساي شيئاً فشيئاً

وحدث بعد أن احتلت ألمانيا منطقة الرين أن عرضت على أوربا مشروعا آخر للسلام

عرضت ألمانيا عقد ميثاق عدم اعتداء لمدة ٢٥ سنة بينها وبين فرنسا وبلجيكا ، وعقد ميثاق جوى يعزز الأول ويقويه

واقترح هتلر فوق ذلك عقد مواثيق عدم اعتداء ثنائية مع البلاد المجاورة لألمانيا فى الشمال الشرقى والجنوب الشرقى تشبه الميثاق الذى كانت قد عقدته الحكومة الألمانية مع بولونيا

وقد جاهر المستشار هتلر إذ ذاك بانه متى تحققت مطالب ألمانيا فى الاستعمار وانفصلت معاهدة فرساي عن ميثاق عصبة الأمم ، عادت ألمانيا إلى احتلال مقعدها السابق فى جنيف واشتركت مع سائر الدول فى معالجة شتى المسائل الدولية . ولكن فرنسا رفضت مشروع هتلر . رفضته لأنه لا يحقق فى نظرها السلامة الاجتماعية التى تنشدها

والحق أن هتلر لم يصرح فى مشروعه بقبوله النظام الحاضر فى دنزج وميمل وبعدوله عن مطامعه فى النمسا وسلسفيج الدغركية ، وبصرف تفكيره عن احتلال المقاطعات التى تسكنها الأقليات الألمانية التابعة لتشيكوسلوفكيا

وقد أيقنت فرنسا أن هتلر - باستعاضته عن مبدأ السلامة الاجتماعية بمبدأ عقد مواثيق عدم اعتداء ثنائية - يريد أن يحمى الدولة التى تنكر التزاماتها وتقدم على الاعتداء ، من عمل عسكرى واقتصادى مشترك تقوم به الدول كلها ضدها ، متى كانت هذه الدول منضوية تحت ميثاق للسلامة اجتماعى واحد كما اقترحت فرنسا

موقف انجلترا

أما انجلترا فلم تقبل حل مشكلة السلام وفق النظرية الفرنسية ولا وفق النظرية الألمانية

والواقع أن انجلترا تنظر قبل كل شىء إلى مصالح امبراطوريتها ، ولا تريد أن تنصب نفسها حارساً على أوربا أو أن تتعهد بالتزامات تقيدها فى المستقبل

ولقد أعلن المستر ايدن فى خطبة له فى مجلس العموم « أن ليس من المرغوب فيه ولا من الممكن الآن دخول الدول الأوربية فى مفاوضات عامة للمساعدة المتبادلة خارج نطاق عصبة الأمم »

ومع ذلك فمشروعات انجلترا لاقرار السلام معروفة وأهمها :

اعادة النظر فى المعاهدات التى عقدت عقب الحرب (وهذا يخالف الاقتراح الفرنسى) ، واعادة

ألمانيا إلى عصبة الأمم ، وابدال ميثاق لوكارنو بميثاق جديد لضمان السلامة بين فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا والبلجيك ، والتساهل في عقد مواثيق إقليمية تشرف عليها عصبة الأمم

ومتى تم ذلك فكرت انجلترا في تعديل ميثاق العصبة وتعزيزه وتوسيع مدى التزاماته العسكرية ، وفي الشروع في مفاوضات لتحديد السلاح وفي طرح مسألة المواد الأولية على بساط البحث في شكل مؤتمر اقتصادي . ومن المهم أن نعلم فوق ما تقدم أن من تقاليد السياسة الانجليزية عدم التورط في الحرب دفاعا عن السلم ، وقصر تدخلها المسلح على حماية الشواطىء المواجهة لشواطئها ، وفي هذا ما فيه من الاخلال بمبدأ السلامة الاجماعية والضمان العام

صعوبة التوفيق

يتضح مما تقدم أن ليس هو حب السلام الذي يملي على الدول تلك المشروعات والحلول ، بل مصالحها ومطامعها وغاياتها المستورة ، كما يتضح أن ليست هناك دولة وعدت في صراحة وجرأة بتأييد عصبة الأمم في الذهاب إلى أبعد حد تقتضيه الضرورة لحماية السلم

وما دام هذا المبدأ لم يتقرر فلا أمل في أن يكون النجاح حليف أي مشروع مبتكر جديد

على أن الساسة يحاولون التوفيق جهد الطاقة بين ما يرون فيه مصلحة أمتهم ، وبين الرغبة في تحقيق تلك المصلحة – إن أمكن – في ظل السلام ...

وهذا مثار حيرتهم لأن محاولة الدفاع عن المصلحة الشخصية ومصلحة السلام العامة في الوقت نفسه ضرب من المحال . كما أن محاولة الربح والتفوق بدون اراقة الدم واثارة الحرب قد تكون في أحيان كثيرة ضرباً من المحال أيضاً

وعليه فالساسة يرغبون في السلم ولكنهم يعتقدون أن من المهارة أن يفوزوا بمطامعهم في نطاق السلم

ومتى كانت هذه هي السياسة العامة فلا بد أن يحار أعمق الساسة عقلا وأوسعهم خبرة وأكثرهم نزاهة في وضع مشروع للسلم يمكن أن تقبله جميع دول اوربا ويمكن أن تعمل به مدة عشر سنوات فقط

ولقد كان من أثر اختلاف المشروعات وتناقض الحلول وخوف الدول من التدخل المسلح لحماية السلم عند الضرورة ، أن اشتدت المطامع وازداد ضعف عصبة الأمم ، فاحتلت اليابان منشوريا واحتل الايطاليون الحبشة واحتل الألمان منطقة الرين المجردة من السلاح وبسطوا نفوذهم على دنزج

ثم جاءت الحرب الأهلية الاسبانية فكان خوف فرنسا وانجلترا من التدخل المسلح اكبر مشجع لايطاليا وألمانيا على مساعدة الثوار الاسبان مقابل أن تفوز الأولى بجزر الباليار والثانية بجزر كناريا

ثم تطورت الحوادث ايضاً وخشيت الدول الصغرى على مصيرها فأعلنت بلجيكا سياسة الحياد وألغت الاتفاق العسكرى المعقود بينها وبين فرنسا وتناست التزاماتها فى ميثاق لوكارنو وأصبح يخشى بين لحظة وأخرى أن تقتدى بعض دول التحالف الصغير بها . وهكذا تداعى صرح آخر من صروح السلم كان يعلق عليه العالم اكبر الآمال

آراء لكبار المفكرين

عرضنا فيما تقدم أهم الحلول التى اقترحها الساسة لمعالجة مشكلة السلام وأوضحنا كيف أصابها الفشل . فلننظر الآن فيما يقترحه الادباء والعلماء ورجال الثقافة والفكر

يرى المؤرخ الايطالى الشهير « فريرو » وهو من أولئك الايطاليين القلائل الذين يؤمنون حتى اليوم بمبدأ الديموقراطية ، أن الحرب كانت فى القرن الثامن عشر أشبه بصراع بين جيشين أو عدة جيوش فى ميادين مغلقة محدودة . وكانت الجيوش مستقلة عن الشعوب مؤلفة فى بعض الاحايين من عناصر غير وطنية، وكانت المعارك طويلة متقطعة وغير ماحقة كما هى اليوم . بل إن القواد أنفسهم كانوا لا يفرطون بسهولة فى أرواح جنودهم ، ويتفادون ما استطاعوا الاغراق فى سفك الدماء . وكان غير الجنود من الشعب وهم الاغلبية الساحقة يشهدون الحرب عن بعد كمتفرجين . فلما أن جاءت الثورة الفرنسية وأعلنت الخدمة العسكرية الاجبارية تبدل هذا النظام وأصبحت الأمة التى تدخل فى حرب تشترك فيها بمجموع افرادها وقواها ومختلف موارد الثروة والمال فيها

فالقرن الثامن عشر كان أحكم القرون فى نظر « فريرو » إذ هو قد استطاع أن يلطف الحرب وينقص أخطارها الى الحد الأدنى . لذلك ينصح المؤرخ الايطالى بوجوب الأخذ بأساليب ذلك العهد واتفاق جميع دول أوربا على الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية، وجعل الحرب جزئية وفصل القائمين بها عن مجموع الشعب . ومتى تم ذلك تحدد السلاح ونقص من تلقاء نفسه وتمكن رجال السياسة من توقى المنازعات أو حصرها فى أضيق حيز مستطاع

وقد نادى فريرو بهذا الرأى فى كتابه « ختام المغامرات » الذى أطلع المسيو بريان على أصوله قبل تقديمه للطبع فاعجب به الاعجاب كله ،وكان فى نيته السعى لتطبيق نظرية صاحبه لولا أن فاجأه الموت

أما العلامة « اينشتين » فقد أذاع رسالة عنوانها « عصبة الشهداء » اقترح فيها لنشر السلام والقضاء على الحرب أن تؤلف فى أوربا عصبة من الشهداء يمتنع أفرادها البتة عن حمل السلاح ويجاهرون بحبهم واخلاصهم للسلم ولو ذهبوا ضحية واستشهدوا جميعاً فى هذا السبيل

وهذه الفكرة ليست جديدة فقد بشر بها تولستوى من قبل وروج لها فى رسائل شتى وأقام

عليها بغيان روايته التمثيلية الرائعة « النور يضيء في الظلام »

وكان من رأى الكاتب الفرنسي الكبير «رومان رولان» في رسالته «دافعوا عن حياتكم» أن خير طريق لمعالجة السلم هو تثقيف العمال واشعارهم بأنهم أول ضحايا الحرب وأن من واجبهم أن يذودوا عن زوجاتهم وأبنائهم وأنفسهم باعلان الاضراب العام عن حمل السلاح متى أعلنت أية حرب

أما الكاتب المشهور «اندريه جيد» فيعتقد أن مشكلة السلام لن تحل حلا نهائياً بواسطة اضراب العمال أو تبديل نظام الحرب، بل بواسطة تبديل نظام الانتاج الذي يؤدى الى الحرب . ومعنى هذا ان الكاتب يدعو للاشتراكية ويحبذ حرب الطبقات على أمل أن يفوز العمال ويستولوا على مقاليد الحكم فتبطل الحروب التي يثيرها في زعمه أصحاب رءوس الأموال

وأما المفكر الروسي «ليون شستوف» فيرى في رسالته المشهورة المعروفة باسم « الانسانية هي كل شيء» ان عبادة الوطن حلت محل العبادات القديمة، والتعصب لفكرة الوطن حل محل التعصب لفكرة الدين ولم تعد الوطنية ضربا من الحب السليم القوى الطبيعي للبلد الذي أوجدنا وأحيانا ، بل استحالت الى عقيدة فيها مافي سائر العقائد من ضرورة الغلو في الايمان بها والافراط في خدمتها والتفاني في نصرتها ولو ضد مبادىء العدل والحق والانسانية

فالتعصب الاعمى لفكرة الوطن ، واعتبار مصلحة الوطن منفصلة عن مصلحة الانسانية هو السبب الرئيسي لجميع الحروب . فلكي تبطل الحرب يجب تربية النشء على حب الانسانية وبغض الحرب ، وعلى وضع الانسانية فوق الوطنية

يجب أن تؤلف كتب للصبيان تسفه الحرب وتصف ويلاتها وتبغضهم فيها وتدعوهم لا الى بطولة القتال في سبيل مجد الوطن بل الى بطولة العلم والتضامن والمحبة في سبيل خير الانسانية

وما دامت كتب التاريخ حافلة بتقديس السفاحين ، وما دام الطفل ينشأ على حب اللعب بسيف أو بندقية من خشب فلن تخمد في نفسه — على حد تعبير ليون شستوف — جذوة القتل التي كانت تضطرم في أعماق فطرة الانسان الاول في عصر المغاور والظلمات

هذه بعض الحلول التي يقترحها الأدباء والعلماء ورجال الفكر . وهي أيضاً تدل على اضطرابهم وقلقهم ومبلغ حيرتهم وعدم استقرارهم على مذهب محدد معقول سهل التطبيق

فهل يستخلص في المستقبل من اقتراحات المثقفين ومشروعات الساسة نظام عملي نزيه يمكن أن يقر السلام في نصابه ويحفظ ثمرة الحضارات التي لا يلبث الانسان أن يقيمها حتى يهدمها ؟

هل تكون الاجيال المقبلة سعيدة ؟ هل تكون الاجيال المقبلة أعقل منا ؟ . . .

هذا هو السؤال الذي يطرحه اليوم على نفسه كل سياسي ومفكر ، وعلى الرد عليه يتوقف مصير النوع البشري باكمله !

أحق الكتب بالانتشار

ما يتناول الانسانيات ويلبسها ثوبا من الادب

بقلم الدكتور منصور بك فهمى

مدير دار الكتب المصرية

الكتابة والتأليف كلاهما أثر يفيض عن النفس البشرية ، مصدره من الانسان ، ومنتهاه الى الانسان ومهما قل شأن الفرد فى الهيئة الاجتماعية أو جل فهو أدنى الى قبيل من الناس فى تربيته وتجاربه ، وفى نشاطه ومظاهره ، وفى فهمه للامور وحكمه عليها . فالحضرى أقرب الى أهل المدينة منه الى البدوى فى تقدير الحياة ، وأهل الحرفة الواحدة فى أمة ادنى بعضهم الى البعض حساسية وتفكيراً

وهكذا شأن ابن آدم يرتبط من ناحية بالناس فى ميدان الانسانية الواسعة فيصبح لهم شريكا فى الحس المشترك ، ويرتبط بهم من نواح أخرى بشتى الروابط ، كالطائفية ، والثقافية ، والفنية وما يتعلق منها بوحدة المثل والآمال ، ووحدة الاوجاع والآلام

وتختلف البيئات التى يتصل بها الناس كثرة وقلة باختلاف مراكزهم وثقافتهم ، ونشاطهم ، فيكون أحد الناس كاتباً شاعراً ويكون فى الوقت نفسه جنديا مرس فى القتال والمجالدة وله من تجاربه ما يستطيع به أن يتفاهم مع طائفة الجند فى كل ما يتصل بامر الحرب والنزال . على أن مثل هذا الجندى الشاعر ربما لا يتفاهم مع تاجر لا صلة له بالفن والشعر ولا صلة له بأمور القتال

واذا كانت الكتابة والتأليف (كلاهما) صنفاً راقياً من لغة النفس فان حظهما فى الرواج والنفق يتسع مع وفرة العدد الذى يحتاج الى تلك الكتابة ويحسن إدراك هذا التأليف ، ويضيق بنسبة قلة من يحتاج اليها او يحسن ادراك هذا التأليف ويقدره . فقد تروج كتب الرياضة والهندسة مثلا عند مقدريها من طوائف الرياضيين والمهندسين دون أن يكون لها رواج عند طوائف الأدباء والشعراء ممن يشغلهم أدبهم عن الرياضة والهندسة . ونظراً لتعداد بيئات الناس وتنوع حاجاتهم الثقافية فقد تنوعت نواحى التآليف وتعددت أسواقها لتعدد الجماعات الانسانية ممن يتقاربون فى وجهة النظر وتجانس الميول

لكن أوسع الأسواق رواجا وأحق النواحى بالكتابة هى التى توحد بين الناس جميعاً وتجمعهم فى المسائل التى تهم الانسانية برغم اختلاف الجماعات والأجناس والمذاهب والنحل والطبقات والحرف

ويلوح لى انه حين تحصر المسائل الجوهرية العامة التى تثيرها حاجات النفوس ، وتكونها لوازم المدنية الحاضرة ، ويرغب جميع الناس فى فهمها وحاولها . فقد تحصر بذلك دوائر اشتراكهم فيما يحسن لديهم من القول والكتابة ، وتظهر بذلك نواحى الاحق عندهم بالتأليف

فما هي اذن أهم المسائل التى تشغل بال أكثر من يعيشون فى مدنيتنا الحاضرة ؟

كل الناس يؤثرون الصحة والعافية ويرغبون فى الحياة المرضية ، والمدنية الحاضرة تعالج فيما تعالج ما يعزز الصحة ويمد فى أسباب الراحة وتوفير النعم

وأكثر الناس يجنحون للسلام ويعملون على اضعاف أسباب اللدد والخصومة ، والمدنية الحاضرة تعمل على ايجاد أسباب المحبة والسلام

وأكثر الناس يتجنبون بطبعهم ما يقلق النفس ، ويؤثرون هدآت البال وراحة الضمير ، وإن المدنية الحاضرة تعالج ما يعين على راحة البال وهدآت الضمير

وأكثر الناس يرغبون عن الاضطرابات الاجتماعية ، ويخشون قلق الحياة الاقتصادية ، والمدنية الحاضرة تسعى للسكون الاجتماعى والتوازن الاقتصادى

وأكثر الناس يتعطشون للانباء والقصص ولمعرفة الحوادث والأخبار فى شتى صورها ، والمدنية الحاضرة تيسر النشر وترويج الخبر

وأكثر الناس تفتنهم روعة الاكتشافات ، وتبهرهم الاختراعات ، ويخشعون لعظمة العقل وعظمة العلم حين يتغلب سلطانه على سلطان الطبيعة ، باستخدام شتى الحيل لتقريب البعيد وتذليل الصعب ، والمدنية الحاضرة غنية بالاكتشافات العلمية ، مغدقة بعجائب الاختراعات الفنية

وأكثر الناس يميلون الى الجميل ، رمزاً كان أو صورة أو نغمة أو نسقاً أو قولا ، وان المدنية الحاضرة تعالج فيما تعالج اتخاذ الاسباب لترويج الحسن والدعاية للجميل

فيهم الناس اذن كل ما له شأن فى أمر الصحة وترفيه الحياة ، ويهمهم كل ما يتعلق بالتآخى والسلام ، ويهمهم شأن الخلق وحسن المعاملة ، ويهمهم نظام التبادل الاقتصادى وصدق التعاون الاجتماعى ، ويهمهم ما يتصل بسريان الأخبار والتسلى بالانباء ، ويهمهم تمجيد عظمة الانسان فيما يكتشف ويخترع ، ويهمهم كل ما يشحذ ذوقهم الأدبى وحسهم الفنى

وكأنى حين حصرت أمهات المسائل التى تشغل الناس فى دائرة الصحة ومتع الحياة ، وفى دائرة الشئون الاجتماعية والنفسية ، وفى دائرة الادب والفن الجميل ، قد حصرت التآليف التى هي أدنى الى الانتشار بين الناس وأقرب الى رغائبهم وأحب الى نفوسهم . وأرى أن الانسان هو مركز هذه الدوائر جميعاً . فالمسائل الانسانية اذن هى موضع الحصر فى النهاية للرواج فى الكتابة والتأليف .

وكأنى ألمح حين أقول ذلك شبح سقراط الفيلسوف حين كان يرى ان نفس الانسان هي أحق

الأمور بعناية الفلاسفة والباحثين ، وكأنى أسمع صوته حين كان يهتف بالناس : أن اعرفوا نفوسكم

ويلوح لى ان أبرز مزايا الكتابة فى الدوائر التى ذكرت يبدو فى صبغة العموم التى تصطبغ بها مسائلها . فما من شخص مثقف إلا تدفعه الطبيعة البشرية الى مواجهة المسائل التى تتعلق بمكانة الانسان فى الوجود وبمركز الانسانية فيه ، من حيث قيمتها وقوتها ومصيرها ، وبالجملة فى كل ما يعنيها

وقد يحمل الناس أيضاً على الاهتمام بما يكتب فى الموضوعات الانسانية المتقدمة أنها كثيرة التجدد قابلة لتنوع الانظار والآراء ، والانسان بطبيعته ميال للجدة والتنوع . فبينا نجد جملة من العلوم الرياضية والهندسية والطبيعية قد ظلت نظرياتها طوال السنين ثابتة لا تتغير ، نجد أن الموضوعات التى تمس الانسان وشؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والنفسية كثيرة التغير ، كثيرة الوجوه . وان كل مسألة من مسائلها تحتمل حلولا تتعدد بتعدد الثقافات والمثقفين ، ويكاد يكون لكل قارىء رأى خاص فيها أو حكم فى أمرها لا يخلو من أثر تجاربه وطابعه وشخصيته . ولسبب هـذا الطابع الشخصى الذى يعلق بالموضوعات الأدبية أو الاجتماعية يتسع الاهتمام بها لتعدد من يعالجونها من الاشخاص ، سواء أكان بالكتابة أو القراءة ، ويجد كل منهم فيها عند كتابتها أو قراءتها مرآة لنفسه وتجاربه

وزيادة على ماتقدم فقد أثبتت لنا إحصاءات المكتبات والوراقين أن قراء المسائل الأدبية والانسانية أكثر عدداً من قراء المسائل العلمية الخالصة . وعلى هذا فأحق الكتب بالرعاية وأولاها بالانتشار ما يتناول الانسانيات ومسائلها ويلبسها ثوبا من الأدب جميلا زاهياً

منصور فهمى

من صفات العظماء

« ان تصبر على النوازل وتصمد لها ، وتكافح ما يعقب الاخفاق من حقد ومرارة ، وما يخلفه الحزن من ضعف وخور ، وأن تتغلب على الغضب وسورته ، وأن تبتسم حين تغرورق عينك بالدموع السخينة ، وأن تقاوم أهل السوء وتجاهد الغرائز الوضيعة ، وألا تخاف الموت حين تأتى ساعته الملائمة ، وأن تملأ قلبك بإيمان لا ينطفىء ولا يخبو ـ هذا هو ما تستطيع أن تفعله ، وبهذا تستطيع أن تكون عظيما »

زين جراى

الخصومة بين الأدباء نعمة على الأدب ، وان كانت
نقمة أحياناً ـ الخصومة هى التى أورثتنا بابا كبيراً
من أبواب الأدب هو الهجاء ـ النقد الحق خصومة
شريفة ـ الناس يتخاصمون فتفنى خصوماتهم ، لكن :

الأدب يظفر بتخليد خصومته

بقلم الاستاذ احمد أمين

لست أدرى لماذا اختارت « الهلال » لى هذا الموضوع ! لعلها لاحظت انى أثرت خصومة فى العام الماضى بين بعض الأدباء وبعض ، فرأت أن من آثارها أقدر على الكتابة فيها . ولست أدرى أيضا لماذا فضلت الخصومة بين الأدباء على الصداقة بين الأدباء ، وكلا الموضوعين موضوع شائق مفيد، فعلاقة الأدباء بعضهم ببعض سواء كانت علاقة خصومة أو علاقة صداقة موضوع خصب، يجد فيه الكاتب مجال القول واسعا متعدد النواحى ، ولكن لعلها آثرت الخصومة على الصداقة لأن الخصومة أكثر استفزازاً للادباء ، وأدعى لأفاضة القول ، والناس جميعاً من طبيعتهم أن يستخرجوا كوامن قواهم ، ويستنفدوا قدرتهم ، اذا هوجموا لا إذا وودعوا ، غريزة فيهم ورثوها عن أجدادهم المتوحشين ، بل قبل ذلك عن المخلوقات من الحيوان ، فالقط اليف وديع اذا سالمته ، وهو أسد ضار اذا هاجته ، ثم النظارة من الناس أحب اليهم أن يشهدوا خصومة ونزاعا من أن يروا الفة ووفاقا ، فسالكو الطريق لا يلفت نظرهم شيء اذا كان كل ما فيه متمشياً على سننه ، ماضيا فى سبيله ، جاريا على الفه ، حتى اذا تشاجر جماعة وتضاربوا أو تسابوا وقف الشارع على ساق وقدم وتجمهر الناس ولذهم النظر ، وجاء غيرهم بعدهم يتفرج على المتضاربين وعلى المشاهدين ـ كأنهم يرون فى ذلك إرواء لغريزتهم فى حب النزاع . فاذا لم يتنازعوا هم فلا أقل من أن يمتعوا نظرهم بمشاهدة المتنازعين

ولعل أرباب الصحف والمجلات من هذا القبيل ، يلذهم من حين لآخر أن يثيروا فتنة بين الكتاب ، تقوم فيها الاقلام مقام العصى والسيوف والمدافع ، ولكن هذه الاقلام لا ترى فى الشوارع ، انما ترى فى سطور الصحف فيقبل عليها الناس من جنس اقبالهم على منظر صراع فى الشارع ، أو مشهد « سينما » يمثل الوقائع

وأيا ما كان فلأستعن بالله وأجب الطلب وأكتب فى الخصومة لا فى الصداقة

لقد كانت الخصومة بين الأدباء دائماً نعمة على الأدب وان كانت نقمة أحيانا على الأدباء أنفسهم

فالخصومة ـ أول الأمر ـ فى كثير من الاحيان هى التى تنتج الأديب وتهيج مشاعره ، وتطلق لسانه ، وفى تاريخ الأدباء الشيء الكثير من ذلك ، فقديما كان الشاعر العربى يهجو القبيلة ويعيرها ويجسم مثالبها ويقلب حسناتها سيئات ، فتتلفت يمنة ويسرة تنظر من يدافع عنها ، ويصد كيد عدوها ، فتفعل هذه اللفتة فى المستعد المتهيء فعل السحر ، فاذا بالقبيلة من يروض نفسه على القول ، ويعدها للنضال ويطلق لسانه بالقول واذاهو شاعر . ولولا هذا الهجاء وهذه الخصومة لكان انسانا كسائر الناس لا شاعراً كسائر الشعراء . وحديثا سمعنا أن « عبد الله نديم » أطلق لسانه بالقول رجل دعاه ليعلم أولاده ثم أكل عليه أجره ، فأخذ يعمل لسانه فى هجوه فاذا هو هجاء ، واذا هو أديب ، واذا هو كاتب وشاعر

ثم الخصومة هى التى أورثتنا باباً كبيراً من أبواب الأدب هو باب الهجاء ، فلولا الخصومة ما كانت لنا نقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والاخطل ، ولا كانت لنا أهاجى بشار وابى نواس وابن الرومى وغيرهم من الهجائين ، وكثير ماهم ، ولحرمنا ما ابدعوا فى هجائهم من صور فنية هى غاية فى الروعة والاتقان ، تثير فى النفس الهزء والسخرية حينا ، والضحك حيناً ، والاعجاب من مصورها حينا ، ولو فقدت هذه الصور لكانت كارثة على الأدب ولفقد ركناً كبيراً من مقوماته

ثم هذه الروايات الكثيرة فى الأدب العربى التى وضعت لنقد كاتب والهزؤ به وبآرائه والتى وضعت لنقد فكرة والسخرية بها وبواضعها ومؤيديها ـ كل هذه ما كانت تكون لولا الخصومة الأدبية وكلها ثروة كبيرة من ثروة الأدب لا غنى عنها ، ولا حياة له بدونها

وبعد هذا كله فما النقد ؟ أليس هو خصومة ؟ شريفة أحيانا وغير شريفة أحيانا ؟ إن كان النقد فى قليل من أوقاته مدحا وتقريظا فهو فى كثير من أحيانه عيب وتجريح

وليس يشك شاك فى نعمة النقد على الأدب ، فهو الذى بخصومته يهاجم الأدباء فى شدة وعنف فيبين أغاليطهم ويوضح ضعفهم ، ويظهر عيوبهم ، فاذا هم حذرون يجيدون خوف النقد ، ويحاولون أن يتبرءوا من العيوب خوف النقد ، وينشدون الكمال خوف النقد ، فاذا خرج نتاجهم كاملا أو قريبا من الكمال فالفضل فى ذلك للنقد

وفي كل عصر تنشأ خصومة حادة عنيفة بين رجال الأدب من أنصار القديم وأنصار الجديد يتجادلون ويتسابون ، وجدالهم وسبابهم أدب ، وينقسم الناس الى معسكرين : أنصار المجددين وأنصار المحافظين ، ويحمل كل فريق أقلامهم فيجيدون ويمتعون ، فيكسب الأدب من هذه المعارك مكسباً مزدوجا ، مكسباً من ناحية ما يقال فى هذه المعارك من هجاء وتعنيف وسب وخصام ، ومكسباً من ناحية ما يكسبه المجددون ـ غالباً ـ من توجيه الأدب وجهة جديدة ، وإدخال عناصر فيه جديدة ـ ولولا ذلك لظل هيكل الأدب كهيكل الأهرام تمر عليها الدهور والأعوام وهي هى فى شكلها ومادتها ، ولكان أدبنا اليوم هو الأدب الجاهلى ، ولكان أدب الغرب اليوم هو أدب القرون

الوسطى ، فلولا ثورة المجددين والخصومة بين الأدباء لما تقدم الأدب خطوة ، ولظل على حالته كما تركه الأولون . . هذا في اجمال نعمة الخصومة على الادب

***

ثم إن الخصومات بين الأدباء هي من جنس الخصومات بين ذوى المركز الواحد أو أهل الصنعة الواحدة

هي من جنس الخصام بين الضرائر ، فالضرة تخاصم الضرة لأن كلتيهما تتنازع قلب الزوج ، وتريد أن يكون لها السلطان عليه كاملا ، وهي من جنس الخصام بين الزوجة والحماة ، لأن الحماة تدل بأمومتها وكبر سنها ، والزوجة تدل بجمالها وشبابها وغير ذلك

وهي من جنس الخصومة بين ذوى الصنعة الواحدة . فالنجار قل أن يحب النجار ، والحداد قل أن يحب الحداد ، والتاجر في نوع من السلع قل أن يحب التاجر في هذا النوع ، وكلما قرب الشبه اشتد النزاع ، فالنجار في حى من الأحياء أشد كراهية للنجار في حيه من النجار في غير حيه ، وتاجر الغلال أشد كراهية لتاجر الغلال منه لتاجر القطن ، والسبب في ذلك تسابقهم الى اكتساب « الزبائن » فكل يريد أن يستولى على السوق ، وينفرد بالمكاسب ، ويستبد بحسن السمعه والجاه ، فاذا شعر بأن هناك من يزاحمه في هذا انتقصه وكرهه وعمل على إخماد أنفاسه ، ولذلك كانت كراهية التاجر العظيم للتاجر العظيم أشد من كراهيته التاجر الصغير ، لأنه كالآمن من ناحيته المطمئن الى أنه لا يبلغ شأوه

فالخصومة بين الأدباء من هذا الصنف ، ولذلك قل أن تجد خصومة بين أديب وعالم أو أديب وموسيقى ، لأن ميدان السباق بينهما مختلف ، انما يخاصم الأديب الأديب لأنهما من واد واحد ، ويريد كل أن يكون له السوق وحده ، فاذا شعر من أحد أنه يزاحمه في ميدانه خاصمه وهجاه ، وقلل من شأنه ، وشأن أدبه ، وفعل الآخر مثله ، فكانت النقائض والمهاجاة ونحو ذلك . وعلى قياس ما سبق كلما كانت درجة الأدباء متقاربة كانت الخصومة بينهم أشد ، والمهاجاة أعنف . وقد يتصافى الأديبان ظاهراً ويتخاصمان باطناً ، فتكون الخصومة دفينة تنتظر عود الثقاب ليشعلها ، وقد يمر زمن طويل قبل أن يشتعل هذا العود ـ وكلما زاد أحد الأدباء حظوة عند القراء أو أخرج كتابا أقبل عليه الناس،ازداد خصومه غيرة فراحوا يقللون من شأن نتاجه ، ويتمحلون الأسباب في انتقاصه ، وقد تتكون حول كل أنصار وحول كل خصوم فيكون النزاع بين جماعات لا بين أفراد

ولكن من الحق أن نقول إن الغيرة ليست كل شيء في الموضوع ، فقد تكون تربية الأدباء وثقافتهم سببا في الخصومة بينهم ، هذا أديب نشأ نشأة عربية خالصة ، ولم يقرأ الا لشعراء العرب ، ولم يطلع الا على الكتب العربية ، فعنده أن الأدب الغربي تافه ثقيل الظل ، وخير مثال يحتذى هو أسلوب الجاحظ أو أسلوب البديع أو شعر المتنبي أو أبي تمام ـ وهذا أديب أخذ حظه من أدب

الغرب ، ومزج بين الثقافتين وفضل الأدب الغربى على الأدب العربى،وصار المثل الاعلى له أن يحاكى شكسبير أو لامارتين أو جوته ، فهو يريد أن يطعم الادب العربى بخير ما في الغربى ، ويريد أن يجدد فى بحور الشعر وفى موضوعاته وفى ميادينه ـ فتنشأ الخصومة العنيفة ، وهى فى الواقع خصومة مدرستين ونزاع بين مذهبين ، هذا يتعصب للقديم ولا يريد أن يتحول عنه أنملة ، ويريد أن يتبع عمود الشعر كما كانوا يعبرون ، وهذا ثائر لا يرضى عن القديم الا أن يمزجه بجديد . وقد كانت هذه الخصومة فى كل عصر تقريبا ـ عاب الناس على ابى تمام تجديده ونصره قوم . وهاجم العقاد والمازنى شوقى وحافظا لهذه النزعة بعينها ونصرهما آخرون ـ وسيصبح الحديث قديما ويعيبه جيل المستقبل ويريدون جديداً ، وهكذا سنة الله فى كل شىء حتى فى الأدب

وسبب آخر فى الخصومة كثيراً ما يحدث ـ وهو الخصومة بين شيوخ الادب وشباب الادب ـ وهى خصومة ـ لا شك ـ واقعة ، غاية الامر ان المسألة ليست بالسن فقد يكون شيخا وهو من ادباء الشباب ، وقد يكون شابا وهو من ادباء الشيوخ ، لان المسألة ليست تقدير عمر انما هى نزعة ، والنزعة الى التجديد قد يشترك فيها شيوخ وشبان والنزعة الى المحافظة قد يشترك فيها شيوخ وشبان

والخصومة بين الشيوخ والشبان ترجع الى عوامل مختلفة : منها هذا الذى ذكرنا من اختلاف النزعات . ومنها أن الشبان قد يكرهون من الشيوخ استيلاءهم على السوق وكثرة الزبائن فينفسون عليهم ذلك ويريدون أن يهدموهم ليحلوا محلهم ، ويدافع الشيوخ عن مراكزهم فتكون معركة مروعة تختلف فيها الأسلحة وآلات القتال ، وقد يكون السبب أن الشاب ان كان ناشئا فى الأدب رأى من وسائل شهرته أن ينازل شيخاً،فان ظفر به فقد فاز فوزاً عظيما اذ غلب عظيما ، وإن لم يظفر به فليست هزيمة منكرة ويكفيه فخراً أنه ناوشه ، فهو كاسب على كلّ حال

وبعد ، فكل الناس يتخاصمون ، تاجر يخاصم تاجراً ، وصانع يخاصم صانعاً ، ورب أسرة يخاصم رب أسرة ، وأمة تخاصم أمة وتقاتلها ، ولكن الأدب هو الذى يظفر بتخليد خصومته . فقد ذهبت كل الخصومات فى العهد الأموى وبقيت خصومة جرير والفرزدق ، وذهبت خصومات الناس فى العصر العباسى وبقيت خصومة الخوارزمى والبديع ، وخصومة المتنبى وأعدائه وهكذا

وكم تساب الناس وذهب سبابهم . أما سباب الأدباء فباق خالد ، وهو طرفة ، وهو ابداع وهو يثير التبسم ويستخرج الضحك أو الاعجاب . وسبب ذلك أن الأديب طويل اللسان وقلمه أطول من لسانه وهو ماهر فنان يستطيع أن يصبغ سبابه فى قالب فنى يكسبه الخلود ، أما سائر الناس فساكين ، إما قصار اللسان وإما طواله ولكن ليست لهم القدرة الفنية

ولعل هذا هو السبب فى أن مجلة الهلال طلبت الى أن أكتب فى خصومة الأدباء لا فى أية خصومة أخرى . وما أكثر الخصومات !

احمد أمين

ادب السياسة

وأثره في نهضتنا الحاضرة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

ما المقصود بأدب السياسة ـ هل يمكن اتخاذ السياسة موضوعاً لبحوث الأدبية؟ ـ ماهو المجتمع السياسي ـ ماهي الواجبات التي تقيد الانسان بالعمل في هذا المجتمع ـ ماهو أثر الادب السياسي في نهضتنا الحاضرة ؟ ـ طبقات الادباء الذين اشتغلوا بالسياسة في مصر ـ الادباء المشتغلون بالسياسة هم أصحاب الاثر الاكبر في النهضة

ما المقصود بأدب السياسة ؟

قد يكون المقصود به البحث في المسائل السياسية عن أسباب نفسية واجتماعية واقتصادية أعمق وأدق من الاسباب التي تلهج بها الألسن أو تخوض فيها صحف الدعاية

فالاكثرون من الناس يرجعون بالأسباب السياسية إلى ما يقوله الوزراء والسفراء أو يقوله الملوك ورؤساء الحكومات ومن اليهم من أصحاب النفوذ

وهناك أسباب اعمق وأدق مما يقوله الساسة ويجهرون به على المنابر العامة ، ونعني بها الأسباب التي يكتمونها ، ويقصدون اليها من وراء الاحاديث والتصريحات

لكن الحوادث السياسية في الحقيقة لا تدور على أقوال الساسة ، ولا على مقاصد الساسة من وراء تلك الأقوال

فانما لكل حادثة سياسية ـ ولا سيما الحوادث الكبرى ـ أسباب كثيرة لا تسيطر عليها مقاصد الوزراء والأمراء ولا يسعهم في معظم الأحيان أن يتحولوا بها من وجهة إلى وجهة ، ولكنهم هم المسخرون لسلطانها المجروفون في غمارها ، قاصدين إلى ذلك أو غير قاصدين ، وعارفين بمقاصدهم أو جاهلين . وما من حادثة سياسية تشترك فيها الدول الا ولها من وراء الزمن الحاضر والظواهر الماثلة للعيان بواطن قديمة وخفية ، من يحاول تغييرها فكأنما يحاول تغيير الأيام الغابرة

مثال ذلك الحرب العظمى وما قيل عن الكبراء المسؤولين عنها . فقد لعبت الاهواء السياسية لعبها المشهور في القاء تبعاتها حينا على المانيا ، وحيناً آخر على الروسيا ومرة على انجلترا ومرة أخرى على فرنسا، وقيل كثيراً ما قيل عن نزعات امبراطور المانيا أو نزعات السير ادوارد جراي أو نزعات الساسة الفرنسيين ومن اليهم من القادة والوزراء المسؤولين

ولكن هؤلاء جميعاً يستوون في التبعة أمام سلطان الحوادث القاهرة ، ويستوون في القدرة على منع ما كان وما هو كائن . وليس بالقليل بين المؤرخين من يعود باسباب الحرب العظمى إلى

معاهدة « وستفاليا » التي ابرمت قبل الحرب العظمى بنحو ثلاثة قرون وكان ابرامها جرثومة الخلاف بين الفرنسيين والالمان على الأرض الألمانية في الحدود بين الأمتين

قد يكون المقصود بالأدب السياسي هو البحث عن هذه الاسباب من وراء الأقاويل الظاهرة والدعاوى العرضية ، والعودة بها إلى عوامل في الزمن الحاضر وعوامل في الزمن الماضي لا تحيط بها ارادة الساسة الا كما تحيط جميعاً بما سلف من عوامل التأثير في حوادث الحياة

قد يكون هذا هو المقصود . وقد يكون المقصود بالأدب السياسي شيئاً آخر وهو اتخاذ السياسة نفسها موضوعاً للبحوث الأدبية والبحوث الفلسفية

فما هو المجتمع السياسي ؟ وما هي الواجبات الطبيعية التي تقيد الانسان بالعمل في هذا المجتمع وامتثال ما يفرضه عليه من عرف او قانون ؟ وما هو أساس السلطان الذي تصدر عنه الأوامر والشرائع ؟ ومن هو الراعي ومن هي الرعية ؟ وما هي الحرية الانسانية عامة وما يرتبط بها من الحرية السياسية خاصة ؟

كل اولئك كان موضوعا للبحوث الطوال والمناقشات المستفيضة بين الادباء والفلاسفة : تكلم فيها أفلاطون وارسطو ، وتكلم فيها هوبس وهيوم وجون ستوارت ميل ، وتكلم فيها فولتير وروسو ومنتسكيو ، وتكلم فيها كانت وهجل وكارل ماركس ، وتكلم فيها مكيافلي وماتسيني ، وتكلم فيها الفارابي وابن خلدون ، واجتمع من كلامهم قديماً وحديثاً ما يملأ الاسفار ، ويشغل الافكار ، وتختلف فيه العقائد والانظار

فما أثر هذا الأدب السياسي في نهضتنا الحاضرة ؟ أو ما أثر الأدب السياسي في هذه النهضة بمعناه الذي اجملناه ؟

سواء كان المقصود بالادب السياسي هذا أو ذاك فالأثر ضعيف أو غير محسوس ، لأن نهضتنا الاخيرة انما قامت على الحقوق الوطنية وهي عندنا أظهر من أن تحتاج إلى خلاف أو بحث مستفيض في الاصول والفروع ، وقد اقتصر تاريخها في الكتب والصحف على المسائل القريبة التي لا تمتد إلى مدى أبعد من الثورة العرابية ثم الحملة الفرنسية ، فليس للأدب السياسي بالمعنيين المتقدمين أثر واضح في نهضتنا الوطنية الأخيرة ، وغاية ماهنالك ان الكتب والفصول التي نقلت الينا عن الثورة الفرنسية قد رددت ذكر المبادىء التي قامت عليها هذه الثورة كما رددت ذكر المفكرين والفلاسفة الذين قرروا تلك المبادىء وشرحوها ، وأخصهم وأقربهم إلى الفهم جان جاك روسو الذي يعرف عنه القراء المصريون اكثر مما يعرفون عن زملائه في فرنسا وانجلترا وسائر البلدان الاوربية ، فهو أظهر المفكرين أثراً في نهضتنا الوطنية الحديثة ، وانما يظهر أثره فيها من حيث هي حركة في سبيل الحرية النظرية لا من حيث هي حركة قومية تنبعث بها عوامل النهضة في الشعوب الشرقية

***

غير أن الادب السياسي الذى وفر نصيبنا منه هو اشتغال الادباء عندنا بالشؤون السياسية وهم فى هذا المطلب ثلاث طبقات :

الطبقة التى سبقت الثورة العرابية ، والطبقة التى جاءت بعد هذه الثورة او اشتهرت بعد انتهائها ، والطبقة التى صاحبت الثورة الاخيرة بعد الحرب العظمى

فأما التى سبقت الثورة العرابية فأشهرها محمد عبده ، وسعد زغلول ، وعبد الله نديم ، وقد مهدوا الاذهان لدعوة الحرية وتأسيس قواعد الحكم على اصول الشورى

واما الطبقة التالية لها فأشهرها ابراهيم المويلحى ، ومحمد المويلحى ،وتوفيق البكرى . وقد كان لهم أثر فى الوساطة الشخصية بين مصر والاستانة وبين الاقطاب والشيع التباينة اكبر من اثرهم الذى ظهر فى عالم الكتابة

واما الطبقة التى صاحبت الثورة الاخيرة بعد الحرب العظمى ، فهم اصحاب الاثر المحسوس فى نشر الادب بين قراء الصحف السياسية وفى نشر السياسة بين القراء المتأدبين الذين كانوا لا يحفلون بها ولا يقرأون من المقالات والكتب الا ما كان أدبا محضا أو بحثا فى موضوعات الشعر والنقد والبلاغة

فمنذ اشتغل أفراد هذه الطبقة بالصحافة والسياسة تعود قراؤهم السياسيون أن ينتقلوا معهم الى مباحث الادب والنقد وما اليها ، كما تعود قراؤهم الاديبون أن ينتقلوا معهم الى السياسة ومناقشاتها حينما خاضوا فيها وتناضلوا عليها . فاتسع نطاق الادب كما اتسع نطاق السياسة ، واستفادت الاساليب العربية كما استفادت النهضة الوطنية من جودة التعبير وحسن التوجيه وارتقاء مذاهب القول والتفكير ، ونشأت فى مصر والشرق العربي سياسة أدبية أو أدب سياسى تتقارب فيه درجات القراء ممن كانوا يألفون الادب دون السياسة الى من كانوا يألفون السياسة دون الادب ، ثم اجتمعوا الى مائدة واحدة لكل منهم نصيب فيها

وعلى هذا نعود فنسأل : ما هو أثر الادب السياسى فى نهضتنا الحاضرة ؟

والجواب ان الادباء الذين اشتغلوا بالسياسة هم أصحاب الاثر الاكبر فى هذا الباب ، وأن أثرهم الاكبر هو توسيع نطاق القراءة وتهذيب لغة الصحافة وتمكين العبارات الوطنية وما يتصل بها من الخوالج النفسية فى قلوب الطائفة القارئة والطوائف التى تقتدى بها من قريب

أما الادب السياسى بالمعنيين السابقين فى أول هذا المقال فقد يتسع مجاله مع اتساع مجال العوامل النفسية والعوامل الاجتماعية الاقتصادية التى لا مناص من ظهورها فى حياة الامة بعد أن تستوفى حظها من سياسة الدعاية والاساليب الخطابية

عباس محمود العقاد

الأرض

للدكتور نقولا فياض

الدكتور نقولا فياض من كبار الأدباء في الشرق العربي ، وله آراء جديدة في نواحي الأدب الحديث . وقد دعي الى القاء كلمة في حفلة الجمعية العراقية بالجامعة الاميركية ببيروت،فألقى محاضرة قيمة في التجديد في الشعر العربي . وقد انشد هذه القصيدة كانموذج من نماذج هذا التجديد ـ وسننشر المحاضرة في العدد القادم

لقد شبت وما شبت ... تقول الارض للناس
فمن شرق الى غرب ... ومن قطب الى قطب
ومن راسي لاطرافي
يمر الدهر كالحلم
على جسمي
فلا يوهن من عزمي ... ولا يرهق أعطافي
وكيف أصاب بالهرم ... ومن ذهب الضياء دمي
وامي الشمس في الفجر ... بقبلتها على ثغري
تجدد حر أنفاسي
لقد شبت وما شبت ... تقول الارض للناس

***

صحبت ذنوب الزمان فلم ... أجد مثل يومي وآفاته
جنون على رحمي زحفه ... وفي أضلعي وقع ضرباته
يلذ ضرب المعول
يقول لي
أنت الغذاء والمنى يا أمنا ، لا تبخلي
وأما ضربة العار ... لسلب معادن الارض
وسبك سلاحها الناري ... على الاطماع والبغض
فما لي بعدها آس
لقد شبت وما شبت ... تقول الارض للناس
حملتكم على صدري ... وفي الأنواء مضطربي

وتحت سنادس خضر كتمت لظى تأجج بى
وفوق النار تستعر
أثرت جحيمها الثانى فثار عليك يا جان
وطاف بربعك الناعى فما للام من حام
وما للاخت من راع وطفلك مهده دام
تناغيه وتحتضر
تركت عليه من أمل الرجوع شعاع محترق
وطيف اليتم فى العينين لم يترك سوى الارق
يناجى ظلمة الياس
لقد شبت . . . .
ألا فى ذمة الله خيال لاح للسلم
أطل بنظرة الساهي وطار بخفة الحلم
فما كحلت أجفانى
فرشت له على جنبى وثير مطارف الحب
فاسرع دونه المدفع وخرب ذلك المضجع
وغطاه باكفان
وكانت بهجة العيد فلم يترك على بابي
سوى الأعياد للدود وعن قيثارة الغناب
أناب أنين أرماس
لقد شبت . . . .

يا لسحر حملته فى جبينى من ربيع الآمال والأيام
وعناق السماء فى زرقة البحر وفى خضرة الشعاع النامى
واختلاج الفضاء والليل يمشى حافياً فى السهول والآكام
ورماد الضياء يذريه فوقي قمر ساهر على احلامى
وصلاة تعلو مع الموج والريح على زفة من الانغام
وشذا السكر عابقاً فى بر ودى من مدام الهوى أو الاوهام
صورة للجمال شوهتموها بدخان من حالك الآثام
اطفأ النور فى الثغور والقى شبح الجوع فى العيون الدوامى

***

ما لنجوى الاسلاك لا تستفز اليوم أصداؤها سوى آلامي
ولحظ الحديد أرجف من قضبانه وهى أضلعي وعظامي
والجوارى من الضفاف اليها نظرات ليست حديث هيام!
رسل الفقر والدمار وقبلا حملت ثروتي وصانت حطامي
ألى هذه المخازى انتهيتم بعد نهك العقول والاجسام
وعصور من ظلمة وشقاء وخنوع وثورة وانتقام
بئس عمرانكم وحكمة جيل أفسدتها سياسة الحكام

***

ألا فارجع الى داري وان شطت بك الدار
ولا تهزأ باسراري ففيها النور والنار
لمن يؤمن أو يسعى
أليس الجوع والحب مدار حياتك المرة
فحسبك فيهما حب بساطة عيشة حرة
وجود ينصف الزرعا
اذا ابتسمت على ثغرى الاماني فهل تبق سماؤك مكفهرة
وما معنى الحلاوة فى دناي اذا كانت على شفتيك مرة ؟
عصرت من دم قلبى فى كأس حبك خمرا
فما تمليت حبا ولا تذوقت عصرا
أ كلما فاض رزقي بدلت باليسر عسرا
فتتلف الزرع شهرا وتمنع الزرع شهرا ؟

***

وضعت القيد فى نحرى فضاعت فيك آمالى
ورحت تزيد فى فقرى تريق دمي على قبرى
تبدد شمل عمالى
فأين الساعد الحر ليحمى الرفش والمعول
وأين الفتية الغر يلين لعزمها الجندل
عساك تلين يا قاسى
لقد شبت وما شبت تقول الارض للناس

نقولا فياضه

المال.. والمرأة

محور المشاكل الاجتماعية قديماً وحديثاً

بقلم الدكتور أمير بقطر

« .. ان هذين المشكلين (المال والمرأة) وما يتفرع منهما من مشاكل لا تحصى سيبقيان ما بقيت الدنيا ، فان التقدم الانساني مدين لهذين المشكلين . فاذا ما توصلنا الى حل مرض أخمد لهيب الطموح وأطفئت مصابيح الجد والاختراع ، وبطل قانونا بقاء الاصلح وتنازع البقاء .. »

كلما اتسع نطاق العمران ، وتقربت بلدان العالم بعضها من بعض بجميع طرق المواصلات ، وأصبح الاتصال بين قارتين متراميتين يستغرق أياما معدودات بفضل البواخر السريعة ، وثوان مليلات بفضل اللاسلكي ـ كلما تم ذلك تضاعفت مصالح البشر ، وازدادت تضاربا وتشابكا

بيد أنه مهما عددنا من هذه المشاكل ، فاننا لن نستطيع أن نتجاوز الاساس الذى شيدت هى على دعامته منذ بدء الخليقة . ويمكن تلخيص هذا الاساس فى كلمتين هما المحور الذى تدور عليه جميع المسائل الاجتماعية ، وما هاتان الكلمتان سوى « المال والمرأة » أو المسألة الاقتصادية والمسألة الجنسية ، أو كما يسميها علماء النفس غريزة المحافظة على النفس وغريزة المحافظة على النسل ، أو بتعبير آخر كل ما يتعلق بالجوع والخوف والغضب والقتال وكسب العيش من جهة ، وكل ما يتصل بالعلائق بين الرجل والمرأة من جهة أخرى

وكل ما تولد من هاتين الغريزتين من المسائل ، انما هي فروع ترجع الى أصل واحد كما سيتضح لنا . وكلما اشتد النضال والتنافس فى سبيل اشباعهما ، رقت السلالة ، قوة وذكاء وعلماً ، وبلغت البلاد من المدنية شوطا بعيداً . ولذا يقول علماء الانثروبولجيا ان الزنوج فى أواسط افريقا وغيرها لم يكن لهم فى التاريخ البشرى مدنية كسائر الشعوب ، لان مسائل الطعام والمسكن واللباس والمرأة تكاد تكون عديمة الوجود لديهم ، أى انه من السهل عندهم ايجاد الطعام والاكتفاء بالقليل منه ، ومن السهل لديهم أن يعيشوا فى أكواخ حقيرة ، أو تحت أغصان الشجر وهم فى مأمن من غوائل الطبيعة ، ومن السهل لديهم أن يشبعوا غرائزهم الجنسية بغير كبير عناء ، لان المرأة عندهم تكاد تكون متاعا مشاعا كما تجد فى بعض انحاء الهند والجزر الهندية اليوم

واختلف العلماء فى أية الغريزتين أقوى شكيمة وأصعب مراساً ، بيد أن إيثار الواحدة على

الاخرى محاولة لا تجدى نفعاً ، لان الواحدة متممة للاخرى ، فكما أن تخليد النسل لا يتم الا بالمحافظة على الفرد ، فكذلك المحافظة على نفوس الأفراد لا تتسنى بغير المحافظة على السلالة والنسل

مشكل المرأة

ترى مما تقدم أن كلا من هذين المشكلين الأساسيين يرجع الى أقدم العصور البشرية . ولنبدأ بالمشكل الثانى وهو تحديد العلاقة بين الرجل والمرأة ، أو إشباع الغريزة الجنسية وبناء الاسرة ، وتربية البنين والبنات ، وكل ما ينطوى تحت هذه الغريزة

إن نظرة واحدة الى كتب الاجتماع والاخلاق وآداب الشعوب منذ القدم الى يومنا هـذا ، تبين لنا بوضوح وجلاء غموض القوانين والشرائع والعادات والتقاليد التى تحدد العلاقة بين الرجل والمرأة . فبينما نجد عصراً من العصور يحرم أمراً ، اذا بعصر يليه يجيزه ، وبينما نجد التقبيل العلني ممنوعا فى بلد متمدن ، اذا هو محلل فى بلد آخر ، وبينما نجد اختلاط الجنسين أمراً عاديا فى حى من الأحياء ، اذا هو خروج عن العرف فى حى آخر فى المدينة عينها . قبل طالب مصرى منذ عهد قريب فتاة ليلا فى حديقة عمومية بعيدة عن الانظار ، ولم يره الا رجل من البوليس كان يكمن له وراء شجرة ، فقاده الى حيث حكم عليه بغرامة قدرها عشرة جنيهات مصرية ، وأرسلت النيابة الحكم الى وزارة المعارف وطلبت اليها توقيع الجزاء الادارى فوق القانونى . فالتقبيل فى نظر القانون المصرى فعل علني فاضح ــ جنحة ــ يعاقب عليها القانون بغرامة قد تبلغ المائة وحبس قد يبلغ ستة أشهر بينما لا جناح عليـه فى أوربا وان كان يعاقب عليه بغرامة قدرها نصف ريال فى مدينة البندقية مثلا ، وقلما نفذ القانون

ولا أريد أن يفهم القارىء أن البلدان الغربية وجدت حلا لهذا المشكل فحددت العلاقة تحديداً يحسن السكون عليه . ففى أميركا وأوربا لا يزال رجال الدين والأخلاق والاجتماع والتربية يتساءلون وما فتئوا يتساءلون : « هل يجوز للشاب أن يتنزه مع شابة فى سيارة بعيداً عن الأنظار ؟ هل يجوز للفتاة أن تقضى سهرة مع صديق لها فى ملهى أو مطعم أو قاعة للرقص بغير رقيب (Chaperon) ؟ هل تجوز معاشرة الزوجين قبل اتمام عقد الزواج ؟ وما الحد الفاصل بين المعاشرة البريئة وغير البريئة ؟ هل يجوز للفتيان والفتيات أن ينصبوا خيامهم فى العراء ، أو في الجبال ، أو الغابات ، أو على ضفاف البحيرات ، أياما أو أسابيع ، يتنزهون معاً ، ويأكلون معاً ، ويسبحون ، ويرقصون ، ويمرحون اينما وكيفما شاءوا بغير حساب ، معتمدين فى حسن العاقبة على التربية العالية ، وتوافر حسن النية ، والايمان بالحرية بلغ مداها ما بلغ ؟

من الظواهر الاجتماعية المدهشة التى شاهدها كاتب هذه السطور فى ايطاليا هذا العام ان عددا يذكر من الأوانس فى القرى على الأخص والجبلية منها على أخص الخصوص ، يحملن سفاحاً ، ولا

يحمل لهن الرأى العام أو ذووهن ضغينة أو حقداً او لوما ، وذلك لأن النظام الاجتماعى هنـاك يشجع ازدياد النسل فتدفع الحكومة خمسين ليرة شهريا للأمهات عن كل مولود ذكراً او انثى شرعيا او غير شرعى الى ان يبلغ سناً معلومة . وتدفع هذه المبالغ من ضرائب خاصة بينها ضريبة قدرها ١٤٠ ليرة يدفعها سنويا كل اعزب تبلغ سنه ٢٣ عاما فما فوق

ولا يخفى ان فى بلدان اسكندناوه ، وخصوصاً فى دانمركه لا يسخط الناس على آنسة تصبح اماً بغير زواج

ومن اشد المشاكل خطورة فيما يختص بالعلاقة بين الجنسين الطلاق وتفكك عرى الأسرة ، خصوصا بعد ان نزلت المرأة فى حلبة الاعمال جنباً لجنب مع الرجل ، واصبحت تسعى الى استقلالها الاقتصادى ، وعدم اعتمادها على أهلها وزوجها . ومن البلدان من لا يجيز الطلاق الا فى حالات استثنائية نادرة ، ومنها من تطلق الحبل على الغارب ، فترتفع نسبته الى درجة تستوقف الانظار . فبينما نكاد لا نجد طلاقا فى ارلندا وايطاليا بتاتا، نجد طلاقا واحداً فى كل ١٠٨ عقود زواج فى انجلترا ، وواحداً فى كل ١٨ زواجا فى فرنسا ، وواحداً فى كل ١٤ زواجا فى سويسرا ، وواحداً فى كل ٥ عقود زواج فى ولايات اميركا المتحدة، وواحداً فى كل ٢ ونصف زواج (٤٠ فى المائة) فى مصر . بيد أنه فى بعض البلدان التى لا يباح الطلاق فيها كايطاليا ، يتفادى الزوجان المتخاصمان القانون، فيتفقان اتفاقا ضمنياً بينهما على ان يكون كل منهما حراً فى اتخاذ خليل غير الزوج . وليس ثمة ما يدل على ان متاعب التهاون فى قوانين الطلاق اقل منها فى التشديد والتدقيق فيها ، لأن المغالاة فى كل تؤدى فى نهاية الأمر حتما الى انفراط عقد الاسرة ، وإفساد أخلاق الزوجين وخيانة الواحد الآخر

مشكل المال

قلنا إن المشكلة الاقتصادية شديدة الاتصال بالمشكلة الجنسية ، لأن الواحدة متممة للاخرى . فالرجـل يسعى منذ بلوغه سن الحلم إلى إحراز قصب السبق على إخوانه ، وتبوء المناصب العالية حتى يظفر بالفتاة التى يهوى ، ويضع بذلك الحجر الأول فى أساس الأسرة . ويقول علماء النفس إن اكثر ما فى العالم من فنون جميلة ومخترعات واكتشافات ، وعزائم وثابة ، ونفوس طامحة ، يعزى الى الغريزة الجنسية ، والميل الدفين المتأصل فى الرجال أن يجذبوا نحوهم أنظار النساء ، سواء أكان هذا الميل ظاهراً أم مستتراً

وكثيرا ما يتغاضى الناس افراداً وجماعات عن التقاليد والعادات التى تحدد العلائق الجنسية ، طمعاً فى خدمة المسائل الاقتصادية . فهذه معظم بلدان الأرض تعلم أن نزول المرأة إلى حومة الأعمال قد تدفع بها الى التعدى على ناموس الاخلاق الجنسـية القديمة ، ومع ذلك تتغاضى عن ذلك حباً فى تمكين المرأة من استقلالها الاقتصادى وعـدم تركها عالة على أهلها ، وقد حاول هتلر أن يضع المرأة فى « مكانها » القديم فلم يفلح

نوع الحكم

غير أن مشكل المال أو المشكل الاقتصادى قد تفرعت عنه مشاكل عدة بعضها سياسى ، وبعضها اجتماعى ، وبعضها اخلاقى ، ولكنها كلها تدور حول محور واحد ، أيا كانت اسماؤها . ومن أهم المسائل التى تشغل بال الأمم فى هذا العصر وعلى الاخص بعد الحرب العالمية الكبرى ، مسألة نوع الحكم . ولا بد أن يدرك القارىء أول وهلة أن الكمالية فى تركيا ، والشيوعية فى روسيا ، والفاشستية فى ايطاليا ، والنازية فى المانيا ، لم تكن الا نتيجة لازمة لبؤس مالى وضيق اقتصادى ، ومجاعات تهدد الشعب ، وانحطاط فى مستوى العيشة اليومية ، وحصر الثروة فى دائرة محدودة من طبقات الاشراف واصحاب رءوس الأموال

ولما أن اناخ العسر المالى بكلكله فى أميركا فى اوائل سنة ١٩٣٠ ، واستحكمت حلقاته ، اشرفت ديموقراطية تلك الدولة العظيمة على الانهيار ، وخشى الكثيرون أن تهدم من اساسها ، فيأخذ روزفلت فى بناء الفاشستية على انقاضها تمثلا بموسوليني ، ولولا انقشاع السحب تدريجيا بعد سنة ١٩٣٤ ، لأوشكت تلك المخاوف أن تتحقق

وهذه اسبانيا تتنازعها الشيوعية والفاشستية ، وسواء اتغلبت هذه ام تلك ، فان ما يعنينا فى المسألة ، هو ان الجنوح الى الواحدة او الأخرى يرمي الى غرض واحد ، وهو فى نظر القائمين به رفع المستوى الاقتصادى ، وتوفير سعادة العيش لابناء الامة

وفوق ذلك فان هناك امما كثيرة ، اهمها فرنسا ، يحاول ابناؤها التخلص من حكمها ، والاتجاه إلى غيره للسبب عينه . ولا يعدو القارىء مبالغاً اذا قلت ان الديمقراطية والشيوعية والفاشستية والنازية كلها تتفق فى ذلك الغرض الاقتصادى ، وهو توفير وسائل العيش ، ورفع مستواه ، بكل ما أوتيت من جهد فى حدود المستطاع ، وإن اختلفت الوسائل

فالديموقراطية تحاول أن توزع الثروة توزيعاً عادلا بفرض ضرائب الارث وضرائب الوفاة وتدريج الضرائب تبعاً لرأس المال ، ولكنها تحرص على الحرية كل الحرص ، وتعنى بمبدأ « دعهم يعملون أحراراً » Laissez faire » كل العناية

أما الفاشستية فانها تحاول توزيع الثروة توزيعا عادلا ، بارهاق الأهلين بالضرائب إرهاقا لا حد له ، وفوق المعقول أحيانا ، ولا سبيل للأهلين إلى الشكوى لأن اليد الحديدية تكم الأفواه وتكسر الأقلام ، وتضع النظام فوق الحرية ، بل تعد الحرية من ألد أعدائها . والشيوعية كذلك تحاول توزيع الثروة بأشد الوسائل عنفاً وذلك بالغاء الثروة الفردية الغاء تاماً تقريباً ، وتوفير العمل لكل رجل وامرأة على السواء ، وضمان ما يكفل العيش للكبار والعاجزين عن العمل فى سن الشيخوخة ، وجعل كل المنشآت متاعاً مشاعاً للامة ، وإدماج الفرد فى الجماعة ،

متخذة فى ذلك أفظع الوسائل أحيانا وان ادى ذلك الى ضرب الحرية فى الصميم وطعنها الطعنة النجلاء . ولا نكون قد أخطأنا المرمى اذا تنبأنا بان المسألة الاقتصادية كلما زادت تعقداً وامتدت حلقاتها الى مشارق الارض ومغاربها ، بدا فى الأفق ضرب آخر من ضروب الحكم ، والوان من الدكتاتورية والديموقراطية لا حصر لها

القوميات المتطرفة

ومن أخطر المسائل التى تتصل بالمشكلة الاقتصادية ، قيام الحكومات التى تنزع الى المغالاة فى القومية ، وما يتبعها من أنانية ، وشهوة استعمارية ، والمبالغة فى التسلح ، وإثارة الروح الحربى فى نفوس الناشئة وتمجيد الوطنية فوق الانسانية ، والتنافس التجارى منافسة تقرب من القتال . وقلما توجد دولة فى عصرنا الحاضر تخلو من هذه العيوب الفادحة التى ضيقت الخناق على الأفراد ، وحرمتهم لذة التنقل من بلد الى آخر طلباً للرزق ، وكادت تقضى على مبادىء العطف والرحمة والانسانية ، وتوصد أبواب المهاجرة وتضع وراءها أشد المتاريس صلابة وضخامة . فهذه ولايات أميركا المتحدة تمقت الاستعمار ولكنها فى غضون السنوات الاخيرة أخذت بمبدأ القوميات المتطرفة، حتى إنها حرمت الهجرة اليها بعد أن كانت قبل سنة ١٩٢٩ تقبل نصف مليون مهاجر كل عام ، وسرت فى شعبها روح جديدة تحرم انفاق أموال المحسنين فيما خارج نطاق أميركا . هذا فضلا عن تسابقها مع الدول الأخرى فى التسلح . وقد انفقت أميركا واليابان ودول أوربا فى عام ١٩٣٦ ما يقرب من ١٨ ألف مليون جنيه . ولا عجب إذا صرح أحد الزعماء أخيراً بأن تعريف السلام يجب أن يشمل معنى التسلح ، وأن أغصان الزيتون يجب أن تقتلع من غابة حربية يبلغ عدد جنودها ثمانية ملايين ، وأن الشعب الباسل هو الذى لا يعتمد على نظرية « فاسدة » كنظرية الضمان المشترك ، بل هو الذى لا يضمن سلامته غيره . ولا عجب اذا صرح وزير المالية فى مصر أخيراً ، اشارة الى تعزيز الجيش المصرى ، بأن القوة حق

البطالة

ومن أشد المسائل اتصالا بالمشكل الاقتصادى العمال العاطلون وقد بلغ مجموعهم هذا العام سبعة عشر مليوناً فى أميركا وأوربا . وربما كان من أهم أسباب القومية المتطرفة وانتشار مبادئها فى جميع بلدان العالم ، بما فى ذلك الأقطار الشرقية العربية ، ازدياد العاطلين زيادة مطردة . ولا يغيب عن الأذهان أن كثيراً من المشاكل العالمية تتصل بهذه المسألة (أى البطالة) اتصالا وثيقاً . فمن أهم موضوعات التربية اليوم نوع المناهج ، وطرق التدريس ، والنظم المدرسية التى تكفل للطلاب أن يلجوا ميادين الحياة ، فيقتحموها اقتحاما ، ويشقوا لأنفسهم طرق الكسب ، بغير أن يعتمدوا فى ذلك على المصالح الحكومية أو الاهلية فى توظيفهم

كارل ماركس وسيجمند فرويد

إن هناك ما يحمل على الاعتقاد أن ما يسرى على الأفراد يسرى على الجماعات، فيما يتعلق بموضوع بحثنا هذا. أقول هذا لأن هناك مذهبين فى درس الأمراض النفسية والعصبية فى الأفراد، أحدهما ينسب الى كارل ماركس صاحب مبدأ الاشتراكية، والآخر الى سيجمند فرويد (الطبيب المشهور فى فينا) صاحب المبادىء المشهورة فى التحليل النفسانى، والعقل الباطن، ونظرية الأحلام - ينسب الأول كل متاعب الأفراد وهمومها الى العامل الاقتصادى، أو ما سميناه فى صدر المقال غريزة المحافظة على النفس. وينسب الثانى جميع المتاعب والأمراض النفسية والعصبية الى العامل الجنسى، أو الغريزة الجنسية أو ما سميناه فى صدر المقال غريزة المحافظة على النسل. قال نابليون فيما يتعلق بالحوادث الجنائية: « فتش عن المرأة » ولكن فرويد يقول فى جميع المتاعب والأمراض النفسية والارتباكات العصبية: « فتش عن المرأة ». أما ماركس وأتباعه فى هذا المذهب فيقولون: « فتش عن الجنيه ». وهناك من يجمع بين هذين المذهبين فيقول: « فتش عن المال والمرأة ». ويخيل الى أن ما ينطبق على الافراد ينطبق على الجماعات تماما فى هذا الموضوع

هل هناك حلول ؟

لو كان فى استطاعتى أن أجد حلولا لهذه المشاكل لأصبحت أسعد مخلوق فى الوجود، فان الزعماء وأولى الشأن فى كل أمة من أمم العالم على استعداد تام أن ينزلوا عن مستعمراتهم وشطر كبير من ممالكهم اذا ما توصل بشر الى شئ من هذه الحلول

بيد أنى أعيد هنا ما ذكرته ضمناً فى سياق الحديث من أن هذين المشكلين (المال والمرأة) وما يتفرع منهما من مشاكل لا تحصى سيبقيان ما بقيت الدنيا، فان التقدم الانسانى مدين لهاتين الغريزتين أو لهذين المشكلين، فاذا ما توصلنا الى حل مرض أخمد لهيب الطموح وأطفئت مصابيح الجد والاجتهاد والعمل والاختراع، وتكسر قانونا بقاء الاصلح وتنازع البقاء. ونكرر ما قلناه أن البلدان التى لا حاجة لأهلها إلى حل مشاكل الطعام والمسكن والملبس واشباع الغريزة الجنسية، مقضى عليها بالهمجية والتأخر والانحطاط كما نرى فى بلاد الزنوج. يقول علماء الاقتصاد ومنهم أتباع كارل ماركس إن الخيرات الاقتصادية العالمية تزيد على حاجة البشر، فاذا ما توصلنا إلى التنظيم (organisation) الكافى والتوزيع الملائم، أصبح لكل فرد فى المجتمع الطيبات التى تكفل له مستوى من العيش عاليا

امير بقطر

عندما يوافيني الموت

للدكتور زكي مبارك

كلنا يحذر الموت ويخشاه ، وكلنا يندب الميت ويبكيه ، أما من شبع من الدنيا وارتوى من حلوها ومرها ، وأدى واجبه وبلغ رسالته ، فانه يقبل على الموت فرحاً مغتبطاً ، راغباً مشوقاً ، كما سوف يقبل عليه الدكتور زكي مبارك ، بعد عمر طويل عريض – ان شاء الله – على رأى ابن سينا . .

هذا موضوع مزعج ولكنه طريف ، والموت نفسه طريف لاننا لانراه الا مرة واحدة ، نحن الشجعان ، أما الجبناء فيرونه فى كل يوم مرات !

ونحب فى مطلع هذا البحث أن نؤكد للقراء أن الموت أهون مما يظنون ، فان الذين يعانون سكرات الموت لا يتألمون ، كما تتوهم ، وانما تأخذهم غيبوبة عميقة لا يشعرون فيها بطعم الموت ، وان ظن من يحيطون بهم أنهم يقاسون أعظم أهوال العذاب ، ومن شك فى ذلك فليجرب

وما بعد الموت ؟ هو أيضاً أهون مما تظنون ، لان الله أعظم من أن ينصب الموازين لمن ترون من المخلوقات ، ومن أنتم يا بني آدم حتى ينصب لكم ميزان ؟ من أنتم وقد عجزتم عن اقامة العدل فشهدتم على أنفسكم بالضياع ؟ من أنتم حتى تفتح لكم أبواب الجنة أو أبواب الجحيم ؟ لقد عرفناكم وعتبنا على الله يوم جعلنا منكم ، وليته يتفضل ، فيذهبكم ويأتى بخلق جديد !

ماذا أقول يوم يوافيني الموت ؟ أترونني أخشع وأضرع وأضعف على نحو ما وقع للشاعر المسكين الذى خاطب صاحبيه ، فقال :

فياصاحبي رحلي دنا الموت فاحفرا ... ترابيه إنى مقيم لياليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عينى فضل ردائيا
ولا تحسدانى بارك الله فيكما ... من الارض ذات العرض أن توسعا ليا
خذانى فجرانى ببردى اليكما ... فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا

اترونني أستوحش من الغربة فأقول كما قال هدبة العذرى :

ألا عللانى قبل نوح النوائح ... وقبل اطلاع النفس بين الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسى على غد ... إذا راح أصحابى ولست برائح
إذا راح أصحابى تفيض دموعهم ... وغودرت فى لحد على صفائحى

يقولون هل أصلحتمو لأخيكمو وما القبر فى الارض الفضاء بصالح

لن أقول شيئاً من ذلك ، لأن الناس أهون من أن أشعر بعدهم بوحشة الاغتراب . وهل أنست بهم وأنا أغاديهم فى كل صباح ، وأراوحهم فى كل مساء ؟ !

كنت أجد للدنيا طعما قبل عشر سنين ، يوم كان لى أصدقاء وأحباب ، ثم مرت أحداث تبينت فيها أن بنى آدم لا يرعون العهد ، ولا يحفظون الجميل ، وأصبحت وأنا موقن أنى أعيش فى مسبعة لا ألفة فيها ولا صفاء . . ولعل الله عز شأنه أراد بي خيراً – وما أحسبه يريد الا الخير – لعله أراد بي خيراً فأراني مصارع ما أحب من المعاني ، حتى لا يبقى لى يوم الموت شيء أبكيه ، ولماذا نبكى ؟ لقد استرحنا من عتاب الاصدقاء ، وأين الأصدقاء ؟ !

ماذا أقول حين يوافيني الموت ؟

سأذكر انني أديت واجباً مهما حين حذرت الناس من الناس ، فانا من أكثر الكتاب حديثا عما يعتور بنى آدم من الغدر والعقوق ، وسيذكر الناس ما كتبت وما نظمت ، فان لم يقرأوا رسائلى وأشعارى فلأمهاتهم الثكل ، ولأبنائهم اليتم ، ولأزواجهم الارمال ! !

وسأذكر يوم أموت اني كنت غصة فى حلوق الأدعياء ، فما تركت دعياً إلا كويت جبينه ، وأقذيت عينيه ، وأنمته على الشوك فى رعاية الافاعى والصلال

وسأذكر يوم أموت انني كنت أوفى صاحب وأكرم صديق ، فما جاملني إنسان إلا سقيته الشهد ، وظللته بسحائب العطف ، وأغدقت عليه غير البر والحنان

إى والله . سأذكر انني كنت أوفى صاحب وأكرم صديق ، وستموت يوم أموت شمائل من المروءة لم يعرفها أهل هذه الارض ، أنا الرجل الذى أعرف صاحبى فى النعيم والبؤس ، والمحضر والمغيب ، أنا الرجل الذى أعرف معنى الصدق ، وأفهم معنى الوفاء ، وأجزم بان الله خلقني خلقة نقية لا نظير لها ولا مثيل .. فان كان لى ما أبكى عليه يوم وفاتى فهو ذلك المعنى ، سأذكر أن الدنيا كان فيها رجل واحد يشقى ليسعد الصديق ، ويموت ليحيا الصديق

سأذكر ما بقى من أحبابي في المشرق والمغرب ، وسأهدى اليهم عند النزع آخر ما أملك من التحيات ، ولن يكون لى يومئذ ما آسى عليه الا انقطاع المقت الذى أصبه على الأعداء ، ولكن هل يأمن الأعداء شرى بعد أن أموت ؟ هيهات ، لقد خلدت تحقيرهم فى صحائف لن تموت

أنا أموت ؟ انكم مخطئون !

لن يذهب من الوجود غير هذا الهيكل الذى يذرع الأرض من سنتريس الى باريس ، أما زكي مبارك الكاتب والشاعر فلن يذهب أبداً ، ستبقى أفكارى لتعين الشيطان على إضلال الناس

سأعيش ألوفا من السنين ، وسأغزو خلق الله بغير رفق ، فأثير فيهم معانى الشر والاثم والطغيان ، فى رسائلى وأشعارى ومؤلفاتى أقباس من الضلال هي وحدها خليقة بأن تغمس هـذا

العالم فى أوحال الرجس ، وتلقيه فوق أشواك الارتياب

فان ارتاح انسان يوم الموت لأنه كان رجل خير ، فسأرتاح لأنني كنت رجل شر ، وما يسرنى أن أكون ملكا ، لأن الملائكة لطاف ظراف ، وإنما يسرنى أن أكون شيطانا ، لأن للشياطين وجوها بشعة ترتعد منها الفرائص وتتخلع القلوب

ومن يدريكم ؟ لعلى أجد « وظيفة » فى جهنم بعد أن أموت ، أتظنون أن الأمر استقر فى دار العذاب ؟ سأجعل هذا من همى فأبحث عن « وظيفة » عند الرجل الشهم الذى اسمه مالك ، ولن أفكر فى صحبة الرجل الظريف الذى اسمه رضوان

فان وصلت الى « وظيفة » فى جهنم فسترون وستعلمون . سترون يا بني آدم كيف أكبكم على وجوهكم فى النار ، وكيف أعاقب اللصوص فى عالم الشعر والنثر والتأليف ، وستعلمون كيف أنتقم من السفهاء الذين يكذبون ويفترون ويظلمون بلا تورع ولا استحياء

سيمر هذا كله بخاطرى يوم أموت ، وأنا لست بالرجل المهين ، فلى دلال على الله ، لأنى أقرب اليه من جميع الناس بعد الأنبياء ، فان كنتم فى ريب من ذلك فتذكروا أن ناساً حلا لهم أن أذوق البؤس ، فنصرنى الله عليهم ، وكتب لى سعادة العيش ، وهم راغمون

سيكون طريقى الى جهنم باذن الله ، وسأقيم هناك محكمة أؤدب بها من فاتنى تأديبهم فى هـذه الدار ، وسأصدر هناك الطبعة العاشرة من كتاب « أكواب الشهد والعلقم » لأنى لن أصدر منه فى هذه الأرض غير تسع طبعات

ثم ماذا ؟ . . سأذكر حين أموت أنني كنت من أكرم خلق الله فى رعاية الجمال !

وسأذكر ان الله اصطفانى لهذه الرسالة الروحية حتى صح لى أن أقول :

وكم حبيب براح الريق أسكرني وكم جميل بورد الخد حياني

سأذكر أنى كنت أصدق شاعر ساير نهر النيل ، ونهر السين ، وهل اتفق لشاعر قبلى أن يقضى فى صحبة نهر السين ألف ليلة ؟ إن ميسيه نفسه لم يصنع ما صنعت ، ولامرتين لم ينعم برحيق السين كما نعمت . لقد كان السفهاء يظنون أنى أقضى الليالى على شاطىء السين لأفر من تكاليف المراقص والملاعب ، وفاتهم أن صحبتى لنهر السين كانت صحبة وجدانية تركت فى فؤاد ذلك النهر أعنف الأشواق الى فتى سنتريس

سأذكر يوم أموت انني كنت شاعر الحب والجمال ، وأنى عبدت الله أصدق العبادة ، فقد أثنيت مخلصاً على ما صنع وما أبدع حين جعل الدنيا غرائب وعجائب من الصنع البديع

وإن كان لى ما آسى عليه فهو الحزن الموجع على أن لم يتلطف الله فيجعل الدنيا كلها شارعا واحداً اسمه « بولفار سان ميشيل » إى والله سأتحسر وأتوجع على مصير بنى آدم الذين كتب عليهم أن يمشوا فى شوارع لا تقع فيها العين على وجه أصبح ، ولا قوام رشيق

سآسى عليكم يا بني آدم حين أموت ، فقد كان في نيتي أن أسعى لتحقيق فكرة السوبرمان لتعيشوا في دنياكم عيشة شعرية ، ولكن ماذا أصنع ؟ لقد أراد الله أن يكون فى الدنيا قبح ولؤم وشح وإسفاف ، وأنا كما تعلمون لا أملك فسحة الأجل ولا طول البقاء

سأتحسر يوم أموت على ضياع هذه الثروة الشعرية التى تمرح فى قلبي ووجدانى ، ولن يكون لى إلا عزاء واحد : هو أن الله شاء أن يحرم العالم من رجل كله قلب ووجدان ، لأن العالم لا يستحق أن يحيا فيه قلب مثل قلبى ، ولا يستأهل أن يعيش فيه رجل يملك ما أملك من عظمة النفس وقوة الروح ... والعالم بعدى هباء فى هباء

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

أترونى أبكى على أطفالى ؟ هيهات ! لقد ورثتهم خير ميراث حين ربيتهم على العنف والقسوة ، وحين أفهمتهم أن العالم لا يسعد فيه غير الأقوياء ، فان تسلحوا بالقوة فقد انتفعوا بما ورثتهم ، وإن استسلموا للضعف فعليهم ألف لعنة ، وأنا منهم برىء

وقد عودت أطفالى أكل اللحم فى كل يوم لينشأوا على قسوة الحيوان المفترس ، فان لانت نفوسهم بعد ذلك فعلى أنفسهم جنوا ، وللضعيف الضيم والهوان

وقد نشأت فى قوم أقوياء ، وكان أبى أشجع رجل رأته عيني ، وكان أجدادى وأعمامي من نماذج القوة والبطش ، ولم يكن فيهم رجل مظلوم ، وإنما كانوا دائماً ظالمين ، فان شاء أبنائى أن يكونوا لأبيهم وأجدادهم وأعمامهم ، فالدنيا أمامهم واسعة الأرجاء ، وإن ضعفوا فليذهبوا غير مأسوف عليهم . . . وفيهم محمد الله فتيان يقرأون هذا الكلام ، فليعرفوا أن أباهم عاش عزيز الجانب لأنه كان قوي النفس ، وليتذكروا أن اباهم لن يموت يوم يموت إلا وهو أشجع الرجال

أما بعد فسأذكر يوم أموت حقيقتين : الأولى أن الموت مظهر العدل ، لأن الناس جميعاً يموتون ، وسيستوى الحظ بينى وبين الرجل الظريف الذى كان يركب معي (المترو) وفى ثوبه وردة حمراء ، ثم دارت الدنيا فصارت سيارته تخطف بصري وأنا على قدمى فى الطريق

والحقيقة الثانية أهم وأعظم ، فسأستطيع الافصاح عما لم أستطع الافصاح عنه فى مجلة الهلال وجريدة البلاغ ، سيرفع الحجاب بيني وبين الله ، وسأسأله بلا تهيب : كيف رضى أن يخلق بعض من خلق فى هذا الوجود ؟ . متى أراك يارب الأرباب ، ليطول بينى وبينك الحساب ؟

أأنت الذى جعل هذه الدنيا ورداً سائغا للكاذبين والخاتلين ؟ أأنت الذى قضى بأن يكون فى الدنيا شح ولؤم وغدر وعقوق ؟

أخشى أن تغلبني فى الجدال والحجاج ، ولكن يعزينى أنه لم يغلبني أحد غيرك ، وأنا رجل كريم لا يسوءنى أن ينتصر من أحب ، وإليك الثناء من أشرف من خلقت

زكي مبارك



قصة بقلم الاستاذ محمود تيمور

كانت سميرة هانم جالسة فى حجرتها ، غارقة فى احزانها . ترتدى السواد كعادتها . لا زينة ولا عطر ولا حلى . نظرات ساهمة ، وهدوء ينطوى على نيران مكبوته ، ووداعة تمتزج بجمال وشباب عبثت بهما قسوة القدر

وبينما هي على تلك الحال دخلت عليها « ميمى » ابنتها . فتاة فى الخامسة عشرة . لها جمال امها القديم ، ذلك الجمال الذى يشعرك بالطمأنينة والهدوء ولا يثير فيك القلق والثورة . اما عيناها فزرقاوان بلون البحر العميق – المتناهي فى العمق – لا تستطيع سبر غورهما فتقنع منهما بما تمكـانه على صفحتهما من حس دقيق واحلام بعيدة المدى

منذ ان توفى زوجها وميمى ترى امها دائماً على هذه الحال : دامعة العين مثقلة بالأحزان . وكان يؤلمها بل يحز فى قلبها أن تراها كذلك ، وهى التى لم تلق منها إلا كل عطف ورحمة وتدليل

كانت أمها حزينة حقاً . ولـكن ليس كحزن كل يوم . دامعة العين ، ولـكن فى دموعها لوعة وقلقا لم ترهما الابنة فيها من قبل

وفهمت ميمى كل شىء : كانت أمها تحتفل بالعام الثالث لوفاة زوجها – تحتفل به فى قلبها احتفالا صامتا مهيباً . وجلست الفتاة وطوقت خصر أمها فى سكون ثم مالت برأسها على صدرها . ولاطفت الأم يد ابنتها ثم حملتها فى غير كلفة الى فمها وقبلتها قبلة عميقة

ومكثتا هكذا وقتا غير قصير . ثم قامت ميمى فى لطف وتركت الحجرة . وعادت بعد قليل حاملة كوبا من شراب الليمون . وقدمته لأمها قائلة :

– اشربى يا أماه . اشربى

وألحت عليها حتى شربت الكوب بأ كمله

وجلست ميمى على وسادة بالقرب من أقدام أمها ، وقالت فى عذوبة :

– لقد قرأت أمس قصة طريفة أريد ان اسمعك اياها . فهل تقبلين ؟

فابتسمت الأم وقالت :

– وهل يخطر ببالك ان لا استمع لحديثك ياميمى ؟

فأخذت الفتاة تقص عليها القصة ، ونظراتها لا تفارق عيون أمها . ويداها عيطتان بيدى

أمها ، ووجهها مشرق بابتسامة ساحرة ، وقد تتفتح هذه الابتسامة اثناء رواية القصة عن ضحكة لذيذة تفيض سذاجة وطهراً

وكانت القصة مسلية حقا . وبها مواقف مضحكة وقد قصتها الفتاة فى لباقة وحسن صياغة فأنصتت لها أمها في اهتمام . وكانت تسأل ابنتها عن بعض التفاصيل فتحاورها الفتاة ، وقد تضللها احيانا فى مداعبة . ثم تعود فتخبرها بالحقيقة ... ويصيح كلاهما بالضحك والملاطفة

وبعد انتهاء القصة ظلت ميمى على حالها من البشر والنشاط والحركة الدائمة . وقد عجبت سميرة هانم فى بادىء الأمر لهذا الانقلاب الغريب الذى طرأ على ابنتها ، وهي الفتاة الهادئة الساكنة ، المقتصدة ما امكن فى اظهار سرورها ، البخيلة دائماً بكشف ما خفى من احساساتها ، هي التى تقضى وقتها ، اما أمام كتابها تلتهم صحائفه التهاما ، واما ناظرة امامها نظرة تائهة ، غارقة فى أحلام لا نهاية لها

***

وبعد الغداء عادت سميرة هانم الى حجرتها لتقيل حسب عادتها . اما ميمى فذهبت الى الشرفة وجلست على المقعد المريح ، ثم اطلقت لأفكارها العنان . واخذت تعرض مناظر من حياتها الماضية . وانتهت الى انها اصبحت اليوم مصدر سعادة امها ، وذخر حياتها فى هذه الدنيا

. . . . وتركت ميمى الشرفة وقد استولت عليها فكرة غريبة . وقصدت على الفور الى حجرة مربيتها واخذت تحدثها فى اهتمام ، وتتوسل اليها لتجيب سؤلها

واستيقظت الأم بعد العصر بقليل . وبعد ان تناولت قهوتها دخلت عليها ميمى . وكانت تحمل فى يدها ربطة ليست بالصغيرة . ودنت من امها فى اشراق وقبلتها ثم قالت لها فى الحاح :

— عدينى ان تجيبينى الى طلبي يا اماه

فابتسمت سميره هانم ، وقالت :

— اريد ان اعرف اولا هذا الطلب

فقبلتها ميمى قبلة طويلة وقالت :

— بل عديني اولا

وانهالت ميمى عليها بقبلاتها الجنونية . كانت تطبعها هنا وهناك بلا حساب . . فأذعنت الأم واعلنت رضاها . فقالت ميمى على الفور :

— اذن قومى يا امى . . قومى !

وقامت الأم

— اخلعى فستانك هذا !

وبهتت سميرة هانم وكادت ترفض لولا أن بدأ سيل القبلات ينهمر من جديد ويعمل عمله

العجز . خلعت الأم فستانها . وأخرجت ميمى فى الحال من الربطة فستاناً جميل اللون بديع التفصيل وطلبت من أمها أن ترتديه ، وأخذته الأم وجعلت تقلبه بين يديها وهي تنظر تارة اليه وتارة الى ابنتها . وكانت نظراتها هذه فى بادىء الأمر نظرات دهشة وحيرة . ثم تحولت بعد ذلك الى نظرات اعجاب وحنو ـ اعجاب بالفستان ، وحنو على ابنتها . . وأخيراً وقفت تحدق فى الفتاة طويلا وهي صامتة ، وقد أخذت تحزر السر . وخنقتها عبرة مكتومة ، أسرعت الصبية فبددتها بحديث ظريف عن الفستان وعن جودة قماشه ومتانة صبغته كأنها بائعة لبقة . وارتدت سميرة هانم الفستان وأعجبت به إعجابا شديداً . كان حقاً فستاناً بديعاً ، بديعاً فى تفصيله ، بديعاً فى لونه ، بديعاً فى شكله ، يشهد بحسن ذوق من انتقاه

وأخذت الأم تنظر الى خيالها فى المرآة وهى تستدير أمامها مرات عديدة . وقالت :

— ولكن كيف تم ذلك يا حبيبتى ؟

— انه لك وكفى !

فقالت الأم ونظراتها ما زالت عالقة بالمرآة :

— كأنه فصل خصيصا لى !

فأجابت ميمى فى تخابث :

— إن جميع فساتينك القديمة التى تعطينها لمريم توافقها كل الموافقة . وكأنها فصلت خصيصاً لها

فنظرت اليها امها مبتسمة وقالت :

— اذن هى التى قاسته . .

— . . . والآن اجلسى يا أمى . . اجلسى

وأخرجت الفتاة من الربطة علبة بودرة وزجاجة عطر . وأخذت «تبدر» وجه أمها وتعطره. ذلك الوجه العطشان الذى لم تمسه البودرة ولم يبلله العطر عامين كاملين . وكانت الام تنظر الى ابنتها فى صمت وابتسام . وبعد أن انتهت ميمى من عملها هذا وجهت عنايتها الى شعر امها . فأخذت ترجله وتصففه فى مهارة لا تقل عن مهارة الحلاق

وأخيراً ابتعدت عن أمها وهي تتأملها طويلا ، ثم صاحت في حماس :

— ما أحلاك وما أجملك يا أمى ! . كم أنت فاتنة !

وأحست سميرة بقلبها يرتجف . وأنصتت الى جملة ابنتها كما ينصت التائه فى الصحراء الى صوت منقذ . وجعلت تستعيد كلماتها وتتذوقها وهى فى شبه حلم . .

ونظرت الى شبحها فى المرآة فاذا بها ترى أمامها امرأة أخرى لا تمت بصلة الى صورتها . امرأة مشرقة الوجه ، كلها نور وحياة

ووضعت يديها على وجهها تتحسسه . أحقاً هي بذاتها التي ترى خيالها في المرآة . . أحقاً أنها ما زالت انسانة تحيا بين الاحياء ، فتية يجرى فى عروقها دم الشباب الحار ، حسناء تفتن الناظرين !

وضمت سميرة ابنتها طويلا . واندفعت تبكي !

وخرجت ميمى ومعها الفستان الاسود القديم وهرعت الى حجرتها . فألفت فيها مربيتها جالسة تحسب . فانحنت عليها وقرأت ما كان مكتوبا فى الورقة :

فستان	٣٢٥	قرشا
زجاجة عطر	٥٥	»
علبة بودرة	٢٠	»
المجموع	٤٠٠	»

فقالت ميمى :

— ولكنك نسيت أجرة العربة يا دودو

— حقاً نسيتها . ما أغباني !

وأضافت الى القائمة مبلغ ١٥ قرشاً

فقالت ميمى فى بساطة ؟

— كم يبق من نقودي اذن ؟

— أربعون قرشاً يا حبيبتي

— هذا كاف لان تشترى به الكتاب الذى حدثتك عنه . أليس كذلك ؟

— بلا شك

وناولت ميمى فستان أمها الاسود لمربيتها وقالت لها :

— افعلى به ما تريدين . لن تعود امي الى لبس السواد

وخرجت المربية ومعها الفستان . واحست الفتاة بأنها فى حاجة الى ان تستريح ، فألقت بنفسها على السرير . ثم مدت يدها تأخذ منديلا من درج خزانتها فاعترضتها صورة . فأخرجتها . فاذا بها صورة أبيها . تصوره وهو على سرير المرض . رجل فان يحاول الابتسام ، تدل ملامحه المتقلصة على تعلقه الشديد بالحياة !

ونظرت ميمى فى الصورة طويلا . واخذ وجهها يكتسي بغمامة قاتمة ... وادنت الصورة رويداً من فمها وقبلتها فى هدوء ثم وضعتها على صدرها واحاطتها بذراعيها . وقد اقفلت عينيها . . .

واخذ خطان من الدموع يسيلان على خديها !

محمود تيمور

ادعاء معرفة الغيب فى عصر الفاطميين ـ شغف الحاكم بأمر الله باستكشاف المجهول ـ دار الحكمة مثوى الدعاية السرية ـ تماثل عجيب بين عصر الفاطميين والقرن الثامن عشر في اوربا ـ مزاعم خارقة للمشعوذين الغربيين

عصر الخفاء فى مصر الاسلامية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كان النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى عصر الخفاء فى مصر الاسلامية ، كما كان القرن الثامن عشر عصر الخفاء فى اوربا ، وكما امتاز عصر الخفاء الحديث بالتعلق بالمجهول والخارق ، والتطلع الى مدارك الغيب ، وذيوع الدعوات الالحادية ، وقيام الجمعيات السرية المختلفة ، فكذلك يمتاز عصر الخفاء فى مصر الاسلامية بنزعة الى استكشاف الغيب ، واحياء عصر الخوارق ، وقيام الفرق الدينية السرية ، وبث الدعوات الالحادية المغرقة . ويرجع هذا التشابه بين العصرين الى ظاهرة تاريخية معروفة ، هي أن عصور الخفاء فى جميع مراحل التاريخ تلتقى جميعاً برغم اختلاف الظروف والاحوال فى نقطة واحدة هي التعلق بالخارق والمجهول ، وهي قبلة يتجه اليها الذهن البشرى فى جميع العصور والمجتمعات

ونحن نعرف ان النصف الاخير من القرن العاشر (اواخر القرن الرابع الهجرى) هو مستهل عصر الدولة الفاطمية بمصر . وقد نشأت الدولة الفاطمية فى ظروف غامضة يكتنفها كثير من الخفاء والريب ، وقدم الفاطميون الى مصر تحيط بهم وبنسبتهم وغاياتهم ظلمات يصعب استجلاؤها ، وقد كان هذا الخفاء الذى يغمر هذه الدولة القوية من أسباب قوتها ، واتسامها فى نظر الكافة بميسم المقدرة الخارقة ، ولذلك نرى الخلفاء الفاطميين يحرصون على الاتشاح بهذه الحجب القاتمة التى لاتكشف عما وراءها من المقاصد والغايات

وقد كان هذا التعلق بالخفاء يتخذ فى أوائل الدولة الفاطمية صورة رسمية ، فنجد الخلفاء الفاطميين يدعون معرفة الغيب ، ويظهرون بمظهر القدسية والارتفاع الى مافوق البشر (١) وكان معظمهم يشغف برصد النجوم واستقراء ما وراءها من الاحداث ، فيروى مثلا ان المعز لدين الله كان يشتغل باستقراء النجوم والطوالع وانه وقف أثناء مباحثه على قطع فى طالعه يقتضى اختفاءه عن وجه الأرض حولا كاملا ، وانه نزل فعلا على اشارة النجوم ، فاستخلف ولده العزيز على العرش ، ثم اختفى تحت الأرض فى سرداب صنعه لذلك ، واستمر فيه سنة كاملة ، وكان المغاربة ، وهم اولياء

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٠٠

الدولة الفاطمية ، اذا رأوا غماما سائرا ، ترجل الفارس منهم إلى الارض واومأ بالسلام يشير إلى أن المعز فيه ، ثم خرج المعز بعد اختفائه ، وقد احاط به سياج من الرهبة والخشوع(١)

ومما يروى أيضا فى دعوى الخلفاء الفاطميين فى القدرة على استكشاف الغيب ان العزيز بالله صعد المنبر ذات يوم فرأى رقعة كتب فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقة
ان كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة

كذلك نرى مثل هذا الخفاء يغمر رسوم الدولة الفاطمية ووسائلها وخططها ، فنراها ترتب طائفة من الدعوات السرية الغريبة ، تلقى أحيانا فى القصر ، وأحيانا فى الجامع الازهر ، تحت اشراف قاضي القضاة ، و « داعى الدعاة » ، وهي المعروفة بمجالس الحكمة ، وينتظم فيها المخلصون من اولياء الدولة الفاطمية والدعوة الشيعية ، واذ كانت الحكمة فى تلك العصور تعنى نوعاً من الفلسفة الحرة ، فقد كانت مجالس الحكمة مزيجا من التعاليم الدينية المذهبية والفلسفة الالحادية ، وكانت دقتها وخطورتها تحاط بسياج من التكتم لا ينفذ اليه سوى الخاصة من ذوى الاذهان الحرة . ولم تلبث هذه الدروس والمباحث الحرة ان نظمت فى عهد الحاكم بأمر الله فى معهد خاص سمى دار الحكمة ، ورتبت فى مراتب خاصة متدرجة فى التكتم والالحاد ،وغدت دار الحكمة غير بعيد مثوى الدعوة السرية الفاطمية يحتشد فيها الدعاة والنقباء السريون من كل ضرب ، وكانت تعاليمها ومراتبها المذهبية تمت بأكبر الصلات إلى الدعوة الميمونية السرية ، وهي التى نظمها عبد الله بن ميمون القداح ، والتى كانت مبعثا لدعوة القرامطة الهدامة . ولنلاحظ أن ابن ميمون هذا هو الذى يرجع اليه بعض المؤرخين نسب الأسرة الفاطمية

وقد كان عصر الحاكم بأمر الله ذروة الخفاء فى تاريخ مصر الاسلامية ، وكانت شخصية الحاكم ذاته لغزا مدهشا ، وكانت خلاله مزيجا من الاهواء والنزعات المدهشة المتناقضة فى معظم الأحوال . بيد أننا لا نجارى المؤرخين السنيين فى نعته بالجنون والتجرد فى جميع تصرفاته من كل باعث وحكمة . وفى رأينا أن هذا الذهن الهائم ، كما انه يهبط فى تصرفاته أحيانا الى ضروب مثيرة من التطرف والتناقض والهوس ، فانه يرتفع كذلك الى ضروب من الحكمة والسمو تحمل على التقدير والتأمل . ولعل التاريخ الاسلامى لم يعرف شخصية يحيط بها الخفاء كتلك الشخصية العجيبة التى تثير من حولها الدهشة والروع فى كل تصرفاتها العامة والخاصة ، والتى يلازمها الخفاء لا فى هذه الحياة الدنيا وحدها ، ولكن في الحياة الأخرى أيضا ، حيث تغادر هذا العالم فى ظروف كالاساطير ، وتبقى هذه الظروف لغزا على التاريخ حتى يومنا

ولم تزدهر الدعوة الى الخفاء والشغف به والتطلع الى المجهول والخارق قدر ازدهارها في

(١) النجوم الزاهرة (عن مرآة الزمان) ج ٤ ص ٧٠

أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر (أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس)، فى هذه الفترة ذاعت الدعوات السرية ذيوعا عجيباً. ونفذت الى الطبقات الدنيا من المجتمع بعد ان شملت الطبقات العليا، وكان الحاكم نفسه أمام هذه الحركة يغذيها بتصرفاته وقدوته، فقد كان هذا الذهن الهائم أشد ما يكون شغفاً باستقراء النجوم واستكشاف الغيب، وكان يكثر الخروج ليلا الى مكان منعزل فى جبل المقطم يرصد النجوم، ويهيم فى استقرائها، وكان يقرب اليه الفلكيين والمنجمين ويغدق عليهم عطاءه

هذا الى أنه كان يرعى الدعوة السرية الفاطمية ويسهر على تنظيمها وبثها سواء عن طريق دار الحكمة التى أنشأها لتلك الغاية أو عن طريق الدعاة والنقباء السريين الذين انبثوا يومئذ فى مصر والشام يحملون بذور الالحاد والزيغ الى سائر الطبقات

والظاهر ان ريح الخفاء والتطلع إلى مدارك الغيب قد وصلت يومئذ الى حد من الاغراق الذى ينذر بالفوضى، وخشى الحاكم من عواقب هذا الشغف بالتنجيم، وسيطرة المنجمين والمشعوذين على عقول الكافة، فأصدر سجلا (مرسوما) بتحريم صناعة التنجيم والكلام فيها، وان ينفى المنجمون من سائر المملكة، فاستغاث المنجمون بقاضى القضاة، فعقد لهم التوبة من هذه الصناعة وأعفوا من قرار النفى

وكانت الذروة فى أواخر عصر الحاكم حيث اتخذت دعوة الخفاء صورة الحادية مغرقة وظهر دعاة أقوياء ومغامرون من أخطر نوع يبشرون بدين جديد، ويدعون الى الوهية الحاكم بامر الله، والى التناسخ والحلول، ويستترون بالرموز والمعانى الباطنة، وكان فى مقدمة هؤلاء الدعاة المجترئين حمزة بن على الزوزنى، والحسن الفرغانى المعروف بالاخرم، واسماعيل الدرزى الذى تنسب اليه طائفة الدروز الشهيرة

وقد حاول هؤلاء الدعاة أن يبثوا تعاليمهم الخطرة فى المجتمع المصرى، وشجعهم الحاكم برعايته السرية، ولكنهم لم يجدوا بالمجتمع المصرى مهداً خصباً، وثار بهم الكافة وفتكوا بعضهم، وفر الآخرون الى الشام حيث استطاعوا أن يبثوا تعاليمهم وأن ينشئوا طائفة سرية جديدة هى طائفة الدروز

ثم كان اختفاء الحاكم على ذلك النحو الخفى المدهش الذى انتهى الينا وانعدام كل أثر يدل على مصيره، أو يلقى ضياء على ظروف اختفائه أو مصرعه، فكان ذلك عاملا جديداً فى اذكاء شغف الخفاء والتطلع الى مدارك الغيب، واذكاء الدعوات السرية المغرقة فى نفس الوقت، حتى لقد زعم بعض الغلاة ان الحاكم قد رفع الى السماء

* * *

وبعد فانا نجد تماثلا عجيباً بين خواص هذه الفترة المدهشة من تاريخ مصر الاسلامية، وبين

خواص عصر الخفاء الحديث الذى يملأ صحف القرن الثامن عشر بمختلف السير العجيبة !

فقد احتشد فى هذا القرن طائفة كبيرة من الدعاة السريين الذين يتشحون بأثواب الخفاء مثل يعقوب فرنك أو (البارون فون اوفنباخ) ويوسف بلسامو أو (كاجليوسترو) والكونت سان جرمان والدكتور فوك وغيرهم من أقطاب الدعاة والمشعوذين ، وقامت جمعيات سرية كثيرة فى المانيا وفرنسا ، وذاعت محافل البناء الحر (الماسونية) فى جميع أنحاء أوربا

واذا تأملنا نظم هذه الجمعيات ومراتبها وغاياتها ألفينا بينها وبين نظم الدعوة الميمونية والدعوة الفاطمية السرية ومراتبها شبهاً عجيباً، سواء فى التدرج فى المراتب أو تحرى الغايات والمقاصد الالحادية وحشد الدعاة والمؤمنين . ويرجع ذلك بلا ريب الى أن كثيرا من هذه الطوائف والجمعيات السرية كانت تستقى معظم نظمها وتعاليمها من الفلسفة والدعوات اليهودية المختلفة ، وان هذه بدورها تستقى من المشرق ، أو انها كانت ذات أثر كبير فى توجيه حركات الخفاء الشرقية

ومع ان أقطاب الدعاة السريين الذين ظهروا فى أوربا فى هذا العصر ، لم يذهبوا الى حد الدعوة الى النبوة أو الالوهية كما وقع فى عصر الخفاء الاسلامى ، فانهم جميعاً سلكوا نفس النهج الذى على به الخفاء فى كل عصر ، فتحدثوا عن استكشاف الغيب ، وعن المجهول والخارق ، وعن سر الحياة والموت ، وعن الخلود فى هذه الدنيا ، وكان بعضهم مثل كاجليوسترو يزعم النفاذ الى أسرار الغيب ، ويعقد لذلك جلسات خاصة يقوم فيها ببعض الرسوم الشرقية القديمة ، أو يزعم الخلود كالكونت سان جرمان ، فقد كان هذا الداعية المشعوذ يزعم انه عاش قرونا ، وانه عاصر كليوباتره ملكة مصر ، ويوليوس قيصر ، وانه عرف المسيح وكان من أصدقائه وعرف معظم ملوك أوربا فى مختلف العصور ، الى غير ذلك من المزاعم الخارقة . وكانت هذه المزاعم على غرابتها وطابعها الخرافى تلقى لدى الكافة ذيوعا كبيراً ، وتثير فيهم الدهشة والروع

بيد ان هناك فارقا جليا بين العصرين ، فقد كانت دعوة الخفاء فى المشرق يغلب فيها العنصر الروحى ، وكانت تميل الى حشد المؤمنين ، وتكوين العقائد والمبادىء قبل كل شىء . ولكنها كانت فى الغرب يغلب فيها العنصر المادى ، وكانت أكثر ميلا الى اجتناء الثمرات المادية

محمد عبد الله عنان

أثر لم ينشر لأحمد شوقي بك

يختص بنشره « الهلال »

الست هدى[1]

[هي رواية ممتعة من الروايات التمثيلية التي ألفها المرحوم احمد شوقي بك قبل وفاته لكنها لم تطبع ولم تمثل . وستقوم الفرقة القومية المصرية بتمثيلها في الموسم الجديد بالأوبرا الملكية . ويسر الهلال أن يختص بنشر هذه الصفحات الآتية من الفصل الأول]

الفصل الاول

(في دار صغيرة مؤلفة من حجرة في الطابق السفلي ، ومن سلم يصعد منه الى قاعة صغيرة وثلاث حجرات ، والمنزل مطل على مسجد أبي الليف بحي السيدة زينب)

« الست هدى وجارتها زينب في احدى الحجرات »

الست هدى : كيف يا أختُ أنتِ ؟

زينب : نحن بخيرٍ كلنا ما بقيتِ أنتِ بخيرِ

الست : أنت يا زينبُ الوفية بالعهدِ

زينب : ولمْ لا أفي وخيرُك عندى

نحن من أربعينَ عاما على خيـــر جوارٍ بين اثنتين ووُدّ

الست : لا بل العهد لا يزيد على العشـــرين خلي حسابه لا تعدّي

إسمعي زينبُ إسمعي يا صديقى لك هذا الدبُّوس

زينب : لى أنا ؟

الست : بعدى

أنا أعطيتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً وأنصفت في الوصية جهدى

ما يقول الجيران زينبُ عنى

زينب : أتركيهم لا تحفلى ما قالوا

الست : يقولون فى أمرى الكثيرَ وشغلُهم حديث زواجي أو حديثُ طلاق
يقولون إني قد تزوجت تسعةً وإنيَ واريت التراب رفاقي
وما أنا عزريلٌ وليس بعالهم تزوجتُ لكن كان ذاك بمالى
وتلك فدادينى الثلاثون كلما تولى رجالٌ جئننى برجال
فما أكثر عشاقى وما أكثر خطابى
ولولا المالُ ما جاءوا أذلاء إلى بابي
لستُ ما عشتُ ناسيه لستُ أسلو حياتيه
أول البختِ مصطفى مصطفى كان ساريه
حين يمشي تظنه نخلةَ المرج ماشيه
ولحيةٌ سوداء مكاويةٌ مدوَّره
رحمةُ الله عليه لم يكن يطلب مالى
تلك أبعاديق وهي جنونٌ للرجالِ
لم تكن تخطُر في العام له يوماً ببالِ
لم يكن يَمنعه من ذاك سوى قبض الايجاره
جعل الله تعالى جنة الخلد قراره
مات فكدتُ أموتُ حزناً وكان عمرى عشرين عاما
ثم تزوجت بعد خمسٍ مَنذا يرى فعلتي حراما
زينب : أجل تعيشينَ وتدفنيناً حتى تُصيبي منهمو البلينا
الست : وزوجيَ الثاني علي ما كان بالصالح لى يا ليتني لم أقبل
ذاك لمالى اختارني واخترته لماله
ما كان إلا مُفلساً وقعت فى حباله
يرحمه الله وكان ذا بَخَرْ وكان ان يقعد وان يَقُم نَخَرْ
وان مشى تخرجُ أصواتٌ أخر
يرحمه الله لقد عشنا معاً من السنين الصاخبات أربعا ثم مضى لربه لا رَجعا
رحمة الله عليه جُنَّ بالنسل جنونا
ثم لما مات ما خلف لى الا ديونا

ومات لم تبكه عيوني وكان عمري عشرين عاماً
ثم تزوجتُ من سواه منـذا يرى فعلتي حراما
زينب: أجـل تعيشينَ وتدفنينا حتى تصيبي منهمو البنينا
الست: وزوجيَ الثالثُ عمدةُ البَلدْ لقد بنى بي وهو يطلب الولد
وغيرَ أطيـانى هناك ما قصد
يرحمه اللهُ وان نغّص عاماً عيشتي
ما جنْ بي وإنما جُنّ بأبعـاديني
وكان ان تنخما أرسلها الى السما فلستَ تدرى ما رمى
أعقرباً أم بلغما
وكان يَحُطّ رجلاً فوق رجلٍ ويدرح فيهما يدَه طويلا
ويخرج من أصابعه خيوطاً من الاوساخ يُبرمها فتيلا
رحمة اللهُ عليـه مات لم يترك تراثا
خلفَ المرحوم عشـرينَ ذكوراً وإناثا
مات فلم أكتئب عليه وكان عمري عشرين عاما
ثم تزوجت بعد عام منـذا يرى فعلتي حراما
زينب: أجـل تعيشين وتدفنينا حتى تصيبي منهمو البنينا
الست: ولست أنسى زوجيَ الرابعا لا نافعا كان ولا شافعا
قالوا أديبٌ لم يرَوْا مثله ولقبوه الـكاتب البارعا
قد زينوه لى فاخترته ما اخترتُ إلا عاطلا ضائعا
رائحٌ اكثر الزمان على الصُحف مغتدى
يكتب اليوم في (اللوا) وغـداً في (المؤيد)
ليـله أو نهـاره فارغَ الجيب واليـد
ويعجبنى عنـد المباهاة قولهُ بنيتُ فلانا أو هـدمت فلانا
وقد يصبح المبنىُّ أوضع منزلا وقد يصبح المهدوم أرفع شانا
رحمة الله عليـه كان لا يحقِرُ مالا
كان إن أفلس لا يسألنى إلا ريالا

ثم تزوجت بيوزباشي قمرْ كان تهي تحت (عرابي) وأمرْ
لقد وددت انه زوج العمرْ

لا عفا الله عنه لا عفا الله له لا ارتقى لرتبة صاغ
لا عفا الله عنه قد كان لصاً لم يردني لكن أراد مصاغي
وطالما زيّن لي أنني أبيع أو أرهن أطياني
من أجل يوزباشي ، لقد ضل لا لا أشتري جيشاً بفدان
لحاه الله كان مُنى فؤادي وفا كهتي وريحاني وراحي
وكنت أحبه ويحب طيني ويحلُم بالقلادة والوشاح
وكان مقامراً شريب خمرٍ يجيء البيت في ضوء الصباح
يكاد إذا تورط في قمار يقامر بالنجوم وبالسلاح

عشنا ثلاثاً ثم افترقنا وكان عمري عشرين عاما
طلّقني فالتمستْ زوجاً منبدا يرى فعلتي حراما

زينب : أجل تعيشين وتدفنينا حتى تصيبي منهمو البنينا

الست : وعشت عامين دون زوج ثم تزوجت بالموظف
لم أنسه منذ مات يوماً ما كان أبهى ما كان أظرف
كان خفيفاً وكان حلواً ومن نسيم الربيع ألطف
ما كنت أدري إذا تولىّ أجيبه أم قفاه أنظف
يرحمه الله مات ما وجدوا في جيبه غيرَ قطعتي ذهبِ
وسبحة من خزانتي سرقت كانت على الرف من وفاة أبي
وسعت في دفنه ومأتمه ولم أضيّق عليه في رجبِ
رحمة الله عليه كان جخاخاً كبيرا
كل يوم يدع البيت رئيساً أو وزيرا
ثم لا يرجع لي إلا كما كان صغيراً
رحمة الله عليه كان مشغولا بطيني
كلّ يوم بزبونٍ أو بسمسارٍ يجيني
وفداديني عندي هي في الحفظ كديني

ما كان في وجنتي يقبلني بل همه في يدي يقبلها
وعينه في خواتمي أبداً يحدث النفس كيف ينشلها
ثم اقترنت بفقيه عالمٍ في البلدِ
لا في الشيوخ القدما ولا الشيوخ الجُدُدِ
كهلٍ أخو خمسين لـكن في نشاطِ الأمردِ
زينب: عرفته ذاك الفقيه الشيخ عبد الصمدِ
قد كان في الحظ وجيهاً ومقبَّلَ اليـدِ
وكلُّ من مرَّ به خاطبه بسيدي
الست: يرحمه الله لقد أدبني حتى عرفت كيف تخضع النسا
زينب: أنت؟
الست: أجل أدبني بيدِهِ ورجله وبالعصا
زينب: كيف متى؟
الست: رأى غباراً عالقاً بجبتي ولم أكن أعلم من أين أتى
فقال هـذا الترب من نافذةٍ من كنت تنظرين منها يا ترى
وهاج حتى خفت أن يقتلني وشمر الذيلَ وجرَّد العصا
وجاء بالنجار من ساعته سدَّ الشبابيكَ وسمر الكوَى
فقلت يهواني وتلك غيْرةٌ يا حبذا الزوج الغيور حبذا
وقبله لم أرَ من غار ولا مَنْ ظنَّ في قلبي لغيره هوى
يرحمه الله لقـد مات على سحرِي ونحرِي بعد ما صلى الضحى
مات ولم يرقد له جنبٌ ولا بدَتْ عليه علةٌ ولا اشتكى
رحمة الله عليه لم يكن فيه يذكر أبعاديتي
وإذا ما جاءني أو جئته لم يقلِّب عينه في صيغتي
لكنه منذ كنا ماحلَّ عقدةَ كيسه
يفضل الأكل من غيـر ماله وفلوسه
كأنَّ الأزهرَ المعمورَ بيتي هناك جرايةٌ وهنا جرايه
وخلَّفَ الشيخ من الـ اولاد ما يملأ حاره

قسمتْ ثروته فيهم فنال الطفل باره
عشت مع الشيخ نصف عام وكان عمرى عشرين عاما
ومات فاختارنى سواه منذا يرى فعلتى حراما

زينب: أجل تعيشين وتدفنينا حتى تصيبى منهمو البنينا

الست: أتذكرين بعده من جاء بيتى يخطب

زينب: من ذاك من ؟

الست: أنت التي جئت به يا زينب

زينب: مهدى المقاول السري الممتلى من الذهب

الست: قد ذهب الله به أجل إلى النار ذهب
لم ينس أن يذكر أبعاديني ما للغنى ولطيني ماله
ولم يكن عند الطعام يستحي يأكل مالى ويعد ماله
يرحمه الله وان لم أرَ لون قرشه
عشت اثنتين معه لم أنتفع بفرشه
لو لم يمت لمت من جثته وفشه
كأنما تسربت حجارة في كرشه
يدب كالخلوف في خروجه من قشه
وما استرحت ليلة من طحنه ودشه
ومن تلال جيره ومن جبال دبشه
ظللت عامين في بلاه وكان عمري عشرين عاما
ومات مهدى فاعنضت عنه منذا يرى فعلتي حراما

زينب: أجل تعيشين وتدفنينا حتى تصيبى منهمو البنينا

الست: ثم اقترنت بمحام عاطل شريب خمر يحتسيها في الضحى
قلت دعاويه وقل ماله وأصبح المكتب منه قد خلا

[عبد المنعم المحامى زوج الست هدى وهو سكران يصعد السلم]

عبد المنعم: هدى ضلال أين أنت يا هدى أين العجوز أين جدتى هدى

الست: وا نكدا زينب وا دهيتا لقد أتى لا أدرى من أين أتى

يشتم في السلم

زينب : خليه دعي لا تفرضيه غير سكران هذى
رأيته

الست : وكيف ؟

زينب : من تحت وقد كان من السقف أطلّ وانحنى
وكانت الحارة منا امتلأت فأرسل القيء علينا ورمى

الست : القيء ماذا قلت ؟

زينب : قلت ما رأت عيني وما مرّ على رأسي وما ..

عبد المنعم (وهو بالسلم) :
هدى عجوز النحس أنت قردة خطوطك الوحل وكحلك العمى

الست : سمعت يا زينب ؟

زينب : خلّيه دعي لا تفرضيه غير سكران هذى
ومرةً جاء (أبا الليف) ضحى أذن في الناس يصلون العشا
فضيحةٌ في الخط

الست : وافضيحتنا

زينب : ما شهدوا في الحي مثلها

عبد المنعم (ولا زال بالسلم) :
هدى تعالى يا عتيقة اظهرى عندى لك النعل وهذه العصا

الست : سمعت يا زينب ؟

زينب : خليه دعي لا تفرضيه غير سكران هذى

الست : دعيه يهذى ما يشا غدا ترين زينب
ففى غدٍ لى وله شأنٌ غداً يؤدب

زينب : وما الذى عزمت يا حبيبتي ان تصنعي

الست : أقذف فى القسم به وأشتكي وأدّعي
إن رجال القسم والنائب والقاضي معى

ثم لزوجها : لتندمَنّ يا لكعْ يا منْ يقوم ويقع

عبد المنعم (بالسلم) :

ماذا سمعت ؟ صوتها أأنت بومتي هنا

الآن يا عجيزة الخط أريك من أنا

زينب : هدى حبيبتي اسمعي تعالى اهربي معي

الست : أنا ؟

زينب : اسمعي دعيه

الست : لا

زينب : دعيه يا هدى دعي

لا تغضبيه إنه ممتلىء ليس بعي

عبد المنعم (بالسلم) :

هدى هدى أين هدى أين العجوز الباليه

أين مضيت بومتي أين ذهبت خفشي

خداك ضفدعان قد أسننا وأذناك عقربان من قنا

وحاجباك والخطوط فيهما كمودتين إكتفتا من الدما

وبين عينيك نفار وجفا عين هناك خاصمت عيناً هنا

الست : دعيني أقطع عليه الحذاء وأجز الوقاح على ذنبه

دعيني أضربه حتى يفيق فلا بد زينب من ضربه

زينب : قد جاء .. هي تتقي جنونه وهوسه

ففي يمينه العصا وفي الشمال المكنسة

الست : سكران يضرب إذن لنهرب هلم زينب

هذه حجرة نومي اسرعي زينب فيها

نحن يا زينب لا نكسبح سكران سفيها

(تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب) ....

أشباح الفراعنة فى أساطير اليوم

بقلم الاستاذ محرم كمال

الامين المساعد بالمتحف المصرى

فى هذا المقال الطريف يصف الكاتب كيف استطاع أهل « لوقصر » المحافظة على العقائد المصرية القديمة ناسجين حولها القصص والأساطير التى ظل الخلف يتناقلها عن السلف صوراً خالدة حية لما كانت عليه أقدم حضارة عظيمة رآها التاريخ

لعل ألذ الأوقات التى قضيتها فى الوجه القبلى عندما كنت كبيراً لمفتشى مصلحة الآثار هناك تلك الأوقات التى كنت أجلس فيها مستمعاً الى الأقاصيص الشائقة التى يرويها أهالى « لوقصر » وما حولها عن المعابد والجهات الأثرية . فهذه الاقاصيص الطريفة كانت تطربنى وتزيد فى رغبتى إلى الاستماع ، لا عن حب فى الرواية أو الاستطلاع فحسب ، وإنما لأنى كنت أجد فيها أمثلة حية زادتنى يقينا فى أن المصريين الحاليين قد حافظوا مع مضى هذه الأزمان الطويلة على ذكرى الآلهة الأقدمين وما كان يقام لهم من مهرجانات دينية . وهى ذكرى وإن كانت غير دقيقة من حيث التفصيل الا أنها تكفى لتعود بذاكرتنا الى تلك الأزمنة الغابرة من تاريخ الفراعنة حيث كان يشترك الشعب بكامل هيئته فى الاحتفال بتكريم الاله والقيام بالطقوس الدينية اللازمة لاقامة مهرجانه السنوى

يعلم كل من زار الكرنك أنه بجوار المعبد الرئيسى أطلال بحيرة ما زالت مغمورة بالماء . هذه البحيرة كانت فى قديم الزمن مقدسة . كيف لا وقد كانت مسرحا لأهم احتفال دينى ، احتفال مدينة طيبة على بكرة أبيها بعيد الاله آمون السنوى حيث كانت تخرج السفن المقدسة من المعبد وهى تحمل تماثيل الاله المقدسة ورموزه الخفية فتجرى فى مياه هذه البحيرة المقدسة يحيط بها كهنة الاله وحملة المشاعل والبخور ، وهم ينشدون أغانيهم الدينية ويرتلون أدعيتهم بصوت تزيده قوة الدين ورهبته مهابة ووقاراً

هذا المهرجان الذى كان يرأسه الملك ويشترك فى إقامته الشعب كان عظيما تخبو له أبهة الاحتفالات المقدسة الكبيرة ، وكان يستغرق النهار كله وجزءاً من الليل ، وعندما تقارب الحفلة الانتهاء ، كانت تعاد تماثيل الاله الى معبدها وتترك السفن مربوطة الى شاطىء البحيرة حيث تظل باقية فى مكانها الى السنة التالية

هذا هو مهرجان الاله الاكبر آمون إله طيبة عندما كانت مدينة « لوقصر » الحالية مهداً لأقدم حضارة عظيمة رآها التاريخ أى عندما كانت « لوقصر » قاعدة لذلك الملك الزاهر الذى تألق

نجمه فجعل من مصر كعبة يحج اليها كل من رغبت نفسه فى الاغتراف من بحار العلم ومناهل الحضارة . أما الآن فماذا بقى من كل ذلك ؟ سؤال سوف نعطيك عنه الجواب

اجلس الى أحد أهالى «لوقصر» وأعره أذنا واعية وسله أن يقص عليك نبأ «الذهبية الغريبة» فانه لاشك محدثك فى بلاغة وإسهاب عن قصة طريفة ليس لى الآن فى روايتها غير فضل التلخيص والتعليق

فهو يؤكد لك ما يعرفه من أمر هذه السفينة الذهبية التى تخرج من مياه هذه البحيرة المقدسة فى بعض الليالى متألقة كالشمس وعليها ملك من الذهب الخالص يسير دفتها وإلى جانبه بحارة من الفضة ، فاذا أرسل القمر ضوءه سارت السفينة تتهادى تاركة وراءها خطا طويلا من الأحجار الكريمة . فاذا دار الحظ دورته أرسل إنسيا مجدوداً يعلم كيف يحفظ سر السفينة فيسير الى جانبها صامتاً هادىء الفؤاد ، فاذا اقتربت من الشاطىء صعد اليها في غفلة من راكبيها فاغترف منها ما يشاء وانقلب الى بيته راجعاً وقد جمع من الخيرات ثروة الكنوز . هذا اذا كان مجدوداً . على أن هناك من عاثرى الحظ من رأى السفينة فهاله الامر فصاح فاختفت السفينة بملكها وبحارتها وانشقت مياه البحيرة فابتلعته

وأنت إذا جابهت محدثك بعدم التصديق أو اذا شعر منك بشىء من ذلك ، فهو لا يدعك فى شكك ، وإنما يسترسل فى حديثه ليعطيك مثالا واضحاً أكيداً مستشهداً بشخصيات يؤيد بها دعواه

فهو يقول لك ان أحد أعيان «لوقصر» الغابرين واسمه «دياب تمساح» كان يمر فى أحد الامسية الى جانب البحيرة المقدسة ، فاذا بموسيقى ساحرة تطرق أذنيه آتية من بعيد واذا بهذه الموسيقى تقوى وتقترب ، واذا بسفينة من الذهب تتألق فى الظلام ، واذا جميع المظاهر تدل على أن هذه الليلة هى ليلة مهرجان عظيم

يقترب «دياب تمساح» من السفينة شيئاً فشيئا ، ثم ينبطح على الأرض ليرى فيرى عجباً ! يرى الملك الذهبى ثملا وقد أحاطت به بحارته ومن حوله نساء جميلات يرقصن رقصاً بديعاً فاتناً ، ثم يبدأن الغناء ، فاذا بدأن سمع صوتاً شجياً بلغ من حسنه ورقته أن أثار فى نفس «دياب تمساح» كامن شجوه واذا به يصيح : «الله الله !» مستحسناً مشدوهاً

هنا ينقطع الغناء ويأمر الملك أن اقطعوا قيود السفينة فتختفى الذهبية ويعود «دياب تمساح» الى صوابه فيجد بقية الحبل الذى كان يربط السفينة الى الشاطىء فيأخذه هو والوتد والقدوم الذى استعمل لتثبيته وينطلق الى منزله فاذا وصله نظر الى ما أحضره فاذا به من الذهب الخالص واذا «بدياب تمساح» وقد أصبح بين عشية وضحاها من سراة البلد بل أكبر أثريائها

فأنت حين تسمع هذه الأقاصيص من أهالى «لوقصر» وهم يروونها مصدقين مؤمنين بصحة ماجاء فيها ، لا شك ترجع بذاكرتك الى الاله آمون وسفينته المقدسة التى كانت تخرج حاملة تمثال

الاله فتسير ومن حولها الكهنة وفرعون والشعب مهللين مكبرين فى عيدهم السنوى الذى كانت تسير فيه السفينة من معبد الكرنك الى معبد « لوقصر » فى احتفال مهيب تعود بعده الى مقرها بالكرنك كما أسلفنا القول

* * *

وليست هذه القصة هى كل ما تسمعه من الأقاصيص . فهناك أقصوصة أخرى منتشرة فى قفط أثبتها المقريزى فى تاريخه تتلخص فى أن المعبد الموجود بهذه البلدة تقوم على حراسته فتاة سوداء تحمل على ذراعيها طفلا رضيعاً اسود اللون مثلها ، وان هذه الفتاة ومعها طفلها ترى فى كل ليلة ترتاد هذه المناطق

فاذا نحن طبقنا هذه القصة الغريبة على معلوماتنا التاريخية وجدنا ان قفط وهى كبتوس القديمة كانت مركزاً لعبادة الثالوث المقدس الذى كان يتكون من الاله مين والالاهة إيزيس والطفل حوريس. فهذه الفتاة وطفلها إن هى الا إيزيس وحوريس على ذراعها كما نرى ذلك فى آلاف التماثيل التى عثرنا عليها والتى يوجد الكثير من امثالها بالمتحف المصرى . فذكرى الالاهة إيزيس وطفلها حوريس ظلت باقية آلاف السنين تتناقلها الاجيال وتتوارثها الاحفاد حتى وصلت الينا شبحاً غامضاً نستطيع ان نتبين من خلاله برغم غموضه صورة الالاهة وابنها الرضيع وهى صورة معروفة لنا تمام المعرفة كما بينا

* * *

على ان هناك أقصوصة طريفة ثالثة يرويها لك اهالى دندرة عن معبد هذه الجهة،فهم يذكرون لك وهم يتهامسون انملكا من ملوك العهد القديمعاش ومات منذ آلاف السنينكان غنياً جداً وقويا جداً، وانه اراد قبل موته ان يجد لامواله حرزاً مكينا فابتنى فى ارض هذا المعبد نفقاً كدس فيه امواله وذخائره واقام عليها بقرة تقوم بحراستها . بقرة شديدة البأس عظيمة القوة والمراس تلفظ عيناها شرراً يتطاير . هذه البقرة كانت تختفى اثناء النهار وتظهر فى الليل حيث تظل متنقلة بين ارجاء المعبد وعيناها تراقب الكنز الذى اقيمت على حراسته ليل نهار . بذا بقى الكنز آلاف السنين محفوظاً مصاناً يهاب اهالى الجهة الاقتراب منه خوفاً ورعباً من بطش هذه البقرة العظيمة

غير أن مزارعا كان له حقل بجوارهذا المعبد قد زرعه عدساً. فلما اشتد العدس ونما كان يلاحظ هذا الرجل أن عدسه ينقص كل ليلة وكأن يداً كانت تمتد اليه فى الظلام . فتربص الرجل فى ليلة مستخفياً ليرى السارق ، فاذا بتلك البقرة العظيمة السوداء ترعى فى حقله وتأكل ما طاب لها ، فغضب الرجل وانصرف الى منزله وطفق يفكر حتى هداه فكره الى أن يصمد فى الليلة التالية بسيفه للبقرة فيقتلها حين تجترىء على اقتحام حقله

انصرف الرجل فى الليلة التالية الى الحقل لينفذ عزمه وبقى جاثماً الى أن أتت البقرة ، وفى سرعة

البرق طرقت رأسه فكرة جديدة ـ لماذا يدخل فى معركة حامية الوطيس مع هذه البقرة الشديدة البأس . ولماذا لا ينتهز فرصة انشغالها بالأكل عن حراسة الكنز فيذهب اليه ليغترف منه ما يشاء له الحظ الحسن الذى هداه الى هذه الفكرة السعيدة ؟

أطلق الرجل اذن لساقيه العنان فدخل المعبد واقترب من الكنز واغترف منه ما ملأ به زكيبته وبينا هو كذلك إذ ارتجت جدران المعبد بأصوات عدو قوية ، واذا بالكنز يرتج بابه واذا بالبقرة تظهر غاضبة منكرة ، واذا بصاحبنا الفلاح يعدو وينطلق فيخرج من المكان وهو لا يزال حاملا زكيبته

وصل الفلاح الى منزله يلهث ففتح بابه وأفرغ ما فى زكيبته فى إناء كبير كان يحتفظ فيه ببعض ماله وحفر للاناء فى أرض الغرفة وأبقاه مدفونا تحت الأرض بعيداً عن الأعين

ظل كنز الرجل مختفياً عن الأعين زمناً الى أن آن وقت الحاجة إذ طرق بابه محصل الاموال الأميرية يطلب دفع قسط الارض السنوى فأمهله الرجل الى اليوم التالى وذهب الى منزله ليخرج كنزه فوجده سليما معافى لم تمسسه يد منذ وضعه ، فقلب الرجل يده فى الاناء يستخرج ما يريد فاذا بالاناء يغوص فى الارض كلما امتدت يداه اليه واذا هو يحاول ادراكه فيعسر عليه الامر ويختفى الاناء بما فيه . هنا يبكي الرجل ويندب حظه ليس لانه فقد كنزه فحسب بل لانه فقد أيضاً ما كان مع الكنز من نقود كان يدخرها من عرق جبينه !

هذه الاقصوصة تسمعها من الكثيرين من أهالى دندره . وهناك من يؤكد أنه سمعها من ابن ذلك الرجل نفسه !

فهذه القصة على ما فيها من غرابة تفسيرها سهل وأمرها ليس من التعقيد بحيث تعتبر بعيدة عن حد الادراك

فنحن نعلم أن معبد دندرة كانت تعبد فيه الالاهة هاتور وهاتور تظهر فى شكل بقرة وهناك آلاف الرسوم تمثل الالهة فى هذا الشكل نجدها مرسومة على جدران هذا المعبد وغيره من المعابد . فهذه الاسطورة التى يدور فيها الحديث عن بقرة تتولى حراسة الكنز إن هى الا هاتور إلاهة المعبد حارسته وربته الذي بني المعبد من أجلها واتخذ مقراً لعبادتها

فان نحن عجبنا اليوم فلسنا نعجب من الاقاصيص نفسها وما فيها من مستغربات وإنما يحق لنا أن نعجب من هؤلاء القوم الذين أمكنهم أن يحتفظوا بأشباح الآلهة الفرعونية التى كانت تعبد فى هذه الجهات ناسجين حولها القصص والأساطير التى ظل الاحفاد يتناقلونها عن الاجداد والخلف عن السلف . حتى وصلت الى عصرنا الحديث صورة حية ناطقة بما كان يقوم المصريون الاقدمون بعبادته من آلهة وما كان يحتفل به الفراعنة من مهرجانات دينية

محرم كمال

الأمين المساعد بالمتحف المصرى

من ذكريات الحرب الكبرى

مردة البحار

فاجعة باخرة فرنسية بغواصة ألمانية

قصة واقعية رائعة يرويها بقلم قائد الغواصة الالمانية ك - ٥٥ القبطان هربرت ساور

سرنا نبتغي الصيد - والصيد فى لغتنا نسف احدى سفن الحلفاء - واقتربنا من مصب نهر الجيروند بخليج جاسكونيا آملين أن نصل تحت جنح الظلام الى احدى السفن الكبيرة الخارجة من بوردو أو الذاهبة اليها. وكان الليل حالك السواد لا يدع الناظر المدقق يبصر شبح السفن السائرة ولو على بعد ميل، وكان البحر هادئا مصقول السطح والسماء الملبدة بالغيم تمطر الكون غيثاً رفيع الخيوط. ولا أدرى أى دافع خفى دفع بنا الى هذا المكان، ولكنه كان دافعاً قويا لا يغالب يكاد يهيب بنا: أن هذا مكمن الفريسة فلا تتركوها

سرنا فى طريقنا الى الميناء نحاول أن نخترق بأعيننا الظلام الكثيف، فما لبثنا أن أبصرنا يختاً بخاريا صغيرا يجتاز كالأعمى الطريق القاطع لطريقنا. ولم نعرف بادئ ذى بدء هل كنا حيال سفينة من سفن العسس أو حيال سفينة كشافة تحرس مدخل الميناء. بيد أنه لم تمض دقائق حتى رأينا الانوار تضاء على جانب اليخت ورأينا نورين أحمرين يلمعان فوق السارية، فادركنا فى الحال أن الذى أمامنا سفينة قوادة من سفن الارشاد (Pilote) التى تقود البواخر وتهديها الى داخل الميناء

وأخطرنا عامل اللاسلكى أنه يسمع اشارة لا بد أن تكون صادرة عن السفينة القادمة التى خرجت القوادة لاستقبالها فأدرنا المنظار الى جميع الاتجاهات وأرهفنا آلات الانصات، ولكن السماء والبحر كانا كأنهما كتلة واحدة من الظلام الاسود لا يستطيع الرائى أن يميز بينهما شيئاً

وانتشر رجالى كل منهم فى مكان عمله وأخذنا الأهبة لكل طارئ. ولكن هل نطلق النار على القوادة الصغيرة، ونعود من المعركة بهذه الفريسة النحيفة؟ لا. بل يحسن الانتظار الى أن تلوح لنا فريسة أسمن وأدسم. ثلاث قذائف كفيلة بارسال هذه اللعبة الى القاع، ولكنا سنثير كل ما فى الميناء علينا وستهرع كل تلك القوى الى مطاردتنا. فما دام لا مندوحة لنا عن التعرض للخطر، فلا أقل من أن نتعرض له فى مقابل غنيمة تستحق الذكر

ونظرت الى الرجال فوجدت النهم يحرك أيديهم ، ويدفعهم الى العمل ، فابتسمت وقلت : « دعونا من هذه ، فهى لقمة غير مشبعة ، وانتظروا ما هو خير »

اقتربنا من القوادة وأنعمنا النظر ، فرأينا على ضوء مصباح كان يحمله أحد بحارتها قاربا يهبط من أحد جانبيها يحمل ثلاثة رجال . وما استوى القارب على البحر حتى أعمل البحارة مجاذيفهم متجهين خارج الميناء

ما هذا القارب ؟ والى اين يذهب ؟ ولكن لماذا نسائل أنفسنا ولا نذهب لنسأل عمن فيه ؟ أدرنا الغواصة ولم تمض مدة طويلة حتى كنا أمامه وقفزت ومعى اثنان من رجالى الى القارب فوقفنا أمام بحارته وجهاً لوجه . وان أنس لا أنسى الفزع الممزوج بالدهشة الذى استولى على هؤلاء المساكين عند ما رأوا ثلاثة من المردة يهبطون اليهم من السماء أو من حيث لا يحتسبون !

وكانت محادثة قصيرة علمنا منها أن سفينة فرنسية كبيرة تتأهب لدخول الميناء وهى واقفة على بعد ميلين تنتظر القوادة لتقودها الى الميناء

أركبت الفرنسيين الثلاثة فى الغواصة والمسدسات مصوبة الى أدمغتهم ، تعقل ألسنتهم عن الصياح . وانتقيت أربعة من رجالى الاشداء يحمل كل منهم عدداً من القنابل وقفزت واياهم الى القارب وأوصيت ضابط الغواصة باقتفاء أثرهم ، حتى اذا عثرنا على السفينة الفرنسية وقفوا على بعد منها يرقبون ما سوف يكون ، فاذا سمعوا طلقا ناريا أرسلوا قذائفهم على العدو بلا توان غير حاسبين لما يصيبنى ورجالى منها أى حساب

وخرجنا بالقارب الى عرض البحر وسرنا قليلا على غير هدى ثم لمحنا نورا أحمر ينبعث من الظلام ، ففهمنا أن السفينة ترشد القوادة اليها فاتجهنا نحوها ، وسرعان ما سمعنا صفارة تشق سكون الليل ثلاث مرات متوالية ثم الفينا أنفسنا أمام باخرة ضخمة ، لا بل امام عملاق بحرى هائل لا يمكن أن تقل حمولته عن عشرين الف طن ، وهذا العملاق يتقدم الهوينا كجبل يزحف فوق الماء

انها لجرأة خطرة تلك التى دفعت بي الى ما أنا مقدم عليه . ولكن هذه الجرأة هى رأس مالنا وسر حياتنا ونجاحنا ، وياليت شعرى لولا المغامرة ماذا كنا نكون ؟

وقف العملاق البحرى على بعد عشرة أمتار منا وأوقد مصباحا على سطحه الأدنى وأدلى سلما من الحبال ليصعد عليه ربان القوادة الموهوم ، ولم تكن غير ثوان حتى كنت أتسلقه ورفاق يتسلقونه ورائى كالقردة . وصعدت الى المشى وحامل المصباح ينظر الينا كما لو كنا مواطنين أصدقاء مسالمين . وقادنى الى غرفة المرقب حيث كان القبطان فى انتظار ... فى انتظارى

وتقدم القبطان نحوى باسما والظلام يستر وجهى عن عينيه وقال : « ها نحن قد وصلنا سالمين . . ولم يقع ما كنا نخشاه من أولئك الوحوش ! » وأنسانى هول الموقف ما أنا فيه . فضحكت ضحكة عالية وأقبلت على الرجل ، وقلت : « أمامك يا سيدى سبع دقائق لا تزيد . فلقد

وضع رجالى قنابلهم فى أرجاء سفينتك وهذه القنابل ستنفجر من تلقاء نفسها بعد هـذه الدقائق ، وغواصتى على بعد مائة متر منك وهي ستحطم باخرتك عند أول طلق نارى تطلقه أنت أو أطلقه أنا . نخير لك أن تسرع بانزال قوارب النجاة لتحشد فيها ما يمكنك حشده من رجالك والا فانك تجني عليهم وعلى نفسك »

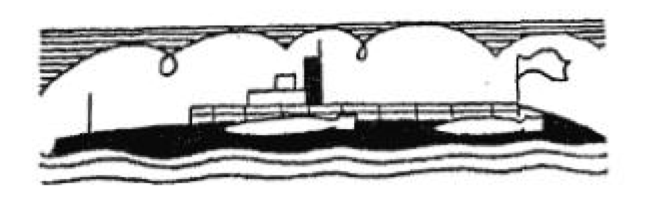
وسمعت صوت صفارة رفيعة ينطلق ثلاث مرات فايقنت أن رجالى قد فرغوا من بث القنابل فى السفينة فغادرت القبطان فى حيرته المربكة ويده على قبضة غدارته فى جيبه وأسرعت الى السلم ولحق بى رجالى اليه وحامل المصباح ورجلان آخران ينظرون الينا غير عالمين من نحن ولا ماذا فعلنا ، وانحدرنا من السلم الى القارب وأعملنا المجاديف بسرعة وقوة متجهين نحو الغواصة . ولما بلغناها أنزلنا الفرنسيين الثلاثة وأركبناهم قاربهم ودفعنا بهم الى عرض البحر قائلين : « شكراً لكم ، ومع السلامة » . وأدرنا المحركات وجرينا الى الأمام مبتعدين عن الميدان لترقب ما سيكون

أما الحالة فى الباخرة فقد تغيرت تغيراً كلياً اذ أضيئت جميع الانوار كما لو كانت على ظهرها حفلة راقصة ، وشرع البحارة فى حشد الركاب فى القوارب وتوزيع أحزمة النجاة عليهم . وكانت حركة هرج ومرج وجرى من هنا وركض من هناك وصياح وعويل واستغاثة وألواح خشبية تلقى فى البحر وأجسام تهوى من أعلى السفينة وتركب هذه الالواح

ومضت دقيقة أو دقيقتان ثم أبصرنا أنواراً تنبعث من جوانب السفينة كالبرق ثم سمعنا دوى انفجار أعقبه دوى انفجار آخر وتلاها انفجار قنبلتين فى آن واحد فكان دويهما كهزيم الرعد ، واكتست الباخرة بطبقات كثيفة من الدخان ، وانبثقت ألسنة النيران عن بعض أركانها ، وارتفعت الأمواج المزبدة من هول الانفجار فكانت تتحطم على جانبى العملاق الجريح

ثم بدأ الدخان يتبدد شيئا فشيئا ، وبدأت السفينة تظهر أمامنا والنيران تأكل سطوحها وتنفجر من فتحاتها . ومال العملاق على جانبه الايمن وغاصت مقدمته فى الماء وظل يختفى رويداً رويداً حتى غاب عن الأنظار . ولم يبق إلا قوارب النجاة تتلاعب بها الأمواج وحولها الغرقى يولولون

ونظرنا الى الميناء فالفينا سفناً أخرى تهرع لانقاذ ما يتيسر انقاذه من بقايا السفينة المغرقة وطرادين وثلاث مدمرات تسير نحونا بمنتهى قوة البخار ، فأمرت رجالى بالهبوط تحت الماء وسرنا فى طريقنا آمنين نسجل فى كراسة الاحوال هذا النصر الجديد





عرض وتلخيص لكتاب « طبيعة العبقرية » لمؤلفه الكاتب المجرى هربك رالف . وهو أحد الكتاب المشهورين باستقلالهم الفكرى ، وملاحظاتهم الدقيقة

العبقرى لايحفل بالنظم السائدة والقوانين الموضوعة وكل مامن شأنه أن يحكم الصلة بينه وبين أغلبية الناس ويدمجه فى المجتمع ويخضعه لسلطان الغير . وهو لايتخذ هذا الموقف بدافع العداء المقصود ، بل يتجه اليه بحكم مزاجه وأسلوب تفكيره وطبيعته الثورية الأصيلة وعقله المتوقد المتطلع الذى لا يرضى عن شىء ، ويأبى إلا أن يبحث دائما عن الجديد

والواقع أن فكرة « الجديد » هذه هى موطن شخصية العبقرى ، وهى التى تقلقه وتحيره وتجعل من حياته سلسلة عذاب متصلة

فهو يأنف من محاكاة الغير ، ويتبرم بتقليد من سبقوه ، ويبذل قصاراه لاحداث الحدث العظيم الذى يقف أمامه الناس مرتبكين ذاهلين

وقد يقضى العبقرى السنوات الطويلة باحثاً منقباً عن هذا « الجديد » فلا تهدأ ثائرته ولا تقر نفسه إلا إذا اهتدى اليه واطمأن الى تحقيقه واعتقد أن غيره لم يفكر فيه من قبل

ويجب أن نلاحظ أن الشىء الجديد الذى يتوق العبقرى الى ابرازه فى وضح النور — سواء أكان منهبا فلسفياً أم اجتماعياً أم سياسياً أم فنياً — هو فى الحقيقة رجع صدى نفسه والصورة المثلة لاعماق شخصيته . فكأنه إذ يبحث عن الجديد يبحث فى الوقت نفسه عن جوهر شخصيته وكأن جهاده فى سبيل الناس هو قبل كل شىء جهاد مرهق طويل يقصد به استكمال قوى شخصيته ، والاعراب عن مختلف الوانها وظواهرها وما تمتاز به من عوامل وأهواء وميول تجوز حد الشخصية العادية الشائعة . وكلما كان سعى العبقرى لمعرفة نفسه مطرداً قوياً عميقا ، كان انتاجه رائعاً بديعاً خصباً تتوافر فيه عناصر التجديد الصحيحة التى يطمح اليها

ولقد كان نيتشه يبكى بكاء الاطفال أثناء تفكيره وبحثه عن مذهب السبرمان . وكان تولستوى


نيتشه

يستغرق الساعات الطويلة فى تفكير عميق ليهتدى الى مذهب البساطة الدقيقة الشائع فى فنه القصصى ، فلا يكاد يعود الى نفسه حتى يصاب بصداع أليم مر يظل مستولياً عليه طوال النهار . وكان نابليون يصاب بشبه حمى دائمة أثناء وضعه خطة معركة جديدة . وكان روسو يخرج منهوك الأعصاب مشلول القوى بعد كتابة فصول (العقد الاجتماعى) فيضطر الى النوم عشر ساعات متوالية . وكان العلامة اينشتين فى خلال بحثه عن مذهب النسبية يغيب فى تخيلات أثيرية وينسى نفسه ويشعر بعد اعمال الفكر أن قلبه قد تضاعفت نبضاته وان قوى ذهنه ستفلت منه وان الدوار سيعصف برأسه ويرديه صريعاً ، فيهب من سباته ويدخل الحمام ويرسل على بدنه الماء البارد ثم يعمد الى « الكمان » فيعزف عليه بعض قطع الموسيقى يرفه بها عن نفسه ، وينتقل الى جو هادىء

روح الطفولة فى العبقرى

يدهش الكثيرون فى بعض الأحيان من سذاجة العبقرى وبراءته وصفاء نيته ومبلغ الشبه بينه وبين الاطفال ! . . يدهشون إذ يرونه لايحسن الكلام فى المجالس ولا يحسن النظر الى الأشياء من وجهتها العملية ولا يهتم بالمادة ولا يقيم وزنا للمال ، وينطلق فى معظم الأوقات صاخباً ضاحكا ، غير حافل بشيء ، كطفل أطلق سراحه من المدرسة ، أو كطائر برىء أطلق سراحه من قفص

الواقع أن العبقرى ثلاثة اتجاهات نفسية هى التى تؤلف مجموع شخصيته :

الأول ينصرف الى العمل المرهق الذى يقوم به لتحقيق عبقريته

والثانى ينصرف الى الترفيه عن نفسه فى الحياة العامة ما استطاع

والثالث ينصرف الى مراقبة الناس وملاحظتهم أثناء عملية المرح واللهو والترفيه

وهذا هو السر فى أنه يبدو للناس كطفل يطالع الحياة اول مرة

فهو بعد أن يكد ذهنه فى العمل يخرج الى الحياة ناشداً الراحة جاداً فى طلب النسيان ملتمساً عزاء وسلوى فى شتى مفاتن الدنيا ومباهج الطبيعة وغرائب الاخلاق الانسانية فيضحك ويمرح وينحدر مختاراً الى عالم الطفولة الساذجة

ولكن هذا المخلوق التافه ، هذا المعربد المخبول ، لاينفك أثناء طيشه وتزقه ومحاولته الترفيه عن نفسه يراقب الناس ويلاحظهم عن كثب ويصوب نحوهم قوى عقله الباطن المتقد حرارة

وهذا هو الاتجاه النفسى الثالث الذى يجعل من العبقرى رجلا كامل الادراك فى اللحظات التى ينقلب فيها الى طفل !


نابليون


تولستوى

ولقد لوحظ على فولتير أثناء لهوه ومرحه أن عينه اليسرى كانت تلمع لمعانا دائما عجيباً وان اصدقاءه الذين طالما سخروا منه فى تلك الساعات كان يدهشهم منه بعد انقضائها أنه لاحظهم أشد ملاحظة ووقف على حقيقة نياتهم واشترك فى التفكير فى موضوعات أحاديثهم وهم لا يشعرون

خدعتهم شخصية الطفل الظاهرة وأنستهم شخصية العبقرى الباطنة ، فكان العبقرى هو الذى سخر منهم فى النهاية

وأما فيما يتعلق بغرام العبقرى بالطفولة وولعه الشديد بالاطفال وألاعيبهم ونزواتهم ، فهناك شواهد جمة على صحته : فلقد كان الروائى تورجنيف يقضى معظم أوقات فراغه ملاعباً طفلا روسياً يدعى اليوشا . وكان تولستوى مشغوفاً بالركض ولعب الكرة مع الصغار من أبناء الفلاحين . وكان جوستاف فلوبير يزين مخدع نومه بصور مختلفة لأجمل الاطفال . وكان جان جاك روسو ، على الرغم من أنه أرسل بأبنائه الى ملجأ اللقطاء ، يقف خاشعاً أمام كل طفل يصادفه ثم ينتشى ببساطته وصفاء روحه ثم يضحك ثم يخرج عن وقاره ويشترك معه فى اللعب ما استطاع

ولقد سألوا هربرت سبنسر : ماذا كنت تود أن تكون لو لم تكن فيلسوفا ؟

فأجاب : « كنت أود أن يكون لى عقل فيلسوف وروح طفل ! »

ونحن اذا ألقينا نظرة فاحصة على عباقرة الادب ــ لاسيما الشعراء ــ ألفينا الغالبية منهم تتوق الى تحقيق بساطة الطفولة فى عالم الادب والشعر . فبقدر ما يتمكن الاديب من الاقتداء بالطفل والشعور بالحياة عن طريق الغريزة الحرة كما يفعل الطفل ، يكون عمله الادبى صادقا مستوفياً شروط النضارة والحقيقة والجمال

نظرة العبقرى الى الانسانية

يعتقد كل عبقري أنه قد حمل رسالة يجب عليه أن يؤديها لخير الانسانية مهما لاقى فى سبيلها من عسف وألم . والعباقرة يختلفون فى نظرتهم الى الانسانية وفى طريقة حبهم لها . فمنهم من يراها بعين الخيال المجرد ويتمثلها كفكرة ويتصورها كما يود أن تكون لا كما هى عليه فى الواقع


جان جاك روسو

وهذا العبقرى الخيالى قد يستشهد عن طيبة خاطر من أجل الانسانية ولكنه قد يكره الناس فى الوقت نفسه ويعتزلهم ويتبرم بهم ولا يطيق الحياة بقرب واحد منهم مع أن مجموعهم يؤلف تلك الانسانية التى ينشد تحريرها وانقاذها

وهناك عبقرى آخر يحب الانسانية ممثلة في مخلوقات من لحم ودم . يحبها ممثلة فى الناس ، أى فى أحزانهم وآلامهم وشرورهم وأخطائهم وكل ما يجعلهم أشقياء تعساء

هذا العبقرى الاخير هو الذى تنقضى حياته فى مأساة دائمة . هو الذى يمزق فؤاده مرأى الفقير . هو الذى يثيره الظلم ويدفعه الى الكفاح . هو الذى يندمج فى الناس ويفنى فيهم فتنعكس عليه آلامهم فيغذيها بعقله ويضخمها بفكره ويزداد احساساً بجورها وعنفها

من هذا الصنف تولستوى ودستويفسكى وباستور وأندريه جيد

وقد سجل تولستوى فى مذكراته أنه كان يشعر كلما أبصر فلاحاً روسياً يجلد ان السياط تقطع جلده هو ، وأن الصرخات تنطلق من صدره هو ، وانه كان بعد رؤية هذا المشهد يهرع الى مكتبه ويخفى وجهه بين راحتيه ويبكى ويمزق شعره ويكاد يجن لعجزه عن دفع مثل هذا الاستبداد والظلم. وكان دستويفسكى يصاب بنوبة من نوبات الصرع عقب كل حادثة يشهدها ويتمثل فيها الألم الانسانى فظيعا مروعا . وكان باستور قبل أن يستكشف مصل الكلب يبكى هو الآخر اشفاقا وحسرة، كلما جاءوه بطفل مكلوب فأحس عجزه عن معالجته. أما أندريه جيد فقد ثارت ثائرته عندما سافر الى الكونغو وأبصر كيف يعامل المستعمرون الاهالى


فولتير

وقد هم عدة مرات بصفع الجنود ، وكان يصرخ فيهم طالباً الرحمة ، وهو يحتضن أحد الزنوج ويحميه ويتلقى عنه اللطمات !

أمل العبقرى فى الخلود

يعيش العبقرى متصلا بكل ما هو أبدى فى الطبيعة ولذلك يطلب أن يخلد عمله وانتاجه خلود الطبيعة . ولكن العمل الخالد هو فى الغالب عمل ثورى يخرج به صاحبه عن مألوف العادات والتقاليد فيصعب فهمه ويصعب تقديره وقد لاتعرف قيمته إلا بعد وفاة واضعه

وهذا ما يدركه العبقرى تماما ، ويوطن النفس عليه ويجد فيه أكبر العزاء والسلوى

غير أن المجتمع يعاقبه على شذوذه ، يعاقبه على تمرده ، يعاقبه على رغبته المحمومة فى تحطيم العادات والتقاليد فيفرض عليه البؤس فرضاً ، ويغرقه فى الفقر حتى الشفتين ، متوسلا بذلك الى حمله على النزول عن شخصيته ، والعدول عن مبدئه ، وتبديل خطته ، وانتهاك مثله الأعلى ، وقبول حل وسط يرضى المجتمع ويرضى الجماهير ، ويرضى أصحاب السيطرة والنفوذ

ولكن العبقري الأصيل لايخون . لايشترى بالمال ولا بالمنصب ولا بالمجد الزائف يسخر منه الناس ويتهكمون به ويحتقرونه ولا يفهمون كيف يؤثر هذا الرجل عقيدة

خيالية ، مبدأ لايقبل التحقيق ، فكرة خرافية مقترنة بالفقر والذل ، على مناعم الجاه والثروة التى يتهافتون عليها مخبولين متناحرين ؟

هم يرثون لحاله ولكنه ليس فى حاجة الى شفقتهم . لهم خيالهم وله خيال . لهم سعادتهم وله سعادته . وما دام محتفظا بكرامة فكره فمن المحال أن يشقى ، ومن المحال أن يكون الرجل الذليل البائس الذى يتصورون !

الحق أنه لايعرف قانون الزمن ولا يعيش فى أمسه ويومه ولا يتطلع حتى الى مستقبله مستقبل البشرية الخالد هو مايصبو اليه وما يرغب فى الاشراف عليه، وما يصوب نحوه انتاجه وما ينزع الى الفناء فيه

كم من عبقرى كافح وناضل لا ليعرف نفسه فقط ، ولا ليصل الى الحقيقة فحسب ، بل لينقذ قلبه وضميره من سحر المادة وسلطان الترف !

هذا عذاب جديد لايقاس بأى عذاب آخر ، ولكن محك الرجل هنا . فاما أن يتدنى ويستمتع ويخون ، فيهزل عمله ويفقد الصلة المنشودة بالخلود ، واما أن يثبت ، ويقاوم فتقر نفسه ويشعر — ولما يزل على الارض — بذلك الخلود المقدر لكل عمل قامت به العبقرية على أساس الصدق والنزاهة والاخلاص والتضحية

صلة العبقرى بالله

العبقرى فى العادة رجل مفتون بنفسه مجنون بعقله مدله بشخصيته . يذهله غليان أفكاره ويذهب بلبه اضطرام خواطره ، فيشعر فى الساعات التى يهبط فيها الوحى عليه انه امتلك هذا العالم واستقر فى صميمه وكشف عن أسراره واندمج فى القوة الخالقة التى أبدعته

فى تلك الساعات فقط يدرك العبقرى أن الله موجود . يحس قوة الله تسرى فى تضاعيف عقله وتمده بالغذاء والنور وتفيض عليه أفكاراً وعواطف وخيالات لم يكن ليحلم أنها قد تصدر عنه أبداً

فهذه القوة المتفجرة من ينبوع مجهول ، الهابطة كالسيل من منحدر بعيد تخلق فى نفس العبقرى عاطفتين متباينتين : التواضع والكبرياء

يشعر بالتواضع لانه يعلم أن ذلك الوحى الكاشف لن يهبط عليه فى كل ساعة ، وأن هناك مصدراً غامضاً مجهولا يتفضل عليه بالعبقرية ، وأنه قد يظل سابحاً فى التأمل والتفكير الأيام الطوال فلا ينتهى الى شىء ولا يصل الى شىء ولا يكشف بنفسه عن شىء

ويشعر بالكبرياء لانه يعلم أن ذلك المصدر الغامض يؤثره على سواه ، وان ذلك الوحى النورانى يهبط عليه وحده ، وان الله قربه من دون الناس واصطفاه ونفخ فيه من روحه حياة ونعمة

وقد يكون العبقرى ملحداً كافراً بل داعياً للكفر ومبشراً بالالحاد . ولكن الحقيقة أن عقله هو الذى يلحد ، أما نفسه فلا

وكيف تلحد هذه النفس وتنكر القوة المجهولة وهى تدرك أن ليس فى وسعها أن تنطلق وتحلق وتتجلى إلا باذن من هذه القوة وبدافع منها وبالهام طارىء يصدر عنها ؟ . .

الواقع ان الاشراق النفسى عند الانبياء والمتصوفة كالوحى العقلى عند العباقرة . كلاهما يميط اللثام عن وجه الله وكلاهما يصل الانسان بالله !

لذلك تكمن شخصية المؤمن فى شخصية كل عبقرى وإن كان العبقرى ــ لفرط نشوته بكبريائه وبالروائع التى يجود بها عقله ــ يأبى فى بعض الحالات أن يعترف صراحة بايمانه بالله ! . .

فهذه العلاقة الحميمة بين العبقرى والله التى تنشأ وتتوثق ساعات هبوط الوحى المفاجىء ، هى التى تكسب العظماء تلك الثقة العجيبة بأنفسهم ومستقبلهم ومولدات أذهانهم . وكيف لا يثق بنفسه من يشعر أن الله معه ، وأن الله لا بد أن يذكره ، وانه متأهب على الدوام لتلبية النداء الاعظم ؟!.

العبقرى لا يحب المرأة

كاذب من يقول إن العبقرى يحب النساء . العبقري لا يحب المرأة بل يستخدمها ويستغلها ويلقى بها جانبا دون رحمة بعد اعتصار خلاصة ما فيها من عواطف الحب والطيبة والحنان . وقد تعجب المرأة به وتخلص له وتتفانى في خدمته فلا يتأثر ولا يقدر . بل يشعر أن هذا واجبها وان من حقه عليها أن تنكر ذاتها من أجله ، وتتضاءل جهدها أمامه وتسبح على الدوام بحمده

والغريب فيه أنه ينشد الحب ولكنه لا يستطيع أن يحب شخص المحبوب !

هو يحب الحب فقط ، أما المرأة فلا !

يحب الحب ابتغاء الراحة ولكنه ينفر منه متى اقترن بالتضحية والالم

يحب الحب ابتغاء البحث عن الالهام النسوى والوحى الروحانى الذى يثيره جمال المرأة ، ولكن المرأة نفسها تخيفه وواجبات الحب تقلقه وفروض الطاعة للمرأة المحبوبة تهتاج كبرياءه وأنفته


ميخائيل انجلو

هو يريد أن يحبها على شرط ألا تطالبه بكل شيء . وألا تحاول بسط سلطانها على حياته وألا تتدخل في عمله وألا تغار عليه وألا تمنعه من النظر الى سواها والاستمتاع بكل ما تقع عليه عينه من سحر غير سحرها وجمال غير جمالها

ليس فى وسع العبقرى أن يكتفى بلون واحد من جمال ويحصر الفتنة فى وجه واحد وعيون واحدة

انه يطمح لاحتضان الكون بأسره ، وويل للمرأة التى تعترض

طريقه أو التي تجرب الكفاح للاستئثار به . انه لا يتردد عندئذ في تعذيبها كما عذب موريس ماترلنك عشيقته جورجيت لوبلان ، وكما عذب تولستوى امرأته ، وكما اضطهد تشيكوف ونكل بالفتاة « فاندا » التي كانت تعبده

والحقيقة أن العبقرى يخاف المرأة . يشعر أن قوتها مساوية لقوته . وأن جمالها لا يقل سلطانه عن سلطان عبقريته . لذلك هو يخشى فى صميم نفسه أن يخضع لهذا الجمال . وأن يؤخذ بهذا الحسن وأن ينصرف اليه وينسى عمله وواجب عبقريته

لا ريب أن هذه أنانية ، ولكنها أنانية لا ينتفع منها شخص العبقرى بل عمله ، عمله الذى يبذل فى سبيله كل شىء ويجود فى سبيله بأفتن أنثى وأروع امرأة !

فاذا رضيت المرأة بحياة مزوية بجوار العبقرى رحب بها ، وإذا حاولت إثبات شخصيتها تنكر لها وفتك بها . وهو حتى فى حالات هدوئها واستكانتها وطاعتها يأبى الا أن يستخدمها ويستغلها ويذلها أيضاً دون أن يشعر بقسوته التي قد تبلغ فى بعض الاحيان حد الوحشية

ولقد كان روسو يعتبر عشيقته تيريز خادمة له ، وكان تولستوى يفرض على زوجه نسخ رواياته ، وكان موباسان يجبر خليلته هنرييت على غسل أرض مخدعه بالماء ثلاث مرات فى اليوم . وكان ماترلنك يسرق بعض خواطر عشيقته وينسبها لنفسه . وكان جوجول يفتن فى إذلال عشيقته سونيا ويعيرها أمام الناس بأنفها الطويل وشفتيها الغليظتين . وكان بلزاك لا ينفك يقول : « المرأة الجميلة والمرأة الدميمة تتساويان لدى العبقرى . كلتاهما يجب أن تخدمه فى صمت . وعندى أن الثانية خير من الأولى ، لأنها مأمونة الجانب ولا يخشى عليه الا من حماقتها »

ومن المهم أن ندرك الى جانب ما تقدم أن العبقرى لا يوجس خيفة من المرأة وأطوارها الغريبة وأخلاقها المتقلبة ومزاجها المتلون فقط ، بل يخشى أيضاً الى حد بعيد جاذبية الشهوة الجنسية المنبعثة منها . وكل رجل ممتاز يحيا حياة عقلية عميقة يقدر الأثر البالغ الذى تحدثه العلاقات الجنسية فى قوى العقل وخصائص التفكير

ابراهيم المصرى



في حياة القيصر نقولا الثاني

بداية مشئومة لنهاية مشئومة

بقلم الاستاذ حسن الشريف

لا نظن أحداً من القراء يجهل الخاتمة المشئومة التي ختمت بها حياة القيصر نيقولا الثاني ، فما تزال ذكرى مصرعه الرهيب ومصرع أسرته ماثلة في الاذهان ، ولكن الذي قد يجهله كثير من القراء انما هو البداية المشئومة التي استهل بها حكم هذا العاهل المنكود

في اليوم الثالث عشر من شهر مايو سنة ١٨٩٦ دخل القيصر نيقولا الثاني بموكبه الفخم مدينة موسكو ليتوج نفسه امبراطوراً على الروسيا ، طبقاً لتقاليد سلفائه ، الذين كانت حفلات تتويجهم تقام في كاتدرائية اوسبانسكي بتلك المدينة ، فكان القيصر يتناول التاج ويضعه على رأسه بيديه رمزاً الى أنه لا يدين بهذا التاج للشعب ولا لأحد سوى الله

ولقد أخذ الشعب الروسي وحكومتـه يتأهبان لذلك الاحتفال قبل حلول أيامه بأسابيع ، فرصفت الشوارع التي سيمر بها الموكب رصفا جديداً ، وفرشت بالرمل الأصفر والأحمر ، وصف على جوانبها المقاعد والمدرجات والمقاصير ، وزينت وجهات المنازل والشرفات بالازهار والخضراوات والاعلام ، وتنافس السكان غنيهم وفقيرهم في تنسيق الزينة وتجميل الدور واقامة معالم الأفراح حتى بدت المدينة الكبيرة كأنها الجنة ازينت للمؤمنين

وعند الظهر دقت أجراس الكنائس ودوت طلقات المدافع مؤذنة ببلوغ الموكب الامبراطوري باب المدينة ، فهرع السكان على اختلاف طبقاتهم الى الشوارع والطرق والنوافذ والشرفات لمشاهدة الركب الجليل ، ولم يلبثوا طويلا حتى أقبلت فرقة من عسكر القوزاق تسير في الطليعة فوق جيادها الصغيرة تتلوها فرقة الحرس الامبراطوري الفخم بملابسها الزاهية ومزاريقها اللامعة ، ثم أقبل جلالة الامبراطور فوق جواد أبيض جميل يحف به كبار قواد الجيش ورجال البلاط ومن ورائه القيصرة الكسندرة في عربة كبيرة مذهبة يجرها ستة من الخيل

واذ ترجل الامبراطور ووطئت قدماه سلم الكنيسة انطلقت أجراس الاربعمائة كنيسة القائمة بموسكو تدق دقا متواصلا ، فكان رنينها يمتزج بهزيم المدافع فيبعث الى النفوس الرهبة والجلال

أما الكاتدرائية فقد تبدت في مظهر تعجز الكلمات عن تأدية وصفه . فلقد أضيئت في أرجائها آلاف من الشموع ، وفي سقوفها مئات من الثريات ترسل نورها الباهر على الجدران والاعمدة

التي غطيت بالطنافس والسجف المختلفة الالوان والموشاة بالذهب والفضة والمرصعة بالكريم من الاحجار ، وقد نصب العرش الامبراطوري ذو المقعدين فوق منصة مكسوة بالديباج الاحمر بين أربعة أعمدة من الذهب الوهاج . واصطف عن يمينه وعن يساره أمراء البيت المالك وأميراته ووزراء الدولة والممثلون السياسيون ورجال الاكليروس وقواد الجيوش وأعيان الامبراطورية ونبلاؤها ، بملابس التشريفة الكبرى المزركشة بالذهب تلمع فوقها الأنواط والاوسمة والنياشين فيمتزج تألقها بالبريق المنبعث من حلى النساء وجواهرهن ويختلط كل هذا بأضواء الثريات وأنوار الشموع حتى ليجد الناظر نفسه أمام منظر بهيج ساحر يجمع بين الجمال والجلال ويملأ النفس خشوعا والبصر سرورا

اقتحم القيصر والقيصرة باب الكاتدرائية . فوقف الحاضرون اجلالا . وانحنت هامات الرجال وركعت السيدات واقتعد نيقولا الثاني وزوجته العرش وأومآ الى مستقبليهما بالرأس إيماءة شكر وتحية ، وتقدم الكاهن الأعظم اليهما بالصليب فقبلاه واقفين . فمنحهما البركة الربانية ويداه فوق رأسيهما . ثم نهض القيصر وتناول التاج بيديه ووضعه على رأسه هنيهة ثم عاد فمس به شعر القيصرة وهي جاثية أمامه رمزاً الى أنها تستمد سلطانها من سلطانه ، ثم أعاده الى رأسه وأنهضها ووضع على جبينها قبلة واستويا على العرش . وعندئذ بدأ القسس يتلون الصلوات ويقيمون شعائر التتويج ، ومسح الكاهن بالزيت المقدس جبين الامبراطور وعينيه وأنفه وفمه وشفتيه وأذنيه ، فسجد شكراً لله الذي رفعه الى عرش الآباء والأجداد ، ثم جلس يستمع الى الوزراء وقواد الجيوش وهم يقسمون بين يديه ايمان الاخلاص والطاعة والولاء ، حتى اذا ما انتهت مراسم الحفلة انصرف وعروسه في موكبهما العظيم الى قصر الكرملن

وكانت تقاليد القياصرة قد جرت منذ عهد الامبراطور بوريس جودونوف على أن يجعلوا من تتويجهم عيداً قوميا يقدمون فيه الى عدد كبير من أفراد الشعب هدايا صغيرة تذكرهم بهذا الحادث السعيد ، فكانت الجماهير تحتشد غداة كل حفلة تتويج في ساحات المدينة ورحباتها وتلبث ساعات طويلة في انتظار افتتاح المقاصير التي تنصبها الحكومة فيها ، فتتسلم منها الهدايا وتنصرف في سلام . فلما كانت حفلة تتويج القيصر اسكندر الثالث اجتمع من أفراد الشعب أربعمائة الف نفس غصت بهم الشوارع والميادين العامة ، فاضطرت السلطات الى ترحيلهم إلى سهل فسيح خارج موسكو يدعى سهل خودينسكو تتسع أرجاؤه لأضعاف هذا العدد . ومن ذلك الحين أصبح سهل خودينسكو ملتقى للشعب في أعياد التتويج

ففي يوم ١٤ مايو سنة ١٨٩٦ بدأ سكان موسكو يحتلون السهل وكان المسافرون من المدينة أو الوافدون اليها يرون زمر الاهالي تتوافدمئات وآلافا وعشرات آلاف مشاة حفاة رثاث الاسمال مختلفي السحن والأزياء ، فكانت قطارات السكك الحديدية تغص بركابها فتفيض بهم حتى تمتلىء

ممراتها فيقف الكثيرون منهم على سلم العربات أو يعتلون سطوحها ، وازدحمت السكك الزراعية بالعربات والعجلات ، تحمل آلافا وآلافا من الفلاحين وفدوا من أقصى الشمال ومن أقصى الجنوب ومن سيبريا نفسها وقد غادروا قراهم من أيام عدة وقطعوا مئات المراحل للتمتع بالاشتراك فى العيد . أما المحطات فكانت تعج بالجماهير التى لجأت اليها للمبيت تحت سقوفها وفوق أفاريزها ، حتى اذا لم يبق فيها مكان لقدم تسلل الناس الى الشوارع والميادين ليناموا على المدرجات والمقاعد المصفوفة ، فاذا امتلأت أقبلوا على السهل يفترشون أرضه ويلتحفون بسمائه منتظرين طلوع النهار بصبر جميل . وهكذا ظل العدد يتضخم والزحام يشتد والكتل البشرية تتكاثف ، حتى زاد عدد الجمع المحتشد على ثمانمائة الف نسمة من أخلاط الناس وحثالة الأقوام وجواب الآفاق وصغار العمال والأطفال والنساء

وكان القيصر قد جعل الهدية التى ستوزع فى الغد على كل فرد كأسا من البلور مزخرفة بالخزف الملون نقش عليها التاج الامبراطورى فوق شعار الدولة والاحرف الأولى من اسمى « نيقولا والكسندره » ومنديلا كتبت عليه عبارة : « ذكرى عيد الشعب سنة ١٨٩٦ » وصرة فيها كمية من الخبز واللحم والنقل والحلوى والفطائر

واختارت الحكومة جانباً من جوانب السهل يفصل بينه وبين باقي السهل خندق طبيعى عمقه ثلاثة أمتار وعرضه خمسة عشر متراً ، فأقامت عليه مقاصير كدست فيها الهدايا ثم ضربت حوله نطاقا من الحبال الغليظة ليحول دون هجوم الناس على المقاصير أو دون سقوطهم فى الخندق وأعلنت ان تلك المقاصير ستفتح فى الساعة العاشرة من صباح الغد

وأراد القيصر أن يستكمل العيد أسباب المرح واللهو والطرب ، فأمر فصفت على امتداد جوانب السهل مقاصف تحوى براميل الانبذة والبيرة وشتى صنوف الخمر والمرطبات ، وملاعب للبهلوانات والحواة والمهرجين ، ومسارح للتمثيل والرقص ، ومنابر للخطباء والمتكلمين ، ومقاصير للمغنين والموسيقيين . فانتشرت جموع الشعب على تلك الملاهي والمشارب والمقاصف وقضت سحابة النهار وطول الليل تمرح وتلعب وترقص وتغنى غير عالمة أن القدر يخبىء لها نكبة من أروع النكبات

ولقد طال الليل بتلك الجموع وهي ساهرة مضطربة قلقة لا تستقر ولا تهدأ ولا تستريح . فلما أقبل الصباح كانت الوجوه شاحبة والقوى خائرة والأعصاب متوترة ، وقد بدأت الصفوف المتأخرة تحاول أن تحتل مكانا متقدما فكانت تدفع ما أمامها بعنف بينما كان المتقدمون يجتهدون فى أن يحتفظوا بمواقعهم فيصدون الزاحفين الى الخلف بقوة . وهكذا نشأت حركة مد وجزر من تدافع تلك الأمواج البشرية الهائلة أدت الى النتيجة الطبيعية وهى سقوط بعض الناس تحت الأقدام واختناق بعض آخر فكانت تبعث هنا وهناك أصوات الاستغاثة وصيحات الألم ولكن أنى لوسائل الاسعاف أن تجد سبيلا الى المصابين فى وسط هذا البحر الزاخر ؟

واذ اقتربت ساعة توزيع الهدايا سرت بين الجماهير اشاعة تقول بان عدد هذه الهدايا لا يكاد

يكفى أربعمائة الف مع ان عدد الطالبين ثمانمائة الف فأخذ كل واحد يحاول أن يفوز بنفسه وأن يكون من السابقين ، فحدثت حركة اندفاع من الخلف الى الأمام لم تقو الصفوف المتقدمة على صدها أو الثبات فى وجهها فاندفعت هي الأخرى تحت تأثير الضغط وانكفأت تلك الكتل الضخمة من الناس على الحبال واقتلعتها وساقها التيار الجارف فزج بها الى الخندق وسقط الصف الأول الى الهاوية وسقط عليه الصف الثاني فالثالث ،وكلما وجد المتأخرون فراغا اندفعوا فيه حتى اشتد الهول وعم الاضطراب ، فلا فى استطاعة المتقدمين أن يتقهقروا أو أن يثبتوا فى وجه التيار ، ولا فى علم المتأخرين ما هو حادث فى الصفوف الأمامية فيكفوا عن الاندفاع أو يتريثوا . وامتلأ الخندق بأجساد الناس شيوخا واطفالا ونساء ، وعبر الآخرون الخندق فوق تلك الأكوام البشرية المكدسة فى الهاوية ، فتكسرت الهامات وانسحقت الجماجم وتهشمت العظام وتمزقت الجسوم وتصعدت من تلك المقبرة البشعة آلاف الأصوات تبكي وتئن وتستغيث ، ولكن ما يكاد رأس يطل حتى تهوى فوقه عشرة أجسام وما تكاد ذراع تمتد حتى تنثنى تحتها كومة من المتساقطين . وظنت الصفوف الخلفية أن السابقين سيستنفدون الهدايا وكبر عليها أن تقاسى ما قاست ولاتفوز بشيء ! فأعملت الأرجل والسواعد والأكتاف لتتقدم ، ثم فقدت الجماهير صوابها فدارت المعارك بالأيدى ثم بالعصى ثم بالخناجر والمدى فتحول السهل الى ميدان قتال عنيف تتناقل أرجاؤه أصداء الولولة وصيحات الفزع

وادلهم الخطب وفدح المصاب اذ تكسرت تحت ثقل الجماهير ألواح من الخشب كانت تغطى بئراً فى وسط السهل عمقها ثلاثون متراً فسقط فيها مئات من الناس حتى طفحت . ولم يكن ثم وسيلة لانقاذ أحد أو لتنبيه الآخرين الى الخطر ، فظلت تلك الجموع الزاخرة تتدافع وتتزاحم والأطفال والنساء والشيوخ يسقطون فى الحفر المبعثرة فى أرجاء السهل فيجيء الذين وراءهم فيطؤونهم بالأقدام ويمرون فوق جسومهم مندفعين نحو المقاصير التى تحوى الهدايا المشئومة

ولقد وقف حفاظ الأمن ورجال البوليس عاجزين عن التدخل لتلطيف الحالة أو لحفظ النظام، إذ كانت طبيعة الزحام تحول دون أي تدخل أو اسعاف أومساعدة . وهكذا بقيت الكتلة البشرية فى هذا الهول ساعات طويلة حتى بدأت كثافتها تخف من الجوانب فتسرب الناس ناجين بأرواحهم بين مختنق يترنح ومضغوط يتمايل ومعصور يكاد يغمى عليه

وأبلغ خبر الكارثة الى القيصر فبادر مع القيصرة الى مكان الفاجعة ليشرف على عملية الانقاذ وليواسى الجرحى والمنكوبين . فألفى الخندق والبئر والحفر مقابر هائلة تكدست فيها الجثث ، وألفى وجه السهل مغطى بالأشلاء والدماء فعاد الى القصر محزون النفس مكتئب الفؤاد . وفى المساء أحصت السلطات عدد الضحايا فاذا هو أكثر من ستة آلاف جاءوا من أقصى البلاد ليحظوا بهدايا العيد فاذا الحتف ينتظرهم فى هذا المكان المشئوم ! !

حسن الشريف

الغيرة
بين الرجل والمرأة

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

حال الغيرة ــ ضروبها : غيرة الفكر ، وغيرة القلب، وغيرة الحس ــ اشتراك الانسان والحيوان فيها ــ سيان النواميس الخلقية والنواميس الطبيعية ــ غريزة الأثرة ــ جناية الغيرة على الطرفين ــ اذا غارت المرأة كانت الضحية ، واذا غار الرجل كان الجلاد ــ الحب والغيرة ــ في الغيرة من الكبرياء اكثر مما فيها من الحب ــ كيف ينبغي أن تكون الغيرة

« هذا ما قد صار الأمر اليه !

« لا الخشخاش ، ولا اللفاح ، ولا منومات العالم كلها ، ترد عليك اليوم ما ذقته البارحة من طيب الرقاد »

هذه الحال ــ كما تصفها شماتة إياجو الوسواس الأفاك ــ حال عطيل القائد المغربي ، وقد نبا به فراشه وتجافى عن جفنيه الكرى وحرم راحة البال ، يهيم الليل في حديقة قصره ، مشرد الفكر ، لا يهنأ له عيش ولا يقر له قرار . شأن من تأكل قلبه عقارب الغيرة بالحق أو بالبهتان

ويلاحظ الناقد النفساني « بول بورجيه » أن الناس فيما تجرى به لغتهم لا يفرقون بين غيرة وأخرى . فالمرأة تقول : « هو غيران . . . » وهي تتحدث عن زوجها أو عشيقها أو صاحبها على السواء . في حين أن النظر في بعض ما يعرض من الحالات كفيل بالدلالة بأوضح بيان على أن الغيرة ليست واحدة ، وأن هناك غيرة وغيرة ، مختلفة ألوانها متعددة ضروبها

فهذا الفتى عشيق لامرأة في ذمة رجل في مقتبل الشباب مثله أو هي في حيازته . ويعلم عشيقها كل العلم أن عشيقته بطبيعة الحال تمكن من نفسها زوجها الذي هي في ذمته أو عائلها الذي هي في حيازته ، ومع هذا لا يخطر له قط أن يأخذ عليها هذه المشاركة . فاذا اتضح في يوم من الأيام لهذا العشيق بعينه أن ضيفاً جديداً مقبل على عشيقته يتصباها ، ويطمع في وصلها ، فانه ليجن جنونه ، ويدخل في زمرة اخوان عطيل وشيعته ، ويبتلى ببليته ، فصاحبنا إذن لم يكره المشاركة مع الزوج أو العائل ، لأن ضرورة المرأة اليهما ظاهرة . أما اتخاذها عشيقاً آخر . فأمر تقع عليه غضاضته وتأباه عليه كرامته . فالغيرة هنا صادرة عن تقدير وتفكير . فهي غيرة الفكر !

وهذا الآخر ، وقع في هوى امرأة شريفة لا مطمع له فيها ، فهو يعرفها لا تتخذ عشيقاً ، وقد ارتاض على هذا، فلم يعد يخطب وصلها ويشتهيها . وكل شيء في طبيعة الانسان جائز وصادق حتى الحب العذري . فاستحال ما بينهما الى علاقة تزداد على الأيام لطافة وتقترب الى تنزه الروحانية . فهي لا تقرأ غير الكتب التي يسميها ، وهو لا يحب غير الموسيقى التي تعزفها . ثم لا تسمع منهما كلمة صبابة وكل ما بينهما صبابة . ولا تبدر منهما حركة تعاطف ، وكل ما بينهما تعاطف . فاذا هذه المرأة بدا منها على صديق آخر إقبال كاقبالها عليه في عفة وطهر ، واذا هي استسلمت لتأثير هذا الآخر

استسلامها المعنوى لتأثيره . فان صاحبنا المحب فى غير مطمع ، المجرد من كل حق واقع ، لينقلب دفعة واحدة غيوراً متحكما متوعر الخلق ، يكاد يكون شديد الأذى لها والقسوة عليها ، مع أنه لا يشك لحظة فى عفتها . ولا تفطن هى الى الأمر الا بعد حين . حتى اذا فطنت بادرت الى ملافاته وارتضت تضحية الآخر حرصا على مرضاته . ولكنه يأبى الرضى لأنه أريحى النفس كريم العاطفة . ويمضى فى غيرته ، إذ ليس المجروح هنا عزته ، بل مهجته . فتلك غيرة القلب !

ثم هذا الزوج الشديد الكلف بزوجته ، وقد مضت سنة فى اثر أخرى وهو بها صب كعهده فى الليلة الأولى . وهما الليلة مدعوان الى حفلة راقصة . وكأنما شاء لهما الهوى أن يتزودا قبل بالخلوة فتناولا هذا اليوم الغداء وحدهما لا ثالث لهما . وفى المساء تزينت وأفرغت على أعطافها ثوب السهرة وانطلقا سويا الى المرقص . وفى السيارة التى تقلهما رنت اليه بعينين نجلاوين غارقتين فى السعادة . وقد اشرأب رأسها الصغير من فراء معطفها الثمين باسمة متهللة . وهى تناجيه ممسكة براحته : « أريد أن أكون أجمل الغوانى هذه الليلة تشريفا لك يا مالكي المحبب . . . » . وعبقت السيارة بعطرها المسكر وهى مسرعة تنهب الطريق . وهذان هما الآن فى المرقص . ما أجملها خالعة معطفها وقد أبانت كتفيها كالعاج مفرغتين فى أبدع قالب ، تدور راقصة بين ذراعى هذا ثم بين ذراعى ذاك . لقد صدقت زوجها القول ، فهى أجمل الغانيات الليلة . كما أنها صدقته القول بأنه مالكها المحبب الذى لا تفكر فى سواه . فكانت تلقى اليه بالكلمة حينا بعد حين فى دورانها من غير أن يبدو عليها ، وتلحظه فى دلال بطرف عينها دون أن يلحظها أحد . ولكن ما بال عينيه لا تبادلانها حنواً بحنو . وما باله وهي تخالسه بين رقصة وأخرى تعتوره أثناء الحديث سبحات وجوم تنم على هم مخامر . والحفلة فى أتم بهجتها وأبهى سناها ! ثم ما باله ينصرف بها قبل العشاء . فاذا احتوتهما السيارة القافلة بهما لم يجد ما يجيب به على أسئلتها الهمومة المتلهفة . وكيف له أن يكاشفها بأن رؤيته أنظار الرجال تقع على نحرها مصقول الترائب ، وتفكيره فى أن كتفها العارية فى متناول القبلة من شفاه الراقصين لها ، وإحساسه بأن آخرين يجدونها جميلة ويشتهونها ، هذا كله أثار فيه ثائرة من الغيرة هى غيرة الحس !

أولئك هى الأنماط الثلاثة لعذاب الغيرة : غيرة الحس ، وغيرة القلب ، وغيرة الفكر . على أنها تكون أحيانا متداخلة ممتزجة ، وفى أكثر الأحيان تتداول المرء وتتعاقب عليه . ولكن بينها على كل حال هذه الفروق الدقيقة التى تقدم بيانها

والغيرة ليست مقصورة على الانسان . فان من الحيوان ما يغار ، ومنه ما هو شديد الغيرة الى حد الهياج والبطش ، فتتضارب الذكور وتتقاتل وتموت فى سبيل المتاع وحدها بأنثاها . وما دام الذكر مدفوعا الى الأنثى فلا معدى عن الغيرة حرصا على الاستئثار بما أعجب ووقعت به اللذة ، وكراهة لكل ما يكدر هذه اللذة ويعارضها

فالغيرة فى الطبيعة ، وليست بالدخيلة على الانسان ، ولا هى من قرائن الرقي الانسانى وسمو الأدب الاجتماعى . وهى مثل من الأمثلة العديدة على ما بين النواميس الخلقية والنواميس الطبيعية من سبب ، حتى ليبدو ان هذه هى تلك ، ولا فرق فى غير الاصطلاح

واذا كان الحيوان الذى عرف اللذة فى أنثى بعينها ، قد لا يعدل بها سواها اذا استطاع ، فان الانسان المحب تذهب به مشاعره الى أبعد من ذلك ، لأن الحب يزين له المحبوب ويميزه على سائر الناس ، فيحرص عليه حرصه على أنفس الأعلاق ويتهالك على ادخاره لنفسه ويستميت فى ذياد الطامعين دونه . وليس هذا شرع الحب فى عرف المحبين بل هو الواقع الطبيعى اصطلحوا عليه أم لم يصطلحوا

بيد أن الانسان مع هذا قمين بألا يدع الغيرة تركب رأسه ، وتذهب به شر مذهب . فانه إن فعل ، كان في مرتبة الحيوانية لم يتجاوزها ، وكانت فيه كما هى فى الحيوان غريزة لا رأى له فيها ولا إرادة . والغيرة انفعال ينبغى محاولة إخماده لا إذكاؤه فانها اذا لم يعالج داؤها استشرى فكانت وبالا على من أضرمها وعلى من اكتوى بها . وإن الجرائم التى وقعت باسم الغيرة منذ أقدم العصور الى أيامنا كثيرة يخطئها الحصر . والملحوظ فيها ان النساء يجنين أكثر ما يجنين على أنفسهن فيكن الضحايا لا الجلادين ، فلا يحن فى الغالب الأعم بما يؤودهن من التباريح وإنما يحرصن على كتمانها . فيموت سرهن معهن . والكثرة منهن يعمدن الى الانتحار بأنجع الوسائل ، وقليلات منهن من تقتل نفسها ومن تحب ، وأقل من هذا القليل من تقتله وحده وتعيش بعده . وعلى الخلاف من ذلك الرجال فهم الجلادون فى معظم الاحوال

والرجل اذا كان يحب المرأة فانه لا شك يقدرها ويعرف لها فضلا . وما التقدير ومعرفة الفضل اذا كانا لا ينفيان الريبة ومظنة الخيانة ! فاذا كانت صلته بها لا تمت الى هذه المعانى ، فحرى به على الأقل ألا يضيف الى قلة وثوقه بالزوجة قلة الوثوق بنفسه ، حتى ليخطر له أنه ليس كفأها وأنها لا محالة تؤثر عليه كل إنسان غيره بمجرد اللفتة وفى أسرع من اللمحة

والشائع فى الأذهان ــ وعلى الأخص فى أذهان النساء ــ ان الغيرة دليل على فرط المحبة . ولكن الثابت بالخبرة والشاهدة أن فى الغيرة من الكبرياء اكثر مما فيها من الحب . فلطالما انطوى الزوجان أو أحدهما على كراهية للآخر وعافاة ، فاذا وقعت له واقعة غرام ، قامت القيامة وحقت النقمة كأنما كما لو كانا متحابين أشد الحب . وثمة ــ على ندرته ــ حب شديد ، صهرته شدته فاذا هو يحول دون الغيرة مهما تحققت أسبابها . ولمن شاء أن يسخر بهذا الحب ، فليس من همنا السخر هنا !

والظاهر أن الانسان فى طبعه أن يجد لذة فى تعذيب نفسه . وهذا شديد الظهور في بعض الأزواج . ومنهم من يقف لامرأته الغريرة راصداً ، يتتبع حركاتها وسكناتها ، ويترقب لها السقطة ببصر نافذ ، فاذا لحظ أن فؤادها على وشك العلوق على غير وعي منها بواحد من الرجال ، داخله

نوع خفي من الفرح باستكشافه ، وساقته الرغبة في التأكد الى تمهيد الفرص لها وتوفيرها . فتنساق السكينة مع فؤادها رويداً رويداً ، ولا تنتبه الا وهي عاشقة ، ملأ العشق جوارحها وغلبها على نفسها ، فتهوى . وهنا يشعر الزوج المعذب — وهو في أشد عذابه — بمثل نشوة الظافر ، ويصيح بمثل لهجته : لقد صدق حدسي . وفي الحق لقد صدق ، وهو صاحب الفضل في صدقه . ولكن ما يغنيه اذا صدق حدسه وخسر امرأته ؟!

إنما الأولى للرجل ثم الاولى له ، إن هو رأى المرأة قد أفعم نفسها شذا عطر جديد عليها فأسكر حواسها على غير علم منها ، أن يرحم ضعفها ، ولا يدعها فريسة للتجربة ، وأن يتقدم لنجدتها مبادراً ، وينحي عنها في لطف هذا العطر الدخيل ، ويحوطها بالمزيد من حنانه ورعايته وطيب شيمته ، حتى تتقوى به ويشتد أزرها ، وتنجاب الغاشية بعونه الخفي وظاهر جهدها . فتعود لها ثقتها في طهرها ، وتسلم له ولنفسها ، حاملة في طوايا سريرتها منة له غير ممنونة . فاذا حبهما كالنصل السني لا يخشى عليه بعدها انثلام ولا نبوة !

عبد الرحمن صدقي

فلسفة أميرسون

دع كل يوم يمر بما له وما عليه ، فقد أديت ما اتسع له ذرعك من جهد ، أما ما وقعت فيه من خطأ ، وما تعرضت له من عبث ، فعجل بنسيانه قدر ما تستطيع . لأن غدك يوم جديد ، يجب أن تبدأه برغبة وعزم ، وفي رصانة وهدوء ، وبروح قوية لا يثقلها الأمس بأخطائه ونقائصه . واعلم أن يومك هذا هو كل مالك في الدنيا من خير ونعيم ، فهو بآماله المشبوبة وطرائفه المبتكرة ، أعز من أن تضيع منه لحظة واحدة على أمسك الغابر

نقد وتحليل

سعد زغلول * للاستاذ عباس محمود العقاد

لم تكن الترجمة لحياة النابهين بالشيء المجهول عند كتاب العربية . ولا يمكن أن تكون مجهولة في أمة من الأمم . على أن الذي يعمر خزائن الكتب عندنا من أخبار الملوك والعظماء ، ومعاجم الأدباء وأعيان الفلاسفة والحكماء ، لا يمكن أن يدخل في كتابة السيرة كما نفهمها اليوم

ولم تزل هذه حال السيرة في عصرنا الناهض حتى ظهر في الأفق ترجمة سعد زغلول للاستاذ العقاد ، فاذا بهذه البداية من الاجادة والتبريز بحيث يصح أن تكون نهاية . وقد استهل المترجم ترجمته بتمهيد هو في لغة الموسيقى مفتاح النغم . قال :

« الصديق والمؤرخ في الكتابة عن رجل كسعد زغلول يستويان أو يتقاربان . لأن الصديق لن يقول فيه ما ينكره المؤرخ ، والمؤرخ لن يقول فيه ما ينكره الصديق . ومن النقص في جلاء الحقيقة أن يكتب المؤرخ ترجمة لعظيم ثم لا يكون على مودة لذلك العظيم ، لأن الترجمة فهم حياة ، وفهم الحياة لا يتسق لك بغير عطف ومساجلة شعور . ولأن يكون الكاتب مؤرخا وصديقاً خير للتاريخ نفسه من ان يكون مؤرخاً وكفى ! ولا سيما حين تستوى الحقيقة والمجاملة في ميزان الأعمال والصفات

« وأنا في هذه السيرة — أو هذه السيرة والتحية — قد أنطقت المؤرخ ولم أحاول قط ان اسكت الصديق . لأن الصديق هنا جدير بأن يتكلم . فما أثبت حرفا في هذه السطور الا الذى اعلم انه صحيح لا شبهة عليه ، وما تميل بى الصداقة الى الاعجاب ، بل الاعجاب هو الذى مال بى الى الصداقة في الحياة وبعد الممات. وحسبك من انصاف انك لا تقول الا ما يقرأه العدو في الجملة وإن ناقشه في التفصيل . ولعله لا يناقشه بدليل قاطع أو برأى جميل

« وكل ما في هذا الكتاب من وصف او ترجمة او تاريخ فالمقصود به بادىء الأمر هو جلاء الحقيقة عن حياة سعد زغلول او « نفس » سعد زغلول . فأكبر الحوادث ما لم تكن لها يد في جلاء الحقيقة عن تلك النفس لا محل لها في هذا الكتاب . وأصغر الحوادث التى تزيدنا علما بها ونفاذاً الى سريرتها لها المحل الأول فيه . وما ذكرناه فيه عن مصر او عن الجيل او عن هذا الرجل او تلك الطائفة فانما نذكره بمقدار ما تتأدى به الى تلك الغاية »

والعقاد اديب تدخل في نسيج ادبه شتى علوم وفنون . فهو في فصله الأول عن الطبيعة المصرية

---

* مطبعة حجازى بالقاهرة في ٦٢٤ صفحة من القطع الكبير وثمنه عشرون قرشاً

علم بالأجناس ومتخصص فى التاريخ القديم ، ثم هو فى تتمة هـذا البحث خبير بالاجتماع ذو نظر في النفس الانسانية وأحوالها . وقد أحاط بالطبيعة المصرية من جوانبها كافة وجاب سطوحها وسبر أغوارها وفطن الى دعايات جيرانهـا من اليونان والفرس وبنى اسرائيل الأولين . وخلص الى وصف المصرى بصفته. فليس هو من أمة بداوة تتوثب للحرب والغارات لأنها تعيش على الاسلاب ، ولـكنه ابن حضارة مستقرة تعددت مرافقها ، وتوفرت أرزاقها وتواشجت روابطها ومصالحها ، كما أنها ذات تراث من العقائد والمأثورات جيلا بعد جيل ، وقدكان من قدم عهده بالمدنية أن تأصل فيه حب الأسرة والحفاظ على تقاليدها وما يتبع ذلك من استتباب العادات والتقيد بآداب العرف . ثم إن الذهن المصرى العريق ذهن عملى واقعى سهل المنطق واضحه فى نظرته الى الدنيا وحكمه على الاشياء والناس . كما أنه فى معاشه عامل له جلد على العمل والجهد مع صبر وقنـاعة . وهو لبق ، دمث ، مهذب الحواشى ، حسن المؤانسة ، حلو النكتة . وبالجملة فان صفات المصريين هي صفات الامة الطويلة التاريخ ، القديمة العهد بالمدنية ، فى أرض زراعية

ثم ينتقل المؤلف من العموم الى الخصوص ، من طبيعة الأمة المصرية الى منبت سعد وأصله . وهنا تتكشف خصلة أخرى من خصال المؤلف ، وهي متابعة كل احتمال واستقصائه من غير مواربة أو تعمية حتى لا يبقى فى مذاهب القول بقية . ويدرج المترجم مع سعد فى مدارج صباه وأيام تلمذته وصلته بالأستاذ محمد عبده والسـيد جمال الدين الافغانى . ثم يتسع الموضوع ويعب عبابه وتزدحم الاحداث وتتوالى مواكب التاريخ ، فاذا الثورة العرابية وسعد فى السجن مع دعاتها ، ولـكنك لا تلبث طويلا حتى تراه بعد موقفه فى قفص الاتهام قد اعتلى منصة القضاء علماً بين أعلامه يضرب باحكامه المثل فى العدل والنزاهة !

وتطرد فصول الـكتاب من الموقف سنة ١٩٠٦ الى سعد فى دست وزارة المعارف فالحقانية ، ثم الحركة الدستورية . وتتوالى المناظر فى ميدان الانتخاب ، فى الجمعية التشريعية ، قبيل الحرب ، العظمى ، تأليف الوفد المصرى ، بدء العمل ، الثورة ، من القاهرة الى مالطة الى باريس ، تأليف الوفد الاول ، موقف الوزارة الرشدية ، الوفد والامتيازات ، الوفد فى أوربا ، لجنة ملنر ، المفاوضة فى لندن ، فى مصر أثناء المفاوضة ، بعد عودة الأعضاء ، الوزارة العدلية ، العودة ، الخلاف على المفاوضة ، القطيعة بين سعد والوزارة ، فشل المفاوضات الرسمية ، النفى ، تصريح ٢٨ فبراير ، من النفى الى الوزارة ، فى رآسة الوزارة ، الملك فؤاد وسعد ، من رياسة الوزارة الى رياسة مجلس النواب

وهكذا كلما تقـدم القارىء فى الـكتاب يكبر شخص سعد ويكبر حتى يملأ تاريخ مصر فى تلك الفترة ، وحتى تصدق كلمة كارليل : إن تاريخ الأمم انما هو سير أبطالها

وبعد هذه الصورة لسعد فى وسط خضم من التيارات والمنازع والخصومات وهو بينها كالصخرة الناتئة الراسخة تطغى الطوامى عليها فلا تغرقها وتعصف الزعازع حولها فلا تزعزعها ـ بعد هذا

المشهد المزدحم العام يخلو للترجم بالمترجم له فى فصول تحليلية طوال، يعرض لنا فيها الرجل وخصومه وجها لوجه ، فتتطلع لسعد النمر فى إقدامه وسورته وقوة وثبته ، بل فى حدة لفتتـه ونظرته ، فتغمغم فى رهبة : ما أروعه ! ثم يزيح الستار عن سعد فى بيته الى جانب شريكته فى حياته ومجده ، وبين أهله وذوى قرابته الذين يمتون الى لحمه ودمه برحم ماسة ونسب عاصب ، وهنا أمام هـذا الفيض من الحب والبر تهمس فى نفسك : ما أرقه وأعطفه وأحنى قلبه ! ثم تقرأ فصلا عن شخصيته وآخر عن زعامتـه فلا تمالك من أن تهتف من أعماقك : ما أعظمه ! وأخيراً يحين ــ على غير انتظار منك ــ اللقاء الأخير ، فتعظم الفجيعة فيه

فلا يتم القراء الكتاب حتى يكتمل فى عيانهم ووجدانهم تمثال لسعد شاهق صادق أبقى على الدهر من كل تمثال

ص .



الشاعر

بقلم الأستاذ فخرى أبو السعود

قد عاش بين تشوف وتلهف … من حسه الذاكي وطبع مرهف

يشقى ويسعد صاحياً أو حالما … بمحقق من ظنه ومزيف

يرد الحياة مفكراً متملياً … أبداً بقلب فى الحياة مطوف

متقصياً آفاقها متدبرا … أحوالها من مقبل أو مسلف

أولته دون الخلق من نعمائها … والبؤس إيلاء المحابى المسرف

يلهو بها ، مهما تطاول عمره ، … لهو الغرير الناشىء المتلهف

وهو المجرب والخبير بطبعها … وتحول فى صرفها وتعسف

أدرى الورى بجمالها ، ان لم يكن … أحظاهم بنعيمها المترشف

وهو الأثير الى الطبيعة دهره … وهى الاثيرة ، تصطفيه ويصطفى

باحت اليه بسرها ووفت له ... بودادها وجمالها المستظرف

فهو العليم بكل موقع فتنة ... منها ، وأيا شام منها يشغف

ويخالها بأديمها ، وسمائها ، ... والزاخرات ، وكل طود مشرف

ملكاً له قد سار فى أرجائه ... سير المليك السمح لا المتصلف

تلقاه بسمة مخاص من جنده ... أنى مضى ، أو تحفة من متحف

مغرى بهذا الكون يعرض حسنه ... فى الطرس بين منسق ومؤلف

قد بات يخلق ثانياً من كونه ... فى الطرس خلق البارع المتصرف

فطن بأسرار البيان مؤلف ... غر المعانى من شتيت الأحرف

الشعر سلواه وخير عزائه ... فى كل نائبة وخطب مجحف

يسلو ببيت محكم عن منية ... قد أخطأته ، أو حبيب لم يف

ان تعترضه فى الجدود هزيمة ... تشفع بنصر في البيان مخلف

ويدل ، لا جاه لديه ولا غنى ... فى الكف ، دل أخى الثراء المترف

ملك المعانى ملكه يسمو به ... مجداً على مجد السرى الأشرف

ويعد فتحاً كل شعر صاغه ... أو كل معنى قبله لم يكشف

فهو الحياة يسير من فتح الى ... فخر الى ظفر جليل الموقف

نشوان من خمر الفتوح كقائد ... الغار فوق جبينه لم يجفف

وتراه آنس ما تراه مفرداً ... فى معزل عن ذا الأنام ومعزف

ويخال ما بين الجماعة نفسه ... فرداً وحيداً بينهم لم يعرف

نظم المعاني ما يبالى قولة ... من مادح أو كاشح متحيف

لكن كما ذكت الزهور وماشدا ... طير بلحن للسماع مشنف

ليبث وجداً فى الفؤاد وحاجة ... لو رام كفكفة لها لم تكفف

فخرى أبو السعود



مترجمة عن الروائي الروسي : مكسيم جوركي

روى لي بعض معارفي هذه الواقعة :

اتفق لي وأنا طالب في موسكو أن عشت في جوار سيدة من اللواتي في سمعتهن موضع للنظر ومثار للريبة . وهي بولندية ويدعونها باسم تريزا . وكانت سمراء قوية البنية ، الى طول في القامة ، كثة الحاجبين فاحمتها ، عريضة الوجه غير مصقولة الملامح كأنها منحوتة بالفأس . وكانت اللمحة الحيوانية في عينيها السوداوين ، ونبرة صوتها الغليظ العميق ، ومشيتها التي تحكي مشية الحوذي ، توقع في نفسي كل الاستنكار والتقطع

وكنت أسكن الطابق الأعلى وغرفتها تجاه غرفتي . وما تركت بابي قط مفتوحا طالما علمت أنها بالمنزل وهو أمر نادر الوقوع . ولقد ألقاها مصادفة في السلم أو في الفناء فتبتسم لي ابتسامة تبدو في نظري ماكرة مستخفة . كما أنني بين آونة وأخرى أراها سكرى ، شعثاء الشعر عشواء العينين ، وقد بدا ناجذها في تهانف مستهتر فظيع . وهي في أمثال هذه الحال تخاطبني : « كيف حالك يا حضرة الطالب ؟ » . وتزيدني ضحكتها السخيفة مقتاً لها على مقت . ولم يكن أحب إلى من الانتقال من المسكن تجنباً لهذا اللقاء وهذه التحية ، لولا أن غرفتي الصغيرة لطيفة معجبة تشرف نافذتها على منظر واسع شاسع والطريق تحتها يشمله السكون ــ فأنا لهذا متحمل صابر

وفي صبيحة ذات يوم كنت مستلقياً على فراشي أتلمس لنفسي عذراً دون الذهاب الى الدرس ، واذا بالباب يفتح ، وصوت تريزا المشنوءة ــ صوتها الغليظ العميق يرن على عتبة بابي : « لا بأس عليك ، يا حضرة الطالب ! » فقلت على الفور : « ماذا تريدين ؟ » . ثم رأيت في وجهها اضطراباً وضراعة . . . على غير المعتاد في وجهها !

ــ سيدي ! اني قصدت اليك في جميل . فهل تصنعه لي ؟

فلبثت صامتاً حيث أنا . وناجيت نفسي : « يا لطيف ! . . تجمل يا بني ! »

فاستأنفت هي القول : « أريد أن أبعث بخطاب الى بلدي . هو ذاك . » وكان صوتها ضارعا ، ناعماً ، خجلا

فقلت فى نفسى : « خطفتك الشياطين ! » . على أننى وثبت من فراشى وجلست الى منضدتى وتناولت قرطاساً . وقلت : « تعالى ، إجلسى ، واملى على ! »

فجاءت وجلست على المقعد بحركة خفيفة ونظرت إلى نظرة المريب :

ـــ حسناً ، لمن تريدين الكتابة ؟

ـــ الى بولسلاف كاشبوت ببلدة سفيتزيانا فى طريق وارسو . .

ـــ حسنا ، هاتى ما عندك !

« عزيزى بولز . . . يا قرة العين . . . يا حبيبي الوفى . حرستك السيدة العذراء ! يا من قلبه من الذهب الخالص ، لماذا انقطعت هذا الوقت الطويل عن الكتابة الى حمامتك الصغيرة الهاتفة ، تريزا ؟ »

فكدت أن أقهقه ضاحكا . « حمامة صغيرة هاتفة ! » وهي فى طولها أكثر من خمس أقدام ، وقبضة يدها تزن خمس أقات وزيادة ، وأما الوجه فأسحم كأنما الحمامة الصغيرة قد عاشت طيلة حياتها فى مدخنة ولم تغتسل فى يوم من الأيام !

وتمالكت نفسى جاهداً . ثم سألتها :

ـــ ومن بولست هذا ؟

فراجعتنى وكأنما ساءها غلطى فى الاسم : « بولز ، يا حضرة الطالب ـ هو بولز فتاى المحب . »

ـــ فتى محب !

ـــ فيم دهشتك يا سيدى ؟ ألا يصح ـ وأنا فتاة ـ أن يكون لى فتى ؟

هي ؟ فتاة ؟ عظيم والله !

وقلت : « إيه ، لم لا ؟ كل شيء جائز . وهل هو فتاك لعهد طويل ؟ »

ـــ ست سنوات

فتعجبت فى نفسى : « عظيم ، لنتم خطابك . . . »

ولا أكذبك القول أننى وددت لو كنت مكان بولز ، ولو كانت هذه التي تكاتبه ليست تريزا بل دونها أيضاً

وفى الختام قالت تريزا مع انحناءة برأسها متأدبة :

ـــ أشكرك ياسيدى لحسن صنيعك . ولعلى أستطيع أن أؤدى لك خدمة . أليس كذلك ؟

ـــ كلا ، وإنى شاكر لك على كل حال !

ـــ سيدى ، فقد تحتاج قمصانك أو سراويلك الى شيء من الاصلاح

فأحسست بأن هذه الماثلة كالفيل فى زى امرأة جعلت دمى يتبوغ ووجهى يختنق خجلا . فقلت

لها فى غير قليل من الحدة إنه ليس بى الى خدماتها أدنى حاجة

فانصرفت

وانقضى اسبوع أو أسبوعان . وقد أقبل المساء . وكنت جالساً عند نافذتي أصفر وأفكر ، وأنا متضايق برم بالحياة ، والجو عكر ، وليس بى رغبة فى الخروج . فأقبلت لمجرد السآمة ـ على نفسى أحللها وأسبح معها ، وهو عمل من البلادة بمكان . ولكنى لم يكن يعنينى أن أصنع غير ذلك

وفتح الباب . ودخل داخل . وسمعت صوتاً يقول :

ـــ إيه ياحضرة الطالب ؟ أرجو ألا يكون عندك عمل هام يعجلك !

هي تريزا . كذا !

ـــ بلى . ما خطبك ؟

ـــ كنت أهم يا سيدى أن أسألك أن تكتب لى رسالة أخرى !

ـــ حسناً جداً ! الى بولز ، أليس كذلك ؟

ـــ كلا ، هي منه هذه المرة

ـــ ماذا ؟

ـــ ما أغباني ! إنها يا حضرة الطالب ليست لى ، أرجوك المعذرة . انها لصاحب لى ، لا أعنى صاحباً ، وانما أحد معارفى . ان له حبيبة مثلى تماما ، اسمها تريزا . هـذه هي المسألة . فهل لك يا سيدى أن تكتب خطابا الى تريزا هذه ؟

فنظرت اليها ـ فلمحت وجهها مضطربا وأصابعها مرتجفة . لقد استبهم على الامر فى البداية ـ ولكنني الآن فطنت اليه

فقلت : « اسمعى ، يا سيدتي . ليس الأمر أمر رسائل بين رجال باسم بولز ونساء باسم تريزا على الاطلاق . وانما كنت تختلقين على الاكاذيب . فاياك أن تتسللى بعد اليوم الى غرفتى . فليست بي أية رغبة فى الدخول فى علاقة معك . أفاهمة أنت ؟ »

فاذا بها تزداد حيرة واضطرابا ، تنقـل قدميها دون أن تنتقلا بها خطوة . وتغمغم على نحو مضحك تريد أن تقول شيئاً فلا تستطيع . وانتظرت أرقب ما ينجلى عنه هـذه الحال ، فتبينت وأحسست انى ـ على ما يظهر ـ أخطأت خطأ كبيراً فى التظنن بأنها تبغى استدراجى للميل بى عن الطريق القويم . وانما الظاهر الجلى أن الامر على خلاف ذلك

واستهلت : « حضرة الطالب ! . . » . ثم لوحت بيدها فجأة ويممت الى الباب مندفعة وخرجت . وبقيت متكدر الخاطر . وأصغيت ، فسمعتها تدفع بابها بشـدة ، لا شك أن المرأة المسكينة غضبى أشد الغضب .... وتبصرت فى الأمر وقلبت فيه الفكر ، فأجمعت عزمى على الذهاب اليها لأدعوها الى المجيء هنا فاكتب لها ما تشاؤه جميعاً

ودخلت الى سكنها ، وتلفت . وكانت جالسة الى المنضدة ، معتمدة على مرفقيها ورأسها بين كفيها

وقلت : « إصغى الى »

(والحق أنني اليوم كلما بلغت الى هذا الموقف من حكايتى أحسست على الدوام بمبلغ خرقي وغفلتى)

قلت : « إصغى الى »

فهبت من مقعدها ، وأقبلت على وقد أبرقت عيناها ، ووضعت راحتيها على كتفى وأنشأت تهمس ـ أو بعبارة أصح ـ تهمهم بصوتها العميق :

ـ الآن ، الق بالك الى . كل ما فى الأمر هو هذا . فليس من رجال باسم بولز على الاطلاق ، ولا نساء أيضا باسم تريزا . ولكن ماذا بك من ذاك ؟ أيشق عليك أن تجر القلم على القرطاس ؟ ماذا ؟ حتى أنت ! ولما تزل فتى صغير السن غض الاهاب ! أجل ، ليس فى الامر من أحد على الاطلاق ، لا بولز ولا تريزا . لا يوجد غيرى أنا . هذى هي واقعة الحال . فاهنأ بها !

بغت من هذه المقابلة ، ورددت : « معذرة ! فيم هذا كله ؟ وبولز ، تقولين انه لا وجود له ؟ »

ـ هو ذاك !

ـ ولا تريزا أيضا ؟

ـ ولا تريزا . أنا تريزا

لم أفقه من الأمر شيئاً على الاطلاق . وحدجتها بنظرى وحاولت ان أعرف أينا فارق صوابه ، ولكنها عادت الى المنضدة وجعلت تلتمس فوقها شيئاً ثم أقبلت ثانية على . وقالت بلهجة المستاءة :

ـ اذا كان يشق عليك الكتابة الى بولز ، فهاك كتابك اليه خذه ! فغيرك يكتبون لى

ورفعت بصرى . فكان فى يدها كتابي الى بولز . أف لها !

ـ اسمعى يا تريزا ! ما معنى هذا جميعه ؟ لماذا تستكتبين الناس وأنا قد كتبت له خطابا ولم ترسليه ؟

ـ أرسله أين ؟

ـ كيف ؟ الى بولز الذى تذكرين !

ـ إنه ليس بأحد

لم أفقه شيئاً البتة . ولم يبق لى الا نفثة عن صدرى ثم أمضى . ولكنها انطلقت تبين عن نفسها وتشرح حالها واستياؤها على حاله :

ـ ماذا فى الامر ؟ قلت لك إن هذا الذى ذكرته ليس بأحد

وبسطت ذراعيها كأنها هي نفسها لا تدرى لم لا يكون لها أحد كالذى ذكرت !

واستأنفت : « على انني أردته أن يكون ... ألست بانسانة كسائر الناس ؟ . نعم ، نعم ، انني لا أجهل بطبيعة الحال . . . ولكن لا ضير على أحد إذا أنا كتبت إلى من رأيت . . . »

— معذرة . من هو ؟

— الى بولز ، بطبيعة الحال

— ولكنه لا وجود له !

— اواه ، أواه ! وماذا فى عدم وجوده ؟ هو لا وجود له ، ولكنه قد يوجد ؟ وأنا أكتب اليه فيخيل الى أنه موجود ، أما تريزا فهى أنا ، وهو يرد على خطاباتى فأعيد الكتابة اليه . . . »

فهمت أخيراً . وأحسست فى نفسى باللوعة والتعاسة والخجل ـ إن صحت هذه التسمية . فها هنا بجوارى وقاب قوسين أو أدنى منى تعيش انسانة ليس لها بين بني الانسان من يحنو عليها ويظهر لها المحبة ، فابتدعت هذه الانسانة لنفسها حبيباً

ومضت فى حديثها : « فانظر الآن ! تكتب لى أنت خطابا الى بولز ، فأحمله الى من يقرؤه لى فاذا قرأوه لى أصغيت وتصورت أن بولز هنالك . ثم أطلب اليك بعدها أن تكتب رداً من بولز الى تريزا ـ أعنى إلى أنا . فاذا قرىء هذا الكتاب على أحسست إحساساً لا يخامره الشك بأن بولز هنالك بالفعل . فتصبح الحياة أوطأ جنابا وأندى مساً »

فقلت لنفسى حين سمعت ما سمعت : « تباً لى من أبله ! »

ومنذ ذلك الحين وانا فى كل اسبوع مرتين من غير اخلال اكتب لها خطابا الى بولز ، ثم رداً من بولز الى تريزا . وكنت أجيد فى كتابة الردود . . وهي بطبيعة الحال تستمع اليها وتنتحب كما لم تنتحب عاشقة ، أو ـ بعبارة اصح ـ تجأر بصوتها العميق . وفى تلقاء هذا التأثير على عاطفتها بالرسائل الحقيقية على لسان بولز الخيالى كانت ترتق لى الخروق فى جواربي وقمصانى وغيرها من الملبس . وحصل بعد اشهر ثلاثة من عهد بداية هذه الواقعة ان زجت فى السجن لأمر من الأمور . ولا شك انها بين سكان القبور فى وقتنا هذا

***

ونفض محدثى الرماد من سيجارته ، وتطلع الى السماء مفكراً . ثم اختتم قائلا :

ـ اجل ، اجل . كما ذاق الانسان من مر الحياة ، زاد نهمه الى حلوها . اما نحن الملتحفين فى اسمال فضائلنا ـ فنلق بنظرنا الى الآخرين من سحابة أثرتنا واكتفائنا بأنفسنا واقتناعنا بأننا المنزهون عن كل شائبة ، ومن ثمة لا نفهم هذا الذى رويت لك واقعة حاله

التصوير الهزلي

في عصر الفراعنة



صورة هزلية لرجل اهمل حلاقة ذقنه
(عن ورقة من البردى بمتحف تورينو)

كان التصوير الهزلى جزءاً من الفن المصرى القديم، يستخدمونه فى التهكم باعدائهم والسخرية باسراهم من الامراء والملوك وزعماء القبائل ، وقد خلف المصريون القدماء طائفة من الرسوم الهزلية تدل على براعتهم فى التعبير عن أغراضهم فى هذا المجال . ومن ذلك رسوم جماعة البدو ورعاة الماشية . فقد صوروهم بأشكال شعثاء غبراء عليهم ذلة الصحراء ومسكنة الفاقة ، وقد برزت ضاوع بعضهم وهزل جسمه ، وصلع رأسه . وقد صوروا فى الدولة الوسطى ، ثم الحديثة ، أفراد الشعوب الاسيوية بحالة أقرب الى الصور الهزلية وان كانت تعبر تماما عن حياة أولئك الافراد وطبائعهم

والمصريون بلا ريب أول الأمم التى تناولت التصوير الهزلى . وهم وان كانوا لم يعنوا به عناية خاصة ، ولم يكن لهم فيه مجال واسع ، الا أنهم تركوا لنا قطعاً فنية رائعة

ومع أن مقابر المصريين القدماء لم تحو إلا ما يتعلق بالموت وحده ـ إذ كانوا يعنون بالموت دون الحياة ـ ألا انها كشفت لنا حقيقة حياتهم الخاصة . ولا ريب أنهما كانت حافلة بالكثير من مشاهد الهزل والنقد الهزلى اللاذع ، ولا ريب أيضا انه كان لهم مطلق الحرية فى النقد بالتصوير الهزلى ،فيا بين العامة على الأقل ، ان لم يكونوا قد نقدوا الرؤساء والحكام ورجال الدين أيضاً . وماذا يمنعهم من ذلك ماداموا قد أوتوا البراعة فى الفن وفى التعبير بالتصوير الرمزى والهزلى. ولكل جيل شيطنته و «شقاوته» . . . ؟

وهناك ورقتان برديتان تكفيان لايضاح موضوع حرية النقد بالتصوير الهزلى عندهم ، واحدى الورقتين فى تورينو بايطاليا والأخرى بلندن . ويرى فى الأولى من اليسار رسم حمار يضرب قطاً على رأسه بالمقامع . والمقصود ليس مجرد القط والحمار ، بل انهما يرمزان لأحد الناس ، ولا يعلم من هو . ثم يرى صورة حمار فى لباس الوزير أو أحد الرؤساء وبيده عصا طويلة وفى الأخرى شبه الصولجان ، يستقبل قطاً مذنباً تسوقه اليه بقرة وقفت على رجليها الخلفيتين . وهذا الوضع هو

بعينه ما يرى فى صور العظماء منهم عند ما يقدم اليهم من امتنع عن دفع الاتاوات . وهناك صورة قرد ينفخ فى الناى ذى الشعبتين ، وتمساح يعزف على الرباب ، واسد يضرب على القيثارة ، وحمار يوقع على المزهر ، مكونين فى ذلك « جوقة اوركستر » عجيبة ! . .

وتحت هذه المشاهد يرى منظر يمثل فأرين يتبارزان بالعصى ، ثم مملكة الفيران تهاجم مملكة القطط . ويرى ملك الفيران فى عربة حربية يجرها الكلاب ووراءه جنوده الفيران وهو يهاجم بهم حصناً احتمى فيه القطط وقد أخذت الفيران تقذف أعداءها بالسهام ، وهذا يذكرنا بفكرة « ميكى ماوس » الحالية . ثم يلى ذلك صورة قط يرعى الطير والأوز ؟ !

وفى بردية لندن يرى رسم حمار وأسد يلعبان معاً لعبة الضامة . ورسم ذئبين يرعيان الأغنام . وقد يلاحظ التناقض المقصود فى الذئب وهو فى صورة الراعى وقد حمل العصا الطويلة التى يهش بها على الغنم فى يد وفي الاخرى عصا قصيرة معقوفة تحمل فى طرفها غطاءه . ثم يرى بعد ذلك رسم القط يرعى الطير. ولا شك ان ذلك كله كان رموزا لحالات واقعة قد أرادوا التهكم بها ، وتركوها من بعدهم غفلا من التفسير



صورة هزلية لرءوس زعماء قبائل اسيوية . وهي منقولة عن احجار مختلفة

وإليك صورة هزلية لجماعة من زعماء القبائل الاسيوية ، يعبرون فيها عن طبيعة أولئك القوم ، ويظهرون بها الفرق بينهم وبين المصريين الذين يعدون أنفسهم أرق الناس

احمد يوسف
بالمتحف المصرى

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

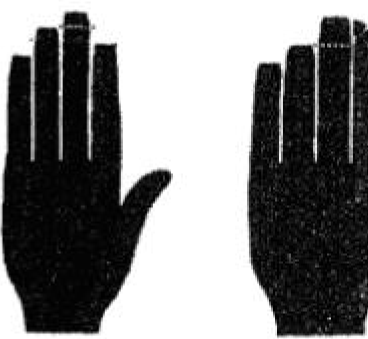
هل أنت ذكر أم أنثى ؟

ليس فى العالم ذكر خالص أو أنثى خالصة

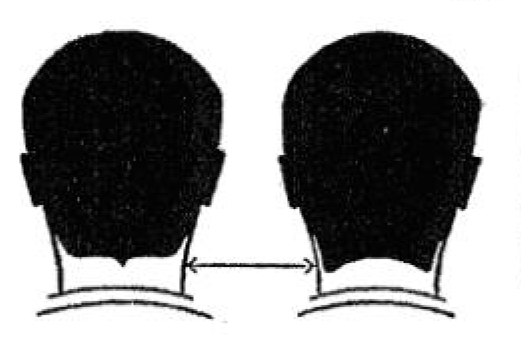
ترى متى انقسمت الحياة ذكراً وأنثى ؟

قيل إن أفلاطون الفيلسوف قضى ردحاً من الزمن وهو يحاول الاجابة عن هذا السؤال . وأخيراً فتقت له المخيلة أسطورة خلاصتها أن الذكر والأنثى كانا منذ البدء جسما واحداً وفى ذات يوم نزل أحد الآلهة من مقدس أوليموس وشطر ذلك الجسم شطرين أحدهما ذكراً والآخر أنثى . ومنذ ذلك اليوم صار كل من هذين الشطرين يحن الى قرينه ويشتاق الى الاتحاد به . ومن ثمة نشأ الحب وهو شوق كل من الشطرين أو الجنسين الى الاتحاد بالآخر عن طريق الزواج

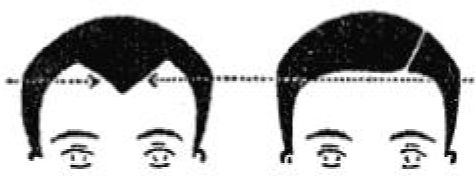
على أن الاله الذى شطر الجسم الاول شطرين لم يقم بعملية الشطر على الوجه الأكمل فقد احتفظ كل منهما ببعض الصفات الخاصة بالآخر . وهذه الصفات قد تكون واضحة فى بعض الأفراد الى حد يصعب أن نعرف هل هم ذكور أم إناث



اذا كان البنصر اطول من السبابة كانت مميزات الذكورة قوية ظاهرة (اليسار) ، اما اذا كانت السبابة اطول كانت الانوثة أوفر واوضح (اليمين)



ترى الى يمين الصورة شعر الرجل يغطي جانبي رقبته ، بينا تتعرى رقبة المرأة من الشعر كما في الصورة اليسرى



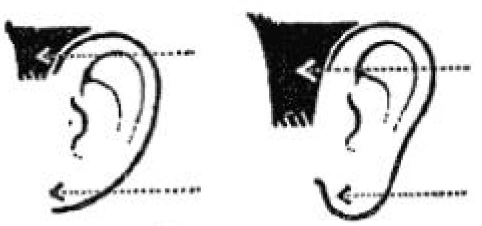
في الرجل ينحسر الشعر عند حافتي الجبهة (اليسار) ، بينما في المرأة يرسم الشعر خطاً مستقيماً فوق الجبهة (اليمين)

ان فى الجسم خلايا تفرزها بعض الغدد وتسمى هرمونات . وافراز هذه الهرمونات يساعد على انماء الجسم . وبعض تلك الهرمونات خاصة « بالأنوثة » ــ وهى سبب ما نشاهده من اللطف والدماثة ورقة الصوت وطول الشعر وما الى ذلك . وبعضها خاص « بالذكورة » كغلظ الصوت وكثرة شعر اللحية والصدر وهلم جرا

وقد ثبت للعلماء أن فى دم المرأة هرمونات الذكر ، وفى دم الرجل هرمونات الأنثى . وقد درس الفيلسوف فيننجر النمسوى هذه الهرمونات فاتضح له أنه ليس فى العالم كله امرأة هى أنثى خالصة أو رجل هو ذكر خالص ، بل لابد أن يكون فى كل من الجنسين آثار الجنس الآخر قليلا أو كثيراً . وفى الحقيقة ان كلا منهما مزيج من صفات الجنسين ، ولكن صفات « الذكورة » تغلب فى الرجل وصفات « الانوثة » تغلب فى المرأة . فاذا كثرت صفات « الذكورة » فى المرأة كان لنا المرأة الذكرة أو المترجلة . واذا كثرت صفات « الأنوثة » فى الرجل كان لنا الرجل المؤنث

من مميزات الرجل ان يكون تقوس الشفة بسيطا (اليمين) ومن مميزات المرأة ان تتقوس الشفة فى منتصفها بصورة واضحة (اليسار)

ويقول فيننجر إن أسعد زوجين هما اللذان يكثر فى كل منهما صفات الزوج الآخر ، فاذا كان فى الرجل كثير من صفات « الأنوثة » ، وفى الأنثى كثير من صفات الرجولة ، كان الميل بين هذين الزوجين قويا جداً والحب الذى يربطهما متيناً . وبعبارة أخرى أن رجلا تسعون فى المائة من صفاته خاصة بالرجولة ، وعشر فى المائة منها خاصة « بالأنوثة » ، يجد سعادته العظمى فى الاقتران بامرأة تسعون فى المائة من صفاتها خاصة « بالانوثة » وعشر فى المائة منها خاصة « بالذكورة » ، ذلك لأن الرجل والمرأة يكمل أحدهما الآخر . والسعادة التامة مضمونة للزوجين اللذين يكون مجموع صفات الانوثة فيهما معادلا تماما لمجموع صفات الرجولة



الى اليسار ترى الاذن النسائية مستديرة ملتصقة بالرأس ، ولايتجاوز شعر الرأس موضع اتصالها به . اما الى اليمين فترى اذن الرجل أكبر حجما وابعد قليلا عن الرأس ويتدلى الشعر حتى يتصل بشعر اللحية

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة السيكولوجيا والوحى . للاستاذ والتر فنكلر]

ماذا بعد الدكتاتورية ؟

الدكتاتورية تسيطر اليوم ، ولكن هل تستقر ؟

اجمع دهاء هتلر ، وقوة اتاتورك ، وحدة موسوليني ، وتصلب ستالين ــ اجمع هذه كلها ثم انظر إلى ما يمتاز به أصحابها من أخلاق ، تتمثل لك الدكتاتورية باوضح مظاهرها ، والدكتاتور بأكمل صوره

وغنى عن البيان ان للدكتاتور مركزاً لا يحسد عليه ، بل ان ذكره في التاريخ ليس مما يتمناه أي امرىء لنفسه . ومع ذلك فان تأثير الدكتاتوريين في أوربا الحديثة لا يخفى على أحد ، ومقامهم في الغرب ليس مما يستطاع انكاره . فاذا نظرت إلى خارطة اوربا وسودت البلاد الخاضعة للحكم الدكتاتوري أو نصف الدكتاتوري لم يبق أمامك من تلك الخارطة سوى بقع ضئيلة غير مسودة

واليك بيان البلاد الخاضعة اليوم للدكتاتورية خضوعا تاماً :

المانيا ــ ودكتاتورها هتلر ــ وعدد سكانها خمسة وستون مليوناً من الانفس . وقد أثار هتلر أعظم أزمة عرفتها اوربا منذ سنة ١٩١٩ اذ مزق معاهدة فرساي واحتل بلاد الرين عسكريا

ايطاليا ــ ودكتاتورها موسوليني المفتون بحب العظمة ، وقد كاد يزج بلاده في حرب مع اوربا بسبب العقوبات التي فرضت عليه في حرب الحبشة

روسيا السوفياتية ــ ودكتاتورها ستالين يتحكم في ١٦٥ مليوناً من الأنفس يزدادون بمعدل ثلاثة ملايين نفس كل سنة . وستالين هذا يراقب ما يجرى حوله بكل حرص وانتباه ويخشى المانيا واليابان

تركيا ــ ودكتاتورها اتاتورك ذلك النابغة العنيد والوطني المتصلب الذي يريد أن تكون تركيا للاتراك فقط

ولا يتوهمن القارىء ان هذه البلاد متشابهة متماثلة بسبب خضوعها للنظم الدكتاتورية . فالفوارق بين المانيا والسوفيات عظيمة جداً ، وكذلك بين المانيا وايطاليا . فايطاليا دولة ، من الوجه النظري ، يؤلف فيها العمال وأصحاب الاعمال نقابات مشتركة تحت اشراف الحكومة . والمانيا تملي ارادتها على جميع المعامل والمصانع لتأخذ حاجتها قبل غيرها . وفي كل من ايطاليا والمانيا معارضة تجري في الخفاء ، وكذلك الحال في تركيا أيضاً . الا أن تركيا ليست بلاداً فاشيستية بالمعنى الصحيح وانما هي دكتاتورية وطنية متجهة في ميولها السياسية نحو روسيا

والبلاد الآتي بيانها تقوم على نظم نصف ديكتاتورية أو شبيهة بالدكتاتورية ومصبوغة بالصبغة البرلمانية الديمقراطية :

النمسا ـ وهى واقعة فى قلب اوربا وزعيمها الدكتور شوشنيج يحاول الاحتفاظ بسلطته على شعوب شتى ليس بينها شعب مرتاح الى حالته

هنغاريا ـ وهنالك هنغاريا التى قطعت معاهدة التريانون أوصالها ، وحكامها يترقبون الفرص لاسترجاع بعض ما فقدته بلادهم

بولونيا ـ وبولونيا ، تلك البلاد الأوربية ذات القوة المجهولة ، قد أورثها بلسودسكي طائفة من القواد العسكريين الذين يبذلون قوى الجبابرة للمحافظة على وحدة بلادهم

رومانيا ـ رومانيا بلاد يرتكب فيها الغش فى الانتخابات النيابية بطريقة فاضحة والسلطة الحقيقة فيها فى يد الملك كارول وماجدا لوبسكو واتباعهما

يوجوسلافيا ـ وهى بلاد تتناوب السلطة فيها حكومات ضعيفة ونصف ديمقراطية منذ اغتيال الملك اسكندر

بلغاريا ـ وهذه بلاد يحاول ملكها بوريس أن يحفظ توازن السلطة فيها بين الاحزاب المتنازعة المتخاصمة

البرتوغال ـ والبرتوغال بلاد نصف دكتاتورية مع انها لاتزال محتفظة بالنظم البرلمانية ، ومثلها لتوانيا الواقعة على سواحل البلطيك بين المانيا وبولونيا وروسيا

فهذه البلاد الجانحة إلى الحكم الدكتاتورى تختلف بعضها عن بعض . فهنغاريا بلاد «اوليغارقية» والحكم فيها للاعيان والخاصة ولكبار الاغنياء من اصحاب الاراضى الواسعة . وبلغاريا تميل إلى الحكم الفاشستى . والنمسا الواقعة بين ايطاليا والمانيا قد أخذت عن كل من هاتين الدولتين نظماً ومبادىء . ويوجوسلافيا وبولونيا بلاد يسودها الفلاحون ، والسلطة الحقيقية فيها فى يد الجيش

أضف إلى هذه الفوضى ان هذه الدول وان تكن جميعاً شبيهة بالدكتاتورية الا أنها ليست متوادة متصافية . فايطاليا والمانيا ما برحتا تتنافسان على النمسا . وتشيكوسلوفاكيا الديمقراطية مرتبطة برومانيا ويوجوسلافيا اللتين هما ديمقراطيتان بالاسم فقط . ويوجوسلافيا وبلغاريا ـ بلاد الفلاحين المتشابهين جنساً وثقافة ـ هما متعاديتان بسبب مقدونيا

وغنى عن البيان أن الشعب فى البلاد الدكتاتورية هو خادم الدولة . والدولة فى البلاد الديمقراطية هى خادمة الشعب . والبلاد الديمقراطية هى التى قد استطاعت الثبات على الانقلابات العظيمة التى وقعت بعد الحرب على أحسن وجه. فمستوى المعيشة فيها أرقى منه فى غيرها. وقراطيسها المالية اغلى سعراً من قراطيس غيرها . وشعوبها اكثر تمتعاً بثمار السلام والحرية السياسية من غيرها

على أن فى معظم الديمقراطيات الكبرى ميلا الى تقوية أسس الحكم . ومن أهم أسباب ذلك الميل الخوف من الحرب . فقد اضطرت الكثيرات من تلك الديمقراطيات الى التسلح حذراً من قيام الدكتاتورية . ومن تلك الأسباب أيضا الخوف من نشوء الاحزاب الفاشستية أو الرجعية . فلا

بد للديمقراطية ـ عاجلا أو آجلا ـ من الالتجاء الى وسائل غير ديمقراطية اذا أرادت البقاء

وللديمقراطيات الصغيرة همومها ومخاوفها . فهولندا تخشى اعتداء المانيا عليها ، وأسوج وجلة من انتشار البروباجندا النازية فيها . وسويسرا شارعة فى تحصين حدودها لاول مرة بعد حقبة طويلة من الدهر . ومثلها حكومة الدنمرك . وفنلندا تهلع من شبح روسيا السوفياتية ولتوانيا تخشى كلتا المانيا وبولونيا

ففى أوربا اذن خليط من الحكومات تكثر بينها الخصومات والمنازعات وأسباب الكره والنفور والعلاقات بين جميعها مضطربة مسترخية . فما عسى أن تكون النتيجة وهل تستطيع الحكومات الحاضرة أن تعمر طويلا ؟

لننظر أولا فى بعض العوامل التى تنطبق على جميع البلاد فان المناهج السياسية تحدوها عادة عوامل غير سياسية وفى مقدمتها (أولا) العامل الجغرافى (وثانيا) العامل الاقتصادى (وثالثا) قوة « شخصية » الحاكم الأعلى (ورابعاً) العامل الديني (وخامساً) التقاليد القومية (وسادسا) المزاج القومى

ومن مجموعة هذه العوامل تنشأ القومية أو الوطنية ، والوطنية هى العامل الذى يتحكم فى أوربا اليوم ويسيرها . والمغالاة فى الوطنية تنشىء تنافسا سياسيا قد يؤدى الى الحرب . وكل من يتأمل اليوم فى حالة أوربا لا يسعه الا أن يشعر بخطر الحرب ، فمشكلة الحبشة وبلاد الرين وحدود النمسا ودانزيج وممل وغيرها تدل على ما يهدد أوربا ويقض مضجعها

ترى ما هو مستقبل الدكتاتورين ؟

الجواب عن ذلك انهم لا مستقبل لهم . فليس فى التاريخ الا أمثلة نادرة عن انتقال السلطة الاستبدادية من دكتاتور الى دكتاتور بسلام . فقد حاول اغسطس قيصر (ولم يكن دكتاتوراً بالمعنى الحقيق) أن يورث خلفه سلطته فلم يفلح . وورث ستالين السلطة عن لينين ولكن لينين لم يختره خليفة له

ومهمة الدكتاتورين صعبة جداً إذ عليهم أن يضغطوا على حرية شعوبهم ضغطا مستمراً وهو أمر يكاد يكون فى حكم المستحيل . وعاقبة الدكتاتورية احد أمرين : فاما أن تخفف قبضتها على الحكم لتعيش ، أو تقوم عليها الثورة وتجرفها

وكثيراً ما يضطر الدكتاتورون الى الحرب لتحويل استياء الشعب وإلهائه بتلك الحرب أو لاحتياجهم الى ما يحتفظ لهم بسلطتهم وجبروتهم . وقد يعيش الدكتاتور حتى يرى تحقيق أمنيته . فكرومويل عاش حتى تمكن من انتزاع حقوق الشعب الانجليزى من الملك . وقد يعيش هتلر حتى يوحد دولة الريخ . ويعيش ستالين وموسولينى الى أن تتحقق أحلامهما

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ناش . للكاتب الشهير جون جنتر]

هؤلاء الملوك المساكين !

لا تحسدوا الملوك فان مخصصاتهم لا تفي بنفقاتهم

قال شكسبير شاعر الانجليز : « ان الرأس المتوج لا يرقد مستريحا » وهو قول صحيح من جميع وجوهه ، وبخاصة من الوجه المالى ، فان أكثر الملوك لا يتناولون أجراً يفي بحاجاتهم

قرر مجلس النواب البريطانى منذ عهد قريب منح الملك ادوارد الثامن مبلغاً يزيد قليلا على أربعمائة الف جنيه لدفع الديون التي عليه . وقد يبدو هذا غريباً في أول الأمر . ولكن انظر بيان نفقات هذا الملك . فانك اذا طرحت بعض النفقات الرسمية لم يبق له من « مخصصاته » سوى ١١٠٠٠٠ جنيه . وقد ثبت أن الملك جورج (والد الملك إدوارد الحالى) لم يكن يبقى له من مخصصاته في آخر السنة المالية بعد كل نفقاته سوى نحو الفى جنيه فقط ! . .

ومن حسن حظ الملك ادوارد الحالى ان له ـ غير مخصصاته ـ مورد دخل خاص من أملاكه بدوقية كورنوال يبلغ نحو سبعين الف جنيه في العام

واليك بعض نفقات الملك :

١٢٥٠٠٠	جنيه	أجور موظفى القصر
١٩٣٠٠٠	«	« مخصصات » الأسرة المالكة
٢٠٠٠٠	«	نفقات صيانة القصور الملكية
٣٠٠٠٠	«	« قصر بوكنجهام
١٣٠٠٠	«	لاجل المنح الملكية
٨٠٠٠	«	نفقات غير منظورة
٥٠٠٠	«	خدم القصر
٦٠٠٠	«	نفقات غسيل ومكوى
٥٠٠٠	«	للاوتوموبيلات الملكية

وهذه المبالغ لا تدخل فى مبلغ ال ١١٠٠٠٠ جنيه الذى يتبقى للملك ويستطيع أن يتصرف فيه كما يشاء ، ومن هذا المبلغ ينفق على الأطعمة والمشروبات والاسفار . وهنالك أقارب للاسرة المالكة يبلغ عددهم نحو مائة وخمسين شخصاً ينفق عليهم الملك من جيبه الخاص

ومن التقاليد المرعية ان الملك والأسرة المالكة يجب أن تكون جميع تنقلاتهم بقطرات ملكية خاصة تدفع أجرتها من « مخصصات » الملك . ومن حسن حظ الملك ادوارد انه يفضل السفر بالطيارة على السفر بالقطرات ، وفى هذا اقتصاد كبير

ومن النفقات التى لا غنى عنها للملك نفقات الاستشارات الطبية والمآدب الملكية ونفقات ضيافة الملوك الأجانب وكبار رجال السياسة ونفقات الألعاب والملاهى

وكثيراً ما كان الملك جورج والد الملك ادوارد يشعر بضيق مالى يغل يديه عن عمل أشياء كثيرة ، وكان هم زوجته الأكبر أن تدبر الوسائل لتحقيق الاقتصاد فى كل باب من أبواب النفقات لتنجو من الدين . ومع ذلك بلغ العجز فى ميزانية الأسرة المالكة فى سنة ١٩٢١ ثلاثة وخمسين الف جنيه . ولما مرض الملك فى سنة ١٩٢٨ حارت الملكة فى تدبير ما يحتاج اليه ذلك المرض من نفقات فاضطرت الى الاقتصاد الى حد التقتير لتتمكن من دفع أجور الأطباء وثمن الأدوية ! . .

واذا قابلنا الحاضر بالماضى اتضح لنا ان « مخصصات » ملك انجلترا الحالية ضئيلة جداً بالنسبة الى «مخصصات» الملوك الانجليز فى العصور الماضية

وتبلغ « مخصصات » ملك ايطاليا اليوم نحو ثمانمائة الف جنيه . وكانت «مخصصات» الامبراطور غليوم مثل ذلك تقريباً . ولا شك ان أكبر «المخصصات» الملكية كانت «مخصصات» قيصر روسيا فقد كانت تبلغ أربعة ملايين جنيه فى العام

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة لوزنجليس مجازين . للاستاذ ستانلى جرامر]



مستقبل نظم التعليم الحاضرة

مهمة المدرسة رياضة العقل وتحويشه بما ينفع

ستختلف نظم التعليم فى المستقبل عما هي عليه الآن اختلافاً كبيراً . ولو أتيح لأساتذة المدارس الحاليين أن يعيشوا حتى يروا انقلاب تلك النظم لشعروا يومئذ بانهم غير أهل للقيام بمهمة التعليم

في ذلك اليوم لن يعنى الوالدون بتعليم أولادهم مجموعة العلوم التى تلقنوها هم ، بل سيعنون بتهذيبهم وتخريجهم فيما هم فى حاجة اليه ، لأن التعليم — ككل شيء فى العالم — سيتطور ويتغير

ان الأولاد فى هذا العصر لا يزالون يتعلمون نظريات اقليدس واللغتين اليونانية واللاتينية القديمتين ، وغير ذلك مما لا ينتظر أن يكون لهم به في المستقبل أية علاقة على الاطلاق . ذلك لأن المشرفين على شؤون التعليم يزعمون ان تعلم هذه الأمور ضرورى لتوسيع المدارك

وستكون لغة التعليم فى مقدمة الأمور التي سيطرأ عليها التغير فستنشأ لغة أقرب الى العقلية الدولية من اللغات الحاضرة . وستكون التعابير أقرب الى افهام الجيل المتعلم . وفى الحقيقة ان اختلاف اللغات قد كان دائماً سبب كثير من سوء التفاهم الذى يقع — لا بين الأفراد فقط — بل بين الجماعات أيضاً . ومن العار على رجال التعليم أن يجتمعوا اليوم ويتفاهموا بواسطة ترجمان ،

والوقت الذي يضيعه الكثيرون فى تعلم لغات أجنبية هو طويل جداً يمكن الاستفادة منه

والكتابة أيضاً من أسباب اضاعة الوقت سدى . لذلك سيستغني عنها الناس بالآلات الكاتبة . وستكون هذه الآلات صغيرة سهلة الحمل كأنها قلم عادى . أما المحافظة على الخط بحجة انه يشف عن خلق صاحبه فاضاعة للوقت

ولن تكون الغاية من التعليم فى المستقبل حشو دماغ التلميذ بالجداول والمعادلات والمعلومات كما هي الحال فى الوقت الحاضر، بل ارشاد التلميذ الى الطريقة التى بها يمكنه اكتساب المعلومات وتوسيع دائرة العقل . فارغامه على حفظ الجداول الحسابية والمعادلات وأمثالها اضاعة للوقت . والمهم ارشاده الى الطرق التى بها يكتسب المعلومات بحيث يستطيع استنباط القواعد والمبادىء العامة بنفسه

ومن العلوم التى سيطرأ عليها تغير عظيم علم التاريخ . فهذا العلم يقوم اليوم على درس الحوادث بحسب تتابعها الزمنى . ولذلك يطلب من دارس التاريخ أن يذكر أسماء الملوك وتواريخ حكمهم والأعمال التى قاموا بها . والتعليم على هذا النمط ميكانيكى ، وسيزول فى المستقبل ويحل محله أسلوب آخر يتعلم الطالب بموجبه العلاقة بين الحوادث — أى الصلة بين العلل والمعلولات — وتطبيق ذلك على الحوادث المنتظر وقوعها فى المستقبل

أما نظام الامتحانات المدرسية فلا يمكن التكهن به الآن . والمعروف ان العلامات التى يحرزها الطالب فى الامتحانات المدرسية فى الوقت الحاضر لا تدل فى الحقيقة على أي شيء من الذكاء . فقد يتفق أن يفاجأ الطالب الذكي بسؤال فى الامتحان لا يحسن الجواب عنه فلا يجوز الامتحان بسهولة . مع انه قد يكون أذكى من رفيقه الذى جازه وأحرز فيه رتبة عالية

ولن يكون السماح بمزاولة المهن الحرة مقيداً بامتحان كالامتحانات الحالية . نعم سيكون السماح بمزاولتها مقيداً بقيود معينة ولكن سيكون أول مسوغ للسماح بتلك المزاولة مبنياً على اختبارات فنية عملية . أما الاعتماد على الذكاء المحض فى اجتياز الامتحانات فلن تكون له أية قيمة

وسيتغير نظام مزاولة الأعمال تغيراً عاما ويكون لمصالح الاحصاء شأن خاص . مثال ذلك ان مصلحة الاحصاء ستقوم بجمع البيانات الدقيقة عن حاجة البلاد فى السنة القادمة الى كذا من الأطباء وكذا من المحامين وكذا من المهندسين . فتتخذ التدابير اللازمة لايجاد المطلوبين لسد تلك الحاجة بحيث لا تشتد المنافسة بين أصحاب تلك المهن فتعود بالخسارة على جميعهم

وسيتغير نظام عقاب التلاميذ أيضاً فى المدارس فيلغى العقاب البدنى وكل ضرب من العقاب مبنى على فكرة التأديب أو الانتقام . ويعرض التلميذ الردىء السلوك على طبيب جراح لاصلاح غدده . إذ لا شك ان سوء الخلق ناشىء عن عدم انتظام بعض الغدد . وعليه فسيقرأ الناس يومئذ روايات عن معاقبة التلاميذ فى عصرنا هذا كما نقرأ نحن الروايات عن الفظائع التى كان المتوحشون يرتكبونها قديماً

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة آرمتشير ساينس . للاستاذ لو]

قوة الفرد

كل أمر خطير بدأ به فرد واحد

كانت الطبقات الفقيرة من مدن أوربا وأمريكا تتكدس فى مساكن محتبسة الهواء مظلمة الأرجاء . وكان الناس جميعا يدركون ما يصيب أجسامهم من وهن وهزال ، وماينال أخلاقهم من وهن وفساد ، فيزمتون شفاههم ويقلبون أكفهم ، ثم يسأل بعضهم بعضاً : « وماذا نستطيع أن نفعل ؟ » .. ولكن إحدى نساء لندن الفقيرات ، هى أوكتافيا هيل ، رأت أنه لا يكفى أن تسأل ، بل عليها أن تجيب . وكان جوابها أن اقترضت مالا استأجرت به ثلاثة منازل صالحة ، ثم أجرتها لجماعة من فقيرات النساء كانت تعلمهن خياطة الملابس ، وبذلك بدأت الخطوة الأولى فى سبيل تهيئة مساكن نموذجية للفقراء . ثم ثنت باقامة أول ملعب للاطفال يلهون فيه ويمرحون . وعند ماكان أهل المدن الأخرى يتساءلون : « وماذا نستطيع أن نفعل ؟ » ، كانت أوكتافيا وأختها ميراندا تضمان تحت جناحيهما مئات من الأسر الفقيرة . وترامت أنباء نجاحها فى سائر الأنحاء ، وسمع أصحاب البيوت أن مساكنها لا تخلو ، فعبروا اليها البحر كي يأخذوا عنها ، وراحوا يهدمون أبنيتهم الخربة المتداعية ويقيمون مكانها بيوتا حديثة صحية ، يغمرها الضوء ويتجدد فيها الهواء ولا تتعرض لأخطار الحريق . ورأت الحكومات أن البيت الطيب يبعث فى أهله الرضى والطمأنينة ، ويبث فيهم الجد والنشاط ، فأعلن موسولينى أول ما ولى الحكم هدم تلك المنازل التى كان يزدحم فيها الفقراء ، كما بدأت أمريكا تقوم بهذا العمل الذى سبقت اليه امرأة فقيرة حطمة منذ ثلاثة أرباع قرن

ونحن جميعا نشكو من هذه العصابات التى تلوذ برجال السياسة لتأخذ أموال الناس غصباً ، ومع هذا فكل منا يهز كتفه وهو يقول : « وما عسى أن يفعل مثلى ؟ » . ولكن توماس ناست الرسام الفقير أبى إلا أن يشهر حربا على إحدى هذه العصابات الرهيبة ، حتى زج رئيسها فى غيابة السجن حيث لقى حتفه وهو يرسف فى الأغلال . فقد قامت فى مدينة نيويورك عصابة هائلة كان يرهبها رجال المال فيمدون أيديهم المليئة اليها ، وكانت تفرض إرادتها على رجال التشريع والقضاء والصحافة فيذهبون الى حيث تريد ، حتى قدر ما غصبته من الأموال بمائتى مليون دولار فى ثلاثين شهراً ، ولكن هذا الرسام الفقير أخذ يهاجم العصابة برسوم هزلية نشرتها له إحدى المجلات ولم يلبث أن آزره فى حملته هذه رئيس تحرير جريدة نيويورك تايمز . وقد قاسى الرجلان صنوف العنت والارهاق ، ولاقيا ضروب الوعيد والتهديد ، ولكنهما تواصيا بالحق واعتصما بالصبر ، حتى

قامت تؤازرها المدينة جمعاء ، فبدأت العصابة تعرض عليهما الرشى الضخمة ولكن دون أن تظفر منهما بطائل . فعند ما بعثت رسلها الى رئيس التحرير يحملون رشوة قدرها خمسة ملايين دولار قائلين : « خذ هـذا المال واذهب به الى أوربا حيث تحيا كما يحيا الأمراء . » ردهم خائبين بقوله : « ولكنى ان فعلت فلن أنسى أبداً أنى نذل جبان » . وهكذا ثبت الرجلان فى كفاحهما ضد العصابة حتى أتيا عليها بعد أن أفسدت فى الارض دهراً طويلا

وكانت السجون فى القرن الثامن عشر كهوفا وسراديب يسام فيها السجناء سوء العذاب ويقاسون أهوال الامراض ، فهال أمرها رجلا انجليزيا هو جون هوارد ، فقام يندد بما يقارف فيها من القسوة والغلظة ، ويدعو الى شيء من الرفق والرأفة ، فلم تنقض سنة على دعوته حتى عملت الحكومة على اصلاح سجونها لأول مرة ، ثم خلفته فى حركته السيدة اليزابث فراى التى دوى صوتها فى أرجاء الأرض جميعا ، داعية الى أخذ المجرمين بالحسنى . وبهذا قامت إحدى الحركات الانسانية النبيلة على يد سيدة كانت تعنى وهى فى سن العشرين ، الى جانب شئونها العائلية ، برعاية الفقراء والمساكين من جيرتها ...

أما فلورنس نايتنجيل فكانت ترفل فى حلل الرفه والنعمى ، وكان نجمها يتألق فى الحفلات والمنتديات العليا ، كما ظهرت فى حفلات وولائم القصر الملكى ، ولكن لما قامت حرب القرم واشتبكت فيها بريطانيا ، لحقت بجيش بلادها لتمرض جرحاه . فأخذ أصدقاؤها وصديقاتها يتساءلون فى حفلاتهم الراقصة : «وماذا تستطيع امرأة واحدة أن تفعل ؟ » ولكن فلورنس أجابتهم اجابتها الحازمة حين هبطت نسبة الوفيات بين الجرحى من ٤٢ ٪ الى ٢ ٪ . وقد استطاعت هذه المرأة الواحدة بمساعدة من جمعتهم حولها أن تقيم ثورة فى وسائل الصحة والتمريض فى العالم كله . ولا شك ان كل جندى جرح منذ حرب القرم يدين لهذه الفتاة التى رأت أنها تستطيع أن تؤدى عملا أسمى وأنفع من مقابلة ضيوف أبيها . وفلورنس تذكرنا بكلارا بارتون التى أعلنت إبان نشوب الحرب الأهلية فى أمريكا انها تقبل ما يأتيها من الهبات والتبرعات لتوزعها بيديها على الجنود . وقد كانت هذه الحركة بدأ لجماعة الصليب الأحمر الامريكي

وكان ارنست كولتر كاتباً فى إحدى محاكم الاحداث ، فرأى ان الصبي يدخل الاصلاحية غراً ساذجا ، ويخرج منها وقد تشبع بفكرة الجريمة وحذق فنون الاجرام . ورأى أن الطفل المجرم لا يهذبه ولا يقمعه إلا صديق يرشده ويهديه . فاقترح على جماعة من الرجال أن يتخذ كل منهم صديقاً من أولئك الصبيان الذين يفدون الى المحكمة . فقامت على اثر هذا حركة « الأخ الأكبر » التى شملت برعايتها آلافا من الصبيان الذين لم يلبثوا أن أقلعوا عن جرائمهم واتخذوا الطريق السوى . وقد انتشرت هذه الحركة بعد ذلك فى كثير من الشعوب والطوائف

وقد كف بصر توماس برايل وما زال فى الثالثة ، ومع هذا استطاع أن يتعلم القراءة بلمس

الحروف البارزة . وأخذ يفكر هذا الصبي فيما يحسه الأعمى من السعادة إذا هو عرف كيف يقرأ . فظل يحسن طريقتـه حتى بلغ سن الخامسة والعشرين حين بدأ يدرسها فى بعض معاهد باريس . وانتشرت هذه الطريقة المعروفة باسمه بعد ذلك فى شتى أقطار العالم

وان الأمثلة أكثر من أن تحصى أو تستقصى ، وإن الأمر لا يعدو ما يحدث فى الجيش – يرفع العلم جندى واحد ، فيحتشد حوله آلاف من الجنود . . ولذا فانى أنظر الى هـذه العقبات التى تتعالى أمامنا فى الطريق ، الى الحرب والفقر والجهل وما اليها ، نظرة الواثق من أنها ستزول يوماما ، مطمئناً الى أن الطريق سوف ينبسط أمامنا ممهداً فسيحاً ، لأن الأمر لايحتاج إلا الى رجل واحد أو امرأة واحدة ، تنطق بالكلمة الأولى فلا تلبث أن تستحيل دويا يقصف فى الأرجاء . .

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ريدرز دييجست . بقلم تشاننج بولوك]

انشاء بحار فى قلب افريقيا

ونيل آخر يخترق الصحراء

لماذا لا ينفذ الناس الى تلك الصحارى الخالية ، بدل أن يقفوا على جوانبها متدافعين متزاحمين ؟ ولماذا يتقاتلون ويتناحرون ، ويفنى بعضهم بعضاً فى الحروب ، مع أن فى الصحراء متسعاً لمن تضيق به بلاده ؟ وإن فى وسع العلم الذى سخر الطبيعة واستغلها فى شتى النواحى ، أن يحيل هـذه الصحارى المقفرة من كل نبت وحيوان ، أرضاً خصيبة سخية بالخيرات ، وذلك بأن يوفر فيها الماء . والصحراوات تتمتع بميزتين حرمت منهما أكثر أقطار الارض ، فهى تقع غالباً حول مدارى الجدى والسرطان أى فى أكثر المناطق اعتدالا فى المناخ ، وأرضها بكر منذ الابد لم يستنفد الانسان قواها بفأسه ومحراثه

وهذا ما تريد المانيا أن تقوم به اليوم فى افريقيا ، فهى إن طالبت من الناحية السياسية برد مستعمراتها السابقة ، فأنها من الناحية الهندسية تقترح القيام « بمشروع البحيرات العظمى » التى تريد أن تحول به الصحراء الكبرى أرضاً صالحة للزرع وللاستغلال

ويتلخص هذا المشروع فى إنشاء سد على نهر الكونجو يبلغ طوله ميلين ونصف ميل ، فيحجز وراءه الأمطار الغزيرة التى تهطل فى تلك المنطقة ، ويحولها الى منخفض الكونجو الذى كان فيما مضى بحيرة واسعة عميقة ، يراد إعادتها وتوسيعها حتى تبلغ ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع . ولكنها رغم هذا لن تتسع لجميع مياه الأمطار التى لا تنقطع أبداً ، ولهذا يراد تحويل ما بقى منها الى بحيرة شاد

بعد أن توسع حتى تماثل سابقتها فى المساحة . ثم يصلون بحيرة شاد بالبحر الأبيض المتوسط (بالنيل الثانى) الذى سيتخذ مجراه فى وديان الصحراء ، متجهاً أولا نحو الغرب ، ثم الى الشمال الشرقى مخترقا تونس ، وبذلك تروى وتزرع الصحارى الممتدة حول ضفتيه

ولا يتيسر القيام بهذا المشروع الضخم الا اذا تعاونت الدول التى تمتلك الأراضى التى ستحفر فيها البحيرات ويخترقها النهر الجديد . وهذه الدول هى بلجيكا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا . وأصحاب هذه الفكرة الألمانيون يقولون إن هذه الدول التى تحالفت أثناء الحرب على القتال والتخريب ، أولى بها أن تتحالف أثناء السلم على الاصلاح والتعمير

وهناك بحيرة أخرى يمكن انشاؤها فى قلب صحراء كلهاري بانشاء سد على نهر الزمبيزى فيحجز وراءه من المياه ما يجعل هذه المنطقة المقفرة غنية بالخيرات

[عن مجلة رسالة الأخبار العلمية]



خريطة افريقيا وفق مشروع البحيرات العظمى (الاماكن المظللة تمثل البحار الثلاثة التى يراد انشاؤها والخط المتقطع يمثل النيل الثانى)

المرأة أشرس من الرجل

أيهما الجنس اللطيف : الرجل أم المرأة ؟ اقرأ ثم احكم

يدهش البعض من سماع أخبار القسوة التي تبديها بعض النساء الاسبانيات في الثورة الاسبانية الحاضرة . على أن المؤرخين وعلماء البسيكولوجيا لا يشاركونهم في تلك الدهشة . فقد عرفوا خلق المرأة وأطوارها الغريبة منذ عهد بعيد ! . وعلموا أن تحت أستار الوداعة والرقة التي تزينها نفساً جموحاً اذا اطلقت من عقالها لم تعرف الرحمة ولا الشفقة ، واذا استفزت كانت أشرس من النمر

ويعلم الكثيرون أن المرأة كثيراً ما تشبه الطفل في ثورة عواطفها وفي حبها للانتقام . ويؤخذ من احصاءات المحاكم ان عدد الزوجات اللواتي يطلبن الطلاق هو ضعفا عدد الازواج الذين يطلبونه . واذا وقع سوء تفاهم بين الزوجين فان المرأة تصخب اكثر من الرجل وتحاول عادة أن تنفرد بالسلطة المنزلية . ويقول علماء النفس إن عواطف المرأة أشبه بعواطف الطفل أو الرجل المتوحش منها بعواطف الرجل الاعتيادي . وهي تنضج قبل الرجل . وما التهذيب والتعليم اللذين تنالهما سوى ثوب يستر دلائل الشبه بينها وبين المخلوق المتوحش ، ولكنه لا يزيلها . ولذلك يسهل انخداع الرجل باخلاق المرأة

ويقول العلماء أيضاً إن الطفل والطفلة يكونان حتى ختام السنة الثانية من العمر متعادلين في الصخب والصراخ وحدة الطبع . وبعد ذلك يشرع الوالدان في التشديد على الطفلة اكثر من تشديدهما على الطفل رغبة منهما في أن تكون اخلاقها عندما تكبر وديعة رضية . وهنا موضع الخطر . فان الضغط عليها بهذه الكيفية يكوم في نفسها الانفعالات سنة بعد سنة إلى أن تسنح يوماً فرصة للانفجار ، ويكون الانفجار اذ ذاك عظيما . وعليه فكلما بدت المرأة وديعة هادئة كان ذلك دليلا على انها تضغط على عواطفها ضغطاً هائلا ، ولكنه ضغط لا امان معه من الانفجار

وقد تبدو المرأة أيضاً أشرس من الرجل بسبب شعورها بانها احط منه . ويعرف هذا عند علماء النفس بشعور الانحطاط (انفيريوريتي كومبلكس) ولذلك قد تعمل المرأة أعمالا في منتهى التطرف والحماقة لتثبت انها ليست أحط من الرجل ولا أضعف منه . وقد ترتكب من أعمال القسوة ماتقشعر منه الابدان لتنفي عن نفسها ماترمى به من كونها أحط من الرجل وأقل شجاعة أو حماسة منه . وهي في الغالب تستمر في اظهار القسوة مدة طويلة . وعليه فكل ثورة اهلية تشترك فيها المرأة - كالثورة الاسبانية الحاضرة - تمتاز بما يقع فيها من فظائع دموية وأهوال مخيفة فوق أن مدتها تطول كثيراً جداً . قيل ان ميسالينا امبراطورة روما كانت تدس الدسائس وتحيك

المؤامرات وتكثر من القتل وسفك الدماء لتظهر للناس سلطانها وجبروتها . ومما يؤثر عنها انها كانت تأمر زوجات رجال الدولة بان يتجردن من الثياب حتى أورا كهن وينازلن الوحوش

ومما يجدر بالذكر أن النساء الاسبانيات كن حتى عهد قريب يصارعن الثيران إلى ان ابطل حاكم فلنسية هذه العادة فى ولايته منذ نحو أربع سنوات . وفى تقرير لأحد معامل اللحوم المقددة فى ولاية شيكاجو الاميركية ان عدد النساء اللواتى يزرن ذلك المعمل ويشاهدن فيه ذبح الاغنام والانعام والطيور يزيد على ضعف عدد الرجال . فكأن النساء يتلذذن برؤية سفك الدماء اكثر من الرجال ، وكأن رؤية الدماء تطلق الغريزة الوحشية فيهن من عقالها . وقد تبلغ منهن الشراسة مبلغاً لا يصدقه العقل ! . قيل ان الامهات المنغاريات كن يرسلن أولادهن إلى ساحة القتال

وذكر بلوطرخس المؤرخ الرومانى ان امرأتين من أهالى سمبرى دخلتا احدى المعامع وحاربتا بمنتهى التوحش والفظاعة حتى باد العدو على بكرة أبيه ، ولما لم تجدا من تقتلانه قتلت احداهما الأخرى ثم خنقت الأخيرة نفسها بجدائلها

وفى التاريخ الحديث ذكر نساء كثيرات اشتهرن بالشراسة والميل إلى سفك الدماء كما اشتهر غيرهن بالطعن والضرب فى القتال . ومن هؤلاء المدموازيل موبان احدى ممثلات الاوبرا بباريس فى ختام القرن السابع عشر ، وكانت من اجمل فتيات عصرها . قيل انها كانت تتنكر بثياب الرجال وتتحرش بهم ثم تطلبهم إلى المبارزة وتحاول قتلهم . وقد بلغ عدد المبارزات التى خاضت غمارها ثمانين مبارزة وعدد الذين قتلتهم عشرة رجال

واشتهرت الكثيرات من النساء فى الحروب وقد كن دائماً يتنكرن بثياب الرجال . ومن هؤلاء امرأة انجليزية تدعى حنة سينل خاضت غمار حرب سنة ١٧٢٣ وابلت فيها بلاء عظيما وآنسة أخرى انجليزية اشتهرت فى معركة فونتنوى . وآنسة فرنسية تدعى الكسندرين بارو كانت من أبطال الجيش الفرنسى فى ابان الثورة المشهورة . وآنسة فرنسية أخرى منحت وسام صليب الحرب فى الحرب العظمى الماضية . وغير هؤلاء كثيرات

ومما يجدر بالذكر أن اناث الحيوانات كلها اشرس من الذكور فى الحرب والقتال . وقد تحارب الانثى كلا الانثى والذكر معاً . وأما الذكر فلا يحارب إلا الذكر فقط . فالكلب قد يحارب كلباً مثله ولكنه لا يحارب كلبة . كذلك الرجل يحارب الرجل ولكنه يأنف من محاربة المرأة

ومن حسن حظ العمران أن المرأة ـ وهى أشرس فى القتال من الرجل ـ هى اضعف منه وعدد الكريات الحمر التى فى دمها ينقص عن عدد الكريات الحمر التى فى دم الرجل ـ وهذا هو سبب كونها أضعف منه . ولا شك انها لو كانت بمثل قوة الرجل لانقرض هذا اولأصبح عبداً لها

[خلاصة مقالة نشرت فى الامريكان ويكلي . للاستاذ لايرد]

لماذا يحارب الناس ؟

غرائزهم وعواطفهم يدفعونهم الى القتال

جرت عادة الكتاب أن يعزوا الحرب وجميع الانقلابات الاجتماعية الى أسباب اقتصادية . والحقيقة أن للحروب والانقلابات العالمية أسبابا غير التى تظهر للعيان . وليست الأسباب الاقتصادية أو الجغرافية أو غيرها سوى عوامل ثانوية

ويزعم بعض علماء النفس أن فى الامكان إرجاع جميع العوامل التى تؤدى الى الحرب الى سبب بسيكولوجى أو نفسانى . فالعوامل الجوية والجغرافية دفعت قبائل المغول لغزوة أوربا . والعوامل السياسية والاقتصادية دفعت أمم الغرب الى خوض غمار الحرب العظمى الماضية . ولكن الذى يخوض غمرات الحرب ليس هو العوامل الجوية أو الاقتصادية أوالسياسية بل أولئك الذين يتأثرون بتلك العوامل ، وما كان يمكن أن يتأثروا بها لو لم يكن الانسان مخلوقا بسيكولوجياً

ومما يدل على الثورة البسيكولوجية التى تعم الاجتماع فى إبان الحروب أن الشعور بالوطنية وبحب الوطن وكره العدو يبلغ الدرجة القصوى من الشدة . والغريب أن فى الانسان ميلا باطنياً الى قتل غيره أو نفسه . فاذا لم يجد له عدواً يقتله فى ساحات المعارك لم يحجم عن قتل نفسه فى عقر داره . وجميع الاحصاءات الموثوق بها تدل على أن الذين ينتحرون فى زمن السلم هم أكثر من الذين ينتحرون فى زمن الحرب

أضف الى ذلك أن الحرب توقظ فينا كل نشاط وتجعل فينا الشعور شديد التنبه . وفى خلق الانسان أنه يحب كل ما ينبه فيه ثورة النفس ويحب أن يعرب ، بالقول والفعل ، عن كل ما تجيش به نفسه مما لا يجرؤ على الاعراب عنه فى زمن السلم . ففى زمن السلم نعلم أن اظهار الحقد والكره والقسوة وغير هذه الصفات ليس من الأمور المستحبة . وأما الحرب فانها تحبب الينا إظهار تلك الصفات وتسوغ لنا قتل الغير وإهلاكهم وتدمير بلادهم ونهب مساكنهم ، باسم الوطنية المقدسة

فنرى مما تقدم أن الحرب تطلق الغرائز البهيمية ـ غرائز القتل والتدمير ـ من عقالها ، وتجعل الانسان يدرك أن للحياة قيمة أغلى من القيمة التى نعينها لها فى أوقات السلم الاعتيادية . ففى زمن الحرب ينضم الفرد الى الفرد من أهل عشيرته وينسى أسباب شكواه من بنى جنسه لأنه يواجه عدواً مشتركا . وهذا ما يساعد على إيصال النعرة الجنسية الى أقصى درجتها من الشدة . ويبدو المتحمسون من الأهالى فى زمن الحرب كأنهم ثملون بخمرة تلك النعرة . والذين بيدهم مقاليد الأمور يحرصون على استبقاء جذوتها موقدة

وغني عن البيان أن روح الوطنية ـ كالحرب ـ تبيح الاندفاع وراء الميول الهدامة للنظم الاجتماعية . وهذه الميول هي نفس الميول التي يتعلم المرء في زمن السلم أن يتغلب عليها ويخضعها لسلطان القانون والنظام . ومنها الشعور بكره العدو والحقد عليه . والحرب تبيح إطلاق هذا الميل من عقاله بل تشجع المرء عليه وتستغله فيه استغلالا عظيما

أضف الى ذلك ان الفرد الذي يبدي في زمن السلم الصلف والكبرياء يبدي في زمن الحرب الحقد والضغينة ، وما الحقد والضغينة سوى صفتين متممتين للصلف والكبرياء وصفة الحقد أقوى من صفة الحب . والمرء الذي يظهر الحقد في زمن الحرب يشعر بلذة ذلك الحقد . وهذه اللذة تفوق لذة الحب أو العطف التي يشعر بها من يقوم بأي عمل انساني أو عمل من أعمال البر

وإنك لتجد من أغرب الأمور أن الحكومات بوجه الاجمال ، بدلا من أن تعمل على إطفاء نيران الحقد والضغينة ، تبذل كل ما في وسعها لاستبقاء تلك النيران متقدة متأججة فالأولاد في المدارس يلقنون دروس الصلف والكبرياء إذ تزرع في نفوسهم بزور ذلك الضرب من الوطنية التي تقدس كل ما هو خاص بالوطن وتحتقر كل ما هو خاص بالغير . وهذا النوع من التعليم يتخذ شكلا آخر في البلاد الدكتاتورية إذ يستمر مدى العمر . أما في البلاد الديمقراطية فيعهد فيه الى الصحف وهذه الصحف هي التي تتولى مهمة استبقاء جذوة الوطنية ملتهبة . وفي الحقيقة أن الحكام ورجال السياسة يجاهرون بحبهم للسلام وكرههم للحرب ولكنهم يبذلون كل ما في وسعهم لاستغلال جمرات الوطنية الكامنة بحيث لا تلمع بارقة الحرب الا ويهب الجميع لامتشاق الحسام مسيرين كالأغنام وهم يزعمون أنهم أحرار مخيرون

ترى مما تقدم أن نشر روح النعرة الوطنية مضر من وجوه كثيرة وان مصلحة الاجتماع تقتضي التريث واستعمال الحكمة عند محاولة نشرها . ولعله خير للاجتماع ازالة تلك الروح بتاتاً . ولكن علماء البسيولوجيا يقولون ان ازالة نظام يبعث في نفوس الناس شيئاً من اللذة والارتياح من دون التعويض عنه بنظام آخر ليس من الحكمة في شيء . فالنعرة الوطنية قد تكون مضرة بالاجتماع ولكن ليس من ينكر ما لها من الفوائد في بعض الحالات ، وعليه فليس من الحكمة ازالتها والقضاء عليها من دون التعويض عنها بشيء آخر . وقد اقترح بعضهم نشر الالعاب الرياضية وتعميمها بين مختلف الشعوب بقصد القضاء على نعرة الوطنية . واقترح آخرون نشر المبادىء الدينية العامة وروح الفضيلة . واقترح غيرهم أشياء أخرى . ولا شك ان جميع هذه الاقتراحات هي علاجات ملطفة ولكنها ليست الدواء الناجع . وفي الحقيقة ان مصدر الميل الى الحرب هو بسيكولوجي . والمرء يندفع الى الحرب وهو لا يدري لان نفسيته وميوله ومشاعره تدفعه اليها . ولا يدرك حقيقة الجهة التي هو مندفع اليها إلا بعد فوات الأوان . وهو اذ ذاك لا يستطيع النكوص

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة المفكر المصري . للاستاذ آلدوس هكسلي]

تقدم العلم والعالم

رسائل بولس الرسول

أعلن السر فريدريك كنيون الخبير بالمخطوطات الدينية القديمة، ان علماء الآثار قد عثروا على جزء كبير من رسائل بولس الرسول مأخوذ من أقدم نسخ التوراة المعروفة في العالم. والجزء الذي عثروا عليه يتألف من ست وثمانين صفحة، منها ست وخمسون صفحة استولى عليها المتحف البريطاني، وثلاثون صفحة استولت عليها جامعة مشيجان بالولايات المتحدة. أما النسخة المنزوعة منها هذه الصفحات فتعرف بتوراة «تشستر بيتي» وهو أحد كبار أصحاب الملايين الاميركيين، وقد تجنس بالجنسية الانجليزية

والصفحات التي نحن بصددها تشتمل على رسالة بولس الرسول الى أهل رومية من الاصحاح الخامس الى الرسالة الاولى الى أهل تسالونيكي. واللغة المكتوبة بها هي اليونانية ويمكن قراءتها بسهولة، الا الالفاظ الواقعة عند الحواف فقد امحت بمرور الزمن

عمر الكون

٢٠ الف مليون سنة

يختلف عمر الكون باختلاف الطرق التي يستعملها العلماء لتقدير ذلك العمر. وكان سير جيمس جينز العالم الفلكي الانجليزي قدر عمر الكائنات كلها بنحو عشرة ملايين مليون سنة. ولكن الدكتور بوك من علماء الفلك بمرصد هرفرد باميركا يقدره الآن بعشرين الف مليون سنة أي بجزء من خمسمائة جزء من تقدير السر جيمس جينز المذكور. ولا يسعنا ان نذكر هنا البيانات التي بني عليها الدكتور بوك تقديره لانها دقيقة فنية

الشعير ومرض السكر

أعلن العالمان الفرنسيان الدكتوران دونار ولابي من أساتذة كلية الطب بجامعة باريس انهما اكتشفا مادة في الشعير (في حالة الانبات) تشبه مادة الانسولين من وجوه كثيرة، وتؤدي الى زيادة وزن جسم المصاب بمرض السكر. ولما كانت هذه المادة قد اكتشفت حديثاً فان مكتشفيها يشيران بعدم التسرع باستعمالها قبل ثبوت فائدتها، وهما يقومان الآن بتجارب كثيرة لكشف اللثام عن أسرار هذه المادة. ومتى تم لهما ذلك أعلنا طرق تحضيرها لتكون في متناول الجميع

دم الحيوان بدلا من دم الانسان

يقوم الآن لفيف من علماء الروس بتجارب خاصة بنقل دم الثيران والماعز والدجاج إلى جسم الانسان. وليس المقصود من هذا النقل التعويض عن دم بدم — كما يحصل عند حصول نزيف أو فقدان كمية كبيرة من الدم. بل المقصود هو استفزاز نشاط الدم أو نشاط الجسم كله لمقاومته للمرض. ويزعم أولئك العلماء الروس ان نقل دم الحيوان الى جسم المريض يفيد في معالجة قروح المعدة وتسمم الدم والانيميا المزمنة وغيرها

امبراطورية زركسيس

عثرت احدى البعثات العلمية الاميركية التي تعمل في ايران (بلاد العجم) على سبعة ألواح من الحجر في المكان الذي كان قصر الملك زركسيس مشيداً عليه. والأرجح ان هذه الالواح كانت من حجارة الزاوية في ذلك القصر والقصر الذي كان بجانبه ، وكانت فيه حامية العاصمة برسيبوليس (الى الجنوب الغربي من مدينة أصفهان الحالية) وقد نقشت على الالواح كتابات كثيرة مع بيان أسماء البلاد التي كانت امبراطورية الفرس تؤلف منها كبابل واشور ومصر ومادي وايونيا (من بلاد اليونان) . أما الامبراطورية فكانت تمتد الى افغانستان شمالا شرقا ، فحدود الحبشة الحالية جنوباً غرباً ، فنهر السند بالهند جنوبا شرقا ، فآسيا الصغرى شمالا غربا

وزركسيس المذكور هو على الارجح الملك احشويرش الذي ورد اسمه في التوراة وقيل انه تزوج استير اليهودية وجعلها ملكة معه على العرش . وكان والد الملك داريوس الذي حاربه الاسكندر وانتصر عليه

أصغر السيارات الفلكية

في منتصف شهر فبراير الماضي اكتشف الاستاذ ويلبورث العالم الفلكي البلجيكي سياراً صغيراً سماه باسمه وهو أصغر الاجرام الفلكية المعروفة الآن (ماعدا الرجم والنيازك) . وقد تمكن من تصويره وهو مار بقرب الكرة الارضية . واذا استثنينا المذنبات الفلكية كان السيار المذكور أقرب جرم فلكي مر على مقربة من الارض

واليك بعض مقاييس هذا السيار . فحجمه جزء من خمسة وعشرين الف جزء من حجم الارض ووزنه خمسمائة مليون طن . وكان بعده عن الارض عند رصده أول مرة نحو مليوني ميل

أنواع الخوف

يقول أحد علماء البسيكولوجيا إن الاطفال بين الثانية والخامسة من العمر يخافون من الظلام ومن الاشخاص الغرباء عنهم . أما خوفهم من الارواح والحيوانات الخرافية ومن القتلة والسفاحين فيتطرق اليهم بعد السنة الخامسة من العمر ويلازمهم أعواما كثيرة . وآخر ضرب من ضروب الخوف الذي يستولي عليهم في الكبر هو الخوف من الاخفاق ومن شماتة الآخرين

لازالة آلام الولادة

لا يستطيع أحد أن يدرك آلام الولادة الا المرأة التي تلد . وقد حاول الاطباء منذ عهد بعيد أن يكتشفوا مخدراً لتخفيف تلك الآلام . فجربوا الكلوروفورم والايثير والغاز الضحاك وغير هذه المخدرات ، ولكنهم كانوا يعدلون عنها الواحد بعد الآخر لأسباب لا يسعنا شرحها . وقد جاءتنا الآن المجلات العلمية بخبر عظيم الشأن مؤداه أن اثنين من كبار العلماء الاميركيين، وهما الدكتور روث ، والدكتور كين (من أساتذة معامل الصيدلة بجامعة جورج واشنطون) قد اكتشفا مخدراً جديدا هو مزيج من « البارالديهايد » (Paraldehyde) والكحول بنزيل (Benzyl Alcohol) وتحقن به الحامل عند دنو الولادة فتنام نوما هنيئاً . وفي أثناء نومها يتم الوضع بلا ألم . وعندما تستيقظ لا تدرى بشيء مما حصل . وقد جرب المكتشفان هذه

المادة المخدرة فى خمسمائة امرأة، فتم وضعهن بلا ألم ويقول المكتشفان ان هذا المخدر لا يصلح للاستعمال فى العمليات الجراحية

تعقيم غير الصالحين

بلغ عدد الذين تم تعقيمهم فى ولاية كاليفورنيا بأميركا لمنعهم من التناسل ١٠٨٠١ من الأفراد، وذلك منذ صدور قانون التعقيم فى تلك الولاية الى آخر سنة ١٩٣٥

التهاب الرئة

ألقى الدكتور روفس كول من أطباء مدينة نيويورك خطبة فى مؤتمر كليات الطب الاميركية جاء فيها ان مرض التهاب الرئة هو فى الحقيقة مرضان ولكل منهما مصل خاص. وعليه فيجب على الطبيب أن يعلم أولا حق العلم نوع التهاب الرئة الذى يعالجه ليعين المصل الذى يجب عليه استعماله

ركام الجليد

يقول الخبيرون بشئون البحار إن ركام الجليد التى تكثر فى البحور المتجمدة الشمالية والتى هي أكبر خطر على البواخر تتحرك تحركا بطيئاً بمعدل مائة قدم فى اليوم

حسر البصر فى اليابان

يؤخذ من الاحصاءات الطبية الواردة من اليابان أن مرض حسر البصر آخذ فى الانتشار بين تلاميذ المدارس فى تلك البلاد. وهو يصيب الناس هنالك منذ حداثتهم. والارجح أن اليابانيين هم أقصر شعوب الناس بصراً. والنظارات مستعملة بينهم أكثر مما هي مستعملة بين أى شعب آخر. ولم يستطع الاطباء تعليل هذه الظاهرة الغريبة ولكن بعضهم يظن أن للوراثة علاقة بها!

انفجار فى الكون

منذ بضعة أسابيع اكتشف علماء الفلك بمرصد مونت ويلسون بأميركا نجماً هائل الحجم من النوع المعروف « بالنوفا » أو النجوم الجديدة. وهذه النجوم هي فى الواقع أجرام فلكية فى حالة الانفجار والتألق. وقد سمى العلماء النجم الجديد الذى اكتشفوه باسم « فرجينيس » وهو بعيد بعداً سحيقاً، فان انفجاره تم منذ سبعة ملايين من السنين، ومع ذلك لم يصل الينا نوره الا الآن. وقد بلغت سرعته عند انفجاره أكثر من ثلاثة عشر مليون ميل فى الساعة (نحو ستة آلاف كيلو متر فى الثانية)

ومثل هذا الحادث — أى انفجار النجوم — يقع مرة كل خمسمائة سنة على ما يؤخذ من الارصاد الفلكية

لصوص الكتب قديماً

ليست سرقة الكتب مهنة حديثة بل عادة جرى عليها الكثيرون فى بلاد اليونان قديماً. فقد عثر علماء الآثار على نحيتة رقيقة من الرخام فى مدينة أثينا ترجع الى القرن الاول للميلاد وقد نقشت عليها العبارة الآتية وهى: « لا يجوز إخراج كتاب من هذا المكان. والمكتبة مفتوحة للجمهور من الساعة الاولى الى الساعة السادسة »

أما المكان الذى اكتشفت فيه هذه الرخامة

فهو ساحة سوق أثينا القديمة حيث كانت مكتبة « تراجانوس » فى القرن الاول للميلاد

أطول جسر فى العالم

يدرس البرلمان الدنمركى مشروعا من أعظم المشروعات الهندسية فى العالم ، وهو تشييد جسر (كوبرى) يصل الدنمرك ببلاد السويد ويبلغ طوله ستة عشر ميلا . وتقدر نفقات بناء هذا الجسر بنحو واحد وثلاثين مليون جنيه ، وسيستغرق بناؤه نحو عشر سنوات ويكون عدد العمال فيه بلا انقطاع اثني عشر الفاً . وقدعرضت ثلاث شركات هندسية كبيرة على البرلمان الدنمركي اقتراحات للقيام بهذا المشروع العظيم

أعضاء الجسم والعمر

قد لوحظ أن أعضاء جسم الانسان كلها تتغير بمرور الزمن ومع التقدم فى السن . ولا يتناول التغيير حجم تلك الاعضاء فقط بل شكلها أيضاً . ويظهر ان الانف والفم هما أشد تلك الاعضاء عرضة للتغير فانهما يكبران بمرور الزمن

فى عالم الفلك

اكتشفت السيدة سيفرت الاميركية (وهي من موظفى مرصد جامعة هارفرد) ثلاث كتل سديمية في المجرة ، يظهر ان حجم كل منها يزيد على مجموع حجوم الاجرام الفلكية التى يتألف منها النظام الشمسى . ولم يستطع علماء الفلك أن يتحققوا حتى الآن منشأ هذه الكتل السديمية ، وسديمها لطيف جداً بحيث ان مائة الف ميل مكعب منه لا يزن أكثر من ستة عشر أونساً . أى ان الهواء أكثف من هذه السدم بنحو الف مليون مليون مرة . فتأمل ! . . .

عمر المجرة

يقول الاستاذ هنرى مينور العالم الفلكي الفرنسى ان مجموعة العوالم المعروفة بالمجرة لا تزال فى طفولتها أى ان عمرها لا يزيد على عشرين الف مليون سنة ! . . وهو يقدر عمر الكون كله منذ ظهر الى الوجود حتى الآن بنحو الف الف الف الف مليون سنة (أى الرقم ١ والى يمينه ثمانية عشر صفراً) أى ان عمر المجرة بالنسبة الى عمر الكون هو دون عمر الطفل بالنسبة الى الشيخ الهرم . وهذا العالم الفلكي هو مثل ادنجتون وليميتز ودى سيتارت من القائلين بان الكون آخذ فى الاتساع ، ومن رأيه أن ما قد فقدته أقدم النجوم بالاشعاع منذ أول ولادتها الى اليوم لا يزيد على جزء من مائة من مادتها ، أى انها لم تفقد شيئاً يذكر . فكمية مادتها لم تتغير اذن كثيراً عما كانت عليه فى الاصل وستظل كذلك مئات الملايين من الاحقاب

من آثار القوط

عثر علماء الآثار فى النمسا على مخبأ على ضفاف نهر الطونة بقرب مدينة فينا يحتوى على سيوف وحراب وخناجر قوطية . ويظهر ان هذا المخبأ كان مخزناً للسلاح أنشأه القوط هنالك عند ما اجتاحوا أوربا من جهة الشرق ووصلوا الى النمسا . والمخزن فريد فى نوعه والأسلحة الموجودة فيه هي من النوع الذى استعاره القوط من الشعوب التى كانت تسكن على البحر الاسود

مكافحة الجراد

من أحدث طرق مقاومة الجراد فى الجمهورية الفضية بأميركا الجنوبية استعمال زرنيخات الصودا. وفى الواقع ان استعمال هذه المادة قد أسفر عن أحسن النتائج وأنقذ المزروعات من أكبر آفة تهددها

من أسباب العمى

ينشأ العمى عن أسباب كثيرة من جملتها ادمان المشروبات الكحولية . ويظهر انه اذا نشأ عن إدمان مشروبات فيها كحول مستخرج من الخشب تعذر الشفاء تعذراً تاماً، واذا نشأ عن نوع آخر من المشروبات كان ثمة بعض الامل فى شفائه

السيارات فى بلاد الصين

يظهر أن بلاد الصين هى من أفقر البلاد المتمدنة فى السيارات مع انها من أوسع بلاد العالم وأكثرها فى عدد السكان . ويؤخذ من الاحصاءات الاخيرة ان عدد السيارات هنالك بجميع أنواعها من اوتوموبيلات خصوصية وعمومية ومركبات نقل لا يزيد على أربعين الفاً مع ان فى القطر المصرى ما يزيد على هذا العدد

الغنم فى المانيا

تشعر حكومة النازى الالمانية فى هذه الايام بالحاجة الى الصوف . وأصحاب المعامل الالمانية يشترون من اوستراليا كميات كبيرة منه لترويج صناعة النسيج فى بلادهم . وقد أصدرت وزارة التجارة ببرلين تعليمات مشددة الى الفلاحين الالمان تحثهم على العناية بتربية الاغنام لئلا تعانى معامل النسيج الالمانية نقصاً فى الصوف

فوائد علمية

* من أغرب العمليات الجراحية التى قام بها أحد الجراحين الالمان انه أبدل دماغ ضفدعة مائية بدماغ ضفدعة برية فعاشت الضفدعتان ولكن تغيرت طباعهما وغرائزهما وكأنما أبدلت واحدة بواحدة . ويريد الجراح المشار اليه انجاز عمليته الجراحية فى حيوانات أخرى

* من أنباء البرازيل انه أنشئت فيها شركة لاستخراج زيت كبد القرش . والقرش هو الحيوان البحرى الشرس . ويقال ان زيت كبد هذا الحيوان يفوق زيت كبد الحوت فانه أغنى منه بالفيتامين (ا) و (د)

* عثر المنقبون بين آثار اشور على قطعة من الآجر المشوى قد نقشت عليها هذه العبارة باللغة الاشورية وهى : « هذا الكتاب هو ملك اشور بانيبال ملك اشور والعالم أجمع »

* فى اجتماع مؤتمر كليات الطب الاميركية الاخير القى الدكتور سترود من أطباء فيلادلفيا خطبة عن أمراض القلب وصف بها طريقة جديدة لمعالجة هذه الامراض، وهى حقن المصاب فى أعصابه الموازية للسلسلة الفقرية بمادة الكحول واستئصال غدته الدرقية وتغذيته بالمواد ذات الكالوريات القليلة . على ان هذه الطريقة لا تجدى نفعاً فى معالجة مرض القلب الروماتزمى

* وجد علماء النبات بعد القيام بمباحث واسعة النطاق ان بعض أمراض النباتات تكثر أو تقل فى فترات معينة من السنين ، وهم يبذلون الآن المساعى الكثيرة لمعرفة سر ذلك الازدياد أو النقصان لعله يتسنى لهم التغلب على تلك الامراض

كتب جديدة

ضحى الأسلام

للاستاذ احمد أمين

نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر
الجزء الثالث فى ٤٠٠ صفحة

أخرج الاستاذ احمد أمين طائفة من المؤلفات تناول فيها درس الحياة الاجتماعية والفكرية منذ صدر الاسلام ، فكان لها أجمل الأثر فى أوساط العلماء من شرقيين ومستشرقين . وآخر هذه الكتب الجزء الثالث والأخير من « ضحى الاسلام » ، بحث فيه عن الفرق الدينية فى العصر العباسى الأول ، من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، وعرض من كل فرقة لنواحيها الدينية والسياسية والادبية

وقد سلك فى بحثه هذا مسلكا أصدق وأنفع من ذلك الذى اتخذه السابقون ، لان منهم كالشهرستانى من كان يكتفى بشرح وجهة النظر لكل فرقة ، دون أن يؤيد الرأى أو يرد عليه ، ومنهم كابن حزم من تعرض لما يخالف آراءه بالتسفيه والتعنيف ، لا بالنقد والتحليل . أما الاستاذ احمد أمين ، فقد وقف من هذه الآراء المتعارضة المتناقضة موقف القاضى العادل ، يدقق النظر فى أقوال مؤيدى الرأى ومهاجميه ، ويصغى لحجج الفريقين ، ويتجرد ما استطاع من إلفه وعادته . حتى اذا نضج الرأى وتبين له الصواب ، أصدر حكمه مؤيداً بدليله فى غير حرج ولا تسفيه ، لأن قوة الحجة فى معانيها الكامنة لا فى أشكالها الظاهرة

وقد لقى الاستاذ فى هذا الجزء من العناء أكثر مما لاقى فى غيره من الاجزاء ، لان العقائد الدينية قد عملت فيها الأهواء أكثر مما عملت فى غيرها من مناحى الحياة ، فهذه كتب المعتزلة مثلا قد أبيدت كلها ، ولم يبق عنهم إلا ما يحكيه أعداؤهم ، وهؤلاء فى كثير من الاحيان لا يدلون بحججهم فى قوة كالتى يدلي بها أصحابها ، فهم يضعفون الدليل ويقوون الرد . ولكن عناءه هذا لم يضع عليه ! فهو اليوم حجة بينة فى الأدب العربى ، وثقة ثبت فى التاريخ الاسلامى

المآسي التاريخية الكبرى

للاستاذ حسن الشريف

مطبعة الهلال فى ٢٨٧ صفحة

هذه طائفة من الاحداث التاريخية الكبرى ، انتقاها الكاتب الكبير الاستاذ حسن الشريف من شتى العصور ، واستقى أنباءها من أصدق الاسفار ومن ثقات المؤرخين ، ثم عرضها فى صورة ملخصة تجلت فيها شخصيته كباحث مؤرخ ، وكاتب بارع ، له فى عرض بحوثه طريقة شائقة : فهو يستهلها ببداية ممتعة تغرى المرء بأن يتناولها بالمطالعة ، ويستوعبها بشوق عظيم ، ثم يتدفق فيها بأسلوب بليغ يجمع بين السلاسة والرصانة ، فلا يدعها القارىء حتى ينتهى منها بخاتمة قلما يخطىء الاستاذ فى أن يجعلها خيراً من البداية متعة وجمالا . وإن له من أسلوبه القصصي الطريف ، ومن مقدرته فى التعبير والتصوير ، ما يجعله ينتقل بقارئه الى الزمن الذى يروى

حوادثه ، ويثير فى نفسه الشعور الذى يحس به ويتملكه . أى انه يجمع بين صفة المؤرخ الحديث فى دقته وصحة استنتاجه ، وصفة الاديب فى جمال أسلوبه وصدق تصويره . ولهذا كان كتابه « المآسي التاريخية الكبرى » مزيجاً من اللذة والفائدة، لانه يغنى عن قراءة المطولات التى لا تفيد غير المتخصصين والراغبين فى التبحر والاستقصاء ، كما يغنى عن التلهى بمطالعة الروايات الخيالية أو المصنفات التى يسميها أصحابها قصصاً تاريخية ، وهي ليست من التاريخ فى شىء

وإن لنا ، وقد أعجبنا بهذا الكتاب أيما إعجاب ، أن نطلب الى الاستاذ الشريف أن يتحفنا بكتاب آخر ، يتناول فيه ما يحفل به التاريخ المصرى قديماً وحديثاً ، والتاريخ الاسلامي فى مختلف مراحله ، من أحداث ومآس رائعة ، إذ هو من خير من يقدر على جمع أشتاتها من بطون الكتب ، وتصوير وقائعها بأسلوب حى بليغ

معجم الأدباء لياقوت

جزءان من مطبوعات دار المأمون

صفحاتهما ٢٨٥ و٢٧٢

أخرجت دار المأمون التى أنشأها الاستاذ الكبير الدكتور احمد فريد رفاعى مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة ، طائفة من الكتب الأدبية الرائعة منها ما هو من وضع منشئها ، ومنها ما هو بعث واحياء للآثار الخالدة فى الأدب العربى . وقد تولت الدار أخيراً نشر «معجم الأدباء» لياقوت فأصدرت منه جزءين فى ورق جيد وطبع أنيق وحلة زاهية

وقد أشرف الدكتور احمد فريد رفاعى على طبع الكتاب وتنقيحه وضبطه ، ووضع له مقدمة شائقة تدل أبلغ الدلالة على صادق الجهد والرغبة فى إعلاء شأن الأدب العربي

والحق ان إعادة نشر هذا المعجم الذى يستوعب عشرين مجلداً عمل جبار وخطوة عظيمة فى سبيل احياء تراثنا العربى

وليس شك فى أن العناية بالأدب العربى القديم تضاعف الشعور بالعزة القومية ، وتجرى فى نفوس أدباء هذا العصر ضربا من التعادل بين روح الثقافة الأوربية الحديثة وروح الثقافة العربية ، فتنشأ بذلك روح التفاهم بين حضارتين وثقافتين جمعت فيهما خلاصة الثقافات الغربية والشرقية

ومما لا يقبل الريب ان الاستاذ الدكتور احمد فريد رفاعى فى طليعة من يسعون لتحقيق هذا الغرض الاسمى بمختلف المطبوعات القيمة التى تخرجها دار المأمون

وكتاب معجم الادباء مطبوع بمكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه فى مصر وقد راجعته وزارة المعارف العمومية

مذكراتى فى نصف قرن

للحاج احمد شفيق باشا

(طبع بمطبعة مصر . عدد صفحاته ٣٧٠)

ان كتابة المذكرات من الفنون الشائقة التى عني بها الغربيون كل العناية وأحلوها المكان الأرفع من اهتمامهم وساهم فيها كبار كتابهم ومفكريهم بأوفر قسط . والواقع انها ملحق خاص يضاف الى التاريخ العام أو هي التاريخ نفسه من وجهة نظر صاحب المذكرات . فكلما كان الكاتب قوى الحافظة شديد الملاحظة حافل الذهن بالاختبارات والتجاريب ، جاءت مذكراته صادقة رائعة فأسدت الى التاريخ أكبر

خدمة فى معرفة العصر الذى عاش فيه والبيئة التى اكتنفته

وجميع هذه العناصر تتوافر فى الجزء الثانى من كتاب « مذكراتى فى نصف قرن » للحاج احمد شفيق باشا

وهذا الكتاب يحدثنا عن عهد عباس حلمى الثانى من يناير عام ١٩٠٣ الى عام ١٩١٤

وقد عرض المؤلف فى هذا الجزء مختلف الحوادث البارزة فى ذلك العهد كرحلة الخديوى الى الاستانة والخلاف الذى نشب بينه وبين كرومر ، وأثر الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا فى سياسة مصر ، وعلاقات الخديوى بالانجليز ومصطفى كامل

ثم تطرق الى الحرب الطرابلسية ، فحرب البلقان ، حتى انتهى الى الحرب الكبرى

فانت ترى من ذلك ان الكتاب قطعة حية من التاريخ الحديث ومرجع لا يستغنى عنه كل مصرى لمعرفة مرحلة خطيرة من مراحل الحياة التى اجتازتها بلاده

كمال أتاتورك

للاستاذ محمد محمد توفيق

طبعته ونشرته دار الهلال فى ١٩٠ صفحة

يصور هذا الكتاب النفيس بطل تركيا الحديثة « كمال أتاتورك » فى شتى نواحيه ، ويدرسه فى مختلف أدواره ، منذ كان طفلا يرعى الغنم فى القرية ، الى أن صار زعيما على رأس شعب له ماض مجيد ، ثم حاكما تقيم الدنيا وتقعدها إشارة من بنانه . ففى جزئه الأول يتحدث عنه طالباً يدعو زملاءه إلى الثورة ، وضابطا يؤلب رفاقه على السلطان المستبد ، وقائداً يسوق الجحافل إلى النصر المؤزر ، دون أن تخونه الرجولة فى الأولى كما تخون من يستخفهم الفرح ويزدهيهم ، ودون أن تخطئه البطولة فى الثانية كما تخطىء من يوهنهم الاخفاق ويذهب بريحهم . ويبدأ جزؤه الثانى عندما انتهت الحرب الكبرى بهزيمة تركيا ، واجتمع الحلفاء فى باريس يتقاسمون بينهم أملاكها الشاسعة

وهنا ترى أتاتورك وقد راح يناضل ما يحيكه الخليفة وأعوانه من الفتن والدسائس ، كي يخدروا الشعب ويقعدوا به عن الجهاد ، ثم تراه وقد صمد لأعداء بلاده لأنه يريد أن تموت أمته شهيدة لا ذليلة . وما هى إلا عشية أو ضحاها حتى ينبعث الشعب اليائس مكافحا مجاهداً ، فيودى بأعدائه اشلاء تتناثر ودماء تمور . وهكذا أثبت أتاتورك ان الامبراطورية العجوز لم تمت الا بعد ان ولدت تركيا الفتاة التي تبدأ عهداً جديداً هو الذى يتناوله الكتاب فى جزئه الثالث من نواحيه السياسية والاجتماعية والفكرية . ففيه دالت الخلافة باستبدادها وآثامها ، بتقاليدها ومظاهرها ، بحريمها وحظاياها ، بدراويشها وتكاياها ، وقامت الجمهورية بآمالها وجهادها تنشىء الاساطيل والجيوش ، وتقيم المدارس والمصانع ، وتحرر المرأة من اغلالها ، وتبث الرجولة فى ابنائها ، وبذلك تضرب لهذا الشرق اليائس القانط ، اروع الأمثلة عن الشعوب وجهادها ، وبذلك تنير للأمم الواهنة المتخاذلة طريق الحياة العزيزة الرفيعة

ولا شك ان كتابا يستخلصه مؤلفه من عشرات المصادر المعتمدة ، ومن احاديثه مع كثير ممن زاملوا اتاتورك ولازموه ، ثم يعرضه مؤلفه فى هذا الاسلوب القصصى الرائع ، ويبث فيه تلك العاطفة المتقدة الثائرة جدير بالاعجاب والتقدير !

الجيش المصري فى حرب القرم
والمسألة السودانية
لسمو الأمير عمر طوسون

طبعا بمطبعة المستقبل بالاسكندرية صفحاتها ٢٥٠ و ١٠٢

أصدر سمو الأمير كتابين نفيسين الأول عن (الجيش المصرى فى حرب القرم) والثانى عن (المسألة السودانية)

وفي الكتاب الاول يبسط المؤلف تاريخ حرب القرم بسطاً تفصيلياً وافياً ثم يصف النجدات العسكرية التى أمر بارسالها عباس الأول، ثم يتحدث عن ميزات الجيش المصرى وحسن ترتيبه ونظامه وقدرته الخارقة على احتمال واجبات الحرب. وكل ذلك بأسلوب واضح مدعم بالبيانات والارقام

أما كتاب الاميرعن المسألة السودانية، فسفر يجب ألا تخلو منه مكتبة مصرى. إذ هو يشرح جميع الادوار التى مرت بالمسألة السودانية، ابتداء من تدخل انجلترا فيها عام ١٨٨٢ م وبعد الاحتلال البريطانى لمصر بخمسة عشر يوما حتى عقد اتفاقية ١٩ يناير عام ١٨٩٩

والكتاب مبوب وفق سير الحوادث التاريخية وحافل بالوثائق والمستندات التى تجعل منه مرجعاً من أهم وأخطر المراجع لمعرفة تاريخ مصر الحديث

ولا يسعنا الا أن نسجل خالص اعجابنا بمؤلفات سمو الامير لانها جهود علمية وجهود وطنية في الوقت نفسه !!

وقد طبعت المذكرتان على نفقة سمو الامير عمر طوسون، وهى مكرمة جديدة تضاف الى مكارمه السابقة

ديوان عبقر
للشاعر شفيق معلوف

طبع بمطبعة مجلة الشرق بلبنان. صفحاته ١١٢

يمتاز الشاعر شفيق معلوف بخيال وثاب ورغبة واضحة فى تجديد معانى الشعر العربى. ويظهر أنه قد ارتوى من ينابيع الشعر الفرنسى وطالع بودلير بشغف، ولكن أثر الثقافة الاجنبية لم يفقده شخصيته ولم يحل بينه وبين التحليق فى جو ابتدعه لنفسه

ومن موضوعات قصائده يمكنك أن تعرف نزعته. وأروع هذه القصائد هي: «يقظات ورؤى» و «حديث الشيطان» و «البلد المرصود» و «أبالس الابراج» و «عرافة عبقر»

وليس شك فى أن نزعة هذا الشاعر الموهوب هي تصوير ذلك الاتصال الروحى الذى يتم فى نفس الشاعر بينه وبين العالم غير المنظور، أى ذلك العالم السحرى الغريب الحافل بالاحلام والهواجس والرؤى، والذى ينكشف للانسان الممتاز ساعة التجرد عن عقله والانسلاخ عن ذهنه والعودة الى فطرته السليمة الاولى

وأبدع مقطوعات هذا الديوان قصيدة «نشيد البغايا» التى تدمج أغانيها اندماجا تاما فى حياة ذلك الرهط من النسوة البائسات، والتى تطالعها فتشعر بهن أمامك يعربدن ويرقصن وفى قلوبهن حسرة لن تموت ولن تخمدها الملذات أبدا !

أساطير العالم للاطفال
للاستاذ كامل كيلانى

ست قصص طبعت بمطبعة المعارف بالقاهرة

كان ينقص الحركة الفكرية الحديثة فى

مصر أن يتولى أحد رجالها العناية بأدب الاطفال . وقد سد الاستاذ كامل كيلانى هذا النقص بمكتبة الأطفال التى انشأها والتى تؤلف مجموعة رائعة من القصص تغذى فى نفوس الصغار ملكات التخيل وتقوى فيهم الملاحظة والاستقراء وصحة الاستنتاج . وقد جمع المؤلف فى كتبه الجديدة أشهر الأساطير العالمية المعروفة وركزها وبسطها وجعلها فى متناول كل طفلة وطفل . ونحن ننصح الآباء جميعاً باقتناء هذه القصص وتعويد أبنائهم مطالعتها ، ففيها فائدة عقلية وترفيه وتسلية

الشيخ عفا الله وقصص أخرى

للاستاذ محمود تيمور

طبع بالمطبعة السلفية . صفحاته ١٧٦

توفر الاستاذ محمود تيمور على فن القصة فأتقنه وأجاده . وهو ميال بحكم مزاجه الى الأقصوصة التي يقيمها فى الغالب على حادثة طريفة أو فكرة شائقة أو ملاحظة خلقية هامة

وهو قليل العناية بالتحليل النفسانى ولكنه جم الاهتمام بوصف المشاهد المصرية الغريبة والشخصيات المصرية الشاذة . وفى هذا ما فيه من دلالة على قدرة الكاتب على ملاحظة الوسط الذى يحيط به والعادات والأخلاق الشائعة

وينحو الأستاذ تيمور فى أساوبه نحو البساطة المطلقة . وقد أخذ عليه البعض هذه النزعة ولكنها تتفق وموضوعات قصصه وأبطالها

والواقع أن معظم أبطاله سذج بسطاء لا يطيلون التفكير ولايطيلون التأمل ولايطيقون انعام النظر فى نفوسهم ، إذ هم فى الغالب من عامة الشعب أو من الطبقة الوسطى

وهذا الفن البسيط الصافى نجده ممثلا فى كتابه الجديد « الشيخ عفا الله » وفى مختلف القصص المشتمل عليها . وأبدعها « الشيخ علوان » و « نجيه بنت الفقى » و « ذكرى »

وفى القصة الثانية نلمح فى فن تيمور أثر الفن الروسى . ذلك الفن الذى يرمى الى رسم الحقيقة الواقعة ، ولكن فى إطار من الخيال الشعرى البديع الذى يبرز فى حلة من الجمال

سرى

للاستاذ خليل السكاكينى

طبع بالمطبعة التجارية بالقدس . صفحاته ١٦٩

الاستاذ خليل السكاكينى من خيرة أدباء الشرق العربى ، وقد طالما نفح الصحف المصرية ببحوث طريفة فى الأدب والاجتماع والفن . وقد أصدر الاستاذ السكاكينى كتابه الجديد (سرى) خالعاً عليه اسم نجله موجها اليه فيه رسائل عامرة بشتى الآراء والنظرات في الادب والحياة. والواقع أن هذا الكتاب دراسة مستفيضة فى فلسفة التربية وفلسفة الحياة العملية

وقد راعنا من كتاب الاستاذ السكاكينى رسالته فى الفارق بين الروح الاتكالية والروح الاستقلالية وأثر كل منهما في شباب الشرق العربي . وفى رأينا أن هذه الرسالة تتوج الكتاب وتلخصه وتعبر أعمق تعبير وأتمه عن نزعة القوة والحرية الشائعة فيه

اعتذار

وردت الينا خلال عطلة الهلال طائفة كبيرة مما جادت به قرائح المؤلفين فى الاقطار العربية . فلم نستطع التنويه عنها فى عدد الهلال الماضى الخاص بالحرية والاستقلال . وقد نوهنا فى هذا العدد بما اتسع له المقام من المؤلفات مرجئين الباقي للعدد القادم ان شاء الله

بين الهلال وقرائه

آخر الفراعنة

(بونس ايرس ـ الارجنتين) انطون جبور

من هو آخر الفراعنة ، وأية دولة قضت على سلطان الفراعنة ، ومتى كان ذلك ؟

(الهلال) كان آخر الفراعنة نختار هب خاتمة ملوك الدولة الثلاثين . وقد وقعت الحرب بينه وبين الفرس في القرن الرابع قبل الميلاد . وكان ملك الفرس يومئذ ارتازرس الثالث الملقب « باوخوس » وبسم السعد للمصريين في أول الأمر فجرد الفرس عليهم حملة ثانية بقيادة الملك نفسه . ولم يلاقوا عناء كبيراً في سبيل إخضاع مصر . وكان لملك مصر جيش من مرتزقة اليونان يدافع عن بعض مدن البلاد . وحاصر الفرس مدينة بلوزيوم وكان فيها حامية يونانية وبدلا من أن ينجد « نختار هب » تلك الحامية هرب الى بلاد الحبشة فاستولى الفرس على البلاد . وكان ذلك سنة ٣٤١ قبل الميلاد وفيها انتهى حكم فراعنة مصر

الاغريق والرومان

(بونس ايرس ـ الارجنتين) ومنه

أيهما أعرق في الحضارة : الاغريق أم الرومان ؟

(الهلال) الاغريق (أو اليونان) أعرق حضارة من الرومان فان الجمهورية الرومانية ، لم تظهر الا بعد أن كان الاغريق قد قطعوا مرحلة كبيرة من مراحل التمدن

أطول الحشرات عمراً

(حيفا ـ فلسطين) أحد القراء

ما هي أطول الحشرات عمراً ؟

(الهلال) هي الحشرة المعروفة بجرادة الحصاد أو ذبابة الحصاد وتعمر سبعة عشر عاما

السديم

(سان باولو ـ البرازيل) ى . ع

ما هو السديم وما هي الجزر الكونية ؟

(الهلال) يؤخذ من الأرصاد الجوية أن بعض السدم هي مجاميع من النجوم البعيدة عن الكرة الأرضية بعداً شاسعاً لا يمكن أن يقاس الا بالسنين الضوئية . وبعض السدم الاخرى هي كتل من الغازات الملتهبة ذات الحرارة الهائلة التي تصهر كل مادة في أقل من طرف العين ، وأكثرها مؤلفة من غازى الايدروجين والهيليوم . ومن تلك السدم كتل لولبية الشكل وهي مجاميع من النجوم لا مجاميع كتل غازية . ولم يتفق علماء الفلك حتى الآن على حل لغز السدم ومعرفة كيفية نشوئها . والآراء في ذلك كثيرة متباينة

حجم الرأس والعقل

(سان باولو ـ البرازيل) ومنه

هل بين حجم الرأس وقوة العقل أية علاقة ؟

(الهلال) هذا ما يعتقده الذين يؤمنون بعلم الفراسة ، ولكن ليس في العلم ما يثبته . والتاريخ يؤكد لنا أن الكثيرين من العلماء المشهورين كانوا ذوى رءوس صغيرة حالة أن الكثيرين من ذوى القوى البسيطة كانوا كبار الرءوس !

وحيد القرن

(الخرطوم ـ السودان) أحد المشتركين

هل الحيوان المسمى وحيد القرن حقيقي أم هو من الحيوانات الخرافية ؟

(الهلال) هو من الحيوانات الخرافية كالتنين والرخم وثعبان البحر وغير هذه من الحيوانات . على أن بعض الكتاب يطلقون اسم وحيد القرن على

السكركدن (بتشديد الدال) وهو حيوان فى جثة الفيل خلقته خلقة الثور، الا أنه أعظم منه وعلى رأسه قرن واحد. ويعرف هذا الحيوان فى مصر والسودان بالخرتيت وجلده ثخين جداً تصنع منه شرائح وتعمل هذه الشرائح عصياً. وأهل السودان يصنعون من جلده أيضاً تروساً

اشتعال الديناميت

(الخرطوم – السودان) ومنه

يقال إن مادة الديناميت اذا وقعت فى النار تشتعل ولا تنفجر. فهل هذا صحيح؟

(الهلال) نعم فقد يشتعل الديناميت وتنفصل جواهره بعضها عن بعض بكل هدوء، ومن دون أن يقع أى انفجار. ولكن اذا أصيبت كتلة منه بصدمة فجائية شديدة انفصلت الجواهر بقوة هائلة وأحدثت انفجاراً عظيما ودويا شديدا

الدم فى جسم الانسان

(اللاذقية – سورية) أحد القراء

كم كمية الدم التى فى جسم الانسان؟

(الهلال) تختلف باختلاف حجم الجسم ومتوسطها نحو جالونين

الكريات البيض

(اللاذقية – سوريا) ومنه

ما وظيفة الكريات البيض التى فى دم الانسان؟

(الهلال) وظيفتها مهاجمة الجراثيم التى تصل الى الدم. وهى تفترس تلك الجراثيم وتهضمها

قياس المطر

(نيويورك – الولايات المتحدة) ر. حداد

كثيراً ما نقرأ فى الصحف انه وقع كذا من البوصات من المطر فى يوم كذا. فا المراد بالبوصة وكيف يقاس المطر؟

(الهلال) المقصود بقولهم «بوصة» مطر كمية المطر الذى يقع فى مكان مساحته نحو فدان وتخانته بوصة واحدة. ويعادل هذا سبعة وعشرين ألف جالون. فاذا فرضنا أن مساحة مدينة من المدن مائة ألف فدان مثلا فان بوصة من المطر الذى يقع عليها تعادل بليونى جالون وسبعمائة مليون جالون

تسمية بحور الشعر

(بيت جالا – فلسطين) «زهير»

لماذا سميت بحور الشعر العربى بأسمائها المعروفة، وهى الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب والمتدارك والخبب؟

(الهلال) سمى الطويل طويلا لأنه أطول الأبيات إذ هو من ٤٨ حرفا. نعم ان المديد والبسيط كذلك فى دائرتها الا أن المديد لا يستعمل الا مجزوءاً والبسيط يجب نقص حرفين منه دائماً لأن العرب لم تستعمله كأصله فى الدائرة. وسمى المديد مديداً لامتداد أجزائه السباعية حول الخماسية. وقال الخليل وغيره لامتداد سببين فى طرف كل من سباعيتيه، وسمى البسيط بسيطا لانبساط الأسباب الخفيفة فى صدر كل جزء من أجزائه. وسمى الوافر وافراً لكثرة الحركات فيه. وسمى الكامل باسمه لأنه تكملت فيه ثلاثون حركة، وليس فى بحور الشعر ما استعملت فيه ثلاثون حركة غيره. وسمى الهزج باسمه لأن كل جزء منه يتردد فى آخره سببان من التهزج وهو ترديد الصوت. وقيل لأنه يترنم به. أما الرجز فمأخوذ من قولهم رجز البعير اذا ارتعش عند القيام لضعفه. فالمرتجز كأنه مرتعد لقصر أبياته. قال ابن القطاع والسهيلى ويجوز أن يكون من رجزت الجمل اذا عدلته بالرجازة وهى كساء تجعل فيه أحجار ويعلق بأحد جانبي الهودج اذا مال ليعتدل. أما الرمل فمن قولهم رملت الحصير اذا نسجته. وقيل من رمل فى السير اذا أسرع. وسمى السريع سريعاً لسرعته على اللسان. وسمى المنسرح كذلك لانطلاقه وسهولته على

اللسان . وقيل لانسراحه من أمثاله أي مفارقته لها . وسمى الخفيف خفيفاً لخفته على الذوق لكثرة ما فيه من الاسباب . وسمى المضارع كذلك لأنه ضارع المزج من وجهين أحدهما تقدم وتدى المجموع على سببيه معاً . والثانى أنه سداسى بحسب جزئه كالمزج، وقال الخليل لأنه ضارع الخفيف فى أن أحد جزئيه مفروق الوتد والآخر مجموع . وسمى المقتضب مقتضبا لأنه اقتضب أي قطع من المنسرح . وسمى المجتث باسمه لأنه اجتث أى قطع من الخفيف . وسمي المتقارب كذلك لتقارب أجزائه لأن جميعها خماسية فلم تطل ولم تتباعد بكثرة الحروف وقيل بل لتقارب أوتاده بعضها من بعض إذ بين كل وتدين سبب خفيف . وسمى المتدارك باسمه لأنه ليس من وضع الخليل وانما تداركه الأخفش . ويقال له أيضاً المحدث والمخترع . وأما الخبب فهو بحر المتدارك عينه وكل جزء منه مخبون (أى فعلن بدلا من فاعلن) هذا ما قيل فى تسمية بحور الشعر

سبب السكر

(يافا — فلسطين) احسان الحورى

ما هو السبب الذى يجعل الانسان يسكر عندما يشرب مادة فيها الكحول ؟

(الهلال) ليس السبب معروفا تماما . وأحدث النظريات في تعليل ذلك ان الكحول يحرم الدم جانباً كبيراً من الاكسجين الذى يحتاج اليه ، بدليل أننا اذا عالجنا السكير بالاوكسجين وثانى اكسيد الكربون صحا فى الحال . ولا يخفى أن في مقدمة دلائل السكر أن السكران يفقد توازن جسمه بحيث لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه ، ثم يفقد ملكة المنطق والنطق الفصيح والذاكرة . ويظهر أن جميع هذه الأعراض هى الاعراض التى يشعر بها الذين يتسلقون الجبال العالية ، وكلما ارتفعوا في تسلقهم قوى شعورهم بتلك الأعراض . واذا فحصنا دمهم وهم على هذه الحال اتضح لنا أن كمية الكحول التى فيه قد زادت زيادة محسوسة بسبب قلة الاكسجين فى المناطق الجوية العالية . فاذا هبط المتسلق الى أسفل نقصت فى الحال كمية الكحول التى في دمه وعاد الى حالته الطبيعية . فجميع هذه القرائن تدل على أن سبب السكر هو قلة كمية الاكسجين فى الدم الذى يغذى الجسم ولا سيا الدماغ

أكبر الحيوانات المنقرضة

(يافا — فلسطين) ومنه

ما هو اكبر حيوان وجد على هذه الأرض من الحيوانات الباقية أو المنقرضة وما هو حجمه ؟

(الهلال) لقد شهدت الأرض في العصور الجيولوجية الخالية حيوانات كثيرة هائلة الحجم ، منها زحافات ومنها ذوات قوائم وقد انقرضت جميعها . ولعل اكبرها حجما الحيوان المعروف علمياً باسم «بلوشتيريوم» أى وحش بلوخستان ، وهو من نوع وحيد القرن ، وكان يعيش فى أواسط آسيا منذ نحو خمسة وعشرين مليون سنة ثم انقرض . وكان وزنه نحو عشرة أطنان وطوله نحو عشرة أمتار وارتفاعه نحو ستة أمتار ، أى أن حجمه كان يعادل ضعفي حجم اكبر فيل معروف في الوقت الحاضر ، وكانت جميع الحيوانات البرية ترهب هذا الحيوان بسبب قوته الهائلة . وفي متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي هيكل عظمى خيالى لهذا الحيوان

بعوضة الملاريا

(القاهرة — مصر) أحد القراء

بمناسبة انتشار الملاريا فى مصر في هذه الأيام نرجو منكم أن تفيدونا عن بعوضة الملاريا وبماذا تختلف عن البعوضة الاعتيادية وهل يمكن تمييزها بسهولة لكى يتسنى اجتنابها ؟

(الهلال) تعرف هذه البعوضة باسم «انوفيليس» وهي كلمة يونانية معناها الحشرة المضرة . وهى كثيرة الشبه بالبعوضة (الناموسة) الاعتيادية ، لا يستطيع أن يميزها منها الا الخبير بأنواع الحشرات . ومن المعروف عنها انها عندما تهبط على الجسم يكون وضعها عليه أفقيا تقريبا بخلاف البعوضة الاعتيادية فانها تكون في اتجاه مائل غير أفقي . وزباناها طويلتان جداً . وطنينها

أخف من طنين البعوضة الاعتيادية ولسعتها أقل إيلاما . والغريب ان هذه البعوضة — خلافاً لما يعتقده الكثيرون — لا تعدي أحداً بمرض الملاريا الا اذا كانت قد لسعت قبلا رجلا مصابا بهذه الحمى وامتصت دمه ، فانها في هذه الحالة تنقل العدوى من الجسم العليل الى الجسم السليم

ولا شك ان أحسن طريقة لمكافحة الملاريا هي نضح المستنقعات والمراحيض والمياه الموبوءة ، بزيت البترول فانه يبيد بيض البعوض . ولم يكتشف الطب حتى الآن دواء لداء الملاريا خيراً من الكينا

هل السمن وراثي ؟

(القاهرة — مصر) ومنه

هل سمن الجسم وراثي في الانسان ؟

(الهلال) الأرجح أن كلا السمن والنحول وراثي في الانسان . وهنالك قرائن ومشاهدات كثيرة تدل على وجود علاقة بين الوراثة وجسم الانسان

السبانخ

(طنطا — مصر) ج . م

هل صحيح ان أكل السبانخ يساعد الاولاد على النمو ويقوي أجسامهم ؟

(الهلال) لا شك ان للسبانخ فوائد كثيرة وقد كانت الصحف الاميركية ، حتى عهد قريب تنشر دعاية واسعة النطاق لهذا البقل . على انه قد اتضح أخيراً أن ما يعزى اليه من الفوائد مبالغ فيه ! إذ قد ثبت من التحليل الكيمياوي انه يحتوي على حامض الأوكساليك . ومما يجدر بالذكر أن رهبان العصور الوسطى كانوا يقتصرون على السبانخ في أيام صيامهم

هل يصل الانسان الى القمر

(مجدل عسقلان — فلسطين) فايز شاهين

قرأت في إحدى المجلات العلمية أن أحد الطيارين قد استعد للصعود الى أعلى طبقات الجو بطيارة خصوصية ترتفع بمتوسط عدة كيلومترات في الثانية . وغرضه الوصول الى القمر وانه قد اتخذ جميع الاحتياطات اللازمة لمقاومة العوامل الطبيعية التي هي خطر عليه . ولم أقرأ فيما بعد نبأ عن رحلة هذا الطيار . فهل تعلمون عنه شيئا ؟ وهل تعتقدون أنه سيأتي يوم يستطيع فيه الانسان الوصول الى القمر ؟

(الهلال) قرأنا غير مرة عن طيارين حاولوا الوصول الى القمر بطيارة مصنوعة على شكل قذيفة تندفع من الداخل بقوة الانفجارات المتتالية . ولكن أحلام أصحابها لم تتحقق بعد ولا ينتظر أن تتحقق في المستقبل القريب . والوصول الى القمر غير ممكن الا اذا تمكن الانسان من تذليل عقبتين كبيرتين وهما (١) اجتياز المنطقة الجوية الخالية من كل هواء بين الارض والقمر على ارتفاع نحو مائتي كيلو متر عن سطح الكرة الأرضية . (٢) التغلب على جاذبية الارض . واذا فرضنا امكان تذليل هاتين العقبتين بقيت مسألة الاقامة بالقمر ، والدلائل العلمية جميعها تؤكد أن القمر لا يصلح للحياة الشبيهة بالحياة التي على هذه الأرض لأن الأحوال الجوية والطبيعية فيه تجعل الحياة فيه مستحيلة

النيكوتين

(مجدل عسقلان — فلسطين) ومنه

أنا من المغرمين بتدخين التنباك وعندما أتعاطاه أشعر بانتعاش عظيم . فهل استمر على تعاطيه أم أتركه وهل هناك علاج يجعله مكروها الى الانسان فينقطع عنه ؟

(الهلال) الافراط في كل شيء مضر . فاذا استعملتم التنباك باعتدال فان مادة التنباك قد تحدث فيكم انتعاشاً لأن ذلك من خواص مادة النيكوتين ، بل كثيراً ما تساعد هذه المادة على تنظيم حركة الأمعاء . وعلى كل فانا لا نعرف علاجا لكي يكره الانسان التنباك

ماذا يخبئه العام الجديد ؟

مواطن الخطر في أوربا

من أين تأتي الحرب المقبلة ؟

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

اصطلح كتاب السياسة في الغرب على قسمة الدول الأوربية التي اشتركت في الحرب العظمى الى قسمين : قسم الواجدين « The Haves » وقسم الفاقدين أو الطامحين « The Have-nots »

والمقصود بالواجدين هو الدول التي خرجت من الحرب العظمى راضية عن نصيبها كارهة للتغيير والتبديل في الأحوال الدولية العامة ، راغبة في الاستقرار وبقاء الامور على ما هي عليه ، وهي ، انجلترا ، وفرنسا ، والبلجيك ، وشيكوسلوفاكيا ، ويوغسلافيا ، ورومانيا ، وتلحق بهم بولونيا من بعض الوجوه لولا انها تطلب التوسع وتشكو زيادة السكان

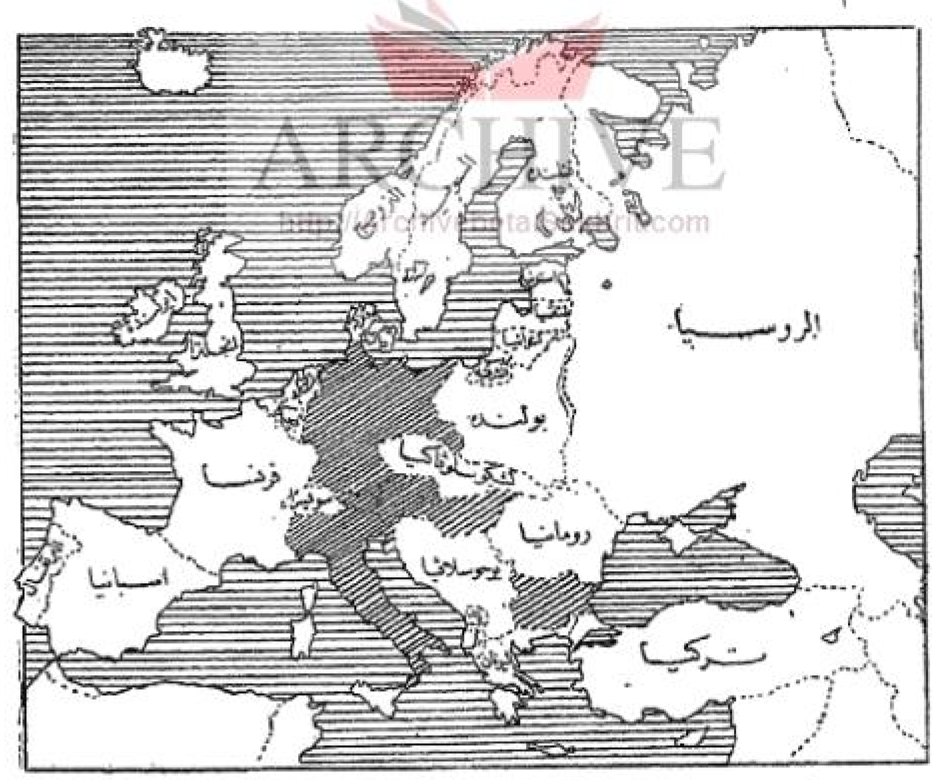
والمقصود بالفاقدين أو الطامحين هو الدول التي خرجت من الحرب العظمى ناقمة غير قانعة ، أو خرجت منها محرومة بعض ما كانت تملك من المستعمرات ، شاعرة بالحاجة الى التوسع والامتداد ، راغبة في تبديل الاحوال الحاضرة ولو لجأت الى الحرب والثورة والاضطراب ، وهذه الدول هي المانيا وايطاليا والنمسا والمجر وبلغاريا

ولو اقتصر الانقسام على هذين الفريقين لكان الخطر من الحرب المقبلة أقل مما هو في الواقع وأدنى الى السهولة في العلاج واتخاذ الحيطة . ولكن الواقع ان الواجدين منقسمون فيما بينهم الى أقسام لا تلبث على وضع واحد ، كما ان الفاقدين منقسمون فيما بينهم الى أقسام ينافس بعضها بعضاً ويجور بعضها على بعض بحيث يصعب التوفيق بينها ، ويتفق في كثير من الاحيان ان ارضاء واحدة منها يستلزم الاجحاف بغيرها أو الغض من مطالبها وآمالها ، ومثال ذلك المانيا وايطاليا فانهما من فريق الطامحين وتتشابهان في نظام الحكومة الفاشية وتحتاج كلتاهما الى الأخرى في محصولات الزراعة والصناعة ، ولكنهما مع هذا تختلفان في السياسة

النمسوية أبعد اختلاف ، ولا بد من الاصطدام بينهما من جراء هـذه المسألة وما وراءها من مسائل المجر ويوغسلافيا وسائر الجارات الصغار

ومثال ذلك من الجهة الأخرى ان الدولة الواجدة الراضية عن نصيبها باعتبارها دولة واحدة ، قد تنقسم على نفسها انقساما عسيرا على الاصلاح والتوفيق ، كما هو الحال في يوغسلافيا التى تشتمل على عنصرين كبيرين بينهما عداء شديد واختلاف بعيد ، وهما عنصر الصربيين وهم تابعون للكنيسة الارثوذكسية يكتبون الحروف الروسية ويعيشون على الاساليب الشرقية ، وعنصر الكرواتيين وهم تابعون للكنيسة الكاثوليكية يكتبون الحروف اللاتينية ويعيشون على الاساليب الاوربية ، ومقتل الملك اسكندر جريرة واحدة من جرائر الشقاق بين العنصرين

يضاف الى فريقى الواجدين والفاقدين فريق آخر ليس بالفاقد ولا بالواجد ، ولكنه على أعظم الخطر فى معترك السياسة الدولية ، ونعنى به بلاد الدولة الروسية القديمة أو البلاد المعروفة الآن باسم اتحاد الجمهوريات الشيوعية



خريطة أوربا تبين الدول الفاقدة وهى المظللة بالخطوط ، والدول الواجدة وهى المتروكة بلا ظل

فهذه الدولة ليست بالفاقدة لانها لا تطمع فى المستعمرات أو التوسع فى الفتوح ، وليست بالواجدة لانها لا ترضى بالاستقرار ولا تزال تنظر الى اليوم الذى تنهار فيه قواعد النظام القائم فى العالم على رءوس الأموال ، وقد جنحت فى عهد ستالين الى تنظيم الشئون الداخلية وتفضيل ذلك الى حين على تحريك الثورة العالمية ، خلافا لمذهب تروتسكى الذى يرى ان سلام الجمهوريات الشيوعية لا يتحقق الا بالعمل على تحريك الثورة فى العالم بأسره . . . ولكن ستالين وتروتسكى يستويان فى انتظار الانقلاب الموعود وكراهة الاستقرار فى أمم العالم على أساس رأس المال

والدولة الروسية – وان لم تكن داخلة فى تقسيم الواجدين والفاقدين – هى محور الخلاف الآخر الذى لا يقل خطرا عن ذلك التقسيم ، ونريد به الخلاف بين الحكم على القواعد الشيوعية والحكم على القواعد الفاشية ، وهو خلاف واقع فى كل أمة من أمم الغرب فضلا عن وقوعه بين الروسيا من جانب والمانيا وايطاليا على الخصوص من جانب آخر

***

كل خلاف من هذه الخلافات قابل لانفجار عنيف يسوق العالم كله كرها الى الحرب المقبلة التى لا تعدلها فى الهول والشناعة حرب سابقة فى تاريخ بنى الانسان

ولكن أقرب المواطن الى الانفجار هو الخصومة المستحكمة بين الألمان والروس ، لأنها خصومة جمعت فيها عوامل الخصومات كافة ، واشتركت فيها الأسباب الاقتصادية والاسباب المذهبية والاسباب السياسية والموروثات البعيدة والقريبة

ومن عوامل التعجيل بهذه الحرب فى نظر الالمان :

«أولا» انهم يرجون أن يتركهم العالم بلا منازعة ولا مقاومة فى أثناء هجومهم على البلاد الروسية لاتفاق الدول فى كراهة الشيوعية ورغبتها فى القضاء على هذا الخطر المنذر بسوء العقبى لجميع الدول القائمة على النظام الحاضر . أما لو هجمت المانيا على فرنسا فهى لا تأمن المنازعة والمقاومة من الدول الكبرى والصغرى ، ولا تضمن النصر فى الاحوال الحاضرة كما تضمنه فى غارتها على الروسيا

«ثانياً» لانها تستطيع أن تجد حليفاً لا تنافس بينها وبينه يعاونها على محاربة الروس ويرى مصلحته فى تحقيق هذه المعاونة ، وهذا الحليف هو دولة اليابان صاحبة المطامع المعروفة فى الأقطار الاسيوية

« ثالثاً » لأن الالمان يملكون أقوى أسطول فى بحر البلطيق ، وليس للروس من السفن الحربية ما يقوى على مقاومة هذا الاسطول ، وليس فى وسع حصون كرونستاد أن تحمى العاصمة الروسية القديمة الى زمن طويل

« رابعاً » لأن الالمان يحتاجون الى الموارد الاقتصادية في الروسيا والدويلات الصغيرة المجاورة لحدودها

« خامساً » لأن الالمان الآن يستعدون بفرق الخيالة الكبيرة ، ولاضرورة لهذه الفرق فى غير الحرب الروسية ، ويستعدون بالغواصات الصغيرة ، ولا فائدة لهذه الغواصات فى غير بحر البلطيق وخلجانه الضحلة

« سادساً » لأن الحكومة الفاشية فى المانيا تخاف من المبادىء الشيوعية ولا تطيق الصبر على تقدم روسيا واستعدادها لتدبير الثورة العالمية

فالاستعداد الآن للحرب الالمانية الروسية لا يعد سراً من الأسرار وان كان الاستعداد لجميع الحروب قلما ينطوى فى حيز الكتمان

غير ان الساسة من الجانبين قد خاضوا كثيرا فى أحاديث هذه الحرب حتى أصبح الغرض من كل حركة محسوبا فيه الحساب الكامل لحركات الفريق الآخر . فزيادة الجيش هنا تتبعها زيادة الجيش هناك ، والتحالف مع هذه الدولة يتبعه على الأثر تحالف مع دولة أخرى تقابلها ، والاكثار من صنف جديد من الطيارات يعارضه الاكثار من الصنف الذى يقاومها ، وكل كلمة تقال فى برلين تتلوها كلمة تقال فى موسكو بأسرع ما يكون التحدى والجواب

وقد يخطر على البال أن حربا تنفرد فيها الروسيا من جانب وتتفق فيها المانيا واليابان على الاقل من الجانب الآخر هى أخف الحروب ضررا على العالم لأنها حرب قصيرة الأجل مكفولة النصر فى زمن قريب

ولكن ، لسوء حظ بنى الانسان ، لن تنشب بعد اليوم حرب بين دولتين عظيمتين ثم يتأتى بعد نشوبها أن تنحصر فى نطاق محدود . وهذه الحرب الالمانية الروسية على التخصيص لن يكون النصر فيها على الوجه الذى يبدو من ظواهر الأمور

فاليابان دولة قوية لا مراء فى قدرتها على الحرب واستعدادها بالسلاح ، وكذلك المانيا دولة قوية فى البحر الذى يعنى روسيا ، وقوية بالطيارات بعد الفراغ من برنامج « جورنج » ولكن ماذا عسى أن يفيد انضمام اليابان الى الالمان ؟ ان الجيش الأحمر فى سيبيريا قادر

على تعويق الجيش اليابانى عدة شهور ، والمطارات فى « فلادفستوك » قادرة على توجيه الف طيارة الى الجزر اليابانية نفسها قبل أن تقدر طيارة يابانية واحدة على الوصول الى الأرض الروسية ، ومتى وصلت الجنود اليابانية الى حدود الروسيا الصميمة ، فاجتيازها الحدود مع بعد مراكزها الكبرى أمر قد يلحق بالمستحيل ، ولا بد أن يدخل فى الحساب أن الروسيين سيعملون ما فى طاقتهم لاثارة الصين على اليابان سواء فى ذلك الشيوعيون من أهل الصين أو غير الشيوعيين ، لأن أهل الصين يمقتون اليابان ويرحبون بكل عدو لها يمنحهم الذخيرة والسلاح

و بينما تعانى اليابان ما تعانيه فى عبورسيبيريا الى الأرض الروسية الصميمة ، تكون الروسيا على انفراد فى مواجهة الالمان ويكون الألمان مضطرين الى إرضاء الدويلات المحيطة بالبلاد الروسية ، وقد يفلحون فى النزول الى الأرض عند « لينينجراد » ولكنهم لا يقدرون على انزال العدد الكافى لمقاومة جيش بل جيوش مجموعة من نحو مائتى مليون من النفوس ، ومتى انقضت المباغتة الأولى في وسع الطيارات الروسية أن تهاجم المانيا فى بلادها بأضعاف ما عندها من طيارات الدفاع

وفى هذه الاثناء تتحفز بريطانيا العظمى والولايات المتحدة لصد اليابان وحرمانها ما تطمع فيه من الغنائم والاملاك ، لان بريطانيا العظمى والولايات المتحدة لن ترضيا عن سطوة اليابان و بلوغها من القوة والنصر ذلك الحد الذى يخيف جميع المعنيين بالشرق الاقصى

وفى هذه الأثناء أيضاً تتحفز فرنسا لمعاونة الروسيا حليفتها الجديدة والقضاء على المانيا عدوتها القديمة ، ولا تأمن المانيا على الرغم من مجاملتها لايطاليا أن تنقض هذه على ما تشاء من الاقاليم فى النمسا والبانيا و يوغسلافيا ،وقل مثل ذلك فى سائر الدول والحكومات ، غير مقصورة على قارة من القارات

ومن المتفق عليه ان احتمال الثورة فى المانيا المحاربة أقرب من احتمال الثورة فى الجمهوريات الشيوعية ، لان العمال هم العنصر الغالب فى الجمهوريات الشيوعية وهم فى المانيا العنصر المغلوب

فالحرب الالمانية الروسية لن تكون الا حربا عالمية طويلة الامد و بيلة العواقب مستفيضة الشرور ، ولن يحيط أحد بما يصيب الاقوياء والضعفاء من جرائها على السواء

* * *

يقول الكونت « كارلو سفورزا » السياسى الايطالى الكبير فى كتابه الحديث « اوربا والاوربيون » : « من المحتمل ان هتلر ونظام النازى كله ما كان ليظهر لها شأن معدود فى

تاريخ المانيا لولا الغلطة الجسيمة التى ارتكبت فى احتلال الرور »

ويريد الكونت سفورزا أن يقول كما قال بعد ذلك بالتفصيل ان الحرب كانت خليقة أن تتقى باجتناب أمثال هذه الغلطات

فأما ان احتلال الرور كان غلطة سياسية واقتصادية فذلك حق لا شك فيه ، وأما ان اجتناب هذه الغلطة كان يمنع الحرب المحذورة فذلك فى رأينا هو محل الشك الكثير

لأن حكومة « النازى » لم تزد فى اتجاهها الى حرب الروسيا على تنفيذ البرنامج المرسوم الذي وضعه « ماكس هوفمان » قبل ثمانى عشرة سنة ، وتقرر تنفيذه قبل ظهور هتلر وقيام الحكومة النازية

ومن المعلوم أن الحرب العظمى انما كانت تقوم على برنامج « شليفن » الذى يقضى بتوجيه الجيش الالمانى كله دفعة واحدة الى اختراق الحدود الفرنسية فى مكان واحد . ولولا الاخلال بهذا البرنامج وسحب الفيلقين اللذين أرسلا الى بروسيا الشرقية من جيش « كلوك » لصح ما تنبأ به ذلك القائد العظيم . فلما فشلت الخطة ، واستعدت فرنسا بعد الحرب العظمى بنطاق ويجاند المرهوب ، وتفاقمت الصعوبات التى تحول دون البدء بمهاجمة الحدود الفرنسية رجحت الكفة فى ناحية « هوفمان » الداعى الى مهاجمة الروسيا من طريقى الشمال والجنوب ، وتقررت الخطة قبل ذلك وقبل احتلال الرور ، وقبل نجاح هتلر وأعوانه المستترين

إن العالم قد انفق فى سنة (١٩٣٥) حسب احصاء عصبة الامم ثمانمائة وخمسة وخمسين مليونا وستين ألفاً من الجنيهات على التسليح والتحضير للقتال ، وانه ليصعب أن يبلغ اندفاع الامم فى طريق الحرب هذا المبلغ ثم يقال ان الحرب تمنعها هذه الحادثة أو تلك الغلطة ، فهي خطر أعم وأفدح من أن تتقيه صغار التدبيرات وعوارض التقديرات ، وقد كثرت الآراء التى يراها محبو السلام لانقاذ بنى الانسان من شر ذلك الخطر الشنيع مما يطول بنا شرحه فى مقال واحد ، ولكنه اذا وقع لا محالة فأقرب البواعث الى وقوعه هو ذلك التحكك الدائم بين الالمان والروسيين

عباس محمود العقاد

مصطفى النحاس . !

بقلم الاستاذ فكرى أباظه

تحليل دقيق لشخصية رجل اليوم

طلبت إلي مجلة « الهلال » أن أكتب فصلا أحلل فيه شخصية هذا الرجل ! . . .

وبينى وبين هذا الرجل « خصومة سياسية » لا شك فيها ، برغم النظر عن البعد الشاسع بين أرضى المتواضعة وسمائه العالية . . .

أنا الآن بين نارين :

« النار الأولى » خوفى من أن يتهمنى الناس فى تحليلى هـذا لأني واقع ـ فعلا ـ تحت تأثير هذه الخصومة السياسية ، والنفس دائماً ـ وخصوصا نفسى ـ أمارة بالسوء . . . ويترتب على هذا الحق الطبيعى « السىء » أن أغمط الرجل حقه فى بعض النواحى . . .

« النار الثانية » خوفى من أن يتهمنى الناس بشهوة إبراز تزاهتى وحيادى وترفعى عن خصومة الميدان السياسى ، وقد يجرنى هذا جراً الى « المجاملة » المتعمدة المندفعة الى ناحية « الصهينة » والجود . . .

هذا « احراج » ولكن مجلة «الهلال» تصر على أن أتورط فيه ، وعلى أن يتصدى لتحليل هذه الشخصية رجل ليس من أنصارها ولا المنتفعين منها ولا المؤيدين لها بحكم الحزبية وبحكم الولاء ! . .

بقي شيء واحد هو الذى يحتفظ « بميزانى » وباتزانى ، وهي غيرتى الشخصية على أن اكتب الواقع وعلى أن أقول « الحق » ، وأمرى لله . . .

رب أسرة !

ولنبدأ بتحليل أنبل صفة فى الرجل وأفضل ميزة يمكن أن يتحلى بها بطل من أبطال البيوت والعائلات ، ونموذج سام من نماذج « رب الأسرة » الجدير بالمجتمع المصرى المتطور أن يجعله مثاله ومثله خارج الجدران ووراء الجدران . .

« مصطفى النحاس » فى هذه الدائرة استاذ ومعلم ومرب أرشحه لزعامة « المثل الأعلى » لعشاق البيوت والعائلات . . .

ولقد فحصته عين الناقد المدقق فى تجربتيه المتباينتين : وهما تجربة العزوبة ، وتجربة الزواج . . .

والعزوبة التى تستغرق من العمر خمسين عاما أو تزيد ، عزوبة من شأنها أن تغرى « العازب » بالبوهيمية ، والأنانية ، وترجيح حب الذات على حب الغير ، والتحرر من المسئوليات الأدبية والعائلية والاجتماعية والتقليدية . . .

هذا شأن « العزاب » الذين تجاوزوا سن الزواج المبكر وأوغلوا فى الكهولة ولم يحملوا فى هذه الدنيا الا « هم أنفسهم » فقدموا مصلحتهم الفردية على كل مصلحة عائلية ، وليسمع هذا الكلام ألوف « العزاب » فى مصر الذين أهملوا أمور ذوى قرباهم وأبناء اخوتهم وأخواتهم ، فلم يحسبوا فى معترك الحياة القاسى الا نعيمهم الشخصى ، ومتاعهم الخاص ، ومزاجهم الجسمى والذهنى والقلبى ، وداسوا بسعادتهم « تعاسات » الآخرين ، ولو كانوا من أقربائهم المقربين . . .

هذا الرجل لم يكن فى عزوبته الطويلة يجرى مع التيار ، ولا يندفع مع العرف الوضيع ، بل يعلم المتصلون بحياته وداخلياته أنه خدم « بالعزوبة » أهله وأقرباءه ، وأنه اشترى « بالحرمان » بيتاً سعيداً ، وأسرة قريرة العين ، لا لنفسه ، وإنما للذين يعيشون معه من اخوته واخواته وأبناء هؤلاء وأولئك . . .

واذا سألتنى الدليل قلت لك : ابحث عنه فى موارده المتواضعة ، ثم ابحث عنه فى سجلات المدارس واستنطقها تجبك كم صرف النحاس على الأولاد ، وكم علم النحاس من صنف الأولاد ، وكم كون النحاس من رجال صغار مؤهلين ، ثم استجوب اصدقاءك الأطباء كم « هوسهم » النحاس من أجل ولد من أولاد أخته أو أخيه يعطس عطسة بسيطة ، أو يكح كحة هينة ، أو يزك زكة تافهة ، أو يتأوه آهة خفيفة ، أو ينعس نعسة غير عادية ، أو يحس حرارة لا ترتفع الا شرطة أو شرطتين عن السابعة والثلاثين . . .

لأطباء النحاس فى هذا الميدان كلام طويل عجيب ، خلاصته أن هذا الرجل الانسانى الحساس الغريب قد ضرب الرقم القياسى فى « الحنو العائلى » الخارق للعادة ، والمرتفع عن مستوى مخلوقات الله فى القرن العشرين . حنو لم تستمتع به عشيقة من معشوق مدله ، ولا ابن وحيد من أب وضع فيه كل آماله ، ولا ولد من أم لا تملأ أحشاؤها غيره فى الدنيا بأسرها . . .

تطلعوا أيها الناس وادرسوا النحاس درساً وافياً من هذه الناحية البيتية العائلية ، وتعقبوا أخباره وحوادثه من يوم أن درج مدارج الرجولة الى هذا اليوم الذى تقرأون فيه هذه الكلمة ، وعندئذ تعلمون حقاً انكم ازاء « ملاك » فى صورة « مخلوق أرضى » واتخذوا الدرس عظة للبيوت ولأرباب البيوت . . .

ولقد تزوج النحاس فاجتاز إمتحان « عزوبته » بنجاح رائع من لدن الله . وكم غير الزواج القلوب ، وكم دهم الزواج الحنو العائلى ، وكم داس الزواج مسئوليات المسئولين ، وكم برر التخلص من العهود الادبية بالتزاماته الزوجية الجديدة ، ولكن « النحاس » صمد وتمادى وبالغ ، فضاعف

الحنو وزاد الحنين ، وبقى البيت الحنون بيتاً حنوناً يرعى سكانه بأحسن ما عرف عالم الحنان . . .

المجتمع المصرى فى حاجة كبيرة الى هذا الدرس العالى ، فليتعلم منه ألوف « الوحوش » الذين قذفوا فى الطريق بالأخوة والاخوات ، وأبناء الاخوة والاخوات ، ولم يبلغ النحاس عشر معشار مواردهم ولا ثرواتهم ، وانما اغتنى هو بالقلب العامر ، وافتقروا هم بالقلب الفاجر ! . .

ولهذا وفقه الله ، ولهذا لم يوفقهم الله . . .

ليس من رجال الليل . . .

أنا من أنصار « رجال الليل » ولست بتاتاً من أنصار « رجال النهار » . ولى في ذلك فلسفة وبوهيمية أو قل بشكل أصرح ان المسئلة مسئلة ارادة وهدى من الله . . .

وهنا أيضاً لا تظفر خصومتى السياسية بهدف ولا بمطعن ولا بناحية مكشوفة من حصن هذا الرجل ! . . .

ما استمتعت زجاجـة من زجاجات « البوكنا » ولا « الديوارس » ولا « الجون هيـج » ولا « المارتل » ولا « الانيسى » ولا حتى المتعوسة خائبـة الرجاء زجاجات « الدرسـلر » و« الاستيلا» بشفطة من شفطات النحاس ، لافى عهد الصبا والفتوة ، ولا فى عهد الرجولة والكهولة !

ولو سألت رجل الدولة والامة هذا عن علوم « الجوكر » وفنون « الآس والروا » ودروس « البيك والاسبيد » لأجابك الطفل الكبير فى هذه الدنيا الساهرة أنه لا يدرى . . ولو سألته عن معلوماته فى دنيا « الكلوبات » و« التربيزات » الخضراء المفروشة بالورق ، أو الخضراء الجارية بالاكر ، لأجابك الطفل الكبير فى هذه الدنيا الساهرة بأنه : لا يدرى . . .

أرأيتم زعيمكم ومبلغ علمه وعرفانه « بمملكة الليل » ؟ ! ومبلغ بصره وبصيرته فى « دنيا الظلام » ؟ ! ألا ترون معى ان هذه الحصانة وان انقصت كثيراً من معلومات الرجال ، فانها تحمى كثيراً كرامة الرجال ، ومستقبل الرجال ، وخصوصاً فى أمم الشرق والاسلام . . .

وان « الرجل السياسي » الذى عرض نفسه للزعامة السياسية لا يهيىء لخصومه المطاعن ، ولا يهيىء لقدمه الزلل ، كما فعل ويفعل أقطاب الدول ، واصحابنا ... اصحاب العروش والتيجان ! . . .

مؤمن ! . .

ولست اقصد « بالايمان » انه رجل دين وعبادة وصيام وصلاة آناء الليل واطراف النهار . . قد يكون كذلك أو نصف ذلك او ربع ذلك فليس الموضوع موضوعى . وانما اردت بقولى انه « مؤمن » انه ذو عقيدة قوية فى ارادة الله ومسئولية الله . نعم : مسئولية الله ! فهو كلما حلت بحزبه او ببلاده كارثة لم يتزعزع ولم يتصدع لأنه مؤمن ولأنه يعتقد ان الله هو المتسبب

هذه هى ــ ببساطة ــ فلسفة النحاس فى حياته السياسية ،فهو يكافح ، ويناضل ، ويقضى ، ويبرم

ثم يترك بعد ذلك الامر لله . . والغريب فى شأنه انه يكون دائماً ابداً مطمئناً مستريحاً مهما كانت نتائج تصرفاته سيئة الحظ ، وحجته فى هذا الاطمئنان وهذه الاستراحة : ان الله اراد ذلك وهو المسئول

هذا « الايمان » هو المناعة القوية التى جعلت هذا الرجل يجرى ويندفع ولا يلتوي . وهو الايمان الذى زوده بالصبر الطويل والكفاح الطويل بغير ان يتعجل . فاذا صح انه كان فى ايمانه قدوة لانصاره ومؤيديه عرفتم كيف استطاع « الوفد » ان يحتفظ بكتلته وبملايينه فى ايامه السوداء

وما دمنا نتكلم عن « الايمان » فقد تهيأت لى الفرصة لأمسح عن أفهام الكثيرين من خصوم الرجل قولهم انه يتأثر دائماً برأى بعض زملائه وأنصاره . أعلم أنا تمام العلم أن الرجل عنيد لا من الدرجة الأولى فقط ، بل من درجة « البولمان » وأنه كم أتعب وأضنى زملاءه بسبب عناده ، وانه متى استقرت ارادته ومتى تلق وحيه من عند الله كما يقول ، فاطلق ما شئت من القنابل ، وجر ما شئت من البراكين ، فلن تستطيع أن تلين رأس النحاس « الناشفة » ! ! !

خلاص . . .

لقد كون اعتقاده وأبرز رأيه ومن المستحيل أن يتقهقر الا اذا وقع تحت ضغط المصلحة العامة أو تحت ضغط ضرورة الاتفاق ! هنا يتقهقر بسرعة البرق مرغما مضطراً ، كما حدث فى صدد قانون المظاهرات . فان العناد مهما كان شديداً قويا فلن يقف وحده أمام الأساطيل والمدمرات ! ! !

وهذا الرجل الذى نخاله سريع البت سريع الافضاء ، فهو اذا كون الرأى أعلنه بسرعة ، فيتلقاه أنصاره المحيطون به فيذيعونه فى جميع الأوساط ، ويظن الناس خارج البيت الوفدى ان النحاس باشا يتأثر برأى المحيطين به ، والأمر كما أعلم عكسى على خط مستقيم ، بل أعلم أكثر من ذلك أن أكثر من رأى كان النحاس قد كونه عز على هؤلاء الأنصار أن يقبلوه وأن يقبلوا منطقه ، وعبثاً حاولوا أن يقنعوه أو يردوه ولو طال الزمن . . .

وأؤكد أنه فى هذا الباب « متعب » ! متعب فى المناقشة وفى اللجاج ، فليس هو من الذين يخضعون بسرعة للمنطق الصائب اذا لحق رأيه ولم يسبقه . وتختلف أساليب زملائه فى القرب وفى البعد ، وفى الاتصال وفى الانفصال ، وفى الصمت وفي الكلام . . . والناس حين يقارنون بين مراكز الزملاء من الرجل ، يلفت نظرهم ويسترعي دهشتهم أن بعضهم قد زامله بنوع خاص فى صباحه وظهره ومسائه وغدوه ورواحه ، فظنوا هذا من النحاس ايثاراً ، وظنوه من هذا البعض استئثاراً واحتكاراً . وقد فكر واحد من اللائمين العائبين أن يلوم أولئك الأنصار الزملاء الذين لا يعشون مع رئيسهم كما عشش هذا البعض ، والذين لا يصحبون رئيسهم كما يصحبه هذا البعض ، والذين لا « يلوفون » على رئيسهم كما يلوف هذا البعض ! ... وقد يكون الرجل فى داخلية نفسه قد تأثر من عناية هذا البعض فأحله من نفسه ومن رأيه ومن وجدانه المحل الأول . . .

والخلاصة أن الرجل مؤمن ـ وعنيد ـ ومناكف : ومن ظن انه غير ذلك فهو

مخطىء ! . . . ومن ظن انه يتبع الرأى ولا يصدره فهو مخطىء !

والايمان حين يمتزج بالعناد فى شخص ، فالويل لى ولك من أعصابه ، ومن مناقشاته ، ومن تسرعه ، ومن أساليبه : إنها تكون نارية لأنها تصدر من الشرايين والاعصاب ، ولأنها ليست بآراء وانما هي « بنات ايمان » لا « بنات أفكار » . . .

سياسى

« النحاس باشا » كرجل زعامة ورجل ثورة ورجل قيادة شعبية يفضل غيره بكثير، لا فى كفاءاته وامتيازاته ، وانما فى خلاله وصفاته

لا يمكن أن يدع مدع انه من خطباء الدرجة الاولى المهلهلين المدمرين مطلق القنابل اللفظية ومفجرى البراكين التعبيرية . لا . ليس من هـذا الطراز الذى تجد مثله كثيراً في أسواق العالم السياسية . ولعله أيضاً لا يعنى كثيراً بأن يحكم « التاكتيك » . الاعصاب واللسان . . .

النحاس يتدفق بالكلام من قلبه لا من رأسه . وقد يروعك الصدق فى الكلام ولكن لا تروعك الحكمة فيه ولا بعد النظر ولا الحذر ! ومن المحال اصلاح هذه الناحية فى هذا الرجل . الرجل المستقيم المؤمن الصادق الذى يترجم لسانه عن قلبه ـ لا عن عقله ـ لا يمكن أن يتعلم من جديد كيف يكون حولا ، قلباً ، لعوباً ، لئيا وفاجراً فى آن واحد . . . يضاف الى هذا أن النحاس باشا يجهل كل الجهل فن التكلف والتصنع والتظاهر ، وهنا نقص آخر ، ومن مصائب الدنيا ان بعض الرذائل تعتبر فى عالم الزعامة والسياسة فضائل والأمر لله !

النحاس باشا لا يجيد فن التمثيل والمكياج وتغيير اللون والوجه : والسياسة ـ أو الحكم ـ في حاجة عظمى الى رجل نصف فاضل ، أو ربع فاضل . . . لا الى رجل فاضل ! !

ويظهر ان أعصابه تساهم بنصيب وافر فى هذا التكوين : فهو اذا استفز لا يتردد فى أن يرد مندفعاً كالقنبلة ، والقنبلة حين تنفجر تنثر الشظايا ذات اليمين وذات اليسار . وقد تكون شظايا قنابل النحاس باشا العصبية تصريحات سياسية ، أو وقائع سياسية ، أو نيات سياسية : لم يحن حينها بعد

ولست أجزم بأن هذا عيب على اطلاقه . فان دعاة الاساليب السياسية الجديدة يمتدحون كل الامتداح دفعة « موسولينى » وصراحته ومجازفته ومغامرته ، ولكن على شرط . . أن تكون أساليب سياسي العالم كلها على نمط واحد ، هو نمط الصراحه وعدم المغالطة : وهذا عسير . .

وخلاصة القول أن النحاس باشا السياسى والحاكم لا يعرف الكذب ، ولا يستعمل المكر والخداع ، ولا يجيد المغالطة ، ولا يطيق فن التآمر والتاكتيك ، ولا يحكم أعصابه ، ولا يقوى على اخضاعها لقوة التكلف والتصنع والتمثيل : وهذه الفضائل كلها فى نظرى ونظر الناس على ما أعتقد تعتبر « مآخذ » فى جو السياسة والسياسيين وجو الحكم والحاكمين . . .

وقد فاتنا أن نضيف الى سلسلة هذه الفضائل المكروهة سياسياً أنه شغوف بأن يكون نزيها ومتطرفا فى نزاهته لدرجة الخطأ ! ! ! ولا أدرى ان كان يجوز أن يسمع النشء هذا الكلام ويقرأوه أم لا . ولكنى محلل ، ومحلل فنان ، لا علاقة لى بمستوى الآداب العليا ، فلها معاهد ومدارس ، أقول إنه شغوف بأن يكون نزيها ومتطرفا فى نزاهته ، وبعيداً عن الغمز لدرجة الخطأ . والوسوسة فى الحكم غير عفة اليد ، وعفة اليد هذه يتصدر النحاس زعامتها من دون شك

الوسوسة فى الحكم غير عفة اليد . ولو ترك لهذا الرجل الحبل على غاربه لجعل الحكومة هيكلا من هياكل العبادة ، ومغارة من مغاور الزهد والنسك ، لذلك استطاعت الظروف والضرورات أن « تدردحه » قليلا فى هذا الباب ، فالآن بالرغم منه قليلا من تطرفه فيما يصفه الناس بالمحسوبية والحزبية . . . وقد لمح الناس ان الحكومة تزدحم كل يوم بالوفديين وبالمقربين من الزعامة . وان بعض أقرباء النحاس قد استطاع أن يجد منفذا الى حالة أحسن من حالته قبل أن يكون فى الحكم . ولست أريد التصدى لهذه التفاصيل ، وإنما لا يعدم النحاس وأنصاره دفاعا قويا صريحا خلاصته انه يكون من الكوميدى المضحك ألا يمتاز أنصار الأغلبية ، وألا يحتلوا مناصب الحذر والمسئولية ! من أذن الذى يدعم حكم الأغلبية بعد ان حوربت بكل قسوة أكثر من جيل . . . الجواب المنطق هو ما يحدث اليوم وما يظنه الناس اندفاعا واسرافا وحزبية ومحسوبية ! . . .

والموضوع كما ترى جد دقيق ! . . . .

سبورتسمان وسبور

أما انه « سبورتسمان » فسلونى أنا . . يوم كان ندى أنا وزميلى أنا . . .

كان من أكثر هواة « التنس » تحمساً ، ومن أظرف وأطرف مبالغاته الوطنية انه كان يأنف أن يستعمل الاصطلاحات الانكليزية ، فاخترع لنا ألفاظا عربية فى النادى الأهلى ـ أبو النوادى اليوم والامس ـ وكنا نضطر أن نحفظها ونستعملها تقديرا لوطنيته وقوميته . . .

وهو من السباحين الماهرين ، ولا أظن حبا يفوق حبه للبحر والماء . . . واعلم انه يعنى كل العناية بالتمرينات الرياضية ، ولذلك استطاع أن يحتفظ بشبابه ودمه الحار وقوته وصحته ورونقه

وقد لا يعلم الكثيرون أن النحاس باشا بجانب انه « سبورتسمان » فهو أيضا « سبور » من الطبقة الأولى ، ومن رجال العواطف والابتسامات والاجتذابات . وقدكنت أود أن يكون لى مجال واسع لأحلل هذا النوع الطريف من الزعامة ولكن . . . ولكن « بلاش » والسلام ! . . .

هـذا هو الرجل السعيد بخلاله وأخلاقه ، والذى قد استراح قلباً ووجداناً من كفاح عنيف ، واطمأن الى عش جميل بجوار أليف جميل ، وان لم يسترح جسما وذهناً من مسئوليات الغد الفادحة ، قواه الله عليها جميعاً وألهمه السداد

فكرى أباظه

أدبنا الآن لا يمثلنا

حاجته إلى التطعيم بالأدب الأجنبي

بقلم الأستاذ أحمد أمين

« . . أدبنا الآن لا يمثلنا ، وهو وراء نهضتنا ، ويجب أن يكون أمامها ، وهو كالثوب القصير للرجل الطويل ، أو كالثوب المرقع للرجل الغني . . وأهم علاج لهذا النقص عناية العالم العربي بإيجاد طائفة تثقفت ثقافة عربية واسعة ، وثقافة غربية واسعة ، ثم تتولى الانتاج . . »

فى رأيى أن الأدب العربى ـ بحالته التى هو عليها الآن ـ لا يصلح أن يكون غذاء كافياً للجيل الحاضر ، سواء فى ذلك الأدب القديم والأدب الحديث والأدبان معاً

قد يكون الأدب الانجليزى قديمه وحديثه صالحاً للانجليز فى الوقت الحاضر ، وقد يكون الأدب الفرنسى والألمانى كذلك ، أما الادب العربى فليس صالحا للأمم العربية

ذلك لأن الادب انما يعد صالحاً للامة اذا كان مظهراً تاما شاملا صادقا لحياتها الاجتماعية على اختلاف أشكالها ، فى جدها وهزلها ، فى صبا أفرادها وكهولتهم وشيخوختهم ، فى آلامها وآمالها ، فى حياتها اليومية فى البيت والمصنع والمسجد ودور اللهو والتمثيل والموسيقى ، فى حياتها السياسية وحياتها الاقتصادية ، وعلى الجملة في كل شيء فيها ، فاذا استطاع أدب الامة أن يملأ كل هذا الفراغ عد أدبا صالحاً كافياً والا لم يكف وحده

فلننظر فى ضوء هذه النظرية الى الأدب العربى ، فماذا نجد ؟

نجد أن الأمم العربية ـ من مصريين وشاميين وعراقيين وغيرهم ـ بين أدبين : أدب عربى قديم ، وأدب عربي حديث

فأما الأدب العربى القديم فلا يمثل الا أجياله ولا يمثل جيلنا ، وهو صورة للحياة الاجتماعية التى نشأ فيها ، وليس صورة لحياتنا . ان الشعر الجاهلى صورة صادقة لحياة الجاهلية فى لغته وعقليته ، وإبله وأطلاله ، وامرأته وحبه ، وليس شيء من ذلك يمثلنا . والشعر الأموى والأدب الأموى صورة من صور الحياة الأموية فى نزاعها السياسى وعواطفها ، وانقسامها الى حياة بدوية وحياة حضرية ، وحياة بؤس بجانب حياة ترف ، وعصاة يهددهم أمثال زياد بن أبيه والحجاج الثقفي

وأمثالها ، وحياة دينية يعظ فيها الحسن البصرى وأمثاله ، فلا خطب الأولين تمثل حياتنا ، ولا مواعظ الآخرين أخذت وقائعها من أحداثنا

وكذلك قل في العصر العباسى وأدبه ، لقد كان العصر العباسى لا يتحرج من ذكر أفحش الألفاظ وأفحش العبارات ، فكان الأدب صورة من ذلك ، وهذا لا يتفق وذوقنا ، وكان الأدب يستمد حياته من حياة القصور ووقوف الشعراء بأبوابها يمدحون ، وليست حياتنا فى شىء من ذلك. وكان الشعراء يتغزلون في الغلمان ونحن نستهجن هذا الضرب ، وكانوا يتهاجون بأفحش الهجاء ، ونحن لا نستسيغه ، وكانوا ينقسمون سياسياً الى من يؤيد البيت العباسى ومن يؤيد البيت العلوى وقد ذهب كل ذلك

وعلى هذا النمط يصح ان يقال فى العصور التى جاءت بعد العصر العباسي الى قبيل عصرنا

هذا النوع من الأدب العربى القديم لا يصلح أن يمثلنا ، ولا يسمى أدبا لنا بالمعنى الدقيق للكلمة

ولست أحب أن يفهم من هذا القول أنى أنكر فائدة الأدب القديم وقيمته ، فان هذا القول لا يقول به عاقل ، ولكني أريد أن اقرر أن فائدته كفائدة كل أدب « كلاسيكى » ، هو أدب ارستقراطى يعنى به الخاصة من أهل الأدب لا العامة ، هو أدب لدراسة المثقفين لا أدب للشعب عامة ، يعنى به من يدرس تاريخ الأدب كما يعنى المؤرخون بدراسة التاريخ

ولست أشك أن قسما منه صالح لكل زمان ومكان كالحكم والمواعظ ، وتمثيل العواطف العامة المشتركة بين الناس كلهم كالسرور والحزن والوفاء والغدر ، ولكن حتى هذا القسم إن كان عاما وصالحاً للناس كلهم بحسب موضوعه ، فأكثره غير صالح لأهل زماننا من حيث أساليبه وطريقة عرضه ونحو ذلك . ومن أجل هذا يستعين الجيل الجديد على تفهمه وتذوقه بشرحه وتفسيره ، وهذا الشرح والتفسير يضعف من قيمته ، إذ فرق كبير بين أن تكون مستعداً لتذوق الشىء مباشرة من غير شرح ، وأن تتذوقه بعد عناء الشرح والاستعانة بلفظ على لفظ وجملة على جملة ، وقل ان يسد الشرح مسد الأصل

والنتيجة لهذا كله ان الادب القديم ثقافة الخاصة لا ثقافة العامة ، وثقافة العدد القليل لا الجم الغفير . وليس يكفى ذلك وحده فى أداء رسالة الأدب العامة ، إذ هو لا يؤدى رسالته حتى يجد الناس فيه عامتهم وخاصتهم التعبير الفني عن مشاعرهم ، والصور الفنية التى تصور عواطفهم ، وميولهم وأمانيهم ، وأحزانهم وأفراحهم

***

أما الادب الحديث العربى فهو كذلك لا يكفى لغذاء الجيل الجديد لأنه لم يملأ حياتنا ، وإن شئت فاستعرض كل شؤون الحياة تجده لم يحقق رسالته ، فان أحببت أن تضع فى يد أطفالك فى سنيهم المختلفة كتباً فى القصص أو فى الثقافة العامة لم تجد الا القليل الذى لا يكفى ، على حين تدخل

المكتبة الاوربيـة فيملأك العجب والاعجاب من وفرة الكتب للاطفال على اختلاف أنواعها ، ومما حليت به من الصور الجذابة ، والاساوب المشوق البديع ، فالأوربى يحار فيما يختار لاطفاله لوفرته ، ونحن نحار فيما نعطى لندرته . وإن توجهت وجهة الاناشيد والاغانى رأيت فقرنا فى هذا أبين من فقرنا فى سابقه ، وهي بين عامية مبتذلة سخيفة لا تمثل حياتنا ولا تساير نهضتنا ، وبين عربية قليلة ضعيفة فاترة ، وإن التفت الى الكتب التى تغذى الشعب والجمهور رجعت بالخيبة ، وحتى كتب المتعلمين انما تكثر اذا كانت مقررة فى المدارس ليؤدى الطلبة منها امتحاناتهم ، أما ماعدا ذلك فقليل ضعيف

انما نبتهج بالادب الحديث يوم نرى الطفل يجد فيـه غذاء متنوعا ، ورجل الشارع يجد فيه ما يناسبه ، وتلميذ المدرسة وخريج المدرسة يجد الأدب وافراً حسب استعداده ، ومن يريد أن ينشد نشيداً أو يغنى أغنية يجد مجال الأدب أمامه فسيحاً ، ويجد الادب فى الجد والادب فى الهزل ، ويجده فى كل شيء وفى كل ظرف وفى كل أسلوب

واذن فما أبعدنا عن نيل هذا المثل !

والواقع أن أدب كل أمة يجب أن يساير نهضتها ، وأدبنا الآن لم يمثلنا وهو وراء نهضتنا ويجب أن يكون أمامها ، وهو كالثوب القصير للرجل الطويل ، أو كالثوب المرقع للرجل الغنى ، أو كالثوب البدوى للمرأة المتحضرة

***

وأهم علاج لهذا النقص عناية العالم العربى بايجاد طائفة تثقفت ثقافة عربية واسعة ، وثقافة غربية واسعة ، ثم تتولى ــ بعد ــ الانتاج

فالادب العربى فيه الاساوب وفيه ثروة دفينة قيمة ، ولـكنها حبات من اللآلىء وسط أكوام من التبن ، وحتى هذه اللآلىء لا يحبها الجمهور ولا يعرف قيمتها الا اذا جليت وعرضت عرضاً جديداً

والادب الغربى مملوء بالجواهر القيمة وبالموضوعات المفيدة ، ولـكنه نتاج مدنية غير مدنيتنا ، ويمثل أنواعا من الحياة غير حياتنا ، إن شئت فانظر الى أكثر الروايات المترجمة تجد أسماء لا توافق ذوقنا ، وتجد وقائع فى البيوت لا يحدث مثلها فى بيوتنا ، وتجد أنواعا من الحوار لا يمكن أن تحدث بيننا ، وهكذا الشأن فى كل أنواع الادب من نثر وشعر ، وشأن الادب الغربى شأن الموسيقى الغربية هي نتيجة أذواق الغربيين وبيئتهم ، وليس يستطيع العربى أن يتذوقها الا بكثير من المران وكثير من تحوير الذوق

هذه الطائفة التى أدعو اليها تستطيع أن تخدم الأدب العربى لا من ناحية الترجمة ، فالترجمة فى الأدب وسيلة لا غاية ، والترجمة في الأدب أقل شأناً من الترجمة فى العلم ، لأن العلم يخدم العقل ، والعقل قدر مشترك بين الناس جميعاً ، ومن أجل هـذا استطاع الفلاسفة أن يضعوا له منطقا

يخضع له كل الناس مهما اختلفت بيئاتهم ومقدار ثقافتهم — أما الأدب فليس قدراً مشتركا . وأدب كل أمة غير أدب الأخرى، لأنه يرجع الى الذوق والعاطفة وهما مختلفان فى الأمم وغير خاضعين لمنطق — الأدب ظل الحياة فاذا اختلفت الحياة اختلف ظلها لا محالة

ومن أجل هـذا عنى العرب فى أيام نهضتهم الأولى بترجمة العلوم ، ولم يعنوا بترجمة الأدب ، وترجموا بعض الشيء من أدب الفرس لأنه كان قريباً لذوقهم ، ولم يترجموا الأدب اليونانى والرومانى لانه كان بعيداً عن ذوقهم

فترجمة الأدب الغربى الى الادب العربى يجب أن تعد وسيلة لا غاية ، انما الغاية أن تنتج أدبا لنا ، أدبا يمثلنا ، أدبا يعبر عن عواطفنا

ودراسة الأدب الغربى تعين أكبر اعانة من ناحيتين : من ناحية أن دارسها يستطيع أن يتعلم منها كيف أدى الأدب الغربى عمله ، وكيف استطاع أن يملأ فراغه ، وكيف نجح الأديب الغربى في ان يغذى شعبه ، وكيف تفرعت أنواع الأدب فروعا مختلفة أدى كل فرع منها وظيفته ، ومن ناحية أخرى هناك نوع من الأدب يكون قدرا مشتركا بين الأمم كلها لا خلاف بينهم الا في أدائه ، كالحكم والأمثال ، وكالقصص التى تمثل أخلاق الناس ، وكشعر الطبيعة ونحو ذلك . فهذا النوع صالح كل الصلاحية لان ينقل الى الأدب العربى ولا يحتاج الى تذوقه من القارىء العربى الا الى تحوير بسيط

لست أعتقد أن الأدب العربى يرقى الا بالجد فى تكوين هذه الفرقة ، وامدادها بكل الوسائل وتشجيعها بكل أنواع التشجيع

احمد امين



لو أنى أنفقت فى سبيـل المجد بعض ما أنفقت
فى سبيل الحب لكنت اليوم رئيس الوزراء

تجاربى فى الحبّ

بقلم الدكتور زكى مبارك

وهل عرفت الحب ، حتى أتحدث عما لقيت فيه من مفاتن وطيبات ، وما عانيت من مكاره وأهوال ؟

إنها إشاعة لفقها المرجفون الآثمون الذين زوروا باسمى كتابا اسمه « حب ابن أبى ربيعة » وكتابا اسمه « مدامع العشاق »

أنا أحب ؟ ومن الذى يحمل أثقال الواجب ، وأعباء الحياة ؟ بل من الذى يصحح كراريس التلاميذ ، وينشىء المقالات للصحف والمجلات ، فيقضى النهار فى الدرس ، والليل فى الانشاء ؟

أنا أحب ؟ ومن الذى يحقد و يبغض و يؤذى خلق الله فى الصباح والمساء ؟

أنا أحب ؟ وكيف وكبدى أقسى من الصخر ، وقلبى أصلب من الحديد ؟

قولوا غير هذا ، واطلبوا تجارب الحب من رجل سواى

فان كنتم فى ريب من جهلى بالحب ، فانظروا كيف أصف الحب ، لتعلموا أنى ما ذقت الهوى ولا الجوى ، ولا عرفت الشغف ولا الشعف

الحب عاطفة نبيلة لا تعرف غير كرائم النفوس . الحب لغة روحية يفهمها القلب عن القلب ، وينقلها الروح الى الروح ، وتسرى نشوتها فى الافئدة سريان الصبا فى الغصن

الحب معنى نبيل ، فى لفظ نبيل . الحب قبس من الصهباء فى كأس من الماس . الحب لمحة من لمحات السحر الذى يفيض به الوجود فى ليلة قمراء

الحب أرق وأنضر وأطيب من مطلول الازهار ومنضور الرياحين . الحب نغمة حلوة عذبة تناغى السرائر وتناجى القلوب

الحب هو الكأس التي عناها سلطان العاشقين اذ يقول :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير ، أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم
على عمره فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

الحب نعيم يلبس ثوب البؤس ، أو بؤس يلبس ثوب النعيم . الحب عاطفة عاصفة ماحقة ما يدرى الرجل أهى نعمة أم نقمة ، ولا يعلم أهي هدى أم ضلال ، وانما يعرف انهـا كلمة سحرية تزلزل العزائم وتدك الجبال

الحب هو ائتلاف روحين ، وامتزاج قلبين ، وانسجام نفسين . الحب هو أن تذوب القسوة فى كوثر الحنان ، وأن تأنس الاسود الى فتك الظباء

الحب هو أن تصير قلباً شفافا تجرحه النظرة ، وتفتنه الخطرة ، ويأسره الدلال

الحب هو أن تكون دنياك كلهـا ملـكا لمن تحب . الحب هو أن تخاطر بالملك في سبيل من تحب

***

أتروننى وصفت الحب ؟ لا أظن ذلك ، وكيف يصف الحب من لا يحب !

أشهد صـادقا أنى لم أعرف الحب ، ولـكنى مع ذلك اعترف بأن لى شمائل تشبه شمائل المحبين . فأنا رجل يفضل الحسن على القبح ، وهل فى هذا بأس ؟ وأومن بأن الوجه الاصبح أجمل من الوجه الوقاح ، وهل يلام من يقول بذلك ؟ وأعتقد أن العيون النواعس أحب الى القلوب من عيون الحلاليف ، وهل فى هذا خلاف ؟ وأرى أن القد الرشيق أملح فى العين من الجسم المغلوط ، وهل فى هذا الرأي غلط ؟ وأجزم بأن المبسم العذب أحلى وأعذب من الافواه السود ، فهل أنا فى هذا مخطىء يا أرباب العقول ؟

أنا لا احب ، لا أحب ، ولـكننى رجل فاتك النظرات ، وما كان ذلك عن فجور أو فسوق ، وانما هي فلسفة لم يعرف مثلها الناس فى شرق ولا غرب

أنتم تؤمنون بحقوق الحواس فيما تأكلون وما تشربون وما تلبسون ، أنتم تحبون ان تكون منازلـكم وملابسكم ومطاعمكم ومشاربكم دليلا على ما عندكم من ترف الاذواق ، وفيكم من ينفق ألوف الدنانير لينعم بالعيش فى منزل أنيق ، وفيكم من يرحل من بلد الى بلد ليظفر بأكلة شهية أو شراب عتيق !

فما رأيكم اذا قصرت انا شهوات الحواس على حاسة واحدة ، هي حاسة البصر الغالى ؟ ما رأيكم اذا استغنيت عن اكل التفاح اكتفاء برؤية لونه فى الخدود ؟ ما رأيكم اذا صدفت عن جميع التحف العاجية اكتفاء بحلاوة الجيد ، ما رأيكم اذا انصرفت عن جميع الغرائب الفنية اكتفاء بما أرى من بدائع الجمال ؟

أنتم تمتعون اسنانكم بالنهش والنهس ، والخضم والقضم ، وانا امتع عينى بالمنظر الجميل ، فيابعد ما بينى وبينكم فى دنيا المفاتن ، وعالم الأذواق . أنتم ترحلون من مكان الى مكان في السيارات وفوق ظهور الجياد ، وتتخيرون فى الغالب اقصر سبيل ، وانا لا امشى الا فى الطريق الذى اعرف ان ارضه حنت وأنت تحت اقدام الملاح

أنا لا أحب ، لا أحب أحداً ، وانما أحب نفسى

ومن حب النفس أن لا تقع العين على ما يسوء ، وانما تقع على ما يفتن ويشوق ، وهل يكون الطائر أعقل منى ، ان الطائر لا يقع إلا على الغصن الرطيب ! وهل يكون النحل أعقل منى ، ان النحل لا يمتص من الازهار غير الرحيق !

من أنا فى دنيا كم ، يا بنى آدم ، يا أكلة اللحم والبقل ، ويا خلفاء بنى اسرائيل الذين زهدوا فى المن والسلوى ، وسال لعابهم شوقا الى العدس والبصل والفول ، من أنا فى دنيا كم ، يا بنى آدم ؟ أنا في دنيا كم غريب ، لاني أعيش على الحب والنسيم

أعيش على الحب ؟ لا ، أنا لا أحب أحداً ، وانما أحب نفسى ، وقديماً قلت :

ولما صار ود الناس ختلا ... وأوحش ربعهم من بعد أنس

ولم أظفر على جهدي بحر ... تركت هواهمو وصحبت نفسى

أنا لم أحب ، ولم أعرف الحب ، لأن قلبى أعظم من أن يحب ، ولم يخلق الى اليوم وجه يكافىء ما فى قلبى من صراحة الصدق ، ونمير الحنان . . وأين يقع قلبى اذا شاء أن يحب ؟ أين يقع ولم يبق فى هذه الأرض حسن مهذب ولاجمال مصون ؟

وهل خلت الدنيا من المحاسن ، هيهات ! ان الدنيا تموج بالفتن ، ولكن الحسن الذى يضارع ما فى قلبى من عناصر العطف والسحر والروعة والفتون لم يخلقه فاطر الأرض والسماء

وما أكذب الحسن ، فقد شهدت منه نماذج يدوسها قدمى وهى طيعة راضية ، ولكنى ما زلت أتكبر وأتجبر ، وأطغى وأستطيل ، لأن الحسن الذى يأسرنى لم يشهده هذا الوجود

لا أكذب الحسن ، فقد قطفت منه أطايب نفيسة لم يقطفها أحد سواى ، ولكن كيف

يدينى الحسن وفى قلبى شاعرية هي أنضر منه وأسحر وأفتك ، وفى نفسى كرم هو أبقى منه على الزمن وأجدر منه بالخلود

فان كنتم فى ريب من ذلك فاسألوا كيف يعيش من قصرت عليهم هواى ، سلوهم كيف استطابوا الغفوات وأنا أساهر النجم لأناجى المعانى ، وأتحدث فى الهوى ، فأشرح الجنون

وماذا عند أهل الجمال ؟ ان الحب فى قلب العاشق أشرف من الحسن فى وجه الجميل

أنا أحب ؟ قولوا غير ذلك ، واطلبوا تجارب الحب من رجل سواى

ألست أنا الذى رفع الحجاب عن أصول الحقائق حين قال : ان الدمع فى عين العاشق كالسم فى ناب الثعبان . فان رأيتمونى أبكى من الحب فاعلموا أنى أفعل ذلك لأخدر الفريسة كما يفعل الأفعوان حين يلدغ الفريسة ليخدرها بالسم فيبتلعها بلا عناء

ماذا لقيت من الحب ؟ لا تسألوا ماذا لقيت ، فذلك حساب تثقل فيه الموازين ، ولكن اسألوا ماذا عانيت فى الحب من سفه الطيش وعنف الفتون

أنا اليوم صريع الغيرة ، أنا اليوم قتيل الهموم ، أنا اليوم شهيد الشجون

اليوم يصحو المخمور ، ويستيقظ الغافى ، ويفيق المتبول

اليوم ألتفت فأجد رفاقى تقدموا وتخلفت ، وأشهد أنى كنت من الخاطئين

لو أنى أنفقت فى سبيل المجد بعض ما أنفقت فى سبيل الحب لكنت اليوم رئيس الوزراء

وداعاً أيها الجمال وداعا أيها الحب . وفى ذمة الله عمر ذهب ، وشباب ضاع !

وفى سبيل من ؟ فى سبيل الغادرين الخاتلين من أهل الصباحة وأرباب الجمال

تسألون عن تجاربى فى الحب ؟ انه تجارة خاسرة ، وأرض موات

فان كان فى القراء من يعقل فليسمع الموعظة من رجل دفع ثمن التجربة من دم الصبا وعافية الشباب . لقد جربت الحب ، وهأنذا أخرج من دنياه صفر اليدين . فمن اغتر بالحب بعد ما حذرته وأنذرته فهو مضيع مغبون

***

وكنت أحب أن أطيل فى شرح هذه الموعظة ، ولكنى مع الأسف مشغول القلب بغرام جديد ، ولعلى أحدثكم عن أهواله بعد حين !

أتحسبونى تبت ؟ هيهات هيهات !

زكى مبارك

التجديد في الشعر

للدكتور نقولا فياض

ما هي الموضوعات التي يمكن للشاعر أن يطرقها ، وما هي الاساليب التي يستطيع أن يتخذها ، كي يتجدد الشعر العربي في معناه ومبناه ؟ هذا ما بينه الدكتور نقولا فياض في محاضرته القيمة التي ألقاها في حفلة الجمعية العراقيـة بالجامعة الأمريكية ببيروت

يجب أن يتطور الشعر

من بواعث العجب أن يرتفع صوت بالدعوة الى التجديد في الشعر من شاعر قديم . أقول قديم لا مداعبة ولا دلالا ، ولو قلت غير ذلك لكذبني هذا البياض في رأسي . غير اني من الذين يؤمنون بالشباب وينظرون الى النهار الدائم في النفس ومن أجله يعملون . فالشباب أبدي لأنه معنى من معاني الحياة ، والحياة أبدية وهي وحدها تهتز ونحن في فضاء الوجود . ولا ريب أن في عالم الحس كما في عالم النفس أفاقا عذراء لم يرمقها بعد الناظر ولا الخاطر ، وما ترديد الناس لقول الشاعر ، هل غادر الشعراء من متردم ، الا من قبيل الاشهاد بحكم العادة دون الاستناد الى دليل أو برهان

الشعر أول رسول روحاني بعث لتهذيب البشر ، منه انبثقت الفلسفة ، وعليه قامت الأديان ، واليه انتهى الجمال ، وقد بقي مرفوع اللواء حتى العصور الأخيرة ، جاء العلم بحقائقه ومخترعاته ، وطما سيله عليه ، فلم يترك له سوى زوايا القصور والخدور وأندية اللهو والطرب ، وانفرجت المسافة بينهما ، فأصبح تغني الشاعر بالحياة والانسانية ناقصاً عقيماً ، لأن أشياء كثيرة من الانسانية والحياة غابت عنه . لقد مضى الزمن الذي كانت تكفي الشاعر فيه وقفة على الطلل البالي ، أو نظرة الى القمر الساري ، أو جرعة من الغدير الجاري ، للتغزل والنجوى ، وبث الشكوى ، وصارت هذه الموضوعات وما اليها من أحاديث الفخر والمديح مبتذلة ، لا تجد صدى بعيداً في النفوس بعد أن دخلتها أشعة العلم وخلقت فيها ظمأ جديداً يصعب ارواؤه بغير الجديد

وهل من المعقول بعد أن شرب الانسان من خبرة الزمان ، وانكشفت له أفاق جديدة للتفكير أن يبقى الشاعر في دائرته الضيقة محصوراً في التأمل ببعض حوادث طبيعية عرفها منذ أجال بصره في هذا الوجود ؟ وما الفرق بين الانسان الأول وانسان اليوم اذا ظل هذا ينظر بعين ذاك ولا يحيد عن المسلك الضيق الذي ورثه عنه . لقد شبعنا وتعبنا من ذكر القمر والغصن والطير والنسيم ، تعبنا من التغزل بورد الخدود ورماح القدود ، تعبنا من الأحلام والآلام وكؤوس المدام ، تعبنا من عربدات السكر ولذات القبل ونجوى الوادي وهمس النسيم . ألفاظ وتراكيب لها ماضيها المجيد

ولكنها اليوم قد أضاعت الكثير من تأثيرها لفرط ما كررت فى القول والكتابة ، فلم يبق شعر الا رددت فيه ولا شاعر الا حام حولها . انا اعتقد أن الشاعرية كالبطولة : نعمة سامية نادرة ، فاذا اقتصرنا فى الشعر على تعابير وتشابيه قيلت من قبلنا ألوفاً من المرات ، فمن الهزل فى هذا العصر ، عصر الحقائق والتلفزيون والسرعة أن نضيع أعمارنا فى النظم . لا أعنى أن على الناظم أن يتناول فى شعره هذه الحقائق ، ويجعلها عمود كلامه . فالشعر غير هذا ، بل هو لم يخلق ليكون لغة العلم . ولكن من يعيش فى هذا الجو الجديد ويستنشق هواءه ، لابد أن يتأثر به وجدانه تأثراً يخلع على الشعر مسحة عاطفية لا عهد له بها يكون لها من السلطان ما يفتح مغالق القلوب المستعصية ، ويساعد الشاعر على أداء مهمته السامية التي لا تنتهى عند عتبة اللذة واللهو والطرب

واذا اجلنا الطرف فى شعر الأعاجم ، وجدناه يتطور مع الزمن ، ويلبس لكل جيل لبوسه ، فيبقى مرآة صافية تعكس ما عليه اصحابه من حالة نفسانية واتجاه فكرى . هذا شعر الفرنسيين مثلا تعاقبت عليه أدوار مختلفة من كلاسيك الى رومانتيك الى برناسى فرمزى ، ثم جاءت طائفة جديدة ذهبت به مذاهب شتى من انسانى Humanisme واجتماعى Manisme وخيالى Fantaisiste وصبيانى Dadaisme وسواه ، وكلها تحاول الخروج عن المألوف : هذا باطلاق القافية والوزن ، وذاك بالتسامح فى التركيب ، وآخر بقلب النحو والمنطق والبيان رأساً على عقب . ونحن وإن كنا لا نطمع بمثل هذا الانقلاب ولا نستحسنه فى جملته ، فلا أقل من أن نشق لنا طريقاً جديدة يشرق منها الخيال على آفاق غير التى عرفناها وألفناها

ولقد وقع لنا شىء من هذا فى الماضى ، وما الاندلسيات الا رد فعل يدلنا على أن القوم تعبوا من النظم على النمط القديم بعد أن بلغوا من التنميق فيه الغاية كما قال ابن خلدون ، فاستحدثوا فنا سموه الموشح . غير أن هذا الحدث ضيق محصور لا يتناول سوى طريقة النظم ، وهذه موشحاته تحوم كلها حول موضوع واحد ، ولا تجد فيها غير استعارات وتشابيه واحدة ، وحسبك أن تقرأ موشحاً لتستغنى عن الباقى . وظلت الحال على هذا المنوال : اللاحق يقلد السابق ، والشعراء فى سائر الأقطار العربية يتناوبون حمل صولجان الشعر دون أن يمتد ملكه الى أبعد مما رسمه الأقدمون ، الى أن قام فى عصرنا هذا فئة من الشعراء تضيف الى القيثارة الكبرى أوتاراً جديدة

التجديد فى التعبير

وهو يتناول المفردات والجمل وأسلوب النظم

أما المفردات فبالخروج عند الحاجة عن معانيها الظاهرة المألوفة ، لأن الكلمة ذات مستقلة لم نأخذ منها حتى الآن سوى الظاهر من معناها دون التعمق فيها ، فاذا عرض لنا استعمال لم نألفه عددناه ثورة ونبذناه قبل أن نترك للأذن وقتاً للتعود عليه ، وللخاطر مجالا أن يرتاح اليه . مثلا تعودنا أن

نقول نعومة الشعر الأشقر ، فلو جاءنا مجدد وقال نعومة الشعر الشقراء لقلنا هذا هذيان فكيف توصف النعومة باللون وهي لاتدرك بغير اللمس ، مع أنه لو تعقمنا فى الحقيقة لوجدنا أن هذا الذى ننعته بالهذيان هو فى الواقع أبعد مدى فى الوصف والبيان ، فان إلباس النعومة لوناً أشقر يخلق فى ذهن السامع صورة جديدة تريك النعومة فى أقصى مداها . انك ان أردت الكلام عن الشعر الأسود لا تقول النعومة السوداء ، لأن اللون الأسود يفيد الحداد والاكداد ولا يمكنه أن يعطيك صورة ناعمة صافية نقية كاللون الأشقر . وجل ما نحتاج اليه هو الفة هذا التعبير والتعود عليه

كذلك تعودنا أن نقول ليل مخيف وليل عميق، وماتعودنا أن نقول ليل عنيف مع أن الليل جزء من الوقت كالصبح وكالظهيرة وقد نضطر الى وصفه بغير ما يفهم منه اشتداد الظلمة . ومثله قولنا تبدد الظلام أو تمزق ، ولم نقل يوما سقط الظلام ، لأننا لم نألف أن ننظر اليه كجبار باسط جناحيه على الأرض يمكنه أن يسقط تحت أقدام الفجر ، الى آخر ما هناك مما لا يقع تحت حصر

وقد قرأت لأحد الأفاضل كلاما عن التعريب يستهجن فيه هذه الجرأة فى استعمال المفردات فى غيرمظانها المعروفة ، مقدما مثالاعلى ذلك قول بعضهم غابات نائمة بمعنى هادئة، فأخذنى الدهش والأسف معاً وتساءلت ما يكون وقع دعوتى الى التجديد من نفوس ادبائنا اذا كان كبارهم لا يريدون خلع نير الماضى فيقيدون هذه اللغة كما يقيد الصينيون أرجل بناتهم ، ولا أدرى وأيم الحق أين وجه الاستهجان فى الغابات النائمة ، وهل كان النوم الا صورة السكون ؟

قال الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر : « اللغة العربية أوسع اللغات مذهباً ، فيها المجاز فى النسبة ، والمجاز فى المفردات ، والمجاز فى المركبات ، وفيها التشبيه والكناية ، وهي واسعة الصدر للدخيل ما ان تراه حتى تخلع عليه ثوبا من ثيابها وترده الى أوزانها وتتخذه ولداً من أولادها ، تعامله معاملتها فتنشق منه وتنصرف فيه الى آخره »

فلغة هذه صفاتها لا يصعب عليها أن تصف الغابة الهادئة بالنوم ولا تجد فى هذا التعبير الافرنجى ما يغاير نسبها ومقدرتها ورقتها ووضوحها وافتتانها ، بل ربما جاء هذا الوصف اكثر انطباقا على الحقيقة الماثلة فى مخيلة الشاعر . والحرية التى نطلبها فى استعمال المفردات غايتها أن تكون الكلمة عبدة لنا لا أن نكون نحن عبيدها ، ولا يخفى ما فى هذا التوسع من خدمة البيان ونجدة اللسان

وأما الجمل فلأن ما شاع استعمالها منها أصبح مبتذلا لايهز السمع كما تفعل التراكيب المستحدثة ، والشاعر المجدد من اهتدى الى قوالب أخرى يفرغ فيها معانيه فيزيد فى تأثيرها دون أن يسىء الى هذه اللغة. وحسب الشاعر الذوق هاديا فيما يحاول بناءه من جديد العبارات فيتوخى فى إظهارشعوره حاجة العصر من الاقتصاد فى الوقت فضلا عن أن الذهاب بالتعبير الى أقصى مداه يضعف الصورة ، بخلاف الغموض الذى يلازم الايجاز فانه ينفع فى تنبيه فكر السامع وإعمال فكرته لرد المعنى المبرز فى حلة من المجاز الى حقيقته ، وهى حركة ينطبع فيها الأثر بأشد من انطباعه لو بلغ المدركة دفعة

واحدة ، ويعطي القارىء لذة اكتشاف المعنى فى قلب الشاعر كأنه شريك له فى النظم . قال الصابى: «أفخر الشعر ما غمض عنك فلم يعطك الا بعدمماطلة منه » وهذا القول يظهر لك أن المذهب الرمزى الذى يشير به شعراء فرنسا فى الخمسين سنة التي خلت قد سبقهم اليه العرب ، ومن «ستفان ملارمه» الى « فاليرى » لم يأت أولئك بشيء لم يعرفه شعراؤنا

وأما أسلوب النظم فليس الغاية منه اطلاق الشعر من قيد القافية والوزن كما فعل الاعاجم ، فان عندنا من الشعر المنثور والسجع ما يقابل الشعر الطليق عندهم ، وربما بزه حسناً ، فمن الواجب أن يبقى شعرنا شعراً ، على انه لا بد من التساهل فى أمور عارضة لا تؤثر فى جوهره . فالقافية قد لا تليق بالناظم فى موضوع عصرى يتطلب الدقة ولاسيما فى القصائد الطوال التي يتعذر فيها الاحكام والاتقان، فخير للشاعر أن يستغنى عنها من أن يأتى بها قلقة نافرة على شرط المحافظة على الموسيقى التى تعوض بجمال إيقاعها عن جمال القافية فلا يشعر السامع بما تحدث من الفراغ ، كما فى هذه الابيات مثلا :

إن أكن قد بحت يوما بالهوى فلأنفاس السحر
بحت للريح التى تضحك أو تبكي باوراق الشجر
بحت للنهر الذى يصغى الي كلما ملت بوجهى نحوه
صامتاً فى جريه متشدا إن أكن بحت فقد بحت به

ولم يترك الاعاجم سبيلا للتجديد الا طرقوه حتى انهم استعملوا فى القافية ما نعده من عيوبها فجمعوا بين terne, livre, lestane, rousse وهو يقارب ما نسميه عندنا الاكفاء والاجازة [1]

ونحن لا نطلب النسج على منوالهم بل نريد التخلص من القافية عند الحاجة دون الاساءة الى الشعر ، كما أننا لا نطمع بإيجاد بحور جديدة وان يكن المولدون أتوا على ذلك كما روى ابن خلدون ، لئلا نغرق فى الفوضى . غير أن استعمال غير واحد من بحور الشعر فى القصيدة الواحدة لا يعد عيباً ، لأن مواقف القول من مدح ورثاء وغضب وغيره تحتاج الى مختلف الأوزان فقد يوافق الكامل الغزل ، كما يلائم البسيط الرثاء ، والطويل الفخر . والشاعر الحر مدفوع بالبديهة الى التنقل من بحر الى بحر مع العواطف كما تنتقل أنامل الضارب على العود من وتر الى وتر . ثم هناك من الابحر ما تشابه فى الايقاع كمجزوء الوافر والهزج فلماذا لا ندمج بعضها فى بعض عند الاقتضاء ؟ لقد وجد الشعر قبل أن توجد قواعده ، فهو يقال عفو السليقة ، ولا أرى ما يجبرنا على التقيد بما

---

(١) الاكفاء هو اقتران الروى بغيره من الحروف المقاربة له فى المخرج كقوله :

اذا زم اجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين
تنادوا بأعلى صخرة وتجاوبت هوادر فى حافاتهم وصهيل

والاجازة هو اقتران الروى بغيره من الحروف المتباعدة عنه فى المخرج كقوله :

خليلى سيرا واتركا الرحل انى بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط نجيب

وضعه القدماء مما ينافى المنطق والفطرة ، ولا سيما لأن الايقاع الموسيقى موجود فى نفس الشاعر قبل الفكرة ، فحقه أن يختار الاساوب الأوفق له . لقد أتى حين من الدهر لم يكن فيه الشعر مبنياً على أوزان مطردة أو منفصلا الى أبيات مقدرة كالمتعارف اليوم ، كما يستدل من الشعر القديم الوارد فى بعض اسناد الثورات والنبوءات ، واذا لم يقنع كلامى بعض المحافظين من المتطرفين ، فانى أقول ما قاله الصبان وايده الزمخشرى فى القسطاس من أن بناء الشعر على وزن خارج عن محور الشعر لا يقدح في كونه شعراً ولا يخرج عن كونه شعرا

التجديد فى التفكير

لقد حاول بعض شعراء العصر أن يجددوا بطرقهم موضوعات غير الغزل والمديح والرثاء وما اليه ، فأجادوا فى وصف حيوان أو آلة أو واقعة تاريخية ، الا أنهم لم يتناولوا سوى ناحية من التجديد لأن الوصف ليس كل ما يمتاز به الشعر عن النثر ، بل لو أردت مجاراة بعض المغالين من مجددى الافرنج لقلت إن الوصف ومافيه من صور وعواطف وأفكار هو من مرامى النثر، وبالنثر تستطيع أيضاً أن تستفز الحماسة وتستنزف الدموع . فالشعر غير هذا وفوق هذا ، وأول ما يطلب فيه هو هذا الشىء الذى لا يوصف ، والذى يندفع من القلب فيمر على الصور والعواطف والافكار كما يمر التيار الكهربائى على المعدن فيلبسه حلة قشية . هذا هو الشعر الخالص فى نظرهم ومن دونه لا قيمة للشعر . غير انى أعفيكم من هذا القول أولا لان الطفرة محال ، ونحن لم نجاوز بعد عتبة التجديد لنجلس فى صدر النادى. وثانياً لانى لا أوافق على هذا القول الذى يهدم بناء العصور ويذهب بكل ما نظم منذ القدم الى اليوم ، ولايبقى للشعر أثرفى بدو ولاحضر . لكل ان يعرف الشعر كما يشاء ، وقد قيل طرق الشعر أسهل عليك من تعريفه ، ولكن الواقع الذى لا غبار للشك عليه هو أن ثمة شعراً لا ينكر ، وشعراء أطربوا سمع الدهر حاضراً وماضياً ، ومانشكو منه اليوم ليس فقد الشعر بل تكاثره الى حد الابتذال وضرب الشعراء على وتر واحد ، واذا نحن سعينا الى التجديد فليس معنى ذلك أن القديم قد لف بالكفن وذهب كل جمال فيه . ولكن هي شرعة الترقى تدعونا الى الاستنباط للانتقال من حسن الى أحسن ، وما كل مجدد بمحسن

وكيف يكون هذا التجديد ؟

كان الشاعر يكتفى بالحقيقة الظاهرة التى يقدمها له الواقع فيمضى فى النظم حسب ما يلقنه وحى الساعة ، أما اليوم فقد أميط الحجاب عن حقيقة أخرى آتية من أعماق العقل الباطن الذى يكفى الواحد منا أن يفكر بموضوع دون أن يقدم على الكتابة فيه حالا ، ليأخذ هو بالعمل لنفسه من حيث لا ندرى ، عمل خفى بطىء تشترك فيه قوى الذاكرة بينما الانسان مشغول عنه بأعماله العادية أو بالكتابة فى موضوع آخر ، عمل يدعو اليه المعانى والصور من مختلف النواحى فترد مسرعة

أو متباطئة ، وتملأ الساحة التي وراء الادراك ، حتى اذا عمد الشاعر الى القلم بعد هذه الفترة التي قد تكون شهراً أو عاماً ، وجد من نفسه استعداداً لا عهد له به وأخذ يقتنص كالصياد تلك المعاني والصور ، منها القريب ومنها ما لا يزال في منتصف الطريق اليه . وكم من مسألة عويصة حلت على هذا الوجه ! وكم من اختراع تجلى لصاحبه على هذه الصورة ، وقد يساعد هذه الحالة بعض المنبهات أو مهيجات العصب كالخمرة والحمى وكل ما يخدر المدركة ليفتح الطريق للقوى الكامنة وراءها

لا أعني أن الشاعر مضطر كلما أراد النظم أن يستعد هذا الاستعداد الطويل ، أو يلجأ الى السكر ، أو يلقح جسده بالحمى ليفتح عليه ، فان من الوقائع مايدعوك الى النظم لساعتك ولا يدع مجالا للعقل الباطن ليمدك بما في خزائنه من الكنوز ، فما عليك في مثل هذه الحال الا أن ترد نظرك الى أعماق نفسك وتستل منها مايختلج فيها ساعتئذ . لنفرض أن طائرة هوت من حالق وتحطمت أمامك بمن فيها فحركت فيك عاطفة الشعر ، فاذا اتبعت الطريقة المألوفة فأول ما تصفه سقوطها وحالة المصابين مستعيناً بتشابيه واستعارات جارية على كل لسان . على أن لديك موارد جديدة غير هذه وهي ما يمر في نفسك عند رؤيتك الفاجعة مرور البرق ، فاذا انتبهت له وأخذته فوراً كما يأخذ المصور الشمسي الصور السريعة ، فقد استطعت أن تزيد على ماعندك من المعاني ما يعبر عن شعورك الداخلي ، والهزة النفسانية التي أحدثها سقوط الطائرة ، فتضيف الى صورة الواقع صورة أخرى من اضطرابك الذاتي وما توارد على خاطرك في تلك اللحظة من شتى التذكارات والصور والألوان والأصوات

وهناك فضلا عن الوقائع مرئيات الوجود التي لا توليها عادة اهتماماً كافياً مع أن كلا منها كما قال « ديدرو » يستطيع أن يقود الفكر الى ما لا نهاية له من الأشياء . خذ اللون الأصفر مثلا فهو يذكرنا بالذهب ويذكرنا بالحرير ويذكرنا بالمرارة ، واذا تغلغلنا فيه وجدناه لون الغضب والخوف والحسد والهموم ، والشمس عند غروبها تصفر من ألم الفراق ، وقد يقبض المجنون على خيط من القش اللامع فيحسبه شعاع الشمس ، ولا بد من نقطة يلتقي عندها الشاعر والمجنون

قال أبو تمام في الأرض :

يا صاحبي تقصيا نظريكما ترياوجوه الأرض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد زانه زهر الربا فكأنما هو مقمر

وقال آخر :

يا لسحر حملته في جبيني من ربيع الآمال والأيام
وعناق السماء في زرقة البحر وفي خضرة الشعاع النامي

فالأول رأى الزهر فخاله شعاعا ، والثاني رأى الشعاع فخاله زهراً ، وهكذا القول في سائر الاشياء التي يقع عليها نظر الشاعر . خذ النجمة مثلا :

فقد تراها مقلة : ليل المحبين هل هذي عيونهم ماتوا فاطلعتها في الليل أقماراً

وقد تراها دمعة : أنت تبكين يانجوم . .
وقد تراها شمعة : والليل فى صمته الرهيب كراهب يحمل الشموع
وقد تراها فما أو دما : أثغور كثيبة أم جراح أنت فى اللانهاية السوداء
واذا تماديت فى الخيال حسبتها سيفا : أين من يمشق النجوم غضابا

وقد وصل بعض المجددين من الافرنج الى تشبيه عواطفهم بالالوان . فللتقوى لون وللفرح لون وللذة وللالم لون وللشبع كما للضجر والنعاس لون . ومنها تخطوا الى صلة قرابة بين الالوان والاحرف الصوتية فاختاروا لكل شعور أو لون صوتاً يقابله،فاذا أرادوا النظم فى موضوع اكثروا من الحروف الملائمة له فى نظرهم . الا أن هـذا المطلب وعر المسالك ولا سبيل الى بناء قاعدة له لتشعب الاذواق وتضاربها . فقد يكون التفاح لون الفرح عند الواحد ، ولا يكون كذلك عنـد الآخر . ومن يدرى فقد يجيء فى الغد من يخلق الرائحة للشعور كما لو جعلنا البخور رائحة المجد والفخار ، والياسمين رائحة اللذة الى آخره ، وهذه بلبلة لا نهاية لها

والذى أريد أن أقول إن فى ميدان التجديدمتسعاً للجميع ، وما كل مجدد بمحسن ،والموفق من ضرب على أوتار كل فؤاد ، لان الشعر كالامواج المرتزية وفى الطبيعة البشرية أماكن محجوبة ، فاذا اهتدى اليها الانسان حيث هى من شبه فقد عرف السبيل الى نفس سواه وكان له التأثير المنشود

أنا لا أجهل ماقد تسبب الدعوة الى التجديد من الفوضى لتعذر ربطه بقواعد وأصول ،ولأن كثيراً من الشعراء لا يزال يسيء فهم هذه الكلمة ويحسب أن التجديد هو تطليق القديم وإنكار مزاياه ومحو آثاره ،ويجهل أن فى القديم مايبقى جديداً على الدهر ولاتبلى محاسنه . ولـكنى أسألكم هل نحن فى نجاة من هذه الفوضى اليوم ؟

فعلى الشاعر اذاً أيا كان شاباً أو كهلا ، وسواء كان من الذين ينهضون في الليالى المحرقة كما قال «موسيه» يصلون ويبكون ويبسطون أيديهم نحو اللانهاية وملء قلوبهم الاشفاق لآلام مجهولة ، أو من الذين يدرسون مصائب الاجتماع ويشاطرونه أفراحه وأتراحه ، أو من الذين يتبعون حركة العلم والرقى الانسانى ، عليه أن يسعى الى تكوين ذاتية خاصة به يستعبد بها القلوب ، وأن يظل أميناً على هذه اللغة الشريفة الجميلة فلا يتسامح فى الخروج على مبادئها الأساسية ، وأن يحافظ على الروح القومية التى تتجلى فيها حتى اذا نقل شعرنا الى اللغات الغربية ظل أثر هذه الروح بادياً فيها الى جانب الآثار الأخرى الدالة على مبلغ ثقافتنا وكرامتنا

نقولا فياض

الصراع بين التاج والبرلمان

من فجر التاريخ الانجليزى الى اليوم

كيف تطور البرلمان من آلة صماء لفرض الضرائب وتحقيق حاجة الملك الى المال الى سلطة عليا تفرض ارادتها على كل شيء فى الدولة حتى الاحوال الشخصية للجالس على العرش

فى مساء يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ديسمبر الماضى ، فى إحدى قاعات قصر وندزر ، اجتمع حول مائدة العشاء أفراد الأسرة المالكة البريطانية بدعوة من الملك الجديد لوداع الملك الذى آثر زهرة الحب على صولجان الملك . فلم يكد ينتهى العشاء حتى نهض عن المائدة (الأمير) ادوارد وخاطب من (الميكروفون) الشعب البريطانى خطبته التى تجمع الجمهور فى أنحاء الامبراطورية متلهفا على سماعها فى حزن وأسى شديد ، والتى استدرت عبرات أم هدت من قواها تلك الأزمة العصيبة الفاجئة . وما هي إلا ساعات قلائل حتى كانت تتحرك من ميناء بورتسموث مدمرة بريطانية تقل على ظهرها الملك السابق الى حيث ينشد العيشة الهادئة مع (المرأة التى يحبها) كما قال فى كلمة الوداع ، وبذلك أسدل الستار على آخر فصل فى هذه المأساة التى هزت الامبراطورية البريطانية العتيدة وشغلت سمع العالم وتفكيره أياما عدة متوالية

والذى يهمنا فى هذا البحث هو ما وراء الأزمة الأخيرة من مبادىء دستورية تسمو على الاحداث والأشخاص ، أو بعبارة أخرى هو (العموميات) التى نخرج بها من تفاصيل الأزمة و (خصوصياتها) . ويمكننا ايجاز هذه المبادىء فيما يلى :

١ ـ كان النزاع الأخير قائما فى الواقع بين التاج والبرلمان ، رغم ما كان يبدو فى أول الأمر من أنه نزاع بين الملك والوزارة . ويوضح هذا ويؤيده قول جريدة التيمس فى عددها الصادر يوم ٩ ديسمبر : « إن فى الحالات العصيبة حيث يرتاب الملك فى الرأى العام الذى يؤيد وزراءه وبرلمانه ، يهيىء الدستور لجلالته وسائل الرجوع الى سواهم ، ولكن من الواضح أن الحالة الحاضرة ليست من ذلك النوع ، وليس هناك ما يدل على أن جلالته يفترض أنها كذلك »

٢ ـ ان مدار النزاع مسألة (شخصية) يعتبرها البرلمان من خصائصه ، ناهجاً فى ذلك نهج البرلمانات السابقة التى كافحت طويلا حتى استطاعت التطور من آلة صماء لفرض الضرائب وتحقيق حاجة الملك الى المال، الى سلطة عليا تفرض سلطانها على كل شيء فى الدولة حتى الأحوال الشخصية للجالس على العرش

التاج والبرلمان

أول برلمان قام على أساس وطيد فى انجلترا برلمان سنة ١٢٦٥ الذى أنشأه المغامر الفرنسى « سيمون دى مونتفورت » الذى قاد النبلاء فى الثورة على هنرى الثالث . وقد ظهر فى هذا البرلمان لأول مرة ممثلون من الطبقات الأخرى الى جانب النبلاء . وبعد ثلاثين سنة ، اختفى فيها أثر البرلمان لاندحار سيمون وموته وما تلاهما من اضطرابات وفتن ، قدر للبرلمان البعث على يدى ادوارد الأول ، إذ دعا فى سنة ١٢٩٥ (البرلمان النموذجى) وكان هذا البرلمان أوفى تمثيلا من الأول . ولكنه يماثله فى أن كليهما لم يكن ينظر اليه إلا كأداة لسد حاجة الملك الى المال . ولكن هذا البرلمان حين اجتمع بعد عامين لم يساير رغبة الملك فى أن يكون مجرد آلة لفرض الضرائب ، بل أصبح تدريجيا آلة لارغام الملك ، بالتحكم فى موارده ، على الخضوع لارادة رعاياه

على أن البرلمان لم يلبث أن اصبح مكوناً من مجلسين ، مجلس اللوردات ومجلس العموم ، وظل المجلس الأخير فى القرون الوسطى تابعاً خاضعاً للاول ، وكان العثور على العدد الكافى من أعضاء مجلس العموم أمراً متعذراً . وكثيراً ما كان يحدث أن يفر السيد الذى يقع عليه الاختيار لعضوية البرلمان فيعهد الى عمدة القرية فى مطاردته واعتقاله لادخاله حظيرة البرلمان !

وعلى أثر حروب الوردتين قامت بالحكم أسرة تيودور . وكان ملوكها أشد بأساً من أسلافهم ومن خلفوهم على السواء . وهنا قضى على البرلمان الانجليزى بأن يكون أداة صماء ، فقد كان يسيره هنرى الثامن كيفما يشاء لتحقيق ما يشاء من أغراض ، سواء فى مشروعات زواجه أو فى مطامعه المادية ، وانتهى الأمر باهمال شأن البرلمان تماما تحت حكمه . ويرى بعض المؤرخين أن خنوع البرلمان فى هـذه الفترة كان خطوة كبيرة فى بقاء النظام الدستورى الانجليزى ، لأن البرلمان لم يكن محبوبا من الشعب فى أيام هنرى ، فكان من السهل عليه أن يزيله من الوجود اذا آنس منه شروداً ومقاومة . ولم يكن البرلمان أقوى سلطة فى عهد الملكة اليصابات منه فى عهد هنرى الثامن . وإن يكن مجلس العموم قد اعترض فى أواخر حكمها على محاولتها جمع المال ببيع حقوق الاحتكار . وعلى الرغم من أن اليصابات كانت تعنف البرلمان حين تبدو منه بوادر الرغبة فى التقدم بمقترحات ومشروعات من عنده ، وتقول لأعضائه فى صراحة مؤلمة إن مهمتهم لا تتعدى أن يقولوا نعم أو لا فيما تتقدم به الحكومة اليهم من مشروعات ــ فانها كانت أحكم وأذكى من أن تصطدم بالبرلمان

فلما ولى جيمس الأول الملك ، أدى سوء تصرفه وعناده وصلفه وتمسكه السخيف بأسطورة الحق الالهى للملوك الى الاصطدام ببرلماناته الواحد بعد الآخر . ولكن النصر كان فى النهاية لمجلس العموم إذ قرر حقه فى مناقشة كل مسائل الدولة . وجاء حكم شارل فازداد الصراع بينه وبين البرلمان شدة ، حتى كان يحل البرلمان عند احتدام المعركة ويرسل بعض أعضائه الى السجن فى برج لندن .

ومن سنة ١٦٢٩ الى ١٦٤٠ ظل البرلمان معطلا ، فلما أعوز الملك المال أجريت فى سنة ١٦٤٠ انتخابات للبرلمان ، ولكن المجلس الجديد كان أقصر برلمانات انجلترا عمراً إذ أنه حل بعد بضعة أيام وسجن أعضاؤه . فلما هاجم الاسكتلنديون قوات الملك لم يجد مناصا من مواجهة البرلمان مرة أخرى عسى أن يمده بالمال . ولم يلبث النزاع الدستورى أن انقلب صراعا حربياً بين شارل وقوات البرلمان تحت إمرة كرمويل ، وهو الصراع المشهور الذى انتهى باعدام شارل الأول فى ٣٠ يناير سنة ١٦٤٩ ، ثم الغاء مجلس اللوردات والملكية ، ثم نشوء جمهورية لم يلبث أن استبد بحكمها كرومويل . فلما مات كرومويل سنة ١٦٥٨ ساد الاضطراب وأجريت انتخابات فاز فيها الملكيون فاستدعى شارل الثانى من منفاه سنة ١٦٦٠ ليتولى الملك وسط أعظم مظاهر الابتهاج . ولكنه لم يلبث أن وقع فى نزاع طويل مع البرلمان،وبعد ذلك تمتعت البلاد بهدوء شامل حتى توفى شارل سنة ١٦٨٥ وخلفه أخوه جيمس الثانى . وقد بدأ حياته محبوبا ولكنه حاول تحدى البرلمان غير مرة ، وسلك سياسة نفرت منه الشعب فأكره على الفرار الى فرنسا ودعى وليم لتولى عرش انجلترا . وقد جعلت هذه الثورة من البرلمان العامل الأكبر فى النظام السياسى الانجليزى.ولم يكد يبدأ القرن الثامن عشر حتى كانت سطوة البرلمان وسلطته العليا أمراً مقرراً . وتلا ذلك انشاء مجلس الوزراء وتقرير المسئولية الوزارية واستقلال القضاء ، ثم انشاء منصب رئيس مجلس الوزراء ليتولى ادارة الشئون الداخلية لجماعة الوزراء . وقد استؤنف النزاع فى أيام جورج الرابع ، ووليم الرابع،والملكة فكتوريا ، وإن يكن هذا النزاع قد اتخذ شكلا أقل بروزاً وحدة مما سبق . أما ادوارد السابع وخلفه فقد قبلا مبدأ الملكية المقيدة قبولا مطلقاً ، وسلم جورج الخامس كامل التسليم بترك كل المسئولية فى التنفيذ والتشريع حتى فيما يتعلق بحقوق الملك ، تتولاها الوزارة والبرلمان

البرلمان والاحوال الشخصية للملك

أما الصراع حول المسائل الشخصية للملك فأول حادث بارز من هذا القبيل فى تاريخ انجلترا نشأ فى سنة ١٥٢٧ . إذ فوجىء الشعب الانجليزى وفوجىء البابا فى روما بيقظة طارئة فى ضمير ملك انجلترا ، هنرى الثامن ! وذلك أنه بعد زواجه من كاترين بخمسة وعشرين عاما ، تنبه الى ان هذا الزواج لا يمكن أن يحله الدين لأنها كانت من قبل زوجة لأخيه الذى توفى ، فهو الآن يطلب الى البابا أن يصدر أمره بالتفرقة بينهما . ولكن السر افتضح وعرف ان الذى استيقظ لم يكن ضمير الملك بل قلبه ، حين نبض بعاطفة الحب أو الشهوة لفتاة أخرى هى آن بولين ! ولما ذهبت جهود هنرى هباء لانتزاع القرار المطلوب ، أجرى الانتخابات لبرلمان حرص بقوة المال على أن يكون محشوداً بأنصاره ، واستغل هذا البرلمان فى تحقيق كل ما أراد من قرارات . فطلقت كاترين ، وانفصلت الكنيسة الانجليزية عن كنيسة روما ،وتولى هو رياسة الكنيسة الانجليزية ، واضطهد

رجال الدين من أتباع البابا فى انجلترا ، وأعدمت آن بولين بعد ما كتها بتهمة الزنا ، وراح الملك يطلق ويقتل ويتزوج ويرهب خصومه ويبتز الأموال بقرارات وقوانين يصدرها البرلمان !

وينقضى حكم هنرى وابنته مارى فتجىء ابنته الاخرى اليصابات، فلا تتورع عن ارتكاب المخازى وإثارة الفضائح الصارخة بسبب تقلبها فى الحب وعبثها بعهود الزواج . وقد كانت تسلك مع البرلمان والوزراء والنبلاء مسلكا عنيفاً حين يثور غضبها ، لاقدامهم على مالا يروقها من تداخل فى شئونها الخاصة ، بل العامة نفسها . فكانت لاتتورع عن صفع محدثها وسبه ، فضلا عن انتهاره وتقريعه ! وقد هال وزراءها أن يظل أمر من يخلفها على الملك متروكا بغير قرار ، فحاولوا كما حاول البرلمان غير مرة أن يقنعوها باختيار هذا الزوج أو ذاك لظروف سياسية ، ولكنها كانت تقاومهم وترفض الاصغاء اليهم . وكانت ترد عليهم بقولها انها تعلم أنها أحب الى شعبها من أن يتمنى لها هذا الشعب أن تدفن قبل الأوان ! ولما ارتقت العرش قررت فى صراحة أنها « ستعيش وتموت ملكة عذراء » وقالت ذات مرة عند مفاتحتها فى أمر الزواج إن مثل هـذا الطلب « لا يعنى أقل من أنى أطالب بأن أحفر قبرى قبل الوفاة ! » ولكن الملكة حين لاحظت ما جره عليها ذلك العناد من أقاويل ، أخذت توعز لوزرائها بأن يؤكدوا للبرلمان بأنها عازمة على الزواج

وقد ظل مجلس العموم ومجلس اللوردات يرقبان الفرصة لارغام الملكة على الزواج حتى وفقوا الى اقتناص الفرصة المنشودة . ففى ١٦ اكتوبر سنة ١٥٦٦ تقدم مدير القصر الملكى الى مجلس العموم يطلب اعتماد مالى للملكة . وهنا نهض أحد أعضاء المجلس فرد بأن لا وجه لطلب هـذا الاعتماد ، وطالب ببيان وجوه انفاق الاعتمادات السابقة . وأخذ النواب جميعاً يتصايحون بوجوب تسوية مسألة الوراثة ، وبين هذه الأصوات نهض أحد الوزراء فقال : « إن النواب سينالون ما يطلبون إذا صبروا ، ولكن يجب الآن تقرير الاعتماد المطلوب » . فصاح النواب جميعا : « لا ! لا ! إننا لن نوافق على أى اعتماد إذا لم ننل ما نريد ، ويجب أن تقول الملكة ذلك ! »

وفى ٢٢ أكتوبر ذهب وفد من مجلس اللوردات وبعض الأساقفة واجتمعوا بالملكة ، وأخبروها بأن مجلس العموم كلفهم أن ينوبوا عنه فى إبلاغها رغبتهم فى تأمين المملكة باختيار خلف لجلالتها ، وهنا ثارت ثائرة الملكة وقالت إن أعضاء مجلس العموم متطرفون فى التمرد ، وإنهم ما كانوا ليجرءوا على ذلك فى أيام والدها ، وإنه ليس لهم أن يتدخلوا فى شئونها . وخاطبت اللوردات قائلة لهم : « افعلوا ما شئتم يا لورداتى ، أما أنا فلن أفعل إلا ما يروقنى » واختتمت خطابها بأن قالت إنها ستعد وصيتها بعد استشارة رجال القضاء والقانون وعندئذ تطلعهم عليها

ومن العجيب أن هذه العاصفة لم تسفر عن أى شىء ، وهذه احدى خصائص العواصف التى تنشأ فى البرلمان الانجليزى ! وانتهى الأمر بأن لجأت الملكة إلى كلام معسول استرضت به مجلس العموم حتى أقر الاعتماد المطلوب وأغضى عن بواعث ثورته !

واختفت وجوه النزاع حول المسائل (الشخصية) بين التاج والبرلمان حتى وليت الملكة فكتوريا العرش ، وهنا ظهر حادثان شغلا الأذهان . أولهما الحادث المشهور باسم « مشكلة قاعة النوم » . فقد حدث على أثر إعلان اللورد جونى رسل استقالة بعض الوزراء، أن عهدت الملكة الى سير روبرت بيل فى تأليف الوزارة ، فلم يكد يتم اختيار الوزراء ، حتى لاحظ سير روبرت أن بين وصائف الملكة سيدات هن من زوجات وزراء سابقين لا تتفق ميولهم السياسية مع ميوله ، فأشار بتغييرهن ، ولا سيما زوجة لورد لورمندى وشقيقة اللورد موربث . ولكن الملكة أجابت بعد استشارة وزرائها بالرد الكتابى التالى : « ان الملكة بعد درس الاقتراح الذى تقدم به سير روبرت بيل ، لابعاد سيدات قاعة نومها ، لا تستطيع أن توافق على اتخاذ مسلك تراه خارجاً عن المألوف وتجده بغيضاً غير متفق مع شعورها» . وقد أثار هذا الحادث من ضروب الجدل والمناقشات الحارة فى البرلمان وخارج البرلمان غاية ما يتصوره الانسان ، وكانت السوابق تؤيد نظرية الملكة كما كان الشعب معها . ومع ذلك بلغ الأمر ببعض النواب أن أعلن فى إحدى الحفلات أن انزال جيمس الثانى عن عرشه حادث يجب أن يذكر فى مثل هذه المناسبات !

وفى أذيال هذا النزاع انحرف الرأى العام الى ناحية خطيرة أثارت الحادث الشخصى الثانى بين الملكة والبرلمان . وذلك ان النزاع حول (سيدات قاعة النوم) تطور حتى ألقى فى روع الشعب أن الملكة قد وقعت في حبائل شبكة من الدسائس النسائية ، وكان الرأى العام فى جانب الملكة ، لكنه كان يكره وصائفها . وانتهز الشاغبون الفرصة فأخذوا يجمعون توقيعات افراد الشعب ليحاربوا بها سيدات القصر ، حتى ان احد اعضاء البرلمان قدم الى مجلس العموم عريضة تحمل توقيع ٢٨٠٠٠٠ ا شخص وقد بلغ قطرها نحو قطر عجلة العربة ، وفرشت هذه العريضة فرشاً فى ارض مجلس العموم! وفى اليوم التالى تقدمت امرأة تدعى صوفيا اليزابيث جيلف سيمز، تطلب اثبات انها طفلة شرعية لجورج الرابع ومسز فيتز هربرت . وكان هذا الفجور فى الادعاء وقوداً جديداً لاشعال نيران التمرد فى نفوس العامة . وسرعان ما تعرضت الملكة شخصياً لأنواع من السخرية والهزؤ حتى على مسمع منها وهي فى طريقها لشهود سباق اسكوت

فعمل لورد ملبورن على استدعاء ابن عمها الأمير البلجيكى ألبرت . فحضر الامير ـ وكانت بين الملكة وبينه علاقة حب غير خافية ـ وبعد وصوله بأربعة أيام فقط بلغ هيام الملكة به ان فاتحت اللورد ملبورن بعزمها على اختياره زوجا . وفي اليوم الخامس كان على الملكة أن تطلب بنفسها الزواج من الأمير . فأخذت فى حياء العذارى تطرق موضوعات عدة ثم وقفت عن الكلام برهة وقالت بالألمانية والدموع تترقرق فى عينيها : « هل تستطيع أن تهجر بلادك من أجلى ؟ » ، فكان جواب الأمير أن تلقاها بين ذراعيه

احمد قاسم جودة
بكالوريوس فى الآداب

أي الأجناس ابتدع الحضارة ؟

قضية اليوم بين الشعوب الشقراء والشعوب السمراء

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

أى الأجناس ابتدع الحضارة ؟ . . هذا هو السؤال الذى يريد الكاتب أن يجيب عنه فى هذا المقال . وقد برهن فيه على أنه ليس هناك جنس انفرد بخلق الحضارة ، بل ان الحضارة بالامس واليوم وفى المستقبل جهد مشترك متصل بين جميع الاجناس

مسألة علمية ولا ريب . ولكنها لم تسلم من السياسة ، وتحولت فى أيدى العلماء ـ عامدين أو منساقين ـ الى وسيلة للدعاية وطلب السيادة

والذى اجتمع عليه المتخصصون فى التاريخ القديم ، ان الحضارات مهدها وادى النيل وما بين دجلة والفرات ، أى ان السابقين اليها هم المصريون والأجناس السامية فى بابل وأشور . ففي هذه الأصقاع الخصيبة ظهرت أول ما ظهرت المدائن والهيا كل ونظم الرى والشرائع والنظم الاجتماعية العالية ، ونشأت الكتابة . وليس يخاف أن الكتابة ألزم ما يكون لرقي الجماعة حيث لا غنى عن تدوين العقود والقوانين والأحكام ، كما أنه لا يستتب بغيرها اتساع الرقعة و بسطة السلطان ، فانما بها يتم لصاحب الأمر بلاغ أوامره ممهورة بخاتمه الى أطراف ملكه ، فتقوم مقام صدق عنه فى تمثيل شخصه و إسماع صوته ، ثم لا تزال تحكى أبلغ الحكاية عنه حتى بعد موته

والآثار بين أيدينا متوافرة عن سكان مصر والجزيرة الاقدمين ، تفصل لنا أخبارهم العامة وأحوالهم المعاشية ومعاملاتهم ، وتوقفنا على طرف من قصصهم وشعرهم ورسائلهم الخاصة . ولا شك بعد الذى عرفناه ان حياة السراة من أصحاب الجاه فى مدينة بابل أو طيبة ، كانت من الرفاهية والترف أشبه ما تكون بحياة السراة عندنا فى هذه الأيام . فكانوا يحيون حياة لها نظم ومراسم ، وفى دور أنيقة البناء أنيقة الاساس والزخرف ، ويلبسون الفاخر الموشى من الثياب ، ويتحلون بأجمل الحلى . وكانوا يقيمون الولائم والأعياد ، ويتلهون بالسماع والرقص ، ويقوم

على خدمتهم خدام مدربون ، ويعنى بصحة أبنائهم وسلامة عيونهم وأسنانهم أطباء اخصائيون ، واذا كانوا لم يعرفوا العوينات من الزجاج فانهم عرفوا حشو الأضراس بالذهب ، ولقد كان الصيف يشهد لهم على الفرات والنيل نزها حلوة فى قوارب جارية مختلفة الألوان والأشكال

والى جانب هاتين الحضارتين العظيمتين ، قامت دول أخرى . وكانت الحضارة السائدة عدا المصرية هي السامية ، وتجارة العالم كله فى الايدى السامية ، وقد أصبحت صور وصيدا أعظم مدن التجارة على ساحل فينقية ، وجابت سفن الفينقيين سواحل البحر الأبيض المتوسط للاتجار والاستعمار ، ونشأت لهم مستعمرات واسعة حافلة مطردة الزيادة فى اسبانيا وصقلية وافريقية ، وتجاوزت أشرعة سفنهم مضيق جبل طارق المعروف لذلك العهد باسم أعمدة هرقل ، فنزلوا فى بريتانيا وأبعدوا هنا وهناك فى عرض المحيط الأطلنطى

وهكذا كان قيام الحضارة على حوض البحر الابيض المتوسط وانتشارها فى شواطئه واشباه جزره وجزره . وقد انتقلت مع الزمن من الشرق القديم عن طريق اليونان وروما الى اوربا الغربية ، ثم عن طريق بيزنطة الى اوربا الشرقية

وكانت الحضارة اليونانية واسطة العقد وأبهى درره . فقد تهيأ لليونان بمناخها وطبيعة أرضها نشوء مدن كبيرة مستقلة بعضها عن بعض ، يتألف سكانها من بضعة آلاف يعيشون على مصايد السمك وأشجار الزيتون وأعراش الكروم . وتقابل بساطتهم هذه فى المأكل بساطة الملبس . ولاعتدال الجو عندهم بطبيعة الحال أكبر الفضل فى هذا التقشف فى اللباس . وقد اعتادوا فى ملاعب الرياضة أن يتجردوا فى العراء ، فليس بدعاً أن ترى أجسامهم المحكية فى تماثيل الرخام غاية الكمال فى تناسب الأعضاء وأروع المثال على استواء التكوين وحسن التقويم

واذا ذكرت حضارة اليونان فمقصود بها قبل كل شيء « أثينا » . وكانت محط المؤرخين والباحثين ، فى العلوم ، والحكماء ، وأعلام التمثيل من الشعراء ، وأصحاب الفنون . ولما كان الحكم هنا ليس للملوك ولا الكهان ، وانما للشعب ، أو بعبارة أصح للنابهين من الشعب يجتمعون فى السوق للتذاكر والتشاور فى الشئون العامة ، فقد كان الرأى المرجح فيهم معقوداً لمن يحسن أداءه وجلاءه . ومن هنا نشأت الفنون البيانية فى اليونان من منطق وأدب وشعر وتمثيل وغيرها من أسباب التعبير

ومن البديهى حاجة المتكلم فى التعليل الى كثرة المعلومات وسعة المعرفة ، فكان

أيضاً أن اقترن ازدهار الفن الى يقظة التفكير و روح البحث فى شتى نواحى العلم

وأتى الرومان فلم يختصوا بحضارة غير التى تقدمت . ويذكر لهم التاريخ تخطيطهم للطرق اللاحبة ، واقامتهم الحاميات ، وتدبيرهم ذلك الملك الواسع ونشرهم الامن فى ربوعه ، ومن فوق هذا جميعه القانون الرومانى العتيد

فالحضارة كما ترى حضارة البحر الابيض المتوسط . ويسمونها « الحضارة السمراء » نسبة الى اللون السائد بين الشعوب القائمة على شواطئه

ولكن هذا التاريخ ـ صح أو لم يصح ـ لا ترتضيه الاجيال الاخيرة من الشعوب الشقراء من أهل الشمال ، ومنهم دول عظيمة فى التاريخ الحديث لها أعظم السيادة بين العالمين . فهذه الدول لا تعترف للحضارة السمراء بدين عليها ، ولا تنى بلسان مؤرخيها وعلمائها وزعمائها تدعى الحضارة لجنسها

فمن نحو أربعة آلاف عام ، كانت تنتقل فى أواسط اوربا وجنوبى الروسيا وأواسط آسيا الغربية قبائل شقراء فاتحة اللون زرقاء العيون من الرعاة والصيادين هم الآريون الاولون وكانوا يسكنون الفيافى وتفاريج الغابات ، لا يحس لهم الشرق القديم وجوداً ، ولا يلقى اليهم بالا . ولم تكن حياتهم الاجتماعية تدور على المعبد كأهل الحضارات السمراء ، ولا على الملك الموروث . فليس رؤساؤهم الكهان ، ولا الملوك الكهان ، وانما القواد ذوو البأس الشديد . وحول بيت الرئيس كانوا يتجمعون . وهذا البيت قاعة كبيرة مترامية الاطراف بناؤها من الخشب وتلحق بها حظائر الماشية وخزائن الزاد وأنبار الحنطة . وفى هذه القاعة يلتقى جمعهم فيأكلون ويشربون حتى السكر ، ويستمعون الى المنشدين يتغنون بالوقائع فى لهجة متحمسة جياشة ، ويشتركون فى ألعاب القوة والتسلية والمساجلات الكلامية . ثم يأوى الرئيس الى قبته أو مقصورته ، وينام سوادهم حيثما كانوا . والرئيس صاحب الماشية والمراعى يملكها باسمهم ليكون خيرها مشاعا بينهم . وهم على عكس الشعوب السمراء ، لا يحتفلون بدفن الكبراء وذوى المكانة فى حجرات من حجارة كبيرة يجعلون فوقها ركاما عالياً ويسميها علماء الآثار « الرجام الطويلة » . وإنما هم يحرقون موتاهم ـ كما لا يزال يفعل الهنود ـ ويجعلون رمادهم فى قوارير يحوطونها بركام مستدير ويسميها علماء الآثار « الرجام المدورة » . وكانوا رحلا يستخدمون عربات غليظة تجرها الثيران يحملونها عدتهم وخيامهم . فاذا طابت الاقامة فى موضع برهة صنعوا لهم حول بيت رئيسهم أكواخا من المدر والأغصان المتشابكة من الشجر .

وهؤلاء لم يلبثوا أن أصبحوا بلاء على البلاد المجاورة يغيرون عليها وينهبون مدائنها . وقد زحفت طائفة منهم وهم الكلتيون من شمال أوربا الى غربها حيث بلغوا بلاد الغال وبريتانيا وسواحل اسبانيا وتطرقوا الى الجزائر البريطانية ، فدخلت اللغة الكلتية معهم هذه الربوع . وزحفت قبائل منهم الى الجنوب حيث شبه الجزيرة المعروفة بايطاليا والأخرى المعروفة باليونان فكانت اللاتينية والاغريقية . كما اتجهوا الى شمال البحر الأسود حيث الصقالبة فنشأت اللغة الروسية ، وأوغلوا شمالا نحو البلطيق حيث التيوتونية والاسكندناوية . ومثل هذا حدث فى منطقة الآريين فى آسيا : فانحدروا الى الهند وفارس فكانت اللغتان السنسكريتية والفارسية ، وكذلك ظهرت فى أرمينية اللغة الأرمنية ، ومضوا غربا الى آسيا الصغرى وشرقا حتى حدود التركستان الشرقية

فالدنيا بعد الحضارات القديمة من مصرية فى وادى النيل ، وسامية فى الجزيرة والمستعمرات الفنيقية الواسعة ، وإيجية فى كريت وقبرص واليونان وآسيا الصغرى وصقلية وايطاليا الجنوبية ، ودرافيدية في الهند ـ هذه الدنيا انقلبت على ما وصفوا الى دنيا آرية للآريين

ولكن هذا وحده لا يكفيهم . فانه بعد هذا لا تزال مسألة هى مسألة المسائل : هل هذه القبائل الآرية جاءت معها بحضارة يصح تسميتها بالحضارة الشمالية ؟ هنا معترك العلماء ـ وياله من معترك ! حامي الوطيس متعدد السلاح مختلط اللجب ، تشتجر فيه شتى علوم وفنون ومباحث لا تقع تحت حصر . والألمان على الخصوص لا يشق لهم غبار فى البحث والتقصى . فهم يحتجون فيما يعتذرون به عن عدم عثور علماء الآثار على أثر حضارة قديمة فى الشمال ، بأن هؤلاء الأولين من أهل الشمال لم يكونوا يعرفون الكتابة حتى يدونوا أخبارهم وشرائعهم كما فعل الأولون غيرهم فى الأمم الأخرى . فاذا قيل هذا غير مانع لهم أن يخلفوا مثل ما خلفه غيرهم من المبانى المشيدة وآيات الفن وبدائع الصنعة ، اعتذروا عن ذلك بأن مواد البناء والصناعة عندهم كانت مما لا يبقى على الزمن ، فهى من الخشب أو المدر ، وليست منحوتة فى الصخر أو مشيدة من الحجر كالتى بناها للخلد بناة الاهرام والمعابد فى مصر ، والتى نقشها ناقشو صور الملوك وعجلات الحرب وصيد الأسود فى نينوى وما الى ذلك من آثار الدول صاحبة السلطان المنظم . ويزيدون على ذلك أن هذه الآثار هى ولا شك محاكاة في الحجر لأشياء سابقة لها كانت مصنوعة من غير الحجر قبل استعماله . ولما كان المعبد اليوناني الذى طغى على الدنيا طرازه يحكى فى جملة شكله بيت الخشب الشمالى ، فان الفضل فى فن العمارة وإن لم يشيدوها ثابت لهم على العالمين .

ثم ، هذه الحضارات القديمة القائمة فى أحواض الأنهار المخصبة ، أنى لأبنائها ــ وأرزاقهم مكفولة ــ بالعمل النظامى والتدبير الجماعي وتوحيد الجهود تحت سلطان فردى ؟ اللهم انها ضرورة من مقتضيات الشمال للتعاون على الشتاء ومواجهة شح الطبيعة فى هذه الأصقاع . وهذا المبدأ الذى أملاه المناخ الشمالى قد احتمله أهله معهم فى نزوحهم الى الجنوب وأخذت به أمم البحر الأبيض المتوسط فى حضاراتها ثم أنكرت نسبته بعدئذ الى أصحابه

وغنى عن البيان مبلغ التغالى فى هذه الدعاوى . فان الأجناس من عهد لا يعيه التاريخ كانت فى انتقال مستمر تبعاً لأحوال المناخ وتقلباته فى ألوف الألوف من السنين . ثم أنه ما من حضارة واحدة يصح القول انها من صنع أمة واحدة . وانما اشتركت فى صنعها أمم من جميع الآفاق فى جميع الأزمان . تتوارثها هذه عن تلك . وقصارى عبقرية الأمة من هذه الأمم انها لا تحفظ الميراث وديعة جامدة كما هى ، بل تجعله يحيا فيها ويكتسب من ملابستها قوة جديدة ومطلعاً مستحدثاً ، فاذا له مميزاته وسماته ، واذا هو غير عالة على أسلافه ، وله وجوده المستقل بين لداته . وليس فى هذا معنى قيامه بنفسه وانتفاء صلته بمن قبله ومن حوله . والتاريخ نفسه الذى يسخره دعاة السيادة لجنس على سائر الاجناس ، هو الشاهد على مدى تواشج الانساب بين الاجناس ، ومبلغ تفاعل الأجيال فيما بينها وتراكبها بعضها فوق بعض . شأن الخلق فى ذلك شأن الأرض التي عليها يعيشون بطبقاتها الجيولوجية طبقا فوق طبق ، ورواسبها الغرينية يحملها فيض بعد فيض

فحضارة الأمس وحضارة اليوم ومثلهما الحضارة المستقبلة الى آخر الدهر ان هي الا جهد مشترك متصل عارج نحو الكمال

عبد الرحمن صدقى



الأنثى الخالدة

للكاتبة الفرنسية ارنستين مارتينو

عرضه وتحليل بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

المرأة هى التى تفهم المرأة وتعرف كيف تتحدث عنها وترشد الرجل الى حقيقة نفسيتها . وهذا الكتاب الذى وضعته مدام مارتينو مجموعة صور لمختلف الحالات النفسية التى تمر بها المرأة ، وهو شبه مستند وضع للدفاع عنها وتحليل جوانب شخصيتها . وصاحبة هذا الكتاب من أقدر أديبات فرنسا المعاصرات . وتمتاز باسلوب شعرى وقدرة على الملاحظة ودقة فى التعبير كما يتضح ذلك من كتابها (الانثى الخالدة)

خيال الشاعر هو الذي أوجد المرأة

تكره المرأة الشاعر ولكن خياله هو الذى أوجدها . وهو الذى حدد لها وظيفتها وهو الذى خلدت به فى ذهن الرجل على مر الأجيال

وليس شك فى أن الانسان الأول استشعر جمال المرأة وأبصر هذا الجمال فى حواسه ، وتاق اليه مدفوعا بسلطان بدنه ، وتمثله حياً فى الغصن اللين والجدول الرقراق والسماء الصافية والقمر الساطع

ولكن الانسان الأول وجميع الرجال فى العصور القديمة التى سبقت ظهور الحضارات ، كانوا يعجبون بالمرأة اعجابا فطرياً صامتاً ، ويقدرون الأثر البالغ الذى تحدثه فى حواسهم فقط

وكان البعض منهم يبطش بها بعد أن يروى ظمأه منها ، والبعض الآخر يتخذها كمتعة أو يعهد اليها بحراسة الأبناء والأسلاب ، أو يرهقها بالعمل الشاق جزاء على استكانتها وضعفها

فعند ما انتهى عهد الغابة والقبيلة ، ولاح أفق الحضارة ، ظهر الشاعر وأراد التغني بالجمال فاستوحاه المرأة . وهكذا عبر بأشعاره عن ذلك السحر الأنثوى الابدى الذى كان يضطرم فى فؤاد الرجل الأول دون أن يستطيع هذا الرجل التأمل فيه والتعبير عنه

فالشاعر هو الذى جعل من المرأة دمية خالدة من جمال . وهو الذى أضفى عليها الرائع من

حلل خياله . وهو الذى أشاد بطهرها بكراً ، وعشق نضجها امرأة ، وأودعها مختلف عناصر مثله الانسانى الأعلى ، أى الرقة والحنان والعطف والتضحية

والواقع ان الانسان المثقف المتمدين العصرى متى أحب لا يحب امرأة معينة فقط ، بل يحب أيضا كل ما حشدته الثقافة الادبية فى خياله من مفاتن الأنثى الخالدة . وكل ما ذكره الشعراء والأدباء والفنانون عنها . وكل ما أحاطوها به من ضروب العبادة والتقديس

وقد يكون هذا العارض النفسانى من العوامل التى تقضى على عاطفة الحب في بعض الأحيان بما تخلعه على المرأة المحبوبة من ألوان خيالية فاتنة سرعان ما تتبدد وسرعان ما تختفى امام الحقيقة التى تظهرها الأيام . ولكن ما قيمة الحب بدون خيال ؟ ما قيمة الحب من دون شعر ؟ ما قيمة الحب اذا كان مجرد شهوة تقضى وغريزة تسعى ! . .

قد يتعذب العاشق ويصاب فى صميم قلبه وعقله إذ يحس ويدرك ان الخيالات الشعرية التى جلل بها محبوبته لا نصيب لها من الواقع ، فيلعنها ويبغضها ويصدف عنها ، غير ان هذه الخيالات الشعرية هي التى ولدت الحب فى نفسه وهي التى أمتعته فى لحظات الحب الأولى بخير ما فى الحياة من سعادة ونعيم

فعلى الرجل ألا يتبرم بهذا الخيال ، وألا يغلو فى لعن معشوقته متى جردتها الأيام من أكاليل الجمال الشعرى ، ومتى برزت أمامه فى حقيقتها اليومية المتواضعة الباعثة على الحسرة والألم ، بل عليه أن يذكر على الدوام أنه لولا ذلك الجمال المبهم الغامض المخيل ما بعث غريزة النوع وما كانت هناك أبوة وما قام نظام الزواج وما استطاع الرجل أن يرق بالحب فوق مستوى البهيمية ولو ساعات معدودات

فالرجل يؤخذ بما يتصوره فى المرأة من جمال خيالى أبدعه وهم الشعراء ، ثم يكفر عن ايمانه بهذا الوهم تكفيراً قاسياً مراً . والعجيب أنه على الرغم من عذابه يلتذ هذا التكفير ويستطيب الشقاء والألم فى سبيل المرأة التى أماط عن حقيقتها اللثام ، وعلم حق العلم أنها مخلوق ناقص لا يمت بصلة الى المخلوق القديم الذى كان قد تصوره كامل الجمال ، كامل الخلق ، كامل العقل والقلب والروح

وعليه فالمرأة هبة الخيال ، والخيال هبة الشاعر ، والرجل يتعذب لفرط ما ينشد فى الأنثى عناصر الخيال . ولكن هذه العناصر لم يخترعها الشاعر اختراعا ، بل انتزعها من قلب الرجل نفسه ومن صفوة أحلامه وعواطفه ، وفى هذا ما يدل أبلغ الدلالة على أن من طبع الانسان البحث عن الجمال والتطلع الى الشعر والولع بالخيال والسعى جهد الطاقة للسمو بالحب وتحريره ولو فى مطلعه من ربقة المادة واستبداد الشهوة الجامحة الوضيعة العمياء

فالشعراء وأرباب الفن ساهموا فى تحضير الرجل وتهذيب مشاعره بأن هدوه الى النزعة الشعرية الكامنة فى نفسه من نحو المرأة . وهكذا جملوا حياته ، وفصلوا بين الحب والشهوة لترقيته ،

وحموا ضعف المرأة من طغيانه ، وقلدوا المرأة صولجانا وأجلسوها على عرش وملكوها ـ هم الرجال ـ على عقول وقلوب الرجال جميعاً !

قدرة المرأة على الشر

ليس فى العالم غريزة أعمق دهاء وأوسع حيلة وأوقع خبثاً وأشد فتكا وأغزر شراً من غريزة المرأة

ولكن ما الذى يجعل من المرأة فى بعض الأحيان صورة حية للشر ؟ هو الحب والغيرة

فهى فى سبيل امتلاك من تحب لا تحجم عن ارتكاب أية جريمة ، وهى فى سبيل الاحتفاظ بمن تحب تنقلب وحشاً ضارياً فى لحظة

ومتى أحبت المرأة فكرت فى الزواج وفكرت فى المجتمع وفكرت فى مستقبلها وفكرت على الأخص فى مستقبل الطفل

فالأسرة هى الدائرة التى تتحرك فيها والهدف الذى ترمى اليه والجماعة التى تسعى لتكوينها

ولما كان الرجل هو دعامة الأسرة فهى تطلب الرجل وتجتهد ما استطاعت فى الحرص عليه ، وتستحيل الى شيطان للاحتفاظ به والثأر من كل من تحاول تشريدها وتشريد أطفالها بسلبه منها

فالمرأة شريرة ولكن فى الدفاع عن حقها وعن مستقبل النوع . وقد تكون شريرة أيضاً فى الدفاع عن حريتها ضد المجتمع وضد العرف وضد الأوضاع والتقاليد . ولكن المرأة لا تنقلب عدوة للمجتمع ولا تستخدم الشر الكامن فى غريزتها للتنكيل بالمجتمع الا متى فشلت فى مطلبها الأول والأخير وهو الزواج

والواقع أن الشر فى نفسها يتجه نحو الاحتفاظ بأسرتها ورجلها متى كانت متزوجة ، ومتى فشلت فى الزواج اتجه هذا الشر نحو الرغبة الجنونية فى الحرية والاستمتاع انتقاما من المجتمع الذى هدم حلمها وخيب أملها وحرمها فى بيتها لذة الهدوء والاستقرار

وإذن فهى مخلوق قوى ، قوي وجرىء ومغامر . مخلوق لا يعرف التوسط والاعتدال . اما أن يفوز بكل شىء وإما أن يحطم كل شىء . إما أن يظفر بالزوج المخلص المنشود فيجود بنفسه وينكر ذاته ويذهب فى التضحية الى أبعد حد ، وإما أن يصاب فى حلمه فيهزأ بالمجتمع وينتهك القانون ويدمر نفسه والغير دون ما تردد أو أسف

وعليه فالشر عند المرأة يستخدم إما للحماية وإما للانتقام . وهي قادرة عليه قدرة خارقة . قادرة على التفنن فى تعذيب أعدائها . قادرة على رؤيتهم فى أفجع صور الألم والهلاك . قادرة على التنعم بهذا المشهد فى صمت مروع حافل باللذة

ولكن من أين تستمد المرأة قوة الانتقام والشر والتذاذ الآلام التى تلحقها بأعدائها ؟

تستمد هذه القوة من قوتها هى نفسها فى احتمال آلام الحمل والحضانة والوضع التى لا تقاس أهوالها بأية آلام يتحملها الرجل

فآلام الحمل والحضانة والوضع تروض قلب المرأة على الجفاف والتصلب واحتمال الأرزاء واحتقار الكوارث ، ثم تختفى وتظهر آثارها كلما أرادت المرأة إلحاق الألم بشخص تبغضه

هذا هو السر فى قدرتها على الشر وقدرتها على احتمال رؤية الغير يتعذب من جراء هذا الشر وهى قدرة تهول الرجل لأنه مجرد منها

على أن من واجبنا ألا ننسى أن المرأة لا ترتكب الشر للشر ، بل تلجأ اليه مكرهة دفاعا عن زوجها أو حبيبها ، أو انتقاما من المجتمع الذى حرمها نعمة الزواج والحب !

الحرية الشخصية بين المرأة والرجل

لا تقدر المرأة الحرية الشخصية تقدير الرجل لها . فهى متى احبت احتجزت نفسها وارصدت حياتها على رجل واحد ولم تعد تفكر إلا فيه كأنما الدنيا كلها قد جمعت فى شخصه

والمرأة لا تفهم ان هناك أشياء اسمى من الحب واخطر من الحب قد تشغل بال الرجل وتستنفد جهوده وتقصيه عنها وتجعل منه انسانا مزدوج الشخصية أى رجل حب وفى الوقت نفسه رجل حركة واسعة وعمل جم

فالحب عندها حيازة تامة وعند الرجل اهتمام جزئى لا يمكن أن يصرفه عن مختلف شؤون العالم والحقيقة أن الرجل ملك العالم والمرأة ملك الحب

لذلك يحرص الرجل على حريته . ولذلك تكره المرأة هذه الحرية . ومن هذا التباين في الطبع والمزاج تنشأ الخلافات البيتية التى كثيراً ما قوضت صروح الأسر وخربت هياكل الحب وأودت بحياة ومستقبل الأبناء

فالرجل يعشق ولكنه يظل مستمسكا بحريته ، والمرأة تأبى الا أن تعتقد أن هـذه الحرية ستستخدم ضدها وعلى حسابها وفي سبيل الحصول على امرأة غيرها . ولهـذا تقاوم تلك الحرية وتضيق المسالك على الرجل وتشتد في استعباده إن استطاعت وتبذل قصاراها لتجميل نفسها وتجميل بيتها كى تستأثر بمن تحب وتباعد بينه وبين الدنيا

فالمرأة متى أحبت زهدت في الدنيا وترهبت للحب ، ولكن هذا الضرب من الاعتزال والنسك ليس من خلق الرجل ولا هو من طبعه ، إلا اذا كان قد جاوز الاربعين وخمدت نار مطامعه وأصبحت نظرته الى الحياة نظرة استخفاف واحتقار ويأس وعدم اكتراث

وهذا هو السبب فى أن المرأة تهتم في قرارة نفسها بالكهل اكثر مما تهتم بالشاب ، وتطمئن للكهل اكثر مما تطمئن للشاب ، وإن كان جهادها العسير الشاق يرمى الى الفوز بشاب تكون له

عقلية رجل كهل ، أى عقليـة انسان متأهب لتوديع الدنيا وتوديع جميع النساء من أجل امرأة واحدة

ويلاحظ أن استحالة تحقيق هذا الغرض هو سر شقاء الأنثى . فهى تتصيد الشاب بعد عناء طويل ، ولـكن الحياة واقفة لها بالمرصاد تحاول سلبه منها ، إذاً فلا بد أن تكافح وتثابر على الكفاح لا ضد نزوات الشاب فقط بل ضد الحياة أيضاً ، ضد المجتمع ، ضد المغريات الوافدة من الخارج ، ضد حب الحرية المقترن بالشباب وضد الفتور اليومى الفظيع الذى يفتك بالغرام على مهل . . .

وكل هذا النضال تقوم به المرأة ابتغاء الشعور بالأمن فى ظل رجل ، وابتغاء توكيد شخصيتها كأنثى جميلة قادرة ، وابتغاء الوصول في النهاية الى غرضين رئيسيين أحدهما أنانى ، والآخرغيرى، وهما : الاستمتاع بلذة الحب المتبادل المطلق ، وضمان بقاء الاسرة حرصاً على مستقبل الأبناء

فكيف نطلب الى المرأة بعد هذا أن تفهم الحرية الشخصية كما يفهمها الرجل وتتساهل معه فى التمتع بها وتنزل مختارة عن حقها فى الحب المطلق مقابل حرصها على سلامة النوع وسهرها عليه ؟

لن تعترف المرأة للرجل بالحرية التى يتوق ابداً اليها . ولن يضحى الرجل للمرأة بهذه الحرية، والمرأة تعرف ذلك تمام المعرفة وتتعذب ولـكنها لا تنفك تناضل ، ونضالها الطويل هذا هو الذى حفظ الأنساب والروابط العائلية وأبقى على شريعة الزواج حتى اليوم وحرص على نظام الأسرة التى هى صورة مصغرة للأمة والوطن !

المرأة خارج الاسرة

ومع ذلك فقد تستطيع المرأة أن تخرج من دائرة الأسرة ودائرة الحب المطلق وحراسـة النوع الى رحبات العالم التى يصول فيها الرجل . وعنـدئذ تتجلى فيها مواهب وملكات نادرة ، وتصدر عنها أعمال عظيمة رائعة يقف حيالها الرجل مبهوتا

والواقع أن اضطلاع المرأة السريع بشتى الجهود التى يعهد بها اليها ، وتفوقها المدهش على الرجال في بعض الحالات ، وقيامها بأعمال خارقة تدل على الذكاء والمقدرة وطموحها وجبروتها وارادة النجاح المثلة فى مختلف تصرفاتها ، كل ذلك ينبع وينحدر من مدخر القوى التى حشدتها فيها الطبيعة للحب والحمل والحضانة والوضع والتربية وحراسة النوع

ويجب أن نلاحظ أن هذه الوظائف حيوانية بحتة وانها هى التى أذلت المرأة فيما مضى وفرضت عليها العبودية واخضعتها لقانون الرجل . غير أن المرأة انسان قبل كل شىء ، انسـان تجرى عليه احكام التطور ، انسان يتقدم شيئاً فشيئاً نحو الشعور بانسانيته والعمل على اثباتها وتوكيدها

فمتى استيقظت المرأة وشعرت بانسانيتها وكان لها من موافقة الظروف الاجتماعية ما يحررها من واجب حراسة النوع ، ومن عقلهـا ومزاجها ما يحررها من جاذبية الحب المطلق ، انتقلت

جميع قواها المدخرة لتأدية وظائفها الطبيعية ، من دائرة الماديات اليومية الى دائرة الفكر ومن محيط الأسرة الى محيط العالم

وقد تكون هذه المرأة زوجة ثم تكون أديبة أو فنانة نابغة ، وقد تكون أما ثم تكون سياسية عبقرية أو ذات مواهب فذة فى الفلسفة أو العلم

وسواء أكانت زوجة أم والدة أم عزباء ، فينبوع وظائفها الطبيعية يظل حافلا على الدوام بالقوى الهائلة التى فى وسعها توجيهها أو توجيه الفائض منها نحو أعمال لا تتعلق بتلك الوظائف مباشرة ، وإنما تتعلق بجوهرها العميق أى بعملية الابداع والخلق

والحقيقة أن اندفاع المرأة فى الحياة العامة لمشاركة الرجل فى أعماله والتفوق عليه لا يرجع فقط الى يقظتها العقلية ورغبتها فى الاستيلاء على المركز الاجتماعى الذى حرمها الرجل اياه فى العصور السابقة ، بل يرجع أيضاً الى شدة اعتدادها بكبريائها كأنثى تشعر أبلغ الشعور وأوفره بأنها تمنح الحياة وتشترك فى عملية الخلق ، ثم لا تستطيع أن تكون مبدعة خالقة فى ميدان آخر غير ذلك الذى عينه لها الرجل وحبسها فيه وقصر جهودها عليه

ولذلك ما أن تكاد تنطلق من هذا الميدان حتى تبذل قصاراها لاستكمال نقصها فتبرز وتتفوق ، وقد تذهب بها ارادة السيادة والسيطرة الى حد الاستخفاف بالموت وتحدى القدر والتطلع الدائم الى البطولة

وكيف يمكن أن تخشى المرأة الموت وهى التى اعدتها الطبيعة لمواجهته ومصارعته والتغلب عليه ؟

كيف يمكن أن تخشى الموت وهى التى تحس مقدمه ساعة الوضع وتستهدف لخطره الداهم وتنتزع من بين مخالبه قوة جديدة للحياة ؟ . .

انها تتصور بغريزتها — وإن لم تكن أما — ان ليس فى الحياة من عمل بالغة ما بلغت مشقته يمكن أن يقاس خطره بخطر الوضع ، وهذا كما اسلفنا هو سر شجاعتها وجرأتها الذى لا يفطن اليه معظم الرجال !

جمال المرأة شيطانها

لم تفطن المرأة قط الى جمالها ، وانما الرجل هو الذى لفت نظارها اليه . وما قدمت حواء لآدم الثمرة المحرمة الا بعد أن لمحت منه أنه ميزها واشتهاها

فارادة الجمال عند المرأة هي انعكاس رغبة الرجل وما دام الرجل ينشد الجمال ويخشع امامه فالمرأة تطيعه وتأخذه فى الشرك الذى نصبه . . .

والرجل يسرف فى طلب الجمال فتسرف المرأة فى العناية بجمالها وتقديسه ، فيصبح هذا الجمال روحها وشيطانها

وشيطان الجمال عند المرأة كشيطان الوحى عند العبقرى . يلقنها ما يجب أن تفعل ، ويلهمها السحر والفتنة ، وييسر اليها ضروب الختل والمراوغة ، ويسلحها بالدهاء والمكر ، ويرشدها الى قلب الرجل دون عناء كبير

وكلما افرط الرجل فى امتداح جمالها وغلا فى عبادة محاسنها ، اسلست قيادها لشيطانها فملكها واستحوذ عليها واصبحت هي ابليس الرجيم

ولكن الرجل هو المسئول عن وقوع هذا الانقلاب فى شخص المرأة . هو الذى بدل أن يسمو بنظرته اليها وبدل أن يشركها عن طيب خاطر فى آرائه وأفكاره وشواغله العليا ، تراه في بعض الاحيان ينحط بها ما استطاع الى درك الغريزة الأولى وينأى بها جهده عن كل سعى وراء المثل الأعلى ، وينظر اليها على الدوام باعتبارها انثى ، وينشد فيها معظم الأوقات الشهوة واللذة والجمال البدنى المحض . وهكذا يدفعها الى الاهتمام الكلى بجمالها فيستولى عليها شيطانه ويفسد اخلاقها

والرجل إنما يفعل ذلك حرصاً على مصلحته وخشية أن تزاحمه المرأة فى ميدانه الخاص إن هى تفتحت عيناها على المشاكل الحيوية التى تحتل فكره وتستغرق جهاده

ولكن الرجل مخاوق غادر . فبينما هو يحرضها على التعلق بجمالها ، ويغريها باستخدام هذا الجمال في الغواية والفتنة ويزداد حباً لها كلما ازدادت عناية بجمالها . بينما هو يسلك فى معاملتها هذا المسلك يشتد من جانب آخر فى رقابتها ، ويطلب اليها أن تكون محتشمة ، وأن تحسب حساب المجتمع وقوانينه ، وأن تكون عفيفة وفاضلة ومخلصة ووفية . . .

هذا ما يطلبه الرجل الى المرأة بعد أن يكون قد أيقظ فيها شيطان جمالها . غير أن الرجل ينسى أو يجهل أن المرأة متى اعتقدت أن وظيفتها أن تكون جميلة وان الجمال فى معناه المادى هو كل ما يطلب منها ، كان عسيراً عليها أن تكون فاضلة وعفيفة وأن تكتفى بشخص واحد يقدر هذا الجمال ورجل واحد يستمتع بهذا الجمال

لماذا ؟ . . .

لأن الجمال قوة لا تشعر المرأة بلذتها وسلطانها الا متى كانت قوة مطلقة اى متى خفق لها كل قلب وخضع لها كل رجل !

وعليه فالرجل يوقظ فى المرأة شيطان جمالها ثم يذعر لهذا الشيطان ويطالبه بالفضيلة . وأما المرأة فلا تستطيع أن تفهم على وجه التحقيق كيف يراد منها أن تكون جميلة وفاضلة فى الوقت نفسه

ومع ذلك فهى تحاول الجمع بين النقيضين وكثيرا ما تنجح ، وهذا النجاح وحده يدل على عظمتها ويرفعها الى مستوى خلقى لن يبلغه الرجل أبداً !

ابراهيم المصرى

٢٧٠٠٠ عربي

في جوار بلاد الصين

رحلة فى آسيا الوسطى بقلم السيدة كلثوم عودة

تقطن في آسيا الوسطى قبائل عربية يبلغ عدد أفرادها سبعة وعشرين ألفاً من نسل أولئك الغزاة الذين فتحوا هذه البلاد واستوطنوها . وقد زارت هذه القبائل سنة ١٩٢٨ سيدتان روسيتان عاشتا حيناً من الدهر فى سورية وفلسطين حيث تعلمتا العربية ، فذكرتا أن هذه القبائل تتكلم العربية بلهجة تقرب من لهجة أهل العراق . وقد أحببت أن أزور تلك البلاد وأتصل بأهلها ، ولكن الفرصة لم تسنح لى الا فى صيف سنة ١٩٣٥ حين قرر مؤتمر المستعربين الذى عقده المجمع العلمى الشرقي ارسال بعثة علمية الى تلك القبائل تدرس لسانهم وتبحث شؤونهم . فاشتركت فى تلك البعثة ، ولكني سبقت أعضاءها بالسفر كي أعود الى كليتي عند بدء الدراسة فى أول أيلول (سبتمبر) متحملة فى ذلك لفح الحر فى تلك القفار وأنا التى اعتدت القر فى أصقاع الشمال

وقد بدأت رحلتى من لينينغراد فى ٢٤ أيار (مايو) متجهة الى طشقند ، حيث اجتاز بى القطار أدغالا كثيفة ، تجرى فيها الأنهار الواسعة العميقة ، ثم صحارى مقفرة جرداء ، تهب فيها الرياح القارسة العاتية ، فتهرأنى بقرسها وزمهريرها ، وتخنق أنفاسى برمالها وأتربتها . ثم مررت بواحات اوزبكستان ، فلله أنت من واحات أثارت فى النفس ذكرى الوطن بمجده وجلاله ، وبرجاله وأبطاله ! أجل ! لقد فاضت من عينى دموع سخينة ، وانبعثت من قلبي زفرات حارة ، حين ذكرت أنا كنا في بلاد غيرنا سادة غالبين ، فصرنا فى بلادنا عبيداً مغلوبين . ولكن لا يأس ولا قنوط . فها هي أمتى تنهض فى مصر وسورية وفلسطين مضحية بما تملك من دم وروح لتفتدى حريتها المغصوبة وتسترجع مجدها التليد . ثم بلغت مدينة طشقند فوجدت قسمها الجديد لا يقل عن المدن الأوربية في نظامه ومبانيه ، وقسمها الشرقى يشبه المدن الشرقية فى ضيق طرقه وضآلة بيوته . وستهدم أحياء هذا القسم حسب مشروع السنوات الخمس الثانى ، ثم تقام مكانها أبنية حديثة تتوافر فيها أسباب الراحة والرفاهية . وأكثر سكان المدينة من الأوزبك ، ونساؤها لا يتحجبن ، بل يجارين المرأة الأوربية فى العلم والعمل ، فمنهن المهندسات والطبيبات والمصورات والممثلات . والحكومة تفتح لهن أبواب المدارس والجامعات ، كما أنها تحارب الأمية بينهن بجميع الطرق ، فقد نزلت بمدرسة فى إحدى القرى ، فأفقت صباحا على أصوات نساء جئن يتعلمن ، وهن يقضين كل يوم ثلاث

ساعات فى الدراسة تاركات أطفالهن الى مربية بالمدرسة ترعاهم . ولكن هناك فريقاً من النساء ما زلن يتحجبن بلباس يسمى (القمباز) يغطين به رءوسهن ، وتتدلى من خلفهن أكمامه العريضة الطويلة ، وهن يغطين وجوههن بشبكة كثيفة منسوجة من شعر الخيل

غادرت طشقند الى بخارى فوجدتها خربة إلا من بيوت من اللبن ، تفصل بينها طرق ضيقة معوجة ، تغوص الأقدام في أتربتها الكثيفة . وقد تهدم أكثر مبانيها أيام الحروب الاهلية ، ولم يعملوا على ترميمها اذ شرعوا فى بناء مدينة جديدة على الطراز الحديث

وفى المدينة آثار شتى : ففيها مئذنة الموت التى كانوا يلقون من قمتها من حكم عليه بالموت ، وفيها قلعة وقصر كان ينزل فيه أمراء بخارى لماما ، حين يتركون مقرهم فى مخا التى لا تبعد إلا قليلا . وقد اكتشف المنقبون مسجداً يعود تاريخه الى زمن الفتوحات العربية . وتشتد الحرارة فى بخارى الى درجة لا تطاق ، فيلجأ الناس الى شرب الشاى الأخضر ، وقد بلغ ما كنت أشربه منه أربعين قدحا فى اليوم ، كما ان العواصف العاتية تهب فى تلك الأنحاء فتملأ الجو تراباً يكاد يخنق الأنفاس ويعمى الابصار . وقد ذهبت الى مخا أزور متحفها الذى كان مقراً لامراء بوخارى فيا مضى ، وهو قصر صغير مؤلف من غرف قلائل ، ولكنه يبهر الناظر بما فيه من زخرف بديع . فجدرانها يكسوها جص مزركش يتدلى « كدنتلا » دقيقة أنيقة ، ونوافذها تتراءى فيها صورة السماء بكواكبها ونجومها . ويحف بالقصر بستان ثرى بالازهار والأثمار ، تتوسطه بحيرة ونافورات شتى ، وكانت تجرى فيها الطواويس التى كانت تربى فى قرية تدعى طواويس . وفى جانب المتحف قصر اتخذه الاتحاد السوفياتى محلا عاما ينزل فيه الناس للاكل والنوم أو للراحة والرياضة ، كما هو الشأن في أغلب قصور الملوك والأمراء والأغنياء الغابرين . وقد لقيت هناك عدة عائلات من الفلاحين الذين امتازوا بعملهم فى حقول القطن ، وقد تناولوا غداءهم ثم اضطجعوا فوق سرر وثيرة تحت ظلال الاشجار الوارفة

ويعيش أغلب العرب فى تلك البلاد فى واحات بخارى وقشقاداريا . وهم لم يأتوا اليها دفعة واحدة ، بل نزحوا اليها فوجا تلو فوج . وجميعهم ينتسبون الى قريش ، ولكن تباين لهجاتهم يدل على أنهم من قبائل شتى . وقد تغيرت ملامح الكثيرين منهم لتزاوجهم بالاوزبكيات والتركمانيات والتدجيكيات ، وان كانوا هم لا يزوجون بناتهم لغير العرب . ولهذا بقى فيهم كثير من الجمال العربى البدوى : قوام أهيف وخصر ضامر وسواعد ممتلئة وعيون سوداء كحلاء . وقد كانت عيونهم هذه تنم على أصلهم الذى كانوا ينكرونه أيام أمراء بخارى لأنهم كانوا يرهقون العرب بالضرائب بدعوى أنهم دخلاء . وهم يتكلمون اللغة الأوزبكية والتدجيكية ، ولهذا نسوا لغتهم العربية اللهم إلا بضعة ألفاظ كخبز ولحم ونعجة ، ومنهم من يتكلم العربية ولكن داخل بيته فحسب

قلت إن هذه القبائل نزحت فى أزمنة مختلفة ، فعرب قشقاداريا جاءوا الى أوزبكستان فارين

من اضطهاد الأمير تيمور الذي تدور قصصهم وأنباؤهم على بغضه وكراهيته ، وقد قال لي رجل منهم طاعن في السن : « احنا من الطائف عرب شيباني أمير تيمور جنزي جابا » . وهم عرب رحل تنقلوا بقطعانهم من حدود أفغانستان إلى أن بلغوا أرض اوزبكستان ، وهم يسمون أنفسهم عربا ويسمون الشعوب الأخرى « حضراً » ، مما يدل على أنهم بدو رحل . ولكني لا أجزم برأي من هذا واترك للبحث والتنقيب ودرس اللغة تحديد وطنهم وقبيلتهم . أما عرب واحة بخارى فيقولون إنهم جاءوا من اندخوى بأفغانستان منذ مائتي سنة ، وإن اصلهم أربعة اخوة تزوجوا بأربع من قشقداريا . ومما يستحق الذكر أن هؤلاء العرب لا يعرفون الاشهر الهجرية ويستعملون الحساب الكلداني أو بالأحرى السامي . فأشهرهم هي : حوت : حمل ، ثور ، جوزاء ، سرطان ، أسد ، سنبلة ، ميزان ، عقرب ، قوس ، بشيلا ، دلو ، رحـل . ولست أدرى هل أخذوا هذه الأشهر من أفغانستان ، أم ان هناك من القبائل العربية من لا يزال يستعمل هذه الشهور ؟ ورجائي ممن يعرفون شئون القبائل العربية أن يفتوني في هذا

وجميع هذه القبائل نسيت الارقام العربية ولا يذكرون منها الا الخمسة الأولى يتنقلون بعدها الى الاعداد الاوزبكية أو التدجيكية . وهذا أمر لا بد منه لأن جميع معاملاتهم التجارية والاقتصادية مع أهل هاتين اللغتين . وكذلك نسوا أسماء بعض اجزاء الجسم ، فلم أجد سوى شيخ في الثمانين يعرف كلمة (اصبع) . ولم ألق احداً يعرف كلمة (جبهة) . إلا أن اتخاذهم الرعى جعلهم يحتفظون بأسماء الغنم والماعز كلها . وهم يسمون الوسادة لبلة أو حجر رأس أومتكيين . ويسمون الرصاصة نشية ، وهى مأخوذة من نشابة ، والبارود مزريق أو كان (فارسية) . ولهـذا يرى العالم بوشمانون أنهم قد نزحوا من البلاد العربية قبل أن تخترع البارودة

وهذا نموذج من لسان عرب قشقداريا وما يقابلها من الألفاظ العربية :

(١) سمرا كوم راسى اشدا . وتس ايدى أغسلا . مذ خلك أتيبا عكب شاى امور . ادمكر مؤكلا خبز شاى كلينا . دسترخان فوك افراش ادعى عكب دار بيت . انقت مويا نجيب كوزا من دجفر

(٢) سمراقوم رأس اشدا (البس منديلا على رأسى) . وجهي ويدى اغسلهما بفرو خلق امسحهما عقب شاى أغلي . خبز شاى اكلنا . دسترخان (١) فوق الفراش احط وراء الباب . نجيب ماء مسكر في كوب من البير

ولا شك انه مما يدعو إلى العجب انهم استطاعوا أن يحتفظوا بلغتهم طوال هذه الاجيال . ولم يدخل عليها الا تغيرات قليلة ، فبدلت كلمات عربية بغيرها من الفاظ الامم المجاورة ، وخضع نحوهم لقواعد اللغة الاوزبكية فصار الخبر في آخر الجملة ، واستبدلوا في بعض الكلمات صوتا بآخر فيقولون : ميه بدل مثه ، وجاع بدل جاء ، واحطى بدل اعطى ، وحت بدل حط . الخ

---

(١) دسترخان فارسية قطعة من القماش تفرش وقت الاكل ليوضع عليها الطعام

وهؤلاء العرب لا يأمنون جانب الغريب ، وأظن أن هذا لما ذاقوه فى عهد أمراء بخارى من الظلم والجور . فكانت تأخذهم الريبة فى أمرى ، ويتشككون فى أنى عربية مثلهم . وكانوا يسألوننى أن أسمى لهم بعض الاشياء بالعربية ، ثم يأتون بالقرآن لأتلوه على مسامعهم . ومع هذا لا يثقون بى ويقولون لى لم لا تضفرين صفرغات أو كسائب (جدائل تضفر على الصدغ) ولماذا لا تلبسين ازماما فى نعالك كهذا الذى كانت تلبسه هاجر عندما حزقت سارة أنفها ؟ فيجب على المرأة العربية أن تلبس ما لبست هاجر ! ثم يقولون أليس من العيب والحرام أن تظهرى على الرجال عارية الرأس والساقين ؟ فاضطررت برغم هذا الحر الذى يغلى الدم ويصهر العظم أن أغطى رأسى وساقى ، أما الجدائل فلا حيلة لى فيها ، لان شعرى معقود فوق رأسى كالعادة الأوربية . وأحاول أن أفهمهم أن « الازمام » لم يتخذه العرب إلا فى جاهليتهم وهمجيتهم ، وقد نبذوا اليوم هذه العادة السخيفة كما هو شأن نساء الأوزبكيات ، ولكنهم مع هذا يرتابون فى أمرى ويظنون أن الحكومة بعثتنى لفرض ضريبة جديدة عليهم . وأحاول دون جدوى أن أفهمهم أنى جئت أدرس شؤونهم وأتعرف أحوالهم ، وان الحكومة اذا وجدت عدد المتعلمين منهم كافياً ألفت لهم الكتب باللغة التى يعرفونها . ولكنهم أبوا أن يذكروا لى شيئاً من تقاليدهم أو يدلونى على شىء من لغتهم إلا بعد أن آتى لهم بفتوى من خطيبهم ! ماذا أفعل ؟ . جئت بكثير من الطعام والحلاوى والشاى ، ودعوت طائفة من الرجال المسنين ، وأخذت أحدثهم عن تاريخ العرب وعاداتهم ، ثم أنشدت لهم بعض الاغانى العربية ، فراحوا هم كذلك يحدثوننى عن تقاليدهم وعوائدهم ، كما سمح لى كبير منهم أن اكتب طائفة من ألفاظهم

وهم لا يذكرون شيئاً من الاغانى والاهازيج العربية . ولم يحتفظوا من العادات العربية إلا بالقليل منها كما هو الشأن فى الأعراس ، فتنتقل العروس الى بيت زوجها على فرس ، وهناك توقد النار ويجتمع الناس حولها يغنون ، فاذا جاءت العروس أخذ أخوها أو خالها بزمام الفرس وطاف حول النار ثلاثا ، ثم يتقدم اليها الزوج وينزلها عن الفرس ويدخل بها البيت حيث يحتجبان فيه ثلاثة أيام لا يراهما فيه سوى أمها أو أمه . .

لينتغراد

كلثوم عودة

فاسيليفيا

منهما نظر الأخرى إلى شيء فيهما ثم تعتمد جبينها بيدها كأنها تحاول أن تستذكر شيئاً آخر ، ثم تهمس في أذن جارتها كلاماً فتمد الجارة عنقها نحو الرفيقين وتطيل التحديق اليهما ، ثم تعود فتهز رأسها دهشة وتومىء به موافقة وتأكيداً

وإذا كان الصاحبان قد أدركا أن المرأتين تتحدثان عنهما، فهما لم يريا في ذلك إلا فضولا يعرفانه من الريفيات ولم يأبها لها

ثم استدعى القاضي المرأتين فدخلتا عليه ومكثتا عنده طويلا بينما بقي لوزورك وصاحبه في الغرفة وحدهما . فلما أضجرهما الصبر وطال بهما الانتظار هما بالانصراف على أن يعودا غداً أوفي يوم آخر ، لولا أن أدركهما الحاجب وأنبأهما أن القاضي يدعوهما اليه . ولما كان لوزورك لا يعرف المسيو دوباتون وليس لدى أحدهما ما يقوله للآخر ، فقد فهم أن الحاجب أخطأ إذ عرض عليه الاسمين معاً فأراد أن يتخلف ، ولكن الحاجب أفسح له الطريق وقال إن قاضي التحقيق يدعوه أيضاً . ولقد عجب الشاب لهذه الدعوة وتولاه شيء من الدهشة ، ولكنه لم يلبث أن ظن أنها مجاملة أريد بها ألا يترك وحيداً

كانت الفلاحتان جروستيت وسوتون جالستين أمام مكتب المسيو دوباتون ، فما مثل الصاحبان أمامه حتى أمرهما بالجلوس ووجه الخطاب إلى هاتين المرأتين قائلا : « أهذان السيدان هما اللذان تعنيانهما ؟ » فقالت احداهما : « نعم » وقالت الأخرى : « بكل تأكيد »

ثم استأنفت الأولى الكلام فقالت : « ان نظرى لا يخدعني فهما اللذان رأيتهما في خمارة شاتلان ببلدة مونجرون يوم ٢٧ ابريل الماضي . وكان هذا السيد (وأشارت إلى لوزورك) يلبس هذه السترة السمراء التي يلبسها اليوم وقد شرب فنجانا من القهوة ثم نهض الى البليارد وظل يلعب حتى كان الظهر فأقبل هذا السيد الآخر (وأشارت الى جينوه) فشرب قهوته واشترك في اللعب مع زميله »

ولم يفهم لوزورك أول الأمر ما ترمى اليه المرأة سوتون بهذا الكلام ، ولكنه هز كتفيه ومط شفتيه استغرابا وقال : « ان هذه السيدة ولا شك واهمة اذا كانت تظن أنها صادفتني في الأماكن التي ذكرتها ، فأنا لا أعرف شيئاً اسمه خمارة شاتلان ولم أذهب في حياتي قط الى بلدة مونجرون » ، وقال جينوه وهو يبتسم : « ولا أنا »

ولو أن صاعقة انقضت على رأس الشابين في هذه اللحظة لما كان وقعها أشد من المفاجأة التي فاجأهما بها المسيو دوباتون عندما قال لهما انه سعيد بهذه المصادفة التي تسوق اليه بأرجلها شريرين كبيرين ينتميان الى عصابة من القتلة واللصوص لا تزال الشرطة تبحث عن باقي أفرادها . وعندما صارحهما بأنهما متهمان بقتل ساعى بريد ليون وحوذى عربة هذا البريد وبسرقة السبعة الملايين من الأوراق المالية التي كانت العربة تحملها . وثب لوزورك من مقعده محتجا وصاح في أنفة : « ما هذا

الذى تقول يا سيدى ؟ أنا رجل من الأعيان ورب أسرة شريفة وصاحب أملاك واسعة وسيرتى أنقى من أن تلصق بها الشوائب ، فكيف ترميني بالقتل والسرقة ؟ حقا ان هذا لشيء عجيب ! »

وواجههما القاضى بالمرأتين فأصرتا على أقوالهما وأضافتا اليها تفاصيل دقيقة لا تدع مجالا للشك فى أنهما مقتنعتان بما تقولان كل الاقتناع . وأمر القاضى بجيء بالمتهم كوريول من السجن وكان اشتراكه فى جريمة بريد ليون أمراً غير مشكوك فيه اذ عثر المحققون في بيته على رزمة من الأوراق المالية المسروقة ، فلما عرض على الفلاحتين عرفتاه وقررتا أنهما رأتاه هو أيضا مع لوزورك وصاحبه بمونجرون . وسئل جينوه فى ذلك ، فقال انه تعرف بكوريول عند شريكه جوهييه بشاتوتييرى وعاش معه أياما فى ضيافة هذا الشريك ، ولكنه لم يعرفه من قبل ولم يكن يعلم من أمره شيئاً عندما قبضت عليه الشرطة منذ ثمانية أيام . ولم يشأ لوزورك لفرط وثوقه ببراءته من هذه التهمة العجيبة أن يكذب ولا أن يروغ ، فقرر أنه صادف كوريول يوما عند صاحب لهما اسمه ريشار فتغدى معها ولم تتجاوز صلته به هذا الغداء البرىء

ولكن ريشار متهم فى هذه القضية هو الآخر ومعتقل رهن التحقيق والقرائن قائمة على أنه سهل لكوريول سبيل الفرار من باريس بعد ارتكابه الجريمة وآواه فى شاتوتييرى

عندئذ وضحت الأشياء فى ذهن قاضى التحقيق وتبدت امامه فى وضعها الصحيح : فريشار صديق كوريول ، وكوريول صديق لوزورك وجينوه ، والجميع من أهالى بلدة دويه ، وقد دبروا جريمة بريد ليون ونفذوها ، ثم تفرقوا الى أن جاءت الشرطة ببعضهم وجاءت المصادفات بالبعض الآخر

وعبثاً حاول جينوه أن يبرىء نفسه وأن يقسم جهد ايمانه أنه رجل شريف وان لديه أدلة وأوراقا تثبت أنه أمضى بباريس يوم ٢٧ ابريل وهو اليوم الذى وقعت فيه الجريمة . ولكن أبت القرائن إلا أن تجتمع عليه : فلقد فتشه القاضى فوجد بين أوراقه ورقة تبين منها انه استأجر بضعة خيول قبل الحادث بيومين ، ولما كان الشهود قد أجمعوا على القول بأن أفراد العصابة كانوا ممتطين خيولا فقد رسخ في ذهن القاضى أنها هي الخيول التى استأجرها جينوه ، ولم يرد أن يستمع بعد ذلك الى شيء بل أمر باعادة كوريول الى سجنه ، وباعتقال لوزورك وجينوه تحت التحقيق

ولم تفكر السلطات فى اخطار مدام لوزورك بما وقع لزوجها الا عشية اليوم التالى للقبض عليه ، ولقد جزعت السيدة لهذا النبأ أول الأمر ولكنها لما علمت أنه متهم بجناية القتل والسرقة أيقنت أن الأمر لا يعدو حد كونه خطأ لا يلبث أن يظهره التحقيق ، ولبثت تنتظر عودة زوجها العزيز آمنة مطمئنة

ارتاح القاضى دوبانتون الى النتائج المرضية التى وصل اليها واستطاع بعد درس الوقائع ومراجعة أقوال الشهود ومعاينة مكان الجريمة وربط الحوادث بعضها ببعض أن يتصور الجناية كما وقعت وأن

يحدد موقف كل من المتهمين فيها وأن يقدم هؤلاء المتهمين الى محكمة الجنايات

ولم التباطؤ والتلكؤ وفيم الحرج والارتياب وتلك الوقائع تكاد تنطق فتعين الفاعلين ؟

لقد تحركت عربة البريد من فناء فندق « الصحن القصديرى » مساء يوم ٢٧ ابريل الماضى قاصدة مدينة ليون تحمل سبعة ملايين من الأوراق المالية برسم الحملة العسكرية المسيرة الى ايطاليا ، وسارت يقودها الحوذى ويجرها ثلاثة من الجياد وقد جلس فى داخلها ساعى البريد اكسكوفون . ولقد بلغ من اهمال حكومة ذلك العهد انها كانت تترك مثل هـذا الكنز الضخم يسافر فى الطرق العامة ويجتاز الفيافى والقفار بلا حرس يحميه من غائلة اللصوص وقطاع الطريق ، ثم تمعن فى التراخى حتى لتسمح لمن يشاء بأن يستقل عربة البريد الى أية محطة يريدها لقاء أجر معلوم

ولم يكن اقبال المسافرين على هذه العربة كبيراً فى ذلك اليوم نظراً لغلاء الأجر ، فلم يتقدم لركوبها سوى شخص واحد أبرز جواز سفر باسم بيير لابورد ، وقال انه تاجر أنبذة ووجهته مدينة ليون ، ثم دفع الأجر المطلوب واحتجز لنفسه مكانا وكان يرتدى عباءة سوداء واسعة ويحمل سيفاً طويلا ظهرت قبضته من فتحة العباءة ، وقبيل الساعة الخامسة من المساء جلس الساعى اكسكوفون ورفيقه فى السفر بيير لابورد ليتناولا شيئاً من الطعام وقد شاركتهما فيه صاحبة لأولهما اسمها مرجريت دولجوف . فلما بلغت الساعة الخامسة نهض الرجلان واقتعدا مجلسيهما من العربة الى جانب أكياس الملايين وقفز الحوذى الى مكانه وألهب الجياد بالسوط فانطلقت العربة تجتاز شارع سان جرمان لتنفذ منه الى خارج المدينة فتسلك طريق ليون مارة بمدينة ملون وبلدة مونجرون وقرى فيلنوف وليوسان وسينار وسلسلة متباعدة الحلقات من العساكر والنجوع

وقد لاحظ أهالى تلك الديار فى ذلك اليوم أن أربعة فرسان غرباء كانوا يرتادون هذه الجهات ذهابا وجيئة فى حالة مريبة وبشكل يثير الدهشة والانتباه . فلقد مروا قبيل الساعة الواحدة بمونجرون وتغدوا بفندق الصيد ولبثوا فيه برهة طويلة كأنهم ينتظرون أحداً يوافيهم هناك . ثم رآهم أحد الباعة المتجولين يركبون جيادهم ويتلكئون بها فى زوايا الطرق ومنحنياتها ، كأناس ليست لهم وجهة معينة ، ولاحظ أن أحدهم يلبس فى نعليه مهمازين من معدن أبيض لماع ، ولاحظت المرأة الفيروا أنهم مروا ببابها ثلاث مرات بين الساعة الثالثة والساعة الثامنة ، وأبصرهم الحوذى شارتران عند مدخل قرية ليوسان ، ثم عاد فقابل ثلاثة منهم بالقرب من ملون بينما كان رابعهم قد سبقهم كأنه يكتشف الطريق أو يستطلع شيئا ، وذهبوا بعد ذلك الى حانة شامبولت فشربوا نبيذاً وأكلوا طعاما وطلب أحدهم من الخمار خيطاً وابرة يصلح بهما رباط مهمازه ، ثم انطلقوا فوق جيادهم متباطئين يحادث كل منهم جاره ثم يغير مكانه ليحادث الآخر مما استرعى انتباه المارة وأثار عجب السابلة ، وكانوا كلما صادفوا أحداً فى الطريق سألوه متى تمر عربة البريد فيجيبهم أنها لا تمر قبل منتصف الساعة الثامنة

وفى صباح اليوم التالى استيقظ الأهالى على جلبة وضجيج ، فلما استعلموا قيل لهم ان عربة بريد ليون قد نهبت ، وأن حوذيها وساعى البريد قد قتلا . فهرعوا الى مكان الحادث وهنالك على بعد مرحلة من ماون ، وجدوا العربة مقلوبة على جانب الطريق ، وبالقرب منها جثة الساعى اكسكوفون غارقة فى الدم وقد تمزق جسمه بضربات سيف وحزت رقبته بسلاح حاد ، ثم وجدوا جثة الحوذى ملقاة وسط حقل حنطة وقد تمزقت هى الأخرى بضربات سيف (السيف الذى كان يحمله لابورد تحت عباءته) بينما كان جوادان من الثلاثة مربوطين الى شجرة وقد وقفا يرعيان الكلأ هادئين . أما الجواد الثالث فقد وجدوه فى اليوم التالى بأحد شوارع باريس هائما على وجهه مطلق العنان ، وقد فهم المحققون أن المسافر المجهول المدعو لابورد كان شريكا للفرسان الأربعة ، وأنه ركب هذا الجواد عقب ارتكاب الجريمة وفر به الى باريس

تلك هي وقائع الجناية . أما فيما يتعلق بمرتكبيها فقد تقدمت امرأة تدعى مادلين بريان الى قاضى التحقيق وأفضت اليه بأنها عشيقة كوريول وبأن كوريول أحد أفراد العصابة التى دبرت جريمة بريد ليون ونفذتها وبأن فى بيته جزءاً كبيراً من الأوراق المالية المسروقة ، فلما فتشت السلطات بيته تحققت صدق المرأة وقبضت على السارق القاتل . ولما كان كوريول على اتصال وثيق بجينوه وريشار ولوزورك ، وكان لوزورك وجينوه اثنين من الأربعة الذين أجمع شهود العيان على أنهم الجناة ، فقد أيقن القاضى دوباتون أنه وضع يده على أفراد العصابة جميعهم ما عدا لابورد المسافر المجهول . على انه اذا كان قد خسر هذا المتهم ، فقد عوضه الله عنه متهمين آخرين ، أحدهما فيليب بروير الذى ثبت أنه صديق كوريول ومساكنه ، والثانى داود برنار الذى أظهر التحقيق أنه هو الذى أجر الخيول للقتلة مع علمه بالمهمة التى يستخدمونها فيها ، ثم نال نصيبه من الغنيمة وانطلق فى الأسواق يعقد صفقات ضخمة ويدفع ثمنها من الأوراق المالية التى كان بريد ليون يحتويها

انعقدت محكمة جنايات السين فى الثانى من شهر اغسطس للنظر فى قضية بريد ليون . وكان جوزيف لوزورك ينتظر حاول هذا اليوم بصبر نافد ليثبت فيه براءته التى لا يداخله فيها ريب ، ولينصرف الى زوجته وأولاده الذين أضناه الشوق اليهم

وجلس القضاة وجلس المحلفون ونادى الرئيس المتهم لوزورك فوقف وقرر فى طمأنينة البرىء الواثق من نفسه أنه قضى الليلة الواقعة بين ٢٧و٢٨ ابريل فى بيته بشارع مونتورجوى ، وأنه مذ استوطن باريس لم يخرج منها ، وأنه لا يعرف طريق ماون ولم يسلكه مرة فى حياته ، وأن ليس بينه وبين شهود الاثبات خصومة أو حزازة تستدعى شهادتهم عليه بالباطل ، ولكن لا بد من أن يكون هناك شبه عجيب بينه وبين أحد القتلة جعل الأمر يلتبس على أولئك الشهود فيقررون أنهم رأوه بين الفرسان الأربعة

ونادى الرئيس أول شهود الاثبات جان ديلافولى الخادم بفندق مونجرون وسأله ، هل يعرف

أحدا من الخيالة الذين أكلوا وشربوا بالفندق يوم الحادثة ؟ فالتفت الشاهد نحو قفص المتهمين وأشار الى لوزورك وكوريول وقال : «أعرف منهم هذين الرجلين وقد وصل أولهما عند منتصف الساعة الثانية ، ووافاه الثانى بعد ذلك بقليل » فصاح لوزورك قائلا : «ان هذا الشاهد واهم يا سيدى الرئيس ، واني أقسم لكم بشرفى أنى لم أضع قدمي يلدة مونجرون حتى اليوم » وقرر الشاهد الثانى بيرو من ذوى الأملاك ومقيم بباريس أنه كان يتغدى يوم الحادثة بفندق الصيد بمونجرون ، وقد رأى فيه لوزورك بعينى رأسه ، وأكدت المرأة سوتون ان لوزورك هو الذى رأته يلعب البلياردو بالفندق مع كوريول ، وان لا مجال للقول بأن هناك خطأ فى النظر لأن النظر لا يخطىء الى هذا الحد . وذكر الشاهد الفيروا وهو صاحب مشتل أزهار فى قرية ليوسان أنه رأى لوزورك بين الساعة الثامنة والساعة التاسعة من مساء يوم الحادثة على طريق ملون . وذكرت امرأته انها صادفت المتهم قبل زوجها بأربع ساعات وكان وصاحبه كوريول يجتازان القرية على ظهرى جوادين

أبهظت هذه الشهادات عاتق لوزورك وأثقلت كفة ادانته ، وقد استولى عليه العجب كما استولى على هيئة المحكمة والمحلفين لاجماع هؤلاء الشهود على اتهامه،وليس بينه وبين واحد منهم ما يدعوه الى الاختلاق ، فنهض مرة أخرى وقال وكل شىء فيه ينطق بأنه صادق : « ان هؤلاء الناس واهمون ، وهم يحسبوننى رجلا آخر رأوه وما أنا بذلك الرجل . ان فى هذه القضية خطأ مشئوما مرجعه الى النظر ، وأخشى أن أذهب ضحية له »

بيد أن موكب الشهود كان يمر أمام القضاة فيضيف الى كفة الادانة أثقالا جديدة . فهذا الشاهد شامبولت صاحب فندق ليوسان يقرر أن المتهمين تعشوا عنده وأن طول مكثهم لديه قد مكنه من معرفة وجوههم معرفة لا سبيل معها الى اللبس والخطأ . فقد نزل الخيالة الأربعة بفندقه قبيل الساعة الخامسة وربطوا جيادهم فى الاسطبل ثم استطعموه فاطعمهم ، ولبثوا يتحدثون الى أن بلغت الساعة السابعة ، فامتطوا خيولهم وانصرفوا مولين وجوههم شطر ملون ، وذكر ان أحدهم ، كوريول ، كان قد نسى سيفه على المنضدة فعاد وأخذه وانطلق ليلحق برفاقه

وسأله القاضى: «هل تستطيع أن تؤكد ان لوزورك كان منهم ، وهل تستطيع أن تتبينه بين أولئك المتهمين ؟ » فتفرس الشاهد برهة فى وجوه المتهمين وأشار الى لوزورك وقال : «هو هذا وما كان لى أن أنساه ولا أن أخطىء معرفته ، وهو الذى انقطع جلد مهمازه فطلب منى خيطاً وابرة لاصلاحه » وصاح لوزورك : « والله ان هذا لكثير ، فما لبست المهماز فى حياتى وما رأيت هذا الرجل قبل اليوم » غير انه لم يتم عبارته حتى كان الشاهد بير جيليه يقرر أنه كان واقفا امام بيته عندما مر به الفرسان الأربعة وقد كان أحدهم يسير فى الجهة اليمنى فاستطاع أن يستظهر ملامحه وهو المتهم المدعو لوزورك »

عندئذ رفع الرئيس الجلسة وغادر القضاة القاعة تاركين لوزورك فى حيرته المربكة ، جاحظ

العينين يجيل حدقتيه بين جمهور النظارة ويدق يدا بيد ويتمتم بين شفتيه : « حقاً ان هذا لعجيب »
ولكنه لم ييأس فما زال أمامه شهود النفي ، وهؤلاء سيشهدون ببراءته وستظهر هذه البراءة واضحة جلية وسيثأر لشرفه ويخرج من المأزق ظافراً منتصراً
انعقدت المحكمة في اليوم التالي ونودي أول شاهد من شهود النفي وهو لوجران الجوهري بباريس ، فقال إنه صديق لوزورك منذ عامين ، ويراه كل يوم ، وقد زاره لوزورك في حانوته يوم ٢٧ ابريل ومكث لديه الى الساعة الثانية بعد الظهر .
وهنا تنفس الجمهور الصعداء وعلت الابتسامات الشفاه وانفرجت الاسارير ، وتبدت مظاهر الارتياح على جميع الوجوه . فهذه شهادة تدحض ما قبلها ، فاذا صح أن لوزورك كان بباريس في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٧ ابريل فلا يمكن ان يكون في الوقت عينه من اليوم نفسه بمونجرون ولا بملون . وأشرق وجه المتهم ووقف ليتكلم ولكن الرئيس اسكته باشارة من يده ، وسأل الشاهد كيف يتسنى له أن يتذكر مثل هذه المقابلة التافهة وأن يعين ساعتها ويومها بالتدقيق مع أنها قد مضى عليها ثلاثة أشهر ؟ فقرر الجوهري ان ذاكرته لا تخونه ، وانه يتذكر تلك المقابلة بنوع خاص لأنه ، بينما كان لوزورك عنده ، باع عقداً ثميناً الى المدعو آلدنهوف ودون هذه الصفقة في دفتره . ثم قدم الدفتر الى الرئيس الذي أخذ يفحصه ويقلب صفحاته في اهتمام كبير
وكانت الأكف تتأهب للتصفيق عندما رفع الرئيس رأسه من فوق الدفتر وأهاب بالجوهري قائلا : « أيها الشاهد ، انى أرى كشطاً وتغييراً في السطر الذي تشير اليه بدفترك ولقد استبدلت بأرقامه أرقام غيرها فلا تستطيع المحكمة أن تعول عليها » ، ونهض المدعى العام فوراً وتناول الدفتر وفحصه ثم طلب القبض على الجوهري الشاهد باعتباره شاهد زور ومضللا للعدالة
عندئذ ساد الجمهور وجوم شديد فنكست الرءوس وانقبضت الاسارير وأطرق المتهم اطراق اليائس المحزون . وتعاقب باقي شهود النفي يؤدون شهادتهم امام القضاة كما لو كانوا يؤدونها أمام تماثيل ، فقرر آلدنهوف أنه شاهد لوزورك عند الجوهري يوم شراء العقد ، وقرر الرسام لودري انه تغدى مع لوزورك في بيته يوم ٢٧ ابريل ، وقرر غيرهم مثل هذه الأقوال ، ولكن القضاة والمحلفين كانوا قد كونوا رأيهم وأيقنوا ان المتهم مدين وأنه أضاف الى جريمتي القتل والسرقة جريمة التزوير فلم يستمعوا شيئا ولم يناقشوا شاهداً حتى اذا ما انتهت قائمة الشهود ومرافعة المدعى العام ودفاع المحامين سأل الرئيس لوزورك اذا كان لديه مايقوله فوقف المتهم شاحب اللون مضعضع القوى وقال في صوت خافت : لا
وصدر الحكم باعدام لوزورك وكوريول وبرنار وبسجن ريشار أربعا وعشرين سنة مع تكبيله بالحديد وبراءة المتهمين الآخرين
وبينما الجمهور يهم بالانصراف اذا بكوريول يقف في قفصه ويشير الى الجميع بالانصات

ويقول : « أيها القضاة،أنا القاتل حقاً وحكمكم على عدل وصواب ، ثم أشار الى زميليه وقال : أما « هذان فبريثان » فما فعل برنار أكثر من أن أقرضنا خيله ، أما لوزورك فلم يشترك معنا فى شيء »

وكان هرج ومرج فتعالت الضوضاء، وكثر الأخذ والرد بين جمهور النظارة، ودوت صيحة فى أرجاء القاعة،فالتفت الناس فاذا مدام لوزورك تقع مغشياً عليها ، فيحملها الحجاب الى الخارج ، واذا لوزورك يمسك رأسه بيديه ويجهش بالبكاء ، ثم اذا امرأة تخترق الصفوف وتصيح : « أريد أن اخاطب الرئيس . . . أريد أن اخاطب الرئيس » وتتقدم من المنصة وتقول : « أنا مادلين بريان صديقة كوريول وأعرف الحقيقة كلها . ان الذين دبروا جناية بريد ليون ونفذوها هم كوريول وأربعة من أصحابه لم تهتد اليهم الشرطة حتى اليوم ، أما لوزورك فبريء وقد خلط الشهود بينه وبين رجل آخر اسمه ديوسك يشبهه كل الشبه »

ولكن ما الذى يستطيعه القضاة وقد صدر الحكم ونفذ السهم وحم القضاء ؟ على أن الرئيس لم يحفل كثيراً بدعوى هذه المرأة التى تطوعت للشهادة بعد فوات الأوان، ولم ير فيها أكثر من تطوع مأجور ، وقد رسخ فى ذهنه أن اسرة لوزورك كانت تنثر الذهب فى سبيل انقاذ عائلها المتهم

وغداة صدور الحكم طلب كوريول ورقاً وقلما ودون بخط يده اعترافاته كاملة فقال :

« أما وقد حكم عليّ بالاعدام ولم يبق أمامي إلا المثول بين يدى الله فلا أقل من أن أريح ضميرى وأقرر الحقيقة التى أعلمها والتى لا حقيقة غيرها . إن لوزورك بريء مما اتهم به ، وقد خلط الشهود بينه وبين رجل آخر اسمه ديوسك يشبهه تماما، وقد لبس يوم الجريمة شعراً أشقر مستعاراً ليخفى به ملامح وجهه فكان هذا الشعر الأشقر أكبر سبب فى خطأ الشهود والتباس الأمر عليهم . وديوسك مقيم فى بيته الآن بشارع كروا ديشان بباريس . أما شركائى فى الجريمة فهم ديوسك الذى تقدم ذكره وثلاثة آخرون اسماؤهم دوفال ودوروشا وروسى ، وقد انتحل دوروشا اسم لابورد وركب مع الساعى عربة البريد ، بينما امتطى الآخرون خيولهم وتربصوا للعربة وأنا معهم ، حتى اذا أقبلت قتلنا الساعى والحوذى ونهبنا ما كانت العربة تحمله . تلك هي الحقيقة أقررها قبل أن ينفذ حكم الموت فى بريء كل جريمته أنه قريب الشبه من مجرم أثيم »

ولقد ذهبت البيئات المختلفة فى تعليل هذا الاعتراف الصريح مذاهب شتى ، فرأى رجال القانون أن المحكوم عليه إنما يحاول أن يحتمى وراء شركاء مزعومين لا وجود لهم ليؤخر تنفيذ الحكم ما استطاع الى تأخيره سبيلا ، ورأى بعض الخاصة أن الذهب الذى كانت أسرة لوزورك تنثره قد أثمر ثماره وأنتج هذا الاعتراف من محكوم عليه بات يفكر فى أولاده بعد اذ انقطع كل رجاء له فى الحياة . أما سواد الرأى العام فلم يداخله شك فى براءة لوزورك ولا فى أنه قد ذهب ضحية خطأ مشئوم ، وبقى ينتظر فى لهفة وقلق نتيجة التماس العفو الذى رفعه المحامون باسم المحكوم عليه الى وزير الحقانيــة وأعضاء مجلس ادارة الدولة . ولكن التزوير الذى ارتكبه الجوهرى وظنت

السلطات أن لوزورك يداً فيه كان قد أحدث أثره السيء فلم تترتب على الالتماس نتيجة . ثم جاءت محكمة النقض والابرام فحكمت برفض النقض المقدم اليها واعتبرت اعتراف كوريول غير مقبول شكلا،لأن القانون صريح فى النص على أن لا عبرة بدعوى محكوم عليه على آخرين . وهكذا لم يبق أمام لوزورك إلا أن يمتثل لقضاء الله ولقوانين الانسان

وامتثل المسكين فى شجاعة أحاطته بعطف الناس واعجابهم ، فلقد استقبل مصيره الرهيب بصبر جميل ، وتناول مقصاً قص به شعره الأشقر الذى جنى عليه وجعل منه أربع خصل أرسلها لتوزع على زوجته وأولاده ، وأنشأ ثبتا باملاكه وديونه وما له فى ذمة الغير من الديون حتى لقد ذكر فيه : « انى مدين بثمانى ليرات للمواطن لوجران الجوهرى الذى ساهم بتزويره برغم حسن قصده فى اعدامى ، وأعلن أنى أصفح عنه وعن جميع الذين أرسلونى بخطئهم أو بصمتهم الى النطع لألقى جزاء جريمة ارتكبها سواى » ثم كتب الى شبيهه رسالة رجا من السلطات نشرها :

« الى المواطن ديبوسك المجهول . لقد أبى خطأ الناس وجمود القوانين إلا أن أكون فداءك ، فطب نفساً بهذا الفداء وانعم من بعدى بالحياة . ولكن اذا قدر عليك أن تحاسب على آثامك ووقفت فى ساحة القضاء ، فاذكر أولادى الثلاثة الايتام الذين جللت جباههم بالخزى والعار ، واذكر أمهم التاعسة التى قضيت عليها بالترمل والبكاء ولا تماد فى الانكار حتى لا تطيل مدى مأساة نشأت من شبه بيننا ياله من شبه مشئوم ! »

وفى صباح اليوم التالى اقتيد الثلاثة المحكوم عليهم فى عربة المجرمين الى ساحة الاعدام وكان كوريول لا ينفك يصيح : « أنا المجرم أما لوزورك فبرىء » وما زال يردد هذه الصيحة حتى بلغت بهم العربة المقصلة المنصوبة فى الميدان العام . وكان برنار قد أغمى عليه فى الطريق فأصعدوه درجات النطع وهو يجر ساقيه جراً وهوت السكين على عنقه ، ففصلت رأسه عن جسده وأعقبه كوريول ، وقد أبى الا أن يبرىء ضميره للمرة الأخيرة فصاح : « هذا جزاء ما اقترفت يداى وانى لراض بقضاء الله ، أما لوزورك فبرىء »

وأخيراً شاهدت الجموع المحتشدة لوزورك يصعد الدرجات بخطى وئيدة ووجه شاحب محزون فلما استوى على النطع أجال بصره بين الناس . وقال : « الله يشهد انى برىء وأن أولادى أولاد رجل شريف » واستسلم للجلاد وهو يقول وقد علت شفتيه ابتسامة يأس وقنوط : « ما أشق هذه النهاية على نفس برىء »

انتهت مأساة بريد ليون وظن الناس ان الستار قد انسدل على الفصل الأخير منها ، ولكن المسيو دوبانتون قاضى التحقيق لم يكن مرتاحا الى تلك النهاية . فلقد طرأ على تفكيره تغير كبير جعله يبيت مقتنعاً بأنه تعجل فى تحقيق القضية وأخطأ ، وأن محكمة الجنايات أخذت بوجهة نظره فأخطأت هي الأخرى ولم تصب من المجرمين الحقيقيين الا واحداً وحكمت على بريئين بالاعدام .

ومن ذلك اليوم صار شبح لوزورك لا يفارقه ، وبات ضميره يئن تحت المسئولية الهائلة التي احتملها فآلى ليصلحن من خطئه ما يمكن اصلاحه ، وليكشفن عن الحقيقة مهما كلفته من جهود

كان لابورد يتسمى باسم دوروشا . أما اسمه الحقيقي فهو فيرون . وكان يشتغل خادما فى مصرف وقد طرد من الخدمة لسوء سلوكه . فلما قبض عليه وأدرك أن التحقيق جار فى مجراه الصحيح لم يشأ أن يجهد نفسه فى اختلاق الأكاذيب وأفضى الى القاضى بكل ما يعلم فجاءت أقواله مطابقة لاعتراف كوريول ولبيانات المرأة مادلين بريان . ثم استطرد فقال : « لقد سمعت أن رجلا اسمه لوزورك حكم عليه فى هذه القضية بالاعدام ، ولست أعرف هذا الشخص ولم يشترك معنا فى شيء ، وما أشك فى أنه قد راح ضحية تشابهه بديبوسك الذى لعب فى مأساة بريد ليون أهم الأدوار » ثم أرشد القاضى الى شركائه فقال إن ديبوسك شاب فى السابعة والعشرين من عمره أسود الشعر مديد القامة قوى البنية عريض المنكبين يسكن بين باريس وفرساى بيتا خلويا جميلا تحيط به حديقة واسعة أقام فى أحد جوانبها زريبة للماشية ومفرخا للطيور الداجنة . أما فيدال فاسمه الحقيقى بيالا ويتسمى أحيانا باسم لافلور وديفور ولا بد أن يكون الآن معتقلا فى أحد السجون إذ قد حكم عليه بالسجن لجريمة سرقة ارتكبها حديثاً . وأما شريكهم الرابع روسى فقد اعتزلهم عقب حادثة البريد وغاب عن أبصارهم فلا يعلم أحد له مقراً ولا مصيراً ، وأحيل دوروشا على محكمة الجنايات فلم يتحول عن الأقوال التى أفضى بها الى قاضى التحقيق فحكمت عليه بالاعدام

وظل المسيو دوباتون يواصل البحث والاستقصاء على ضوء البيانات التى حصل عليها من دوروشا حتى وفق الى القبض على ديبوسك وفيدال . وتبين من سوابق ديبوسك أنه مجرم ذو شأن خطير فى عالم الاجرام ، فلقد حكم عليه أول مرة بالسجن المؤبد ففر من سجنه ، ثم حكم عليه فى جناية أخرى بالأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة ففر من سجنه أيضاً ، ثم عادت الشرطة فقبضت عليه وأودعته أحد الليمانات مصفداً بالحديد ، ولكن هذا الاحتياط لم يمنعه من الفرار مرة ثالثة . وحدث بعد ذلك أن حكم على زوجته بالحبس لسرقة ارتكبتها فتوصل ديبوسك الى اختطافها من محبسها

ولقد اكسبت هذه الحادثة صاحبها شهرة مخيفة جعلت منه فى مخيلة الجماهير بطلا من أبطال الاجرام يخشى خطره ويهاب جانبه . فلما استدعى القاضى الشهود للادلاء بشهاداتهم دب الرعب فى قلوبهم ولم يجسر واحد منهم على اتهام ديبوسك اتهاما صريحا بل جعلوا يتكلمون فى حذر ويحاولون أن يبثوا الشكوك فى نفس المحقق قائلين إن تقادم العهد على الحادثة قد أنساهم كثيراً من التفاصيل

على أن ديبوسك لم يلق بالا الى كل ذلك ولم يشأ أن يأبه لسير التحقيق ، فلقد بيت فى نفسه أن لا يشهد قضيته وصمم على الفرار . وفى ذات صباح دخل السجان يفتقد سجينه فاذا الحجرة

خاوية واذا البطل قد تبخر ولم يبق منه أثر . ويظهر أنه عز عليه أن يغادر زميله فيدال وحيداً فى معتقله فطواه فى ردائه ولاذا معاً بالفرار

ولكن بينما كان السجان يتدبر مدى مصيبته ويتأمل فى قضبان النافذة المنزوعة من مكانها اذا به يسمع أنينا خافتاً يتصعد من خلف تلك النافذة ، فلما هرع الى مصدر الأنين ألفى ديوسك ممدداً تحت السور وساقه اليمنى مكسورة وهو يتلوى كالأفعى من فرط الألم

أعادوه الى السجن واتخذوا لفراره كل الاحتياطات فجعلوه فى (زنزانة) مصفحة الأبواب لا ينفذ اليها الضوء الا من منور فى السقف ، وكبلوا يديه بالسلاسل واختاروا لحراسته سجانا لا ريب فى ذكائه ونشاطه وأمانته ، وحظروا الدخول عليه على غير الطبيب الذى يعالجه ولبثوا ينتظرون شفاءه ليقدموه الى محكمة الجنايات

وساءت حالة المريض وكان سوءها يطرد كل يوم حتى ظن أولو الأمر أن الموت سيعاجله قبل أن تهبط على عنقه سكين المقصلة . فلما آنسوا من حالته أن الباقى من حياته ساعات أو أيام ، وأن اطرافه لا تقوى على الحركة بله الفرار ، نزعوا السلاسل من يديه وعاملوه معاملة المريض المحتضر ، وعاده الطبيب ليلة فألفاه مشرفا على التلف فخرج وهو يؤكد أنه لن يعيش الى الصباح . وفى الصباح دخل السجان ليرى هل مات مريضه أو ظل على قيد الحياة ، فاذا المريض قد أطلق للريح ساقه المكسورة وساقه السليمة تاركا السجان والطبيب فى حيرة أى حيرة . . .

وإذا كانت كل الجهود التى بذلتها السلطات البوليسية والقضائية فى سبيل القبض على ذلك المجرم العجيب قد ذهبت سدى ، فهى قد أفلحت فى العثور على شريكه فيدال الذى ألفوه مختفياً بمدينة ليون ومتنكراً فى زى خادم بمنزل أحد الأعيان . وقد سيق الى المحاكمة واعترف بجريمته وبأسماء شركائه وقرر أن جوزيف لوزورك برىء مما اتهم به ثم حكمت عليه محكمة الجنايات بالاعدام وأعدم يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٧٩٨

ولم ينقض عامان على تلك الحوادث حتى كان ديوسك وروسى قد اطمأنا الى أن جريمتهما قد نسيت ، ومطاردة السلطات لهما قد فترت ، فبدأا يظهران فى شوارع باريس متنكرين تنكراً غير متقن لم يخف على الشرطة الأذكياء الذين كان القاضى دوبانتون قد رصدهم للبحث عنهما ، فلم يلبثوا أن تحققوا شخصيتهما حتى قبضوا عليهما وأودعوهما السجن وجعلوا فى أرجلهما ومعاصمهما سلاسل غليظة ثبتت فى الجدران وشدوا الى سيقانهما اثقالا من حديد تعوقهما عن الحركة وتقصى عن ذهنهما التفكير فى الخلاص

وانعقدت محكمة الجنايات للنظر فى هذه الحلقة الأخيرة من حلقات مأساة بريد ليون . وجىء بأربعة وثمانين شاهد إثبات ومن بينهم المرأتان سوتون وزميلتها آلفيروا وغيرهما من الذين شهدوا

على لوزورك منذ أربع سنين . تقدمت سوتون للشهادة وتفرست قليلا فى وجه المتهم ثم قالت : « لا لم أخطىء ولم أر وجه هذا الرجل قبل اليوم » . وقال شاتلان صاحب فندق مونجرون مثل قولها . وزعمت المرأة آلفيروا إن بينه وبين الرجل الذى رأته على طريق ملون بعض الشبه ولكنها لم تؤكد شيئا . وقال جيليه : « إن هذا المتهم ليس الشخص الذى رأيته يوم الحادثة » وقال الشاهد بيرو : « إن هذا الرجل يختلف عن ذلك الذى رأيته اختلافاً كبيراً »

وكان القلق والغم قد بدأا يساوران جمهور النظارة ، وكاد اليأس يدب الى نفوس آل لوزورك الى أن انبرى من صفوف الجمهور رجل يحمل بين يديه فراء رأس اصطناعى وتقدم به نحو هيئة المحكمة وقال : « أنا جوليان ومهنتى حلاق وقد عرفت المرحوم جوزيف لوزورك ، وأنا واثق انكم لو وضعتم هذا الفراء الاشقر على رأس المتهم ديبوسك لتجلت الحقيقة أمام أولئك الشهود ووضح لأعينهم ذلك الشبه الذى أدى الى هذا الخطأ العجيب »

وأمر الرئيس فلبس ديبوسك الفراء على رأسه واستدعى الشهود مرة أخرى فما ان نظرت المرأة آلفيروا الى المتهم حتى جحظت عيناها ومدت سبابتها وصاحت : « إنه هو الرجل الذى رأيته وجاءت صاحبتها سوتون وحملقت فى وجه ديبوسك طويلا ثم أدارت رأسها ناحية الرئيس وقالت : « لقد قررت أمامكم فيما مضى أن الرجل الذى رأيته كان لوزورك ، أما الآن فأعترف انى أخطأت ، وان هذا المتهم ليس شخصاً آخر غير ذلك الذى شاهدته يوم مأساة البريد »

وصدر الحكم باعدام ديبوسك وشريكه رومى وأعدما يوم ٢٤ فبراير سنة ١٨٠١ فبلغ عدد المحكوم عليهم فى تلك القضية سبعة مع ان اجماع الشهود قد دل على ان مرتكبيها خمسة لا يزيدون

ولقد خصصت مدام لوزورك حياتها للعمل على رد الاعتبار الى ذكرى زوجها ، وحمل السلطات على اعادة النظر فى القضية ، فلم توفق بعد أربعين عاما الا الى استصدار أمر من الامبراطور نابليون الثالث بأن تعيد الحكومة الى أولادها أملاك أبيهم التى صادرتها عقب الحكم عليه تطبيقا للقوانين التى كانت سارية فى ذلك الحين

حسن الشريف

أول من اختصر الطريق بين الشرق والغرب

الملازم توماس واجهورن

صورة من الجهود التي بذلت في سبيل اختصار الرحلة من انجلترا الى الهند بانشاء طريق برى يصل الاسكندرية بالسويس

بعد أن بدأت عادة ارسال المحمل من مصر الى الحجاز مخترقا صحراء السويس ، ظهرت فجأة فكرة جديدة كانت تشغل أذهان طائفة من الانجليز لاختصار الرحلة الى الهند عن طريق الاسكندرية وأحد موانىء البحر الأحمر

وكان من بين الذين اهتموا بمشروع هذا الطريق البرى «توماس واجهورن» اللازم بالبحرية الانجليزية فى الهند ، فانه أكب على درسه دراسة وافية ، وقدر نفقاته وباحث رجال الملاحة فى المنافع التى تعود عليهم من جراء تنفيذه . ولما أقنعهم بحجته حصل على اجازة طويلة فى خلال عام ١٨٢٩ وسافر الى انجلترا ليعمل على اجتذاب مديرى شركة الهند الشرقية الى تحبيذ المشروع

ويظهر ان موقع مصر الجغرافى وأهميته بالنسبة لربط اوربا بالشرق جعلها هدفا لعيون الانجليز، وازدادت أهمية مصر من يوم ان اخترعت المراكب البخارية . ولكن لسبب خفى لم تحفل انجلترا بمشروع الملازم واجهورن ، فاضطر الى أن يترك الخدمة البحرية ويحضر الى القاهرة كممثل لشركة الملاحة الهندية ، ثم أخذ على عاتقه تنظيم قوافل تنقل الفحم من الاسكندرية الى السويس لتموين البواخر ، وتوصيل البريد من لندن الى بمباى عن طريق مصر

وترتب على ذلك أن أرسلت مصلحة البريد الانجليزى أول رسالة فى ٢ مارس سنة ١٨٣٥ عن هذا الطريق البرى الذى عرف فيما بعد «بالاوفرلاند روت» فكان هذا العمل بمثابة اعتراف رسمى بالمشروع . وكان محمد على قد اكبر المشروع لفائدته ، فوجه عنايته قبل كل شىء الى حراسة البريد الانجليزى وسلامة مروره بالأراضى المصرية ، فعزز الحراس فى الصحراء.

وكان البريد ينقل فى بادىء الامر على المدرعات الانجليزية من مالطة الى الاسكندرية ، وهناك يسلم الى وكلاء مخصوصين تحت رقابة الوالى الشخصية . ومن ثم يعبر النيل الى بولاق ومنها يجتاز الصحراء الى السويس حيث يسلم الى البحرية الهندية . أما القافلة التى تجتاز طريق السويس فكانت تتكون عادة من نحو مائة جمل تحمل الفى صندوق وخمسمائة حقيبة بريد والف طرد بضاعة ، عدا صرر الفضة والنقود ، وكان هناك نوع آخر من البريد يطلق عليه «بوسطة الجراية» وتحمله ابل

« الغازة » لسرعة عدوها ، وتحرسه شرذمة صغيرة من القواصين الاتراك

ونجح مشروع واجهورن نجاحا حمله على تأسيس فنادق فى كل من القاهرة والسويس لراحة المسافرين الذين تعهد بنقلهم من الاسكندرية الى السويس نظير مبلغ ١٣ جنيها انجليزيا يدخل فى ذلك الطعام والاقامة . واختار بقعة جميلة فى شبرا لتكون مزرعة تمون السياح بالخضار والفاكهة . ووضع كتابا أطلق عليه اسم « نصائح للرحالة بالطريق البرى » ضمنه وصفاً شائقا لرشيد والاسكندرية والقاهرة على نمط كتب السياحة المعروفة اليوم باسم « بيدكر » . ثم نشر اعلانات بصحف انجلترا تضمنت فوائد السفر بالطريق البرى حيث يقطع المسافر المسافة من لندن الى بمباى فى ٦٠ يوما

غير ان شركة واجهورن لم تستطع أن تقف وحدها فى الميدان ، فنافستها شركة ملاحة تعرف باسم « هيل ورافن » ، وكانت تنقل المسافرين بين بولاق والعطف ، ولم تلبث أن افتتحت فنادق فى القاهرة والسويس ، وأسست استراحة فى الصحراء ، وخفضت الأجر الى ستة جنيهات

وظلت المنافسة قائمة بين الشركتين الى أن كانت سنة ١٨٤١ اذ اندمجتا تحت اسم واحد « J. R. Hill & Co. » وعملت الشركة الجديدة على تحسين طرق السفر ، وجلبت أول سفينة نهرية تسير بالبخار لنقل الركاب بين بولاق والعطف ، وكانت هذه السفن تسحب قبلا بالخيول

وكان على المسافر بمجرد هبوطه الاسكندرية أن ينتقل فى الحال أحد الزوارق من المحمودية الى العطف ، ثم من العطف الى بولاق بالباخرة النهرية ، ولم يكن بالاسكندرية فى ذلك الوقت سوى فندقين هما : اكويلا دورو ، وخان السيدة هيوم ، وهي زوجة ضابط كان فى خدمة محمد على

وقد وصف النبيل روبرت كرزون الفندق الأول فى مذكراته المدونة فى أوائل عام ١٨٣٢ :

« بعد ان أنزلنا أمتعتنا أخذنا نسير فى الشوارع حتى بلغنا نزلا يسمى « المطب المثلث » وهو الفندق الوحيد فى القارة المظلمة ، وكان كملجأ يأوي اليه الضباط والتجار يحتسون الخمر فى غرفة مظلمة أشبه ما تكون « بالأفران » . ومن ثم شغلنا أحسن غرف الفندق وهي التى تطل على الشارع والسوق . أما الاسعار فهى خمسة قروش للاقامة وثلاثة للفطور وخمسة للغداء وأربعة للعشاء »

ومن مدينة العطف ينقل الركاب والبريد الى القاهرة فى سفن نهرية وصفتها السيدة اراندل باركر بقولها : « وبعد مضى ٢٤ ساعة من وصولنا الى الاسكندرية زايلناها فى صنادل رحلت بنا الى نهاية ترعة المحمودية . وبعد ان وصلنا الى العطف في منتصف الليل تقريباً ، أقلتنا سفينة نهرية مجهزة بمعدات مريحة تسع نحو ثلاثة عشر راكباً . وبعد مضى ثلاثين ساعة وصلنا الى القاهرة متقدمين سفينة البريد التى كانت قد أقلعت قبلنا بأربع ساعات . وكانت فى انتظارنا عربة امنيبوس لتقلنا الى الفندق الانجليزى ، إلا اننا ألفيناه مزدحما ، فانطلقنا الى الفندق الفرنسى وكان رحباً . وهناك وجدنا غرفة للنوم مريحة بالطابق الثانى حيث أتيح لنا أن نشاهد منها منظر المدينة الخالدة

ولم يكن بالقاهرة غير ثلاثة فنادق ، أولها فندق موناى . وهو يعد أقدمها لأنه أنشىء فى عهد

الحملة الفرنسية ، وكانت به حديقة غناء وموائد للبلياردو ومشرب . والفندق الثانى «شبرد» أسس عام ١٨٣٤ ، أما الثالث فاسمه « فندق جاردينو» أسسه ايطالى كان فى خدمة محمد على . وفى عام ١٨٤٥ انتعشت حركة السياحة فأنشىء بالاسكندرية ثلاثة فنادق جديدة هى : أوربا والشرق وسويسرا . وكانت أجورها مرتفعة اذ بلغت ٤٠ قرشا فى اليوم . على حين تأسس بالقاهرة فندق كولومب وفندق وليس وبلغت أجورها ٩٨ قرشا فى اليوم الواحد

وكان برنامج السفر عن طريق القاهرة يمضى بأن يقضى المسافرون ثلاثة أيام بها الى أن يصل البريد الى السويس . وبعد ذلك يستقلون عربات امنيبوس تجرها أربعة من الجياد المطهمة . وكان الطريق الصحراوى «الاوفرلاند روت» مقسما الى سبع محطات ، فى كل محطة منها استراحة مكونة من غرف للركاب وصالون وقاعة للسيدات وأخرى للخدم وخزان للمياه ومخزن للمؤن الخ

وعلى الرغم من ان تكاليف الرحلة من سوثهامبتون بانجلترا الى كلكتا هى ١٤٣ جنيهاً انجليزياً ، فقد كان عدد الركاب الذين يمرون بمصر عن هذا الطريق بين الفين وثلاثة آلاف راكب سنويا . وازدادت أهمية الطريق عندما أرسلت الحكومة الانجليزية نحو خمسة آلاف جندى انجليزى للسفر الى الهند بسبب نشوب قلاقل سياسية بها ، ودفعت الى الحكومة المصرية عشرة جنيهات عن كل ضابط وخمسة جنيهات عن كل جندى اجتاز الأراضى المصرية

وقد رأى محمد على بعد نجاح مشروع واجهورن أن يصيب عصفورين بحجر واحد ، فاتفق مع الباب العالى ومع انجلترا على نقل البريد عن طريق مصر نظير حصوله على بنس وربع عن كل رسالة ، ووضع حد لتعريفة الترانسيت وهى نصف فى المائة من قيمة البضاعة المنقولة . ولما كان الترانسيت محصوراً فى بادىء الأمر فى يد شركة انجليزية تذرع محمد على بغلطة ارتكبها مديرها فدفع تعويضات لموظفيها وعمالها وحولها الى مصلحة حكومية . وفى الوقت نفسه قرر سحب جزء خاص بالنقل البري من شركة واجهورن وجعله ادارة حكومية سميت باسم « ديوان المرور » وجعل مقره العتبة الخضراء ، واختصاصه نقل السياح والبضاعة والبريد الوارد من انجلترا برسم الهند وبالعكس . ثم أضيفت اليه أخيراً السفن البخارية التى تجرى بين الاسكندرية وبولاق وكانت ملكا لشركة P. & O.

أما واجهورن فقد أسس بالاتفاق مع جورج ويتلى شركة للتصدير ، ولكن واجهورن توفى فى عام ١٨٥٠ ، واعترافا بفضله فى اختصار الرحلة الى الهند ، أقام فرديناند دلسيبس تمثالا نصفياً له بالسويس ونقشت على قاعدته : « أقامت الجمعية العمومية لقناة السويس هذا النصب التذكارى للملازم واجهورن المولود بمدينة شاتام عام ١٨٠٠ والمتوفى بلندن عام ١٨٥٠ وذلك اعترافا باخلاصه فى افتتاح الطريق البرى بمصر » ، وأقيم تمثال آخر بمدينة شاتام التى أنجبت هذا الرجل العبقرى

محمد أمين حسونه

نقد وتحليل

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

النيل
حياة نهر عظيم

لمؤلفه اميل لدفج



يحتوى الكتاب الذى جمع فيه « اميل لدفج » أحاديث « مازاريك » زعيم « شيكوسلوفاكيا » وفيلسوفها الكبير فصلا ممتعاً بعنوان : « لماذا الجهاد فى سبيل الحق ؟ » يسأل فيه الكاتب محدثه عن سر تلك الغيرة على الحق التى لقى من جرائها ما لقى فى عنفوان صباه

من يقرأ ذلك الفصل يشعر بالحالة النفسية الجديدة التى انتقل اليها « اميل لدفج » ويصح أن تسمى حالة السكينة وقلة الاكتراث لشىء من الأشياء

فبعد ان كان الدفاع عن الحق فى هذه الدنيا هو الشىء الطبيعى المعقول الذى يعمله جميع الناس بالفطرة والبداهة ، أصبح هو غريبة الغرائب ، وأعجوبة الطبائع الانسانية ، ولغز الحياة الذي يحتاج الى السؤال والتفسير

وقلة «الحماسة» تعين الكاتب على شيئين ، وان أفقدته غير ذلك من الأخلاق والملكات : تعينه على الانصاف وصحة الحكم كما ينصف الحاكم بين خصمين لا يضمر الهوى لأحد منهما أو لكليهما ، ولا يرعى فيهما غير النظر الى موضوع الخصومة دون النظر الى الخصمين

وتعينه على الفكاهة والسخرية ، لان الفكاهة كثيراً ما تأتى من طريق التفرقة بين الظواهر والبواطن والدعاوى والحقائق ، كما تأتى كثيراً من طريق النظر الى الأمور بغير

اكتراث ولا حماسة أو اهتمام . فالرجل الذى لا تأخذه الدعاوى بظواهرها ، ولا يندفع مع الأهواء بغوايتها يضحك من هياج النفوس ، كما يضحك الرجل الرصين من هياج الطفل فى غير طائل ، وهو نافذ ببصره الى ما وراء ذلك الهياج من قلة العناء أو من قلة الغناء

ولا يخطىء القارىء أن يرى هاتين الخصلتين على أجلاهما وأوفاهما فى كتاب « النيل » ، وهو أول كتاب أظهره اميل لدفج بعد نشر أحاديثه مع مازاريك ·

ففى الكتاب من أوله الى آخره نزعة من السخرية الفولتيرية لا تشذ عنها وجهة من الوجهات،ولا تقف دون قداسة من القداسات ، و يتفق فيها هو وفولتير فى بعض الاحايين اتفاقاً حرفياً لا نظنه من قبيل الاستعارة والاقتباس . كما حدث فى التماسهما المعذرة للهمج من آكلى لحوم البشر بالقياس الى آداب المتحضرين المتمدنين

فالساخر الاعظم فولتير يقول فى كتابه « كنديد » أثناء وصفه للرحلة فى امريكا الجنوبية بلسان بعض ابطاله وهو يخاطب أبناء القبيلة الهمجية :

« أيها السادة ! .. انكم تحسبون انكم ستنعمون اليوم بلحم أحد الكهان وهو صحفة شهية بلا مراء ، وانى لا أجادلكم ولا أرى شيئاً أدنى الى العدل والانصاف من التصرف مع أعداء الانسان على هذا المنوال ، اذ الواقع ان قانون الطبيعة يعلمنا أن نقتل اخواننا على المبدأ الذى يعمل به العاملون فى جميع أنحاء الكرة الارضية . فان كنا لا نطبق عندنا مبدأ أكلهم فذلك لأننا فى غير حاجة الى هذا الصنف لكثرة ما عندنا من صنوف الطعام ، أما وأنتم لا تظفرون بمثل هذه المزية ، فلا ريب انه من الخير لكم أن تأكلوا أعداءكم بدلا من القائكم بثمار النصر والغلب للحدأ والغربان»

واميل لدفج يذكر عادات الهمج آكلى لحوم البشر فى افريقيا ، ويذكر عنهم انهم يتحرجون من أكل لحوم الانعام ، لانهم يعتقدون ان أرواحهم تدخل فى بعضها أثناء الحياة و بعد الممات ، فاذا أكلوا البقرة فقد يأكلون أنفسهم ، واذا أكلوا الانسان فلا خوف من هذا العدوان ! .. ثم يقول :

« ولعمرى لم نفردهم بتهمة القسوة وهم يظهرون فى آدابهم ما يظهرون من تلك اللباقة والكرامة ؟ أليس أكل الانسان عدوه أقرب الى الطبع من أكله خنزيراً أو طائراً يتولى اطعامه وتدليله سنوات ؟ أليس هذا أو ما يشبهه هو أمنية الامانى عند الثقاة الذين لا يمنعهم مانع غير العادة أن يأكلوا أعداءهم الذين يسرون بتعذيبهم ذلك السرور »

ومن الاتفاقات الطريفة ان فولتير يحكي فى قصته الخيالية عن أناس فى امريكا الجنوبية لا يصلون ، لأن الله قد أغناهم عن التوسل والدعاء ، وان اميل لدفج يحكي فى قصته الواقعية عن أناس من الهمج يعتقدون ان الاله موجود ، ولكنه أكبر وأرفع من أن يصغى الى صغائر الانسان !

والكتاب يفيض بالسخر فى كثير من المواضع : يصف القردة فى بلاد الحبشة ، وهى دون الحيوانات جميعاً ، تترك ماء الغدران وتلتفت الى آنية الخمر فتكرع منها حتى تقع فى أيدى القانصين وقد نجا سائر الحيوان ، فيقول انها كانت أخلق أن تسلم بذكائها مما يتردى فيه الحيوان المشهور بالغباء ، ثم يقول : «وهل كان القرد عبثاً نصف انسان ؟ »

ويصف الرخم وهو ينقض على الجيف فى مجاهل الصحراء من حيث لا يتوقعه الناظرون فيقول : «سرعان ما يموت الميت حتى تراهم هناك : أسرع من الورثة ! »

ويقول عن عادات الهمج والمتحضرين فى الزواج ، وقد روى ثورة الهمج على القسوس لانهم يأبون عليهم أن يتزوجوا بغير واحدة : « انهم ـ أى الهمج ـ لايعلمون ان الرجل فى اوربا يتزوج واحدة ويستطيع أن يأخذ قرينة جاره بغير عقاب ! أما الرجل الهمجي فهو يتزوج الكثيرات ، ولكنه لن يأخذ قرينة من جاره إلا عوقب عليها ! »

ويصف التمساح فى جموده والتزامه مكاناً واحداً يطيل الجلوس فيه ، ثم يقول : « كأنه عضو فى نادى محافظين ! »

ويقول عن القبائل العراة الذين عاشوا فى سعادة الفطرة حتى عرفت الحضارة طريقهم فى القارة السوداء : « ان الانسان انما يفقد البساطة ويتعلم الخطيئة بمعرفة الذهب لا بمعرفة المرأة»..

ويشير الى جمع البردى ، فيقول : « ان عبيداً يجمعونه ويصنعونه ، وان عبيداً آخرين يسطرون فيه الثناء الكاذب على الفراعين » . وهكذا فى جميع فصول الكتاب مما يتخلل السطور أحيانا ، وإن كان لا يبرز هذا البروز

***

قال لدفج انه تعود أن يكتب حياة العظماء كأنها أنهار تفيض من النبع الى النهاية ، وهو يريد أن يكتب حياة النيل كأنه انسان يتقدم من مولده الى أقصى مداه ، وقد ذكر فى المقدمة : « انه لا ينوى أن يصف ما هو مشهور بالأسماء والعناوين ، وانما يأخذ نفسه بأن ينقش الالوان ثم يفرغ عليها الاسم والعنوان »

وقد برّ بوعده هذا أيضا كأحسن ما عهدناه فى ترجمة من تراجمه الكثيرة . فترددت فى ثنايا أوصافه المختلفة صور كلامية بديعة أو كلمات وجيزة كأنها ضرب من التصوير . فاذا أشار الى نبات الحليبة كيف ينبثق قال : «انه يعلو و ينبثق كأنه احتجاج من الارض الى السماء». واذا مثل لك كثافة الغابات ، قال : « إن الانسان لايعرف مدى طولها الا ببعد ما يرد على سمعه من أغانى طيورها » واذا وصف التمساح فى تخوم الحبشة وهو يفيق من ركوده فى الغدران المهجورة حين يمدها الفيضان بذخائر الحياة والغذاء ، قال : « إنه يخرج من حلم طويل كان يحلم فيه بالقحط والمجاعة ! »

وليس بالنادر أن نعبر هذه الكلمات الوصافة من هذا القبيل حيث « ينقش » الكاتب مناظر الماء أو مناظر النبات أو مناظر الطير والحيوان أو مناظر الناس وهم قبائل شتى يختلفون فى عادات الحكم وعادات الاجتماع وعادات الزواج كما يختلفون في العقائد والملامح والاجسام

ولم ينس الكاتب مع هذا أن يحيط بما يحتاج اليه قراء الرحلات من الظواهر الطبيعية وأسبابها ومواعيدها ، وما له ارتباط وثيق بالتربة والتاريخ ومسائل الرى وحوادث العصور وفروض المؤرخين والباحثين . ففى الكتاب كلام عن ستانلى و بيكر وامين باشا والمهدى وغردون والزبير وكتشنر ومارشان وأمراء سنار وملوك الحبشة الاقدمين والمعاصرين ، وفيه كلام نافع عن مناخ الأقاليم النيلية ومواسم أمطارها وعوامل النقص والزيادة فيها ، و روافد النيل وما جرى فيها أو جرى عليها من عمل الطبيعة أو عمل الانسان ، وعن امراء مصر والحبشة وما كان بينهما من شقاق وتهديد بحبس الفيضان وتحويل الماء ، وفيه معلومات شتى لم تجتمع قط فى كتاب واحد عن النيل أو أقاليم النيل

والكتاب على اتساعه وتعدد فصوله وأبوابه قليل الاخطاء أو مغتفر الاخطاء من كاتب أوربي يتصدى لهذه الموضوعات : فمن أمثلة الخطأ فيه أن يفسر اسم المهدي بأنه القائد أو المرشد ، وهو كما يعلم القراء غير الهادى فى معنى لفظه ، وان كان هو الهادى فى معنى دعوته وارشاده ، ومن أمثلة هذا الخطأ زعمه ان القرآن قد أنبأ بالأئمة الاثنى عشر ، وهو من كلام بعض الفرق الاسلامية ولا شأن له بآيات القرآن ، ومن تلك الأمثلة قوله عن « محمد احمد » انه أوصى بأربعة من الخلفاء بعده كما فعل النبى عليه السلام ، والنبى كما هو معلوم فى التاريخ الاسلامى لم يوص بأحد من الخلفاء . . . وكل أولئك خطأ منظور من الاوربى الذى يتناول هذه الأمور فى عرض رحلة عامة ليس هذا المبحث فيها هو المبحث المقصود

الا أن القارىء لا يفوته أن يلاحظ على الكتاب فى جملته أنه أرضى المغيرين على الأقاليم النيلية أكثر من ارضائه أبناء تلك الأقاليم . فما أثبته عن تاريخ الحبشة يسر الايطاليين ولا يسر أبناء البلاد ، وكذلك ما أثبته عن المحتلين فى مصر والسودان يسر الانجليز وليس فيه الكثير من دواعى السرور للسودانيين والمصريين

بيد اننا ننصفه فلا ننسى أنه يحصى على المستعمرين ما يستغلونه من البلاد الافريقية ، فيشير الى أن الانجليز قد جندوا من « أوغنده » مائتى ألف جندى فى ابان الحرب العظمى وانهم ينتفعون من محصولاتها بما يساوي مليونين من الجنيهات ، وان موارد أوغنده تزيد على نفقاتها بنحو مليون

كذلك ننصفه فلا ننسى أنه ألقى التبعة على الوزارة الانجليزية فيما أصاب غردون بالخرطوم ، وقرر أن الجنود التى سافرت لنجدته كانت تدركه وتنقذه لو تحركت فى شهر مايو ولم تتوان الى ما بعد ذلك بثلاثة أشهر

ومن الجائز أن الرجل لم يكلف نفسه الحماسة لحقوق المستضعفين ، لأنه وصل الى تلك السكينة التى علمته أن الغيرة على الحق من أغرب المستغربات بين بنى الانسان ، ولأنه سئم ما يقال عن الأجناس وفضائل هذا القبيل ومطالب ذلك القبيل ، ولم يمض فى كتابة المقدمة عشر صفحات حتى بان أثر ذلك فيما كتب عن سخافات الأجناس ودعاوى المفرقين بينها باسم العلم والسياسة ، وحق له أن يسأم هذه البدعة ولا يسهو عنها وهو اليهودى الذى جنت عليه التفرقة فى وطنه الألمانى بين من يسمونهم بالآريين ومن يسمونهم بالساميين !

عباس محمود العقاد



رسم رمزى للنيل وفروعه عن تمثال بالفاتيكان

المقنّع
أو ذو القناع الذهبى

دجال يجرد الجيوش ويقيم القلاع

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

دجال يدعى الألوهية فتتألف حوله الجماهير ، ومشعوذ يدين له الناس بالطاعة ، فيبث الزيغ ، ويعلن العصيان ويقاوم الولاة ، ثم يجرد الجيوش ويقيم القلاع ، ويلقى الرعب والروع فى شتى الأرجاء . . وأخيراً يلقى بنفسه وبأهله وصحابه الى نار تقضى عليهم جميعاً . .

من أشهر حوادث التاريخ الفرنسى وأعجبها قصة « ذى القناع الحديدى » . وهى قصة يكتنفها الغموض ويغمرها نوع من الخيال الرائع ، وما زالت حتى عصرنا مثار التحقيق والجدل، ذلك ان الروايات مع اتفاقها جميعاً على لب القصة ، وهو أن عظيما من العظماء اعتقل أيام لويس الرابع عشر ، وزج الى سجون الدولة ، وفرض عليه أن يستر وجهه دائماً بقناع من الحديد ، وأنه قضى فى هذا الاعتقال الهائل زهاء أربعين عاما حتى توفى ، فانها تختلف اختلافاً كبيراً على شخصية هذا السجين وبواعث اعتقاله ، وتورد فى ذلك قصصاً شتى ، فبعضها يذهب الى أن ذى القناع الحديدى انما هو أخ توءم للملك لويس الرابع عشر رأى أن يعتقله تخلصاً من منافسته ، وأن يخفى وجهه الى الأبد بتلك الطريقة المروعة ، وهذا رأى فولتير ، وبعضها يرى أن السجين انما هو عظيم من عظماء الدولة حلت به نقمة الملك ، فقضى عليه بالاعتقال المؤبد ، وأخفى وجهه على هذا النحو حتى لا تعرف شخصيته ، وهنالك روايات وفروض أخرى يضيق المقام بذكرها

وقد وقع حادث ذى القناع الحديدى فى أواخر القرن السابع عشر ، وكان مستقى خصباً لأقلام طائفة كبيرة من كتاب القصص ، بيد أن هذه القصة الشهيرة لا تدانى فى الطرافة والروعة قصة مماثلة تقدمها الينا الرواية الاسلامية ، هى قصة « ذى القناع الذهبى » . . وإخفاء الشخصية بستر القناع هى الجامعة بين الحادثتين ، ولكن بينما نجد بطل القناع الحديدى أسيراً

ضعيفاً يحمل من سجن الى سجن حتى يلقى حتفه فى ظلام وصمت ، اذا ببطل القناع الذهبي داهية جرىء ومغامر خطر ، يثير مجتمعاً بأسره ، ويخوض معارك وحوادث خطيرة ، ثم يلقى مصرعه فى مناظر هائلة تثير الروع والاعجاب معاً

* * *

فى القرن الثانى من الهجرة (القرن الثامن الميلادى) ظهر ذو القناع الذهبي ، الذى تعرفه الرواية الاسلامية باسم « المقنع » وكان ظهوره فى شمال خراسان . وكان القرن الثانى من الهجرة عصر النضال بين الدعوات والنزعات الدينية المختلفة ، وكانت هضاب خراسان أخصب مهد لهذه الثورات المذهبية ، وكانت بنأيها عن مركز الحكومة المركزية ، وسذاجة قبائلها قبلة الدعاة ، ولا سيما دعاة الشيعة ، وفى تلك الهضاب ظهر أبو مسلم الخراسانى ، وقامت الدعوة العباسية ، ووضعت أسس انقلاب من أعظم الانقلابات التى شهدها التاريخ الاسلامى ، ونعنى سقوط الدولة الأموية وقيام الخلافة العباسية ، وفيها أيضاً ظهر المقنع أو ذو القناع الذهبي

فمن هو المقنع هذا ؟ ان كثيراً من الغموض يحيط بنشأته وشخصيته ، وان كانت الرواية الاسلامية تقدم الينا عنه بعض التفاصيل ، فقد نشأ بمدينة مرو ، وكان فى بدء أمره قصارا ، ثم ادعى السحر ، وزعم القدرة على الخوارق ، وكان من مزاعمه أنه يصور للناس صورة قمر يطلع ويراه الناس على مسيرة شهرين ، والى هذا القمر المزعوم يشير ابن سناء الملك فى قوله :

اليك فما بدر المقنع طالعاً بأسحر من الحاظ بدري المعمم

وكان اسم هذا المشعوذ الغريب هشام بن حكيم وقيل كان اسمه عطاء ، وكان أعور قصير القامة ، مشوه الخلقة قبيح الطلعة ، بيد أنه كان ذكياً مؤثراً ، وكان يخفى قبح منظره تحت قناع من الذهب يضعه على وجهه باستمرار ومن ثم كانت تسميته «بالمقنع» وكان اخفاء وجهه وشخصه على هذا النحو يثير طلعة الكافة ويسبغ عليه نوعاً من الخفاء والروع ، يعاون فى بث دعوته وترويج مزاعمه

ولم يلبث أن التف حول « المقنع » كثير من الكافة من مرو وما حولها من الهضاب يدهشهم ويروعهم بمزاعمه ، ويدينون له بالطاعة والايمان بخارق مقدرته ، والظاهر أن المقنع كان كمعظم الدعاة يستعين على بث دعوته بضروب من السيميا والكيمياء يدهش بها أتباعه ويقنعهم بقدرته على تحقيق المعجزات ، ولما قوى أمر الداعية وألفى الطريق ممهداً أمامه، كشف عن حقيقة غايته ، وادعى الامامة والألوهية ، ولم يظهر دعواه الجريئة للكافة فى المبدأ ، بل

اكتفى بأن أذاعها بين خاصته وصحبه ، وكان يزعم الحلول ، ويقول إن الله خلق آدم وتحول فى صورته ، ثم تحول عند وفاته فى صورة نوح ، وهكذا حتى استقر فى صورة أبى مسلم الخراساني وانتقل من بعد وفاة أبي مسلم الى هاشم ، وهاشم هو الداعية أى « المقنع » . وكان الداعية يقول أيضاً بتناسخ الشرائع والأديان ، وأن دعوته الجديدة تنسخ الاسلام وكل الأديان الأخرى ، ولم يلبث أن استجاب لهذه الدعوى الجريئة طائفة كبيرة من البسطاء والملاحدة من المبيضة والترك والوثنيين الذين يكثرون فى تلك الوهاد ، وكان المقنع يستتر وراء ذكرى أبى مسلم ، ويزعم أنه خليفته فى الامامة والألوهية ، وانه أفضل من النبى ، وكان استتاره وراء هذه الذكرى يقوى دعوته ، وكان قد مضى مذ قتل أبى مسلم (سنة ١٣٧ هـ) زهاء عشرين عاماً ، ولكن ذكراه كانت ما تزال تثير فى تلك الأنحاء التى ظهر فيها ، ورفع فيها دعوة العباسية ، إجلالا يدنو من التقديس

وفى سنة ١٥٩ هـ (٧٧٦ م) ذاع أمر المقنع وذاعت دعوته ذيوعاً كبيراً ، فجرد عليه والى خراسان ، وهو يومئذ حميد بن قحطبة من قبل الخليفة المهدى العباسى قوة لمطاردته وسحق دعواه ، فلقيها المقنع فى جمع كبير من أتباعه الملاحدة وهزمها ، وأبدى أتباعه فى القتال حماسة مخيفة وكانت صيحتهم فى الحرب « يا هاشم اعنا » ، وهاشم هو المقنع كما رأينا ، ثم سار المقنع وقد زاد جمعه واستفحل أمره الى شمال غربى خراسان ، وهنالك انتزع قلعة بستام من حاكمها وتحصن فيها ، وفيما حولها من القلاع الحصينة التى تحميها سلسلة وعرة من الآكام والربى ، ثم أخذ يغير بعوانه على تلك الهضاب ويعيث فيها ، واستولى على كيش وعلى كثير من الأنحاء المجاورة ، وتتابعت قوى الخلافة لمحاربته ، بقيادة أبى النعمان والجنيد وليث بن نصر وقتل عدة من قواد الخليفة ، وألقت هذه الثورة الالحادية صداها فى بخارى ، ونشبت هناك بين جند الخلافة والملاحدة من المبيضة وأتباع المقنع معارك شديدة مدى اشهر ، ثم هزم جند الخليفة وقتل قائدهم وانضم قسم كبير منهم الى الخوارج ، واشتد الأمر على حكومة بغداد ، وكادت تفلت من يدها خراسان

واستمر المقنع زهاء ثلاثة أعوام يبث الرعب والروع فى تلك الأنحاء ، وجند الخلافة تنهزم بين يديه اينما سارت . وفى سنة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) جهز المهدى جيشاً كبيراً بقيادة معاذ بن مسلم ، وسعيد الحرشى ، فسار هذا الجيش الى الشمال والتقى بأصحاب المقنع على مقربة من « الطواويس » فهزمهم هزيمة شديدة ، وارتد الملاحدة الى بستام فتحصنوا بها مع باقي رفاقهم ،

وأنشأ المقنع حول قلاعه سلسلة قوية من الخنادق ، فسار اليه سعيد الحرشي فى قوة كبيرة ، وضرب الحصار حول بستام ، وقطع كل علائقها من الخارج ، واستمر الحصار مدى أشهر فضاق الملاحدة ذرعا ، وفاوضوا الحرشى سراً فى الخروج من القلعة على أن يمنحهم الأمان فأجابهم الى ذلك ، وغادر بستام زهاء ثلاثين ألفاً من الملاحدة ، و بقي المقنع فى نفر من خاصته وأصحابه يبلغ نحو الألفين ، وزحف الحرشى بقواته على أسوار القلعة الداخلية ، وضيق الحصار عليها ، واعتزم اقتحامها بكل الوسائل

وهنا يقع أروع فصل فى تلك المأساة الغريبة . ذلك أن المقنع حينما رأى حرج الموقف وشعر انه لم يبق ثمة أمل فى النجاة ، جمع نساءه وخاصته ، وسقاهم السم جميعاً ، وشرب معهم وأمر أن تحرق جثته بعد وفاته حتى لايمثل بها جند الخليفة ، وهكذا هلك الجميع داخل القلعة. وفى رواية أخرى أن المقنع دبر مصرعه ومصرع خاصته بطريقة أروع ، وذلك انه جمع كل ما فى القلعة من الأثاث والرياش والدواب ، وأضرم حولها ناراً عظيمة ، ثم التفت الى خاصته وقال لهم :« من أراد ان يرتفع معى الى السماء فليتبعنى الى هذه النار » ثم ألقى نفسه فى النار . وتبعه نساؤه وخاصته فاحترقوا جميعاً . وأتت النار على القلعة فلم يبق فيها شيء . وقيل ان المقنع القى بنفسه فى تنو ر قد اذاب فيه النحاس والسكر فذابت فيه جثته وافتتن به اصحابه اذ لم يجدوا له جثة ولا حطاماً وقالوا صعد الى السماء . ودخل الجند الى القلعة فألفوها قاعا صفصفا . فقتلوا من بقى من الملاحدة . ويقال ان الحرشي عثر بجثة المقنع فاحتز رأسه و بعث به الى المهدى . وهو على رأس جيشه فى حلب فى سنة ١٦٣ هـ . وذلك ما يرجح الرواية الأولى . وهى ان المقنع توفى قتيلا بالسم

***

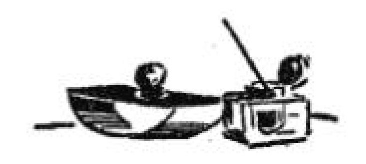
وهكذا بدأت مأساة المقنع بالمزاعم الخارقة ، وانتهت فى أروع المناظر ، وكانت تجتاح هضاب فارس في ذلك العصر دعوة إلحادية قوية ، وفى تلك البيئة الملحدة كانت تنظم دعوات الامامة وغيرها من الدعوات السرية ، ولكن هذه الدعوات المغرقة لم تذهب قط الى زعم الألوهية ، وان كانت تذهب أحياناً الى زعم النبوة ، وقد كان مصرع المقنع على هذا النحو المروع مثار فتنة ومزاعم جديدة بين أصحابه حول الوهيته وارتفاعه الى السماء ، ولا تحدثنا الرواية الاسلامية بعد ذلك عما انتهت اليه دعوة المقنع ، وإلى أى مدى لبثت فى شمال خراسان ، ومن المحقق أنها اضمحلت فى تلك الأنحاء بسرعة ، وأخمد دعاتها الظاهرون فى كل مكان . بيد أننا نعتقد

أنها أحدثت آثارها السرية فيما بعد فى جنوب فارس حيث كانت دعوة إلحادية أخرى تنظم بطريقة سرية ، وتلك هي دعوة الديصانية التى كان زعيمها ميمون القداح وولده عبد الله. وقد كانت أولى النتائج العملية للدعوة الديصانية ثورة القرامطة فى البحرين وجنوب العراق ، وكان القرامطة يقولون بالتناسخ وحلول الروح أيضاً وهو ما دعا اليه المقنع قبل ظهور القرامطة بنحو قرن . وهكذا نرى الصلة بين هذه الدعوات الالحادية المختلفة تنظم بطريقة غير مباشرة ، ولكن تحدث آثارها دائماً

ومن الغريب أن هذه الدعوة بالحلول والألوهية ، قد نقلت بعد ذلك من فارس الى مصر فى أوائل القرن الخامس الهجري ، وفى أواخر عصر الحاكم بأمر الله ، وكان انتقالها على يد داعية فارس من «الزوزن» هو حمزة بن على ، ودعا الزوزنى الى ألوهية الحاكم بأمر الله وساق فكرة الحلول على نحو يشبه مساقها عند المقنع ، فزعم أن روح آدم انتقلت الى على بن أبى طالب ، ثم انتقلت روح على الى الحاكم بأمر الله . وذاعت هذه الدعوة المغرقة فى مصر مدى حين ، وكادت تضرم نار حرب أهلية طاحنة ، وما زالت فكرة الحلول كما ساقها حمزة تمثل الى يومنا فى مذهب طائفة الدروز بالشام

ولا يعرف التاريخ الاسلامى غير هذين المثلين لارتفاع الدعاة بمزاعمهم الى قدس الألوهية وهما مثل المقنع فيما دعا لنفسه ، ومثل حمزة بن على فيما دعا للحاكم بأمر الله وكلاهما مأساة من أروع مآسى التاريخ الاسلامى (١)

محمد عبد الله عنان



(١) راجع فى تفاصيل مأساة المقنع : ابن الاثير ج ٦ ص ١٣ و ١٧ و ١٨ وأبو الفداء ج ٢ ص ٩ وابن خلدون ج ٤ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ والفرق بين الفرق ص ٢٤٤

كيف يكون شعور الشاب الخجول حينما تفاجئه فتاة فى الظلام وتنهال عليه تقبيلا ؟ — ترى وصفاً طريفاً لهذا الاحساس المفاجىء للروائى الروسى انطون تشيكوف فى قصته الممتعة :



القبلة

فى مساء اليوم العشرين من مايو في الساعة الثامنة كانت ست مدفعيات من فرقة المدفعية حرف « ن » فى طريقها الى المعسكر فنزلت ، فى بلدة ميستكي على نية قضاء الليلة

وكان الهرج أعلى شده ، فبعض الضباط يضجون حول المدافع ، وآخرون فى الساحة الواقعة أمام الكنيسة يتذاكرون مع كبيرهم ، واذا براكب مقبل من وراء الكنيسة على جواد طرف أصيل . واقترب الكميت ، أقب مضمر البطن ، مقتضب الذيل ، أجيد عريض اللبان ، يخطر فى مشيته ، وإنه ليترقص طوال الوقت هزجا لا تستقر قوائمه كأنما تمس الرمضاء حوافره . وجذب الراكب اللجام فى محاذاة الضباط ورفع قبعته عياً وقال بلهجة رسمية :

— الجنرال فون رابك ، وداره عن كثب ، يتشرف بدعوة حضرات الضباط للشاى . . .

وهز الجواد رأسه وترقص ثم تمايل متراجعاً . ورفع الراكب قبعته مرة أخرى ، وأدار عنان جواده العجيب وغاب وراء الكنيسة

« بعداً لها من دعوة ! » هذا ما كان يتردد فى خواطر الضباط وهم يأوون الى محلتهم . « وهذا النعاس يثقل أجفاننا فيأتينا من يقال له فون رابك بشايه . بئس الشاى ! »

وعلى هذا فلم يكن سبيل الى التخلف عن دعوته . فاغتسل الضباط وارتدوا ثيابهم وخرجوا ييممون دار فون رابك . واستخبروا في ساحة الكنيسة فقيل لهم أن يهبطوا الربوة الى النهر ويسيروا والشاطىء حتى يوافوا حدائق الجنرال فيجدوا ممراً يؤدى الى الدار . وإلا فاذا أرادوا أن يرتقوا الربوة فانهم يوافون بيادر الغلة الملحقة بدار الجنرال على مسيرة ثلثى الميل من البلدة . وقد آثروا هذه الطريق . وسأل أحدهم :

-ولكن من يكون فون رابك هذا ؟ أهو الذى كان قائداً لفرقة الفرسان حرف « ن » فى موقعة بليفنا ؟

— كلا ، لم يكن فون رابك ، وانما كان « راب » وحدها مجردة من « فون »

— ما أبدع الجو هذه الليلة !

وحين وردوا أول بيادر الغلة ألفوا أنفسهم فى مفترق طريقين ، أحدهما ماض فى الاتجاه المستقيم حتى يغيب فى ظلمة الغسق ، والآخر عارج الى اليمين ويؤدى الى دار الجنرال . وأخذ الضباط فى اقترابهم يخفضون من جلبة كلامهم . والى يمينهم ويسارهم تمتد صفوف البيادر من القرميد حمر السقوف لها طلعة ثقيلة جهمة كالثكنات فى القرى . وأمام أعينهم تلتمع الأنوار فى نوافذ دار فون رابك . . ؟ وصاح أحد الشباب الضباط :

— بشرى ، أيها السادة ! هذا كلبنا الصياد سابق فى الطليعة . فالقنص لاشك قدامنا

والمومأ اليه بالكلب الصياد الملازم لوبتكو وهو طويل بدين ، أمرد الوجه أجرده ، لم يطر له شارب ، ولم يخضر له عذار ، مع أنه يتجاوز الخامسة والعشرين . وقد اشتهر بين رفاقه بأنه ذو حس غريزى يشعره بوجود النساء اذا كن على مقربة . فالتفت الى رفاقه حين سمع ملاحظتهم وقال :

— أجل نفسى تحدثني أن هناك نساء

وظهر عند باب الردهة رجل وسيم الطلعة مدخر القوة فى الستين من عمره هو فون رابك فى غير ثوبه العسكرى وقد تقدم يستقبل مدعويه . وكان وهو يشد على أيديهم يعتذر بأنه على شدة سروره بهم لا يحتجزهم للبيت . فان عنده من الأضياف شقيقتيه وأولادهما وشقيقه ونفراً من أهل جيرته — وأنه فى الواقع لم تبق غرفة خالية . ومع أنه كان يصافحهم وهو يكثر من المعاذير ويبتسم هاشاً، فالواضح الجلى أنه إنما دعاهم لأن مراسم الأدب تحتم ذلك . وارتقى الضباط الدرج المفروش بالطنافس وقد استمعوا الى مضيفهم وأدركوا الأمر وأحسوا إدراكه ، وتبين لهم ما يجنونه على الدار من تهجم وإزعاج . وساءل كل نفسه ماذا يمكن لرجل جمع شقيقتيه واولادهما وشقيقه واهل جيرته ليحتفلوا بعيد عائلى ، ولا ريب ان يأنس من السرور فى هجمة تسعة عشر ضابطاً لم يسبق له قط رؤيتهم ؟

ووقفت لتحيتهم عند باب قاعة الاستقبال سيدة كبيرة فى السن ، مديدة القامة ، حسنة الصورة ، وجهها أميل الى الطول ، سوداء الحاجبين، شديدة الشبه بالامبراطورة السابقة اوجيني . وكانت تبش فى تأدب ووقار ، وهى تؤكد لهم سرورها بهم ، وتأسف على اشتغال المكان عن مبيتهم . ولكن الابتسامة المتأدبة الوقور غابت حين ولت منصرفة . وكان من الواضح الجلى أنها رأت ضباطاً كثيرين فى سالف ايامها ، فليس لهم بعد في عينيها ادنى طرافة

وكانت حجرة المائدة الفسيحة يجلس فيها — إلى خوان ممدود — عشرة من الرجال والنساء يشربون الشاى . وخلفهم وراء حجاب من دخان السيجار يقف نفر من الشبان يلغطون بالحديث . وامتد نظر الضباط من باب مفتوح الى غرفة ساطعة الانوار مكسوة الجدران بالورق الأزرق

وقال الجنرال بصوت جهير وهو يتكلف الجذل والحبور :

— أنتم أيها السادة كثيرون يتعذر تعريفكم فرداً فرداً ، فلتعرفوا أنفسكم بعضكم البعض . أرجو اليكم ذلك ، من غير مراسم

فانحنى الجميع تحية للجميع ، وكانت وجوه البعض عليها مسحة الجد ، بل قل التزمت ، وعلت وجوه البعض ابتسامة خفيفة . وبالجملة كانوا كلهم في حال من الارتباك والضيق ، وأخذوا مجالسهم الى المائدة ، وكان أشدهم شعوراً بالربكة والضيق الكابتن ريابوفتش وهو ضابط ضئيل الجسم ، أفك المنكبين ، ذو عوينات وله شارب كشارب الفهد . وبينا كان اخوانه الضباط تبدو عليهم مسحة الجد أو الابتسام المفتعل ، كانت سحنته وشاربه - الذي يحكي شارب الفهد - وعويناته كأنما تقول : « أنا من بين الفرقة كلها أشدهم استحياء واستخذاء وخفاء شأن » . فانه ظل بعد جلوسه الى المائدة برهة طويلة غير مستطيع حصر وعيه في شيء واحد . فالوجوه والملابس وقناني الكونياك المضلعة وأقداح الشاي الداخنة والدفاريز المصبوبة - كلها غارقة في غمرة احساس واحد يوقع الروعة في نفسه فيتمنى لو ستر دونها رأسه فلا يراها . وكان شأنه شأن محاضر يلقي للمرة الأولى في حياته محاضرة ، فكل شيء يتراءى أمامه ولكنه لا يتبين شيئاً ، فهو في واقع الأمر قد اعتراه ما يسميه رجال الطب في تشخيصهم بالعمى الباطني

ولكنه أخذ يتغلب بعض الشيء على انكماشه واستخذائه فيستوضح الاشياء ويرقبها . وكان أول ما أخذه - شأن الخجول المنقبض عن الناس - هي الجرأة المدهشة فيما يبدو من أصدقاء فون رابك وعقيلته وسيدتين كبيرتين وفتاة في ثوب بنفسجي وفتى طرير الشارب أحمره لعله من شباب فون رابك . وقد جلس هؤلاء الى الضباط من غير احتفال او كأنما قد استعدوا لها كالممثلين بالمران على الحركة والالقاء ، فخاضوا فيما بينهم في مناقشات حامية متنوعة سرعان ماجروا اليها الضباط

وكان آل فون رابك - الى براعتهم في استجلاب ضيوفهم الى النقاش والمساجلة - يرقبون كل فم وكل قدح . هل تناول الشاي كل مدعو ، وهل حلوه كاف ، ولماذا هذا الضيف لم يمد يده الى الكعك ، وهل ذاك أميل الى الكونياك ؟ وكلما أصغى صاحبنا ريابوفتش وتطلع نحوهم زاد اعجابه بهذه الأسرة الأريبة المدربة

وبعد الشاي انتقل الضيوف الى قاعة الاستقبال . أجل، ان غريزة لوبتكو لم تكذبه . فقد كانت الحجرة مكدسة بالغواني والفتيات . وقبل أن تمضي دقيقة كان « كلب الصيد » الضابط الى جانب فتاة في ميعة الصبا شقراء الشعر في ثوب أسود . وظل حضرته مائلا في وقفته كأنه مستند الى سيف غير منظور يهز كتفيه في تظرف وعجب . ولا ريب في أنه كان يلغو بكلام لا ظل عليه للطرافة والايناس . فان الفتاة الشقراء كانت ترنو الى وجهه المتربع الراضي بنظرة السامع المتغاضي

وبدأت الموسيقى وكانت النغمات الشجية لمقطوعة الرقص تطفو الى خارج النافذة المفتوحة فدب اليهم أجمعين الشعور بأن خارج النافذة ربيع في إبانه ، وانها ليلة من ليالي أيار . وكان الهواء عطراً بورق أشجار الحور والورود والبنفسج . وكان نغم الرقص والربيع صادقاً خالصاً . ودارت نشوة الكونياك مشعشعة بموسيقى الرقص في رأس ريابوفتش ، فشخص بطرفه الى ناحية النافذة

وعلى وجهه ابتسامة ، ثم جعل يتتبع حركات النساء وخيل اليه أن شذا الورود والحور والبنفسج لايتضوع من الحدائق في الخارج بل من وجوه أولئك الغوانى الناضرة وأبرادهن الموشاة

وأخذ الرجال والنساء يرقصون . وقد دار فون رابك الشاب دورتين حول الغرفة مراقصاً لفتاة ناحلة ظاهرة النحول . وخف الضابط لوبتكو منزلقاً على خشب الغرفة الأملس الملمع وأقبل على الحسناء ذات الثوب البنفسجي فسمحت له برقصة . أما ريابوفتش فظل واقفا بجانب الباب مع الواقفين غير المراقصين شاخص البصر . وكان دهشاً لا ينقضى دهشه من جرأة الرجال وهم على مرأى من الناس يخاصرون نساء لا يعرفونهن . وحاول أن يتصور نفسه يصنع صنيعهم ولكن عبثاً يحاول

ولقد أتى عليه حين كان يحسد رفاقه على شجاعتهم واقتحامهم ويألم من دوام تفتيشه فى طوايا قلبه وقلة استهتاره مثلهم . ويحز فى نفسه علمه أنه خجول أفك الكتفين ، ليست له شارة من وجاهة وأنه ذو شارب كشارب الفهد ، وأن قده ناحل كله . غير أنه على تطاول السنين رضى بتفاهة حظه واطمأن الى خفاء شأنه . فهو ينظر الآن الى الراقصين واللاغطين دون أن ينطوى لهم على حسد

ولعبت الموسيقى توقيعاً آخر للرقص ، فاقترب الشيخ فون رابك الى ضابطين من غير الراقصين ودعاهما الى شوط بليارد . وغادر ثلاثتهم القاعة . ولما كان ريابوفتش واقفاً خامل الوقفة لا يأتي عملا ، فقد حفزه حافز الى الخروج فى أثرهم . واجتاز حجرات ودهاليز وحجرات . ثم بدا له في آخر الامر الرجوع . وفى أثناء رجعته وقعت له واقعة كانت في نوعها الاولى له والاخيرة . ذلك أنه لم يذهب بعيداً حتى تبين أنه ضل الطريق . فعاد ادراجه وعرج على يساره ، فاذا هو فى غرفة تسودها ظلمة ولم يسبق له ان مر بها . وكان بصيص نور يتطرق من خلل باب فى الطرف الآخر من الغرفة ، وصوت الموسيقى يخفق خافتاً من بعيد . وكانت النوافذ كنوافذ قاعة الاستقبال مفتوحة على مصراعيها وشذا الحور والبنفسج والورد يغمر الهواء

ووقف ريابوفتش متحيراً . وظل ما حوله ساكنا برهة . وإذا بوقع اقدام متعجلة الخطى ، ثم من غير إيذان ومن حيث لا يحتسب ، حف فى الغرفة ثوب حريرى ، وهمس صوت امرأة مبهور الانفاس : « وأخيراً » . وأحس ذراعين ناعمتين هما حتما ذراعا امرأة تطوقان جيده . وأحس خداً دافئاً يلتصق بخده ، ثم قبلة داوية . على أن القبلة ما كادت ترن فى السكون المخيم حتى صرخت السيدة المجهولة وولت - كما خيل الى ريابوفتش - نافرة مشمئزة ، وكاد ريابوفتش نفسه يصرخ ، ثم تهافت الى ناحية الشعاع النافذ من خلال الباب طلبا للخروج

ودخل قاعة الاستقبال ، وقلبه يدق دقا شديدا ، ويداه ترتجفان ارتجافاً ظاهرا يجعله يلمها وراء ظهره . وكان أول ما ملكه شعور الخجل كأنما كل واحد فى القاعة قد عرف ما جرى له تواً من ضم وتقبيل . فقبع فى جلده وتلفت وجلا . فلما تبين أن اصحاب الدار والضيوف فى اطمئنان يرقصون ويسمرون ، تشجع واسلم نفسه لأحاسيس يبلوها للمرة الأولى فى حياته . لقد وقع ما لم

يقع له مثله . وخيل اليه أن عنقه الذى طوقته منذ هنيهة ذراعان ناعمتان معطرتان رطب ندى كالممسوح بالزيت . وعلى خده عند شاربه الأيسر حيث موقع القبلة يتمل برد خفيف لذيذ كأنه قرص نعناع . وهو من فرعه الى قدمه في غمرة من أحاسيس جديدة عجيبة ما تزال تزيد وتعظم

وشعر بأن لا بد له من أن يرقص ، ويسمر ، ويكر الى الحديقة ، ويضحك من غير حرج خالع العذار ، ونسى النسيان كله أنه أفك الكتفين ، خافى الشأن ، ذو شارب مثل شارب الفهد وانه نكرة فى مظهره لاسمت له ولاشارة على حد وصف له جرى على لسان احدى السيدات ، واسترقه سمعه عرضا واتفاقا . ومرت مدام فون رابك ، فابتسم لها ملء شدقيه وبكل لطافة ، فأقبلت عليه ونظرت اليه متسائلة . فقال وهو يعدل عويناته : ما أبدع دارك !

فردت مدام فون رابك على ابتسامته بمثلها ، وقالت ان الدار لا تزال ملكا لوالدها ، وسألت عما اذا كان ابواه على قيد الحياة ، وكم مضى عليه فى الجيش ، وما السبب فى نحوله الشديد ؟ وانصرفت بعد سماعها الى أجوبته . على انه مع انتهاء الحديث وانصرافها ظل يبتسم ابتسامة طيبة خيرة ويتأمل مبلغ لطف القوم من معارفه الجدد

وفي العشاء كان ريابوفتش يأكل ويشرب بحركة آلية ما يوضع امامه ، ولا يسمع حرفا من الحديث الدائر ، منصرفا بكل قواه الى حل الغاز هذه الواقعة الروائية الغامضة . ترى ماذا يكون تفسيرها ؟ إن وجه تفسيرها فيما يرى بديهى وهو أن إحدى الفتيات تواعدت على اللقاء فى الغرفة المظلمة ، وبعد أن انتظرت برهة على غير جدوى كانت فى اضطراب اعصابها بحيث التبس عليها ريابوفتش بحبيبها المنتظر ، ويشفع لخطئها أن ريابوفتش عند ولوجه الغرفة المظلمة توقف مترددا كأنه فى انتظار على موعد . وهكذا يتجلى السر ويبرح الخفاء

« ولكن من هى بين هؤلاء ؟ » كان هذا السؤال يتردد فى خاطره وهو يتصفح وجوه النساء . انها لا شك صبية لأن العجائز لا يتورطن فى مثل هذه المغامرات . ثم انها ليست خادمة وهذا أمر ثابت لا مراء فيه بدليل حفيف ثوبها الحريرى وعطرها وصوتها . .

فألقى نظرة أول الأمر على الفتاة ذات الثوب البنفسجى فأعجبته . فان كتفيها وذراعيها على جمال وافر ، ولها وجه ذكي وصوت ساحر . فضرع الى الله أن تكون هى . غير أنها ابتسمت ابتسامتها الماكرة وتقلص أنفها الطويل فبدت من ذلك أكبر سناً . وزوى ريابوفتش نظره عنها الى الشقراء ذات الثوب الأسود وهى أصغر سنا وأكثر بساطة وصدقا ، ولها طرر على جبينها تسبى اللب ، وكانت ترتشف قدحها فى لطف يفوق الوصف . فتمنى ريابوفتش أن تكون هى ـ ولكنه سرعان ما لحظ فى وجهها فرطحة ، فانكب بنظره على جارتها

« انها حيرة لا حيلة فيها ! » . وفكر « لو أخذت ذراعى الفتاة ذات الثوب البنفسجى وكتفيها ، مضافا اليهما خصائل الفتاة الشقراء وعينا الفتاة الجالسة الى يسار لوبتكو ، فعندئذ » . .

وألف من جملة هذه المحاسن صورة فانجلى لعيانه منظر الفتاة التى قبلته . ولكنه غير واجد لها أثراً حينما قلب طرفه . . وانتهى العشاء . وقام الزوار وهم فى شبع ونشوة ، وودعوا الداعين . وكرر صاحب الدار وصاحبتها المعاذير فى عدم احتجازهم للمبيت . وقال الجنرال : « انى جد مسرور ! أيها السادة جد مسرور ! » وكان فى لهجته هذه المرة الصدق : ولا جرم فان تشييع الضيف المرتحل أروح للنفس من استقباله بالترحيب وهو غير مرحب به . « انني جد مسرور حقا ! وآمل ألا تحرمونى من الزيارة فى العودة . أرجو منكم ، مع رفع التكليف . وأى طريق أنتم الآن سالكون ؟ أتصعدون الربوة ؟ لا ، انحدروا ، واجتازوا الحديقة . هذه الطريق أوجز »

وأخذ الضباط برأيه . وبعد الجلبة والأنوار الساطعة فى الدار ظهرت لهم الحديقة مظلمة ساكنة . وظلوا حتى باب الحديقة ملازمين للصمت . ومع أنهم كانوا طربين ثملين مبسوطين فان ظلام الليل وسكونه كانا يبعثان على مناجاة النفس وسبحات التفكير . وجال فى أذهانهم كما جال فى ذهن ريابوفتش هذا السؤال : « هل يأتى يوم يكون لى فيه مثل فون رابك دار كبيرة ، وأسرة ، وحديقة ، وفرصة سانحة للتلطف مع الناس ولو غير مخلص فأدعوهم للشبع والنشوة والانبساط ؟»

ولما بلغوا محلتهم ، خلع ريابوفتش حلته من غير وناء ، وآوى الى فراشه . « أين هى الآن ؟ » بهذا الخاطر جعل يناجى نفسه وهو شاخص الى السقف الساجم بلون السناج . وكانت رقبته لا يزال بها هذا الاحساس الرطب الندى كالممسوحة بالزيت ، والى جانب فمه لا يزال موقع القبلة يتمثل بمثل برودة قرص النعناع ، وفى ذهنه يتلألأ على التعاقب كتفا الفتاة البنفسجية وذراعاها ، والطرر على جبين الفتاة ذات الثوب الأسود وعيناها الصادقتان ، وما عدا ذلك من خصور مائسة وأبراد موشاة ومشابك مجوهرة . وعلى الرغم من مجاهدته فى إقرار هذه الصور الشاردة وتثبيتها ، فانها كانت تلتمع وتغمز له ثم تزول . وأخيراً حال لونها وانطمست فى ذلك الستار الكثيف الأسود الذى يخيم على أعين الناس عندما يرنق النوم فيها ، وأخذ يدوى فى سمعه وقع أقدام معجلة وحفيف أثواب حريرية ورنين قبلة . وجذب ريابوفتش لحافه وتكور تحته كالكرة ، وغلبه النوم . وكان آخر إحساسه قبل السبات أنه كان موضع ملاطفة وإسعاد ، وأن حياته دب اليها شىء غريب يكاد يكون مضحكا ولكنه جميل ومشرق على نحو غير عادى . ولم يبرحه هذا الخاطر حتى فى أحلامه

واستيقظ مع الصباح ، ورنا مسحوراً الى زجاج النافذة يتوهج كالذهب من شعاع الشمس الطالعة ، وأنصت الى الضوضاء فى الخارج . وكان إحساسه بالنداوة فى عنقه وبرودة قرص النعناع فى خده قد ذهب عنه ، ولكن الفرح بالليلة البارحة كان ملء جوانحه يسرى فى كل عرق من عروقه

(ترجمة ع . ص)

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

هل تصلح للطيران ؟

تستطيع أن تصبح طياراً اذا جزت هذا الامتحان

هل تستطيع أن تقف على احدى قدميك وعيناك مغمضتان مدة خمس عشرة ثانية ؟ وهل تشكو الصداع والأحلام المزعجة واضطرابات الأعصاب ؟ وهل أنت معتاد قرض أظفارك والسير فى النوم ؟ وهذا نزر يسير من الأسئلة التى توجه اليوم الى كل من يريد أن يحترف الطيران . ومع أن صاحب « الجامعة » يقول إنه لا جديد تحت الشمس ، فان طب الطيران جديد من كل وجوهه . وليس قوام هذا الطب مختلف العقاقير التى يصفها الطبيب للعليل ، بل الاختبارات الفيسيولوجية والبسيكولوجية

ان الطيران من الوجهة الميكانيكية فن سهل جداً . وقد كان « جلن كرتس » صانع الطيارات المشهور يقول دائماً إن كل من يستطيع أن يركب دراجة (بسكليتا) يستطيع أن يطير بطيارة . ومعظم الحوادث المشؤومة التى تقع للطيارين فى أثناء تحليقهم فى الجو تنشأ عن أسباب بسيكولوجية لا عن خلل ميكانيكي ، أي عن عجز الطيار عن تدارك الحوادث الطارئة . فتلافى ذلك العجز وضع « طب الطيران » قيوداً يجب أن يراعيها كل من يريد أن يتعلم فن الطيران

ان الكثيرين من الناس يقبلون على تعلم هذا الفن من دون أن تكون لهم أية غاية عملية من وراء ذلك . وقد ذكر مدير احدى مدارس الطيران فى أميركا أن شابا تقدم اليه يريد أن يتعلم فن الطيران ليصلح « مزاجه العصبي » ! ولا شك أن هنالك كثيرين مثله يريدون أن يتعلموا الطيران لمثل تلك الغاية . ولكن ليس ثمة خطأ أعظم من هذا . ولهذا السبب وضعت القيود الخاصة بالطيران

والنساء اللواتى يتعلمن هذا الفن يزدن المسألة تعقيداً . فبعضهن يقدمن عليه وهن مرضعات أو حوامل أو فى أثناء الحيض ، بحجة أن الجنس يجب أن لا يكون مانعاً من الطيران ، وأن أعصاب المرأة لا تقل قوة واحتمالا عن أعصاب الرجل . ولكن الاختبار لا يؤيد ذلك

وإليك أهم الشروط التى يجب أن تتوافر فى كل من يريد أن يتعلم الطيران :

(١) موازنة الجسم : والانجليز أول من تنبه الى وجوب توافر هذا الشرط وهو اليوم قيد عام تفرضه جميع مدارس الطيران فى العالم . وهو يقضى بأن يقف الطالب على إحدى قدميه ثم على الأخرى مدة خمس عشرة ثانية وعيناه مغمضتان . فاذا استطاع ذلك من دون استناد أو سند ، ومن دون دعم احدى الساقين بالأخرى ، كان الطالب صالحاً لتعلم فن الطيران

(٢) الوقوف والمشى : وهذا الاختبار يقضى بأن يقف الطالب وإحدى قدميه أمام الأخرى بحيث تكون مؤخرة الأولى متصلة بمقدمة الثانية ، على أن تكون هذه مرفوعة الكعب عن الأرض ، وعلى أن تكون ذراعا الطالب متدليتين الى جانبه وعيناه مغمضتين . ثم يكلف الطالب بأن يسير الى الأمام ويرجع الى الوراء على خط مرسوم على الأرض . ثم يغمض عينيه ويعيد تلك الحركة ، ثم يكررها مرة أخرى وكعب إحدى قدميه أمام مقدم الاخرى وعيناه مغمضتان

(٣) التنفس : يجب على الطالب أن ينقطع عن التنفس أطول مدة يستطيعها ، ومتى عاد الى التنفس يسأله الممتحن لماذا لم ينقطع مدة أطول ، فاذا أجاب بأنه شعر بمثل الدوار ، أو بأن المرئيات اضطربت أمام عينيه ، كان ذلك دليلا على انه لا يصلح لتعلم فن الطيران . واذا أجاب بأنه لم يكن له بد من التنفس لأنه شعر بأن صدره يكاد ينفجر كان ذلك علامة صالحة

(٤) الاسترخاء : ان استطاعة الاسترخاء بسهولة دليل على الصلاحية للطيران . والمعروف عند الأطباء ان الذين لا يحسنون الاسترخاء بسهولة يهرمون سريعاً ، ومن أهم مظاهر هذا الاختبار أن الممتحن يأخذ ساعد الطالب ممدوداً بكفه ويطلب اليه أن يدع ذراعه تسترخى . ثم يترك ذلك الساعد فجأة فاذا سقط ساعد الطالب كان ذلك دليلا على عدم صلاحيته لتعلم الطيران

(٥) اختبار ارتعاش اليد : الأفضل لمن يريد النجاح فى هذا الاختبار أن لا يقدم عليه الا اذا كان قد نال قسطا كافياً من النوم . وبعد هذا يقف ويمد ذراعيه أفقياً مرخياً أصابعه . فاذا بدا على ذراعه أى ارتعاش كان ذلك دليلا على اضطراب أعصابه . وفى هذه الحالة لا يصلح لتعلم فن الطيران

(٦) اختبار النظر : وهو يتناول امتحان قوة الابصار عن بعد بالعينين معاً ثم بكل عين على حدة . مع استطاعة قراءة أحرف حجم كل منها $\frac{1}{8}$ البوصة على بعد عشرين قدما

وهنالك اختبارات أخرى تتعلق بقوة عضلات القلب وبعدد خفقاته فى الدقيقة . واختبارات أخرى تتعلق بالذاكرة ، وأخرى بالأخلاق والعادات . وأهم ما يجب مراعاته أن الطيران يستلزم أعصابا قوية وذكاء وحكمة وترويا وقدرة على ضبط النفس والتصرف فى إبان المفاجآت الطارئة

[خلاصة مقالة نشرت بمجلة ديلنياتور للاستاذ جورج براند]

اليابان تنافس العالم

بفضل تجانس طبقاتها ونظامها الاجتماعي

كان اليابانيون حتى أواخر القرن الفائت شعباً غريب الاطوار ، يعيش فى بيوت مصنوعة من الورق ، ولا يلبس أفراده سوى الثوب المعروف بالكيمونو . وكان لهذا الشعب آداب غريبة لا تنطبق على آداب غيره من الشعوب . فكان يحسب من العارمثلا أن يتمخط الانسان بحضور غيره ، ولكنه يعتبر من أحسن دلائل احترام الانسان لمضيفه أن يتجشأ قبل نهوضه عن الطعام اقراراً منه بأن الطعام كان شهياً

على ان تغييرات كبيرة طرأت على الشعب اليابانى بعد الحرب . فمنذ احتلاله لسيبريا الشرقية وانتدابه للحلول محل المانيا فى منطقة شانتنج ، أخذته العزة القومية وصار يشعر بمكانته الجديدة بين الشعوب . ومع ذلك لم يكترث له أحد فى أول الأمر لأن بلاد اليابان لم تكن يومئذ من البلدان المزدهرة بالصناعات . وقد كان تأخرها فى هذا الميدان ناشئاً عن افتقارها الى « الثالوث الصناعى الأكبر » ـ أى الزيت والحديد والفحم ـ وهى المواد الاولية التى لا غنى لكل صناعة عنها . وكذلك افتقارها الى القطن والصوف والجلد ومواد أخرى تحتاج اليها الصناعة

ولا يخفى ان اليابان هى موطن الزلازل التى لا تنقطع عنها على مدار السنة . وتدل الاحصاءات الموثوق بها على أن الزلازل التى تنتابها لاتقل عن أربعة كل يوم، يضاف اليها زلزالان شديدان أو أكثر كل عام . وزلزال مهلك من وقت الى آخر كالزلزال الذى اجتاح مدينة طوكيو سنة ١٩٢٣ فأهلك مائة وخمسين الفاً من السكان ، وقدرت الخسائر المالية الناتجة عنه يومئذ باكثر من خمسمائة مليون جنيه ! زد على ذلك ما يجتاح البلاد من زوابع وأعاصير وفيضانات وأمثال هذه المصائب

فلهذه الأسباب كانت اوربا لا تحسب لبلاد اليابان حساباً ، وتقول ان المصائب التى تجتاحها من وقت الى آخر تحول دون صيرورتها بلاداً صناعية ، لاسيا ان أحوالها الجوية والطبيعية واضطرار أهلها الى الاحتياط من أمراض الصدر والرئتين ، وما الى ذلك من العقبات ، انما هى عوامل تؤثر فى الشعب اليابانى وتقعده عن منافسة اوربا

ومرت الأعوام الى أن جاءت سنة ١٩٢٠ فأخذت أوربا تشعر بأن هذا الشعب ليس من الشعوب التى لا يخشى أذاها كما كان المظنون أول الأمر . بل هو شعب نشيط قد عزم عزما أكيداً على احتلال مكانه بين الشعوب وعلى منافسة جميع بلاد الغرب فى متاجره وصناعاته . وفى الحقيقة انه لم تأت سنة ١٩٣٣ حتى أخذت المنسوجات اليابانية تغمر أسواق العالم وتحل محل

المنسوجات البريطانية فى ملقة والهند وافريقا بل فى نفس شوارع ليفربول ومانشستر

ونذكر على سبيل المثال ان المكرسكوبات الاميركية تباع فى اميركا بسبعة ريالات ونصف ريال ، بينما المكروسكوبات اليابانية التى تضارعها من كل وجه صارت تباع فى نفس أسواق اميركا بأقل من ريالين . وكذلك قل فى جميع السلع اليابانية ، فقد كانت تباع فى أسواق اميركا بما لا يزيد على ربع ثمن السلع الاميركية

وإذ ذاك استولى الهلع على أصحاب المصانع فى اوربا واميركا ، وأخذوا يتساءلون كيف تستطيع اليابان أن تقوم بتلك المنافسة الجارفة ؟ وقد عللوا ذلك بالثلاث النظريات التالية وهى :

(١) نظرية خفض قيمة الين اليابانى — ولكنها لم تكن صحيحة لأن نقد جميع بلدان العالم خفض خفضاً محسوساً ومع ذلك ظلت المنافسة اليابانية تقوى وتشتد

(٢) نظرية الاعانات الحكومية — وهذه أيضاً لم تكن صحيحة ، لأن بعض حكومات الغرب تقدم الاعانات المالية الى بعض المصانع ومع ذلك لا تستطيع هذه منافسة المصانع اليابانية

(٣) نظرية استغلال الأفراد — ويراد بها ان المصانع اليابانية تستخدم عمالا من أولاد ورجال ونساء ، ولا تدفع لهم الا أجوراً ضئيلة لا تسد رمقاً ولا تشفى غليلا . وفى هذه النظرية شىء من الصحة ومن الخطأ معاً . فأجور العمال اليابانيين ضئيلة جداً الى حد لا يستطيع أن يتصوره العامل فى الغرب ، ولكنها تكفى العامل اليابانى وتناسب « تكاليف » المعيشة فى بلاده

فترى اذن ان اليابان قد استطاعت منافسة الغرب لا بفضل مواردها الطبيعية (وهى قليلة) ، ولا بفضل غناها (وهي أفقر من غيرها) ، ولا بفضل تفوقها ميكانيكياً (وهي ليست أحسن من غيرها) ، بل بفضل تجانس طبقاتها واتحادها ، وبفضل نظامها الاجتماعى الذى يحقق لها توحيد جهودها الوطنية على وجه يتعذر تقليده فى بلاد الغرب

فرخص المعيشة فى اليابان يمكن جميع أفراد الشعب من المعيشة على مستوى يضمن عدم الشكوى والتذمر . وهذا الرخص يجعل بالطبع أجور العمال منخفضة جداً . وانخفاضها ليس دليلا على استغلال عرق العامل اليابانى . فالعامة فى اليابان لا تزال تعيش كما كان يعيش أجدادها ولا تستعمل شيئاً مما تنتجه مصانع بلادها لانها تعتبر أكثر تلك المصنوعات من الكماليات التى يجب أن تستغنى عنها . ولكن فى اليوم الذى تستيقظ فيه تلك العامة وترى ان هذه المصنوعات ليست من الكماليات بل من الضروريات ، ستغلو أسعار الحاجات ومقتضيات المعيشة وترتفع أجور العمال . وستبدأ المنافسة اليابانية بالتضاؤل والتأخر

ولابد من أن يجىء الذى التى تستيقظ فيه الأمة اليابانية وتشعر بوجوب رفع مستوى معيشتها وفى ذلك قضاء مبرم على منافستها لامم الغرب

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة فورتشون بقلم منشىء المجلة]

تغيير الجنس بعملية جراحية

رجال يتحولون الى نساء . ونساء يتحولن الى رجال

نوشمين تنياوم شاب بولوني من أهالي مدينة فارسوفيا ، انخرط في سلك الجيش البولوني وامتاز فيه بالشجاعة والاقدام وأحرز عدة أنواط (مداليات) لانقاذه حياة الكثيرين من الموت . فهذا الجندي شعر منذ عهد غير بعيد شعوراً غريباً إذ أخذت آثار « الأنوثة » تظهر عليه . وما هي إلا بضعة أشهر حتى تحول امرأة تامة التكوين ، فتزوجت ووضعت طفلا

أمثال هذه الحادثة قد كثرت في بضع السنوات الاخيرة حتى نبهت الأفكار . ومنها حادث أزعج لجنة الالعاب الأولمبية الدولية ، حتى اضطرت الى سن قانون يحتم على كل من يروم الاشتراك في مبارياتها أن يعرض نفسه على طبيب خاص لكي يثبت هل هو ذكر أم أنثى . وفحوى هذا الحادث ان الفتاة زونكا كونهوفا التشيكوسلوفاكية البطلة العالمية للركض مسافة ٨٠٠ متر تحولت رجلا بعد ثلاث عمليات جراحية

وقد اشتهر الاستاذ لينوكس روس بروستر (من أطباء مستشفى تشيرنج كروس) بالعمليات الجراحية الخطيرة والمباحث الواسعة النطاق التي قام بها في هذا الصدد ، حتى يصح القول بأن فرعا جديداً قد أدخل على علم الطب وهو فرع « الادرينالكتوميا » ، والمراد منه فرع الجراحة التي أبلغها ذلك الطبيب ذروة الاتقان ، والتي تقضي بازالة الزوائد التي تنمو على الغدتين الكظريتين . وهاتان الغدتان هما فوق الكليتين ولونهما ضارب الى الصفرة وهما من الغدد الصم تقذفان بما تفرزانه الى الأوعية الدموية رأسا ولهما أثر كبير في النمو الجنسي . واذا لم تكونا بحالة صحية جيدة تغيرت بشرة المرأة الناعمة الى بشرة خشنة وعلاها شعر كثيف كالشعر الذي على جلد الرجل ، وتحول صوت المرأة الرخيم الناعم الى صوت غليظ أجش كصوت الرجل تماما

وقد كان الأستاذ بروستر يعنى بدرس خواص هاتين الغدتين منذ خمس وعشرين سنة ويدرس علاقتهما بجنسي الذكر والأنثى ، ويسعى الى استجلاء سرهما الغامض . ومنذ عشر سنوات بدأت تباشير النجاح تلوح له . واتفق يومئذ ان امرأة في مستشفى تشيرنج كروس كانت تبدو عليها اعراض غريبة تشبه اعراض « الرجولة » اذ كان الشعر كثيفاً على بشرة يدها وذراعيها ، ثم أخذ ينبت على وجهها ثم تغيرت ملامحها وتطور شكل أعضائها الظاهرة فاتسع منكباها وغلظ خصرها وكبرت عظامها وخشن جلدها وانكمش نهداها وتغير سلوكها البسيكولوجي بازاء الرجال . وعمل لها الدكتور بروستر عملية جراحية بسيطة ، فشق بطنها شقاً صغيراً اتضح من خلاله ان احدى الغدتين

الادرناليتين (الكظريتين) كانت متضخمة الى ما يزيد على الحد المعتاد . فاستأصلها بكل مهارة . وكانت هذه أول عملية جراحية من نوعها فى العالم . وبعد بضعة أيام زال الشعر الذى كان على وجه المرأة وذراعيها . وعاد صوتها الى رخامته الطبيعية وصدرها الى ما كان عليه

ومنذ ذلك اليوم كثرت العمليات التى قام بها الدكتور بروستر من هذا النوع فتحول على يده كثيرون من الرجال نساء جميلات . وكثيرات من النساء رجالا أقوياء . ولا يزال هذا الطبيب يسخر من الطبيعة ويتلاعب بجنسية مخلوقاتها كما يشاء

وكان بروستر فى أول الأمر الطبيب الوحيد الذى يجرؤ على مثل تلك العمليات الخطرة . أما اليوم فان هنالك أطباء كثيرين ينسجون على منواله . أما طريقته فتنحصر فى انه عندما يؤتى اليه بشخص يضعه زمناً تحت المراقبة ، فيلاحظ شعره وعينيه وأسنانه وصدره وصوته وذراعيه وساقيه . ثم يعطيه مسهلا ويمنعه من تناول أى طعام يوما كاملا . وفى الليلة السابقة للعملية الجراحية يعالج بشرته بالاثيليودين وفى صباح اليوم التالى — قبل العملية بنصف ساعة — يحقنه بحقنة مركبة من $\frac{1}{100}$ من الاتروبين و $\frac{1}{4}$ قمحة من المورفيا . ثم تعمل العملية ويخاط الجرح . وبعد عشرة أيام تبدأ علامات « الأنوثة » أو الرجولة تظهر بكل وضوح

ومعظم الحوادث التى من هذا القبيل — أى حوادث تغير الجنس — تقع بين الثامنة عشرة والعشرين ، أى بعد سن البلوغ الاعتيادية . وقد ثبت ان استئصال احدى الغدتين الكظريتين — ولاسيا الكبرى — يحول الشاب الى فتاة تحويلا تاما . وفى هذه الحالة لا يلبث الشعر الذى على البشرة أن يتساقط بسهولة وتتخذ الملامح شكلها الانثوى الجميل

أما الحوادث المستعصية فهى التى تعمل فيها العملية الجراحية متأخرة عن سن البلوغ فان علم « الادرناليكتوميا » لا حيلة له فيها

ويؤخذ من مباحث الاستاذ بروستر واختباراته الكثيرة ان للوراثة علاقة متينة بهذه الحالات الغريبة . فان ربع الحوادث التى اتصلت بعلمه كان النساء فيها يمتزن بكثرة الشعر على الوجه والذراعين والساقين ، ويعتقد بعض الأطباء أن الجنس البشرى سائر نحو « الخنثوية » — أى حالة الخنثى . ولعل فى هذا انقراضه . ولا يخفى ان تطور الحضارة وتقلباتها السريعة قد أفضت الى تحرير المرأة من قيود « الأنثوية » فهى اليوم تحاول التشبه بالرجال فى كل شىء وقد يكون لذلك تأثير فى تركيبها الجسمانى فى المستقبل البعيد

ولا يزال الاستاذ بروستر يتلاعب بالطبيعة كما يشاء ، وهو أعظم اخصائى فى « الادرناليكتوميا » فى العالم ومتوسط عملياته ثلاث فى الاسبوع ولا يقل دخله عن سبعة آلاف جنيه فى العام . وهو يطمع فى أن ينتصر كل يوم على الطبيعة انتصارات جديدة

[خلاصة مقالة نشرت بمجلة المجلات الاميركية بقلم منشىء المجلة]

لون الشعر والبشرة

تأثيره فى الاخلاق وصحة الجسم

قد يميل بعض الرجال الى الفتيات الشقر ويفضلونهن على غيرهن ، ولكن الطبيعة لا تبدى مثل تلك المحاباة ، اذ قد ثبت من الاختبار ان ذوات الشعر الأشقر أو الاحمر هن أكثر تعرضاً للامراض الجلدية من حنطيات اللون ذوات الشعر الاسود ، وأسرع الى الاصابة بالزكام وأمراض الحلق والأنف والرئتين . أما الاولاد الحنطيو اللون ذوو الشعر الاسود فهم أكثر تعرضاً للشلل ولحمى المفاصل والروماتزم

ويقول الخبيرون بعلم الاجرام أن النساء الشقر فى أثناء انفعالهن وهياج أعصابهن يقدمن على قتل غيرهن بكل سهولة وجرأة . أما الحنطيات اللون السوداوات الشعر فيفضلن الانتحار على قتل غيرهن تخلصاً من الضيق الذى قد يكن فيه . والمعروف عن الفتاة الشقراء انها ذات مزاج هادىء (بارد) وانها لا تنفعل بسرعة ، بل تحسب لكل شىء حسابا ، بخلاف السمراء أو السوداء فهى سريعة الانفعال ، سريعة الاستسلام الى الحزن ، الا انها كريعة مضياف

ويقول علماء الفيسيولوجيا ان فى رأس الفتاة الشقراء نحو مائة وخمسين الف شعرة ، وفى رأس الفتاة السمراء نحو ثمانين الف شعرة . أما ذات الشعر الاحمر فقلما يزيد عدد شعرات رأسها على خمسين الفا وقد يهبط الى خمسة وعشرين الف شعرة . وليس معنى هذا ان ذات الشعر الاحمر هى صلعاء أو قريبة من الصلع ، ولكن شعرها أثخن وأغلظ من شعر الفتاة الشقراء أو السمراء

وليست بشرة الفتاة الشقراء بيضاء ، ولا بشرة الفتاة السوداء الشعر سمراء كما قد يخيل الى المرء أول وهلة . وفى الحقيقة ان فى بشرة كلتيهما مقداراً وافراً من المواد الحمراء والخضراء والبنفسجية والزرقاء ، ومقداراً أقل من المادة الصفراء . والمعروف ان بشرة الفتاة الشقراء تنقلب خضراء عند انفعالها لان الدم يفارق بشرتها فى الحال . وكثيراً ما تشعر بميل الى القىء

وقد لاحظ العلماء منذ عهد بعيد ان بين ذوات الشعر الاشقر والاسود والاحمر تفاوتاً عظيما فى الذكاء والقوى العقلية . على ان العلم قد أثبت ان هـذا التفاوت يرجع فى الحقيقة الى عوامل فيسيولوجية كتركيب الدم مثلا

ولعل من أعظم الأدلة على وجود علاقة بين الأمراض ولون البشرة ما أثبته الدكتور درابر من كبار الأطباء من العلاقة بين شلل الأولاد ولون بشرة الذين يصابون به . فقد أثبتت الاحصاءات ان هذا المرض يكاد يتجنب ذوى الشعر الاشقر تجنباً تاما . ويهاجم ذوى الشعر الاسود والبشرة السوداء

ولا يخفى ان بشرة الأجناس البشرية تختلف باعتبار كثافتها ومقدار المادة الملونة التى تحتوى عليها . فالبشرة البيضاء الناصعة رقيقة ناعمة وتنقصها المادة الملونة السوداء . وبشرة الزنجى الاسود هى أيضاً رقيقة ولكنها غنية بالمادة الملونة . أما بشرة الشعوب الصفراء فثخينة ، والمادة الملونة التى فيها قليلة جداً ، لذلك تبدو صفراء شاحبة اللون

وهنالك فتيات شقر لا تؤثر الشمس فى بشرتهن ولا تغير لونهن ، الا انها قد تلفح بشرتهن وتحرقها . وهذه البشرة لا تستطيع توليد المادة الملونة . والارجح ان افتقارها الى المادة الملونة ليس مقصوراً على البشرة فقط بل يتناول الدم أيضاً . وعليه فدم الفتاة الشقراء فقير بالمادة الملونة الحمراء

أما ذوات الشعر الاحمر فمعظم الأطباء يضعونهن على مستوى الفتيات الشقر فيما يتعلق بقدرتهن على مقاومة المكروبات . وقد يكون تعليل ذلك ان كلتا الشقراء والحمراء ناعمة البشرة

والفرق بين شقراء الشعر وسودائه هو كالفرق بين بشرتيهما ، أى ان خلايا الشعر الأشقر لا تنتج ، أو على الاقل لا تستطيع أن تنتج ، حبيبات المادة الملونة التى تجعل الشعر اسود أو أحمر أو ما الى ذلك . ثم ان شعر الفتاة الشقراء أقل ثخانة من شعر الفتاة السمراء

ويعتقد بعض علماء البيولوجيا ان أصحاب الشعر الاحمر من ذكور وأناث هم جنس مستقل من أجناس البشر قائم برأسه . والمعروف الآن ان هذه الأجناس ــ باعتبار لون الشعر ــ هى ثلاثة وان أولها ذو الشعر الاسود

والجنس الأبيض ــ كالجنس الاسود ــ يمتاز بنعومة بشرته كما تقدم القول ، الا أن المادة الملونة عنده قليلة كما هى عند ذوى الجنس الأشقر . وهذه المادة هى على أكثرها عند الزنوج والسمر اللون . وليس معنى ذلك ان الفتيات السمراوات هن سلالة الزنوج وان ذوات الشعر الاحمر هن سلالة الجنس الأشقر . وانما المفهوم ان هنالك عوامل فيسيولوجية وطبيعية تتحكم فى لون بشرة الانسان وفى المادة الملونة التى فيه

ولما كانت أجناس البشر قد اختلطت بعضها ببعض منذ أحقاب طويلة . فالارجح انه ليس بين تلك الأجناس من يصح أن يوصف اليوم بالجنس الابيض أو الاشقر أو الاحمر أو الاسود البحت . والدليل على ذلك انك كثيراً ما تجد أفراداً لا يتفق لون بشرتهم وشعرهم . فقد يكون الأول أبيض ناصعاً والثانى اسود فاحماً ، بل لقد تجد فتيات سمراوات البشرة حالة ان لون شعرهن ضارب الى الاحمرار أو الاصفرار . أما تأثير اختلاط الألوان فى الأجيال المقبلة فسيظهر بمرور الزمن ، وربما آل الى توحيد تلك الاجناس

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة تت بتس بقلم محرر المجلة]

نصائح جاسوس

الجاسوسية فن كثير التكاليف

قضيت ما يزيد على ربع قرن من حياتي أمارس الكذب والسرقة والرشوة والقتل بلا رحمة ، لأن هذه الجرائم كانت من مستلزمات عملي ، ولم يوبخني ضميري قط على ما أرتكبته بل بالعكس كنت أعتقد دائماً أنني استحق تقدير الوطن !

ولما رغبت في مزاولة التجسس رأيت أن أول علم يجب عليّ اتقانه هو « الجغرافيا الحربية » . وقد قضيت في اتقان هذا العلم ثلاثة أشهر كاملة حتى نبغت فيه وعلمت قيمة كل مدينة من مدن أوربا المهمة من الوجهة الحربية

ومن أهم ما يجب على طلاب فن التجسس تمرين قوة الذاكرة وشحذها للتمكن من الاستغناء عن تدوين المذكرات ، لأن في تدوينها خطراً لا يخفى على أحد . كذلك يجب اتقان الرياضة البدنية بجميع انواعها : من مصارعة وملاكمة وركض وقفز وسباحة وتزحلق وتسلق وسوق الاتوموبيلات والقطرات والقوارب البخارية والشراعية والتحليق بالطيارات والتدلي بالحبال من « الاماكن العالية » الى غير ذلك من المجازفات التي لا تستغني عنها حياة الجاسوس

وعليه أيضا أن يتقن بضع لغات أجنبية اتقاناً تاما ، وأن يعتاد دقة الملاحظة حتى لا تفوته الجزئيات ، وأن يعلم أن هنالك أعضاء وملامح في وجه الانسان لا يمكنه اخفاءها . وعليه فوق ذلك أن يدرس أساليب معقدة للتخاطب بالرموز والاشارات وهذا ما يعبرون عنه « بالشفرة »

ومن الزم ما يحتاج اليه أيضا اعتياد الصمت التام ، حتى ليصح القول بأن الصمت من أركان فن « الجاسوسية » . وهذا يتطلب الامتناع عن ادمان السكرات لأن الانسان اذا سكر لم يؤتمن على سر . وكثيراً ما يمتحن الرؤساء الجاسوس وهو لا يعلم ، فيبعثون اليه باشخاص مجهولين يحاولون استدراجه ليتفوه بكلمة واحدة وإن كان ظاهرها غير ذي شأن . والويل له اذا وقع في الفخ !

ومن الأمور التي لا غنى للجاسوس عنها معرفة فن التصوير الفوتوغرافي والرسم باليد . ولهذا يجب أن يكون دائما مزوداً بآلة فوتوغرافية . وغالبا ما تكون هذه الآلة اداة سرية كأن تكون مثلا عصا لا يدل ظاهرها على شيء ولكنها في الحقيقة آلة تصوير دقيقة الصنع

كذلك يجب أن يكون الجاسوس مزوداً بالسلاح الناري ، متقناً لفن اطلاق النار والمقذوفات القابلة للانفجار ، ولاستعمال السلاح الابيض وللمصارعة اليابانية المعروفة بالجيوجتسو ، ولفن قتل الخصم بضرب عنقه باليد مفتوحة افقياً . وعليه أن يكون مزوداً بما يعرف عندهم « بالحقنة السامة »

وهى ابرة « يحقن » بها العدو بمادة سامة تميته فى الحال . وهنالك ضرب من الشوك السام يستعمله الجواسيس ، اذا وخز الانسان بشوكة منه مات بعد عشر دقائق على الاكثر وانقلب جسمه اسود كالفحم . وهذا الشوك يؤتى به من اميركا الجنوبية ومن مقاطعات الامازون

وقد كلفني رؤسائي مرة أن اذهب الى ميناء حربى أنفقت احدى الحكومات عليه القناطير من الذهب لتجعله أمنع من عقاب الجو . ولم يكن يؤذن لأحد أن يدنو منه إلا فى شروط وأحوال معينة . وكان عليَّ أن ازور هذا الميناء سراً وآخذ صوراً ورسوما لحصونه وقلاعه . فلبست ثوب عامل وأخذت أسير فى شوارع المدينة متكلفاً البلادة والخمول حتى دنوت من الميناء . واذا المكان غاص بالعسس والجنود ، فتراجعت وانتظرت حتى أسدل الظلام ستاره وكان الهواء قارساً . فغطست فى الماء بعيداً عن الميناء ، وما زلت اسبح حتى وصلت الى نقطة استطيع الوقوف منها على ما أريد . وظللت على تلك الحال حتى منتصف الليل ، وكنت أخشى أن يطلع النهار قبل أن افوز بأمنيتى فيرانى القوم ويكون جزائى الموت لا محالة . وأخيراً شهدت سفينة صغيرة تدنو الى نقطة من رصيف الميناء . فانفتح الرصيف أمامها فلمحت من خلال الثغرة مستودعا للذخيرة ، فرسمت خارطة المكان فى ذاكرتى ، وعدت أدراجى الى البر وقد كدت أموت من شدة البرد القارس

وعهد اليَّ مرة فى سرقة نظام « الشفرة » من وزارة خارجية احدى الدول . وعين لى مساعد لانجاز هذه المهمة . فذهبنا الى المدينة المقصودة وقضينا ثلاثة أشهر نتجسس حتى عرفنا موقع الخزانة الحديدية المودع فيها مفتاح « الشفرة » ، ثم اتفقنا على السطو عليها فى ليلة معينة . وفى تلك الليلة ذهبنا مسلحين ومحتاطين بكل وسيلة ممكنة ، ودخلنا المكان المقصود كما يدخل اللصوص . وبينما نحن هنالك ، وقد دنونا من الخزانة ، اذا المكان ينار بالكهرباء فجأة ، والضابط المعهود اليه فى الحراسة مقبل لأنه كان قد نسى شيئا وقد عاد ليأخذه . ولم يكن الوقت يسمح لنا بالتفكير ، فما كان منى الا أن وثبت على عنقه ، فتلقانى بلكمة هائلة على عينى . وفى أقل من لمح البصر كان صديقى قد وثب عليه من الوراء وانتزع منه سلاحه ووخزه بشوكة سامة ، فسقط الرجل ميتاً أمامنا . واذ ذاك استولينا على مفتاح « الشفرة » وهربنا

ومن الأمور المعروفة عند جميع الجواسيس ، أن خير معين لهم على تحقيق أمانيهم طائفة الموظفين الذين يشغلون مناصب مهمة ويميلون الى الانفاق بكثرة مع أن مرتباتهم لا تسد حاجاتهم ، إذ هم دائما مستعدون لبيع وطنهم . وقد وقع لى حادث مع ضابط كبير برتبة كولونيل وكان يشغل منصباً خطيراً فى جيش أجنبي . وقد استطعت أن أشترى منه معلومات حربية نفيسة بمبلغ كبير من المال لأن زوجته كانت مبذرة كثيرة الانفاق وهو مبهوظ بالديون المتراكمة ، أمثال هذا الضابط كثيرون فى كل جيش من جيوش العالم ، وهم خير معوان للجواسيس فى كل مكان وزمان

[خلاصة ما رواه هنرى ويليام لانير نشرت فى مجلة هاربر]

هل تسيطر النساء ؟

للاناث فى المملكة الحيوانية القوة والسلطان

هل ينقرض جنس الذكور وتصبح الأنثى هى الجنس القوى ؟

اذا التفتنا الى سائر أعضاء المملكة الحيوانيـة نرى القرائن متوافرة على امكان زوال سلطان الذكر . نعم إن هنالك حيوانات كثيرة يتمتع ذكورها بالسلطان المطلق - كالغوريلا والابل والكباش وغيرها - ولكننا اذا نزلنا الى الأنواع الدنيا وجدنا الذكر فى كثير منها خاضعاً للانثى خادماً لها . وهو راض بأن يكون عبداً ذليلا لها وبأن يضحى بحياته من أجلها تضحية حقيقية

نعم ان العنـاية بالصغار من مواليد تلك الحيوانات هى من شأن كلا ذكورها وإناثها على السواء . ولكن أكثر تلك الأنواع تعهد فى تلك المهمة وفى غيرها من المهام الى ذكورها

ولا يخفى ان ذكور أكثر الطيور تشترك مع إناثها فى بناء أعشاشها . أما النعامة فان الذكر منها هو الذى يقوم بتلك المهمة

وإذا نظرنا الى المخلوقات البحرية وجدنا طائفـة من الأسماك تتمتع إناثها بالسلطان المطلق ويقوم ذكورها بالأعمال الشاقة لحفظ النوع . فهنالك نوع منها يعرف بالزمير أو « أبى شوكة » يقوم ببناء المسكن اللازم له « ولزوجه » ونسله ، بأن يجمع أعشابا بحرية معينة ويلصق بعضها ببعض بمادة لزجة تخرج من جسمه . وبعد الفراغ من بناء هذا المسكن تجىء الأنثى لتقيم به وتضع بيضها فيه . على انها ترفض أن تضع إلا القليل من البيض فيضطر الذكر الى البحث عن أنثى أخرى أو إناث أخر لوضع ما يكفى من البيض . وبعد خروج الفراخ من البيض يضطر « الوالد » الى العناية بها الى أن تكبر وتصير قادرة على الاهتمام بنفسها . أما « الأنثى » فلا تعنى بصغارها البتة

وهنالك الحيوان البحرى المعروف بفرس النهر وهو من الحيوانات التى تبيض ، ومن غرائزه الغريبة أن أنثاه تداعب الذكر مداعبات غرامية غريبة الى أن يصبح أسيرها . ويقال انها تخدره تخديراً حقيقياً بما يشبه التنويم المغناطيسى . ثم تضع بيضها بحيلة ومهارة فى موضع أجوف بجسمه وتتركه لمصيره . وبعد قليل يفقس البيض فيقوم « الوالد » وحده بالعناية بالصغار وتختفى الأم عن الأنظار ولا يعلم أحد ماذا يحل بها فيما بعد

ثم ان الاعتقاد الشائع بين الناس أن الذكر هو عادة أكبر جسما وأكثر قوة من الانثى . وهـذا صحيح بين أكثر الحيوانات التى نعرفها ولا سيما ذوات الثدى منها . على أنه ليس ثمة أى دليل قاطع على أن ذوات الثدى ستظل الى الأبد صاحبة السلطان المطلق على سائر المخلوقات الحية ،

وهو سلطان لم يستتب لها إلا منذ عهد قريب بلغة علماء الجيولوجيا ، أي منذ بضعة ملايين فقط من الاحقاب . وهنالك حيوانات أخرى (كبعض الطيور مثلا) يزيد حجم الأنثى فيها على حجم الذكر كالصقر أو الباشق ، فان حجم ذكره لا يزيد على ثلثي حجم أنثاه ، أما الحيوانات المجردة من السلسلة الفقرية (مائية كانت أم برية) فان أنثاها أقوى بوجه الاجمال من ذكرها وأعظم سلطاناً

خذ النمل مثلا وهو طوائف كثيرة ، فالذكر والأنثى فيه يكونان عند ولادتهما متساويين فى الحجم والقوة،ولكن لا يمر عليهما زمن قليل حتى تتفوق الأنثى على الذكر فى كلتيهما ويصبح هذا بلا فائدة فى الظاهر على الاطلاق . وعلماء الحيوان يعرفون أن فى افريقا ضرباً من النمل يبلغ طول أنثاه نحو أربع بوصات أو أكثر ، حالة أن طول الذكر لا يزيد على ثلاثة أرباع البوصة . والمعروف أيضاً أن أنثى أنواع كثيرة من العناكب هى أكبر حجما وأكثر قوة من الذكر . وفى المناطق الاستوائية نوع منها يزيد طول أنثاه على بوصتين حالة ان طول الذكر لا يزيد على عشر البوصة

وفى قرار البحار المظلمة نوع من السمك لا يرى نور الشمس على الاطلاق . وذكر هذا السمك يعيش على أنثاه لأنه متصل بجسمها اتصالا لا مفر لهما منه وطول الأنثى نحو ثلاث أقدام أو أكثر حالة ان طول الذكر لا يزيد على أربع بوصات

ومن أغرب غرائز بعض الحيوانات أن الذكر بعد تلقيح أنثاه يذهب فريسة لها ، فكأنه انما وجد لاتمام عمل بيولوجى،فاذا أتمه وجب أن يزول . وأحسن مثال على ذلك ذكر النحل(اليعسوب) فانه بعد تلقيح الملكة أو الأنثى يبتل منه عضوه الجنسى فيموت . أما الذكور التى لا تجرؤ على الاقتراب من الأنثى فتظل تحوم حول القفير ، فاما أن تخرج اليها الأناث وتلسعها حتى تموت ، أو تتركها خارج القفير لتموت من البرد

وإناث بعض الحيوانات تفتك بذكورها وتلتهمها بعد عملية التلقيح ــ كالعقارب والعناكب السامة . فذكر العقرب يحوم حول الأنثى ويلاطفها مدة طويلة ثم يمسك بزبانيها ويدور معها دورة غريبة هى ضرب من الرقص . وبعد الفراغ من الرقص يأوى معها الى مكان بعيد عن كل مخلوق حتى تتم عملية التلقيح . وبعد هذه العملية تثب الأنثى على الذكر فتبطش به وتأكله بنهم غريب

وهنالك هوام وحشرات لا يكاد الذكر يكون له وجود بينها ، فان الأنثى تلد إناثا كثيرة ولا تلد من الذكور الا النزر اليسير . ومهمة الذكر الوحيدة هى اتمام عملية التلقيح ثم يهلك . والأمثلة على ذلك كثيرة لا يتسع لها المجال

فترى مما تقدم أن الذكر فى أنحاء كثيرة من المملكة الحيوانية قد فقد نفوذه أو سلطانه فهل ينحط الرجل الى أن يذهب سلطانه ويقضى على نفوذه ؟

سؤال سوف يستطيع الانسان الاجابة عنه بعد ملايين الأحقاب المقبلة

[خلاصة مقالة نشرت فى رسالة الأخبار العلمية للدكتور فرانك ثون]

العقل لا تضعفه الشيخوخة

كلما تقدم عمر الانسان زادت قواه العقلية

قام الدكتور لورج ، من أساتذة علم النفس بجامعة كولومبيا ، بمباحث واسعة النطاق لمعرفة تأثير السن فى قوى الانسان العقلية . فثبت له أن هذه القوى لا تضعف بمرور الزمن الا اذا طرأت عليها حالات مفاجئة . ومعنى ذلك أن الأشياء التى يستطيع الانسان أن يحسن عملها فى العشرين أو الخامسة والعشرين من عمره ، يستطيع أن يحسن عملها كذلك في الستين أو السبعين من عمره بل بعد تلك السن أيضاً . وقد يبدو هذا غريباً فى أول الأمر . فقد كان الاعتقاد الشائع حتى عهد قريب أن المرء يبلغ ذروة قواه العقلية بين السادسة عشرة والحادية والعشرين من عمره ، وانه بعد هذه السن والسابعة والعشرين تظل قواه على مستوى واحد ، ثم تبدأ بعد ذلك فى الانحطاط . ويبلغ متوسط هذا الانحطاط ، اذا أمكن التعبير عنه بالاصطلاحات الحسابية ، نحو واحد فى المائة كل عام

وبعبارة أخرى ان التجارب العلمية السابقة كانت تدل على أن عقل الانسان يبلغ الذروة باعتباره أداة للتفكير فى العشرين من العمر ، ثم يأخذ بعد ذلك فى الانحطاط . على أن تلك التجارب كانت تقوم على السرعة . فمن أجاب عن سؤال أو مجموعة من الاسئلة فى مدة معينة من الزمن اعتبرت قواه العقلية فى الدرجة الأولى . ومعنى ذلك أن الاعتبار الزمنى هو المقياس الذى كانت تقاس به درجة القوى العقلية

واتفق فى زمن الحرب العظمى الماضية أن الدكتور بركس من علماء البسيكولوجيا الاميركيين كان مكلفاً فحص القوى العقلية للشبان الاميركيين الذين كانوا يتطوعون للانخراط فى سلك الجندية ، فلحظ أنه اذا أتيح للجنود فرصة تعادل ضعف الفرصة التى كانت تتاح لهم للاجابة عن بعض الاسئلة ، زاد عدد الذين ينجحون فى الفحص والذين يجيبون عن الاسئلة كلها بمقدار ١٦ فى المائة . وكان علماء آخرون قد لاحظوا أنهم اذا افسحوا فى الوقت نفسه وأطالوا المهلة المحددة للاجابة عن الاسئلة التى تلقى على الكهول ، تمكن هؤلاء من الاجابة عن تلك الأسئلة إجابة صحيحة ، أما الشبان الأحداث فان إطالة المهلة لهم لا تجديهم نفعاً ولا تؤثر فى اختبارهم . أى أنك اذا ألقيت عليهم أسئلة الامتحان وأطلت لهم المهلة للاجابة عن تلك الاسئلة ، لم يجدهم ذلك نفعاً

وقد اتضح للدكتور لورج من هذه الاختبارات أن الكثيرين من علماء البسيكولوجيا يخلطون « سرعة » الادراك « بقوى » الادراك . فالمتقدمون فى السن يقومون بالأعمال المطلوبة منهم

على أحسن وجه ، ولكنهم يقضون فى انجازها زمناً أطول

وقد قام الدكتور لورج بتجربة القوى العقلية فى مائة وخمسين رجلا تختلف أعمارهم من عشرين سنة الى سبعين ، مراعياً « العامل الزمني » فى جميع تلك التجارب . فاتضح له من جميعها أن المتقدمين فى السن أبطأ حلا للمسائل التى تلقى عليهم من الشبان الأحداث . وفى ذلك دليل قاطع على أن بين « العامل الزمنى » ـ أى درجة سرعة الادراك ـ وعامل السن علاقة لا يمكن إنكارها

وقد رجع الدكتور لورج الى التجارب الكثيرة التي قام بها غيره من العلماء فى فحص القوى العقلية لمئات من الأفراد بين العاشرة والتسعين من العمر . فرأى أنه اذا صرف النظر عن المهلة المعطاة للاجابة عن أسئلة الامتحان ، فان المسنين يتفوقون على الشبان

ولا حاجة الى القول ان الانسان كلما تقدم فى السن صار أبطأ إدراكا للمؤثرات التي تقع عليه أو حوله . فلا يبصر بالسرعة التي كان يبصر بها قبلا ، ولا يسمع بمثل تلك السرعة . على أن هذا البطء ـ سواء أكان فى إحدى الحواس الخمس أم فى تحريك عضلات الجسم ـ لا يدل على انحطاط فى مقدار القوى العقلية . فلا بد لنا اذن من التمييز بين مستوى القوى العقلية ، والسرعة التي بها يستطاع الوصول الى ذلك المستوى . واذا كانت ثمة ذروة تصل اليها القوى العقلية ، فان ابن السبعين يستطيع الوصول اليها كابن العشرين الا أنه أبطأ وصولا

وقد قام الدكتور ثورنديك ، وهو من كبار الفلاسفة الاميركيين ، بتجارب كثيرة تؤيد نظرية الدكتور لورج،وتثبت أن الانسان فى الخامسة والأربعين من عمره يستطيع أن يتعلم أشياء جديدة كما يتعلمها الشاب فى العقد الثانى من عمره.ومع أن المقدرة على التعلم قد تنحط بعد الخامسة والعشرين، فان حسن ادراك الأمور واكتناه قيمتها العملية ، هما أكمل فى المتقدمين فى السن منهما فى الشبان . لهذا كان الانتاج فى سن الخمسين أكثر منه فى الخامسة والعشرين

والخلاصة أنه ليس لقوى الادراك زمن تنقطع فيه عن العمل . وفى الحقيقة أنه كلما تقدم الانسان فى السن صار أنفع للاجتماع . فهو يملك نفس القوى العقليـة التي كان يملكها فى حداثته وشبابه مضافا اليها سعة الاختبار . والاختبار ليس من الأمور التي يستطيع الشاب الحصول عليها لأنه مرهون بالزمن . ولهذا يفضل الشيوخ على الشبان فى ميادين العمل والسياسة

ويجدر بجميعنا أن نحذر من الوقوع فى ذلك الخطأ المتفشى بين الناس،وهو القول ـ كلما خانتنا الذاكرة أو اشتد بنا النسيان ـ أن العمر هو سبب ما يبدو علينا من ضعف . وفى الحقيقة أن النسيان ليس من صفات المتقدمين فى السن فقط ، بل كثيراً ما يتملك الأحداث والشبان أيضاً . ولكن المتقدمين فى السن يراقبون نشاط ذاكرتهم مراقبة دقيقة . فكلما بدا منها جنوح الى النسيان أسرعوا الى تأويله بأنه مظهر من مظاهر ضعف القوى العقلية

[خلاصة مقالة للاستاذ البرت ويجام نشرت فى مجلة ريدرز دايجست]

عذاب الغير

الانسان يلتذ بتعذيب أخيه الانسان

من ألقى نظرة على مختلف صنوف القسوة التى ينزلها الانسان بأخيه الانسان من ضرب وسجن وجلد وشنق وغيره لا يسعه إلا أن يعتقد انه يشعر بلذة من جراء تعذيب الآخرين . وهذا الضرب من اللذة نشاهده فى الصغار بوجه الاجمال ، إذ كثيراً ما يعذبون الحيوانات الأليفة التى تسكن معهم وتأنس الى صحبتهم كالقطط والهررة والطيور وغيرها . وهذا الميل الى التلذذ بالتعذيب ينمو فيهم بمرور الزمن فلا يبقى مقصوراً على تعذيب الحيوانات الأليفة فقط بل ينتقل الى تعذيب الرفاق أيضاً

ولا يخفى ان الشعائر الدينية عند المتوحشين والمتمدنين على السواء تشتمل على فرائض تنطوى على كثير من صنوف العذاب . وهذا العذاب ينشىء شيئاً من اللذة عند الذين يقومون باتمام تلك الفرائض . ولا شك أن هـذه اللذة لا تختلف عن اللذة التى يشعر بها بعض الآباء القساة الذين يضربون أولادهم أو يجلدونهم بسبب أقل هفوة تصدر منهم . واحصاءات المحاكم والسجون خير دليل على كثرة عدد الذين يتلذذون بارتكاب جرائم القتل وغيرها

ثم ان الصحف كثيراً ما تنشر تفصيلات تقشعر منها الأبدان ، وتتفنن فى رواية تلك التفصيلات على أشنع وجه ، فيتهافت النـاس على مطالعتها قبل مطالعة غيرها من الأخبار . وما ذلك إلا لأنهم يشعرون بلذة خفية عند اطلاعهم على العذابات التى يعانيها البائسون . بل كثيراً ما تنشر تلك الصحف صور الجثث المشوهة وصور حوادث الشنق على وجوه تبين الآلام المبرحة التى تنزل بأولئك التاعسين . أجل ان الألوف من قراء الصحف يبحثون عن مثل تلك الاخبار قبل بحثهم عن غيرها على صفحات الجرائد . وقد يشعرون بخيبة عظيمة اذا قرأوا خبر جريمة من تلك الجرائم غير منمق بتفصيلات مروعة تجعل شعر الرأس يقف كما تقول العامة

ومن الأمور المعروفة أيضاً ان كواكب السينما اللواتي يمثلن مشاهد غرامية يبدو فيها عذاب المحب على اجلاه ، هن اللواتى يفزن باعجاب الجماهير ويحصلن على أعظم الاجور. ذلك لان فى الجماهير ميلا كامناً الى التلذذ بعذاب الغير

واذا رجعنا الى تاريخ العصور المظلمة والوسطى نجد ما يملأ المجلدات الضخمة من أخبار القسوة والعذابات التى كانت الجماهير تنزلها بالافراد . بل نحن لا نزال الى هذا اليوم نرى بعض البيض فى الولايات المتحدة يتلذذون بتعذيب أى زنجى يرتكب أمراً منافياً للآداب مع فتاة بيضاء ولا يدعونه يفلت من بين أيديهم بل يحرقونه حياً أو يصلبونه أو يستنبطون له ميتة أخرى

وفى تاريخ الاستشهاد أيضاً دلائل على اللذة التى يشعر بها الجمهور عند انزال العقاب بالابرياء .

ففى أوائل عهد الديانة المسيحية كان الرومان ينزلون بالمسيحيين من ضروب القسوة والعذاب ما تقشعر له الابدان من احراق وصلب وسحق عظام وقتل بالالقاء فى الزيت الغالى أو فى الرصاص الذائب ، ونشر بالمنشار ، وتقليع العيون والاظفار وسلخ الجلد وقطع اللسان والكى بالحديد المحمى إلى غير ذلك من صنوف التعذيب

وفى العصور الوسطى كانت الهفوات الصغيرة تستوجب أشد صنوف العقاب من جلد وضرب . وكان المستعمرون الاميركيون فى أوائل عهدهم يتشددون فى معاملة الهنود ويقسون عليهم أشد قسوة . فكان يؤتى بالمتهمين من رجال ونساء وأولاد الى الميادين العامة تجرهم الركبات على الارض، ثم يعاقبون بمختلف الوسائل . وكثيراً ما كانت تجدع أنوفهم وتصلم آذانهم وتستل ألسنتهم من أفواههم . وقد يثور عليهم الجمهور فيرفسهم أو يرجمهم الى أن يلفظوا النفس الاخير . وفى أحيان قليلة كانوا يكتفون بتعذيب فريستهم بالضرب والجلد ثم يطلقون سراحها بعد صلم أذنيها

والمعروف عن لويس التاسع انه أمر باستلال ألسنة الكثيرين وبقطع شفاههم العليا . واقتبس الانجليز هذه النظرية عنه وزادوا عليها كى اللسان بالحديد المحمى كثيراً . وفى سنة ١٧١٢ أصدر أحد قضاة مدينة نيويورك حكما على رجل زنجى . واليك ترجمة بعض ما جاء فى ذلك الحكم :

« . . . ويجب أن يحرق على نار بطيئة غير متأججة لكي يطول عذابه مدة تمتد من ثماني ساعات إلى عشر الى أن يموت موتاً بطيئاً ويتحول رماداً »

وقد كان القانون الانجليزى فى العصور الماضية ينص على تعذيب المجرم بأن « تقطع يداه أو رجلاه ، أو جميعها معاً ، بحسب الجريمة التى ارتكبها . واذا ارتكب جريمة أعظم فيجب قلع عينيه وجدع أنفه وصلم أذنيه وقطع شفته العليا أو احراقه بماء غال » . وظلت آثار تلك القسوة فى انجلترا حتى القرن الثامن عشر، إذ كان القانون ينص على وجوب احراق يد المجرم بالحديد المحمى الى أن يحترق جلد اليد ويقطر منها الدهن على مرأى النظارة والمشاهدين !

وفى التاريخ أيضا ان النساء الجيلات فى أثناء الثورة الفرنسية كن يذهبن الى ميدان الكونكورد حيث كانت المقصلة (الجيلوتين) منصوبة لقطع رءوس أعداء الثورة . وكن يقضين نهارهن في ذلك المكان ومعهن أدوات التطريز أو الخياطة يلهون بها ويمتعن أنظارهن من وقت الى وقت بمشاهدة المقصلة تقوم بعملها الفظيع

ولا تزال قوانين المتمدنين عند الحكم على مجرم بالاعدام تنص على وجوب شنقه بالحبل ، بأن يربط الحبل حول عنقه ويعلق الى أن يموت . ومما يجدر بالذكر انه لما صدر الحكم منذ بضع سنوات على السيدة سنايدر الاميركية بالموت ، تقدم أكثر من سبعمائة رجل اميركي الى الحكومة يلتمسون منها أن تعهد اليهم فى تنفيذ الحكم . فالانسان كان وسيظل يتلذذ بتعذيب أخيه الانسان

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة مودرن بسايكو لوجيست للدكتور ماكنيت]

تقدم العلم والعالم

النيزك الأكبر

فى سنة ١٩٠٨ سقط فى سيبريا نيزك هائل دمر غابة كبيرة وأحرق احراجا يزيد امتدادها على عدة أميال وسبب زلزلة هائلة . وقد أعلنت الاكاديمية العلمية السوفياتية عن عزمها على ايفاد بعثة علمية للبحث عن هذا النيزك الذى يقال انه غار فى الارض حتى توارى عن الانظار . وهو بلا شك أعظم نيزك عرفه التاريخ . والمظنون انه سقط فى وادى نهر بودكامنايا تونجسكا بسيبريا

وقد أوفدت بعثات كثيرة فى الماضى لهذا الغرض ولكنها أخفقت جميعاً . وقد روعى الآن ايفاد البعثة الجديدة مجهزة بالطيارات والآلات العلمية اللازمة لمسح الجهات المراد ارتيادها فى سيبريا ولتصوير وادى النهر المذكور

أعظم سرعة

اليك أعظم الأشياء السريعة فى العالم بحسب ترتيب سرعتها :

النور ومعدل سرعته ١٨٦ الف ميل فى الثانية أو ٦٦٩٦٠٠٠٠٠ ميل فى الساعة

النجوم المذنبة	ـ ٢٠٥٢٠	ميلا	فى الساعة
الكرة الارضية	ـ ١١١٠	أميال	« «
الصوت	ـ ٧٢٠	ميلا	« «
أسرع طيارة	ـ ٤٢٤	ميلا	« «
أسرع أوتوموبيل	ـ ٣٠٠	ميل	« «
أسرع قارب بخارى	ـ ٨٤	ميلا	« «

الزنوج فى افريقيا

يؤخذ من بعض التصاوير التى عثر عليها علماء الآثار فى مصر ان الزنوج يقيمون بالقارة الافريقية منذ خمسة آلاف سنة على الاقل . ولم يوفق علماء الانثولوجيا حتى الآن الى معرفة أصل موطن الزنوج ! والقول بأن افريقيا هى مسقط رأسهم لم يثبت بعد

الحشرات والاصوات

من الأمور المعروفة انه كلما تقدم الانسان فى سلم المدنية ضعفت حواسه الخمس ، ولا شك ان هذه الحواس هى أقوى فى الحيوان منها فى الانسان . وقد ثبت من التجارب الكثيرة التى قام بها العلماء ان الحشرات تسمع أصواتا خفيفة جداً لا تستطيع أذن الانسان سماعها

الالمان الاقدمون والجعة

يقول الاستاذ جروس أحد العلماء الالمان ان شعوب الجرمان القدماء كانوا يشربون نوعا من الجعة (البيرة) القوية التى لا يستطيع أهل هذا العصر أن يشربوا مثلها . وقد فحص الاستاذ جروس الثمالة الراسبة فى بعض الآنية التى كان أولئك الالمان يشربون بها الجعة ، فعلم كمية الكحول التى كانت تحتوى عليها ودرجة قوتها . ولا شك ان كأساً واحدة منها كانت تكفى لجعل شاربها فى أشد حالات السكر

معالجة الزهري

فى الجزء الصادر فى ١٨ يوليه الماضى من مجلة الاتحاد الطبى الاميركى ان ثلاثة من العلماء الاميركيين قد وفقوا الى تحسين طريقة معالجة الزهرى ، بتقصير مدة العلاج تقصيراً محسوساً للمصابين بهذا الداء فى أطواره الاولى . وهؤلاء العلماء يعتقدون انهم قد وفقوا الى التغلب على هذا الداء تغلباً تاما متى عولج فى مبدأ ظهوره

عبادة الكلاب

فى الصين قبيلة من أغرب شعوب العالم ودياناتها عبادة الكلاب . وهى على الارجح القبيلة الوحيدة فى العالم التى تدين بهذه الديانة . والمعروف ان هنالك قبائل تعبد الثعابين والحيوانات المختلفة (وكان أهل بابل يعبدون الثعابين) ولكن عبادة الكلاب غير معروفة لا قديماً ولا حديثا . ويقول زعماء القبيلة التى نحن بصددها ان سبب عبادتهم للكلاب هو ان كلباً أنقذ مرة مدينتهم اذ هاجمهم الاعداء ليلا فهب الكلب للقائهم وأخذ ينبح نباحا مزعجاً أيقظ الحراس فهبوا لمقاومة الاعداء

الفيتامين « ب »

تمكن بعض العلماء من صنع الفيتامين «ب» بطريقة كيميائية . وهو كما لا يخفى الفيتامين الذى يشفى من مرض البلاجرا والبرى برى والشلل . ويوجد فى الخميرة والاوراق الخضر والكبد واللبن والبيض والبقول وبزور النباتات وغيرها . وهو ضرورى لنمو الجسم والتوالد وانتظام حركة الامعاء وادرار اللبن واثارة شهوة الطعام . ويظهر ان العلماء قد وفقوا الى صنع هذا الفيتامين بطريقتين احداهما كيميائية والاخرى تشبه طريقة نشوء هذا الفيتامين طبيعياً فى النبات

الحر والغذاء

يظهر ان الاكثار من شرب اللبن والشاى وعصير الليمون هو من أحسن الوسائل التى تمكن الانسان من احتمال شدة الحر . وقد قام الدكتور درنكر عميد كلية الصحة بجامعة هرفرد بتجارب كثيرة أثبتت له فائدة المواد المذكورة فى مقاومة الحر

ما كانت مصر تستورده قديماً

كانت مصر قديماً تستورد نحو خمس وتسعين مادة من المواد الكيميائية والمعدنية والغذائية التى تحتاج اليها من الخارج . وفى مقدمة تلك المواد العطور والبخور والمر والكبراء وغيرها

الوطواط والهجرة

يقول العالمون بغرائز الحيوانات ان الوطواط يهاجر من بلاد الى بلاد أخرى فى مختلف الفصول كما تفعل الطيور . وهو يهتدى فى طريق هجرته بنفس الغريزة التى تهتدى بها الطيور فلا تضل أبدا

نفق مونت بلان

تدرس الحكومتان الفرنسية والايطالية مشروع نفق يخترق جبل مونت بلان تسهيلا للمواصلات بين فرنسا وايطاليا . ويقال ان هذا النفق سيستغرق ست سنوات على أقل تقدير وسيحل جانباً كبيراً من مشكلة العاطلين فى الدولتين المذكورتين

النفي في يونان القديمة

من عادة اليونان القدماء انهم كانوا يجتمعون في ساحة أثينا العامة (أي السوق العامة) في يوم معين من كل سنة ليقترعوا على نفي من يوجسون منه خطراً على حريتهم . وطريقتهم في ذلك أن يقترح أحدهم اسم الشخص المراد نفيه فيتقدم الذين لهم حق الاقتراع ويكتبون الاسم على قطعة من الفخار الطرى فاذا بلغ المقترعون عدداً معيناً نفي ذلك الشخص من البلاد

وقد عثرت البعثة الاميركية القائمة بالبحث عن الآثار اليونانية في مدينة أثينا على عدة قطع من الفخار قد نقش عليها أسماء الذين قضى عليهم بالنفي ، ومنهم أرستيد (وكان اليونانيون في أول الامر يصفونه بالعادل) وهبارخس (وهو أول من حكم عليه بالنفي من أثينا) وتيموستوكليس .

ويروى عن ارستيد انه في اليوم الذي جرى فيه الاقتراع بشأنه تقدم منه رجل أمي لا يعرفه وطلب منه أن يكتب له اسم « ارستيد » فقام هذا بما طلبه الرجل منه ، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على أمانة ارستيد

والمعروف ان كليستينس هو مستنبط طريقة النفي المذكورة ويعتقد بعض المؤرخين إنه كان أول ضحاياها

البغل والحصان

يظهر ان متوسط عمر البغل يزيد على متوسط عمر الحصان ، فان ذلك يعمر نحو ثمانية عشر عاما وهذا يعمر نحو خمسة عشر

وفي بعض الروايات التاريخية ان حصان الاسكندر الكبير عمر ثلاثين سنة وهو أقصى ما يصل اليه عمر هذا الحيوان

القذائف المحرقة

يتنبأ الكثيرون من قادة الجيوش بأن الحرب القادمة ستكون أشد فتكا بسكان المدن من أطفال ونساء وعجائز منها بالجنود في ميادين القتال ، لان غاية القواد ستكون منصرفة الى اثارة أهالي المدن على حكوماتهم والقاء الرعب في قلوبهم ، حتى يطالبوا حكوماتهم بعقد الصلح بأي ثمن كان . ولذلك سيكثر المحاربون من غاراتهم على المدن الآهلة والقاء القذائف المحرقة عليها وهي قذائف يوجد منها عند الدول أنواع مختلفة ، وأكثرها تنشيء نيراناً يتعذر اطفاؤها. وهذه القذائف تذكرنا بالنار التي استعملها اليونان أول مرة سنة ٤٢٤ قبل المسيح في حصار مدينة ديليوم

اللكنة في اميركا

بلغ عدد الذين يلكنون في الولايات المتحدة نحو تسعة في الالف . وأكثر هؤلاء تبدو عليهم أعراض اللكنة في حداثتهم وتستمر معهم الى سن الكهولة . وبعضهم تزول منهم اللكنة متى جاوزوا الأربعين . وفي بعض الاحصاءات ان اللكنة أقل بين المتزوجين منها بين العزاب

خرافة عن القنفذ

من الخرافات الشائعة عن القنفذ انه يرمى أعداءه بشوكه ، والعالمون بطبائع الحيوان ينكرون هذه الخرافة ويقولون ان القنفذ لا يستطيع اقتلاع الشوك من جسمه ولكن في فصل معين من السنة يتساقط ذلك الشوك من تلقاء نفسه وينمو مكانه شوك جديد

الطرق فى بابل قديماً

عثر علماء الآثار الذين يعملون فى ما بين النهرين على قطعة من الآجر المشوى ترجع الى عصر الملك «نبوخذ نصر» وقد نقشت عليها العبارة الآتية وهي: «ان الشوارع التى ترصف بالآجر المشوى وتعبد بالقطران تكون قوية جداً وتظل كذلك طويلا». وفى هذا دليل قاطع على ان طريقة تعبيد الطرق بالزفت والقطران وما أشبه من هذه المواد ليست حديثة بل كانت معروفة منذ زمن طويل

الحيوانات تعقم جروحها

يقول الدكتور ولد أستاذ علم الصحة بجامعة طوبنجن بالمانيا إن معظم الحيوانات تعقم جروحها بطريقة اللحس لان البكتريا والمكروبات لا تعيش فى لعابها. وقد قام الدكتور المذكور بعدة تجارب ثبت له منها ان الحيوانات لا تلحس جروحها بقصد تنظيفها من التراب والاوساخ بل بقصد منع تعفنها، وهى حكمة تدفعها اليها الغريزة

انتشار الديابيطس

تدل الاحصاءات الطبية الموثوق بها على ان مرض الديابيطس أو البول السكرى آخذ فى الانتشار فى جميع أنحاء العالم، حتى ان مصانع الادوية التى تجهز مادة الانسولين لمعالجة المصابين بذلك المرض تكاد تعجز عن تقديم الكميات التى يحتاج اليها العالم من تلك المادة. ويقدر عدد المصابين بالديابيطس فى مدينة نيويورك وحدها بنحو مائة الف، عدا نحو ستين الفاً لا يعلمون على الارجح انهم مصابون بذلك المرض. ويقول أحد الاطباء الاميركيين ان عدد المصابين بالديابيطس فى الولايات المتحدة زاد فى خلال ربع القرن الاخير (أى من سنة ١٩١١ الى ١٩٣٥) أكثر من ثلثمائة في المائة، وان مادة الانسولين قد أنقذت الملايين من ضحايا ذلك المرض من الموت

منذ ٥٥٠٠ سنة

فى إحدى المجلات العلمية الاميركية ان المنقبين فى مصر عثروا على موميا اميرة مصرية قديمة توفيت حوالى ٣٦٠٠ قبل المسيح وأظفارها مغشاة بالذهب لان تذهيب الاظفار كان من أسباب الزينة المعروفة عند نساء تلك العصور الخالية

الكينا غير المرة

لا يخفى ان من أشد العوامل التى تحول دون استعمال الكينا بكثرة شدة مرارتها التى يضرب بها المثل. وقد قرأنا فى احدى المجلات العلمية ان رجلا من أهالى سويسرا يدعى ماكس هوفر قد استخرج نوعا جديداً من الكينا لا طعم له على الاطلاق، وسجله فى الولايات المتحدة تحت رقم ٢٠٣٩٤١٤ وهذا المستحضر هو مزيج من الكينا الاعتيادية وأحد مركبات النفتالين. ويظهر أن «حامض الخليك» الموجود فى مركب النفتالين المذكور هو الذى يزيل مرارة الكينا من دون أن يؤثر فى شيء من خواص تلك المادة

الجدائل العارية

كانت المصريات يلبسن الجدائل العارية منذ نحو خمسة آلاف سنة

دائرة معارف قديمة

لما حكم اغسطس قيصر على روما عهد الى احد فلاسفة الرومان فى تهذيب أمراء الأسرة المالكة . فقام هذا بما عهد فيه اليه ، والف موسوعة عامة (أى دائرة معارف) ليستعين بها أولئك الامراء على اتمام تهذيبهم

فى حالة الانفعال

قام بعض علماء النفس (البسيكولوجيا) الالمان بمباحث علمية واسعة النطاق ثبت لهم منها ان الانسان فى حالة التعب الشديد أو الانفعال الشديد تضعف قوة الادراك فيه الى حد يقرب كثيراً من مستوى الذكاء فى الحيوان ، بحيث لا يكاد المرء يدرك الخطة المثلى التى يجب عليه اتباعها

الاناناس والفيتامين

يظهر ان ثمر الاناناس المحفوظ فى علب يحتوى على كميات كبيرة جداً من نوعى الفيتامين « ا » و « ب » وعلى كميات معتدلة من النوعين « ج » و « ز » والفيتامين الاخير هو النوع السابع فى الفيتامينات التى وفق العلماء الى اكتشافها حديثاً

كتاب ريجا فيدا

كتاب ريجا فيدا هو كتاب الهنود المقدس الذى يحتوى على تعاليم دينية فلسفية . ولا يعلم تماما من هو مؤلف هذا الكتاب ولا تاريخ تأليفه . على ان فيه اشارات الى أحوال جوية خاصة بالهند تجعل علماء الجيولوجيا يعتقدون ان الكتاب وضع قبل المسيح بمدة تختلف من الفى سنة الى خمسة آلاف سنة

الجذام فى العالم

فى أحد الاحصاءات ان عدد المصابين بالجذام فى الهند والصين يعادل ضعفى عدد المصابين بهذا المرض فى جميع أنحاء العالم ، وان عدد الذين يعالجون من هؤلاء فى المستشفيات والمصحات لا يزيد على اثنين فى المائة من عدد المصابين كلهم

من غرائب الاحوال الجوية

من غرائب المشاهدات الجوية الخاصة بمدينة لندن انه لم يقع قط فى تلك العاصمة أى مطر فى صباح ١٦ مارس فى خلال نصف القرن الاخير

جامعة هارفرد

هى أعظم جامعات الولايات المتحدة ، أنشئت سنة ١٦٣٦ أى منذ ثلثمائة سنة تماما . وقد احتفل فى شهر سبتمبر الماضى بمرور ثلاثة قرون على انشائها ، فأقيمت فيها احتفالات علمية دامت نحو أسبوعين ، وخطب فيها خمسة وسبعون عالما من كبار علماء هذا العصر وفلاسفته ، وفى مقدمتهم اينشتين صاحب نظرية النسبية ، ومعظم العلماء الذين فازوا بجوائز نوبل العلمية من اسوج ونروج والدنمرك وانجلترا وأميركا وفرنسا والمانيا وروسيا وغيرها من بلاد العالم

استدراك

نشرنا فى صفحة ٢٦٤ من هذا العدد بالسطر السادس عشر كلمات فرنسية صحتها :

Lèvre , livre — Terrasse, rousse

كتب جديدة

فاروق الاول

للاستاذ طاهر احمد الطناحى

عنيت بنشره دار الهلال . صفحاته ١٩٦

من توفيق الكاتب أن يبدأ تأليفه بمثل هذا الكتاب النفيس ، فقد توفرت فيه جميع العناصر التى تجعله ملء العين ، ملء الفؤاد ، أهلا للتفوق ، كفيلا بالنجاح

فهو ، أولا ، يتناول حياة المليك من الناحية المتصلة بشعبه ، وتاريخ الشعب من الناحية المتصلة بجلالته . وكل صفحة من هذا الكتاب حافلة بمجده وروعته وجلاله . وهل هناك مليك حباه الله ما حبا الفاروق من عظمة وكمال ، ومن حكمة وسداد ، ومن سعد وتوفيق ، فكانت أيامه نبعاً يفيض أبداً باليمن على شعبه الوفى ؟ وهل هناك شعب حظى بما حظى به شعب الفاروق من نجاح بدت تباشيره يوم أشرق عليه الفاروق ولياً للعهد ، ثم هطل غيثه يوم صار الفاروق صاحبا للعرش ؟ . فكيف لا يكون هذا الكتاب الذى يدرس حياة الفاروق من هذا الجانب الذى اتصلت فيه بمصر اتصال تأثر وتأثير ، ويدرس مصر من هذه الناحية الموفقة السعيدة التى ارتبطت فيها بالفاروق رباط حب وولاء . . كيف لا يكون قوياً قيما ، وطريفاً ممتعاً ؟ !

وهو ، ثانياً ، نتاج قلم له حظه الوافر من ثقافة شاملة عميقة ، ومن ملكات عزيزة شتى . فقد تجلى الاستاذ طاهر الطناحى فى هذا الكتاب أديبا موهوباً فى طرافة تفكيره وسلاسة أسلوبه ، وعالماً باحثاً فى عمق درسه وسعة اطلاعه ، وصحافياً بارعاً فى دقة ملاحظته وحسن تناوله للموضوع . فكل فصل من فصول الكتاب يروعك ما فيه من بحث تاريخى شامل ، أو درس اجتماعى دقيق ، تلمس فيه ما أتيح للمؤلف من تبحر فى الثقافة وسعة فى الاطلاع ، ثم يفتنك بهذا الأسلوب السلس الرصين ، الذى يستدرجك من فصل إلى فصل ، ويغريك بتلاوة الكتاب كله مرة بعد مرة

وهو ، ثالثاً ، آية من آيات الطباعة والاخراج ، فى تنسيقه الجميل ، وورقه الصقيل ، وصوره الرائعة العديدة . فلا عجب بعد أن اجتمعت فى الكتاب هذه العناصر كلها أن يكون من خير ما أنتجته قرائح كتابنا من الآثار

وإنه لجدير بالشباب على الخصوص أن يقرأ كتاب « فاروق الأول » ، فيستوحى منه هذه المثل العليا التى يرسمها المليك لشعبه فى سائر النواحى ، كما يطالع نموذجاً جميلا من نماذج « الترجمة » تعاون على انتاجها عقل العالم وروح الأديب معاً . وانا إذ نهنىء مؤلفه الفاضل فانما نهنىء أنفسنا ، لأنا نرى أن كتابه هو خير تحية ترفعها مصر إلى مليكها الشاب فى صدر عهده السعيد ، وفقه الله إلى تحقيق آمالها فى ظل عرشه المجيد

ديوان

الأمير شكيب أرسلان

مطبعة المنار . صفحاته ٢٠٥

ظفرنا أخيراً بديوان أمير البيان . وهو ديوان نفيس يضم ما أبقت عليه الأيام من

روائعه ، ويجمع أشتات ما تناثر فى الصحف من فرائده ، أصدره لثلاث خصال ذكرها فى مقدمة الديوان :

إحداها : ان الشعر لقائله كالولد لناجله . فأخشى من بعد انصرافى من هذه الدنيا أن ينسب الىّ ما لم أقله ، ويلحق الناس بخاطرى ما لم ينجله . . . فوجدت أن الاصلح لأمرى أن أجمع ما وجد فى يدى من أشعارى ، وأن أجتهد فى ألا ينسب أثرى الى غيرى ولا ينسب الىّ غير آثارى

ثانيتها : ان بعض هذه القصائد تتعلق بوقائع تاريخية مشهورة ، وبعضها متضمن لمبادىء سياسية مأثورة ، ننشرها حصة من التاريخ يتميز فيها من اعتدل عمن اعتدى ، ويعرف من ضل ممن اهتدى

ثالثتها : انه كان لى أصدقاء وأتراب ، ترافقني عليهم الحسرات الى التراب . . فأحببت أن أبث أرواحهم الزكية الوجد الذى أجده من فراقهم ، وأن أنشر بعد طى أجسادهم ما أعرفه من محاسن أخلاقهم ، فأكون وفيتهم بعض حقوق الوفاء ، وأديت اليهم من الأمانة ما فيه للنفس شفاء »

وقد ألحق بهذا الديوان أكثر ما نشر فى « الباكورة » ، الذى أصدره ولم يعد الرابعة عشرة من عمره ، ولهذا انتظمت بين دفتيه حاشيتا عمره الحافل ، واجتمع فيه ما قدم وما حدث من نتائج فكره الثاقب ، فتجلت فيه روح الشاعر حدثاً وشاباً ، وكهلا وشيخاً ، وهى روح لم تزل يشبه بعضها بعضاً فى جميع أدوار الحياة . فما قاله فى صباه :

من الدهر تشكو أم على الدهر تعتب
وما صاحب الأيام إلا معذب
شكىٌّ بلا قاض ، شجىٌّ بلا أسى
اذا بات فى دنياه يعتب يعتب
يلاق الأسى فى صدره كل مذهب
متى ضاق عنه فى البسيطة مذهب
هو المرء فى كف الزمان مقلب
يقاسى عذاب الموت والدهر يلعب

ومما قاله فى كهولته يرثى احمد باشا تيمور :

يساورنى طول الدجى وأساوره
ملال وطرفى ساهد الليل ساهره
ولولا التقى ناديت يا حبذا الردى
وقلت متى تلقى إلى بشائره
لعمرك ما بالعيش ارب لعاقل
توغل فى علم الحقيقة خاطره
تسلسل آلام وترداد محنة
تراوحه فى كربها وتباكره

وقصائد الديوان كلها تسير على هذا الأسلوب من الجزالة والرصانة التى لا تتاح إلا لرجل كالأمير شكيب أرسلان استظهر من أساليب البلغاء ، وروى من روائع الفحول ، واكتسب بالخبرة ما دق وجل من مقتضيات العصر الحديث ما جعله — كما يقول الاستاذ خليل مطران — « حضرى المعنى ، بدوى اللفظ . يحب الجزالة حتى يستسهل الوعورة ، فاذا عرضت له رقة ، وألان لها لفته ، فتلك زهرات ندية ملية ، شديدة الريا ساطعة البهاء ، كزهرات الجبل ... »

الموازنة بين الشعراء

للدكتور زكى مبارك

مطبعة البابى الحلبى صفحاته ٤٣٢

هذه مجموعة منسجمة من البحوث الدقيقة ، تناولت بالشرح والتحليل كثيراً من أصول النقد وأسرار البيان ، وتعرضت بالنقد والموازنة لطائفة

من الشعراء القدماء والمحدثين . أو هي دراسات قيمة للقواعد التي يجب أن يتخذها النقاد فيما يصدرون من الأحكام ، توضح آراءها وتدعم حججها أدلة وشواهد من الشعر لا تحصى

فهذا بحث في « أهواء النقاد » يبين الأهواء التي يتعرض لها النقد فتفسده وتذهب بقيمته ، ويعدد الآفات التي تصيب الناقد فتعدو به عن النقد الحق الذي يجب ألا يخضع إلا للحاسة الفنية دون غيرها . ولهذه الحاسة بحث خاص من خير بحوث الكتاب تناولها بالتوضيح والتفصيل ، فذكر كيف عول عليها المتقدمون من رجال البيان ، وبين الوسيلة الى الظفر بهذه الموهبة العزيزة المنال ، ثم أماط اللثام عن حقيقة هذه الحاسة التي لا تظهر جلياً إلا حين تمعن في الخفاء

وهذه مقارنة دقيقة بين سينية البحتري في وصف ايوان كسرى ، وسينية شوقي في وصف قصر الحمراء ، تعطينا صورة واضحة ودراسة مفصلة لا للقصيدتين فحسب ، بل للشاعرين في شتى نواحيهما : فيما تخلل حياتهما من غير وصروف ، وما فطرا عليه من أخلاق وعادات ، وما أحاط بهما من ظروف العصر وشئون البيئة . وأحسب انه لو قورنت روائع الشعراء والكتاب بعضها ببعض على هذا الأسلوب الشامل الوافي ، لأدى النقد المهمة التي فرض عليه أداؤها ، ولدقت خبرة القراء بآثار الكتاب ، ولرحبت آفاق النقد والانتاج بما يغني الأدب العربي الحديث الذي ما برح فقيراً في كثير من جوانبه

ولا عجب أن يوفق الدكتور زكي مبارك في دراساته وموازناته هذا التوفيق الجميل ، وهو الذي قرأ الأدب العربي قراءة بحث وتفكير على هدى العلم الحديث ، وهو الذي أوتي من سلامة الذوق ما يسدد نظرته الى سمين الأدب وغثه .

ولا بدع بعد هذا أن يفتن القارىء بهذا الكتاب كما فتن به مؤلفه لأنه قد كتبه وهو « .. في غاية من عافية الذوق ، وشباب القلب ، وعنفوان الروح . فجاء مجدول الحقائق ، مصقول الاضاليل ، وفي الأدب الحق هدى وضلال » ! ..

قبائل العرب في مصر

للاستاذ أحمد لطفي السيد

صفحاته ١٢٤

علاقة مصر بالعرب تتجاوز الدين واللغة الى الدم والاصل ، ولذا كان حتما علينا أن ندرس هذه الصلة الوثيقة درس بحث وعلم . وهذا ما اعتزم أن يقوم به الاستاذ احمد لطفي السيد في كتابه عن (قبائل العرب في مصر) الذي أصدر جزءه الاول ويعتزم أن يصدر أجزاءه الثلاثة عما قريب

أما الجزء الأول فيتناول الحديث عن قبائل قوص وما والاها إلى السودان ، وفيه أخبار العليقات والجعافرة والكنوز وغيرهم . أما الاجزاء الاخرى فتتناول على التوالي : قبائل قوص إلى اسيوط وهي الهوارة وجهينة والعبابيد ، وقبائل أسيوط إلى السلوم وهي الجوازي والفوايد والحرابي وأولادعلي ، وقبائل أسيوط الى العريش وهي الحويطات والهنادي والنفيعات

وإذا كان للمقريزي فضل البدء في هذا البحث حين أحصى هذه القبائل في كتابه (البيان والاعراب) فان لمؤلف هذا الكتاب فضل من وفى البحث حقه حين جرد نفسه لاستقاء أخباره من بطون الكتب العربية والافرنجية المعتمدة .

أصول المحاكمات الحقوقية

للاستاذ فارس الخورى

مطبعة الجامعة السورية صفحاته ٦١٨

أصدر مكتب النشر العربى بدمشق هذا الكتاب القانونى النفيس ، الذى وضعه الاستاذ فارس الخورى أحد أعضاء المجمع العلمى بسوريا واستاذ الاصول الحقوقية وعلم المالية فى معهد الحقوق بالجامعة السورية

وقد ضمت دفتا الكتاب خلاصة الابحاث النظرية والدروس العلمية التى ألقاها الاستاذ على لفيف من طلابه فى مادة اصول المحاكمات الحقوقية مقسمة أربعة اقسام : الأول فى النظام القضائى وهو المعبر عنه بتشكيلات المحاكم ، والثانى فى الاختصاص ، والثالث فى اصول المرافعة والحكم ، والرابع فى تنفيذ الاحكام

ولم يتبع الاستاذ فى كتابه شرح القوانين المسنونة مادة مادة ، لأن خطة التدريس فى معاهد الحقوق تقتضى أن يلم الطالب بالقواعد الاساسية والآراء العامة فحسب ، وبعد أن يتفقه الطالب بهذه المباحث يسهل عليه فهم نصوص القانون ومواده

أما المآخذ والمصادر التى اعتمد عليها المؤلف فعديدة متفرقة . منها التشريع العثمانى الذى خلفته الدولة التركية القديمة مذ كانت تبسط سيادتها على سوريا ، ومنها التشريع الفرنسى الذى هو مصدر التشريع العثمانى السابق ، والذى يرجح أن يكون مصدراً للتشريع السورى ، ومنها الأصول الجارية عند سائر الشعوب الأوربية ولا سيما الشعب الانجليزى

ولا شك أن كل من تهمهم المسائل القانونية فى الاقطار العربية سيرحبون بهذا السفر الجليل أجمل ترحيب ، لأنه دلالة واضحة على النهضة العلمية التى أخذ ضوءها ينبثق فى الأرجاء كافة ، والتى تبشر بأن علماً عربياً جديداً سوف يستعيد تلك المكانة التى كانت للعالم العربى القديم

النظام الاقتصادى فى سوريا ولبنان

لطائفة من أساتذة الجامعة الاميركية ببيروت

طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت صفحاته ٥٢٣

لعلنا لم نقصر فى ناحية من نواحى العلم كما قصرنا فى الناحية الاقتصادية ، رغم حاجتنا الماسة الى هذه البحوث التى تجردت اليوم لدرسها فى الشعوب الراقية أقلام العلماء والأدباء على السواء . ولولا طائفة قليلة من الكتب المدرسية لتعذر على قراء العربية أن يلموا بشىء عن أحوال بلادهم الاقتصادية . لذلك وجب علينا أن نرحب بكل كتاب قيم يسد شيئاً من الفراغ الذى نلمسه فى هذا الجانب

ومن خير هذه الكتب هذا الذى أصدرته دائرة الابحاث الاجتماعية فى الجامعة الاميركية ببيروت ، مدبجاً بأقلام طائفة من أساتذتها السوريين والاجانب هم الاساتذة سعيد حمادة وحسنى صواف والبرت خورى وجورج حكيم وباسم فارس ، وروبرت فدمر ، وادوارد نيكولى ، وتورمن برنس وألن ادواردس . وقد تناول الكتاب شئون الاقتصاد والتجارة فى سوريا ولبنان ، كمواضيع السكان ، وشئون الزراعة والصناعة ، والتجارة الداخلية والخارجية ، والنظام النقدى والصرافى ، والنظام المالى الحكومى وغير ذلك من الابحاث

وسيعقب هذا الكتاب كتابان آخران عن فلسطين والعراق . وأهمية هذه الكتب — كما قال محرر الكتاب : « انها تمهد الطرق للابحاث

المهمة في نواح خاصة من حياة هذه البلدان الاقتصادية وأنها يمكن أن تتخذ أساساً لتنظيم برامج اقتصادية لمدات طويلة أو قصيرة ، وترشد الزعماء فى هذه البلدان وتساعد على ايجاد التعاون بين الجماعات الاقتصادية المختلفة فيها »

سر عظمة مصطفى النحاس باشا

للاديبين مهني جورجي ويوسف عبده

طبع بمطبعة الاقتصاد بالقاهرة . صفحاته ٨٠

بحث ممتع فى شخصية الرئيس الجليل وتاريخ حياته والأطوار السياسية التى مر بها والمواقف المختلفة التى دافع فيها عن حقوق مصر أبلغ دفاع

وقد استوفى الكاتبان تحليل شخصية الرئيس تحليلا يشف عن اعجاب وحب ووطنية ملتهبة صادقة

الشاعر شيلي للاستاذ نظمى خليل

طبع بمطبعة المجلة الجديدة صفحاته ٨٠

الاستاذ نظمى خليل مولع بكتابة تراجم حياة شعراء الانجليز ، وقد سبق له أن أخرج كتاباً عن (بيرون) فوفق فيه . ويتناول كتابه الجديد حياة وأعمال الشاعر شيلي المعروف بنزعته الروحانية الصوفية المناقضة لنزعة بيرون

وقد حاول الاستاذ المؤلف تحليل شخصية شيلي مترسما خطى الكاتب الفرنسى موروا . وهذا نوع جديد في الادب حبذا لوطبقه المؤلف فى المستقبل على شاعر أو ناثر عربى

كتب أخرى

﴿ نداء الغاب — للاستاذ وديع رشيد الخورى . مطبعة مجلة السمير بنيويرك فى ٩٠ صفحة ﴾ طاقة جميلة من الشعر والنثر الشعرى مزدانة بمقدمة من قلم الشاعر المشهور ايليا أبو ماضى ، وتمتاز بنزعة فلسفية تجريدية تدل على ثقافة غزيرة ومحصول أدبى وافر . والاستاذ الخورى متزن الخيال يعرف كيف يتصل بالواقع ويتغلغل فى الأشياء ويلاحظها عن كثب

﴿ الثورة السورية — للاستاذ زكي قنصل . المطبعة السورية فى بونس ايرس فى ٥٠ صفحة ﴾ درامة مسرحية وضعها الاستاذ زكى قنصل وأراد بها تخليد كل من أهرق دمه فى سبيل استقلال سورية . ووجه الطرافة فى هذه الدرامة ان أشخاصها هم نفس أبطال الثورة ، أى سلطان باشا الاطرش ، وزيد باشا الاطرش ، ونسيب بك البكرى ، وصحبهم . وهذه على ما نعلم أول محاولة فى اللغة العربية لاتخاذ أبطال معاصرين أبطالا لقصة . وتمتاز الدرامة بعاطفة وطنية صادقة وأسلوب حماسي بليغ

﴿ وثبة العرب — للاديب خليل ابراهيم النبوت . المطبعة التجارية فى بونس ايرس فى ٦٥ صفحة ﴾ درامة مسرحية وطنية يشيد فيها المؤلف بطولة الأمير فيصل بن الحسين ورفعها الى كل عربى يطلب الاستقلال بلا قيد ولا مساومة . والرواية بسيطة الأسلوب عنيفة الحوار متقدة الحماسة عرف الكاتب كيف يتوخى الحقيقة فى رسم أبطالها

﴿ محنة العرب — للاستاذ محمد عبد الحسين . مطبعة الرشيد ببغداد فى ١٠٠ صفحة ﴾

يبسط المؤلف فى هذا الكتاب تاريخ القضية السورية والقضية الفلسطينية والأطوار التى مرت بالقضيتين أيام الحرب الكبرى وبعدها . والواقع ان هذا الكتاب يغنى القارىء عن مطالعة المجلدات الكبيرة فى القضية العربية

بين الهلال وقرائه

الاشتراكية والشيوعية

(رياق — سورية) ميشال كعدى

ما الفرق بين الاشتراكية والشيوعية والبلشفية ؟

« الهلال » أما الاشتراكية فهي نظرية اقتصادية سياسية غايتها اقامة الاجتماع على أساس أن تتولى الحكومة بنفسها جميع وسائل الانتاج الحيوية للأمة ، لكي يتمتع جميع الأفراد بفوائد ذلك الانتاج على قدم المساواة . وبعبارة أخرى أن الاشتراكية تقضي بأن تتولى الحكومة جميع مرافق البلاد الحيوية والاقتصادية فتستغلها لمصلحة الجمهور ، وتمنع بذلك كل حزب من الاحتكار وتقاوم مساعي أصحاب الأموال (الكابيتالست) الذين يريدون احتكار الثروة . والاشتراكية أنواع كثيرة . والمتطرف منها يعرف بالشيوعية أو البلشفية (وهما اسمان لمسمى واحد) وقد فشلت كل تجربة اشتراكية قام بها الناس قديماً وحديثاً لأسباب لا يتسع هذا المجال لشرحها مع أن هذه النظرية تستهوى ألباب البسطاء بظاهرها الخلاب

بحة الصوت

(الخرطوم — السودان) أحد القراء

لي صديق مصاب ببحة مزمنة في صوته . فهل من علاج لهذه البحة ، وهل يرجى شفاؤه بعملية جراحية؟

« الهلال » كثيراً ما تكون البحة ناشئة عن ادمان مشروبات ممزوجة بالصودا ، والصودا كاوية بعض الشيء كما لا يخفى . وهنالك حالات خطرة قد تكون البحة فيها عرضاً من أعراض سرطان الحنجرة وفي هذه الحالة يمكن شفاؤها بعملية جراحية بشرط أن يكون السرطان في أوائل أطواره

وقد تكون البحة أيضاً عرضاً من أعراض عدة أمراض تصيب الحنجرة فيجدر بصديقكم أن يستشير الأطباء الاخصائيين

الجذام

(الخرطوم — السودان) ومنه

من المعروف أن الجذام قد نقص في أوربا نقصاً محسوساً حتى أصبح فيها نادراً مع أنه لا يزال شديد الانتشار في بعض أنحاء الشرق كالهند والصين . فما سبب ذلك ؟

« الهلال » هذا سر من الأسرار التي لم يوفق العلم الى استجلائها . ولا نظن أن اختلاف وسائل المعالجة في كل من الغرب والشرق هو سبب الفرق الذي نشاهده في درجة انتشار هذا المرض ، فقد أخذ ظل الجذام يتقلص عن أوربا قبل تنظيم الجهود لمكافحته ، ومع أن وسائل المكافحة هي اليوم على أشدها في الهند والصين ، فلا يزال هذا المرض يفتك بأهالي تلك البلاد فتكا ذريعاً

الزواج وطول العمر

(جدة — بلاد العرب) ح . د .

قرأت في إحدى المجلات العلمية أن المتزوجين أطول حياة من العازبين ، وانهم أقل تعرضاً للامراض منهم فهل هذا صحيح ؟

« الهلال » هو بلا شك صحيح وجميع احصاءات شركات التأمين على الحياة تؤيده وتثبته . وهذه الشركات أسرع الى تأمين حياة المتزوجين منها الى تأمين حياة العازبين . والرجل المتزوج هو عادة أصح بنية من الرجل العازب لأسباب لا تخفى على القارىء ، ومما يجدر بالذكر أن عدد المتزوجين المجانين في مستشفيات الأمراض العقلية أقل بكثير من عدد العازبين

الأفاعي والسباحة

(الموصل — العراق) حسن الخليلي

هل تستطيع الأفعى أن تطارد فريستها الى الماء ، وهل صحيح ما يقال من انها أسرع عدواً من الانسان؟

﴿ الهلال ﴾ معظم الأفاعي تجيد السباحة ، فهي اذن تستطيع مطاردة فريستها في الماء . على أن القول بأن الأفاعي أسرع من الانسان خطأ شائع ، لأن جميع العارفين بغرائز الأفاعي يؤكدون أن الأفعى لا تستطيع أن تجتاز أكثر من أربعة أميال في الساعة . الا أن حركتها « التموجية » توهم الناظر بأنها أسرع مما هي

مرض الكبد والكلى

(كيمنارا — كوبا) الياس الخوري ابي كرم

نرى مرض الكبد ومرض الكلى كثيري الانتشار في هذه البلاد ، مع أن الحكومة تبذل جهوداً عظيمة ، فهل هما من أمراض البلاد الحارة ؟ وما هو أنجع علاج لهما ؟

﴿ الهلال ﴾ نعم هما من أمراض البلاد الحارة ولكنهما ليسا من الامراض المستعصية والاحسن الرجوع في كل حالة الى طبيب اخصائي إذ يختلف العلاج باختلاف الحالات

سوء الهضم

(كيمنارا — كوبا) ومنه

ما علاج الدسبيسيا أو سوء الهضم ؟

﴿ الهلال ﴾ من الصعب أن نصف لكم علاجا واحداً للدسبيسيا فان أسباب هذا الداء مختلفة متنوعة فقد ينشأ عن زيادة حموضة المعدة أو عن ضعف الجهاز الهضمي أو عن التهاب في المعدة أو عن اختمار المواد الغذائية في المعدة أو عن مرض أعصاب المعدة أو غير هذه الاسباب فلكل حالة علاج خاص وعليه يجب عليكم الرجوع الى طبيب اخصائي

الماسونية

(كيمنارا — كوبا) ومنه

لماذا يحافظ الماسون على أشد الكتمان في كل ما يتعلق بهم وبأغراضهم وبأعمالهم وبالاجتماعات التي يعقدونها ؟

﴿ الهلال ﴾ لا ندري لماذا يؤخذ على الماسون أنهم يكتمون الرموز أو العلامات التي يستخدمونها . فالناس في جميع الازمنة والامكنة يكتمون أمورهم الخاصة ويستعينون على قضاء حاجاتهم بالكتمان . ترى هل كان الناس يعطفون على الماسون اكثر لو أن هؤلاء كانوا يذيعون كل خبر يتعلق بهم ؟ لقد كان للماسونية يد في كثير من الاعمال التي آلت الى خير الاجتماع . فلماذا لا نحكم عليها بهذه الاعمال ونؤاخذها على كتمانها رموزها وبعض شؤونها ؟ وهل كان الملوك والامراء والحكام وعظماء الرجال ينضمون الى الماسونية أو يعطفون عليها لو صح ما يرميها به أعداؤها من التهم والفظائع ؟

ألوان النجوم

(تونس — شمال أفريقيا) أحد القراء

لماذا تبدو النجوم للناظر اليها في الليل بالوان مختلفة فبعضها بيضاء وبعضها حمراء ؟

﴿ الهلال ﴾ سبب ذلك اختلاف درجة حرارتها فكلما اشتدت مال نورها الى اللون الابيض والا كانت صفراء أو حمراء . كقطعة الحديد المحمى تكون حمراء اللون في أول احمائها فاذا اشتدت حرارتها أبيض لونها

أقوى أنواع السموم

(تونس — شمال افريقيا) ومنه

ما هو أقوى أنواع السموم المعروفة ؟

﴿ الهلال ﴾ قد تدهشون اذا قلنا لكم ان أقوى أنواع السموم التي عرفها العلم هو سم تفرزه الجرثومة التي تحدث ذلك النوع من التسمم المعروف بالبوتيولسم (أو التسمم المقانق) الذي يحدث في بعض الاطعمة والمواد الغذائية فلمقة صغيرة من هذا السم الهائل تكفى لقتل جميع سكان العالم . ومن حسن الحظ انه لا يمكن شراء هذا السم ، وتأثيره لا يدوم الا زمنا قصيراً جدا بعد افراز الجرثومة له

الديناميت

(حلب — سوريا) ج . فتح الله

مم تصنع مادة الديناميت ؟ ومن اخترعها ؟

﴿ الهلال ﴾ الديناميت مادة سريعة الانفجار تصنع بمزج مادة النتروجليسرين بالنخالة أو فحم الخشب أو

النشارة أو بمادة أخرى لها خاصة الامتصاص . وجواهر النتروجليسرين الفردة ليست مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا محكما . فعند وقوع أى حادث يدعو الى تفكيكها ينفصل بعضها عن بعض وينفجر النتروجليسرين الذى فيها انفجارا عظيما

ومادة الديناميت نوعان كبيران أولهما النوع الذى تكون قاعدته مادة سريعة الامتصاص كالنخالة أو النشارة . وثانيهما النوع الذى تكون نفس قاعدته من المواد القابلة للانفجار وهى تشترك مع مادة النتروجليسرين فى انفجارها

أما مخترع الديناميت فهو الفرد نوبل الشهير وكان اختراعه هذا فى سنة ١٨٦٦

الهواء المحيط بالأرض

(حلب ــ سوريا) ومنه

الى أى ارتفاع يوجد هواء محيط بالكرة الارضية؟

(الهلال) لا نعلم تماما . وانما نعلم اننا نجد كية محسوسة من الهواء على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ميلا فوق سطح الكرة الارضية . ولكننا كلما واصلنا الابتعاد عن ذلك السطح خف الهواء الى أن يتلاشى فى الطبقات العليا ، والارجح أن الجو على ارتفاع مائتى ميل من الكرة مفرغ من الهواء تماما

متوسط عمر الانسان

(القاهرة ــ مصر) حنين توفيق

كم هو متوسط عمر الانسان ؟

(الهلال) يختلف متوسط عمر الانسان باختلاف الزمان والمكان . فهو مثلا على أقله فى البلاد الموبوءة والمعرضة للاخطار ، وعلى أطوله فى الأقاليم المعتدلة التى تتوفر فيها الشروط الصحية . وقد كان هذا المتوسط قليلا فى العصور الماضية بسبب جهل اكثر الناس لشروط المعيشة الصحية . ولعل شركات التأمين على الحياة هى خير من يستطيع تقدير متوسط العمر . ويؤخذ من الاحصاءات الكثيرة الموثوق بها أن هذا المتوسط زاد منذ بدء القرن الحاضر أحد عشر عاما للرجل واثنى عشر عاما للمرأة ، فأصبح متوسط عمر الأول تسعاً وخمسين سنة ومتوسط عمر المرأة ثلاثاً وستين سنة فى البلاد المستوفية للشروط الصحية

نعل الحصان

(القاهرة ــ مصر) ومنه

قرأت فى احدى المجلات ان الخيل فى العصور الماضية لم تكن تنتعل النعال الحديدية فهل هذا صحيح ، واذا كان الأمر كذلك فبماذا كانت تنتعل ؟

(الهلال) لا نظن ما قرأتموه صحيحاً فقد كانت نعال الخيل تصنع من الحديد منذ اكثر من الفين وخمسمائة من السنين . وفى بعض المتاحف الأثرية نعال حديدية للخيل ترجع الى القرن السابع قبل المسيح

المدنية والأمراض

(الخرطوم ــ السودان) أحد القراء

أليست المدنية الحاضرة مسئولة عن اكثر الامراض التى تنتاب البشر ؟

(الهلال) لا نظن ان المدنية مسئولة عن « اكثر » الأمراض ولكنها مسئولة عن أمراض كثيرة ، ولا سيما أمراض الصدر والدورة الدموية . فالذين يعملون فى بعض المناجم أو المصانع يصابون بأمراض لاشك أنها من مستلزمات عملهم . ولكن الكثيرين منهم يتعرضون لامراض لا علاقة بينها وبين نوع العمل الذى يقومون به . ولذلك لا نستطيع أن نلوم المدنية على تلك الامراض

الصداع

(الاسكندرية ــ مصر) يوسف احمد الصيقى

لى ابنة فى الثامنة عشرة من عمرها تشكو صداعا مستمراً وقد حرنا فى معالجتها ولم تنفع الادوية الكثيرة التى وصفها لها الاطباء . فهل تستطيعون ارشادنا الى طريقة لانقاذها من هذا الألم المستمر ؟

(الهلال) يجدر بكم استشارة الأطباء الاخصائيين فى هذا الامر . ولعلكم اذا عالجتم المعدة والاعصاب وحرصتم على تنظيم الحيض انقذتم ابنتكم من العذاب الذى هى فيه . وهنالك دواء جديد يسمى ترترات الارجوماتين لازالة الصداع المستمر ويستعمل حقناً تحت الجلد . ومنه أقراص تؤخذ بطريق الفم ولكن ليس من الحكمة استعمال هذا الدواء الا بمشورة الطبيب

طبائع الأسماك

(اسكندرية — مصر) ومنه

هل تستطيع أسماك البحار المالحة أن تعيش فى الأنهر والمياه العذبة ؟

(الهلال) نعم تستطيع ذلك ولكن اكثرها لا يعيش طويلا ولا يتوالد اذا انتقل من المياه المالحة الى المياه العذبة

خسوف القمر

(نابلس — فلسطين) مشترك

هل يمكن أن يخسف القمر في غير وقت تمامه ؟

(الهلال) لا يخسف القمر الا وهو بدر تام

السرطان

(نابلس — فلسطين) ومنه

هل مرض السرطان خاص بسن معينة وطائفة معينة من الناس ؟

(الهلال) السرطان مرض خاص بالبالغين وهو يصيب جميع الناس على حد سوى ولكنه يصيب النساء اكثر من اصابته للرجال . ولا يزال الطب يسعى للتغلب عليه

دراسة العصر الجاهلى

(حماه — سوريا) مشترك فى الهلال

ما هي أهم المراجع التي يعتمد عليها فى درس الاجتماع فى العصر الجاهلى ؟

(الهلال) المراجع التى تطلبونها اكثر من أن يحصيها العد ، وفى مقدمتها آداب اللغة العربية للمرحوم مؤسس الهلال ، والموسوعات الادبية الحديثة وفى جميعها بحوث مسهبة فى هذا الموضوع

التدرن الرئوى والسل

(راشيا عين عكا — سوريا) وديع على القاضى

يقولون فلان مصاب بالتدرن الرئوى وغيره مصاب بالسل . فهل هما مرض واحد أم مختلفان ؟ وما اعراضهما وطرق علاجهما ؟

(الهلال) التدرن الرئوى هو سل الرئتين . والسل قد يصيب أعضاء مختلفة من الجسم الا أن المراد منه عادة هو السل الرئوى . وأعراضه سعال خفيف مستمر وارتفاع درجة الحرارة قليلا وبصاق الدم وتناقص وزن الجسم تناقصاً مستمراً . وهنالك أعراض أخرى كثيرة يعرفها الأطباء . أما طرق المعالجة فلا يمكن وصفها بأسطر قليلة فيحسن الرجوع بشأنها الى الاطباء الاخصائيين

حب الذات فى الحيوان

(لاجوس — نيجيريا) خليل علاء الدين

هل الطمع وحب الذات موجودان فى الانسان فقط أم في الحيوان أيضاً . وهل يمكن ازالتهما ؟

(الهلال) الطمع وحب الذات من صفات الانسان والحيوان على السواء ، الا أنهما أقوى وأشد ظهوراً فى الأول منهما فى الثانى . والدليل على وجودهما في الحيوان ان الكلب اذا وجد فى طريقه عظماً استأثر به وحده وأبى أن يعطى كلباً آخر جزءاً منه . واذا حاول كلب آخر أن يأخذه منه دافع عنه بكل قواه . على أن الغريزة تحمل كلا من الانسان والحيوان على معاملة أولادهما معاملة خاصة لا أثر فيها للطمع أو حب الذات ، بل بالعكس فيها كل ما يدل على البذل والتضحية ، ومن الصعب ازالة الطمع وحب الذات من صدر صاحبهما الا فى أحوال نادرة

التربية الصحيحة

(لاجوس — نيجيريا) ومنه

هل تفسد التربية الصحيحة بعد سن العشرين ؟

(الهلال) نعم تفسد إذا كثرت العوامل المفسدة، فان هذه العوامل تعمل فى الصغار والكبار على حد سوى ، إلا ان تأثيرها فى الاولين أوضح منه فى الآخرين وهذه هى الفكرة التى جالت فى مخيلة الشاعر العربى القائل :

ان الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الشجر

بعض وجهات التفكير الحديث

للأستاذ الدكتور طه حسين بك

« .. أوضح ما يقال عن الاتجاهات الأدبية فى هذه الأيام أنها تتحد اتحاداً مزعجاً مرهقاً مخيفاً حقا فى البلاد التى تخضع لنظام القوى والسلطان العنيف ... ثم هى تختلف اختلافاً قوياً خصباً رائعاً فى البلاد الحرة التى تستمتع بالحرية الديموقراطية »

وإنما أريد التفكير الذى يمس الأدب من قريب أو التفكير الذى يصدر عنه الأدب وتستمد منه أقلام الأدباء ما تذيع فى الناس من آثار . وواضح أن فصلا فى مجلة لايستطيع أن يلم بوجوه التفكير الأدبى الحديث فى بلد بعينه، فضلا عن أن يلم بها فى أوربا كلها ، فضلا عن أن يلم بوجوه التفكير على اختلاف أنواعه فى بيئة من البيئات أو عصر من العصور . فألوان التفكير تختلف أشد الاختلاف بالقياس الى البيئات المفكرة وبالقياس الى الافراد المفكرين أيضاً

وألوان التفكير هذه إنما تختلف لأن طبائع المفكرين ، أفراداً أو جماعات ، شديدة الاختلاف والتنوع فيما بينها . والأصل أن تختلف ألوان التفكير باختلاف الأفراد الذين يفكرون ما دام لكل فرد طبيعته ومزاجه وظروفه المحيطة به ودائرته التى يدور فيها ، ولكن طبيعة الحياة أرادت أن يجتمع الناس أحزابا وشيعاً فى الرأى ، كما يجتمعون أحزابا وشيعاً فى السيرة العملية . فمهما تختلف طبائع الأفراد وأمزجتهم، ومهما يكن لذلك من أثر فى تفكيرهم وفيما ينتجون من أدب، ومهما يكن لذلك من قيمة في دراسة الأديب والتماس شخصيته الفردية وتمييزه من غيره، فان من اليسير ومن المألوف أن نبحث عن ألوان مشتركة للرأى يمتاز بها فريق من الناس بالقياس الى فريق آخر ، بحيث تتكون لهذا الفريق أو ذاك شخصيته العقلية الأدبية التى تشيع فى أفراده جميعا ، ثم يتمايز هؤلاء الأفراد بعد ذلك - أو قبل ذلك لا أدرى - بأمزجتهم وطبائعهم الخاصة

فأصحاب مذهب شعرى بعينه يشتركون فى خصائص نعرفها فيما ينتجون لنا من الشعر . ونحن بحكم هذه الخصائص نستطيع أن نميزهم فى سهولة من أصحاب مذهب آخر من مذاهب الشعر ، ثم هم بعد ذلك يتفاوتون فى انتاجهم تفاوتاً مصدره شخصياتهم وما يؤلفها من طبيعة ومزاج وما يحيط بها من أحداث وظروف . وما أظن أن هذه القضية محتاجة الى استدلال وتفسير ، فالناس قد ألفوها منذ العصور البعيدة جداً ، وهم يقسمون الشعراء والكتاب الى فرق متمايزة ومدارس متباينة، وهم

يبينون ما لهذه الفرق من الخصائص وما بين أفرادها من التمايز ، ثم ما بينها هي من أسباب القرب والبعد ومن مظاهر الائتلاف والاختلاف

ولكن الشيء الذي قلما نفكر فيه ونطيل الوقوف عنده هو أن الحياة الجديدة قربت بين الناس أشد التقريب وباعدت بينهم أشد المباعدة وأحدثت هاتين الظاهرتين المتناقضتين في وقت واحد . فوسائل النشر والاذاعة وأسباب المواصلات قد الغت المسافة الزمانية والمكانية الغاء وأتاحت للناس أن يظهر بعضهم على آراء بعض في غير مشقة ولا جهد ولا انتظار . كما أن ظروف الحياة نفسها قد قوت الشخصية الفردية تقوية غريبة حقاً وجعلت لكل فرد مفكر وجوداً داخلياً يشبه أن يكون مستقلا ، ويشبه أن يكون عالماً ممتازاً له حدوده التي لا يستطيع أحد أن يتجاوزها أو أن يقتحمها . وعلى ذلك جعلنا نفكر مستقلين ونفكر مجتمعين ، وجعل تفكيرنا المستقل ينتج آراء لا تحصى وينتج آراء شديدة الاختلاف والتمايز فيما بينها بحيث يكاد أمرها ينتهي الى الفوضى ، ويعجز بحث الباحثين واستقصاء الذين يقفون جهودهم على الاستقصاء ، وجعل تفكيرنا الاجتماعي يقارب بيننا أشد المقاربة حتى يكاد يكون هنا وحدة ملتئمة لا يكاد يظهر فيها اختلاف على بعد ما بيننا من الآماد التي تفرق بين الأمم والشعوب وبين الفرق والأحزاب وبين الافراد أنفسهم

فلم يبق بد لدارس الأدب من أن يتجه هذين الاتجاهين ويلتمس فيما يقرأه من الآثار الأدبية مظاهر الاستقلال الفردي من جهة ومظاهر التضامن الاجتماعي والانساني من جهة أخرى . ولست أعرف عصراً اشتد فيه الصراع بين الفرد والجماعة كهذا العصر الحديث . ولعلك ترى معي أن هذا الصراع قد مر باطوار ثلاثة ظاهرة منذ تمحض الانسان وأخذ في التفكير والانتاج :

فالطور الأول تطغى فيه الجماعة على الفرد طغيانا كاملا شاملا فتفنيه في نفسها وتنطقه بلسانها وتثير في نفسه عواطفها وأهواءها . فاذا أظهر الفرد شخصية مستقلة ففكر على غير ما تفكر الجماعة وأعلن غير ما تحب الجماعة من الرأي قاومته الجماعة أشد المقاومة وبطشت به أفظع البطش وعرضته أحيانا الى الموت

والطور الثاني يطغى فيه الفرد طغياناً شديداً فيثور بالنظام القائم ويقلبه رأسا على عقب ويستخلص لنفسه حقوقا ما كان ليحلم بها، وينتهي هذا الطغيان الى كثير من الاضطراب والاختلاط ثم تستقر الأمور وقد كسب الفرد حقوقا لم تكن له واستبقت الجماعة بعض ما كان لها من سلطان . وهذا هو الطور الأخير الذي يتحقق فيه التوازن بين حقوق الجماعة وحقوق الفرد . وواضح جداً أن هذا التوازن لا يتصل وإنما يستقر حيناً ريثما يستريح المختصمان كأنه هدنة موقوتة ثم تستأنف الخصومة بينهما كأشد ما كانت قوة وعنفاً

ومن المحقق أننا في هذه الأيام لا نستمتع بالتوازن بين استقلال الفرد وسلطان الجماعة ، وإنما نحن نعيش في عصر قد اختل فيه هذا التوازن اختلالا شديداً كما يقول أصحاب السياسة . فالأفراد

قد كسبوا حقوقاً تبيح لهم حرية واسعة فى القول والعمل والتفكير . ولكن الجماعات قد أنكرت إسراف الأفراد فى الاستمتاع بما كسبوا من حقوق ، فهى تريد أن تردهم الى القصد وأن تخضعهم لنظامها وتفرض عليهم سلطانها من جديد

وأنت ترى هذا الصراع قد انتهى فى هذه الايام الى عنف لم يكن يعرفه من قبل ، فهو الذى يقسم أوربا هذه الاقسام الثلاثة التى يثور بعضها ببعض ويكيد بعضها لبعض ويبطش بعضها ببعض ، والتي تتهيأ كلها لموقعة نظنها حاسمة ولا ندرى أتخرج الحضارة منها سالمة ظافرة قادرة على البقاء والنمو أم تصبح الحضارة بعدها حديثاً من أحاديث التاريخ !

هذه النظم السياسية الثلاثة التى تختصم فى أوربا ليست فى حقيقة الامر الا مظاهر للخصومة بين الفرد والجماعة ، نظام يريد أن يحتفظ بالتوازن بين الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية الى حد ما وهو النظام الديمقراطى ، ونظام يريد أن يخضع الجماعة لسلطان قوى عنيف يستأثر به وبحمايته وتنفيذه أفراد ممتازون وهو نظام الفاشزم ، ونظام ثالث يريد أن يرد الامر الى الجماعة والى طبقات بعينها من الجماعة هي التى تؤلف الكثرة الكثيرة ويريد أن يمحو الفرد محواً — إن جاز هذا التعبير — وأن يفنيه فى الجماعة إفناء ، وهو النظام الشيوعى

ومن المحقق أن التفكير فى هذه البيئات المختلفة مختلف أيضا وان الانتاج الادبى فيها مختلف باختلاف التفكير

فالمفكرون والمنتجون فى البيئات الديمقراطية يفكرون وينتجون على أنهم أفراد لهم شخصياتهم المستقلة المتازة التى كسبت ما كسبت من حقوق والتى هى حريصة أشد الحرص على ألا تضيع مما كسبت شيئاً بل على أن تضيف اليه كسباً جديداً متصلا . وأصحاب النظام الفاشى يفكرون وينتجون على أن الجماعة خليقة أن تسعد وترقى وتبلغ ما قدر لها من كمال ، ولكن وسيلتها الى ذلك انما هى قوة الفرد الممتاز وسلطانه وبراعته وقدرته على التنفيذ والمقاومة والاقناع والارهاب . فالجماعة يجب أن ترقى ولكن على أن يرقيها قائدها العظيم الفذ . والمفكرون المنتجون فى النظام الشيوعى يفكرون على نحو قريب من هذا النحو جداً لولا أنهم لا يغلون فى تقدير القادة وإكبارهم وإنما يجعلونهم خداما للجماعة ومظاهر لسلطانها وأدوات لتحقيق ما تريد وما تسمو اليه من أمل

ومع ذلك فهم ينتهون فى آخر الامر الى مثل ما ينتهى اليه الفاشيون لان الجماعة لا تستطيع وهى جماعة أن تدبر الامر وتحكمه وتنفذه ، ولابد لها من أن تنتهى الى أفراد بأعينهم تطمئن اليهم وتثق بهم وتعتمد عليهم فى التدبير والاحكام والتنفيذ . وما أسرع ما يسيطر هؤلاء الافراد على الامر كله ! وما أسرع ما يتزلقون الى الطغيان ! وما أسرع ما ينجم منهم الفرد القوى الذى يستأثر بكل شىء ويفرض نفسه ورأيه وارادته على الجماعة فرضا ! وما أدرى أيوجد آخر الامر فرق بين

السلطان الذى يستمتع به هؤلاء الاشخاص الثلاثة فى أوربا اليوم : موسوليني في ايطاليا وهتلر فى المانيا وستالين فى الروسيا !

توجد فروق فى الأساليب وألوان السيرة العملية الظاهرة ، ولكن النتيجة الاخيرة واحدة وهى أن هؤلاء الاشخاص هم كل شىء فى أوطانهم قد استأثروا بالسلطان كله وفرضوا على شعوبهم ارادات لا مرد لها ولا سبيل الى الخلاف عن أمرها الا أن يتعرض المخالفون للموت

وانا أعلم أن تصور الامور الأدبية والاقتصادية والسياسية يختلف فى هذه البلاد اختلافا شديداً : فنظام الطبقات هو أساس السياسة والاجتماع والاقتصاد فى بعضها ، ونظام رأس المال هو أساس هذه الأشياء فى بعضها الآخر ، والأدب يعنى بالشعب وطبقاته الدنيا فى بعض هذه البلاد وهو يعنى بالطبقات الوسطى وبالطبقات الممتازة فى بعضها الآخر ويكاد يهمل الطبقات الدنيا اهمالا

أعلم هذا حق العلم ولكنى أريد أن نتجاوز المظاهر الى الحقائق وأن نصل الى أحب شىء الى الفرد وآثر شىء عنده وهو الحرية الفردية حرية التفكير والقول والعمل . أريد أن نصل الى هذه الحرية وأن نلتمسها عند الفاشيين والشيوعيين فسنجد أمرها متشابهاً أشد التشابه عند أولئك وهؤلاء ، بل سنجد أمرها متفقاً أشد الاتفاق عند أولئك وهؤلاء ، متفقاً فى أنها مهدرة لا توجد أو لا تكاد توجد . فليس للفرد أن يظهر من الرأى في قوله وسيرته الا ما يلائم النظام القائم ولا يخالف عنه ، وأقل شبهة توهم الانحراف عن النظام في قول أو عمل أو إرادة أو رأى تعرض صاحبها لخطر شديد . والاحداث التى تقع فى روسيا والمانيا وايطاليا أكثر من أن تحصى وأوضح دلالة من أن تحتاج الى شرح أو تفسير

على أن مؤرخ الآداب قد يجد راحة ثقيلة ممضة اذا أراد البحث عن الآداب فى هذه البلاد التى تخضع للسلطان القوى ، فهو لن يجد لهذه الآداب الا اتجاهاً واحداً هو الذى يفرضه النظام القائم ويأخذ به الناس أخذاً عنيفا . ويعاقب الذين يخرجون عليه بالموت غيلة أو الموت بعد محاكمة شكلية أو النفى الى مكان بعيد

فالاتجاه الأدبى فى ايطاليا والمانيا فاشى وهو فى روسيا شيوعى . ومعنى ذلك أن الناس يفكرون وينتجون فى المانيا وإيطاليا كما يريد لهم هتلر وموسوليني أن يفكروا وأن ينتجوا ، فمن أحس منهم عجزه عن هذا الاذعان الذى لا يلائم طبيعة العقل الحر فليس له بد من أن ينفى نفسه من الأرض وأن يلتمس لنفسه مهاجراً يفكر فيه وينتج كما يريد لا كما يراد له . انما يشق البحث الأدبى ويتعقد ويختلف حيث يستمتع الأفراد بحرية التفكير والقول والعمل ، وحيث تستطيع النفوس الفردية والاجتماعية أن تزهر وتتفتح كما تريد لها طبائعها وأمزجتها ، وحيث تستطيع النفوس الفردية والاجتماعية أن تستملى الأدب والفن من ضمائرها ومن الصلة بين ضمائرها وبين الحياة ، لا من السلطان الجاثم فى هذا القصر أو ذاك والذى يهيىء لها من حين الى حين ما ينبغى أن تتلقى من

وحى وما ينبغى أن تجيل من رأى وما ينبغى أن تجد من شعور

إذهب الى ايطاليا فلن تجد الا الادب الفاشى ، واذهب الى روسيا فلن تجد الا الادب الشيوعى . فاذا أراد كاتب ايطالى أو روسى أن يفكر كما يريد هو لا كما يريد موسولينى أو ستالين فلا بد له من الهجرة الى لندرة أو الى باريس أو الى ما يشبه هاتين المدينتين . ولكن اذهب الى لندرة أو الى باريس أو الى بروكسل أو الى لاهى أو الى أمريكا فستجد ألوان الادب كلها تلتقى وتفترق ، تأتلف وتختصم ، ويكون بينها هذا الصراع الخصب الذى يتيح للافراد والجماعات حياة تلائم ما فرض الانسان لنفسه من المثل العليا منذ أخذ يفكر ويسيطر بعقله على الاشياء

أنت فى باريس تجد الأدب الشيوعى مصوراً أقوى تصوير وأبرعه ، وتجد الأدب الاشتراكى وتجد الأدب الفاشى ، ثم تجد الأدب الديمقراطى على اختلاف ألوانه ثم تجد الأدب الملكى ، وقد تجد الأدب الامبراطورى الذى لم ينس ولا يريد أن ينسى مجد نابليون ، ولا تظن أن هذا كله لغو يتصل بالسياسة وحدها . فان لكل لون من هذه الألوان السياسية المتباينة أثره فى الفن والنظام الاجتماعى والشعور الدينى . اذا قرأت الشيوعيين قرأت الاندفاع الشديد الى العناية بالطبقات الدنيا والاصلاح من أمر البائسين ، فوجدت الرحمة والرفق واللين ، ووجدت الى جانبها العنف والغلظة والقسوة بالقياس الى الاغنياء المترفين الذين يستأثرون بالنعمة دون غيرهم من سائر الناس ، ووجدت الالحاد فى الدين والثورة بالكنيسة والسخط على كل نظام قائم ، ووجدت الآثار الفنية لهذا كله في ألوان التفكير والتعبير ، بل فى ألوان الفن المختلفة التى لا تترجم عن نفسها بالكلام ، وأنت واجد فى الأدب الاشتراكى ما يلائم الاشتراكية من هذا كله أشد اعتدالا مما تجده عند الشيوعيين ، وأنت واجد فى الأدب الديمقراطى ما يلائم الديمقراطية من هذا كله أشد اعتدالا واتزانا مما تجد عند الاشتراكيين والشيوعيين . ثم أنت واجد عند الملكيين غلواً شديداً فى نقائض ما تجد عند الشيوعيين . ومن هذا التناقض الشديد ، ومن هذا الخصام العنيف المتصل بين المتناقضات فى جميع ساعات الليل والنهار ، تأتلف فى البلاد الحرة حياة موسيقية رائعة حقاً ، يجد فيها العقل ما يشتهى من ألوان اللذة العقلية المختلفة ، ويتيح له ذلك براءة من السأم والملل والضيق . وأغرب من هذا أنك تجد في البلاد الديموقراطية من تصوير الشيوعية والفاشية أروع مما تجد فى ايطاليا وروسيا نفسهما ، لأن الشيوعيين الفرنسيين والفاشيين الفرنسيين يستمتعون فى تصوير آرائهم والذود عنها بحرية لا يستمتع بها نظائرهم فى ايطاليا وروسيا ، ولهم خصومهم يصارعونهم فى الصحف ويصارعونهم فى الكتب ويصارعونهم فى البرلمان ويصارعونهم فى المظاهرات ، فيمنحهم هذا الصراع المتصل المختلف حياة لا يجدها نظائرهم فى البلاد التى لا يرتفع فيها للمعارضة صوت ولا يسمح فيها بنقد النظام أو الانكار على القائمين بالسلطان

وجملة القول أنك اذا أردت أن تبحث عن اتجاهات التفكير الأدبى فلن تجد ميداناً لهذا البحث

أخصب ولا أجدى ولا أعود بالفائدة الا فى البلاد الديمقراطية التى يتحقق فيها التوازن على نحو ما بين الفرد والجماعة . ومع ذلك فقد حدثت فى الأيام الأخيرة الماضية حادثة لاتدع سبيلا الى الشك فى شىء من هذا ، وهى حادثة التاج البريطانى . أرأيت الى هذا الصراع العنيف بين شخص الملك وجماعة الامبراطورية البريطانية كلها ، كيف بدأ ؟ وكيف اتصل ؟ وكيف انتهى ؟ وكيف خرجت منها الجماعة ظافرة ؟ وكيف خرج الفرد منها ظافراً ؟ وقد حفظت الديمقراطية للامبراطورية نظامها وتقاليدها ؟ وقد حفظت للملك حريته وخلت بينه وبين ما يريد من الاستجابة لعواطفه والانقياد لقلبه ، ورضى الملك ورضى الشعب ولم يكلم أحد منهم كلا . ثم اجتهد فى أن تتصور حادثاً كهذا فى بلد شيوعى أو فاشى واجتهد فى أن تتصوره مبتدئاً ومتصلا ، ثم أن تتصور غايته التى ينتهى اليها ثم قارن بين الصورتين

أما أنا فلا أكاد أستطيع تصور حادثة كهذه فى بلد لا يستمتع بالديمقراطية . إذن لفرض الفرد ارادته على الجماعة فرضاً فاذعنت إذعاناً مطلقا لتحكم الأهواء أو لفرضت الجماعة ارادتها على الفرد فأذلته وأخضعته لما لا يريد

ولا تظن أن هذه الحادثة سياسية فحسب ، بل هى أدبية عقلية أيضاً، فقد أتيح للكتاب أن يكتبوا ، وللخطباء أن يخطبوا ، ولرجال الشارع أن يتظاهروا ، وسيتيح للشعراء أن يقرضوا الشعر ، ولأصحاب الفن أن يصوروا شعورهم بالحادثة وآراءهم فيها كما يريدون دون أن يؤذى أحد منهم فى شىء من ذلك قليلا أو كثيراً . ومن الذى يستطيع أن يقول إن هذه الحادثة العظيمة حادثة تتصل بالسياسة وحدها ولا تتصل بالفن وبالأدب خاصة أمتن اتصال وأقواه ؟ لقد حدثت فى التاريخ القديم حادثة تقاربها فتركت فى الأدب آثاراً خالدة ، وما أرى إلا أن هذه الحادثة الأخيرة ستنتج فى الأدب الحديث آثاراً خالدة أيضاً

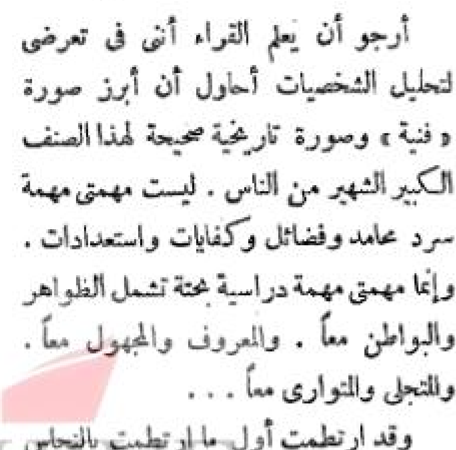
واذن فاوضح ما يقال عن الاتجاهات الأدبية فى هذه الأيام أنها تتحد اتحاداً مزعجا مرهقا مخيفاً حتاً فى البلاد التى تخضع للنظام القوى والسلطان العنيف ، تتحد حتى تكاد تجعل الناس كلهم فرداً واحداً وتفرض عليهم حياة الحيوان الاجتماعى وسيرة النمل والنحل ، ثم هى تختلف اختلافا قويا خصباً رائعا فى البلاد الحرة التى تستمتع بالحرية الديمقراطية . أو أنت تستطيع أن تقول إن التفكير الأدبى يتجه فى ظل السلطان العنيف اتجاها واحدا لايلبث أن يفيض السأم والملل، ويتجه فى البلاد الحرة اتجاهات لا تحصى ، ولكنها لا تفيض مللا ولا سأما ولا ينقضى منها عجب الباحث ولا حاجته القوية الى البحث والاستقصاء . فاما تشخيص بعض هذه الاتجاهات ورده الى مصادره الأولى ، ثم الانتهاء به الى بعض نتائجه الممكنة فشىء لا يكتب فيه فصل ، وقد لا يتاح استقصاؤه فى فصول

طه حسين

رجالنا

طلعت حرب ..!

بقلم الاستاذ فكرى اباظه



أرجو أن يعلم القراء أنى فى تعرضى لتحليل الشخصيات أحاول أن أبرز صورة « فنية » وصورة تاريخية صحيحة لهذا الصنف الكبير الشهير من الناس . ليست مهمتى مهمة سرد محامد وفضائل وكفايات واستعدادات . وإنما مهمتى مهمة دراسية بحتة تشمل الظواهر والبواطن معاً . والمعروف والمجهول معاً . والمتجلى والمتوارى معاً . . .

وقد ارتطمت أول ما ارتطمت بالنحاس باشا فى العدد الماضى . وأرجو أن أكون وفقت فى « وزنه » بالميزان الصحيح . واليوم تورطنى مجلة « الهلال » وريطة أخرى فأرتطم بشخصية أخرى عاتية كأختها جبارة . وهى شخصية « طلعت حرب » مارد المال فى مصر ...

مدرسة قديمة . . .

والرجل مهما قلتم عن نبوغه وعبقريته وعصريته فليس من حق العصر الجديد « موديل ١٩٢٠ – ١٩٣٧ » أن يحتكره ويدعيه . إنه من أبناء « المدرسة القديمة » ، المدرسة التى خرجت محمد عبده ، وسعد زغلول ، والهلباوى وغيرهم . وهؤلاء يمتازون بأن « نعومة الاظفار » – و « نعومة التربية » – و « نعومة الحياة الأولى الأساسية » لم تلن عظامهم – ولم « تدلل » أذهانهم – ولم « تذب » طباعهم . والحياة الخشنة الأولى هى خير أساس للجلد والصبر الطويل والمناعة فى العمل المضنى الشاق ، المنهك للجسم والذهن معاً . فمن يتساءل دهشا : كيف استطاع ويستطيع « طلعت حرب » أن يدير كل هذه الدنيا الاقتصادية الفادحة ؟ فهنا يجد الجواب . . .

دغرى — CORRECT

إذا أضفت الى هذه المناعة والتحصين صفة أخرى تصورت كيف تدعم هذا الحصن فى بناءيه الخارجى والداخلى ، وكيف استطاع أن يصمد للزمن ! هذه الصفة هي أنه « دغرى » أو « Correct » فقد احترف الرجل من زمن بعيد إدارة الأموال والأملاك والثروات وأعطى سلطة واسعة النطاق فى تدبير أمور موكليه والواثقين فيه فأجرى حكم الله وحكم الذمة والضمير وارتفع فوق الذروة العليا من سمعة « اليد البيضاء » و « الجيب النظيف » فحصل على « رأس مال » دونه كل رءوس الأموال وهو « السمعة الحسنة » ! . . .

فاذا علمت أن زملاءه فى هذا النوع من الاحتراف جرت تقاليدهم على استغلال مراكزهم ، والخروج من الادارة برأس مال مادى ، عظم فى عينك الفرق بين الطرف الذى ثبت ، والطرف الذى هوى وذرته الرياح . . .

ما من ثروة ، أو ملك ، أو « وسية » أو « روكية » امتدت لها يد « طلعت حرب » إلا وامتدت لها البركة وامتدت فوق يده يد الله . . .

هذا « الرأس مال » هو الذى سرى فى القطر سريان الكهرباء والسحر حين بدأ مشروع بنك مصر فتجاوبت الأجواء . بترديد النداء . فأنشأ ، وبنى ، وشيد ، واستفحل أمره وأمر مشروعاته حتى احتلت القطر من موانيه وثغوره على البحر الأبيض المتوسط الى أقاصى الصعيد حتى الشلال ! . . .

الذين يتسرعون فيغريهم النعيم العاجل على النعيم الخالد الآجل يجب أن يأخذوا من هذه الفقرة درساً ، وعلماً ، وفناً ، وعظة . . .

قاموس

ويمتاز الرجل بصفة أخرى هى أنه « قاموس » واف من الف مجلد للأسر المصرية ، وأسرارها المالية ، وحالة أفرادها الشخصية والأدبية والمعنوية . .

اذا فتحت حرف « الألف » تجد الأسرة المبتدئة بالحرف مرتبة منظمة بعقاراتها ، وأموالها ، وأملاكها ، وديونها ، ورهونها ، وحجوزها ، وبيوعها . وهكذا الحال تحت حرف « الباء . والتاء » حتى حرف « الياء » . . .

والقاموس المكون من الف مجلد ليس مخطوطا فى ورق . وليس مطبوعا فى مطبعة . وليس مرصوصاً فى مكتبة للرجوع اليه . وإنما هو مخطوط ، ومطبوع ، ومرصوص فى مكان واحد ! هو ذاكرة « طلعت حرب » وهى منحة من منح الله ، وفلتة من فلتات الطبيعة ، ومعجزة من معجزات البشر ، بل هى « قلم تحريات » واسع النطاق قلما يتهيأ لبنك من بنوك العالم بأسره . . .

هذه هى « الدعامة » القوية التى يستند اليها « رب المال والاقتصاد » فى هذا البلد ، والتى جعلت خطواته على بصيرة وعلى حذر ، والتى تفادى بها الوقوع فى الأخطاء وفى حفر الجهـل بحقائق المستدينين والمتعاملين

بروباجندست ! . . .

و « طلعت حرب » بروباجندست ورجل دعاية من الطبقة الأولى . وهو شجاع فى هـذا وجرىء ومقدام . وهو يعلم تمام العلم أن « الاعلان » فى مصر بل فى كل العالم هو سند التجارة وسند الاقتصاد وهو لا يضن على هذا الباب من أبواب واجبه بوقته ولا بماله ولا بنفوذه . وهو نهاز للفرص ذو ذوق سليم فى اختيار المناسبات وقنص الظروف وإطلاق قنابل ومدافع « الدعاية » فى الوقت الملائم . ويحار الانسان المحلل فى كيف تهيأ لرجل من « المدرسة القديمة » أن يبرع فى هـذا الضرب من ضروب الأساليب الحديثة ! فاذا ما علمت أن الرجل مطلع كثير القراءة زالت دهشتك وعلمت أنه على عملى ، نظرى واقعى ، مخضرم بين أسـاليب القرن التاسع عشر والقرن العشرين . . .

أديب واجتماعى ومحافظ ورجل دين . .

قد لا يعرف الكثيرون أن « طلعت حرب » أديب وكاتب وباحث واجتماعى . وله فى البحوث مؤلفات قديمة لا أدرى أين اختزنها ولماذا لا يعيد طبعها ونشرها وعنده كل الوسائل . وأهمها فيما يرتبط بشخصيته رده على أحـد أقطاب الفرنسيين بصدد الاسلام ، ورده على قاسم أمين . ومن هذا وذاك تعلم أنه « رجل دين وإيمان وإسلام » وأنه « رجل محافظ » يرعى تقاليـد الأسرة المصرية القديمة كل الرعاية ، وفى بعض تصرفاته الاقتصادية كان شديد التحفظ بصدد « النسائيات » وبصدد طفرة المرأة المصرية . ومن شواهد « محافظته » أنه ثائر على اتيكيت المجتمعات الساهرة . ثائر حتى على بدل الاسموكنج والفراك الا اذا اضطر اضطراراً ، ثائر على الخمر والدخان ، ثائر على كل ما يتورط فيـه رجال العصر الحديث من « فنزحة » و « فرنجة » . فما سمع أحد أنه أقام لأصدقائه العديدين من أجانب ونزلاء حفلة رقص وشراب ، وما سمع أحد انه أجرى الخيول فى السباق وأنشأ الاسطبلات كما يفعل رجال المال . . .

عنيد . . ومستأثر ! . .

يعانى المحلل الاجتماعى معاناة هائلة حين يعرض لنقط « غامضة » فى كبار الرجال . . .

فلا شك أن « طلعت حرب » عنيد ، شديد المراس . متى كون اعتقاداً أو إحساساً فى شخص أو فى مشروع ، أو فى حركة جديدة ، فأنصحك باليأس كل اليأس من أن تحول فكرته ، أو تخدش اعتقاده ، أو تغير رأيه . محال !

أسلم ـ لا جدلا وإنما بحق ـ ان الرجل لم يكون اعتقاده أو إحساسه عفواً واعتباطاً وتسرعا ، وإنما لا بد أنه بحث ، واستقصى ، وفكر ، وجمع الوقائع ، وأنضج الرأى فى « معمل » رأسه الكبير

وانما يبدو للناس ما لا يعرفه الناس . وهو لا يفضى بأسباب ولا بحيثيات وانما يكبر عليه أن يقدم حسابا عن رأيه الخاص . فهو يحتجزه لنفسه وتظل « المظاهر » بارزة لا يعرف الناس سرها فيظنون أنه « عنيد » والسلام . . .

والعجيب فى أمره أنه من كثرة أعماله وقلة أوقات فراغه وعدم انغماره في مجتمعات الطبقة العليا ونواديها وسهراتها ، لم يكون للآن « حاشية » شخصية تجارى ذكاءه وعلمه وعظمته ، أو ترتفع ـ حتى ـ الى ربع طوله وعلوه . ألا يدهشك أن تكون طبقة تفكيره وثقافته المكتسبة فى السماك ، وطبقة « حاشيته الخاصة » لا تزال تزحف على الأرض ؟ ! كيف يجتمع الضدان ، وكيف يجرى الحديث ، وكيف يدور السمر ، وكيف تحدث المناقشات ، وكيف ترتطم الآراء ، وكيف تورد اليه وقائع الحياة « النهارية » المتسعة النطاق ؟! كل ذلك لا يتصوره عقل ولا تستطيع الا التسليم باستحالة التوفيق بين الضدين ، وبين المتنافرين المتباينين . . .

وهكذا أثبت الاستقصاء النفسانى فى جميع أمم العالم أن للاقطاب والفطاحل والفحول غرائب وعجائب ومدهشات وناحية غير مفهومة فى زاوية غامضة من زوايا أمخاخهم الكبيرة . وتعليل ذلك عندى أن العظيم الضخم الذى يمضى يومه الحافل بجلائل الأعمال لابد له من رياضة ذهنية . فاذا لم يكن بطبيعته من عشاق « التنس » أو « الجولف » أو « الرقص » أو « القمار » كصاحبنا ، وجب عليه أن يريح ذهنه المتكدس المزدحم ، وأن « يتريض » رياضة فكرية وشخصية متواضعة ضعيفة لا تتعب ذهنه ، ولا تسترعى تفكيره ، ولا تكلف ذهنه ولا لسانه عناء واجهادا . . .

وهكذا يلذ لرجلنا العظيم الجبار أن يهون على نفسه وأن يستمع فى حلقته الخاصة لمنطق فقير ، وسمر فقير ، وأحاديث فقيرة ، وبيانات ومعلومات فقيرة ، وكم فى فقر المنطق والمعلومات والاخبار الشخصية والعامة من لذة ومن فائدة للمستغل المستثمر القوى الذى يخرج من التراب تبراً ، ومن أعماق المناجم ذهباً وماساً . . .

ومن أهم نواحى « طلعت حرب » التحريات و « الاستخبارات » . أليست جزءاً من عمله بالذات كرجل يجس نبض الحركة المصرية كلها ؟؟ وقد لايصلح لهذه العملية كبار معاونيه ومساعديه اما لعدم انغمارهم فى أوساط مصادر الاخبار . واما لبعدهم عن الدنيا المتكلمة و « الدردشة » الثرثارة . وقد لا يجد أصلح من هذا النبع الفقير لترديد الاخبار والاقوال ولو ترديد الببغاء . ولست أجزم تماما كيف يقدر الرجل القادر التصرف أخبار هذا الطراز من الناس . ولست أجزم تماما بأنه « لا يدخل فى حسابه » تبليغاتهم فقد تكون صحيحة جيدة الاختيار . وقد تكون على خلاف ذلك.

وانما هناك دائماً « الضمانة الواقية » وهو أنه رجل « فراز » يحتجز البضاعة المتينة لنفسه ، ويلقى بالبضاعة الرخيصة فى الهواء . . .

وقد قلنا فى العنوان أيضاً إنه رجل « مستأثر » يكلبش بيديه على أعمال الاسهم والسندات والحوالات والكمبيالات ـ والقطن والبذرة ـ وزمزم والنيل وكوثر ـ والكتان والحرير ـ وحروف الطباعة ـ والصدف ـ والسمك ـ والغزل والنسيج . . . الى آخر ما ورد ، وما يرد وما سيرد فى تاريخه الحى العجيب . « يكلبش » بيديه على الاجمال والتفصيل وعلى الجملة والقطاعى. فلا يترك شاردة ولا واردة الا ودرسها وأصدر بصددها أمراً . .

هذا كثير ! . .

وكثير فوق احتمال البشر ! . . .

ولعل المسئولية العظمى التى يحتملها على عاتقه هي التى جرته جراً الى هذا الارتطام . ولكن مطلوب الى « طلعت حرب » أن يربى بجواره شخصيات وأن يغذيهم بحمل المسئولية وبحرية التصرف و « بالاستقلال الذاتى » فى العمل . وأخرج من الحساب طبعاً صديقيه مدحت يكن ، وفؤاد سلطان ، فاننا نتكلم عن الطبقة الثانية لا الطبقة الأولى الشريكة والمساهمة . ثم من حق الوطن على « طلعت حرب » أن يقول له : ارحم نفسك نوعاً ما . . .

انه خلق بالفعل ـ وأستغفر الله فانى أقصد الخلق الاعدادى لا الخلق فى حد ذاته ـ . . . نعم خلق بالفعل طائفة من الشباب وأغرقها مسئوليات وأنضجها بسرعة البرق . ولكنه بعد أن رأى ثمرة تربيته يرجع فيطويها ويتغلغل فى عملها التفصيلى من فرط الحرص وشدة تقديره للمسئولية ويعود فيحمل نفسه كل الأعباء . . .

بعيد النظر يأسر ويغزو . . .

أما عن بعد نظره فلست أحتاج الى كلام طويل . فهذه القلاع والحصون والقصور والميادين ما رسخت ، وشمخت ، واتسعت ، إلا بفضل بعد نظره . ولعل هناك شيئاً من « إلهام الله » صان ويصون هذه المنشآت وهذه الدول والممالك الصناعية والتجارية . . .

ولكن بعد النظر يتجلى فى بحث جديد دقيق يتلخص فى أنه : آسر وغاز . . .

ما من عظيم مصرى ولا سياسى مصرى ولا موظف مصرى ولا قطب مصرى إلا وقد ربطه « طلعت حرب » برباط المعاملة المادية مع بنكه وشركاته ، والرباط المادى بآثاره ونتائجه وملحقاته رباط متين قوى نافذ المفعول !

بهذا الشكل سيطر « طلعت حرب » سيطرة كاملة على قوى الدولة الشعبية والحكومية فأمن

نزوات الأغراض ، وشهوات المشاغبة ، وهواجس الشيطان ، وضمن لمنشآته أن تنادى النداء العادل للعقول فيلبي ولاة الأمور النداء ! . . .

مناطقه الشرقية والاسلامية !

يلاحظ المحللون الاجتماعيون فى السنين الأخيرة تطوراً « لطلعت حرب » خارج الحدود ، فى الشام والعراق والحجاز وبلاد العرب والاسلام . . .

وهو جد متحمس فى خطته الجديدة بل لعله أغدق على مشروعاته هناك إغداقاً يفوق الذى توقعه المتوقعون . . .

قد يكون مرجع هذا نزعة شرقية واسعة النطاق كمنت فى نفس الرجل من زمن بعيد وآن أوان التجلى بها . . .

وقد يكون لاسلام الرجل الصحيح دخل فى الموضوع ففرض « الاسلامية » على نفسه فرضاً اسوة بفروض الله . . .

وقد يكون هذا التمهيد لشىء مختمر مختبىء فى ذهنه الكبير لا يكشفه مثلى من حافرى ومنقبى أعماق الرجال . . .

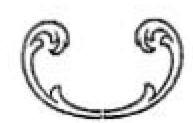
ولكن الذى لاشك فيه بلا نظر الى كل هذه الافتراضات أن الرجل فى تسلله الى خارج الحدود قد أدى واجباً عالمياً شرقياً هو أجدر الواجبات عندى بالاكبار والاجلال . . .

كفى . . .

هذه الشخصية تجرى بقلمى جرياً سريعا وجرياً متعبا وشاقاً . ولو استرسلت معها لقطعت أشواطها أنفاسى . . .

كفى أنه أعجوبة من أعاجيب الدهر الحاضر والسلام !

فكرى أباظه
المحامى



البحر الأبيض المتوسط

محور السياسة الأوربية في الوقت الحاضر

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

سياسة البحر الابيض المتوسط فى الوقت الحاضر هى السياسة الاوربية أو السياسة العالمية عامة فى حيز الاختصار . وما من دولة فى أوربا إلا وهى تحسب حساباً للبحر الابيض المتوسط، إما للسيطرة عليه أو لاتقاء الخطر من جانبه أو للتفاهم بينها وبين الدول التى لها نفوذ فيه

قال بول موران فى كتابه « طريق الهند » :

« كنت فى الصيف الماضى بضيافة ملك النفط ، ذلك الرجل الهادىء الجياش والحاسب الخالب الاريب . فرأيته في حديقته المطاولة لحديقة وندسور الملكية ، وسمعت منه وهو يهم بالابتسام كلمات صارمة وحقائق خفية تصعق كثيراً من رجال السياسة عندنا وعند غيرنا لو أنهم أحاطوا بما وراءها ، ويحضرنى منها الآن قوله : « ان لفرنسا جيشاً جراراً يعتمد كله على الآلات المتحركة . ففى الساعة الحاسمة تعلمون أن النفط الذى لديكم لا يكفيكم أكثر من خمسة عشر يوما »

« وكذلك نرى يوم يقع الصدام أننا بغير ملكة البحار أو بغير المحالفة الانجليزية لن يكون سلاحنا بحذافيره إلا حدائد مفلولات »

ومن ثم أصبحت الحكومة الفرنسية تحسب حساب السياسة البريطانية فى كل شىء ، وتكاد تتبعها فى كل طريق ، وهى على سبيل الحيطة تضاعف ما تستطيع مضاعفته من سفن الاسطول فى البحر الابيض المتوسط ، وتزيد عدد غواصاتها حتى بلغت ثلاثا وثمانين الى جانب الثلاث والخمسين التى فى الاسطول البريطانى ، وهى أقل فى الدوارع والنسافات من بريطانيا العظمى ، ولكنها تعتمد على أن دوارعها ونسافاتها تعمل فى البحر الابيض وحده أو فى البحر الابيض والمحيط الاطلسى وقليل من البحار الاخرى ، خلافا لبريطانيا العظمى التى تتفرق دوارعها ونسافاتها بين جميع البحار حول الجزائر البريطانية والهند والمستعمرات الافريقية وسنغافورة واستراليا وزيلندة وكندا وما وراء ذلك من الاملاك والملحقات . وتحاول فرنسا

أن تعوض نقص الاسطول بزيادة الاسلحة الجوية ، ولا تغفل ساعة عن مركزها ومركز الدولة البريطانية فى شواطىء البحر الابيض الغربية أو الشرقية

فالبحر الابيض المتوسط يربط بين السياستين الانجليزية والفرنسية من هذا الجانب رباطا وثيقا لا تكف الدولتان عن التأهب له أو التفكير فيه

ولقد غيرت بريطانيا العظمى خطتها فى الاستعداد الحربى تبعاً للحالة التى جدت ولا تزال تجد فى ذلك البحر الجامع المحفوف بالاعاصير السياسية ، فالتفتت إلى سلاح الطيران بعد أن طال إهمالها إياه اغتراراً بعظمة الاسطول ورجحان القوة البحرية ، وأخذت فى تنظيم وزاراتها على نمط جديد بحيث تشتمل وزارة البحرية على طيارات السفن وما اليها ، بعد أن كانت الطيارات كلها تابعة للقسم الجوى ، ولا شك فى أن هذه الحالة قد كان لها شأن عظيم فى توجيه الانتخابات الماضية وقيام الحكومة البريطانية الحاضرة ، فلولا عوارض البحر الابيض المتوسط لما نجح حزب المحافظين ولا فشل حزب العمال ومن يواليه من الاحرار

ومنذ اليوم تحسب الدولة البريطانية حساباً للطوارىء البعيدة فتهتم بالطريق البحرى حول أفريقية وبالقواعد البحرية فى سنغافورة وغيرها من الشواطىء الاسيوية

وتحسب كذلك حساباً لهذه الطوارىء فى علاقاتها بكل أمة كبيرة أو صغيرة تطل على البحر الأبيض المتوسط . فهى دائمة الاتصال باليونان وتركيا ، ومشغولة بالتقلبات الداخلية فى البانيا ويوغسلافيا ، ومكترثة بعد طول الاعراض بالقضية المصرية ، ومن آثار هذا الاكتراث أنها فتحت باب المفاوضات فيها وتطرقت منها الى الاتفاق الأخير

أما ايطاليا فهى تسمى البحر الأبيض بحرنا (Mare Nostrum) كما كان يسميه الرومان ، وتطمع بغير مراء فى السيطرة عليه بعد حين يقصر أو يطول ، وتحاول من ثم أن تشرف على السياسة النمسوية والبلقانية وتمد شباكها الى الأقاليم التركية . ومن مطامعها أو من أحلامها أن تخلف فرنسا وانجلترا على شواطئه الأفريقية ، ويزين لها ذلك أنها تملك المضايق بينها وبين صقلية وبين صقلية والجزيرة الصغيرة المعروفة باسم بانتلاريا « Pantellaria » وبين هذه الجزيرة وتونس وإلى جانبها من الشرق برقة التى لها قيمة عسكرية أكبر من قيمتها الاقتصادية

وبديه أن الدول الصغار على شواطىء البحر الأبيض تهتم بالحالة فيه أشد من اهتمام الدول الكبار ، وتتقلب الحوادث بين شعوبها على حسب التيارات التى تتجه اليها المنافسات بين من يحاولون السيطرة على شواطئه من بعيد أو قريب

فاذا وقع حادث خطير فى اليونان أو يوغسلافيا أو البانيا أو ما يليها من شعوب البلقان نثق أن هذا الحادث لا يخلو من أصبع للمنافسة بين الانجليز والطليان على الخصوص

ففى اليونان مثلا حزب الاحرار وحزب المحافظين ، أو حزب الجمهوريين وحزب الملكيين . ومن المعروف أن حزب الأحرار هو الحزب الذى أنشأه فنزيلوس وجنح به الى جانب ايطاليا بعد أن يئس من مناصرة الانجليز إياه فى غارته على آسيا الصغرى . فما زال الانجليز يغضون النظر عن الصراع بين الحزبين حتى اشتد الصراع بينهم وبين الطليان منذ سنتين ، ومن ذلك الحين أصبحنا نسمع بانقلاب خطير فى السياسة اليونانية كلما تغلب الأحرار وأوشكوا أن يقبضوا على زمام الحكومة ، وآخر ما كان من ذلك عودة الملكية الى اليونان ثم اعلان الدكتاتورية فى أغسطس الماضى على يد الجنرال « متكساس » بعد أن تعادل الحزبان وأفضى الى مجلس النواب خمسة عشر نائباً شيوعياً يوازنون بين الكفتين

وفى يوغوسلافيا يلاحظ أن الميول الانجليزية غالبة على البلاط والوزارة والعسكريين هناك . فالملك بطرس الثانى كانت له مربية انجليزية ثم ارسل الى انجلترا ليتعلم فيها ثم عاد الى بلاده بعد مقتل أبيه وله مرب من الانجليز . وليس ذلك عن حب انجلترا بل عن كراهية لايطاليا ، لأنها لا تخفى مطامعها فى تلك المملكة الحديثة التى تواجها على بحر الادرياتيك . ومنذ استفحل الخلاف بين الصربيين والكرواتيين وأدى ذلك الى قيام الدكتاتورية وسخط القوميات الصغيرة ومقتل الملك اسكندر بيد واحد من المقدونيين ، اصبحت الشعوب المختلفة التى تشملها مملكة يوغسلافيا وهي تتنازع الولاء بينها ، تارة الى الانجليز وتارة الى الطليان او الألمان ، وهذا هو المرجل الذى يخشى ان يحدث الانفجار بين الدول الصغار والدول الكبار

وفى اسبانيا ما كان احد يظن ان الدولة البريطانية تغضى عن الحكومة الشيوعية هناك ، لولا ان الفاشيين الاسبان يطلبون النجدة من ايطاليا ويساومونها على جزائر البليار أو على ميناء سبتة فى الضفة الافريقية ، ولولا ان انجلترا وفرنسا وايطاليا يعنيهن جميعاً ان تظل الحكومة الاسبانية ضعيفة الأسر منهوكة القوى لما استعصى عليهن وهن مجتمعات ان يتوسلن باحدى الوسائل الناجعة الى فض النزاع وإخماد لهيب الحرب الأهلية ولو الى اجل قريب

وقد عرفت تركيا الكمالية فرصتها السانحة فنهضت فى هذه الآونة لتحصين المضايق التى كان تحصينها محرما عليها ، فاذا بالدول يقبلن منها هذه المخالفة لاقامة الحواجز فى وجه الروسيا ، واذا بالروسيا لا تكره هذه الحواجز لأنها تصد عنها بعض الهجمات وقد تنفتح لها عند الضرورة

متى تحسنت العلاقات بينها وبين الحكومة التركية

ويظهر ان الروسيا تريد ان تقلل من تعويلها على البحر الأبيض المتوسط ، فهى قد انشأت وزارة خاصة أو ادارة مركزية لفتح الملاحة فى البحار القطبية ، واستطاعت صيف سنة ١٩٣٥ أن تسير السفن الموقرة بالمؤونة والمسافرين فى تلك البحار المهجورة ، وفتحت قناة من بحر البلطيق الى الشمال فاختصرت المسافة بين لننجراد واركانجل من ٢٨٤٠ الى ٦٧٤ ميلا بحريا ، وشرعت فى مد الخطوط الحديدية شمال الخط الممدود الآن بنحو مائتين وخمسين ميلا ، وعمرت مدن سيبيريا على أفواه الأنهار وشواطىء المحيط المتجمد لتنظيم الانتقال بين أطراف تلك البقاع الواسعة . ومهما يقل القائلون فى تعليل ذلك بالأغراض السلمية والكشوف العلمية فالذى لا مراء فيه أن أهبة الحرب فى مقدمة الأغراض التى تجرى من أجلها هذه الأعمال الضخام

ومع هذا لا نخال الروسيا مفلحة فى اجتناب البحر الأبيض المتوسط ولا قادرة على إغفال السياسة التى تدبرها الدول المشرفة عليه أو تنوى هى تدبيرها تطبيقاً لمذهب الشيوعية أو إحباطاً لبعض المساعى التى تتقى عواقبها الخفية . وأمامنا موقف الروسيا من مشكلة اسبانيا شاهد قوى على مكان هذا البحر من الخطط الروسية

***

ذلك هو مجمل الحالة التى تدور عليها سياسة البحر الأبيض المتوسط ، وسوف يزداد اهتمام الدول بهذه السياسة ويشتد التنافس بينهن على توجيهها والأخذ بناصيتها . ولا نظن الاتفاق المعروف باتفاق « الجنتلمان » بين انجلترا وايطاليا يغنى شيئاً فى هذه المنافسة المستحكمة ، الا أن يمهد الطريق للتراجع الى ضرب من العداء المستتر أو المودة الظاهرة ، وغاية ما يرجى من حالة التنافس بين الدول المعنية بالبحر الأبيض المتوسط أنه يتيح للأمم الصغيرة التى على شواطئه أن تعزز قواها وتستكثر من جندها وسلاحها ، لأن الدول الكبار لا تجرؤ على منعها والاستبداد بأمرها حرصاً على رضاها ومخافة من انتقاضها . ولعل هذه القوة التى تستفيدها الأمم الصغار تحمى السلام فى العالم وتخفف بعض الشىء من أخطار الحروب ، لأن تسخير هذه الأمم أو احتلال بلادها ضرورى للدولة الكبيرة التى تقدم على الحرب فى الأحوال الحاضرة ، وليس من السهل أن تستباح بلاد يملك أبناؤها السلاح ، ويقدرون على المقاومة والاستقلال أو المعاونة القائمة على حرية الاختيار

عباس محمود العقاد

أدبنا الآن يمثلنا

وما الأدب إلا صورة الحياة

بقلم الاستاذ امين الخولى

المدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية

« . . فى الحق أن أدبنا فى عربيته وغربيته ، وقديمه وحديثه ، ثم فى تمامه وتقلقله ليس إلا صورة صادقة لحياتنا الاجتماعية . . »

كتب الاستاذ الجليل احمد أمين فى هلال يناير مقالا عنوانه « أدبنا الآن لا يمثلنا : حاجته الى التطعيم بالأدب الأجنبى » . وأ كتب كلتى هذه وعنوانها ما ترى ، فالمقابلة واضحة لا تحتاج الى بيان . . أما ما عساه يحتاج الى شىء من البيان فهما تحية أقدمها ، ورأى أبديه

فأما التحية فللمثل الأعلى فى النقد النزيه ، والمناقشة البريئة الأدبية ، التحية لأله النقد ــ ان صح هذا التطعيم الأجنبى ــ أستوحيه وأستلهمه ، لأن النقد الشائع والمناقشة الرائجة فى مصر لا تفلح فى أن تأخذ الا إحدى صورتين : خصومة حاقدة ، تشفى غلتها ، وتشبع حنقها ، وتكذب فى دعوى البحث العلمى ، وحب الحقيقة ، وأشباه ذلك من عبارات كاذبة مجرمة ، أو صداقة محابية ، ترضى هواها ، وتخدم غرضها ، وتكذب فى دعوى الوزن الدقيق ، والتحرى المنصف ، وما الى ذلك من أقوال مفضوحة مكشوفة

وانى لأحاول أن ألقى الى القارىء غير ذلك راجياً ألا تخوننى نفسى ولا يغلبنى ضعف

بينى وبين الاستاذ احمد أمين من الأواصر والصلات كثير يتقاضانى أقله السكوت ، طاعة لشرعة هذا النقد المتعارف . فلى منه الاستاذ ، والصديق ، والزميل ، والجار ، وما الى ذلك من نعوت كلها محبب مقرب ، وكلها يبدى مخالفتى إياه فى صورة مبغضة عند من يعرف النقد على هذا المعنى الفاسد . لكنى أتقدم لمخالفته ومناقشته ، ونقده فى غير ما تهيب ، وفى غير ما هوى له أو عليه ــ ما استطعت ، وفى عبارة لن يراها ــ ان شاء الله ــ مثيرة لغير الرضا التام . وتلك هى المحاولة التى اعتدتها تقدمة ، وقربة للمثل الأعلى فى النقد ، وتحية لقدسية هذا المثل وحرمته وطهره

هذه هى التحية . وأما الرأى فما أحب أن أقرره من صحة اعتبار الأدب صورة الحياة دائماً ، وان أدبنا يمثلنا فى هذا العصر تمام التمثيل . وليس يثبت ذلك الا أن ننظر فى دقة لحياتنا ، ونتفق على من نحن الآن ؟ ولسنا الا شرقيين قد ورثنا حضارة لها مزاجها وكيانها . ثم طلعت علينا حضارة غربية لها مزاج آخر ، وكيان آخر ، وهاجمتنا محاولات لاحياء قديم أسبق من الحضارتين

تثير عصبيتنا لمجد أسبق شاده الفراعين ، فنحن بين هذا وذاك اشتات بدد : يذهب كل فريق الى ناحية ، ويلوذ بزاوية ، أو يقوم فريق وسطا بين هذا وذاك . ومظاهر هـذا التقسيم واضحة فى حياتنا ، فلا أقول لك مثلا إن فى مصر دارين للآثار مصرية وعربية ، ودراستين للآثار مصرية واسلامية ، ولـكن أقول لك إن لدراسة الأدب نفسه فى مصر معاهد ثلاثة : كلية الآداب تجنح للثقافة الحديثة الغربية ، والأزهر بكليته للغة العربية يحتفظ بالشرقية جاهداً ، ودار العلوم تميل الى هنا حيناً وتصد عن هناك حيناً . وانظر مع ذلك فى صنوف التعلم عندنا ، تجد مثقفين قد وردوا مناهل العلم فى جامعات الغرب ، وتعرفوا الى الحضارة النشطة القوية العاملة . وتذوقوا أو حاولوا تذوق صنوف الفنون المبدعة ، فى مثلها السامية . وإلى جانب هؤلاء متعلمون قد عكفوا على القديم ليس غير ، فهم يحرمون الفنون ، ويودون بجدع الأنف لو مزقوا الصور ، وحطموا التماثيل ، وأغلقوا دور السينما ، يعدون المتحف المصرى داراً للأصنام ، وبقية من جاهلية وثنية . ثم هناك آخرون قد مروا بمدارسنا المدنية ، وقطعوا مراحل التعليم فيها ، فتنسموا ريح تلك الحضارة الحديثة واتصلوا بتلك الفنون اتصالا تاما ، فهم يتحدثون عن الاجادة الفنية ، والدقة فى الذوق ، وينعتون الاخراج والأداء ، ويذكرون الحس الفنى وقوته و و . . وآخرون قد أصابوا حظاً من ذلك يختلف قلة وكثرة ، وضيقاً وسعة بما يتهيأ لهم أن يمروا من خطوات التعليم . وإلى جانب هؤلاء وأولئك ، ترى ناساً توسطوا بين هذه الأطراف ، ونالوا نصيباً من كل جانب ، يتحدثون الى أهل القـديم فيفهمونهم ، ويجدون من قديم اصطلاحهم ، وموروث علمهم ما يرضى ويطمئن ، وان تحدثوا الى أهل الحدث سمعوا منهم ، ولقوا عندهم من البـديع الجديد ما يقرب اليهم . وتعجب إذ ترى كل هذه الأنماط والأشكال من المتعلمين ليسوا الا قلة لا تقوم الا بعشر الأمة ، ووراءهم كثرة حافلة تربى على تسعة الأعشار ، قد رتعت فى أميتهـا ، وقنعت بعاميتها ، وتقسمها جهل اختلفت صورته فى الشمال عنها فى الجنوب ، وغايرهما الوسط . فان تكتف فى الحديث عن الأدب بالنظر الى القلة المعدودة ، والنسبة المحدودة ، فأنت واجد ـ ولا غرابة ـ ما أشار اليه الاستاذ من أدب عربى أنس اليه بعضهم ، ووجد فيه الـكفاية بل ما فوقها . وأنت واجد ـ ولا غرابة ـ من استروح الى الادب الغربى فى مصادره وأصوله التى تنالها ثقافته ، ويتهيأ له تذوقها فى لغاتها ، ثم أنت واجد ـ ولا غرابة ـ من يقنع من العربى والغربى بما قد تناله يده من منثورات مترجمة أو مقطوعات خفيفة هشة فى أصولها الأوربية ، أوراض بالمزيج الذى تخرجه المطابع من قديم تحييه ، أو حديث تلخصه أو تترجمه . واستمع إذ يتلاقى هؤلاء وأولئك تسمع خبر مناظرة بين أزهريين وجامعيين : يقول الأولون إن الأدب القديم كاف لثقافة الأديب ، فيقول الآخرون لا . بل لا بد من الأدب الاوربى فى ثقافة الأديب ، أو تسمع من يقول باقتباس المدنية الأوربيـة فى جملتها وبرمتها ، ومن يقول بالاحتفاظ بالشرق القديم فى أصله وجوهره . وهكذا يقوم جدنا على هذا الاختلاف ،

ويتصل هزلنا بهذا الاختلاف ، وقد تفرقت ألوان حياتنا ، كما تفرقت أزياؤنا فتفاوتت آلامنا واختلفت آمالنا ، وتغايرت مثلنا ، وكذلك كان الأدب الآن صورة حياتنا هذه ، بل صورة أدق وأضبط ما تكون الصورة

فلعل أصدق ما يقال فى وصف أدبنا الآن أنه لا يمثل مصرية قد ائتلف عنصراها ، والتقى على وفاق طرفاها ، وقد طاب منهما الأصلان ، وكرم العنصران ، من فرعونية قادت الانسانية وأسست المدنية ، وعربية شاركت فى تمدين الدنيا ، وحملت مشعل الهدى . فنحن منهما بين أصلين كريمين ، كالمرء قد كرم أبواه وعز أصلاه ، على أنه يعد خلقاً غيرهما جديداً ، خلق لزمان غير زمانهما ، وعاش بكيان هو من كيانهما ولكنه غيره . أجل لا يمثل أدبنا هذه المصرية ، ولكن أين هى تلك المصرية اليوم ؟ ؟ انها تحاول الوجود ويقوى رويداً رويداً ساعد الدعوة اليها والعمل لها ، وطموحنا الأدبى يتقدمها ويستشرف لها فيؤيدها بما يملك اليوم من موادها وأصولها ، ويبحث عن أطيب عناصرها ليغذيها بها فيشعر فى قرارة نفسه بقلق واضطراب ، يمثلهما مقال الاستاذ احمد أمين فى حكمه عليه ، وهذا الشعور هو أول تخطيه الذهنى نحو الكمال

وهذا الطموح الأدبى والاستشراف الفنى هو الذى يكون أمامنا ، والماضى قدما نحو غايتنا ، يحلم بها ويتعشقها ويناجيها حتى تتحقق ، فيكون لنا إعار أدبى يصورها ويمثلها

فى الحق أن أدبنا فى عربيته وغربيته ، وقدمه وحداثته ، ثم فى تململه وتقلقله ليس إلا صورة صادقة كل الصدق لحياتنا الاجتماعية التى لا يترجم لها عنوان موحد ، ولا تبرز لها صورة مكتملة

ومن هنا أقول للاستاذ الجليل إن الأدب لا يزال كدأبه صورة الحياة ، وهو اليوم كما كان فيما مضى وكما سيكون فيما يلى ، وإن أدبنا فى مكانه من الحياة ، وإن طموحنا الفنى يحدونا ويتقدمنا

ويوم يكمل ايماننا بمصريتنا ، ويقوى عملنا لها ونعتز بتمجيدها وتقديسها ، بعد توحيدها وتدعيمها ، إذ ذاك يظهر أدبنا الذى هو صورتها دون أن نخلقه خلقاً ، أو نتعمل له تعملا لأن العلم يصطنع ، والصناعة تفترع ، والنشاط يخلق ، أما الفن فلا . . . انها صورة كل أولئك بعد أن يوجد ويتحقق

وما أصدق القولة القديمة المأثورة : « لا يستقيم الظل والعود أعوج » ، ولا كالظل العود من الأدب حين يصور الحياة . وليس يخفى على الاستاذ طريق تقويم العود وتدعيم الأصل ، والعمل لابراز المصرية المنشودة فيكون الفن الذى يغنى مجدنا ، ويهتف لنصرنا ويكبر عظمتنا ويحيى آمالنا . كما لنا اليوم ذلك الأدب الذى يمثل اختلافنا وافتراقنا ويصور دور انتقالنا

وحسبى ذلك ، فما أرانى إلا قد اكلت نقدى غير مصانع ولا جائر فأديت التحية وأبنت الرأى

أمين الخولى
المدرس بكلية الآداب

ساعة الوحي

آراء لطائفة من الادباء

تمر بالاديب ساعات يسلس فيها قياد القريحة فتجود بالانتاج الخصيب، وأخرى تستعصي فيها القريحة فلا تجود بشيء . وفي هذا المقال يتحدث طائفة من أدبائنا عن هذه الساعات كيف تأتي ومتى ؟

الاستاذ عباس محمود العقاد

« إن من خصائص الفنون الأولى أنها لا تتقيد ببرنامج ، ولا تخضع للنظام « الآلي » الذي تخضع له الصناعات اليدوية وما شابهها ، ففي ساعة تكتب عشر صفحات وفي عشرة أيام لا تكتب صفحة واحدة ، وأنت لا تستطيع أن تجزم متى تكون تلك الساعة المباركة قبلها بفترة وجيزة ، وإن كنت تستطيع أن تلجأ الى جميع الوسائل

« على أن خير الحالات جميعاً ، بل الحالة التي لا غنى عنها لفنان ، أن تكون النفس في حالة « حركة » لا في حالة ركود أو جمود . ومعنى الحركة أن تجيش النفس بعاطفة من العواطف ، أو تهتز لشعور غالب ، كالحزن ، أو كالحب ، أو كالاشفاق ، أو كالتفتح بالعاطفة والاستعداد للشعور بما يشعر به من حولها أو ما يلوح على ما حولها من المناظر والأشياء

« ويجب أن أتحدث هنا عن تجربتي الخاصة ، لأن التجربة الخاصة في هذه المسائل هي كل شيء ، وهي كذلك كل شيء حيث لا توجد القواعد المقررة التي يتفق عليها جميع الناس

« فمعظم ما أنظم من الشعر إنما أنظمه باقتراح من عند نفسي ، لا أتقيد فيه بموعد ولا بغاية . فان لم يتيسر نظمه الساعة فليرجأ الى ساعة أخرى في يوم آخر . ولا داعي للعجلة أو للفراغ من النظم في موعد مرسوم

« ولكنه يتفق بعض الأحيان أن تأتي المناسبة التي أتلقى فيها اقتراحا بنظم قصيدة مطلوبة لموعد معلوم . فماذا أصنع في هذه الحال ؟ لم أستطع مرة واحدة أن أعد وعداً جازماً بنظم القصيدة في موعدها . ولكني جريت على ان أستمهل المقترح أياما قبل الجزم بالقبول . ثم ابدأ النظم على اعتبار انى لم اتقيد باجابة ولا بموعد ، ويحدث في جميع الأحوال أن تتم القصيدة قبل ان اجيب بالقبول ، وان تتم احياناً في يوم واحد أو ساعات قليلة . ولكني مع تكرار هذه التجربة عشر مرات أو

اكثر من ذلك لا ازال أشعر بالحاجة الى تلك الحيطة وذلك الاستمهال ، ربما أبدأ التجربة وإنى غير مقيد بيوم ، ولا متوجس من الخلف ، ولو على فرض بعيد . . . »

الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« الأدب ليس عندى فناً ، أو هو على الأصح قد صار صناعة لى ، ولا أرانى هويت بمقامه حين أقول ذلك ، أو غضضت منه . وقولى إنه صناعة هو الوصف الصحيح لما يصير الأمر بعد طول المزاولة

« والمرء فى شبابه تحلو له بعض الألفاظ فيتعلق بها ، وان كان لا يحيط بمعناها ومدلولها على الوجه الصحيح ، ومن هذه الالفاظ كلمة « الوحى » . ومعروف أن الحياة كلها قائمة على الايحاء ، وأعنى بالحياة حياة الناس من كل وجه . والايحاء متبادل بلا انقطاع أو فتور . وكل امرىء يستوحى من غيره ومن الأشياء ويوحى أيضا الى سواه . وما من خاطرة أو خالجة الا وهى وليدة خواطر أو خوالج أخرى . ولكل ما يدور فى النفس الانسانية من الآراء والاحساسات ، أو الخوالج على العموم أبوان كالانسان نفسه ، وجدود معرقة فى القدم تعريق أبينا آدم . ولست اعرف « وحياً » خاصاً للأدب ، فان الأديب يستوحى من كل انسان ، وكل ما هناك من الفرق بين الأديب وغيره ان الأديب أسرع تلقفاً للوحى واستجابة له

« أما عن استعصاء « الوحى » أحياناً فانى أفهم منه أن الايحاء الى النفس يكون ضعيفاً فلا يجد الأديب منها استجابة كافية . ولا حيلة له فى هذا . وخير له فى هذه الحالة ألا يحمل نفسه على استجابة لا يحس منها استعداداً كافياً لها . ومن الأدباء من يستعين — أو يقال إنه يستعين — على الاستجابة بوسائل صناعية ، وهذه سخافة وإرهاق ، وخير له وللادب عند الفتور ألا يصنع أو يحاول شيئاً ، حتى تنشط نفسه . وهذا هو ما أتوخاه أنا على الأقل ، فما أحسست قط فتوراً عن الكتابة ، أو عن أى شىء مما أعالجه من أمور الحياة المختلفة ، الا انصرفت عما أراه مستعصياً على أو أرى نفسى فاترة عنه »

الاستاذ انطون الجميل بك

« لا أعتقد ان للوحى زماناً ومكاناً خاصين ، وقد اعتدنا — ان صواباً أو خطأ — ان نقرن الوحى بالهبوط فنقول : « يهبط الوحى » قاصدين انه الهام يتنزل الينا من عل ، فى حين ان الوحى قد يصعد الينا مما نراه على الارض كما يهبط علينا من السماء ، أو يأتينا مما يحيط بنا . كذلك قد يجيئنا ونحن قابعون فى مخدعنا أو سائرون فى الطريق أو متنزهون فى حديقة غناء أو مسترسلون فى حديث يثير الحزن أو الطرب ، والرضا أو الغضب

« وكذلك قل عن الزمان فالوحى كالسارق لا نعرف متى يدخل علينا فى النهار أم الليل أم عند صياح الديك . ولعادات الانسان ونظام حياته تأثير بعيد فى كل ذلك . فهذا الشاعر الذى يشغل نهاره فى كسب رزقه لا يعرف ان يخلو الى شيطانه الا اذا جن الليل وحال سواده بينه وبين ما يحيط به

« يروى عن الشاعر « الفريد دى موسيه » انه كان اذا أراد النظم نهاراً أغلق نوافذ غرفته ليحجب ضوء النهار وأشعل مصباحه ليوهم نفسه انه فى جوف الليل

« أما الوسائل التى يلجأ اليها الفنانون حتى يسلس لهم الوحى قياده فكثيرة منوعة وكلها يرجع الى تنبيه الاعصاب ، فهذا لا يجيئه الوحى الا بين سيجارة يدخنها وقهوة يرتشفها ، وذلك لا يأتيه الالهام الا من خلال حبب كأس يحتسيها

«وحكوا عن الشيخ نصيف اليازجي انه كان اذا عصاه الشعر دعا «أم حبيب» زوجته لتهيء له الشيشة

« ورووا عن بير كورناى انه فى مثل هذه الحالة كان ينادى أخاه توماس من الدور السفلى فى الدار قائلا : « سلفنى قافية »

« وقرأت عن أحد نواب فرنسا الذين اشتهروا ببلاغتهم الخطابية منذ بضع سنوات انه اذا أراد تحضير خطبة كان يركب سيارته ويقودها بنفسه ساعة من الزمن فى أقصى سرعة ، ثم عاد يكتب خطاباً يثير العواطف ويهز أوتار القلوب

« وهكذا ترى ان لكل فنان طريقته فى استحضار وحيه »

الاستاذ توفيق الحكيم

« ليس لى وحى ، فان آلهة الفن لم يشرفونى بهذا السفير ذى الاجنحة الشفافة البيضاء يبعثونه إلى فى لحظة من اللحظات . انما الوحى الذى أعرفه هو انكباب على المكتب ثمانى ساعات فى عمل متصل ، فاذا لم يأت وحى فى خلال هذه الساعات الطويلة فانه لن يأتى مطلقاً . على أن الصعوبة عندى هى إرغام نفسى على الجلوس الى المكتب وتهيئة ذلك الجو العبق برائحة الخلق والابداع المشبع بروح التناسق والجمال ، ذلك الجو الذى يمكن أن يخرج فيه شىء جميل . ولى فى ذلك طريقتى التى تناسبنى ، وهى أن أدير « الجراموفون » واستمع الى الطفل الالهى « موزار » ساعة من الزمن أو ساعتين ، فاذا يدى فى غالب الاحيان تجرى بعد ذلك على الورق ، واذا الجراموفون وهو يقف من تلقاء نفسه ، قد صمت منذ زمن طويل دون أن أشعر به ، واذا أنا محاط بصمت عميق لا يقطعه غالباً الا رنين الساعة الكبيرة تدق دقات عرف منها أنى غبت عن الوجود ، منكبا على العمل أكثر من خمس ساعات . والويل كل الويل لمن كان بينى وبينه ميعاد خلال ذلك الوقت، فان كانت ثقته فى دقة مواعيدى مازالت موجودة وانتظرنى ، فانه يجدنى قد تأخرت عليه لا بأرباع الساعات ولا بأنصافها ، بل . . . »

الاستاذ احمد رامى

« لست أدرى متى يجرى الشعر على لسانى . ولكنى أحس دبيباً فى روحى اذا ما أخذتنى سهمة طويلة وأنست الى الوحدة ، ولو بين غمار النفس

« هنالك تأخذنى هزة من الطرب الى شىء من الشعر ، لى أو لغيرى ، فأورده فى شىء من التغنى ، حتى اذا ما طربت وغام الدمع فى عينى ، انتقل بى الخاطر الى المعنى الجديد الذى قصدته فى شعرى . فاذا لان لى المطلع واتزن المقام فى الصوت وشعرت بالحلاوة التى أريدها ، تم لى ما أردت وخرجت من هذه الجلسة بقطعة كاملة ، لا ازال اردد أبياتها حتى أحفظها عن ظهر قلب بغير أن اخط منها حرفا ، ثم امليها على نفسى ، وانظر فيها مكتوبة وقلما اغير فيها شيئا

« على ان هنالك ساعات يلين فيها الخيال ويتدفق الخاطر ، منها ساعة الغسق حيث يختلط النور بالظلام ، فيخرج منهما شىء كالضياء المنعكس تأنس له العين ويسبح فيه النظر . وساعة القمر حين يغمر ضياؤه السماء ويلقيه على الارض فيجعل من الشجر أشباحا تمايل . وساعة الوسن حيث أشعر أن الناس كلهم نيام وانا الصاحى وحدى . . .

« هذه الساعات أنسب ما تكون للنظم وألين ما تكون قياده . أما اذا عصى الخاطر والتوى البيان وهربت القافية ، فلا سبيل الى استحضار الوحى ، ولو تم كل ما تقدم من مهيئات الشعر

« ورحم الله الفرزدق حيث يقول : تأتى على الساعة وخلع ضرس من أضراسى أهون على من قول بيت من الشعر ! »

الاستاذ على محمود طه

« لعل الذكرى أعظم الملهمات التى أفاضت على وحى الشعر ، سواء فى ساعات مرحى ، أو لحظات كآبتى . وأكثر الساعات احتفالا بانتاجى الفنى — أو موافقة له — هى ساعات الليل بعد انتصافه، صيفاً كان ذلك أو شتاء ، فان روعة الليل ومشاهده تشجينى وتسمو بى عن السكون المادى الذى يستبد بغرائزنا حينا وعقولنا أحيانا

« وليس من عادتى أن أقبل على الكتابة الا اذا دفعتنى الى ذلك عاطفة ملحة ، أو أنست من نفسى القدرة على التعبير عن شعور خاص ، تعبيراً صادقا شافيا . فاذا بدأت الكتابة ثم انصرفت عنها لداع ، وعدت بعد ذلك الى إتمام ما بدأت فلم تسمح لى النفس ، حاولت ذلك بغشيان دور السينما ، أو العزلة فى غرفتى ، أو التريض منفرداً بنفسى فى بعض الحدائق ، أو على ضفاف النيل ، الى ساعة متأخرة من الليل ، حيث استمتع بالاستغراق فى تأملاتى والاتصال بالأشباح والاصداء الهائمة فى عالمى العقل والحس ، أو المرأة والطبيعة . . . »

أدوار الصراع بين

الثقافة الأزهرية والثقافة الحديثة

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

« ... من الخطأ أن تتصور هذا الصراع نضالا يضطرم بلون الخصومة ، وانما هو تنافس ثقافى ومعنوى بين أساليب الفكر القديمة والحديثة . وفى اعتقادنا أن الأزهر ضرورى لصرح ثقافتنا الجديدة ضرورة الجامعة المصرية ذاتها ، وانه برسالته ومهمته الخاصة يتمم رسالة الثقافة القومية العامة ... »

قبل فاتحة القرن التاسع عشر لم يكن فى مصر ثمة مجال للتحدث عن المنافسة أو الصراع بين الثقافة الأزهرية وبين أية ثقافة أخرى ، فقد كان الأزهر حتى ذلك العهد ، كما كان طيلة القرون ، منبع الحركة الفكرية ومثوى الثقافة العامة فضلا عن الثقافة العليا ، ولم تحل ظلمات العصر التركى الذى استطال ثلاثة قرون دون قيام الأزهر بمهمته الفكرية العظيمة ، بل لبث خلال هذه الظلمات الكثيفة ، وهذا الانحلال الشامل محتفظا بتقاليده العريقة ، أميناً لرسالته ، حريصاً على تأديتها ، ولبث معقل الحركة الفكرية الاسلامية ، وأعظم مورد للثقافة العربية فى المشرق كله

وانما يبدأ حديث الصراع بين الثقافة الأزهرية والثقافة الحديثة منذ الفتح الفرنسى . ففى خلال الفترة القصيرة التى قضتها الحملة الفرنسية فى مصر ، نشأت بذور حركة جديدة لم تتفتح عواملها ولم تتضح وجهاتها إلا بعد ذلك بفترة طويلة ، ففى أثناء وجود الفرنسيين بمصر استطاع بعض العلماء والمفكرين المصريين أن يشهدوا عن قرب مظاهر حضارة جديدة متقدمة ، وأن يقفوا على طرف من مظاهر العقلية الغربية وطريقتها فى التفكير والعمل . ويعرب لنا الجبرتى مورخ العصر ـ وهو من علماء الأزهر ـ فى أكثر من موضع من تاريخه عن شديد اعجابه بما حمله الفرنسيون الى مصر من ضروب الثقافة وغريب الفنون والمخترعات ، ويصف دار كتبهم التى أنشأوها بحى الناصرية ، وما رأى فيها من الكتب النادرة والصور الممتعة ، والتصانيف الاسلامية المترجمة ، ثم يصف لنا دار الكيمياء وما شاهد فيها من غريب التجارب والاختراعات ، ودار التصوير وما فيها من صور متقنة لكبار العلماء ورجالات مصر يومئذ وصور الطبيعة والحيوان والنبات ، ويمتدح تقدير المحتلين للعلماء وترحيبهم بكل قارىء ومفكر

وليس اعجاب مؤرخ العصر بما شهد من مظاهر الثقافة الحديثة إلا صدى لنوع من التقدير العام . ولقد كان تقدير التفكير المصرى لهذه المظاهر الجديدة فى الدرس والبحث أول ظاهرة

نفسية تدل على الاتجاه الجديد الذى يتطلع اليه التفكير المصرى ، وكان الركود الطويل الذى انحدر اليه الأزهر فى أواخر العصر التركى ، وما توالى عليه من الارزاء والمحن ، وما أصاب هيبته وموارده من الضعف ، قد أخمد جذوة ذلك الشغف القديم بالثقافة الازهرية ، خصوصاً بعد ان فقدت كثيراً من مزاياها الادبية والمادية القديمة . ومع أن شبيبة العصر كانت تلجأ الى الازهر باعتباره مورد الثقافة الوحيد يومئذ ، فانها كانت تتطلع الى نوع آخر من الثقافة يكون أكثر ملاءمة للروح الجديدة التى سرت الى مصر عقب الفتح الفرنسى ، وكان للفتح الفرنسى فضل كبير فى بعثها

ولم تفت هذه الظاهرة محمد على الذى آل اليه تراث مصر ، وأخذ يوجه مصائرها السياسية والاجتماعية والثقافية الى نواحيها الجديدة بذكاء وبراعة تدعوان الى الاعجاب . ولقد وضع هذا المصلح العظيم أول دعامة فى صرح ثقافة مصر الحديثة ، ولم تقف همته عند انشاء المدارس المختلفة الابتدائية والتجهيزية والخصوصية كمدارس الطب والهندسة والالسن والفنون والصنائع (العمليات) ـ ولكنه عنى أيضاً بارسال الطلبة المصريين الى أوربا ليتلقوا ثقافتها وعلومها الرفيعة ، ولينشئوا الثقافة القومية فيما بعد على أسس محدثة . ومنذ سنة ١٨٢٦ تتوالى البعثات المصرية الى أوربا ، الى فرنسا وانكلترا والنمسا . وبلغ عدد هذه البعثات تسعاً أو عشراً ، وبلغ عدد طلبتها أكثر من ثلثمائة ، وبلغ ما أنفق عليها زهاء نصف مليون . وتلقى هؤلاء الطلبة المبعوثون الدراسات العليا فى الادارة والحقوق والعلوم السياسية واللغات والهندسة والطب والكيمياء والرياضيات ومختلف الفنون العسكرية والعملية ، ونبغ منهم عدد كبير فى مختلف العلوم التى تلقوها . وكانت صفحة باهرة فى تاريخ مصر الحديث تشهد لكاتبها المصلح العظيم بعبقرية مستنيرة نادرة ، وكانت جهود هذه الجمهرة من الطلاب والعلماء النوابغ أعظم دعامة قامت عليها ثقافتنا الحديثة

بيد أنه يجب ألا ننسى نصيب الأزهر فى هذه الحركة الثقافية الباهرة ، فقد كان بين طلاب هذه البعثات عدد كبير من طلاب الأزهر ، وكان منهم نوابغ أفذاذ مثل رفاعه بك الطهطاوى امام البعثة الأولى وصاحب الفضل فى انشاء مدرسة الالسن الشهيرة ، وابراهيم بك النبراوى وغيرهما ممن تلقوا دراستهم الاعدادية بالازهر . ثم ان ابناء الأزهر هم الذين اضطلعوا باعظم قسط فى اخراج الموسوعات والمراجع العربية والاسلامية التى عكفت مطبعة بولاق على اصدارها منذ منتصف القرن الماضى ، والتى ما زالت أثمن وأجل مجموعة فى المكتبة العربية ، وكانت من أعظم العوامل التى مهدت الى بعث الادب العربى القديم

كان الأزهر قد بلغ فى تلك الفترة منتهى الركود والضعف ، وكان تقدم الحركة الثقافية الجديدة نذيراً بتأخره وقصوره عن مجاراتها ، وعاملا فى انصراف الأذهان الطموح عن وروده ، بيد أن الأزهر لبث مع ذلك موئل الثقافة الشعبية العامة ، ولبث محتفظا ببقية من تلك الجذوة القديمة التى

طالما سطعت فى عصوره الماضية ، ولبث بالأخص معقل اللغة العربية وعلوم الدين . ولما ظهرت ثمار النهضة الثقافية الجديدة فى عصر اسماعيل ، كان الأزهر قد أخذ يفيق من سباته الطويل ، ويبرز شيئا فشيئا من غمر الماضى ، ويتطلع بدوره الى تفهم الروح الجديد ، وكانت هذه اليقظة بطيئة ولكن محققة . وفى سنة ١٨٧١ ظهر فى حلقات الأزهر المصلح الاسلامى الكبير السيد جمال الدين الافغانى ، والتف حوله عدة من نوابغ الطلاب والشيوخ الازهريين ، فكان ظهوره حادثاً فكريا واجتماعياً عظيما ، وكان عاملا فى تغذية الروح الجديد الذى سرى الى الحركة الفكرية الاسلامية ، ثم كانت الثورة العرابية فبعثت المحنة الى مصر بطائفة من الزعماء الأقوياء سواء فى ميدان السياسة أو التفكير ، وكان للازهر نصيبه البارز في تكوين الزعامة الفكرية يومئذ ، ويكفى أن نذكر أسماء مثل سعد زغلول ومحمد عبده وغيرهما ممن تخرجوا فى الأزهر فى تلك الفترة ، لنبرهن على أن هذا المعهد التالد لم يفقد خلال عصور الانحلال والتأخر كل حيويته الفكرية القديمة

بيد أنه يلوح لنا أن هذه الأمثلة البارزة كانت خاتمة عهد نخشى ألا يراه الأزهر بعد . ذلك أن تيار التطور قد حمل الازهر فى طريقه ، ولكنه لم يحمله الى الطريق السوى . أجل فقد اضطرم الازهر بروح الاصلاح الجديد ، ولكنه لم يظفر منه إلا بالمظاهر العرضية ، وقد خلع الأزهر رداءه العلمى القديم وبدا لنا فى شكل جامعة وكليات منظمة ، ولكن هذا التغيير لم يتناول سوى المظاهر الشكلية ، ولم يظفر الازهر بعد ببديل يعوضه عما كان يتمتع به من التقاليد والمزايا الدراسية القديمة ، ولم يعن زعماء الاصلاح الازهرى بالاخص بتحديد مهمة الازهر الجديدة تحديداً واضحا ، وما زال الازهر يجمع بين مزيج غير واضح من الاساليب القديمة وبعض مظاهر الثقافة المحدثة ، وما زال عليه أن يشق لنفسه طريق الوضوح والاستقرار

وليس شك فى أن الثقافة المحدثة قد تبوأت فى مصر المكان الأول ، وأحرزت نصرها النهائى على تراث القديم وأساليبه ، وهي تؤكد هـذا النصر كل يوم بما تخرجه من جندها المستنير الطموح الى الحياة العصرية بكل ما فيها من المزايا المعنوية والمادية . بيد أن ذلك لا يعنى أن مهمة الأزهر قد انتهت أو أنها يجب أن تنتهى . ذلك أننا نعتقد بالعكس أن للازهر مهمة جليلة ، وأنه يستطيع الاضطلاع بها إذا وفق الى اتخاذ الوسائل والأسـاليب الصالحة لتأديتها ، تلك المهمة هى العمل على تدعيم رسالة الاسلام ، ورسالة اللغة العربية والحضارة الاسلامية . ولقد كان الأزهر معقل هذه الرسالة طوال العصور الوسطى والعصر التركى ، وفى وسعه أن يكون معقلها اليوم ، بيد أنه يجب لذلك أن ينزل الازهر الى ميدان الحياة الجديدة بروح جديدة ، وقوة فتية ، ويجب أن يتحرر من غمر الماضى نهائياً . وعليه قبل كل شىء أن يفهم حدود مهمته ، وأن يكرس جهوده لتأديتها ، ويجب أن يجعل الأزهر من نفسه كلية حديثة بكل معانى الكلمة على مثال الكليات الدينية المحدثة فى أوربا وامريكا ، فهذه الكليات على صفتها الدينية تجرى فى دراستها على أحدث الأساليب

والمناهج ، ونخرج شباباً دينيا مستنيراً يفهم العالم الجديد والحياة الجديدة ، ولا يفترق عن أبناء الثقافة المدنية إلا بنوع ثقافته ومهمته الخاصة ، ونريد بالأخص أن يخرج الأزهر شباباً يعشق اللغة العربية ، ويضرب فى علومها وفى بلاغتها بسهم وافر،ويعمل على تقوية دعامتها ونشر تراثها القديم . فالازهر اليوم قاصر فى هذا الميدان الذى هو من أخص مهامه ، وقلما نجد اليوم بين أئمة البيان والكتابة أزهرياً من أولئك الذين حفلت بهم حلقاته فى أواخر القرن الماضى . وربما كانت هذه البعوث الأولى التى بدأ يوفدها الازهر الى أوربا أول خطوة حقيقية فى سبيل التطور المنشود

هذه هى قصة الصراع بين الثقافتين ، بيد أن من الخطأ أن تتصور هذا الصراع نضالا يضطرم بلون الخصومة ، وإنما هو تنافس ثقافى ومعنوى بين أساليب التفكير القديمة والحديثة ، وفى اعتقادنا أن الأزهر ضرورى لصرح ثقافتنا الجديدة ضرورة الجامعة المصرية ذاتها ، وأنه برسالته ومهمته الخاصة يتمم رسالة الثقافة القومية العامة

محمد عبد الله عنان



من ثمار الادباء

* يتدفأ برنارد شو على موقد نقشت على حافته هذه الكلمة :

« انهم يقولون . ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون . . »

* كان القصصى الانجليزى جون جولزورثى يثبت على مكتبه ورقة بها هذه الجملة :

« لن أمر بطريق هذه الدنيا سوى مرة واحدة . واذاً فلأؤد اليوم من الخير ما يتسع له ذرعى ، ولأظهر اليوم من الرفق بالناس والحيوان جميعا قدر ما أستطيع . . لن أهمل هذا ولن أؤجله ؛ لأنى لن أسلك هذا الطريق مرة أخرى »

سحر الطبيعة وروعتها فى افريقيا ــ الاسود يسلم ولا يناضل ، لا عبرة عنده بالماضى ولا تدبير للمستقبل ــ نفسه متحركة متنقلة كالفراشة السوداء ــ النفوذ كله للدين والسحر ــ حفلات السود وموسيقاهم ورقصهم وأدبهم



بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

قلما يذهب مستكشف أو تاجر أو مبشر من الجنس الأبيض الى قلب القارة السوداء الا وقع تحت سحرها ، وانجذب بقوة خفية الى هذه الأرض الحافلة بالمهالك ، وإلى سكانها أبناء الطبيعة المستوحشين ، وقد أتى يسخرهم فأعطاهم من نفسه ــ شاء أو لم يشأ ــ فاذا هم اخوة له فى الانسانية أقرب من اخوانه فى الجنسية . وقليل من الذين عرفوا افريقية وعاشوا في قلبها زمناً ، من يقوى على فراقها والتحرر من أسرها ، فهو مهما ابعد كالأسير لأرض العبيد ، يحملها أبداً فى قلبه ويقصر عليها تفكيره وذكره . بل منهم من أحبها حتى الموت فأبى الا ان ينتظر فيها حمامه ، وأن تضم تربتها عظامه .

ولو أنها كانت أرضا مباركة السلام ، لينة الجناب ، موطأة الاكناف ، عيشها الخفض وظلها الأمان ، لما كان موضع للعجب . ولكنها من هذا على النقيض .

فافريقية ، وعلى الأخص افريقية التى يستوطنها السود ، كتلة صماء ، قائمة كما هى قطعة واحدة من أقدم الحقب الجيولوجية ، ممتنعة على تغيرات القشرة الأرضية والرواسب البحرية . وهى لارتفاع سواحلها أشبه بالجفنة ، مقعرة الصحن مرتفعة الأطراف ، تتجشم انهارها الجهد الناصب للوصول الى البحر ، ولا يتهيأ عندها اشتباك التأثيرات البحرية بالبرية . وان المرء ليقع فى روعه ان الطبيعة فى افريقية لا تعرف القصد ، وأنها تعيش بالاسراف ، الاسراف فى الجفاف وفى البلل ، الاسراف فى الفاقة وفى البذخ . فثمة الصحارى ، والمروج ، والغابات الكثيفة ، وفصول الأمطار ، وفصول الجفاف ، وهى تعرض وتتعارض بجلاء عجيب ، مرتسمة على الارض بخطوط صريحة لا تدريج فيها ولا اطراد . وللطبيعة هنا فى مجاليها المعتادة وظواهرها المتعددة حركة وحشية ، فلا قياس لها ولا إلمام بمقاصدها ولا أمان من تقلباتها ، ولا عزاء فيها كما يتحدث الشعراء من شقاء المجتمع ، وليست هى كما يصف لهم الخيال بالأم التى يطمأن فيها الى صدر حنون . وكيف وريحها تنقلب احيانا صرصراً

عاتية ، وتسور إعصاراً يطوى الأميال عاصفا موارا ، يصم دويه الآذان ، وينخلع له قلب الحيوان والانسان، وتتقطع انفاسهما فرقا ، وتميد له رواسى الاطواد ، ويقلع بواسق الدوح، ويهلك الحرث والنسل فلا يلبث امامه شيء ! وكيف وأنهارها طوراً هزيلة ضاوية لا حياة فيها ، وطوراً هى سيول عارمة أو بحار زاحفة تجرف جزراً طافية ، وينساب العباب عريضا مهيبا وتنحدر به الحدور فيطفر من شلال الى شلال هادراً مزمجراً بين الجنادل كالبهم المستنفرة ، فاذا سلست البطاح اختلطت المياه وانساحت مستنقعا شاسعا تزبئر فيه ادغال من القصب كالرماح المشرعة وتصدر عنه الهوام المزعجة ناقلة للامراض الموبقة ! وفى وسط هذه الروعة يعيش الجنس الاسود مهدداً على الدوام بالملمات ، من طوفان وأى طوفان ، واحتراق للمحاصيل بفعل الرياح الجافة المرمضة او تلفها بفتك الجراد افواجا أفواجا ، ومن عدوان الوحوش الضارية تحوم فى جوارهم وغدر الأفاعى الهائلة متمددة راصدة على فروع الاشجار الضخام ، ومن خطر انخساف التربة والسوخان فى المستنقعات وتفشى الذباب والبعوض ومعهما الأوبئة والحميات ومرض النوم ، الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر

فلاجرم أن تكون طباع السودان مما يلتئم وهذه الطبيعة الهتاجة المتقلبة

وفى مقدمة هذه الطباع التسليم . فهو لا يفكر فى التمرد وفى الكفاح المتواصل لأن القوة تعوزه . ولقد جردته الطبيعة بدهائها ولطف تدبيرها من الحاجة الى الكد ومن القدرة عليه ، بما أفضلت عليه من قسمة ضيزى ، من رزق ميسور دانية قطوفه لا يتكلف له جهدا ، وبما اطبقت عليه من جومنهك الحرارة يحل القوة ويراخى الأوصال ويفت فى العصب ويسقط الهمة ويفتر العزائم

وهو مستغرق الحس فى الحاضر ــ واطوله عنده اللحظة التى هو فيها ــ فلا يذكر الماضى ولا يريد التفكير فى المستقبل . ولولا هذه الغفلة منه لما أطاق الحياة ، وكيف كان يطيقها وكل ما حوله لا يبعث على الأمن . ومن ثمة كانت الصفة الغالبة على نفسه هى قابلية الحركة فيها وعدم قرارها على حال ، فتتعاقب عليه الانفعالات والعواطف والرغبات واحدة فى إثر الأخرى متعارضة متناقضة ، حتى ليتبادر الى وهمك انه على فطرته الأولى ليست له ذاكرة ، أو ان له ذاكرة على غير غرارنا . وقد نتساءل : أهو طيب ؟ أهو شرير ؟ وواقع الامر أن له هنيهات حب وله هنيهات بغض ، ولكنه ينتقل من هذا الى ذاك دون أدنى كلفة ، كالفراشة السوداء لا تراها هنا حتى تراها هناك . ومرد ذلك كما قلنا الى انصرافه بكامل حسه الى اللحظة الراهنة والمظاهر الخارجة فلا تكاد ترسخ له حياة شخصية نفسية باطنة ولا تستقيم له وجهة ولا تطرد عاطفة . وإنه ليحدث مثلا عند وقوع وفاة أن يجتمع الآل والجيران والخلان حول الميت يندبونه سويا فيذرفون الدمع السخين ويعولون أيما إعوال . فاذا اتفق ان القى ماجن بنكتة عارضة قهقهوا بالضحاك مغربين ، ثم استمسكوا بعدها وذكروا ما هم فيه فسحت جفونهم وفاضت شؤونهم فيضها

وقد زعموا أن الأسود لا يصدق . والأحرى أن يقال انه لا يعرف الصدق فى ذاته مستقلا عن العاطفة . فهو فى معظم الأحوال لا يتعمد تحريف الحقيقة وإنما يكيفها على حسب هواه فى تلك اللحظة ، فهو يكذب على نفسه كذبه على الناس . وهيهات أن تتركز فى ذهنه الحقيقة وتتمثل ودماغه متفتح لهاب الرياح لا ينطبع على السحائب السارية فيه شيء ثابت . وهذا أيضا علة قصوره عن ارتياء الرأى وعجزه دون الحكم على الاشياء وصحة القياس والتعليل

كذلك يخطىء من يقول إن الأسود كسول . فان فيه نشاطاً وبه قدرة على الجهد الناصب ، ولكنه لا يعرف ولا يألف الجهد المتواصل . فهو يعمل لسد حاجاته العاجلة قانعاً بالكفاف أو ما يقرب من الكفاف . وإلى ذلك فانه من قلة التبصر والتدبير بحال لا يتصورها الوهم ولا يعلق بها الخيال . فترى الأهالى السود عند تمام الحصاد يقيمون الأعياد الكبيرة ، ويلهون عن الشتاء وهو قريب على الأبواب ، وتكون الاناقة كل الاناقة عندهم إذ ذاك أن يصنعوا عشرة أضعاف ما يلزم العائلة من طعام وأن يطرحوا الباقى على كثرته أمام البيت على مرأى من الغادين والرائحين إظهاراً للغنى والترف على قدر وفرة الفضلات . وهم بعد شهر يتضورون من الجوع ويشرفون على الهلاك صبراً ، فهل تراهم يعتبرون ؟ بل انهم ليصنعون فى السنة التالية مثل ما كانوا يصنعون . ومن العبث تحديثك الرجل الاسود عن المستقبل وما يجب عليه قبله من الادخار والأهبة . فانه ليقبل عليك بسمعه ويخيل اليك أنه مقتنع حق الاقتناع فلا تكاد تتركه لنفسه حتى يتطاير المقال عن أذنيه ويذهب أدراج الريح

فالأسود كما رأيت عبد للطبيعة ، مستسلم لما تأزل على حكمها ، لا يطالبها بأكثر مما تعطيه ، ولا يطمع كالمستعمرين البيض فى الغلبة عليها ، ولا يجد فرحة مثلهم فى ترويض عناصرها ، ولا يحسب لشخصه وجوداً مستقلا عنها . وإذا كان كل منا يحيا شاعراً بأنه كائن تام ، فرد قائم بذاته ، وأنه أنانية مستقلة ، ومولده فى زمان وحده ومكان وحده ، وله فى الحياة نصيب خاص يؤديه ، فيقول هذه المسألة مسألتى وهذا الأمر يعنينى ، شديد الاحساس بحريته وإرادته ومسئوليته أمام نفسه . اذا كان كل منا كذلك ، فان الاسود على خلاف ذلك ، أقل شعوراً بأنانيته ، شديد الارتباط بما حوله وبالأرض التى تقله ، وجوده امتداد لاسلافه ، وكيانه جزء لا يتجزأ من كيان عشيرته . فهو مندرج فى قوى الطبيعة مع الحيوان والنبات والجماد . . وأرواح الأموات أيضا . ولما كان الأسود أبداً فى علاقة روحية مستمرة مع الأشياء والقوى المنظورة منها وغير المنظورة ، فلا غرو أن يكون النفوذ كله عند السود للدين والسحر

والسود قوم ديانتهم الاعتقاد بألوهية خالقة أوجدت الكون فى البداية وهذا حسبها . ثم تأتى بعدها القوى الخارقة التى عليها مصائر الخلق والتى تقتضيهم العبادة ، وهى أرواح صادرة عن تلك الألوهية العليا أقامتها عنها فى تصريف الأمور وخلعت عليها جبروتها . وكل ما فى الطبيعة من

الجمادات أو من الاحياء فان فيه شذرة من الروح الكلية . وهذه الشذرة لها مع هذا شخصية الحى أو الجماد الذى تتحيز فيه طالما هو موجود ، وهى قوية فعالة مدركة مريدة متصرفة فيه ، وهى خافية الا أنها دائما حاضرة ، وذات حساسية مرهفة مادية ومعنوية فتبصر وتسمع وتعى ، ومن ثمة كانت مخوفة الجانب مرهوبة السطوة لسرعة غضبها وشدة نقمتها ونكالها لأدنى إساءة . غير أنها أيضا تتأثر بالاطراء وتأخذها الشفقة وتذكر الصنيع الجميل وترضى عمن يرفع لها الدعوات ويبذل لها القرابين والضحايا تكفيراً عن السيئات والخطايا

ولا ينبغى الخلط بين الروح التى هى عنصر القوة المتصرفة ، وبين النفس التى هى نسمة الحياة وعنصرها . فان النفس لا شأن لها أكثر من انها القوام لحياة الفرد وصحته ،وهى تنتقل من جسم لآخر ولا خاود لها الا على هذا الوجه ، وهى تأتمر بأمر الروح وليس لهـا بمفردها ادراك أو ارادة . ويخلص من هذا انها ليست منسكا ومناط عبادة . ومن طريف ما يزعمونه أن النفس تغادر الجسد الى حين أثناء النوم . وما الحلم عندهم الا صورة من حياتها الخاصة ولهوها مع نظائرها خارجا عن الأجسام . ومنهم من يرون فى ايقاظ النائم بغتة خطراً عليه واجراما ، لأن نفسه قد تكون ساعتئذ فى الخارج ولا يتسع لها الوقت للعودة الى الجسد فتحصل من ذلك الوفاة . وعلى العموم فان النفس اذا زهقت فما ذلك بمحض ارادتها ، وانما هى الروح المتصرفة التى تحكمها قهرتها روح أخرى أشد منها وأقوى سطوة . فالموت فى نظر السود حادث من تدخل روح أخرى سواء أكان عدوانها من تلقائها أو كانت أداة سلطها الغير . وأما الاسباب الحسية كالمرض والطوارىء فان هى الا أسباب ظاهرية لا ينخدعون بها

وفى حين أن النفس تناسخية لا تترك محبسها فى جسد الا لتتقمص جسداً غيره ، فان الروح تتحرر بموت الشخص . ولئن كانت الروح تحتفظ بشخصيتها وطبائعها ومشاربها وشهواتها الا أنها بانطلاقها من سربال الجسد الذى كان يقيدها ويحد من حركتها ، وبانفصالها عن النفس التى كانت مطالبة على الدوام بارشادها وهدايتها فى سعيها ـ تصبح أكثر استقلالا وأعز سلطانا . وتزداد بها القوى الخارقة التى تتدخل كل حين فى حياة البشر ، ويصير حقاً على الناس عبادتها إن أرادوا ألا ينزل بهم غضبها ولا تحق عليهم نقمتها

وهذه القوى الخارقة ـ سواء أكانت ارواح الطبيعة أم ارواح الاسلاف ـ لها القدرة على الخير وعلى الشر وعلى الكف عن الخير والشر معاً . فليس بالصحيح ما ذهب اليه بعض من عالجوا هذا الموضوع من أن السود يقسمون الارواح الى أخيار واشرار . بل الصحيح أن الارواح فى اعتقادهم لها عقلية الآدميين ونفسيتهم . ولذا كانت مصلحتهم فى السعى الى استرضائها بكافة الوسائل الملائمة . وهذا بجملته مطلب الدين عندهم

والدين عند السود متصل بالسحر ، حتى قيل إن الدين ضرب من السحر مهذب وإن السحر

هو الدين فسد أمره . على انه للتفرقة بينهما يصح القول بأن الدين - فى تقريره ان الانسان رهن بمشيئة قوة قاهرة غير منظورة - يضع المبادىء ويرسم الحدود للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، فهو وضع خلق . أما السحر فيحاول أن يفرض مشيئة الانسان على القوى غير المنظورة ، فهو نفع مادى . ومن ثمة كان الدين للكافة وكان السحر مقصوراً على طبقة خاصة . ولا مشاحة فى أن الدين عند السود فى الكثير من شعائره وطقوسه يلابسه السحر . إلا أن للسحر مع ذلك وجوده المستقل وسماته واغراضه الخاصة

والى الدين والسحر ترجع جميع المظاهر الفنية عند السود . واكثرها شيوعاً التمائم والتعاويذ وتتخذ وقاية من الأمراض والجروح ومن اللصوص والقتلة ، ومنها أيضاً ما يمنع الخصومة ويرزق النسل ويوفر المال وينفق السلع ويوقع الحب وغيرها من أغراض لا حصر لها ، وقد لا يصح الجهر بها . وتركيب هذه الاشياء غير متروك للمصادفة وحدها أو هوى الساحر ، ولكنه قائم على القياس والتعليل . فالطلسم الواقى من العدو مثلا يكون على صورة شخص مكتوف اليدين مغلول الرجلين ، كما أن الحجاب الذى يعصم من المرض يشتمل مثلا على نبات به مناعة على الحرارة والجفاف ، وكثير من التمائم تصاغ حليا ، وعلى الأخص ما كان منها على مثال الافعوان فيتخذون منه خواتم وأساور وشنوفاً ، ليطرد عنهم مرض النوم ذلك الافعوان المكلوء العين . وليست التمائم والتعاويذ كلها للوقاية بل منها المرصود على العدوان والايذاء

كذلك هم يقيمون فى مدخل دورهم احياناً دمى لتأخذ عنهم الشر أو تعوقه دون طروقهم . كما ينصبون بها تماثيل للميت العزيز احتفالا بجنازته وتذكاراً له ومحلا لروحه ، وهى تكون من الخشب أو الصلصال أو الحديد أو البرونز بحسب المواد الأولية فى الأقاليم

ومعابدهم لا تخلو من أدوات للطقوس الدينية كآنية الشراب المهراق ، والمدى المعدة لذبح الأضاحى ، والطبول المقدسة والآلات الموسيقية والجلاجل والنقارات لاستحضار الروح أو دعوة المصلين وعكاكيز الكهان وما الى ذلك . وكلها من بدائع الفن وطرفه الحقيقية

ولا يظهر رجال الدين فى الحفلات إلا بثياب التنكر . وأروع ما فيها القناع ، ويمثل فى الغالب رأس بعض الوحوش منقولا عن الطبيعة أو خليطاً منها مركبا . والمراد بالقناع هو ادخال الروع فى قلوب الاتباع والعامة فى جوف الليل على ضوء المشاعل والنيران الموقدة ، كما أن فيها إشارة كذلك الى زوال الصفة البشرية عن المتنكر وتجرده من الوجود الطبيعى وانسلاخه عن عالم الشهادة إيذاناً بدخوله الى عالم الروح واتصاله بالقوى الخارقة . ولا يغيب عن القارىء أن الحيوان الذى يتخذون أشكاله معدود من ضمن القوى الخارقة وفى اتخاذ شكله اكتساب لصفته

وتحل الموسيقى والرقص فى حياة السود منزلة أعظم منها فى أية بيئة أخرى . فهما عماد الحفلات الدينية . وعدا ذلك فانهما من حاجات السود اليومية يجتمعون لهما كل مساء ويشترك فيهما الشباب

والشيوخ نساء ورجالا . فيرقص البعض ، ويتحلق الآخرون حولهم ينظرون ، وترتفع الأصوات بالنشيد وتصفق الأيدى بالتوقيع ، والوجوه كلها مشرقة عليها سياء غبطة لا يحدها وصف . والرقص عند السود يختلف عنه عند الغربيين والمغاربة . فليس هو تشابك بين اثنين ومخاصرة بين جنسين كأهل أوربا ، ولا هو رجرجة أرداف ثقيلة كالراقصات فى شمال افريقية . وإنما هو حركة جماعة ومعرض أفراد معاً ، ترى فيه شخوص ناطقة ملامحها أعجب النطق ، وينتظمها جميعاً نظام واحد محبوك السبك . وبعبارة أخرى يتجلى فيه المجموع المنسجم المنتظم من غير أن يجنى ذلك على جمال الحركة فى جسم الفرد . وفى هذا الرقص سكنات وحركات ومواقف على أكمل وضع ، وفيه تجتمع حماسة الجنون وخفة الظرف كأغرب وأبدع ما يكون الجمع

وللسود أيضاً شعرهم وأدبهم ، والغالب عندهم الأساطير على ألسن الحيوان ، كالأساطير التى نعرفها عن العرب والتى نقرؤها فى إيزوب اليونانى ولافونتين الفرنسى ورديارد كبلنج الانجليزى ، فأبطالها النمر ، والسلحفاة وهى مثال التعقل ، والارنب الأريب الذى يأخذ بحقه دائماً من الفيل ، وكذلك الضفدع والعنكبوت وغيرها . والقصاصون فى السودان لا يتقيدون بأن تكون حكاياتهم مقبولة عقلا ، فهم يروون عن جواميس تطلع الشجر وعصافير تزحف على الأرض وعنكبوت يبتلع البقرة . ونحن نجتزىء هنا بالقصة الآتية نموذجاً من أدبهم وشاهداً على خيالهم :

« خرج الوالد والابن الى غابة للصيد . فلما بلغا الى طريق فياموطأً من كثرة الغادين والرائحين نصب الابن شباكه . فى اليوم الأول وقع فى الشبكة أخو أمه . وفى اليوم الثانى وقع أبو أبيه . وفي اليوم الثالث وقعت أمه . وفى اليوم الذى بعده كان الواقع فى الشبكة هو الطريق نفسه . فقال الأب : « يابنى دع الطريق . وإلا فكيف الرجوع الى بلدتنا ؟ » ، فلم يستمع له الابن ، بل تناول الطريق الذى صاده ، وطواه طيا ، وأودعه جرابه واحتمله على كتفه ومضى يسير ومعه أبوه . وطال بهما السير ولم يبرحا الغابة ، واستحال عليهما العودة الى البلدة ، وفى آخر الأمر ألقى الابن الجراب عن كتفه وفتحه ، فقفز منه الطريق فى الحال وامتد على طوله حتى البلدة ، وجرى الوالد وابنه وراءه على الأثر ، ولما أن بلغا بلدهما استولى الابن على الطريق قائلا : « هذا الطريق لى وليس لأحد أن يطرقه » . وظل الطريق موحشاً محروماً من الطارقين ، فتملكه حزن شديد وقضى فى آخر الأمر نحبه »

وبعد ، فهذه أفريقية السوداء . وهى أيضاً أم الملايين من السود الذين يسكنون أمريكا وجزر الارخبيل ، على أنه مهما تبدلت البيئة وتغير المناخ واصطنعوا أخلاقاً غير خلائقهم واعتنقوا ديناً غير دينهم ، فان أمهم أفريقية لن يبرح دمها على تطاول السنين والاحقاب فى عروقهم ، يظهر فى موسيقى الرومبا ورقص الكاريوكا ، بل وفى دخيلة ايمانهم وصميم اعتقادهم فى آلهتهم الجديدة

عبد الرحمن صدقى

(٣)

بين نابليون ومدام فوريس

حينما يسيطر الحب على قلب الرجل العظيم

بقلم الاستاذ حسن الشريف

تحركت السفينة « اوسيان » من ميناء تولون تحمل الجنرال بونابرت الى مصر وتقل معه آماله الواسعة فى إنشاء الامبراطورية الشرقية التى طالما راودت مطامعه بعد إذ ضاقت ميادين أوربا بالمجد العسكرى الذى كان يبتغيه

ووقف بونابرت على سطح السفينة يودع بالنظرات والبسمات زوجته جوزفين . ووقفت جوزفين على رصيف الميناء تلوح له بمنديلها وتحمل النسيم القبل التى كانت ترسلها اليه على أطراف اناملها . وظل الزوجان يتبادلان الاشارات ويتناجيان باليدين حتى لم يبق من السفينة أمام ناظرى جوزفين إلا الشراع كأنه الغيمة البيضاء فى الأفق البعيد ، وحتى لم يبق من الشاطىء الاذلك الخط الأسمر الغامض الذى لا تتبين العين فيه شيئاً . وأطرق إله الحرب برهة ثم أدار وجهه الى رفاقه فاذا بين أهدابه دمعتان تترقرقان كأن الكبرياء تأبى عليهما أن تنحدرا من المآق ، وإذا على شفتيه ابتسامة كاسفة محزونة تحاول أن تخفى ألم نفسه فلا تفعل سوى أن تنم عليه

وكان الزوجان قد اتفقا على أن تذهب جوزفين الى احدى مدن الحمامات لتستشفى فيها حتى اذا تم لبونابرت فتح مصر واستقام له الأمر فيها ، أرسل سفينة تجىء اليه بها لتنعم معه بالحياة ردحاً من الزمن على ضفاف النيل . ويعلم الله أن جوزفين كانت صادقة إذ وعدت زوجها باللحاق به ، ولكنها عادت فتمثلت مشقة السفر وهول البحر وحرور الصحراء وغيلان افريقيا ومجاهل القارة السوداء وبؤس الحياة بين المتوحشين . أو قل إنها عادت فذكرت باريس وملاهيها ومسراتها وهناء العيش فيها ، وكيف تكون جوزفين فى غير باريس وكيف تكون باريس من غير جوزفين . ومن يدرى فلعلها ذكرت ايضاً صاحبها هيبوليت شارل وحبهما الجديد الذى لم يتشبع ولم يرتو فى الفترة القصيرة التى امضياها فى ايطاليا ، وأن هذا الفتى المحب الجميل ينتظرها على أحر من الجمر ليطفىء برضابها العذب لهيب قلبه وليهدىء بين ذراعيها المفتولتين ثورة حبه ، فآثرت العودة الى باريس ، وصارت تكتب الى زوجها فتعتذر له بالتوعك والمرض وبخشية سوء الجو من أن تلحق به

وها هو ذا بونابرت فى مصر ، تم له الفتح العسكرى الذى ابتغاه وبدأ ينظم الفتح العلمى الذى امتازت به غزوته ، وأخذ يعد العدة لاكتساح الشام لتمهد الطريق الى الهند لينتزعها من براثن الانجليز . ولكن الحياة خلال كل ذلك مملة كئيبة لا لهو فيها ولا مرح ولا نساء . وقد كرت الأيام

متماثلة وتعاقبت الشهور متشابهة حتى أصبح تماثلها وتشابهها حملا على نفسه لا يطاق . فأين هذه القاهرة المظلمة الحزينة الخاملة التى لا متعة فيها للعين ولا بهجة للقلب ، من باريس المتلألئة الصاخبة الجذابة، التى لاتنتقل فيها العين من جديد الا لتقع على جديد ولا تخلص النفس من مسرة الا لتنغمس فى مسرة ؟ وأين فتنة مصر الجافة التى تتجلى فى سمائها ونيلها وصحرائها واهرامها وفى الأسرار الكامنة فى أرضها والألغاز المنقوشة على أحجارها وصخورها ، من فتنة فرنسا الحية المرحة المتعددة النواحى والأشكال ، التى تتجلى فى فخامة سهراتها وبهاء مراقصها وفى جمال النساء ورشاقة الأبكار وإناقة الفتيان وفى كل ما تهفو اليه القلوب وتطيب له النفوس وتقر به العيون ؟

لم يكن فى القاهرة إذ ذاك من الملاهى الافرنجية غير ملهى « تيفولى » وهو حديقة نسقها أحد النزلاء الفرنسيين على نمط مصغر من سمية لها بباريس ، وأقام فيها ناديا ومغنى ومقصفا ومرقصا ونشر فى أرجائها ألعابا مختلفة من أراجيح وخيول خشبية وأهداف الرمايه وما الى ذلك مما تحتويه حدائق الألعاب . أما النساء الأوربيات فلم يكن منهن فى مصر الا القليل . فلقد صدرت أوامر القائد العام بمنع الضباط والجنود من استصحاب زوجاتهم عند رحيل الجيش الى مصر . بيد أن بعض هاته الزوجات أبين الا أن يشاطرن بعولتهن مصيرهم فتخفين فى زى الرجال واندسسن فى الصفوف وأفلتن من الرقابة عند الابحار وكمن فى مخازن السفن طول السفرة ، فلما بلغن مصر خلعن زيهن المستعار وبرزن مباهيات بمغامرتهن ، فكن زينة السهرات فى ملهى تيفولى ومتعة لأنظار الضباط الذين قضى عليهم أن يحرموا معاشرة الجنس اللطيف الى حين

وكان من بين هاته الزوجات المغامرات شابة فى الثامنة عشرة من عمرها،ضامرة القوام رشيقة القد مليحة تقاسيم الوجه ، ذات عينين زرقاوين تفيضان طفولة وبشراً ، وأنف مرهف دقيق ينبىء عن الشهوة المستعرة فى هذا البدن الغض ، وشفتين رقيقتين رطبتين تغريان بالتقبيل وتفتران عن أسنان صغيرة ناصعة البياض قد نسقت فى فمها الحلو كأنها الدر المنظوم ، وشعر أشقر ناعم يتوج رأسها الصغير وتتدلى منه خصل ذهبية تداعب جبينها المشرق فتزيده إشراقا

كان اسمها مرجريت بليل . وكانت صبية خياطة فى مدينة كاركاسون . وقد وقع فى شرك جمالها ابن أخى معلمتها الملازم فوريس فأحبها وتزوج بها . وبينما العروسان يتمتعان بلذة الأيام الأولى من شهر العسل ، اذا الأمر بالتعبئة يفاجئهما فيضطر الملازم الشاب الى السفر الى مصر . وتأبى العروس أن تفارق زوجها فتجد الوسيلة الى الابحار معه متخفية فى زى أحد الجنود

ومذ ظهرت مدام فوريس فى حديقة تيفولى استرعت الأنظار بجمالها ومرحها ، واستهوت القلوب بفتنتها ورشاقتها ، فصبت اليها النفوس وتجمعت فيها الآمال وصارت ملتقى أبصار الشبان وموضوع الاعجاب العام . ولعمرى لو ظهرت مرجريت فوريس فى باريس الغنية بنسائها لوقفت

على جمالها العيون وخفقت لرؤيتها الأفئدة ، فما بالك وهى تظهر فى القاهرة حيث النساء فى المساهر قليلات ، والجميلات منهن نوادر ؟

وكان يوم عيد أقام فيه الجنرال بونابرت حفلة بحديقة تيفولى دعا اليها ضباط الجيش ورجال أركان الحرب والعلماء المرافقين للحملة . وقد بدت مدام فوريس تلك الليلة فى أجمل زينة وأحسن حال ، فأقبل عليها الشبان يراقصونها ويتنازعونها ، وصارت تنتقل من ذراعى هذا الى ذراعى ذاك مبتهجة متهللة تنشر الأنس والمرح فى كل مكان . وقادها الشاب أوجين ده بوهارنيه - ياور بونابرت وابن زوجته جوزفين - الى المقصف ليتناول وإياها بعض المرطبات . وفيما هو يغازلها بأرق الحديث وأعذب الكلام وهى تستمع اليه ضاحكة تياهة غير مبالية بما يقول ، اذا القائد العام يتجه نحوهما وقد سلط عليها بريق عينيه الذى لا تقوى على مواجهته الأبصار ، فلما صار على قيد خطوة منهما أومأ اليها برأسه تحية وداعب بأصبعيه أذن ياوره وقال :

— أهكذا تهمل ضيوفى لتنفرد بصاحبتك يا أوجين ؟

ثم حدق الى وجه الشابة حتى جعلها تطرق حياء واستطرد فقال :

— ولكن جمالها يشفع لك عندي وانى لمعجب بحسن ذوقك فى الاختيار

وتصعد الاحمرار الى وجه الصبية فأحنت رأسها لترد التحية ، وبادر أوجين بتقديمها الى قائده قائلا : « مدام فوريس » فمد نابليون يده مصافحا وظل ممسكا أطراف أناملها بيده وقال :

— ان الملازم فوريس من خيرة ضباطى ولكنك حملته على مخالفة أوامرى إذ أردته على أن يستصحبك الى هذه البلاد

قالت : لا ذنب لزوجى فى ذلك يا سيدي الجنرال فلقد فعلت ما فعلت وهو لا يعلم شيئاً

فشد القائد على أصابعها بيده وهز رأسه متبسما وقال :

— اذن فسوف تؤدين لى عن ذلك حسابا ، وسترين انى لا أهمل مثل هذا الحساب

ومن ذلك اليوم لاحظ الضباط أن الجنرال بونابرت يكثر من التردد على ملهى تيفولى ويظل يرتاد طرقاته وممـاشيه حتى يلتقى بمدام فوريس وعندئذ ينصرف عمن سواها ويخرج من جده ووقاره الى التبسط معها فى الحديث وتعليمها الرماية بالبنادق الهوائية ومصاحبتها كلما أرادت أن تلهو بركوب الأراجيح والخيول الخشبية ، حتى اذا غادرت الملهى ضاق صدره وعاوده الجد والوقار وانصرف الى التكلم فى السياسة والحرب ومسائل الجيش

وأدرك المقربون اليه أن غراما ناشئاً قويا يدفعه الى تلك المرأة ، فتطوع وسطاء الخير منهم - وما أكثرهم حول الاقوياء والكبراء - لتمهيد الطريق وتذليل الصعوبات وتقريب ذات البين ، وأسفرت المفاوضات عن تمنع هو أقرب الاشياء الى القبول . وكان تلاق كأنه غير متعمد ولا مقصود تبودلت فيه المازحات الكثيرة المعانى ، وآنس بونابرت أن العفة ليست أقوى الحوائل بينه وبين

الشابة الشهية ، فامطرها هدايا ورسائل غرام وأحاطها بحصار منظم من الرسل والوسطاء ، ولوح لها بالمستقبل الذى يعده لزوجها والذى تبينت من خلاله الغنى والجاه وعلو المكانة ورفعة المقام

وفى صبيحة يوم من أيام الشتاء تلقى الملازم فوريس أمراً بالابحار الى فرنسا على أول سفينة مقلعة ليؤدى مهمة سرية لدى الحكومة الفرنسية وليحمل تقارير هامة الى مجلس ادارة الدولة . وقد نص الامر على أن ينتظر بباريس حتى تضع الحكومة ردها على هذه التقارير فيعود بها الى مصر عندما تسمح الأحوال . . . . ولم ير الضابط فوريس فى كل ذلك أكثر من ثقة يضعها القائد العام فيه ، واذا كان ابتعاده عن زوجته قد شق على نفسه فان تلك الثقة التى يخصه بها رئيسه الأعلى قد خففت عنه هذه الشقة . فسافر المسكين مصدع القلب راضى الكبرياء

وفى اليوم التالى لسفره أولم الجنرال بونابرت وليمة دعا اليها مع كبار الضباط بعض السيدات الفرنسيات ودعا بينهن مدام فوريس . ولقد خصها بمكان الشرف من المائدة الى يمينه . وفيما هو يتحدث الى بعض المدعوات اذا حركة من يده تقلب كأساً على المائدة فيسيل النبيذ على أثواب مرجريت ، فيتصنع بونابرت الأسف وينهض وتنهض معه مدام فوريس ويقودها الى غرفته لتعالج ثوبها وتصلح من شأنها . . . ولكن غيبة الاثنين تطول أكثر مما ينبغى لتنظيف ثوب ، فيتبادل المدعوون البسمات التى لا تدع شكا فى أن الجميع قد أدركوا ما فى الامر من سر

واذا كان شيء من الشك قد بقى لدى البعض فقد زال عندما رأى الناس البيت المجاور لسراى الفى بك يستأجر لحساب القائد العام ويفرش بأفخر الرياش ، ومدام فوريس تنتقل اليه لتقيم فيه

ولكن يشاء القدر المعاكس ألا يطول هناء العاشقين . إذ بينا هما ينعمان بالايام الأولى من حبهما الجديد ويحسبان أن الزوج لن يعود قبل ثلاثة أشهر أو أربعة ، يظهر الملازم فوريس فجأة وعلى غير انتظار فيعكر صفو خلوتهما الهنيئة ويوقظهما من هذا الحلم اللذيذ

كان فوريس قد أبحر من دمياط ، ولكن السفينة التى أقلعت به لم تكد تبتعد عن الميناء حتى أسرتها سفينة انجليزية من السفن التى كانت تحاصر الشواطىء . وكان الانجليز على علم بما كان من أمر بونابرت مع مدام فوريس وابعاده زوجها ليخلو له وجهها ، فلما قبضوا على الزوج زين لهم المكر أن يدعوه يذهب الى القاهرة ليفاجىء زوجته بين ذراعى بونابرت ، مؤملين أن يكون لهذه الفضيحة أثرها السيء فى نفس الفرنسيين

وعاد فوريس الى القاهرة عنتاً على زوجته الغادرة واقتص منها القصاص الذى جعلها تطلب الطلاق . ولقد كان لها ما أرادت وقضت السلطات المختصة بتطليقها من زوجها . والتمس الزوج اعفاءه من الخدمة فى مصر فأجيب التماسه وعاد الى وطنه كسير القلب محزون الفؤاد

ومذ استعادت الصبية حريتها خلعت عنها اسم مدام فوريس ورجعت الى اسم عائلتها فصار اسمها مرجريت بليل . وكان أصحابها يدللونها بتسميتها « بليلوت » فعرفت بهذا الاسم فى التاريخ

ولم تبق علاقتها بالقائد العام سراً خافيا على أحد . فلم تحاول من ناحيتها أن تستر الظواهر ولا أن تتقى المآخذ، بل تبدت فى أغلى الثياب تحمل أثمن الحلى وتركب أجمل العربات وأجود الخيول، وفتحت أبهاء بيتها لاستقبال ضباط أركان الحرب وأعيان الفرنسيين ، وأولمت الولائم وتصدرت المآدب وأقامت المراقص وأحيت الحفلات . وكانت تركب الى جانب بونابرت فى عربته ويخرجان للنزهة يحف بهما ضباط الياوران فيذكران الناس بقصة انطونيوس وكليوباتره ، أو ترتدى بذلة قائد وتمتطى صهوة جواد عربى أصيل تسير به فى شوارع القاهرة فيؤدى لها الجنود التحية العسكرية ويرمقونها بأعينهم باسمين ويتهامسون قائلين : « هذه جنرالتنا الجميلة بليلوث »

ولقد دفعته رغبته فى أن يكون له ولد الى التفكير فى تطليق جوزفين والتزوج بمرجريت بليل اذا هى أسعدته بمولود . وكان يتحدث فى ذلك الى بعض خلصائه ويتأوه قائلا : « ولكن هذه البلهاء لا تحمل » فينقل الخلصاء اليها أسف القائد فتبتسم ابتسامة محزونة وتقول : « لو كان الأمر بيدى وحدى ما تأخرت »

***

وآن الأوان ليرتحل بونابرت عن مصر بعد أن استعصى عليه فتح عكاء وأحبط الانجليز مشروع امبراطوريته الشرقية ، فأقلع من أبى قير موصياً أن تلحق به بليلوث على أول سفينة تغادر مصر ، وترك لها الف جنيه لتنفق منها على اقامتها وسفرها . بيد أن الجنرال كليبر الذى خلف بونابرت على الجيش الفرنسى رأى أن يتمتع بسائر امتيازات القائد العام وبكل مخلفاته ومن بينها مرجريت ، فأقام العراقيل فى سبيل سفرها واحتفظ بها ما شاء أن يحتفظ ، ثم أرسلها الى القائد « مينو » المعسكر بفرقته عند ميناء رشيد وأرسل اليه معها الكتاب الآتى :

« عزيزى الجنرال

« ان السيدة التى تحمل اليك كتابى هذا ترغب فى السفر الى فرنسا لتلحق بالبطل الذى كان عشيقها هنا . وهى ترجو أن تسهل عليها وسائل الرحيل وتوفر لها أسباب الراحة . ولعلها تعرف كيف تترضاك لتفوز منك بما تريد ، أو لعلك بالغ منها ما يعطفك عليها . ومهما يكن من الأمر فانى أرجو لك معها الحظ والتوفيق . . . »

ويظهر أن الجنرال مينو كان أكثر احتياطا وحذراً من زميله كليبر فلم يشأ أن يتورط مع عشيقة « البطل » فى علاقة قد تؤثر على مستقبله ، فكتب الى صاحبه :

« عزيزى الجنرال

« لقد وصلت الحسناء ولكنى لم أشأ أن أقابلها . ولسوف أؤدى لها ما يسعنى من الخدمات على شرط أن تظل بعيدة عنى حتى لا يكون بينى وبينها ما يوقعنى مع صاحبها فى حساب . لقد علمتنى التجارب أنه يجمل بالعاقل أن ينجو بنفسه من هذه العلاقات المريبة والا أدت به الى أوخم العواقب ،

وسترى أن مسألة هذه المرأة لن تمر بسلام . فان « لصاحبنا » أعداء كثيرين ولن يعدم بين أعضاء الجمعية التشريعية من يثير تلك المسألة ويجعل منها موضوعا لخطبة يلقيها فى ساعتين . ولعلك تدرك من الآن مدى الفضيحة ومبلغ ما سيكتنفها من القيل والقال . فما بالك بما قد يصيبنا نحن المساكين اذا اتضح أن لنا ضلعاً فى المسألة ؟ »

وتصل بليلوث الى فرنسا فاذا صاحبها الجنرال بونابرت قد قلب الحكومة الادارية وارتجل نفسه رئيساً أعلى للدولة بلقب القنصل الاكبر ، فتحاول أن تتصل به لتصل ما انقطع من علاقاتهما . ولكن القنصل الاكبر ـ وهو الرجل الذى يجب أن يضرب للجميع المثل العليا فى الاخلاق والفضائل وآداب الحكم ـ لا يستبيح ما كان يستبيحه الجنرال بونابرت ، فيأبى مقابلتها ويرفض توسلاتها ، ولكنه يهتم بأمرها فينفحها من وقت لآخر بمبلغ من المال ويشيد لها مسكناً جيلا فى ضواحى باريس ثم يزوجها بضابط من ضباط الجيش المتقاعدين ، ويسند اليه منصباً قنصلياً فى الخارج ويجرى عليه مرتباً يكفل للزوجين طيب العيش وهناء الحياة

بيد أن بليلوث لا تقوى على جد الحياة الزوجية ، فلا تلبث حتى تغادر زوجها القنصل فى احدى مدن السويد وتعود الى باريس وحدها حيث تستأنف حياة اللهو والسرور فتنفق بغير حساب وتغشى المغانى والمراقص والمسارح ، وتتنقل فى رعونة وطيش من عاشق يوم الى رفيق ليلة حتى لتختلط عليها أسماء عشاقها ومواعيدهم فتسهو وتضرب لاثنين منهم موعداً واحداً فى بيتها فاذا التقى المتزاحمان لم يكن ثمة مخرج من هذا الحرج الا بالمبارزة فيتبارزان ويقتل أحدهما الآخر

وفى هذه الاثناء يخطو بونابرت خطوته الهائلة ويعتلى عرش فرنسا باسم الامبراطور نابليون ، فتعاود بليلوث ذكريات الماضى السعيد وتذكر أن بونابرت كان يضحى بجوزفين فى سبيل الزواج بها لو أن الحظ اسعدها وانجبت منه ولداً . وعندئذ تثور المطامع فى رأسها كالعاصفة وتحاول بشتى الوسائل أن تذكر الامبراطور بنفسها فتكتب اليه وتوسط لديه الوسطاء وتعترض طريقه وتتعمد أن تظهر أمامه فى الحفلات التى يدعى اليها ، ولكن هذه الجهود كلها تذهب سدى ، فتمارض وتكتب اليه متوسلة بحبهما القديم أن يزورها لتتزود منه بقبلة تهون عليها الموت وتواسيها فى القبر ، فيجيئها الرد رزمة من الأوراق المالية غير مصحوبة بقبلة معزية ولا مشفوعة بكلمة مسلية

ولقد عاشت بليلوث طوال السنين التى لبثها نابليون على عرش فرنسا عيشة هنيئة راضية لم ينغصها سوى اعراض الامبراطور عنها . فلما انتقل الى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة انقطع مورد رزقها الفياض وعبست فى وجهها الحياة فعرفت ذل الفقر وذاقت مرارة الاملاق ، وعاشت بعد وفاة نابليون ثمانياً وأربعين سنة تبيت وتصحو متأثرة بفكرة واحدة ، وهى لو أنها ولدت لنابليون بمصر ولداً لعرفها التاريخ باسم الامبراطورة مرجريت

حسن الشريف

العلم بين القانون

فى مكافحة الأجرام

بقلم الدكتور محمد زكى شافعى بك

« . . لا يمكن اجتثاث الجريمة من جذورها إلا اذا اتحد جميع الباحثين في طبيعة الانسان ليقفوا على أسباب زيغه وانحرافه عن جادة الصواب ، والعمل لارشاده بالوسائل العلمية . . »

لم تنتشر كثيراً فكرة تضافر القانون والعلم فى مكافحة الجريمة ومعالجة المجرمين ، وإن كان بعض رجال القانون قد أخذوا بها منذ حين قصير . ويقال إن الاختبار دل على نجاحها وجدواها مع حداثة العهد بتطبيقها . ولو أن اولئك الذين يرون الاقتصار فى كفاح الاجرام على القانون وحده وازنوا بين عدد من أفلح فيهم علاجهم وعدد من أخفق فى شفائهم ، لتبين لهم مسيس الحاجة الى أدواء أخرى تعزز وسائلهم وتكملها . ولكن الاحصاءات طريق خاصة بالبحث العلمى لم يسلكها القانون حتى اليوم اكتفاء باعتماده على عادات الامم وآراء المشترعين ، ولهذا ما برح القانون هو العامل الأساسى فى معالجة المجرمين، واقتصر العلم حتى اليوم على بحث حالة بعض المجرمين الصحية أو تعليمهم بعض الصناعات . ولم تتخذ الوسائل الفعالة للحيلولة بين المجرم والجريمة ، وذلك ببحث العوامل المسببة للجريمة

ومن أهم العوامل التى تساعد فى الانتفاع بالعلم فى معالجة الاجرام أن يلم رجل القانون الماماً تاماً بطبيعة الانسان ، فيجب أن يتضافر علماء القانون والنفس والأمراض العقلية والاجتماعية فى بحث الجريمة ، كما هو الشأن فى المانيا حيث تعقد المؤتمرات بين هؤلاء العلماء من آن لآخر لهذا الغرض ، فيبحثون الداء ويجتهدون فى وصف الدواء المركب من وصفاتهم جميعا

وأظهر دليل على فائدة ذلك ما يقوم به خبراء الأمراض العقلية فى المحاكم من المساعدة القيمة لاقامة العدل بين الناس بفحص المجرمين المشتبه فى اصابة عقولهم والذين اذا ثبت مرضهم أخلوا من مسئولية الاجرام . ومع ذلك لم يسلم بضرورة فحص مرضى العقول بواسطة إخصائيين إلا بعد جهد وصراع بين النظريات القانونية والعلم ، أو بين عاطفة حب الانتقام من المجرم وعاطفة الرحمة والرأفة بالمريض

وتوجد أمثلة كثيرة لمسائل سلمت فيها المحاكم أخيراً للعلم ببحث أسباب الاجرام : فمن ذلك جرائم الاحداث التى كان للعلم فيها أثر عظيم فأنجاهم من وصمة الاجرام التى كانت ستلازمهم طوال

حياتهم لو لم يتعهدهم العلم وينصب نفسه عليهم قيما ووليا

ان القانون يشخص الداء ويصف العلاج ثم يلاحظ نتيجة ذلك ، بينما العلم يشخص الداء ويفكر فى العلاج ويحث نتائجه ، فان كانت فى صالح مرتكب الجريمة نفسه وصالح الهيئة الاجتماعية وصف الدواء . ولن تجتث الجريمة من جذورها ويقضى عليها قضاء مبرما إلا باتحاد رجال القانون وعلماء النفس والامراض العقلية والاجتماع فى معالجة الاجرام ، أى باتحاد كل الباحثين فى طبيعة الانسان للوقوف على أسباب زيغه وانحرافه عن جادة الصواب ، والعمل على ارشاده أو ارجاعه الى الطريق المستقيم بكل الوسائل العلمية وأهمها بحث نفسيته وبيئته بالاختبار والتجربة

***

ولنضرب مثلا لضعاف الخلق ، وهم الاشخاص المصابون بضعف عقلى مع ميول اجرامية أو فاسدة والذين يحتاجون الى العناية بأمرهم مع كبح جماحهم لوقاية الآخرين من شرورهم

ويستنتج من هذا التعريف أن المجرمين العائدين لا يدخلون فى هذا النطاق . كما أنه لا يشمل ضعاف العقول العاديين ، لأنه من المنتظر أن يكون ضعاف الخلق على جانب من الذكاء أى أنهم أذكى من ضعاف العقول العاديين ، لكنهم بدهياً لا يصلون فى ذكائهم الى درجة المجرم العادى الذى يتعمد الاعتداء على المجتمع لفائدته الشخصية ، وكذلك ضعاف الخلق هم غير البله الذين هم طبقة من طبقات ضعاف العقول انحدر بهم الضعف العقلى الى دركات أدنى من غيرهم من ضعاف العقول ، وهؤلاء قد يقترفون جرائم وهم عارفون أنها جرائم ، لكن لا يميزون الفوارق المختلفة بين جريمة وأخرى

ويحتاج الضعف الخلقى فى بحثه الى دراسة الافعال الناجمة عن هذا الضعف وكذلك حالة عقل المصاب بالضعف الخلقى

ان الجريمة والرذيلة يرتكبهما السليم والمصاب بأى نوع من أنواع الضعف العقلى ، ولكن للتفريق بينهما يتعين معرفة طبيعة عقل مرتكبهما ، والبواعث على ارتكابهما والبيئة التى تحيط به . فالأطفال ضعاف العقول قد يشعلون النار فى أى شىء للتلهى بالشعلة المتوهجة من الاشتعال مع عدم ادراكهم للتلف الذى تحدثه النار

ولنضرب مثلا آخر يؤيد ضرورة معرفة العناصر الثلاثة التى أشرنا اليها ، بالفتاة التى تمشى فى الطرقات وهى تكاد تكون عارية . فاننا ببحث حالتها نحكم بأول خاطر يخطر لنا بانها مصابة بضعف خلق ، ولكن عند تحليل نفسيتها قد يتضح أنها إما مهملة فى العناية بلباسها أو لا تعنى بالمألوف اجتماعياً أو أرادت أن تظهر احتقارها للعرف والاجتماع ، وفى هذه الحالات تكون الفتاة مصابة بنقص عقلى ، لا بنقص خلقى أو ضعف خلقى

ولكى تقدر طبيعة ذنب أو جريمة ما ، من حيث دلالته على شذوذ عقلى ، يتعين أن ندرس بيئة

مقترف هذا الذنب أو الجريمة دراسة مفصلة ، لأن مايقترفه الانسان ذو البيئة الراقية مهما صغر شأنه قد يحاسب عليه حسابا يختلف تماما عما يحاسب به شخص من بيئة منحطة ، لأن دلالته فى الحالتين مختلفة بلا نزاع . فنمو الخلق فى الانسان يتوقف على دستور ذويه الخلق ومدى اتباعهم له . فمثلا اذا لم يجد اشمئزازاً من حيازته لما لا يملك فانه بغير شك لن ينفر من السرقة والاغتصاب ، واذا نجح فى اقترافه جريمة السرقة وأفلت من العقوبة وتكرر ذلك يتعودها . والعود فى ارتكاب الجرائم يشير الى نقص فى العقل .

ولا يساق الى ارتكاب الجرائم غالباً الا ذوو الذكاء المحدود . وبحث الجريمة وكيفية حدوثها والتصرف بعد اقترافها قد يؤدى الى تشخيص الحالة من الوجهة العقلية

ويمكن بسهولة مثلا الحكم على عقل شاب يسرق حقيبة من منزل ويحاول بيعها للشرطى المجاور للمنزل . وكذلك فى حالات الجرائم الجنسية فان مقترفيها من ضعيفى الذكاء الذين لا يمكنهم أن يسموا بعواطفهم الجنسية الى غايات أرق وأشرف

ولكن هذا لا يمنع وجود طبقة من مقترفى الجرائم أو الذنوب أو الرذائل ذوى ذكاء قريب من المتوسط أو ممن لوحظ شذوذهم منذ الصغر وعدم قبولهم الخضوع لأحكام المجتمع والعرف ، وهؤلاء يقف نمو عواطفهم عند حد الطفولة ولا يتعداها ، وقد تكون هذه العواطف ضعيفة أو قوية . ومظاهر هذه الحالة القسوة وسوء السلوك فى احدى النواحى وعدم الاكتراث لرغبات الأهل أو لارشادهم أو لعقابهم . وهذه حالة يكشف عنها الأهل النابهون وتظهر واضحة جلية فى نهاية التعليم الثانوى مثلا أو بعده ، وتختلف عن الحالات السابقة بأنها فى الواقع خلقية وعلاجها لا يبت فيه الا بعد التحليل النفسانى

وهذه الأمثلة تكفى للدلالة على ضرورة اشتراك العلم مع القانون فى علاج الاجرام

محمد زكى شافعى

الاربعون والخمسون

سن الاربعين هى كهولة الشباب ، وسن الخمسين هى شباب الشيخوخة

فيكتور هيجو

العظيمات العشر في تاريخ الغرب

اختار المؤرخ الكبير « اميل لودفج » عشر نساء يمثلن عظمة المرأة في شتى أنحاء الحياة . ولكنه قصر اختياره على عظيمات الغرب ، مع أن الشرق أنجب عدداً كبيراً من العظيمات . وفي هذا المقال عرض طريف لسيرة عظيمات الغرب ، ونرجيء الحديث عن سائر العظيمات الى مقال آخر

أعظم النساء جميعاً أمنا حواء ، إذ هي أول امرأة ، أي أول من بث الفتنة والدهاء ، وهي أول زوج ، أي أول من خلق الحب والجمال ، وهي أول أم ، أي أول من عرف البر والحنان ، ولكن حواء سبقت التاريخ المعروف فليس لها صفحة في كتابه . ومثلها في هذا مثل هيلانة التي أجرت سيول الدماء في حروب طروادة ، أو مثل سميراميس التي أنشأت بابل وحدائقها المعلقة . فهذه شخصيات لا تحيا في صفحات التاريخ المؤكد المعروف ، وإنما في أقاصيص الشعوب وخيالات الفنانين

ولكن التاريخ يقص علينا أروع الأمثلة عن عظمة المرأة في كثير من أنحاء النشاط الانساني : في الدين والقداسة ، وفي الحرب والسياسة ، وفي العلوم والفنون . ولا سبيل الى الحديث عن هؤلاء العظيمات جميعاً ، فلنقصر هذا المقال على العشر اللاتي اختارهن « اميل لودفج » من مختلف عصور الغرب وشعوبه

— ١ —

أولى هؤلاء العظيمات « اسبازيا » التي استطاعت أن تكون بطلة أثينا أيام أن بلغت ذروتها في السياسة والفلسفة والفنون ، وذلك بفضل ما أوتيت من جمال الجسم وفتنته ، ومن صفاء القلب وجرأته ، ومن ذكاء العقل ومضائه ، فاتخذها بركليس خليلة له بدلا من زوجته ، واستخلف ولده منها بعد أن مات ابناه الآخران . وكان يستشيرها فيما يدبر من سياسة وحروب ، ويستوحيها فيما يقوم به من اصلاح وتجديد . وبلوتارك في تراجمه « وارستوفان في قصصه يصوران بركليس أداة طيعة في يدها . فلها الفضل فيما ينسب اليه ، وعليها الذنب فيما يحاسب عليه . وإلى جانب هذا المجد السياسي كانت دار أسبازيا مجمعاً للنبوغ الاغريقي ، فكان يلتقى عندها الفيلسوف سقراط الذي قال عن نفسه انه تلميذ من تلاميذها ، والطبيب بقراط الذي لقى من ذهنها وثقافتها عوناً له في بحوثه وأعماله ، والمثال فدياس الذي استلهم روحها وجمالها في فنه الرائع الخالد



اسبازيا



جان دارك

— ٢ —

وتأتى بعد هذه القديسة « كاترين » الايطالية ، نشأت هذه القديسة نشأة روحية خالصة ، فى طفولتها كانت تحلم بالشهداء والقديسين ، وفى سن السابعة وهبت نفسها عروساً للمسيح . ولما خشيت أن يخونها طيش الشباب ، أو تضلها فتنة الجمال ، أخذت نفسها بحياة التقشف والزهد . فقصت شعر رأسها ، ورفضت أكل اللحم ، وجعلت فراشها على هيئة النعش ، وعاشت فى بيتها عيشة الرهبان فى الأديرة

ومع أنها كانت فتاة فقيرة جاهلة إلا أنها تركت أثراً خطيراً فى تاريخ الكنيسة الرومانية . فانه لما انتخب البابا الفرنسى « كلنت » الخامس هجر مدينة روما واستوطن أفينون بفرنسا ، فانقسمت الكنيسة وساءت احوالها مدى سبعين عاما ، ورأت كاترين ما أصاب المسيحية من الضعف والفوضى فعقدت العزم على أن تعيد الى الكنيسة وحدتها ، وأن ترجع البابا الى مقره القديم . وأخذت تبعث الرسائل الى البابا غريغورى الحادى عشر ، والى خصومه امراء ايطاليا حتى وفقت الى فض هذه الخلافات التى كادت تودى بمكانة الدين ورجاله

ولم تكن تعرف القراءة والكتابة ، ولكن رسائلها وصلواتها تعد من أروع ما جرى به قلم انسان . وكتابها « الناموس الالهى » لا يعدله فى الأدب الايطالى كله سوى « الكوميديا الالهية » لدانتى

ولم يمتد بها العمر طويلا ، فقد ماتت فى الثالثة والثلاثين لفرط ما أضنت نفسها فى رعاية المرضى والفقراء . وهداية الضالين والشاكين ، وأمر القسس بالتقوى والصلاح ، ونهى الحكام عن الخصام والقتال

— ٣ —

والقديسة كاترين تذكرنا بقديسة أخرى هى « جان دارك » التى تعد حياتها معجزة من معجزات القوة الروحية . درجت هذه الفتاة فى بيت عامر بالدين والايمان ، وعنيت منذ طفولتها برعاية الطير والحيوان ، فامتلأ قلبها بعاطفة الرفق والرحمة وشعور الحنو والاحسان . ولما شبت عن الطوق قليلا بدأت تسمع أصواتاً غريبة أثناء خلوتها ، فنذرت لله أن تبقى عذراء مدى الحياة وأن تهب نفسها للخير وللدين

وكانت جان دارك تعتقد أنها اختيرت لاداء رسالة خطيرة ، هى أن تنقذ فرنسا من الجيش الانجليزى المتوغل فى أرجائها إذ ذاك . فارتدت ملابس الفرسان وامتطت صهوة الجواد ، ولبست الدرع وامتشقت الحسام . وأعلنت بين قومها أنها سمعت منادياً يدعوها الى تحرير وطنها من أعدائه ، فسخر بها الناس وزعموا أن بها مساً من الجنون ، ولكن ولى العهد رضى بان يضع الجيش تحت امرتها . واستطاعت هذه القائدة – إن صح هذا التعبير – التى لم تبلغ السابعة عشرة أن تبث فى القلوب شعور التضحية والفداء ، وأن تعلم الجند كيف يموتون ويستشهدون حتى تحقق لهم النصر المؤزر على العدو الغاصب

ثم أخذت ولى العهد الى كنيسة ريمس حيث توجته ملكا على فرنسا . وكان عليها أن تقف عند هذا حيث انتهت مهمتها ، ولكن الملك ألح عليها أن تبقى على رأس الجيش حتى يتم جلاء الانجليز ، فدب دبيب الحسد والغيرة فى نفوس القواد الفرنسيين ، فتركوها تقع فريسة فى أيدى الأعداء الذين اتهموها بالسحر والكفر والفوا محكمة من القسس قضت عليها بالاحراق ، وكانت حين ذاك فى سن التاسعة عشرة

— ٤ —

بعد هذا ضعف شأن الدين فانتقلت عظمة المرأة الى السياسة حيث ظهرت ملكة انجلترا « اليصابات » . وهى امرأة واسعة العقل حكيمة ، قوية القلب جريئة ، وقور المظهر رزينة ، ولكنها كانت تضمر الحقد والضغينة ، وتنطوى على الحسد والغيرة حتى إنها مرضت عند ما بلغها أن عدوتها مارى استوارت ، أنجبت ولداً . وقد رفضت اليصابات أن تتزوج أنفة وكبرياء ، فبقيت العزوبة تأكل روحها وجسمها حتى بلغت السبعين ، ولم يكن هناك من يرث العرش الا مارى استوارت ، فكانت تظن بها أسوأ الظنون ، وتبث حولها العيون والارصاد ، وتحيك لها التهم والمكائد ، حتى قدمتها للمحاكمة فقضت عليها بالاعدام

وفى عهدها هاجم انجلترا الاسطول الاسبانى العظيم « الأرمادا » ، ولكن الأسطول الانجليزى الناشىء حطمه حطماً ذريعاً ، وبذلك صارت انجلترا سيدة البحار ، وبدأت عهد التوسع والاستعمار


ماري تريزا

ويعد عصر اليصابات العصر الذهبي لانجلترا ، فهو عصر مجد في السياسة ، ورخاء في الاقتصاد ، وخلود في التفكير ، وحسبه أن أنجب شكسبير !

— ٥ —

العظيمة الخامسة هي « ماري تريزا » ملكة النمسا ، فقد استطاعت بما أوتيت من دهاء وذكاء ومن جرأة وثبات ، أن تصمد في وجه فردريك الأكبر. فانها لما رأت عجزها أمام قوته عقدت معه الصلح ريثما يشتد ساعدها ، وبعد ذلك انقلبت عليه وكادت تودي بملكه . وكانت تستغل أنوثتها في حياتها السياسية ، تسفح الدموع بين يدي الخصم القوي ، وترسل البسمات في وجه الصديق الودود . ومع هذا فقد كانت امرأة فاضلة وقوراً ، كما كانت أماً منجبة ولوداً . فقد أنجبت ستة عشر ولداً ، وكانت تكتب لبناتها تحضهن على الاكثار من النسل

— ٦ —

و« مدام دي منتنون » احدى العظيمات العشر ولاريب ، فقد ولدت في غيابة السجن ، وذاقت في صباها مرارة الفقر ، ولكنها صارت زوجة أعظم ملوك عصرها « لويس الرابع عشر » . ولم تكن مع هذا على حظ عظيم من الجمال ، بل كانت كبيرة الملامح منيفة القوام

وحياة هذه المرأة سلسلة من المصادفات التي تسنح للعظيم فيحسن انتهازها . فقد تعرفت في بدء حياتها الى الشاعر الفكه الهجاء « سكارون » ورضيت أن تتزوج منه رغم انه كان مشلولا فقيراً ، وذلك انها رأت أن هذا الزواج يمهد لها سبيل الاتصال بنبلاء فرنسا الذين كانوا يفدون على بيت الشاعر ، يسمرون معه ويستمعون حديثه البارع . ثم مات زوجها وانقطعت عنها موارد الرزق ، فاشتغلت مربية لأولاد خليلة الملك ، وأحسنت تربيتهم مما حمل أباهم على أن يعترف بهم أبناء شرعيين . ودعاها الى أن تنتقل بهم الى القصر حيث استطاعت بما


مدام دي منتنون

أوتيت من ذكاء نادر وخلق عظيم أن تعدل بالملك من طريق اللهو والمجون الى طريق الجد والرزانة . فأصابت من احترامه وتقديره ما لم تصبه امرأة من قبل ، فلما ماتت الملكة ألح عليها أن تتزوج منه فرضيت على أن تبقى أمام الناس وصيفة لا ملكة . ومع هذا فقد كانت تدير كل كبيرة وصغيرة فى شؤون فرنسا ، فكان لويس الرابع عشر يرجع اليها فى شتى أمور الدولة ، وكان الوزراء يعقدون مجلسهم فى صالونها حيث تصرف الأمر وفق ما تريد . ومع أنها بلغت أقصى المجد والثروة فانها لم تنس ما يقاسى الفقراء من بؤس وشقاء ، فكانت تصرف همها الى انشاء المدارس والملاجىء

— ٧ —

وقد أنجب العصر الحديث طائفة جديدة من العظيمات تعد فى مقدمتهن الممرضة الانجليزية « فلورنس نايتنجيل » . نشأت هذه السيدة فى أسرة رفيعة المركز وفيرة المال ، فكانت تنفق فراغها فى زيارة أقطار الشرق والغرب . ولكنها كانت تشعر فى قرارة قلبها أن عليها أن تعمل عملا مجيداً ، فكانت تقول : « ان ذهنى يطالبنى بأن أقنعه وأرضيه ، ولن أقنع طبيعتى الطامعة بالزواج ، ولا بالصداقة ولا بالسياحة . . ربى ! ماذا يرضينى ؟ وما هو مصيرى » ؟

فلما بلغت الثلاثين وقامت حرب القرم بين الروسيا وبريطانيا وجدت الفرصة التى تقضى على حيرتها وترضى قلبها . فقد كانت نسبة الوفيات بين الجرحى والمرضى عظيمة جداً فسافرت الى ميدان القتال على رأس عدد كبير من الممرضات وأخذت تعمل ليلا ونهاراً فى زيارة المستشفيات ومراقبتها ، وفى رعاية المرضى ومواساتهم حتى انخفضت نسبة الوفيات من ٤٢ ٪ الى ٢ ٪ . ولما أرادت العودة الى انجلترا تأهب الشعب للاحتفاء بها ، ولكنها أبت الا أن تعود متنكرة دون أن يعلم بها أحد من الناس . وقد عاشت الى التسعين منصرفة الى اصلاح المستشفيات والصحات

— ٨ —

العظيمة الثامنة هى الفتاة الامريكية « هاريت ستو » التى نذرت قلمها لمحاربة الرق وتحرير الرقيق . وكانت هذه الفتاة مثقفة العقل ، متينة الخلق ، حساسة القلب ، فأثر فى نفسها ما يقاسيه الرقيق من هوان وعذاب ، فكتبت الى احدى المجلات قصة بعنوان « كوخ العم توم » تبين فيها شرور الرق وآثامه ، وكانت تظن ان القصة ستنتهى فى ثلاثة أعداد ، ولكنها قالت بعد ذلك : « لم أستطع ضبط القصة . انها كتبت نفسها . لقد أملاها الله وما كنت الا أداته » . فكأنها كانت تكتب عن إلهام وعبقرية . وقد هيأت هذه القصة الأذهان للحرب التى شنها لنكولن على الرق

— ٩ —

و « مدام كورى » مكتشفة الراديوم هى مثال رائع للمرأة العظيمة فى هذا العهد . فهى لا ترضى بأن ينفرد الرجل دونها بأى عمل مهما كان خطيراً . وهى نموذج خالد للجهاد الشاق والصبر الجميل .

فقد أخذت تدرس مع زوجها خواص الأجسام المشعة دون أن يجدا ما يلزمهما من الأدوات العلمية، ومع ذلك فقد صبرا طويلا حتى وصلا الى اكتشافهما العظيم . ولما عرضت الحكومة الفرنسية على زوجها وسام اللجيون دونير طلب بدلا منه معملا للتجارب العلمية . ثم مات زوجها فخلفته فى كرسيه فى جامعة باريس ، وقالت عند ذلك : « ان حياة العالم ليست امنا ولا سلاما، بل هى صراع شاق مع الظروف التى تحيط به ، ومع نفسه التى تسول له ، وكثيراً ما كنت أتأفف وأتذمر وأيأس ، فكان زوجى يقول لى : ولكن أليست هذه هى الحياة التى اخترناها وآثرناها على غيرها ؟ » وكانت مدام كورى بسيطة الملبس ، ساذجة المظهر ، ولكن وجهها يضىء بالجد والذكاء والوقار


مدام كورى

اليانورة ديوز

— ١٠ —

أما العظيمة العاشرة فهى احدى هؤلاء الممثلات والراقصات اللاتى تهافت عليهن الجماهير فى المسارح والسينمات ، وأعظمهن جميعاً هى الممثلة الايطالية « اليانورا ديوز » ، فقد ولدت فى قطار أثناء تنقل أهلها للتمثيل فى سيرك متجول ، وقاست فى صباها مرارة الفقر والمرض والعمل المضنى ، ولكنها لم تبلغ التاسعة عشرة حتى كانت أعظم ممثلة فى ايطاليا ، واتصلت بالشاعر دانونزيو اتصال حب وهوى كان له أثره ونتاجه فى الأدب الايطالى الحديث . ثم انتقلت الى مسارح لندن ونيويورك فنالت إعجاب العالم بأسره. واتصلت بالشعراء والفنانين ووهبتهم من ذات نفسها سعياً وراء الشهرة ، وتقلبت إذ ذاك فى أعطاف البذخ والرفه والنعمى ، ثم لم تلبث أن ولى عنها كل ما نالت من مال وشهرة وأصدقاء ومعجبين ، فماتت فقيرة وحيدة فى فندق أمريكى

ولعل أروع ما فيها أن جمالها الآسر الفاتن قد استحال فى كهولتها الى هذا الطابع الخالد العظيم الذى اتسم به وجه جوتيه ونابليون وبيتهوفن ، والذى نفتقده دائماً فى وجوه النساء .

التقبيل

عنصر من عناصر الحياة

بحث نفسي بقلم الدكتور أمير بقطر

التقبيل في علم النفس مسلك ، أو سير ، أو تصرف ، كسائر التصرفات والمسالك البشرية . وما هذه التصرفات والمسالك سوى إجابات لمنبهات خارجية عنا في غالب الاحايين . وتصل هذه المنبهات الينا عن طريق الحواس ، وهي ليست خمسا كما كان يعرفها القدماء ، ولكنها اثنتا عشرة أو تزيد . وجسم الانسان جهاز دقيق ، غريب التركيب ، مكون تكوينا يدفع صاحبه الى تلبية كل نداء أو منبه خارج عنه أو داخله أحيانا ، وهذه التلبية عملية معقدة تستلزم الخطوات الآتية :

(أولا) يلزم أن يكون هناك منبه كتفاحة للاكل ، أو زهرة للشم ، أو لحن موسيقي للسمع ، أو رقعة من الحرير للمس — وليكن المنبه في بحثنا هذا خداً غضا ورديا جميلا

(ثانياً) يلزم أن تكون هناك حاسة أو أكثر سليمة كالعين أو اليد أو كليهما في هذه الحالة ، تؤدي وظيفتها خير تأدية ، رؤية ، أو لمساً ، أو كليهما

(ثالثاً) يلزم أن ينتقل هذا المنبه كرسالة بواسطة هذه الحاسة الى الجهاز العصبي المركزي ، يحمله خيط عصبي حسي ، كما يحمل السلك المعدني الدقيق تيار الكهربا . والجهاز العصبي المركزي يتكون من الدماغ والحبل الشوكي ، ويلزم أن يكون هذا الجهاز سليما بالطبع

(رابعاً) يلزم أن تكيف الرسالة داخل الجهاز ، تكييفاً يربطها باختبارات سابقة ، ويهيئها التهيئة اللازمة . ولعل هذه هي أهم الخطوات الست

(خامساً) يلزم أن تنتقل الرسالة من الجهاز يحملها خيط محرك عصبي (كما في الخطوة الثالثة) الى عضلات الفم

(سادساً) وهنا يتم الجواب أو تلبية النداء أو المنبه الخارجي ، أو بتعبير آخر يتم التقبيل بانقباض عضلات الفم وضغط الشفتين على الخد

وكل مسلك أو تصرف لا بد أن يكون جوابا أو تلبية لمنبه . والتلبية أو الجواب نوعان : فهي تستلزم حركة ، كانقباض عضلات كما ذكرنا في مثال التقبيل ، أو افراز غدة من الغدد ، ومثال ذلك اللعاب من الغدد اللعابية ، والدموع من العين ، واللبن من الثدي ، والعرق من المسام . هذه الافرازات وأمثالها ، هي من ناحية علم النفس إجابات لمنبهات ، ومثلها مثل الحركات العضلية ،

كتحريك اليدين والقدمين والرأس والشفة وغيرها

ومعظم (١) المسالك البشرية منشؤه الدوافع النفسية أو الغرائز ، فاذا لمحت حجراً يترقرق لمعانا فتناولته لفحصه ، فانك تفعل ذلك مدفوعا بغريزة حب الاستطلاع ، واذا تبين لك انه قطعة من الماس فأخذته ، فيكون الدافع غريزة الحيازة ، واذا رأيت رجلا يقترب منك فعدوت ، كان الدافع لك على العدو غريزة الخوف أو المحافظة على النفس ، وهكذا

دوافع التقبيل

أما الغريزة التي تدفع المرء الى التقبيل ، فقد اختلف في تعليلها علماء النفس بعض الاختلاف . فمنهم من يفرق بين التقبيل الذي ينبعث عن الرحمة والحنان ، وذلك الذي يكون منشؤه الحب الأبوي أو البنوي ، وذلك الذي يطفيء لواعج الغرام ، أو الشوق ، وذلك الذي يكون الباعث له مجرد العادة . ومنهم من لا يفرق بين تقبيل وتقبيل ، بل يرجع كل أنواعه الى غريزة واحدة ، ودافع نفساني واحد ، هو الدافع الجنسي أو الشهوة الجنسية ، كما سنشرح ذلك في حينه . ويقول هؤلاء ، وعلى رأسهم فرويد من علماء فيينا وأطبائها النفسانيين : إن مناطق الشفتين والفم واللسان من الأعضاء التناسلية الثانوية ، كالثديين ، وإن المبالغة في التقبيل حتى في غير أحوال الهيام والعشق مثير للرغائب الجنسية ، مهيج للشهوات

والتقبيل يشمل خمس حواس ، وهي اللمس ، والسخونة ، والضغط ، والشم ، والذوق . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بأن التقبيل عند الانسان الفطري كان بواسطة الشم ، واللحس باللسان ، كما نشاهد في الحيوانات اليوم . ولا يزال الأوربيون في معظم اللغات الآرية يقولون إن الكلب قبل سيده أو كلباً آخر ، اذا لعق وجهه بلسانه . وما يزال التقبيل عند كثير من قبائل أنام والصين واليابان وغيرها من وظيفة الأنف أو اللسان أو كليهما . وما تزال الحيوانات تجعل مقدمة الاتصال الجنسي باناثها شم أعضائها التناسلية وذوقها . ومن الغريب أن وظيفة اللسان في التقبيل الشهواني (الجنسي) ما تزال على قيد الوجود ، في حين انها اختفت أو تكاد في غيره من أنواع التقبيل ، إذ لاتوجد إلاعند سكان بعض البلدان الاسيوية ، حيث تلحس الأم طفلها كالحيوانات بدلا من تقبيله بالطريقة المعتادة

وللعاب صلة متينة بالتقبيل ، خصوصاً الجنسي منه ، إذ يتغير طعمه ورائحته ونكهته تغيراً كيمياويا ، تبعاً لنفسية العاشقين وحالتهما وقت التقبيل ، ومن أقوال سليمان الحكيم في نشيد الانشاد في التوراة : « ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر .. شفتاك .. تقطران شهداً ، تحت لسانك عسل ولبن .. رائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر » . ويقول نيرون عن زوجته الثانية :

---

(١) نقول معظمها لأن بعضها مجرد أعمال انعكاسية آلية ، مثل طرفة العين لمجرد اقتراب شيء منها فجأة

إن طعم قبلاتها كالتوت البرى . والشعر عند جميع الأمم ملىء بهذه العبارات التى تتفق والمبادىء العلمية الحديثة فى هـذا الموضوع ، ولعل أبلغ هذه العبارات ، وأقربها الى حرفية الواقع ، قول الشعراء الغربيين : « اشرب قبلاتك » . وقد تبلغ المغالاة فى التقبيل شرب اللعاب فعلا ، وأكثر من ذلك الاستعانة بالأسنان الامامية . ويذكر لنا بعض العلماء أن عادة التقبيل العنيف عند مقاطعة بريتانيا فى فرنسا كانت موضع المناقشـة يوما ما فى المجمع العلمى الطبى بباريس ، إذ قدم أحد أعضائه مشروعا لتشجيع الزواج وإكثار النسل فى فرنسا ، بتحبيذ هذا النوع من التقبيل بين غير المتزوجين من شبان وشابات ، إغراء لهم على تعجيل الزواج

وتتضح علاقة اللعاب بالغريزة الجنسية فى التقبيل من القبلات الجافة التى يمكن أن نسميها رسمية ، كقبلات وزير الحربية مثلا للجنود والقواد عند تسليمهم براءات الرتب وأوسمة الشرف ، وقبلات الناس بعضهم لبعض لمجرد حكم العادة ، وقبلات الكهنة لأحد العروسين عقب حفلة الزواج عند بعض الأمم

قلنا ان التقبيل تعبير عن عاطفة ، كالابتسام ، والضحك ، والبكاء . ونعلم جيداً أن البكاء مثلا يعبر عادة عن الحزن ، ولـكنه كذلك يعبر عن الفرح تارة وعن الخوف ، أو الألم ، أو اللذة ، تارة أخرى . والتقبيل كسائر التعبيرات النفسية ، أو التصرفات كما سميناه ، يعبر عن ظاهرات كثيرة ، قد تكون متناقضة فى الظاهر ، وان رجعت جميعها الى أصل واحد . فالقبلة الغرامية للفتاة البكر مثلا أمل ورجاء ، وللزوجة إيمان وعقيدة ، وللمرأة العانس (التى فقدت كل أمل فى الزواج) إحسان وصدقة . والقبلة الغرامية يسعى اليها الشاب والشيخ على السواء ، إلا أن الشاب يختلسها اختلاساً ، والشيخ يشتريها كما يشترى السلعة من الأسواق

تقبيل الوالدين

يقول مكدونلد من علماء النفس : ان أساس عاطفة الحنان رغبة القوى فى حماية الضعيف . وكثيراً ما يقبل الرجل امرأة ، لا لسبب ظاهر فى بادىء الأمر ، سوى هذه العاطفة ، فيشعر نحوها كأنه أب لها ، غير أنه لا يلبث أن تنقلب هذه العاطفة من حنان وبنوة الى غرام وهيام . يقول لنا قائل ان هذا الرجل الشيخ يعطف على هذه الفتاة ، ويحنو عليها حنواً أبويا ، بيـد أنه يجب أن يحذر ذلك الشيخ البرىء المسكين لان هذا العطف اذا لم يقف عند حد أصبح أشد وطأة ، وأقوى مراساً ، ولأن عاطفة البنوة الحقيقية أقرب العواطف الى نفس الانسان بعد الأنانية ، والأم أقرب عاطفة الى ابنها منها الى زوجها

وهذا يؤدى بنا الى القول ان إغداق القبلات بغير حساب على الأطفال بعد بلوغهم سناً معلومة خطر معيب يجب تلافيه ، فاذا لم تحول هذه القبلات الى ناحية أخرى sublimated بعد سن المراهقة

وقعت الأم وابنها فى العقدة التى يسمونها عقدة « أوديب » Oedipus Complex

غير أن السواد الأعظم من العلماء لا يعتقدون أن هناك علاقة تذكر بين الحب الأبوى والغريزة الجنسية ، بل يعتقدون على النقيض من ذلك ان فى الحب الأبوى أو قبلة الأب لابنه (فى سن المراهقة فما فوق) عاطفتين متضادتين : الأولى عاطفة الانانية ، وهى التى يحسب فيها الاب أن ابنه ما هو إلا لحم من لحمه ودم من دمه ، أى جزء منه ، وليس للابن شخصية قائمة بذاتها . وثانيهما عاطفة المنافسة ، وهى التى يحسب فيها الاب ابنه مزاحماً له فى حبه لزوجته ، ومنافساً له فى رجولته وكبريائه وكرامته ، مما يتولد عنه عداء جدى بين الوالد وابنه فى كثير من الاحوال ، ويشتد هذا العداء إذا كانت الزوجة غير أم الابن

والعاطفة العدائية بين الرجل وابنه موجودة فى كتب الادب ، مثال الحكاية الكلاسيكية « سحراب ورستم » والرواية الروسية الخالدة « الآباء والابناء » لمؤلفها « ترجنيف » . وفى العصر الحديث يترك الابن أباه ويعيش وحده حتى قبل الزواج ، تفاديا من أن يتمادى الاب في أنانيته

كذلك الأم تشعر نحو بنتها بما يشعر به الأب نحو ابنه ، والنتيجة البيولوجية أن البنت تفارق امها بالزواج ، فاذا أصبحت موالية لها بعد الزواج ، أصبحت الأم هدفا لجميع النكات والنوادر والدعابات التى تصوب نحو الحماة عادة

ومن السهل جداً أن يتطوع قارىء بنقد الكلام فى هذا الموضوع . والاستخفاف بالاشارة الى ما قد يتأتى من العلائق الجنسية الشاذة بين الوالدين وأولادهما نتيجة هذه الظاهرة البريئة ، ظاهرة العطف والتقبيل والحب ، التى يولع فيها الى ما بعد بلوغ البنت أو الابن سن المراهقة . غير أننى أحيل القارىء الى علاقة السيدة ترتشارد ببنتها كترين فى كتاب « المرآة الخضراء » لهوج ولبول ، وعلاقة وتان لزجفرد فى كتاب « زجفرد » لواجنر

أطوار التقبيل

وهنا ننتقل بالقارىء الى أطوار التقبيل منذ الولادة الى سن الرجولة . وهي عين الأطوار التى تمر بالانسان في حياته الجنسية ، وعددها اربعة : فى الطور الاول لا يولع الطفل الا بنفسه ، ولا تراه يقبل الا نفسه ، وهذا التقبيل يظهر فى مص الاصابع . وفى الطور الثانى ينتقل هذا الحب ، وما يتبعه من الميل الى التقبيل ، الى والديه . وفى الطور الثالث ــ وهو قبل سن المراهقة بثلاثة اعوام أو اربعة ــ يميل الى تقبيل الاطفال الذين من جنسه ، الذكر للذكر ، والانثى للانثى . وفى الطور الرابع ــ بعد سن المراهقة ــ ينتقل هذا الميل الى تقبيل الجنس الآخر

ويتضح من هذا ان الاطوار الثلاثة وقتية ، أما الاخير فهو وحده الطور الطبيعى الدائم ، طور النضج . غير انه مما يؤسف له ان بين البالغين رجالا ونساء من يقف نموه الجنسى فى نهاية مرحلة من المراحل الثلاث الاولى

ومن الغريب أن الناس اعتادوا أن يتسامحوا مع البنات بعد سن المراهقة، فيتركوهن يقبلن بعضهن، ويكثرن من هذا التقبيل بغير أن يتسرب الى الأذهان شيء من الريبة، في حين أن الذكور فى هذه السن يمتنع عليهم تقبيل بعضهم بعضاً، لأن مثل هذا التقبيل يدعو للريبة! نقول من الغريب أن يعتاد الناس هذا التفريق، فى حين أن الخطر فى الواحد لا يقل عنه فى الآخر. كما يتضح من المباحث التى قام بها علماء النفس في هذا الشأن. وأمامى الآن كتاب عام [١] يشير الى هذه المسألة وآخر خاص [٢] فى علم النفس يشرح الموضوع بعبارة علمية فنية معززة بالأرقام. وربما كان الفرنسيون على حق فى مراقبة بناتهم مراقبة دقيقة من هذه الناحية، فاذا خرجت فتاة للنزهة مع صديقتها، صحبتهما عمة أو خالة أو امرأة أخرى (Chaperon)، كما يفعلون فى بلدان أخرى عند خروج شاب وفتاة للنزهة

قبلة الصديق

ولم يستطع علماء النفس تعليل التقبيل بين الأصدقاء من جنس واحد، الذكور للذكور أو الاناث للاناث، ولعلهم لا يعدونه تقبيلا بالمعنى الصحيح، ما لم يدخل فيه عنصر جنسى أى شهوانى. ولذلك يجب أن نفرق هنا بين نوعين من التقبيل: النوع الاول يشمل القبلة الجوفاء الجافة التى منشؤها العادة لا العاطفة. فاذا تلاقى رجلان بعد غياب فترة من الزمن فقبل احدهما الآخر، فان هذا التقبيل ضرب من المبالغة، ولا يختلف كثيراً من الناحية النفسية عن قبلة يهوذا أو القبلة الخائنة. أما النوع الثانى فيشمل القبلة الحقيقية التى لا يستطيع العلماء التفريق بينها وبين القبلة الجنسية بين العاشق وعشيقته. وفى التوراة نجد داود يقول عن صديقه ناثان إن حبه فاق حب النساء. ولا يقصد علماء النفس بهذا القول أن القبلات فى مثل هذا الحب بين ذكرين أو أنثيين، لا بد أن يتخللها عنصر شهوانى، ولكنهم يقصدون أن هذا العنصر الشهوانى مستتر، لاشعورى، فاما أن يبقى كذلك، أو ينفجر. ويتبين من هذا أن معظم التقبيل على أرصفة المحطات وسطوح البواخر بين الأصدقاء من جنس واحد مبالغة ومحاكاة وعادة، ولا يعد تقبيلا بالمعنى الصحيح

وقد شهدت مرة حفلة توزيع الجوائز، فى ضاحية من ضواحى باريس، على طالبات مدرسة ثانوية أو ابتدائية، فجلس على المنصة أعيان القرية، وكانت كلما تتسلم فتاة جائزة، صحب التسليم قبلة من أحد هؤلاء الاعيان لهذه الفتاة. ولست أدرى ماذا يسمى علماء النفس هذه القبلات! هل هى قبلات الحنان والابوة على مذهب مكدونلد؟ أو هي قبلات جنسية فى حالة الطالبات في سن السادسة عشرة الى العشرين على مذهب فرويد؟ أو هى قبلات جافة جوفاء بحكم العادة والمبالغة

---

(١) Man, Woman, and God

(٢) Emotions of Normal People

القبلة المقدسة

هل هناك قبلات زوجية مقدسة ؟ من الاقوال التي تكاد تكون خيالية عند الفلاسفة أن روح الطفل تولد بظهور أول ابتسامة على ثغره . والقبلة التي يطبعها أحد الوالدين على فم الطفل في هذه اللحظة هي أبرز مثال للقبلة الروحية أو المقدسة . بيد أن هذه في الحقيقة هي قبلة الحنو ، ومثلها قبلة الطفل في جميع الاطوار ، وقبلة المريض ، والحزين ، والضعيف ، والحيوان المدلل ، والزوجة بعد مضي زمن كاف على الزواج وغير ذلك

ولم يبق لنا الا الموازنة بين التقبيل عند الرجل ومثله عند المرأة . يعتقد العالم لمبروزو أن التقبيل مظهر من مظاهر الحب عند المرأة ، ولكنه كسائر هذه المظاهر ، ينشأ عن الغريزة الجنسية ، كما هي الحالة في الرجل ، ولكن يتصل أيضاً بغريزة الأمومة . ويقول الفرد دي فيني Alfred de Vigny تعزيزاً لهذه النظرية : إن كل حب في المرأة يرجع الى ثديها أو غريزة الأمومة ، وأن كل عاشق تهيم به المرأة ، ما هو في نظرها الا بمثابة طفل تحنو عليه وترضعه . ويقول في مكان آخر : ان المرأة لا وجود لها بغير الحب ، وانها تؤثر أن تعيش مع لص تهواه ، من ألا تحب ، لأنها بغير الحب في عداد الموتى

والتقبيل والحب عند الرجل عنصر من عناصر الحياة ، وليس الحياة كلها كما عند المرأة ، ويظهر هذا الفرق جيداً في أعضاء التناسل ، إذ انها خارجة عن الجسم في الرجل ، في حين أنها عميقة اللفائف ، متغلغلة فيه عند المرأة

أما القبلة الصادقة التي يفهمها علماء النفس ، فهي تلك القبلة الحارة الانفاس ، الذكية الرائحة ، المبللة باللعاب المتبادل ، تلك التي تتصل بأرق العواطف البشرية ، وأسمى الغرائز الانسانية ، وأشد اللذات الحيوانية وأقربها الى تخليد النسل ، والمحافظة عليه من التدهور والفناء . هي عصارة الحب والحنان والعطف ، ودواء الهيام والجوى ، وحرقة الصبابة والتدله . هي مزيج من السيادة والحنو والحيازة والكلف عند الرجل ، والخضوع والاستسلام والحب عند المرأة

القبلة مرآة يرى فيها الابن شبح أمه ، وترى فيها البنت شبح أبيها ، ويرى فيها الجميع سلسلة الخلود ونهر الابدية ينحدر من التربة الارضية ، الى البذرة النباتية ، الى العود ، الى السنبلة ، الى الخبز ، الى الدم ، الى الجنين ، الى الطفل ، الى الرجل والمرأة ، الى التربة وهكذا دواليك . . . إذ القبلة كالحب عنصر من عناصر الحياة للرجل ، ولكنها الحياة بأسرها للمرأة : هي للفتاة البكر أمل ورجاء ، وللزوجة ايمان وعقيدة ، وللعانس والعجوز إحسان وصدقة

أمير بقطر

« .. لو وقف الخطب عند خراب الديار لهان ، ولـكن هنالك ثلاثة ألف نفس من سكان المدينة بلا مأوى أو طعام .. »

خراب مدينة سان فرنسيسكو

صورة رائعة من مآسي الزلازل

كان سكان مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية يتتبعون فى الصحف أنباء ثورة بركان فيزوف ويتألمون لما أصاب ايطاليا فى مدينة من أهم مدنها ، ويتبرعون بالأموال مساهمين فى الاكتتاب العالمى الذى فتح لمساعدة منكوبى نابولى ، غير عالمين أن الطبيعة غادرة عمياء تضرب خبط عشواء بلا اختيار ولا تمييز ، وأنها تدخر لمدينتهم الجميلة نكبة أدهى وأروع من تلك التى ألمت باخوانهم الايطاليين

فى مساء يوم الثلاثاء الموافق للسابع عشر من شهر ابريل سنة ١٩٠٦ – أى بعد تسعة أيام من كارثة نابولى – خرج سكان سان فرانسيسكو يستنشقون نسيم الربيع المنعش على رصيف البحر ويستجلون محاسن الطبيعة فى تلك الليلة المقمرة ، بينما احتشد أغنياؤهم وعليتهم فى مسرح الأوبرا يستمعون الى المغنى الأشهر « أنريكو كاروزو » وهو يغنيهم بصوته العذب الرخيم رواية « توسكا » . ولم يكن فى الأرض ولا فى السماء ما ينذر بأن هذه المدينة الساهرة المضيئة الزاهرة ستصبح بعد ساعات أطلالا خربة ورسوما متهدمة

كانت الساعة قد فاتت الخامسة من الصباح عندما روع السكان النيام بزلزال عنيف أرقص الساكن وهز الأبنية وأقض المضاجع ، فاستيقظ الناس هلعين يتساءلون عن النبأ العظيم ! ثم قفزوا من أسرتهم ومراقدهم وخرجوا بملابس النوم يلتمسون النجاة فى الميادين الواسعة والمتنزهات الرحبة والخلاء الفسيح . ولـكنهم لم يكادوا يخطون أعتاب بيوتهم حتى أحسوا أن سطح الأرض يتموج تحت أرجلهم تموجا تنشقق من شدته الطرق وتتكسر أنابيب الماء ، وسمعوا جوف الأرض يغلى ويدوى ويتمزق كأن جهنم نصبت فيه ، وأبصروا مداخن المصانع الكبرى تتصدع ثم تخر من عليائها فتستحيل أكواما من تراب وأحجار ، وبعض تلك الصروح الشمخرة التى تناطح بعنانها السماء يتداعى ويترنح ويميل ، فاذا هو أكداس من صخر فوق أكداس من حديد

وكانت الهزات الأرضية تتتابع بعد ذلك خفيفة على فترات متقطعة ، فلا تدع للسكان وقتاً يستجمعون فيه شتات صوابهم أو يتدبرون حرج موقفهم . فلما بلغت الساعة الثامنة زلزلت الأرض مرة أخرى زلزالا هائلا لم يطل أكثر من أربعين ثانية ، ولـكنه كان من الشدة بحيث قضى على

جميع الأبنية التي أبقى عليها الزلزال الأول متصدعة الزوايا متداعية الأوصال ، فانقلب كثير من العمائر والدور أطلالا وخرائب تنبعث من تحتها أنات الجرحى وولولة المستغيثين ، واستحالت بعض الشوارع الكبري تلالا من الأنقاض تظلها طبقات كثيفة من الغبار

عندئذ جل الخطب وفدح المصاب ، فلم تكن تسمع الا صيحات الرعب والتنادى بالأسماء ، ولم تكن تبصر الا أقواما طاشت عقولهم وطارت ألبابهم يحملون نفائسهم فى صرر فوق اكتافهم ويضمون صغارهم الى صدورهم ويجرون من هنا الى هناك لا يعلمون أين المفر ولا أين المستقر ، ما يغادرون بيوتهم حتى تتساقط خلفهم ، وما يسلكون طريقاً حتى يسده أمامهم صرح يخر أو بيت ينهار

وكأنما أبت عناصر الطبيعة الا أن تتعاون في ذلك اليوم المشئوم على إهلاك الانسان الذى طالما اذلها لأغراضه وسخرها فى منافعه . فبينما كان السكان يقاسون هول الزلزال وقلوبهم ترتجف فى صدورهم رعباً وفزعا ، اذا بالنيران تشب فجأة فى عدة جهات من حى الأعمال فى آن واحد ، واذا بألسنتها تمتد ومساحتها تتسع ، ويتصل بعضها ببعض ، فتصير الحى العامر أتوناً متأججاً ، بل جحيما مستعراً

خرجت النيران من مراجل المصانع التى هدها الزلزال ، ومن مجارى الغاز التى قصمتها الهزات الارضية فراحت تلتهم كل ما تصادفه فى طريقها ، تبتلع بيتاً بعد بيت ، وتنتقل من شارع الى شارع وتتجاوز حياً الى حى الى أن صار قسم « السيتى » شعلة متدلعة الالسنة تهدد باقى المدينة بالشر المستطير

ثم سكنت الارض وعاد اليها هدوؤها ، فنشطت السلطات الى تدبير وسائل الانقاذ وتنظيم طرق المقاومة ، فانتشر رجال المطافىء فى أرجاء القسم بمضخاتهم وبدأوا يعملون . ولكن يا للهول ! ماذا يعملون ولا ماء هناك ؟ لقد خربت الزلازل أنابيب الماء فى الارض فلا معدى عن أن يقفوا مكتوفي الأيدى عاجزين أمام العدو القاهر وهو يتوغل ويشتد ويتفاقم ، ويتهدد الأحياء المجاورة بالخراب الأكيد

يئسوا من إطفاء الحرائق فلجأوا الى الديناميت ينسفون به الأبنية المهددة ليحصروا النار فى مكان وليحولوا دون امتدادها الى ميادين أخرى ، ولكن النار كانت أقوى من أن تحاصر وكانت الرياح تساعدها على الاضطرام والتنقل ، فصاروا ينسفون سلاسل من البيوت دفعة واحدة عسى أن ينقذوا ما جاورها ، بيد أن النار كانت لا تلبث حتى تتشبث فى الأخشاب المتراكمة فوق الأنقاض، ويذكيها الغاز المتصعد من المواسير المهشمة فتمتد وتتبسط وتتسع ، فتجور على الأماكن التى سلمت من الزلزال والديناميت . ولم يأت الظهر حتى كان نصف المدينة ضراما ، ومائتا ألف نفس من سكانها يهيمون على وجوههم فى الخلاء

أتت النيران على حي الأعمال وأتت على حي الأسواق والتهمت البلدية ودار البريد وجامعة ستانفورد . وإذا كان بعض ناطحات السماء المبنية من الصلب والحديد قد قاوم الزلزال إلى حد ما فقد بدأ الآن يتفكك ويتساقط بفعل النار . أما الأبنية المشيدة بالحجارة أو بالخشب أو بالآجر فهي اللقمة السائغة للحريق . وهكذا تهدم مبنى فندق فالانسيا ذو الخمس الطباق بعد أن اخلى لحسن الحظ من ساكنيه . وتهدم فندق كنجسلي وقتل تحته ثمانون . وانهدم ملجأ للايتام فقضى على حياة مائتي طفل كان يؤويهم . وانفجرت مواسير الغاز في خان كبير فانهار على من فيه واحترق منهم سبعون . وخرت عمارة في الشارع السابع ذات عشر طبقات فلم ينج من سكانها أحد . وسقط صرح عال في شارع « ادى » فاحتضن في سقوطه بيتاً مجاوراً له وقتلا تحتهما مائتي نفس لم يتيسر لهم النجاة . وانهارت دار شركة الاتحاد الغربي للتلغراف فلم يبق من طبقاتها الثماني عشرة جدار ولا عمود . وانهار بنك التعاون الأهلي ومبنى « يونيون ترست » وكان كل منهما ذا احدى عشرة طبقة ، وتهدمت دار جريدة « فرانسيسكو كول » ودار جريدة « فرانسيسكو ايجزامنر » وكانت كلتاهما مؤلفة من عشرين طبقة . والتهمت النار فندق «بالاس أوتيل» ذا الألف والخمسمائة غرفة وكان من أفخم مباني العالم من حيث الضخامة والفخامة واساوب البناء . وكان من بين نزلائه المغنيان كاروزو الايطالي وفان روى الألماني وقد زف البرق الى الدنيا نبأ نجاتهما من الحريق . أما المسارح فما أبقت عليه منها الزلازل أغارت عليه النيران،وما أبقت عليه النيران والزلازل نسفه رجال المطافىء بالديناميت ، وهكذا عدمت سان فرانسيسكو فيما عدمته من مسارحها الفخمة مسرح كولومبيا الجميل ومسرح الأوبرا الذي كان يعد بحق آية من آيات فن العمارة الحديثة

ولقد عززت الحكومة فرق مطافىء المدينة بفرق المدن القريبة وبثلاث تجريدات من الجيش ، فابدى رجالها بطولة جديرة بالاعجاب . ولكن ماذا تستطيع قوى الانسان حيال قوى الطبيعة الثائرة ؟ ! ذهبت جهود أولئك الابطال كما ذهبت تضحياتهم سدى لقلة الماء في ذلك الاتون الذي لا أول له ولا آخر ، وكانت الريح تندفع من البحر على المدينة شديدة عاتية فتنقل اللهب من الأبنية المستعرة الى الأماكن السليمة، ومن الاحياء المتقدة الى الأحياء البعيدة ، وهكذا امتدت النيران الى حي الأغنياء فوق ربوة « نوب » العالية فكان منظر الحي وقد أقبل المساء منظراً مروعا هائلا مذهلا ترتد عنه الأبصار فزعاً ورهبة . فلقد كانت الرياح تمزق طبقات الدخان الكثيفة السوداء فتلمع من بينها ألسنة قاتمة حمراء ، تتلوى في الفضاء فتضىء الأرجاء الشاسعة ، وتظهر على ضوئها شظايا الحديد والخشب والحجارة وهي تتناثر وتتطاير

ولم تبلغ الساعة الخامسة بعد الظهر حتى كانت رقعة من أرض المدينة مساحتها ثمانية أميال مربعة بحراً من نار تتلاطم أمواجه المستعرة ويقصف في الآذان هديره الداوي . وكان أخوف ما تخافه السلطات أن تبلغ النيران من ناحيـة حي الصينيين الضيق الأزقة المتلاصق البنيان ، والذي يعج

بعشرين الفاً من السكان ، وأن تبلغ من الناحية الأخرى حتى أصحاب الملايين الذين احتوت قصورهم كنوزاً من الفن لا تقوم بمال ، فلم تكن لتلك السلطات مندوحة عن أن تضحى بأفخم الكنائس والكاتدرائيات ودور الآثار ومخازن التجارة وقنصليات الدول ودواوين الحكومة ، فسلطت عليها الديناميت ينسف منها ما أبقت عليه يد الخراب . فلما اقبل الليل كانت النار على أشدها فتبدت فى الجو هياكل بعض نواطح السماء قضباناً من الصلب ملتوية ملتهبة يتطاير منها الشرر ، وتتساقط كالشهب فى الفضاء

ولو وقف الحطب عند خراب الديار لهان . ولكن هنالك ثلثمائة الف نفس من سكان المدينة فى العراء بلا مأوى ولا لباس ولا غطاء ولا طعام ولا ماء ، لا يعلمون ما حل بأهلهم وبأموالهم ولا ما سوف تنتهى اليه تلك الحال ، فهؤلاء أمهات يولولن مفتقدات أولادهن ، وأولئك أزواج تبكين بعولتهن ، وهنا صبية يتضورون جوعاً وعطشا وينادون أمهاتهم ، وهنالك عجائز أقعدهن برد الليل فجلسن يودعن ديارهن واللحظ ماء والديار ضرام

ولم تكن الجرايات التى وزعتها الحكومة على أولئك التعساء لتكفى ربع عددهم فكانوا يتخطفونها من أيدى الجنود أو يتخاطفونها من بعضهم فتدور المعارك وتنشب المشاجرات ، ويزداد الكرب ويعم البلاء

وإذ كانت الأسوار قد اندكت والحراس قد غادروا أماكنهم خرجت الوحوش الضارية من حديقة الحيوانات وانطلقت فى المدينة هائمة ، ولكن أراد لطف الله أن تحاصرها النيران بين الشوارع الملتهبة فتلتهمها قبل أن تفترس من تصادفه من الناس ، وأفلت المجانين من مستشفى سان جوزيه وبهرتهم أضواء الحريق فاقبلوا عليها وجعلوا يحومون حولها كما يحوم الفراش حول النور ، فاكلت منهم عدداً كبيراً ووفق الجنود الى تكبيل الآخرين واقصائهم الى مكان أمين

وخيم الظلام على المدينة بعد إذ تقطعت أسلاك الكهرباء وأنابيب الغاز فباتت سان فرانسيسكو المترامية الاطراف فى ظلام دامس مخيف . وخرجت عصابات اللصوص من العبيد والصينيين وحثالة الجنسيات الأخرى للسلب والنهب تحت ستار الليل البهيم . فكانوا يقلبون جيوب الموتى وينتزعون من الجثث حليها ونقودها ويتسللون الى الخرائب منقبين عن النفائس والاموال ، وينفذون الى البيوت فى غيبة الشرطة ورجال الحفظ فيسرقون ما تصل اليه أيديهم . ثم تنبهت السلطات الى هذا فأعلنت الحكم العرفى فى المدينة وبثت جنود الجيش فى الأحياء ورصدت القوى المسلحة حول أنقاض المصارف المالية التى تحوى اقبيتها ملايين وملايين من الذهب والفضة والودائع الثمينة وحول خرائب دور الآثار حتى لا تمتد الايدى الأثيمة الى ما فيها من كنوز . فكان الجنود اذا عثروا بلصوص يسرقون يعدمونهم فى الحال رمياً بالرصاص ويعلقون جثثهم على أعمدة المصابيح فى الشوارع عبرة لغيرهم وتحذيراً لمن تحدثهم نفوسهم باغتنام فرصة البلاء العام لاشباع شهواتهم السافلة

وأدركت النيران قبيل منتصف الليل حي العمال حيث الدور متلاصقة والدروب ضيقة والناس يعيشون كما يعيش النمل في أحجاره ، فلم يطلع الفجر حتى كانت قد أتت على آخره ودفنت تحت أطلاله مئات ومئات من الأرواح

وكأنما أبت الاقدار إلا أن تكون تلك الليلة ملأى بالفواجع . فان السلطات المشرفة على عمليات الاسعاف كانت قد حولت فندقاً كبيراً اسمه فندق التجار الى مستشفى للجرحى ، وقد ظنته بعيداً عن متناول النار . ولكن النار امتدت الى ذلك الحي وهددت الفندق من قرب ، فاضطرت السلطات الى اخلائه . فلما أدرك الجرحى الخطر الذي يزحف نحوهم زحفه الحثيث هبوا من مراقدهم وصاروا يتراكضون ويتدافعون ، يحاول كل منهم أن يسبق الآخرين الى النجاة . ويظهر أن الزلازل كانت قد صدعت أركان البناء فلم يحتمل الحركة العنيفة التي قامت فيه فانهارت بعض جدره وسقطت سقوفه على أربعمائة من الجرحى أخرجهم رجال الاسعاف من تحتها جثثاً هامدة وأشلاء مقطعة

وبرغم كل الاحتياطات التي اتخذتها السلطة وبرغم كل التضحيات التي بذلتها لحماية الحي الصيني فان النار بلغته وبدأت تعمل فيه عملها المدمر ، فلم يصبح الصباح حتى كان ذلك الحي العامر بالسكان أكواماً من الانقاض والجثث المحرقة ، وحملت الريح لهيب النار الى حي أصحاب الملايين حيث يسكن كبار أغنياء كاليفورنيا في قصور بديعة جمعوا فيها نفائس الفن وغالي المقتنيات ، فراح جزء كبير من هذا الحي فريسة للنار قبل أن يتمكن رجال المطافىء من حصرها في دائرة ضيقة بنسف ما حولها بالديناميت

وطلع نهار يوم الخميس على سان فرانسيسكو وقد عقد الدخان في سمائها سحباً متكاثفة تتألق بين سوادها المربد ألسنة الجحيم المندلعة في الجو . وكانت الحرارة المنبعثة من الحريق الهائل تشوي جسوم رجال المطافىء وجنود الجيش ثم تنتشر في الفضاء حتى لتلفح وجوه الواقفين على الروابي المحيطة بالمدينة

وكان دوي الديناميت يمتزج بأجراس عربات الاسعاف وأصوات أبواق الجنود وصفير المطافىء وانفجار المراجل وانهيار الأبنية وقرقعة الأخشاب وصلصلة الحديد وولولة الناس ، فتتكون من كل ذلك جلبة منكرة تصم الآذان وتبكي الأعين وتغم النفوس

وكان نصف المدينة قد ذهب طعاما للنار وما تزال النار على أشدها ، يراها الراؤون وهم على بعد خمسة وثلاثين كيلو مترا منها . عندئذ لم يترفق رجال المطافىء بشيء وانهالوا على شوارع بأسرها ينسفونها بالديناميت والنار تتعقبهم في سرعة مذهلة فتقضي على الأخضر واليابس ، ولا تبقي ولا تذر

وكان الجوع والظمأ قد بدآ يعملان عملهما في الناس الذين لم تكفهم المائتا ألف جراية التي أجرتها عليهم الحكومة ، فرأى بعض مستغلي النكبات العامة أن الفرصة سانحة للربح الوفير، فكانوا يعرضون الرغيف للبيع بدولار وعلبة السردين أو اللحم المقدد بدولارين . ولكن أين النقود

وأين الهدوء لعقد الصفقات ؟ بل أين المفر لأولئك الطامعين من هؤلاء الجياع ؟ دارت المعارك بالأيدي والأرجل وانتزع الأهالى من التجار سلعهم وبضائعهم بعد أن أوسعوهم ضرباً وتجريحاً ، ثم نشب النزاع بين الأهالى أنفسهم عند اقتسام الغنائم وهي لا تكفي منهم الا القليل ، فكانت معامع حامية ومعارك دامية أسفرت عن بعض القتلى وخرج منها كثيرون مثخنين بالجراح . ولقد تداركت الحكومة الموقف فسيرت قطارات السكك الحديدية من المدن المجاورة محملة بالمؤن والماء . وكانت القطارات السريعة تقف في جميع المحطات وتلجأ الى المخازن لتخلي الخطوط لقطارات البضاعة التي تحمل الاسعافات وتجرى بسرعة مائة وعشرين كيلو متراً في الساعة

ولما لم تكف قوى الجيش والبوليس المرابطة في المدينة لحفظ الأمن وللضرب على أيدى اللصوص والعابثين ، جردت الحكومة قوة أخرى مؤلفة من عشرين ألف جندي أخذتهم من الحاميات القريبة وأرسلتهم الى سان فرانسيسكو ، فتمكنوا بعد كفاح عنيف وبعد اعدام ثلثمائة لص من حفظ النظام واعادة الطمأنينة الى النفوس . واذ فرغوا من هذه المهمة انصرفوا بقية اليوم تحت اشراف المهندسين الى اصلاح أنابيب الماء المخربة فأصلحوا منها عدداً كبيراً يسر لرجال المطافىء استمداد الماء منها لمكافحة الحريق

وعندما وجد الماء سهلت عملية الاطفاء فمدت المطافىء مضخاتها ونصبت سلالمها وأمضت الليل في حصر النيران وإخمادها . فلما كان صباح يوم الجمعة كانت ثورة النار قد هدأت ، وكانت ثلاثة أرباع المدينة قد دمرت تدميراً شاملاً لم يسلم منه شيء

وأخذ رجال الاسعاف في استخراج ما تيسر استخراجه من الجثث المتراكمة تحت الأنقاض فدفنوا منها أكثر من ألفين في يوم واحد ، مرجئين استخراج بضعة آلاف أخرى الى أن توافيهم السلطات بالآلات الرافعة وأدوات كشف الأنقاض . أما الجرحى فقد أربى عددهم في المصحات والمستشفيات على خمسة عشر ألفاً وقد مات أكثر من ثلثهم متأثرين بجراحهم البالغة

وأحصت الحكومة الخسائر المادية احصاء رسمياً فقدرتها بخمسمائة مليون دولار (مائة مليون جنيه) وأعلنت في ارجاء الولايات المتحدة أن ثلثمائة الف من سكان سان فرانسيسكو أصبحوا بلا مأوى يبيتون في العراء

عندئذ نهضت أمريكا حكومة وشعبا تضمد ذلك الجرح الدامي في جنبها وتجلت اريحية الامريكيين في أروع مظاهرها، فكانت مثلا عاليا يضرب للحكومات والشعوب عندما تحيق بها الكوارث وتلم الملمات. فلقد قرر البرلمان فتح اعتماد بمليون دولار لاسعاف المنكوبين وعشرة ملايين لترميم المدينة، ثم انهالت الاكتتابات فتجمع منها في الأربعة الايام الأولى اثنا عشر مليونا من الدولارات ، ودفعت شركات التأمين مائتي مليون دولار تعويضا عن الأملاك والمقتنيات المؤمن عليها لديها ، وتبرعت مدينة شيكاجو بمليون دولار ، وحذت حذوها بعض المدن الكبرى، وتبرع كل من روكفلر وكارنيجي

وماكاى واتحاد شركات الصلب واتحاد شركات البترول بمائة الف دولار ، وتتابعت التبرعات الفردية من جميع انحاء البلاد فأربت في نهاية الاسبوع الأول على عشرين مليوناً من الدولارات . ولعل أوقع هذه التبرعات فى النفوس وأولاها بالاعجاب والتقدير مائة الف دولار أرسلها صاحبها الى عمدة سان فرانسيسكو باسم « فاعل خير » . وخمسون الف دولار قدمها المتبرع بها الى عمدة نيويورك باسم « صديق الانسانية »

ولم يكن العالم أقل عطفاً على المدينة المنكوبة من الامريكيين انفسهم . فلقد فتحت قوائم اكتتابات فى كثير من ممالك أوربا وجمهوريات القارة الامريكية وبدأت التبرعات تتراكم من الافراد والهيئات والشركات . ولكن يظهر أن أهل الولايات المتحدة وحكومتها قد بالغوا فى فهم مبدأ مونرو القائل بأن امريكا للامريكيين مبالغة جعلتهم يعتبرون خراب سان فرانسيسكو مصابا أمريكياً لا يجوز لغير الامريكيين أن يشاركهم فيه ولا أن يساهم فى تخفيف آثاره . فرفضوا جميع التبرعات التى وردت اليهم من الخارج ، وأعادوا شاكرين الى شركة الملاحة الالمانية « هامبورج ــ امريكا » مائة الف مارك كانت قد اكتتبت بها ، والى زميلتها « نورد ويتشر لويد » مائتين وعشرين الف مارك ، والى حكومة كندا نصف مليون دولار

إزاء ذلك وقفت حركة الاكتتاب الدولى . وكان لهذا الاباء وقعه السىء فى نفس العالم الذى أخذت صحفه تندد بمسلك حكومة واشنطن وتعيب عليها رفضها يد المواساة التى مدتها اليها الانسانية المتألمة ، فكتبت جريدة البرلينر تاجبلات تقول : « . . . واذا كان لحكومة واشنطن مصلحة فى أن تعتزل سياسة العالم فأية مصلحة لها فى أن تعتزل العالم نفسه ؟ وهل نفهم من ذلك أن الحضارة على الطريقة الامريكية تقتضى أن تنقطع ما بين الشعوب من صلات العطف والمودة والانسانية ؟ »

وعندئذ وقف الرئيس روزفلت يبرر موقف حكومته فقال فى لهجة الثرى المحدث : « ان فى وسع الولايات المتحدة أن تداوى جرحها بيدها وأن تواسى بالأموال الامريكية مصائب الأمريكيين. فشكراً للعالم على المساعدة التى أراد أن يسديها الينا ، ولكنا بحمد الله فى غنى عنها. ولن تمضى خمس سنوات حتى تعود سان فرانسيسكو مدينة فخمة شاهقة الأبنية زاهية الأرجاء ، تحيي قلاعهـا أعلام الدول ، وتساهم بنصيب وافر فى تشييد مجد أمريكا وعظمة الامريكيين »

الشّعُور الإنسانِي

وقابليته للانحياز في مختلف المواقف

بقلم الاستاذ اديب عباسي

هل أنت تعدل فى حكمك ؟ كلا . لأن شعورك لا بد أن ينحاز برغمك الى أمر أو شخص دون آخر . وهذه أمثلة شتى وأسباب عدة تثبت وتفسر هذا الانحياز

تقف امام حلبة السباق وتشهد الجياد تتحفز للانطلاق ، والفرسان على صهواتها مشرئبو الأعناق مرهفو الأسماع . وما هو إلا أن تعطى الاشارة حتى ينطلقوا انطلاق السهام عن اكباد القسي . وقد تكون من المراهنين على هذا الجواد أو ذاك ، فينطلق يعدو وراءه شعورك وهواك ، وتحس كأنك تندفع وراء شعورك تستجيش الجواد وتحمسه وتنشطه . وعلة هذا الشعور واضحة والتفسير غير عسير ، فأنت تركض الشعور وتجريه وراء مصلحتك ، ولا غرابة . ولكن غير الواضح وغير اليسير على التفسير والتعليل ألا تكون من المراهنين على أحد الجياد ، ولكنك مع ذلك تراك تنحاز برغمك شطر احد الجياد ، لا لعلة سوى أنك تتوسم فيه السبق واحتمال الفوز . وقد يحقق جوادك المختار هذا الظن ويمضى يخلف الجياد وراءه واحداً واحداً الى أن يضحى على رأس الحلبة وينتهى قبل غيره الى نهاية الأمد . وقد لا يكون جوادك عند حسن ظنك به الذى أسرعت وظننت عندما رأيته يمضى كالقنبلة فى أول الشوط ، فلا يلبث أن يبدو عليه الوهن ويعتريه الكلال فى أواسط الشوط أو أوله ، فيدانيه ويفوته أقرب الجياد . وهنا لا يستطيع شعورك أن يتلكأ حيث جوادك المتخلف ، فيقفز فجأة وينحاز الى جانب الجواد الجديد . . . وشعورك لا يكتفى من الانحياز والانقلاب بأن يرى جوادك الثانى يفوت وحسب ، بل أنت تستشعر الكثير من الغبطة والارتياح كلما رأيت المسافة بينه وبين منافسيه تزداد ، ونهاية الحلبة تتقلص أمامه وتضيق

وترى فى ساحة اللعب فرقتين تتباريان فى كرة القدم ، فتقف حيالها تزجى الوقت وتدفع

الملال ، ولا نيـة لك ولا عزم على ترجيح احدى الفرقتين فى هواك وشعورك ، فهما تقفان بداءة موقفاً معادلا من شعورك وعطفك ، ولا سبب عندك مهيأ لتمنيك الانتصار لهذه الفرقة أو لتلك ، وتمضى هذا المضى حيناً ، ولا سيما اذا سار اللعب سجالا بين اللاعبين ، لا هو الى هذا الجانب أو الى ذاك . ثم تبدو بوارق النصر والتفوق فى أحد الجانبين ، ويشتد اللعب ويحمى النضال ، فتراك فى غير شعور منك مسوقا الى الانحياز بعطفك شطر الفرقة التى بدت عليها علائم القوة والفوز . وتخرج عن موقف الحياد فى شعورك ذاك الذى كنت لم تزل تقفه قبل رجحان احدى الكفتين رجوحا واضحا . وقد يستخفك هذا الشعور المنحاز الطارىء ويخرجك عن طور الاعتدال والرزانة فتمضى تصرخ مع الصارخين وتصدى مع المصدين للاستجاشة والاستفزاز واظهار الغبطة والاستحسان ، فكأنك موكل بذلك مأجور عليه ، أو كأنك من جماعة الفرقة الذين يهمهم ويغنيهم انتصارها ، وقد ينقلب الوضع وينكفىء الاتجاه وتعود فرقتك المختارة كعهدها الأول الى التعادل مع نظيرها فى اظهار البراعة والكفاءة . وهنا لا يسع شعورك ، اذا لم يطرأ عليه ما يصرفه صرفا نهائيا الى احدى الفرقتين ، الا أن ينقلب راجعاً ليتكيف حسب الوضع الجديد ويعود الى موقف الحياد الأول أو قريباً منه . وقد لا تنقلب فى شعورك الى حد الحياد وحسب ، بل قد تراك تتخطاه وتنقلب مناصراً للفرقة الأخرى ، ولا سيما اذا طال موقف فرقتك المحتباة عند حد التعادل ، أو اذا رجعت وراء هذا الحد وبدا عليها الوهن والارتباك بدل الذى كنت تؤمل من خروجها فائزة منصورة . وهكذا قد يظل شعورك مترددا بين الفرقتين حتى تنتهى احداهما الى النصر الحاسم

وتقرأ ان فلانا من النـاس فى اوربا أو اميركا بلغ ثراؤه كذا ملايين من الجنيهات أو الدولارات . وفى معظم الأمر لا يثير فيك هذا الخبر شعور الحسد أو الغيرة . فان الاوربى أو الاميركى بعيد عنك ، ولا تثير مظاهر نعمته احساس النقمة والشعور بالحرمان فى نفسك ، وهو ليس منافساً لك ولم يستلبك فرصة عزيزة من فرص النجاح أو يزاحمك فى نصيبك منه . وانما الأرجح أن يثير الخبر فى نفسك ضربا من شعور الغبطة والارتياح . بل لقد تشعر شعورا أقوى من هذا الشعور نفسه لو أن الخبر يزيد فى ثروة الرجل أرقاما أخرى ، كأن هذه الزيادة أضيفت إلى مالك ؟ ! وقد تظل معنيا بصاحبك المثرى الكبير على قدر ما تسمح لك مهامك وأشغالك ، وما توزع من شعورك . وقد يخونه الجد ويكبو به السعد فتتبخر الملايين وتغيب

الأرقام الهائلة فيغيب الرجل عن وعيك غياب ملايينه تلك . ولا يعيده الى دائرة وعيك الا دورة أخرى من دورات الاقبال والسعد

وتندلع نيران الحرب الأهلية فى بلد من البلدان ، ويكون للفريقين المتحار بين حظ متعادل من عطفك وشعورك ، ثم مصلحتك أو مصلحة بلدك ليست فى انتصار هذا الفريق أو ذاك . فتقف أول الامر موقفاً متعادلا فى شعورك نحوهما ، ولا سيما اذا ظهرت قوة الفريقين متكافئة ولم تقو الدعاية على سوقك برغمك فى ناحية أحدهما ، ثم لم تكن أسباب الانشقاق باعثاً لاحساس الكراهية والاشمئزاز فى نفسك من أحد الفريقين . بيد أن هذا الشعور المحايد لا يلبث أن يتضعضع وينحرف عن مركز اعتداله ، فتشعر ـ شئت ذلك أم أبيته ـ انك منحاز منساق فى ناحية هذا الفريق أو ذاك ، على مقدار تفوقه ورجحان كفته فى ميدان النضال

وتسمع ان أديباً أو عالماً نال كذا وكذا جوائز وألقابا علمية ، فيستولى عليك شعور صريح بالغبطة، واحساس أكيد بالسرور للخير يصيب العالم أو الاديب ، وتتمنى لو تسمع المزيد من أخبار انتصاره فى ميدان العلم أو الفن . بل لقد يبلغ من غرابة الشعور أن تكره أن ينال الجائزة الواحدة أكثر من فائز واحد ، ولا تشعر بالارتياح كما تشعر به حينما يستأثر بالفوز شخص فذ . والجوائز التى توزع بين أكثر من فائز واحد من الأدباء والعلماء لا تثير فينا الاحساس نفسه الذى يثيره خبر استئثار العالم أو الأديب بالجائزة وحده دون منافسيه

وقد لا تقف قابلية الشعور للانحياز عند حد العلائق الانسانية ، بل تتعداه الى عالم الجماد والطبيعة . فمنا من يسره سروراً داخلياً ، ولو فى شىء كثير من الخفوت ، لو ان جبل افرست، مثلا ، كان أشد امعانا فى العلو ، ويسره لو أن يضاف الى المسيسبى طول الى طوله والى الامزون عرض الى عرضه ! ومنا من ينتظر راغباً اليوم الذى تتضاعف فيه المدينة تقع فى غير بلاده ويضاف الى أبنيتها الضخمة اضافات جديدة مبالغة ! احساس غريب وضرب من عبث الشعور ، ولكن لا يستطيع انكاره من يحسن الاصغاء الى هجس الشعور وخفايا الحس

هذا والتاريخ فى تقديره الأشخاص يقع فى مثل ما يقع فيه الأفراد العاديون من الانحياز ومبالغة التقدير والعجز عن التجرد والاستقلال فى الحكم . ولا نخطىء اذ نزعم ان الكثير من الصور التاريخية ملونة الى أمد بعيد بما لشعور المؤرخ من قابلية الانحياز . ولوكان يتسنى لنا أن نجرد هؤلاء الابطال من اضافات الانسياق مع الشعور ، لبدت لنا صور الكثير من هؤلاء الابطال فى أطر أضيق وأضواء أخفت وألوان أقل خلابة

وهنا نحب ألا يقع فى وهم القارىء اننـا نقلل من قيمة الفروق الطبيعية بين الأفراد أو نتفيها . ان هذا لم يدر لنا بخلد قط ، انمـا الذى نعنيه ولا ينكره النظر الصحيح ان النجاح أو الفشل يضخم فى شعورنا وفى تقديرنا أيضا مسافة ما بين الناجحين والفاشلين ، فيرينا الفاشلين أدنى مما هم حقا ويرينا الناجحين أعلى ممـا هم فى الواقع ، فننسب اليهم والى كفاياتهم وحدها ما أحرزوه من نجاح ، ويندر أن ندخل عامل «المصادفة» فى حسابنا وتقديرنا

أما العلل التى تثير الشعور الى الانحياز فى مختلف المواقف ، فمنها العام الذى يفسر جميع حوادث انحياز الشعور ، ومنها الخاص الذى يفسر بعضها دون البعض الآخر

أول هذه العلل ـ فى رأينـا ـ ما هو مغروس فى النفوس من حب التركيز والمبالغة فى الصفات الانسانية المستحبة والعالية ، ثم كرهنا للشيوع والتساوى فيها جميعاً بين الناس . فنحن مفطورون فطرة قوية على ألا نرتاح أو نطمئن إلى رؤية « الكمال » مباحاً لجميع الناس ينالون منه ويصيبون على قدر ما يشتهون ويتمنون،دون سعى مبذول أو استعداد موروث . ولا أعرف له تعليلا الا أن الانسجام المطلق أو القريب من الاطلاق مكروه بطبيعته،غير مستحب فى الطبيعة وفى الحياة . أو ليست خطة النشوء والارتقاء هى أبداً من التماثل الى التباين ، ومن البسيط الذى تتيسر عنده المشابهة الى المعقد الذى تتضخم عنده الفروق وتستحيل الوحدة ؟

ان هذا الميل القوى للتركيز وكره الشيوع هو الذى يهيىء للناس عبادة البطولة ، ولولا ذلك لتغلبت على النفس نزعات الأنانية وشهوة الدفاع عن النفس ، ولما تسنى للناس الاعجاب بالبطولة والعبقرية بله عبادتها وتقديسها . ولـكن لا ينسى النـاس من البطل أو القوى ما يذكرهم بصفاتهم المختزلة ، فتراهم يبالغون من ناحية ثانية فى نقد الصفات العادية التى فاتها فيهم التركيز والارباء على مستواها العادى بين جمهور الناس . ومن هنا لا تسلم لاصحاب النبوغ والعبقرية سمعتهم خالصة بريئة من التهريج والتسوىء فى بعض نواحيها . وهكذا ينتقم الناس لأنفسهم المجروحة من البطل والعبقرى ، فى حين لا يضنون عليه بالعبادة والتقديس فى ناحية صفاته المركزة البارزة

ويتعدى حب التركيز والمبالغة الصفات الانسانية الى أوصاف الطبيعة . ومن هنا اعجابنا بصفات المبالغة والتركيز فى الجبل والنهر والبحر والصحراء . ومن هنـا كانت عبادة القدماء للكثير من آيات الطبيعة على اصطلاح بينهم وبين شعورهم ، وليس من رهبة وجزع كما يريد أن يفسره الـكثير من الباحثين فى نشوء الأديان

كذلك من علل انحياز الشعور اننا نكره الوقوف طويلا موقف الشك ، ونحب ان ننتهي حالا الى حالة العلم واليقين . فاذا مضى الحال الواحد معلقاً مستبهماً أمداً طويلا دون أن يفضي الى حالة من الوضوح وتحديد الاتجاه ، وكان يهمنا قليلا أو كثيرا انحسار غموضه وانقطاع تعليقه ، حاولنا بانحياز شعورنا الى هذا الجانب أو ذاك الاحتمال ، أن ننهي أمد الشك ونقصر مداه ولو بطريق الوهم والخيال ، وهذا مضافا الى نزعة التركيز للقوى والكفايات يفسر لنا كثيرا من حوادث انحياز الشعور ، كالانحياز الذي يكون مع رهط من اللاعبين دون الرهط الآخر ، وكالانحياز الى جانب دولة محاربة دون الأخرى

وعلة أخرى ما هو مغروس في النفوس من حب الغلب وتخطي العقبات . وهي غريزة من أقوى الغرائز الانسانية وأكثرها تلويناً للسلوك والخلق . فكل فرد من الناس له عقباته التي يسعى ويرجو أن يتغلب عليها ، وله كذلك عقباته الأخرى التي هو يائس من ازالتها وتخطيها . ويسرنا دائماً أن ننال من عقباتنا الدائمة هذه وننتقم منها لعزتنا المجروحة ولو بأن نراها مذللة لغيرنا من الناس . وهذا يفسر غبطتنا وانشراحنا عند ما نقرأ أخبار المغامرات الخطرة يقوم بها نفر من المجازفين في مجاهل الأرض لمراغمة الطبيعة وتذليل شماسها

وبين هذه العلل في توليد الانحياز في الشعور ما فطرت عليه النفوس من رغبة في ادغام ذواتها ادغام شعور بالأشياء والأشخاص . فنحن نرتاح للخطيب الذي يقف متدفقاً كالسيل لأنه يأتينا بالطريف من الأفكار ويضرب على أوتار النفوس ، ولأنه يرينا كيف يتغلب بتدفقه على عقبات الحصر والعي التي كنا نقدرها له كما نقدرها لأنفسنا . وأخيرا نرتاح لأن نجاح الخطيب واندفاعه ينسياننا أنفسنا فنشترك معه في الشعور ونندغم به الى حد ما ، فنحس غير شاعرين كأن نجاحه نجاحنا وفشله فشلنا . ولا ندرك ذلك جيداً الا حينما تتصدى للخطيب عقبة فكرية أو لفظية ، فيخيل الينا انه صائر الى الحصر والفشل ، فنغمض العيون ونتمنى أن يغيب عنا المشهد المؤلم بأي حال من الأحوال . وتقديرنا آيات الطبيعة متأثر بميلنا الى ادغام ذواتنا بهذه الآيات ، فضلا عن حب التركيز والمبالغة ، فنحن في مشهد الجبل الأشم أو البحر الخضم نرتاح ونسر لأن هذا البحر أو ذاك الجبل يثير في نفوسنا معاني التركيز والعظمة ، ثم لأنه يتيح لنا بما يشدهنا عن أنفسنا أن ننسى ذواتنا فندغمها غير شاعرين به ، ولو الى حين يفيق الشعور من غفوته والخيال من سرحته

أديب عباسي

فى صحارى مصر

نقد وتحليل بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد لكتابى « صحراء سينا » و « الصحراوات الثلاث » لمؤلفهما جارفس بك حاكم سيناء السابق

لصاحب هذا الكتاب الحديث « الصحراوات الثلاث » كتاب آخر أقدم منه عن صحراء سيناء طبع فى اللغة الانجليزية أربع مرات ، آخرها طبعة سبتمبر من السنة الماضية

والذين يعرفون أن المؤلف رجل عسكرى انتقل من الجيش البريطانى الى الخدمة بمصلحة الحدود المصرية ، قلما ينتظرون أن يقرأوا فى كتابه السابق أو فى كتابه اللاحق شيئاً يعنيهم الاطلاع عليه غير الشؤون العسكرية الحربية أو الشؤون الادارية المدنية على أوسع احتمال ، وربما انتظروا منه بعض المعلومات التى تدخل فى نطاق عمله ولا تتجاوز فى أقصى مداها حدود الثكنة والديوان

ولكن صفحتين أو ثلاثاً يقلبها القارىء من هذا الكتاب أو من ذاك كافية لتغيير هذا الظن كله والدخول بالقارىء فى عالم للبحث والاطلاع ليس فيه من المسائل العسكرية أو الادارية الا بمقدار ما تدعو اليه الضرورة ويستطرد اليه الكلام . وما عدا ذلك فهو شتيت منظم من المعلومات الشائقة عن طبيعة الأرض وطبيعة سكانها وتاريخ من أقاموا بها قديماً وطرأوا عليها حديثاً من الشعوب البادية أو الحاضرة ، مع دراسة للآثار وإحصاء دقيق لغارات الجراد وملاحظة للنبات والحيوان ، وخبرة بأخلاق الناس وحقائق الأحاديث المروية والاخبار الشائعة يقل نظيرها فى كتب المتفرغين للكتابة فضلا عن الموظفين من رجال الحرب والادارة . وان المؤلف ليحق له أن يفخر بما عرفه عن صحراوات مصر الثلاث كما يحق له أن يفخر بما أضافه الى تاريخ سيناء من ملاحظاته القيمة واستنباطه الدقيق وفروضه الراجحة ، ولا سيما عند الكلام على بنى اسرائيل ومواطنهم القديمة فى مصر وطريقهم المختلف عليه وهم يهجرونها الى وادى التيه . فلا نعتقد أن فرضاً من الفروض التى خاض فيها المؤرخون الثقات منذ اتجه البحث العلمى الى شبه جزيرة سيناء فى منتصف القرن الماضى الى اليوم هو أحق بالعناية وأوفى بالحقيقة من كلام « الماجور جارفس » فى هذا الموضوع . وخلاصة رأيه أن بنى اسرائيل كانوا قبيلة بدوية تسكن صحراء الاقليم المعروف اليوم باقليم الشرقية وتعيش ، كما كان البدو ولا يزالون يعيشون ، على الألبان واللحوم والمراعى القريبة ،

وإن الظلم الذى حاق بهم ونفروا منه انما هو اضطرارهم الى « الشغل » اليدوى فى تحضير « اللبنات » التى تبنى بها المنازل وتحتاج الى الخلط بالتبن والهشيم مما هم فى حاجة اليه لاطعام الماشية والأنعام ، وانهم آثروا الهجرة على « الشغل » باليد كما يؤثرها كل بدوى يسام هذا السوم الى هذه الأيام ، وان البحر الذى عبروه هو البحيرة المعروفة اليوم باسم بحيرة « بردويل » تحريفاً من اسم بلدوين المشهور فى الحروب الصليبية ، وليس هو البحر الأحمر كما تواتر فى أقوال المفسرين لسفر الخروج . ويرى « الماجور جارفس » أن بنى اسرائيل عبروا قبل ارتفاع المد وطغيانه على الرمال المحصورة بين البحيرة والبحر الأبيض المتوسط ، ثم طغى المد على الجنود المصرية فغرق منها من غرق واستحال العبور بعد ذلك على المركبات الخفاف والثقال فى تلك الرمال . وأن المن هو عسل النبات المعروف بالأثل أو « الطرفاء » وقد كان منتشراً على أرض سيناء فى الزمن القديم ، وان « السلوى » هو طائر « السمان » الذى يعبر البحر ويستلقى على الشاطىء من الاعياء فى مواسم معلومة من السنة على حسب الوصف الذى جاء فى التوراة ، وهو يعزز هذه الفروض جميعا بما رآه من علمه واستنبطه أثناء رحلاته الكثيرة فى شبه الجزيرة ، ويدل على حصافة واعية ونظر سديد يليقان بالعلماء المحققين

أما كتابه الجديد عن « الصحراوات الثلاث » فهو معرض طريف لهذه الملكات الذهنية التى ظهرت فى كتابه عن سيناء ، ولكن جانب الفكاهة والخبرة الانسانية فيه اكبر وأمتع من جانب التمحيص والتاريخ ، وإن كان الذى فيه من تمحيص وتاريخ ليس بالقسط الزهيد

فى « الصحراوات الثلاث » يتكلم المؤلف عن الجرار التى عثرت بها بعثة الامير كمال الدين فى الصحراء الغربية ، ويرجح أنها من بقايا حملة قمبيز على واحة سيوة ، ويصحح رواية هيرودوت الذى يزعم أن عاصفة من الرمال غمرت جيش قمبيز بين الواحات الداخلة وواحة سيوة فاهلكته باسره وعدته نحو أربعين الفاً ، فان العاصفة الرملية لا تهلك هذه الالوف دفعة واحدة ، وإنما يرجح المؤلف انها اضلتهم الطريق فتفرقوا هائمين على وجوههم فى طلب الماء حتى بادوا وهم متفرقون

ويعرض المؤلف لأصول البدو الغربيين واخلاقهم وعيوبهم وامراضهم ومزارعهم فيأتى فى ذلك بما هو غاية التحقيق والملاحظة ، وربما كانت نوادره الفكاهية أدل من كل شىء على خبرته الانسانية بطبائع الناس وحسن تدبيره فى علاج مشاكل البدو على نمط يليق بكبار « المشايخ » المحنكين الذين توارثوا حكم البادية مئات السنين

قال فى الفصل السابع ما خلاصته بعض تصرف : انه كان معه فى الواحات الداخلة طبيب عسر المعاملة شكس الأخلاق ، وانه لفى مكتبه ذات يوم إذ جاءته شكوى اجماعية من هذا الطبيب وقع عليها جميع العمد الذين فى الواحات الداخلة وعدتهم أحد عشر ! ! . . . قال : ولو أن عمدة واحداً أو ثلاثة عمد مجتمعين هم أصحاب الشكوى لخطر لى أن اعالجها بالمراسلة كما نعالج معظم الشكايات ،

ولكن هذا الاجماع خطير يوشك أن ينذر بالشر المستطير . فما وسعنى الا أن أتجشم السفر الطويل الى مكان الواقعة وأن الحظ من أول نظرة عندما دخل العمـد الى مكتبى واحداً بعد واحد أنهم حقاً فى غيظ شديد وهياج عظيم ، فان الطبيب الغريب الاطوار قد سره أن يربى فى حديقته أحد عشر ديكا رومياً ويطلق على كل واحد منها اسم عمدة من أولئك العمد الاجلاء ! وأى اهانة اكبر من هذه الاهانة لأناس يهابهم أبناء عشائرهم وتعترف لهم الحكومة بحق الهيبة والرآسة ؟

قال : فغالبت الضحك غلابا عنيفاً لأنى رأيت أولئك الشيوخ المتنفخين المهتاجين وهم يصخبون ويلوحون برقابهم وايديهم ، فلم أر فرقاً كبيراً بينهم وبين الديكة الرومية . . . . ولكن ما العمل ؟ الحكاية دقيقة والسكوت عنها مستحيل والعقوبة فيها غير منصوص عليها فى القانون . . . فبدا لى أخيراً أن افضها على وجه يناسبها ،وقلت للمشايخ الغاضبين إننى قدفهمت الآن لماذا اختار الطبيب للديكة هذه الاسماء ! ! . . . انه ولا شك قد أراد فى نيته أن يهـدى كل واحد منكم الديك الذى يحمل عنوانه ، فخذوها الآن واحتفلوا بها فى العيد المقبل أحسن احتفال . . . هات الشيخ حسن للشيخ حسن ، وهات الشيخ علوان للشيخ علوان . . . . وهكذا ظفر كل عمدة بديك ولم يأسف على ختام القصة بتلك الخاتمة إلا الطبيب . . . وهو الملوم بما جنى على نفسه ! !

هذه الروح الفكاهية هى المزيج الذى ينضح به كل موضوع من موضوعات الكتاب بلا استثناء ، دراسة علمية أو بحث تاريخى أو نادرة شخصية أو رأى فى الحكومة وسياسة الرعية

وهذه الروح الفكاهية هى المزيج الذى تمتزج به طبيعة الرجل فتساعده أطيب مساعدة على تناول الأمور برحابة الصدر وحسن التصرف وسماحة الفكر التى لا غنى عنها فى سياسة الشعوب عامة وسياسة الشعوب الغريبة خاصة وسياسة القبائل البدوية على الأخص بين جميع الرعايا المحكومة

بل هذه الروح الفكاهية وما تفطن له من المواقف المضحكة هى التى غلبته فجعلته يحكى المضحكات عن نفسه كما يحكيها عن غيره ، وساقته الى أحاديث واعترافات عن الادارة الانجليزية قلما يساق اليها أحد من طبقة الموظفين الانجليز

قال فى الفصل الرابع : « إن كل الصعوبة فى استضافة هنتر باشا بالمنزل أن خادمه الذى كان طاهياً له فى الأصل وكان يلازمه حيث حل أو ارتحل قد ترقى على يديه الى رتبة اليوزباشى واصبح يدعى الكابتن حسن ! . . . فما كان أحدنا ليدرى ماذا هو صانع وهو يرى أمامه ضابطا صحيحاً بجلالة قدره يهيىء الحمام أو يحمل حذاء سيده فى الدهليز ، ولقـد حير الخدم فوق ما حيرنا ، ما عساهم أن يصنعوه حين يعبرون بالكابتن وهو يكوى ملابس مولاه : هل يمضون فى سبيلهم أو يقفون وقفة التعظيم ويؤدون التحية والتسليم ؟ ! وربما كانت الحيرة اعظم من جانب الكابتن حسن فى هذه الحالة . . . . لأن الانسان لا يستطيع أن يجيب التحيـة حق الاجابة وفى يده مكواة كهربائية أو فرشاة سوداء ! »

هذه مهزلة لا أذكر أنى قرأت لها نظيراً فى وقائع العصر الحاضر إلا تلك التى يروونها ولا ندرى مبلغها من الصحة عن السيد القديم وخادمه الضابط الحديث فى بعض الامارات البلطيقية التى تعاقبت فيها الثورات وانقلبت فيها الأوضاع فهان السادة وارتفع الاتباع ، واتفق أن خادماً ارتقى الى مراتب القيادة وسيده القديم لا يزال فى صفوف الجند الصغار ، فاصطلحا على أن يطيع الجندى ضابطه أمام الناس وأن يذكر الضابط لجنديه حق السيادة السابقة فى بعض الايام ، فيمثل بين يديه ويحييه ويمسح حذاءه وينصرف بسلام

غير أن التفاوت مع ذلك جد بعيد بين قائد يكافىء خادمه بمناصب الجيش على الاجادة فى طهى الطعام وبين ضابط يتخلى عن مزايا منصبه طوعا لشعور الوفاء . . . وانما هو حكم « القافية » لا غيره كما يقول أبناء البلد عندنا هو الذى سخر الماجور « جارفس » الى الافضاء بهذه الحقيقة عن الادارة الانجليزية فى ناحية من أولى النواحى أن تصان عن مثل ذلك الابتذال

***

وقد ألم المؤلف بقصة المغامر الانجليزى « لورنس » لكثرة ما سأله الناس عنه وعن غزوته العربية ، فقال إنه لم يلق « لورنس » فى حياته الاحوالى خمس دقائق ، ولم يشترك قط فى الغزوة العربية لاقتصار خدمته على ميدان فلسطين ، بيد أنه وصفه بالرجل العظيم وعزا اليه الفضل الأكبر فى نجاح الثورة العربية ، وهو ما نحسبه من مبالغات الشيوع والتواتر ونعده من أساطير العصر الحاضر التي لا يقوم عليها دليل . فان الثابت باجماع الروايات أن الثورة العربية بدأت قبل أن يغامر فيها لورنس مع المغامرين ، وأن الملك فيصلا هو الذى كان يدعو القبائل ويوزع عليها الأموال والغنائم ، وأن لورنس لم يكن يعرف اللغة العربية معرفة قراءة وكتابة ولا كان يجيد لفظها الى الدرجة التى تخدع البدو عن حقيقته الانجليزية كما يزعم بعض المولعين بالغرائب والأعاجيب ، ولم يصنع شيئاً واحداً كان يصعب انجازه بغير وجوده من بداية الثورة الى احتلال دمشق وقيام الحكومة الموقوتة بعد هزيمة الأتراك . فالخرافة فى أمره اكبر من الواقع والتحقيق فى أحاديثه ومغامراته أقل من الاغراب والشيوع

***

قال اللورد جورج لويد يقرظ كتاب الصحراوات الثلاث : « انى لم أقرأ منذ أن ظهر كتاب اللورد ادوارد سسل الموسوم بصفحات من ساعات الفراغ كتاباً اجتمعت فيه المعرفة والحكمة والضحك هذا الاجتماع السعيد »

ونعتقد نحن ان اللورد لويد قد أصاب هذه المرة فيما قال

عباس محمود العقاد

كان الناس قديماً يهاجرون طلباً للرزق أو فراراً من قسوة الطبيعة . أما الشعب المصرى فهو أول من هاجر بقصد نشر العلم والحضارة ـ الاسبان والانجليز أكثر الشعوب هجرة وأمريكا أكثر البلاد اجتذاباً للمهاجرين ـ الاخطار التى تخشاها الحكومات من هجرة الأجانب

هجرة الشعوب

وهل هى من عوامل السلم أو من بواعث الحرب ؟

لم يوفق علماء الاجتماع حتى الآن الى تعيين المكان الذى ظهر فيه الانسان الأول على وجه الأرض . والارجح أنهم لن يوفقوا الى ذلك لأن قرائن كثيرة تدل على أنه ليس فى العالم مكان يصح اعتباره مهد الانسان الأول . فقد ظهر هذا الانسان فى جهات شتى فتناسل فى بيئات مختلفة هى سبب ما نراه الآن من التفاوت بين الاجناس . وبعبارة أخرى ـ أن سواد العلماء يعتقدون أن البشر ليسوا جميعهم أولاد أب واحد وأم واحدة ، بل هم سلالات أروم مختلفة ظهرت فى انحاء شتى وكانت على درجات متفاوتة من النشوء . وليس فى هذا الرأى ما يناقض العقيدة الدينية التى جاءت بها الكتب المنزلة والتى ترجع البشر كلهم الى أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء ، فعلم النشوء يرجع الاروم كلها الى أصل واحد مشترك

الهجرة فى العصور القديمة

كانت الكرة الارضية فى فجر الاجتماع قليلة السكان شحيحة موارد الرزق لأن الانسان لم يكن قد تعلم الزراعة والصناعة ولا عرف كيف يستغل موارد الطعام . وكان يعتمد فى الغالب على صيد الاسماك والطيور وقنص الحيوانات ليقتات بها نيئة أو ناضجة . وفى احوال كثيرة كان يضطر الى النزوح من مكان الى مكان طلباً للقوت أو اتباعا للحيوانات والطيور التى كانت ولا تزال تنزح فى مختلف المناطق تبعاً للاحوال الجوية وطلباً للغذاء

وكان البشر فى أوائل عهد الاجتماع كلما تكاثروا شعروا بنقص موارد الرزق وعجزها عن امدادهم بكفايتهم من الطعام . فكان هذا هو الحافز الأول لهم على الهجرة من مكان الى مكان ، ولكنه لم يكن الحافز الوحيد فان الأحوال الجوية والكوارث الطبيعية كالزلازل والطوفانات والأوبئة والمجاعات كانت هى أيضاً تدفع الجماعات البشرية الى المهاجرة والبحث عن أوطان جديدة . ولم تكن هذه الجماعات تطيل اقامتها الا حيث تضمن اتصال أسباب الرزق واستمرارها

والدلائل متوافرة على أن الهجرة كثرت فى العصر الجليدى . فكان البشر يومئذ يقصدون الى المناطق التى ينحسر عنها الجليد ، وكلما أنسوا من احدى المناطق اعتدالا فى الاحوال الجوية شدوا اليهـا الرحال ، ويؤكد علماء الجيولوجيا أن المناطق الحارة والاستوائية ـ حيث تقع اليوم صحراء أفريقيا الكبرى ـ كانت من أخصب بقاع العالم وأزهرها . وقد ظهرت فيها حضارة فطرية لم تكن على شيء من الرق ، ولذلك درست وعفت آثارها . والدليل على ذلك ما عثر عليه العلماء من أدوات حجرية وعظمية مطمورة في طبقات عميقة من الأرض فى الانحاء التى انتشرت فيها تلك الحضارة، وانك لتجد اليوم فى اجزاء كثيرة من العالم مجاهل مهجورة لا يسكنها البشر ، ولكن فى طبقاتها الجيولوجية أدوات حجرية وعظمية مما كان يستعمله الانسـان الاول ، وهذا دليل على أن تلك المجاهل كانت موطن جماعات من البشر هلكت بفعل العوامل الجوية والكوارث الطبيعية

ويقول الاستاذ بترسون من علماء الألمان إن الكوارث الطبيعية التى تدفع البشر الى الهجرة تقع مرة كل ألفى سنة أو اقل ، ويستشهد على صحة ذلك بشواهد وقرائن ووقائع تاريخية لا يتسع لها هذا المجال . فقد وقعت كوارث منذ نحو سبعة آلاف سنة دفعت شعوب اوربا الشمالية الى النزوح من بلاد السكندناف ومن سواحل البلطيق الى أواسط اوربا . وتكرر ذلك ثلاث مرات فى فترات تبلغ كل منها نحو الفى سنة أو اقل . على أن الهجرة على نطاق صغير تكررت وما تزال تتكرر فى فترات غير محدودة ، ومن اشهرها هجرة الهكسوس أو الحيثيين الى مصر ، وهجرة العشائر السامية الى ما بين النهرين ، وهجرة القوط والمغول من الشرق الى الغرب ، وهجرة الفيكنج من الشمال . والمعروف أن الهكسوس نزحوا الى مصر بقضهم وقضيضهم وانهم هم الذين ادخلوا الخيل الى مصر . ولا شك أن القحط هو الذى دفعهم الى هذه البلاد كما دفع العبرانيين أيضاً اليها فى زمن يوسف الصديق . وفي هذا دليل على صحة ما يذهب اليه علماء الاجتماع من أن الحضارة إنما تقوم وتسقط بكثرة موارد العيش ونضوبها

وقد كان الحصان في مقدمة الحيوانات التى استعان بها الانسـان على الهجرة والغزو . فقد استخدمه الاقدمون لحمل الاثقال وجرها . وكان الهكسوس عندما غزوا مصر يستخدمون الخيل لجر مركباتهم الحربية

ويقول اليوت سميث أن اول شعب نزح من بلاده بقصد نشر العلم والحضارة ـ لا طلباً للرزق أو فراراً من العوامل الطبيعية ـ هو الشعب المصرى . وفى الحقيقة أن عدة فنون وصناعات وعقائد دينية وعلمية نشأت في مصر وحملها النوتية المصريون الى أنحاء مختلفة من العالم المعروف يومئذ . وبمرور الزمن وصلت الى ما وراء بحر الظلمات ـ الى العالم الجديد ـ عن طرق ليس هـذا مجال الكلام عليها . ولم يظهر العالم ما اظهره قدماء المصريين من الرغبة فى الهجرة بقصد نشر الحضارة الا بعد ظهور الديانة المسيحية ونشوء البعثات التبشيرية . على أن ظهور هذه البعثات لا يعنى أن

أغراض الهجرة انقلبت من طلب الرزق الى نشر الحضارة . فسيظل طلب الرزق الى ما شاء الله اقوى العوامل التى تدفع الانسان الى الهجرة والنزوح عن الأوطان

الهجرة فى العصور الحديثة

بدأ عصر الهجرة الجديد بظهور الاكتشافات الجغرافية التى اماطت اللثام عن قارات ومجاهل كثيرة تحتوى على موارد طبيعية لا تنضب . وكان المهاجرون فى اول الأمر مدفوعين بحب المجازفة والطمع فى البحث عن مناجم الذهب . ففى اوائل القرن السادس عشر أخذ الناس ينزحون من العالم القديم (أى من آسيا واوربا وافريقيا) الى العالم الجديد (أى امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية) وكان البرتوغاليون والاسبان فى طليعة أولئك المهاجرين وقد انشأوا لهم فى امريكا الجنوبية مستعمرات لا تزال مأهولة الى هذا اليوم عامرة بالسكان . وفى السجلات التاريخية الموثوق بها أن عدد الاسبان الذين نزحوا الى العالم الجديد من اوائل القرن السادس عشر الى اوائل الثلث الأخير منه بلغ مائة الف نفس . اما الانجليز - وهم اكثر شعوب الارض ميلا الى المهاجرة - فلم ينزحوا الى العالم الجديد الا فى اوائل القرن السابع عشر ، وعقبهم الفرنسيون على الاثر . وكانت اول بلاد نزحوا اليها كندا . قيل انه بلغ عددهم في سنة ١٦٦٤ نحو ٢٥٠٠ نفس فلما انتصر عليهم الأنجليز وانتزعوا منهم كندا فى سنة ١٧٦٠ كان عددهم فى تلك البلاد يجاوز مائة الف

ولا شك أن الولايات المتحدة هى أعظم البلاد التى اجتذبت اليها المهاجرين فى العصور الحديثة . وغنى عن البيان أن هذه البلاد كانت فى أول الامر مستعمرة بريطانية . وكان عدد سكانها فى سنة ١٧٩٠ أربعة ملايين معظمهم من الانجليز . ووصل هذا العدد فى سنة ١٩٢٦ الى مائة وخمسة من الملايين عدا الزنوج والهنود ، ولا يعرف عددهم بوجه التحقيق . ولا شك أن سيل المهاجرة الذى تدفق على تلك البلاد فى خلال القرن الماضى هو سبب الزيادة العظيمة فى السكان ، وهذه المهاجرة السلمية هي أعظم حادث من نوعه فى تاريخ الاجتماع

ولم يكن مجموع عدد المهاجرين الى تلك البلاد منذ نالت استقلالها الى سنة ١٨٢٠ يزيد على ربع مليون ، ولكنه زاد فى خلال القرن الذى عقب ذلك زيادة عظيمة حتى بلغ سبعة وثلاثين مليونا من الانفس منهم اثنان وثلاثون مليوناً من الأوربيين والباقون من شعوب مختلفة . وفى خلال الحرب الاهلية الاميركية ضعف سيل المهاجرة ثم عاد فاشتد، وأخذ الاوربيون والشرقيون يتقاطرون الى تلك البلاد بكثرة أقلقت بال المفكرين من الامريكيين . ولعل أعظم عدد من المهاجرين نزح الى تلك البلاد فى سنة واحدة هو عدد الذين نزحوا في سنة ١٩٠٧ وقد بلغ ما يزيد على المليون وربع المليون من الانفس

وفى الجدول التالى بيان أجناس أولئك المهاجرين ونسبة بعضهم الى بعض فى كل عقد من السنين من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٩١٠ :

الجنسية	١٨٦١–١٨٧٠	١٨٨١–١٨٩٠	١٨٩١–١٩٠٠	١٩٠١–١٩١٠
نمسويون	٣٣ر٠	٧ر٦	٠ر١٦	٤ر٢٤
ايطاليون	٥١ر٠	٩ر٥	١٧ر٧	٣ر٢٣
روس	١٠ر٠	٠ر٤	١٣ر٩	٠ر١٨
انجليز	٤٤ر٩٠	٢٨ر٠	١٧ر٩	٩ر٨
المان	٣٤ر٠٠	٢٧ر٨	١٤ر٠	٣ر٩
سكندناف	٥ر٤٠	١٢ر٥	١٠ر٠	٥ر٧

وقد كان أكثر المهاجرين حتى سنة ١٨٨٠ من شعوب اوربا الشمالية والغربية ، ولكنهم جاءوا بعد ذلك من اوربا الشرقية والجنوبية . وكان سيل المهاجرة قبل سنة ١٩١٧ طليقاً من كل قيد فيما يتعلق بالجنس الابيض ، فكان يؤذن لكل من هب ودب من أفراد هذا الجنس فى دخول الولايات المتحدة الا الذين حظر دخولهم بمقتضى قانون سنة ١٨٨٢ وهو القانون الذى يحرم دخول المجرمين والمعدمين والمرضى المزمنين وضعاف العقول والاجسام . وكان الداعى الى سنه الخوف على مستقبل الشعب الاميركى . وفى سنة ١٩١٧ سن قانون آخر يحرم دخول الاميين (ماعدا الاطفال والصغار) ثم سنت بعد ذلك قوانين أخرى متعددة كان الغرض منها تقييد الهجرة بقيود شديدة

الدول ومشكلة الهجرة

ترى ما هى الاخطار التى تخشاها الحكومات من مهاجرة الاجانب اليها ؟ هى كثيرة اهمها أربعة :

(الاول) منافسة المهاجرين لسكان البلاد التى ينزحون اليها ، ولاسيما اذا كانت مزدحمة بالسكان كما هى الحال فى أكثر بلاد اوربا فقد ازدحمت بأهاليها حتى ضاقت بهم أبواب الرزق . فاذا أبيح للاجانب أن يهاجروا اليها زاد الطين بلة وتفشت البطالة ، وفى ذلك ما فيه من الخطر الاجتماعى

(الثانى) الخوف من أن يكون المهاجرون من الافاقين والمجرمين الذين قد لفظتهم بلادهم ونبذهم أهل وطنهم . أمثال هؤلاء هم عالة على كل قطر ينزلونه وعلى كل شعب يحاون بينه . وليس من المعقول أن تقبلهم أية حكومة على الرحب والسعة فتزداد بهم عوامل الشر ويكثر العنصر الضار فى البلاد التى ينزحون اليها

(الثالث) التجسس وهو من أعظم الأخطار التى تهدد كل قطر من ناحية الأشخاص الذين يهاجرون اليه . وقد تنبهت الحكومات الى هذا الخطر منذ عهد بعيد ولكنها لم تفلح في تلافيه ، لأن الجواسيس يلجأون الى حيل وأساليب لا تقع تحت حصر ، وهم يستطيعون أن يكتموا هويتهم بكل سهولة . وكثيراً ما تمدهم حكومتهم بما يحتاجون اليه من معونة مالية وأدبية

(الرابع) على أن أعظم الأخطار التى تهدد البلاد التى يكثر نزوح الاجانب اليها هو امتزاج

هؤلاء بالوطنيين الأصليين بقصد تحويل ميولهم وعواطفهم الى ناحية حكومة البلاد التى نزحوا منها . وهذا هو سبب المشاكل السياسية الناشئة عن مسألة الالزاس واللورين ومسألة سيليزيا ومسألة دانزج ومسائل البلقان، بل عن معضلات معظم الدول الحاضرة . فقد امتزجت العناصر فى معظم تلك الاقطار وتدخل بعضها فى بعض حتى صار السكان فريقين يختلفان فى ميولهما وعواطفهما وصار يصعب معرفة القلة والكثرة ومن أى العناصر تتألف كل منهما

خذ الالزاس واللورين مثلا ، وقد كانتا ولا تزالان سبب نزاع دائم بين الألمان والفرنسيين ، فان كلا من الفريقين يدعى انهما ملكه وأنه أحق بهما من غريمه . وسيبقى هذا النزاع الى ما شاء الله ما دام شعب الالزاس واللورين مؤلفاً من عنصرين هما العنصر الالمانى والعنصر الفرنسى . ولقد جر هذا الخلاف الى حروب كثيرة ، سببها اختلاط عنصرين مختلفين فى بلاد واحدة

ومن دواعى الأسف أنك اذا أجلت طرفك فى بلاد العالم المختلفة لم تجد بينها بقعة واحدة ـ مهما صغر شأنها ـ الا وقد امتزجت فيها الأجناس واختلط الاجنبى بالوطنى بفضل نظام الهجرة. ولعل الولايات المتحدة هى أقرب بلاد العالم الى برج بابل ، ففيها شعوب من جميع أنحاء العالم . وقد ظهر الخطر من هذا المزيج هنالك فى الحرب العظمى الماضية . فقد بذل الاميركيون الذين هم من أصل المانى جهود الجبابرة لمنع الولايات المتحدة من الانضمام الى دول الحلفاء . بل حاولوا ايقاد نار الفتنة واثارة الاضطرابات فى طول البلاد وعرضها لعرقلة جهود الحكومة ومنع معونتها عن الحلفاء . ولولا يقظة الحكومة ويقظة الحلفاء لكان الخطر شديداً

ولكن ليس من الانصاف فى شىء أن نجرد المهاجرة من كل فائدة . فان لها منافع لا تقل عما لها من أضرار ، إذ قد أثبت الاختبار ان البلاد التى تفتح أبوابها للاجانب ـ اذا كانوا من عنصر طيب ـ تستفيد من الامتزاج بهم إذ تقتبس منهم ما هو ذو نفع أدبى وما يساعدها على التقدم والرق . أما البلاد التى توصد أبوابها فى وجه الاجنبى ـ كما كانت الصين واليابان تفعلان حتى عهد قريب ـ فتظل كالمياه الآسنة لا تتصل بغيرها من الانهر ولا علاقة بينها وبين البحر

ولا شك أن مشكلة الهجرة ستظل معضلة معقدة ، بل سيزيدها الزمن تعقيداً . لأن أساليب الانتقال الحديثة تقرب المسافات وتختصر الابعاد وتسهل على الناس الانتقال من مكان الى مكان والامتزاج بغيرهم من الشعوب . على ان الدول متيقظة لما قد ينشأ عن نظم الانتقال الحديثة من مساوىء وأخطار . ولذلك تراها تتشدد فيما تضعه من القيود لمنع الذين يريدون المهاجرة اليها

ومن ثمة يتضح لنا سبب رغبة الدول فى اقتناء المستعمرات لينصرف اليها من يزيد من شعوبها . على ان مشكلة اقتناء المستعمرات لا تقل عن مشكلة المهاجرة تعقيداً

نزوة هوى

للروائى الروسى : ألكسندر كوبرين

كانت لجج من الأنوار من ثريات ثلاث عملاقة بقطع مدلاة من البلور الموشور تفيض على قاعة التمثيل فى دار الجامعة . وكان المسرح مزدانا بالاعلام والسعف والأفنان المورقة ، وفى الصدر منه معزف كبير متلألىء الصقال مفتوح أعلاه . وكانت القاعة تبدو للعيان مزدحمة كل الازدحام ، ومع ذلك فان الخلق ما برحوا يتدفقون من الأبواب زرافات . وإن المرء ليسدر طرفه وهو ينظر إلى هذه الجموع الجالسة ، من رءوس صلعاء ، وشعورمسترسلة فرعاء ، والسترات الرسمية السوداء المذيلة ، والبذلات العسكرية ، وأثواب السيدات الزاهية ، ومراوح فاخرة تتحرك فى لطف ووناء فى أكف رقيقة مصونة فى قفازاتها البيضاء ، وحركات مستوفزة ... وابتسامات غزلة خنثة لاهية

وإذا بمغن وسيم ، عليه سيماء الاعتزاز بالنفس ، وإن شئت فقل الخيلاء ، يرق الى المسرح ويخطو الى مقدمه ، وهو لابس سترة سوداء مذيلة وفى صدره زهرة كبيرة متفتحة . وتبعه العازف المصاحب فى إثره غير ملحوظ كأنه الشبح . وخيم السكون على القاعة . غير أن عدداً من الطلاب المتظرفين المتطرفين يحملون الشارات على صدور ستراتهم ، وهم لجنة التنظيم كما هو جلى ظاهر ، كانوا فى الغرفة الخارجية المتخذة لايداع المعاطف منهمكين يلغطون فى قلق وصبر نافد . فهم على لهف ينتظرون مقدم هنريت ديكروا المغنية الأولى للأوبرا الباريسية وقد نزلت على المدينة للغناء فى هذا الموسم من الشتاء . ومع أنها لاقت وفد الطلاب لقاء جميلا مأنوس البشاشة وأكدت لهم أنها تعتبر الغناء فى حفلتهم شرفا عظيما لها ، فقد حان الدور الذى كان مقرراً ظهورها فيه ولم تحضر بعد . فهل تراها تخلت عنهم ؟ هذا هو الخاطر القلق المكتوم الذى دار فى أخلاد أعضاء لجنة الاحتفال وهم فى الغرفة الخارجية يكادون من البرد يجمدون . وقد ظلوا يترددون إلى النافذة يلصقون وجوههم الى زجاجها ويحدقون فى ظلمة هذه الليلة الشاتية

وطرقت الأسماع قرقعة عجلة تدرج مقتربة ، والتمع من النافذة مصباحاها الكبيران فهرولت اللجنة الى الباب يتصادمون ويتدافعون . إنها بعينها « ديكروا » الفريدة . وتضوع منها فى الغرفة المعدة لخلع المعاطف نسيم عبق . وابتسمت للطلاب وأومأت باشارة معنوية الى حنجرتها الملفوفة بفراء السمور الثمين . وهى ترمى باشارتها الى أنها تريد الابانة عن السبب فى تأخرها ، ولكنها لا تستطيع فتح فمها بالكلام لشدة الزمهرير بالغرفة وخشيتها الاصابة بالبرد

وكان دور « ديكروا » فات من مدة ، والناس الذين خيبت شوقهم اليها قد قطعوا الرجاء من

انتظارها ، فجاء ظهورها على المسرح مفاجأة غمرتهم ، فانطلقت مئات الحناجر الفتية وضعف عددها من الأكف القوية، بتحيتها تحية طويلة يصم دويها الآذان ، حتى انها ـ وهي التي الفت عبادة الجمهور لها ـ شعرت بلذة مفززة من هذا الاطراء

ووقفت على المسرح ، وانحنت الى الأمام انحناءة خفيفة وتصفحت عيناها السوداوان الضحوكان الصفوف الأولى من المتفرجين . وكانت لابسة ثوبا من الأطلس الحريرى أبيض لامعاً ، وكان الصدار مناطاً الى كتفيها بشريط دقيق ويبدو منه ذراعان بديعتان وينم على صدر مشرئب ناهد وتطول فتحته فيكشف عن نحر باذخ ناصع كانما هو منحوت من رخام حار

وهدأ التصفيق مرات عدة ، ولكنها كانت لا تكاد تدنو من العزف حتى تتجدد موجة الحماسة فتردها الى صدر المسرح لرد التحية . وفى آخر الأمر أبدت حركة احتجاج ورجاء ، وابتسمت ابتسامة ساحرة وأقبلت على العزف . وخفت الهتاف والتصفيق شيئا فشيئا ، وشخصت اليها القاعة كلها أنظارها متيمة بها مفتونة . وخيم السكون كأعمق ما يكون ، ولكنه سكون الاصغاء الحى ، وفى وسطه انبعثت طلائع نبرات من لحن شجى من وضع سان سانس

ووقف « الكساى صامياوف » وهو طالب طب فى السنة الثانية على مقربة من المسرح مستنداً الى عمود من الأعمدة وهو يصغى الى الغناء وقد أطبق جفنيه نصف اطباق . وكان كلفه بالموسيق عجيباً عميقا يكاد يكون مرضا ، فليس يسمعها باذنه وحدها بل يحسها بكل أعصابه ، وبكل نسيج من أنسجة كيانه . وكان جرس هذا الصوت الجميل ينفذ الى أعماق نفسه ويرتد رجفة حلوة تشيع فى سائر بدنه ، حتى ليخيل اليه من آونة لأخرى أن الصوت يغنى من داخله هو وفى صميم قلبه وكان ما يشفعون به كل استعادة من التهليل والتصفيق يؤذيه ويعروه منه شبه ألم جسدى . فينظر الى جمهرة السامعين نظرة المرتاع المحتج الراجى

واستهلت ديكروا لحنا آخر جديداً . فعاد الكساى يسبل جفنيه ويستسلم لأمواج هذا الصوت الملعلع . وتمنى فى لهف لو أن هذا الغناء يستمر أبداً

ولقد اضطروها الى ترديد الغناء مرات ومرات ، ولم يسمحوا لها بمزايلة المسرح حتى أشارت الى حنجرتها وابتسمت لهم ابتسامتها الحلوة وهزت رأسها فى احتجاج واعتذار . وأصعد صامياوف زفرة عميقة متقطعة كانما استيقظ فى التو واللحظة من حلم جميل تراءى له في اليقظة

وعند هبوطه الدرج أحس فجأة بمن يلمس كتفه ، فالتفت فرأى بير طالب الفقه وزميله الأسبق في المدرسة ، وهو نجل مثر مشهور من أصحاب الملايين ، وكان بير متهللا تغلب عليه نشوة السعادة ، فطوق خصر صامياوف ، وضمه اليه فى مودة ، وهمس فى أذنه : « انها رضيت . وستكون العربات هنا بعد دقائق معدودات »

فسأل صامياوف : « من التى رضيت ؟ »

— هى ... ديكروا ... لقد أوصينا باعداد عشاء فى المطعم الأوربى .. انها رفضت فى بادىء الأمر ... ولكنها بعد قليل لانت ... والعصبة كلها ستكون هناك... ستأتى طبعاً ،اليس كذلك ؟

— أنا ؟ ... كلا . لست على الذهاب حريصا

ولم يكن صاميلوف من زمرة بيير التى تجمع الشباب الذهبى فى الجامعة ، وأعنى بهم أنجال كبار الملاك وأصحاب المصارف والتجار . وبيير يعلم هذا حق العلم ولكنه كان مأخوذاً بهزة من التيه والأريحية بحيث أحب أن يشمل بعطفه كل انسان . فاحتج على رفض صاميلوف :

— أوه ! تعال ، دع هذا اللغو ، لا بد من ذهابك ... ما هى أوجه اعتراضك ؟

فتهانف صاميلوف مرتبكا وقال :

— أنت ترى ... أجل ، أنت تعلم ... إنى

— أوه . لا عليك ! ... نبئنى عن التفاصيل فيما بعد ... والآن يازميلى القديم ، أنت معنا...

وفى هذه الأثناء وفدت العربات . . . وكانت الجياد تصهل وتنغض رأسها فتجلجل الأجراس حول أعناقها جلجلة مفرحة . واستقل الطلاب العربات حابلهم ونابلهم وانبعثت أصواتهم فى هواء الليل المصقع صريراً ضاجاً مجهودا . وجلس صاميلوف الى جانب بيير . وكان لا يزال فى غمرة تأثره بالموسيق ، وذهنه مستغرق فى سبحات من الأحلام عجيبة ، بينما كانت العربات تتسابق فى الشوارع الخالية المهجورة . وكان عزيف الريح وتوقيع سنابك الخيل على الثلوج . . . وتداعى الطلاب وجلجلة الأجراس المستمرة ــ كل هذه كانت تمتزج فى انسجام بديع . . . وثمة كانت تمر بصاحبنا لحظات لا يعى فيها ، أو ينسى فيها ما يجرى له وأين يمضون به

وعلى مائدة العشاء تحلق الطلاب حول المغنية الحسناء . وظلوا ينحون على يديها لثما ويزجون اليها عبارات ثناء جريئة فى لغة فرنسية رديئة . وكانت وهى بادية النحر فتانة المحاسر أفعل بألبابهم من الشمبانيا . . . وقد التمعت عيونهم بالرغبة أجمل التماع . . . وهى تحاول الاجابة على كلامهم فى نفس واحد . . . وتكركر ضاحكة وقد استلقت برأسها على الأريكة المكسوة بالأطلس .. وتقرع منادميها وخطاب ودها بمروحتها قرعا لطيفاً . . .

وكان صاميلوف غير متعود الشرب . . فكان للقدحين اللذين شربهما سورة فى رأسه . فجلس فى ركن ليحجب عن عينيه نور الثريات الساطع وهو يرمق ديكروا بلحاظ مفتونة . وكان فى نفسه يعجب من تهجم رفاقه واجترائهم على رفع الكلفة الى هذا الحد مع المغنية العظيمة . . . وهو فى الوقت نفسه ممتعض حاسد . . وإن شئت فقل غيران . . .

وصاميلوف ذو خفر بطبعه . وقد زاده استحياء على استحياء نشوؤه فى أسرة دمثة الطباع شديدة الحفاظ . وكان خلانه يسمونه « الهائم » لحيائه . وهو فى الواقع ومن وجوه عدة به سذاجة الاطفال وغرارتهم ، وفيه طهر نادر فى تفكيره وشعوره . .

وتساءلت ديكروا وهي تشير الى ألكسيا : « من هذا السيد هنالك فى الركن ؟ لكأنه خائف منا ، كالفأر . . لعل السيد شاعر . . » وصاحت المغنية : « اسمع يا حضرة الشاعر . . تعال ! »

فدنا صامياوف وهو بادى الارتباك ، ووقف أمام المغنية . . وأحس فورة الدم فى وجنتيه

— يا لله ! ان شاعركم وسيم حقاً ! .

وضحكت ديكروا ، وأردفت : « ما أشبهه بالآنسة المعلمة فى مدرسة عليا . . وايم الحق ! انه ليحمر من الخجل . . ما أجمل ذلك ! »

وتطلعت تستمتع حق الاستمتاع بالنظر الى هذا الماثل أمامها بقامته المعتدلة المشطبة اللدنة . . . وطلعته الواضحة الموردة وقد خط فيها عذار خفيف . . وشعره الذهبى الناعم متهدل على جبينه . . وعلى فجأة أمسكت المغنية بيده وأجبرته على الجلوس الى جانبها على الأريكة . وقالت بلهجتها الباريسية :

— لماذا كنت راغباً عن الجلوس الى ؟ أنت شديد الكبرياء . . أتنتظر من امرأة أن تفاتحك ؟

فظل ألكساى أبكم . وانبرى أحد الطلاب ولم يكن قد رآه قط فى زمرتهم يقول فى خبث : « سيدتى — ان زميلنا لا يفهم الفرنسية »

فوقعت الكلمة من ألكساى وقع السوط . فالتفت بحدة وحدق فى المتكلم وأجاب باقتضاب ولكن بلهجة فرنسية فصحى ، بالفرنسية التى كانت فى وقت من الاوقات فخر العلية الروس ولما تزل كذلك فى بعض الاسر . . « لا ضرورة مطلقاً يا مسيو لأن تتكلم عنى وعلى الاخص أننى لم أتشرف بمعرفتك . »

فهتفت المغنية : « مرحى ! مرحى » دون أن تفلت يده « وما اسمك يا شاعرى ؟ »

وكان صامياوف قد هدأت ثائرته ، فعاوده الحياء وعلت وجهه حمرة الخجل وهو يجيب :

— ألكساى — ماذا ؟ ماذا ؟ . . أ

فأعاد صامياوف الاسم

— أوه ، هو ما يقابل عندنا ألكسيس ، حسناً يا مسيو ألكسيس . وعقابا لك على ابتعادك سيكون عليك أن تصحبنى حتى مسكنى . انى فى حاجة الى نزهة . . والا أصبحت غداً وبى صداع

ووقفت بهما العربة بازاء فندق فاخر فى المرتبة الأولى من الفنادق . وساعدها صامياوف على النزول وهم بالاستئذان منها . فنظرت اليه وعلى محياها سيماء حنو يسبى القلب ويغوى اللب وقالت له : « ألا ترى مقصورتى الصغيرة ؟ »

فتمتم منفعل الاعصاب : « إنى أ كون . . . سعيداً . . . جداً ، ولكنى أخشى . . . أن الوقت جد متأخر . . . . »

فقالت : « تعال . أريد أن يكون عقابى لك تاما . . . »

وبينا كانت تبدل ثيابها تطلع حوله الى الغرفة ، فألفاها خلعت على هذا المسكن العادى أناقة

رشيقة خليعة لا تحسنها إلا باريسية . وكان الجو عاطراً بعبير رقيق مما آنسه أول ما آنسه حين جلس الى جنبها فى العربة

وعادت متوشحة فى مفضلة بيضاء فضفاضة مشبوكة بشبابك ذهبية . وجلست الى أريكة شرقية منخفضة وهى تلملم ثنايا جلبابها حول قدميها.ودعت ألكساى بحركة آمرة الى الجلوس بجانبها فأطاع :

— اقترب منى . اقترب . . . اقترب أكثر من ذلك . . هكذا ! وبعد فلنتسار قليلا يامسيو ألكساى . أولا ، من أين لك هذا التمكن من اللغة الفرنسية ؟ انك تفصح عن نفسك بفصاحة مركيز

فقال صاميلوف إنه كانت له مربية فرنسية منذ نعومة أظفاره ، وأنهم فى أسرته يتكلمون أكثر ما يتكلمون بالفرنسية

ثم جعلت تنحى عليه بالسؤال فى إثر السؤال عن أهله ودراساته وأصحابه . . دون أن تدع له الوقت للاجابة على سؤال واحد . وفجأة وفى صوت خفيض رخيم سألته :

— قل لى . . . ألم تحب امرأة قط ؟ . . .

— نعم ... حين كنت فى الرابعة عشرة أحببت ابنة عمى ...

— بشرفك ؟ — بشرفى

— ولم تعلق بامرأة قط ... أية علاقة ... ؟

فأدرك الغنى . وعبثت أصابعه بهداب غطاء المائدة . وقال همسا : « كلا . أبداً »

— ألا تحبنى ؟ قالت ذلك بنفس الهمسة الخافتة ومالت عليه حتى أحس بحرارة وجنتيها . فهتفت به فى احتجاج عابث : « انظر حين تخاطبنى الى وجه من تخاطبك » وأمسكت برأسه بين راحتيها وجعلته ينظر فى عينيها . . . وقد راعته وقدة نظرتها فى أول الامر ... ثم أشجته . . . وأخيراً أذكت فيه مثل وقدتها ... فمال عليها ... وكانت شفتاها مخضلتين ملتهبتين ...

***

— هل مدام ديكروا هنا ؟ — لا

فأعاد الشاب السؤال : هل أنت متأكد ؟ ربما تكون قد عادت فى هذه الاثناء

فقال الحاجب البدين المحشور فى زيه الرسمى، بوجهه المحتقن المتفخ النعسان وهو يحك ظهره.

— ماذا تعنى ؟ هل أنا متأكد ! إنه شأنى أنا أن اعرف إذا كانت هنا أم لا . ولماذا أنت على حر الجمر اهتماما بها ؟ لقد سعيت الى هنا طول هذين الاسبوعين ملحفاً تعنتنى بالسؤال عنها ... وما دمت أقول لك إنها ليست موجودة . ليست موجودة . فذلك يفض الموضوع ... هى لا تريد رؤيتك ... أفاهم أنت ؟ ... هو ذاك الأمر كله ...

الامر كله ! ! لقد أحس بقلبه يجب وجيباً موجعا . ويحز فيه حنين بغير جدوى ... ويضطرم غيظاً . لماذا صنعت به هذا ؟ ...

(ترجمة ع . ص)

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

لم لا تكون ذكيا ؟

ان الامر يتوقف على ارادتك أنت

قد ينظر العالم البسيكولوجى اليك ، وأنت ذو قوى عقلية متوسطة ، فيدهشه أن يراك متهاونا تسمح لنفسك بأن يتملك منك العجز وعدم القدرة على انجاز الاشياء ، وهما صفتان أنت فى غنى عنهما . ثم انه يدهش إذ يراك تعجز عن اكتساب « الكفايات » التى هى رأس مال عظيم . ولا عذر للمرء ان هو أخفق فى أى عمل بسبب نقص تلك الكفايات

ان تصميم الانسان على أن يتعلم يأتى بالمعجزات . واذا كان العامل المرشد له صحيحاً بلغ غايته بسرعة مدهشة واتقان عظيم . وعليه فاذا قيل لك إنك لا تستطيع اكتساب الذكاء فى منحى معين من مناحى الحياة ، فاعلم أن ذلك كذب . وأن علم النفس يؤكد أن فى استطاعة كل امرىء أن يكتسب الذكاء .

ان الرجل ذا الأعمال العظيمة لم يكن عظيما منذ أول أمره ، ولكن كانت فيه قوة كامنة ، وبفضل هذه القوة استطاع أن يكون عظيما . وهذه القوة هى « قابلية التعلم » . وفى الحقيقة أن العظماء لم يصبحوا عظماء إلا لأنهم نظروا الى كل مشكلة من مشاكل الحياة بعين مطمئنة ، واعتبروها تحديا لذكائهم لا ارهاباً وتعجيزاً لهم . وقد استطاعوا التغلب على تلك المشاكل لانهم استطاعوا التغلب قبل ذلك على ما فيهم من خور وضعف . فاذا قيل لك إن فلاناً أقدر منك على حل المشاكل لأنه أغنى منك فى قواه العقلية فان هذا القول يجب أن يكون حافزاً لك لا مثبطا لعزيمتك

ان نجاحك فى أى أمر من الأمور يتوقف على الطريقة التى تعالج بها ذلك الأمر . ومن الناس من يعتقدون أن تكرار شىء من الأشياء يجعل الانسان يتقن ذلك الشىء . وعلم النفس ينقض هذا الاعتقاد ويثبت أن ممارسة الشىء والتمرن عليه لا يؤديان بالضرورة الى اتقان ذلك الشىء . فكثرة تمرننا على الشطرنج أو الجولف أو غير ذلك من الالعاب لا تؤدى بالضرورة الى اتقانها ، بل قد تحول دون تحسين لعبنا أو قد ترسخ فينا الغلط الأصلى الذى كنا نرتكبه أولا ، فنظل نرتكبه ويصعب

علينا الاقلاع عنه . وبعبارة أخرى أننا عندما نمارس أشياء بعينها ونكررها ، قد نمارس ونكرر أغلاطنا فيها ، وبذلك ترسخ فينا هذه الاغلاط

ولعل فى مقدمة العوامل التى تحول دون احرازنا العلم احرازاً تاماً ضعف ارادتنا وعدم توفر قوة العزم فينا على احراز ذلك العلم . وما أكثر الذين اذا عرضت لهم مشكلة أخذوا يشكون ويتذمرون ثم يجيلون أنظارهم بين الساعة والنافذة فيضيعون الوقت سدى بدلا من أن يحصروا أفكارهم ويشمروا عن ساعد العزم لمواجهة تلك المشكلة ، ولو أنهم اعتبروا تلك المشكلة بمنزلة تحد لذكائهم لسهل عليهم إنجازها

وعليه فيجب علينا أن نميز بين الرغبة فى العلم وارادة التعلم . فالرغبة فى التحسين موجودة فى كل انسان . ولكن وجودها لا يكفى لتحقيق ذلك التحسن ، وفى الحقيقة أن الفرق عظيم بين رغبة الانسان فى تحقيق أمر من الأمور ، وبين ارادته أو تصميمه على تحقيق ذلك الأمر . فالأولى هى بمنزلة ميل عام تشترك فيه جميع الحواس . وأما الثانية ــ أى الارادة ــ فانها تحفز الانسان على حصر كل قواه وتوجيهها فى طريق معين

ثم إن الرغبة فى التعلم تجعلنا نمارس بعض الاشياء ونعيد عملها أولا وثانياً وثالثاً . ولكننا فى هذه الحالة لا نختلف كثيراً عن آلة صماء تستطيع تكرار الأشياء . أما ارادة التعلم فتجعلنا ندرس جزئيات الأشياء ونحللها لنرى نسبة كل منها الى غيره . مثال ذلك رغبة كل امرىء فى أن يكون ذا صحة جيدة . فهى تختلف عن (ارادة الصحة الجيدة) إذ أن الارادة هى حافز يدفع المرء الى التماس جميع الطرق الموصلة الى تلك الصحة

ان عدد المرات التى يحاول فيها المرء اتقان عمل من الأعمال قلما يؤدى الى اتقانه . وانما الذى يؤدى الى الاتقان هو مقدار ما يبديه من ارادة وذكاء فى سبيل ذلك الاتقان وما قد يكتشفه من غلطات فى أثناء عمله . وغنى عن البيان أن محاولة المرء أن يتعلم أى شىء من الأشياء انما هى من قبيل التجربة والاختبار لمعرفة أسباب الاخفاق والتقصير والعجز عن بلوغ الغايات . فلا تتوهمن أن الجهود الاولى التى بذلتها فى أى عمل من الاعمال كانت من قبيل التمرين والممارسة . لقد كانت من قبيل التجربة والاختبار وكانت ترمى الى العثور على حل لغز من الالغاز . وجدير بمن يقوم بأية تجربة أو اختبار ألا يخاف من الوقوع فى خطأ ، فتلافى الخطأ ليس بالامر المتعذر ، وكثيراً ما يتعلم المرء من أغلاطه . على أن الخطر الاعظم هو فى تكرار ارتكاب الخطأ فان هذا التكرار حائل دون النجاح . وجدير بالمرء أن يكون تفكيره أكثر من عمله وأن يدرس كل مهمة يقدم عليها درساً تحليلياً . فعليه بعد أن يبدأ مباشرة أى عمل أن يتوقف قليلا ليمتحن سير ذلك العمل ويختبر ما قد يكون فيه من نقص أو خطأ ثم يعيد الكرة عليه ويعاوده الى أن يتمكن من تحقيقه

[خلاصة مقالة عن كتاب بعنوان (مرن عقلك) . بقلم الاستاذ جيمس مرسل]

ما زال للخرافات سلطانها

خرافات غريبة تؤمن بها الشعوب المتحضرة

نحن الآن فى الثلث الأول من القرن العشرين ونمتاز عن أهل القرون السالفة بالعلوم والفنون والحضارة والاختراعات ، ولكننا لا نختلف عنهم فى ايماننا بالخرافات ، فحضارتنا ممتزجة بها وأعمالنا متأثرة بها ، ولا تكاد تخلو أمة من طائفة من العقائد الخرافية التى لا تستند الى شىء من الحقيقة ، ومع ذلك نرى بعض العلماء يحاولون تعليلها وارجاعها الى أساس علمى

سر كيفما شئت وجل حيثما أردت بين المتمدنين والمتوحشين — فى مجاهل بورينو وسيبريا ، أو فى أجمل بلاد الغرب — تجد الطبيعة البشرية هى هى والايمان بالخرافات متأصلا فى النفوس

وغريب أن ترى اليوم فى قلب مدينة نيويورك — مركز النور والحضارة — اناسا يؤمنون بالخرافات ايمان قبائل الادغال والغابات بها . وقد كتب الدكتور كلارك ويسلر مدير متحف التاريخ الطبيعى الاميركى مقالة جاء فيها ما يأتى :

« اننا نتمسك بالسحر والعرافة ونؤمن بهما حتى فى هذا العصر النير كما يؤمن الأولاد بقصص الجن والعفاريت التى تروى لهم . والفرق بيننا وبين المتوحشين فى هذا الاعتبار هو فى نوع التصورات ، فهى عند المتوحشين ضعيفة تافهة ، وعندنا قوية غنية . وقد نشأ الايمان بالسحر فى أول الأمر عند عجز الانسان عن تعليل الكثير مما يشاهده من حوادث الطبيعة وما يقع حوله من المحسوسات بحيث لم تبق له مندوحة عن نسبة عللها الى قوة غير منظورة . وما يصدق على المتوحشين بهذا الاعتبار يصدق على المتمدنين أيضا فانهم يعزون كل ما لا يستطيعون تعليله الى قوة خارقة مجهولة وهذا هو الايمان بالسحر بعينه

ولا أدل على ذلك من أننا نفعل — أو لا نفعل — أشياء لاعتقادنا أن السعد أو النحس يلم بنا من جرائها . فالاميركى المتمدن مثلا يتشاءم اذا هو استيقظ فى الصباح ونزل عن سريره من غير الجانب الذى اضطجع منه على السرير . ويتشاءم أيضاً اذا فتح مظلة داخل غرفته أو مرت من أمامه قطة سوداء ، أو اضطر الى المرور تحت سلم أو عمل عملا مهما فى يوم الجمعة الواقع فى الثالث عشر من الشهر ، أو قدم اليه أحد موسى ، أو مقصا ، أو آلة قاطعة

وبعكس ذلك يتفاءل خيراً بنعل الحصان فيعلقه على باب بيته . ويتفاءل كذلك اذا خرج فى الصباح من منزله ولقى حصاناً أبيض يجر مركبة للحمل . ويرشق العريسين الخارجين من صلاة الاكليل بالرز والنعال البالية ، ويفرح اذا مرت ابنته تحت شجرة « يعسوب الضباب » وقبلها شاب تحت أغصانها

والمجال لا يتسع للاسهاب فى إيراد الأمثلة الدالة على رسوخ الايمان بالخرافات فى نفوس الناس . وهذه الخرافات ترسخ فيهم منذ الطفولة ويبقى أثرها الى آخر العمر ـ لا فرق فى ذلك بين المتمدنين والمتوحشين ، وقد يظهر ذلك الأثر فى أعمال المرء وأقواله ، فيتشاءم أو يتفاءل بحسب العوامل المحيطة به فى الحياة

منذ سنتين أقيم بضواحي بلدة ميامى سباق للاوتوموبيلات كثر فيه المتسابقون . فكنت ترى على اتوموبيل كل متسابق دمية أو تعويذة قد اتخذها استجلابا للحظ . ومن أشهر الطيارين المعروفين فى العالم الكابتن فرنك هوكس الأميركى . وهذا الطيار ـ كالكثيرين غيره من الطيارين ـ يؤمن بالخرافات « والسحر الأسود » . وهو على عكس غيره من الناس يتفاءل بالرقم (١٣) وقد نقش هذا الرقم على طيارته مع أن الكثيرين حاولوا أن يجعلوه يعدل عن هذا الرقم . ومما يجدر بالذكر أن للارقام سلطانا كبيراً على عقول الناس يتفاءلون منها أو يتشاءمون ، كل بحسب ما وقع له من الاختبار . ولا يستطاع تعليل ما يعزى الى تلك الأرقام من سلطان الخير أو الشر . فالأرقام ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ١٣ و ٧٧ و ٩٩ و ١٠٠ وهلم جراً ـ جميع هذه تنشىء فى النفوس انقباضاً أو انشراحاً أو تفاؤلا أو تشاؤما أو ما الى ذلك من الاحساسات

وقد ألقى الدكتور بودن رئيس كلية ولاية نيومكسيكو بأميركا خطبة فى مجمع تقدم العلوم الاميركى قال فيها : « ان المدارس لم تفلح حتى الآن فى القضاء على العقائد الخرافية وازالتها من الأذهان . وليس ثمة أية علاقة بين مقدار تحصيل الانسان ومدى ما يعتقده من الخرافات . ولكن قد ثبت أن هنالك علاقة محسوسة بين مقدار ما يطالعه الانسان ويكتسبه بعد خروجه من المدرسة من جهة ، ومقدار إيمانه بالخرافات »

وليست العقائد الخرافية جميعها قديمة بل منها ما هو حديث جداً . وإن لبعض الخرافات علاقة بمهنة الانسان أو عمله . فمن ذلك مثلا أن الممثل فى أوربا وأميركا يعتقد اعتقادات كثيرة خرافية . فهو عند عمل التجربة التمهيدية (البروفة) لا ينطق بالعبارة الأخيرة من الرواية . ولا يصفر فى غرفة الثياب . ولا يعيد الرواية لعمل التجربة (البروفة) اذا كان الستار مسدولا . ولا يمثل اذا رأى حبلا ملقى أمامه . ولا يجوز ابتداء تمثيل رواية فى يوم الجمعة لئلا تمنى بالفشل فى يوم السبت ويتشاءم الممثل من ريش طير الطاووس ومن الموسيقى الكنسية

والمقامرون من أشد الناس إيماناً بالخرافات . فكل حركة تقع حولهم تجعلهم يتفاءلون أو يتشاءمون . وكثيراً ما ترى الذى يمنى بالخسارة يغير الكرسى الذى يجلس عليه أو يشعل ثقاب كبريت أو يبدل موضعه أو يفعل أفعالا أخرى يعتقد أنها أجلب لحظه

بل ان للجلادين أنفسهم اعتقادات خاصة بمهنتهم وفى مقدمتها تلك الخرافة المشهورة وهى التفاؤل بقطعة من الحبل الذى استعمل فى شنق مجرم ، والرجوع فى العربة التى نقلت جثة المشنوق

ومن المستحيل حصر جميع الخرافات التى شاعت بين البشر منذ أقدم الأزمنة ، ولكن بينها كثيراً مما هو كثير الشيوع بين الناس

فمن ذلك نعل الحصان وكثيراً ما يعلقها الناس على أبواب بيوتهم . وهى خرافة قديمة لا يعلم منشؤها بالتمام . وخرافة الخرزة الزرقاء للوقاية من العين وهى كثيرة الشيوع بين الشرقيين وتستعملها الأمهات لوقاية أطفالهن من العين . وخرافة قذف السن في وجه الشمس . وخرافة التطبيل عند وقوع الخسوف . وخرافة النظر الى وجه صديق أو حبيب بعد النظر الى الهلال عند أول ظهوره . وخرافة تقبيل أول قطعة من النقود يكتسبها الانسان فى بدء النهار

وغنى عن البيان أن العلم الحقيقى عدو الخرافات و « السحر الأسود » على أن كلا هذين العدوين يسعى الى غرض واحد . فالعلم يحاول استجلاء أسرار الطبيعة وإعلان نواميسها ووضع قواعد لسلوك الناس وتصرفاتهم وأعمالهم . و « السحر الأسود » أو الايمان بالخرافات أو الشعوذة أو الدجل أو سمه ما شئت يسعى لتسخير قوى الطبيعة والتحكم فيها واستجلاء غوامضها

[من مقالة للاستاذ شنور ماكر]

اليابانى يستلذ التضحية

لان وطنه فوق نفسه وفوق أهله

يعتقد الاوربيون بوجه الأجمال أن السرور الذى يشعر به الانسان يبذل حياته فى سبيل وطنه لا يعفيه من الواجبات المفروضة عليه بأزاء أسرته وأهل بيته . والاوربى الذى يقف على شفير الفناء ويرى الموت محدقا به من كل ناحية لا ينسى أولاده وأعزاءه بل يذكرهم فى صلاته الاخيرة ويستودعهم الله . وهو يخجل اذا لم يفعل ذلك . أما اليابانى فعلى خلاف ذلك تماما لانه عندما يكون فى ساحة الحرب فان الفكرة الوحيدة التى تخطر بباله وتملأ كل جوانحه هى أن يقتل عدوه وينتقم منه . أما أفراد أسرته وأهله فلا يخطرون بباله على الاطلاق

وهذا يدلك على وجود فرق عظيم بين الشرقى والغربى فى الاخلاق والطباع . على أن علماء النفس يقولون إن هنالك طائفة من الناس يجمعون بين الخلقين ـ الشرقى والغربى ـ وهم كبار القادة والفاتحين . فهؤلاء الناس لا تقعدهم روابط الاسرة والقرابة عن السعى لتحقيق مطامعهم . والعواطف التي يشعر بها الاب نحو أولاده أو الزوج نحو زوجته أو الاخ نحو أخيه لا تجد الى قلوبهم سبيلا . فالاسكندر والقيصر وفريدريك الاكبر ونبوليون ـ جميع هؤلاء وأمثالهم كانوا

أشخاصاً لا يشعرون بالرابطة التي تربط أفراد الاسرة الواحدة معاً ، ولا يحسون بعاطفة قرابة لان كل أفكارهم وقواهم ومشاعرهم كانت متجهة الى هدف واحد هو تحقيق مطامعهم . فمطامعهم كانت مستولية عليهم وكانوا عبيداً لها أو آلات صماء تسيرها قوة غامضة .

ان الحماسة فى نظر اليابانى هى عاطفة دينية محضة . وكلتا البوذية والشنتوية تعلم اليابانى وجوب احتقار العالم وبذل الحياة فى سبيل الوطن . لذلك تراه مستعداً لأن يضحى بروحه فى سبيل عقيدته هذه . والتضحية فى نظره هى اساس كل لذة وغبطة ، وهى التى توحى اليه بجميع الاعمال الدالة على البسالة والاقدام . الا انها لا تتحقق الا اذا انكر الرجل اهله وذوى قرباه وافراد اسرته وتجاهل ما تربطه بهم من عواطف . والقصة التالية توضح لك ذلك :

زار أحد الاوربين المقيمين ببلاد اليابان شيخاً يابانياً فى أيام الحرب الروسية اليابانية . وجرى الحديث بينهما عن الحرب . فقال اليابانى لصديقه بصوت هادىء لا يشف عن هلع ولا عن اضطراب : « لقد قتل ابنى البكر ، وسوف يقفوه أخواه بلا شك » . فحاول الأوربى أن يعزيه وقال له ان ابنيه الباقيين سيعودان اليه سالمين ان شاء الله . فحملق اليه اليابانى قائلا : « ماذا تعنى ؟ ان أولادي ذهبوا الى الحرب كى يموتوا ، وليس لهم حق فى التفكير فى الأهل أو فى العودة الى الوطن »

وفى أثناء تلك الحرب أيضاً أراد قائد الاسطول اليابانى أن يسد ميناء بورت آرثر باغراق بارجة فيه . وطلب سبعة وسبعين متطوعا ليتوجهوا باحدى البوارج الى داخل الميناء وينسفوها فيه . فتقدم اليه ما يزيد على ثلاثة آلاف متطوع ، وكلهم يريد أن يكون له شرف القيام بتلك المهمة ، مع ان انجازها يعنى الموت المحقق . ووقف قائد الاسطول يعرضهم ، بعد ان اختار منهم سبعة وسبعين ، وخاطبهم قائلا :

« انني بارسالى اياكم الى بورت آرثر لتسدوه بنسف هذه البارجة أعلم حق العلم ان الامل بنجاتكم من الموت لا يزيد على واحد فى المليون . وانى اشعر كانى ارسل ابنائى الى الفناء ، ولو كان لى أبناء ما تأخرت لحظة عن إرسالهم ، ولو لم يكن لى سوى ولد وحيد ما بخلت به قط . فاذا فقد أحدكم ذراعه فليعمل بالاخرى ، واذا فقد ذراعيه فليعمل بقدميه ، واذا فقد قدميه فليعمل برأسه . أطيعوا رؤساءكم ونفذوا أوامرهم ولا تفكروا فى حياتكم . انى مرسلكم الى موت محقق وأنا عالم أن كلا منكم مستعد أن يضحى بحياته . فاستسلموا الى السماء بكل هدوء وانصرفوا الى مهمتكم »

هذه هى الروح التى تختلج بها صدر كل ياباني ، روح البذل والتضحية فى سبيل الوطن ، بل روح احتقار الموت فى سبيل الخلود

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة «فو» . بقلم المحرر]

لا فارق بين أجناس البشر

ولكل جنس أقوياؤه وضعفاؤه

يزعم البعض أن بين أجناس البشر فوارق تميز بعضها من بعض فى قواها العقلية . وهذه الفوارق تدفع بعض الأجناس الى استعباد غيرها أو الاعتداء عليها

والحق أن تلك الفوارق وهمية أكثر منها حقيقية . وليس لأى جنس أن يفتخر على غيره أو يدعى أنه أرقى منه فى قواه العقلية والادبية أو الاجتماعية . فى كل جنس أفراد يختلفون فى قواهم العقلية ويتدرجون من أحط المستويات الى أعلاها . وما من جنس يمتاز بانجاب كبار العقول فقط ، كما أنه ما من جنس يصح أن يقال فيه إن جميع أفراده هم من مستوى عقلى وضيع . نعم قد يكون لكل جنس شوائب ومحامد ملازمة له ولكن العلم لم يثبت ذلك حتى الآن

وعليه فان السياسة التى جرى عليها زعماء النازى بقصد التفرقة بين الأجناس لا تقوم على أساس قويم ، لأنها تفرض أن الشعوب « الآرية » هى جنس قائم برأسه . والحقيقة أن العلم لا يعترف بوجود « جنس فرنسى » أو « جنس المانى » أو ما الى ذلك . إذ ليس الجنس مرادفا لكلمة لغة أو شعب أو حضارة . فقد تكون لغة العبد الزنجى هى الانكليزية ، وقد تتكلم الشعوب الآرية لغات مختلفة وقد تكون لها حضارات مختلفة . فالجنس يستند الى اعتبارات « تشريحية » ووراثية ولا علاقة له بالاعتبارات الطبيعية أو الجغرافية أو الاقليمية أو اللغوية

وقد يتألف الشعب الواحد من أجناس مختلفة . فالشعب الأميركى هو خليط من أجناس شتى لكل منها نقائص ومحامد . وتطهير الشعب لا يكون باقصاء بعض تلك الأجناس ومحاربتها والسعى للقضاء عليها ، بل بالسعى للقضاء على من لا يصلحون للبقاء والذين لا فائدة للاجتماع منهم ، كائناً ما كان الجنس الذى ينتمون اليه . وهذه هى الغاية التى يسعى بعض العلماء الى تحقيقها بوسيلة التعقيم

والكفاح القائم بين بعض الشعوب يقوم على أساس واه وهو القول بوجود فوارق بين الأجناس فى القوى العقلية . ويبدو هذا الكفاح على أجلاه فيما نراه من العلاقات بين البيض والسود أو بين البيض والشعوب الملونة . ولما كان الرجل الابيض قد أخضع الرجل الاسود فى معظم أنحاء العالم ولم يبق أمامه من يخضعه أو يصب عليه جام غضبه ، فقد ولى وجهه شطر أفراده وأخذ يضطهدهم بحجة أنه أرقى عقلا وألزم للاجتماع، وهو يسمى هذا الاضطهاد «حرب الاجناس»

فالجنس هو قسم « فيزيقى » من البشر يمتاز أفراده بمجموعة من الخواص « التشريحية » الوراثية وبالمادة الملونة لشعرهم وبنوع ذلك الشعر والجلد والعينين وبشكل الانف والقوام وبمقاييس

الرأس من حيث ارتفاعه وضخامته وطوله وعرضه ، وبغير ذلك من الخواص التى هى فى الغالب وراثية ، ولكن لعوامل البيئة المختلفة تأثيراً محسوساً فيها كعوامل الجو والغذاء والجغرافية وهلم جراً . وعليه فالجنس فى نظر العالم الانثروبولوجى هو اعتبار (أو تقسيم) زولوجى . ولم يجد علماء الانثروبولوجيا حتى الآن أية علاقة بين الجنس والقوى العقلية ــ لا باعتبار الافراد ولا باعتبار الجماعات . ومع أن الاجناس قد يختلف بعضها عن بعض فى أذواقها وأمزجتها وغير ذلك من الاعتبارات الا أن العلم لم يثبت ذلك حتى الآن ، فلا بد من الانتظار الى أن يثبت

ثم إن الجنس ليس مرادفاً للغة أو الحضارة أو القومية . فاللغة عامل اكتسابى ، وفى وسع الزنجى أن يتكلم اللغة الانجليزية غير لغته الاصلية ، وليس ثمة ما يثبت أن هنالك جنساً آريا فان كلمة « آرى » هى وصف لطائفة من اللغات التى تتكلمها شعوب متشابهة فى حضارتها ودينها وغير ذلك من الاعتبارات

وليس فى وسع علماء الانثروبولوجيا حتى الآن أن يرتبوا أجناس البشر بحسب درجة رقيها ، أى بحسب درجة بعدها عن مستوى القرود والحيوانات الأخرى . ففى كل جنس مجموعة من الصفات الأولية الفطرية والصفات الدالة على الرقى ، ومن العبث أن نبحث عن جنس صرف أو صميم فان ذلك لا وجود له فى أى جهة من جهات العالم المتمدن . ولعل أنقى الاجناس وأبعدها عن الخلط والمزج هى بقايا شعوب عريقة فى الهمجية بعيدة عن معالم الحضارة . أما بقية الشعوب فقد اختلطت وامتزج بعضها ببعض بحيث يتعذر التفريق بينها بمقتضى الاعتبارات الاقليمية أو الحيوية أو اللغوية أو غيرها

ومما يجدر بالذكر أن علم الانثروبولوجيا يستطيع أن يعيد معظم الأجناس البشرية الى الاصل الذى نشأت منه . فالجنس البولينيزى مثلا هو خليط من العنصر الأبيض والعنصر الشبيه بالزنجى والعنصر الشبيه بالمغولى . والجنس النوردى هو على الارجح نتاج عدة سلالات كانت تسكن أوربا فى العصر الجليدى وقد امتزج بها فيما بعد سلالات شبيهة بالمغولية وسلالات أخرى كانت تسكن جبال الالب ، وعناصر من اللابلنديين والفنلنديين والسلاف

وليس ثمة أي دليل على أن مزج العناصر أو الأجناس المختلفة يؤثر فى توالدها وتناسلها . فتزاوج النوردى والزنجى لايؤدى الى تقليل النسل أو اضعاف النشاط أوالحيوية . ونتاج التهجين يمتاز بصفات موروثة عن كلا الأب والأم . أما أفراد الجنس الواحد فقد يختلفون فى قواهم العقلية والأدبية اختلافاً كبيراً . وعلى كل فعلم الوراثة لا يزال فى أطواره الأولى ولا بد أن ينجلى فى المستقبل عن أسرار كثيرة تزيل الشبهات التى تحوم اليوم حول علم الأجناس

[خلاصة مقالة نشرت فى رسالة الاخبار العلمية . بقلم الاستاذ هوتون]

كتاب القدر الالمانى

مستقبل المانيا كما قدره هتلر منذ أعوام

ان الخطوات التى خطتها المانيا فى السنوات الاخيرة ليست الا تنفيذاً لمنهاج دقيق بين هتلر غاياته ، وأوضح وسائله ، فى كتابه « كفاحى » الذى تتخذه المانيا انجيلا سياسياً تدين بآرائه وتهتدى بتعاليمه

عد هذا الكتاب أول ما ظهر حلما أو خيالا ، لا يعقل أن تتحقق أطماعه البعيدة . أما اليوم وقد طفر منه جزء كبير من دائرة الحلم الى دائرة الواقع ، فلا بد من حمل هذا البرنامج على محمل الجد ، لنكون على بينة مما يجرى فى المانيا من أحداث وما تضمره للايام المقبلة من نيات

لا يؤمن هتلر بقيمة الخلق الفاضل ، بل هو يزدريه بجرأة وصراحة ، إذ يقول : « إن النجاح هو الحكم الوحيد على هـذه الأرض بين ما هو حق وما هو باطل » . فالمصيب بين الناس هو الغالب ولو كان على ضلال ، والمخطىء هو المغلوب ولو أنه على حق وهدى . ولهـذا أدرك هتلر بادىء ذى بدء أن الجماهير لن تتألف حوله ما لم يكن ذا قوة وغلبة على من سواه ، فاتخذ هذا السبيل حتى بلغ غايته . وهو لا يتحدث فى كتابه عن العدالة والانسانية وما اليهما من الأخلاق الفاضلة ، الا مستنكراً اتخاذ هذه المبادىء لأنها تؤدى الى الضعف والاستكانة ، منتقصاً جدوى هذه الوسائل فى معترك الكفاح بين الشعوب . ولا عجب فى هذا لان العالم كما يتراءى لهتلر ليس الا أدغالا تأوى اليها قطعان من البشر اسمها الشعوب ، متدافعة متزاحمة فى سبيل المرعى الذى تعده كل شىء مضحية بأفرادها لأنهم لا يحسبون أى شىء !

والفكرة العامة التى يصورها الكتاب تتلخص فى أن المانيا يجب أن تقيم بناءها على خمس دعائم (١) استئصال شأفة اليهود « حثالة البشر خلطاء الدم » (٢) إقامة دكتاتورية لا يشاركها فى الامر برلمان ، ولا تقف تجاهها أية معارضة (٣) تنقية الدم الالمانى الآرى من جميع العناصر الغريبة عنه لأنها أدنى منه (٤) إعادة المرأة الى بيتها وقصر مهمتها على تكوين أسرة وانجاب نسل قوى كثير (٥) وأخيراً إنشاء جيوش وأساطيل ضخمة هائلة

فاذا نفذ هذا المنهاج الداخلى راحت تحقق سياستها الخارجية التى ترمى أولا الى توحيد الجنس الألمانى كله ضمن حدود دولة عظيمة ، ثم الى استعادة المستعمرات المفقودة وإنشاء الامبراطورية من جديد . وهذا يقتضيها أن توثق العرى بينها وبين بريطانيا ، فيتيسر لها أن تلم شتيت جهودها وتركزها جميعاً تجاه شعوب القارة الأوربية . فتقضى على فرنسا ذلك العدو اللدود الذى يحز ظهر

المانيا بأبره المسمومة فى السلم والحرب على السواء ، وتتحيف وتنتقص من أراضى أوستريا والروسيا ودول بحر البلطيق ما يفسح رقعتها لانشاء دولة مترامية فسيحة

فهذه الأمنية التى أعلنها هتلر على الملأ منذ عهد قريب حين قال بلهجة عنيفة مريرة : « ليت المانيا تملك « الأورال » بما فيها من مواد خام وفيرة ، أو « سيريا » ذات الغابات السخية بالخيرات ، أو « أوكرانيا » بسهولها الخصبة بشتى الغلال » - هذه الأمنية قد صورها هتلر فى كتابه منذ أمد بعيد إذ قال : « إن روسيا لم تكن إلا شعباً سلافيا غارقا فى الفوضى والجهالة ، مدت اليه المانيا يدها البيضاء فانتشلته من وهدته السحيقة ، ولكنه لم يلبث أن وقع فى قبضة اليهود (أولئك المجرمين الانذال) الذين هدموا وأفسدوا ما بناه الالمان وأصلحوه . فيجب اليوم على المانيا أن تمد يدها مرة أخرى لتستخلص الشعب الروسى المسكين من بين نواجذ اليهود » ! .

* بلغ ما بيع من كتاب « كفاحى » ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة ، فجمع هتلر من ذلك ثروة طائلة أنفق جزءها الأول فى جهوده السياسية التى أولته ذروة الحكم ، أما الآن فان أرباح الكتاب تستأثر بها الدار التى نشرته وهى ملك خاص لهتلر ، وهى التى تصدر كذلك الجريدة الرسمية للدولة وسائر نشرات الدعاية السياسية

* فى عيد ميلاد هتلر الأخير أهدته « جمعية الريخ لموظفى الحكومة الألمانية » نسخة من كتاب « كفاحى » .. نسخة وزنها ٧٥ رطلا ، كتبها سبعة من الخطاطين ، خلال أحد عشر شهراً ، بحروف كتلك التى كان يكتب بها الانجيل فى العصور الوسطى

وقد نفذت المانيا منهاجها الداخلى فاستعادت قواها الحربية ، وتكاتف الشعب متأهباً لما تأتى به الأيام المقبلة . وها هو الآن يتحين الفرصة السانحة ليقوم بتحقيق أطماعه الخارجية ، فبعد أن كانت سياسته أول الأمر صداً ودفاعاً ، أخذ ينهج اليوم سياسة الكر والهجوم مبتدئاً بهذه الحملة العاتية التى جردها حديثا ضد الروسيا فى خطب زعيمه وأعوانه ، وكلام صحفه وكتابه

ولكن كتاب كفاحى الذى يخيف بآرائه الهائجة وبراهينه الهادمة ، لا تتيسر قراءته كاملا لغير الشعب الألمانى، إذ أنه لم يترجم الى اللغات الأخرى الا فى صورة منقحة، رجاء أن تخف حدته وتخبو ناره . ففى الترجمة الانجليزية حذف معظم الفقرات التى تشير الى فرنسا ، كما خفت هذا الصوت الحاقد الذى يدوى فى سائر أجزاء الكتاب . أما فرنسا التى يفوق الى صدرها أكثر ما فى الكتاب من سهام فقد أبى هتلر أن يأذن بنقله الى لغتها ، وقد نشرت فيها ترجمة بدون اذن فصودرت بناء على احتجاج قدمه ناشر الكتاب الالمانى . هذا الى أنه من المحرم على الصحف الالمانية أن تقتبس شيئاً من فقرات هذا الكتاب الذى سطر هتلر على صفحاته ما قدره وقضى به لشعبه ولغيره من الشعوب

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ريدرز ديجست . بقلم أوتو تولستنس]

المستقبل للسينما الصامتة

فن التمثيل انحط بالسينما الناطقة

ان توارى السينما الصامتة مؤقتاً لتفسح فى المجال للسينما الناطقة ليس معناه موت الأولى وانقضاء عهدها ، فقد شرع مديرو شركات السينما ـ بعد أن خمدت فورة الاعجاب بالصور المتحركة الناطقة ـ يدركون أن الصامتة أعم ، لأن لغة الرموز والاشارات يفهمها الجميع ، حالة أن الروايات الناطقة الانجليزية أو الفرنسية أو التى تمثل بلغات أخرى لا يفهمها إلا الذين يفهمون تلك اللغات ، فهى مقصورة عليهم وحدهم ولا يمكن أن تكون عامة . وقد بذل بعض اصحاب الشركات جهوداً لاستنباط وسيلة يمكن بها إلباس كل رواية قالباً انجليزياً أو فرنسياً أو غير ذلك حسب الطلب فلم يوفقوا الى ذلك . وبعبارة أخرى أنهم حاولوا أن يمثلوا كل رواية سينماتوغرافية تمثيلا صامتاً مستقلا بنفسه ، ثم وضع نص الرواية بالانجليزية أو العربية أو الفرنسية أو غيرها على حدة ، بحيث يسهل أخذ أى نص من هذه النصوص حسب الطلب والباسه للرواية الصامتة ، كما يستطيع تاجر الأثواب إلباس التمثال الشمعى (المانكان) كل يوم ثوباً مختلفاً . على أن جميع المساعى التى بذلت فى هذا السبيل قد ذهبت سدى ، وهذا يحملنا على الظن بأن العالم سيعود الى الاهتمام بالصور المتحركة الصامتة

وعلى كل فان كل رواية دراماتيكية يجب أن تكون عامة يفهمها جميع الذين يشاهدونها لا الذين يفهمون لغة معينة فقط . وبعبارة أخرى أنها يجب أن تكون « دولية » . ولذلك نعتقد أن السينما بلغت أوج رقيها بالتمثيل الصامت الذى يسمونه البانتوميم

ولسنا نعنى بما تقدم أن اختراع السينما الناطقة كان خطوة الى الوراء ، وإنما نعنى أن هذه السينما لا يمكن أن تحل محل السينما الصامتة ، وكل تقدم فنى أحرزته السينما إنما أحرزته فى خلال ربع القرن الذى كانت فيه الصور المتحركة صامتة . وقد ينكر بعض النقاد هذه الحقيقة بحجة أن العالم متجه الى الاستعاضة عن الحركات والاشارات بالالفاظ ، ولكن هذه الحجة غير وجيهة . واذا سلمنا بها جدلا فليست برهاناً على وجوب التخلى عن البانتوميم أو السينما الصامتة

ان أكثر الناس لا يدركون عظم الفضل الذى كان للسينما الصامتة فى تهذيب شعوب الأرض قاطبة من أقصى حدود العالم القديم الى أبعد حدود العالم الجديد ، وقد كان من نتائج تلك السينما أن الناس الذين كانوا يترددون عليها كانوا يعملون فكرتهم ويجهدون عضلات دماغهم لادراك مغزى المناظر التى تقع عليها أبصارهم . ولذلك كان الممثلون يبذلون منتهى جهدهم لاتقان حركاتهم

واشاراتهم ليتم بها المعنى المراد . فلما جاءت السينما الناطقة أخذ أولئك الممثلون يقللون من الحركات والاشارات زاعمين أن الجمهور يفهم الأقوال التى ينطقون بها . فانحط إذ ذاك فن التمثيل بعض الشيء ، وكان من نتائج اختراع السينما الناطقة أن أصبحت مقصورة على الذين يفهمون اللغة التى تمثل بها كل رواية

ولا حاجة بنا الى الرجوع الى تاريخ البانتوميم ، وانما نقول إنه قد كان دائماً « وسيلة » عامة لايصال المعانى الى أذهان المشاهدين . وقد كان البانتوميم — ولا يزال — وسيلة للتخاطب بين الافراد الذين لا يفهم أحدهم لغة الآخر ، وفى الحقيقة أن البانتوميم لا غنى عنه حتى لأبناء اللغة الواحدة ، وللذين يستطيعون التفاهم بالكلام . فان البانتوميم يتمم المعانى المقصودة ويزيدها جلاء . فايماءة بالعين أو اشارة بالحاجب أو أية حركة بعضو من أعضاء الجسم قد تجعل للكلام معنى لا يخطر بالبال . وليس ذلك فقط بل أن البانتوميم لا غنى عنه فى كثير من مواقف السينما الناطقة

وقد يكون هنالك حل وسط لمشكلة السينما بالسينما الصائتة (سونور) وهذا الحل يقوم على الجمع بين بعض المشاهد والاصوات الطبيعية اللازمة ، كملازمة صوت الرعد لمنظر البرق ، وملازمة الخرير للشلالات المتحدرة ، وملازمة الصليل للسيوف التى يلمس بعضها بعضا ، وملازمة الدوى للريح العاصف ، الى غير ذلك من الأصوات التى ليست ألفاظا مأخوذة من لغة معينة بل هى أصوات يفهمها كل انسان . فاذا اقتصرنا على السينما الصائتة كان ذلك أبلغ وأوقع فى النفس

[خلاصة مقالة نشرت بمجلة ويندزور . بقلم تشارلى تشابلن]

اسمع نصيحتى يا بنى !

فقد اكسبنى العمر تجارب قيمة

يا بني اسمع نصيحتي ! ضع نصب عينيك في بداية كل يوم ألا ينتهى ذلك اليوم من دون أن تعمل فيه عملا صالحاً

إياك والطعن في الميت ، فالميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه . وان كان قد أساء اليك فلا تذكر له الا حسناته . والتمس له عذراً عن كل مساءة قد يكون ارتكبها فى حقك

أطع القانون ، وإن لم يكن ثمة قانون فأطع ضميرك . وتذكر أن الخطايا الأدبية تتجلى دائماً أوضح من سائر الخطايا ، وان خيانتك لصديقك فى حظيته لا يقل دناءة عن خيانتك له فى زوجته ، فيجب أن يكون لكلتيهما حرمة فى نفسك ، فلا تستبح حرمة إحداها بحجة أن علاقتها بالرجل

ليست مما تسيغها آداب الاجتماع ، فلست أنت المهيمن على تلك الآداب

ولا تنس أن هنالك فرقاً بين أن يرتكب الرجل هفوة أدبية وبين أن يكون ذا آداب منحطة ، ففى الحالة الأولى يستطيع اصلاح هفوته والتكفير عنها ، وقد يدفعه الزمن والاختبار الى ذلك ، أما اذا كانت آدابه فاسدة فلا يرجى منه نفع على الاطلاق . والعاقل من يحتكم الى عقله لا إلى قلبه ، والمستسلم الى عواطفه نهايته الى الندم لا محالة

واعلم يا بنى أن لابد من التهذيب حتى لأشد الناس ذكاء ، كما أن يد الفخارى لازمة لتكييف الاناء وتشكيله . وأكثر الناس يستطيعون أن يتعلموا شيئاً من الأشياء ، ولكن الرجل الذكى هو وحده الذى يعرف ما يجدر به أن يتعلمه

انى أقدم لك هذه النصائح وأنا لست على قسط عظيم من العلم ومع هذا فلا أشعر بأى نقص أو ضعف . فاذا كان الحظ لم يسعفك بأن تستكمل تعليمك ، بسبب حاجتك الى المال أو انهماكك فى الالعاب أو اضطرارك لكسب الرزق ، فلا يحزنك أن يكون قسطك من العلم قليلا

ولا يزعجنك ميل الآخرين الى السخرية والاستهزاء « على حسابك » فانه لا يميل الى مثل هذا إلا الطفيليون الذين يعيشون عالة على غيرهم ، مجردين من كثير من الصفات اللازمة للرجولة

ولا يهمنك أن الناس لا يعجبون بمن تعجب أنت بهم ، وليكن حكمك على الغير صادراً عن عقيدة واخلاص ، غير متأثر بعقيدة الغير وآرائهم ، فلا تنظر الى العالم من خلال نظارات غيرك . انك اذا فعلت ذلك خنت نفسك وأخضعتها لآراء الآخرين . وما من امرىء فعل ذلك وظل سعيداً هانئاً . وهو اذا تظاهر بأنه يحب شيئاً معيناً لأن غيره يحبه ، كان مخادعاً مرائيا

واعلم انه ما من رجلين فى العالم يقدران جمال المرئيات نفس التقدير . فقد ينظران الى أشعة القمر تتلألأ على وجه الماء فلا يدركان ما فيها من جمال بلذة واحدة لأنهما ينظران الى تلك الأشعة من زاويتين مختلفتين ، وعليه فجمال الأشياء لا يمكن أن يؤثر فى الناظرين اليها تأثيراً متعادلا

وإذا غفل بعض الناس عن تقدير جمال أعمالك ولم يدركوا ما تنطوى عليه من مرام بعيدة فلا يهمك ذلك ، بل لا يهمك أن يكثر ناقدوك والعائبون عليك عملك . بل سر فى سبيلك ولا تعبأ بما قد يوجهونه اليك من قوارص الكلام ، وحسبك أن ترضى ضميرك

أما اذا كان هذا الذى ينتقدك على قسط عظيم من العلم والاختبار ، وكان ممن لهم فى نفسك كل حرمة واعتبار ، فلا تحقد عليه لانتقاده إياك ، بل اعرب له عن أسفك لأنك لم تستطع أن تعجبه وتحوز رضاه ، وإن كنت لا تسلم له بانتقاده

وافرض حسن النية فى كل من يحاول الاساءة اليك ، ولا يزعجك ما تراه من أعمال الغير اذ كانت لاترضيك . واذا كنت تعتقد أن كل شىء فى هذا العالم يجب أن يسير حسبما تشتهى أو حسب المنطق فانك تتعب كثيراً [خلاصة مقالة نشرت فى مجلة مين أوتلى - بقلم الاستاذ سيمور هيكس]

أسرار الدم

يستعين بها العلم الحديث على اكتشاف الجرائم

لا مشاحة فى أن الدم هو من أصدق الأدلة التى يستعان بها على كشف الجرائم . والعلماء الذين يعنون بالبحث عن الجرائم يعرفون قيمة لطخ الدم ويشعرون بالثقة بنتيجة مباحثهم اذا عرضت عليهم نقطة دم . إذ يستطيعون معرفة الشخص الذى نزف منه ذلك الدم بل معرفة دقائق تفصيلية كثيرة عن الجريمة

وأول سؤال يعن للباحث عندما تعرض عليه لطخة دم هو : هل هى لطخة دم أم مادة أخرى ؟ ولا يخفى أن لون اللطخة لا يدل على حقيقتها . إذ ليست « بقع الدم » عادة ذات لون أحمر زاه . بل اللون الأحمر الزاهى هو فى الغالب دليل على أن اللطخة ليست دماً . فنقطة الدم الجديدة هى عادة حمراء قاتمة . وكلما مر عليها الزمن صارت الى لون بنى الى أن تصبح أخيراً شهباء أو تفقد لونها ، وقد يكون الدم أخضر ذا لون زيتى ، وقد يكون بلا لون على الاطلاق تبعاً لعوامل الحرارة والرطوبة والزمن وهلم جرا . وكثيراً ما يصعب على الرجل العادى أن يميز بين لون الدم ولون القهوة أو الصبغة أو الصدأ أو عصير الفواكه أو ما الى ذلك . وهذا دليل على عدم فائدة الاعتماد على اللون اذا أريد فحص الدم

إذاً على أى شىء نعتمد ؟

هنالك وسيلة لا يتطرق اليها الخطأ ، وهى الاستعانة بمركب كيمياوى من مادة « البنزيدين » « وبيروكسيد الايدروجين » فانك اذا وضعت هذا المركب على لطخة تحول لون الهيموجلوبين (وهو المادة الملونة فى الدم) الى أزرق قاتم ، فاذا كانت اللطخة قديمة وجب بلها بمادة كيمياوية أخرى تسمى بيريدين قبل معالجتها بالمركب المشار اليه . وهذه الوسيلة دقيقة جداً لا تخطىء أبداً ولو مر على اللطخة ألوف من السنين ، وقد طبقوها على بعض المومياءات المصرية التى يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة ، وكان عليها لطخ دم ناشف ، فأسفرت التجربة عن نجاح تام . وهذا دليل على أن مركب « البنزيدين » لا يخطىء أبداً

وتظهر فائدة هذا المركب على أجلاها اذا كان الدم قد مزج بمادة أخرى بقصد التضليل واضاعة معالم الجريمة ، فقد اتفق للمسيو بايل العالم الفرنسى أنه فحص مرة عوارض سلم خشبى كان بعض اللصوص قد استعملوه فى السطو على منزل وفى قتل أحد ساكنيه ، ولما قبض عليهم اعترفوا بالسطو ولكنهم أنكروا جريمة القتل ، وفحص الاستاذ بايل السلم فحصاً دقيقاً فلم يعثر على أى أثر للدم لأن

الوحل الذى كان عالقاً بأحذية اللصوص أزال كل أثر ، إلا أن الاستاذ بابل استعمل طريقة « البنزيدين » فوضع قليلا من هذه المادة على التراب المأخوذ عن عوارض السلم وللحال ظهر اللون الأزرق ظهوراً واضحا شاهداً على جريمة أولئك اللصوص وناطقاً بالحكم عليهم

ومتى ثبت أن اللطخة المشتبه فيها هى لطخة دم تعين على الفاحص أن يتحقق هل هو دم إنسان أم دم حيوان . ومن دواعى الاسف أن مادة البنزيدين تؤثر فى كليهما على السواء ، ولذلك يضطر الفاحص الى سلوك طريق آخر للوصول الى الحقيقة . وفى الواقع أن هنالك عدة طرق للتمييز بين دم الانسان ودم الحيوان ، والمجال لا يتسع لشرح هذه الطرق ، وأهمها الطريقة المعروفة عند علماء الكيمياء « بالاختبار الارنبى » ـ نسبة الى الارنب ـ وطريقة فحص شكل الكريات الحمر وقياس حجومها

ومما يجدر بالذكر أن شكل الكريات يختلف باختلاف كل حيوان ، فهى مستديرة فى معظم الحيوانات الأليفة ولها نواة وحجمها أصغر من حجم الكريات البشرية . وهى فى الدجاج والسمك والزحافات بيضوية الشكل واكبر من الكريات البشرية . واليك حجوم بعض الكريات :

كريات الدم البشرى	جزء واحد من ٣٢٥٠ جزءا من البوصة
كريات دم القرد	« « « ٣٣٨٢ « « «
كريات دم الحصان	« « « ٤٢٤٣ « « «
كريات دم الخنزير	« « « ٤٢٦٨ « « «

على أن مرور الزمن قد يؤثر فى أشكال الكريات وحجومها . وفى هذه الحالة يضطر الفاحص الى سلوك طريق آخر للوصول الى الحقيقة لا يتسع هذا المجال لشرحه . ولا يعدم العلم وسيلة للتمييز بين دم الانسان ودم الحيوان

ولنفرض الآن أن آثار الدم المعروضة على الفاحص المحقق هى آثار دم بشرى وأن ذلك قد ثبت ثبوتاً قاطعا . فهل من وسيلة لمعرفة صاحب الدم ؟

ان العلم قد وفق الى ذلك توفيقاً يكاد يكون تاما . فى سنة ١٩٠٠ أثبت الدكتور لندشتينر أن دم الانسان أربع طوائف تختلف كل منها عن الاخرى اختلافا بيناً ، ولا يمكن أن يتحول الدم من طائفة الى أخرى أبداً ، لا بمرور الزمن ولا بالمرض ولا بتغيير الغذاء فى البيئة ولا بأى عامل آخر . وتسمى هذه الطوائف الأربع بالأربعة الأحرف الأولى من حروف الهجاء . فاذا وجد الفاحص آثار دم على رجل متهم بجريمة قتل لجأ فى الحال الى فحص دم القتيل ودم المتهم والآثار التى على المتهم ومقابلة نتائج الفحص ، ومن المحتمل بالطبع أن يكون دم كلا المتهم والقتيل من طائفة واحدة . فى هذه الحالة يبحث الفاحص تاريخ كل من المتهم والقتيل ليعلم ما قد يكون أصيب به

كل منهما من الأمراض التي تترك أثراً في الدم ـ كالسكر والزهري والملاريا والانيميا وغير هذه ، فاذا لم يكن القتيل ولا المتهم قد أصيب بأحد هذه الأمراض لجأ الفاحص الى طريقة علمية جديدة تعرف بطريقة الدكتور زنجيا يستر (من أطباء مدينة كونكسبرج) وهي طريقة لم تشع بعد كثيرا ولكنها من أدق الطرق العلمية وأوفاها بالغرض . فقد أثبت هذا الطبيب أن النور الذي ينبعث من ذرات الدم المتجمد يختلف باختلاف عوامل كثيرة بحيث يمكن تمييز عشرات من نماذج الدم بعضها عن بعض وإن كانت جميعها من طائفة واحدة

وهنالك السبكترسكوب أيضا وهو يساعد مساعدة عظيمة في الحالات التي يلجأ فيها المجرم الى استعمال الغاز أو السم . فدم الانسان الذي يقتل قتلا اعتياديا يظهر تحت السبكترسكوب بوضع معروف ، بخلاف دم الانسان الذي يقتل بالسم أو بالغاز فانه يبدو تحت السبكترسكوب بوضع آخر يعرفه علماء الكيمياء . وقد حدث منذ عهد قريب أن وجد البوليس الامريكي سيدة وطفلها ميتين في غرفة وأنبوب الغاز مفتوحا والقرائن كلها تدل على أن الاثنين ماتا مختنقين بالغاز ، إما خطأ أو انتحاراً . فلما فحص دم المرأة بالسبكترسكوب ثبت أنها لم تكن قد استنشقت الغاز السام ، لأن دمها كان بحالته الطبيعية . ومعنى ذلك أنها ماتت وانقطع تنفسها قبل اطلاق الغاز عليها ، وبعد البحث الدقيق ثبت أنها خنقت على سريرها ثم أطلق عليها أنبوب الغاز لتمويه الحقيقة ، أما الطفل فانه مات اختناقا بالغاز

وكثيراً ما يتخذ المجرمون الاحتياطات الدقيقة لاخفاء معالم جرائمهم ، فبعضهم يخلعون ملابسهم قبل ارتكاب جريمة القتل وبعضهم يحرقون ثيابهم اذا تلوثت بالدماء . ويلتجيء غيرهم الى وسائل أخرى ، ولكن ما من احتياط ، مهما بلغ من الدقة والحذر ، يعصمهم أو يستطيع خداع الفاحص الكيمياوي ، بل كثيراً ما يستطيع هذا الفاحص معرفة موقف القاتل بازاء القتيل عند ارتكاب الجريمة وهل كان أحدهما واقفا والآخر جالسا أو مضطجعا أو راكضا ، كل ذلك معلومات ينم بها الدم ولونه وشكل كرياته وهلم جرا . وقد يقع رشاش من الدم على الأرض أو الحائط وهذا أيضا يساعد على تعيين تفاصيل الجريمة ، فرشاش الدم المتفجر من الشريان الكبير قد يصل الى بعد ثماني عشرة بوصة حالة أن رشاش الدم المتفجر من شريان صغير لا يندفع بعيداً

وهنالك أسرار أخرى كثيرة ينم بها الدم ويستطيع العالم الكيمياوي والطبيب الشرعي الماهر أن يظهراها للعيان مما لا يمكن الالمام به في مثل هذه العجالة

[خلاصة مقالة عن كتاب بعنوان « العلم بازاء الاجرام » . بقلم الاستاذ هنري روبنسن]

تقدم العلم والعالم

متى سكن الانسان أميركا

تختلف آراء العلماء بشأن التاريخ الذى ظهر فيه الانسان فى القارة الاميركية . وقد كان الرأى الغالب حتى عهد قريب أن تلك القارة كانت خالية من كل أثر بشرى منذ عشرين أو ثلاثين ألف سنة لأن الاحوال الجوية فى تلك القارة كانت تحول دون وجود بشر إذ ذاك . وفى الاجتماع الأخير الذى عقده مجمع تقدم العلوم الاميركى ألقى الدكتور انتيفز العالم الشهور خطبة تحدى بها أى عالم يستطيع أن يثبت أن الانسان عاش فى أميركا منذ اربعين الف سنة . الا أن الدكتور رينو أحد اساتذة جامعة دنيفر عثر أخيراً على أدوات حجرية تشبه الأدوات التى عثر عليها العلماء فى اوربا وترجع الى العصر الحجرى . ولهذا يعتقد الدكتور رينو ان اميركا كانت مأهولة بالسكان منذ اكثر من مائة الف سنة

تقطير ماء البحر

وفقت معامل الحكومة البريطانية فى تدنجتون الى طريقة جديدة لتقطير ماء البحر وجعله صالحا للشرب بامراره فى أنابيب من الراتينج الصناعى (أى من مادة الفورمالين وحامض التنيك) . فهذه الأنابيب تمتص العناصر القلوية والمعدنية الموجودة فى ذلك الماء . ثم يمر هذا الماء فى أنابيب أخرى مصنوعة من الفورمالين والأنيلين ، فتزول منه المواد التى تؤلف منها الحوامض ويصبح بعد ذلك صالحاً للشرب

لن ينفد الذهب

كان أصحاب مناجم الذهب فى مختلف انحاء العالم يعتقدون منذ بضع سنوات أن نتاج الذهب قد بلغ أقصاه وأنه لن يمضى وقت قصير حتى يأخذ ذلك النتاج فى الهبوط ، إلا ان الدكتور كنويف استاذ علم الجيولوجيا بجامعة بايل الاميركية يعتقد أن الذهب ما يزال مخزوناً فى بطن الأرض بمقادير عظيمة ، وانه اذا توافرت الوسائل اللازمة ، فلن ينقص ثمن الذهب الممكن استخراجه من المناجم عن مائتى مليون جنيه فى السنة وسيظل كذلك عدة سنوات

سرطان الشفتين

تدل احدث التجارب التى قام بها الاطباء على أن من الممكن شفاء سرطان الشفتين شفاء اكيداً فى اطواره الأولى ، وشفاء ثمانين فى المائة من الاصابات به فى أدواره الوسطى . أما أدواره الأخيرة فلا حيلة للطب فيه . وفى أحد المستشفيات الاميركية المخصصة لمرضى السرطان عولج فى السنة الماضية ٤٢٥ مصابا بسرطان الشفتين بينهم خمس عشرة امرأة فقط ، فشفوا جميعا شفاء تاما لأن اصاباتهم كانت فى طورها الأول . ويلاحظ أن معظم المصابين بهذا الداء من الرجال ، وليس فى هذا غرابة ، لأن معظم حوادث سرطان الشفتين تنشأ عن التدخين « بالبيبة » ، وهو ما يكاد يكون مقصوراً على الرجال

آلام الولادة

آلام الولادة هي من أشد ما تعانيه المرأة في حياتها الزوجية . وقد حاول الكثيرون من الاطباء تخفيفها باستعمال التخدير ، ولكن الأمر لا يخلو من خطر . ولم يوفق العلم حتى الآن الى اكتشاف المخدر الذي يصلح للمرأة عند الولادة . نعم إن هنالك مخدرات كثيرة ولكن ما من مخدر منها يفي بالغرض من كل وجه ويخلو من كل خطر . على أننا قرأنا في رسالة الاخبار العلمية التي تصدر في اميركا أن فريقاً من الأطباء في جهات مختلفة استعملوا مواد مخدرة مختلفة لمساعدة النساء على الولادة . واسفرت جميع التجارب عن نتائج تدعو الى الارتياح ، وفي مقدمة تلك المواد مزيج من « بنتوباربيتال — صوديوم » «وشكوبولامين » وقد جرب في ١٨٠٠ حادث للولادة فتم الوضع بلا ألم على الاطلاق . ومن المواد التي استعملت أيضاً مزيج من « البارالدهيد » و « بنزيل الكحول » وقد جرب في ستمائة حادث ولادة فلم تشعر المرأة بألم أثناء الوضع

على أن الكثيرين من الاطباء وعلماء النفس يستنكرون استعمال التخدير لمساعدة المرأة على الولادة لأن الولادة من أشرف وظائف المرأة واعظمها شأناً ، فاذا ازيلت الآلام المترتبة عليها لم تبق لها قيمة أدبية كبيرة في نظر المرأة ، بل الأرجح أن ما تشعر به المرأة من عطف وحنو على الطفل الذي تضعه يزول بتاتاً إن هي لم تشعر بألم عند الوضع

الوفيات في سنة ١٩٣٦

يؤخذ من الاحصاءات التي لدى شركات التأمين على الحياة في اوربا واميركا أن نسبة الوفيات في عام ١٩٣٦ هي اكثر منها في عام ١٩٣٥ . نعم ان الاحصاءات النهائية لم تجمع حتى الآن ، ولكن القرائن تدل على زيادة نسبة طفيفة لايعرف سببها على وجه التحقيق حتى الآن . والارجح أن معظم الزيادة هي في حوادث الانتحار والاصابات الفجائية

من الجبابرة الخرافيين

من الخرافات اليونانية المنقولة عن هوميروس انه كان في كهوف جبال اليونان في العصور الخالية جبابرة يتحدون الآلهة ويخاصمونها ويفترسون البشر . وكان لكل جبار منهم عين واحدة مستديرة في أعلى جبهته . ومن ثمة كانوا يسمون « سيكلوبس » أي اصحاب العيون المستديرة . وكان علماء الميثولوجيا يعتقدون حتى الآن أن هذه الخرافة يونانية الأصل ، الا أن الدكتور فرنكفورت رئيس بعثة الآثار الأميركية التي تقوم بالتنقيب في العراق ، عثر بين خرائب تل الأسمر على تمثال أحد آلهة البابليين القدماء وهو يطعن جباراً من جبابرة « السيكلوبس » ذا عين واحدة مستديرة في أعلى جبهته ، وقد أمسك الاله بلحية الجبار بيده اليسرى وطعنه بالسيف بيده اليمنى . وهذا التمثال يرجع الى نحو ألفي سنة قبل المسيح ، مما يدل على أن اليونان استعاروا خرافة السيكلوبس من البابليين

نعال من كاوتشوك للخيل

كثيراً ما تزلق الخيل في الشتاء في أثناء سيرها على الأرض الملساء . ولذلك فكر بعض أنصار الرفق بالحيوان في انجلترا في اتخاذ نعال من كاوتشوك بدل النعال الحديدية تقليلا لحوادث الزلق

مستقبل الانسان

في الخطبة التى القاها الاستاذ جوليان هكسلى كبير علماء البيولوجيا الانجليز فى مجمع تقدم العلوم البريطانى فى سبتمبر الماضى ، أن رقى الانسان فى المستقبل سيكون بيده ولن يكون خاضعاً لأية قوة من الخارج . فسيتمكن من ترقية قوى عقله بطريقة الانتخاب الطبيعى ، وسيجيء يوم ينقرض فيه جميع ضعاف العقول فلا يتناسل الا الذين يصلحون للبقاء ، وسيرتقى العقل يومئذ بحيث يصبح نقل الافكار (التليباثى) أمراً مألوفاً عند الجميع . ولا يبعد أن يخاطب الناس يومئذ بافكارهم لا بواسطة مادية كالتليفون أو التلغراف أو غيرهما

للوقاية من الانفلونزا

فى تقرير رفعه الدكتور توماس فرنسيس من أطباء معهد روكفلر الى اتحاد الصحة العامة الاميركى أن الاطباء قد وفقوا الى صنع لقاح يقى من الانفلونزا وقاية تامة . وقد جربوا هذا اللقاح على نطاق واسع فى خلال السنوات الاخيرة فاسفرت التجربة عن نجاح تام

وفى التقرير الذى رفعه الدكتور توماس فرنسيس المذكور أن الطب لم يوفق حتى الآن الى لقاح يقى من الشهقة أو السعال الديكى وقاية تامة

الجرائم فى بابل قديماً

يظن البعض أن انواع الجرائم تختلف باختلاف المكان والزمان . وهذا صحيح الى حد ما . إلا أن الطبع البشرى هو هو سواء فى هذا العصر أو فى غيره من العصور . وقد عثر علماء الآثار الذين يعملون فى العراق على قطع من الآجر المشوى يؤخذ من الكتابة المسطورة عليها أن جرائم الرشوة وخطف الاطفال والنساء كانت كثيرة الشيوع فى بلاد بابل قبل المسيح بأكثر من الف وخمسمائة سنة

بيوت كالهرم

تنوى بعض شركات البناء البريطانية تشييد بيوت للسكن فى لندن تكون ذات شكل كالهرم بحيث تكون كل غرفة وكل « شقة » معرضة للهواء ولأشعة الشمس . وتعتقد الشركة المذكورة أن شكل المساكن الهرمى يجب تعميمه فى كل مكان لأنه أكثر استكمالا للشروط الصحية

الحرباء

الحرباء (ومؤنثه الحرباءة) دويبة تمتاز ببطء حركتها وتغير لونها . وكان العرب يزعمون أن هذه الدويبة تستقبل الشمس دائماً فى الصباح وتتلون ألواناً شتى وفق حرارتها ، ولذلك كانوا يضربون بها المثل فى التقلب . ولكن العلم ينكر خرافة استقبالها الشمس أو تلونها بحرارتها . وإنما هى تتلون عادة بلون البيئة التى هى فيها ، فتراها خضراء اللون بين أوراق الشجر ، صفراء فاتحة فى الرمل ، داكنة فى البيئة القاتمة . ويقال إن التلون ينشأ عن الحالة النفسية التى قد يكون عليها هذا الحيوان من فزع أو خلافه . وكان الأقدمون يعتقدون انه يقتات الهواء فقط لأنه يستطيع البقاء بلا طعام مدة طويلة . ولكن هذا الاعتقاد خطأ فان للحرباء لساناً يقذف به خارج فمه كالسهم ويلتقط به الهوام فيتغذى بها ، وهو يستطيع أن يمد لسانه حتى يصبح طول جسمه

المواليد وحكمة الطبيعة

تقول مجلة الاتحاد الطبي الأميركي إن احصاءات المواليد تدل على أن الحمل الذي يتم بين شهري يوليه وسبتمبر يسفر غالبا عن مولود ذكر . ويؤخذ من المباحث التي قام بها فريق من العلماء الانجليز أن المواليد الذكور في الأرياف اكثر نسبياً منهم في المدن،حالة ان المواليد الاناث في المدن تزيد نسبياً على المواليد منهن في الأرياف. وتدل الاحصاءات أيضاً على انه في الثورات والانقلابات الاجتماعية الكبيرة تزيد المواليد الذكور على المواليد الاناث . وقد شوهدت هذه الظاهرة الغريبة في الحرب العظمى الماضية وفي الحروب والثورات التي تلتها بلا استثناء . أما البلاد التي تقف على الحياد فلا تشاهد بها هذه الظاهرة

وهنالك بلاد تكثر فيها المواليد الذكور كثرة تسترعي الانتباه وفي مقدمتها بلاد اليونان ، فان نسبة المواليد الذكور فيها عالية جداً بخلاف اليابان وايطاليا فان الكثرة فيهما للاناث . ويقول الأستاذ رسل العالم البيولوجي المشهور انه ليس ثمة أي دليل على وجود علاقة أكيدة بين عمر الوالدين وجنس المولود . واذا كانت ثمة أية علاقة فهي على الأرجح بين عمر الوالد فقط وجنس المولود ، وعلى كل فان جميع المباحث الطبية والبيولوجية والاحصاءات الموثوق بها تدل على أن المواليد من الذكور أكثر من الاناث ، وحكمة الطبيعة في ذلك لا تخفى

حاسة السمع

تختلف حاسة السمع باختلاف الاشخاص . فما تسمعه أنت وتحسبه صوتاً عالياً قد يحسبه غيرك منخفضاً . وهذا هو السبب في أنك قلما تجد جمعاً من الناس يتفق أفراده على درجة ارتفاع الصوت الذي يجب أن تكون عليه آلة الراديو أو انخفاضها . وتدل التجارب الكثيرة على أن بعض الناس يستطيعون أن يسمعوا الهمسات بوضوح ، بينما غيرهم ــ ممن ليسوا صما بالمعنى المتعارف ــ لا يسمعون دقات الساعة ولو أنصتوا اليها ملياً ، ويظهر أن من جملة آثار المدنية أنها تضعف حواس الانسان الخمس اضعافا كبيراً جداً، فالانسان المتوحش يرى ويسمع ويشم على وجه أكمل مما يرى الانسان المتمدن أو يسمع أو يشم . والحواس الخمس جميعها أقوى في الحيوانات العليا منها في الانسان

القردة في الأسر

من الطبائع المعروفة عن القردة أنها لا تتوالد في الاسر أبداً . ولكننا قرأنا في إحدى المجلات العلمية أن قردة في حديقة الحيوانات بمدينة آروس بالدنمرك وضعت منذ عهد قريب مولودة أنثى ولكنها تأبى إرضاعها . ولذلك أخذ موظفو تلك الحديقة يرضعونها بوسائل صناعية ويراقبون تأثير ذلك في نمو المولودة الجديدة

حرارة النجوم

تختلف درجة حرارة بعض النجوم من ثلاثة آلاف الى خمسين الفاً بمقياس سنتجراد . إلا أن الدكتور هتزلر العالم الفلكي الاميركي يقول إنه قد اكتشف نجوما تعتبر بالنسبة الى غيرها باردة جداً إذ لا تزيد درجة حرارتها على الالف بمقياس سنتجراد

كلاب البحر

كلب البحر – ويسمى فى اللغة القريش – هو أشرس الحيوانات البحرية وأشدها فتكا بالحيوانات الاخرى وبالانسان أيضاً . وهو يعيش فى البحار المالحة ولا يوجد فى الأنهر . والموجود منه فى البحار الاستوائية أشرس كثيراً من الموجود فى المياه المعتدلة . والصيادون يغامرون بحياتهم فى سبيل صيده طمعاً فى جلده وفى زيت كبده الذى لا يقل نفعاً عن زيت كبد الحوت . وهذا الحيوان أنواع كثيرة يصل طول بعضها الى اثنى عشر متراً

الدببة فى العصور الخالية

كانت الدببة تسكن كهوف أوربا ومغاورها جماعات جماعات منذ نحو خمسين الف سنة أى فى العصر الجليدى الاخير . وفى بعض تلك الكهوف بقايا متحجرة لهياكل تلك الدببة . وقد كانت ذات أجسام هائلة فى الكبر . ولا شك ان قوتها البدنية أيضا كانت هائلة

أكل اللحوم

يعتقد بعض الناس أن اقتصار الانسان على أكل اللحوم فقط دون البقول (الخضراوات) مضر وأنه يسبب داء الاسقربوط . ولكن فريقاً من الاطباء ينكرون ذلك ويقولون إن الاسكيمو لا يأكلون سوى اللحوم وأكثرهم يأكلونها نيئة . وقد قام اثنان من كبار الاطباء السكندناف بتجربة لاختبار تأثير الاقتصار على أكل اللحوم ، فانقطعا عن اكل الخضراوات عاما كاملا لم يذوقا فى خلاله سوى اللحوم ، وفى نهاية العام كانت صحتهما على أحسن ما يرام . ولاشك أن اغتذاءهما بالكبد فى جملة ما كانا يغتذيان به من اللحوم أفادهما وحال دون تأثر صحتهما ، إذ لا يخفى ما فى الكبد من الفيتامين « ج » الذى يمنع الاصابة بمرض الاسقربوط

طرائف

* يقول أحد كبار الاطباء الالمان إن عشر حوادث الجنون فى مختلف أنحاء العالم ناشئة عن مرض الزهرى . وهذا الحكم مبنى على فحص أربعين ألف شخص من المصابين بالامراض العقلية فى أوربا وأميركا

* كثرة الدسم فى الطعام تضر ولا تنفع . فهى تمنع الهضم والنمو وتؤدى الى زيادة سمن الجسم دون أن تزيد قوته . وعليه فليس من الحكمة الافراط فى أكل الأطعمة التى يكثر دهنها ، ولا سيما القشدة (الكريمة)

* فى أخبار الصحف الاميركية أن بعض الزراع الاميركيين فى « نورث داكوتا » تمكنوا من ايجاد صنف من البطيخ خال من البذور خلواً تاماً وهم يرجون أن يتمكنوا من اكثار هذا الصنف بزراعته على نطاق واسع

* كان تطعيم أشجار الفواكه معروفا عند الرومان وكانوا يمارسونه على نطاق واسع . وكثيراً ما كانوا يطعمون أشجار بعض الفواكه – ولا سيما العنب – لتحسين النوع أو النتاج

* عثر العلماء فى انجلترا فى الصيف الماضى على جمجمة بشرية متحجرة على عمق ٢٤ قدما فى قاع نهر التيمز . والارجح انها جمجمة الانسان السابق لفجر التاريخ

كتب جديدة

الملك هنرى الخامس

مسرحية لشكسبير

ترجمة الاستاذ سامى الجريدينى

نشرتها دار الهلال . صفحاتها ٧٦

خير القصص ما اجتمع فيه جمال الأدب وروعته ، الى حسن العبرة وبلاغها . وهـذا ما نلقاه فى هذه المسرحية التاريخية القيمة

فمن الناحية الفنية لايسع المرء إلا أن يقول : إنها من آثار شكسبير ! . . وإذاً فهى الشعر فى أسمى آياته وأنبلها ، واسلس صوره واجزلها ، وهي الحكمة فى ابلغ معانيها واعمقها ، وفى أدق آرائها وأقواها . وهل ثم من نفذ الى النفس الانسانية كما نفذ شكسبير الى زواياها وخباياها ، فصورها بما اصابت من ذكاء وغفلة ، وما ملكت من حكمة وبلاهة ، وما اضمرت من خير وشر ، وما أتت من عرف ونكر ؟

ومن الناحية الخلقية حسبنا أن نقول إن بطلها هو هنرى الخامس وهو رجل انجليزى ، وإذاً فهو - كما يقول المترجم - « الرجل الذى يعرف الحياة ، يأخذها كما هى فيلبس لبوسها فى مختلف نواحيها ، ويتمتع بما تقدمه من نقص ومن كمال ، ومن حلو ومن مر - رجل يتكيف مع مجارى القدر ، يعبث فى شبابه ويلهو ويسر ، فاذا دعاه داع الى مواطن الواجب والرجولة رأيته ابن بجدتها يجالد الفرسان مرة ، ويداعب الحسان اخرى ، ويعاقر بنت الحان مرات ... »

فاذا أضفت الى هاتين الخصلتين امانة المترجم ودقته ، ورصانة اساوبه وتدفقه ، استطعت أن تقدر قيمة ما أضيف الى الأدب العربى بنقل هـذه القصة النفيسة . وقد كان من حسن تقديرها أن اهدتها مجلة الهلال الى مشتركيها هذا العام

حى بن يقظان

للاستاذ كامل كيلانى

طبع فى مطبعة المعارف . صفحاته ٨٥

أنشأ الأستاذ كامل كيلانى مكتبة للاطفال ، حافلة بمجموعة كبيرة من القصص المترجمة من اللغات الأجنبية ، فأدى خدمة يلمسها كل أب وأم ، وكل معلم ومرب . ومع أن الاستاذ قد صاغ هذه القصص المترجمة صياغة عربية أصيلة لا تشوبها عجمة ولا تفسدها عامية ، فانه رأى أن من الخير أن يضيف مجموعة من القصص العربية التى يحفل بها أدبنا القديم ، فبدأ اليوم بتقديم قصة « حى بن يقظان » معتزما أن يتبعها بقصص أخرى

وقصة « حى بن يقظان » التى وضعها الفيلسوف الأندلسى ابن طفيـل قصة علمية عميقة ، جلا فيها غوامض العلم العويصة ، وشرح مذاهب الفكر الدقيقة ، وحلل نزعات الانسان المعقدة . فمن عجب أن تختار قصة للاطفـال ! ولـكن الاستاذ كامل كيلانى بما عرف عنه من لباقة وبراعة ، وبما كسب من مران فى تثقيف عقول الأطفال ، استطاع أن يجعل منهـا قصة

ممتعة يقرأها الطفل فرحاً مشغوفا فلا يدعها ولا يملها

وهذه الحلقة الجديدة من سلسلة قصص الأطفال ، تدل على هذا الشوط الطويل الذى قطعه الاستاذ كامل كيلانى بأطفاله . فقد بدأ يقدم لهم قصصاً سهلة مسلية ، ثم تدرج الى تقديم قصص شكسبير وجوليفر ، ثم قصص جغرافية وتاريخية . وهو يقدم لهم اليوم قصة علمية فلسفية ، مشروحة مبسوطة فى أسلوب سلس وصورة واضحة . فنرجو لأطفالنا أن ينالوا من استاذهم كثيراً من أمثال هذه القصص التى تفتح منافذ عقولهم ، وتوجههم وجهات منتجة مجدية

قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة

للاستاذ توفيق الطويل

طبع فى دار النشر الحديث . صفحاته ٣١٨

التاريخ عظة وعبرة ، وهذا النضال العنيف الذى نشب بين قرطاجنة وروما ، فأودى بالأولى وأبقى على الثانية ، صفحة من صفحات التاريخ ، تفيض بالعبرة البالغة ، وتنطق بالعظة البينة

فهذه مدينة « روما » تنشأ فى العراء ، حيث تتعرض لكثير من الشدائد والخطوب ، تارة من البشر وأخرى من الوحوش ، فيشب أهلها وقد ألفوا القوة والخشونة ، واستطابوا العيش فى ظلال المكاره والحروب . وهذه مدينة ـ قرطاجنة ـ تريد أن تحيا فى مأمنها هانئة رافهة ، يستمتع أهلها بالمتع واللذائذ ، ويتقون شدة الكفاح وقسوته قدر مايستطيعون . فاذا ما نشب بين المدينتين كفاح كهذا الذى ألفه البشر بين أفرادهم وجماعاتهم منذ ظهروا على وجه البسيطة ، لم يكن هناك معدى عن أن ينتصر القوى وينهزم الضعيف ، لأن سنة الطبيعة فى إنسانها وحيوانها ، فى نظمها ومبادئها ، فى شعوبها وجماعاتها ، أن الفوز للاقوى وأن البقاء للأصلح

وقد تناول المؤرخون هذا الموضوع الجليل بشتى الدراسات ، فوضعوا فيه من البحوث الدقيقة مالا يكاد يحصى . ولكن قراء العربية ظلوا لا يعرفون عنه الا قليلا لا يغنى ، حتى أتحفهم الاستاذ توفيق الطويل بكتابه هذا الذى يحكى ، فى أسلوب قصصى ، سيرة هذا الكفاح . وقد استطاع المؤلف أن يعرض الموضوع فى صورة شائقة طريفة ، دون أن يجور على حق الأحداث التاريخية التى يتجاهلها كتاب ما يسمى « بالقصص التاريخية » . فبدأ يقارن بين نشأة المدينتين وطرق الحياة فيهما ، ثم تتبع أدوار النزاع بينهما معنياً بجلاء الروح المعنوية فى كلا الشعبين ، دون أن ينسى سرد ما ثار بينهما من الحروب فى شىء من الايجاز ، ثم انتهى بفصل قيم حلل فيه هذا الكفاح ورد نتائجه الى بواعثها . ولا شك أن هذا الفصل بما فيه من دقة فى البحث ونفوذ فى النظر ، جدير بأن يسمو بهذه القصة التاريخية الى مصاف البحث الاجتماعى الدقيق

تاريخ ابن الفرات

نشره الدكتور قسطنطين زريق

طبع بالمطبعة الاميركانية ببيروت. صفحاته ٢٤٣

هذا جزء من كتاب « وفيات الاعيان » الذى ارخ فيه ابن الفرات الشرق العربى خلال ثلاثة قرون (٥٠١ ـ ٧٩٩) ، فضم بين دفتيه كثيراً من الحوادث الجليلة والدقيقة ،

ومن تراجم البارزين والمغمورين

وقد رأى الدكتور قسطنطين زريق ، استاذ التاريخ الشرق بجامعة بيروت الامريكية ، أن ينشر هذا الكتاب مبتدئاً بالجزء الأول من المجلد التاسع الذى يتناول تاريخ الفترة بين سنتى ٧٨٩ ، ٧٩٣ هـ ، وذلك لأنه يعتبر أدق اجزاء الكتاب واوفاها ، فقد تناول ابن الفرات الحوادث التى عاصرها وشاهدها وشارك فيها ، فنهج فى روايتها منهج الشرح والتفصيل والاسهاب . وقد تابع تاريخها يوماً يوما ، وحادثاً حادثا ، مما جعل الكتاب مرجعاً ثبتاً فى كل ما يتعلق بتاريخ الشرق العربى أثناء حقبة من عهد المماليك

أما الأصول التى اعتمد عليها الناشر فعدة نسخ خطية مفرقة فى مكاتب اوربا : فى المكتبة الامبراطورية بفيينا ، والمكتبة الوطنية بباريس ، ومكتبة الفاتيكان ، والمتحف البريطانى . وقد قارن الاستاذ الناشر هذه النسخ بعضها ببعض ، ثم راجعها على غيرها من المؤلفات القديمة والحديثة ، فبعث بهذا سفراً من أجل الاسفار التاريخية ، فى صورة وافية كاملة دقيقة ، إذ تقيد بالأصل وحافظ عليه ، مع التوفيق بينه وبين الكتب الحديثة من حيث التقسيم والتبويب ، حسب الايام والشهور ، أو وفق الاعيان الذين تروى حياتهم . فلعل الدكتور زريق يوفق الى اخراج سائر اجزاء الكتاب على هذا النمط الدقيق

طلعت حرب

للاساتذة حافظ محمود و مصطفى كامل الفلكى و محمود فتحى عمر

طبع فى مطبعة مصر . صفحاته ١٩٢

كل جيل من الشباب يتمثل العظمة فى فرد من الرجال وطلعت حرب هو المثل الأعلى الذى اتخذه اليوم شباب مصر ، فكان كثير من جهودهم ومن تفكيرهم متجهاً الى هذه الناحية الاقتصادية التى ارتادها ثم تزعمها طلعت حرب . فمن حق الشباب أن يجد كتابا يدرس حياته الحافلة ويتتبع أدوارها المجيدة ، ومن واجب الكتاب أن يضعوا مثل هذا الكتاب الذى يبين ما أبدى طلعت حرب من آراء سديدة ، وما أنفق من جهود موفقة ، وهذا ما رأى ثلاثة من الشبان النابهين أن يقوموا به فألفوا هذا الكتاب

وقد بدأوا بالحديث عن آراء طلعت حرب الاجتماعية . فذكروا بلاءه الحسن فى خدمة الاسلام والعروبة ، ثم شرحوا رأيه فى تحرير المرأة وموقفه من قاسم أمين . وثنوا بعد هذا بالحديث عن جهاده الوطنى بما قام به من بحوث فى مشروع قناة السويس سنة ١٩١٠ أظهروا فيه ما أوتى الرجل من عبقرية اقتصادية بدت تباشيرها منذ ذلك الوقت . ثم تحدثوا عن هذا الدور المجيد الذى قام فيه بانشاء بنك مصر ، مكافحا روح الضعف والجهالة والتشاؤم ، حتى اقامه بناء شامخاً يرمز للعزة القومية وينير الطريق الى الاستقلال الاقتصادى . وختموا الكتاب بفصلين: أحدهما عن تحليل شخصية الرجل العظيم والثانى عن هذه المدرسة الروحية التى يربى فيها طلعت حرب أبناء الجيل الجديد . ولا شك أن هذا الكتاب بموضوعه وأسلوبه وبحثه من خير ما يقرأه الشباب

الانتداب الفلسطيني

للأستاذ وديع البستانى

طبع بالمطبعة الاميركانية ببيروت . صفحاته ٢٠٨

صدر هذا الكتاب فى الصيف الماضى

وفلسطين فى محنتها تجاهد المعتدى الغاصب لتدفعه عن حقها وحماها ، فصمدت على قلة رجالها وضعف عدتها أمام جيوشه القوية الكبيرة ، فرأت الحكومة البريطانية أن تسالم العرب وتسترضيهم ، زاعمة أن « استحداث صلات أكثر وداً وسلاما مقصد يمكن التوصل اليه ضمن نطاق الانتداب » ، متجاهلة أن العرب أبوا إلا أن يلغى الانتداب وأن تتحرر فلسطين على الوجه الصحيح

وقد قام الاستاذ وديع البستانى ، عضو الوفد العربى الفلسطينى الثالث ، بوضع هذا الكتاب الذى ساق فيه الأدلة البينة والشواهد الدامغة على أن مشكلة فلسطين ليس لها سوى حل واحد ، هو إلغاء الانتداب البريطانى ، ذلك أن الوثيقة التى انتدبت بمقتضاها بريطانيا تخالف عهد جامعة الأمم ، كما أن بريطانيا لم تف بما قطعت من عهود ، ولم تقم بما فرض عليها أداؤه من واجبات

والكتاب مجموعة من الوثائق والتقارير درست فيها مشكلة فلسطين من نواحيها الثلاث العربية واليهودية والبريطانية . وقد وضع نسخة منه بالانجليزية رفعها الى طائفة من السياسيين الانجليز . وإنا لنرجو أن توفق فلسطين الى تحقيق آمالها بفضل ما أريق من دماء أبنائها ، وما بذل من جهود زعمائها ومفكريها

ظلامة فلسطين

للاستاذ حسن صدقى الدجانى

طبع بالمطبعة التجارية بالقدس . صفحاته ١١٢

وهذا كتاب آخر عن فلسطين المظلومة وضعه مؤلفه وهو معتقل أثناء الاضراب العام ، وجعله نداء الى أبناء البلاد العربية جميعاً ، كى يكونوا على بينة من قضية شقيقتهم فلسطين . والحق أنه من خير الشروح والبيانات الخاصة بأدوار تلك القضية منذ كانت فلسطين خاضعة للحكم التركى الى أن وقعت فى قبضة الانتداب البريطانى . ومع أن فصول الكتاب تضطرم غيرة وحماسة فان المؤلف لم يعد مرة عن جادة الحق ، لأنه اعتمد على الوثائق التى لا شبهة فيها ، والأرقام التى لا تكذب ولا تمين

نظرات تاريخية دستورية

للاستاذ حسن صادق

طبع فى لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ١٨٤

نلنا الدستور بعد أن بذلنا فى سبيله أقوى الجهود ، واسترخصنا أغلى التضحيات . ولكن ما زلنا فى حاجة الى « تربية دستورية » تمكننا من أن نستغل هذا الدستور على وجهه الصحيح

وقد أراد الأستاذ حسن صادق بتأليف هذا الكتاب أن يساهم فى هذه « التربية » بأن يعرض للشعب ثلاثة دساتير : الألمانى والنمسوى والتشيكوسلوفاكى . وهى الدساتير التى وضعت بعد الحرب العظمى فضمت أحدث الآراء والنظريات الفقهية ، وتكيفت وفق ظروف تتشابه فى كثير من نواحيها مع الظروف التى نشأ فيها الدستور المصرى . وقد تناولها المؤلف من ثلاث نواح ، فابتدأ بالكلام على الناحية التاريخية من حيث الملابسات التى أحاطت باعدادها ، ثم تحدث عن الناحية السياسية فأوضح الافكار التى أوحت بها الى مشرعيها ، ثم انتهى ببحث الناحية القانونية الفقهية

وقد وفق الأستاذ فى بحثه كما وفق فى اختيار الموضوع ، لأن هذه الدول الثلاث تتفق مع مصر فى أغلب المظاهر . فهى قد عانت

الظلم كما عانته مصر ، وأرادت أن تتحرر كما أرادت مصر ، وقد حققت غرضها كما حققته مصر . فمن الواجب أن يضرب دستورها مثلا لمصر فيما تذرعت به من الحزم والتبصر ورجاحة الفكر

غاية المأمول

فى الفعل الواصل وأسرار الموصول

للاستاذ حسن عبد اللطيف عزام

مطبعة رمسيس بالمطارين . صفحاته ٣٠٠

يضم هذا الكتاب ـ كما يقول الاستاذ توفيق رفعت باشا رئيس المجمع اللغوى ـ « نفحات من أسرار الصلات ، أخصها الصلة بين فلسفة النحو فى نحو منه ، ووجهة من فقه البلاغة فى بلاغة منها »

فهو بحث فى دقائق اللغة من ناحيتين : فقهها وبلاغتها ، عرض فيه المؤلف قواعد الصلات بين الالفاظ ، وأسرار تأليف الجمل والعبارات ، مما تمس اليه حاجة من يريد أن يقرأ الأدب العربى فيتذوقه على وجهه الصحيح ، أو يريد أن يكتب فيجمع بين اللفظ والنحو وبين المعنى والبلاغة

ولا ريب أن اولئك الذين يستثقلون دراسة اللغة العربية لسوء المناهج التى سار عليها المؤلفون سيجدون فى هذا المؤلف المرتب المنسق ، الوافى الدقيق ، ما يشوقهم الى استجلاء أسرار البيان العربى وتذوق آياته الفصحى . فان المؤلف سار على نهج حديث ، يمهد للقاعدة ويبسطها ويشرحها ، ثم يدعمها بأسبابها ودواعيها ، ثم يربط جديدها بقديمها ، فكان بحثه خير بلاء فى خدمة اللغة العربية

التلميذ

لبول بورجيه . ترجمة عبد المجيد نافع

طبع فى مطبعة حجازى . صفحاته ١٩٦

« التلميذ » قصة اجتماعية أراد فيها بول بورجيه أن يقاوم موجة الالحاد التى طغت على فرنسا فى أواخر القرن التاسع عشر ، فعصفت ريحها بكل خلق فاضل ، فاذا بالناس يجحدون الدين ، ويتنكرون للشرف ، ويتهجمون على الفضيلة . الشبان يلتمسون اللذة والمتعة أينما وجدوها ، ولا يتورعون فى هذا السبيل عن أن يقارفوا أى شر ونكر ، والآخرون يهدمون النظم القائمة والتقاليد الموروثة ، ليزيلوا كل ما يصدهم عن رغائبهم المنكرة المرذولة

فى هذه الغمرة وقف بول بورجيه بقصته « التلميذ » يصد تيار الالحاد ، ويواجه عاصفة الاباحية ، ويدفع عن الشبان أذى هذه الفوضى الفكرية . ولهذا فان نقل هذه القصة الى الادب العربى خدمة تؤدى الى كل شاب يريد أن يخوض معترك الحياة ، وإلى كل فتاة تريد أن تنجب للوطن من يخدمونه مخلصين . وقد عنى المترجم باختيار لغة ترضى بلاغة الخاصة ولا تعسر على فهم العامة ، مع شيء من التصرف والحذف فى بعض مواضع القصة كى يتفادى ما يصطدم بالشعور الدينى ، ويتجافى ما يتعارض وتقاليدنا القومية ، وظل بعد هذا أمينا على فكرة الكاتب حريصاً على إظهار المبدأ الذى يدعو الى تحقيقه

بين الهلال وقرائه

الراديوم

(بيروت — لبنان) اسكندر خورى

ما هو الراديوم الذى نسمع عنه كثيراً فى هذا العصر وما سبب ماله من الشان ؟

(الهلال) الراديوم هو أحد العناصر الكيمياوية النادرة وقد اكتشفه العالم كورى بمساعدة زوجته ، وهو من المعادن . ويرجع ماله من الشأن الى كون الجواهر الفردة التى يتألف منها هى فى حالة انفجار مستمر فان ألوف الملايين منها تنفجر فى كل ثانية وعند انفجارها تتحل الى جوهر من غاز الهليوم وجوهر آخر يسمى نيتون . ومع أن الملايين تنفجر فى كل ثانية فان قطعة الراديوم لا تفقد سوى نصف حجمها بعد ألفى سنة بحيث يصح القول بان كل كمية من الراديوم تفقد نصفها بعد ألفى سنة

وللدلالة على قوة الراديوم الهائلة نقول إن القوة التى تنطلق من جواهر « اونس » واحد من هذا العنصر تعادل القوة الناتجة من إحراق عشرة أطنان من الفحم الحجرى

الدخان

(بيروت — لبنان) ومنه

ما هو الدخان الذى يتصاعد من بعض المواد عند احتراقها ؟

(الهلال) هذا الدخان هو ذرات صغيرة من الكربون غير مشتعلة . فاذا أشعلت الخشب مثلا انبعث منه ملايين الذرات من الكربون قبل أن تحترق لأن تيار الهواء يفصل تلك الذرات ويحملها بعيداً

كثافة السيارات

(بغداد — العراق) فائز الحسينى

هل السيارات المعروفة تشبه الكرة الأرضية فى تركيبها وكثافتها ؟

(الهلال) ان بعض سيارات النظام الشمسى هى على الأرجح في حالة سائل وبعضها خفيف جداً بالنسبة الى حجمه . والمعروف أن السيار زحل مثلا هو قليل الكثافة بل هو أقل كثافة من الماء ، حالة أن نبتون واورانوس هما أكثف من الماء قليلا

قوة حرارة الشمس

(بغداد — العراق) ومنه

ما هو مقدار القوة التى تتلقاها الأرض من الشمس ؟

(الهلال) كل قدم مربعة من الارض معرضة لأشعة الشمس مباشرة تتلقى فى كل دقيقة ألفاً وثمانمائة من وحدات الحرارة المسماة « كالورى » . ويتلقى سطح الكرة الأرضية كله من حرارة الشمس قوة تعادل القوة الناتجة عن إحراق مائة مليون طن من الفحم كل دقيقة

لون الشمس عند الغروب

(الموصل — العراق) ج . ن

لماذا تبدو الشمس حمراء عند الغروب ؟

(الهلال) كلما كان الهواء مشبعاً بالغبار كان النور الذى يمر فيه احمر اللون . فاذا نظرت الى نور الشمس من خلال الغبار لاح ذلك النور أحمر . ولا يخفى أن أشعة الشمس فى كلا وقت الشروق ووقت الغروب تجتاز طبقة من الهواء أكثف من الطبقة التى تجتازها فى منتصف النهار . ولذلك تبدو فى ذينك الوقتين حمراء اللون

ظهور الحياة

(الموصل — العراق) ومنه

هل ثبت علمياً الزمن الذى ظهرت فيه الحياة على الأرض ؟

(الهلال) لم يثبت ولا نظن أنه سيثبت . وعلى

كل فان الحياة لم تظهر على الأرض الا بعد أن بردت فتحول البخار الذى كان فيها الى ماء . وما زالت تبرد وتتكاثف الى أن تكونت اليابسة والصخور والبحار . ثم ظهرت الحياة أولا بشكل نباتات وما زالت ترتقي وتتنوع حتى ظهرت جميع الانواع الحية المعروفة

ازالة الشعر بالكهربائية

(دمشق ــ الشام) حسن الجابرى

هل صحيح أنه يمكن ازالة الشعر بالكهربائية ازالة تامة لا ينمو بعدها ؟

(الهلال) نعم ، وذلك باطلاق التيار الكهربائى على جذور الشعر فيفنيها كما يفنى التيار الكهربائى كل جسم حى اذا مر فيه

لون الأزهار

(دمشق ــ الشام) ومنه

قرأت فى إحدى المجلات العلمية أنه ليس فى العالم زهر أخضر اللون . فهل هذا صحيح ؟ وما وجه الحكمة فيه ؟

(الهلال) لم نر قط فى حياتنا زهرة خضراء ولا نعرف زهرة ذات لون أخضر . وحكمة الطبيعة فى ذلك واضحة ، فان اللون الأخضر هو لون أوراق النباتات ولما كان من خواص الأزهار أنها تجتذب اليها النحل فقد قضت حكمة الطبيعة بجعل لون الزهرة يختلف عن لون أوراق النبات لكى تستطيع النحلة التمييز بينهما

غذاء الدماغ

(سان باولو ــ البرازيل) أحد المشتركين

هل هنالك أنواع خاصة من الغذاء تنفع الدماغ اكثر مما ينفعه غيرها ؟

(الهلال) كان المظنون حتى عهد قريب أن بعض المواد الغذائية كالسمك مثلا تنفع الدماغ اكثر من غيرها بسبب مادة الفوسفور التى فى السمك . ولكن العلم أثبت فساد هذا الزعم فان خلايا الدماغ تستهلك المواد الغذائية جميعها على حد سوى . وأحسن طريقة لتغذية الدماغ هي الحرص على صحة الجسم كله

للزينة أم للوقاية

(سان باولو ــ البرازيل) ومنه

المعروف ان الانسان قبل أن ينتقل من طور الهمجية الى طور الحضارة كان يعيش عارى الجسم فهل كان لبسه للثياب لاتقاء البرد والحر أم للزينة ؟

(الهلال) الأرجح أنه كان لاتقاء البرد والحر ، اذ لم تكن الزينة لتهمه فى تلك العصور الخالية . والدليل على ذلك ان الانسان استقبل فجر التاريخ وهو لا يزال فى أواخر العصر الجليدى يوم كان البرد قارساً جداً . فكان من الطبيعى أن يكتسى بجلود الحيوانات لتقيه البرد . وبمرور الزمن اعتاد لبس الثياب وأصبح لا يستطيع الاستغناء عنها لأن قوة المقاومة الكامنة فى جسمه ضعفت كثيراً جداً . ولما ارتقى فى سلم المدنية أخذ يتفنن فى لبس الثياب ، وبعد أن كان يستعملها للوقاية من البرد والحر صار يستعملها للزينة أيضاً

العقل والقلب

(عمان ــ شرقى الأردن) أحد القراء

ألا ترون من تنزل الملك ادوارد الثامن عن عرش بريطانيا العظمى ان الانسان أسرع انقياداً الى سلطان القلب منه الى سلطان العقل ؟

(الهلال) لسنا نرى رأيكم . فبعض الناس ضعاف الارادة الى حد أن عواطفهم تتحكم فى أعمالهم وتمنعهم عن الانقياد الى العقل والمنطق . وبعضهم يمتازون بقوة ارادتهم فيلبون نداء العقل ولا يسمحون لأهوائهم وعواطفهم بأن تتحكم فيهم . وقد كان ادوارد الثامن من الفريق الأول فلم يستطع أن يضحى بالمرأة التى أحبها ، مع أن الملايين من الرعايا البريطانيين ضحوا بحياتهم فى الحرب العظمى الماضية من أجل الامبراطورية . وكان يجدر به أن يقتدى بالامبراطور تيطس الرومانى الذى حكم فى القرن الاول بعد المسيح ، فانه أحب فتاة يهودية من سلالة الملك هيرودس واستقدمها الى روما ليتزوجها . ولما أدرك أن الشعب الرومانى ليس راضياً عن هذا الزواج أعاد الفتاة الى أهلها وعدل عن الاقتران بها

الأحوال الجوية

(عمان — شرقي الاردن) ومنه

هل تتغير الاحوال الجوية على سطح الكرة الارضية بمرور الزمن أم هل تظل على ما هي عليه ؟ واذا كانت تتغير فما هي العوامل التي تسبب ذلك التغير ؟

(الهلال) تتغير الاحوال الجوية تغيراً مستمراً . والعوامل التي تؤدي الى ذلك كثيرة قد كشف العلم عن بعضها ولا يزال البعض الآخر مجهولا . فمنذ خمسين ألف سنة مثلا كان البرد شديداً جداً في معظم أصقاع الكرة الارضية حتى كان ذلك العصر يعرف بالعصر الجليدي . ثم زال البرد تدريجياً وحل محله جو معتدل في أكثر الاقاليم . ولا يخفى ان ازدياد المزروعات وانتشار طرق الري وكثرة استعمال الكهرباء وغير هذه العوامل تؤثر في الاحوال الجوية تأثيراً عظيما . كما أن حركة النظام الشمسي بمجموعه وانتقاله من جهة الى جهة في فضاء الكون من العوامل التي يظن الكثيرون أنها تؤثر في الاحوال الجوية بوجه الاجمال

خراب بومباي

(طنطا — مصر) طالب تاريخ

متى دمرت مدينة بومباي وما هي الظروف التي دمرت فيها ؟

(الهلال) بومباي مدينة رومانية قديمة واقعة عند سفح بركان بزوف كانت مقصد أغنياء الرومان قديماً وكان لهم فيها قصور وملاه كثيرة . وفي سنة ٧٩ بعد المسيح ثار بركان بزوف وقذف على بومباي سيلا هائلا من الحمم غمر المدينة كلها وأهلك كل نسمة حية فيها . وفي سنة ١٧٤٨ عثر فلاح ايطالي على بضعة تماثيل قديمة بجوار المكان الذي كانت فيه المدينة ، والحال بديء بالتنقيب عن آثارها . فأزيلت الأنقاض عن جانب صغير منها فبدت للعيان بقايا قصور فخمة وآثار تدل على الكثير من نظم الاجتماع وأساليب المعيشة عند أهل ذلك العصر . ولا تزال النقوش والتصاوير التي كشف المنقبون عنها جديدة كأنها من صنع أهل هذا العصر

شلمناصر ملك أشور

(طنطا — مصر) ومنه

قرأت في أحد كتب التاريخ المدرسية أن شلمناصر ملك أشور حكم من حوالى سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٦٥ قبل المسيح . ثم قرأت بعد ذلك بقليل في الكتاب عينه أن شلمناصر غزا فلسطين وحارب الفينيقيين في القرن الثامن قبل المسيح . فكيف نوفق بين هذين التاريخين ؟

(الهلال) ليس في الامر غرابة . فقد حكم شلمناصر الاول على أشور في القرن الثالث عشر قبل المسيح . أما الذي غزا فلسطين وحارب الفينيقيين فهو شلمناصر الرابع

تعريب الأعلام القديمة

(طنطا — مصر) ومنه

قرأت في كتاب التاريخ المشار اليه أسماء مدن كما كانت تعرف قديماً . وهذه الاسماء القديمة غير معروفة عندنا كثيرا ولا يمكننا أن نستدل منها على المسميات الحديثة . نذكر لكم منها « بيبلوس » و « اورنتوس » و « ايميسا » و « تير » فما الغرض من استعمال الاسماء القديمة وما هي الاسماء الحديثة المقابلة للاسماء التي ذكرناها ؟

(الهلال) ذكر الاسماء القديمة أمر طبيعي في الكلام على التاريخ القديم . فليس من المعقول مثلا أن نتكلم على تاريخ مدينة القسطنطينية في عصر الملك قسطنطين ونسميها الآستانة . ولا أن نتكلم على مدينة بطرسبرج في عصر القيصر نيقولا الثاني ونسميها باسمها الحاضر (لينتغراد) . أما مدينة « بيبلوس » القديمة فهي جبيل الحاضرة (شمالي صيدا) والمراد « باورنتوس » هو نهر العاصي بسوريا . ومدينة « ايميسا » هي حمص الحاضرة . أما « تير » فهي مدينة صور على سواحل سوريا وقد اشتهرت في أيام الحروب الصليبية

تولستوى

(اللاذقية — سوريا) س . ك

متى عاش تولستوى ؟ وهل كان ملحداً ؟ وما هى أهم الروايات التى ألفها ؟

(الهلال) ولد الكونت ليون تولستوى فى ياسنايا — بوليانا بروسيا سنة ١٨٢٨ وتوفى فى مدينة استابوفو سنة ١٩١٠ . وهو أعظم روائى اجتماعى أنجبته روسيا . ولم يكن ملحداً وإنما كان شديد التمسك بتعاليم الديانة المسيحية الأولية . وكان فى مبادئه شديد التمسك بالاشتراكية الصحيحة . أما أهم الروايات التى وضعها فهى « الحرب والسلام » ورواية « البعث » ورواية « آنة كارينين » وقد مثلت الأخيرتان بالسينما

وجميع روايات تولستوى تصور نظام الاجتماع الروسى وأخلاق الروس وآدابهم ونظام معيشتهم

صور السماء وسبب تسميتها

(بيروت — لبنان) ملحم أسعد

درج علماء الفلك على تسمية مجاميع النجوم بأسماء حيوانات مختلفة . فما سبب ذلك ومن هم أول الذين وضعوا تلك الأسماء ؟

(الهلال) لا نعلم تماما من هم أول الذين وضعوا تلك الأسماء ، ولكننا نعلم أن المصريين جروا على هذه الطريقة وكان عندهم كرات مصورة لمجاميع النجوم بينها صور عقاب وأسد وأفعى وهلم جرا . ودرج الهنود على مثل ذلك فسموا بعض المجاميع باسم البجعة والأوزة والكلب وغير هذه الحيوانات . وجرى الصينيون أيضاً على مثل ذلك . واقتبس اليونان معظم الصور التى وضعها الكلدان . وسمى العرب كثيراً من تلك المجاميع بأسماء حيوانات وغيرها ، ومنها الفرقدان والجدي والقائد والعناق والظباء والأسد والذئبان والتنين والربع (وهو ولد الناقة) والشاء والضباع والفول والحبة والحمل وهلم جراً من الأسماء التى يكاد يتعذر حلها . والغريب أنه ليس بين تلك الأسماء والمسميات أية علاقة أو وجه شبه . ولكن الناس فى مختلف العصور درجوا على تعريف مجاميع النجوم بصور الحيوانات

السدم اللولبية

(بيروت — لبنان) ومنه

ما هى السدم اللولبية التى يرد ذكرها من وقت الى آخر فى الكتب والمجلات التى تبحث فى علم الفلك ؟

(الهلال) الأرجح أن كل سديم منها عالم من الأكوان كعالم المجرة الذى منه شمسنا وسياراتها . ويبلغ عدد السدم اللولبية نحو سبعمائة وخمسين ألفاً أو أكثر . وهى متناهية فى البعد ، فان نور أقربها الينا لا يصل الينا فى أقل من مائة وعشرين ألف سنة . حالة أن نور بعضها يستغرق فى وصوله الينا ثمانمائة ألف سنة مع أن سرعة النور تبلغ ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة . فتأمل فى بعد تلك الأجرام :

زيت الخروع

(حماه — سوريا) ن . س

مم يستخرج زيت الخروع ولماذا لا يستطيع الكيماويون تحسين نوعه تسهيلا لتعاطيه ؟

(الهلال) يستخرج هذا الزيت من شجيرة تسمى نبات الخروع صغيرة الحجم ولكنها قد تنمو فى بعض الجهات فتبلغ ارتفاع شجرة عادية . وهى من شجيرات المناطق الحارة فى آسيا وافريقا واسمها العلمى « ريسينوس كوميونيس » وأوراقها عريضة خضراء ضاربة الى الاصفرار . وأزهارها خالية من (البتلات) أى الوريقات الصغيرة التى تحيط بالزهرة . ولها بزور تشبه حب الفول أو اللوبيا وهى سامة ومع ذلك يستخرج منها زيت الخروع . وهذا الزيت لزج يضرب الى الصفرة أو لا لون له ، يستعمل مسهلا كما يستعمل أيضاً فى صناعة الجلد والصابون وفى (تزييت) عدد الطيارات وآلاتها . أما طعمه فكريه جداً ، ولم يستطع علماء الكيمياء تحسينه حتى الآن وأحسن طريقة لتعاطيه أن يؤخذ فى فنجان بين طبقتين من القهوة أو البيرة أو ما اليهما

إحياء الروح العسكرية في الشرق العربي

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الروح العسكرى فى الزمن القديم شىء

والروح العسكرى فى هذا الزمن شىء آخر

كانت الحياة الحربية فيما مضى مسألة معيشة وموقع فى بعض الأحيان ، فالقبائل المترحلة التى تعيش من لحوم الماشية وألبانها وأوبارها كانت تندفع الى الحرب بحكم الضرورة لأنها تحتاج الى غزو المواقع المخصبة و إجلاء سكانها عنها ، كما تحتاج الى غزو المدن العامرة للنهب والسلب و إرضاء بعض المطالب الموقوتة

ومن الخطأ أن نبالغ فى تقويم هذا الضرب من الشجاعة فان العسكريين الحديثين يسمونها شجاعة « الدقائق العشر » أى الشجاعة التى تظهر فى الاغارة الأولى ، فاذا نجحت ثابرت على المطاردة والتمثيل بالأعداء ، واذا فشلت لاذت بالهرب وأظهرت من الجهد فى الفرار بمقدار ما أظهرت قبل ذلك من الجهد فى الاقدام

و يشبه هذا الخطأ أن نحسب الشجاعة هنا شجاعة « أقوام » أصيلة فى الجنس أو فى القبيلة . فان قبائل المغول التى تقيم بآسيا الوسطى من جنس واحد ولكنها تختلف فى الميول الحربية باختلاف الموقع والمعيشة ، فما جنح منها الى الزراعة والعمارة لا يهوى الحرب كما يهوى الذين جنوا من أبناء عمومتهم على حياة الترحل والبداوة . وقس على ذلك عامة القبائل فى عامة البلدان

و ربما كانت الحياة الحربية أحياناً مسألة من مسائل الصيد والمناجزة بين الانسان وضوارى السباع . وقد وصف لنا الكاتب الروسى الكبير ليون تولستوى فى روايته « الحرب والسلم » بطلا ظافراً لم يكن وثوبه وراء الأعداء مخاطرة بالنفس ولا ولعاً بالموت ، و إنما كان اندفاعا مع غريزة المطاردة كما يندفع وراء الصيد كلما أمعن فى الهرب والروغان . وحرب القبائل

« الصائدة » نوع من الطراد يغلب فيه اللعب على الجد ، ووحى الغريزة على وحى الارادة والتفكير

وخير من هذا وذاك من ضروب « الروح العسكرى » فى الزمن القديم ذاك الذى يقترن بالعزيمة والجلد والقدرة على العمل والأنفة من العجز والهزيمة . فهذه الخلائق لا تكسب كلها فى ميدان القتال ، بل كثيراً ما تكسب فى ميدان الحياة اليومية وتأتى من رياضة النفس أجيالا بعد أجيال على تذليل العقبات الطبيعية ومقاومة الأخطار وتوطين العزم على الشدائد ، وهذا هو الروح العسكرى فى أرفع درجاته وأكرم صفاته ، لأنه يدل على قوة متمكنة فى الطبع شائعة فى أنحائه لا تنحصر فى ساعة الحرب ولا فى الخصومة والعدوان ، ولكنها تلازم صاحبها فى السلم كما تلازمه فى الحرب وتعينه على الخلق والانشاء كما تعينه على القمع والتقويض

***

ذلك مجمل ما يقال عن بواعث « الروح العسكرى » فى الزمن القديم ، فهل فى الوسع خلق هذه البواعث أو اصطناعها حيث يريد الساسة أو المصلحون ؟

كلا ! انها لا تخلق ولا حاجة بنا الى خلقها فى العصر الحاضر لاحياء « الروح العسكرى » بين أمم « الشرق العربى » وشعوبه

فالحرب الحديثة « أولا » عمل آلى يكاد يقتصر على ادارة الآلات والتزام الخنادق وتنفيذ الخطط بالاجماع

والأمم العربية « ثانياً » قد نشأت نشأتها وتقدمت فى أطوارها وتجاربها ، فما كان منها بدويا فهو محتاج الى تربية حديثة غير التربية القديمة للانتفاع بشجاعته وصبره على الشظف والخشونة ، وما كان منها حضريا فهو لا يستفيد بالرجوع الى معيشة البداوة والترحل ولا يتزود للحرب بما كان يتزود له آباؤه السابقون

انما اللازم لاحياء « الروح العسكرى » فى العصر الحاضر ثلاثة أمور :

أولها — التدريب على احتمال الشدائد ورياضة الأعضاء

وثانيها — النظام وما يقتضيه من الطاعة

وثالثها — المثل الأعلى الذى فى سبيله تهون الحياة ومن أجله تنهض الأمم بالخسائر والضحايا والأعباء

ولا بد أن يبدأ الاستعداد لذلك كله من أوائل أيام الطفولة ، فيراض الطفل الصغير على

الألعاب ، و ينتظم فى الفرق النظامية التى تتعود اتباع القواعد والقوانين ، و يتلقن المبادىء الوطنية الشريفة كما يتلقن المبادىء الانسانية العالية التى لا تناقض بينها فى الحقيقة و بين حب الوطن والغيرة عليه والنقمة من أعدائه والرغبة فى قتالهم اذا دعاه الى ذلك داعى النخوة والمروءة

ان الشرق العربى — أى الناطق بالعربية — يشتمل مع التوسع على المصريين والمغاربة والسوريين والعراقيين وسكان شبه الجزيرة . وهؤلاء جميعاً لم يسبق من تاريخهم البعيد أو القريب ما ينفى استعدادهم « للروح العسكرى » وصلاحهم للجندية وتجييش الجيوش

فالمصريون فى عهد الفراعنة أو فى عهد العرب أو الترك أو العهد الحاضر كانوا جنوداً مشهوداً لهم بالصبر والنظام ، وحاربوا فأحرزوا النصر مع كثير من الأعداء الذين اشتهروا بالبأس والمجازفة وقلة الهزيمة ، وهم لما تعودوه من طول المعيشة الحضرية أهل لأن يراضوا على معيشة الجيوش المنظمة والطاعة للأوامر والمعرفة بفنون الميدان

والمغاربة سواء كانوا من البربر أو من العرب ينتمون الى أقوام عرفت فى الزمن القديم بالنضال والمقاومة والغارة على الأعداء واتقاء الغارات ، فاذا حسن نظامهم على النمط الحديث فهم أهل لأن يحاربوا أحسن الجنود بين أرقى الشعوب ، وقد برزت منهم خصال الجندية النافعة فى الحرب العظمى كما برزت فى قتال الفرنسيين والاسبان ، فاحياء الروح العسكرى عندهم لا يحتاج الى أكثر من الرغبة والتدريب

والسوريون والعراقيون معظمهم من أبناء القبائل أو أبناء الجبال والبوادى وهم حربيون، بحكم العادة والتاريخ ، والقليل المتحضر منهم معروفون بالعزيمة والاقتحام وقد يحتاجون فى الهجرة البعيدة الى عزيمة والى اقتحام أكبر مما تحتاج اليه الجنود

أما العرب من سكان شبه الجزيرة فشجاعتهم المعهودة لم تتغير مع الزمان ، والوهابيون المعاصرون لا ينقصون عن المجاهدين فى صدر الاسلام من حيث الايمان والاستخفاف بالحياة وليس فى حثهم على القتال صعوبة تحتاج الى معالجة وتدبير ، وإنما الصعوبة أن يساسوا فى الجيوش العصرية على النظام الحديث ، وهذه صعوبة لم يثبت بعد أنها عصية على التمهيد

هذه هى شعوب الشرق العربى على الاجمال ، ولم نذكر بينها السودانيين لأنهم إما من العرب أو من المصريين وحكمهم فى هذا الأمر حكم هؤلاء وهؤلاء ، أما أبناء البلاد الحاميون فصلاحهم للتجنيد حقيقة تسايرت بها أقوال الثقات الأوربيين

فكل هذه الشعوب ليس فيها ما يمنع النجاح فى الجندية والظفر فى ميدان القتال ،

وليس بعسير عليها أن تستعد بالسلاح والتدريب وتتأهب للطوارىء والمشكلات

انما يحق لنا أن نتريث قليلا عند المثل الأعلى الذي تدين به هذه الشعوب ، ولا بد منه لكل شجاعة انسانية تريد الترفع عن شجاعة الحيوان أو حركة الآلة المجردة من الشعور والرجاء

فهل يكون هذا المثل الأعلى وطنيا يدين بالعصبية القومية ؟ أو يكون دينياً تختلف فيه العناصر المؤلفة للوطن الواحد ؟ أو يكون عربيا قائماً على الجنس أو اللغة والثقافة ؟ أو يكون انسانياً يسعى الى التضامن بين بنى الانسان والضرب على أيدى المفسدين بين الأمم بالبغى والعدوان ؟

هذه هى العقدة فى مسألة التربية العسكرية التى يشب عليها الطفل من سنواته الأولى الى أن يبلغ سن الجندية ، فما هو المثل الأعلى الذى نختاره لابنائنا فى الشرق العربى بين تلك الأمثلة العليا

ان العصبية العمياء لا خير فيها سواء فى الوطن أو فى الدين ، ولكننا نستطيع أن نجمع بين الأصلح والأشرف من هذه الامثلة جميعا اذا نحن لقنا أبناءنا مبادىء الوطنية الصادقة المحببة لبنى الانسان ، وجعلنا العدوان منكراً لا نرضاه لأنفسنا ولا نرضاه من أحد علينا ، ويتيح لنا أن نوفق بين المصلحة الوطنية والمصلحة الانسانية ، أو بين التشيع للوطن والتشيع للأخلاق . اننا جميعاً فى الشرق العربى ضحايا العدوان وليس بيننا شعب واحد تقوم حياته على العدوان . ومن بغى على جار من جيرانه بين هذه الشعوب فهو أدنى الى أن يبوء بالفشل والخسارة ويندم على ما جناه

ان احياء « الروح العسكرى » فى الشرق العربى لا يكلفنا كما قدمنا بعثاً جديداً فى الطبائع أو تبديلا عنيفاً لحكم الوراثة ، وإنما يكلفنا أن ننبذ الدعة ونتعود نبذها من أيام الطفولة الباكرة ، وان نألف النظام فنتعلم منتظمين ونلعب منتظمين ونتجمع فى المناسبات العامة ، منتظمين ولا نأنف من طاعة الرؤساء لأنها فى عرف النظام لا تختلف عن اصدار الامر الى المرءوسين ، وأن ندين بمثل أعلى هو مثل الكرامة الوطنية الذي لا تناقض بينه فى الحقيقة وبين الكرامة الانسانية ، ونحن بعد ذلك عسكريون كأشرف وأصلح ما يكون العسكريون من خدام الأوطان وخدام بنى الانسان

عباس محمود العقاد

كيف خرج الملك فيصل من دمشق

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

وزير خارجية الملك فيصل في عهد المملكة السورية

لما قرر الحلفاء انتداب الحكومة الفرنسية على سورية ، كان جلالة الملك فيصل وقتئذ ملكا على هذه البلاد ، فأعلن عدم قبوله للانتداب ، فزحف الجيش الفرنسي على دمشق مهدداً ، وأعلن الملك فيصل الحرب على فرنسا ، وهنا يروى الزعيم السوري الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر من مذكراته قصة هذه المأساة الرائعة

أفاق أهالي دمشق في ساعة مبكرة في صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر يوليو - تموز - سنة ١٩٢٠ على أصوات المدافع . فعرفوا أن المعركة الفاصلة بين الجيش العربي والجيش الفرنسي تدور رحاها في مكان قريب يدعى (ميسلون) ، فخرج حينئذ الملك بسيارته قاصداً المقر العام في قرية على منتصف الطريق تدعى (الهامة) فلحظته الطيارات الفرنسية التي كانت محلقة فنزلت الى ارتفاع قليل وأصلته ناراً حامية فانبطح على بطنه في (مشبان) على جانب الطريق وما نجا من قنابلها الا بأعجوبة ، وكان يصحبه في السيارة رئيس أمنائه . وحدث في تلك الآونة الدقيقة في تاريخ البلاد ما زاد في البلبلة ، وهو أن ياسين باشا الهاشمي أبى أن يحل محل يوسف بك العظمة في وزارة الحربية لأن يوسف بك كان قد ذهب الى ميسلون بنفسه وغادر وزارة الحربية شاغرة

بقي صوت المدافع يرن في الآفاق الى أن تلاشى بين أصوات المدينة المستيقظة وحركات النقل فيها ، وكان أعضاء الوزارة في دار الحكومة يقومون بما كان واجباً عليهم من المحافظة على النظام ، ومنع الفوضى والعبث بالأمن والوقوف في وجه من تحدثهم أنفسهم بالاصطياد في الماء العكر ، وكان الجو كالحاً والغم باديا على الوجوه ، وزاد في رهبة الموقف السكون الذي خيم في تلك الساعة لانقطاع الحركة فجأة ، لولا أصوات المتطوعين المتحمسين الذين كانوا يسيرون الى الحرب في الدقيقة الآخرة بمحض اختيارهم مهللين مكبرين للدفاع عن دمشق حصن العروبة . دخل علينا في تلك الساعة المضطربة رئيس الامناء وكان ممتقع اللون وعلامات الخيبة والجزع بادية على وجهه وقص علينا كيف نجا الملك بأعجوبة . واننا لنخفف من وقع الاخبار ونهدىء الروع ، اذ دخل علينا الدكتور احمد بك قدري طبيب جلالته مرتجفاً مذعوراً ، فقال أبلغكم بكل أسف أن جبهة جيشنا مزقت واني آت من قبل الملك لأبلغ رئيس البلدية تعيينه حاكما مؤقتا ، فأصابتنا هزة عنيفة في أعصابنا ، وأخذت الدموع تسيل

على خدود كثير منا ، وامتقع لوننا حتى صارت وجوهنا كوجوه دمى الشمع المعروضة فى مخازن باعة الالبسة الحديثة

خرجت من حجرة رئيس الوزارة الى وزارة الخارجية وقصصت على المستشار - وهو جميل بك مردم رئيس الوزارة السورية اليوم - ما حدث مما لم يكن عالما به . وقلت علينا الآن أن نواجه الملك فى بيت أخيه فى قرية (المزة) لنكون على بينة من الأمر ونتفق على الخطة الواجب سلوكها فى هذه النكبة

رأينا بباب جلالته نحو خمسين فلاحاً من المتطوعة . فدخلنا عليه فوجدنا التأثر آخذاً منه كل مأخذ، والغبار على لحيته وشاربه واهدابه وفوديه وهو يغنى النشيد المعروف: «نحن لا نرضى الوصاية لا ولا نرضى الحماية » ، فتذاكرنا فى الشؤون ، وقد تأكد لنا حينئذ أن يوسف بك العظمة وزير الحربية تقدم الى الصف الأول فى الجبهة وحمل مسدسه وأخذ يلقى الحماسة فى قلوب المتطوعة والجنود النظامية من حوله للدفاع عن الوطن المقدس . وبينما كان على تلك الحالة اذ أصابته طلقة فى ذراعه فجاء اليه الرافق يرجوه أن يعود بسيارته الى المستشفى لضمد جراحه، فأبى وقال انما أتيت هنا لأموت تحت سنابك الخيل ، وما زال يحارب ويجالد ويشجع جماعته على الصبر والثبات والقيام بالواجب الى أن اصيب بعدة طلقات أردته صريعا على الأرض ، منها اثنتان أو ثلاث اصابته فى صدره فتوارى فى بطن الأرض اكبر مسؤول عن الجيش السورى واشرف من دافع عن القضية ، اكبر مسؤول لأنه حفظ سر الجيش فى صدره ، واشرف مدافع لأنى لا اعرف حتى الآن (سنة ١٩٢٠) سوريا استشهد طوعاً واختياراً فى سبيل المبدأ المقدس

تركت الملك يستعد لمغادرة (دمشق) الى قرية قريبة تدعى (الكسوة) وعدت والمستشار الى بيت ساطع بك الحصرى وزير المعارف ، حيث التقيت برئيس الوزراء هاشم بك الاتاسى - رئيس الجمهورية السورية اليوم - وبعض الزملاء الآخرين ، فقر قرارنا أن نلتقى عند جلالته فى (الكسوة) ولما ركبنا القطار وجدناه مكتظا بالوطنيين منهم: سعيد بك حيدر، والاستاذ توفيق اليازجى، وخالد بك الحكيم ، والدكتور أمين باشا المعلوف ، والاساتذة المناصق ، والبعلبكي وغيرهم. وكانت طيارات الفرنسيين تحوم ساعتئذ فوق رؤوسنا ولكنها لم تلق علينا نيرانها . ولما بلغنا (الكسوة) وجدنا الملك محاطاً بقرنائه ومعه من الوزراء هاشم بك الاتاسى وساطع بك الحصرى وزير المعارف وجلال بك وزير العدلية ويوسف بك الحكيم

لم يكن الملك شديد الاضطراب بل ربما كان متفائلا ، وقد قضينا المساء فى التأمل والتفكير ، والظاهر أن رائحة البر والبساطة الطبيعية والاتكاء على الأحجار السود هاجت الذكريات فى فؤاد جلالته عن أيامه فى الصحراء يقود الجيش العربى ، وكان بجانبنا اخدود فى الأرض طبيعى كأنه خندق، فكان ينزل اليه وبيده بندقيته كأنه يتمرن على المقاومة . ولما أظلم الليل قمنا الى مركبات القطار فى

المحطة حيث تناولنا عشاءنا من خبز وكعك وتفاح بدأ فيه التعفن ، ولم يصب الكثير منا من هـذا العشاء سوى الكفاف

وفى صباح اليوم التالى وردت الرسالة الآتية بالتليفون من الكولونيل كدس نائب الجنرال غورو فى دمشق وهى : « ستدخل الجيوش الفرنسية غداً بين الساعة التاسعة والعاشرة صباحاً ، وستحمل شعوراً وديا تاما على شرط ألا يحدث أى عمل عدائى وستعسكر هذه الجيوش فى (المزة) ويكون من النافع كثيراً وجود بعض أعضاء الحكومة فى دمشق بغية طمأنينة الأهلين وفيما عدا ذلك فالحكومة تحتفظ بكل تبعة وبكل سلطة »

هذا ما استطعت نشره الآن من مذكراتى ، وحسبى أن أقول ان هذا الكتاب الودى المسؤول شجع الملك على العودة الى دمشق فى اليوم السادس والعشرين من يوليو ، ولكنه ما عتم ان بلغته السلطة الفرنسية وجوب مغادرته البلاد من بعد ما تألفت وزارة جديدة بأمره برياسة علاء الدين بك الدروبى ، ولما ذهبت فى مساء اليوم التالى ـ الثلاثاء ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٠ ـ الى دار الملك فى (الصالحية) وجدتها قائمة قاعدة والناس يجمعون الأثاث والرياش ويصفونها فى صناديق السفر ، وتعين الفرصة بعض الأسافل فى تلك الساعة الرهيبة فسرقوا ما وصلت اليه أيديهم . وفى صباح الأربعاء بعيد منتصف الليل ـ ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٠ ـ خرج الملك بسيارته مع أخيه الى المحطة حيث ودعه بعض أعضاء الوزارة فسافر على قطار (درعا) من بعد ان قضى فى دمشق نحو سنة وعشرة أشهر رأى فى خلالها من اقبال الناس والتمجيد والتعظيم ما لم يره أحد قبله ، وعندما ركب القطار التفت الى دمشق فرأى النيران تلتهم قسما عظيما من أعظم أسواقها وهو سوق الحميدية بعد ما التهمت البيوت من حوله فتركتها خراباً يباباً فكان يتلهف حسرة على هـذه الخسارة المادية التى طابق حدوثها تلك الخسارة المعنوية الأليمة ، وهـذه الصورة تذكرنا بشكل مصغر خروج نابليون من (موسكو) وألسنة النيران تندلع فى أرجائها

وجاء فى مذكراتى عن هذا اليوم ما يأتى : « لقد ذهبت هذه الأيام ، وذهبت معها أعيادها ، وخرج فيصل من دمشق وفى قلبه النيران تتأجج ، وفى عينيه الدمع ينسكب على بلاد وضعت ثقتها فيه ووضع ثقته فيها ، وعند ما أينعت ثمارها للاقتطاف فاجأته الغيوم السود تقودها الأطماع الاستعمارية فقضت على آمالها كما قضت على آمالنا ، وأرجو أن يكون هذا القضاء مؤقتاً »

عبد الرحمن شهبندر

رجالنا

إسماعيل صدقي !..

بقلم الاستاذ فكري أباظه

اما هنا فلا . . .

لاحظ القراء انى عند تعرضى لتحليل « مصطفى النحاس » و « طلعت حرب » كنت متحرجاً أسير على « قشر البيض » كما يقولون فى المثل العامى . ذلك أن الرجال يختلفون فى قبول الكلام وفى « مناعة » احتماله . . .

أما هنا فلا . . .

وصدق باشا ، رجل كفاح حقاً . تمرن طويلا على « فن الاستحمال » . وغامر كثيراً وجازف كثيراً ، وحمل كثيراً ، وحمل عليه كثيراً ، فلم يتعود « تدليع » الكتاب ولا « تدليل » المحللين . .

وفرق بين الرجل الذى شاءت ظروفه السعيدة أن يحظى بملق الناس إما لخطره وإما لتأثيره ، وبين الرجل الذى شاءت ظروفه غير السعيدة أن تجعله هدفاً لكل حامل سهم ووتر ، فاذا ما أطلق لم يشعر المصاب من كثرة « التنشين والاصابة » بأثر !...

وصدق باشا رجل يتغذى بالمعارك ، فان لم يثيروها عليه أثارها على نفسه . فنحن نتمتع بحرية واسعة النطاق حين نتعرض لتحليل شخصيته المعقدة الكثيرة المباحث ، الجوادة بمختلف العناصر والموضوعات ...

مخضرم . . .

حقيقة هو رجل من « المدرسة الحديثة » إذا كنا نعنى بها الثقافة الوافرة ، والتعليم الكامل ، والذهنية العصرية المتحضرة . ولكنه مع ذلك « مخضرم » لأنه عاش فى أوساط حاكمة عتيقة . فاشتغل زمنا مع باشوات الطراز القديم ، ومع الاحتلال ذى الطراز القديم ، ومع المجتمع المصرى ذى الطراز القديم . ثم ظل يحتفظ بمكانته فى العصر الجديد فاشتغل مع رجال العصر الجديد . فهو من ناحية « الأداة الحكومية » مخضرم ، ولذلك جمع بين « الناب الزرقاء » الناشئة فى القرن

التاسع عشر ، « والناب الزرقاء » الناضجة فى القرن العشرين... وان كانت « نابه الزرقاء » الأولى قد نبتت وترعرعت هناك ، وثبتت ورسخت هنا ...

وهكذا ظفر الرجل فى تجربتيه الحكوميتين القديمة والحديثة بكمية وافرة من الخبرة وأساليب الحكم لم تتهيأ لغيره من الرجال البارزين اليوم...

بسيكولوجى . . .

والرجل يمتاز بميزة أخرى ، وهى أنه « بسيكولوجى » أى « عالم نفسانى » أى « خبير مصرى » متصل ، بمرانه وذكائه ، تمام الاتصال بحقيقة رجال هذا البلد وأعيانه وعمده ، وشيوخ البلاد وشيوخ الخفراء ، وطبقات الموظفين من درجة حرف « ألف » الى درجة حرف « ياء » ...

وقد استعان بهذه الفنون « البسيكولوجية » فى جميع أدوار حياته . فظل حياً برغم النوائب والكوارث والدواهى فى عالم السياسة والسياسيين الى اليوم ! وكم سقطت عليه الصواعق وانقضت فسقط معها وانقضى ، ولكنه كان « ينبعث » من جديد متثاقلا ، ثم زاحفاً ، ثم معتلياً القمة والذروة مرة واحدة !! ...

ولو أنه أتيح لهذا الرجل أن يدعم خطته على أساس « الشعبية » ، لا على أساس « الحكومية » لكان اليوم أرسخ الرجال قدما فى الظرف الذى نعيش فيه...

جبار . . .

وهو جبار عات ، يعتد بذكائه ومقدرته ، ونعم الله على عقله وذهنه ، فيأبى أن يخضع بها ويخنع ، ويأبى الا الغلبة والا إبراز كفاءته مهما كان الاتجاه عاصفا ! أنظر اليه وهو يكافح أمة بأسرها وأحزاباً مجتمعة بأسرها ، ويأبى إلا ان يظفر بها جميعاً وان يدحرها جميعاً . . ! أليس ذلك جبروتاً وعتواً ، أليس ذلك نوعاً من أنواع شهوة الغلبة والانتصار مهما كان الانتصار من نار ؟! ..

خطأ كثيرين من الاقطاب عندنا انهم يكبر عليهم ان يعترفوا بالهزيمة . وصدقى باشا من النوع الذى اذا استفززته انتقم وثأر ، وخرب ودمر ! ...

مشتعل الذكاء ولكن . . .

وهو مشتعل الذكاء متقده يلتهب فهما وادراكا و « نباهة » ، ولكنه ليس بعيد النظر .. هو بطل الدنيا المصرية كلها فى سرعة الخاطر وسرعة البت فى الأمور وسرعة الخروج من المآزق وسرعة التدبير الوقتى المحكم الصناعة والجليل البضاعة ، ولكن خطته اليوم تنهار فى الغد ، وبضاعة اليوم لا تستحمل « التسييل » مدة طويلة ...

مارد المال . . .

ولست تتردد لحظة فى أنه استطاع أن يظفر بلقب خالد وهو « مارد المال » فى مصر ...

لاشك أن صدقى باشا هو « كبير الثقات » و « كبير الخبراء » فى المسائل المالية ، ومهما تعرضت أعماله للانتقاد فلا يعنينى هذا فقد تكون السياسة هى التى أفسدتها، ولكنى أتكلم هنا عنه كلاما فنياً. الرجل حين يقبض على زمام « وزارة المالية » تسرى فيها روح أخرى عالمية لا محلية . ولا يجرؤ ند له من الاجانب الا أن يهتز أمام شخصيته الاقتصادية . والكلام لا يحتمل هنا تطويلا ولا اطناباً ، فهذه قضية مفروغ منها من زمن . وحسبه شهادة « سعد زغلول » فى برلمان سنة ١٩٢٦ حين فاض عليه بالثناء . . .

أعصاب من فولاذ ...

ويمتاز الرجل بطولة أخرى وهى أن أعصابه من « فولاذ » ولئن لانت اليوم فللزمن حكمه ، ولكن ما أظن سجلا من سجلات الحكومة قد ضن على صدقى باشا بهذا اللقب ـ جلده ، صبره ، مناعته ، قراءته ، دراسته ، حركته ، كلها شذت عن المعقول وعن قدرة البشر ، فبز من هذه الناحية جميع أقرانه ، وحق له أن يدعى أنه فريد عصره وأوانه وزمانه . ..

وبرفع النظر عن طابع حكمه الأخير، وبرفع النظر عن لون سياسته التى لم نقرها فى حينها أبداً، فقد كان الرجل غريباً حقاً ، كما كان غريبا حقاً فى رياسته للجنة المالية فى مجلس نواب سنة ١٩٢٦ ، كما كان غريباً حقاً فى عمله بالوفد المصرى الأول . كما كان غريباً حقاً فى ادارته للشركات ، كما هو غريب حقاً للآن حينما يتعرض لدرس موضوع أو اعداد بحث أو قضاء عمل . . .

تلك طبيعة وسليقة وذلك دم حار فوار ، وشخصية قد ترتفع فى مجموعها الى انها فلتة من فلتات الطبيعة . . .

قومى . .

ودع عنك تاريخه السياسى ففيه مآخذ وكل له رأيه . .

وسياسيو طراز القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانوا دائما من النوع اللفاف الدوار المتآمر المدبر ، المفضل لعمل الظلام والغيام على عمل النور والضوء والشمس . .

دع عنك هذا كله فليس هذا مجاله وانما مجاله التاريخ . .

انما لم يعدم الرجل نزعات قومية تبرز فجأة فى أبهى حللها ، وأبهج وأروع مظاهرها وألوانها حين يصطدم بالأجانب أو يصدم بالخارج فيما وراء الحدود ! . .

هنا يتقمص الرجل روح جبار باطش ، وتنتابه « حمى وطنية قومية » ، فيندفع كأكثر الشباب

تحمساً فيذود عن بلاده كأشجع الشجعان ، وأبرع الفرسان . .

وأعتقد أن كل مداولاته ومفاوضاته المالية والسياسية مع الأجانب المحليين والخارجيين كانت كلها مصطبغة بهذه الصبغة ، ومطبوعة بهذا الطابع . ولا أظن أن التاريخ يضن عليه باضافة هذه النزعة فى سجل الحسنات . .

خطيب وكاتب . . .

واذا سئلت : من تضع من الخطباء فى الصف الأول ؟ لم أتردد فى أن أضع صدقى باشا فى الصف الأول ...

بل لعله من خطباء مصر القليلين الذين يتكلمون بسلاسة وبمنطق وبلغة صحيحة معا ! لم ألحظ مرة أن لفظاً قد وضع فى غير محله ـ أو ان معنى شذ عن السياق ـ أو أن عبارة نقصت أو زادت عن حدها المعقول . ولا شك انه يملك ناصية الأسلوب المقنع مع أدب جم فى الحديث لا يثير عليه الثائرة . وهو (ثعلب) المناورات والتاكتيك لا يتكلم إلا ويقتنص . . .

وبجانب قدرته الخطابية تبدو قدرته الكتابية . فهو كاتب من الطراز الأول باللغتين العربية والفرنسية ... وهو من هذه النواحى مكتمل السلاح !

ظريف . . .

أما انه (ظريف) فأمر تعرفه المجتمعات والحفلات والسهرات . وله ابتسامة خلابة تمتزج مع بريق زئبق الرجرجة فى عينيه ، وأظنه يلعب بهما كثيراً ! ... ولا شك انه من الصنف (العاطق) الرقيق ، ومن العجب أن يجمع بين النقيضين : العاطفة الرقيقة فى حياته الخاصة ، والعاطفة العاصفة فى حياته الحكومية . . .

سريع التطور . . .

ويدهشك من صدقى باشا أنه يمتاز بسليقة غريبة : هى سرعة التطور . . .

فهو يملك أن ينتقل من اليمين الى اليسار بسرعة البرق بل بالمفاجأة والمباغتة . وهو يحتمل فى أثناء تطوره دهشة الناس ، ولكنه يصمد ! وينطوى ! وينسى الناس ...

وقد يعلل تطوراته بحكم المصلحة العامة وتغير الملابسات والمناسبات والظروف . ولكن الناس لا يجرون معه ولا يسيرون سيره السريع ، فتقف أفكارهم عند بداية الشوط ، حيث يكون قد وصل هو الى نهايته . . .

ومن هنا نشأ الاختلال فى وجهة النظر ، ومن هنا تناقض فى صدقى باشا « المبتدأ » مع « الخبر » ! . . .

مستقبله . . .

لا أدرى تماما كيف تتطور الأمور فى هـذا البلد العجيب الأطوار . ولـكن أدرى تماما أن صدقى باشا لا يزال مستعداً مسلحاً للغد ، وبعد الغد ، وبعد بعد الغد ...

وقد تراه على رأس حكومة دكتاتورية أخرى . وقد تراه فى وزارة « وفدية » أخرى . وقد تراه يتزعم حزباً ينادى بالويل والثبور وعظائم الأمور ضد الانكليز وضد الاحتلال . كل شيء جائز فى حياة هذا الرجل الغريب الأطوار هو أيضا ! وقد تحكم حكماً صحيحاً على مستقبل الأغلبية العظمى من الأقطاب . وقد تستطيع فراستك أن ترسم خطط الأغلبية العظمى من الأقطاب سلفاً ومقدماً وتحت الحساب ! ولـكنك لا تستطيع أن « تتنبأ » مهما أوتيت من ذكاء وفطنة بخطة هذا الرجل فى مستقبله . ولعله هو أيضا لم يرسم خطة ولم يعتد أن يرسم خطة . أصح وصف له أنه « ابن الظروف » فان أردت أن تتعرف كنه هذا « الابن » وأحواله ونواحيه وجب أولا أن تعرف ماهية الظروف التى فى علم الغيب وهذا مستحيل . فالحكم على مستقبله مستحيل ! . . .

انما كن مع هذا الغموض وهذا الظلام على ثقة من أنه « سيبرز » . ومن أن اسمه سيتردد حتما على الأفواه . وسيطبع فى أنهار وأعمدة الصحف . وسيكون حديث المجالس والمنتديات . والله أعلم حينذاك بنوع الكلام ولون الكتابة وصنف الحديث !...

ولـكن مما لا شك فيه أنه فى فترة الهدوء هذه سيعمل ! وأغلب الظن أن دولته حين يتفرغ « للفن » فى ميدانه البرلمانى الفسيح الجوانب سيقتنص أنصاراً من هنا وهناك . ولـكن العجيب انه لن ينجح فى اقتناصهم « لشخصه » وانما « لرأيه » . وطالما قلنا إن الرجل لو تفرغ «للعمل الشعبى العام » لخلب الألباب ، وزاد عدد الأحباب والأصحاب . ولئن اعتاد فيما مضى أن يمل العمل الشعبى العام ، فرجاؤنا فى المستقبل أن يعشقه ويدين له «بالمواظبة» فهو لا بد بالغ بكفاياته فى جبله الأشم الذروة والقمة ان شاء الله ...

فكرى أباظه
المحامى

« . . ابتسامة المرأة كم ثلت من عروش ، وهدمت من قصور وفرطت من عقود الصداقة ، وثلت من اواصر القرابة ! ! كم شتتت من اسر ، وجمعت من شمل ، وفككت من أسر ! ! كم اردت الى المذلة والبؤس ، وأزالت من معالم السعادة والانس ! ! . . »

إذا ابتسمت المرأة . . .

بقلم الدكتور أمير بقطر

المرأة فى جميع تصرفاتها لغز العصور ، وطلسم الدهور . فاذا كان الرجل حقيقة صندوقاً مقفلا ، فان المرأة خزانة حديدية ، ربطت جوانبها بأسلاك فولاذية شائكة لا يستطاع فكها إلا بيدها

ويتجلى لغز المرأة الأبدى فى النقيضين : الحزن والفرح ، البكاء والضحك . فسواء للناظر اليها «أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد» ، وسواء ترقرقت فى عين الحسناء دمعة حارة ، أو جالت فى فمها ابتسامة حيرى ، يقف الرجل بفطرته وسذاجته أمام المرأة ملجم اللسان ، مختلط الوجدان ، لا يدرى ما وراء الدمعة من مآرب ، وما تخفيه الابتسامة من مشاعر

اذا ابتسمت المرأة فانها تحمل وراء ابتسامتها سلسلة طويلة من اختباراتها الماضية الموروثة ، أما عن جدة ، مدى العصور البائدة ، وإذا ما بكت فانها تخفى خلف دموعها أرق العواطف وأحلاها ، وأشدها عنفاً وأمرها مذاقاً

إذا ابتسمت المرأة وأشرقت ديباجتها ، أخرجت فى الخفاء سيفا من غمده مسلولا ، تغزو به الرجل متى شاءت ، وإذا ما بكت وتألق الدمع فى مآقيها ، نصبت له فخا توقعه فيه متى شاءت

ابتسامة المرأة مزيج عجيب من شتى العواطف ـ حب خالص ، حزن عميق ، سرور دفين ، أمومة ، كراهية ـ فهى سنجابية اللون ، تميل طوراً للسواد ، وتجنح طوراً للبياض ، بيد أنها تكون أحياناً ذات لون نقى محدود ، كما ترى فيما بعد

ابتسامة المرأة . . . . كم ثلت من عروش ، وهدمت من قصور ، وفرطت من عقود الصداقة وثلت من أواصر القرابة ! ! كم شتتت من أسر وجمعت من شمل ، وفككت من أسر ! ! كم أردت الى المذلة والبؤس ، وأزالت من معالم السعادة والأنس ! !

الابتسامات الخالدة

ابتسمت كليوباترا ، ففتنت قيصر روما ، وأودت بحياة انطونيوس ، وهزت أكبر امبراطورية عرفها التاريخ ، وماتت قتلا بيدها

ابتسمت امرأة جميلة للنبي داود ، تغتسل فوق سطح منزلها ، فوقع في غرامها ، وقتل زوجها ، وقضى منها وطره ، ثم كتب متألما يقول : « تعبت من تنهدي ، أعوم في كل ليلة سريري بدموعي ، أذوب فراشي . . . . أخطأت والشر قدام عينيك صنعت . طهرني بالزوفاء فأطهر . اغسلني فأبيض أكثر من الثلج . . . »

ابتسمت ألف امرأة لسليمان الحكيم في شبابه ، فاستسلم لهن جميعا برغم نبوته ، وكتب سفره الخالد ، نشيد الأنشاد ، أجمل ما كتب الشعراء في الغرام . ولما بلغ من العمر عتيا ، استيقظ من سباته العميق ، وكتب سفره الأبدي البديع ـ الجامعة ـ الذي يدور محور موضوعه على القول المأثور : « باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح »

ابتسمت دليلة لشمشون الجبار ، داهية عصره ، فخر لها ساجداً ، ودب في عينيه النعاس على ركبتيها ، فجذت شعر رأسه ، واستأصلت مصدر قوته ، ومات تحت الانقاض ، وهو يقوض عمد الدار بساعديه الفولاذيتين ، قائلا : « على وعلى أعدائي »

ابتسمت آن بولين لهنري الثامن ملك انجلترا ، فثار على التقاليد في وجه البابا والكنيسة والدولة وقلب للشعب ظهر المجن ، وفصل الدين عن الدولة ، وهو يقول : « ابتسامة الحسناء أصدق إنباء من الكتب »

ابتسمت موناليزا لليوناردو دى فينشي ، وهو يرسم صورتها الخالدة التي يفخر بها اللوفر اليوم ، والتي امتدت اليها أيدي اللصوص مرات ، فوقفت ريشته عن المسير ، وجمد الزيت في أنابيبه ، وأبت عيناه التحول عن « الموديل » فجلست أمامه ثلاث سنوات كاملة ، قبل أن تنقل تلك الابتسامة الساحرة من الأصل الى الخيال ، ولو لم تكن السيدة متزوجة لظل المصور أمامها سنوات . . .

ابتسمت « ماري ملكة السكوتلنديين » ففتنت القواد والعظماء ورجال الحاشية ، فدب الحسد والانقسام لأجلها بين رجال القصر ، وسجل التاريخ للأسرة المالكة وصمة عار لم يعرف مثلها التاريخ من عهد كليوباترا ، وتنسمت أخيراً تلك الملكة الشابة الحسناء ـ النسمة الأخيرة من حياتها بين النطع وفأس الجلاد

ابتسمت جوزفين يوم ميلاد ابن نابليون من زوجته الثانية ، وصلصلة النواقيس في الكنائس تقرع أذنيها ، فكانت ابتسامتها مزيجاً عجيبا من شتى العواطف ـ حب زوجي نبيل ، ذكريات شهوة مكبوتة ، وحرمان قاس من أمومة طالما كانت تتمناها ، عز ذاهب ، سعادة ولت وانقضت . .

ابتسمت حسناء لنابليون ، كانت تدس له مسدسا بين ثدييها ، فأطفأت فى صدره نار الانتقام ، واكتفى بقوله لها : « . . . لقد أردت الفتك بالامبراطور ، فأخفيت سلاحك فى مكان أحسده عليه فمغفرة لك أيتها الفتاة الجميلة . . . »

ابتسمت مدام ركاميه فى عصر كان العالم بأسره يعبد باريس ، فقام عظماء باريس وشجعانها عن بكرة أبيهم يعبدونها ويطارحونها الغرام ...

ابتسمت ساره برنارفى « غادة الكاميليا » ، وابتسمت أنا بفلوفا فى رقصة الأوزة .. وابتسمت جريتا جاربو على الشاشة البيضاء ، وابتسمت أخيراً نورما شيرر فى «روميو وجوليت» .. فذرفت دموع ، وذابت قلوب ، وسالت عواطف ، وأعجب ملوك وامراء ، وانهالت رسائل ، وتكدست أزهار وورود ، وشهد العالم ـ حتى أشد المحافظين ـ على أن العبقرية جديرة بالاعجاب والمكافأة اينما وجدت ... ثم ابتسمت أم كلثوم فى «وداد» و « نشيد الأمل » فتطوع الكتاب من شيوخ المحافظين لتمجيدها ، والتنويه بعبقريتها ، بعد أن ظلوا عشرات الاعوام يترفعون عن الاشارة الى ممثلة أو راقصة ، ظنا منهم أنها رجس من الأرجاس

وابتسمت مسز سمبسون ، فهزت العرش البريطانى ، وقامت لها الامبراطورية العظمى وقعدت ، واعترف بابتسامتها الساحرة أحدب نوتردام على ضفاف السين ، ورئيس اساقفة كنتربرى على ضفاف التيمس ، وغادر لأجلها ادوارد الثامن لندن عاصمة العالم ليلا فى ١١ ديسمبر (كما خرج الملك جيمس قبله أيضا فى ١١ ديسمبر) يحمل اسم « دوق أوف وندسور » ، وهو يردد لشعبه هذه الرسالة التاريخية الخالدة : «صدقونى ، إذا قلت لكم إنى وجدت مستحيلا على ان احمل عبء تبعاتي الثقيل ، وأن أقضى واجبات الملك ... كما أريد ، بغير مساعدة المرأة التى أحبها . . . ! »

لكل ابتسامة لونها

إذا ابتسمت المرأة عكست كالشمس الوان الطيف القزحية السبعة . فهناك الابتسامة السنجابية ، وهى التى تخرج عن الابتسامات المحدودة اللون ، وقد سبق الكلام عليها

هناك الابتسامة الصفراء ـ ابتسامة الغيرة ـ واللون الأصفر لون الغيرة والحسد والمكر والخديعة ، وهى التى تعمد اليها المرأة كلما اضطرم صدرها غيرة ، وتلظى كبدها حقداً ، وكلما استوقد الحسد ضلوعها ، فنظرت الى مزاحمتها بطرف سقيم ، وكلما سرى فى دمها داء الضرائر فأخفت باطنها بظاهر الابتسامة الصفراء

وهناك الابتسامة السوداء الكاذبة ، أو ما يسميها علماء الاجتماع الابتسامة الاجتماعية ، وهي التى تنكر بها أنها زارت فاطمة ، أو داعبت سليما ، أو راودت يوسف ، أو خاطبت بهجت بالتليفون ، أو تنزهت مع أحمد فى سيارته ، أو اصطحبت علياً لمشاهدة الخيالة . والابتسامة السوداء أمضى

ما تتسلح به المرأة من وسائل الدفاع عن نفسها ، ومن أشدها أثراً فى الرجل . فاذا هى كبت أصبحت بواسطتها من كبوتهـا بنجوة ، إذا عثرت وهفت انتفت عنها التهمة . والابتسامة السوداء كالدمعة ، وإذا بدرت من المرأة سقطة لجأت اليها ، فقام الرجل يطيب خاطرها ، ويصبح المدعى مدعى عليه ، والمتهم (بفتح التاء) متهماً (بكسرها) ، وكأنه تجنى عليها وأشربها ما لم تشرب. وانما هى غدور خائنة ، فاذا بها بعد الابتسامة ـ أو الدمعة ـ وفية صادقة العهد ، واذا به يجزل لها الهبات بعد الحرمان . هذه هى الابتسامة التى تتخذها المرأة سلاحاً تركب به العار ولا تبالى بالفضاضة ، لأن بها تبدو صحيفتها طاهرة ناصعة البياض كما شاءت . ويقول أنصار المرأة ، من المسرفين فى التوسع فى معنى الحرية والمساواة بين الجنسين أن الأكذوبة الاجتماعيـة أكذوبة بيضاء ، وذلك لأن المجتمع لا يؤاخذ الرجل على أسباب هذه الأكذوبة ، مؤاخذته للمرأة ، وقد يحكم عليها بالقتل ، ولا يدين الرجل أبداً . هذا من جهة والجهة الثانية ، فانهذه الأكذوبة الاجتماعية نتيجة لازمة لاستعباد المرأة طيلة القرون الماضية ، ولا حول لها على التحرر من القيود والأغلال التى قيدها بها الرجـل إلا بهذه الحيلة وذاك الدهاء وتلك الابتسامة السوداء . وأقرب الأكاذيب الاجتماعية إلى الابتسامة السوداء هى أكاذيب السياسيين ورجال السلك السياسى ، وأرباب « الاتيكيت » ، لأنها تحتمى وراء المبدأ المعروف « الغاية تبرر الوسيلة »

وهناك الابتسامة الحمراء ، وهى الابتسامة المأجورة ، ابتسامة المومس ، وذارعة الأرصفة ، التى لا تهوى الرجل ولا ترغب فيه لذاته ، وانما تهوى كيس نقوده ، وترغب فى البيع والشراء ، وتبادل السلعة بالسلعة . وهذه هى المرأة التى نبذها المجتمع ظلماً وعدوانا فى كثير من الأحوال ، وعاد يعيرها ويشبعها لوماً وتقريعاً ، بعد ان هيأ لها الحفرة التى فيها هوت

وهناك الابتسامة الخضراء ، ابتسامة الأمل والرجاء ، وهى التى ترجو فيها الأم أن يكبر ولدها ويترعرع ، وتأمل فيها الزوجة أن يخلص لها الزوج ويكمل ، وتأمل فيها العذراء أن تتحقق أحلامها في الحب والزواج . فى هذه الابتسامة يتجلى حديث أحلامها وأمانيها

ولعل الابتسامة البنفسجية أجمل الابتسامات وأكثرها روعة واشفاقا وأدقها عاطفة ، هى التى يفتر فيها ثغر المرأة لطفلها أثر ولادته ، والتى منها يتعلم المولود الابتسام لأول مرة ، ويسمع بواسطته اللحن الأول في موسيقى الحياة ، وهى أيضا تلك الابتسامة الجميلة التى تأمل فيها الثكلى والأرملة والعذراء العاشقة التى طوى سفر حبيبها أن ترى من فقدت فى عالم الخلود

أمير بقطر

أوقات الفراغ وكيف ننشرها

للاستاذ الدكتور منصور فهمى بك
مدير دار الكتب المصرية

« ... وما من شىء أشق الأمم وأضناها ومال بها الى الانحطاط أكثر من وقت الفراغ اذا هو ترك لاستثارات الشر والسوء والشهوات الوضيعة . وما من واجب أشد أخذاً بمخنق الحاكمين من محاربة البطالة والعطلة ومغرياتها السيئة بشتى الطرق وأخذ الناس أخذ المقتدر ليستغلوا أوقات فراغهم بالحسنى وفى سبيل الحسنى ... »

قيمة هذا البحث

للحديث عن أوقات الفراغ قيمته عند من يقدرون أن الوقت من ذهب ، وان التحدث فى استغلال الوقت لهو من أحب الأحاديث عند من يقدرون نفاسة الزمن . ولعل قائلا يقول إن الرشيد من الناس هو أعلم بما يرضاه لنفسه فى أوقات فراغه فليس فى حاجة الى من يذكره بأمر هو أولى بالعلم به من سواه . وفى قول هذا القائل بعض الصدق إذا جاز أن جميع الناس هم على علم بأحوالهم ودوافعهم حين يقدمون على أمر وحين يتأخرون ، وحين يستخدمون أوقات فراغهم على نحو أو على نحو آخر ، وحين يكون قضاء ما تتوق نفوسهم اليه سهلا ميسوراً . لكن لو دققنا النظر لوجدنا أن بعضا من الناس لا يعلمون كيف تقضى أوقاتهم على خير وجه ، وأن بعضا آخر قد يعلمون ولا يجدون الوسيلة ، وذلك لان الفرد منا يعيش مع جماعات قد تيسر له الوسائل لما يريد ، وقد تعسرها عليه

هب أن فرداً من الناس يود أن يقضى بعض يومه فى متحف أو فى بستان ، لكنه لا يجدهما فى ظل الجماعة التى يعيش فيها ولا فى القرية التى هو أحد أفرادها . أفلا يقال حينئذ ان الفرد يريد شيئا لا يقدر على الحصول عليه بنفسه ، وان الجماعة التى قد تقدر لا تهيىء له ما يريد . وهب عكس ذلك أن مدينة أنشأت متحفا ليغشاه من يريد من الأفراد ، وأن فرداً من الناس يجهل فائدة التردد عليه ، أفلا يقال ان الجماعة هيأت خيراً للفرد وقد منعه جهله من الحصول عليه

ولعل أشد ما يوجه النظر الى التفكير فى أوقات الفراغ ، أن المدنية الحاضرة تمد للناس فيه وتفسح ميادينه أمامهم بحكم توالى الاختراعات الآلية التى تخفف جهد الانسان وتقلل الحاجة الى الأيدى العاملة ، وكذلك بحكم الشرائع والقوانين التى تسن لحماية الأفراد من عنت الكد والارهاق . ولقد توقع بعض الاجتماعيين أن ساعات العمل فى اليوم قد تصير بعد نصف قرن حول الخمس وان عمل الانسان فى العام كله لا يزيد على ثلثمائة من الأيام . وسواء أصح هذا التكهن فى تفاصيله

* ألقيت هذه المحاضرة بقاعة يورت التذكارية بالجامعة الامريكية بالقاهرة

أم لم يصح ، فان الواقع يؤيد مجمل معناه ، فأوقات الفراغ تزداد اتساعا ويتخلف عن اتساعها ضرورة البحث فى وسائل أشغالها

ومسائل وقت الفراغ واشغاله تهم من يربأون بالايام التى قدرت لهم فى الدنيا عن ان تكون ثقيلة على نفوسهم ، فمن المسلم به أن الوقت الذى يمر على المرء دون أن يشغل بما ترضاه النفس قد يصبح ثقيلا مؤلماً يسئم ويمل ، بخلاف ما اذا تقضى فى مشاغل ترضاها النفوس فانه يصبح مؤنساً ومسعداً . كذلك تهم مسألة الفراغ الجماعات التى يعنيها ما يبسط للناس فى سعادتهم وما يمد فى انتاجهم واستغلالهم للزمن . وما دام وقت الفراغ له قيمته عند الجماعات باتصاله بالانتاج ، وله قيمته عند الأفراد ، فلا عجب إذن أن تشترك الجماعات والأفراد فى تقدير أهميته ، ولا عجب أن تنعقد المؤتمرات وتساهم الحكومات فى تمحيص هذا الموضوع

ولو كانت الطبيعة هيأت للناس جميعاً أن يقضوا يومهم فيما يشغله ويملؤه ، حتى اذا أنهكهم مجهود العمل عمدوا الى قسطهم الطبيعى من هنىء النوم وراحة النعاس لما كان لمتحدث أن يتحدث فى وقت الفراغ . ولو أن نظم الحياة الاجتماعية هيأت للناس جميعاً أن يعرفوا ما يتناسب مع قواهم وكفاياتهم ورغباتهم واستعدادهم ورفعتهم الانسانية ، وأن يشغلوا بذلك فى كل ما يتاح لهم من زمن ، لما كان ثمة حاجة لذكر مسألة الفراغ . لكن الطبيعة تفسح للفراغ مجالا ، والحياة الاجتماعية تغرى باستغلال هذا المجال لمصلحة الجماعة ولمصلحة الفرد

على انه اذا وجدت الأسباب التى تتهيأ معها أن يستغل زمن الفراغ استغلالا حسنا، فان الانسانية تجنى من وراء ذلك ثمرتين من أطيب الثمار : فأما أولى الثمرتين فظفر الانسان بما يخفف وطأة القلق عن النفوس حين يعتريها الملل من أثر الخلو من المشاغل المحمودة ، وتلك نتيجة جديرة بالسعى الى بلوغها لأنها تعين الانسان على ما ينشده من الطمأنينة النفسية . وأما الثمرة الثانية فهى تحويل أوقات الفراغ إلى فرص تستغل لرفع الانسان الى مستوى أرقى مما هو عليه ، وذلك بتعزيز العواطف النبيلة وتقوية الفضائل في نفسه وتوجيهه للمثل العليا التى تنشدها الانسانية . وانه بمثل ذلك الاستغلال تضعف عوامل الخصومة بين الناس ويقوى حسن التفاهم ويقرب عهد السلام

صور مختلفة لأوقات الفراغ

ويحسن أن نستعرض صوراً مختلفة لأوقات الفراغ لنواجه كل صورة بما يناسبها من طرق الاستغلال وأدواته

فى هذه الدنيا وفى مختلف أجناسها وأممها زراع وصناع يغلب فى أعمالهم جهد الجسوم ، وفيها عقليون وفنيون يغلب فيما يحترفون به جهد العقول ، وفيها من استنفدوا الكثير من قوى الابدان والعقول ، ومن استقالوا من تكاليف الحياة وعنائها كالمرضى والشيوخ . وفى الحياة أنواع من الناس

لا تتحدد عندهم قيمة الوقت ولا يتحدد عندهم تقديره ولا ضيقه ولا سعته كالأطفال الذين يبسم لهم ثغر الزمن . وفى الحياة من مالوا عن جادة المألوف فلا يشعرون بوطأة الأيام والزمن على نحو ما يشعر الانسان الرشيد ، ويصبح الفراغ لهم أداة من أدوات العبث ، كالمنحرفين والأشقياء

ومن أجل التنوع إذن فى أعمال الناس ومهنهم وطبقاتهم وثقافاتهم وأحوالهم النفسية ، تتعدد صور الفراغ، ولذلك يجب على الباحثين أن يجدوا لكل صورة منها ولكل طائفة من طوائف الناس ما يناسب من طرائق استغلال أوقات الفراغ

لكن برغم هذا الاختلاف والتنوع فبين الناس جامع مشترك يوحد بينهم فى بعض الوسائل التى تتخذ لشغل أوقات الفراغ

ذلك أن جميع الناس مهما تعددت أجناسهم أو طبقاتهم أو اختلفت أعمارهم أو تنوعت مهنهم ، فانهم يشتركون فى السكون لحسن الصوت وجمال النغم ، وينجذبون لمظاهر الفن الجميل وأساليب الجمال ، وانهم كذلك يخضعون بدافع من جسومهم وغرائزهم لطلق الهواء ومنتشر الضياء . لذلك ينبغى أن يكون الحظ الأكبر فى اشغال وقت الفراغ للموسيقى والفن الجميل ورياضة البدن

أهم النواحى بوقت الفراغ

وفيما نحن بصدده ليست تطلب العناية بالموسيقى والفن الجميل الى الأفراد فحسب ، انما أكثر الرجاء فى تعميم نفعهما ونشرهما يكون من جانب الحكومات والجمعيات ، لأن الحكومات الساهرة على مصالح الشعوب ترى لزاماً عليها مد الأسباب التى تمكن الناس من التسامى وتجنب الوساوس السيئة ، وليس أشد أثراً من الموسيقى لبلوغ ذلك . فيصح أن يقام فى كل مدينة وفى كل قرية منتدى يراض فيه العمال فى أثناء فراغهم من العمل على الانشاد والاغانى والمعازف ، والى مثل معاهد الموسيقى ومنتدياتها يهرع الناس عن طيب خاطر لأنها تتفق مع هواهم وميولهم ، ولا يسأمون الوقت الذى ينفق فى سبيلها . ربما تكون بعض أنواع الموسيقى أرقى من ثقافات أصناف من الناس وأعلى من مستوى افهامهم وأبعد من مألوف أذواقهم ، ولا شك ان هذا الصنف من الموسيقى لا يكون عونا صالحاً للناس فى استغلال فراغهم الا اذا فهم ومرنت الأذواق عليه . والأنسب ألا يستعان به على وقت الفراغ الا عند فهمه وتذوقه . وانه لأولى بمعاهد هذا الفن الجميل أن ترعى من الاغانى والأناشيد ما هو أدنى الى الذوق العام وأقرب لنفسيات الجماهير ، ولعل ذلك يكون برعاية الأنغام والأناشيد الدينية والشعبية ، ذلك لأن صميم الوجدان مهما تكاثفت عليه غشاوة العيش والحياة فانه يمت الى الخالق بسبب ، ومهما تراكمت على القلوب أصداء الأنانية والفردية فانها تمت الى الجماعة والشعوب بسبب

وعلى نحو ما ذكرت من فضل الموسيقى فى استخدام وقت الفراغ أذكر ما للتصاوير والمتاحف

من أثر صالح حسن . وأرجو ان تنتشر فى أنحاء البلاد وأقاليمها، بل أرجو ان ينبث فى البيوت وحيها على أنه ينبغى أن تكون محتويات المتاحف الأقليمية ذات معنى لايتعذر ادراكه ولايتعسر تذوق دقائقه لمن ليسوا من خاصة الناس . وليس المقصود من صورة تعلق أو تمثال يقام أو تحفة تقر فى مكان ان يقع البصر عليها دون أن يحرك فى نفس الرائى معنى من المعانى السامية أو عبرة من العبر البالغة، انما المقصود من غشيان المتاحف الشعبية ان تلهم محتوياتها النفوس بما ترتق به وان تغذى مناظرها القلوب بما يعمرها بالفضائل وان تنال منها العقول غذاء من المعانى السامية

وهناك جهة أخرى يحسن أن يشترك اكثر الناس أيضا فى استخدامها لاوقات فراغهم ، تلك هى ناحية الرياضة البدنية ، وهى لا تقل خطرا عن ناحية الموسيقى والفن الجميل . فكما أن الناس يجمعهم الأنجذاب الى الفن وجماله، فهم كذلك يشتركون فى حاجتهم إلى الهواء المنعش ، وإلى أشعة الشمس المنشطة ، وإلى مران عضلاتهم وأعضائهم . وقد تطلب مثل هذه الرياضة البدنية والعناية بها الى الافراد قبل أن تطلب الى الحكومات لأن فضاء الله ممدود للرياضة ، وان هواء الطبيعة مبذول ونورها غير ممنوع ، ولأن اكثر عناصرها الأخرى التى تصلح للرياضة ترحب بمن يصطفى استخدامها ممن يقدرون الرياضة . لكن مع ذلك فان الحكومات تطالب بكثير من العمل لتيسير أمر الرياضة على الناس وتحبيبها اليهم . فعليها أن تنشىء المنشآت لذلك كالحدائق الجميلة الواسعة والطرق الممدودة والمراكز والمحطات التى يسكن الناس اليها ويرتاحون لوجودها اذا ما ارتاضوا وعنوا بجسومهم وعافيتهم مما يتعذر على الافراد أن يقوموا وحدهم بأعبائه

هذه هى بعض النواحى العامة الجامعة التى تصلح لكثرة من الناس فى استخدام فراغهم وليس من حرج أن أربط دور الصور المتحركة بناحية الفن الجميل .وقد تقرر لأول نظرة فى دور السينما أن هذا النوع من أنواع الملاهى الذى يبلغ من العمر نحو الاربعين عاما هو من أشدها جذباً للجماهير ومن أكثرها قبولا عند تلاميذ المدارس والعمال واحداث السن ، ومن أقواها أثراً فى نفوس الناشئين . ولما كانت دور السينما مؤكدة العمران بزمر من روادها رجالا ونساء، فقد رأت الحكومات الرشيدة استخدام هذه الدور لتعليم الجمهور وتثقيفه . كما انها فطنت كذلك لخطرها إذا ساء استعمالها ، فعمدت لمكافحة الشرائط التى تؤذى الذوق وتضر الناس فى آدابهم أو أفهامهم ، ولمثل ذلك تأسس فى النمسا وفى ظل الحكومة معهد خاص في سنة ١٩٣٤ ليعمل بشتى الوسائل المشروعة ليرد دور السينما الى مدارس مهذبة ومنتديات مروضة . ومن وسائله لذلك ارشاد الناس الى الشرائط المفيدة والدعوة لها عن سبيل النشرات أو المحاضرات، وعن سبيل الترغيب فيما يرتفع به مستواهم ويرقى أذواقهم . ومن أعمال هذا المعهد أيضاً أنه يرشد المشتغلين بفن الشرائط واصحاب الدور ويعين هؤلاء وهؤلاء ليحصلوا على الشرائط المفيدة

نواح خاصة لاستثمار الفراغ

ألمعت سريعاً فيما قدمت لابرز الوسائل واعم الأدوات الصالحة لشغل فراغ عدد من الناس واسع كبير . لكن فى الناس طوائف معينة محدودة ، يناسبها لاوقات فراغها وسائل أخرى عدا التى اسلفنا ذكرها . فبعض الناس من طبقات الخواص أو من أهل الحرفة الواحدة قد يروقهم أن يهيئوا لأوقات فراغهم منتديات تجمع فيما بينهم، وربما يكون السبب فى ذلك تشابهاً بين روادها فى الطبقة الاجتماعية أو في تقارب الثقافة أو فى النظرات السياسية والاجتماعيه أو فى روابط الأعمال أو غير ذلك مما يقرب بين بعض الناس . واقامة هذه المنتديات أمر مألوف لا يخلو منه بلد متمدين، وهى لا شك تصلح لاستثمار وقت الفراغ الذى يكون لرواد هذه المنتديات والذى يختلف طولا وقصراً باختلاف طوائف الرواد . ومهما يكن من صلاحيتها فان خيرها لا يتأكد وان شرها لايؤمن إلاإذا أحاطتها رعاية خاصة ورقابة موفقة لكى لا تتسرب اليها عناصر الفساد كالميسر والخمر ، لأن الفراغ مزرعة للمفاسد لا تتق الا اذا حسن استخدامه لترقية النفوس وتقوية نزعاتها النبيلة

وهناك طوائف أخرى محدودة العدد معينة الشخصية لهم أوقات خاصة من الفراغ ، ويشغلونها بما يناسبهم ويناسبها كالأساتذة والعقليين ، فانهم عندما يظفرون بغير الوجيز من أوقات فراغهم يستخدمونه فى التزاور والترابط الفكرى والمؤتمرات العلمية الدولية والحج الى المكاتب البعيدة والمعامل المعروفة والمتاحف العامرة والسياحات والرحلات المفيدة والقيام بواجب البعثات وغير ذلك مما يناسب عمل العلماء من خدمة التعاون الفكرى وبث الروح العلمية العامة

ومن الطوائف المعينة التى يناسبها استخدام خاص لوقت الفراغ طوائف طلاب الجامعات والدراسة العالية حين يظفر المجتهدون منهم بعدة أشهر فى العام تتعطل فيها مدارسهم ، فبعد أن ينال هؤلاء لأنفسهم قسطامن الراحة ، مستحقاً ومطلوباً ، قد يتجه البعض منهم لاشغال وقت الفراغ بقراءة كتب ميسرة تغاير صنف الكتب التى ألفوا قراءتها واستذكارها فى أثناء الدراسة . وهؤلاء لا شك موفقون حين يقدمون على ذلك لانماء معلوماتهم وتوسيع دوائرها . وقد يتوجه بعض آخر منهم ليطوفوا بالقرى لالقاء المحاضرات والموعظة الحسنة وهؤلاء يستفيدون من أوقات عطلتهم لرياضة أبدانهم وتمرين فكرهم لاستخلاص أصفى الخلاصات التى كسبوها من العلم واعدادها اعداداً حسنا مقبولا لفائدة مواطنيهم ممن لم يقدر الله لهم التقدم فى سبيل العلم والمعرفة . هؤلاء هم من عباد الله الصالحين الذين يستفيدون ويفيدون وتقوى بفضل مجهودهم حركات الاصلاح الاجتماعى فى الأمم

تلك هى بعض النواحى الخاصة لقطع وقت الفراغ قطعاً مثمراً، على أن هناك ناحية خاصة أخرى هى من أهم الوسائل وأقواها . تلك هي ناحية المكاتب العامة . ولقد قدر الانكليز رسالتها وعززتها قوانينهم منذ سنة ١٨٥٠ لكنه يرجع للبلجيكيين فضل كبير فى اعلاء شأن الرسالة الاجتماعية

التي تقوم بها المكاتب العامة وتقدير المكانة السامية التي ينبغي أن تكون لها حيث ضمنوا تشريعهم في سنة ١٩١٨ بما يشعر بعلو شأو المكاتب وقدرها الرفيع . ولايمان البلجيكيين بعلو رسالة المكاتب العامة فرضت اتاوة تقدر على الاقل بربع الفرنك على كل فرد من سكان الدساكر والقرى وينفق المتحصل منها في شئون هذه المكاتب، ولو أننا تأثرنا بخطوات البلجيكيين في ذلك لزادت ميزانية مكاتب الاقاليم أضعاف ماهي عليه الآن . ومما يدل على مكانة المكاتب العامة الاقليمية في هذا البلد أن إحداها لا تغلق الا بعد مداولة قوية في مجلس القرية واستصدار قرار بذلك من الملك نفسه ! والى جانب هذه المكاتب الاقليمية العامة يوجد نوع من المكاتب المتنقلة المترحلة تنشأ لتزويد مختلف المصالح بمختلف الكتب ولامداد المدرسين في الاقاليم بما هم في حاجة اليه منها . ولكي أظهر صورة واضحة لحيوية المكاتب المتنقلة وحدها حسبي أن أضرب المثل بمدينة «ليبج» إذ أودع في دائرتها سنة ١٩٣٤ نحو العشرين الف كتاب ، فأعيرت لنحو مائة الف وأربعة آلاف من المستعيرين . أليس في ذلك المثل شاهد ناطق على سرعة سريان الكتاب وطلاقة مجراه في تلك البلاد ، وعلى أن شطرا من وقت فراغ الناس هنالك لاينقضي سدى بل تتخذ له اداة الكتاب لترفيه الذهن وترفيع النفس

لو أننا فرضنا في مصر كما فرض غيرنا ضريبة قرش واحد في العام على كل مصري وجعلناها ضريبة الكتاب ، لتجمع لنا في كل عام من هذه الضريبة اليسيرة وحدها نحو الـ ١٥٠٠٠٠ من الجنيهات ، ولو أننا وزعناها على مراكز القطر لنال كل مركز أكثر من ١٠٠٠ جنيه في كل عام وما أشد هذا المبلغ نفعا لو أنشئت به مكاتب واستخدمت من أجلها جهود شباب عاطل مثقف يعود الناس القراءة ويرسل فيهم معلومات صالحة ويسوق إلى أذهانهم كنوز المعارف العامة ويبعث الى ديارهم رسلا من الكتب تؤنس وتفيد . قد يقول معترض وهل تزعم أن الناس عندنا يحرصون على القراءة واكثرهم لما يخرج عن حظيرة الأمية . وأجيب مثل هذا المعترض بأن أشد الناس شوقا الى القراءة هم الأميون وأشباه الأميين من الذين يكدحون بأجسامهم ، والسبب في ذلك أن الطبيعة ترعى أمر التوازن بين حاجات العقل وحاجات الجسم فتدفع الجاهدين بأجسامهم الى الميل للعمل العقلي والجهد المعنوي إذا ما انفسح لهم المجال في ذلك وحسن لديهم الوسيلة ، ولطالما رأيت جموعاً من الفلاحين والعمال يلتفون حول من يقرأ قصة أو صحيفة ملائمة مبسطة اندفاعاً وراء حاجة النفس إلى نسمات الجو المعنوي

ومن فضل الله على الناس أن الأمية آخذة في الانكماش والتلاشي بسبب تعميم التعليم الأولي، ولم يكن يوما تخليص الشعوب من الامية مقصوداً لذاته، انما قصد لكي يتذرع أفراد الشعب بالاداة التي تهيء لهم قراءة الكتاب القيم ليحدثهم بما ينطوي في صفحاته من المعلومات التي تتطاول لها العقول . فلا قيمة اذن لدفع الامية من ديارنا مالم نعود الناس القراءة واستقبال الكتاب الميسر المفيد . ومن أجل ذلك ندعو لانشاء المكاتب في الاقاليم وتعميمها واحسان عدتها . ولو انشئت المكاتب الجديدة

لأتيحت الفرص للقراءات النافعة التى تتعطش لها النفوس ولحوربت القراءات السخيفة التى تضل العقول . وان الشعوب لترتفع عن سبيل المكاتب ارتفاعا لا تيسره المدارس لان أهم ما يؤديه الكتاب القيم لقرائه انما هو حلو النتائج وناضج الثمرات

وانا اذا راعينا حالة بلادنا الزراعية الخصبة وتقدم الفن الزراعى وقدرنا على نحو ما كان يقدر ابن العاص أن الزراع يرمون الحب ، وينتظرون الحصاد من الرب ، فان أوقات فراغ الفلاحين ستكون متسعة ممدودة ، ومن الخير أن نمهد منذ الآن لوقت فراغهم وسيلة الكتاب المفيد الجذاب الذى تهوى اليه افئدتهم وتعمر منه رءوسهم . وانى أدعو كذلك منذ الآن الى تخير عدد من أذكياء الشباب وأقربهم نسباً للحياة العقلية الراقية وأشدهم تقديراً لها ، وأقواهم ميولا للخدمات العامة ، ليؤهلوا تأهيلا علمياً فنياً لادارة المكاتب الاقليمية والدعاية للكتاب بالتحدث عنه والتعريف به ، وليجعلوا من المكاتب نواة صالحة لجامعات شعبية ومنتديات فكرية طلقة لتهذيب النفوس وشحذ العقول

واذا كان من حق الجماعات أن تخرج من أصلابها صفوة كريمة من خيار أبنائها لكي يكونوا لهذه الجماعات عدة فى حاضرها ومستقبلها ، فان هذه الصفوة تبدو فى الشباب العاكف على الحياة الفكرية ممن يلوذون بالمكاتب ويألفون القراءة والتفكير . ومن حقهم على كل حكومة رشيدة أن تمهد لهم وسائل حياتهم العادية والفكرية ، لأنهم أمارات ظاهرة دالة على استعداد الأمم لتقدير الحياة الفكرية والعظمة العقلية

خلاصة

ما من شيء أشق الأمم وأضناها ومال بها الى الانحطاط أكثر من وقت الفراغ اذا هو ترك لاستنبات الشر والسوء والشهوات الوضيعة

وما من صورة أبشع من صورة الوقت ينقضى على المرء دون أن ينفذ فيه إرادة الله فى جعل الوقت أداة للتكمل البشرى وترفيع النفس الى عوالم الخير والتسامى

وما من واجب أشد أخذاً بمخنق الحاكمين من محاربة البطالة والعطلة ومغرياتها السيئة بشتى الطرق ، وأخذ الناس أخذ المقتدر ليستغلوا أوقات فراغهم بالحسنى وفى سبيل الحسنى

منصور فهمى

مدير دار الكتب المصرية

رحلتي في الحياة

عن لسان المتنبي

قصيدة ألقاها فى مهرجان المتنبي بالشام

الدكتور نقولا فياض

يا لعمر مشيا فيه معا

جسدى النازل من شهوته سُلّم العار وروحى السامية

يا لعمر مشيا فيه معا

مشيا كل الى غايته مثل خصمين ولم يختصما
فهو لا يشبع من لذته وهى لا تعرف الا الألما

يا لعمر مشيا فيه معا

المعاصى من سجايا الأول وكفاف الزهد حظ الثانية
غرّه المال وطيب المنزل وبها سر دفين
وحنين
لسماء البادية
وحديث الساقية
والليالى الصامتات النائية

يا لعمر مشيا فيه معا

عاش من أطاعه فى لجب بين شك وحذر
وقعود وسفر
وتحد للقدر

يتباهى

طالباً ملكا وجاها

وحلاها

زهرة من أدب هى فخر العـــرب

***

أبغض النـاس كثيراً وأحبا وأراد العيش حـــــربا

قـلم ينفث سحـراً وفم وحسام ليس يرويه دم

وعتـــاب وهجاء ورضى بعـد جفاء

وهو ما بين التراب والسحاب

يتقلب

وهى من خلف الحجاب

تتعذب

***

ان يكن فى سيره ضل السبيل ورماه الطيش فى ليل عنيف

فهى لم تبرح مع الافق الجميل تسحب النور على ذيل عفيف

يا لعمر مشيا فيه معا

رفعتـه فهوى

قومته فالتوى

ضاع منها فى أعاصير الهوى

فاذا ما حملت معـه ذنوبه فهى ما زالت من الله قريبه

ولقـد مات غريباً مثلما عاشت غريبه

جسدى النازل من شهوته سلم العـار وروحى الساميه

نقولا قباضى

زلازل مسّينا

الطبيعة الجبارة تصارع الانسان الضعيف



منطقة الزلازل بايطاليا

فى هذه الكرة الأرضية التى نسكنها مناطق معينة كانت من قديم الزمان وما تزال بحكم موقعها الجغرافى وتكوينها الجيولوجى ، ميداناً لمظاهر الصراع الدائم بين الطبيعة والانسان ، ذلك الصراع الهائل الذى يتجلى أكثر ما يتجلى فى طغيان الأنهار والبحار وفى الزلازل وفى ثورة البراكين

ولعل أشهر تلك المناطق ساحل اليابان الشرقى ، والساحل الشمالى الغربى لأمريكا الجنوبية ، والجزء الواقع فى آسيا بين سيبريا وإيران والهند ، والذى يشمل بلاد التركستان والبلوخستان وبخارى وأفغانستان والمنطقة الواقعة فى الجنوب الغربى لايطاليا ، والتى تشمل مقاطعة كالابريا وشبه جزيرة مسينا وجزيرة صقلية

هذه المنطقة الأخيرة واقعة بين ثلاثة براكين كبيرة : بركان « فيزوف » وبركان « اتنا » وبركان « استرمبولى » . وهى بحكم هذا الموقع الخطر عرضة لثورة أحد تلك البراكين ، أو للزلازل العنيفة التى يحدثها جوف أرضها الملتهب بالنيران

وأن السائح القاصد الى أوربا عن طريق ايطاليا لتتملكه الروعة عندما تمر به السفينة من بوغاز مسينا ويشاهد على البعد قمة بركان « اتنا » تعكر صفو الأفق ببخارها المتصاعد ، ثم لا يلبث طويلا حتى يشاهد الى يساره جزيرة « استرمبولى » الصغيرة وقد جثم على صدرها بركانها العالى الذى لا يكف عن تصعيد البخار الى السماء ، فاذا شارفت السفينة مدينة نابولى برز لناظريه بركان

« فيزوف » هائلا ضخما مهيبا كأنه النذير الخالد بما تضمره الطبيعة من الحقد للانسان

ولطالما سائلت نفسي وأنا أمر بتلك البقاع وأرى ذلك المدرج من القرى والدساكر القائمة على سفح استرمبولي : كيف اطمأن أهلها الى سكناها وذلك الخطر الدائم مقيم فوق رءوسهم لا يدرون متى يصب عليهم صنوف الموت والهلاك ؟ وأية حياة تلك التي يحياها هؤلاء الناس وهم مهددون في أرواحهم وأرزاقهم ، يبيتون كل ليلة في أحضان الموت لا رجاء لهم الا في رحمته موقنين أن القضاء اذا حم فلا عاصم لهم من الفناء ؟ ولو أن السوابق المتكررة لم تنذر سكان تلك الديار بالخطر الذي يتهددهم في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار ، لقلنا إنهم يعيشون عيشة الجاهلين بأحداث الطبيعة أو الغافلين عما يتوقع من شرورها . أما وقد سبقت تلك النذر وتكررت ، فما عذرهم وما الذي يستبقيهم هناك ؟ ولكن المضطر يسكن الخطر من المواطن وهو يتوقع سوء المصير ، ففيها مسقط رأسه وفيها مأواه ومورد رزقه وليس له محيص عن سكناها

واذا أغفلنا هنا ذكر الكارثة العظمى التي عصف فيها بركان «فيزوف» بمدينتي هرقلة وبومباي قبل مولد المسيح بسنين فمحا معالمهما من صفحة الوجود ، واذا أغفلنا أيضاً ذكر الهزات الأرضية والثورات البركانية التي اعترت مدينتي رجيو ومسينا قبل القرن السابع عشر ، فسيبقى لدينا أن الزلازل خربت هاتين المدينتين سنة ١٦٧٤ تخريباً شاملا أعيد تعميرها من بعده ، وأن مسينا التي كانت في أواخر القرن الثامن عشر مدينة زاهرة آهلة بالسكان قد نكبت في سنة ١٨٧٣ بزلزال يحدثنا عنه الشاعر الألماني « جوته » في كتابه عن رحلته الى ايطاليا فيذكر أنه قتل ثلاثين الف نفس وأباد مائة وثلاثين قرية وخرب مائتين تخريبا كاملا

بيد أن تلك الكوارث على هولها وفداحتها لم تثبط عزائم الايطاليين ولم تدخل اليأس الى قلوبهم . فلقد نشطوا بعد حين فأعادوا بناء القرى الزائلة ، وعمروا المناطق المخربة ، ولم ينته القرن الثامن عشر حتى كانت مسينا مدينة كبيرة زاخرة بسكان يربى عددهم على المائة والستين الفاً ، حافلة بالأبنية الفخمة والعمائر الضخمة وبكل مظاهر المدنية والعمران

وكان أهل « كالابريا » ــ وقد امتحنتهم الطبيعة بتلك المحن المروعة ــ قد اطمأنوا الى أن الاقدار لن تعود فتفجعهم مرة أخرى بثورة من ثوراتها الهائلة ، فأخذوا يبارون مواطنيهم في تزيين مدينتهم وتجميلها بشتى صنوف التزيين والتجميل ، فأنشئوا فيها المتنزهات الفسيحة وشقوا الشوارع العريضة وشيدوا الصروح العالية وأقاموا الأبنية العامة تضارع بضخامتها وحسن هندستها أضخم وأحسن ما يشاهده السائح في كبريات المدائن والعواصم

وبينا ايطاليا تفخر بهمة أبنائها سكان كالابريا وتزهى بنشاطهم وتضحياتهم ، والسفن تحيي بأعلامها على جانبي البوغاز في الجيئة والرواح مدينتي رجيو ومسينا الجميلتين ، اذا العالم يروع في

الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٠٨ بنبأ عظيم ينبيء بأن منطقة كالابريا كلها قد راحت ضحية زلزال هائل لا يقاس الى جانبه فى الهول زلزال سان فرنسيسكو الذى لم يكن قد انقضى على حدوثه عامان

كانت الأخبار الأولى مقتضبة غامضة لا تدل على شيء معين . فلقد تعطلت بفعل الزلزال أسلاك التلغراف والتليفون ، وتعطلت قضبان السكك الحديدية وانقطعت وسائل الاتصال بين المنطقة المنكوبة وسائر أنحاء الدنيا ، وبقى العالم واجف القلب قلق البال يعلم أن كارثة جلى قد نزلت بجنوب ايطاليا ولكنه لا يعرف تفاصيلها ولا مبلغ فداحتها ولا مقدار ضحاياها . ولقد لبث هذا الابهام يومين كاملين كانت البرقيات تنهال خلالها على روما ونابولى وبالرمو مستعلمة ملحة فى طلب البيانات والتفاصيل . ولكن أنى للسلطات العامة فى العاصمة أو غيرها أن تتصل بمنطقة كالابريا وقد صيرها الزلزال فى عزلة عن العالم أجمع ؟

سيرت الحكومة الايطالية فى الحال أسرع قطع اسطولها الحربى الى جهات مسينا وريجيو محاولة أن تستقى الانباء، ولكن كان لابد من مضى يومين ليقف العالم على الحقيقة المفزعة، وهى أن الكارثة أشد كارثة من نوعها عرفها تاريخ الانسان . ولم تستطع الدنيا أن تتبين حقيقة ما حل بكالابريا الا بعد أن بلغت طلائع الفارين منها مدينة نابولى، ووصلت التقارير عن الحادث من السفن التى كانت راسية فى ذلك اليوم المشئوم بميناء مسينا

***

كانت أصبوحة يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٨ أصبوحة مطيرة باردة ، وكانت الساعة قد بلغت الخامسة والناس نيام عندما اهتزت مدينة مسينا هزة أرضية عنيفة لم تلبث أكثر من ثلاث وعشرين ثانية . ولكن هذه الثوانى لم تنقض حتى كانت المدينة خرائب وأكواما من الخشب والحجارة والحديد

أخذت قشرة الأرض ترتفع فجأة وتنخفض في حركة تشبه سير الموجة فى البحر، فتمزقت أوصال المبانى وتفككت أسسها ، ولما استقرت قشرة الأرض وسكن تموجها انهار كل شيء واستحال رسوما واطلالا . ثم لم تمض لحظات حتى علت الجو سحب قاتمة من الغبار غطت المدينة وملأت جوها ، وتزايد سقوط المطر فصار كالسيل المنهمر ، وهبت عاصفة شديدة صيرت السماء سوداء كالمداد يقصف فيها الرعد ويلمع فى وسطها البرق وتنصب من جوفها الصواعق ، حتى لكأن الفضاء استحال جحيما لا تبصر العين فيه إلا نيرانا تهوى من الجو الحالك الظلام، ولا تسمع الآذان إلا زمجرة تتصعد من جوف الأرض كما لو كانت أحشاؤها تتمزق، او كما لو كانت فى باطنها عاصفة تلتمس منفذا الى الفضاء . ثم ثار البحر وطغى على البر فأرسل أمواجه كالجبال تنقض على الخرائب والأطلال فتغطيها وترتد اليه بعد إذ تكون فعلت فعلها المدمر فى كل مكان

هب الناس من مراقدهم مذعورين فاذا الارض تموج والمساكن تتأرجح ، وخرجوا الى الشوارع والطرقات فاذا الجو أغبر والسماء مظلمة والمنازل من حولهم تتداعى وتنهار . ولقد تملك الهلع نفوسهم وأزاغ الهول أبصارهم فانطلقوا يلتمسون النجاة ولا يعرفون كيف يسلكون اليها السبيل. فالموت ينصب عليهم من الجو ويتلقفهم من الأرض ويضيق عليهم الخناق من كل صوب . ما يكادون يأوون إلى بيت حتى ينهدم فوق رءوسهم، أو يفرون من طريق حتى يسده عليهم مسكن يخر أو عمارة تسقط ، والكل بثياب النوم عراة الرءوس حفاة الأقدام قد جحظت عيونهم من الفزع وارتعدت فرائصهم من الخوف ، يروحون صائحين ويغدون مولولين ، هذا زوج يجذب امرأته من ذراعها وهو لا يدرى الى أين يقودها ، وتلك أم تضم طفلها الى صدرها وكأنها تحسب أن بهذا تقيه الهلاك ، وذلك غلام يغمض عينيه ويضع أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت ، وهذه فتاة طائرة اللب شاردة البصر قد نشرت ذراعيها فى الهواء وأخذت تعدو كالمخبولة وتصيح وتستغيث وليس ثم مجيب ولا مغيث ، وهذه عجوز لا تقوى على الجرى ولا تتحمل الزحام وقد جثت على ركبتيها ورفعت عينيها الى السماء لا تسأل الله رد القضاء بل تسأله اللطف فيه . وفى وسط ذلك الاضطراب السائد والهول المخيم على الكائنات ، جردت الطبيعة على الانسان عناصرها الهائجة ، وكأنما جمعت فى يدها كل قواها المدمرة وصبتها عليه دفعة واحدة لتشق غلها من ذلك الضعيف المغرور الذى طالما أذلها واستعبدها

وللزلزال رفيق يلازمه وهو النار ، وما أقسى هذين الرفيقين اذا تعاونا على هلاك الانسان . !

نعم فلم تكد الأرض تهتز وسطحها يتشقق حتى تكسرت أنابيب الغاز الممتدة فى باطنها واندلع اللهب منها واتصل بأخشاب المساكن المتهدمة فلم تمض دقائق حتى كانت الحرائق قد شبت فى نقط متعددة من المدينة

طاش صواب الناس عندما ألفوا أنفسهم محاصرين بين النيران وتلال الانقاض،فلم يعد أحد منهم ليفكر الا فى نفسه، واشتد التزاحم ونشبت المعارك واستعر تنازع البقاء. فجرت الدماء وديست الاطفال والنساء والمسنون ، وجل الخطب وعم المصاب . وطاش صواب السلطات إزاء هذه الفوضى فلم تحزم أمرها ولم تأخذ الحالة بالعزم الذى تقتضيه كما أخذتها به سلطات سان فرنسيسكو ، واعتمدت على رجال المطافىء فى مكافحة الحرائق ، ولكن ماذا تفعل المطافىء وقد تكسرت أنابيب الماء فى الارض ولم يبق إلى الماء سبيل ؟

لم يخطر لأولى الأمر أن يحاصروا النار فى الأماكن التى تناولتها ، ولم يفكروا فى نسف المبانى المجاورة لتلك الاماكن حتى لا تمتد اليها ألسنة اللهيب فكانت النيران تتقارب فى سرعة مخيفة ويتصل بعضها ببعض وتلتهم كل ما تصادفه . وهكذا لم تنقض ساعات حتى كانت المدينة كلها تشتعل كأنها سعير مترامى الأطراف

وكانت وسائل التنظيم والتدبير غير متوافرة لدى السلطات ، وقد زاد فى خطر هذا النقص المعيب أن الأهالى أنفسهم لم يشاءوا معاونة أولى الأمر باطاعة الأوامر والتعليمات بل اكتفوا بالصلاة والابتهال وغشيان أنقاض الكنائس لمناجاة الرسل والقديسين مواجهين القضاء والقدر فى استسلام عجيب

أما الاسعافات الأولى فقد أتت من بحارة السفن الالمانية والانجليزية والروسية التى كانت راسية فى الميناء أو مبحرة بالقرب منه . ولقد أبرق الأمبراطور غليوم الى قائدى السفينتين « هرثا » و « فيكتوريا لويز » — وكانتا فى عرض البحر الأبيض — أن تعرجا على المدينة المنكوبة وأن تشتركا فى أعمال الاسعاف ، فعرجتا وكان لاشتراكهما أحسن الآثار وخير النتائج . وسافر الملك امانويل من عاصمته الى صقلية فى الحال ليتولى بنفسه الاشراف على الحالة وتسيير الشؤون . وأصدر رئيس الحكومة السنيور جيوليتى ، قراراً بتعيين قائد حامية روما حاكما عاماً مطلق السلطة على المناطق المصابة ، وأعلنت الحكومة الأحكام العرفية فى مقاطعة كالابريا ، وصدرت أوامر وزارة البحرية الى جميع السفن الراسية فى الموانىء الايطالية بالاقلاع فوراً الى ريجيو ومسينا ، وقرر مجلس النواب فتح اعتماد بثلاثين مليون ليرة لاغاثة المنكوبين . ولكن هذه التدابير كلها لم تسفر عن النتيجة المرجوة منها لان النظام كان مختلا الى حد لا يفلح معه شىء ، ولأن عدم امتثال الأهالى للاوامر كان يفسد كل خطة وكل تدبير . فلما وصلت سفن الأسطول وفرق الجيش الى مسينا كانت هذه المدينة قد باتت فى أحضان الموت

وكانت الهزات الأرضية تتوالى على مسينا خفيفة ولكن على فترات متقاربة ، فترسل الذعر والهلع الى قلوب التاعسين الذين لم يهلكوا بالنار أو تحت الانقاض . فكان أولئك التاعسون عراة الأبدان أو مهلهلى الثياب يتسللون كالزواحف والهوام الى الأجحار الخربة والكهوف المظلمة يتقون بسقوطها المطر المتواصل والبرد المميت ، باحثين بين تلك الخرائب عن خبز أو طعام أو كساء . ثم بلغت الفوضى أقصى حدودها عند ما اصابت القوم جنة جعلتهم يتقاتلون على كسرة عيش ويتناحرون كلما ألفوا أنفسهم أمام سبيل من سبل النجاة ، وعند ما عجزت السلطات عن حفظ النظام تركت للناس الحبل على الغارب يزيدون الحالة سوءاً والبلاء بلاء

ولقد تهدم الميناء وزالت أفاريزه ومراسيه وحواجزه بفعل الزلازل ، وطغى البحر على حيين عظيمين من أحياء المدينة كان يسكنهما أغنياء التجار فأتى على ما أبقت عليه الزلازل والنيران . وازداد طغيان البحر فصار يقذف بالفلائك وسفن الصيد الى الشوارع والميادين ، واشتدت الحرائق واتسعت مساحاتها حتى لم تبق على شىء من الكنائس والمدارس والمتاحف والثكن والفنادق والمستشفيات

أما محطات السكك الحديدية فقد انهارت مبانيها ولم يبق منها سوى أكوام من الخشب والطوب

فوق أكوام من العربات والقاطرات . ولقد تقطعت القضبان وخرجت من فوقها القطارات فى المنطقة المنكوبة وهى سائرة بأقصى سرعتها فهوى بعضها الى الأنهر وانقلب البعض الآخر فى الأودية والنخفضات وراح ضحية ذلك خلق كثير

على أن الكارثة لم تقتصر على مدينة مسينا ، بل لقد تناولت مدائن أخرى وقرى عديدة. فهنالك على الشاطىء القابل لشاطىء مسينا مدينة « ريجيو » وما يجاورها من القرى الممتدة على الساحل من الجانبين ، وقد فعلت بها الزلازل مثل ما فعلت بأختها الكبيرة وخلفتها رسوما دارسة وأطلالا بالية ، وهرع ساكنوها الى الخلاء والمزارع والمغاور يلتمسون مأوى أو مخبأ ، وهاموا على وجوههم لا يعلمون ما حل بذوى قرباهم ولا بأقواتهم فى قراهم المدمرة وبيوتهم المهدمة

وفى اليوم الثالث وبعد جهود عنيفة ، بدأت السلطات تنظم أعمال الاسعاف بشكل جدى مفيد، فأخذت تكدس الموتى فى الحفر والخنادق وتهيل عليهم التراب ، وتؤوى الجرحى الى مستشفيات أقامتها من ألواح الخشب وأغصان الشجر بقدر ما سمحت به الحال ، وتنقل الأحياء الى أماكن بعيدة عن مواطن الخطر وتزودهم بما تيسر من الزاد ، وتتصيد السفن التى تدخل الميناء وتستولى عليها عنوة وتحشر فيها الناس . بيد أن هذه المستشفيات وتلك السفن لم تكن لتتسع لذلك العدد الهائل من الجرحى والمصابين ، فطفق الملك امانويل يستحث بالتلغراف كبير وزرائه ليسير اليه اكبر قطع الأسطول وسفن شركات الملاحة ، وجعل يشرف بشخصه على وسائل النقل والتطبيب والغذاء . .

أما عملية النقل فكانت شاقة متعسرة لسببين خطيرين : الأول تكدس عشرات الآلاف من الجثث فى الشوارع والطرقات تكدساً يجعل دفنها أو تحطيها أمراً فوق طاقة الانسان . والثانى ظهور اللصوص وقطاع الطريق الذين استغلوا المصاب القومى وأطلقوا لنفوسهم الشريرة العنان ، فانتشروا فى المدن والقرى المخربة يقتلون ويسلبون . ولقد فر المساجين من محابسهم وتزعموا عصابات الأشقياء وانطلقوا تحت الخرائب يبحثون عن الجواهر والمال وغالى المتاع ويقلبون جيوب الموتى ويجهزون على الجرحى عسى أن يصادفوا معهم شيئا مما يبتغون

ولم يفلح خمسة الآلاف جندى الذين جردتهم الحكومة فى مقاومة هذا الجيش اللجب من الضباع البشرية ، فعززتهم السلطات المحلية بخمسة آلاف جندتهم من سكان الأقاليم المجاورة وأوقفتهم على طول شاطىء مسينا ليحولوا دون توافد اللصوص عليها من جزيرة صقلية ، فأبلوا ما استطاعوا أن يبلوا فى وسط ذلك الخطب المدلهم ، وجعلوا يطلقون الرصاص على كل لص يصادفونه متلبساً بجريرته ، حتى لقد أعدموا فى يوم واحد مائتين من أولئك الأشرار

أما فى داخل المدينة فلم تنجح الاحتياطات الحكومية فى حفظ الأمن وصيانة الأملاك ، بل انتشر المجرمون تحت انقاض المصارف المالية والمخازن التجارية ينقبون عن الخزائن ويحطمون أبوابها

فى وضح النهار ليسرقوا ما تحتوى من ذهب وفضة وأوراق . فاذا فرغوا من ذلك انقضوا على السابلة فى عرض الطريق ينتزعون الاقراط من آذان النساء والخواتم من أصابعهن والاساور من معاصمهن ولا يترددون فى قطع الأذن والاصبع والمعصم اذا صادفوا من صاحبه مقاومة أو استعصى عليهم نزع الحلية من أحد هذه الأعضاء

ولقد اضطر بحارة الاسطول الروسى - الذى هرع بأقصى سرعته نحو مكان الحادث - الى أن يشهروا على اللصوص معارك حربية فاضت فيها أرواح الكثير من الفريقين ، ومما يدل على كثرة ما نهبه الطغام أن أحد أولئك البحارة فتش جيوب لص بعد أن قتله فوجد فيه مائة وخمسة وثلاثين الف ليرة ورقاً ، ولقد حاول أحد أعضاء البرلمان أن يحول دون سطو اللصوص على حانوت جوهرى فاحاط به الغوغاء وقتلوه ثم مثلوا بجسمه شر تمثيل

وهكذا انقضت سبعة أيام على وقوع الكارثة والفوضى ناشبة على أشدها فى البلاد ، والحكومة عاجزة كل العجز عن القضاء عليها أو تلطيف آثارها ، كما أن وسائل الاسعاف وتنظيم الاعانة ظلت ناقصة طوال هذه المدة حتى ليؤكد مراسلو الصحف أن خمسمائة جثة بقيت منثورة فى طرقات بلدة بالمى أكثر من أسبوع تفوح منها الروائح النتنة فتنشر شتى الاوبئة فى كل مكان . ولو شاء القارىء أن يقف على مبلغ قصور السلطات العامة عن المحافظة على الأمن ، فانا نقص عليه أن بعض القطارات التى سيرت الى مسينا تحمل الأطعمة وأدوات التطبيب هاجمها اللصوص واستوقفوها واستولوا على ما فيها . . .

ويعلم الله أن حكومة روما لو اتخذت لهذه الطوارىء أهبتها ، وأدركت أن منطقة كالابريا منطقة خطرة معرضة لاهوال الزلازل والبراكين ، فاتخذت التدابير الاحتياطية الواجبة وتذرعت بالحزم والشدة فى تصريف الامور ، لاستطاعت أن تجنب بلادها كثيراً من المصائب ولوفرت حياة ألوف وألوف من الناس . ولكن هكذا شاء التواكل والتسويف فجل خطب كالابريا وعمها المصاب

ولقد جأر مراسلو الصحف الاجنبية فى سائر أنحاء العالم كما جأر أعضاء البرلمان بالشكوى من اهمال الحكومة وسوء معالجتها للحال ، ومن تسييرها الامور فى الظروف الشاذة العصيبة بنفس الوسائل المكتبية التى تتناول بها العادى من الشؤون

أما المدن والقرى المخربة فقد أحصتها الحكومة فى بيانها الرسمى فاذا عددها يناهز الثلثمائة . وقد ألقى السنيور جيوليتى رئيس الحكومة تصريحاً فى مجلس النواب ذكر فيه أن عدد القتلى زاد على الثمانين ألفاً ، منهم ثلاثون الفا فى مدينة مسينا وحدها ثم قال إن السلطات نقلت الى مدينتى نابولى وبالرمو أكثر من أربعين الف جريح ومريض ، وإن الخسائر المادية قد جاوزت مائتى مليون ليرة وإن جميع الكنائس والاديرة والمدارس والمتاحف فى ايطاليا الجنوبية قد انقلبت الى مستشفيات ولكنها برغم ذلك لم تتسع لجميع المصابين

وتحدث أحد السياح الى صحيفة فرنسية عن سياحة قام بها الى مسينا بعد مضى ستة أشهر على حلول الكارثة بها فقال :

« كان نصف عام قد تصرم على الحدث المشئوم ، ومع ذلك دخلنا مدينة ميتة لا أثر فيها من آثار الحياة . جعلت اجول فى الشوارع – اذا جاز أن تسمى تلك التلول من الخرائب شوارع – فلم أصادف انسانا ولا حيوانا ولم أشعر أن هذه الاماكن البشعة كانت يوما من الايام آهلة بالسكان . كنت أرى أينما أجلت الطرف خرقا ممزقة وآثاثا مهشما وبقايا أشياء لا يسهل تمييز بعضها من بعض ، فاذا رفعت بصرى من الارض رأيت الخراب والدمار وقد خيما على كل شىء . فهنا بيت استحال كومة من الآجر والخشب والتراب ، وهناك جزء من مسكن تهدمت حوائطه الخارجية وظلت بعض جدرانه منتصبة فى الهواء ، وقد ظهر داخل الحجر فى شكل مرعب تكدست فيه الدواليب والاسرة والفرش والاوانى . وقضيت فى تجوالى ساعات الى أن أبصرت شرطيا قال لى إنه وبعض زملاء له هنا يحرسون ما فى الاطلال من نفائس وأموال ، وعلمت منه أن اللصوص لم ينفكوا يتغفلون الحراس ليسرقوا وينهبوا . فلما صرت الى خارج المدينة ألفيتها محاطة بحلقة هائلة من المقابر نصبت فى أرضها عشرات آلاف من الصلبان تذكر العالم بهذه الكارثة الجلى التى هى مظهر من مظاهر الصراع الدائم بين الطبيعة وعدوها الانسان . »

ج . ز .

***

« الهلال » عظم وقع مصاب ايطاليا على العالم حتى رثت لحالها أقلام الكتاب فى أنحاء الأرض وتبارى الشعراء فى نظم القصائد يصفون فيها الكارثة التى حلت بمسينا ، وكان من أروع تلك القصائد قصيدة للمرحوم حافظ بك ابراهيم نقتطف منها هذه الأبيات :

ما (لمسين) عوجلت فى صباها	ودعاها من الردى داعيان
وعت تلكم المحاسن منها	حين تمت آياتها آيتان
خسفت ثم اغرقت ثم بادت	قضى الأمر كله فى ثوان
وأتى أمرها فأضحت كأن لم	تك بالأمس زينة البلدان
بغت الأرض والجبال عليها	وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلى حقداً عليها فتنش	ق انشقاقا من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجماً وقذفاً	بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردأ عليها	جيش موج نائى الجناحين دانى
فهنا الموت أسود اللون جون	وهنا الموت احمر اللون قانى

جند الماء والثرى لهلاك ال خلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب عاتياً فأمدت ه بجيش من الصواعق ثان
فاستحال النجاء واستحكم اليأ س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غله من نفوس لا تباليه فى مجال الطعان

* * *

رب طفل قد ساخ فى باطن الار ض ينادى أمى ! أبى ! أدركانى
وفتاة هيفاء تشوى على الجمـ ر تعانى من حره ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى مستميتا تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه وانى
غصت الأرض اتخم البحر مما طوياه من هذه الأبدان
وشكى الحوت للنسور شكاة رددتها النسور للحيتان
أسرفا فى الجسوم نقراً ونهشاً ثم باتا من كظة يشكوان
لا رعى الله ساكن القمم الشـ م ولا حاط ساكن القيعان
قد أغارا على اكف براها بارىء الكائنات للاتقان
لهف نفسى وألف لهف عليها من أكف كانت صناع الزمان
مولعات بصيد كل جميل ناصبات حبائل الألوان
حافرات فى الصخر أو ناقشات شائدات روائع البنيان
منطقات لسان كل جماد مفحمات سواجع الأفنان
ملهمات من دقة الصنع مالا يلهم الشعر من دقيق المعانى
من تماثيل كالنجوم الدرارى يهرم الدهر وهى فى عنفوان

* * *

فسلام عليك يوم توليت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعودين كما كنت جنة الطليان
وسلام من كل حى على الأرض على كل هالك فيك فان
وسلام على الألى أكل الذئب وناشت جوارح العقبان
وسلام على امرىء جاد بالدمع وثنى بالأصفر الرنان

التطفيل والطفيليون

في الجيل الماضي

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشري

كنت قد أذعت من محطة الراديو فى شهر أغسطس من سنة ١٩٣٤ حديثاً عن التطفيل ومتقدمى الطفيليين . وأوردت فيه طائفة من ملحهم ونوادرهم ، وما قيل فيهم ، وما قالوا هم فى أنفسهم ، ومواتاة بدائهم فى لطف احتجاجهم لاقتحامهم على الناس موائدهم ، وتهافتهم على طعامهم من غير دعوة اليه ، وتعرضهم فى هذا لألوان المكروه من الشتم والسب ، والطرد والضرب . الخ . .

> ذكريات طريفة يرويها الاستاذ عبد العزيز البشرى ، عن حفلات الاعراس فى الجيل الماضى ، وما كان يدور فيها من غناء ونوادر ، ومن كان يؤمها من طفيليين نهمين

ووعدت فى غاية الحديث أن أجرد « محاضرة » للطفيليين فى الجيل الماضى . وقد عَنَيت الطفيليين المحترفين ، وهؤلاء قد انقرضوا وخلا وجه مصر منهم ، بذهاب العادة التى كانت شائعة فى هذه البلاد الى زمن قريب ، وهى اقامة الأعراس (الأفراح) وما اليها مما كان المصريون يتنافسون فيه ، ويتكاثرون به فى المناسبات المختلفة ، من نحو العودة من الحج ، وختان الولد ، وولادة البكر من البنين وغير ذلك

وكانوا يدعون بالمغنين ومشهورى قراء القرآن العظيم ، ومرتلى مولد النبى الأكرم ، صلى الله عليه وسلم . كلٌّ على قدر حاله وجهد ثروته . فمنهم من يدعون بالمرحوم عبده افندى الحمولى ، أو المرحوم الشيخ يوسف المنيلاوى ، أو يدعونهما معاً ، وهؤلاء خاصة الخاصة من طبقة (الذوات) . أما المرحوم محمد افندى عثمان ، فكان فى الغالب من نصيب أوساط الناس ، حيث لايقام على سرادقاتهم حرس ولا حجاب ، ولا شرط يدفعون الناس عن الأبواب . وبهذا كان

عثمان مغنى الشعب حقاً . وما تقوله فيه تجريه على المرحومين : محمد افندى سالم ، والشيخ محمد الشنتورى ، وابراهيم افندى القبانى ، واحمد افندى فريد ، والسيد احمد صابر . وكانت طبقة (أولاد البلد) القح ، وأعنى بهم طائفة المقدمين ، ورؤساء الصناع (المعلمين) ، ومهرتهم لا يعدلون بالسيد احمد صابر مغنياً آخر

ولقد كان لهذا الرجل فى غنائه أسلوب خاص به لا يذهب به مذهب عبده ولا عثمان ، ولا من يقلدون هذا ، ولا من يشتعبون طريق ذاك . هو أسلوب بلدى بحت ، يتفخم فيه اللفظ ، حتى تشتبه تاؤه بطائه ، وتختلط سينه بصاده . ويمتد فيه النفس ويطول الصوت ، وهو فى طريقه ما يزال يرق فى زجله وترجيعه ، ويلين فى ترديده وتسجيعه . ويتخافت حتى تحسبه هتاف الهاتف يهمس به جانب الوادى البعيد فى الليل البهيم ، ثم يجلجل ويقصف كأنه النفير أقبل ليوقظ النيام ، وينذرهم الحادث الجسام !

وكيفما كان الأمر ، فان صابراً كان أقدر المغنين على مشايعة أحاسيس هؤلاء (أولاد البلد) وتحريك الوادع المستلق من عواطفهم . وكثرتهم ، كما تعلم أو لا تعلم ، كانت من أرباب (الكيوف) !

وكانت الصحف السائرة فى البلد قليلا ، ومطالعتها تكاد تكون حبساً على الخاصة . وفوق هذا فليس الناس كلهم يعلنون فى الصحف عن أعراسهم ولا عمن يغنى مدعويهم . فكان يقوم بمهمة النشر هذه (باعة اللب) . ينتشرون من مطلع النهار فى أحياء القاهرة ، فيؤذنون فيمن يعرفونهم من هواة الغناء والتطريب : أن الشيخ يوسف الليلة فى دار فلان بمحى كذا ، ومحمد عثمان فى دار فلان بمحى كذا الخ . وسرعان ما تذيع هذه الأخبار ، فلا يدخل الأصيل الا وقد ملأت جميع الأسماع . وكان الهواة انما يطلبون هذه (الافراح) ، كل على حسب هواه وصفوه ، بعد العشاء الآخرة ، أى بعد أن ترفع موائد الطعام وينتظم مجلس الغناء . أما قبل ذلك فلا يغشى موضع الصنيع الا المدعوون والا الطفيليون

وهؤلاء الطفيليون كانوا معروفين للنقدة ، سواء من أصحاب الولائم أو من المدعوين . من لم يعرف منهم بحليته ونسبه ، عرف بسيماه ودله . أما جماعات الفراشين ، فكانوا يعرفونهم جميعا لكثرة اختلافهم الى الموائد ، وترددهم على الطعام فى الأعراس والمواسم . وكثيراً مايدلون أصحاب الدار عليهم ، ويلفتونهم الى مواضعهم

وهنا ينبغي أن أقول لك : ان (أولاد البلد) تشيع فيهم خلة الجود بالطعام ، فتراهم حيثما

كانوا يدعون اليه ، ويتبسطون عليه . يدعون اليه (ولو تجملا) ساقط الآفاق ، واللائح في عرض الطريق . وقد يلحون فى الدعوة وقد يحلفون . اذا عرفت هذا وقرنت اليه تلك الخلة التى هى مزيج من الخجل والضعف ـ أدركت أن هؤلاء الطفيليين ، أو « الطبابين » على اصطلاح « اولاد البلد » أنفسهم ، لم يكونوا يجدون مشقة فى غشيان ولائمهم ، والاقتحام على موائدهم على وجه عام . ولكن المشقة كلها عليهم ، والحرج أجمعه على أصحاب العرس ، هو فى أن يتسلل هؤلاء « الطبابون » الى الموائد الخاصة التى أعدت لجباه القوم وأعيانهم

وفاتنى أن أذكر لك أن الطعام كان يقرب على أخونة (صوانى) متعددة ، يرص حول كل واحد منها من ثمانية نفر الى اثنى عشر . وتختلف الوانهـا باختلاف درجات المدعوين . وأفخرها ما يصدر بالحمل (القوزى) أو (الديك الرومي) ، ويسلك فيه الحمام والفراريج وأطايب اللحم تطهى على أشكال . وتقدم (المسبكات) من ألوان الخضر ، ويستكثر فيه من صنوف الحلوى ، ويخص أخيراً بالفاكهة . ودون هذا ما يصدر بالضلع . وهكذا إلى أن تقتصر مطالع الموائد على الشريحة من اللحم . لا يملؤ نصيب الآكل منها الكف ولا ينتفخ به الشدق . وهذه الموائد المعدودة لعامة الناس

وهنا يشجر الخلاف بين (الطباب) ورب الدار : فهـذا (الطباب) لا ينحدر طرفه ولا يتقاصر هم بطنه عن أفخر الطعام وأدسمه وأجزله . وعليه يسيل لعابه ، وله تتفتح لهوته ، واليه تهيج شهوة بطنه ، فكيف الصبر عنه ، وكيف الرضا بما دونه ؟

أما صاحب العرس ، فانما احتفل للمائدة ما احتفل ، و بذل فى التأنق فى الطعام ما بذل ، إيثاراً لمن (شرفوه) من أصحاب الوجاهة والمنزلة فى الناس بالجاه والمنصب ، ومبالغة فى اكرامهم واستخراج الأعجاب والثناء منهم . فهو ، بالضرورة ، يكره أن يدس بينهم من لا يشاكل أقدارهم ، ولا يطاول أخطارهم . فكيف بمن خلق ثوبه ، وشاه سمتـه ، وهان موضعه ، وكيف به فوق هذا ، اذا ملكه النهم ، فاطرح التحشم ، وجعـل يقبح فى أكله ، و يتناول بكلتا راحتيه ، ويصول فى باطن الصفحة بجميع يده ، ويزدرد الطعام ازدراداً ، و يلتهمه التهاماً ، حتى لايكاد يمس فكه ، أو يصافح ضرسه ، بل إنه ليمر مر البرق على شدقه فى مهواة الى حلقه

ويثور ثائر رب الدار إذا رأى (الطباب) دسيساً على خاصة المدعوين . سواء أمعنوا فى الطعام ، أم كانوا فى انتظار الطعام . فسرعان ما ينصب عليه ، ويجذبه بضبعيه . وربما زم عنقه بكلتا يديه ، ثم جعل يجره جراً ، اذا الرجل قد أرسخ رجله على الارض ، أو لف ساقه على

رجل دكة او نضد ، وتشبثت يداه بكرسي ثقيل او بعضادة باب . و بطنه فى اثناء ذلك يرتفع مع ايدى الآكلين ويهبط ، وينقبض مع أكفهم و ينبسط . حتى اذا جهد برب الدار ، استنفر لزحزحته الأهل والخدم والفراشين ، فلا يزالون به دفعاً ولكزاً بالايدى ، وركلا بالارجل، وهو يقاوم و يجاهد ، حتى إذا خارت قوته ، وانخذل متنه ، وتقد جهده ، حملوه فألقوه فى ظاهر الباب ، او نفضوه عن ساحة العرس نفض التراب ، فلا يلبث ان يجمع شمله ، و يتسلل فى لباقة وخفة . ويرتصد للمائدة نفسها ، فاذا أصاب غرة من أهل الدار ، عاد فانصب عليها . والا عدل الى مائدة أخرى تكافئها أو تقل يسيراً عنها . وربما عاوده أولياء العرس بالطرد والضرب ، فلا يثنيه ذلك عن المعاودة وهكذا . وكأنه فى شأنه هذا يتمثل بقول الشاعر بعد أن وجه الكلام فيه على البطن بدل النفس :

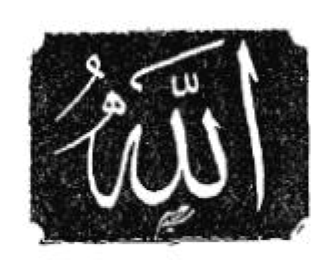
لأبلغ عذراً أو أصيب غنيمة ومبلغ « بطن » عذره منك منجح !

و « الطباب ». وقاك الله شر البطنة ، لا يقنع بالوجبة على المائدة . بل انه ما يكاد يرفع يده عن غاية الطعام ، حتى يهرول فى التماس مائدة أخرى فى العرس نفسه ، أو فى عرس غيره من حيث قدر يسر المدخل ، وغفلة الأعين ، وجودة الطعام ، حتى لقد يوالى بين ست وجبات أو سبع فى ليلة واحدة ، ما يثقله بشم ، ولا ترهقه كظة ، ولا يضيق له كظم ، كأن معدته نحتت من حجر ، أو قدت من حديد ، وحق فيها : «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» ؟

ثم انه لايكتفى بكل ما يدس فى جوفه ، ويقذف فى بطنه . بل انه لدائب جاهد ، ما أصاب الغرة وأمن الرقبة ، فى أن يدس فى جيبه كل ما تيسر من اللحوم والمحاشى والحلوى والفاكهة . وقد يراه على هذا بعض مؤاكليه فلا يتعرضون له من رحمة أو من حياء !

و بعد ، فهذا كان شأن عامة الطفيليين أو « الطبابين » في الجيل الماضى . على أنه كان لخاصتهم شأن لعله أكرم من هذا الشأن . فاذا تحريت الدقة فى التعبير ، قلت لعله أقل هوانا وأضعف امتهاناً . وفى « الطبابين » أيضاً خاصة ، كما فى سائر طبقات الناس خاصة . وخاصة الطبابين جباهم وعرفاؤهم وسراتهم . وناهيك بالنديم ، الظريف ، المحاضر ، السري ، الوجيه ، الجميل السمت ، الفاخر البزة ، المرحوم الشيخ حسن غندر . والشيخ حسن غندر حقيق بأن يؤثر وحده بمقال طويل ، فللرجل فى مفاخر التطفيل تاريخ حفيل ! !

عبد العزيز البشرى



طلبنا الى ثلاثة من علمائنا الاخصائيين فى شؤون العلم الحديث أن يبدوا رأيهم فى الذات الالهية ، فلبوا الطلب مشكورين ، واليك كلمة كل منهم

الدكتور على توفيق شوشة بك

مدير معامل وزارة الصحة العمومية

إذا كان هناك أناس أحق بمعرفة الله وبدرك عظمته والاقرار بوحدانيته وقدرته ، فهم العلماء . ذلك لأنهم أكثر خلق الله اتصالا بأسرار الطبيعة وأقربهم الى لمس غوامضها . وما الطبيعة إلا مظهر من مظاهر الله ، أو قل انها سر من أسراره يعجز البشر عن فهم كنهه

فعالم الفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) الذى يشاهد كل يوم فى معمله ضربات القلب وانتظامه وما يؤثر فيه من أعصاب ، وكيف تختلف تلك الضربات بفعل الانفعالات المتسببة عن حوادث وأشياء خارجية ـ إن هذا العالم الذى يشاهد فى القلب ما وصفنا ، ويشاهد كذلك ما هنالك من انسجام بين الأعضاء المختلفة ، لا مندوحة له عن الاعتراف بوجود تلك القوة السامية التى خلقت هذا النظام البديع في روعة واتساق وتواؤم ليس فى مقدرة أى مخلوق مهما تكن كفايته أن يبدع شيئاً منه

وعلماء الحياة الذين يشاهدون « الأميبا » ذلك الحيوان الذى لا يتركب إلا من خلية واحدة ، فيروعهم كيف يأتى بغذائه وكيف يهضمه وكيف يتخلص من فضلاته وكيف يتكاثر ـ أظن أن هؤلاء أجدر من سواهم بمعرفة أسرار الكائنات وأسرعهم إلى الاقرار بوجود الخالق جل وعلا

بلغت علوم الكيمياء درجة رفيعة من التقدم ، فاستطاع علماؤها تحليل المواد الحية الى عناصرها الأولية ، كما استطاعوا تركيب تلك العناصر الى مركبات معقدة تشبه المواد الحية فى الصورة والتكوين ، ولكنها تختلف عنها فى أهم شىء ألا وهو : الحياة . . . فهى ميتة بينما تنبض

الأخرى بالحركة وتسير بقوة الروح ... ولقد عجز العلم وسيعجز عن بث الروح فى تلك المواد التى يركبها فى المعمل ، لأن المادة الحية التى تسمى « البروتوبلازم » هى من صنع الله تفرد بإيجادها وهى دليل قدرته وعنوان عظمته

انني كلما جلست الى الميكروسكوب أو انصرفت الى التجارب فى معملى ، لم أزدد إلا خشوعاً أمام تلك القدرة الالهية ، فيزداد ايمانى بقدرة الله ، وانه هو الخلاق العظيم

الدكتور احمد زكى بك

مراقب مصلحة الكيمياء

ان صفة الله الأولى هى صفة الوحدانية ، ومنها تتأدى صفاته الأخرى ، واليها ترد . فالقوة والعظمة والجبروت وما اليها من صفات ، تلبسها الوحدانية . فمع انعدام الشريك والمثيل ينعدم الضعف وتنعدم القلة ولا يكون غير الجبروت . كذلك العدل والاحسان والمغفرة وما اليها صفات تستتبعها الوحدانية ، لان القوة والعظمة والجبروت لا يستقيم بها وحدها حال إلا اذا هى اقترنت بالعدل والاحسان والمغفرة . كذلك قل فى سائر الصفات التى يعزوها الدين ، بل الأديان جميعا ، الى الله ، هى مستمدة من صفته الأولى : الوحدانية

فهذه الصفة هى جوهر معنى الله عند ذوى الأديان السماوية ، هى نفسها أول وحي يوحيه العلم الحديث عند العلماء فى دراسات الكون على تشعب موضوعاتها واختلاف مراميها . ولو لم يكن لعالم دين ورثه عن أبيه كما يرث بعض المتاع ، ولو لم يكن لعالم فكرة عن الله لقنوه إياها ، وصورة من صور الله رسموها على صحيفة خياله فى الصغر حين هى أخلى ما تكون من الصور ، لاهتدى كل عالم لم يفسد عقله نقاش أوجدل ، أو يحفظ نفسه اضطهاد وجور ، الى فكرة الله . واهتداؤه اليها يكون بسبب هذه الصفة التى تطالعه فى مسالك العلم ـ صفة الوحدانية ، فهى لحمة هذا الوجود . تطالعه فى الجبل والوادى ، فى البر والبحر ، فى الظاهر والباطن ، فى الجامد والحى ، فى هذه الارض وفى كواكب السماء ، فى المادة وفى الطاقة ، فى أى صورة ظهرت من حرارة أو كهربائية أو صوتية أو مغناطيسية أو كيمياوية

فمن بدائه العلم اليوم ان هذه الارض وما عليها تتألف من بضع عشرات من عناصر معروفة مدروسة توزعت على أشياء الارض المختلفة ، فأخذ كل شيء مقداره منها فتمثلت الارض والأشياء على الصورة التى نراها . ثم تجرى السنن عليها بالموت وبالحياة فى تعاقب مستمر ، ومعنى هذا فى نظر العلم تغير فى توزيع تلك العناصر على أشياء الارض وأحيائها . فاذا مات رجل انحلت عناصره وانتشرت فى الارض أو فى الهواء ، ثم انك قد تجدها بعد حين بعضها فى شجرة وبعضها فى بقرة ،

وبعضها تسرب مع املاح الارض فى البحر الاعظم ليدخل فى تركيب سمكة . وما مظاهر الحياة وتغيراتها إلا مبادلة أجسام بأجسام . لا بين الحى والحى ، بل بين الحى والجامد ، وبين الجوامد كذلك . فمن وجهة المادة لا فرق بين جسم الانسان والكلب والقرد والثعبان والطائر وسائر الأحياء كبيرها وصغيرها عظيمها وحقيرها . كذلك تتركب النباتات من مثل تلك العناصر وتبادل الحيوانات إياها . ومن الجمادات تأخذ الحيوانات والنباتات عناصرها ثم تردها اليها . بضع عشرات من عناصر ليس غير هى ما يتألف منه الوجود ، كما تكون بيدك طينة تشكلها فتكون رجلا ، ثم تشكلها فتكون جملا ، ثم تشكلها فتكون تفاحة

على أن وحدانية الوجود وأشياءه أعمق من هذا ، فقد أثبت العلم أن تلك العناصر المختلفة انما تتألف من جوهر فرد واحد . خذ عدداً من هذا الجوهر الفرد وضعه فى نظام خاص ، حلقات تلبس بعضها بعضاً ، يتكون منها لديك عنصر ما . ثم خالف هذا النظام واختر غير هذا العدد يتكون لديك عنصر جديد . وهلم جرا . وإذاً فأنا وأنت والقطة التى الى جانبى والكرسى الذى أجلس عليه وهذا الورق والحبر والحائط وهؤلاء الناس وهذه الأشياء من جوهر فرد واحد . فهل للوحدانية مظهر أصدق من هذا ؟

وما يجرى على الأرض يجرى على اجرام السماء ــ عناصر واحدة وجوهر فرد واحد !

وهذا لا يجوز على الأجسام المادية وحدها ، بل يتعداه الى الطاقات . فهذا الجوهر الفرد هو الكهرب ، وهو وحدة الكهرباء ، وصلة الكهرباء الوثيقة ببقية الطاقات من حركة وحرارة ومغناطيسية وضوء صلة معروفة ، كذلك أن تحول هذه الطاقات بعضها الى بعض معروف مشهور

فالمادة والطاقة مرجعهما جميعا الى أصل واحد . على أن هذا ليس كل شىء فى صورة الوحدانية الجميلة . كأنى بالدنيا كانت فى أول الامر عماء يتركب من أعداد لا تتصور من هذا الجوهر الفرد ، ثم أخذ هذا الجوهر ينعقد أعداداً متباينة فى أشكال متباينة فتكونت العناصر ، ثم أخذت هذه العناصر تتركب فى أعداد مختلفة وعلى أشكال مختلفة فتكونت المركبات والأشياء والناس . فمن هو الذى شاء لها أن تفعل هذا ؟ من هو ، أو ما هو ، الذى وجهها تلك الوجهة ؟ وأخطر من هذا كله اذا نحن امتحنا هذا التوجيه وأسلوبه فى أى ركن من أركان هذا الوجود فهل نجد هذا التوجيه يتخالف ويتعارض ويتعاكس ، أم هو يصدر أينما صدر وكأنه يصدر عن مشيئة واحدة ؟

ان الجواب عن هذا السؤال تجده فيما يسمى بالقوانين العلمية ، وهى أعداد لا حصر لها تجد فى كل فرع من فروع العلم ، ومعناها جميعاً فى الصدد الذى نحن به ان التوجيه الذى توجهه ماد الكون وطاقته فى الظروف الواحدة يتخذ دائما أسلوبا واحداً مهما اختلف الزمان والمكان فالمشيئة التى وراء هذا التوجيه اذاً مشيئة واحدة لا تخالف ولا تعارض ولا تعاكس فيها

وتتجلى وحدة هذه المشيئة ، وتتجلى روعتها ، ويتجلى كمالها عند ما نعتبر الى أى حد تختلف

هذه القوانين ، وفى أى بعد تعمل هذه القوانين المختلفة ، ومع كل هذا فهى تعمل بالتعاون وبالتكامل وبالتساند لتخلق نظاما واحداً لا يتم الا اذا كان لها جميعاً اصبع فيه . ومثل ذلك عديدة وأ كثرها يقع عند النظر وقوع العادى المألوف الذى أضاع ما فيه من ألفة ما فيه جمال . ومع هذا أسوق مثلا أو مثلين اعتباطا . ومالنا لا نبدأ بالانسان نفسه مثلا وهو آية الطبيعة الكبرى . يبدأ خلقه من خليتين غاية فى الصغر تتحدان ثم تسوق اليهما الأم من بعض ما تتغذى فتزداد النطفة نمواً وتأخذ في الاتساع والبسطة ، وكان المعقول أن نرى نتيجة هذا الغذاء نطفة أخرى كبيرة بدل النطفة الصغيرة ، ولكنا نراها تنوعت نواحيها وتخلقت أشكالا برغم أن الغذاء واحد لا يتشكل . فأى مشيئة وراء هذا التنوع ، وما الذى أنبأها وهى تعمل فى ظلام الأرحام بأن تجرى بالخلق على هذا الاسلوب الذى لا يجرى عليه الا عالم بأن خارج الرحم عالما ذا قوانين لابد من الملاءمة بينها وبين هذا الخلق ليستقيم له العيش فيه. ان المشيئة التى تخلق داخل الرحم أسنانا بل منابت أسنان ، لابد تعلم حاجة ما بعد الولادة اليها . والمشيئة التى تخلق هذا الجهاز الهضمى بكل معده وعصاراته تتخير له تلك المعد وتلك العصارات التى هى أفعل فى هضم تلك المآكل الخاصة التى شاءت نفس هذه المشيئة أن تنبتها هذه الأرض . والمشيئة التى تشكل أذن الوليد داخل الرحم بطبلتها وعظمتها وأعصابها لابد عالمة بهواء هذا الوجود وبالأساليب التى تنتقل الأصوات فيه ، وعالمة به بدرجة تفوق ما وجده العلم من ذلك وما يطمع أن يجده منه . دع عنك خلق المخ فالمشيئة التى تدبر خلقه فى ظلام الأرحام تدرك من العلم والفن ما لا يدرك . وقصارى القول أن هذه المشيئة مشيئة عاقلة ما وسع العقل ، عالمة ما اتسع العلم ، فنانة بما لا يعرف فى فن . وهى فوق ذلك مشيئة واحدة تعمل فى كبير الأمور وحقيرها . ألست ترى معى أن المشيئة التى صممت رسم العين للانسان ، بل عين كل حيوان ، هى نفسها المشيئة التى أرادت أن تظل هذه الشمس الجبارة مشتعلة ترسل الينا بنورها ؟ والا فما معنى عدسة العين اذا لم تكن هناك أشعة من نور ؟ وما معنى شبكية العين اذا لم تكن لتلقى الصور ؟

وبعد فتسألوننى ما صورة الله ؟ تلك هى صورته : تلك المشيئة الهائلة العاملة التى لا تنام ولا تغفل ، تلك الارادة الواحدة التى تنتظم العالم جميعاً ما عرفنا منه وما لم نعرف ، تلك البصيرة النافذة فى كل شىء ، الشاملة لكل شىء ، التى هى ملء الأرض والسموات والتى أنا وأنت من بعضها ، تلك الوحدانية الشائعة الجبارة الغامضة هي الصورة التى شاء الله أن نراها منه

الدكتور محمد ولى

الأستاذ بكلية العلوم

بلغ التراث العلمى مبلغاً لم يكن يحلم به الاقدمون ، ووصل البحث والاستقراء الى حد بعيد تحتم

معه تجزىء كل علم من علوم القدماء الى عدد من العلوم التى أصبح مجال كل منها شاسعاً ومتشعباً ، وربما تجزأت هذه العلوم الجديدة بدورها فى زمن قريب . وكل هذا الاتساع فى المباحث العلمية الكونية ناتج من أننا اذا توصلنا الى فتح باب من أبواب مجاهل الكون وعرفنا ما وراءه ظهرت لنا أبواب كثيرة غامضة وراءها مجاهل وأسرار أخرى ، وهكذا تشعبت المباحث

وبرغم كل هذا المجهود العنيف ، فان المجاهل تزيد فى العدد وفى القوة كلما تقدم الاستقراء وتعمق البحث . ولا يلبث الانسان أن يتيقن أنه محاط بمحيط من المجهولات ، وان ما يعلمه وما يمكن أن يعلمه إن هو الا نقطة منها أو أقل . وأن كل النظريات العظيمة التى شيدها العلماء الاعلام ، والتى ذاعت وراجت فى زمانها ،لم تلبث أن تهدمت أمام خفايا هذا الكون ، وان ضوء المعلومات وتقدم العلوم أصبحا عاجزين عن تبديد هذه الظلمات الكثيفة التى تحيط بالانسان والتى تجعله حيران أشد الحيرة فى هذا الليل الحالك

هنالك يشعر الباحث الأمين الذى لم يتحيز الى أى مذهب فلسفى،والذى جرد نفسه من المؤثرات التى انكبت عليه أن هنالك سلطة وأن هنالك قدرة فوق كل هذه المحاولات وتنزهت عن كل هذه الصفات التى تعودها فى أثناء بحثه واستقرائه

فاذا كان العلم له قيمة عملية حسية لاشك فيها ، إلا أنه اذا أراد أن يفسر كنه الاشياء وان يظهر سرها النهائى فلا شك انه ينحدر نحو مأزق حرج لا يبعد كثيراً عن الفشل

فاذا شعر الانسان بعميق وجدانه أن هناك قدرة تحوى فى باطنها أسرار الكون الاخيرة ، فهو يشعر بها وهو فى حيرة ليس بعدها حيرة ، وفى اضطراب وجدانى كبير ، فيرتمى فى أحضان هذه القدرة القاهرة ليستجلب منها سلاما ولطفا أمام انفعاله النفسى الحاد

فاذا القى صاحبنا بنفسه فى احضان هذه القدرة كان كالطفل المذعور الوجل اذا ألقى بنفسه فى حضن أمه لتخلصه من مخاوفه

فالله هو هذه القدرة القاهرة وهذه القوة الباهرة التى تجردت عن الماديات وتنزهت عن كل ما هو مألوف للحواس

ولا يمكن للانسان أن يصل اليه بعقله المفكر أو بادراكه العلمى مهما بلغ فى الحدة والمران وانما يصل اليه ويشعر بأنه لا شك فيه بوجدانه الصافى

ويجب أن يشعر هنا بأن النفس الانسانية بها قوتان كبيرتان : القوة المفكرة ، والقوة الوجدانية ؛ وانهما مستقلتان عن بعضهما فى ذاتهما ، وأن الأولى هى التى أنتجت العلوم بأنواعها ، فمجالها عالم المشاهدة الحسية . وأما الوجدان فله مجال آخر فى المسائل التى ليس بينها وبين التجارب الحسية أى اتصال

كيف أصبحت انجلترا سيدة البحار

عاصفة بحرية تغير مجرى التاريخ

بقلم الاستاذ نظمى خليل

دوت نواقيس الكنيسة فى جميع أنحاء لشبونة ، وارتفعت أدعية المصلين فى حماسة وإيمان ، يضرعون الى الله أن يعينهم فى تلك الساعة الرهيبة التى طالما انتظروها ليقضوا على أولئك الملحدين من الانجليز البروتستانت الذين عصوا البابا وخرجوا على كنيسة رومة . ثم فاضت شوارع المدينة بجموع المتطوعين من سائر أنحاء العالم الكاثوليكي جاءوا ينالون نصيبهم من الفخار إذا هم قضوا على أعداء الدين . ولم يتخلف عنهم سوى كاثوليك البرتغال الذين وقفوا يشاهدون الحوادث تجرى أمامهم غير آبهين لها ، فان الجرح العميق الذى أصابتهم به اسبانيا حين استعمرت بلادهم لم يكن قد اندمل بعد ، فلم يستطع الدين أن يوحد بين قلوبهم المتنافرة وينسيهم مذلة الهزيمة والاندحار

وأعطيت قيادة الاسطول الى رجل خامل الاسم هو « دون الونزو » أخرج عنوة من بيته حيث كان فى شغل بحداءته كله عن هذه الحرب واحداثها الخطيرة . ولم يكن تقليده قيادة الاسطول لكفاءة نادرة فيه ، بل لثقة عمياء وضعها فيليب فى هذا الرجل الذى لم ينس له الشعب أنه كان يدخن غليونه فى أثناء حادثة « قادس » ، بينما الانجليز يصلون المدينة ناراً وعذاباً ويحرقون سفنها ويقتلون أبناءها . ولكن الملك رفض أن يستمع الى صياح الناس ، وأبى أن يقتنع بخيانة الدوق ، فولاه قيادة اسطوله العظيم مرة أخرى ليدافع عن البلاد كلها بعد أن عجز عن حماية ميناء صغير

كانت عمارة «الأرمادا» أعظم قوة بحرية عرفتها أوربا فى ذلك الحين ، تبعث الرعب فى قلوب سائر الأمم ، إذ كانت مكونة من ١٣٢ سفينة حربية حمولتها ٥٩١٩٠ طناً وبها ٢١٦٢١ جنديا و٨٠٦٦ بحاراً ، أضف الى هذا سفن الأمراء والأشراف الذين تطوعوا فى تلك الحرب مصطحبين معهم خدمهم وأتباعهم وراحوا يخوضون المعركة ، وكأنها حرب صليبية جديدة يريدون أن يقضوا فيها على أعداء الدين وخصوم الكنيسة المارقين . وقد انبث فيهم عدد عظيم من القسس والرهبان ليذكوا نار الحماس فى قلوبهم ، ويحثوهم على أداء أنبل الواجبات ، حاملين بأيديهم صورة المسيح مكتوبا عليها : « فلتقم أيها الرب ولتثأر من أعدائك . لقد عزم فيليب ملك قشتالة وأرجون والصقليتين وبيت المقدس والبرتغال ونافار وفلنسية وقورسيقا وجزر المحيط ودوق النمسا وبرغندية وميلان

وسيد هبسبرج . . . عزم أن يطهر المحيط من فئة القرصان التابعين لملكة انجلترا »

كان فيليب قد انتصر قبل هذا انتصاراً باهراً على الأتراك فى موقعة (ليبانتو) فازدهاه هـذا النصر الذى كانت تتحدث به أوربا فى تفاخر ومباهاة ، والذى بسط سيادة فيليب على سائر دول أوربا ماعدا دولة واحدة أبت الا أن تجعل هـذا المتجبر المغرور مثاراً للضحك والسخرية فى مسارحها وملاهيها . هذه الدولة هى انجلترا التى لم يكن لها فى ذلك الوقت الا بقاع ضيقة أسسها (رالى) و(جلبرت) فى أمريكا الشمالية

فاضت شوارع لشبونة وميادينها إذن بسيول المتطوعين استعداداً لوداع الأسطول . ثم جاء نائب الملك تقله عربة فاخرة وعن يمينه الدوق القائد وتتبعها مركبات كبار الاشراف الذين ارتدوا أبهى ملابسهم كأنهم ذاهبون الى حفلة راقصة ، لا إلى حرب مهلكة يتوقف عليها مصير أمة بأسرها . ثم ساروا جميعاً إلى الكنيسة حيث أعدت المراسيم الدينية فنهض نائب الملك وأمسك بيد الدوق وسار به الى المذبح حيث وضع على رأسه شارة الصليب بينما هتافات الشعب تتجاوب فى أنحاء المدينة، والسفن الراسية فى الميناء تطلق بنادقها تحية واجلالا

***

كانت أوربا إذ ذاك قد بدأت تفيق من سباتها العميق الذى غرقت فيه طوال العصور الوسطى، وأخذت الافكار الجديدة ترسل ضوءها إلى العقول والقلوب ، وأخذ الناس ينظرون الى العرف والتعاليم التى عاشت خمسة عشر قرناً نظرتهم الى عبء مرهق ثقيل ، وراحوا يتنكرون شيئاً فشيئاً لسلطان البابا الدنيوى وقدرته على تجريد الملوك من عروشهم . فلم يأت القرن الخامس عشر حتى كانت أوربا مسرحاً للفتن والثورات ومجالا للصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية ، فأتباع هذه لا يرضون بأن يخضعوا لسلطان حكام يدينون بتلك ، وهؤلاء يرون سيف الارهاق مصلتاً على رقابهم ، ويد محاكم التفتيش آخذة بأعناقهم ، فلم يكن بد من أن تستحيل هذه العداوة المتأصلة فى النفوس صراعاً دموياً هائلا يهدد شعوب أوربا بأسرها بالموت والدمار

وكانت « اليزابث » ملكة انجلترا لا تفتأ تساعد أمير « أورنج » وأتباع « كلفن » فى هولندا وفرنسا واسكتلندا ، ولا تنفك تحرض القرصان الأنجليز على نهب السفن الاسبانية ، فلم يتردد فيليب قط فى عقاب من تقع عليه يده من هؤلاء القرصان بالحرق كما يحرق اللاحدة الكافرون . وأخيراً اضطر « فيليب » الذى كان يظن فى نفسه ، كما كان الناس يظنون فيه ، أنه فارس الميدان وحامى حمى الدين ، أن يعلن الحرب على البروتستانتية ممثلة فى انجلترا . وبذلك وقفت أوربا بأسرها تنظر الى الحرب التى لا بد أن تضع حداً حاسماً بين القديم والجديد ، وتترقب فى خوف وقلق مصيرها المجهول وراء تلك الحرب الضروس الهائلة ، وان كان الكل قد قالوا : « أنى لتلك الملكة الشابة بجزيرتها الصغيرة ومواردها الفقيرة أن تقف فى وجه فيليب القوى الجبار ؟ ! »

وجاءت ساعة الرحيل فقرعت الأجراس ودوى صوت القائد فى صفوف الجند بهذه الكلمات :
« إن كل فرد فيكم ليعرف الغرض الحقيقى من هـذه الحملة ، وهو ارجاع تلك البلاد الخارجة على الكنيسة إلى مبادىء الدين القويم . وعلى هذا فاتركوا العداوة والشحناء حتى تفرغوا لها ، فان عليكم واجباً من فرط فى ادائه استحق غضب الله والوطن »

ثم خرج الأسطول العظيم يتهادى فى عرض المحيط كأنه قطع من الجبال ، ليريح العالم من شر ذلك الكفر الذى أخذت انجلترا ترمى بذوره فوق أرض أوربا . ولم يكن فى الأسطول واحد يجهل مهمته وواجبه سوى رجل واحد هو القائد العام للاسطول ..!!

وترامى الى انجلترا نبأ قدوم «الأرمادا» وما عليها من جند وعدة وذخيرة ، فأسرعت الملكة الى الاشراف والرؤساء تدعوهم إلى حشد الرجال والتأهب لصد العدو المغير ، ذياداً عن بلادهم وأراضيهم ، وأزواجهم وأطفالهم ، وأرواحهم وحريتهم ، وتهيب بهم أن يعتبروا بهذه العبرة البالغة التى تضربها لهم البرتغال التى وقعت فى قبضة اسبانيا فذاقت العذاب والنكال . واستجاب الشعب كله لنداء الملكة ، فقام قومته يجابه تهديد فيليب وحماسه وتفاخره وقوته الغشوم ، وتصدرت الملكة شعبها فامتطت جواداً وسارت بين صفوف الجند تثير فيهم الحماس والاقدام بهذه الكلمة البارعة الصادقة :
« شعبي المحبوب : لقد أنبأنى بعض من يسهر على سلامة البـلاد أن أحذر الخيانة فى تلك الجموع المسلحة التى أراها أمامى ، ولكنى أؤكد لهم أنى لا أريد أن أحيا اذا كنت أرتاب فى اخلاص رعاياى المحبوبين . ان الظلمة وحدهم هم الذين يخافون ، أما أنا فقد تعودت أن استودع نفسى قلوب رعاياى . ولهذا أتيت اليكم كما ترون لا لرياضة أو فرجة ، بل عازمة على أن أخوض معكم غمار المعركة . فاما أن أعيش معكم واما أن أموت بينكم ، وفى سبيل الهى ، وبلادى ، وشعبي أهب دمى . إنى أعرف أنى امرأة ضعيفة الجسم ، ولكنى أوتيت قلب ملك ـ ملك انجلترا ! ـ وانى لأعتقد أنه من الحماقة أن يتجاسر ملك اسبانيا على غزو بلادى التى سأدافع عنها بنفسى . سأكون فى طليعة صفوفكم ، وسأعرف لمن يضحى كيف يكون الثواب . ثقوا بأننا سننتصر على أولئك الاعداء ـ أعداء الهى وبلادى وشعبى »

***

أبت الطبيعة الا أن تناوىء الاسبان ، فلم يكد يتحرك الأسطول حتى هبت ريح صرصر عاتية ، فانزوى فى خليج « تاجو » ومكث فيه أربعة أشهر ركد فيها الماء وفسد الطعام . ولم ينقذه الا ريح الشمال التى أخرجته من الخليج فأخرجت ، من قلوب رجاله شيئاً من اليأس والقنوط . ولكنه لم يكد يصل الى بحر المانش ، حتى وجد القائد أن معظم ما معه من الطعام قد فسد ، وانتابت الجند شتى الأمراض ، ولكن العاصفة ما لبثت أن فصلت بين قطع الأسطول فألقت بسفينة القائد فى ميناء «كاليه» ثم فتكت ببعض السفن الأخرى فهشمت صواريها وأنهكت رجالها ، فلم يصلوا الى الشاطىء

حتى استلقوا على الرمال بين الموت والحياة . فأرسل القائد الى الملك الرسالة التالية :

«مع أننا فى شهر يوليه الا أن الجو موحش قارس . ولقد صارحت جلالتك بأنى لا أصلح لهذه القيادة ، ولم أقبلها الا اطاعة لارادتك ، ولكن هأنذا اليوم قد تشتت ثلث أسطولى وضل ، وخارت قوى رجالى ولما نقابل العدو بعد . إن الحالة تنذرنا وتهددنا ، بعد أن نفدت معظم مؤننا ، ولا تزال الامراض تتفشى بين الجنود ، فاشتد البلاء ودب اليأس فى قلوب رجالنا ، وأهمل الضباط واجبهم ، وإذاً فلا تظن أننا على أهبة هذه الحرب الخطيرة بل تذكر مقدار ما كبدنا فتح البرتغال بالرغم من أن نصف سكانهـا كان بجانبنا . أما الآن فاننا نحارب عدوا قويا . إنى أصارحك القول لأوضح لك جلية الأمر وعليك أنت تقدير المصير »

ولكن السفن الضالة ما لبثت أن عادت فعادت الى الدوق شجاعته ودبت فى الاسطول الحياة . فأبل المرضى ، وتوالت الامدادات ، ثم نظفت مخازن المياه وملئت بالماء الجيد ، واستأنف الاسطول سيره يحدوه شىء من العزم والأمل

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٥٨٨ ظهرت « الارمادا» أمام بليموث وكان اذ ذاك البحر هادئاً راكداً ، فأسرع هوارد وانحاز الى دريك ووقفا بسفنهما خلف الارمادا وأخذا يرميانها من بعيد . ولم يكن للاسبان عهد بهذا النوع من أنواع القتال ، بل كانوا يرون فيه نقصاً للرجولة وعملا لا يليق بشرف الرجال ، ثم هبت العاصفة ، وهاج البحر ، وأقبل الليل ، ولم يكف الانجليز عن القتال حتى تمكنوا من شطر «الارمادا» وأسر أحد قوادها الكبار « دون بدرو » ، وسرعان ما أبرقت السماء ودوى الجو بذلك الانفجار الهائل الذى قضى على أكبر سفن الأسطول ، وأودى بحياة مائتى رجل . ثم سكن البحر وهدأت العاصفة ، ولكن الانجليز لم يهدءوا بل أخذوا يتسللون فى ضوء القمر مدفوعين بقوة التيار الى السفن الباقية يفتكون برجالها ويأتون على ما فيها من الذخائر والمؤن . وهنا هب قائد الارمادا يريد أن يدافع ويقاوم ، ولكن الريح كانت رخاء فى تلك الساعة ، فلم يقو على دفع السفن الى الامام ، فاستسلم القائد للقدر تاركا أسطوله تحت رحمة الريح والبحر . فلما طلع الفجر كان نصف الارمادا قد غاب فى جوف المحيط

وهكذا قدر لتلك العمارة البحرية الهائلة ، التى ظنت أنها ستسحق انجلترا ، وتقضى على البروتستانت ، ألا تبقى منها الا فلول محطمة آوت الى شواطىء إرلندا ، ثم انسلت بعد هدوء العواصف إلى بلادها يائسة فاشلة ، فلم تصل الشاطىء حتى كانت الجماهير تهتف بسقوط ذلك القائد الضعيف . . ولكن الرجل لم يعبأ بهتافهم فقد كان عذره أنه لم يقبل العمل الا كارهاً مغلوباً على أمره . . !

ومن ذلك الحين بدأت انجلترا تحمل لواء السيادة فى البحار

نظمى خليل

مع المتنبّى

للدكتور طه حسين بك

نقده وتحليله
بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الشاعر الذى لا نعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف

لان كلام الشاعر هو الصلة الكبرى بيننا وبينه ، فان لم يكن هـذا الكلام معبراً عن نفسه واصفاً لها ممثلا لشعورها فليس هو بطائل ، وان كان معبراً عن النفس مستجمعاً لصفاتها وأطوارها فهو حسبنا من معرفة بالشاعر وترجمة لحياته ، لا يزيد عليها التاريخ إلا ما هو من قبيل التفصيل والتفسير ، أو من قبيل الحشو والفضول

لهذا نعتقد أن صديقنا الدكتور طه حسين قد اعتمد على خير معتمد حين شرع فى الكتابة عن المتنبي وليس معه غير ديوانه ، فاننا إذا عرفنا المتنبي كما هو ماثل أمامنا فى قصائده وأقواله لم يبق وراء ذلك من حقيقة الرجل إلا مايتشابه بينه وبين سائر الناس . وقد يجوز أن يقيم أناس فى حلب كما أقام فيها أبو الطيب ، وأن يرحلوا إلى مصر كما رحل اليها ، وأن تتوارى أنسابهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم كما توارى كل ذلك فى ترجمة حياته ، ولكن الذى لا يجوز أن يتشابه فيه صاحبنا وغيره من الناس قديماً وحديثاً هو هذا الديوان أو هو أجزاء هذا الديوان متفرقات أو مجتمعات

قال الدكتور فى ختام الكتاب : « وأكثر من هذا انى أخذت أرى رأيا ما أظن إلا أن كثيراً من الناس سيضيقون به ولعلهم أن ينكروه على ، وقد ضقت به أنا وأنكرته على نفسى . ولكنى لم أزدد إلا امعاناً فيه واطمئناناً اليه وتعجبا من أنى قد انتظرت هذه السن وهذا الطور من أطوار الحياة قبل أن أفطن له أو أطيل التفكير فيه ، وهو أن شعر المتنبي لا يصور المتنبي ، وأن شعر الشعراء لا يصور الشعراء تصويراً كاملا صادقا يمكننا من أن نأخذهم منه أخذاً مهما نبحث ومهما نجد فى التحقيق . وما أريد أن أطيل الاستدلال على ذلك ، ولا أن أسلك إلى هذا الاستدلال هذه الطرق الملتوية التى يسلكها الفلاسفة والعلماء والأدباء أيضا ، وانما أريد أن ألفتك إلى شىء يسير وهو أن ديوان المتنبى ان صور شيئاً فانما يصور لحظات من حياة المتنبى ، كما أن هذا الكتاب الذى بين يديك ان صور شيئاً فانما يصور لحظات من حياتى أنا لا أكثر ولا أقل »

وهذا كله صحيح !

ولكنه ينتهي إلى نتيجة غير التي انتهى اليها الدكتور

ديوان المتنبي وديوان من شئنا من الشعراء لا يصور إلا لحظات من حياتهم . نعم ! ولكنها اللحظات التي تعنينا واللحظات التي نعرفهم بها واللحظات التي لا شأن لنا بغيرها

كذلك وجه الانسان لا يمثل لنا إلا جزءاً يسيراً منه لا يبلغ نصف معشاره ، ولكنه هو الجزء الذي نعرفه به بين عشرات الملايين ممن عاشوا أو يعيشون على هذه الغبراء ، ولحظات الحياة التي يمثلها شعر الشاعر انما هي اللحظات التي تعرفنا به أكمل تعريف مستطاع ، فان هي لم تفلح في تعريفنا به فليس شيء غيرها بمفلح على الاطلاق ، ولا سبيل إلى شيء وراء ذلك يعرفه الانسان عن الانسان

وعلى هذا يحق للدكتور أن يطمئن إلى رأيه فلا يضيق به ولا يخشى أن يضيق به الناس ، فنحن لا نبغي من المتنبي ولا من غيره الا هذه اللحظات المعدودات . ولو أننا عرفنا لحظات حياته منذ استهل مولوداً الى أن لفظ النفس الأخير مقضيا عليه ، لما زادتنا كثيراً عن هذا الجزء المحدود الذي حصره لنا الديوان ، ولوجدنا بعد ان جمعنا ملايين الملايين من اللحظات اننا لم نعرف بها المتنبي كما نريد أن نعرفه ، بل عرفنا تارة حيوانا يهضم الطعام كما يهضمه سائر الحيوان ، وتارة أخرى عروقا تنبض كما تنبض سائر العروق ، وتارة غير هذه وتلك رئتين تتنفسان كما تتنفس سائر الرئات ، وقس على ذلك جميع التارات وجميع اللحظات — أما المتنبي الذي نبغيه فيظل هو المتنبي المعروف في ديوانه بلا زيادة ولا نقصان ، أو بزيادة عرضية ونقصان ليس بذي بال

نعم ان الشاعر قد يغالط في بعض كلامه بل قد يغالط في جميع كلامه . ولكن هذه المغالطة تكشفه ولا تخفيه ، وتعين على معرفته أضعاف ما تعين على جهله : تكشفه على الأقل انسانا مغالطاً وتكشف لنا بعد ذلك طريقته في المغالطة ، وتكشف لنا في أثناء ذلك مبلغ الفرق بينه وبين غيره في قدرة المغالطة وفي حيلها وأساليبها وأغراضها ، وتبدي لنا منه صورة يتميز بها بين الصور جهد ما يستطاع التميز

فصحيح إذن أن شعر المتنبي ان صور شيئاً فانما يصور لحظات من حياته ، ولكن صحيح كذلك إنه إذا صور لنا هذه اللحظات فقد صور لنا كل ما نبغيه وأوفى ما يبلغه التصوير

ويقول الدكتور طه في صدر الكتاب : « لا أريد ان أدرس المتنبي اذن ، فالذين يقرءون هذه الفصول لا ينبغي أن يقرءوها على انها علم ولا على انها نقد ، ولا ينبغي ان ينتظروا منها ما ينتظرون من كتب العلم والنقد ، وانما هي خواطر مرسلة تثيرها في نفسي قراءة المتنبي في قرية من قرى الألب في فرنسا : قراءة المتنبي في غير نظام ولا مواظبة وعلى غير نسق منسجم . انما هي قراءة متقطعة متفرقة ... »

والذي أعتقده أن الدكتور لو تعمد «العلم والنقد» واصطحب المطولات والحواشي والتعليقات

لما أضاف الى دراسة المتنبي شيئا هو خير من هذه الخواطر المتفرقة والفروض المحتملة ، وأرى أنه قد رجع الى بعض الكتب المفصلة بعد أن شرع فى كتابه على نية غير نية الدراسة العلمية والنقد المحص الدقيق ، ولكنه أحسن بفروضه أكثر من احسانه بمنقولاته ومروياته ، وألمع فى هذه الفروض الى آراء شتى خليقة بالتأمل والمتابعة الى أقصى وجوهها ، ولاسيما كلامه فى صلة المتنبي بالقرامطة، وحقيقة الدعوة الدينية والاجتماعية التى كان يدعو اليها . فهذه وأمثالها فروض لم يرسلها الدكتور على انها وقائع ، ولا على انها ترجيحات لم يعطها من القيمة فى معرض الدرس أكثر مما تعطاه الخواطر المحتملة ، إلا أنها مع هذا خواطر هادية وليست بالخواطر الضالة ، أو هى ظنون فى الطريق المؤدى الى الغاية وليست ظنونا فى الطريق المنقطع عن تلك الغاية ، وهذه هى الاضافة المشكورة الى ذخيرة الفهم والأدب والتفكير ، وهى بهذه المثابة أنفس من احصاء المعلومات واستعراض الآراء من هنا وهناك

***

ويطول بى القول ان أنا سردت فى هذا المقال ما نتفق فيه بعض الاتفاق او كل الاتفاق ، فقصاراى إذن ان ألم بمواضع الخلاف وهى غير قليلة فى الكتاب ، وأكتفى بالاشارة الى نماذج منها معظمها فى الحكم على صناعة المتنبي أو فى الحكم على ذوقه وطبعه ، فهى من ثم بمعزل عن جانب الفرض والتاريخ

روى الدكتور هذين البيتين من شعر المتنبي فى صباه :

بأبى من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

فافترقنا حولا فلما التقينا ... كان تسليمه على وداعا

ثم قال: « أعجب الفتى بهذا المعنى فأراد أن ينظمه وأن يصل اليه فتكلف لذلك بيتا ونصف بيت . وأنت ترى مظهر التكلف فى قوله : «بأبى من وددته فافترقنا» ... فكلمة وددته هنا نابية قلقة مكرهة على الاستقرار فى مكانها الذى هى فيه. أراد الصبى أن يقول أحببته فلم يستقم له الوزن، فالتمس كلمة تؤدى له هذا المعنى وتلائم هذا الوزن فلم يجد إلا وددته هذه ... »

والخلاف بيننا وبين الدكتور فى طريقة النقد هنا جد بعيد ، فنحن نرى من جهة أن أبا الطيب لو أراد أن يقول: « أحببته » بدلا من «وددته » لاستقام له الوزن مع بعض التجوز الكثير فى الشعر المقبول فى العروض ، ونرى من جهة ثانية ان أبا الطيب كان مستطيعا أن يستخدم هنا « حببته » الثلاثية بدلا من أحببته الرباعية كما استخدمها في قوله وهو شاعر كبير :

حببتك قلبى قبل حبك من نأى ... وقد كان غدارا فكن أنت وافيا

فلا ضرورة فى الوزن ولا استكراه . وفضلا عن هذا لا نظن كثيرين يحسبون مع الدكتور أن « وددته » فى موضعها من البيتين لا تعبر عن معناها الصحيح التى لا تعبر عنه كلمة غيرها .

فالمودة هي الكلمة العربية التي تقابل كلمة «Tendresse» في الفرنسية ، وتطابق معناها تمام المطابقة ، وهو ذلك الحب الرفيق الذي فيه حنو وشوق وليس فيه عنف ولا اعتلاج . وليست في اللغة العربية كلمة هي أصلح لهذا المعنى من « وددته » التي اختارها الشاعر ، وليجرب الدكتور أن يغيرها في كلام منثور فسيعلم أن هذه الكلمة في نظم المتنبي الصبي هي أشبه الكلام بنظم المتنبي الكبير

ومن المحقق أن « المودة » ومشتقاتها ليست من الكلمات التي يلجأ اليها شاعرنا اضطراراً أو لعجز في الوزن والصياغة ، فهي مألوفة في قصائده العديدة وتكاد تكون لازمة له في التعبير عن الحب بشتى معانيه ، ونذكر أمثلة على ذلك منها قوله :

ما الخل الا من أود بقلبه وأرى بطرف لا يرى بسوائه

وقوله : وكل وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادي للحسين ضعيف

وقوله : وان بليت بود مثل ودكم فانني بفراق مثله قمن

وقوله : ولما صار ود الناس خبا جزيت على ابتسام بابتسام

وقوله : اذا لم تجزهم دار قوم مودة اجاز القنا ، والخوف خير من الود

وقوله : ولقد منحت أبا الحسين مودة جودي بها لعدوه تبذير

وقوله : مالي لا أمدح الحسين ولا أبذل مثل الود الذي بذله

وقوله : ولا تطمعن من حاسد في مودة وان كنت تبديها له وتنيل

وقوله : منع الود والرعاية والسؤ دد ان تبلغا الى الاحقاد

وقوله : أود من الايام مالا توده واشكو اليها بيننا وهي جنده

وقوله : هو الوفي ولكني ذكرت له مودة فهو يبلوها ويمتحن

وقوله : سقاني الخمر قولك لي بحق وود لم تشبه لي بمذق

وقوله : اقصر فلست بزائدي ودا بلغ المدى وتجاوز الحدا

وقوله : صار ما أوضع المخبون فيه من عتاب زيادة في الوداد

وقوله : فما تركوا الامارة لاختيار ولا انتحلوا ودادك من وداد

ومثل هذا التكرير لهذه الكلمة جدير بالتسجيل لأنه ذو دلالة نفسية فوق دلالته الصناعية أو اللغوية ، لأنه يدل على افتقار الشاعر طول حياته الى الود والاوداء حتى قنع بالتزييف والطلاء كما قال :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

تمنيتها لما تمنيت أن ترى صديقا فأعيى ، أو عدواً مداجيا

وهي ظاهرة لا نظير لها في عامة الشعراء

وعاب الدكتور هذه الشطرة : « أبلى الهوى أسفاً يوم النوى بدنى » فقال : « إن أسفا هنا كلمة لم تأت الا لتقيم الوزن ، ونبوها عن موضعها أظهر من أن يدل عليه »

وعندنا أن الطريقة المثلى لتحقيق الكلام الذى تجىء به ضرورة الوزن أن نحذف الكلمة وننثر البيت وننظر بعد ذلك الى قوة المعنى وقوة الأثر . فان بقيت للمعنى قوته وبقى له أثره فالكلمة المحذوفة حشو لا موجب له غير اقامة العروض . فهل « أسفاً » فى الشطرة التى عابها الدكتور من الكلمات التى يصدق عليها هذا القياس ؟؟ لا نظن . بل هى كلمة تتعلق بها كل قوة البيت كما تتعلق بها نغمته الموسيقية ودلالته فى الشعور بسبب البلى يوم النوى وهو الأسف والحسرة

وأنكر الدكتور على المتنبى قوله :

حاشى لمثلك أن تكون بخيلة ولمثل وجهك أن يكون عبوسا
ولمثل وصلك أن يكون ممنعا ولمثل نيلك أن يكون خسيسا

فقال : « ولست أدرى بأى امرأة أراد المتنبى أن يشبب فى هذين البيتين ؟ وما أرى الا أنه كان يشبب بمن لا يحسن التشبيب بها من النساء . فالمرأة التى ترتفع عن البخل ويرتفع وصلها عن التمنع ليست خليقة بالشعر الا حين يقصد إلى هجائها »

وأنا لا أبرىء المتنبى من « قلة الذوق » فى كثير من شعره ، ولكننى لا أحسب هذين البيتين بين الشواهد على قلة ذوقه ، لأنه قد بين فيها أن نيل صاحبته غير خسيس ، فهو إذن ليس بالنيل المبذول لجميع الناس ، ومتى كان كذلك وكان نيلا موقوفا على صاحبها فأى ضير على هذا الصاحب أن يلومها على البخل ويطمع منها فى المزيد ؟

والدكتور يعتقد أن المتنبى دخل فى طور جديد من نظمه بقصيدته التى أولها :

أزائر يا خيال أم عائد أم عند مولاك أننى راقد

لأنه كما قال : « يصرع فى القصيدة الواحدة مرة أو مرتين . أما فى هذه القصيدة فهو يصطنع التصريع مرات »

ولو رجع الدكتور الى البائية التى مطلعها :

بأبى الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

لوجد فيها غير المطلع خمسة أبيات مصرعة ، وهى مما نظم فى عهد الشباب

والدكتور يرى أن المتنبى كان يشير إلى اعتقال كافور اياه فى مصر حين قال يمدح أبا شجاع :

وان تكن محكمات الشكل تمنعنى ظهور جرى فلى فيهن تصهال

فهو كما قال الدكتور : « لم يستطع أن يخفى تأذيه بهذا السجن الذى يمسكه فى الفسطاط » وهذا هو « الشكل المحكم » الذى عناه فى البيت المتقدم

وعندنا أن التفسير الشائع لذلك البيت أصح وأدل على ما عناه الشاعر ، وهو أنه لم يستطع من

جزاء أبي شجاع الا أن يمدحه بالكلام ، اذ لم يكن لديه جزاء المال والحطام ، وكأنه فى هذه الحالة جواد مقيد لا يملك غير الصهيل . ولو أنه يقصد حبس كافور إياه لكان معنى البيت أنه يصهل ويمدح أبا شجاع لانه لم يستطع الجرى من سجن كافور !! وليس المدح بمستقيم على هذا المعنى

* * *

أما أخلاق الشاعر فموضع الخلاف عليها بينى وبين الدكتور أننى أقرب الى جانب العذر ، وأن الدكتور أقرب الى جانب الملام ، فهو لم يتهم الرجل بخلق ليس فيه ، ولكنه لم يطلب له العذر حيث تتضح معاذيره ، ولم يزل يشتد فى تفنيده ويجتهد فى اتهامه حيث يكون الاضطرار أغلب على الرجل من الاختيار

وما من شك فى تهور المتنبى وطمعه فهما خليقتان من خلائقه المشهورة ، بيد أن الشك كل الشك فى استحقاقه اللوم لأنه ترك سيف الدولة ورحل الى كافور ، وما أنصفه الدكتور ولا استوضح عذره حين قال : « ان الذين يقرءون شعر المتنبى وهذه الحكم البالغة والأمثال السائرة التى يرسلها إرسالا ويكيلها كيلا يخدعون عن الشاعر فيظنون به الفطنة والحكمة والذكاء . ولكن الذين يتدبرون سيرته ، ويقرءون فخره ومدحه وهجاءه يعرفون طبيعة الشاعر ويردونه الى مكانه الحقيقى من خصال الرجل الذكى اللبق . . والا فكيف نفهم أن ينفق المتنبى تسعة أعوام يمدح فيها الأمير الحمدانى ويعيب فيها خصومه من أهل مصر والعراق ، ثم يظن بعد ذلك ان المصريين يعدونه صادقين ويبذلون له الآمال والأمانى وهم يأخذون أنفسهم بالوفاء له والاطمئنان اليه . مهما يكن من شىء فقد انخدع المتنبى لكافور وأقبل مستسلماً له متهالكا عليه واثقا به »

ولو شاء الدكتور لما حار فى فهم هذا أقل حيرة ، ولفهم ان صاحبنا مكره لا حيلة له فيما صنع ، وانه لم يكن له بد من قصد كافور بعد ان هموا بقتله فى جوار سيف الدولة مرة ، وبعد ان رخص سيف الدولة فى قتله مرة اخرى ، وبعد ان شجوا رأسه بمحضر الأمير مرة ثالثة ، وبعد أن علم ان ذهابه الى بغداد او الكوفة غير مأمون ولا مأمول ، فليكن بعد ذلك كله احكم الحكماء واصدق الطامعين ، فما هو الا مدفوع على الرغم منه كما قال : « ومدفوع الى السقم السقيم »

وما من شك كذلك فى بخل الرجل وحرصه الشديد على المال ، ولكننا نجور عليه ولا شك اذا زعمنا انه بلغ بالبخل حد الاجرام والاستهانة بالنفس البشرية ، وان الشىء الخطير حقا كما قال الدكتور « هو إقدام المتنبى على القتل فى سبيل ما كان يسرق هذا العبد من متاعه . فذلك لا يصور بخله وحرصه على المال فحسب ، وإنما يصور ما هو شر من هذا : يصور استهانته بالحياة الانسانية ، واستباحته الدم الانسانى فى سبيل متاع يقوم بالدراهم والدنانير ، وأقل ما يوصف به هذا الاثم انه لا يصور نفسا شاعرة متحضرة رقيقة الحس متأثرة بالفلسفة فضلا عن الدين الذى لا يبيح دماء الناس فى مثل هذه الصغائر . ولو ان حياة المتنبى كلها خلت من النقائص والعيب لكانت هذه الحادثة

وحدها خليقة ان تسبغ عليها لونا احمر قانيا يبغضها ويبغض صاحبها الى الناس »

كلا ! ان المتنبي لا يستحق كل هذا ، وانه لم يقتل ذلك العبد بخلا وحرصا على دراهم ودنانير ، وانما قتله خوفا على حياته وخشية من تمادى الشر واجتراء عبيده على اغتياله بعد اجترائهم على سرقة ماله . وأى مناص للمتنبي من هذه الفعلة وهو هارب من السلطان منفرد فى البوادى متعرض للانتقاض ، ولا حارس له ولا مطالب بدمه غير أولئك العبيد الذين بدءوا يطمعون فى ماله واحتاجوا اسرع الحاجة الى الزجر والصرامة والتخويف ؟ ؟ انما الوجه ان نلتمس حادثا آخر أقدم فيه المتنبى على القتل وهو آمن مستقر فى سربه خشية على الدراهم والدنانير . اما فعلته هذه فهى فعلة الناجى بنفسه الخائف من سطوة لصوصه ، ولا ملامة على من يفعلها مكرها فى شرع القانون ولا فى شرع الأخلاق

ولقد اطلنا ولا حد للكلام فى نقائض المتنبي ونقائض الآراء فى شعره وطباعه ، فلنقل موجزين انه رجل ذو فضائل وذو عيوب ، وانه شقى بفضائله فى ذلك الزمن الموبوء اكثر من شقائه بعيوبه وما من احد يسمع قوله بل صرخته :

أما فى هذه الدنيا كريم ... تزول به عن القلب الهموم
أما فى هذه الدنيا مكان ... يسر بأهله الجار المقيم
تشابهت البهائم والعبدّى ... علينا والموالى والصميم
وما أدرى أذا داء حديث ... أصاب الناس أم داء قديم

الا رأى من ورائها بليته بالناس اعظم من بليتهم به ، وظلمه للناس دون ظلمهم إياه ، واستحقاقه للعذر اكبر من استحقاقه للملام

عباس محمود العقاد



الأديب الذى عادى الملك والحكومة

"بول - لوى كوريه" وقصة مصرعه

لئن تخطى قاتله عقاب الإنسان

فما أخطأه عذاب الله



بول - لوى كوريه

اشتهر الكاتب الفرنسى بول - لوى كوريه Paul-Louis Courier فى الربع الاول من القرن الماضى بنزعته الجمهورية المتطرفة وبحملاته القاسية على حكومة الملك لويس الثامن عشر والكنيسة الكاثوليكية . ويظهر أن هذا الكاتب كان كالمعيدى « تسمع به خير من أن تراه » فقد امتاز بأسلوب فى الكتابة لم يقرأ الناس مثله من عهد فولتير ، أسلوب واضح قوى لذاع ، حلو الفكاهة مر الجد ، قد مزجت شدة البأس فيه برقة التعبير . لكنه كان مع ذلك دميم الخلقة صفراوى المزاج دائم العبوس مستوحشاً لا يألف أحداً ولا أحد يألفه ، خامل الروح موسوس الفكر جاف الحوار زرى الهندام يسير مائل الرأس مسبل الجفنين ينظر الى من حوله نظرة المرتاب الحذر الذى يكره الناس ويتوهم أن الناس جميعاً يكرهونه ويتربصون به الدوائر

نشأ أول أمره فى الجيش ولكنه لم يكن بالجندى الممتاز ، فهجر الحياة العسكرية وأولع بالأسفار ظل يتنقل فى مختلف أرجاء أوربا الى أن غلبته طبيعته الملول ، فعاد الى مسقط رأسه باريس ولبث يمارس صنعة القلم التى خلق ميسراً لها ووفق فيها كل التوفيق ، ثم خطب وهو فى الأربعين عمره الآنسة هرمينيا كلافييه التى لم تكن قد تجاوزت ربيعها الثامن عشر

ولم تكن هرمينيا رائعة الجمال ولكنها كانت على شىء من الحسن واعتدال القد وذكاء العقل وخفة الظل يحببها الى الناس ويلفت اليها الانظار ، وكانت متعلمة تكثر من مطالعة الكتب وتتقن التصوير وتميل الى الموسيق ، وتحب الحياة ومجتمعاتها ومسراتها ، شأنها فى ذلك شأن كل شابة من

نوعها تربت فى حجر اليسر ونشأت فى بحبوحة السعة وأفاضت عليها الوراثة نعمى الحياة

وفتحت هرمينيا عينيها على الدنيا فألفت الأقدار قيضت لها زوجا بينها وبينه من الفروق ما بين أسلوبه وشخصه ، فاشمأزت نفسها ولكن طبيعتها المرحة هونت عليها الأمر أو أبت عليها أن تثور ، فأذعنت لقضاء الله أو لقضاء أبويها وحاولت أن تتعزى عن حب زوجها بحب أهلها ، وأن تجد فى مسرات الخارج ما يسرى عنها هموم البيت ، وأن تلتمس فى الكتاب والريشة والمكان ما يعوضها عن حنان الزوج أو مداعبة الولد

ولقد كانت الحياة على هذا النحو الممض تهون أو تحتمل ، لو أن كوريه عرف لامرأته الشابة قدر تضحيتها ومبلغ ما نزلت له عنه من حقوق الجمال وآمال الشباب . ولكن الرجل كان أثراً ومستوحشاً لم ترقه ضوضاء المدينة وحياة المجتمعات ، فلم تمض على زواجه ثلاثة أشهر حتى عاودته هواية الأسفار فحزم أمتعته وهجر بيته وارتحل الى الريف يسرح صفراءه وكآبته بين الحقول والأودية والغابات

وكأنما رضيت هرمينيا بالهم الذي لم يرض بها ، فكانت تحاول أن تستعطف زوجها وأن تتألفه وتكتب اليه لتعاتبه على غيبته الطويلة وتؤاخذه على اهماله إياها وقلة تفكيره فيها ، ولكن كوريه لم يكن ليستشف وراء هذه العزة المستذلة والكبرياء المهدرة تلك النفس المحزونة التى تناجيه ، ولا ليرى فى كتب زوجته وتوسلاتها سوى ثرثرة امرأة تكتب لأنها لا تجد شيئاً آخر تعمله . فلما تكاثرت عليه الرسائل ووجب الرد ولو على واحدة منها ، تناول القلم وكأنما استمد له المداد من سواد قلبه فكتب اليها :

« لقد خلقت مستوحشاً ، سأحيا وأموت مستوحشاً ، فكل محاولة أعمد اليها لترقيق طبعى وتهذيب خلق عناء عقيم ليس من ورائه سوى أن يزيدنى وحشة ونفوراً من الناس . لست رجل عواطف ولقد كبرت وتجاوزت سن التطبع ، فما فى وسعى أن أتغير ولا أن أتصنع ، فحبذا لو رضيت بى أو تحملتنى كما أنا حتى يقضى الله بيننا بما يشاء »

وكانت الشابة الحسناء تقرأ ذلك وتستعرض ماضيها وحاضرها فتحس خلو قلبها من كل عاطفة ، وفراغ حياتها من كل أمل ، فتقعد موجعة النفس كاسفة البال تنتظر شيئا تجهله أو تداعب أمنية لا تعرف ما هى

وابتاع كوريه مزرعة بزمام بلدة فيريتز باقليم تورين تكتنفها غابة كثيفة وتبعد عن أقرب القرى مرحلة كاملة . وكانت هذه المزرعة التى سميت « شافونير » واقعة فى قفر مترامى الأطراف لا تبصر العين فيه منظراً يسر الخاطر أو يشرح الصدر . وقد وصفها كوريه فى كتاب منه الى زوجته قال فى نهايته : « . . . وإن أردت الحق فاعلمى انك لا تستطيعين أن تعيشى فى هذه الجهة أسبوعا والا قتلتك الوحشة وأودى بك السأم »

ومع ذلك لم يكد الرجل يستقر فى مزرعته حتى أرسل يستدعيها لتعيش معه فى ذلك القفر الذي يعترف بأنها لا تستطيع أن تعيش فيه ، وكتب اليها فى لهجة تنم على اغتباط الفلاح الذى أصبح مالكا وصاحب ضيعة : « أريد أن تسكن ملكى الجديد فهو ملك يحسدنى عليه أعيان الأقليم » . ثم يحدد لها نوع الحياة التي ستحياها حتى لا تعلل نفسها بأمل كاذب أو أمنية لا تتحقق ، فيضيف بلهجة السيد المستبد الذى يفرض طاعته ويملى أوامره : « . . ومتى استقررنا وسط غابتنا فستقيم بها ولا تبرحها ، وهكذا لن تعودى فتزعجينى باقامة الولائم واحياء السهرات وتلك القصص التى أشكر الله انك ستخلفينها وراءك بباريس ، على انك لو أردت فلا تستطيعين لأنه لن يكون لنا فى حياتنا الجديدة معارف ولا أصدقاء » . . .

وأذعنت هرمينيا لرغبة زوجها الغاشم وجاءت من باريس لتشاطره مسكنه الريفى الوضيع . ولقد حاولت ان تصلح من البيت ما أفسدته يد البلى ، او تجمل حجره بما يستر ثقوب جدرانه وتشقق سقوفه ، ولكن بخل الزوج كان يأبى عليه ان ينفق بعض المال فى إصلاح ما تستوجبه الضرورة ، او فى زخرف لا يفيد

واستسلمت المسكينة لحظها أو لم تر بدا من الاستسلام ، وعكفت على القراءة والتصوير والموسيقى تستعين بها على الوحدة وتروح عن نفسها سأم الفراغ وملل الأيام . ولكن هذه الفنون الرفيعة لا تطيب للنفس إلا بقدر ما تصادف من اعجاب الناس وتشجيع المشجعين . وأنى لهرمينيا من يشجعها أو يعجب بفنها وهى تعيش بين طبقة من أفظاظ الفلاحين وزوجها ينصرف عنها إلى أعمال ضيعته قبيل الفجر ولا يعود اليها إلا اذا جن الليل وخيم الظلام ؟

وعافت نفسها تلك التسليات كما عافت من قبل كل شىء ، فأرادت أن تلهو بمشاركة زوجها فى أعماله ومشاغله ، فكانت تصحو مبكرة وتمتطى صهوة جوادها وتذهب الى القرى المجاورة أيام أسواقها فتبيع المحاصيل وتشترى العلف والبذور وتساوم فى الأثمان وتشاجر العمال وتختلف الى حانات الفلاحين فتؤاكلهم وتشاربهم وتسامرهم حتى اذا ما انتهى النهار ومالت الشمس الى المغيب عادت الى البيت لتأتنس بكآبة زوجها وعبوس وجهه ولتنام على صوت صفير الرياح ينفذ اليها من شقوق الابواب والنوافذ

أما بول — لوى كوريبه فكان المثل السىء للمالك الحريص ، يهجر فراشه قبل أن يصحو الناس فيدور حول مزرعته متفقداً متجسساً يراقب الحراس ويعد اكوام العلف وأحمال الخشب ويفحص أقفال المخازن ويتعهد حالة الاجران ، فاذا ابصر غلاما يحتطب فى الغابة أو طفلة تصيب ما قد تساقط من الخشب أو انتثر على الطريق من العلف صادر المسروق وأنزل بالسارق والحارس أشد العقاب ، ثم يعود آخر النهار أغبر الوجه قذر الثياب موحل القدمين ساخطا على الدنيا ومن فيها ، غير قانع بشىء ولا راض عن أحد . ويأوى إلى مكتبه ، وما مكتبه الا حجرة قائمة بين الزريبة والمعصرة تكدست فيها

غرائز الحنطة الى جانب أكوام من الكتب النفيسة ، وجاورت فيها أحمال الخشب المقطوع والابواب المكسرة أسرة قديمة وستائر مطوية واطارات مذهبة ثمينة ومجاميع نقوش أثرية قيمة ، والكل مكسو بطبقة من التراب الناعم وقد عششت فيها الحشرات ونسجت خيوطها العناكب . وهنالك فى تلك الحجرة القذرة التى لا تلهم القلم ولا تسعف الخيال ـ كان بول ـ لوى كوريه يدون حساباته اويضبط ايراده ومصروفه ، ثم يدبج مقالاته الرائعة التى طالما استهوت قراء الصحف واستثارت اعجاب الجماهير ، أو ينهال على الحكومة الملكية والكنيسة الكاثوليكيه بنشرات يكتبها بأسلوبه اللاذع وتهكمه القاذع ويرسل بها الى الناشرين فيطبعونها فى الخفاء ويقبل الناس على شرائها فى السر أيما اقبال

ولعل أعجب المناقضات فى ذلك الرجل أنه كان يتجلى فى كتاباته سمح النفس كريم العواطف كثير الحنو على البائسين والضعفاء ، بعكس ما يتبدى فى حياته العمليه مقترا شحيحا شرسا فى معاملة أجيريه ومستخدميه ، يضن عليهم بالمساعدة الطفيفة ويمنع عنهم الماعون ، ويقتطع من أجورهم لغير سبب أو لأتفه الاسباب . وانه لمن العجب حقاً أن يكون ذلك الكاتب أحب كتاب عصره الى نفوس قرائه وأن يكون فى الوقت ذاته أبغض الناس الى عارفيه والمتصلين به حتى ليسميه بعضهم « اليهودى العبوس »

ولقد عاشرته هرمينيا على تلك الحالة عشر سنوات ضيق عليها خلالها المذاهب ، وقضى على بقية من المصابرة كانت باقية فى نفسها . وأخيراً وبعد تلك السنين الطوال ، تنبهت هذه الباريسية المثقفة الذكية الى بؤس عيشها وحقارة حياتها ، وتنبهت فيها غرائزها المكبوتة وآمالها الخائبة ، وهب كل ما فيها يطالب بالحياة والنور . ولم تكن قد ربيت على مبادىء من الدين قوية تقيها الزلل أو تعصمها من الانحراف الى طريق الغواية والضلال ، وجاءت كتابات زوجها فعلمتها الاستهتار بالأوضاع الاجتماعية ، والاستهانة بالتقاليد الصالحة ، والزراية بما اصطلح الناس على أنه طهر ولباقة وعفاف . فلما خاب رجاؤها فى زوجها وتحطمت آمالها فى حياتها وعدمت من يؤنسها فى وحشتها ويعزيها فى بأسائها ويقويها على مواصلة تضحيتها ، ولم تر نهاية لذلك الاسار الدائم ولا خلاصاً من هذا العذاب المقيم ، آلت لتثأرن لنفسها من زوجها الذى أفسد عليها شبابها ، ومن أبويها اللذين أوقعاها فى يد هذا الزوج ، ومن الأوضاع الاجتماعية التى تقسرها على هذه الزوجية المستحيلة ، فارتمت بين ذراعى حوذى المزرعة واتخذته خليلا

كان هذا الحوذى فتى اسمه بيير دوبوا فى الثامنة والعشرين من عمره ، صبوح الوجه نامى العود مكتمل الرجولة . ومذ بذلت له هرمينيا قلبها وجسمها لم تعد تعبأ بأحد أو تأبه لاعتبار ، فكانت لا تحاول إخفاء علاقتها به ولا ستر ظواهر هذه العلاقة . وكأنما انفجرت عواطفها المضغوطة أو انطلقت شهواتها من عقال فتركت الشابة لنفسها الحبل على الغارب وتحررت من كل قيد وذهبت تصاحب رفيقها فى عربته الى الأسواق وتتأبط ذراعه فى الشوارع وتتريض معه فى الحقول وتدعوه

الى مائدتها فى الحانة متحدية بسلوكها الحياء البشرى ورأى الناس وانتقاد المنتقدين

وكان لبير دوبوا أخ عاطل اسمه فوريان أتم مدة خدمته العسكرية ولم يوفق الى عمل يشغله فاستغل بيير حظوته لدى مدام كوربيه وزين لها أن تستخدم هذا الأخ ، فأجابت سؤله وألحقت فوريان بخدمة المزرعة . ولم يمض طويل زمن حتى عرف الفتى سبيله الى قلب هذه السيدة المحسنة فاحتل مكانه فيه الى جانب أخيه . وهكذا اتسع قلب هرمينيا للأخوين معاً وطابت لها عشرتهما واتخذتهما صديقين لا يفارقانها ، فاذا غاب زوجها أو اذا سافر الى باريس ليمضى أشهر السجن التي يحكم عليه بها من جراء حملاته على الحكومة ، دعتهما الى مائدتها وبالغت فى الاحتفاء بهما وعاملتهما كما لو كانا سيدين من مقامها ومركزها

وسرعان ما انتشرت فى المزرعة وفى القرى المجاورة حكاية غرام السيدة بخادميها فأصبحت أحدوثة القوم وموضوع سمرهم وعجبهم حتى لم يبق من أهل الجهة من يجهلها الا الزوج الذى شغلته حساباته ومقالاته عن كل شيء ، ولم يجد صديقاً يحبه أو يغار على شرفه فينبهه الى أن عرضه قد صار مضغة فى الأفواه

ولكن اذا كان عمى الأزواج يطول فهو لا يدوم . فلقد كان للمسيو كوربيه بين خدامه جاسوس اسمه لويس فرعون وثق به لطول عهده بخدمته ولما توهمه فيه من أمانة ووفاء ، وقد رصده أول الأمر لمراقبة سير الأعمال ثم جعله حارساً للغابة وخوله حق الاشراف على كل شيء . فكان يوافيه بما يكتشفه من السرقات ويطلعه على ما يقف عليه من سلوك العمال . وحدث لأمر ما أن اختلف فرعون ودبوا فتشاحنا ، فبادر الجاسوس وأوقف سيده على سر العلاقة القائمة بين الجوذى وسيدته ، فثارت ثائرة الرجل واستقدم بيير وصفى حسابه معه ونقده الباقى من هذا الحساب وطرده من خدمته . وغادر الجوذى المزرعة حاقداً مغضباً يتوعد المالك بالانتقام القريب ويقول لمن يريد أن يسمع : « والله لو صادفته فى طريق مرة لقتلته كما أقتل كلباً أجرب »

ومنذ ابتعد دوبوا عن شافونير توترت العلائق بين كوربيه وزوجته حتى لقد كانا ، وهما يعيشان تحت سقف واحد ، لا يكادان يلتقيان الا ليتبادلا بعض الاهانات ، أو ليؤكد أحدهما للآخر أنه يمقته مقتاً شديداً . .

وأحست هرمينيا أن الحياة المشتركة باتت مستحيلة فهجرت المزرعة أياما لم يعلم أحد أين قضتها ، ثم آبت ولكنها لم تكد تستقر حتى اختفت بضعة أيام أخر . ولبثت هكذا تروح وتجيء فلا تعنى بأن تفضى الى زوجها بسر تغيبها ولا بالمكان الذى تقضى لياليها فيه . وكان الزوج لفرط حقده أو لفرط كبريائه لا يتنزل الى سؤالها ويكتفى بأن يعلم من جاسوسه فرعون أن علاقتها بدوبوا لم تنقطع وأنها توافيه ببلدة فيرتز حيث تبيت معه الليالى التى تتغيبها عن شافونير

وسرى بين أهل المزرعة ان فرعون قد صادر رسائل غرام كانت هرمينيا تكتبها الى دوبوا

وأطلع سيده عليها ، وان السيد يتأهب لرفع قضية يطلب فيها الانفصال عن زوجته ، فارتاع الفلاحون لهذا النبأ وعز عليهم ان تفارقهم تلك السيدة الكريمة التى طالما منعت عنهم أذى المالك الثقيل ، وتوقع الجميع ان ستصبح الحياة من بعدها فى شافونيير جحيما لايطاق . ويظهر أن هرمينيا ارادت ان تتعجل الأمور فلم تشأ ان تظل الى جانب زوجها وهى تعلم من دخيلة نفسه ما تعلم ، فتمارضت ولزمت سريرها اياما ثم استأذنته وسافرت الى باريس لتستعين بكبار أطبائها على معالجة دائها المزعوم ، ولتحظى فى الاستشفاء بين اهلها فصل الربيع . وهكذا خلت شافونيير من ملكتها المحبوبة بينما ازداد وجه كوريبه تجهما وكآبة وجبينه عبوسا وتقطيبا

ولكن اذا كانت المودة بين الحارس فريعون والحوذى المطرود دوبوا قد فترت او انقطعت ، فان الذين عندهم علم الأشياء كانوا يؤكدون ان العلاقة بين الصاحبين القديمين لاتزال قائمة ، وانهما كثيراً ما يلتقيان فى حانة واقعة على طريق مدينة تور فيختليان خلوات طويلة يتهامسان فيها ويتساران كأنهما يدبران امراً ذا بال . ولقد ذهب البعض فى تأويل ذلك الى ان الحوذى يتودد الى عدوه ليتوسل به عند سيده فى العودة الى عمله ، وقال آخرون بل هو يستدرجه الى شرك او كمين يقتله فيه ويروى بدمه غليل نفسه المتعطشة للانتقام

وفي فجر اليوم العاشر من شهر ابريل سنة ١٨٢٥ نهض الحارس فريعون من فراشه وحمل بندقيته وخرج ليتفقد أحوال الغابة جرياً على العادة التى ألفها منه الناس كل يوم . ولكنه لم يكد يعود من طوافه قبيل الظهيرة ويتناول غداءه مع اخوانه من عمال المزرعة ، حتى تأبط بندقيته مرة أخرى وانصرف ليستأنف الطواف قائلا انه على موعد مع المسيو كوريبه ليعد وإياه حزم الأخشاب التى قطعها الحطابون فى ذلك اليوم

وقبيل الساعة الخامسة بقليل خرج المسيو كوريبه واتجه شطر البركة الواقعة عند طرف الغابة من الناحية الأخرى ولم يكن يحمل سلاحاً غير هروانته القصيرة التى لا تفارقه . ولقد صادفته فى طريقه طفلة كانت تحتطب هناك فما إن رأته حتى ولت من وجهه فراراً واختبأت فى حرج من الأحراج التى تكتنف الطريق

فلما أقبل المساء سمع القرويون الذاهبون الى بلدة سان افيرتان دوى مقذوف نارى شديد صدر من ناحية الغابة وردده الأصداء إلى مسافات بعيدة ، فوقف هؤلاء القرويون يرهفون آذانهم متسمعين ، فلما لم يسمعوا صوت استغاثة ولاصوت شىء آخر ، مضوا فى طريقهم متسائلين : أهى جريمة ارتكبت أم الحارس صادف ذئبا فقتله أم في الامر شىء سوف يتضح عند الصباح ؟

وعند الساعة التاسعة من المساء عاد فريعون من الغابة وأسند بندقيته إلى حائط الحجرة وجلس مع زملائه . ولاحظ أحدهم أن السيد لم يعد فقال فريعون : « لعله عاد ولم نره » فأكد الآخرون

قول الأول فنهض فريعون قائلا : « سأبحث عنه فى غرفته وغاب قليلا ثم عاد وهو يردد فى دهشة : « ترى ما الذى عاقه حتى الآن ؟ »

وأقبل فوريان من الخارج ولم تكن دهشته أقل من دهشة رفاقه عند ما علم أن السيد لم يرجع الى البيت واقترح أن يبادروا جميعا الى البحث عنه ، فانطلقوا فى غسق الليل يسألون طبيب القرية المجاورة وسكان قصر المركيز سيلاس وبيت المسيو هيربان وكل من يعلمون أن كوريبه يعرفهم لعله يكون مدعوا عند واحد منهم . فلما أعياهم السؤال عادوا واتفقوا على أن يتريثوا إلى الصباح فيستأنفوا البحث من جديد

وفى الصباح استفاضت اشاعة اختفاء المسيو كوريبه فقدم عمدة فيرتيز مع بعض رجاله وانطلقوا الى الغابة بقيادة الحارس فريعون الذى يعرف مسالكها وممashيها ودروبها ، وصاروا يبحثون بين الأدغال وينقبون فى العواسج والأحراج ، فلما بلغوا مفترق الطرق عند البركة أبصروا جسما منبطحا على وجهه فوق الأرض الموحلة ، فصاح أحدهم : « تعال يا فريعون فهذا سيدك قتيلا »

وتقدم فريعون بخطوات مترددة خائفة ونظر الى الجثة نظرة مشدوه عقل الهلع لسانه ، ووقف محملق العينين فاغرا فمه ولم ينطق بكلمة . وكانت جثة المسيو كوريبه منكفئة على وجهها غارقة فى بركة من الدم الذى لم يجف بعد . ولاحظ الحاضرون أن احدى القدمين قد نزع حذاؤها منها وألقوا الحذاء على بعد خطوة من القتيل

وجاءت السلطات القضائية من مدينة تور وعاينت الحادث ومكانه ، ودل الكشف الطبى على أن الموت أعقب الاصابة مباشرة وأن القتل حصل بمقذوف نارى أطلق عن قرب من بندقية محشوة بثلاث سبائك من الرصاص ، وأن هذه السبائك نفذت الى الجسم من الخاصرة اليمنى وخرجت من منطقة القلب واستقرت فى ثياب القتيل . ولكن الذى أدهش الطبيب الشرعى وقاضى التحقيق هو أن المقذوف قد اتجه فى الجسم من أسفل الى أعلى وان هذا الاتجاه لا يمكن أن يكون إذا كان المصاب واقفاً أو سائراً على قدميه . فهل كان المسيو كوريبه نائما عند ما باغته القاتل ؟ ولماذا اختار هذه النومة العجيبة؟ ومتى كان الناس ينامون على وجوههم فى طريق مكسو بالطين اللزج ؟ ثم ماهذا الحذاء المخلوع من قدم واحدة ؟ كل هذه معميات حيرت المحققين فلم يهتدوا فيها إلى حل ولا تفسير

واستخرج الطبيب من الجرح قطعة صغيرة من الورق ظهر أنها من جريدة مطبوعة وعليها هذه الحروف الثلاثة «OUY» «ووى» واستنتج من وجودها فى ممر الرصاص أن القاتل استعملها « طبة للمقذوف » بين الرصاص والبارود ، ثم اتضح فى النهاية أنها اقتطعت من جريدة اسمها « الملحق الأدبى » كان المسيو كوريبه مشتركا فيها

اذاً لابد من البحث عن القاتل بين حاشية القتيل

واتجهت الشبهات طبعا الى الحوذى بيير دوبوا فهو الموتور الذى اقسم أن يقتل سيده كما يقتل

الكلب الأجرب لو صادفه فى الطريق. وقبضت عليه السلطات وأودعته سجن تور رهن التحقيق، والحقت به أخاه فوريان الذى قد يكون ضالعاً فى الجريمة أو شريكا لأخيه لما هو معروف من صلته بمدام كوريه ، وظهرت قرينة هامة أيدت ظنون المحققين بل قلبت هذه الظنون يقينا لا شك فيه . وذلك بأن السلطات وجدت فى منزل المتهم الأول عند تفتيشه عدة نسخ من جريدة «الملحق الادبى» فلما سئل عن سبب وجودها لديه زعم أن طاهية المسيو كوريه قد أعطته إياها قبل مغادرته مزرعة شافونير

وكان الشعب الفرنسى قد تأثر أعمق التأثر لمصرع الكاتب الشعبى المحبوب واعتبر موته خسارة قومية فادحة . ولم تتورع بعض الصحف الجمهورية عن اثارة الريب فى النفوس فأخذت تلمح إلى ان الجريمة قد تكون سياسية ارتكبها البوليس الملكى لتخليص الحكومة من خصم عنيد . لذلك اهتم أولو الأمر بالحادث ايما اهتمام وأوصت المراجع العليا جهات الاختصاص بوجوب التعجيل بالكشف عن سر الجناية واظهار الفاعلين حتى تضع حداً للاشاعات الكاذبة والمفتريات التى كثر فيها القال والقيل

واغتبط النائب العام. إذ استطاع أن يكتب الى وزير الحقانية أنه وضع يده على القاتل وشريكه، وأن القرائن كلها تنطق بأن الاخوين دوبوا هما صاحبا المصلحة فى هذه الجناية ، إذ بزوال المسيو كوريه يخلو لهما وجه زوجته ويسيطران على تركته الواسعة بفضل ما لهما من المكانة والمنزلة فى نفس هذه الزوجة

بيد أن هذا النائب العام المغتبط بما وصلت اليه مباحثه ، والذى ظن أنه أقام الاتهام على أساس مبين ، لم يكن ليتوقع مفاجأة عجيبة تقلب حسابه رأساً على عقب ، وتمزق شبكة القرائن والأدلة التى نصبها حول المتهمين . فلقد هرعت مدام كوريه إذ علمت مصرع زوجها الى شافونير ، ولم تكد تلم بظروف الجناية حتى أقامت نفسها محامية عن دوبوا وأخيه تؤكد براءتهما وتعد باظهار الفاعل الحقيقى الذى لا يمكن أن يكون شخصاً آخر غير الحارس فريمون . . .

فلما جاء قاضى التحقيق ليتلقى شهادتها لم تخف عليه يقينها بأن القرائن التى أدت الى القبض على الأخوين قرائن واهية لا تثبت لحظة أمام ما لديها من الأدلة على ادانة فريمون . وقالت إن المرحوم زوجها كان يعتزم فصله من الخدمة لما ظهر له من قلة أمانته وإن الحارس كان يعلم ذلك فأراد أن يتخلص من سيده لكى لا يفقد وظيفته . وذكرت ان المرحوم كان قد ضرب للحارس موعداً فى الساعة الخامسة من اليوم الذى ارتكبت فيه الجريمة عند البركة ، وإن القتل حدث فى هذا المكان وبعد هذا الموعد بقليل

ولقد ظن قاضى التحقيق أول الأمر أن أرملة القتيل تحاول بكل حماسة انقاذ صاحبها والايقاع

بالحارس الذى طالما تجسس عليها وفضح علاقتها بدوبوا وأخيه . بيد أنه لم يسعه من ناحية أخرى أن يضرب صفحاً عن القرائن القوية التى أدلت بها ، والتى لا تقل فى أهميتها عن تلك التى بررت فى نظره القبض على المتهمين الآخرين . ولكن أين الأدلة الحاسمة التى يقدمها الى النائب العام لينتزع من يده المتهمين اللذين اطمأن الى اداناتهما وليقنعه بأن يستبدل بهما متهماً جديداً ؟

وأدركت هرمينيا وساوسه وشكوكه فذهبت تستجمع الأدلة والبراهين وتستنطق الخدم والعمال وتبحث فى زوايا المزرعة وتنقب فى غرفها ، وعادت الى القاضى فى اليوم التالى تزيل ما ساوره من الوساوس والشكوك ، فقادته الى غرفة فريمون وأرشدته الى قالب معد لصب الرصاص والى ماسورة من الرصاص اقتطع منها جزء لا تزال الآثار تدل على أنه اقتطع حديثا ، وقالت إنها ترجح أن هذا الجزء المقتطع هو الذى صنعت منه السبائك ثم صبت فى ذلك القالب واستعملت فى حشو البندقية . وأرشدته أيضا الى نسخ جريدة « الملحق الادبى » مكدسة فى الغرفة ومن بينها نسخة نشرت فى مقالة بامضاء « اتيين جووى E. Jouy. » وقد مزق منها جزء هو الذى وجد فى جرح القتيل وعليه الاحرف « ouy ووى » وهى الأحرف الاخيرة من اسم الكاتب . ثم جاءت بعض الخدم فشهدوا بأنهم رأوا فريمون ينظف بندقيته بعد عودته من طوافه بالغابة ليلة الجريمة وأن احدى ماسورتى البندقية كانت محشوة بينما الاخرى فارغة . وقرر بعضهم أنهم سمعوا من امرأة فريمون أنه لما دخل عليها ليلة الحادث كان مهتاج الاعصاب حتى إنه قال لها وهو يريها قبعته : « لو كانت هذه القبعة تعلم ما يدور تحتها فى رأسى لالقيتها الى النار »

تلقاء هذه الادلة القاطعة لم يسع النائب العام الا الافراج عن الاخوين دوبوا والقبض على الحارس فريمون وتقديمه الى محكمة الجنايات

وعرضت القضية على محكمة جنايات تور فى الحادى والثلاثين من شهر اغسطس سنة ١٨٢٥ فاكتظت القاعة بكبار المحامين ومشاهير رجال القانون وعلية القوم وأعلام الاقليم . وأخذت مدام كوربيه مكانها بين الشهود وقد لبست ثياب الحداد وتبدت غير مبالية بما يجرى حولها حتى لقد وضعت على ركبتيها كراسة للرسم وتناولت قلمها وأخذت ترسم وجوه القضاة والمحامين، واقتعد فريمون مكانه فى قفص المتهمين وانحصرت اجابته عن الاسئلة التى وجهت اليه فى قوله : « لا أعلم شيئاً عن الجريمة ولم أقتل السيو كوربيه ، ولكن حقد زوجته هو الذى أوقفنى هذا الموقف وأنا برىء »

وترافع النائب العام مرافعة قصيرة لم يسمح له ضميره فى نهايتها أن يطلب من المحكمة الحكم على المتهم بالاعدام وقال : « نعم ان القرائن والأدلة كلها تنطق بأن لويس فريمون غير غريب عن هذه الجناية وبأن له يداً قوية فيها . ولكن فى القضية سراً لم يكشف عنه التحقيق ، بل ان هذه القضية محاطة بغموض يغلب على يقينى أنه لو انجاب لظهر وراءه شركاء لهذا المتهم »

ولقد سهلت هذه الاقوال مهمة الدفاع وصدر قرار المحلفين بأن المتهم غير مذنب فحكمت المحكمة ببراءته واطلق سراحه فى الحال

وغنى عن البيان أن هذا الحكم لم يرض فضول الجمهور ، ولم يعتبر ختاما يحسن السكوت عليه لقضية كبيرة شغلت أذهان الناس أشهراً طويلة . ولكن ذاكرة الرأى العام سريعة النسيان ، وفى حوادث الأيام ما يصرفها عن شؤون الأمس الدابر بجديد اليوم الحاضر ، فلم تمض على قضية مقتل لوى كوربيه بضعة أسابيع حتى كانت قصة قديمة لا تثير نقاشاً ولا تستتبع جدالا

أما الحياة فى شافونيير فلم تلبث حتى عادت الى سالف عهدها ، وأقامت هرمينيا فى بيتها الريفى بعد أن أصلحته وجملته ، وأعادت الى خدمتها بيير دوبوا وأخاه فوريان ، وعهدت اليهما فى ادارة المزرعة وولاية شؤونها . وكأنما أحست أنها مدينة لزوجها بهذه التركة الواسعة والنعمة الوافرة ، فأقامت له نصباً تذكاريا فى المكان الذى لقى حتفه فيه ، ونقشت عليه عبارة تحدث السابلة بأن الكاتب العظيم « مدفون في مقبرة فيريتز ولكنه أسلم الروح فى هذه البقعة بعد أن أسلم اسمه الى الخلود » ثم جاءت يد مجهولة فخطت تحتها هذه الكلمات :

« ان لويس فريمون هو القاتل ، وانه ليعانى الآن آلام الندم ومرارة تأنيب الضمير »

وأما فريمون فكان بطبيعة الحال قد اعتزل وظيفته وعاد الى قريته مطمئناً الى ان الحكم النهائى الصادر عن محكمة الجنايات قد جعله بمنجاة من الخطر حتى لو أعيد نظر القضية واجتمع على ادانته فيها الف دليل

بيد أن هذا المتهم المبرأ المطمئن الى المستقبل كان يبدو وكأن روحه ترزح تحت عبء هذه البراءة ، أو كأن ضميره ينوء بحمل شيء يحسه هو ولا يحسه أحد سواه . فلقد كان يمضى الأيام ذاهلا عن نفسه وعما حوله ، شاخص البصر نحو مزرعة شافونيير ، مشرد العقل مستوحشاً يتجنب الناس ويتحاشى التحدث الى أقربهم اليه . ولم تمض شهور على براءته حتى كان جسمه قد نحل وقواه قد همدت ففارقت وجهه نضارة الشباب وكست الغضون محياه ، وبات كهلا مضعضع الحواس متراخى الأطراف ، كأنه يعانى حقاً آلام الندم ومرارة تأنيب الضمير

* * *

مضت على تلك الحوادث أربع سنوات نسى أهل اقليم التورين خلالها كوربيه ومقتله ، والظروف الغامضة التى أحاطت بتلك الجناية العجيبة ، ويئست السلطات القضائية من البحث والتحرى ، وأيقنت أنها حيال لغز أسبل عليه ستار كثيف من الظلام فكفت عن السعى والاستقصاء

ولكن ما يستعصى على الناس لا يستعصى على الأيام ، وما يقصر دونه ذكاء الرجال قد تكشف عنه المصادفات . وما أبلغ عمل المصادفات في حياة الانسان !

فلقد حدث فى أوائل شهر اكتوبر سنة ١٨٢٩ ان فتاة اسمها سيلفين جيروه كانت تشتغل

أجيرة عند أحد الزراع ببلدة فيريتز ، أرسلها سيدها الى شافونيير لتبتاع له منها كمية من البذور ، فامتطت حصانا وذهبت تقضى ما كلفت قضاءه ثم عادت فى المساء مضطربة فزعة ، وقصت على سيدها أن الحصان إذ بلغ بها مدخل الغابة تقاعس فجأة ونصب مقدميه في الهواء ورماها من فوق ظهره وأطلق ساقيه للريح . وفيما هى تقص قصتها بصوت لا يزال يتهدج من أثر الفزع والانفعال ، بدرت منها عبارة غريبة استرعت سمع الحاضرين ، إذ قالت : « ولقد أحسست خوفا شديداً لم أحس مثله الا ليلة شهدت مقتل المسيو كوربيه » . . . فاستوقفها السيد وسألها متعجباً : « وهل شهدت مقتل المسيو كوربيه ؟ » فأطرقت الفتاة وكأنها أسفت لما بدر منها فترددت قليلا ، ثم كأنها أحست حاجتها الى التخفيف عن ذاكرتها بافشاء هذا السر الرهيب الذى أثقلها طوال اربع سنين فقالت : « نعم شهدته » وقصت عليه القصة الآتية :

« فى اليوم العاشر من شهر ابريل سنة ١٨٢٥ كنت أجمع خلسة بعض الخشب من غابة شافونيير وأسير بحذر خشية ان يباغتنى الحارس متلبسة بسرقة . وفيما انا عائدة بحملى الصغير ابصرت المسيو كوربيه قادما الى ناحيتى بوجهه العبوس ، ففررت منه واختبأت وراء عوسج على جانب الطريق ، وهنالك أتيح لى ان اشهد المأساة من بدايتها الى نهايتها : كانوا خمسة اعرف منهم فرعون وفوريان وبيير دوبوا ، وقد التقوا بالمسيو كوربيه عند البركة ، وتحدثوا اليه فى امر ، فهز كتفيه واراد أن ينصرف . وعندئذ انقض عليه فوريان من الخلف وامسكه من ساقيه وطرحه ارضاً جاعلا وجهه فى الطين الذى كان يغطى الطريق . وفى اللحظة عينها اطلق عليه لويس فرعون مقذوفا من بندقية ارداه قتيلا »

واقتيدت الفتاة الى عمدة القرية الذى استمع اليها ورأى في قصتها ما يفسر المعميات التى حار فى تعليلها القضاة والمحققون ، كحكاية الحذاء المخلوع ، ونوم القتيل على وجهه ، وتصعد المقذوف النارى من الخاصرة الى القلب ، فلم ير من حقه الاحتفاظ بهذه المعلومات لنفسه ، وذهب الى قاضى التحقيق

ووقفت سيلفين أمام القاضى تؤدى شهادتها . فلما أخذ عليها اخفاءها هذه الحقائق القيمة طوال فترة التحقيقات الأولى ، اعتذرت بأن أحداً لم يسألها ، ثم قالت : « والحقيقة انى خفت ان اسأل عن سبب وجودى فى الغابة فى تلك الساعة ، فاضطر الى الاعتراف بأنى كنت هناك لأسرق الخشب »

وأدع للقارىء تقدير الضجة التى أحدثها هذا الاعتراف الخطير . فلقد هتك الستر وانكشف المستور ، ولم يبق بد من بعث القضية على ضوء البيانات الجديدة والقبض على المتهمين

واذ كان فوريان قد مات قبل ذلك بسنتين ، فقد أصدرت النيابة أمرها بالقبض على بيير دوبوا وعلى زميليه اللذين أرشدت سيلفين اليهما مباحث البوليس . أما فرعون فكان فى نجوة من طائلة القضاء لأن حكم البراءة ونظرية وجوب احترام الشىء المحكوم فيه قد اكسباه حصانة قانونية لا تدع سبيلا الى محاكمته مرة أخرى على التهمة التى برىء منها . لذلك اكتفى النائب العام بأن يستدعيه

شاهداً فى القضية وأفهمه حقيقة موقفه فيها وأن لا خوف عليه من الاعتراف بالحقيقة كاملة . وكأن فريمون لم يطمئن الى تأكيدات النائب العام ، فأرسل يستشير محاميه فى الأمر ، فلما طمأنه على سلامته اعترف بكل شىء فجاءت أقواله مطابقة لما قررته سيلفين كل المطابقة

عندئذ انجابت غياهب الظلمات وبزغت شمس الحقيقة ، وعلم الناس أن الحكومة الملكية بريئة من تدبير مقتل بول – لوى كوريه ، وأن السلطات البوليسية والقضائية لم تحاول اخفاء جريمة الحكومة

أما نتيجة القضية فلم تكن موضوع شك عند أحد . فها هوذا القاتل محصن بالقانون وها هوذا شريكه فوريان قد وفر بموته على العدالة مشقة اعدامه ، ولم يبق الا شهود الحادث الذين لم تتوافر فيهم شروط الاشتراك فى الجريمة فبرأهم المحلفون

ولكن الذى استرعى اهتمام الجمهور فى هذه القضية انما هو تقدم الجانى الاكبر شاهدا فيها لا متهما . فلقد استقبله النظارة عند دخوله قاعة الجلسة بهمهمة تأفف واستنكار ، ودمدمة مقت واشمئزاز . ولكن هذه الدمدمة وتلك الهمهمة لم تلبثا حتى خفتتا ثم استحالتا الى شعور رثاء ورحمة عند ما أبصر الناس هذا الشاب الذى لم يتجاوز الأربعين من عمره يسير بخطوات مزعزعة مرتجف الركبتين والساعدين ، لا تقوى ساقاه على حمل جسمه وقد اشتعل رأسه بالشيب وغارت عيناه فى محجريهما وفقدتا بريقهما حتى ليسترها بيده ليقيهما ضوء النهار ، واحدودب ظهره وتهدلت أثوابه وفقد توازنه فصارت يداه تلمسان متكأ تتكئان عليه

وأدى البائس التعس شهادته أمام المحكمة واعترف بما اقترفت يداه فى صوت متهدج متقطع ، يخنقه الشهيق والبكاء . فلما انتهت أقواله وأذن له الرئيس بالانصراف اتجه الى المحكمة وقال : « ناشدتكم الله أن تحكموا علىّ بالاعدام فالموت أحب الىّ مما أنا فيه » وخر الى الأرض مغشياً عليه ، وعندئذ تصعدت من الجمهور صيحات الأسى ، وأجهشت النساء فى البكاء لمشهد هذا المجرم المبرأ الذى تخطاه عقاب الأنسان فلم يخطئه عذاب الله ، والذى حسبه الناس سعيداً بافلاته من يد العدالة أو سعيداً بالحياة بعد جريمته ، فاذا هو يناشد العدالة أن تنقذه من هذه الحياة التى لم تكن غير احتضار مؤلم وموت بطىء

وفى المساء حمل المنكود إلى مستشفى المدينة ليعالج من أزمة عصبية شديدة استولت عليه، ولكنه لم يلبث به أربعة أيام حتى مات . وهكذا أسدل الستار على تلك المأساة البشعة التى حيرت بغموضها دوائر السياسة ودوائر القضاء طوال خمس سنين

حسن الشريف

الرحمة أم العدل ؟

القانون لا يكافح الجريمة لأنه يرحم ولا يعدل

بقلم الاستاذ سليم عبد الاحد

يفتح « الهلال » باب المناقشة فى هذا الموضوع متسائلا :

هل الرأى الذى أبداه الكاتب ينطبق على الواقع ؟

وإذا كان كذلك فهل أصاب المشترعون أو أخطأوا ؟

كان الانسان فى أول عهد فطرته يعيش طليقاً كالحيوان لا يخضع لقانون ولا يعترف بشريعة . فلما تطور الاجتماع وتشعبت نواحيه لم يبق بد من تقييد أعمال الانسان بقوانين كان الغرض الأول منها اقرار النظام والحرص على النفع العام . ولسنا نعلم من هو أول من فكر في سن القوانين ، ولكننا نعلم أن النظم والشرائع كلها ترجع الى أقدم الأزمنة ، وأن البشر فكروا فى وضعها منذ فجر الحضارة أى منذ بدأ الانسان يدرك أن له حقوقا وعليه واجبات ، وأنه اذا لم يستمسك بتلك الحقوق ويقم بتلك الواجبات ، انتثر عقد الاجتماع وتداعى صرحه الى الانهيار . وقد خلد التاريخ ذكر الكثيرين ممن وضعوا القوانين فى مختلف العصور من أمثال حمورابى وموسى وكنفوشيوس ودراكو وصولون والشارعين المصريين ومؤسسى الأديان المختلفة

وغنى عن البيان أن واضعى الشرائع والقوانين فى مختلف العصور كانوا يستوحون مصادر شتى لكى تجىء أنظمتهم أقرب ما يكون الى الثبات . وفى مقدمة تلك المصادر العقل وحكم المنطق والعادات ومقتضيات الصحة وما الى ذلك من الأسس التى يقوم عليها صرح القوانين فى جميع أنحاء العالم . وفى الحقيقة أنه ما من قانون يقدر له البقاء اذا لم يكن مستوحى من واحد أو غير واحد من المصادر . وهذا هو السبب فى أن القوانين الأوتوقراطية لا دوام لها لأنها ليست مستوحاة من العادات ولا من العقل ولا من المنطق ، فهى اذن لا تستند الى أساس قويم

ومما يجدر بالذكر أن الأصل فى القانون مراعاة مصلحة الفرد والجماعة معاً . فاذا لم يمكن التوفيق

بين المصلحتين وجب تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد . ولهذا السبب كانت معظم الاديان القديمة تفرض على الأفراد تضحيات مرهقة ، حتى ان بعضها كان يفرض تقديم الضحايا البشرية فى ظروف مكانية وزمانية معينة . وكان أتباعها يقومون بتلك الفرائض مضحين بمصلحة الفرد من أجل مصلحة الجماعة ، على ما كان فى تضحياتهم من شرور وفظائع . ومع ذلك فان المبدأ فى حد ذاته — أى إيثار مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد — هو مبدأ جليل يجدر اتخاذه أساساً لجميع الشرائع والقوانين . الا أن تطور الاجتماع جعل واضعى الشرائع يغضون الطرف عنه ويحرصون على مصلحة الفرد فى أحوال كثيرة

القانون يرحم ولا يعدل

أنظر الى المجرم فى القوانين الحديثة تجده يعامل معاملة هى أقرب الى الرحمة منها الى العدل . ولو كانت تلك المعاملة تقوم على العدل لأوثرت فيها مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد . فالذى يقتل لا يحكم عليه بالقتل الا في أحوال نادرة . والذى يتاجر فى المواد المخدرة يكتفى بسجنه وتفرض عليه غرامة زهيدة ، مع انه بتجارته المحرمة يجنى على أمة بأسرها . والذى يسرق يسجن أياماً أو أشهراً ثم يخرج من سجنه ويعود الى السرقة . وقس على ذلك سائر المجرمين الذين يعاملون اليوم معاملة هى أقرب الى التشجيع على الاجرام منها الى الردع والزجر . وحجة رجال القانون فى أخذهم المجرم بالرأفة أنهم يعتبرون الاجرام مرضاً والمجرم مريضاً ، ويقولون ان معاملة المريض بالشدة ليست فى شىء من العدل . على أن هذه النظرية التى دافع عنها لمبروزو وأضرابه لا تنطبق على المنطق . وقد أدت الى انتشار الجرائم بدليل ازدحام السجون بالمجرمين فى جميع أنحاء العالم . وفى الحقيقة أن تلك النظرية على خطأ فى التقدير . فقد أثبت علماء النفس أن المجرم المعتاد الاجرام هو عبد لما تفرزه غدده الباطنية ، أى أنه مسير لا مخير ، فما يرتكبه من الجرائم خارج عن طوق إرادته ، فليس مسؤولا عما يفعل ، ولهذا يصح اعتباره مريضا وعدم التشدد فى عقابه . وأما المجرم غير المعتاد الاجرام فليس مريضاً بالمعنى الذى يقصده علماء النفس أى أنه مخير لامسير ، وهو مسؤول عن أعماله ، فيجب أن يكون عقابه — بحسب نظرية لمبروزو وأضرابه التى نحن فى صددها — أشد من عقاب المجرم المعتاد الاجرام . وبعبارة أخرى ، ان هذه النظرية تقول بوجوب معاقبة من يرتكب هفوة واحدة عقاباً أشد من عقاب من يقضى العمر فى ارتكاب الجرائم ، لأن ذلك مسؤول وهذا غير مسؤول ، وفى هذا من الظلم ما لا يحتاج الى بيان

الرحمة تطمئن المجرم

والحقيقة ان المجرم مجرم — مريضا كان كما يقول لمبروزو وأتباعه أم غير مريض — وقد كان التشدد فى معاقبته بعقوبة العين بالعين والسن بالسن خير رادع له . ولا شك أن الجراح الذى يشفق

على العليل ولا يستأصل العضو الفاسد منه بشيء مما يشف عن غلظة وقسوة لا يخدم ذلك العليل ، بل يكون سبباً فى تفاقم حالته . أما الذى يبتر العضو غير آسف عليه، فانه يفعل ما يمليه العقل والواجب بل ما تقتضيه الرحمة نفسها . وخير للاجتماع أن يضحى ببعض أفراده من أن يفسد المجموع كله

ولا شك أن القوانين التي تجيز الرأفة بالمجرم بحجة وجود العوامل المخففة انما تضع الرحمة فوق العدل . فهل هذا المبدأ لخير الاجتماع ؟

لا يمكن أن يكون كذلك . فالنواميس الطبيعية - كناموس بقاء الأصلح مثلا - لا تقوم على شيء من الرحمة . ومع ذلك فان تجردها من صفة الرحمة هو الذي يحفظ نظام الكون . فالكهربائية تصعق من يدنو منها ، والنار تحرق من يلق بنفسه فيها ، والسم يقتل من يبتلعه ، والصخرة الكبيرة تسحق الحصاة اذا سقطت عليها . كل ذلك مطابق لنواميس الطبيعة ، ومع ذلك فما من أحد يشكو من تلك النواميس أو يتهمها بالقسوة . وهى تحفظ نظام الكون على أكمل الوجوه وأفضلها . ولو كانت تقوم على شيء من الرحمة لفسد نظام الكون وتقوضت أسسه

واذا كان الأمر كذلك فلا نفهم السبب الذى من أجله يتمسك واضعو القوانين بمبدأ الرحمة مع أنه مفسد لنظام الاجتماع . فالقسوة فى معاملة المجرم هى كقسوة الجراح الذى يبتر من الجسم العضو الفاسد غير آسف عليه. وما محاولة اصلاح هذا العضو بالكمادات والملطفات الا خطأ فى التقدير

كان الخديو سعيد باشا يباهى بأن الأمن فى عهده مستتب فى مصر استتباباً كاملا بحيث تستطيع أية فتاة أن تسافر ماشية وحدها من الاسكندرية الى اسوان ، لابسة أبهى حللها وحلاها وهى آمنة مطمئنة بفضل انتشار العدل في طول البلاد وعرضها ، وما انتشار العدل الا نتيجة الشدة فى معاقبة المجرم وعدم أخذه بالشفقة . أما الآن فقد تغيرت الأحوال وكثرت الجرائم - هنا وفي جميع أنحاء العالم - وأكبر اللوم واقع على واضعى القوانين الذين يتمسكون بنظريات خيالية تضع الرحمة فوق العدل . أما البلاد التى لا تأخذ بتلك النظريات - كبلاد الحجاز مثلا - فان الأمن مستتب فيها والاجرام مقطوع الدابر منها . والجميع قانعون مغتبطون ، وما من أحد يشكو شدة القانون أو يتبرم بها . واذا كان المجرم يجد فى تلك الشدة ظلما فما عليه الا أن يكف عن الاجرام أو يحاسب عما يقترفه

ولعمر الحق اننا لا نفهم كيف يجوز للمجرم أن يتبرم بالقانون مهما كان شديد الوطأة . فان كان يشكو من قسوته لأنها تمنعه من الاجرام ، فأنعم بتلك القسوة وأكرم ، ما دامت تطهر المجتمع من أدران الجرائم

المجرمون يستغلون القانون

وليس ما تقدم هو كل وجوه النقص فى قوانين الامم المتمدنة ، بل هنالك وجوه أخرى أدعى الى الانتقاد

تأمل رجلا اتهم بجريمة قتل ولكن قامت فى سبيل اثبات التهمة عليه شكوك هى خيالية أكثر

منها حقيقية . وقد يكون القاضى الذي يحقق التهمة مقتنعاً بثبوتها ثبوتاً تاماً ، وقد تتضافر أقوال الشهود على اثباتها، ومع ذلك يضطر القاضي الى مواصلة البحث والاستقصاء تمشياً مع مقتضيات القانون. على أن مواصلة البحث والاستقصاء قد لا تزيد التهمة ثبوتاً ولا تقدم ولا تؤخر فى تحديد التبعة ، وانما هي بالعكس قد تعوق سير العدالة باضاعتها معالم الجريمة ، فهي فى مصلحة المجرم بلا شك . فكم من شاهد توفى قبل اتمام التحقيق ، وكم من قضية عبثت بها المماطلات . كل ذلك لأن القانون يقضى بالسير في التحقيق على وجه قد يكون في مصلحة العدالة فى الظاهر ولكنه ليس كذلك فى الحقيقة . والمجرم الذى يعلم أنه لابد من مرور زمن طويل قبل وقوفه أمام منصة القضاء ، يشعر بشيء من الطمأنينة ويرجو – بفضل طول التحقيق والاستقصاء – أن تضيع معالم الجريمة ويخف سخط الرأى العام فينجو من العقاب أو يعاقب عقاباً هيناً . . كل ذلك مناقض لمصلحة الأمن والطمأنينة والسلام

اننا نعلم أن القانون يحتم القيام بالتحقيق على منوال معين خيفة أن يلحق اجحاف بالعدالة أو ظلم بالبريء . ولكن خير للاجتماع أن يحل الظلم ببريء واحد من أن ينجو آلاف من المجرمين من العدالة . والطريقة المملة التى يجرى عليها تحقيق الجرائم ليست مؤيدة للعدل ولا هى ترفع حيفاً وانما هى تشجع المجرم على الاندفاع فى اجرامه

يعيث المجرمون اليوم فى أميركا فساداً ويرتكبون جرائمهم ساخرين من رجال القانون وحفظة الأمن لأنهم يعلمون ما فى قانون بلادهم من وجوه الضعف . فقد يقتل أحدهم غريمه ويجتاز حدود الولاية الى ولاية أخرى فلا يستطيع حفظة الأمن اللحاق به لأن القانون لا يأذن لهم فى ذلك . نعم ليذهب الدم هدراً ولتضع معالم الجريمة ، ولكن اللحاق بالمجرم عبر حدود الولاية مخالف للقانون ! . . فاذا لحق به حفظة الأمن على خلاف القانون تدخلت حكومة الولاية التى قبض فيها على المجرم ، واعترضت على حفظة الأمن . وهنا تدور بين الولايتين – حيث وقعت الجريمة وحيث قبض على المجرم – مفاوضات لا أول لها ولا آخر ، وتكون فى الغالب فى مصلحة المجرم ، إذ اما أن تؤدى الى اطلاق سراحه ، أو إلى اضاعة معالم الجريمة ، أو الى اتخاذ أهله الاحتياطات اللازمة لانقاذه ... وليحيي القانون ! .. ويقوم هوبتمان فيخطف طفل لندبرج ويطلب فدية عنه . فيعطى والد الطفل الفدية أوراقا مالية معلمة . ولكن طفله يرد اليه مقتولا . ويدور الزمن دورته ، فيعثر رجال الأمن على تلك الاوراق عند هوبتمان ، وتتضافر سائر الادلة على اثبات التهمة عليه ، ومع ذلك يجد المدافعون عنه وجوه ضعف فى القانون ، فيستعينون بها على التسويف والمماطلة . وتمر الأيام والشهور ، وينقسم الشعب الاميركى فريقين – هذا يتهم هوبتمان وذلك يعطف عليه ، وتكاد تقوم الفتنة فى البلاد . كل ذلك لأن القانون يقضى بالتمسك بأمور تفصيلية هى أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . وأخيرا يضطر لندبرج – والد الطفل المخطوف – أن يهرب من الولايات المتحدة لأن حياته وحياة ذوى قرباه أصبحت فى خطر ، ولا يجد مناصاً من أن يترك الدار تنعى من بناها

هو اضطراب وبلبلة ما كنت لتجد لهما أثراً لولا قوانين المتمدنين . فكأن المدنية وجدت لنشر الفتنة والاضطراب ، وكأن التمسك بحرف القانون أقرب الى العدالة من العمل بروحه . وفي الحقيقة أن العدالة من وضع الله والقانون من وضع الانسان . وقد تستطيع أن تماري وتخادع في القانون ولكنك لاتستطيع أن تسخر من العدالة بالسير وراء نصوص قد يناقض مبناها معناها

توحيد القوانين الدولية

وهنالك وجه آخر من وجوه ضعف القوانين وهو اختلافها باختلاف الامم . نعم ان الأمم ليست على مستوى واحد من الرقي ، ولكن مالنا وللرقي أو التقهقر عند النظر في الجريمة من حيث هي جريمة ؟ ولماذا يعاقب الزنجي القاتل بالشنق حالة أن الأبيض القاتل يعاقب بالسجن فقط ؟ ولماذا يعاقب القانون الايطالي من يتاجر بالمخدرات بالسجن بضعة أشهر حالة أن اليابانى والصيني يعاقبان بالاعدام ؟ ألأن ذلك من الجنس الابيض وهذا من الجنس الاصفر ؟ أم لأن للموقع الجغرافي أثراً في تخفيف وقع الجريمة أو في تشديده

هي خرافة تسيغها المدنية الحاضرة . والمتمدنون يباهون بأن قوانينهم أقرب الى العدل من قوانين غيرهم . ولعمر الحق ما من دليل أصدق على ضعف قوانينهم من انتشار الجرائم بينهم . نعم ان للمدنية نفسها يداً في انتشار تلك الجرائم ، ولكن ضعف القانون هو العامل الاكبر . وقد أضرت نظرية لمبروزو واضرابه بنظام الاجتماع أكثر مما أضرت به أية نظرية أخرى . فالمجرم مجرم ــ مريضاً كان أم غير مريض ــ والجريمة هي هي ــ سواء أوقعت في الهند أم في الولايات المتحدة ــ وتقوية دعائم الاجتماع لا تقوم بالتفرقة بين القوانين وباعتبار تجارة المخدرات مثلا جناية في اليابان « وجنحة » في اليونان ، بل بالنظر الى الجريمة من حيث هي جريمة لا من حيث أن مرتكبها من الجنس الابيض أو من الجنس الاسود

فتوحيد القوانين خطوة في سبيل اصلاح الاجتماع . والتشدد في العقاب خطوة أخرى . ولايمكننا أن نقطع دابر الاجرام الا اذا نبذنا الاوهام وتمسكنا بالحقائق ، مؤثرين مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد . فالمجرم خطر على الاجتماع ، وهو يستعين بضعف القوانين وبما فيها من أوجه النقص على مزاولة مهنة الاجرام . واذا وجد من القانون شدة في قطر من الاقطار ولى وجهه شطر قطر آخر لأن اختلاف القوانين في مصلحته . وان من اعظم العار على واضعي القوانين ان يضعوا نصب أعينهم مصلحة الفرد قبل مصلحة الجماعة ، ومصلحة الجاني قبل مصلحة المجني عليه . وما قانون وقف التنفيذ المعمول به في بلاد كثيرة الا من وجوه النقص الكثيرة لأنه يجعل الرحمة فوق العدل ويشجع المجرم على العودة الى الاجرام من دون ان يتيح له فرصة للتوبة

سليم عبد الاحد

رسالة الفن المسرحي

هى تعميم الثقافة العليا

بقلم الأستاذ عزيز عيد

الممثل والمخرج المشهور

الناس فى كل أمة مهما اختلفوا فئتان : فنان وغير فنان . ومقدار تفوق احدى الفئتين على الأخرى هو الميزان الذى يقاس به رقى الأمم فى كل عصر وآن . وليس الفنان وقفاً على الممثل والكاتب والمصور والمثال والموسيقى والشاعر ، انما الفنان أيضا هو المهندس والطبيب والنحات ، بل هو النجار والبناء والمزارع ، وهو الجندى والفيلسوف والأمى . كل نفس تحمل من وجدانها قيثارة حية تهتز أوتارها لكل طيف جمال أو حقيقة ، ولكل حاسة سامية وكل شعور رقيق ، ولكل ألم وأنين

الفنان هو الشاعر الذى يخلق الخيال ، والراوية الذى يردده ، والسامع الذى يهتز له ، والمثال الذى يجسمه ، والمصور الذى يبدعه ، والموسيقى الذى يحييه ، والنفس التى تتذوقه . من سما الى فهم الشاعر فهو شاعر نظيره ، وهو فى أفقه ما دام يحلق معه فى ذلك الافق

وكل انسان يجب أن يكون فنانا فى ذاته ، وفى علمه ، وفى عمله ، وفى تذوقه كل فن على حدته . فهذه هى المرتبة التى يتفوق بها الناس على النـاس ، وهى التى تحدد الدرجات ، وتعرف الناس قدر كل انسان

والأمة التى تشرف أحد أبنائها برغم خسته أمة لا تعرف الموازين . كذلك الأمة التى تتجاهل قدر النابغين من أهلها الفنانين أمة دلت على فقرها الفنى ، واذاً وجب تعليمها فن الموازين قبل أى علم آخر اذا أريد ألا تحل بها الفوضى وتذهب عنها مكارم الأخلاق . .

الفن صفة من صفات المتازين ، يشغفون به كما يشغف المؤمنون بالدين ، فيتعشقونه ويهيمون به فيستكشفون أسراره وينشرونها على الناس كما ينشر المبشرون العقائد ، رغبة فى الاصلاح ، وخدمة للمجتمع ، ونصرة للمثل العليا التى ترقى بالناس الى السعادة والسلام

هذا تعريف الفن على الاطلاق ، وأما فن الأدب المسرحى ففن شامل لكل الفنون. بل ان كل فن على حدته فرع من فروع ذلك الفن المتشعب الشامل

وهو الى هذا الجامعة الكبرى المتفرعة فى أنحاء العالم لنشر الثقافة . وفق لاكتشافه وتكوينه

كبار الكتاب وقادة الفكر فى الأمم الناهضة ، لترقية النفوس بشتى الأمثلة العالية للفضيلة والشهامة والمروءة ، وإذاً فهو معهد للثقافة العامة ، يتنقل فى كل بلدة وقرية ، يحمل للناس درر الأدب ونفائس كنوز قادة الفكر ، ولا سيما بعد اكتشاف السينما الناطقة التى هى تسجيل كامل للقصة التمثيلية ، وفرع هام من فروع ذلك الفن لسهولة تنقله وانتشاره

الأدب المسرحى اذاً فن ممتاز تشمل أبوابه جميع الفنون. وهو يمثل لنا صوراً مختارة من الحياة فى مختلف الأزمنة ، يخلقها المؤلف من خياله ، ويخلق لها حوادث وأشخاصاً ، ليحلل بذلك أخلاق الناس ونفسياتهم وما يطرأ عليها نتيجة حياتهم معاً ، وميول أهوائهم ، وطرائق تفكيرهم وبذلك يؤثر فى وجدان الجماهير المجتمعة ، ويستنهض حماسها لنصرة الحق على الباطل ، والفضيلة على الرذيلة

أنظروا نظرة حكيمة الى دور التمثيل والسينما إنها تبدو للنظرة الأولى أمكنة للتسلية والترية ولكنها فى الحقيقة ، تؤدى ما تؤديه المساجد والكنائس . أليست تنشر الحكمة والفضيلة ؟ ألا تضرب الأمثلة العليا وتحض على تضحية الذات فى سبيل الواجبات ؟ إنها فى الحق هياكل مقدسة للتبشير ، تحت ستار اللهو والتسلية . .

***

من الأمثلة الرائعة المثل الذى يقول إن الحاجة أم الاختراع. وهذه الحاجة هى التى كانت السبب فى اختراع فن التمثيل

شعر الذين قاموا بتأسيس النظم الاولى لمذهب حكم الجمهوريات فى الأزمنة الغابرة بحاجتهم السريعة لتقويم أخلاق الشعوب بشتى مبادىء الحكمة ، فأوحى اليهم وجدانهم الحى إنشاء نظم هذا الفن الجليل ، فشادوا له الدور الواسعة التى تسع آلاف الخلائق ، ووضعوا الجوائز الكبيرة للحكماء الراشدين ، وأقاموا بينهم تلك المباراة العجيبة التى لا تزال ثمارها الى الآن منبع الحكمة وفخر الأدب

وقام ايسكيلوس وسوفوكل وأوريبيد واريستوفان بوضع قصص كلها أمثلة رائعة للقضاء على الجريمة والرذيلة والخيانة والنذالة ، واقامة روح البطولة والمروءة والبسالة والطهارة . ولقد كان هذا عصراً مجيداً ، وكان خلقاً جديداً ، وكانت الأسس الأولى لهذه المدنية التى تهيمن علينا اليوم..

ثم انتقل بعد ذلك مع كل نهضة ، وأخذ يترعرع مع كل زمن ، وينمو بنماء كل علم وكل فن ، يستفيد من كل اختراع ، ويسمو مع كل عبقرية ، حتى جاء زمن الآلات والكهرباء . وكانت تلك البدعة الرائعة ، بدعة السينما الناطقة ، فزادت فى تعميمه ، وها هو الآن الجامعة الكبرى لكل الفنون ، وكل العلوم ، وكل الحكم

***

ومما يدعو الى الأسف الشديد ان حكماء العرب وشعراءهم جهلوه أو تجاهلوه وأعرضوا عنه

نخسرهذا الفن مجهودات عبقريتهم،حتى وافاه شاعرنا العظيم شوقى بمسرحياته الرائعة الخالدة ،فكانت درة مضيئة فى تاجه المرصع ، وستبقى على مر الزمن النماذج الكاملة للتأليف المسرحى فى بلاد العرب . على ان هـذه المسرحيات قليلة العدد ، ولم تساعد الظروف السيئة التى أحاطت بالمسرح فى المدة الأخيرة على تمثيلها كلها . ولم يجاره أحد من كبار شعراء وأدباء العرب فى اتخاذ هـذا الفن وسيلة لنشر آدابهم ومبادئهم ، أو على الأقل فى الأخذ بيده وشد أزره حتى ينهض ويقوى . لذلك لم يكن لنهضة هذا الفن فى بلادنا الشأن أو المجال الذى كان لها فى نهضات الأمم الأخرى

فهذا شكسبير ، وموليير ، وغيرهما ، كانوا يديرون بأنفسهم الفرق التى كانت تمثل رواياتهم ، ويقومون فيها بتمثيل بعض الأدوار ، فاستطاعوا بذلك أن يؤسسوا تلك النهضات على النظم التى أرادوها ووضعوها وفق مقتضيات الشعور القومى ، والروح الذاتية العامة ، التى كانوا يريدون الهيمنة عليها وارشادها وتهذيبها واصلاحها وتوجيهها الى النظريات الحكيمة ، وكانت هذه النهضات على وجه العموم مشمولة ، محاطة بعناية الطبقة الرشيدة

أما فى بلادنا فقد قامت على جهود أفراد قليلين ، يحق أن ننعتهم بالجبابرة العتاة ، لانهم خلقوا هذا الفن قبل أن تخلق له مؤهلاته ومعداته . بل شمروا عن ساعد الجد ، وتخطوا الزمن ، وأنشئوه فى أمة لم تكن لها فيه أية سابقة ولا عهد ، ودون أن يتمشوا فيه مع عقلية الجمهور ودرجة ثقافته ، بل حتموه تحتيما وأوجدوه قهراً ، بقوة إيمانهم وصبرهم وجلدهم . وبرغم ما اعترضه من عقبات تثبط الهمم وتثنى العزائم ، فانهم صبروا وثابروا حتى استطاعوا أن يخرجوا فى ثلاثين سنة ، أكثر من ثلثمائة رواية من أروع روايات هذا الفن ، وعلى أكمل أصول فنونه وعلومه ، وقد كادت تكل قواهم فسقطوا جميعاً صرعى جهادهم العنيف ، لولا أن تنبهت اليهم الرءوس الحكيمه فى الحكومة ، وفى مقدمتهم الوزير العلامة الفنان نجيب بك الهلالى ، فراحوا من جديد يتممون ما بدأ به هؤلاء الابطال كى لا يضيع ذلك المجهود سدى وتنتفع الأمة بهذا الفن الجليل

عزيز عيد



ضحية القضاء *

للروائى الاسبانى : بلاسكو إبانيز

ترجمة الاستاذ عبد الرحمن صدقى

قضى رفائيل أربعة عشر شهراً فى غيابة محبسه الضيق . وكانت دنياه هذه الجدران الأربعة الموحشة فى بياض كبياض العظام ، وقد حفظ عن ظهر قلب جميع ما بها من شقوق وثغور . وكانت شمسه هذه الكوة الصغيرة المرتفعة المشبكة بقضبان من الحديد تقاطع شقة السماء الزرقاء . أما مساحة أرضها فلا تكاد تبلغ ثمانى أقدام وليس يخصه منها إلا نصفها بسبب هذه السلسلة المخزية الصليل التى تحز حلقتها فى مفصل قدمه وكأنها جزء من لحمه

وكان محكوما عليه بالاعدام . وبينما أوراق قضيته تراجع مراجعتها الأخيرة فى مدريد كانت الشهور تتعاقب فى إثر الشهور ، وهو هنا الدفين الحى يبلى كالجثة إلا أنها مرددة الأنفاس فى هذا التابوت المشيد من قرميد وملاط ، وقصارى مشتهاه — كمن يصادى البلاء الشديد بأهون منه — أن تجيء الساعة التى يضيق فيها خناق المشنقة على رقبته فيقضى على كل هذا قضاءه المبرم

وأشد ما كان يضايقه النظافة . هذا البلاط المغسول المحكك كل يوم حتى لتتصاعد منه الرطوبة وتنفذ من فراشه الى عظامه ، وهذه الجدران التى لا سماح لذرة من تراب عليها . لقد حرموا على السجين حتى مصاحبة القذراة . يا للوحشة المطبقة ! فلو تطرقت الفئران الى هنا لعزاه أن يقاسمها طعامه الزهيد ويخاطبها مخاطبة الخلان ، ولو أنه وقع على عنكبوت فى أحد الأركان لتلهى بتطبيعه وتألفه

ولكنهم فى غيابة هذا اللحد لا يريدون حياة غير حياته . وفى ذات يوم — وما ينس رفائيل لا ينس هذا اليوم — تطلع عصفور من الكوة كأنه ولد من شياطين الأولاد ، وزقزق الطائر الشرود المتقلب فى أجواز الفضاء والنور كأنما يعرب عما يخالجه من دهشة وهو يطل على هذا الانسان المتقع اللون المنقوف البدن المرتعد من البرد فى الصيف القائظ وعلى جبينه بضعة مناديل معقودة وحول حقويه حزام من الصوف . انه لا شك قد تعاظمه مرآى هذا الوجه المتضمر الشاحب كالورق المضغوط ، وراعه هذا اللباس الغريب كزى الهنود الحمر ، فطار مولياً وهو ينفض ريشه كأنما ينفض عنه العفن المتصاعد من الكوة كعفن القبر

وكان حس الحياة الوحيد يأتيه من رفاقه المساجين وهم يرتاضون رياضتهم اليومية في فناء السجن . فهم على الأقل ينصرون السماء المجاوة فوق رءوسهم ولا يتنفسون الهواء من خلال كوة ، وأرجلهم طليقة فضلا عن أنهم واجدون من يحدثونه . حتى السجن طبقات ، وبلاؤه درجات . وكان رفائيل لا يدرك تبرم الانسان الدائم . فهو يحسد المساجين فى الفناء ويعتد حالهم أحب حال . وهو يحسد من فى خارجه يستمتعون بالحرية . ولعل هؤلاء الطلقاء السارحين فى الشوارع متبرمون جاحدون يطلبون مالا سبيل الى ادراكه . . . ما أحلى الحرية ! . . انهم يستحقون السجن

وكان قد بلغ من بؤس الحال منتهاه . عالج فى نوبة يأسه حفر نفق تحت الأرض للهرب فأعيته يقظة الحراس له يقظة ملحة ثقيلة الوطأة مرهقة . فاذا هو تغنى ألزموه الصمت . واذا التمس الترفيه عن نفسه بترتيل ما تيسر من صلوات تلقنها عن أمه انتهروه : «أو تدعى الجنون ؟ إذن فاسكت ! » ، وهم حريصون على بقائه سليما معافى فى جسمه وعقله حتى لا يجرى الجلاد ما يجريه فى جسد معطل تالف

مجنون ! إنه غير راغب فى الجنون . ولكن الاعتقال وعدم القدرة على الحركة وسوء التغذية وقلتها مجمعة على تلفه وهلاكه . ولقد أمسى نهب أوهام تنتابه وتتمثل له . فكان فى بعض الليالى يأوى الى فراشه ، وقد أخذ منه الكلال ، وران عليه الاعياء من ربقة نظام لم يتعوده بعد أن سلخ فيه أربعة عشر شهراً ، فاذا أغمض جفنيه ساوره خاطر عجيب يخيل اليه أن أعداءه ــ أولئك الراغبون فى قتله وهو جاهل بأشخاصهم كل الجهل ــ قد هجوا بطنه فقلبوه بطنا لظهر ثم هم يثخنونه طعنا ويوسعونه تعذيباً ونكالا

وفى النهار كان دائم التفكير فى ماضيه ، فيشرد ذهنه كأنما هو يستعرض حياة غير حياته

وانه ليذكر عودته الى قريته ومسقط رأسه بعد سجنه للمرة الأولى فى جريمة اعتداء بالأذاة والتجريح . وماكان بعدها من اشتهاره فى أرجاء الناحية واعجاب الناس فى الحانة الواقعة فى الميدان الكبير مرددين : « لله در رفائيل من وحش عظيم ! » . واستقر رأى أجمل فتاة فى القرية على الزواج به وذلك خوفا منه واجلالا له لا حباً له وغراماً به . وكان أعضاء مجلس القرية يصانعونه ويتوددون اليه ، وقد وهبوه بندقية من بنادق الخفراء ، وكانوا يحرضونه على خصومهم متخذين من توحش خلقه سلاحاً لهم فى الانتخابات . وأصبح الحاكم بأمره الذى لا معارض له فى الدائرة كلها . فلا يبرح الآخرون ــ أى فريق المغاوبين ــ رهن قبضته حتى يضيقوا بهذه الحال ، فيحتموا وراء مشاغب آخر حديث عهد بالخروج من السجن لكى يرد عنهم أذى رفائيل

ياسبحان الله ! إن كرامته فى المهنة لفى خطر فلا مندوحة له من وقف هذا الند الذى يسلبه معاشه . فكان الكمين الذى لابد أن يكون ، وطلقة النار المردية ، ثم ضربات بمؤخر البندقية للاجهاز على الجريح إسكاتا للانين وتسكينا للرفس

وفي الواقع كان الأمر عاديا ! وفي النهاية كان الاعتقال حيث التقى في السجن ببعض الرفاق القدماء ، ثم حانت المحاكمة وقد اشترك فيها جميع من كانوا يحذرونه فشفوا صدورهم من مهانة رهبتهم له وخوفهم بطشه بالشهادة عليه . وصدر الحكم الرهيب ، ومضت أربعة عشر شهراً على ارساله للتصديق وهو منتظر ورود الموت من مدريد وكأنه لطول المدة آت على عربة نقل

ولم يك خوار العود منخوب القلب . فكان يذكر « جوان بورتيلا » والفتى الجميل « فرانسكو استبان » وجميع هؤلاء البواسل الخوارج على القانون الذين كان يستمع دائماً الى وقائعهم المروية في الاشعار في شوق وحماسة ، وانه ليأنس في نفسه أنه مثلهم رباطة جأش وثبات جنان في ملاقاة الردى

ولكنه كان في بعض الليالي يهب من فراشه كأنما دفعه لولب خفي ، فتصلصل سلاسله صليلا مشئوما ، فينتحب كالطفل ، وسرعان ما يندم على ذلك فيجهد وعبثاً يجهد في كتم نحيبه . فان الصارخ الناحب انسان آخر في دخيلته ، انسان آخر لا عهد له به ولاسابقة معرفة ، وهذا الانسان شديد الخوف دائم الصراخ لا تهدأ ثائرته ويسكن روعه حتى يجرع عدة أقداح من ذلك الشراب المحرق من نقيع الهندباء الذي يسمونه في السجن بالقهوة

والحقيقة الراهنة أن رفائيل القديم ، رفائيل الراغب في الموت تعجيلا للخلاص مما هو فيه ، لم يعد باقيا منه الا القشرة الظاهرة . وأما رفائيل الجديد المولود في غيابة هذا اللحد فانه ليذكر مرتاعا ونفسه ذاهبة شعاعاً أن أربعة عشر شهراً تصرمت وأن النهاية قريبة لا محالة . ولعمر الله ، إنه ليطيب نفساً لو أتيح له البقاء أربعة عشر شهراً أخرى في هذا الشقاء

وأصبح متوجساً مترقباً . وقد ألقى في نفسه أن الهلاك على قاب قوسين أو أدنى منه ، فهو يطالعه في كل ناحية : في الوجوه المتطلعة تطل عليه من كوة الباب المشبكة بالحديد ، وفي قسيس السجن يدأب الآن على الحضور عصر كل يوم كأنما هذا المحبس الضيق الفخم خير مكان للمسامرة وتدخين لفافة التبغ . هذا قبيح ، قبيح جداً !

وكانت الأسئلة مقلقة للبال كأشد ما يكون القلق والبلبلة . أهو مؤمن صحيح الايمان ؟ نعم ، يا أبت . ولقد كان يرعى حرمة رجال الدين ولم يقصر قط في حقهم . أما أهله فلا يرق اليهم مقال ، فقد ذهب قومه جميعاً للقتال في سبيل الملك حين دعاهم كاهن القرية الى ذلك . ولكي يدلل رفائيل على إيمانه يعمد الى الاطمار على صدره فيخرج من تحتها ربطة قذرة وضرة من الأحجبة والانواط

وحين ذاك يحدثه قسيس السجن عن السيد المسيح وهو مع كونه ابن الله فقد وقف مثل موقفه . وكان لهذا التمثيل أعظم الوقع في نفس هذا المسكين . يا له من شرف عظيم ! . . بيد أنه مع ارتياحه لهذه المشابهة فقد كان شديد الرغبة في تأخير وقوعها ما أمكن التأخير

وجاء يوم فاذا بالخبر الموعود ينزل به كالصاعقة . لقد انتهى الأمر فى مدريد . المنية آتية ، آتية على جناح السرعة ، بأسلاك البرق

وحين أخبره أحد الحراس بقدوم زوجته ـ ومعها الرضيع المولود له وهو فى السجن ـ تلتمس الاذن برؤيته ، لم يعد عنده شك . فان حضورها من القرية معناه أن قد قضى الأمر وحم القضاء

ولقد حدثوه عن حقه فى التماس تأجيل التنفيذ ، فاستمسك متلهفاً بهذا الخيط الأخير من الأمل شأن المنكودين جميعاً . أو لم يفلح البعض ؟ فلم لا يفلح هو ؟ ثم فوق ذلك ، ماذا على تلك السيدة الطيبة فى مدريد لو وهبته حياته ؟ فالأمر لا يعدو مجرد توقيع منها باسمها

أما هؤلاء الطغمة الجديرون باسم حفارى القبور الذين كانوا يعودونه بدافع من حب الاستطلاع أو تأدية الواجب ، من محامين وقساوسة ومخبرين ، فكان يسائلهم فى توسل وضراعة كأنهم قادرون على إنقاذه : « ما رأيكم ، أترونها موقعة ؟ »

ولعلهم فى غد آخذوه الى بلدته مصفداً محروساً كأنه وحش يساق الى المجزر . وكان الجلاد هنالك مستعداً بكامل عدته . وعند باب السجن كانت امرأته تنتظر رؤيته عند خروجه وهى سمراء من ذوات الدل ممتلئة الشفتين مقرونة الحاجبين يتضوع من إزارها الفضفاض رائحة فاغمة كرائحة مخازن الغلال

وكانت كالمروعة من وجودها هنا ، ونظرتها المشدوهة أقرب الى الذهول وخدر الحس منها الى الألم . فاذا هى ذكرت الطفل الرضيع الى صدرها أذرفت بضع عبرات :

ـــ سيدى ! يا لها من فضيحة يلصق بالعائلة عارها ! لقد كنا نعرف أن مصيره الى هنا . ولكن الطفل قد ولد !

وأقبل قسيس السجن عليها يعزيها . ليس للمرء غير التسليم وتفويض الأمر لله . ثم عسى الله أن يرزقها اذا تأيمت رجلا يسعدها ويجعلها أكثر هناءة . وكأنما استجاشها هذا التفكير فذهبت الى حد الكلام عن حبيبها الأول وهو فتى طيب اضطر الى اعتزالها والتخلى عنها خشية رفائيل ، وهو فى هذه الايام يكثر من ملاحقتها فى البلدة وفى الحقول كأن فى نفسه ما يريد الافضاء به اليها

ثم رددت فى سكينة وهى تحاول الابتسام : « بل الرجال كثيرون . ولكنى مؤمنة شديدة التدين ، فاذا اتخذت رجلا آخر فانما أريده على سنة الله »

فلما أن لحظت أمارات الدهشة على وجوه القس وحراس الباب ، ثابت الى الأمر الواقع واستأنفت تستوكف دمعها

وأمسى المساء وأتت معه الأنباء . أجل ، لقد وقعت السيدة . تلك السيدة التى كان رفائيل يتمثلها فى مدريد يحفها كل ما فى هيا كل الرب الرحيم من بهاء وزينة تستجيب للرقيات والدعوات ، قد استجابت للمحكوم عليه ومدت فى حياته

وأحدث تأجيل التنفيذ هزة فى السجن كأنما تلقى كل سجين العفو المطلق

وقال القس لزوجة المحكوم عليه عند الباب :

— أبشرى أيتها المرأة . سوف لا يقتلون زوجك . وسوف لا تتأيمين

فبقيت الفتاة فى مكانها ساكنة ، كأنها تغالب أفكاراً تتجم وتشيع فى خاطرها . ثم قالت فى آخر الأمر هادئة :

— حسن جداً ! ومتى يكون خروجه ؟

— خروجه ! . . أمجنونة أنت ؟ لن يخرج ! وهو لا محالة يغبط نفسه لا بقائهم على حياته . وهم مرساوه الى افريقية ، ومن كان فى مثل فتوته وقوته فانه قد يعيش عشرين سنة أخرى

وفى هذه المرة انتحبت المرأة حقيقة بكل جوارحها . ولم تكن تذرف دموع الحزن بل دموع اليأس والسخط

فصاح بها القس متغيظاً :

— مالك أيتها المرأة ! انك تتحدين حكمة الله ورحمته . لقد عفوا عن حياته ، أفهمت ؟ لم يعد محكوما عليه بالموت . . أبعد ذلك تندبين وتشكين ؟

فكفت الفتاة عن النحيب . وأبرقت عيناها بريق الكراهة :

— حسن جداً . ليعش . . . انى مغتبطة . لقد نجا ، ولكن . . ماذا يكون من أمرى أنا ؟

وبعد سكوت طويل رددت منتحبة والنشيج يهز جسمها الكثيف المتقد بحرارة الغريزة :

« والآن . . أنا المحكوم عليها . . أنا ضحية القضاء »

(ترجمة) عبد الرحمن صدقى



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

المنفلوطي

في نظر مستشرق انجليزي

تناول بعض كتاب مصر المعاصرين ، وفي مقدمتهم العقاد والمازني وطه حسين ، مقالات المنفلوطي بنقد مر عنيف ، ولكن هذه المقالات ذات أهمية خاصة لأنها تمثل مرحلة من مراحل احياء الأدب العربي

نشرت هذه المقالات الموجزة في الصحف تحت عنوان « النظرات » وقد جمعت بين الأدب العالي وبين ارضاء ذوق القراء ، لأنها كتبت بلغة موسيقية صافية ، فكانت بمثابة الوحي يهبط على جمهور تعود قراءة أدب الكلفة والتصنع ، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية من بغداد إلى مراكش ، مما يدل على انهم ألفوا فيها شيئاً قيماً ، كما كانت تمثل الشعور الذي تردد صداه في العالم الاسلامي أبلغ تمثيل

ومن السهل أن ندرك اليوم قيمة هذه المقالات ، فان رجال الادب يشعرون بالأثر القوي الذي احدثته كتب المنفلوطي التي يحفظ منها طلبة المدارس عن ظهر قلب صفحات برمتها ملكت ألبابهم واستولت على مشاعرهم . .

وهي الى جانب هذا تمثل حالة الأدب في الشرق العربي الذي اصطبغ بصبغة الآداب الغربية أما افكار المنفلوطي ، أو بمعنى أصح عواطف المنفلوطي ، فيلاحظ عليها التناقض والتضارب . فهو لا يستطيع مثلا ان يخفي أسفه على الاعتقاد بشفاعة الاولياء ، وان كان يرى ان مثل هذه الاعتقادات الزائفة هي السبب في ضعف العالم الاسلامي . ويقول ان اختلاف الآراء هو القانون الاساسي لتقدم الانسان ، بينا يندد بتعدد الاحزاب السياسية في مصر . ويرفض الجمود الديني ويحذر قراء العربية من اقتباس مدنية الغرب دون تمحيص ، مع أنه قد تأثر في أدبه بالرومانتزم الفرنسي وكان المنفلوطي وطنياً غيوراً وقد قضى هذا الكاتب الرقيق ستة أشهر في السجن عقاباً له

على قصيدة هجا فيها الخديو عباس حلمى . وانضم إلى الزعيم سعد زغلول الذى قام يطالب بالحرية لمصر المتحدة الناهضة . وكان الى هذا رجلا يحافظ على التقاليد ويرعاها فظل طول حياته يلبس الزى الوطنى ورفض أن يستبدله بالملابس الأوربية ، أما مطالبته باحترام المرأة والطبقات الفقيرة فانما يقوم على أساس من قواعد دين الاسلام

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة اسلاميك كلتشر للمستعرب الانجليزى نيفل باربر]

قبور تضم أحياء

حوادث غريبة عمن دفنوا قبل وفاتهم

فى أميركا اليوم جمعية تسمى « جمعية منع الدفن قبل الوفاة » انشئت فى سنة ١٨٩٦ ثم نمت واتسع نطاقها حتى صار لها فروع فى جميع أنحاء العالم، وفى وسع أى رجل أن ينضم اليها بدفع أجرة معينة مقابل أن تتولى الجمعية فحصه عند الوفاة فحصاً مدققاً خيفة دفنه حياً . فقد ذكر التاريخ أسماء كثيرين من العظماء دفنوا قبل أن يموتوا وإنما أصابتهم غيبوبة تشبه الموت . ومنهم السيدة « لى » الاميركية فانها وقعت فى غيبوبة فظن الأطباء أنها قد ماتت فأمروا بدفنها . ولكن حارس القبر سمع فى الليل صوت حركة فى قبرها فأسرع وأخرجها وما زالت حية . وقد عاشت بعد ذلك وولدت ابنها الذى أصبح فيما بعد قائداً للجيش الانفصالى فى الحرب الاميركية المشهورة

ومنذ نحو سنتين توفيت فى بلغاريا فتاة حسناء على أثر ابتلاعها بيضة مسلوقة صحيحة . فدفنها أهلها ودفنوا معها حلاها حسب تقاليد بلادها . ويظهر أن أحد اللصوص أراد أن يسطو على قبرها فى الليل . فلما كاد يفتح تابوتها حتى هبت فى وجهه مذعورة وقذفت البيضة من حلقها . فهرب اللص مذعوراً وعادت الفتاة الى أهلها

ومن أعظم حوادث هذا القبيل ما وقع لرجل أميركى يدعى واشنطون ارفنج بيشوب من أهالى نيويورك. فقد كان هذا الرجل مشهوراً فى الولايات المتحدة بل فى العالم كله بقراءة الأفكار، حتى انه حير العلماء وأدهشهم ونال «الأوسمة» الكثيرة ، ومنها «وسام» من قيصر روسيا السابق . ومن أشهر أعماله أنه كان يوقع نفسه فى غيبوبة طويلة كما يفعل دراويش الهند ، فتبدو عليه جميع أعراض الوفاة ، ويظل على تلك الحال مدة طويلة وكل من يراه يزعم أنه قد مات ، ثم ينتفض واقفاً وقد عادت اليه الحياة . ففى مساء يوم من أيام شهر مايو سنة ١٨٨٩ عزم بيشوب على القيام باحدى تجاربه أمام لجنة من كبار العلماء والأطباء فى أحد أندية نيويورك ، فلما اجتمع القوم حوله

أوقع نفسه في غيبوبة ، ثم مر وقت طويل لم يبد عليه في خلاله أي عرض من أعراض الحياة . ولما استبطأه الأطباء أخذت المخاوف تساورهم . وكان بيشوب يحمل في جيبه دائما بطاقة عليها وصية بخط يده وهي ألا يدفنوه — الا بعد مرور ثلاثة أيام من بدء غيبوبته . فتركه الأطباء في ذلك المكان ثلاثة أيام ، لم تبد عليه في أثنائها أعراض الحياة. وأخيراً فحصه الأطباء فقرروا أنه قد توفى ، وسرعان ما قاموا الى جمجمته ففتحوها ، واستخرجوا دماغه ليفحصوه ، ويستقصوا أسراره . ولايزال الكثيرون يعتقدون الى هذا اليوم أن بيشوب لم يمت،ولكن الجراحين الذين استخرجوا دماغه قتلوه . وقد ظل أهالي نيويورك يتناقلون قصته عدة أسابيع

ترى كيف نستطيع اثبات الوفاة اثباتاً علمياً قاطعاً ؟ وما هي حالة الغيبوبة التي كثيراً ما يخلط الناس بينها وبين الموت ولا يستطيعون أن يميزوها عنه ؟

تعرف هذه الحالة عند الأطباء « بالكاتالبسى » ، وتطرأ على المخلوقات الحية وتقف فيها جميع أعراض الحياة من شعور وتنفس ونبض وهلم جرا . وهي عرض لا مرض . وأكثر الذين يصابون بها المصابون بالجنون واضطراب الأعصاب والهستيريا والسكيزوفرينا والكاتاتونيا وغيرها . والعرض الوحيد الذي يتبقى من أعراض الحياة في الجسم في أثناء هذه الحالة هو الدورة الدموية فانها تظل تدور

أما الوسائل التي تلجأ اليها جمعية « منع الدفن قبل الوفاة » فكثيرة نذكر منها ما يأتي :

(١) فحص النبض حتى يتضح هل هو مستمر أم قد وقف (٢) فحص دقات القلب بالمسمع أو الستتسكوب (٣) الانصات الى صوت التنفس في الصدر (٤) رفع يد الجثة في النور فان كانت الحياة لا تزال موجودة كانت أطراف الانامل نصف شفافة (٥) وضع مرآة أمام فم الجثة وأنفها فان كانت الحياة لاتزال باقية ظهرت آثار التنفس على أديم المرآة بشكل ضباب خفيف لا يلبث أن يتحول الى ندى (٦) إمرار أشياء ساطعة أمام عيني الجثة فاذا كانت الحياة لا تزال باقية فان سطوع النور يجعل البؤبؤ يتحرك ويتقلص

هذه بعض القرائن التي يستدل بها على وجود الحياة أو عدم وجودها . وهنالك قرائن أخرى يعرفها الاطباء . ومما يدعو إلى الاسف أن « جمعية منع الدفن قبل الوفاة » لا توجد إلا في أنحاء قليلة من العالم . أما في غيرها فان طرق تحقيق الوفاة لا تستند الى أساس علمي صحيح ، ولا هي تقنع أهل الميت والمرتابين في حصول الوفاة، ففي معظم مدن المانيا مثلا توضع الجثة في « المورج » — أي معرض الجثث — حيث تبقى ثلاثة أيام في جو طبيعي من الحرارة والبرودة لابسة ثيابها الاعتيادية . ويجوز ابقاؤها اكثر من ثلاثة أيام إذا طلب أهل الميت ذلك . وزيادة في الحرص تربط اليدان إلى أجراس دقيقة تقرع إذا تحركت اليدان أدنى حركة . وقد أتت هذه الطريقة بفوائد كثيرة في المانيا فاقتبستها عنها بلاد كثيرة

وفي البلاد الحارة — ولا سيما الهند — لا تحفظ الجثة سوى أربع وعشرين ساعة لان حرارة

الجو لا تسمح باستبقائها أكثر من ذلك . على أن « للباريسيين » من الهنود عادة شنيعة هى أنهم يعرضون الجثة فى أماكن عالية ، فاذا كانت الوفاة أكيدة انقضت النسور على الجثة ونهشتها بحيث لا يبقى منها إلا العظام . وإذا كان لا يزال بها رمق من الحياة امتنعت النسور عن نهشها ! . . .

وكان الرومان قديما يستبقون الجثة أسبوعاً كاملا فلا يدفنونها الا بعد انقضاء تلك المدة . ومثلهم كان يعمل اليونان

ولا شك أن الخوف من الدفن قبل الوفاة هو أحد الاسباب التى حملت بعض الشعوب على حرق الجثة . ولهذا تجد الكثيرين من الناس يطلبون فى وصيتهم أن تحرق جثتهم فان ذلك خير لهم من أن يدفنوا وفيهم رمق من الحياة

ومما يجدر بالذكر أن ادمند يانس الروائى الاميركى كان عرضة لنوبات غيبوبة شديدة، ولذلك أوصى بعدم دفنه قبل بضع ودجه . وبمثل هذا أوصى هربرت سبنسر الفيلسوف الانجليزى . وأوصى أوكونيل السياسى الارلندى الخطيب بأن يشق قلبه ليثبت خفوقه أو سكونه لئلا يدفن حياً . ويروى عن دزريلى السياسي الانجليزى الشهير أنه كان يقع من وقت الى آخر فى غيبوبات طويلة فيزعم الناس أنه قد مات . لذلك أوصى بعدم دفنه الا بعد تحقيق وفاته بوسائل لا يتطرق الشك اليها

وقد حدث مرة أن امرأة أميركية وقعت فى غيبوبة فظن أهلها أنها قد توفيت، فدفنوها وأقاموا لها مناحة عظيمة . ثم اتضح أنها لم تكن قد ماتت فأنقذت من القبر وعاشت بعد ذلك نحو ثلاثين سنة ولد لها فى خلالها أولاد كثيرون أوصى جميعهم بعدم دفنهم قبل ثبوت وفاتهم بالوسائل العلمية الدقيقة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة نيوكرنت دايجست للاستاذ ويلسون تشمبرلن]

طابع الاصابع يفضح المجرمين

فيحاولون تغييره بطرق شتى

لكل انسان فى هذا العالم طابع أصابع يميزه من غيره من الناس . ولن تجد اثنين من البشر لهما طابع متماثل من كل وجه . وليس هذا التماثل ممكناً حتى بين التوائم . ذلك لأن الطفل يولد بطابع يلزمه طول حياته ولا يتغير أبداً . ولهذا يعتبر العلماء « بصمة » الأصابع خير علامة تميز الانسان تمييزاً لا سبيل الى الشك فيه

وقد حاول المجرمون فى السنوات الأخيرة تغيير « بصمة » أصابعهم بمختلف الوسائل ، ولكن

جهودهم ذهبت سدى، والارجح أنها لن تسفر عن النجاح على الاطلاق. ومع ذلك فقد ألقى الدكتور ريبرو خطبة فى المعهد الطبى (اكاديمية الطب) بباريس جاء فيها أن مرض الجذام متى اتصل بأصابع اليد غير طابعها (بصمتها) وقد أثبت ذلك ببراهين كثيرة قد تبعث بخوف فى النفس أول وهلة ، لئلا يستعين المجرمون بهذا الداء على تغيير بصمات أصابعهم . الا أن الدكتور ريبرو قد أزال هذا الخوف بقوله إنه عندما يشفى المصاب بالجذام تسترجع أصابعه « بصمتها » الاصلية . أضف الى ذلك أنه ليس من المعقول أن يعرض المجرم نفسه الى مرض الجذام تزييفاً « لبصمة » أصابعه وإلا كان كالمستجير من الرمضاء بالنار . .

قلنا إن المجرمين قد حاولوا مراراً تزييف « بصمات » أصابعهم . وقد لجأوا فى سبيل ذلك الى طرق كثيرة كلها مؤلمة مؤذية ، فمنهم من حرق جلد كفه بالنار أو بالحوامض الكاوية، ومنهم من لجأ الى تقطيع الجلد وتشويهه بشكل فظيع . الا أن جميع هذه الجهود ذهبت سدى لأن تشويه جلد الكف على هذا الوجه دليل على أن صاحب الكف انما أراد تشويه « بصمة » أصابعه

وليس ذلك فقط بل إن اخفاء معالم الاصبع الواحدة لا يجدى نفعاً بل يجب تشويه معالم الاصابع كلها لأن بين كل اصبع وأخرى اثنى عشر وجهاً من وجوه الشبه . فاذا أزيلت « بصمة » اصبع واحدة أمكن معرفتها بمقابلة الأصابع الأخرى . أى أن كل اصبع من التسع الاصابع الأخرى شاهد على الاصبع المشوهة

والمأخوذ من أقوال المشرفين على حماية الأمن العام أن حوادث تشويه « بصمات » الاصابع نادرة جداً لا تخفى على متعقبى المجرمين . وقد حاول بعض المجرمين تشويه « بصمات » أصابعهم بازالة جلد الكف واستبداله بقطعة أخرى من الجلد تؤخذ من مكان آخر من الجسم . ولكن هذا لا يخلو من صعوبة . والاطباء الجراحيون الذين يستطيعون القيام بهذه العملية الجراحية على وجه متقن لا يزيدون على عدد أصابع اليد فى العالم كله . وهم بلا شك من جهابذة الاطباء الذين لا تسمح لهم آدابهم وأخلاقهم بمساعدة أى مجرم على الفرار من وجه العدالة . ومع ذلك فان كانت العملية الجراحية متقنة بحيث لا يستطيع الناظر فى كف المجرم اكتشاف أثر استبدال الجلد أول وهلة ، فان العلم لا يعدم وسيلة لاثبات أن ذلك الجلد ليس جلد الكف الطبيعى بل هو مستعار من مكان آخر من الجسم

وخلاصة القول ان سكان العالم ـ وعددهم نحو الفى مليون نفس ـ يختلفون بعضهم عن بعض اختلافا صريحاً « ببصمات » أصابعهم وليس بينهم اثنان يتشابهان فى تلك « البصمات » وجميع المحاولات التى يراد منها تشويه تلك « البصمات » تذهب سدى لان العلم لا يعدم وسيلة لاكتشاف ذلك التشويه

[خلاصة مقالة للسيدة فان ديوتر نشرت فى مجلة رسالة الاخبار العلمية]

الخوف يقوى الجسم وينشط العقل

ولولاه لما تطور الانسان وارتقى

يزعم البعض أن الخوف صفة لا تشرف الانسان فيجب محاربتها بجميع الوسائل . على ان العلم الحديث يذهب الى عكس ذلك ويثبت أن الخوف هو عامل مقو ومنبه ، وأنه يثير فى المرء شعور غبطة وارتياح لانه يمد الجسم بقوة عضلية وينبه العقل ويحمل الغدد الباطنية على الافراز ، فضلا عن انه شعور غريزى يدفع المرء الى الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته

وكثيراً ما يرتاح المرء الى الأخطار فيعرض لها نفسه غير عابىء بما تثيره فيه من مخاوف . وحالما يقوم الخوف فى نفسه يحدث فى داخله انقلاب عظيم . فتنشط غدده الداخلية ولا سيما الدرقية ، ويستعد كل عضو من أعضاء جسمه للقيام بوظيفته . وفى هذه الحالة يتجه كل فكره وشعوره الى مواجهة الخطر ، ويسرع الجسم الى توليد الدم اللازم لتغذية العضلات ، وينشط القلب ، ويشتد عمل الرئتين ، وتتفشى الحرارة فى الجسم ، ثم تعد الطبيعة هذا الجسم بالعرق لاعادة الموازنة اليه

وكثيراً ما يندفع الانسان الى مواجهة المخاوف من تلقاء نفسه وكأنه يشعر بلذة كامنة من جراء تعرضه لعامل الخوف . واندفاعه هذا غريزى يظهر على صور شتى لا تقع تحت حصر . فبعض الناس يقصدون غابات افريقا لصيد وحوشها المفترسة ، وبعضهم يركبون الطيارات ليهبطوا منها بالمظلات الواقية وبعضهم يتسلقون الجبال الشاهقة . وغيرهم يرتادون المجاهل السحيقة . الى غير ذلك من المغامرات التى لا تحصى ولا تعد . وكلها دليل على أن الانسان كثيراً ما يرتاح الى مواجهة الأخطار . نعم ان الناس يحاولون تجنب الأخطار عادة ولكن الكثيرين منهم اذا أرادوا الاستراحة من متاعب العمل عمدوا الى مغامرات يجدون فيها لذة عظيمة — فى ميادين الصيد أو الألعاب الرياضية او مجاهل البلدان أو ما الى ذلك . وكلها دليل على أن الانسان يطلب المخاطر لأنه يجد فيها لذة عظيمة . بل ان انهماكه فى القمار يعرض نفسه دائماً للخوف من الخسارة ، وإقبال الناس على جميع ضروب القمار دليل على تلذذهم بعامل الخوف

أضف الى ذلك أن غريزة الخوف ليست من العواطف « الهدامة » بل هى من العوامل التى لا غنى للانسان عنها للدفاع عن نفسه . ذلك لأنها توقظ فى نفسه الحرص والحذر . فالخوف من الشيخوخة مثلا هو العامل الذى يدفع المرأة الى العناية بنفسها وبجسمها وبشرتها . والخوف من السمن المفرط هو الذى يجعلنا ندقق فى اختيار طعامنا . والخوف من الأمراض هو الذى يجعلنا نحرص على ما يجب اتخاذه من أسباب الوقاية والاحتياط

وفى الحقيقة ان فوائد الخوف أكثر من أن تعد . ولولا هذه الغريزة لهلك الانسان لا محالة . والغريب أنها أساس الآداب والدين والفضائل والأخلاق . بل هى القوة التى تسدد خطوات الانسان فى طريق العدل والاستقامة والصلاح . وقد كان الخوف من صفات الانسان الأول إذ كان يخاف الطبيعة ومظاهرها المزعجة من رعد وبرق وفيضان وزلازل وحيوانات سامة ومفترسة ، وهذا الخوف جعله يعتقد وجود قوة غير منظورة وخارقة للطبيعة مسيطرة على كل حركة من حركات الكون

ومما يجدر بالذكر أن الشجاعة هى وليدة الخوف . وبيان ذلك أن الجندى الذى يخوض المعركة يواجه أعداءه وهو يرتجف خوفا وينقض عليهم خيفة أن يلاقى حتفه على أيديهم إن هو لم يفعل ذلك . وهذا دليل على أن الخوف هو حارس طبيعى للانسان يقيه الهلاك . ولكن اذا تمكن منه وأصبح مزمناً صار عاملا من عوامل الفناء

وبعبارة أخرى ان الانسان ما كان ليتطور الى حالته الحاضرة لولا عامل الخوف . ومع انه قد تطور من حيوان أحط منه فقد احتفظ بذلك العامل . الا أن بعض الحيوانات الضارية كالأسد والنمر والفهد وغير هذه السباع لا تعرف الخوف لأنها لم تتطور كما تطور الانسان . ومع ان الانسان الأول كان أشجع ـ نسبياً ـ من الانسان الحاضر ، الا أن شجاعته تناقصت بمرور الزمن بقدر ازدياد قواه العقلية . أى أنه صار يستعين بهذه القوى على مجابهة الأخطار وتلافيها

الا أن تطور عقله ولد فى نفسه خوفاً جديداً يتناول أشياء كثيرة كالخوف من المرض ومن المصائب والمهالك على اختلاف أنواعها . ومثل هذا الخوف لا أثر له فى الحيوان اذ الأرجح أن الحيوان لا يعرف مثلا أنه سيموت أو سيصاب بمرض أو ما الى ذلك . وغنى عن البيان أن الانسان الذى يجهل المخاوف لا يجتنبها ، وهذا ما قضى على طوائف كثيرة من طوائف الانسان الأول

نستخلص مما تقدم أن للمدنية ضروبا من الخوف خاصة بها وهى لا تقع تحت حصر ـ كالخوف من الوحدة ومن الزواج ومن البطالة ومن الجوع ومن تهكم الناس . . وهذه المخاوف هى فى الحقيقة فى مصلحة الانسان لأنها تجعله يحتال على اجتنابها ويتفنن فى طرق اتقائها

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة مودرن سايكولوجست للاستاذ ستايدر]

ترياق يؤخذ من السم

« وداونى بالتى كانت هى الداء »

حقق العلم ما كنا نحسبه معجزة أو مستحيلا ، وأصبح سم الثعبان يستشفى به من علل عجزت الأدوية كلها عن علاجها

نعم ، أصبحت الثعابين أجدى من نطس الأطباء فى علاج كثير من الأمراض

وقد حلل فريق من العلماء سموم الثعابين المختلفة فوجدوا أنها على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : يؤثر فى الجهاز العصبى فيشله عن العمل ويخمد حركته ويميت احساسه

النوع الثانى : يذيب جدران الأوعية ويحلل الكريات الحمراء

النوع الثالث : يجمد الدم ويحيله كتلا يابسة

وكل هذه الأنواع قتالة ، ومع ذلك فقد استطاع الطب أن يستفيد منها . فقد جرب النوع الاول ، بعد تخفيفه ، فى الحيوانات المصابة بأمراض مؤلمة وآلام ثائرة ، فسكن الألم وهدأت الثائرة وعاد الحيوان الى سابق حاله . . فاستخدم فى أمراض مماثلة لم تنفع فيها جميع الادوية المعروفة ، فاذا بالمرضى ينعمون بالراحة والنوم والسكينة . . وقد حال هذا الترياق فى كثير من الحالات دون حدوث الصرع ، وأدى الى تخفيف وطأة نوباته كثيراً

واستعمل النوع الثانى من سموم الثعابين فى شفاء حالات يتجمد فيها الدم بسبب حوادث مهلكة كاصطدام السيارات والسقوط من النوافذ إذ فى تلك الحالات يتعرض الدم لمفعول الهواء والاتربة فيدخل فيه ما يجمده ، ثم ان هناك أمراضا قلبية ومعوية ومخية ينجم عنها تجمد قليل من الدم ، مما يؤدى الى الوفاة حتما . ففى هذه الاحوال يضاف جزء من سم الثعبان المخفف الى دمه ، فيذيب القطع التى تجمدت ، وينجو المريض من الهلاك المحقق

هذا من جهة ، ومن الناحية الاخرى هناك أمراض ينزف فيها الدم من الانف من غير سبب ظاهر ، أو ينزف داخل المخ أو داخل الرئة ، ولم يعرف الطب حتى اليوم دواء يوقف النزف . ولكن بعض المشتغلين بسم الثعابين توصل أخيراً الى صنع ترياق منها يمنع النزف ، وقد استطاعوا بحقن الجسم بمقادير منه أن يكسبوه مناعة ضد هذا الانسكاب الدموى القتال . .

ولا تزال المباحث جارية عسى أن يستطيعوا استخدام سم الثعابين لاغراض وقائية وعلاجية أخرى ، ولقد صارت تجارة الثعابين فى أمريكا رائجة نافعة ، حتى عنى البعض بتربية هذه الزواحف المميتة كما تربى الماشية والدواجن . . .

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة هيجينا بقلم لى د . كانى]

آلات الهلاك فى الحرب المقبلة

القتال بين العلماء لا بين القواد

يزعم بعض الناس أن الحرب تبدأ عادة بارسال انذار نهائى وتنتهى بعقد هدنة . وفى هذا الزعم خطأ لسنا فى حاجة الى تفنيده . فالحروب اليوم لا تقع فى ميادين القتال بل فى عقول الذين يرسمون خططها ، وهم العلماء لا القواد . فالاختراعات العلمية تتقدم تعبئة الجيوش وتسبق ارسالها الى ميادين القتال . ولهذا ترى القائد العام يعنى اليوم بتلك الاختراعات اكثر من عنايته بالانتقام لكرامة وطنه ، ويسأل عما قد يكون العلم اكتشفه من أدوات ومواد ، قبل سؤاله عن عدد الجيوش التى تستطيع حكومته أن تضعها تحت امرته

وأول سلاح يتجه اليه الاهتمام هو المدافع التى لا غنى عنها للمشاة، وفى مقدمتها ما يعرف بمدافع الخنادق أو « الهاون » . وقد اثبت الاختبار فى الحرب العظمى الماضية أن قيمتها من الوجه الحربى ضئيلة جداً لأن عيوبها كثيرة وقذائفها قلما تصيب الهدف، بل كثيراً ما تقع على الأرض ولا تنفجر، وقد كان الألمان في الحرب الماضية يسخرون منها ويعيدون قذفها على أعدائهم ضاحكين

على أن هنالك الآن نوعا منها يعرف باسم مدفع « ستوكس براندت » وقد اصلحت فيه عيوب « الهاون » القديم من حيث قوة القذيفة وبعد مرماها وضمان اصابتها الهدف . ولهذا المدفع الجديد صناديق وسيارات خاصة لنقله واحكام تركيبه، وقد روعى فى وضع السيارات الخاصة به أن لاتعطلها طبيعة الأرض أو الأوحال عن السير

وهنالك المدفع السريع ـ ويعرف أيضاً باسم (البندقية نصف الاوتوماتيكية) وهو أصناف عدة وكثيراً ما يستعمله البوليس فى أوربا وأميركا فى مطاردة اللصوص ، بل كثيراً ما يستعمله اللصوص أنفسهم . وثقل هذا المدفع ستة عشر رطلا ، وقد كان يطلق قبل الحرب ستين قذيفة فى الدقيقة ثم أدخلت عليه تحسينات كثيرة فنقص وزنه وأحكمت رمايته وأزيلت عيوبه وصار يطلق بدلا من الستين قذيفة ستمائة قذيفة فى الدقيقة . وبعد أن كان كل مدفع يحتاج الى ستة رجال ، صار يكفيه رجلان فقط يحكمان به الرماية ولا يخطئان الهدف

وقد اخترعت بندقية جديدة من هذا النوع بعد الحرب ، ومخترعها مهندس المانى يسمى جيرلخ، وقد سجل اختراعه فى كل من انجلترا وأميركا ، ومن مزايا هذه البندقية ـ عدا سرعة الاطلاق وخفة الوزن ـ أن لرصاصتها أو قذيفتها قوة اختراق عظيمة جداً ترجع الى سرعة انطلاقها ، إذ تبلغ تلك السرعة نحو ميل فى الثانية . والقذيفة تصنع من الرصاص ومع ذلك تخترق صفائح من الصلب وغيره من المعادن بفضل سرعتها . وهى رخيصة جداً لأنها تصنع من الرصاص

وهنالك اليوم مدافع صغيرة من النوع المعروف (بالهوتزر) وقد كان يوجد نوع منها قبل الحرب لا يزيد مداه على ٨٨٦٠ ياردة ، ولكن مدى المدفع الجديد قد زيد الى ثمانية عشر الف ياردة ، وهو مركب على (عجلات) تسير بسرعة ثلاثين ميلا فى الساعة ولا تهمها طبيعة الأرض التى تسير عليها

ولننظر الآن فى الحرب الجوية ، وهى التى تشغل بال الدول وقادة الجيوش . ولا يخفى أن مناطيد زبلين كانت قبل الحرب تغزو لندن وباريس من وقت الى آخر وتلقى مقذوفاتها على السكان الآمنين . ومع أن طيارات الحلفاء كانت تنبرى لمحاربتها فان ذلك لم يزجرها ولم يمنعها من تجديد غاراتها . وفى الحقيقة أن أحسن سلاح لمقاومة الطيارات بجميع أنواعها هو المدفع الخاص بها . ولم يكن هذا المدفع فى سنة ١٩١٨ على شيء من الاتقان، ولا كانت وسائل أحكام الرماية متوافرة فيه، ولذلك لم يكن ينفع كثيراً فى مقاومة الغارات الجوية. ألا أن الامور تغيرت بعد الحرب ، إذ أدخلت على المدفع المذكور تحسينات عظيمة أهمها أنه جهز بآلات دقيقة لمعرفة ارتفاع الطيارة وسرعة سيرها وبعدها وهلم جراً . كل ذلك بضبط واتقان لا مزيد عليهما. وهذه التحسينات هى نتيجة مجهودات عظيمة لا يتسع المجال للكلام عليها . وهى تساعد على احكام الرماية بحيث يصح القول أنه يصعب اليوم على الطيارة أن تنجو من المدافع التى تطلق عليها لأن الآلات التى تساعد على تسديد الرماية اليها قلما تغلط . ومدفع الطيارات يطلق قذائف لا تقل ثخانتها عن ثلاث بوصات ، وهى تنفجر على الارتفاع الذى يحدده لها الجندى الذى يطلق المدفع . ومتى انفجرت دمرت كل هدف يقع على ذلك الارتفاع في منطقة قدرها مائة ياردة . وعليه فاذا انفجرت القذيفة على بعد مائة ياردة من الطيارة فقل على الطيارة السلام . وإذا لم تصب القذيفة الهدف فان وراءها قذائف أخرى تتتابع بسرعة هائلة لأن المدفع يطلق مائة طلقة فى الدقيقة وفى كل بطارية جوية أربعة مدافع من هذا القبيل . أى ان البطارية كلها ترمى أربعمائة قذيفة فى كل دقيقة ، وينفجر من كل قذيفة نحو خمسة وثلاثين رطلا من قطع الصلب والمواد الناسفة . وعليه فاذا أراد الطيار أن ينجو بنفسه فلامندوحة له عن التحليق فى طبقة الجو المعروفة بالستراتوسفير ، لأن قذائف المدفع الذى نحن بصدده تصل الى علو ثمانية أميال (نحو ثلاثة عشر كيلو متراً) ارتفاعا مائلا والى علو نحو تسعة كيلو مترات ارتفاعاً عمودياً ، وقد تلجأ الطيارة الى اطلاق السحب الكثيفة من الدخان حولها لاخفاء موقعها . ولكن فى المدفع عيناً صناعية تخترق سحب ذلك الدخان وتبصر الطيارة من خلاله ، وإذ ذاك فلا تستطيع الطيارة أن تنجو من الهدف الا بأعجوبة . وقد استغرق ادخال هذه التحسينات على المدفع المقاوم للطيارات ستة عشر عاماً بعد انقضاء الحرب العالمية ، فهو اليوم أقوى سلاح تخشاه الطيارات

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة كومون سنس للاستاذ أدوين آرمسترونغ]

حقيقة الاسكيمو

اكثر ما فى الكتب عن هذا الشعب حديث خرافة

اذا تصفحت الكتب التى تبحث فى أحوال الشعب المعروف بالاسكيمو ، وجدت فيها خرافات وترهات كثيرة . وما من كتاب الا وقد شوه مؤلفه الحقائق عن هذا الشعب وعن الاقليم الذى يقطن فيه . فألوان الاسكيمو فى نظر أولئك الكتاب متماثلة متشابهة مع أن الفوارق بينها أكثر من أن تعد أو توصف . وليست أحوالها الجوية متماثلة على الاطلاق بل هى مختلفة متباينة . وهذا يدلك على جهل أولئك المؤلفين بأحوال الاسكيمو وبطرق معيشتهم

وأغرب من ذلك أن اكثر كتب الجغرافيا تصور شعب الاسكيمو صورة لا تنطبق على الحقيقة فى شيء . واليك بعض الخرافات المنقولة عن تلك الكتب :

« ان شعب الاسكيمو مهدد دائماً بالفناء لأنه فى كفاح مستمر مع الطبيعة التى تقسو عليه وترهقه . وفى مقدمة العوامل التى تهدده البرد والجوع »

«ان شعب الاسكيمو يعانى أمراضاً كثيرة فى مقدمتها عفونة الامعاء وداء الاسقربوط والامراض الناشئة عن سوء التغذية »

« ان أولاد الاسكيمو يلتهمون الصابون والشموع المصنوعة من الشحم بشراهة عظيمة »

« اذا عطش الولد الاسكيمو شرب الزيت »

هذه بعض الخرافات التى تشاع عن الاسكيمو . وقد عاش كاتب هذه السطور عشر سنوات بينهم فأدهشه ما شاهده من أخلاق هذا الشعب وطرق معيشته . والحقيقة أن رجال الاسكيمو لا ينفقون فى سبيل الارتزاق اكثر من نصف الوقت الذى تنفقه نحن ـ أى أنهم لا يشتغلون اكثر من أربع ساعات فى اليوم . وينامون نحو ثمانى ساعات . فيبقى لهم من وقت الفراغ اثنتا عشرة ساعة يستطيعون أن يفعلوا فى خلالها ما لا يستطيعه غيرهم

تزعم معظم كتب الجغرافيا أن الاسكيمو يسكنون فى أثناء الشتاء بيوتاً مصنوعة من الثلج أو الجليد . واطلاق الكلام على هذا الوجه خطأ . نعم ان بعض الاسكيمو يسكنون بيوتاً من الثلج ولكن اكثرهم لم يبصروا بعيونهم قط بيتاً ثلجياً واحداً لأن السواد الأعظم منهم يسكنون بيوتاً عادية أو أكواخا مصنوعة من حجارة وخشب وعظام وخلافها

أما قول بعض كتب الجغرافيا أن الاسكيمو يشربون الزيت بدلا من الماء فخرافة ما بعدها خرافة . فالزيت لا يروى العطش ولا يدفىء الجسم ولا يقوى البنية . وعلم الفسيولوجيا يؤكد لنا

أنه ما من شيء يروى عطش الانسان غير الماء . وعلم الكيمياء يثبت أنه ما من معدة بشرية تستطيع استخلاص الماء من الزيت ، ومعدة الاسكيمو لا تختلف عن معدة أى انسان . فاذا ظن أحد أن المعدة تستسيغ الزيت فما عليه الا أن يجرب معدته . والحقيقة ان الاسكيمو يستعملون الزيت فى أطعمتهم كما نستعمله نحن ، فهم اذاً لا يختلفون عنا فى هذا بشيء ، بل لا يختلفون عنا فى معظم مقتضيات الحياة الاساسية

وتزعم بعض كتب الجغرافيا أن البرد القارس يقف نمو الجسم والعقل معا ولهذا فشعب الاسكيمو مجموعة أقزام لا ترتفع عقولهم كثيراً فوق مستوى عقول الاولاد . وهذا أيضا حديث خرافة فرجال الاسكيمو ونساؤهم ذوو قامات متوسطة فى الطول ، ومستوى قواهم العقلية ــ بشهادة الذين أنشئوا المدارس بينهم ــ لا ينقص عن متوسط القوى العقلية لأى شعب متمدين . ومما يجدر بالذكر أن الدنماركيين أوفدوا منذ قرنين عدة بعثات دينية وتعليمية الى بلاد الاسكيمو فأنشأت هذه البعثات مدارس ثبت لها منها أن مستوى عقول الطلبة الاسكيمو لا يقل عن مستوى عقول غيرهم . ومنذ ذلك الحين كثرت البعثات الدينية والتعليمية فى بلاد الاسكيمو وأكثرها دنماركية أو أميركية : وكلها تشهد بأن عقل الاسكيمو لا يختلف فى قواه عن غيره . وأكثر من نصف الشعب يحسن القراءة والكتابة بلغته وبلغة أخرى أجنبية (انجليزية أو سكندنافية) وهنالك اليوم كتب مدرسية بلغة تلك البلاد . وفى سنة ١٨٦٧ انشئت فيها مجلة بلغة الاسكيمو شبيهة من اكثر الوجوه بالمجلات الأوربية والامريكية الحديثة

أما قول بعض الكتب أن أولاد الاسكيمو يلتهمون الصابون بنهم وشراهة فخرافة أخرى . أما أنهم يلتهمون الشموع المصنوعة من الشحم فقد يكون صحيحاً بعض الشيء لأن الشحم يدخل فى تركيب الكثير من أطعمة المتمدنين ولا سيما حلواهم

كذلك زعم بعض الكتاب ان الاسكيمو معرضون لبعض الأمراض المتفشية كداء الاسكربوط والامراض الناشئة عن سوء التغذية وغيرها . وهذا خطأ عظيم لان الاسكيمو يتمتعون بصحة جيدة على وجه الاجمال . ولا تسوء صحتهم الا عند ما يغتذون بالاطعمة المحفوظة فى العلب وبالمواد الغذائية الشائعة بين الاوربيين والامريكيين . وقد أثبت الدكتور وليم توماس الاميركى الذى عاش فى لابرادور مدة طويلة ودرس أحوال الاسكيمو، أن الامراض انما تتفشى بين الاسكيمو القريبين من مراكز المتمدنين ، وأن اكثر تلك الامراض ناشئة عن اغتذاء القوم بأطعمة المتمدنين وإدمانهم مشروباتهم الروحية وأنه كلما أوغلنا فى بلاد الاسكيمو وأبعدنا عن الاقاليم المتمدنة كانت أحوال الاسكيمو الصحية داعية الى الارتياح

ومن الاغلاط الشائعة زعم البعض ان الاسكيمو لا يعرفون التجارة ولا يتاجرون مع غيرهم . فهنالك شركات للنقل المائى ولتوزيع النور الكهربائى وخلافه. والاسكيمو يستعملون اليوم قوارب

للصيد فى بلادهم ــ وصيد الأسماك على اختلاف أنواعها من أهم أبواب الرزق عندهم . وهــذا دليل على أن التجارة ليست غريبة عن القوم

ومن أغلاط كتب الجغرافيا أيضاً زعمها أن البعوض لا وجود له فى بلاد الاسكيمو . والحقيقة أن البعوض فى المناطق القطبية هو من شر أنواع البعوض التى لا تطاق

فتأمل فى مبلغ تحقيق كتابنا ومؤلفينا ! . .

[خلاصة مقالة عن كتاب « مجازفات وأغلاط » للاستاذ ستفانسون]

الملوك يخشون المستقبل

فيلجئون الى شركات التأمين على الحياة

كانت الحرب الماضية نكبة على عروش كثيرة . فقد دكت عروش أسر الهوهنزولرن والهابسبرج ورمانوف والاسر المالكة فى بلغاريا وبلاد اليونان وغيرها . ولم تكن النكبات التى أحدقت بأصحاب التيجان بعد ذلك أخف وطأة . ولذلك صارت شركات ضمان الحياة تتمهل كثيراً عندما يتقدم اليها أحد الملوك يعرض عليها ضمان حياته ، وهذا يجعل حياة الملوك أغلى قيمة فى نظر تلك الشركات وفى نظر الرعية أيضاً ، مما كانت قبلا

وفى الحقيقة أن الملوك ينظرون إلى المستقبل نظرة الاحتياط كأى انسان آخر دون أن يقصروا اعتمادهم على رجال الحرس والامن العام ، ولذلك يلجئون إلى شركات الضمان لتؤمن لهم حياتهم كما تؤمن حياة أى فرد من رعاياهم . واليك عدداً ممن ضمنتهم تلك الشركات

فى مقدمتهم نيقولا الثانى آخر قياصرة الروس وقد قتله البلاشفة في أوائل ثورتهم ، والمعروف أن هذا القيصر كان يدفع إلى شركات الضمان منذ صباه مبلغ اربعمائة الف فرنك كل عام ، لأن حياته كانت مضمونة بمبلغ تسعة عشر مليون فرنك (نحو ثلاثة أرباع مليون الجنيه) على أن يدفع هذا المبلغ إلى ورثته بعد وفاته . ولا يعلم أحد من الذى قبض هذا المبلغ بعد اغتيال القيصر . بل ليس ثمة أى دليل على أن الشركات دفعت ذلك المبلغ . وهذه مسألة جديرة بأن يبحثها رجال القانون لمعرفة ورثة القيصر الشرعيين . ولعل البلاشفة ادعوا بأن لهم الحق فى قبض ذلك المبلغ

ومن الملوك المضمونة حياتهم عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا . وقد قدرت شركات الضمان حياته باثنى عشر مليوناً من الفرنكات ، وهو مبلغ زهيد جداً ، فان أباه ــ الملك همبرت ــ كان قد أمن على حياته بمبلغ خمسة وعشرين مليون فرنك ، أى باكثر من ضعف المبلغ المضمون به ابنه

عمانوئيل . وقد دفعت شركات الضمان ذلك المبلغ لورثة الملك الشرعيين عندما قتل

أما ادوار السابع ـ ملك انجلترا الاسبق ـ فقد كانت شركات الضمان تتهرب منه ، وتتمنع من ضمان حياته لأنه كان كثير المغامرات ، يعرض نفسه لاخطار كثيرة ولا يعبأ بها . وكانت الشركات تصرح علنا بأنها لا تحجم عن ضمان حياة أى واحد من حشمه وخدمه ، وأما حياته فكانت عرضة لاخطار كثيرة . وأخيراً ـ وبعد أخذ ورد طويلين ـ اتفق جماعة من مديرى شركات الضمان على ضمان حياته بمبلغ ثمانية عشر مليون فرنك ، وكانوا يتقاضون عن ذلك أجرة كبيرة . ولما مات دفعت الشركات المبلغ الى الورثة وهى تنوح بقدرما كان أولئك الورثة ينوحون

أما رئيس جمهورية فرنسا فلا نعلم هل حياته مضمونة أم لا ، والارجح انها غير مضمونة . وكذلك حياة رئيس الجمهورية الاميركية . ولعل ذلك من مقتضيات الروح الديمقراطية !

وعلى كل فان شركات الضمان لا ترغب كثيراً فى ضمان حياة الملوك لما يحملها ذلك من خسارة فادحة ، لأن المبالغ التى تضمن بها حياتهم كبيرة جداً لا تستطيع شركة واحدة أن تدفعها ولذلك تتعاون عدة شركات على حمل ثقل هذه التبعة

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة سيرانو بقلم محررها]



مدينة المعجزات

يحج اليها المرضى فينالون الشفاء

فى ١١ فبراير سنة ١٨٥٨ ذهبت الفتاة برناديت سوبيرس الفرنسية الى الضفة المقابلة من النهير الذى يجرى بجانب القرية تجمع حطباً تتدفأ به لأن البرد كان قارساً ، وماء النهير يكاد يكون متجمداً ، والريح تعصف بجبل « مسابيل » المشرف على ما يجاوره من البلاد

ووقفت برناديت هنيهة تستريح . وحانت منها التفاتة الى منحدر الجبل وفيه كهف مظلم . وحدقت نظرها فى ذلك الكهف تخيل اليها أنها ترى نوراً يشع منه وشبح امرأة تلوح لها من خلال النور . فذعرت ووقعت على الارض راكعة تتمتم صلاة غير مسموعة . وما كادت تفرغ من صلاتها حتى توارى الشبح

وكان الى جانبها فتاتان قد وقفتا مذهولتين مما عراها إذلم تبصرا الشبح . ومع أنهما أمطرتا برناديت وابلا من الاسئلة عما شاهدته فانها لم تستطع أن تجيبهما بسوى قولها : « لقد أبصرت شبح امرأة متشحة بثوب أبيض »

ولما عادت برناديت الى البيت أخبرت أمها بما أبصرته . فلم تصدقها أمها ومع ذلك رأت من الحكمة أن تمنعها من العودة الى ذلك المكان فيما بعد . الا أن برناديت ذهبت بعد أربعة أيام هي وامرأتان كهلتان الى المغارة ، وما كاد هؤلاء الثلاث يصلن الى هنالك حتى اضطرب محيا برناديت ، فعلمت رفيقتاها أنها قد أبصرت الشبح مرة أخرى . فأوعزتا اليها أن تسأل الشبح من هو وهل هو قادم من المطهر أم من مكان آخر ؟ ثم أعطتاها ورقا وقلماً لتقدمه الى الشبح ليكتب اسمه ان كان لا يشاء أن يتكلم . فأطاعتهما برناديت وطلبت الى الشبح أن يجيب عن هذه الأسئلة كتابة . وخيل اليها أنها تسمع الشبح يقول لها : « لا حاجة بي الى كتابة ما أريد أن أفضي به اليك . فاحضري الى هنا مدة خمسة عشر يوما بلا انقطاع » فوعدت برناديت بأن تفعل ذلك

وعقبت ذلك فترة من الزمن كاد يذهب فيها عقل برناديت . وذاعت الحكاية في جميع القرى والبلاد المجاورة فأصبحت قرية « لورد » ـ حيث ذلك الكهف ـ حديث الناس وكعبة القصاد من جميع الأنحاء . وما هي الا بضعة أيام حتى أخذت الجماهير تفد الى ذلك المكان وتتناقل عنه الروايات . أما رجال الدين فوقفوا صامتين لا يبدون رأيا . ولكن رجال الحكومة خافوا أن يحدث شغب في تلك الجهات ، فرأوا أن يقضوا على مصدر الخطر فقبضوا على برناديت وتهددوها بأن يزجوها في السجن إن هي استمرت تذهب الى الكهف . ولكنها أبت أن تنقاد لأوامرهم وقالت : « افعلوا بي ما شئتم فلا بد لي من انجاز وعدي للسيدة » ، تريد الشبح الذي ترآءى لها

وفي ذات يوم ـ إذ ذهبت الى الكهف كعادتها ـ تبعها رجال الشرطة فأبصروها تدخل الكهف زحفاً على ركبتيها وقد أخذت تنبش الارض بأظفارها . وإذا ذاك أخذ الماء يتدفق من الحفرة التي أحدثتها ويسيل الى الخارج . وما هي الا بضعة أيام حتى أخذت الاشاعات تنتشر عن ذلك الماء وعما يتم به من معجزات الشفاء . وصار الناس يأتون بمرضاهم من كل فج وصوب لينالوا الشفاء من أمراضهم المستعصية . وكانوا يأتون بالهبات والهدايا المختلفة ويقدمونها الى سيدة «لورد» ، أما الكنيسة فظلت ملازمة الصمت لا تبدي رأيها في تلك المعجزات ، بينما اضطرت الحكومة أن تقيم هنالك حرساً من الفرسان للاشراف على النظام ولمنع المشاغبات التي كانت تكثر في ذلك المكان ، وأقامت حول الكهف سوراً من الحديد لمنع الناس من دخوله . وظلت الحال كذلك الى أن أصدر الامبراطور نبوليون الثالث أمراً باباحة دخول الناس الكهف

وفي سنة ١٨٦٤ وضعت الكنيسة يدها على الكهف والاراضي المجاورة له بحجة أنها أمكنة مقدسة . وأقامت تمثالا للسيدة العذراء في المكان الذي تراءت فيه هذه السيدة لبرناديت . وبعد زمن أقيمت على منحدر الجبل كنيسة لا تزال كعبة القصاد . وظل الحجاج يتوافدون على ذلك المكان من كل حدب ، والهدايا ترد بلا انقطاع من جميع الأنحاء . وكثيراً ما كان الناس يلمحون بين

الجماهير شبح فتاة تدخل الكهف راكعة مرتجفة ــ وهى الفتاة برناديت . وكانت قد انتظمت فى سلك الراهبات وعاشت الى سنة ١٨٧٠

وتقوم الآن فى ذلك المكان كنيسة جميله تزينها النقوش البديعة المذهبة . وحول الكنيسة أراض فسيحة محاطة بسور حديدى . أما الماء المتدفق من الكهف فيجرى فى مبازل (حنفيات) ، والمكان كله منار بالكهرباء . وخارج الأسوار جماهير كثيرة من باعة الشموع والعصى وغيرها من الأدوات التى تباع للناس باعتبارها مقدسة . ولا يزال يؤم هذا المكان أفواج غفيرة من الحجاج

ترى ما هو السر فى شفاء أولئك المرضى ؟ ليس الجواب على ذلك من الهنات الهينات . فقد يكون فى الأمر إيهام أو استهواء أو تنويم مغناطيسى أو انخداع أو هستيريا أو ما الى ذلك من العوامل التى تعين على الشفاء . ومما يجدر بالذكر أن هنالك جماعة من الأطباء يفحصون المرضى الذين يقصدون هناك ثم يفحصونهم بعد شفائهم ويراقبونهم ليروا هل يعاودهم المرض أم يشفون شفاء تاما . ومع أن هؤلاء الاطباء لا يعلمون ماهية القوة العاملة على شفاء أولئك المرضى ، فانهم يرفضون الدخول فى أية مناقشة أو مجادلة علمية بشأن عامل الشفاء ، وامتناعهم هذا لا يساعد على جلاء الحقيقة . ومن المحتمل تعليل جانب كبير من حوادث الشفاء بالوهم . ولكن لا شك فى أن هنالك جانبا آخر منها ــ وإن كان قليلا ــ لا يمكن تعليله بما لدينا من وسائل العلم الحديثة . وعليه فسيظل أمره سراً مستغلقاً الى ما شاء الله

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة هيرت جورنال للمبدع ستانيا لبث روس]

نصب تذكارية

فى مدينة نيويورك تمثال من البرنز لأول فيل جىء به الى امريكا . وفى جزيرة رودس تمثال دجاجة إحياء لذكرى تربية الدجاج فى الجزيرة

وعندما استعمرت منطقة « البحيرة الملحة » فى امريكا ، زرعها المستعمرون قمحا ، فلما حان وقت حصاده هاجمته جيوش جرارة من مختلف الحشرات ، وكادت تذهب به ، لو لم يتدارك الزرع بعض الطيور البحرية ، ومن ذلك اليوم يقدس الناس هذه الطيور فى تلك المنطقة ، وقد اقاموا لها تمثالا شاهقاً

وفى مدينة نيوبورت تمثال عظيم لميشيل فيلبس كورن ، تمجيداً لجرأته وبسالته حين جازف بأكل « الطماطم » ! . . فقد كان الناس قديماً يزعمون انها مسممة . .

تقدم العلم والعالم

العلم في روسيا واليابان

في بلاد اليابان خمسة وأربعون معهداً للقيام بالمباحث العلمية على نطاق واسع. وفى هذه المعاهد ثلاثة آلاف وخمسمائة عالم وباحث وموظف. وفى روسيا ثمانمائة وأربعون معهداً للقيام بالمباحث المذكورة، وعدد العلماء والموظفين الذين يعملون فى تلك المعاهد نحو ثمانية وأربعين الفاً. والحكومة الروسية تنفق المبالغ الطائلة على مواصلة المباحث العلمية

بشرى للمصابين بالذبحة الصدرية

الذبحة الصدرية من أشد الأمراض فتكا وآلامها لا تطاق. ويقول الذين يصابون بنوباتها أن مجرد التفكير فيها يجعلهم يرتعشون فرقاً ويتمنون الموت. وقد جاء فى الانباء العلمية الاخيرة أن الدكتور جون كرانز الأستاذ بمدرسة الطب بجامعة ماريلاند (بلطيمور) ألقى خطبة فى مجمع تقدم العلوم الاميركى قال فيها إنه اكتشف دواء يريح للمصاب عند حدوث نوبة قوية، وذلك بأن يستنشق المركب المعروف بأسم تريكلوريثيلين (Trichlorethylene) فتمر النوبة بسلام ولا يشعر بها المصاب. وألقى الدكتور جيمس منتش من مشهورى صيادلة فيلادلفيا خطبة فى مجمع تقدم العلوم المشار اليه جاء فيها أنه قد اكتشف لقاحاً جديداً لمعالجة المصابين بالذبحة الصدرية، وهذا اللقاح مستخرج من غدة البنكرياس بعد ازالة الانسولين منها. وكيفية العثور على اللقاح المذكور أنهم لاحظوا فى أوائل عهد الانسولين منذ نحو أربعة عشر عاما أنهم عندما كانوا يعالجون مرضى البول السكرى ـ المصابين فى الوقت نفسه بالذبحة الصدرية ـ بمادة الانسولين كانت هذه المادة تفيد فى تخفيف المرضين معاً. فلما ارتقوا فى طريقة تحضير الانسولين أصبحت فائدة هذه المادة مقصورة على المصابين بالبول السكرى فقط. فنبهتهم هذه الحقيقة الى وجود علاقة بين غدة البنكرياس ومرض الذبحة الصدرية. وبمواصلة التجارب تمكنوا من استخراج مادة من خلاصة البنكرياس إذا حقن بها المصابون بالذبحة نالوا الشفاء فى ٨٥ فى المائة من الحالات، وتستعمل الحقنة مدة أسبوعين ولكن بعض الحالات تستدعى مواصلة الحقن مدة بضعة أشهر

الاطفال والأصوات

يؤخذ من التجارب التى قام بها بعض العلماء أن الأصوات المزعجة لا تخيف الأطفال كما قد يتبادر الى الذهن. فقد جيء مرة بستين طفلا وأطلق أمامهم مسدس فالتفت أكثرهم الى جهة الصوت كأنهم يريدون أن يعلموا المكان الذى جاء منه الصوت، ولكن بعضهم بكوا وتقلصت أصابع أقدامهم، وكان هؤلاء أكبر سناً من الذين لم يبكوا، وهذا يدل على أحد أمرين ـ فاما ان حاسة الخوف غير غريزية فى الأطفال فى أوائل حياتهم، أو ان حاسة السمع عندهم لا تكون دقيقة فى أوائل العمر ولكنها تقوى بتقدمهم فى السن

عفرة الاسد

عفرة الاسد خاصة بالذكر دون الانثى . ولا تنبت عفرة الذكر إلا اذا وصل الى سن البلوغ . فالعفرة للاسد إذاً هى بمنزلة اللحية للرجل . ويلاحظ أن عفرة الاسد الذى فى حديقة الحيوانات أكثر نعومة من عفرة الاسد الذى يسرح فى الادغال والقفار لان طريقة معيشة الأخير تقتضى أن تكون عفرته كثة شعثاء

أقدم رسائل

فى متحف الآثار بجامعة بابل مجموعة من الآثار والكتابات البابلية بينها واحدة وستون رسالة مكتوبة على ألواح من الآجر ، ويرجع اكثرها إلى أربعة آلاف سنة مضت . ومن هذه الرسائل رسالة من سيدة من أهالى بابل تدعى « تاريس ماتوم » الى رجل يسمى كوبوتوم هذه ترجمتها : « من تاريش ماتوم الى كوبوتوم ترجو منه أن يرسل اليها شاقلا من الفضة . فقد كتبت اليه عشر مرات ولم تتلق منه جواباً مع أنها لا تملك ثمن طعامها . وهى تستحلفه باسم الاله «بابلساج» أن يرسل اليها ماتطلبه» . ويظهر أن الشخص المرسل اليه هذا الكتاب كان أمياً لا يحسن القراءة لأن الرسالة مذيلة بحاشية موجهة إلى سكرتير كوبوتوم الذى كان سيقرأ له الرسالة ، والحاشية مكتوبة بكلمات معسولة أريد بها استعطاف السكرتير ليبذل نفوذه لدى كوبوتوم ليرسل الشاقل المطلوب

وفى هذه المجموعة رسالة غرامية من فتاة الى رجل تستحلفه بمحبته لها أن ينقذ بيت أبيها من الخراب الذى يتهدد أسرتها لأن أباها كان مديناً لمراب . وقد عزم المرابى على بيع البيت وأثاثه استيفاء للدين . والرسالة مختومة بهذه العبارة : « انا المخلصة لك » ولا يختلف هذا التعبير عن العبارة التى تختم بها الرسائل فى هذا العصر

سديم الجبار

الجبار هو سديم فى السماء شرقى النور يحتوى على مجموعة كبيرة من النجوم هى من أبرز صور السماء . وقد ثبت من الارصاد الحديثة أن عدد هذه النجوم هو على الأقل ضعفا العدد الذى ذهب اليه الفلكيون حتى عهد قريب . ومادة هذه النجوم سديمية مؤلفة من ذرات دقيقة يبلغ قطر كل ذرة منها جزءاً واحداً من ربع مليون جزء من البوصة

عناصر جديدة فى الشمس

المعروف ان عدد عناصر المادة الموجودة على الأرض هو اثنان وتسعون عنصراً (وقد أضيف اليها حديثاً عنصر جديد)

وكان العلماء قد اكتشفوا جانباً كبيراً من هذه العناصر فى الشمس ، وقد جاءتنا الأنباء العلمية الأخيرة ان بعض العلماء الأمريكيين قد اكتشفوا ثلاثة عناصر جديدة فى الشمس هى الأوزميوم والأريديوم والثوليوم ، فأصبح بذلك عدد العناصر الموجودة أكيداً فى الشمس واحداً وستين عنصراً ، وهنالك ثلاثة عناصر أخرى يرتاب العلماء فى وجودها ، وعنصران لا يوجد دليل كاف على وجودهما ، وسبعة عناصر لا يزال العلماء يحاولون اثبات وجودها بالطرق العلمية ، وتسعة عشر عنصراً غير موجودة أبداً

أصغر النجيمات

لعل ايروس هى أصغر النجيمات المعروفة وأقربها من الأرض ، فان قطرها لا يزيد على خمسة عشر ميلا ، وكثيراً ما تدنو من الأرض فتصبح على بعد أقل من أربعة عشر مليون ميل. وقد اكتشفها العلماء سنة ١٨٩٨ . وهى من النجيمات السريعة التغير وقد حيرت سرعة تغيرها علماء الفلك. أما ثقل جرمها فهو مائة بليون طن أى انها جزء من عشرة ملايين جزء من مادة الأرض ، وفى أواخر هذا العام وأوائل العام القادم ستظهر فى السماء بجلاء تام فيتمكن العلماء من رصدها رصداً دقيقا يكشف أسرارها

متى ظهر الانسان على الأرض ؟

لايزال العلماء عاجزين عن الاجابة عن هذا السؤال اجابة صريحة ، على أن الأستاذ ديتيرا الفيلسوف الاميركي ألقى خطبة فى الجمعية الفلسفية الاميركية بمدينة فلادلفيا حاول أن يثبت بها أن الجنس البشرى ظهر منذ مليون سنة ، أى بين العصر الجيولوجى المسمى « بليوسين » وأوائل العصر الجليدى الأكبر

ويقول الأستاذ ديتيرا ان « انسان بكين » كان يقطن مرتفعات الصين فى أوائل العصر الجليدى الأكبر . وقد اختار تلك المرتفعات سكناً له لأنها كانت خالية من الجليد، وفى الوقت عينه كانت طوائف أخرى من البشر منتشرة فى مختلف أنحاء آسيا وهى على درجات متفاوتة من التطور ، ومعنى هذا أن الانسان وجد على الأرض قبل ذلك الزمن بكثير

وفى جزيرة جاوه آثار تدل على ان الانسان وجد فيها قبل عصر البليستوسين

وفى الهند أحافير ترجع الى عصر البليوسين، وهى بقايا عظام يكاد يستحيل على العلماء أن يعرفوا هل هى بقايا قرود أم بقايا بشرية ، وعلى كل فان القرائن كلها متضافرة على أن الانسان مشى على هذه الأرض منذ نحو مليون سنة

معالجة الالتهاب السحائي

التهاب الغشاء السحائى — أو الحمى المخية الشوكية — من أهول الأمراض فتكا وأفظعها أثراً ، وأشد ما يكون انتشار هذا الداء فى فصل الصيف، وتزيد نسبة الوفيات به على خمسين فى المائة. وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات الطبية الأميركية أن الدكتور أرتشبالد هوين Dr. A. Hoyne من كبار أطباء تشيكاغو قد وفق الى طريقة جديدة لمعالجة هذا الداء الوبيل فانخفضت نسبة الوفيات الى نحو ١١ فى المائة من مجموع عدد الاصابات . وقوام هذه الطريقة حقن المصاب بالمصل المضاد لميكروب الالتهاب السحائى أو باللقاح المضاد لسم ذلك الميكروب meningo ococcus antitoxin فى العروق بدلا من الحقن فى السلسلة الفقرية كما يفعل الأطباء الآن ، ويبنى الدكتور هوين طريقته هذه على نظرية جديدة وهى قوله أن هذا المرض هو مضاعفة خاصة من مضاعفات مرض عام يصيب مركز الجهاز العصبي ، ويظهر من الاختبار أن استعمال اللقاح المشار اليه هو أفضل من استعمال المصل وأقدر على الشفاء ، ومما لابد من التنبيه عليه أن عمر المصاب يؤثر تأثيراً كبيراً فى مسألة الشفاء ، فمن كان دون العشرين كان حظه من الشفاء أفضل ممن كان فوق تلك السن ، ثم ان المصابين بالأمراض الصدرية وبالخراجات فى البطن وبادمان المخدرات والمسكرات يصعب شفاؤهم

الأولاد ومرض السكر

كان المظنون قديماً أن مرض الديابيطس أو البول السكرى لا يصيب إلا البالغين فى السن ، ولكن الاختبار أثبت أنه يصيب الكبار والصغار على حد سوى ، وإن كان الصغار أقل تعرضاً له ، ولاشك أن سير المدنية من أكبر العوامل التى تمهد السبيل لانتشار هذا المرض حتى صار له اليوم ضحايا كثيرون من الأولاد الصغار ، وقد أثبت الطب أن هؤلاء الصغار يستطيعون الاغتذاء بالأطعمة الطبيعية من دون أن يحرموا أنفسهم أكل الحلويات والنشويات بشرط أن يستعملوا الانسولين بانتظام ، وفى الحقيقة أن الأولاد يجب أن يكون خمسون فى المائة من غذائهم من الكاربوهيدرات (أى من المواد السكرية والنشوية) فاذا حرموا هذه المواد وقف نموهم

عنصر جديد فى فضاء الكون

من الأنباء العلمية التى أذاعها مرصد مونت ويلسون وهو أكبر المراصد الفلكية فى العالم ، اكتشاف عنصر جديد فى الفضاء الخالى الذى يتخلل بعض النجوم على أبعاد سحيقة ، وهذا العنصر شبيه جداً بغاز التيتانيوم المحول الى يونات مكهربة ، بل يرجح بعض العلماء أنه الغاز المذكور بعينه ، وعلى كل فان وجود هذا الغاز فى ذلك الفضاء يميط اللثام عن سر من الأسرار المحيطة بالفراغ الذى يتخلل الأجرام العلوية

اينشتين المخترع

المعروف عن البير أينشتين صاحب نظرية النسبية المشهورة انه فيلسوف ، ولكن ادارة تسجيل المخترعات فى أميركا قد سجلت لهذا العالم ثلاثة اختراعات أحدثها آلة تصوير أوتوماتيكية ذات « عين كهربائية » (أو خلية فوتوغرافية كهربائية على حد تعبير علم الطبيعة) وقد سجلها المخترع فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ تحت رقم ٢٠٥٨٥٦٢

أسماك متحجرة قديمة

فى متحف جامعة كاليفورنيا أحافير من الأسماك المتحجرة يرجع أكثرها الى الملايين من الاعوام الماضية . وبينها أسماك متحجرة عثر عليها العلماء على بعض السواحل الاميركية فى طبقة من الارض ترجع الى العصر الجيولوجى المعروف بالطباشيرى ، أى ان عمر هذه الاسماك المتحجرة لا يقل عن مائة وعشرين مليونا من السنوات

وعلى ذكر هذه الاحافير تقول إن العلماء عثروا أيضاً على أشجار متحجرة ترجع الى العصر الجيولوجى المعروف « بالديفونى » أى أن عمرها لا يقل عن ثلثمائة وخمسين مليون سنة

المناعة من مرض السل

يعتقد فريق من الأطباء أن تناقص حوادث الوفيات من مرض السل في أوربا وأميركا ناشىء عن ان أجسام أهل العصر الحاضر اكتسبت شيئاً من المناعة ، وستشتد هذه المناعة وتكثر بمرور الزمن الى أن يتغلب الجنس البشرى على مرض السل. أما قولنا ان الاصابات به فى تناقص مستمر، فالمراد به التناقص النسبى لا العددى لأن عدد المصابين أنفسهم ليس فى تناقص كما يؤخذ من الاحصاءات الموثوق بها

الكاوتشوك الصناعى

المطاط أو الكاوتشوك الصناعى هو ضالة المخترعين فى هذا العصر، وقد حاول الكثيرون من العلماء اختراعه فوفق الكثيرون منهم الى استنباط عدة أصناف منه ولكن ليس بينها صنف واحد يقوم مقام الكاوتشوك الطبيعى ، وفى مقدمة الذين سعوا للاستغناء عن الطبيعى بالصناعى العلماء الألمان، فقد كانت بلادهم فى أثناء الحرب الماضية محصورة بالأسطول البريطانى لا تستطيع استيراد الكاوتشوك الذى كانت المانيا فى حاجة اليه ، لذلك كلفت الحكومة العلماء والمخترعين استنباط مادة تقوم مقام الكاوتشوك الطبيعى ، ووعدتهم بمكافآت مالية كبيرة ، وأراد هنرى فورد مرة أن يتخلص من سيطرة تجار الكاوتشوك الانجليز فعهد الى توماس أديسون المخترع الأميركى فى استنباط كاوتشوك صناعى . ويؤخذ من أحدث الأخبار العلمية أن أفضل أنواع الكاوتشوك الصناعى هو مادة تسمى كلوروبرين وقد اخترعها قسيس المانى يدعى نيولند واحتكرتها شركة ديبونت الأميركية وهى أقرب المواد الصناعية شبهاً بالكاوتشوك الطبيعى

آلة تصحيح أوراق الامتحان

اخترع الدكتور وود الاستاذ بجامعة كولومبيا آلة لتصحيح أوراق الامتحان يقال انها تقتصد فى وقت الاساتذة اقتصاداً عظيما . وقد يستغرب القارىء كيف يعهد الى آلة صماء فى القيام بعمل يتطلب كثيراً من الذكاء . ولكن المسألة بسيطة . ذلك أن أجوبة الامتحان يجب أن تكون « نعم » أو « لا » . على أن يعبر عن احداهما بتسويد « بقعة » صغيرة على ورقة الامتحان ، وان يعبر عن الأخرى بترك المكان فارغا أبيض . ويظهر أن هذه الآلة تصحح نحو تسعمائة ورقة امتحان فى الساعة بدقة لا مزيد عليها

طرائف وفوائد

* تستطيع أن تميز بين البلور والزجاج بطريقة بسيطة وهى أن تضع كلا منهما على شفتيك فتشعر بأن البلور أكثر برودة من الزجاج الاعتيادى

* فى جسم الانسان كمية من الراديوم لا تزيد على جزء من مليون من الراديوم . ومع أن الانسان إذا تناول هذه الكمية من الراديوم عن طريق الفم يموت فى الحال ، فان وجودها فى جسمه عن طريق الولادة لا يؤثر فيه

* عثر العلماء فى بعض الولايات الغربية باميركا على أحافير لوحيد القرن (الخرتيت) مطمورة فى طبقات من الارض يرجع تكوينها الى أربعين أو خمسين مليون سنة مضت . وهذا دليل على أن ذلك الحيوان كان يجوب الجانب الغربى من القارة الاميركية فى تلك العصور الجيولوجية

* يؤخذ من احصاءات وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة أن أشجار التفاح في أميركا آخذة في النقصان حتى انها لا تزيد على نصف ما كانت منذ خمسة وعشرين عاما ، أما بقية أشجار الفواكه فآخذة فى زيادة مطردة

* من أخبار الصحف اليابانية أن علماء اليابان قد وفقوا الى اكتشاف مصل لمكافحة مرض النوم ، وقد جربوه فى مرضى كثيرين فأسفرت التجربة عن نجاح كبير

* اخترع أحد الأطباء السويسريين آلة دقيقة لقياس نبضات قلوب بعض الحشرات !

كتب جديدة

وحى القلم

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

جزءان عدد صفحاتهما ٣٩٤ و٤١٤

يرى فريق من النقاد أن « الادب البياني » لا يؤدي رسالة الأدب حق الاداء ، لأنه ينصرف الى الفاظ ينتقيها وعبارات يؤلفها ، عن نظرات يسددها الى الحياة والاحياء ، فيستخلص منها الفكرة التى تصلح وتقوم ، وتغير وتبدل ، وتدفع وتثير . . ولكن فريقا آخر ، لهم رأيهم المعتمد وحجتهم القوية ، يرون أن ثمة غاية سامية أحق بفكر الأديب وشعوره من كل غاية سواها ، وهى إصابة مواطن الشعور ، وإثارة مكامن الخيال عن طريق اقران المعنى باللفظ ، والتوفيق بين الفكرة والعبارة

والناس يضعون الرافعي فى مقدمة من يرون هذا الرأى الأخير ، وهو لا يأبى عليهم أن يحصروه فى هـذه الدائرة الضيقة ، مع أنهم لو أنصفوا لقالوا ان الرافعي وان تصدر أدباء البيان ، فما هو بمتخلف عن أدباء الفكرة . . ولا نعنى بهذه « الفكرة الاجتماعية » التى يمشى صاحبها فى زحمة الناس وراء حقائق الحياة ، بل « الفكرة الروحية » التى تريد أن تسمو بالناس إلى حيث تتطهر الروح من أوشاب الحياة ، ويتسع المراد أمام سبحات الخيال

وهذا الكتاب الحافل بنيف ومائة مقالة وقصة تتناول شتى أنحاء الحياة وأغراضها ، يرمى إلى غايات ثلاث : طهارة الروح ، وسمو الخيال ، وبلاغة الأداء

فأما طهارة الروح فهو يوفى بك عليهـا اذا تحدث فى الحب ، فيصف المرأة حين تفتن وتغرى ، والرجل حين يقبل ويهم ، لا ليثير فيك منازع السوء كما يريد سواه ، بل ليرسم لك صورة تدرك من جمالها وسموها ، قبح الجسد المشتهى وخسته . وأما جانب الخيال فقلما نجد من هو أقدر عليـه من الرافعى الذى أوتى جناحان لا يهبطان به فيدف فى كلمة أو عبارة ، فضلا عن صورة أو فكرة . أما أسلوب الرافعى فهو « قوة الاداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة ، وابداع الصورة زائداً جمال الصورة » والواقع أن للرافعى أسلوباً قد يفتنك بألفاظه المختارة المصفوفة ، وتراكيبه الصافية المنسجمة ، ولكنه قبل هـذا « قوة » تستأثر بجماع ما فيك من فكر ورأى ، ومن عاطفة وشعور

لقد فوق النقاد كثيراً من سهامهم الى الرافعى ، ولعلهم على حق في هـذا ولعلهم مخطئون ، ولكن ما من ريب فى أن سهامهم لم تنل منـه شيئاً . . وكيف تنال ، انهم يعيبون أدبه « بأنه قليل ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف ولكن الحرية كذلك . . »

شعراء مصر

وبيئاتهم فى الجيل الماضى

للاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة حجازى — عدد صفحاته ٢٠٢

ألف العقاد فى نقده أن يدرس من قال قبل أن ينقد ما قيل ، وهذا نهج من يريد أن يوفى النقد حقه من الصحة والدقة والشمول . وهو فى هذا الكتاب يؤرخ جانبا من الشعر العربى الحديث عن طريق دراسته للبيئات التى نشأ فيها شعراء الجيل الماضى . وقد خص بيئات الشعراء ببحثه دون سائر جوانبهم وأنحائهم ، لأنه يرى أن «معرفة البيئة ضرورية فى نقد كل شعر ، فى كل أمة ، وفى كل جيل . ولكنها ألزم فى مصر على التخصيص ، وألزم من ذلك فى جيلها الماضى على الاخص . لأن مصر قد اشتملت منذ بداية الجيل الى نهايته على بيئات مختلفة لا تجمع بينها صلة من صلات الثقافة غير اللغة العربية ... فمن أدبائها من درس فى باريس ونشأ على نشأة أهل الآستانة ، ومنهم من درس فى الجامع الازهر ونشأ فى قرية من قرى الصعيد ، وكان منهم من شب فى حجر الحضارة ومنهم من شب فى قبيلة بادية كالقبائل التى كانت تجاور المدائن فى صدر الاسلام،وكان منهم من اطلع على أعرق الاساليب العربية ومنهم من كانت لغته فى نظمه لغة الاحاديث اليومية لا تزيد عليها إلا قواعد الأعراب . ولن يتيسر لنا أن نفهم الأطوار التى عبر بها الشعر المصرى الحديث بغير معرفة هذه البيئات ، ولن يتيسر لنا أن نتابع هذه الأطوار إلى يومنا الحاضر، ولا أن ندرك معنى الانقلاب الذى طرأ على الاذهان والاذواق فى أواخر القرن التاسع عشر ثم فى أوائل القرن العشرين بغير استقصاء معنى الادب والشعر كما كان ملحوظا فى جميع تلك البيئات ،

بدأ الكتاب بحافظ وانتهى بشوقى،وتناول بين هذا وذاك فى بحوث قصار وأخرى طوال : حفنى ناصف ، واسماعيل صبرى ، ومحمد عبد المطلب ، وتوفيق البكرى ، وعبد الله فكرى ، وعبد الله نديم،وعلى الليثى،وعثمان جلال، وسامى البارودى ، وعائشة التيمورية . وقد أراد العقاد أن يقصر بحثه على درس بيئاتهم وما خلفته فيهم من آثار ، ولكن القارىء يخرج من الكتاب وقد تجاوز هذه الدائرة إلى مراد فسيح فيه الى بيئة الشاعر وظروفه ، إلمام واف بطبعه وخلقه ، وبعادته والفه ، وبثقافته وتفكيره ، وبحياته واحداثها ، أى أن فيه على الجملة كل ما يلقى الضوء على الشاعر فيبديه بغير طلاء وتمويه ، ثم ينشر صفحات ديوانه فاذا بشعره قد تراءى واضح المعالم بين المقاصد

وربما خالف القارىء الاستاذ العقاد فى بعض آراء أبداها أو احكام أصدرها، ولكنه مع هذا لايسعه إلا أن يقف طويلا وأن يفكر كثيراً أمام ما يسوق من الحجج وما يثبت من الشواهد ، ولا يسعه إلا أن يعجب « بالعقاد المفكر» الذى ينفذ الى الجذور الممتدة المتأصلة ليعرف لماذا اختلف لون الزهر وطعم الثمر . . ولا عجب ، فقد بدا العقاد فى هذا الكتاب على خير ما عهد فيه ، شاعراً وناثراً وناقداً ، من عمق الفكرة ، وصدق الشعور ، وبلاغة التعبير

قصة الفلسفة الحديثة

للاستاذين احمد امين وزكى نجيب محمود

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

جزءان عدد صفحاتهما ٦٦٢

ما كان للناس عهد بأن تروى مذاهب الفلسفة وقضاياها قصصاً شائقاً ممتعاً . . ولكن هكذا

أراد الاستاذان أحمد امين وزكى نجيب محمود فأخرجا منذ عامين كتابا يحكى قصة الفلسفة اليونانية ، ثم اتبعاه بكتاب يسرد قصة الفلسفة الحديثة ، فرسما بهما صورة شاملة النواحى واضحة المعالم للفلسفة « الغربية » منذ ان نشأت الى يومنا هذا

وهذا الكتاب الاخير يتناول تاريخ الفلسفة فى أوربا منذ انتهت مرحلة الفلسفة اليونانية بانتهاء القرن الخامس . فابتدأ بالمامة موجزة عن فلسفة العصور الوسطى التى كانت تتجه وجهة دينية خالصة ، ثم تدرج الى الفلسفة الحديثة التى تؤمن وتهتدى بالعقل دون سواه ، فهى تقرر للفرد الحق فى أن يفكر ويبحث ويناقش وينتقد غير مقيد بأية سلطة خارجية . وقد تناول بالحديث المفصل أعلام هذه الفلسفة الحديثة التى وضع أساسها بيكون وديكارت ، وأعلى بناءها بعد هذا كثيرون فى مقدمتهم سبينوزا وليبنتز وكانت وهيجل وشوبنهور وسبنسر ونيتشه ، ثم انتهى بالحديث عن خمسة من الفلاسفة المعاصرين هم برجسون وكروتشى ورسل وسنتيانا ووليم جيمس

والنهج الذى ينهجه الكتاب فى الحديث عن فلاسفته شائق طريف ، فهو يعرض تاريخ حياتهم ويذكر أهم الأحداث التى ألمت بهم ، ثم يبسط آراءهم ومذاهبهم بأسلوب واضح سهل التناول

ولابد أن نشير إلى ميزتين يمتاز بهما هذا الكتاب : أولاهما أنك تقرؤه فلا يصدمك فيه ما لا يخلو منه كتاب فى الفلسفة من التعقيد والابهام، أو من المسائل الغامضة والتعابير الدقيقة، ومع هذا تخرج منه مزودا بأهم مذاهب الفلسفة وقضاياها ، ملماً بآراء الفلاسفة ووجهاتهم . ثانيتهما ، أن هذا كتاب فى الفلسفة ولكن أسلوبه السلس الجزل القوى يسمو به الى أن يكون نموذجاً يصح أن يحتذيه الأديب الناشىء فيغزر أدبه ويعمق تفكيره، ويكون نثره وشعره أدبا موضوعياً لا ادبا شكلياً

ولهذا فانا نرجو أن يتحفنا الاستاذان المؤلفان بكتب أخرى تتناول الفلسفة الشرقية والفلسفة الاسلامية ، وبذلك يضعان الصورة الشاملة الوافية للفلسفة فى جميع عصورها

تراث الاسلام

ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

جزءان . عدد صفحاتهما ٣٦٤ و ١٨٠

ألف هذا الكتاب جماعة من كبار المستشرقين يعرفون قدر التراث الحافل المجيد الذى خلفه الاسلام، فأعلى به بناء الحضارة فى كثير من نواحى العلم والفلسفة والفنون . وقد قامت لجنة الجامعيين لنشر العلم، التى تضم طائفة من الشباب المثقف المجد النابه ، بنقل بعض فصول هذا الكتاب النفيس الى اللغة العربية

وقد أخرجت اللجنة جزأين من الكتاب يتناول أولهما أربعة مواضيع : (١) اسبانيا والبرتغال وضعه ج . ب . ترند ، وترجمه الاستاذ حسين مؤنس (٢) الحروب الصليبية كتبه أرنست باركر ، وترجمه الاستاذ على احمد عيسى (٣) الادب وضعه هـ . ا . ر . جب ، وترجمه الاستاذ عبداللطيف محمود حمزة (٤) الفلسفة والالهيات ألفه الفرد جيوم ، وترجمه الاستاذ توفيق الطويل . وتناول الجزء الثانى فن العمارة وقد كتبه كريسق ، وفن التصوير وقد وضعه أرنولد ، وسائر الفنون الأخرى وقد كتب عنها برجز ، وترجم هذه المواضيع الاستاذ زكى محمد حسن أمين دار الآثار العربية

والكتاب بحث شامل واف، ودرس دقيق عميق فى الحضارة الاسلامية التى يجب على أبناء الشرق العربي جميعاً أن يفخروا بما أدت من رسالة خطيرة ، وبمن أنجبت من أعلام فى العلم والفلسفة ساهموا بنصيب كبير فى ثقافة العالم ومدنيته . ولا شك أن كتابا يتضافر على وضعه هؤلاء الباحثون المحققون ، ويترجمه لفيف من خريجي الجامعة المثقفين المطلعين ، لابد أن يكون مرجعاً يعتمد عليه كل من يريد أن يدرس أو يبحث تاريخ الاسلام وحضارته

وان « لجنة الجامعيين لنشر العلم » التى ترجمت هذا الكتاب جديرة بكثير من الشكر لما تنفق من جهود موفقة فى إخراج كتب سوف يكون لها أثرها فى بناء صرح ثقافتنا العلمية الجديدة .

ولا بد أن نشير الى أن هذه اللجنة رغم حداثتها وقلة مواردها لا تألو جهداً فى أن تخرج كتبها بصورة تتناسب مع قيمتها العلمية، فتزينها بالصور واللوحات التى تساعد القارىء على فهم الموضوع

فلسفة اللذة والألم

للاستاذ اسماعيل مظهر

مطبعة حجازى — عدد صفحاته ٢٥٧

قد ينتج الفيلسوف أنضج الآراء وأصوبها ، وقد يحلل أدق المسائل وأجلها ، وقد يكون له مذهبه ومدرسته ، وله تلاميذه وأشياعه ، ومع هذا تجد فى البحث عن اسمه فى بطون الكتب فلا تعثر به الا لماما ، مغموراً لا يكاد يبين . . . و « أرسطبس » من هذا القبيل ، فقد أنشأ فى الفلسفة مذهباً خاصاً ، وضع أساسه وأقام دعائمه ، ومع هذا فان الناس يأبون إلا أن يتجاهلوه ، والتاريخ يأبى الا أن يتناساه ... وهل يذكر الناس « أرسطبس » مرة واحدة كلما ذكروا سقراط مائة مرة ؟ !

على أن هذا الفيلسوف المظلوم المغمور قد ظفر بكتاب فى اللغة العربية أخرجه الأستاذ اسماعيل مظهر واستوفى فيه بحث تاريخ أرسطبس ومذهبه فى اللذة والألم أيما استيفاء

فبدأ بالمامة وجيزة عن الفلسفة اليونانية عامة كيف نشأت ونمت ، ومن هم روادها وأعلامها ، وكيف تفرع منها مذهب خاص باللذة والألم هو المذهب القورينى نسبة الى مدينة قورينة حيث نشأ ، وبعد أن تحدث الكتاب عن هذه المدينة من حيث موقعها وعمرانها وثروتها وحالتها الفكرية ، تدرج الى الحديث عن أرسطبس هذا الذى يفضله بعض مؤرخى الفلسفة على سقراط فى الدقة المنطقية ، وان تخلف عنه فى سعة الافق والاحاطة بطبيعة الانسان، تحدث عنه فعرض ترجمة حياته وما ألم بها من غير واحداث ، ثم حلل شخصيته وأوضح عناصرها ، ثم شرح مذهبه الذى يتلخص فى أن اللذة الحسية هى عنصر السعادة

وانتقل بعد هذا الى مقارنات شتى بين من تناولوا مذهب اللذة من الفلاسفة القدماء والمحدثين ، وعنى عناية خاصة ببيان أثر سقراط فى أرسطبس والنقط التى خرج فيها هذا على أستاذه، ثم بالموازنة الدقيقة الشاملة بين أرسطبس وأفلاطون وأرسطاطاليس ، وانتهى بفصلين أحدهما فى تطبيق المذهب على الحقائق الجديدة لاسيما مايتعلق منها بنظرية النشوء والارتقاء ، وبموضوع الأنانية والغيرية ، وثانيهما عن علاقة نظرية المعرفة بمذهب اللذة والألم انتهى منه الى أن القورينيين هم الذين وضعوا المنطق الاستقرائى، والى أن أرسطبس هو أول من وضع نظرية ادراك الحس فى المعرفة

الحياة الجديدة

للاستاذ نقولا يوسف

مطبعة المجلة الجديدة . عدد صفحاته ٣١٨

مجموعة من المقالات الناضجة الجريئة تبحث هموم العصر الحاضر وتدرس مشاكل الجيل الجديد . فثلثها الأول بحوث عامة تلخص بعض ما يشغل أذهان العالم ، أو تدرس نقطاً سياسية واجتماعية خاصة ، نذكر منها فصولا عن الانسانية بين الحرب والسلم ، والوحدة العالمية ، ومستقبل العالم ، وتركيا الجديدة ، والعرب واليهود فى فلسطين . وثلثها الثانى بحوث فى حياتنا المصرية تدعو الى تجديد الأدب والفنون وترقية شؤون المرأة والفلاح . وثلثها الأخير دراسات أدبية وفنية شتى ، منها فصول عن الأدب الاغريق والهندى ، وأعلام الفكر والفلسفة فى الغرب والشرق ، قديماً وحديثاً

ولا شك فى أن القارىء يخرج من هذه الفصول وقد أصاب حظاً كبيراً من الثقافة ، يثير فيه شوقا الى التوسع والاستزادة . ولكنه سيخرج منها قبل هذا وقد امتلأ رغبة قوية جريئة فى الاصلاح والتجديد قدر ما يستطيع ، وما نحسب أن الكاتب كان يستطيع أن يثير فى النفس هذه الرغبة لو لم يكن مؤمنا بآرائه، مخلصاً فى تبليغها . وإنا فى طورنا الجديد الملىء بشتى المشاكل لفى حاجة ماسة الى هذا الطراز من الكتاب الذين « يحملون على رءوسهم هموم الانسانية كأنها همومهم الخاصة » . .

عصمة الانبياء

لفخر الدين الرازى

طبع فى ادارة الطباعة المنيرية . صفحاته ١١٠

وضع هذه الرسالة الموجزة العالم النابغة « فخر الدين الرازى » « لينضح عن رسل الله وأنبيائه ، ويذب عن خلاصة خلقه وأتقيائه ، ويبين ما أتى به أهل الحشو من إحالة الذنوب والجرائم عليهم ، ونسبة الفضائح والقبائح اليهم ، وأنه زور وبهتان »

وقد بدأ الكتاب بمقدمة عامة عما يجوز نسبته الى الأنبياء وما لا يجوز ، وأورد فى هذا أقوال علماء الدين وشرح وجهات نظرهم . ثم تناول الأنبياء المعروفين واحداً واحداً ، فرد ما نسب اليهم من صفات أو أعمال لا تليق بمقام النبوة ، معتمداً فى هذا على أصح المصادر : القرآن والسنة والعقل

والكتاب كسائر مؤلفات الرازى سهل التناول واضح المعنى سلس الأسلوب

التسالى فى سهرات الليالى

للدكتور هلال فارحى

مطبعة الشمس صفحاته ٦١٥

هذه مجموعة ضخمة من الملح والفكاهات ، والحكم والأمثال ، والألغاز والرموز ، وغير ذلك من المواضيع الطريفة التى تصلح أن تكون حديث سمر بين أفراد العائلة فتغنيهم عن الخوض فى الحديث التافه ، أو فى جلسات الاصحاب بدل أن يترددوا على الملاهى الساقطة ، كما ان فيه كثيراً من المسائل الغامضة التى تحتاج فى حلها الى شىء من التفكير والمهارة ، مما يروض العقل على حل المشاكل والتخلص من المآزق . ولا شك أن ما فيه عن الالعاب والرياضة والنصائح الطبية والاسعافات الأولية مما لا يستغنى عنه أى بيت ، ولا سيما أن مؤلفه طبيب معروف بمهارته فى مهنته

بين الهلال وقرائه

الخميرة

(حماه — سوريا) ف . س .

ما هى الخميرة ، ولماذا يستعان بها على صنع الخبز ؟

(الهلال) الخميرة هى مجموعة ملايين من الخلايا الميكرسكوبية النباتية المفردة . وبكلمة أخرى مجموعة ملايين من الخلايا الفطرية التى تتوالد كل خلية منها بطريقة الانقسام . ووظيفة هذه الخلايا هى تحويل السكر الى الكحول وثانى اكسيد الكربون . ولا يخفى أن الدقيق أو العجين الذى يصنع منه الخبز يحتوى على قليل من مادة السكر الكائنة فى النشا . والخميرة تحول هذا السكر الكحولا وتنشىء فى العجين فقاقيع تحتوى على غاز ثانى أوكسيد الكربون . وهذه الفقاقيع تجعل العجين « يرتفع » ويتمدد وعند وضعه فى الفرن تقتل الحرارة الخميرة و « تطبخ » الكمية القليلة من المادة الالكحولية فى الخبز

والخميرة أنواع كثيرة ولكن أساسها واحد وهى تستعمل فى صناعات لا عداد لها كصناعة الجبن والجلود والتبغ وغيرها

منافع الثوم

(القاهرة — مصر) حامد الملوانى

ينسبون الى الثوم منافع كثيرة . فهل هى صحيحة أم هى من قبيل الخرافات الشائعة ؟

(الهلال) لا شك أن للثوم منافع كثيرة ولاسيما اذا أكل نيئاً . وقد عرف المتقدمون بعض هذه المنافع وغالوا فى شأن بعضها حتى امتزج الصحيح منها بالخرافى . ولكن أثبت بعض الأطباء فائدته فى معالجة بعض حالات الجدرى والسل الرئوى والاستسقاء . ومن غريب مزاياه أنه يساعد على احتمال حرارة الشمس فى الغيطان ويقال ان المصريين القدماء عرفوا له هذه المزية فكانوا يقدمونه طعاما للعمال الذين يسخرونهم فى الغيطان وفى بناء الأهرام وغيرها . والمعروف عن الثوم أيضاً أنه مقو للمعدة ويخفف الضغط الدموى

العم سام

(القاهرة — مصر) ومنه

لماذا يرمزون الى الولايات المتحدة بالعم سام وهل كان لهذا الرجل وجود حقيقى ؟

(الهلال) فى أثناء حرب سنة ١٨١٢ بأميركا كان تاجر من أهل مدينة «تروى» أو طروادة الامريكية متكفلا بتقديم اللحم اللازم للجنود . وكان اسم هذا الرجل صموئيل ويلسون . والاميركيون يختصرون اسم صموئيل عادة بكلمة « سام » . ولما كان اسم هذا التاجر على لسان كل جندى فى أميركا فى ذلك الوقت ، فقد كانوا يشيرون اليه بقولهم « العم سام » . ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الاسم رمزاً الى الولايات المتحدة وأصبح الحرفان (U.S.) اختصاراً لاسم العم صموئيل وللولايات المتحدة فى آن واحد

عرق السوس

(حلوان — مصر) أحد القراء

ما هو عرق السوس وهل يعترف الطب الحديث بمنافعه المزعومة ؟

(الهلال) عرق السوس نبات تمتد جذوره فى الأرض وتستخرج منها خلاصة تدخل فى صناعة بعض الحلويات

وقد وهمت بعض المجلات الاجنبية فزعمت ان هذا النبات أوربى . والصحيح أنه شرقى . وقد كان ينمو بكثرة فى ما بين النهرين وهى البلاد المعروفة بالعراق فى الوقت الحاضر . وفى بعض كتب التاريخ ان نبات السوس كان يكثر فى المكان الذى بنى عليه برج بابل . وقد شاع استعمال عصيره عند المصريين واليونان القدماء . وعرف ثيوفراستوس ، تلميذ أرسطو

ومؤسس علم النبات خواصه فكتب عنه ما يأتي : « هذا النبات ينمو بكثرة في بلاد السكيثيين وطعمه حلو وهو ينفع في معالجة الربو والسعال وأمراض الصدر . واذا مزج بالعسل كان منه خير دواء للجروح واذا أذيب قليل منه في الفم اقطع العطش . والسكيثيون يستطيعون المكوث بلا ماء مدة أحد عشر أو اثنى عشر يوما لأنهم يستعيضون به وبالجبن المصنوع من لبن الفرس من الماء »

وشاع استعمال عصير السوس في العصور المظلمة والوسطى . والطب الحديث يعترف اليوم بكثير من الخواص المعزوة اليه . ولا أدل على ذلك مما كتبه أحد كبار الأطباء الانجليز عنه في أوائل هذا القرن . قال ما خلاصته : « لعرق السوس منافع كثيرة فهو يزيل حموضة المعدة والآلام الناشئة عن تهيج أعصاب المعدة وينظم حركة الأمعاء ويطرد الأرق والصداع وعسر الهضم » ولعل أفضل خواص عرق السوس انه مسهل ويساعد على افراز البلغم

قاطرة ديزل

(حلوان ــ مصر) ومنه

ما هي قاطرة ديزل ومن مخترعها ؟

(الهلال) هي قاطرة تقوم على مبدأ الاحتراق الداخلي اخترعها مهندس ألماني من أهالي مونخ يدعى رودلف ديزل فعرفت باسمه . وعمل هــذه القاطرة يتألف من أربع حركات متوالية . فالأولى هي امتصاص الهواء الى اسطوانة معينة . والثانية ضغط هذا الهواء بقوة خمسمائة رطل لكل بوصة مربعة مع « تشريبه » وقوداً يأخذ في الاحتراق في الحال لأن درجة الحرارة تكون فوق درجة الاحتراق . والثالثة تمدد الغاز بعد الاحتراق وتحريك القاطرة . والرابعة طرد نفاية الاحتراق من الاسطوانة

تسوس أسنان الصغار

(الاسكندرية ــ مصر) ناشد بهنا

لي ولد في العاشرة من عمره قد أصيبت أسنانه بالتسوس وعرضته على ثلاثة من أطباء الأسنان فلم يوفقوا الى وقف التسوس فهاذا تنصحونني ؟

(الهلال) نعتقد أنكم اذا التجأتم الى طبيب أسنان ماهر فانه لا يعجز عن شفاء ابنكم من التسوس المصابة به أسنانه . ومع ذلك فان خير طريقة لمعالجة تسوس الأسنان في الصغار هي أن تضاف الى غذائهم جرعات صغيرة من الفيتامين « د » في صورة مادة « الارجوستيرول » المعالجة بالأشعة التي فوق البنفسجية . وهي مادة يستطيع كل صيدلي ارشادكم اليها . ولا تنسوا ان بين نوع الغذاء وحالة الأسنان علاقة متينة جداً

البواخر العظيمة

(نيويورك ــ أميركا) نخلة حداد

ثبت الآن أن الباخرتين العظيمتين « نورماندى » و « كوين مارى » لا تحملان من الركاب اكثر مما تحملهم البواخر الأخرى التي لا يزيد محمولها على ثلث محمول النورماندى أو منافستها . فلماذا اذاً تحمل أصحاب هاتين الباخرتين نفقات انشائهما بحجمها الهائل ؟

(الهلال) يبلغ محمول « كوين مارى » نحو ثمانين الف طن . وقد أنشئت لكي تقطع ثلاثين عقدة في الساعة . ولكي تسير بهذه السرعة لابد لها من آلات قوية جداً . وتجهيزها بهذه الآلات لا بد أن تكون قاعدة الباخرة كبيرة ثقيلة الوزن . فكبر حمولة الباخرة ناشيء اذاً عن قوة آلاتها . وما من باخرة تستطيع اجتياز المحيط الاطلنطي بمثل السرعة التي تجتازها بها الباخرتان « نورماندى » و « كوين مارى »

خاتمة كولمبوس

(نيويورك ــ اميركا) ومنه

المعروف أن كولمبوس مكتشف أميركا مات في السجن . ولكني قرأت أخيراً في كتاب تاريخي أنه مات حراً طليقاً . فما هي الحقيقة ؟

(الهلال) الحقيقة أنه مات حراً طليقاً في سنة ١٥٠٦ في مدينة بلد الوليد (فالادوليد) . ولا نعلم لماذا تقولون : « المعروف أن كولمبوس . . مات في السجن » . نعم أن فرنسيسكو دي بوباديلا أعاده في سنة ١٥٠٠ الى اسبانيا مقيداً بالأصفاد . ولكن

استياء الشعب الاسبانى كان عاما لأن كولبوس كان فى نظره بطلا عظيما . ولذلك أطلق سراحه وسقطت عنه جميع التهم التى كانت موجهة اليه

الزواج بين الأقربين

(بوسطن — أميركا) حنا الديرانى

ما رأيكم فى زواج أولاد الأعمام ؟ هل هو مضر من الوجه الصحى كما يزعم الكثيرون ؟

(الهلال) ان العلم ينكر الضرر الذى تشيرون اليه . والاختبار يدل على أن الكثيرين من عظماء الرجال هم من مواليد الزواج بين الأقربين . وتاريخ الفراعنة والبطالسة يؤيد هذا القول . وقد أنجبت أسرة « باخ » ثمانية وعشرين موسيقياً من أعظم نوابغ الموسيقى فى العالم وكانوا جميعاً من مواليد الزواج بين الأقربين

الامبراطورية اليابانية

(بوسطن — أميركا) ومنه

قرأت فى إحدى المجلات التى تصدر هنا أن عدد سكان الامبراطورية اليابانية أكبر من عدد سكان الولايات المتحدة . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم فقد أضافت اليابان الى امبراطوريتها بعد فتوحاتها فى منشوريا والصين وبلاد المغول أكثر من مائة مليون نفس ومليونى ميل مربع من البلاد فأصبح عدد سكان امبراطوريتها أكثر من عدد سكان الولايات المتحدة

أقدم جريدة

(دمشق — سوريا) عبد القادر طباره

ما هى أقدم صحيفة معروفة فى التاريخ ؟

(الهلال) أقدم جريدة رسمية معروفة هى صحيفة رومانية صدرت فى سنة ٥٨ قبل المسيح باسم : « الأعمال الرسمية » أو « الوقائع الرسمية » ومؤسسها القيصر يوليوس فانه أصدر أمره الى كبار الموظفين بتدوين جميع أعمالهم اليومية على لوح كان يعلق فى أحد الميادين العامة ليقرأه الجمهور

وظهرت بعد ذلك فى روما صحيفة أخرى غير رسمية فانتشرت انتشاراً عظيما . وكانت ذات ثلاثة أبواب . يتناول أولها الشؤون السياسية وأمور الدولة والأقاليم وميادين القتال . وثانيها أخبار الدواوين والمحاكم والأحزاب . وثالثها الأخبار العامة كأخبار الزواج والوفيات وحوادث الطلاق وما الى ذلك ، ويظهر أن هذه الصحيفة كانت تكتب بلغة أثارت انتقاد علماء اللغة فى ذلك العصر . كما شكا منها الفيلسوف سنيكا لأنها كانت تتوسع فى نشر حوادث الطلاق وفى تفصيل فضائحها . وقد اطلعنا على نسخة من هذه الصحيفة منقولة فى كتاب تاريخى واليك بعض النبذ التى جاءت فيها :

« اجتمع اليوم لفيف من القضاة فى منزل القنصل سيسينيوس »

« هبت العاصفة أمس على أكمة فيلى . وانقضت صاعقة على سنديانة عند سفح تلك الأكمة »

« وقعت مشاجرة عظيمة فى حانة على أكمة جانوس فأصيب صاحب الحانة بجراح خطرة »

« عوقب أمس عدة جزارين لبيعهم لحوما قبل فحصها . وستستعمل الغرامات التى أخذت منهم لبناء معبد للالاهة لافرنا »

« قبضت شرطة نيوفا على اللص دميفون ونفذت فيه حكم الصلب فى اليوم عينه »

« وصل اليوم الاسطول قادما من سواحل آسيا »

وهكذا لم يكن بين هذه الأخبار وما تنشره صحف هذا العصر أى فرق

آداب العطاس

(سان باولو — البرازيل) أحد المشتركين

اذا عطس أحد قيل له « يرحمك الله » ومثل هذا القول شائع عند جميع الشعوب الأوربية . فما منشأ هذه العادة ؟

(الهلال) كان الأقدمون يعتقدون أن العطاس دليل على خروج جانب من الحياة من جسم الانسان عن طريق أنفه . ولذلك كانوا يقولون للعاطس : « يرحمك الله » منعاً لروحه من الانفلات من أنفه . وقد بقيت هذه العادة حتى الآن

والسنة الاسلامية تقضي بتشميت العاطس (أي الدعاء له) اذا حمد الله، أي ان يقال له: «يرحمك الله» فاذا لم يحمد الله لم يجز تشميته

الجراد يؤكل

(سان باولو — البرازيل) ومنه

في الانجيل أن يوحنا المعمدان كان يأكل عسلا وجراداً. فهل الجراد من الحشرات التي تؤكل؟

(الهلال) نعم هو كذلك. والاسلام يبيح أكل الجراد. وفي حديث: «أحل لكم ميتتان ودمان — السمك والجراد، والكبد والطحال» وأكل الجراد شائع في البادية وبين الكثير من القبائل الرحل. وهو شائع أيضا بين الصينيين وهم يسمون الجراد «جبري الأرض»!

نقاوة الجو في القطب

(نيويورك — أميركا) أحد المشتركين

اذا كانت درجة الحرارة في القطبين الشمالي والجنوبي تحت الصفر، فهل يمكن أن توجد في جوها جراثيم أو ميكروبات؟

(الهلال) ان الجراثيم والميكروبات لا تعيش في جو القطب لأن شدة البرد تحول دون توالدها. وقد قام العلماء بتجارب علمية كثيرة أسفرت عن تقرير هذه الحقيقة وهي أن جو القطبين ليس بيئة صالحة للبكتيريا والميكروبات. وكثيراً ما تعرض لحوم الذبائح هنالك للهواء أياما بل أشهراً فلا يتطرق اليها الفساد لأن البكتيريا لا تستطيع أن تعيش فيها. وبناء عليه فالأمراض المعدية الناشئة عن ميكروبات لا توجد في القطبين، وأكثر أسباب الوفيات هنالك هي الشيخوخة والانحلال الطبيعي والاصابات القاتلة والحوادث التي لا علاقة بينها وبين الميكروبات أو البكتيريا

عيون الصينيين

(نيويورك — أميركا) ومنه

ما سبب ما نراه من الميل في عيون الصينيين؟ فاننا اذا نظرنا الى الصيني مواجهة رأينا طرف عينه الذي من جهة الأذن متجها صعداً نحو العارض. حالة أن الطرف الذي من جهة الأنف يتجه نزولا

(الهلال) جرى الرسامون والمصورون منذ زمن طويل على عادة رسم الصينيين بعيون مائلة على الوجه الذي وصفتموه. والغريب أن أكثر الناس يعتقدون أن هذا الميل صفة ملازمة لعيون الصينيين والمغول والتتار بوجه الاجمال. مع اننا لو فحصنا عيونهم فحصاً مدققاً لاتضح لنا أنها عيون عادية لا تختلف عن عيون سائر الناس الا قليلا. وفي الحقيقة أن أجفان الشعوب المغولية تتدلى فوق العين من جهة الأنف أكثر مما تتدلى فوقها من جهة العارض فيتوهم الناظر أن العين مائلة ميلا أفقياً

احتمال الضغط والثقل

(بغداد — العراق) قارىء

هل يستطيع الآجر (الطوب) المشوي احتمال نفس الضغط والثقل اللذين يحتملهما الحجر الاعتيادي؟

(الهلال) لا نعلم ماذا تريدون «بالحجر الاعتيادي» فالحجارة أنواع كثيرة منها الرخو ومنها الشديد الصلابة. واحتمالها للضغط والثقل يختلف باختلاف تركيبها. فالحجر الأعبل (الغرانيت) مثلا يحتمل ضغطا بمتوسط عشرة أطنان للبوصة المربعة حالة ان الآجر الاعتيادي لا يستطيع احتمال عشر ذلك الضغط

ماس أم الماس

(بغداد — العراق) ومنه

نراكم تستعملون كلمة الماس معرفة وأحياناً مجردة من أل التعريف. وقد رجعنا الى كتب اللغة فرأينا بينها خلافا على الالف واللام. فبعضها يزعم أن الالف واللام زائدتان وبعضها يذهب الى أنهما من أصل بناء الكلمة. فما هو الوجه الصحيح؟

(الهلال) قال الفيروزابادي في مادة «موس»: «ولا تقل الالماس فانه لحن» وأنكر غيره ذلك وادعى أن الالف واللام من أصل بناء الكلمة لانها معرب كلمة «اذاماس» اليونانية. وفي تاج العروس وشفاء الغليل ان الصحيح ألماس وأن الالف واللام أصليتان وهو الرأي الصحيح وعليه جمهور أئمة اللغة

هل أدت وزارة المعارف رسالتها ؟

بقلم الدكتور محمد بهى الدين بك بركات

وزير المعارف الأسبق

« ليس يحتاج الى دليل أننا لا نزال الى اليوم عالة على أوربا فى كل فروع العلم والتعليم ، فجامعتنا لا تزال عالة عليها تلجأ اليها لتوريد المعلمين فى الكثير جداً من المواد ، فهذا القرن الكامل الذى مضى على التعليم لم يكن كافيا لتخريج كل من يلزمنا من المدرسين ، برغم استمرار إيفاد البعثات الى أوربا . وليس لتلك النتيجة القاسية سوى معنى واحد هو أن نظم تعليمنا الحاضرة عجزت عن الوصول بالطلاب الى المستوى العلمى الذى تحتاج اليه البلاد .. »

لا أشك فى أن غيرى من كتاب هذا العدد من الهلال ، سيبحثون تطور وزارة المعارف ، ويشيرون الى مقدار اتساعها ، فى مائة العام التى مرت على إنشائها ، وسيتكلم غير واحد منهم عن ميزانيتها ، وكيف أنها كانت فى سنة ١٨٣٩ نحواً من ٤٦ ٧٨٤ جنيها [1] ، ثم أخذت تزداد سنة فسنة حتى بلغت فى عامنا الحاضر نحواً من أربعة ملايين من الجنيهات (ثلاثة ملايين وثمانماية وستة وخمسين الفاً وتسعة وأربعين جنيهاً) ، أى أنها صارت ثمانين ضعفاً ، لما كانت عليه عند إنشائها ، فهل حققت تلك الوزارة الغاية التى أنشئت من أجلها ؟

قد يبدو لأول وهلة أن التعليم الأولى انتشر فى جميع قرى القطر المصرى ، وأن التعليم الابتدائى والثانوى والمدارس الصناعية والزراعية عم المراكز وعواصم المديريات ، وأن بالقاهرة جامعة تشمل شتى الكليات ، فوق ما يوجد فيها من المعاهد الخصوصية ، ككلية دار العلوم ، ومدرسة البوليس ، والمدرسة الحربية ، (ولو أن إحدى الأخيرتين تابعة لوزارة الداخلية والأخرى تابعة لوزارة الحربية) وذلك كله بجانب الأزهر الشريف ، والمعاهد العلمية الأخرى كالجامعة الامريكية ومدارس اليسوعيين والفرير والليسى فرانسى والبعثة الامريكية وغير ذلك ... مما لا نجد داعياً لاستنفاد ذكره فى هذه الكلمة السريعة ، مكتفين بالاشارة الى أن التعليم اتسع نطاقه اتساعا يوجب الغبطة والارتياح

ولكن الذى يسترعى النظر ، ويوجب الاهتمام الشديد من جانبنا ، هو أن نظم التعليم الموجودة فى مصر ، تنقصها فى مجموعها ، الوحدة والانسجام ، فهى مفككة ، غير متصل بعضها بالبعض الآخر ، مما كان سبب شكوى وقلق يزدادان على مر السنين ، وما لم يأخذ المسئولون ، فى

(١) انظر ص ١٠ من كتاب التعليم فى مصر لأمين سامى باشا ، سنة ١٩١٧

مواجهة الحقائق ، ومعالجة ذلك الاضطراب ، بوضع تلك النظم على أسس ثابتة ، فلن تصل البلاد الى حالة مرضية من الاستقرار فى شبيبتها ولا فى مستقبلها

كلنا نسمع الشكوى عالية من عطلة المتعلمين ، فهلا فكرنا كيف توجد عطلة للمتعلمين فى مصر وهى لم تبلغ بعد جزءاً يسيراً مما بلغته فرنسا أو انجلترا أو أمريكا فى تعليمها ؟ ، وهلا بحثنا كيف أن الأجانب يفدون بالاستمرار الى البلاد المصرية ، ويجدون من العمل ما يساعدهم على أن يعيشوا عيشة واسعة ويدخروا شيئاً من الثروة ينفعهم فى أخريات أيامهم ، بل كيف أن بعضهم قد يصل بعد قليل من السنين الى مركز ممتاز بين رجال الصناعة والتجارة ، وهلا تساءلنا كيف تكون تلك حال الأجنبى بينما المصرى المتعلم يظل عاطلا عن العمل ؟

ليس يخالجنى شك فى أن بعض تلك الحالة يرجع الى أن الاجانب ، باستيلائهم على الحركة الصناعية والتجارية فى البلاد ، يميلون الى الأجانب ، ويرتاحون الى العمل معهم ، اكثر من المصريين . ولكن يجب على من يريد الاصلاح أن يواجه الحقائق من جميع نواحيها ، وأن يتذرع بالشجاعة ، وأن يكون صريحا مع نفسه بقدر صراحته مع غيره . لذلك لا نتردد فى التصريح بأن فى التعليم المصرى خطأ أساسياً إذ أنه لا يوجه الطلاب إلى وجهة العمل المنتج . فعندنا مدارس الزراعة العالية والمتوسطة ، ولكن جميع متخرجيها لا يرضون ولا يرتاحون الا الى العمل فى وظائف حكومية ، أما الزراعات الواسعة المنتشرة فى جميع أنحاء القطر ، والتى يشكو ملاكها من عدم وجود المفتشين والنظار والمراقبين الصالحين ، فانك لا تجد فيها واحداً من بين متخرجى تلك المدارس فما هى علة ذلك ؟

لا شك أنها ترجع الى عيب أساسى فى نظم التعليم ، وواجب الوزارة الأول معالجته . أما الاقتصار على القول بوجوب تضييق التعليم أو الزعم بأن فى البلاد عدداً من المتعلمين أزيد مما يلزم لمصر ، فهو قول ملق على عواهنه وهو قول من لا يريد أن يكلف نفسه مشقة البحث الصحيح . اذ الواقع هو أن عدد المتعلمين أقل من اللازم لنا، ولكن التعليم بحالته الحاضرة غير ملائم لحاجات البلاد . وهو لا يزال الى اليوم متأثراً بالافكار الاستعمارية التى وضع أساسها دنلوب وكرومر اللذان كانا يصرحان بأن الحكومة انما تنشىء المدارس لتخريج ما يلزمها من الموظفين . فهذا الطابع لا يزال موجوداً فى نظم تعليمنا مما جعل الشكوى تزداد وتقوى . وكلما حاول المسئولون من رجالنا علاج تلك الحالة تلمسوه من غير طريقه مما جعل اكثر ما يجرى من التغيير غير منتج نفعا ... وليست تلك الحال مقصورة على التعليم الزراعى بل هى مشاهدة كذلك فى التعليم الصناعى والتجارى ، وبالجملة فى جميع مظاهر الحياة الاقتصادية والصناعية والتجارية والمالية . فهلا فكرنا فى وضعها جميعها على أساس صحيح ؟ !

ونحن اذا ما تركنا المدارس الفنية جانبا فاننا نشاهد نفس الشكوى فى التعليم العالى لجميع من

يختلطون برجال الجامعة ، يسمعون شكوى أساتذتها من انحطاط مستوى الطلاب ، وأن شهادة البكالوريا المصرية لا تؤهل حائزيها لتتبع الدراسة العالية فى الجامعة ، ولذلك لجأت اكثر الكليات الى اضافة سنة اعدادية لقبول حائزى شهادة البكالوريا بالجامعة

أفتدرى أيها القارىء أن وزارة المعارف عندما أرادت تعديل نظم التعليم الثانوى لملافاة تلك الشكوى أعرضت عن مواجهة الحقائق بشجاعة وبدلا من أن تزيد سنى الدراسة عملت على نقصها؟

قد يقال انها اصلحت طرق التعليم فى المدارس الثانوية ، ولكن اما كان الأولى أن تبقى سني التعليم على ما كانت عليه وتصلح وسائله حتى ترفع بذلك مستوى الطلاب الذين يتمون الدراسة فى كليات الجامعة ؟

وكأن وزارة المعارف لم يكفها ما تسمعه من شكوى أساتذة الجامعة وما يشاهده جميع المشتغلين بالتعليم من انحطاط مستواه فى البلاد ، فجاءت أخيراً بقانون — مهما سمته استثنائياً فانه دليل على مقدار حرصها على مستوى الثقافة فى البلاد — جعلت به الطلاب ينالون الشهادة الثانوية بل والدبلومات العالية من غير أن يحصلوا على المستوى الذى تقضى به القوانين الدراسية . وبذلك منحت شهاداتها لمن لا يستحقونها . قد يقول البعض : إن الوزارة تمنح الشهادة وهى ليست سوى ورقة يخرج بها صاحبها إلى حياة العمل ، وهى وحدها التى تضعه فى المكان الذى يتناسب مع كفاءته الحقيقية ، ذلك ان أصدق معيار للناس هو ما تنتجه الحياة العملية . ولكن الذين يظنون هـذا الظن يتجاهلون تأثير العامل النفسى فى الأفراد والجماعات ، فهؤلاء الذين يمنحون الشهادات اذا لم يجدوا عملا يتكافأ مع شهاداتهم لايفتأون يطالبون الحكومة والأمة بايجاد عمل لهم ، ثم يكونون الجماعات ويبثون الشكايات ويدأبون على المطالبة بتسويتهم بمن سبقوهم ، وإلا كانوا مصدراً للقلق ومبعثاً للشكاية والفوضى . وتلك حال مليئة بالاحتمالات ، فليس أخطر على الجمعية من طبقة العاطلين الذين لايجدون العمل الذى يرضيهم ، ولا يرضون بالعمل الذى يصلحون له

ومن الغريب أننا فى أزمة المحامين مثلا نفكر فى الاصلاح من طريق اقفال جدول المحاماة ولا نفكر لحظة فى تلافى الأزمة من طريق رفع مستوى التعليم ! ومع أننا أنشأنا قسما للدكتوراه فى كلية الحقوق فان الحكومة الى الآن تجمد عن تشجيع تلك الدراسة حتى يكون الباب مفتوحا أمام وزارة الحقانية لتأخذ من متخرجى الليسانس من تشاء ، وبذلك يقتصر التبحر فى العلم على من لا يستطيعون التقدم للوظيفة بتفوقهم أو واسطتهم ...

أليس اصلاح تلك الحال من أخص واجبات وزارة المعارف ؟

ربما تسمع الكثيرين يجيبون على هذه الاعتراضات بأننا لا يصح أن نكلف طلابنا أكثر مما تكلف البلاد الأخرى طلابها ، وأن مدة دراسة الحقوق فى البلاد الأخرى مثلها فى بلادنا . ولكن من يقولون مثل هذا القول ، اما أن يكونوا جاهلين بالحالة التى وصلت اليها أوربا من العلم ، واما أن

يكونوا ممن يودون الارضاء من أرخص الطرق ، طريق التمليق بالحق وبالباطل ، والا فانه ليس يحتاج الى دليل أننا لا نزال الى اليوم عالة على أوربا فى كل فروع العلم والتعليم . فجامعتنا لا تزال عالة عليها تلجأ اليها لتوريد المعلمين فى الكثير من المواد . فهذا القرن الكامل الذى مضى على التعليم لم يكن ، رغم استمرار إيفاد البعثات إلى أوربا ، كافياً لتخريج كل من يلزمنا من المدرسين . . وليس لتلك النتيجة القاسية سوى معنى واحد هو أن نظم تعليمنا الحاضرة عجزت عن الوصول بالطلاب الى المستوى العلمى الذى تحتاج اليه البلاد

بل وأبلغ من ذلك أننا نلاحظ حتى فى المواد التى يدرسها أساتذة من المصريين أنه لا توجد فيها المؤلفات التى تساعد الباحث على معرفة التطور العلمى وتجعله مطلعاً على الحركة العلمية فى المادة التي يرغب درسها ، وأنه بينما نجد فى أوربا الأساتذة والباحثين يعرضون على الناس باستمرار ابحاثهم العلمية ، ويطلعونهم على مدى دراساتهم ، بل ويذهبون الى ابعد من ذلك ، فينقبون عن نظريات جديدة ، ويوالون البحث للتطور بالعلم والفن ، لابلاغه درجة جديدة من الكمال ، إذا بنا فى مصر نقصر عن بلوغ تلك الغاية بشقيها . وليس أدل من تلك الحال على أن التعليم عجز فى مدة قرن كامل عن أن يصل بنا الى درجة يمكن القول معها بأننا هضمنا العلم الذى نتعلمه أو نعلمه . ولا إخال رجال التعليم فى الوزارة ، على كثرة عددهم ، وكثرة المراتب العالية التى يشغلونها ، يزعمون أن مدارس المعلمين على اختلاف أنواعها ودرجاتها ، وطول العهد الذى مضى عليها ، استطاعت أن تهضم مواد التربية ، إذ المشاهد من حالة التأليف عندنا أننا لم نصل بعد الى أن يكون منا أساتذة للتربية بالمعنى الذى يجب أن يكون لهذا اللفظ فى البلاد الأوربية والأمريكية

والى الآن لم نستطع مباراة تلك البلاد فى ابحاثها ومؤلفاتها ، ولا سبيل لمن يريد البحث العلمى الا الرجوع الى المؤلفات الأوربية فى كتب اوربية ، فليست هناك فلسفة مصرية ولا نظرية مصرية ، ولا تقليد مصري يمكن القول بأنه يصح أن يكون طابعاً أو نموذجاً لما وصلت اليه مصر ، أو دليلا على أن لها وجوداً فى الثقافة العالمية ، وأنها كما تأخذ من أوربا فهى قادرة على أن تغذيها

ولا شك أننا لا نستطيع أن ندعى أننا بلغنا درجة تجعل لنا شأواً فى الثقافة العالمية فى أى فرع من فروع الحياة ـ الاقتصادية ، أو الحقوقية ، أو الطبية ، أو الهندسية أو الفلسفية أو الاجتماعية أو غير ذلك مما لا يكاد يحصره العد ـ ما لم يكن لنا علماء عالميون يعتمد على رأيهم ، وما لم تكن نقلنا تلك العلوم الى أوساطنا العلمية بحيث يتيسر لمن يطلبون العلم منا أن يجدوا كتباً مصرية ، ومؤلفين مصريين ، يرجعون اليهم فى دراساتهم العلمية ، فبذلك وحده يمكننا القول بأننا وصلنا الى حالة من الثقافة والتعليم تجعل مصر فى صف الدول التى لها ثقافة قومية . أما الحالة الحاضرة فقاصرة على وجود أفراد تثقفوا بالثقافة الأوربية

وإذا كانت وزارة المعارف لم تؤد رسالتها فى تعليم البنين فانها لم تؤدها بطريقة أدعى الى الألم

فى تعليم البنات . فنحن لا نزال نرى المدارس الأجنبية على تعددها ، واتساعها ، واختلاف الثقافة فيها ، ما بين فرنسية ، وأمريكية ، وايتالية ، مكتظة بالمصريات ، حتى صار عدد المتعلمات فيها من طبقة الأغنياء المصريين أكثر بكثير من عدد الطالبات المصريات فى المدارس المصرية . وهذه ظاهرة أشد ما تكون إيلاما للشعور المصرى ، وليست نتائجها قاصرة على شعور الكرامة فحسب ، بل أنها تتعداها الى المجتمع المصرى ، فتساعد على ايجاد أزمة أخلاقية وقومية ستتمخض عن أخطر العواقب ان لم نعمل على تلافيها فى وقت سريع ، ذلك ان البنت المصرية لا تتعلم فى تلك المدارس التاريخ المصرى والجغرافية المصرية ولا تعيش فى وسط مصرى ، بل هى تدرس وتعيش كما لو كانت فرنسية أو ايتالية أو امريكية ، وتتمرن على أن تنظر للحياة بعين هؤلاء ، حتى اذا ما كبرت وصارت زوجة أو أماً كانت خالية من الطابع القومى فتربى أولادها تربية لا يمكن ان تترك فيهم شيئاً من فهم الوطن المصرى، لانها هى لا تشعر بذلك الحنين الذى تتركه ذكريات الطفولة فى نفس من يعيش عيشة وطنية ، فضلا عن كونها لا تكون ملمة بحالة البلاد ولا مدركة لدقائق الحياة فيها ، ذلك الألمام الذى يخلق الألفة ، ويوطد الصلات والشعور ، مما جعلنا نشاهد تقلقلا فى الحياة العائلية ، واضطرابا فى العادات الاجتماعية ، ونوعاً من القطيعة بين الجيل القديم والجيل الحديث . إذ البنت التى تخرج من المدارس الأجنبية تكون غريبة عن الوسط المصرى جاهلة له غير عارفة بدقائق لغته ، وبالتالى تكون غير قادرة على التفاهم الدقيق مع الأسرة التى تنشأ فيها ، والتى ترتبط معها بالمصاهرة ، وهى فضلا عن ذلك لا تستطيع أن تندمج فى الوسط الأوربى لأنها لا تتصل إلا بطبقات محدودة قد لا تكون أرقاها ولا أكثرها استعداداً للحياة العائلية الكريمة

وثم عيب آخر فى تعليم البنت عندنا، فحتى اليوم لا نجد فى طبقة المعلمات ولا فى طبقة المربيات ولا فى طبقة الممرضات سوى النزراليسير من المصريات ، فنلجأ باستمرار الى الأجنبيات . وفى ذلك من الابهاظ فى التكاليف ما لا يستطيعه الكثيرون منا ، فضلا عما فيه من جعل الطفل تتفتح عيناه على حياة أجنبية بلغة أجنبية وفهم للحياة بعيد عما يجب لأمة ناهضة عريقة فى المجد تغرس فى نفوس شبيبتها عن طريق الحياة نفسها حب الوطن والعزة القومية

فالى أن يتم تحقيق تلك الغاية فى تعليم البنين والبنات لا يمكن القول بأن وزارة المعارف أدت رسالتها

محمد بهى الدين بركات

على هامش العيد المئوى

تبعات وزارة المعارف

بقلم الاستاذ محمد العشماوى بك

وكيل وزارة المعارف

« .. إن مصر آخذة بأسباب الزعامة الثقافية على الشرق العربى ، فعليها أن تتزود بما يؤهلها للاضطلاع بتبعات هذه الزعامة التى تفخر بها ، وتستفيد من ورائها مكانة طالما ازدهت بها واعتزت »

تطوى وزارة المعارف فى عامها هذا مائة من سنىّ حياتها وتودّع حقبة من الزمان ـ ولدت فى مستهلها ، ودرجت وترعرعت خلالها ، وسايرت النهضة الحديثة فى تطوراتها ، ولاحقتها وغذتها وروّتها ـ لتستقبل أحقاباً أخر ، وتضطلع بمهام جسام تواجه بها مطالب البلاد فى إبان استقرارها وعهد استقلالها

وهى وقد قطعت هذا الشوط تشعر بحاجتها الى مضاعفة الجهد لتصلح من شأنها وتدعم من بنيانها ، وتضع منهجا للمستقبل جديراً بعظمة هذا المستقبل واتساع آفاقه . وكفيلا باعداد شباب يتوافر له من التربية والتعليم مايؤهله لتلك التبعات الكبيرة والمسئوليات الخطيرة التى تواجه البلاد فى عهدها الجديد

فهى إذ تحتفل بعيدها المئينى تنتهز فرصة تبسط فيها صحيفة الماضى ليرى الناس ما قدمت ، وتجمع أمرها وتتحفز للمستقبل وتعدّ له العدة كاملة ليرى الناس ما اتوت ، فتهدأ النفوس وتطمئن القلوب

***

وليست مائة عام أجلا طويلا فى أعمار الامم . ولا تتسع لكثير من الاحداث والتطورات ، ولكنها كانت غير ذلك فى تاريخ هذه البلاد . فقد قطعتها فى جهاد متواصل ونهضة متصلة شاملة ، برغم ما اعترضها من عقبات وما اكتنفها من ظروف قاسية تغلبت عليها جميعها بقوة ايمانها وراسخ عقيدتها فى قدرة الله وقوة الحق . وكان لوزارة المعارف نصيبها من النهضة الحديثة ، بل كان لها

النصيب الاوفر . وليس فى ذلك من شك ، اذ لا يمكن أن تقوم نهضة حقيقية إلا على دعائم من التربية الصحيحة والعلم النافع

وانى أرى من واجب الوفاء ونحن في مستهل عهد جديد أن أذكر بالخير ما بذلته الوزارة فى الماضى ،وما تبذله من جهود موفقة فى تعميم الثقافة واقامة معاهد العلم فى كل مكان ، وتشجيع الحركة العلمية والأدبية والفنية وتغذيتها بكل ما توافر لها من وسائل وما أوتيت من قوة . وها قد قطعنا اليوم شوطا طويلا في هذا السبيل . فكل ناحية من نواحى الثقافة قد أخذت قسطها من العناية ، وانتشرت دور العلم فى كل البقاع . وشملت النهضة كل فروع التعليم على السواء . وانتظمت الفنون فبعثت فيها روحاً جديدة أعادت الى الافكار ذكرى ماضى مصر الفنى المجيد

على أننا لا نزال برغم ما قدمنا وما بذلنا فى أول الشوط . فالبلاد تستقبل كما قلت عهداً جديداً وتبعات جديدة يجب أن تبذل وزارة التربية والتعليم حيالها جهوداً جبارة لتكوين ناشئة تستطيع الاضطلاع باعباء هذا التطور فى مرافق البلاد من النواحى الاجتماعية والزراعية والصناعية والصحية والدفاعية

***

وأول ما يجب أن نعنى به أن نوفر لسواد الشعب ثقافة عامة يتبين بها حقوقه وواجباته ويصلح بها من شأنه ويرفع من مستوى تفكيره ليساهم بنصيبه في نهضة البلاد وصون استقلالها وانماء ثروتها والذود عن حماها

كما يجب أن نعنى بالتعليم الفنى ونقوّم من عوجه ونوجهه وجهة عملية مثمرة تمكّن شباب البلد من الكفاح فى معترك الحياة الحرة ، وتكفل له الرزق الوفير ، وتحميه من شر العطلة ، وتحمى البلاد من عواقبها الوخيمة

وتجب العناية بتثقيف الفتاة الى أقصى حدود العناية لما لها من الأثر البعيد فى نهضة البلاد وتكوين الشباب عدة المستقبل وذخيرة الوطن ومحط آماله . ولا سبيل الى ذلك ما لم يوجه تعليم الفتاة وجهة صالحة تمكن من اعدادها للقيام بمهمتها السامية فى تهيئة هذا الشباب ، وللمساهمة فى الخدمات الاجتماعية التى تتطلب المرأة المثقفة العاملة ، وإلا ضاعت كل الجهود سدى لانها لا تقوم على أساس

كذلك تجب العناية بتكوين الأخلاق على أساس صحيح من التربية الدينية الحقة وبتكوين الأجسام تكوينا سليما صالحاً للاضطلاع بأعباء الحياة ومطالب البلاد

ويجب أن نعنى بآدابنا وفنوننا ونمكّن لها ونرفع من أركانها لتكون نهضتنا كاملة وثقافتنا شاملة ونجاحنا مكفولا ، وأن نوجهها جميعها وجهة التجديد بما يبعث فيها حياة قوية ويطبعها بالطابع

القومى الصميم ويفسح لها مجال التطور الذي تقتضيه مطالب الحياة الحديثة ، وتكون مع تطورها وحى ماضينا التليد ووليدة مجدنا الخالد

ويجب أن نتناول بالاصلاح العاجل الشامل ادارة التعليم نفسها ، فنغير كثيراً من الأوضاع الحالية بما يخلصنا من مساوىء المركزية فى التعليم وادارته على السواء ، ليستشعر القائمون على شئون التعليم قسطا من الاستقلال وقسطا يساويه من المسئولية ، ولتتهيأ لهم الفرص للابتكار ، ولتتنوع الدراسة وأساليبها ومناهجها بتنوع البيئات المختلفة ، على أن تستبقى الادارة المركزية مهمة وضع السياسة العامة والتوجيه والاشراف الشامل . ويجب أن توثق الصلات بين الوزارة والاوساط الصناعية والتجارية والزراعية والعملية ، ليتعاون الجميع على وضع أسس هذه السياسة بما يحقق للبلاد أغراض التربية والتعليم على أتمها ويوجهها وجهة صالحة مثمرة

***

ان مصر آخذة بأسباب الزعامة الثقافية على الشرق العربي ، فعليها أن تتزود بما يؤهلها للاضطلاع بتبعات هذه الزعامة التى تفخر بها ، وتستعيد من ورائها مكانة طالما ازدهت بها مصر واعتزت .

ذلك بعض ما تجب العناية به مما تتولاه وزارة المعارف أو تشرف عليه ، وتلك تبعات عظيمة الخطر تتحمل وزارة المعارف والجامعة اعباءها ، أسوقها فى كلمة موجزة على هامش العيد المثنى وهى منه فى الصميم ، أسجلها وقلبى يضطرب من عظم المسئولية وخطر الواجب . فليكن العهد الجديد عهد المسئوليات الجسام ، بعد أن فرغنا من الجهاد الأصغر (على خطره) ، لنستقبل الجهاد الأكبر فى العمل على اصلاح النفس والعناية بمرافق البلاد والتكاتف على صون استقلالها ورفعة شأنها لتتبوأ مكانتها بين الأمم المتحضرة ، وتساهم فى تشييد صرح الانسانية على دعائم من السلام والتعاون لخير العالم وسعادته

محمد العشماوى

وكيل وزارة المعارف



لما كنت معلما

ذكريات يرويها الاستاذ امين سامى باشا

زاولت مهنة التعليم منذ تخرجى فى مدرسة الهندسخانة ، وكانت وقت ذاك من أرقى المعاهد التى من نوعها ، وقد ولى نظارتها اسماعيل مصطفى باشا الفلكى وهو من هو علماً ودراية ونبوغاً . وعينت مدرساً ــ فى أواخر حكم اسماعيل باشا العظيم ــ بمدرسة المساحة ببنى سويف ، وبقيت فيها خمس سنوات اختصرت فيها هندسة أقليدس ، فانتفع الطلبة الذين كانوا ينقلون منها الى المهندسخانة

وولى حكم اسماعيل وأنا في تفتيش وزارة المعارف أعمل تحت رئاسة المسيو « دوربيه » السويسرى ، وهو من أجل الأجانب وأوفرهم علماً وأوفرهم حظاً فى خدمة التعليم بمصر . وهو الذى انشأ أول مدرسة للعميان وللخرس فى مصر ، كان مقرها مكانا لاتفابها بباب الشعرية ثم نقلت الى شارع السيوفية ، وصارت مصنوعات تلاميذها تحفاً تقتنى ويتهافت على حيازتها الكبراء والعظماء

ثم عهد الى فى انشاء مدرسة المنصورة الابتدائية ، فأسستها على أحدث طراز ، وبمضى الزمن أنشأت فصولا ثانوية (تجهيزية) . ومن تلامذتى النجباء فيها صاحب السعادة احمد لطفى باشا السيد مدير الجامعة ، أذكره غلاماً ذكياً ينزع الى الفلسفة والتفكير فى حداثة السن وفجر الحياة . وكان من جملة برنامجى فى تنشئة رجال المستقبل أن أكلفهم باعداد موضوعات خلال الاسبوع ، فاذا كان يوم الخميس حشدت المعلمين وبعض النابهين وكبار الموظفين ، حيث يترادف التلاميذ خطيباً بعد خطيب يتكلم كل فى موضوعه من الذاكرة لا من الورق المكتوب

زار المغفور له محمد توفيق باشا خديو مصر هذه المدرسة فى سنة ١٨٨٣ م خلال رحلة بدأها من الاسكندرية وقصد بها مواساة الأهالى وتطمينهم ومراقبة وسائل العلاج والوقاية من وباء الكوليرا . وفى اثناء زيارته للمدرسة وفد مكاتب التيمس وعميد التجار الانجليز وزوجته وكريمته . وقد سر الجميع من بناء المدرسة وتوفر الهواء والنور والنظافة واتقان الدراسة واحكام التعليم . وتولى توفيق باشا بنفسه امتحان التلاميذ فى اللغة الفرنسية . ومن ظريف ما حدث أن ولى النعم توفيق باشا مر على المدرسة عشية شرفها بالزيارة فرأى نحواً من خمسمائة طالب فى ثياب بيضاء كالتى يلبسها الجند فى الثكنات ، فسألنى عنهم ثابت باشا احد رجال المعية فقلت انهم تلاميذ مدرسة المنصورة

وأبلغت عقب انتهاء الزيارة ، أن أفندينا يريد أن أمثل بين يديه ، باليخت الذى أقله من دمياط إلى المنصورة . وهناك دعيت إلى الدخول ، فالتمست ان يشاركني زملائى من المعلمين والضباط لينالوا قسطهم من عطف ولى النعم وتشجيعه .. فأبلغ كبير الياوران رغبتى هذه للخديو ، فأكبرها ووافق على دخولنا جميعا ، ولا تسل عن هشاشته لى وبشاشته لزملائى ، إذ طفق يثنى وينصح ويدعو لمصر وأبنائها بالسداد والتوفيق

***

نقلت مرة أخرى الى التفتيش ، ومنه الى نظارة مدرسة المبتديان (الناصرية) وقت أن كانت تحتل القصر الذى بقيت على أنقاضه المدرسة السنية . وأول عمل لى هناك هو اقتراحي تشييد دار جديدة تتوافر فيها الشرائط الصحية . وما زلت حتى حصلت على موافقة نظارة المعارف ووضعت التصميم للمدرسة الجديدة على رقعة فى أرض « مولد النبى » بالمنيرة وباشرت البناء . وكنت اقترحت تشييد سراى بجوارها لنظارة المعارف التى كانت تحتل قسما من سراى مدرسة الخديوية

وقد زار مدرسة المبتديان لورد كرومر ــ لغرض متصل بالمبنى الذى اقترحته لنظارة المعارف ــ وطاف بالفصول وجال فى الأفنية والقسم الداخلى . وعند توديعه على الباب وضع يده فى يدى مسلماً وقال : « دعيت لزيارة مدرج التشريح الجديد بمدرسة الطب ، فزرته ، لكنى لاحظت العنكبوت عشيا على زاوية من سقفه ، فخرجت ولم أصافح الناظر لدى توديعه إياى . وكذلك فعلت مع ناظر مدرسة الزراعة ، لم أصافحه لدى توديعه إياى من أجل العنكبوت المخيم فى كثير من حجرات مدرسته . أما أنت فلم ألاحظ خيطاً واحداً من خيوط العنكبوت فى أية حجرة من مدرستك ، ولذلك أصافحك بحق »

وأذكر أن الخديو السابق عباس الثانى زار مدرستى مرتين : مرة قبل انتقالها من دارها القديمة ، وقد ألقى خطبة الترحيب عن التلاميذ الفتى النجيب محمد حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني الآن ، والمرة الثانية بعد انتقالها

قضيت ربع قرن ناظرا لهذه المدرسة ، أغادرها بعد صلاة العشاء ، وأصلى الفجر حاضرا على سجادتى فى غرفتى الخاصة ، لا يمنعني برد ولا مطر ولا ريح عاصف . وكان شعارى ــ فى التعليم ــ أن الرغبة خير من الرهبة ، وابتدعت مخالطة المعلم لتلاميذه . وعنيت بالرياضة البدنية عناية شخصية فأنجبت حجازى لاعب الكرة العالمى وكثيرين غيره . وقد أسست مع رشدى باشا وجعفر ولى باشا وسواهما النادى الأهلى بالجزيرة وتوليت وكالته حتى اليوم . وسرت على خطة اذكاء المنافسة بين التلاميذ ، عن طريق الجوائز ولوحات الشرف التى كانت تكتب بماء الذهب أو الفضة أو الالوان الزاهية على حسب ترتيب النجاح ومراتب الفوز . وقد وضعت نصب عينى تنشئة الصغار على النهج

الذى رسمه الدين الحنيف ، فذلك يطهر القلوب وينقى السرائر وينمى الخلق الفاضل ويردع عن المعاصى ويزجر الغرائز

وتهافت رجالات مصر وأعيانها وكبراؤها على مدرستى ، يضعون أبناءهم تحت رعايتى واشرافى . والغريب أن الكثيرين منهم كانوا - رغم سكناهم فى القاهرة - يفضلون الحاق فلذات اكبادهم بالقسم الداخلى - هذا القسم الذى كنت اباغته بالزيارة فى منتصف الليل ، وكان يضاء أولا بالزيت ثم بالبترول ثم بالكهرباء

وقد أنجبت مدرستى الزعماء والوزراء والكبراء والافذاذ : من أمثال رفعة النحاس باشا ودولة على ماهر باشا واحمد زكى ابو السعود باشا والدكتور احمد ماهر وعلى الشمسى باشا وزكى العرابى باشا وحمدى سيف النصر باشا ومحمود غالب باشا

وكانت « الناصرية » أشبه بكليتى « هارو » و« ايتون » بانجلترا من جهة أنى كنت انتخب التلاميذ من أبناء الاسر الكريمة وأقوم على تربيتهم شخصيا

***

وأضيفت الى - بعد تسع سنوات من نظارة المدرسة الناصرية (المبتديان) - نظارة مدرسة دار العلوم فى عهد وزارة المرحوم مصطفى باشا فهمى - والد أم المصريين - فقبلت على شرط أن تطلق يدى هناك ، فوافق الوزير الخطير . والحمد لله انى نجحت فى مهمتى نجاحاً هنأنى عليه الامام محمد عبده ، حين قال لى فى سنة ١٩٠٤ وكان رئيسا لهيئة الممتحنين : « إن طلبة دار العلوم يكتبون بأسلوب الصدر الأول . لقد أحييت العربية فيها فلك من الله أعظم الجزاء »

ولا غرو فهذه المدرسة قد خرجت الشيخ جاويش الزعيم الشرق والوطنى المصرى والكاتب الفذ ، والشيخ احمد ابراهيم خير من فهم الشريعة السمحاء . والشاعرين الفحلين الشيخ محمد عبد المطلب وعلى الجارم بك وكثيرين غيرهم ممن ملأوا طباق الارض علماً وفضلا وأدباً . وأخيراً أكرر الحمد لله على أننى وفقت الى خدمة بلادى ولغتى ودينى ، وتلك هى السعادة

امين سامى

التطور الخلقي لم يستقر بعد ـ تطور النظرة
الى الاخلاق ـ التطور الخلقي فيما يخص
المرأة ـ أسباب التطور ـ الأمل في المستقبل

التطور الخلقي في مائة عام

بقلم الاستاذ محمد احمد جاد المولى بك

مفتش أول اللغة العربية

لقد كان أسلافنا القدامى ينظرون إلى الأخلاق ، على أنها جانب من الدين ، فكانت تحل فيهم محل الايمان ، فان صفرت أعمالهم منها ، عمرت قلوبهم بها . أما اليوم ، فالنظرة إلى الأخلاق نظرة إلى قضايا اجتماعية ، تلين للجدل والنقاش ، وتهفو بها الاقلام ذات اليمين وذات الشمال . . .

أما أن الاخلاق تطورت فى خلال مائة السنة الماضية ، فهذا بديه لا خفاء به ، ولا نزاع فيه . وان ذلك التطور لهو شعبة من شعب التطور العام الذى شمل مصر فى هذا القرن ، وانتظم شئونها جميعاً ، فكان تطور سياسى ، وتطور عمرانى ، وتطور أدبى ، وتطور خلقى . بيد أن الأخلاق لم تستقر بعد على حال ، فانها ما زالت تتطور وتتقلب ، ولست أنتظر أن تستقر الاخلاق استقراراً تاما لا يقفوه تغير ، ولا يتبعه تحول ، فالتطور الدائب سنة الحياة ، وطبيعة الأشياء . ولكن للامم في تطورها الخلقى غاية تقف عندها ، فتنشأ لها حالة خلقية ترضاها ، ونظام تجرى عليه ، وطابع تعرف به ، فيكون ذلك نوعاً من الاستقرار حقبة من الزمن تطول أو تقصر . وهذه الحالة لم تشهدها مصر بعد ، وانما هى الآن فى ثورات تختلف ، ونزعات تتباين ، واضطراب يتوالى. المفكرون تختلف بهم السبل ، ينزع بعض الى مذاهب جديدة فى الاخلاق ، منها ما يتوسط ومنها ما يتطرف ، ويدعو بعض الى التمسك بالموروث من المواضعات والعادات ، وشد ما يجرى فى تفسير هذه العادات والمواضعات الخلاف ، فآناً تفسر بالموروث عن الأقربين من الأسلاف ، وحينا تفسر بالمعروف من أخلاق الامة فى صدر التاريخ ونشأة الملة . و الناس كذلك مختلفون فيما ينبذ وما يؤثر ، وما يبقى وما يلقى ، فمن حفيظ يجعل حياته حلقة فى سلسلة الماضى القريب أو البعيد . ومن مستجيب الى الجديد من النزعات ، يجرى بها شأنه ، ويسلمها عنانه . وإذا التطور الخلقى فى مصر

لم يبلغ حتى اليوم حالا مستقرة مرتضاة . وانما اورث خلافا ما برح يمتد ويستحر ، ولا يدرى متى يستقر ؟

***

وعندى أن أكبر آية للتطور الخلقي فى مصر ، هى تطور النظرة الى الاخلاق ، وتحول الرأى فيها . فلقد كان أسلافنا القدامى ينظرون الى الاخلاق على أنها جانب من الدين وبضعة منه ، فكانت تحل فيهم محل الايمان ، وتقع موقع العقيدة . فان صفرت أعمالهم منها ، عمرت قلوبهم بها ، وان فاتهم أن يتخلقوها لم يفتهم أن يطووا جنوبهم لها على احترام وتجلة ، فمهما يعدل عن مكارمها عاد منهم فهو جد عليم أنه باغ وان عمله حابط ، ان لم يكن له الى التوبة مساغ . وحقا لقد تكفل الدين بالخلقيات أيما تكفل ، فاذا الاخلاق قسم من دستور الدين ، وإذا هى داخلة فى أوامره ونواهيه ، فكانت الأخلاق بذلك واجبة الاتباع ، من أنها شأن دينى وأمر سماوي ، تدين له العقول بالتسليم والقلوب باليقين . أما فى يومنا هذا فالنظرة الى الاخلاق نظرة الى قضايا اجتماعية تخضع لمقتضيات العصر وتقلبات الزمن واختلاف الأحوال . وبذلك لانت الاخلاق للجدل والنقاش ، وهفت بها الأقلام ذات اليمين وذات الشمال ، فمضى الكتاب يؤولون الفضيلة ويختلفون فى التأويل ، ويتجاذبون القول فى الحياء والعفاف بين الجرح والتعديل . فاذا الاخلاق اشتات آراء وأضغاث أهواء . وناهيك بما لهذه النظرة من الأثر البالغ فى تقدير الاخلاق ووزنها ، فلقد نصلت عنها صبغة التمجيد التى نفضها عليها اتصالها بالدين وقدسه

***

ولقد تتابعت على آذان الأمة الدعوات الى التطور الخلقى ، ذات أشكال وألوان ، فرضيت الأمة عن بعض ، وأعرضت عن بعض . فلم يلبث أن ظهر أثر ما رضيت عنه فى كثير من أحوال الحياة الاجتماعية وشئونها ، إلا أن هذا الاثر يتباين فى تلك الأحوال والشئون قربا وبعداً ، وريثا وعجلة

وليس من شك ان أعمق التطورات الحديثة تغلغلا ، وأفسحها خطا ، هو التطور الخلقى فيما يتعلق بالمرأة . ولا يزال يعيش أولئك الذين شهدوا المرأة المصرية فى حياتها الماضية ، وخبروها أخلاقا وعادات . فما راعهم الا أن تتحول فجأة ، وتخرج طفرة . وأراهم العيان اليوم ما لم يجز بخيالهم أمس . بل ان دعاة المرأة الجديدة أنفسهم ، لم يقدروا حين دعوا أن يستجاب لهم فى هذا الزمن الوجيز ، فاذا المرأة تتقدم باجابتها دعوة الدعاة ، وإذا أقوالهم تسبقها أعمالها . فكأنما هى طير كان حبيساً على كره ، فما كادت تهن من حوله حواجزه ، حتى نشطت غرائزه ، فانطلق على غلوائه يصعد فى سمائه

والحق أن سرعة استجابة المرأة للتطور الخلق أمر لا يتعذر تعليله على باحث ، فلقد وافق

خروج المرأة هوى من نفس الرجل ، فالمرأة مهوى عاطفته ، ومثار شوقه ، وهى شبحه فى اليقظة ، وطيفه فى الكرى . وكان فيا مضى يتسلل إلى جلوتها فى توجس وحذر ، فلم يكن أحب اليه من أن تتجلى له فى الجهرة والعلن ، فيطالعها فى غير رقبة ، وتسايره فى غيرظنة . وكذلك قضى خروج المرأة رغبة فى نفسها ، فلم يكن أحب اليها من أن يخلو لها وجه الطريق ، وانما كان يردها عن هواها نظام الحياة الاجتماعى ، وسيادة الرأى فى الحجاب ، فما إن هتف بها الدعاة أن تكشف وجهها ، وتترك خدرها ، حتى رددت هتاف الدعاة وأوسعته قبولا ورضاً ، ولم يبق مع موافقة الرجل مانع من أن تنسرح فيما أريد لها ، وتمضى فيما أخذت فيه . فقد دعيت المرأة أول ما دعيت الى سفور محتشم ، فسرعان ما أجابت تلك الدعوة اجابة اللهيف ، ولكنها سفرت عن وجه أحالته الزينة فتنة صارخة ، ثم دعيت الى مشاركة الرجل فى مراغم الحياة ، فرأيناها تتعرض فى الأسواق، وتتخايد فى المحافل ، وتتلعب فى المراقص ودور اللهو . وما إن يحل الصيف حتى تتحلل من سوابغ الثياب ، متخذة من شاطىء اليم ، ما تتخذ الآرام من ربرب ، وحولها من عيون الرجال نطاق ، تتلهب فيه الأحداق . وهذا داء يجب حسمه ، والا استشرى فساده

***

ولسنا بسبيل الافاضة فى أسباب التطور الخلقى فى هذا القرن، على أن أسبابه ظاهرة لا تعيا على ذى بصر . وحسبنا هنا الاشارة الى أن مصر كانت على حال من الأمية والتخلف العلمى والمدنى يأباها لها اسمها المجيد ، وتاريخها العتيد ، على حين انتفاض الأمم فى هذا العصر انتفاضاً لم يسبق له مثيل فى سوالف العصور ، إذ تهيأت وسائل الحضارة ، وتغيرت أدوات الحياة ، وتتالت المبتكرات والمخترعات فى الكثير من شئون العلم والمدنية والاجتماع ، فما كادت تتصل مصر بآفاق هذه الحضارة الشاملة حتى ثارت بها الغيرة الى اصطناعها ، وتهافتت عليها تهافت الظماء على ماء ، وكان طبيعة أن تحاكى مصر أول ما تحاكى مظاهر ذلك التحضر ، فالطفل إذا زهاه شىء حاول محاكاة مظهره أول ما يحاول

وكذلك فتنت الأمة بجدة تلك الحضارة ، وغضبت لنفسها مما هى فيه من الخمول والضعة ، فما وسعها الا أن تثور بعاداتها ومواضعاتها وأخلاقها ، حاسبة أنها برمتها علة ما يحيط بها من ضعتها وخمولها ، وانساقت تخلع القديم الموروث ، وتلبس الجديد اللألاء ، يعينها على ذلك الرغبة فى مجاراة الأمم المتحضرة ، ويغريها به فتنة الجدة ، وشيوع روايات القراءة والرؤية (١) التى تنقل العصرى من الأخلاق والعادات ، وتصورها تصويرا يعجب النفس ويوقظ الهوى

وانضاف الى ذلك فريق من حملة الأقلام يدعون الناشئين الى الثورة على الماضى كله، ويزرعون فى قلوبهم الغض منه ، والزراية به ، ويهيبون بهم أن ينفروا من القديم ، ويرحبوا بالجديد وهم فى

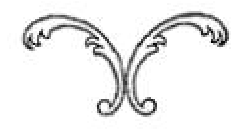
(١) روايات الرؤية : التى تعرضها (السينما)

الحق لم يستجدوا من شيء ، وانما ينادون شباب العصر أن ينسلخوا من ماضيهم الى حاضر غيرهم ، فليس هو تجديداً كما يقال ، وانما هو خروج من محاكاة الى محاكاة. ولم يكن فى طوق النابتة المصرية الا أن تستجيب لهذه الدعوات ، حتى تظفر بتصفيق الدعاة ، ومن أين لها ألا تستجيب لذلك وهي ترى سبق الأمم ، وقوة الحضارة ، ثم هى تضطرم جوانحها بعواطف الغيرة على الوطن ، والعمل على اعلاء شأنه ، والرغبة فى أن تساير الأمة غيرها من الأمم حضارة ورقيا وتقدما ؟!

***

وان كثيراً من الأخلاقيين ليرون حديث الأخلاق فى هـذه الأيام يذهب أدراج الرياح ، فينفضون أنفسهم من الأمل فى الاصلاح ، اذ يتعاظمهم ما يشهدون من هذا التطور الخلقى العام ، وما يتوقعون من تواصله على الأيام. والرأى أنه لا فزع من المستقبل ، ولا جزع من الأمل ، فلقد أخذت غشاوة العيون تنحسر ، وبدأت الآذان تصغى ، وليس بعد ذلك الا أن ينضج الرأى ، ويستقيم الفكر ، وينصب للامور ميزانها فى يقظة وحزم . على أن قلوب الشبان عامرة بحب الخير طامحة الى ما يعود على الأمة بالنفع ، وهم انما يدعون ويأخذون ما يقر فى يقينهم أنه يوآتى تلك الرغبة الخيرة ، ويحقق ذلك الطموح النبيل . فاذا جهد الاخلاقيون جهدهم فى تبيين سبيل الرشد ، واعتلوا منابر الشبان يعرفونهم طريق الهدى ، ساروا اليه قدما ، وأوفضوا فيه عجالا ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض . . .

محمد احمد جاد المولى



« . . إن أوربا لم تصل إلى ما وصلت اليه من الرقى إلا بجهود أجيال متعاقبة ، وإن الطفرة أمر محال فى رقى الأمم وتقدمها . ولكنى أستطيع أن أقول انى قت ببعض الشيء لمصر ، فأصبحت الآن تتفوق على كثير من البلاد لا فى الشرق فحسب ، بل فى الغرب أيضا . . »

محمد على

محمد على

باعث نهضة التعليم والثقافة

بقلم الاستاذ محمد رفعت بك

مراقب تعليم البنات المساعد بوزارة المعارف

ليس فى تاريخ النهضات القومية التى حفل بها القرن التاسع عشر قصة أروع أو أمتع من قصة النهضة التى أحدثها محمد على الكبير . وأول ما يسترعى النظر فى هذه النهضة الحديثة فى مصر انه بينما كان نهوض شعوب أوربا نتيجة تجارب وتطورات مختلفة فى نظم الحكم وأساليب الاجتماع والمعيشة ، استمرت منذ بزوغ عصر النهضة الى ان جاءت الثورة الفرنسية العظمى ، فمهدت الطريق لظهور القوميات الحديثة فى ايطاليا وألمانيا وبلجيكا وغيرها ، نرى أن مصر فى عهد محمد على قد قفزت دفعة واحدة من ظلام العصور الوسطى الى نور النهضة الحديثة التى شملت جميع مرافق البلاد . ولا عجب إذن ان يكون الناس فى الخارج قد بهرهم فجأة هذا النور البراق المنبعث من ناحية مصر فى ذلك العهد ، فأشادوا بذكر مصر وما أحرزته من قوة ومكانة دولية ممتازة ، وان يكون الناس فى الداخل قد أخذوا بهذا النور الوهاج فآووا اليه مكرهين دون أن يتعرفوا مواقع أقدامهم ، حتى إذا خبا نور النهضة وانطفأ مصباحها بعد محمد على أخذوا يتلمسون طريقهم الى العمل فلم يهتدوا إلا بعد حين

نهضة قومية

هذا وصف عام لحركة النهضة فى مصر فى عصر محمد على ، وهو وصف يصح تطبيقه على نهضة الجيش والأسطول ونهضة الصناعة والتعلم . أما نهضة التعليم وهى التى تهمنا فى هذا المقام ، فكانت قومية كغيرها من النهضات فى ذلك العهد ـ كانت قومية لأول مرة فى تاريخ مصر بعد زوال مدنيتها القديمة . ونريد بقولنا قومية انها تقوم على عاتق الفلاح المصرى ، وترمى الى ترقيته واعلاء شأنه ، أما العنصر الأجنبى فيها فلم يكن سوى أداة مؤقتة لبلوغ هذه الغاية

كانت مهمة محمد على فى هــذا السبيل شاقة متشعبة ، تقتضى نفقات طائلة ، ولا سيما أنه اعتمد بادىء الأمر فى تنفيذ هذه الاصلاحات على الأجانب ، فقد عول على ادخال « النظام الجديد » فى الجيش وفى التعليم ، اللذين ارتبطا فى عهد محمد على وخلفائه برباط وثيق ، لا فى نظر الحكومة فحسب بل فى نظر الشعب أيضاً . وكان هــذا الرباط من الأسباب التى نفرت الأهالى من التعليم ، فاضطرت الحكومة أن تضاعف نفقاتها عليه ، كى تعامل تلاميذ مدارسها كما تعامل جنود جيشها ، فتطعمهم وتكسوهم وتدربهم على الحركات والأنظمة العسكرية وتعطيهم فوق ذلك مرتبات أسوة بالجند والصناع

ومع أن ربط التعليم بالجيش أو الحربية ما لبث ان انفصمت عراه فى سنة ١٨٣٧ حين اتسع نطاق التعليم ورؤى ضرورة تنظيمه فى ادارة مستقلة تشرف عليه ، هى ديوان المدارس ، فان الصورة العسكرية الأولى ما زالت عالقة الى الآن بنظم مدارسنا الأميرية والغرض من التعليم بها ، وقد تمضى سنون بل أجيال قبل أن تقتلع من ذهن الطالب المصرى أو ولي أمره مثلا ان الحكومة مسئولة عن تدبير الوظيفة له بعد التخرج فى المدرسة على نسق ما تعمله الحكومات فى جميع بلاد العالم لمتخرجى مدارسها الحربية . ولا شك ان هذا أثر العلاقة القديمة التى كانت تربط المدارس بالجيش وحاجات الجيش

أما المظاهر العسكرية التى لا تزال باقية فى مدارسنا فهى مجرد صور فارغة لا حياة فيها ولا نفع منها ، ولو أن الحكومة حافظت على الروح العسكرية الأولى التى امتازت بها المدارس فى عهد محمد على أو اسماعيل من بعده ما أحست البلاد حاجة الشباب فى هذه الأيام الى الرياضة الخلقية أو الى التدريب العسكرى

المعالم الأولى لحركة التعليم

لم يكن غريبا إذاً ان تكون أولى المدارس التى اهتم محمد على بانشائها على النظام الجديد هى مدارس الحربية . وقد راعى أن تكون فى بدء أمرها بعيدة عن الدسائس ومواطن القيل والقال ، فأرسل الكولونيل سيف الى اسوان سنة ١٨٢٢ لينشىء المدرسة الحربية الأولى لتخريج ضباط الجيش الجديد . وفى السنة عينها أنشأ مدرسة بمديرية أسيوط لتمرين الجند ، وفى سنة ١٨٢٥ أنشأ مدرسة أركان حرب بالخانقا ، وتلا ذلك بعد بضع سنوات انشاء مدرسة الفرسان بالجيزة ومدرسة المدفعية بطره والمشاة بدمياط والموسيقى بالقلعة . وفى سنة ١٨٢٧ خطت حركة النهضة فى التعليم خطوة ميمونة بانشاء مدرسة الطب ومستشفى قصر العينى ، وكان هذا مقدمة لاصلاحات عظيمة الشأن عادت بالنفع على الصحة العامة في البلاد ، فقد أنشىء مجلس للصحة العامة وأقيمت المستشفيات ودربت النساء على طب الولادة وبدىء باستعمال الحقن بالمصل فى شفاء بعض الأمراض . ولو علمنا

مبلغ ما كان يستحوذ على عقول الأهالى من جميع الطبقات من الخرافات والشعوذة العالقة بالأذهان منذ أجيال طويلة فى الطب والتطبيب ، لأدركنا أهمية هذه الحركة العلمية الانسانية التى اضطلع بها « كلوت بك » والتى تعد بحق من أجل اصلاحات محمد على وأجداها

وكان محمد على شديد العناية بهذه المدارس جميعاً ، التى كانت تعد العدة للجيش وسد حاجاته ـ والجيش فى نظر محمد على هو دعامة النهضة وقوام الاستقلال

البعثات وأثرها

كان تلاميذ هذه المدارس يختارون من أبناء المماليك وأبناء الفلاحين الذين تلقوا العلم بالأزهر ، وكان المدرسون من الأجانب يلقون دروسهم على تلاميذهم باللغة الاجنبية ، ثم يقوم المترجمون بنقلها الى اللغة العربية . وطبيعي ألا تتيح مثل هذه الطرق للمدارس أن تبلغ الغاية المنشودة من التعليم ، لفقدان الصلة العقلية بين الاساتذة والطلاب ، ولما كان يعتور شروح المترجمين من اخطاء وعيوب فنية لا حيلة لهم فى علاجها ، لجهلهم بالمادة التى يترجمون دروسها . لذلك رأى محمد على فى سنة ١٨٢٦ ضرورة ارسال البعثة الأولى الى أوربا حتى يستطيع أن يحل المصرى المتعلم فى أوربا محل الأستاذ الأجنبي فيستفيد الطلاب من جهة وتقل نفقة التدريس من جهة أخرى

وهنا يجب أن نقرر أن طبيعة الأمور كانت تقضى بأن يبدأ محمد على بارسال البعثات ثم يعقبها بفتح المدارس ، ولكنه كان فى اصلاحاته يسابق الزمن لشدة حرصه على النهوض ببلاده ، فكان عليه أن يبذر بذور الاصلاح كيفما كانت ثم تصحح الاخطاء على مهل . ومن هنا جاء ضعف الاساس الذى ألمحنا اليه سابقا ، فأساس التعليم فى البلاد الراقية هو التعليم الأولى ، وهو آخر ما اتجه اليه نظر محمد على

ويجب أيضا أن نقرر أن محمد على حين أنشأ مدارسه على النمط الفرنسى الجديد لم يقض على مدارس النظام القديم ـ كالمكاتب والمدارس الدينية الملحقة بالمساجد ـ بل تركها بجانب المدارس الجديدة تؤدى عملها الأولى الموروث لأبناء طبقات الشعب . ومهما يكن من ضعف فى خطة محمد على هذه فان طبيعة أحوال البلاد العامة كانت تحتم عليه سلوك هذا السبيل ، وقد انقضت مائة عام على نظام التعليم الحديث فى مصر والحكومة لا تزال عاجزة عن ادماج التعليم الدينى والتعليم العام معا

أما أعضاء البعثة الأولى فكان عددهم ٤٤ من الطلاب الناضجين الممتازين بالمدارس المصرية . وهم نواة تلك الفئة العظيمة الخطر الكبيرة الأثر فى نهضة البلاد من عهد محمد على الى الآن ، تلك الفئة التى وضع أفرادها أسس النهضة والعمران فيما زاولوه من الأعمال العامة على نمط ما شاهدوه ودرسوه فى أوربا ، وهم الذين أشربت نفوسهم صفات الجد والعزم وحرية الفكر التى امتاز بها رجال أوربا العظام ، فلما عادوا إلى بلادهم نفثوا فيها من روحهم ما شاءوا فوفقوا بين الحضارتين الغربية والشرقية واصطنعوا من هذا المزيج بناء الحضارة المصرية الحديثة التى تعمل على

اقتفاء أثر المدنية الغربية دون اخلال بمقوماتها الشرقية . وان نظرة واحدة الى نوع الاعمال التى عهد بها الى أعضاء البعثة الأولى فى فرنسا لتكفى للدلالة على مبلغ ما كان للاصلاحات الحربية والصناعية والعملية من الأهمية فى نظر الوالى العظيم . فقد خصص أحد عشر عضواً للدراسات الحربية والدنية والسياسية ، وثمانية للبحرية ، وأربعة للكيمياء ، وخمسة للزراعة ، وأربعة للمعادن ، وثلاثة للحفر والطبع ، واثنين للطب ، وعضواً للمعمار وآخر للترجمة ، هذا غير خمسة أعضاء عادوا بسبب المرض أو عدم الكفاية . وأخذ عدد أعضاء البعثة يزداد سنة بعد أخرى حتى وصل فى سنة ١٨٣٣ الى ١٠٤ . ونبغ من أعضاء البعثة الأولى عبدى شكرى الذى عين رئيساً للمجلس الخاص ، ومصطفى مختار أول رئيس لديوان المعارف ، والشيخ رفاعة الطهطاوى العالم الجغرافى التاريخى وناظر مدرسة الألسن ، ومحمد بيومى الرياضى ، وأرتين سكرتير محمد على وغيرهم

وقد عني محمد على بتعيين أعضاء البعثات كل فيما تخصص له بقدر ما سمحت به الظروف فى ذلك الوقت . وقد بالغ بعض الكتاب الأجانب فى نقد محمد على لأنه لم يتقيد دائما بما تخصص فيه أعضاء البعثات ، ولكن الحق أن للرجل عذره فقد كان عليه أن يواجه حاجات البلاد المختلفة ويفضل الأهم منها على المهم . خذ مثلا حالة طالب عاد متخصصاً فى الزراعة ، فلما مثل أمام محمد على دهش من بقائه خمس سنوات يتعلم الزراعة فى أوربا وأمره بالذهاب فوراً إلى المعمل ليصنع البارود ، وآخر تخصص فى العلوم الادارية والسياسية حوله الى قلم الترجمة يترجم القوانين العسكرية ذاكرا له أن محمد على هو المرجع السياسى والادارى الوحيد فى البلاد . ومهما يكن من أمر هؤلاء الأعضاء فان معظمهم قاموا بالتدريس في المواد التى اختصوا بها ، وأنشأوا وترجموا كثيراً من الكتب الدراسية ، وبدأوا بذلك حركة النهضة الفكرية المصرية التي تناولت مختلف العلوم ، والتى امتازت بها مصر منذ ذلك العهد .وقد جد من المدارس الخاصة بعد عودة أعضاء البعوث مدارس الزراعة والطب البيطرى والفنون والصناعات والالسن

تنظيم حركة التعليم

وفى سنة ١٨٣٧ كان محمد على قد وصل الى أوج عظمته الحربية والسياسية ، فلم يكن هناك بأس من اعادة النظر فى تنظيم المدارس على أساس جديد يلائم حالة الرقى العام فى البلاد . وكانت المدارس الخاصة التى ذكرناها قد استقرت وعظم شأنها بدخول عناصر المدرسين المصريين الذين تثقفوا فى أوربا ، فرؤى فصل المدارس عن الحربية وادماجها فى ديوان المدارس الذى انشىء فى مارس سنة ١٨٣٧ برئاسة مصطفى مختار بك . وبذلك توحدت إدارة المدارس بعد أن كانت لكل مدرسة إدارة خاصة يوجهها ناظرها بقدر ما أوتى من حزم وعلم وقوة ابتكار . وتعتبر سنة ١٨٣٧ مبدأ لظهور وزارة المعارف وقيامها بمهمتها الأصيلة الأولى وهى نشر الثقافة العامة فى البلاد ، إذ تقرر فى

تلك السنة تنظيم التعليم العام في القاهرة والاسكندرية والاقاليم ، وانشاء أربعين مدرسة أولية وابتدائية يتعلم فيها الصبيان الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثانية عشرة القرآن الكريم والدين واللغة العربية والحساب ، وقد زيد عليها أخيراً اللغة التركية ومبادىء اللغة الفرنسية . كما انشئت مدرستان ثانويتان ، واحدة بأبى زعبل ، والثانية بالاسكندرية ، وتدرس بهما اللغات الثلاث العربية والتركية والفرنسية والحساب والهندسة والجبر والرسم الخ

أما تعليم البنات فلم يكن له بطبيعة الحال نصيب فى هذا التنظيم . وقد بلغ من شدة كره الاهالى لتعليم بناتهم أنه حين شرع فى انشاء قسم القابلات بمدرسة الطب التى انشأها كلوت بك لم تجد الحكومة من تعلمه من بنات المصريين ، فاضطرت أن تكتفى بتعليم عشر فتيات حبشيات . وكان فضل السبق فى انشاء مدارس البنات بمصر للارسالية الدينية الانجليزية والامريكية إذ انشأوا أول مدرسة حرة للبنات حول سنة ١٨٣٠

أما عن التثقيف العام فأن مطبعة بولاق التى انشئت سنة ١٨٢١ كانت تقوم بطبع الكتب الدراسية ونشرها فى مختلف المواد ، كما أن الحكومة انشأت جريدة الوقائع المصرية التى كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية . وقد بلغ مجموع عدد طلاب المدارس المختلفة فى عهد محمد على نحو ٩٠٠٠ تلميذ ، وبلغ مقدار المبلغ المخصص للمدارس فى ميزانية سنة ١٨٣٩ - ٤٦٧٨٤ جنيهاً بدون اضافة نفقات البعثة . ووصل هذا المبلغ فى سنة ١٨٤٢ إلى ٨٨٢١٥ جنيه

محمد على يصف نهضة بلاده

هذه أهم أركان نهضة التعليم فى عهد محمد على ، ولو راعينا الظروف الخاصة التى ظهر فيها محمد على ، وعرفنا عظم الواجب الذى أخذ على عاتقه القيام به وسط الجهل والظلام اللذين خيما على البلاد منذ القرن السادس عشر ، لعددنا النهضة التى أحدثها محمد على في التعليم عملا معجزاً حقاً . وحسبنا فى تقدير نهضة محمد على فى التعليم ما جاء على لسانه وهو يخاطب أحد المندوبين الانجليز سنة ١٨٣٨ إذ قال متواضعاً :

« ان أوربا لم تصل الى ما وصلت اليه من الرقى الا بجهود أجيال متعاقبة ، وإن الطفرة أمر محال فى رقى الأمم وتقدمها ، ولكني استطيع أن أقول انى قمت ببعض الشيء لمصر فأصبحت الآن تتفوق على كثير من البلاد لا فى الشرق فحسب بل فى الغرب أيضاً . نعم يعوزنى شيء كثير لازلت أجهله ، كذلك يعوز شعبى شيء كثير ، ولذلك ترانى مرسلا الى بلادكم أدهم بك ومعه خمسة عشر شابا ليتعلموا ما تعلمه بلادكم ، فعليهم أن ينظروا إلى الاشياء بأنفسهم وعليهم أن يتمرنوا على العمل بأيديهم ، وأن يختبروا مصنوعاتكم جيداً ليعلموا وليكشفوا أسباب سبقكم ورقيكم حتى اذا أمضوا زمنا كافياً فى بلادكم عادوا إلى بلادهم وعلموا الشعب »

محمد رفعت

الرجل الأول
في بناء نهضتنا الحديثة

حفلت مصر فى عهدها الحديث بنخبة من اعلام الادب والفكر والعلوم ، ساهم كل منهم بنصيبه فى بناء نهضتنا الثقافية . ولكن ايهم أوفر سهما من أقرانه ? ها هى آراء طائفة من علمائنا وادبائنا فيمن يرونه احق بالتفضيل

فى اللغة

بقلم محمد توفيق رفعت باشا
رئيس مجمع اللغة العربية الملكى

ما كادت تتلقى نفسى هذا السؤال حتى تراءى لى رجل يهرول الى ذهنى فاذا هو أسبق الناس اليه جميعاً . على أننى كلما تمثلت غيره ممن أعرف فضلهم وسابقتهم فى هذا الباب ، رأيت هذا الرجل يأبى كذلك إلا تفرداً بالامر واستبداداً . وهذا الرجل المجلى هو الاستاذ الفائح المرحوم « الشيخ حسين المرصفى »

ولقد تعلم أن العربية فى مصر قد انتهت فى صدر عصر المرحوم اسماعيل باشا الى أن أضحت رواسب تجمعت فيها العكارات التى خالطتها من مدخل الفتح التركى . فهى بين عامية تشيع فيها التركية وبعض العبارات الافرنجية ، وبين عربية متعسفة متكلفة لا تمتد الى فكرة قيمة ، ولا تتطاول الى معنى جليل ، انما همها كله الى اصابة غرض بديعى ، ان وافقت فى طريقها معنى ، والا فلائم المعانى الهبل !

وينبعث الشيخ حسين المرصفى فى تلك الايام فيدل المتأدبين على أدب العرب ، ويبعث لهم المجفو من روائعه من أيام الجاهلية الى أنضر العصور فى حكم بنى العباس . ولا يزال يفطّن اليه ، ويعمل على ارهاف الأحاسيس لتذوقه وترشفه ، يفعل هذا بدروسه في دار العلوم ، وبرسائله فى مجلة « روضة

المدارس » ، وفى تواليفه ، وفى مجالسه التى كان يغشاها متقدمو أهل الفضل والأدب . وبحسبك أن تعرف أن البارودى كان من تلاميذ الشيخ ومن أول من لازموه وأخذوا عنه ، ولعله لو لم يفعل لما بلغ شعره هذا المدى البعيد !

فالشيخ المرصفى هو أول من دل أهل هذا العصر على الأدب الجزل القديم ، وأول من بعثه ورد الحياة عليه فى دنيا المصريين ، وأول من لفت الأذهان الى وجوب الاحتفال أولا للمعنى ، اذ اللفظ مجرد أداة له لا ينبغى أن يستهلك المعنى فى سبيله

واذا شئنا اختصاراً فى التعبير قلنا ان هـذا الرجل هو باعث نهضة العربية فى هـذا العصر الحديث ، وهو وحده كان البرزخ بين القديم والجديد

هو من غير شك رجل من أولئك الأفذاذ الذين يسبقون عصورهم ، والذين يحملهم القدر رسائل النهضات بالأمم فى الحين بعد الحين

ولقد يحضرنى فى هـذا المقام ذكر أستاذنا الجليل القدر المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وما وسع للالسن والأقلام فى آفاق العربية بدروسه فى دار العلوم أيضاً وبتفتيشه مدارس الحكومة ، وبمقالاته السوابغ فى الصحف ، وبتواليفه المحكمة ، وبمجالسه الحاشدة كذلك ، وبكثر ما هدى الى المجفو من صيغ العربية ، وبما دل على الاخطاء الشائعة على أقلام الخاصة ، وبما شحذ من العزائم للتجرد فى طلب فصح العربية

لقد يحضرنى الشيخ حمزة بكل أولئك ، على أنه وان برع الشيخ حمزة فى بعض ذلك ، وخاصة فى العلم بفقه العربية ، ولكنه لم يكن باعث النهضة على كل حال . بل لعل نجاحه فى بعض سعيه انما كان مدينا لنهضة المرصفى . ولا تنس فى هذا المقام قول المتقدمين : ان المزية لا تقتضى الأفضلية .

رحم الله الرجلين كليهما ، وجزاهما عن لغة الكتاب أحسن الجزاء

محمد توفيق رفعت

فى الشعر

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

مراقب مجمع اللغة العربية الملكى

تسألونى عن أعظم شاعر عربى فى القرن الماضى . وليس يجتد ذهنى فى التماس هذا الشاعر ، ولا يتفرق فى الموازنة بين اثنين أو أكثر . بل انه ليقع من فوره على رجل واحد ، ويثبت فى موضعه لا يتحلحل ولا يريم

نعم ! لا يقع ذهني على شاعر غير شوقى ، ولا يزاحم شوقى فيه شاعر آخر ، مهما تبرز مزاياه وتبرع مواهبه فن شوقى فى بعض الأحوال ، فان المفاضلة إنما تكون بمجموع الخلال

شوقى ، ولا شك عندى ، رجل موهوب الى أبعد الحدود . تنهتك لشاعريته الحجب ، وتتراءى له مكنونات المعانى فى أطواء الغيوب ! حتى لقد تتخطى شاعريته مداركه ، وقد تصيب فى بعض الأحيان من عوالى المعانى مالا يمتد اليه ذهنه . ولقد أشرت الى هذا من شوقى فى أكثر من مقال

شوقى ، والله قادر على أن يبدلنا منه الخلف الكفاء مهما تسوء ظنوننا بالأيام

عبد العزيز البشرى

فى النثر

بقلم الاستاذ خليل مطران

أرى أنى اخطىء القصد واتجاوز الحق ، إذا قلت ان كاتبا بعينه قد استأثر بفضل تجويد النثر فأقدمه على من عداه باطلاق . ذلك أن وجهات الكتابة متشعبة متعددة ، ولكل وجهة أثرها الظاهر ونصيبها الملحوظ . فبم أبرر تفضيل وجهة على وجهة فأفوق كاتبا على سائر الكتاب ؟ ... الواقع أن كل من قام من كتابنا فى بحر المائة السنة الأخيرة قد ساهم فى استخلاص اللغة العربية من هذا الظلام الذى كانت تتخبط فيه ، وشارك فى اطلاق أساليب الكتابة من هذه الأغلال التى كانت ترسف فيها ، وإذاً فأنا لا أرى فرداً واحداً جلى فى هذا الميدان ، ولكنى أزعم أن هذا « الواحد » قد تقسم « أحاداً » كثيرين هم :

« الشيخ محمد عبده » وهو خير من أجاد الكتابة فى ناحيتى الدين والاجتماع بأسلوب واضح الأداء صحيح التعبير ، سما به على معاصريه وكثير من لاحقيه . ويأتى بعده فى الناحية الاجتماعية « قاسم أمين » فهو وإن قصر لفظه دون فكره ، وشاب أسلوبه كثير من الخطأ اللغوى إلا أنه فى انشائه قد علا حتى شارف الذروة

ومن الجانب الصحفى يبرز أمامى اسم « الشيخ على يوسف » بأسلوبه السلس المرسل المتدفق . وفى الناحية العلمية الفلسفية لا أرى سوى « يعقوب صروف » و « شبلى شميل » . أما « جرجى زيدان » فهو أول من كتب القصة العربية فى سياق صحيح ، وبلغة أدق وأصح من تلك التى كانت شائعة على أقلام معاصريه من الكتاب . وهو إلى هذا أول من أرخ الأدب العربى تأريخاً وفق

فيه كل التوفيق ، فلم يسبقه سابق فى محاولته ، ولم يلحقه لاحق فى إجادته . و « للمنفلوطى » فضل من أسلس اللغة وألانها فقربها من الذوق المصرى ، وهيأها لملاءمة سهولته وبساطته

أما إن شئت الناحية الأدبية البحتة فان « ابراهيم المويلحى » وابنه «محمد المويلحى» قد ابتدعا أسلوباً قوياً بليغاً مصفى . كما أن « لحافظ ابراهيم » أسلوباً من النثر الشعرى أقل فيه ولكنه أجاد

خليل مطران

فى التاريخ

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

لو أدرك الجبرتى بداية المائة سنة التى حددتموها فى السؤال لما ترددت فى اعتباره أكبر مؤرخى هذه الحقبة من الزمن ، ولكنه توفى سنة ١٨٢٢ ، فلا سبيل الى جعله ضمن مؤرخيها دون الجبرتي حوادث مصر منذ سنة ١٦٨٩ وكان شاهد عيان لها من سنة ١٧٥٧ الى سنة ١٨٢١ ، وقد احتوى كتابه على تراجم شخصيات مصر فى ذلك العهد . ولم أجد مؤرخاً استقرى الحوادث بمثل استقصائه وتحقيقه، ولا بذل ما بذله من الجهد والجلد والصبر والمعاناة فى البحث والاستقراء .ولم يبلغ أحد من مؤرخى المائة سنة الأخيرة ما بلغ الجبرتى فى التخصص للتاريخ . لذلك ترانى متردداً فى التعريف عمن يصح تمييزه بأنه أكبر مؤرخى ذلك العصر . وأميل الى اشراك ثلاثة منهم فى هذا الوصف . وهم « رفاعة رافع الطهطاوى » و «على باشا مبارك» و « اللواء محمد مختار باشا المصرى »

فرفاعة رافع الكبير هو بلا مراء زعيم نهضة العلم والادب فى عصر محمد على ـ والتاريخ متفرع عن العلم والادب ـ وتجد ميوله التاريخية فى كتابه «تخليص الابريز فى تلخيص باريز» الذى تضمن مشاهداته وتأملاته فى رحلته واقامته بفرنسا ، و «مناهج الألباب المصرية» و « أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » ، وفى بحوثه بمجلة « روضة المدارس » وبخاصة رسالته التى نشرها فيها تباعاً « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » فى تاريخ الرسول عليه الصلاة والسلام

وعلى باشا مبارك قد أسدى الى تاريخ مصر أعظم خدمة بكتابه الخالد الذى أخرجه فى عشرين مجلداً وأسماه « الخطط التوفيقية » ، وهو دائرة معارف لخطط مصر وآثارها وتاريخها وجغرافيتها فى عصورها القديمة والحديثة ، ويعد تكملة وتجديداً لخطط المقريزى ولكتاب تخطيط مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية . وفيه وصف شامل لمصر ومدنها وقراها فى أطوارها التاريخية ونيلها وترعها وسواحلها ، وتخطيط كامل لأحياء القاهرة والاسكندرية ومعالمها القديمة والحديثة . وقد

تضمن فيما تضمن تراجم علماء مصر وشعرائها وأدبائها وأمرائها وأعيانها . وهو من هذه الناحية يعد مكملا لكتاب الجبرتي . فهو غرة فى تاريخ مصر العلمى ، وحسبك انه مرجع كل باحث فى شؤون مصر التاريخية والعلمية والهندسية

وثالث الثلاثة هو اللواء محمد مختار باشا المصرى صاحب « التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية » من السنة الأولى للهجرة الى عام ١٥٠٠ هجرية . وهو كتاب ضخم يمتاز بالدقة والتمحيص فى رصد التواريخ على صحتها وتدوين أهم الحوادث المصرية مرتبة بتسلسل السنين والشهور والايام التى أرخها لغاية سنة ١٣١٠ هجرية (١٨٩٢ ميلادية) وهو من أعظم المراجع فى تاريخ مصر

عبد الرحمن الرافعى

فى الجغرافيا

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب

الجغرافيا بمعناها الحديث ، جهلتها معاهد مصر قبل «اسماعيل بك رأفت» الأستاذ بدار العلوم والجامعة المصرية الأهلية . ولما كان برنامج الجغرافيا فى دار العلوم محدوداً ، فقد وجد أستاذنا العلامة مجاله الحقيقى فى التعليم الجامعى ، فبشر برسالته بين تلاميذه فى كلية الآداب . ومن هؤلاء التلاميذ وغيرهم تكونت أول نواة الجغرافيين المعاصرين . ومنذ ذلك الحين اتخذت الجغرافيا كلية الآداب مستقراً ألقت فيه عصاها حيث نرجو لها جميعاً مستقبلا باهراً

فطن المرحوم اسماعيل بك رأفت الى أن الجغرافيا الحديثة قد تشعبت والتفت فيها علوم عدة ، فهناك الناحية الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية والسياسية والجيولوجية . وأصبح تحصيل هذا العلم يتطلب درجة من الثقافة رفيعة ، ويقتضى الانقطاع له ، أو بالأحرى لبعض فروعه

ولست أنكر أن مدرسة الجغرافيا المصرية التى ابتدأها أستاذنا رأفت بك والتى تجاهد لكي تضيف الجديد وتساهم مع علماء الغرب فى زيادة الثروة الجغرافية، لاسيما عن مصر وسودانها ونيلها وصحاريها وما يجاورها من البلدان — أن هذه المدرسة تغذيها بالمعلومات مصادر عديدة ، نذكر منها رحلات أمراء العائلة المالكة ، كما تغذيها مصلحة الجيولوجيا ومصلحة الطبيعيات ومصلحة المساحة المصرية ومصلحة الاحصاء

فأول رجل خدم الجغرافيا فى مصر طوال القرن الذى ينتهى بسنة ١٩٣٧ - بارك لنا الله فيها - هو بلا مراء اسماعيل رأفت بك. فهو الذى أدخل دراسة الجغرافيا الحديثة وأخذ فى دراستها السبل العلمية فى طريقة البحث والتمحيص والمشاهدة . وليس بالقليل أن يبشر رجل بعلم جديد ، وينجح فى ايجاد مدرسة ذات طابع خاص ، ويوفق الى الهاب الحمية لتعاليمه فى صدور تلاميذه ! !

هذا رجل عظيم بلا ريب ، وعظمة العلم إن لم يحسها الناس لأنها فوق متناول أفهامهم ، فانها على مر الأيام تظفر بمن يشيد بها

محمد عوض محمد

فى التشريع

بقلم الدكتور عبد الرزاق السنهورى بك

عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية

أعتقد أن أكبر مصرى خدم القانون فى مصر فى القرن الماضى هو المرحوم « محمد قدرى باشا » بكتبه الثلاثة المعروفة فى الأحوال الشخصية ، وفى المعاملات ، وفى الوقف

فان هذا الرجل العظيم استطاع أن يضع أحكام الشريعة الاسلامية الى جانب أحكام القوانين الغربية ، مبسطة مقننة مبوبة ، سهلة التناول لكل من يريد العلم بالشريعة الاسلامية ومقارنتها بالشرائع الغربية ، فنشر ذخائر هـذه الشريعة وكانت دفينة مجهولة . وكتب المرحوم قدرى باشا تفوق فى الصياغة وإحكام الصنعة « مجلة الأحكام العدلية » العثمانية التى قننت فيها أحكام الشريعة الاسلامية فى المعاملات

فلتحى ذكرى هذا الرجل العظيم الذى خدم الشريعة الاسلامية خدمة لم يقم بمثلها أى فقيه منذ قرون طويلة . وقد وضع بعمله الحجر الأساسى لنهضة فقهية كبيرة بدت تباشيرها فى مصر . وهى نهضة استقلالية فى الفقه ، تنزع الى الأخذ بالشريعة الاسلامية أساساً لفقه مصرى خالص ، له طابعه الخاص ومقوماته الذاتية

عبد الرزاق احمد السنهورى

فى الطب

بقلم الدكتور عبد الواحد بك الوكيل
مفتش صحة القاهرة

ذهب الدكتور « أحمد حسن الرشيدى » بفضل قل أن يحرز مثله سواه من أطباء القرن الذى مضى . فهو الذى نقل علوم الطب الى العربية بنفسه أو صحح ما عربه سواه . وبذلك وصل طب العرب بالطب الحديث . وتجشم عناء البحث والتنقيب فى تواليف ابن سينا وأشباهه من أقطاب العلاج والاستشفاء . ووفق بين طريقهم فى التعبير والطريقة العلمية الحديثة ، بلغة صحيحة قريبة من متناول أبناء العروبة فى زماننا هذا وكل زمان يجىء

لكن نقل العلوم الى العربية ليس كل شىء ، فضلا عن أن كل أطباء بعثات محمد على الكبير شاركوا الرشيدى فى هذا الفخر . ولهذا أرى أن الدكتور « عيسى حمدى باشا » هو الذى خدم الطب في مصر والشرق خدمة عملية فنية . وذلك أنه رفع مرتبة مدرسة الطب الى مصاف الكليات الكبرى ، ومصرها تمصيراً . فى عهده اختفى الاساتذة الأجانب ، وحمل لواء التعليم والتطبيب أبناء البلاد الذين برعوا فى التأليف والبحث والعلاج العلمى والطب الوقائى . وباهت المدرسة بأمثال الدرى باشا كبير الجراحين ، ومحمد بدر بك الاخصائى فى الجلد والامراض السرية ، وشكرى باشا طبيب أمراض النساء والولادة ، وعلوى باشا طبيب أمراض العيون ، وعثمان باشا غالب العالم البيولوجى العالمى

فاذا كان الرشيدى قد نقل العلوم النظرية ، فعيسى حمدى قد نقل الطب نفسه علماً وعملا ، وهو فضل عظيم !

عبد الواحد الوكيل

فى الهندسة

بقلم الاستاذ حسين حفنى
مدرس الري بكلية الهندسة

كان ينبغى الافاضة فى الحديث عن المهندس المطلوب ، لو أنه أفسح لى فى الكلام كى أدرس وأحقق . لكن قدر أن اتناول الموضوع فى ايجاز وأعرضه بأسلوب يسيغه غير الاخصائيين

اثنان من المهندسين أرى أنهما جديران بأن يوصف كل منهما بأنه أعظم من خدم الهندسة فى مصر : أولهما « مصطفى باشا بهجت » ، والثاني « اسماعيل سرى باشا » — الأول من تلاميذ بعثات محمد على ، والثانى من تلاميذ بعثات اسماعيل باشا

ساهم الأول فى بناء القناطر الخيرية تحت اشراف مهندس فرنسى ، وأنشأ الترعة الابراهيمية ، وشيد قناطر ديروط التى هى من عجائب الفن الهندسى فى العصر الحديث ، اذ أنها تجمع الى الفخامة جمال الفن

وأما اسماعيل سرى باشا فهو مصمم ومنفذ مشروع تحويل الحياض فى مصر الوسطى ، ذلك المشروع الذى أضاف الى ثروتنا الزراعية مليون فدان تقريبا ، فزاد فى رخاء البلاد ورفاهيتها . وفوق ذلك فهو صاحب مشروعات هندسية فى شمال إيطاليا وبلاد اليونان والبرازيل . فلماذا لا يكون أعظم من خدم مصر وغير مصر من المهندسين ؟ !

حسين حفنى

فى التربية

بقلم الاستاذ الشيخ احمد الاسكندرى

عضو مجمع اللغة العربية الملكى

شهد التاريخ ورجاله أن مصر الحديثة هى غراس يد المصلح العظيم محمد على باشا الكبير ، وأن أبناءه الذين رباهم واصطنعهم لنفسه ولتدبير ملكه وتحقيق آماله ، قاموا بعده — على الرغم مما منيت به بلادهم من الفتن والهزاهز — بتحقيق بعض مقاصده النبيلة فى غفلات من أعين الحوادث عن مصر ، وان لم يتحقق أكثرها حتى عصرنا هذا

وقد كان ذلك العصامى الكبير والمربى الاكبر على مبارك باشا من أنفع من اصطنعهم محمد على عملا ، وأكثرهم تأليفاً ، وأعرفهم بحاجة الشعب المصرى ، وأدأبهم على تربيته وتهذيبه ، حتى لقب بحق « أبا المعارف المصرية »

وهو — وان لم يتخرج فى مدرسة معلمين وكانت ثقافته هندسية حربية — قد خلق بفطرته معلماً ، وما يغيب عليه من أصول التربية كان يتعرفه من مجالس السمر التى يعقدها فى بيته للعلماء وطنيين وأجانب وجمهرة المعلمين وأذكياء الطلاب

ولم يحفظ تاريخ مصر اسما لرجل تولى ادارة ديوان المعارف من زمن عباس باشا الأول الى أواسط حكم توفيق ، كان مبارك الرأى ، مبارك العمل ، مبارك التدبير فى الانفاق ، أمثل من على

مبارك . ومن يراجع نفقة التعليم فى مرار توليه المتعددة يجد أنه كان يدبر أنواع التعليم بضع عشرات من ألوف الجنيهات فى زمن كان التعليم فيه بالمجان ، بل كان أكثر طلبة التعليم العالى يتناولون رواتب شهرية من خزانة الدولة

على أن عمله لم يكن مقصوراً على ادارة ديوان المدارس فقد اجتمع له فى عصر اسماعيل العظيم ان كان ناظراً للقناطر الخيرية ومديراً للسكك الحديدية ومديراً لديوان المدارس ومديراً لديوان الأشغال وناظراً لعموم الأوقاف . وله فى كل هذه الادارات منشآت خالدة . وفى هذا العصر أنشأ مدرسة دار العلوم العتيدة لتقوم بتعليم اللغة العربية وآدابها على وجه ميسر منظم ، فقامت بما قصد منها خير قيام وتخرج على أيدى أبنائها كل مثقفى العصر الحاضر فى اللغة الصحيحة وأدبها

وفى هذا العصر أيضا أنشأ لجمهور الراغبين فى العلم والمستزيدين منه دار الكتب التى صانت وتصون ما كان ويكون عرضة للبلى والاهمال أو لفقدانه من البلاد من تراث العلماء والادباء

والعجب العجاب فى علو همته تواضعه الجم تواضعاً حمله على أن يؤلف بنفسه كتباً فى تهجى الحروف والقراءة الأولى لصغار الناشئين في المكاتب ، ثم تثنيته بكتاب «علم الدين» الذى وضعه فى قالب خيالى روائى عذب الالفاظ لتثقيف بعض الشلاة من الشعب مبادىء كثير من العلوم الحديثة

وقلما انتقل من ديوان إلى ديوان آخر من الدواوين الكثيرة التى كان يديرها الا وقد عرج فى طريقه على مدرسة أو كتاب يفتش المكان ويسأل التلاميذ ويرشد المعلمين ، وربما شارك المعلم فى توضيح الدرس أيا كان موضوعه . رحمه الله رحمة واسعة ووفق رجالنا الى الاقتداء به وبأمثاله من رجالات مصر الذين قامت على عواتقهم نهضة مصر الحديثة

احمد الاسكندرى

فى الزراعة

بقلم فؤاد أباظه باشا

مدير عام الجمعية الزراعية الملكية

أستهل الاجابة عن هذا السؤال بشكر مجلة الهلال على ما هيأته لى من فرصة صالحة أقدر فيها رجلا خدم الزراعة المصرية أجل خدمة ، وأوقف الزارعين على أمثل الطرق لتحسين مزروعاتهم وتوفير حاصلاتهم ، ووفر لهم من وسائل التجارب الزراعية والتعاون الزراعى ما لا تزال آثاره فى كل ناحية من نواحى البلاد ، تشهد بفضله وتعترف له بقوة الفكر ومضاء العزيمة .

ذلكم الرجل العظيم هو أبو الفلاح المصرى المغفور له « السلطان حسين كامل » أوسع الله له فى رحمته وأسكنه جنته

ولست أحب أن استأثر بالكلام عن السلطان حسين كامل ، ولكنى أفضل أن اترك آثاره الماثلة بين أيدينا وتحت أعيننا تتحدث الى الملأ عن نفسها وتسترعى أنظارهم اليها . فهذه الجمعية الزراعية الملكية حسنة مشكورة من حسناته ، تعبر بلسان مبين عن آثارها الجليلة فى انهاض مصر ورفع مستواها بترقية اكبر ركن من أركان حياتها وهو الزراعة ، والعمل الطيب على الاتصال بالزراع ومدهم بكل صنوف الارشاد ، حتى صادفت من نفوس المزارعين الرغبة فى الاسترشاد بما تمدهم به من الوسائل المختلفة التى تساعد على تحسين المحصول ووفرة الانتاج ، والانتفاع بنتائج بحوثها الفنية وتجاريبها العديدة التى تجريها فى كل فرع من فروع الزراعة ، حتى نهضت بالشئون الزراعية نهضة مباركة . وبلغ الرقى الزراعى بفضلها فى البلاد الى مستوى لم يبلغه من قبل

وما جمعيات التعاون الزراعية أيضاً الا غرس صالح من غرس يمين ساكن الجنان السلطان حسين. فقد كان رحمه الله ساعدها القوى وعضدها المتين ـ عمل بتأسيسها على اصلاح حالة الفلاح المصرى وتخفيف اعباء الحياة عنه وارشاده الى ما فيه خيره وفلاحه . فسارت فى طريقها حتى بلغت الحالة التى نراها عليها الآن ، ولعلها إن شاء الله بالغة أقصى ما كان رحمه الله يتمناه لها من الكمال والنفع .

وكم كنت أود أن أطيل البحث فى هذا الموضوع وشرح آثار هذا الرجل العظيم فى هـذه الناحية ، الا أن الظروف لا تسمح بمثل هذا ، ولكنى أرجو أن يجد القراء الكرام فى هذه العجالة بعض ما نتمناه من التقدير الحسن والاعتراف بجميل أبى الفلاح المصرى رحمه الله

فؤاد أباظه



المعلم

من قصيدة « العلم والتعليم » لاحمد شوقى بك

سبحانك اللهم ، خير معلم … علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته … وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم ، تارة … صدىء الحديد ، وتارة مصقولا
أرسلت بالتوراة موسى مرشداً … وابن البتول فعلم الانجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً … فسقى الحديث وناول التنزيلا
علمت يوناناً ومصر فزالتا … عن كل شمس ما تريد أفولا
واليوم أصبحتا بحال طفولة … فى العلم تلتمسانه تطفيلا
من مشرق الأرض الشموس تظاهرت … ما بال مغربها عليه أديلا
يا أرض مذ فقد المعلم نفسه … بين الشموس وبين شرقك حيلا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم … واستعذبوا فيها العذاب وبيلا

***

ربوا على الإنصاف فتيان الحمى … تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذى يبنى الطباع قويمة … وهو الذى يبنى النفوس عدولا
ويقيم منطق كل أعوج منطق … ويريه رأيا فى الأمور أصيلا
واذا المعلم لم يكن عدلا مشى … روح العدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة … جاءت على يده البصائر حولا
وإذا أتى الارشاد من سبب الهوى … ومن الغرور فسمه التضليلا
وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم … فأقم عليهم مأتماً وعويلا
إنى لأعذركم وأحسب عبئكم … من بين أعباء الرجال ثقيلا
وجد المساعد غيركم وحرمتمو … فى مصر عون الأمهات جليلا
وإذا النساء نشأن فى أمية … رضع الرجال جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من … هم الحياة ، وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما … وبحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذى تلقى له … أماً تخلت ، أو أباً مشغولا

وزراء المعارف في مائة عام

قام على حركة التعليم فى مصر خلال المائة سنة الماضية ثمانية وأربعون رئيساً للمعارف ، تفاوتت مدة توليهم لهذا المنصب طولا وقصراً ، كما تباينت آثار أعمالهم قوة وضعفاً . والتاريخ يذكر لكل منهم فضله على حركة التعليم ونهضة الثقافة ، ولكنه يخص بالاشادة أولئك الذين خطا التعليم خطواته الفسيحة فى أثناء عهودهم ، أمثال على مبارك وسعد زغلول وأحمد حشمت . وكذلك هؤلاء الوزراء الذين هيئوا لحركتنا التعليمية الحاضرة وسائل الارتقاء بعد أن أطلقت أيدينا فى سياستنا الداخلية بعض الاطلاق

وعلى هذه الصفحات صور رؤساء ديوان المدارس ونظار المعارف ووزرائها منذ أنشئت حتى اليوم



مصطفى مختار باشا

٩ مارس ١٨٣٧ — ١٧ نوفبر ١٨٣٨

أدهم باشا

١٥ مايو ١٨٣٩ — ٢٤ مارس ١٨٤٩

١٨ أكتوبر ١٨٤٩ — ٨ مايو ١٨٥٠

١٦ يناير ١٨٦٣ — ٢٩ يونيو ١٨٦٣



عبدي شكري باشا

٩ مايو ١٨٥٠ — ١٦ ديسمبر ١٨٥٤



محمد شريف باشا

٢٦ يوليو ١٨٦٣ — ١٤ ابريل ١٨٦٨



علي مبارك باشا

١٥ ابريل ١٨٦٨ ـ ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠
١٣ مايو ١٨٧١ ـ ٢٥ اغسطس ١٨٧٢
٢٨ اغسطس ١٨٧٨ ـ ١٨ ابريل ١٨٧٩
١١ يونيو ١٨٨٨ ـ ١٣ مايو ١٨٩١



مصطفى بهجت باشا

٢١ سبتمبر ١٨٧٠ ـ ١٢ مايو ١٨٧١



الامير حسين كامل

٢٦ اغسطس ١٨٧٢ ـ ١٤ اغسطس ١٨٧٣



رياض باشا

١٥ اغسطس ١٨٧٣ ـ ٢٤ مايو ١٨٧٤
٢٥ يونيو ١٨٧٦ ـ ١٣ اكتوبر ١٨٧٧
٢١ فبراير ١٨٩٣ ـ ١٥ ابريل ١٨٩٤



محمد ثابت باشا

٢٥ مايو ١٨٧٤ ـ ٦ سبتمبر ١٨٧٤
٨ ابريل ١٨٧٩ ـ ٢ يوليو ١٨٧٩



الامير طوسون باشا

٧ سبتمبر ١٨٧٤ ـ ٣١ اغسطس ١٨٧٥



بهجى منصور باشا

أول سبتمبر ١٨٧٥ ـ ٢١ يونيو ١٨٧٦



اسماعيل ايوب باشا

١٤ أكتوبر ١٨٧٧ ـ ٢٧ اغسطس ١٨٧٨



محمود سامى البارودى باشا

٣ يوليه ١٨٧٩ ـ ١٧ اغسطس ١٨٧٩



على ابراهيم باشا

١٨ اغسطس ١٨٧٩ ـ ١٣ سبتمبر ١٨٨١



محمد زكى باشا

١٤ سبتمبر ١٨٨١ ـ ٣ فبراير ١٨٨٢

١٤ مايو ١٨٩١ ـ ١٧ يناير ١٨٩٢

١٨ يناير ١٨٩٢ ـ ١٤ يناير ١٨٩٣

١٥ يناير ١٨٩٣ ـ ١٨ يناير ١٨٩٣

١٩ يناير ١٨٩٣ ـ ٢٠ فبراير ١٨٩٣



عبد الله فكرى باشا

٤ فبراير ١٨٨٢ ـ ١٩ يونيو ١٨٨٢



سليمان أباظه باشا

٢٠ يونيو ١٨٨٢ ـ ٢٧ اغسطس ١٨٨٢



احمد خيري باشا

٢٨ اغسطس ١٨٨٢



محمود باشا الفلكي

١٠ يناير ١٨٨٤ ـ ٩ يونيو ١٨٨٨



حسين فخري باشا

١٦ ابريل ١٨٩٤ ـ ١١ نوفمبر ١٨٩٥
١٢ نوفمبر ١٨٩٥ ـ ٢٧ اكتوبر ١٩٠٦



سعد زغلول باشا

٢٨ اكتوبر ١٩٠٦ ـ ٢٢ فبراير ١٩١٠



احمد حشمت باشا

٢٣ فبراير ١٩١٠ ـ ١٩ نوفمبر ١٩١٣



احمد حلمى باشا

٢٠ نوفبر ١٩١٣ — ٤ ابريل ١٩١٤

٥ ابريل ١٩١٤ — ١٨ ديسمبر ١٩١٤



عدلى يكن باشا

١٩ ديسمبر ١٩١٤ — ١٩ اكتوبر ١٩١٧

١٠ اكتوبر ١٩١٧ — ٨ ابريل ١٩١٩



حسين رشدى باشا

٩ ابريل ١٩١٩ — ٢٠ مايو ١٩١٩



احمد زيور باشا

٢١ مايو ١٩١٩ — ١ يونيو ١٩١٩



احمد طلعت باشا

٢ يونيو ١٩١٩ — ٢٠ نوفبر سنة ١٩١٩



يحيى ابراهيم باشا

٢١ نوفبر ١٩١٩ — ٢١ مايو ١٩٢٠

٣٠ نوفمبر ١٩٢٢ — ١٤ مارس ١٩٢٣



توفيق نسيم باشا

٢٢ مايو ١٩٢٠ ـ ١٦ مارس ١٩٢١

١٥ مارس ١٩٢٣ ـ ٥ اغسطس ١٩٢٣

أول ديسمبر ١٩٢٤ ـ ١٢ مارس ١٩٢٥



جعفر ولي باشا

١٧ مارس ١٩٢١ ـ ٢٨ مارس ١٩٢٢





مصطفى ماهر باشا

أول مارس ١٩٢٢ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢

احمد زكي ابو السعود باشا

١٢ اغسطس ١٩٢٣ ـ ٢٧ يناير ١٩٢٤



محمد سعيد باشا

٢٨ يناير ١٩٢٤ ـ ٢٤ اكتوبر ١٩٢٤



الدكتور احمد ماهر

٢٥ اكتوبر ١٩٢٤ ـ ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤



احمد محمد خشبة بك

٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ ـ أول ديسمبر ١٩٢٤



على ماهر بك

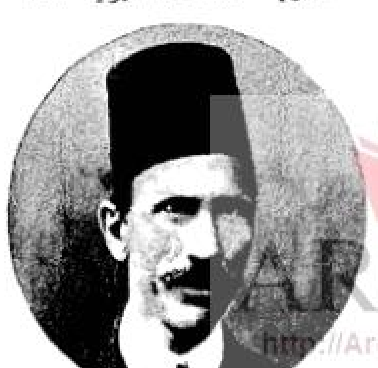
١٣ مارس ١٩٢٥ ـ ٧ يونيو ١٩٢٦

٢٠ يونيه ١٩٣٠ ـ ١٢ يوليه ١٩٣٠



على الشمسى باشا

٧ يونيه ١٩٢٦ ـ ٢٦ يونيه ١٩٢٨



احمد لطفى السيد بك

٢٧ يونيه ١٩٢٨ ـ ٣ اكتوبر ١٩٢٩



حافظ حسن باشا

٤ اكتوبر ١٩٢٩ ـ ٣١ ديسمبر ١٩٢٩



بهى الدين بركات بك

أول يناير ١٩٣٠ ـ ١٩ يونيه ١٩٣٠

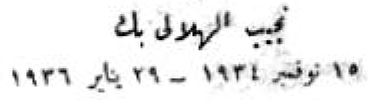


مراد سيد احمد باشا
١٢ يوليه ١٩٣٠ ـ ٩ يونيه ١٩٣١



حلمي عيسى باشا
١٠ يونيو ١٩٣١ ـ ١٤ نوفمبر ١٩٣٤





نجيب الهلالي بك
٢٥ نوفمبر ١٩٣٤ ـ ٢٩ يناير ١٩٣٦

محمد علي علوبه باشا
٣٠ يناير ١٩٣٦ ـ ٩ مايو ١٩٣٦



علي زكي العرابي باشا
١٠ مايو ١٩٣٦

كفاح اللغة العربية في سبيل الحياة والنهوض

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

« .. هذا كفاح العربية فى مائة عام . والله لغة ترزق هذا الصبر، وهذا الجلد فى الكفاح ، وهذه الجراءات ، على كثرة دواعى البلى ، لحقيقة فى النهاية بالظفر والعزة فى الدنيا على طول الزمان .. »

لقد أدال القدر من الدولة العربية ، فكان أول ما دهيت به من جلى الاحداث سقوط بغداد فى أيدى التتار ، ثم طرد العرب من الأندلس وتشريد من سلم منهم على التقتيل والاحراق ، ثم استيلاء الدولة التركية شيئاً فشيئاً على البلاد التى تتكلم العربية فى الشرق والغرب جميعاً ، خلا مراكش فى المغرب الاقصى ، وما لاخطر له فى هذا الباب اذا كان قد سلم من الفتح التركي بعد ذلك شيء من البلاد

لست الآن بسبيل سرد الاحداث التاريخية التى صبها القدر على الاقطار العربية والمستعربة . ولا بسبيل طرد تلك الأحداث وتسلسلها ، والكشف عن أسبابها وبواعثها ، وانما الذى يعنينى تقريره فى هذا المقام أن العربية بزوال سلطان العرب فى كل مكان ، لم يبق لها معقل تلوذ به ، ولا مدد تسترفده ، بل لم يبق لها مجال فى مذاهب الحياة . فان الترك الحاكمين كانوا يفرضون لغتهم فرضاً فى جميع الأسباب الحكومية ، كما كانوا هم وعمالهم لا يتحدثون الى الأهلين إلا بالتركية . فأصبحت هذه لغة الخاصة أولا ، كما شاع كثير من صيغها ، وبخاصة في الشئون الدائرة على ألسنة العامة أيضا ، فشوهت العربية بهذا الخلاط تشويهاً شديداً

ولو اقتصر الخطب على حديث الحاكمين وعمالهم لما أعيا على أبناء العربية أثره . ولكن حكم القوم انما كان قائما على استخراج الاموال للساعة من أى سبيل ، واقعاً ذلك حيث وقع من أسباب التعمير والتثمير والتحضير ، فكان ذلك بالضرورة مدعاة الى جثوم التجارة وتقلص الصناعة ، بل إلى فرار جماعات الزارعين من زراعة أرضيهم . وما لهم لا يفرون ، بل ما لهم لا يخلعون ملكية الأرض عنهم ، إذ هى قد أصبحت لا تغل مع الجهد الا قليلا بالقياس الى ألوان الجبايات تقتضى عليها اليوم بعد

اليوم والساعة بعد الساعة . فاذا عجزوا عن الوفاء ، وهم لا بد عاجزون ، فني السوط (الكرباج) فضل للابراء !

أظن أنك بعد هذا فى غير حاجة الى من يقيم لك الدليل من مراجع التاريخ على أن المدارس قد عطلت ، وأن دور العلم قد عفيت ، وأن الناس قد ارتدوا إلى جهالة عمياء ، وانكسروا فى وسائل الحياة جميعاً على طلب ما يقيم الأود ، ويستر الجسد . فاذا بقى بعد ذلك فضل من الجهد ، فهو حبس على التحرف عن مواقع سطوة الظالمين ! وبحسبي أن أقول لك : إن السلطان سليماً لما فتح مصر جمع كل الحذاق فى فنون الصناعات المختلفة ، وحملهم الى الآستانة ليبنوا له هناك ويعمروا ، وينجدوا ويزخرفوا . وبهذا قضى على جميع الصناعات البارعة فى مصر القضاء الحاسم !

وبعد ، فاذا صارت أمة الى ما صارت اليه مصر بالفتح التركى ، فقر وفقر ، وظلم تغشاه ظلمات ، فلا علم ولا فن ، ولا تجارة ولا صناعة ، ولا أى مظهر من مظاهر الحضارة - ففيم تجرى اللغة ، وماذا عسى أن تتناول من الأغراض . وعم تترجم من ألوان المعانى ؟ اللهم انه لم يبق بين يديها الا ما يغنى فى أدائه أخس العامية ولو شاهت بخلاط هذه التركية !

العربية تنبعث للعلم

لقد ركدت اللغة العربية فى مصر إذن وجف عودها . وجعلت تتقلص يوماً بعد يوم الى الغزو الفرنسى والى قيام محمد على الكبير ، حتى خيل الى مترسم التاريخ أنها ماتت موتاً لا بعث لها منه الى غاية الزمان !

ولا يتعاظمنك أنه كان يقوم فى مصر فى تلك الأيام « أدب » ، وأنه كان يقوم فيها «أدباء» . فلقد كان فضالة الثمرة الجافة وأثارة البقلة الذابلة . وناهيك بأدب كل همه الى التحرف لاصابة نكتة بديعية إذا لم تغن فى اسلاسها الحيلة جرت جرا ، واستكرهت استكراها . أما دقاق المعانى ، وأما كرائم الاغراض ، فما لا تستحق عند الكاتبين ولا الشاعرين جليلا من الاحتفال والتشمير !

كان هناك نفر يقرضون الشعر ، ويزخرفون المرسل من القول ، وقد يقع الجيد فى بعض ما ينظمون وفى بعض ما ينثرون ، ولكنه لا يصدر عن طبع ، وانما تجىء به المصادفة أو تأتى به مشاكلة المحفوظ عن متقدمى البلغاء !

وكيفما كان الأمر فان هؤلاء الأشتات من « الأدباء » كان أدبهم وما تسلك أقلامهم من فصح العربية فى شبه منقطع عن سائر الناس . عالمهم وجاهلهم فى هذا بمنزلة سواء . وعلى الجملة لم يكن ذلك « الأدب » ، ولا ما يجرى فيه من صحاح العربية بمترجم ، ولو بطريق التكلف والاستعارة ، الا عن أولئك النفر الأقلين . أما الجمهرة فليست من ذلك وليس ذلك منها فى كثير ولا قليل . فاذا زعمنا أن لغة المصريين فى ذلك الزمان كانت العربية فاننا نمضى هذا على ترخص بعيد !

ويستقر الأمر لمحمد على وتستمكن من ناصية الحكم يده ، وتلتفت عزمته الى تجييش جيش وافى العدة مدرب على النظام الحديث ، فللرجل فى السلطان مرام بعيد . والجيش يحتاج الى الأطباء إذ ليس فى البلد كله طب ولا طبيب . فيقيم مدرسة للطب ، ويسوق اليها فيمن يسوق بعض المتقدمين من مجاورى الأزهر ، لا يعرفون كلة إفرنجية واحدة ، ويرميهم بمعلمين من حذاق الأطباء فى الغرب لا يعرفون كلة عربية واحدة ، فيقوم المترجمون بين الاساتيذ وتلاميذهم ليؤدوا ما يلقى أولئك الى هؤلاء !

وتترامى همة محمد على الى آفاق العلوم المختلفة . فيقيم لها المدارس فى مصر ، ويوجه بعوث الطلاب لترويها من منابعها فى بلاد الغرب

اذن فهذه علوم ، وهذه فنون تستكره وثبة محمد على أصولها وفروعها ، وقواعدها ومسائلها على أن تتجلى عربية يتفهمها طلاب الازهر القديم . وقد تمثلوا لتلق العلم الحديث . إذ العربية لا عهد لها من زمان بعيد بعض تلك الفنون . ولاعهد لها ألبتة بكثير مما يؤدى مسائل تلك الفنون!

بعث أولئك المترجمون العربية فى عنف وغلظة ، وما كان لهم من هذا محيص ، فهبت هبوب النائم المستغرق فى حلمه ، وقد أزعجه عنه من الطوارق ما يستطير اللب . فركب رأسه ، وجرى لا يلوى على شىء . ما يبالى اعثرت رجله ، أم اصطدم بالجدار جبينه . وان الذعر لأعصى من أن يدع لمثل هذا فضلا من الفكر فيما يأخذ من عدة القتال وما يدع !

ولقد بان لك أن العربية لم تمت ، ولو قد ماتت ما قدر لها بعث أبداً . ولكنها إنما تقبضت وتقلصت ، وجثمت فى أخوصها دهراً طويلا ، لا تطالعها شمس ولا يقرب اليها غذاء . ومع هذا لقد ظلت مطوية على حيويتها ، وهى لحسن الحظ حيوية قوية متينة ، فانها لم تكد تحس حرارة الشمس ، وتصيب المتنفس فى الجو العريض ، حتى انتعشت وراحت تطلب من وسائل الحياة ما طلب سائر الأحياء !

فهذا رفاعة الأزهرى يعود من فرنسا ، بعد المقام فيها مع احدى البعثات بضع سنين . وإنه ليقوم فى جماعة من لداته وتلاميذه على « قلم الترجمة » ، وقد راحوا يصبون الوان الصيغ والمصطلحات فى شتى العلوم والفنون ، يتوسلون إلى هذا بالبحث فيما أثر عن الأقدمين ، تارة بالاشتقاق ، وأخرى بالتعريب ، وأحيانا بغير أولئك من وسائل الدلالات . واللغة تتئد فى مماشاتهم مرة ، وتخف فى التسيار مرة . على أنها فى الحالين وانت بقدر ما مطالب العلم الحديث . فحقق جهدهم فيها وجهدها معهم ما كاد يصله الظن بجملة المستحيل !

ولقد جعلت اللغة أبلغ همها الى العلم ، لأن نهضة محمد على إنما كانت تعتمد فى جلى وسائلها على العلم . أما الأدب فقد فرضت له حظاً ضئيلا من يوم تقدم محمد على باخراج (الوقائع المصرية) وعهد بتحريرها الى العالم الشاعر الأديب الشيخ حسن العطار ، رحمة الله عليه

العربية تنقبض عن العلم وتتحرر للأدب

أمعنت العربية فى ألوان العلوم والفنون ، وخرجت فيها الكتب المؤلفة والمترجمة فى الطب ، والهندسة ، والرياضة ، والزراعة ، والمعادن ، وطبقات الأرض ، والفنون العسكرية وغير ذلك مما جادت به القرائح فى العالم الجديد الى تلك الأيام

ثم خبت هذه الجذوة ، وسكنت ، بانتهاء ولاية محمد على ، تلك الفورة ، حتى قام حكم اسماعيل ، فانبعثت اللغة ثانياً . ولكنها لم تكسر أجل همها ، هذه المرة ، على العلوم . بل لقد فرضت من جهدها صدراً عظيماً للآداب ، فخرجت الصحف الدورية تتبارى على متونها سوابق الأقلام

ويقوم فى ذلك العهد العالم الكاتب الأديب المجدد حقاً ، أعنى به المرحوم الشيخ حسين المرصفى فيلفت جمهرة الأدباء عن ذلك الأدب الضامر ، ويوجه أذهانهم وأذواقهم جميعاً الى الخالص المتنخل من أدب العرب فى جاهليتهم وفى اسلامهم ، ويبعث لهم شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى وغيرهم من فحول الشعراء . كما يدل على بيان ابن المقفع والجاحظ والصولى وأحمد بن يوسف وأضرابهم من متقدمي الكتاب . فسرعان ما يصفو البيان ويحلو ، وسرعان ما يجزل القول ويعلو ، وسرعان ما تنفرج آفاق الكلام ، وتتبسط أسلات الأقلام فى كل مقام . وناهيك بغرس يخرج من ثماره ابراهيم المويلحى فى الكتاب ، ومحمود سامى البارودى فى الشعراء !

وفى أعقاب نهضة المرصفى يقبل العالمان الأديبان اللغويان الشيخ حمزة فتح الله ، والشيخ ابراهيم اليازجى فيكشفان عن مجفو العربية ، ويستظهران من أوضاعها وصيغها ما يدل على الكثير من الاسباب الداثرة ، ويتعقبان الأخطاء الشائعة ، ويدلان على الصحيح الناصح من كلام العرب . فيأخذ الكتاب والشعراء أنفسهم بالتحرى فى التماس الصحيح حذر النقد والتشهير . وكذلك تصفو اللغة وتشرق ديباجتها . ولا شك فى أن للصحف السيارة فى هذا الباب فضلا غير منكور

وظلت لغة الآداب فى رقيها ، واطرادها فى سبيل كمالها الى اليوم . أما لغة العلم فلقد دهاها من السياسة ما دهى . فان (دنلوب) ما كاد يقبض على زمام التعليم فى المعارف وينفرد بالسلطان فيها حتى جعل يحيل لغة العلوم الى الانجليزية . وتم له من هذا فى المدارس الثانوية فما فوقها كل ما أراد . ولو قد تهيأ له أن يدرس الطلاب قواعد العربية نفسها بالانجليزية أيضاً لما أعوزه الاقدام !

وطالت هذه الحال ، وخرجت كتب الدراسة فى العلوم فى الانجليزية . وتقلبت فيها ألسنة الطلاب فى دور التعليم . وجعلت لغة العرب تتقلص عن أداء الصيغ والمصطلحات فى شتى العلوم والفنون ، حتى تم التناكر والقطيعة بينها وبين تلك ، أو أشرف على التمام

اذن لقد كان بعض اللغة أعنى لغة الآداب فى تبسط وازدهار ، إذ بعضها وهو ما يتصل بالعلوم فى تقلص وإقفار !

ويشاء القدر الحانى على لغة الكتاب أن يتولى المرحوم سعد زغلول باشا (نظارة) المعارف ، وهو من هو فى وثاقة علمه بالعربية ، ونفوذه الى دقائق أسرارها ، وقوة يقينه بأنها زعيمة ، لو قد مرنت بالعلاج ، بأن تسع علم الآخرين كما وسعت علم الأولين . فتقدم من فوره بدراسة العلوم بكل ما يتسع له التدرع ، باللغة العربية ، فشمر الأساتيذ لهذا ، وأقبل العالمون على رفد العربية بالعلوم المختلفة من كلتا الطريقتين : الترجمة والتأليف . وخلفه على (نظارة) المعارف المرحوم احمد حشمت باشا وحذا حذوه فى حياطة هذه اللغة وحضانتها . وكان من توسعه فى هذه الناحية أن أنشأ فى (نظارة) المعارف قلماً للترجمة لينقل الى العربية ما يتدارسه الطلاب فى شتى العلوم والفنون . واذا كان هذا (القلم) لم يغن فى هذا المطلب جليلا ، فلأنه كان حق عسير . وألف ، لهذه الغاية أيضاً ، لجنة دعاها « لجنة الاصطلاحات العربية » وعقد رياستها له ، ودعا الى عضويتها بعنق من المشهود لهم بسعة العلم وجزالة الفضل ، والتضلع فى فقه العربية مع المشاركة فى مختلف العلوم

العربية لغة علم وأدب

وبعد ، فالحق أن اللغة العربية اذا كانت فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، قد أزهرت وأشرقت وأضحت توآتى فى يسر حاجة الآداب ، فانها ما برحت تثقلها مطالب العلوم . بل لا غرو على اذا زعمت أنها ما برحت تحس العجز الشديد ، فلقد ازدحمت مصطلحات العلوم ، فى هذه الأربعين سنة الأخيرة على وجه خاص ، ازدحاما هائلا مروعا بما أخرجت القرائح فيها من فنون المخترعات والمستحدثات فى مختلف وسائل الحياة . وإن إحساس أبناء العربية ، وبخاصة من يتولون منهم شأن التعليم والتأليف ، بهذا العجز هو الذى كان يبعث أعيان أصحاب العلم والبيان فى مصر الفترة بعد الفترة على الدعوة الى تأليف المجامع اللغوية لعلاج لغتنا ومدها بالوسائل المختلفة حتى توآتى حاجات العلوم والفنون . ولم يقدر لشىء منها النجاح ، لأنها كانت تعوزها بعض وسائل الحياة ، ومن أهمها المال والسلطان

وأخيراً أنشىء « مجمع اللغة العربية الملكى » . وفوق أنه فرض صدراً عظيما من جهده لاستظهار ألوان الصيغ والمصطلحات فى شتى العلوم والفنون ، فقد راح يتبسط فى قواعد العربية ما أسعدته على هذا التبسط مذاهب السلف الأكرمين ، إلانة للغة ، وتيسيراً لما كان يتعاصى فى هذا المطلب على جهرة المعلمين والمؤلفين ، وقد قطع فى هذا الشوط الخطا العراض . والأمل معقود بأن هذا المجمع فى ظل نظامه الجديد سيبلغ العربية منيتها ، ان شاء الله ، فى وقت غير طويل

هذا كفاح العربية فى مائة عام . وان لغة ترزق هذا الصبر ، وهذا الجلد فى الكفاح ، وهذه الجدّات ، على كثرة دواعى البلى ، لحقيقة فى النهاية بالظفر ، والعزة فى الدنيا على طول الزمان

عبد العزيز البشرى

الخلق والدين عماد التربية

بقلم الاستاذ الامام محمد عبده

[من ظاهر النقص فى مدارسنا المصرية ضعف التربية الاخلاقية والدينية بين طلابها . وهو نقص يشكو منه الكثيرون . وقد كتب الاستاذ الامام محمد عبده فى نوفمبر سنة ١٨٨١ هذا المقال الذى ننشره هنا ، مبيناً الغرض من التربية فى المدارس ووجوب اعتمادها على الاخلاق والدين]

من المعلوم البين ان الغرض الحقيقى من تأسيس المدارس والمكاتب والعناية بشأن التعليم فيها انما هو تربية العقول والنفوس وايصالها الى حد يمكن المتربى من نيل كمال السعادة أو معظمها ما دام حيا وبعد موته . ومرادنا من تربية العقول اخراجها من حيز البساطة الصرفة والخلو من المعلومات وابعادها من التصورات والاعتقادات الرديئة ، الى أن تتحلى بتصورات ومعلومات صحيحة تحدث لها ملكة التمييز بين الخير والشر والضار والنافع ، ويكون النظر بذلك سجية لها ، أى يكون لنور العقل نفوذ تام يفصل بين طيبات الأشياء وخبائثها . وهذا هو الركن الأول فى المدارس والمكاتب . ومرادنا من تربية النفوس ايجاد الملكات والصفات الفاضلة فى النفس وترويضها عليها وابعادها عن الصفات الرذيلة حتى يكون المتحلى بها ناشئاً على ما يوافق قواعد الاجتماع البشرى ولوازمه ومتعوداً عليه ـ وهذا هو الركن الثانى . واذا فقد احد الركنين بطلت الفائدة المطلوبة أو قلت جداً . ولنترك البرهان على ذلك الى علم كل انسان به ، فاذا اجتمع للشخص هذان الأمران كان انسانا له أن يطلب ما ينفعه ويبعد عما يضره ، فيدخل فى أى اسباب الكسب فى الدنيا والآخرة اذا رآه موافقاً لاستعداده وفى قوته النهوض به ، فيختار من العلوم والصنائع ما يشاء ويبرع فيه بكل رغبة وغيرة حتى يصل الى ما تمكنه القوة منه ، ولا يتأتى منه الاهمال فيه لوجود الباعث من ذاته وهو غيرته وتصوره للغاية التى لا تفارقه . أما ان كان الشخص ضعيف الادراك أو فاسد الأخلاق وان كان عالما بجميع علوم الدنيا فلا ريب فى أنه يكون شقياً فى نفسه وسببا فى الشقاء لغيره ، ولا تغنى عنه المعلومات شيئاً ، بل ذهب بعض الحكماء الى انه لا ينال العلم من أى نوع كان حقيقة الا بعد تحلى النفس بالصفات الجميلة التى منها بل أعظمها حب الكمال الذى هو الداعى الحقيقى الى طلب العلم والبراعة فيه . وان أول مبدأ يجب ان يكون اساساً لتحلية العقول بالمعلومات اللطيفة

والنفوس بالصفات الكريمة هو التعاليم الدينية الصحيحة ، اعني ترغيب القلوب بما يرضى الخالق وارهابها مما يغضبه . ثم يؤتى بالرغبة التى يراد حث النفس عليها على حقيقتها المقصودة للشارع بحيث لا تخرج عن مكارم الأخلاق التى حصر الشارع علة بعثة الرسول فيها كما قال عليه الصلاة والسلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، ويؤتى بالأمر المنفور منه كذلك على وجهه ، ثم يقال ان ذلك يرضى الله وهذا يغضبه وذلك لايتأتى نجاحه الابعد ان تكون القلوب الساذجة قد ملئت خشية من الله وتعظيما لجلاله وتبجيلا لمقام ألوهيته السامى ، بحيث لو ذكر اسم الله عند شيء خفق قلبه السامع واضطربت جوارحه خشية منه ورهبة ، فيكون ذلك سبباً لاقدامه على ما يرضيه من الفضائل ونفرته عما يغضبه من الرذائل ، فهذا هو اسهل الطرق واقربها للتربية والتهذيب ، فان الطفل فى صغره بل والشاب فى اول بلوغه يعسر عليه لقلة التجربة ان يفهم مضار الاشياء ومنافعها من حيث هى بطريق العقل الصرف ، خصوصا ما يتعلق بالصفات النفسانية التى يكثر فيها التضارب ، يستحسن منها عند شخص ما يستقبح عند آخر وبالعكس ، وايداع مثل ذلك فى القلوب إنما يكون بتعويد الابدان على العبادة وتذكر جلال الله بالركوع والسجود ومعرفة العقائد الدينية السليمة ، فهى الأساس لكل ذلك . وطالما تشوقت النفوس لأن تكون التربية فى المدارس على هذا النمط المفيد الذى عول عليه جميع الأمم التمدنة فى مبادىء تعاليمهم فان من تتبع قوانين التعليم فى الممالك الأوربية رآها بأسرها موجبة للابتداء بالتعاليم الدينية والاستمرار عليها الى ما يزيد عن ست سنوات تقريباً . ولكن لم تسمح الحوادث السابقة بنيل هذا الغرض لأسباب نضرب عن ذكرها صفحا

والآن رأينا نظارة المعارف العمومية وجهت عنايتها الى ذلك وطلبت تجويده والاهتمام بشأنه من المعلمين والنظار وألا يهملوا فيه كما اهملوا فى سابق الأمر ، وشددت عليهم فى ذلك كل التشديد حتى أوجبت على الاساتذة أن يقوموا برسوم العبادة حتى قيام أمام التلامذة ويدعوهم لذلك إن كانوا مسلمين . أما المسيحيون وغيرهم من ذوى الأديان الأخر فلا يكلفون بذلك أصلا بل هم على حريتهم ، فلها الشكر على هذا المقصد الحسن . غير أنه يلزم أن لا تكون هذه العبادات والتعليمات الدينية صوراً يابسة لا روح فيها كعبادة الجاهلين ، بل يجب أن تكون معنوية حقيقية تخرق حجاب الغفلة وتتمكن فى باطن الادراك وتبعث فى الأشخاص روحاً من الحياة يشهد أثره الناس اجمعون . وعلى نظارة المعارف أن تلاحظ التعليمات الدينية التى يلقيها المعلمون حتى لا تكون محشوة بأنواع من التخريف المضاد لحقيقة الدين كما جرت به عادة كثير من المعلمين

كان الشاعر أول الامر يقلد صغار المتخلفين ، ثم ارتقى الى تقليد الفحول المتقدمين ، ثم ترك تقليد الشعر العربي الى تقليد الشعر الغربي ، ثم انتهى بانكار التقليد وتوخي الابتكار

معالم الأدب المصري الحديث

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الخشاب والعطار والأمير ، ثم محمود صفوت الساعاتي ، ثم محمود سامي البارودي ، ثم اسماعيل صبري واحمد شوقي وحافظ ابراهيم ، ثم مدرسة الأدب الحديث الى العهد الحاضر

هذه هي معالم الأدب بمصر في القرن الأخير ، مع التساهل في زيادة القرن الى أكثر من مائة سنة بعدد قليل من السنوات

***

قال الخشاب يتغزل :

أدرها على زهر الكواكب والزهر ... وإشراق ضوء البدر في صفحة النهر
وهات على نغم المثاني فعاطني ... على خدك المحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا ... وخضب بناني من سنا الراح بالتبر
وهاك عقوداً من لآلي حبابها ... فم الكاس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل وامح بنورها ... دجاه وطف بالشمس فينا الى الفجر
وأصل بنار الخد قلبي وأطفه ... ببرد ثناياك الشهية والثغر
. . . .
وفي ذابل الاجفان كالبيض طرفه ... مكحلة أجفانه السود بالسحر
رشا فاتك الألحاظ عيناه غادرت ... فؤادي في دمعي دما سائلا يجري

وقال العطار يرثي بعض العلماء ، أو كما قال الجبرتي : « وقد رثاه أمثل من عنه أخذ . وأكمل من له تلمذ . صاحبنا العلامة وصديقنا الفهامة ، المنفرد الآن بالعلوم الحكمية . والمشار اليه في العلوم الادبية . صاحب الانشاء البديع . والنظم الذي هو كزهر الربيع . الشيخ حسن العطار . حفظه الله من الاغيار » :

عزاء بني الدنيا بفقد ائمة لـكأس مرير الموت كل تجرعاً
يمينا لقد جل المصاب بشيخنا الد سوق وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب لا مفارق عندما تنكرت الاسماع صوت الذى نعى
فللناس عذر فى البكاء وللأسى عليه وأما فى السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده لقد كان فيها جهبذيا سميذعا
يقرر فى فن البيان بمنطق بديع معانيه يتوج مسمعا

وقال الامير يصف :

تخيلت ان الشمس والبحر تحتها وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرآة ينظر وجهه فنى وجهها من وجهه الضوء دافق

وقال فى الحـكمة :

دع الدنيا فليس بهـا سرور يتم ولا من الاحزان تسلم
ونفرض أنه قد تم فرضاً فنعم زواله أمر محتم
فـكن فيهـا غريبا ثم عى الى دار البقا ما فيـه تغنم
وإن لا بد من لهو فلهو بشىء نافع والله أعـلم

***

ولتمام الصورة التى تمثل الأدب فى ذلك الحين ينبغى أن نعلم أن العطار والأمير مغربيان ، وأن ديوان الخشاب طبع فى الآستانة لا فى القاهرة ، وأن العطار لم يجمع له ديوان ، وأن كثرة المغاربة فى الأدباء يومئذ أمر لا غرابة فيه . اذ كانت الدراسة فى الجامع الأزهر ضرورية لتخريج الشعراء والأدباء ، وكان الازهر والقاهرة نفسها من بناء دولة مغربية

هذه صورة مجملة كفيلة بتمثيل حالة الادب المصرى قبل مائة عام . وأصدق ما توصف به أنها كانت حينذاك حالة تقليد للتقليد ، يندر فيها الابتكارجداً أو ينعدم فى معظم الاحوال . وانما القاعدة المطردة أن يقلد الشاعر المتأخرين من شعراء دولة المماليك ودولة الفاطميين ، وإذا علمنا أن شعراء هاتين الدولتين كانوا على الاغلب الارجح مقلدين للمتأخرين من العباسيين فقل ماشئت بعد ذلك فى أدب هو تقليد للتقليد : أدب رسمت للناظمين فيه والناثرين قوالب القول وأساليبه قبل أن يدخلوا المكتب وقبل أن يهبطوا من الارحام

من هذه الحالة انتقل الادب انتقالا محسوساً ، وان لم يكن بالواسع المدى ولا بالبعيد الغاية ، فاصبحنا نقرأ شعراً تغلب فيه انماط هذه الديباجة :

رقت لرقة حالتى الاهواء وحنت على البانة الهيفاء
وبكى الغمام على من أسف وقد كادت تمزق طوقها الورقاء

ماذا تريد الحادثات من امرئ من جنده الشعراء والامراء
دعها تمد كما تشاء شباكها فلربما علقت بهـا العنقاء

أو ظهرت بعبارة أخرى مدرسة محمود صفوت الملقب بالساعاتى ، وهى مدرسة تمتاز على من سبقها بمسحة واضحة من الفصاحة والجزالة وتعرف أن شعر العروض والنحو والقواعد المرسومة شىء يعاب ولا يحسن بالاديب . وأن الابتكار مطلب مفروض على الشعراء والناثرين . ويقول ترجمانها المعبر عنها فى وصف شعاره :

فدعنى من قول النحاة فانهم تعدوا لصرف النطق من غير لازم
اذا أنا أحكمت المعانى خفضتهم وأرفعها قهراً بقوة جازم
وما أنا الا شاعر ذو طبيعة ولست بسراق كبعض الاعاجم

ومع هذا ترى أنه يعيب أولئك الشعراء ويكثر مثلهم من التورية والتجنيس والمباهاة بعرفان القواعد ، وينحدر أحيانا الى مثل ما كانوا ينحدرون اليه من التكلف والركاكة والتقليد

ثم انتقل الشعر نقلته الكبرى على يد الامام الاكبر محمود سامى البارودى ، فاصبح شعراً معبرا صادق التعبير بليغ الاداء يضارع فى بعض قصائده ارفع ما ارتفع اليه الشعر العربى فى عصر من عصور الاقدمين

الى هنا يصح ان نقول ان القرن الاخير ابتدأ بتقليد التقليد ثم توسط بالتقليد الذى ينظر فيه الشاعر الى كبار الفحول الاسبقين لا الى الصغار المتخلفين ، ثم أوشك أن ينتهى باستقلال الفكر والسليقة على عهد البارودى إمام المجددين ، ثم دخل مع الامة فى طور آخر يصح أن يسمى تقليداً جديداً لانه يتوخى محاكاة الادب الاوربى ولكن على اختلاط فى الفهم والنقد وتمييز المذاهب والآراء

بعد عصر البارودى أخذ الأدباء يسمعون عن أقسام الشعر الأوربى ويفهمون أن منها ما يسمى بالغنائى (Lyric) ومنها ما يسمى بالملاحم (Epic) ومنها ما يسمى بالتمثيلى (Dramatic) ومنها ما يسمى بالقصصى (Narrative) ومنها ما يسمى بالتعليمى (Didactic) الى آخر ما هنالك من التقسيمات والقواعد التى يلتزمونها في كل قسم من الأقسام

ومن ثم تشعبت الآراء فيما ينبغى للشاعر أن ينظم فيه ليحسب من الشعراء « النافعين العاملين » فمن قائل إن الشاعر لا يكون شاعرا الا إذا نظم فى الملاحم والقصص ، مع أن كثيراً من أعاظم الشعراء لم ينظموا فى هذين البابين

ومن قائل ان الشاعر العظيم هو الذى ينظم فى الاجتماعيات ويقود أمته فى النهضات والثورات ، مع أن الاجتماعيات عمل والفن عمل آخر قد يلتقيان وقد لا يلتقيان ، وقد كان بعض الشعراء يسكتون فى ابان الثورات الاجتماعية والسياسية أو يشتركون فيهـا بالعمل السياسى لا بالقصائد والاناشيد ، كما فعل ملتون فى انجلترا وفكتور هوجو فى فرنسا ، وهما من أعلام الأدب فى الامتين

ومن قائل ان وصف المخترعات الحديثة هو واجب الشاعر الحديث ، لأن الشاعر الجاهلى قد وصف الناقة ، فلا محيص لشاعر القرن العشرين من وصف القطار والطيارة . . . مع أن الشاعر الجاهلى لم يصف الناقة لانها مخترع من المخترعات ولا لأنها اداة مواصلات ، ولا لأنها شىء قديم أو حديث ولكن لانها جزء من حياته وقوام شعوره ، باق يعيش فى زماننا كما كان يعيش فى ذلك الزمان

ومن قائل ان المدح والهجاء لا يليقان بشاعر القرن العشرين لانهما بابان من الابواب المصطلح عليهما فى دواوين المقلدين ... مع أن المدح والهجاء واجبان على الشاعر ان صدق فيهما وعبر بهما عن احساس يحيك بنفوس بنى الانسان

وقس على ذلك تبلبل الافكار والآراء فى المدرسة التى أعقبت مدرسة البارودى واشتهر منها اسماعيل صبرى واحمد شوقى ومحمد حافظ ابراهيم ، فهى مدرسة التقليد من نوع جديد ، أو هى المدرسة التى تريد أن تبتكر لان الأوربيين مبتكرون ... مع أن المبتكر لا يبتكر تقليداً لأحد من المتازين أو المقصرين ، وانما يبتكر لانه مدفوع بطبعه الى الابتكار

وقامت بعد هؤلاء مدرسة حديثة لا توجب على الأديب شيئا لان أحداً من الناس أوجبه قبل ذاك ، وكل ما توجبه عليه أن يجتنب التقليد ويتوخى الصدق فيما يحس وما يقول ، ويستعد للتعبير بعدته من اللغة والادراك الصحيح ، ولينظم بعد ذلك أو ينثر فيما يشاء وكيفما شاء

ولنضرب مثلا للتفرقة بين المدرستين : من يقول ان الانسان يجب أن يأكل لحوم الطير والاسماك والضأن والبقر والفواكه من عنب وتمر وكمثرى وتفاح وبرتقال ، الى آخر ما تحويه جداول المأكولات ، لأن الاصحاء قد شوهدوا يأكلون هذه الأصناف

ومن يقول كلا . ان الانسان قد يكون صحيحاً جداً وهو مقصور الطعام على جزء من هذه المأكولات ، وقد يكون مريضاً جداً وهو يتناول منها أجمعين

فالصواب بين المدرستين هو أن تقول : كن صحيح المعدة وكل ما بدا لك ، وكن صحيح الحس والتعبير وانظم ما يساعدك على تمثيل حسك ، سواء فى شعر الغناء أو شعر الملاحم أو شعر المسرحيات أو ما عدا ذلك من ضروب المنظوم ، وهذا هو الابتكار الذى لا تقليد فيه ، أو هذا هو التجديد الذى لا ينتظر جديداً قبله ليمضى على منهاجه ويقتفى خطاه

* * *

وقد قصرنا الكلام الى هنا على الشعر دون النثر لأنه أدل منه على الأمزجة والقرائح من الوجهة الفنية ، وفيه وحده الدلالة الكافية على ما عند الناس من شعور وقوة تعبير

ولاشك أن النثر قد خطا فى مثل هذه الخطوات منذ مائة سنة وزيادة ، فبدأ بالكتابة التى رأيت نموذجا منها فى كلام الجبرتى : سجع محفوظ الفواصل والقوافى يتردد على كل قلم ويزج به فى كل موضوع ، ثم ارتقى الى سجع يبتكر الكاتب كثيراً أو قليلا من ألفاظه وقوافيه كالسجع الذى نقرأه

فى كتاب « عيسى بن هشام » للمويلحى الصغير ، ثم انطلق فى أسلوب منمق مصقول لا تلتزم فيه الأسجاع والقوالب كالأسلوب الذى كان يختاره المويلحى أو المنفلوطى فى النثر المرسل ، ثم تعددت الأساليب واختلفت باختلاف الأفراد والموضوعات فكثرت فى اللغة العربية أساليب الأدباء والقصاصين والمؤرخين والصحفيين ووضح أثر الحرية فى أنماط الكتابة بين شتى الأقلام والموضوعات

وعلى الجملة يصح أن يقال ان الأدب المصرى منذ مائة سنة قد رسم خطواته الأولى على تقليد التقليد بحيث يتيسر لك أن تبعثر ما نظمه الناظمون ونثره الناثرون ثم تجمعه خليطاً بلا تقسيم ولا ترتيب ، فلا يشق على القارىء أن يصدق أنه من صنع أديب واحد متشابه العبارات واللوازم والمعانى والموضوعات

ومن هذا التقليد للتقليد خطا الأدب المصرى الى التقليد المباشر الذى يختلف فيه نمط عن نمط كما يختلف الساعاتى وأنداده من أبناء جيله

ثم نجم الأسلوب المبتكر المستقل كاسلوب البارودى وصبرى . ثم بلغ الأسلوب غاية استقلاله أو كاد يبلغ تلك الغاية في طبقة شوقى وحافظ ، مع جنوح الفكر والروح الى تقليد جديد هو تقليد الأوربيين فى الموضوعات والأبواب . ثم هم الأدب المصرى بالخروج على هذا التقليد الجديد والاعتماد على الشعور الانسانى وحده في النظم والنقد بغير تقيد بالنماذج الاوربية أو النماذج الشرقية القديمة . وهو فى هذه الأيام يتابع مسيره على هذا السنن الى ما كتب له من توسع وتمام

عباس محمود العقاد

أوائل سعد

كان سعد أولا في كل نواحيه الاجتماعية والحكومية . فمن أوائله فى وزارة المعارف أنه أول من خرج من ديوانه للطواف على مدارس الأقاليم ، وأول من قرر اقفال المدارس للاحتفال برأس السنة الهجرية ، وأول من أبطل التحية التى يقابل بها الوزراء فى دواوينهم ، وأول من قرر تدريس المواد الحديثة باللغة العربية بدلا من اللغات الأجنبية العسكرية

نهضتنا الفكرية

ما زالت صراعا بين القديم والجديد

بقلم الاستاذ احمد أمين

إذا أردنا أن نجمع أسباب النهضة من عهد محمد علي الى الآن في كلمة واحدة قلنا إنها « اتصال الشرق بالغرب »، فكما انبعثت شرارة من الشرق الى الغرب في القرون الوسطى سببت نهضة الغرب، رد الغرب ما اقترضه فبعث شرارة الى الشرق ألهبت حماسته، وأشعلت غيرته، فبدأ يقلد الغرب في مناحي نشاطه، ويتبعه في اتجاهاته — حتى ليمكننا أن نلخص « منطق » قادة الفكر في الشرق في الجملة الآتية « ان الغرب يفعل كذا فيجب أن نفعله، والغرب يترك كذا فيجب أن نتركه »، وكلما أريد وضع نظام أو سن قانون أو بدء بمشروع تساءلوا : ماذا تفعل أوربا في ذلك ؟

وكان أسبق الأمم الشرقية الى الاقتباس من أوربا « مصر » لموقعها الجغرافي — أولا — ولسبقها في العمل على الانفصال من سيادة الترك — ثانياً — فأخذ محمد علي يحذو حذو أوربا في جميع مرافق الحياة، من علمية واقتصادية وحربية وسياسية وغير ذلك. وإذ كان موضوعنا النهضة العلمية فلنقتصر عليها

استعدت مصر لأخذ هذا الدرس عن الغرب من عهد حملة نابوليون على مصر، فكان في حملته علماء أعلام بجانب رجاله الحربيين، منهم الرياضي، ومنهم الطبيعي ومنهم الاديب، ومنهم الاقتصادي، وقد احتك بهم بعض المصريين وشاهدوا آثارهم العلمية، وقرأوا ما ألفوا، ونظروا فيما جربوا، كما يحكي ذلك الجبرتي في تاريخه

وجاء محمد علي والنفوس على استعداد ما للسير في هذه السبيل، واستكمال ما بدأوا به من قبل، فأدار محمد علي الحركة — التي كانت بطيئة — بقوة وعنف، وأدخل عليها النظام بعد أن كانت مهوشة مضطربة، وبعد أن كانت حركة الاقتباس مقصورة على فئة قليلة جداً من المتنورين عممها حتى وصلت الى الجندي في الجيش والعامل في الحقل، ومن أبى منهم الاقتباس أجبره عليه وأنفذه بسلطانه

فقد وضع « محمد علي » كل الأسس التي بنيت عليها الاتجاهات العلمية الحديثة وأهمها أمران

(١) إرسال البعثات للتعلم في أوربا حتى يكونوا نواة لتعليم المصريين على النمط الأوربي،

ولينقلوا الى العربية أهم ما ألف فى الغرب ، فأرسل كثيراً من الشبان الى فرنسا وبعضهم الى انجلترا ، واستمرت حركة البعثات الى مختلف البلدان الأوربية الى اليوم ، وقد حققت ـ الى حد ما ـ الغرض الذى أسست لأجله ، فقد نشر المبعوثون بين أفراد الأمة تعاليم أوربا ومناهجها ، وتسلموا أهم الأعمال فى المصالح المختلفة ، فكانوا مناراً يتلقون ضياءهم من أوربا ويعكسونه على مصر ، كما قاموا بترجمة بعض الآثار الأوربية الى اللغة العربية

وان وجه نقد الى هذه الحركة فهى أنها لم تؤد كل ما كان ينتظر منها ، فقد أرسل الى أوربا الألوف من المصريين ، وعادوا بعد أن اتموا دراستهم ، ونالوا أكبر الشهادات ، ومع ذلك لم يكن مجهودهم فى تنظيم الاعمال وادخال الاساليب الحديثة ونقل المؤلفات القيمة يتفق وعددهم ، فحركتهم فى الترجمة حركة ضعيفة غير منظمة ، وحسبك دليلا على هذا أنه لم يقم من المصريين بعد رفاعة باشا ومدرسته من يسد مسده أو يغنى غناءه . ولو سار من أتى بعده على نهجه لما رأيت كتابا هاما أوربيا فى مختلف العلوم والفنون لم يترجم الى العربية . وهكذا قل فى تنظيم الاعمال . وليس يصح أن تلقى كل المسئولية على عاتقهم ، فبعضها يرجع الى أن الاحتلال الانجليزى لم يكن يشجع على هذه النهضة بل كان يعمل على اعاقتها

وأيًّاما كان فهو اتجاه على أدى بعض واجبه وخدم الحركة العلمية خدمة لاتنكر

(٢) وكان يقابل هـذا الاتجاه ويكمله حركة أخرى ترمى الى بعث الأدب القديم ، وقد بدأ هذه الحركة المستشرقون فبذلوا جهداً كبيراً فى جمع الكتب القيمة فى مكاتب ، كما بدأوا فى نشر أهمها ، ثم قلدتهم مصر فى هذا العمل فبدأت مطبعة بولاق فى عهد محمد على تنشر الكتب العربية القديمة ثم تأسست المطابع الأهلية تنشر مالا يحصى من الكتب

وهى مع كثرة ما تخرجه مقصرة عما يخرجه المستشرقون ، لا من ناحية العدد ، بل من ناحية المنهج ، ذلك أن أكثر ما يطبع فى مصر من الكتب القديمة ينشره التجار ، أما فى أوربا فينشره العلماء ، وفرق كبير بين منهج العالم ومنهج التاجر ، فالعالم الأوربى إذا نشر كتابا رجع الى أهم النسخ الموجودة في العالم وقابل بعضها ببعض ، وتحرى الامانة فى الأصل ، وبذل الجهد فى المراجعة ثم فهرس الكتاب باعلامه وبلدانه ونحو ذلك ، ونحن ـ الى اليوم ـ لم تبلغ هذا المبلغ فى اخراجنا الا فى القليل النادر

وألاحظ فى هذا الاتجاه أن حركة النشر زادت فى مصر وغيرها من البلدان العربية بقدر ما نقصت بين المستشرقين وهى حالة نغتبط بها لو أضيف اليها العناية بالنشر

* * *

وقد أصبح لنا من هاتين الحركتين ثروة واسعة من الأدب الغربى والعلم الغربى ، وثروة واسعة من الأدب العربى والعلم العربى ، ونشأ عنهما ، وان شئت فقل إنهما كانا رمزاً لتيارين مختلفين

وهذان التياران المتحاذيان أحيانا ، المتعاكسان أحيانا قسما الناس فى مصر الى أقسام ، ووجهاهم وجهات مختلفة ، وطبعاهم بطوابع متباينة . منهم الغالي ومنهم المعتدل . منهم من لم يلتفت الى التيار الآخر أى التفات ومنهم من اغترف منه غرفة بيده . فنشأ من ذلك تبلبل فى الألسنة ، واختلاف فى الافكار والآراء ، وتنازع فى مناهج البحث وطرق التفكير

هذان التياران يتنازعان الشعراء والكتاب والمؤلفين . ويتنازعان مناهج التعليم ، وطرق التفكير ، وكل مظهر من مظاهر الحركة العلمية

فمن الشعراء من مثله الأعلى امرؤ القيس أو بشار أو أبو نواس ، ومنهم من مثله الأعلى شكسبير أو جوته

ومن الكتاب من مثله الأعلى ابن المقفع أو الجاحظ أوالحريرى، ومنهم من مثله الأعلى فيكتور هوجو أو فولتير أو نحوهما

بل مناهج التعليم في مصر مضطربة بين التيارين . فهي تعلم النحو والبلاغة على نمط سيبويه والسكاكى ونحوهما ، وان اختلفت عنهما فى الأمثلة ووضوح العبارة . وتعلم الطبيعة والكيمياء والجغرافية على نمط الكتب الافرنجية

ومن المقننين من يرى خير مثل هو القانون الفرنسى أو الالمانى أو السويسرى ، ومنهم من يراه الشريعة الاسلامية

ويمثل هذين التيارين الجامعة المصرية ومثلها الأعلى التعليم الأوربى ، والجامعة الأزهرية ومثلها الأعلى الآداب والعلوم الاسلامية . على أن الجامعة الأزهرية بذلت بعض المحاولات فى إدخال عناصر التجديد

وهذان الاتجاهان فى الشرق - وخاصة مصر - أوضح منهما فى الغرب ، نعم إن فى الغرب محافظين وأحراراً ولكنهما معاً يدوران حول مبادىء واحدة وكل فريق يرى فيها رأيا ، أما فى الشرق فالآراء متعاكسة ، وموضوعات الاتجاهين ليست واحدة ، ذلك أن الغرب قد نظر طويلا فى التراث القديم وصفى مركزه فيه وأخذ منه ما يستحق الأخذ ، وسار به على النهج الجديد ، ولم تبق للقديم دراسة الا للتخصص فيه على أنه أثر من الآثار

ومن عهد محمد على الى الآن والحرب مستعرة بين الاتجاهين ، وهى حرب هادئة أحياناً ، عنيفة أحياناً ، تظهر فى الآداب بين دعاة القديم ودعاة الجديد ، وتظهر فى الدين فيقوم لها الرأى العام ويقعد كالثورات التى قامت على السيد جمال الدين ومحمد عبده وعلى عبد الرازق وطه حسين .

وتظهر فى التقنين كالثورات التى قامت من قديم حول المحاكم الشرعية وتنظيمها واختصاصها

وهنا يجب أن نتساءل : هل من مصلحة مصر والشرق عامة أن يظل فيها هذان الاتجاهان أو أن تخنق القديم وتعيش بالجديد وحده ؟ لقد سارت تركيا على المنهج الثانى فأبادت القديم ولم تحفل

به ، ولم تعبأ برجال الدين ، ولا برجال الأدب القديم ، ولا بحروفها القديمة ، ولا بزيها القديم ، ولا بقوانينها القديمة ، وعلى الجملة فقد أرادت أن تقضى على القديم فى كل شىء ، وعزمت أن تسير بالأمة نحو الجديد البحت ، وبدل أن يكون مثلها الأعلى مشتقاً من الاتجاهين أرادت أن يكون مثلها الاعلى مقتبساً من أوربا وحدها ، ونزعاتها وحدها . فهل من مصلحة الشرق أن ينهج هذا النهج ؟

أظن أن الجواب بالسلب وأن من مصلحة الشرق بقاء الاتجاهين معاً ، ذلك أن فى القديم ثروة لاتقدر ، وفى الجديد ثروة لاتقدر ، كما أن فى كل من القديم والجديد بذوراً سامة يجب اعدامها . وكما أن أجسامنا وألواننا وعقولنا نتيجة وراثتنا وبيئتنا ، وهى تختلف عن القديم البحت والجديد البحت ، فيجب أن يكون غذاؤنا منهما معاً

أهم واجب على قادة الرأى عملية « التنقية » ، تنقية القديم لنعرف خيره وشره ، وتنقية الجديد لنعرف خيره وشره

ولكن يجب أن يسير المجددون أمام الجمع ، وخلفهم أنصار القديم ، ويجب ألا يخف المجددون خفة تدعو الى التهور ، وألا يثقل أنصار القديم ثقلا يعوق المجددين عن السير

ثم ان أنصار القديم لا يصح أن يستمروا على نمطهم القديم بحال من الأحوال ، فهم مكلفون كل التكليف أن يعرضوا قديمهم فى شكل جديد ، فالأدب القديم لابد أن يعرض عرضاً جديداً . وأؤكد أن انصراف الناس عن الأدب العربى والعلم العربى والدين أكبر سبب له سوء العرض ، فتذوق الناس الآن غير تذوقهم فيما مضى ، قد كان الناس يتذوقون طريقة « الأغانى » فى ترجمة امرىء القيس ثم أصبحوا لا يتذوقونها ويودون عرضاً جديداً ، يتفنن فيه كما يتفنن فى عرض الثياب فى مخازن البيع ، وكان الناس يتذوقون كتب الفقه على نمط حاشية ابن عابدين فأصبحوا يمجونها ، وأسلوب كتب الدين القديمة لا تجارى أذواق الناس فى العصر الحاضر — فيجب أن يدخل التجديد فى القديم ، وهذا ما فعلته كل الأمم فى تراثها ، كما يجب أن يلوّن جديد الأوربيين عند نقله الينا بما لنا من منطق خاص وأسلوب فى التفكير خاص

انا إن فعلنا ذلك نلنا الحسنيين ، وأخذنا خير ما فى الذخيرتين ، ووصلنا الى الغرض من غير ثورة ، وأدركنا الغاية فى غير عنف

احمد أمين

ثقافتنا القومية

وما ينقصها من عوامل القوة

بقلم الدكتور امير بقطر

« . . إن عهد الثقافة المدرسية يكاد ينقضى باتمام الدراسة الثانوية ، إذ أن كل دراسة بعدها تعد دراسة احترافية بحتة ، فدراسة الطب والهندسة... تكاد تنحصر فى اكتساب الحذق اللازم لمزاولة المهنة ولا تزيد المرء ثقافة . . »

الثقافة هى الكيفية التى بها يعيش الناس ويفكرون ويحسون ، أى كل ما يتعلق بالعيش والتفكير والوجدان . فهى اذن أوسع دائرة من التربية كما أن التربية أوسع دائرة من التعلم . وبغض النظر عن أصل هذا التعبير فى اللغة العربية ، فان الكتاب قد أطلقوه على ما يقابل فى الألمانية لفظة Kultur وفى كل من الفرنسية والانجليزية لفظة culture

مصادر الثقافة

ليست معاهد التعليم وحدها هى المسئولة عن ثقافة أبناء الأمة ، وإن تكن فى مقدمة جميع المصادر التى تستق منها هذه الثقافة . وبين هذه المصادر نظام الحكم ، وسياسة الحكام ، وخططهم بازاء المحكومين ، ونظام الأسرة ، وأماكن العبادة ، والمؤسسات الدينية والخيرية ، وتوزيع الثروة ، وجغرافية البلاد الطبيعية ، وطرق المواصلات ، ونسبة طبقات الأمة الاجتماعية بعضها الى بعض ، ونوع التقاليد والعادات الموروثة ، ومقدار العدالة والأمن العام والروح المعنوى

وليست الثقافة كمية جامدة محدودة ، بل هى دائرة مرنة تتسع وتضيق وتتلون وتتغير بتغير هذه المصادر . وقد ظل هذا التغير يسير بخطى ضيقة بطيئة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حينما أخذ يعدو بسرعة تكاد تفتك بمن هم دون المتوسط فى الذكاء من بنى البشر . ولعل أبطأ هذه الخطى كانت فى القرون السبعة عشر التى جاءت بين أرسطو فى القرن الرابع قبل الميلاد وروجر بيكون فى الثالث عشر بعده ، وهى الفترة الطويلة التى لولا أن الرهبان والعرب عكفوا خلال بعض سنواتها على ترجمة الثمين من علوم الأقدمين ، لاستطعنا أن نقول إنها الفترة التى فيها استولى على العقل البشرى سبات عميق ، حتى أيقظه روجربيكون ، وفرنسيس بيكون ، وجاليليو ، ورجال

النهضة العلمية والنهضة الفنية، والاصلاح الدينى، والثورة الصناعية ، والانقلاب الاقتصادى ، والسير نحو الديموقراطية . وما برحت سرعة هـذا التغير تتضاعف حتى جاءت المخترعات الحديثة فى نهاية القرن التاسع عشر الى يومنا هذا ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى بلغت السرعة مبلغاً يخشى منه المتشائمون سوء العاقبة

ولم يكن الفضل فى ثقافتنا لقوات الطبيعة بل لاكتشاف الطرق التى استخدمنا بها هذه القوات، وكما أننا مدينون للتطور بحياتنا ، فاننـا مدينون لثقافتنا بكيفية العيش والتفكير والوجدان التى تميزنا عن سائر الحيوان ، وفى حين أن التطور evolution نتيجة طبيعية ، فان الثقافة وسيلة صناعية artificial . ويتضح من هذا أن الثقافة تشمل عنصراً ماديا وهو ما يتعلق بكيفية العيش عامة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، وعنصراً حسياً يشمل ركنين : الأول صقل الذهن ، وهو ما عبرنا عنه بالتفكير ، والثانى تهذيب العاطفة ، وهو ما عبرنا عنه بالوجدان

بهذه المقدمة التى لم نر مندوحة عن الاتيان بها ، ننتقل الى الكلام عما يعترى ثقافتنا القومية من عوامل الضعف ، أو ماشاء «الهلال» أن يسميه تأدبا «ما ينقصها من عوامل القوة» وسنحصر بحثنا فى النقط الآتية :

الجمود الفكرى

تتجلى هذه الظاهرة مجسمة فى طبقة المتعلمين من أبناء مصر بكيفية تحار لها من يتصل بنا من الغربيين ، الذين يظنون خطأ أنها صفة ملازمة لما يسمونه هم العقلية الشرقية . وأعنى بطبقة المعلمين خريجى المعاهد الثانوية والعالية على السواء ، فهم — بلغوا من العمر ما بلغوا — يميلون عادة الى قبول الآراء بغير فحصها ، والتسليم تسليما أعمى بما يقرأون ، أو بما يدور على ألسنة العامة ، أو ما تخطه أقلام صغار الكتاب من أقوال وعادات وتقاليد ومعتقدات لا تستند على أسس متينة علمية حديثة

ويرجع جل هذا النقص الى نظام التعليم فى بلادنا ، ذلك النظام الذى يضع فى أيدى الطلاب فى المادة الدراسية كتابا واحداً ، يكادون يستذكرونه عن ظهر قلب ، فيشبون على تقديس كل ما يطبع أو ينشر ، لأنهم لم يألفوا الاطلاع على عدد كاف من الكتب والمؤلفات والآراء المنوعة فى الموضوع الواحد . وقد أدى هذا النظام الى عيوب جسيمة فى الثقافة القومية ، منها ضآلة المعلومات العامة ، وكراهية المطالعة ، أو حصرها فى دائرة الصحف وبعض المجلات ذات « الوزن الخفيف » وعدم التعود على اقتناء الكتب ، وشرائها بانتظام كالثياب ، والجلد على استيعابها ، والتلذذ بها ، وعدم اقدام الاخصائيين منا على البحث العلمى ، مما حدا ببعض النقاد الى أن يقول ان معظم المتعلمين من المصريين لا يزالون أميين

وتجدر الاشارة هنا الى أننا اذا استثنينا كليات الآداب ، فان عهد الثقافة المدرسية يكاد ينقضى

باتمام الدراسة الثانوية ، إذ أن كل دراسة بعدها تعد دراسة احترافية بحتة . فدراسة الطب والهندسة والمحاماة والزراعة والتجارة كتعلم الحدادة والسباكة والنجارة والحياكة سواء بسواء ، أى أنها تكاد تنحصر فى اكتساب الحذق اللازم لمزاولة المهنة ولا تزيد المرء ثقافة ، اذا استثنينا عدداً قليلا من المواد . فلا تظن مثلا ان خريج مدرسة الهندسة أكثر ثقافة من خريج مدرسة ثانوية لان دراسة الهندسة لم تكسبه ثقافة ، بل حذقاً ومهارة فى مهنته وحسب . وقد أحسن الهلالى بك وزير المعارف الأسبق فى تسمية مرحلة الدراسة الثانوية التى تعد الطلبة لنيل شهادة البكالوريا بالمرحلة الثقافية ، كما أنه أحسن فى تسمية السنة التى تليها باسم السنة التوجيهية أو الاعدادية . وتتفق هذه التسمية مع الواقع أولا ، ومع مثلها فى كثير من البلدان الغربية ثانياً

يتبين من هذا أن معظم اللوم يقع على نظام التعليم ، مناهجه وطرقه ، فى المدارس الابتدائية والثانوية على الاخص ، وعلى أساليب التعليم دون مناهجه فى المدارس العالية . وإذا كانت عبادة الكتاب الواحد للمادة الواحدة ، وتقديس المذكرات الضئيلة التى يعدها المعلم للطالب ، وتأليه الامتحانات العامة وجعلها غاية التربية لا وسيلتها ، وعدم تشجيع الاطلاع على عدد واف من آراء الكتاب والمؤلفين فى الموضوع الواحد ـ إذا كانت هذه عيوباً جسيمة فى أساليب التعليم ، فان طريقة المطالعة فى مادة اللغة العربية ، أشد هذه العيوب وأكثرها جسامة ، كما أن أساتذة اللغة العربية وأساتذة أساتذتها ، هم أشد المعلمين تحملا لهذه المسئولية . كيف لا وهم يخلطون بين القراءة لغرض تقويم اللسان والنطق الصحيح، وبين القراءة لغرض الالمام بالمعلومات العامة وتفهمها؟ أى أن أساتذة اللغة العربية لايزالون ينظرون إلى المطالعة كأنها ضرب من ضروب الالقاء والخطابة، رغم ان تسعة أعشار الطلبة لن يحتاجوا الى هذا الضرب من التعلم فى مستقبل حياتهم ، ولكنهم جميعا يحتاجون الى القراءة للالمام بالمعلومات العامة التى بها يتفهمون هذا الكون وما يجرى فيه من حوادث

وقد أدى هذا الخلط بين النوعين الى أن الطالب فى المدرسة الثانوية أو الابتدائية لا يطالع فى السنة الواحدة سوى بضع صفحات من كتاب واحد، فى حين أن زميله في أوربا قد يطالع عشرة أو عشرين كتابا ، وقد رأيت مدرسة ابتدائية فى أميركا يطالع تلاميذ السنة النهائية فيها أربعين كتاباً فى العام الواحد . ولذا نسمع كثيراً فى خلال العشرين سنة الماضية عما يسمونه هناك « القراءة الصامتة السريعة »

ولا شك ان القراءة فى مدارسنا هى مران لفظى أو « جباز » ليس إلا ، فى حين انها فى المعاهد الأوربية الراقية وسيلة للالمام بما فى بطون الكتب والمجلات الراقية من معلومات عامة ثقافية . ولا يغيب عن أذهاننا أن القراءة فى مدارسنا هى من بقايا القرون الذاهبة ، التى كانت الكتب فيها تعد على الأصابع . أما الآن والمطابع تخرج آلاف الكتب والمجلات بالوفرة التى تخرج بها الآلات

الجوارب والأحذية وزجاجات المصابيح الكهربائية ، فان المطالعة يجب أن تكون سريعة الى درجة تناسب هذه الآلات ، وان تتابع الآراء الحديثة ، وتلاحق ما يجرى أمامنا من حوادث عصر الصناعة والاختراع والبحث العلمى . وأهم من ذلك أن يتخلل هذه المطالعة الغربلة والتمحيص ، وعدم تأليه ما يكتب لمجرد كونه مطبوعاً أو مزخرفاً بالألفاظ المنمقة الخلابة ، فان من مصائب هـذا الانتاج السريع أن معظم ما يكتب محشو بالاخطاء

من أقوال رمزى مكدونالد أن خير مقياس للثقافة هى أن يستطيع المرء أن يجلس بجانب الموقد عدة ساعات والكتاب سميره الوحيد «وخير سمير فى الزمان كتاب» ثم ينهض وهو يحس بما تركته هذه الزمالة والصداقة من الأثر فى نفسه . إن التلذذ بالمطالعة وحب القراءة بين السطور كما يقولون (أى التفكير) هو الذى يميز المثقف عن سواه . والثقافة الحقيقية كما قال أحد رجال التربية هى ما تبقى لدينا بعد أن نسينا ما تعلمناه فى معاهد التعليم . وقد يكون فى هذا القول تناقض ظاهرى ، بيد أن هذه هي الحقيقة بعينها ، إذا تذكرنا اننا ننسى جميع التفاصيل فيما تلقيناه من الدروس غير اننا لا ننسى الروح التى تسودها طالما كانت ثقافتنا جديرة بهذا الاسم . ونعود فنقول إن حمى الامتحانات والنتائج فى مدارسنا أدت الى تضحية التفكير على مذابح الحفظ والاستذكار ، وإيثار النظام على الحرية ، وجعل الهضم فى عملية الفهم من وظيفة المعلم دون الطالب ، والالتجاء الى الضغط فى التوصل للنتائج المنشودة. وبهذا بعدت مدارسنا عن التثقيف ، بعد الخوف من الحب ، والخشية عن الاحترام . ولابدع اذا قال لنا برنارد شو انك اذا علمت أحداً شيئاً فأنه لن يتعلمه . وقال لنا آخر إنك اذا قمت بغسل هرتك بيدك ، فانها تنسى على مر الايام أن تغسل نفسها بلسانها . وقال افلاطون فى جمهوريته إن كل معرفة تلقاها ذووها تحت سلطان الضغط لا ترسخ فى الاذهان

بأية لغة نتثقف ؟

وهناك تهمة تتهم بها اللغة العربية ، لا استطيع الجزم بصحتها ، ولا أستطيع من الناحية الاخرى انكارها ، واذكرها هنا لعلاقتها الوثيقة بمسألة التفكير . وهذه التهمة ذات شقين : الشق الأول حملة عنيفة على التنافس بين اللغتين الفصحى والعامية (Bilingualism) وآثار هذا التنافس فى الحياة الفكرية . وإنى انقل هنا القارىء فذلكة من كتاب وضعه سير وليم ولكوكس فى هذا الشأن هذه ترجمتها: «عشر سنوات طوال قضيتها فى مدرسة الهندسة الملكية (فى مصر) كمحاضر وممتحن، شاهدت فيها عدداً يذكر من الطلبة الاذكياء يتلقون الدروس بلغة عربية فصحى صناعية ، وليس بلغةمصر الحية الطبيعية . لم يكن هناك من غبار على أولئك الطلبة فى تلقى دروس الرياضة فى المدرسة ، ولكنهم لم يكادوا يقدمون على الرياضية العملية العالية حتى انهكت السخرة الذهنية تفكيرهم ، وعجز أنبغهم عن الابتكار فى مستقبل حياتهم ، بل حصروا جهودهم فى ترجمة آراء الغير ، أى أولئك

السعداء من بني البشر الذين كتب لهم حسن الطالع أن يتعلموا دروسهم منذ نعومة اظفارهم باللغة التي بها يتكلمون . أقول هذا وفي ذاكرتي أصدقاء وزملاء من نابهي المصريين الذين لولا هذا العيب اللغوي ، لتبوأوا أماكنهم السامية بين زملائهم من مهندسي الممالك الأخرى الذين لم يكتب عليهم الدهر بأن يفكروا بلغة ويكتبوا ويقرأوا بأخرى . وكيف يتسنى للحم والدم أن يتحملا هـذا الاجهاد ، طالما خلق الانسان برأس واحد لا برأسين ؟ أذكر الآن طالبين مصريين نابغين . كان لابد أن يكون لهما شهرة عالمية ، فيما لو أتيح لهما أن يكتبا باللغة التي بها يتكلمان كما يفعل زملاؤهما ــ والحمد لله ــ في أوربا الوسطى والغربية . . . »

والشق الثاني من هذه التهمة يحمل على تدريس اللغات الاجنبية في مصر ، بدعوى أن خريجي مدارسنا الثانوية والعليا بعد قضاء ثماني سنوات الى خمس عشرة سنة في دراستها لا يحسنونها ولا يتيسر لهم فهم كتبها ومجلاتها أو التلذذ بها ، أو تذوق حلاوتها ، مع العلم أن ما تنتجه القرائح باللغة العربية وحدها لا يكفي للثقافة الحقة . واني مع احترامي لرأي السير وايم ولكوكس ، وميلي الى التسليم به مبدئيا ، فانني أجد ميلا لمناصرة الشق الثاني من التهمة ، لأنني أعلم بالاختبار أن اكثر من ٩٠ ٪ من خريجي مدارسنا العالية والثانوية في خلال العشرين سنة الماضية لا يحاولون مطالعة كتب باللغة الاجنبية التي درسوها ، واذا حاولوا فانهم لا يفهمونها ولا يستمتعون بها . يضاف الى ذلك ما قاله غوته الالماني من أن الرجل الذي لا يحسن سوى لغته لا يحسن لغته

ومما يكاد يؤيد هذه التهمة ذات الشقين أن البحث العلمي يكاد يكون معدوما في بلادنا ، وإذا استثنينا بعض المجهودات الضئيلة في هذه الناحية في كلية الطب في القصر العيني فاننا لم نضف الى الخزانة العلمية العالمية طيلة قرن كامل شيئا من مبتكراتنا ، وثمرة بحوثنا (research) نفاخر به

اهمال تربية الذوق السليم

ويرجع هذا العيب في الغالب الى الاعتقاد بأن هذا من الكماليات التي ليس ثمة مجال للعناية بها . والغريب أن مستر «مان» الخبير الانجليزي في فن التربية أنحى باللائمة على وزارة المعارف العمومية لأنهـا تنفق بعض الجنيهات ، في هذا السبيل ، بدعوى أن هـذا آخر ما يجدر بها التفكير فيه ، وبدعوى أن هناك سبلا أخرى للاصلاح وأن الاهم قبل المهم ! نقول غريب من مستر مان أن يثير هـذه المسألة بطريقة معكوسة ، وهو يعلم كل العلم أن ثقافة لا يتخللها بعض الالمام بالفنون الجميلة دائرة معوجة محدودبة ، تنقصها تلك الاستدارة التي تكسبها الكمال والانسجام والتماثل والجمال . وهل يليق بأمة مضى على تأسيس نظامها التعليمي مائة عام كامل أن يجهل أبناؤها المتعلمون كل الجهل تقريبا ما يتعلق باللوحات الزيتية البديعة والتماثيل الرخامية الشهيرة واسماء فنانيها ، ودور التحف الموجودة بها ؟ وهل يليق بأولئك المتعلمين أن يجهلوا أسماء اشهر الموسيقيين في العالم

والمقطوعات الموسيقية التى يلعبونها و « الاوبرا » و « الابريت » الخالدة ولا يستطيعون التذوق من الحانها والاعجاب بها وتمييزها من سواها إذا ما استمعوا اليها ؟ تحدث يوماً مع خريجى مدارسنا العالية عن دى فنشى ، أو رفائيل ، أو ميشيل انجلو ، أو روبنز ، أو فان ديك ، أو شوبان أو بيتهوفن ، أو فجنر ، أو فردى ، أو بتشينى ، أو بفلوفا ، أو تسكنينى ، أو بادورسكى ، أوغيرهم من أبطال التصوير والنحت والموسيقى والأوبرا والرقص وسجل النتيجة المحزنة بعد ذلك . أو اذهب شتاء الى أوبرا القاهرة وعد الطرابيش الحمراء ثم انظر الى ذويها وهم جلوس فى ملابس السهرة ، لا يفرقون بين نشيد « السوبرانو » وعويل الندابة ، وبين صوت « التنور » وخوار الثور . وسجل ثمرة التعليم عن مائة عام تجدها خاوا من تلك النكهة الحلوة العبقة التى تمتاز بها الثمار . اذا استثنينا ما شببنا عليه من حب الشعر والاعجاب بالأدب وتقدير التمثيل

جاء فى كتاب « المدنية » لمؤلفه كلايف بل : أن علائم المدنية ــ أمثال تلك التى زهت فى عصر بركليز فى أثينا ، والقرن الخامس عشر فى ايطاليا ، والثامن عشر فى فرنسا ــ اثنتان هما : أولا حب الجمال لذاته ، والاعجاب به ، وتفهم كنهه ، وثانيا سيادة العقل على العاطفة والتقاليد

الجانب الخلقى

إن اهمال العناصر الخلقية قد تولد عنها عيوب ونقائص بادية للعيان ، كادت تلازم حياتنا القومية والاجتماعية ، وأضحت يشار اليها بالبنان ، فلا يكاد أحد الأجانب يفد الى مصر ويقضى فيها بضعة أشهر حتى يرى هذه الثغرات فى الخلق مجسمة تجسيما لا يدع مجالا للشك . وبين هذه العيوب الانانية . وعدم الشعور بمسئولية الفرد نحو المجموع ، والدس والخديعة قصد الزلفى للرؤساء ، والضعف فى التنظيم والتعاون والعمل جماعات ، برغم القوة الكامنة فى الأفراد . والتعصب للآراء والتقاليد والتحامل على من يخالفها قولا وكتابة ، وان جاءت فى حدود الدستور ، وعدم الصراحة فى القول والعمل

وتعزى بعض هذه النقائص الى جهل السواد الأعظم ، وأقلية الطبقة المتعلمة وحاجتها الى الشجاعة الكافية ، وإلى بعض التقاليد والمعتقدات المتأصلة ، ونوع التعليم المدرسى وطرقه ، ونظمه الجامدة العسكرية ، والبيروقراطية فى الدواوين الحكومية ، وبعد الشقة فيها بين الرئيس والمرءوس ، وما تركته لنا السلطة فيها من الصلف ، والاستبداد ، والخديعة ، والدس ، والمداهنة ، وعدم الصراحة

لماذا نخشى المدنية الحاضرة ؟

لو كنت من ذوى الحل والربط القائمين بشئون الثقافة فى البلاد لحملت حملة شعواء على اولئك

الذين لا يقدمون رجلا إلا ويؤخرون أخرى ، ويقفون بنا مواقف التردد والخوف والشك فى المدنية الحاضرة ، بدعوى انها غربية غريبة عنا ، ويريدون ان يكون لنا مدنيـة خاصة بنا اسمها شرقية . لو أتيح لى لحملت على هؤلاء لأنني لا أعتقد أنه من المستطاع أن تكون هناك مدنيتان فى آن واحد ، وأن الكلام عن مدنية شرقية ومدنية غربية ما هو إلا تلاعب بالألفاظ وخلط فى المعانى . هذه اليابان والصين أمتان يقال عنهما شرقيتان . ولكن لعمرى هل هناك من تشابه بين العنصرين سوى صفرة اللون واحديداب العينين ؟ الصينيون يسبحون فى عالم الفلسفة والتأملات الخيالية ، واليابانيون يهرعون إلى ميادين الجد والعمل والنشاط . الصينيون انفراديون مولعون بالآراء النظرية ، واليابانيون يتعاونون على تكييف النظريات تكييفا عملياً يناسب أحوالهم العامة . الصينيون ينظرون الى الماضى ، ويأملون أن يحمل المستقبل فى أجنحته مفتاح الفرج ، واليابانيون ينظرون الى الحاضر فيسخرونه فى قضاء حاجاتهم . الصينيون لا يزالون يخشون المدنية الغربية وملابساتها . واليابانيون اقتبسوا طرق الزراعة وفن التربية من أميركا ، والبحرية والهندسة من انجلترا ، والطب والدقة العلمية والحربية من ألمانيا ، والفنون الجميلة من ايطاليا وفرنسا . فهل بعد هـذا نقول ان اليابان قد ابتكرت لنفسها مدنية شرقية ؟ وما هى المدنية الغربية ؟ أليست هى التى اقتبست من فلسطين دينها ، ومن رومة شرائعها ، ومن أثينا مقاييس الجمال فيها ؟ فما بال ذلك النفر منا يخشى طغيان ما يسمونه المدنية الغربية ، فيجعل النشء منا يقف مكتوف اليـدين ، ينظر الى الوراء تارة والى الامام أخرى ؟ اننا نريد ثقافة القرن العشرين وحسب . فاذا كان فى الماضى والقديم ما يغذى عيشنا ويسمو بوجداننا ويغذ تفكيرنا ، اقتبسناه وأقبلنا عليه مرغمين . واذا كان فى الحاضر والجديد ما لا مندوحة منه لعيشنا وما فيه عزاء لوجداننا وغذاء لأذهاننا ، هرعنا اليه ، رضينا أم لم نرض . فلنسر فى طريقنا الى ثقافتنا القومية بغير تردد ، فالتردد وقوف وجمود ، والسير تقدم ونهوض . ومن سار على الدرب وصل

أمير بقطر



المعلم المصرى فى مائة سنة

بقلم الدكتور زكى مبارك

مهنة شاقة لا مجد فيها ـ بانشاء المدارس الحديثة عرف المعلمون وجع الدماغ ـ المعلم الأولى وكيف حارت الحكومة فى أمره وحار هو فى أمر الحكومة ـ هل مشكلة المعلمين أعقد من القضية المصرية ؟

ليتهم اختاروا لهذا الموضوع كاتباً سواى ، فقد شقيت بمهنة التدريس ، ثم شقيت وشقيت ، فلم أرها فى مصر الا خليقة بالوصف الذى رأيته فى مجلة المسيو لاييك منذ سنين

مهنة بلا مجد Metier sans gloire

لم أعش مائة سنة كما ينتظر قارىء هذا الحديث . وانما اشتغلت بالتدريس عشرين سنة كانت على كاهلى أطول من عمر نوح ، لأنى خبرت التدريس فى نواح كثيرة ، فاشتغلت بتدريس اللغة الفرنسية واللغة العربية ، وشربت العلقم فى مدارس البنين ومدارس البنات ، وتوليت التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ،وعانيت المصاعب فى المدارس المصرية والفرنسية والامريكية، فأنا فى هذه المهنة كالذى عاش عشرات المئات من السنين

وأقول بلا تردد إن المعلم المصرى كان دائماً سيء الحظ ، ولا أستثنى غير أساتذة الأزهر الشريف قبل أن يعرف الأزهر نظامه الجديد ، واليكم بعض البيان :

كان أساتذة الأزهر فى الأيام الخالية يعيشون فقراء ، لأن مرتباتهم كانت تعد بالقروش ، ولكنهم كانوا يعيشون فى نعمة سابغة من الاحترام والتبجيل ، فقد كان كل أزهرى يرى من واجبه أن يقبل أيدى المشايخ الذين يراهم وان لم يكونوا من أساتذته ، وكان المشايخ يشعرون جميعاً بعاطفة الأبوة ، ويتمثلون ظلال الجنة فى كل حين

وكان الأزهرى يعود الى بلده فلا يجرى لسانه الا بكلمة : « كان شيخنا يقول ، وكان شيخنا يأمر بكيت ، وكان شيخنا ينهى عن كيت » ، وكان أهل الريف لا يحسبون مشايخ الأزهر الا جماعة من الملائكة المقربين .. وحسن السمعة وبعد الصيت من أطيب الأرزاق

ولكن دنيا التعليم لم تقف عند الأزهر وحده ، فقد جاء محمد على الى مصر ، جاء وفى رأسه

أقباس من المدنية الحديثة ، فجعل من همه أن يصل مصر بأسباب التمدن الحديث ، وكذلك تبدأ « المائة سنة » التى نتحدث عن أخبارها فى هذا المقال

أنشأ محمد على طائفة من المدارس المدنية ، وبانشاء هذه المدارس عرف المعلمون وجع الدماغ ، فقد انقسموا الى طائفتين : طائفة تعلم العربية والشريعة الاسلامية ، وطائفة تعلم اللغات والرياضة والجغرافيا والتاريخ

وكان بين هاتين الطائفتين تحاسد وشقاق ، فقد كان المعلم من الطائفة الأولى يقبض فى الشهر مائتى قرش ، وكان المعلم من الطائفة الثانية يقبض فى الشهر خمسمائة ، وكانت تلك بداية النفرة بين هاتين الطائفتين

وكان معلم اللغة العربية والدين ينظر الى معلم الرياضة نظرة ملؤها الحذر والريب ، فقد كان معروفا فى البيئات المصرية أن العلوم الحديثة ليست الا طلائع الزيغ والخروج على الدين ، وكان معلم العلوم الحديثة يتهم رجال الطائفة الأولى بالرجعية والجمود

وقد ظلت هذه الوساوس حية فى أنفس المعلمين الى عهد قريب ، وكانت أساس الفرقة بين طائفتين تقومان على تخريج الجيل الجديد

وكان يتفق فى أحيان كثيرة أن يثور المعلمون بعضهم على بعض بالتجريح والاغتياب فى أثناء الدروس ، فنشأ عن ذلك داء وبيل : هو هوان الأساتذة فى أنفس التلاميذ ، ومن ذلك العهد عرف فى الجو المدرسى لون جديد من الثرثرة ، هو التهكم والسخرية من المعلمين

***

ولم يقف البلاء عند هذا الحد ، فقد أعلنت الحكومة أن المعلمين تعوزهم أشياء ، وأنه لا بد من إرسال بعثات الى الأقطار الأوربية ، وعند ذلك صغر الأساتذة فى أعين التلاميذ من جديد ، وشعر الاساتذة بأنهم فى بيئتهم غرباء

ومنذ ستين سنة أو تزيد رأت الحكومة أنه لا بد من انشاء مدرستين للمعلمين ، مدرسة للعلوم العربية ومدرسة للعلوم الحديثة ، فأنشأت بذلك جيلين يقتتلان ، وزاد فى الفرقة ما صنعه المستر دانلوب حين قضى بأن يأخذ مدرس العربى ثمانية جنيهات وأن يأخذ مدرس العلوم الحديثة اثنى عشر جنيها ، فكان المعلم يوزن فى أعين الناس بغطاء رأسه ، وكان ذلك بداية الحرب بين العمامة والطربوش

وظلت هذه الفرقة بين الطبقتين الى أن جاء موسم تعديل الدرجات الذى قضى به الخوف من بأس المشايخ بعد الثورة المصرية ، فهو عدل لم يقع عن ترفق ، وانما أملته الظروف

على أن النزاع بين هاتين الطبقتين لم ينمح بالرغم من تساوى الدرجات ، فما زال أبناء دار العلوم يرون أنفسهم مضطهدين ، وما زالوا يرون معهدهم نفسه لا يتولاه الا رجل تخرج فى

المدارس الدنية ، وما زالوا يتطلعون الى المناصب العالية التى حرمتهم منها التقاليد ، تقاليد وزارة المعارف التى توسع مسافة الخلف بين العمامة والطربوش

وبهذه المناسبة أذكر أن المعلمين قاسوا فى مطلع النهضة الحديثة ما يقاسونه فى هـذه الايام ، فكان فيهم المعلم الفني ، والمعلم ذوالخبرة والكفاية ، وكان المعلمون الفنيون ينقسمون الى طبقتين : طبقة المتخرجين فى المدارس المصرية ، وطبقة المتخرجين الذين أتموا دراستهم فى المعاهد الأوربية ، وكان بين الطبقتين نزاع شديد يمثله قول بعض المفتشين : « لو كنت من الذين شربون ماء التاميز لكان مرتبى اليوم سبعين جنيها » وقد اعترضت على قوله « شربون» فقال : تلك لغة من يذهبون الى أوربا فيفقدون الافصاح !

ومما زاد التطاحن فى بيئات المعلمين انقسام معاهد التعليم الى أميرية وأهلية ، فقد كان من المألوف أن تعتمد المدارس الأهلية على مدرسين غير فنيين . وكان من أثر ذلك ان كثر الطعن بالحق وبالباطل في المدارس الاهلية ، ومضت وزارة المعارف فأصدرت قانون التعليم الحر ، وهو قانون كان يجب اصداره ، ولكن تطبيقه أحيط بمكاره كثيرة . فكان من ثمراته ان قام المدرسون بالمظاهرات . وكانت المظاهرات فنا لا يحسنه غير التلاميذ ، ثم تبين أن الأساتذة يجيدونه اجادة تامة ، ولهم فيه قواعد وأفانين !

ثم ماذا ؟ ثم دخل فى هيئة المعلمين عنصر جديد ، وهو المعلم فى المدارس الأولية . وقد استطاع ذلك المعلم أن يضيف الى المشكلة لونا جديداً ، فقد حارت الحكومة فى أمره ، وحار هو مع الحكومة . فما نعرف أيهما الظالم وأيهما المظلوم !

كانت الحكومة تعطى ذلك المعلم أربعة جنيهات ، وتمنحه علاوة كبيرة جدا هى خمسة وعشرون قرشا فى كل ثلاث سنين ، فاذا بلغ خمسة جنيهات كان عليه أن يقنع بها حتى يموت

ولكن ذلك المعلم الجاحد لم يرض بتلك النعم السوابغ ، فمضى يتأفف ويتذمر ، ويتشكى ويتاوم ، وينشىء النقابات والمجلات ، ويذرع الأرض من رشيد إلى اسوان ، عساه يظفر بمن يستمع الى ما فى صدره من شكاية أو رجاء . وظل كذلك حتى ظفر بتعديل موعود ، هو البدء بخمسة جنيهات ، والوصول فى نهاية العمر الى ثمانية جنيهات

وحياة هذا المعلم الأولى لم تخل من فكاهة ، فقد ثار مرة على العمامة والجبة والقفطان ، ولكن وزير المعارف الاسبق حلمى عيسى باشا كلف المديرين بمراقبة أولئك المعلمين ، وأفهمهم بأن الطربوش والجاكته والبنطلون ملابس لا ينظر اليها الفلاح بعين الارتياح ، وكانت مشكلة شغلت بها الجرائد زمنا غير قليل

بقى التفتيش . وقد حدثنا كثير من المدرسين فى هذه المسألة بالذات ، ولو صح ما سمعت لكان من الواجب أن ننتهز هذه الفرصة فنصنع من تلك المشكلات ألوانا من الأقاصيص

يقولون إن بعض المفتشين يذهب الى المدارس غيلة ، والعياذ بالله ، فيقف على السلم يتسمع ، ولا يظهر الا إن تنبه له أحد الفراشين

ويحكون أن مفتشا ذهب الى احدى القرى فرأى شيخا فى الطريق فصرخ : يا أستاذ ، يا أستاذ الساعة ثمانية وأنت رايح فين ! ! فقال ذلك الشيخ : أنا عالم شرعى ولست مدرساً ، ولله الحمد !

ومن المؤكد أن المفتشين ليسوا جميعاً كذلك ، ولكن المفهوم فى الجو المدرسى أن المفتش رجل يغلب عليه التحكم والسيطرة ، وحضوره الى المدرسة يكاد يشبه حضور الجلاد الى أفنية السجون

وتجاربى فى هذا الباب لا تدل على شىء ، لان المفتشين الذين زاروا دروسى فى مدرسة التوفيق القبطية والجامعة الامريكية كانوا يتلطفون معى أشد التلطف ، لانهم كانوا فى الأغلب من الاصدقاء ، ولانهم كانوا يعرفون أنى قد أعرض لهم يوما فى الصحف ، ولكن لامفر من التصريح بأن التفتيش فى المدارس لا يخلو من عنف ، وأن التفتيش المدرسى كالنقد الادبى يعتمد على التجريح ولا أقول التنكيل

ثم ماذا ؟ أتحسبونني سأسكت ؟ هيهات !

لقد حدثتكم عن المعلم فى المدارس الاولية والابتدائية ، والمدرس فى المدارس الثانوية

فما رأيكم فى أساتذة المدارس العالية ؟ اسمعوا

لقد كان يظن أن الاساتذة فى المدارس العالية ينعمون بما ينعم به أمثالهم من كبار الموظفين ، ولكن الامر بالعكس ، فالاساتذة فى المدارس العالية هم أيضا من المظلومين

فان أردتم الدليل على ما يقاسى أساتذة المدارس العالية من الغبن فتذكروا ما يصنع أساتذة كلية الحقوق الذين يصلون الليل بالنهار فى سبيل الانتقال من سلك التعليم الى سلك القضاء

وهل هناك دليل على غبن المعلمين أنصع من الدليل الآتى :

حدثونى كم مرة راعى فيها أولو الامر أن يكون وزير المعارف من المعلمين ؟

امتحنوا ذاكرتكم أيها القراء ، ودلونى على رجل واحد تولى وزارة المعارف وهو يحمل اجازة التعليم ؟

وهنا أدخل فى بحث شائك : فقد كان المفهوم دائما أن مدارس المعلمين لا يؤمها غير الفقراء ، لانها كانت مجانية ، ولانها كانت قديما تعطى التلاميذ نفقة شهرية وتقدم اليهم الغداء

الآن فهمت أن المناصب العالية فى مصر لا تمنح الا لمن كان لهم سابقة فى الثراء

وكان الامر كذلك لان منصب الوزير كان محفوفا دائما بظلال من الطنطنة لا يقدر على تكاليفها غير الاغنياء

ولكننا قرأنا فى الجرائد أننا فى عصر الديمقراطية وأن من العمال من يصيرون بحكم الشعب وزراء . فما الذى يمنع من اجراء هذه التجربة فى هذه البلاد ؟

ان الايام المقبلة ستكون أيام كد وكدح . والمعلمون هم أصلح الناس للنضال . وهم بحكم مهنتهم تأدبوا بأدب الانبياء . ألم تسمعوا أن الله قضى على جميع الانبياء برعاية الغنم وهم أطفال ليتعودوا الصبر ، وليعرفوا كيف يكون النظام وحسن التصرف ؟

إن مركز المعلم المصرى لن يرتفع الا إذا صار من التقاليد أن يكون وزير المعارف من المعلمين

أتريدون أن يكون المعلم طول عمره موقوف الامانى على شهادة الناظر والمفتش ؟

اتقوا الله فينا يا حكام هذه البلاد . فنحن الذين علمناكم وعلمنا أبناءكم . ونحن الذين قومنا الألسنة الفصيحة التى تصول وتجول تحت قبة البرلمان

من الظلم الفادح أن يظل المعلم فى مصر مغلول الامانى ، مصفد الاحلام . من الظلم الفادح أن يكون المعلم المصرى فى الذيول بين الطبقات العالية ، وأن لا تستطيع زوجته أن ترفع رأسها فى حضرة سيدة زوجها رئيس قلم فى بعض الدواوين

ولكن ، أليس للمعلمين ما يعوض عليهم هذا الغبن الممقوت ؟

بلى ، فقد تغديت على مائدة أحد الكبراء منذ أيام ، وكان على المائدة كثير من القضاة والمحامين، فرأيت المدرسين موضع الحديث ، ولكن كيف ؟ كانت التوابل الشهية محصورة فى النوادر التى تقع فى قاعات الدروس ، وكانت السخرية من نوادر المدرسين أفعل من الابسنت فى إيقاظ الامعاء

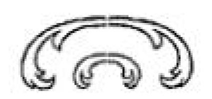
ومن سوء الحظ أن «خوجة العربى» كان البطل فى جميع الروايات ، فكنت أشعر بامعائى تنقبض ، وقد وقف الطعام فى زورى مرات ، ولم ينقذنى الا القول بأنى مدرس ترجمة ، والمترجمون فيما رأيت أعلى من المدرسين

***

أنا أنكر أن يقيم المعلمون مظاهرة ، وأرجو أن تسرع الحكومة الى اكرامهم بالانصاف

لقد استطعنا أن ننقل المسألة المصرية من وضع الى وضع ، أفلا نستطيع أن ننقل مسألة المعلمين من وضع إلى وضع ؟ وهل تكون مشكلة المعلمين أعقد من المسألة المصرية ؟

زكى مبارك



لحملة الفرنسية الفضل فى قيام حركة الترجمة ـ رفاعة الطهطاوى رائد الحركة وزعيمها ـ أسفرت حركة الترجمة عن نهضة التأليف ـ قادة الفكر والقلم في القرن الاخير ـ ازدهار حركة الثقافة فى العشرين عاما الاخيرة

حركة الترجمة والتأليف في قرن من تاريخ مصر الحديث

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كان للترجمة فى نهضتنا الفكرية الحديثة أكبر الأثر ، بل نستطيع أن نقول ان القرن الماضى كان بالنسبة لحركتنا الفكرية عصر ترجمة ونقل ، وما تزال الترجمة تؤدى فى حركتنا الفكرية دوراً هاماً لا يقل عن دور التأليف والانشاء

ولم يمثل عنصر الترجمة فى الحركة الفكرية المصرية قبل الحملة الفرنسية ، ذلك ان مصر كانت خلال العصر التركى محرومة من الاتصال بالعالم الخارجى ، ولم تكن اللغة التركية ، وهى اللغة الأجنبية الوحيدة التى كانت معروفة يومئذ ، أكثر من لغة رسمية تستعمل فى الدواوين ، ولم تكن قط بالنسبة لمصر مصدر أية نهضة أو حركة ثقافية . فلما قدمت الحملة الفرنسية الى مصر ، واتخذت الترجمة أداة للتفاهم بين الفاتحين والمصريين ، ترجمت الأوامر والمنشورات الصادرة من القيادة الى اللغة العربية ، وترجمت البعثة العلمية الفرنسية بعض كتب وفصول من العربية الى الفرنسية ، اتجهت الانظار نحو الترجمة ، وأخذت ترى فيها أداة للمعرفة والثقافة . بيد ان الترجمة فى هذا العصر كانت أشد ما يكون سقماً وبعداً عن روح اللغة الأصلية ، ولم تكن أكثر من تعبير ركيك عن المحتويات والمقاصد . وقد أورد لنا الجبرتى فى تاريخه عدة نصوص مترجمة للأوامر الفرنسية ولمحاكمة سليمان الحلبى قاتل الجنرال كليبر ، تدل على مبلغ ما كانت عليه الترجمة يومئذ من الغموض والضعف والابتذال

كان هذا بدء عصر الترجمة فى الحركة الفكرية الحديثة . بيد أن الترجمة لم تغد أداة حقيقية للثقافة والمعرفة الابعد ذلك بنحو ثلث قرن ، حينما عنى المصلح الكبير محمد على بارسال البعثات العلمية المتوالية الى الخارج ، وانشئت مدرسة الألسن ، ويرجع الفضل فى انشاء هذه المدرسة الشهيرة الى رفاعة بك الطهطاوى زعيم مدرسة الترجمة فى مصر الحديثة . فقد أدرك هذا المفكر الكبير

قيمة النقل والترجمة في تكوين الثقافات الناشئة ، واقترح على محمد على انشاء مدرسة لتعليم الآداب والحقوق واللغات الأجنبية . وبذا قامت مدرسة الألسن (سنة ١٨٣٦) وتولى ادارتها رفاعة بك نفسه . وكانت تعلم فيها الفرنسية والانكليزية والايطالية والتركية . وبعد ذلك بعامين أو ثلاثة أنشىء قلم للترجمة من خريجى المدرسة . وكان رفاعة بك نفسه قد ترجم أثناء دراسته بباريس عدة رسائل وكتب فى التاريخ والجغرافيا والفلك والسياسة نذكر منها : (١) نبذة فى تاريخ الاسكندر (٢) نبذة فى الميثولوجيا ، يعني جاهلية اليونان (٣) أصول الحقوق الطبيعية التى يعتبرها الأفرنج أصولا لاحكامهم (٤) نبذة فى علم الصحة (٥) قطعة من كتاب ملتبرون فى الجغرافيا (٦) نبذة في علم الهيئة (٧) قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر . واشتغل رفاعة بك بعد عوده الى مصر بالترجمة والتأليف فألف عدة كتب فى التاريخ والأدب والرياضة والطبيعيات. وترجم عدة أخرى منها قصة لافونتين الخالدة « تلماك » وقد سماها « مواقع الافلاك فى وقائع تلماك » و« تعريب القانون المدنى الفرنسى المعروف بالكود» ، وهو من أجل آثار الترجمة فى هذا العهد . ويقال إن رفاعة بك ترجم كتاب « روح القوانين » لمونتسكيو ولكنه لم يطبع ولم يوجد بين أوراقه . هذا الى مؤلفات ومترجمات أخرى يضيق بذكرها المقام

ومما يروى فى تقدير محمد على للترجمة كوسيلة للثقافة وترقية الحركة الفكرية أنه حين عاد أعضاء البعثة الأولى الى مصر استقبلهم فى مجلسه بالقلعة ، وأعطى كلا منهم كتابا بالفرنسية فى المادة التى تخصص فيها وأمرهم بنقل هذه الكتب الى العربية ، وأمر باقامتهم فى القلعة وألا يسمح لهم بمغادرتها حتى تتم الترجمة ، فصدع الطلبة بالامر وترجموا هذه المصنفات التى عهد اليهم بها ، وطبعت بعد مراجعتها وتنقيحها ثم وزعت على المدارس الاميرية للانتفاع بها

وقد ترجم كثير من أعضاء البعثات العلمية الأخرى في هذا العهد كتبا فى مختلف العلوم والفنون وأخرجتها جميعا مطبعة بولاق ومنها طائفة حسنة فى التاريخ والأدب

وكان لقلم الترجمة الذى اشرنا اليه شأن عظيم فيما بعد فى بث الرغبة فى الترجمة وفى تقوية أساليب النقل والاقتباس ، ومع أنه ألغى مدى حين ، فانه أعيد فى أوائل عهد اسماعيل ، وأسندت رآسته الى رفاعة بك نفسه ، وعين فيه طائفة من المترجين الاقوياء ولا سيما فى الفرنسية والتركية . وكان لهذا القلم أعظم فضل فى نقل مجموعة القوانين الفرنسية الى العربية ، وهى مهمة جليلة اضطلع باعبائها رفاعة بك وعدة من تلاميذه النوابغ مثل قدرى باشا وصالح مجدى بك ، وعبد الله أبو السعود افندى ، وقد كان لهذه الترجمة فضل عظيم فى المعاونة على وضع القوانين الجديدة لنظامنا القضائى الحديث

حركة التأليف

وقد بدأنا بالتحدث عن حركة الترجمة فى القرن الماضى قبل التحدث عن حركة التأليف ، لأن

الترجمة كانت نواة لحركة التأليف الحديثة ، وكانت أول غرس نجنى الآن ثماره فى نهضتنا المعاصرة، بل لسنا نبالغ اذ نقول ان القرن التاسع عشر كان بالنسبة لحركتنا الفكرية الحديثة عصر ترجمة ، وأن هذا العصر لا يزال ممتدا الى هذا اليوم ، وان الترجمة لا تزال عنصراً جوهرياً فى صرح ثقافتنا الحاضرة . بيد أن حركة التأليف قد نشأت أيضا نشأتها المستقلة ، وظهرت ثمارها منذ أواخر القرن الماضى ، وكان للثورة العرابية أثر واضح فى بعثها وإذكائها . ذلك أن الثورات والمحن القومية تشحذ الفكر والقلم دائما ، وقد ظهر أثر الثورة العرابية بنوع خاص فى الشعر والكتابة السياسية، فكان البارودى ومحمد عبده وسعد زغلول وعبد الله نديم قادة الفكر والقلم فى هذه الفترة ، وظهر فى تلك الفترة عدة من المؤلفات الادبية والتاريخية القوية ، واستأنفت الحركة الفكرية سيرها الذى قطعته الحوادث وبدت طلائع نهضة جديدة فى الآداب العربية ، وظهر فى الانتاج الأدبى يومئذ عنصر قوى من الادب المبتكر ، وأخذت فى نفس الوقت عناصر الثقافة الغربية الجديدة ، تحدث أثرها فى انتاج الجيل الجديد . فمن زعماء الأدب العربى الصميم يومئذ على مبارك والبكرى والمويلحى ، وعلى يوسف ، وحفني ناصف وغيرهم ممن جنحت اساليبهم الى القديم وروعته . ثم تفتحت النهضة وهبت عليها روح الجديد بشدة ، وظهرت جمهرة من خاصة المفكرين ممن تأثروا فى تفكيرهم وثقافتهم بالاساليب الغربية مثل قاسم أمين ، وعمر لطفى ، واسماعيل صبرى ، ولطفى السيد ، وفتحى زغلول وغيرهم ممن يطلق عليهم زعماء المدرسة الحديثة ، وظهرت أول مرة بالعربية طائفة من المؤلفات والكتابات القوية التى تحررت من كثير من اغلال القديم ، سواء فى اللفظ والمعنى ، وظهرت روح التجديد قوية بارزة فى موضوعاتها وتفكيرها وأساليبها ، ولم تلبث هذه الروح الجديدة ان حملت فى طريقها كل شىء ، وغدت أقوى دعامة فى صرح النهضة الفكرية التى نعيش فى ظلها اليوم

والآن،إلام انتهت حركة التأليف والترجمة ؟ لقد سارت الحركة الفكرية فى العشرين عاما الاخيرة بسرعة وقوة معاً ، وبلغ التأليف مرحلة باهرة حقا، كما بلغت الترجمة مستوى عاليا من القوة والاجادة. ونستطيع أن نقول ان المكتبة العربية قد أحرزت فى عصرنا أعظم ثروة أدبية ظفرت بها منذ القرن العاشر الهجرى أعنى منذ الفتح التركى . فأما عن التأليف فقد ظهرت فى الفترة الأخيرة طائفة كبيرة من الكتب القيمة فى مختلف الفنون من الأدب والتاريخ والقانون والفلسفة والاجتماع والطب وغيرها . ومن العبث أن نحاول أن نخص بعضها بالذكر فى هذا المقام ، فهى كثيرة لا تقع تحت حصر ، ويكفى أن نقول ان كثيراً منها يضارع مثيلاتها من الكتب الغربية القيمة من حيث القوة والطرافة والدقة العلمية ، واذا كانت ثمة ناحية لا يزال التأليف العربى المعاصر قاصراً فيها فهى الناحية العلمية المحضة ، وسوف نضطر الى الاعتماد على الترجمة فى هذه الناحية حينا آخر . وأما عن الترجمة فمن الانصاف أن نقول اننا ما زلنا نعتمد عليها الى حد كبير في انتاجنا الأدبى ، وقد ترجمت

فى العصر الأخير طائفة كبيرة من روائع الأدب الغربى، وامتازت تراجمها بدقة النقل وروعة البيان، كما ترجمت طائفة كبيرة من الكتب العلمية والفنية، بيد أنه يمكن أن يقال أيضاً ان الاسراف فى الاعتماد على الترجمة ينحدر أحيانا إلى نوع من التهافت والاسفاف فى نقل الأدب الركيك الغث، ثم ان الترجمة لم تبلغ بعد من الناحية الفنية كل ما يجب أن تبلغه من دقة فى النقل وبراعة فى البيان ومحافظة على الروح الأصيل

وقد كان من أثر العوامل الثقافية الجديدة فى حركتنا الأدبية المعاصرة ان اتجهت الاذهان الى معالجة صنوف جديدة من الادب، فبذلت محاولات فى سبيل كتابة القصة المحدثة لا تزال فى طورها الوليد، وألفت قطع مسرحية للمسرح العربى، وظهر ذلك الأثر الجديد أيضا فى تطور الشعر الحديث وفى طرق التفكير وأساليب الكتابة. بيد أنه مما يبعث الى الغبطة ان حركتنا الأدبية فى نفس الوقت الذى تضطرم فيه بالروح الجديدة وتستق ما شاءت من تراث التفكير الغربى، تحتفظ دائماً بكيانها المستقل، وطابعها القومي الأصيل

محمد عبد الله عنان



أول جمعية مصرية للتأليف

هى جمعية المعارف التى ألفها سنة ١٨٦٨ محمد باشا عارف، أحد أدباء اللغتين العربية والتركية، من نخبة من كبار رجال السياسة وموظفى الحكومة، ومن أعيان البلاد وعمد القرى، ومن علماء الازهر وأعلام الأدب والعلم والصحافة، حتى بلغ عددهم ٦٦٠ ونيفاً وكانت مهمتها تأليف الكتب العلمية وترجمتها وإحياء آثار الادب العربى القديم. وقد تكونت على هيئة شركة مساهمة، وطرحت اسهمها للاكتتاب العام، وكانت قيمة السهم ثلاثين قرشا

ووضعت الجمعية تحت رعاية توفيق باشا ولى العهد إذ ذاك، وتولى رئاستها الفعلية محمد باشا عارف، وظلت مدة طويلة أدت فيها خدمات جليلة للثقافة العامة، الى أن نشب نزاع عنيف بين الخديو اسماعيل والامير عبد الحليم حول العرش، وكان عارف باشا من أنصار الامير فاضطر الى الفرار من مصر الى الاستانة خوفا من بطش الخديو، وبهذا انحلت الجمعية بعد أن احيت كثيرا من أمهات الكتب القديمة فى الأدب واللغة والتاريخ، نذكر منها (١) التاريخ: أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الاثير، وتاريخ ابن الوردى، والمختصر فى أخبار البشر (٢) فى الأدب: البيان والتبيين للجاحظ، ديوان ابن المعتز، ديوان ابن خفاجه، شرح التنوير على سقط الزند، رسائل بديع الزمان الهمذانى، وغير ذلك



للاستاذ أحمد شفيق باشا

وقع اختيار ولى العهد محمد توفيق باشا على عشرين من أبناء رجال دائرته ، كنت أحدهم ولا فخر . فألحقنا بمدرسة المبتديان نتعلم على نفقته بالقسم الداخلى حيث كان يوزع علينا كل يوم ثلاثة أرغفة « صامولى » تخبز فى مخبز الجيش . وان أنس لا أنس هذا العيش الأسمر الذى يحتوى دقيق القمح وقشره المعروف عند العامة « بالسن » ، فلقد كان لذيذ الطعم شهى الأكل خصوصاً اذا كان الأدم عدسا أو فاصوليا وهما الصنفان الغالبان إذ ذاك . ولم نحرم اللحوم فلقد كان حظنا منها جزيلا

أقبلت على التحصيل فى « المبتديان » ، فأجهدت بصرى بالمذاكرة زلفا من الليل على قنديل ، فضعف من ذاك العهد . وإن كنت قد فزت على الأقران ولم أتخلف عن مرتبة الأول طوال حياتى المدرسية رغم حداثتى

كان ترتيب الفصول والسنين عكس المعروف اليوم ، فالسنة الأولى فى المبتديان ـ تعادل السنة الرابعة فى المدارس الابتدائية الآن . وكنا أشبه بالجنود منا بتلاميذ هذا الجيل ، فطعامنا هو نفس طعام الجند ومن مخازن الجيش ومخبزه . وقبيل الانصراف آخر النهار يسير التلاميذ ربع ساعة فى صفوف على توقيع البورى « بير ـ هيك .. بير هيك » ، ولا يزالون يمشون تلك المشية العسكرية حتى يحضر الناظر فيقدموا له التعظيم الحربى ويأمرهم بالانصراف ، ويسكت السودانيون الموكلون بنفخ البورى . . !

ولم تكن العناية بالألعاب الرياضية قليلة ، وكان الاساتذة يعاملون المبرزين فيها بالتجلة والاحترام

وكنت أنا أحد المتفوقين فى الرياضة البدنية ولا سيما بعد أن انتقلت الى مدرسة « القبة » حيث استطعت أن أمشى فوق الحبل معصوب العينين ذهابا وإيابا ، وكم قفزت فى الهواء كالبهلوانات !

وقد زار هذه المدرسة عظيم أوربى وانتقد هذه الألعاب الخطرة فأمر توفيق باشا ولى العهد بمنعها

* * *

أنشأ محمد توفيق باشا مدرسة القبة وتعهدها وأنفق عليها من الجيب الخاص ، ولطالما زار

التلاميذ واستمع لحكاياتهم وامتحنهم فى مختلف العلوم . وكان ـ أسكنه الله فسيح جناته ـ يفتش المطهى بنفسه ويتأكد من جودة الطعام ، فكانت توضع أمامه ثلاث قصعات في احداها لحم وفى الثانية خضار وفى الثالثة أرز ، وتقدم له شوكة وملعقة فيتناول من كل صنف قليلا يتذوقه

***

هاتوا ، هاتوا . .

هــذا اسم لعبة كرة شاعت فى أيام التلمذة ، ينقسم فيهـا اللاعبون فريقين ، مع أحدهم كرة يتقاذفها أفراده ، فيهجم عليهم لاعب من الفريق الثانى يحاول اختطافها منهم ، حتى اذا أفلح تقاذفها هو ورفاقه ، وحاول أحد أفراد الفريق الاول انتزاعها ، وهكذا دواليك . . ولم تكن هذه اللعبة تلعب بقصد المباراة ، بل اقتصر الغرض منها على التسلية وتنشيط الاعصاب وتقوية العضلات

ولن تمحى من ذاكرتى حادثة لها أشباه فى وقتنا هذا ، هذه هى أول اضراب فى المدارس المصرية . . وذلك أنه لما عاد اسماعيل باشا من الاستانة يحمل فرمانات بامتيازات حصلت عليها مصر من الدولة العلية ، وأصبح بمقتضاها والى مصر يلقب « بالخديو » ويرث ملكه أكبر أنجاله ، قررت الحكومة تعطيل مصالحها ودواوينها ثلاثة أيام تباعا ، وازينت العاصمة والثغر وبقية المدن وأخذت زخرفها واحتفلت الامة بهذا العيد السعيد ، الا مدرسة المبتديان ، فان ناظرها احمد بك عبيد لم يتلق من نظارة المعارف أمراً بتعطيل الدراسة فيها . فتجمهرنا فى فناء المدرسة الكبير ورفضنا الدخول فى فصولنا ، وأرسلنا الضباط يلتمسون لنا الاذن بالانصراف للاشتراك فى الاحتفالات العامة ، فلم يجب الناظر سؤلنا وكان عبيد بك من أهل طهطا ، وقد أوفد الى فرنسا فأتقن الفرنسية كأحد أبنائها

وكانت عنده جاموسة يحلب له لبنها ، فعزمنا على اغاظته انتقاما منه ، فتشاورنا ثم اتفقنا على الهتاف ضده بهذه الجملة : « جاموسة طهطاوى تتكلم فرنساوى » . . ! فتضايق الناظر ولم يجد مخرجاً من هذا الموقف الحرج غير التعجيل باستصدار إذن من نظارة المعارف بخروجنا ، وجاء الاذن على الفور ، وخرجنا من المدرسة خروج الظافر المنتصر ندعو للخديو بطول البقاء ودوام العز والاقبال

***

الشيء بالشيء يذكر .. أصبح توفيق باشا ولياً للعهد منذ سنة ١٧٧٣ أى منذ هذه الاحتفالات، وكان سموه يحضر كل عام الامتحانات العامة فى مدرسة التجهيزية حوالى مايو من كل عام

ولا تسل عن أبهة هذا الاحتفال وفخامته ودلالته . . فلقد كان عظماء البلاد وأعيانها يدعون اليه ، وكان يمتحن أمامهم الاول من كل مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية ، يقوم بامتحانه أساتذة اخصائيون فى مختلف العلوم ، وقبل أن يؤدى الامتحان يلقى التلميذ خطبة يقرأها من ورقة بصوت

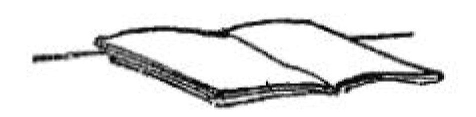
جهورى . . . وكان أساتذة اللغة العربية هم الذين يكتبون هذه الخطب عادة

وعند امتحانى خشى استاذى الشيخ السمنى أن أتلعثم أو أخطىء فى الاجابة على أسئلة الاعراب فى امتحان اللغة العربية ، فاتفق معى على أن يجلس يوم الاحتفال بالامتحانات العامة بحيث أراه ، وأوصانى أن اراقبه ، فاذا ضم ذقنه بيده دل ذلك على أن الكلمة مضمومة ، وإن وضعها تحت ذقنه دل على أنها مكسورة ، وإذا وضعها على جبهته دل على أنها منصوبة . وقمت « بعمل بروفة » على القاء الخطبة غير مرة ، ومع ذلك لم يطمئن قلب الشيخ لولا أن الله لم يحوج استاذى لهذه الاشارات

* * *

وأروى أخيراً حادثا طريفا وقع لى بعد أن تخرجت فى مدرسة القبة وعينت معيداً فيها بمرتب كبير إذ ذاك وقدره جنيه مصرى واحد ، علاوة على النوم فى غرفة خاصة والأكل من مطهى المدرسة . . . فقد كان لى « جحش » أركبه يوم الخميس من القبة الى منزلنا ببركة الفيل ، فأخذت كراسات التلاميذ ذات مرة لأصححها في دارنا يوم الجمعة. وإنى لخارج من باب المدرسة أمتطى صهوة جحشى إذا بعربة فاخرة بها دولة والدة ولى العهد ذاهبة الى القاهرة فذهلت وضربت « لحة » وبادرت الى رفع كلتا يدى الى رأسى بالسلام فطارت الكراسات مع الريح ، بينما كانت والدة هانم تضحك من هذا المشهد الطريف !

أحمد شفيق باشا



الطالب المصري في مائة سنة

بقلم الاستاذ احمد عطية الله

المفتش بوزارة المعارف

مما لا شبهة فيه أن الطالب المصرى لم يكن فى اوائل النهضة الاخيرة حراً فى تعليمه ولا فى تخصصه ، يتخير ما يتراءى له أو يجذبه اليه استعداده ، بل كان تعليمه وتخصصه من عمل الظروف . ولم يكن ذلك نتيجة ما كان للآباء أو من فى حكمهم من السلطة على أبنائهم ، وحقهم فى توجيههم أين شاءوا ، بل ان الحكومة نفسها فى بدء هذا العصر كانت لها السلطة الكاملة فى توجيه تعليم الجيل الجديد حسب ما تقتضيه حاجاتها

ومما ساعد على ذلك أن التعليم فى درجاته المختلفة كان مجانيا . وقد وضحت هذه السياسة بعد الاحتلال الانجليزى ، فقد ذكر اللورد كرومر فى أحد تقاريره الأولى ان الغرض من التعليم هو اعداد طائفة من « الافندية » للقيام بالاعمال التى تتطلبها الأداة الحكومية . إذاً فالطالب المصرى إلى فجر العهد الحديث لم يكن يعيش لنفسه ، ولم يكن يمثل إلا الدور الذى كان يطلب اليه أن يقوم بتمثيله

***

عند ما بدأ محمد علي يعنى بالتعليم ، لم يكن فى مصر من طلاب العلم سوى أبناء الأزهر ، وقد وفدوا اليه بعد ان تلقنوا بعض المبادىء الأولية التى لم تعد حفظ آيات من القرآن فى الكتاتيب التى كانت ملحقة بالمساجد أو الأضرحة . ولم يكن حظ الطالب الازهرى فى ذلك العهد من الدراسة كبيراً ، فقد كان يقضى الأيام يستظهر أجزاء القرآن الكريم ، وجانباً من الأحاديث النبوية ، دون أن يعنى باتقان القراءة والكتابة . أما الحساب فكان مادة غريبة عنه لا يرى لها علاقة بدراسة العلوم الدينية

ومع أن الطالب الأزهرى قد أبلى فيما بعد بلاء حسناً فى النهوض بأمر التعليم فى مصر ، إلا أنه لم يستطع أن يضطلع بهذه المهمة إلا بعد ان طرق باب المعاهد الجديدة التى فتحت فى عهد محمد على وخلفائه ، في حين ان هناك أزهريا بقى منزوياً وسط العلوم الدينية ، مكتفياً بأن يخرج من حلقة الازهر « عالماً فقيهاً »

على أن هــذا الطالب الأزهرى الذى تذوق شيئاً من العلم كان هو المادة الوحيدة التى وجد فيها محمد علي بعض ما يصلح للنهضــة العلمية التى اعتزمها . وكان هنالك عنصر آخر من الطلبة غير

الأزهريين سارع إلى تحقيق غاية محمد على ، نعنى أبناء الجاليات الأجنبية المتوطنة فى مصر من ترك وشركس ومماليك وأرمن ويونانيين ، فقد تسابقوا الى المدارس وأرسلت منهم وفود الى معاهد العلم فى أوربا

وكان أبناء القاهرة أسبق الى المدارس من أبناء الريف ، وقد روى الجبرتى أن أحد «أولاد البلد» فى القاهرة اخترع آلة لضرب الأرز وعرض (نكتته) هذه على الوالى فأجازه .وقد انشأ مدرسة الهندسخانة فى القلعة ، إذ رأى فى «أولاد البلد» هؤلاء شيئاً من الكفاية والاستعداد

فمن هذا ترى أن طلاب العلم منذ مائة عام كانوا خليطاً من عناصر مختلفة فى الثقافة والنشأة والاستعداد مرتبين حسب كفاءتهم وقدرتهم ، وهم أبناء الجاليات الأجنبية المتوطنة ، فأبناء الأزهر الشريف ، فأبناء البلد ، ثم يأتى بعد هؤلاء أبناء الفلاحين

وكانت أول مشكلة واجهت محمد على فى تعليم هؤلاء الطلاب لا سيا فيما يختص بالدراسات العالية هى مشكلة اللغة الاجنبية ، إذ كان جميع مدرسى هذه العلوم الجديدة من الأجانب المتوطنين ، أو ممن أرسل فى طلبهم من دول أوربا ولا سيا فرنسا . ولما كان تلقين هؤلاء الطلاب أصول اللغات الاجنبية يستغرق وقتاً طويلا ، وكان محمد علي حريصاً على أن يرى نتائج عمله عاجلا ، فقد استعان بمترجمين لنقل هذه العلوم من أفواه المحاضرين الى طلابه

ويروى كلوت بك أن طلبة مدرسة الطب ، وأكثرهم من الازهريين ، كانوا يدرسون علوم الطب من تشريح وجراحة ، ويدرسون فى الوقت نفسه مبادىء الحساب والكيمياء واللغة الفرنسية . أى كانت مدرسة الطب مدرستين فى آن واحد : أولية وعالية . وكان المحاضر الفرنسى يلقى درسه الطبي على طلبة الأزهر الذين ما كانوا يفهمون شيئاً مما يقول بل كانوا ينتظرون تفسيرات المترجم . ولم يكن هذا المترجم من رجال الطب فكان من الطبيعى أن ينقل آراء المحاضر العلمية محرفة خاطئة فى أكثر الاحيان . ثم يدونها الطلبة دون مراجعة أو تمحيص

إذاً فلم يكن فى وسع الطالب أن يستفيد استفادة حقيقيـة من هؤلاء العلماء الذين استقدموا لأنه لم يكن على أساس علمى فى دراسته العالية أولا، ولأنه كان يجهل اللغة التي يلقن بها هذه الدراسة ثانياً . ولم تتغير الحال إلا بعد رجوع البعثات الطبية من أوربا وقيام أعضائها بالتدريس

أما فى مراحل التعليم الأولية فقد أفاد الطلاب الازهريون أكبر فائدة ولم يستمر الوقت طويلا حتى كان نظار هذه المدارس من الأزهريين أنفسهم ، لا سيا وان مواد الدراسة الأولية لم تكن تتعدى ما كان يتعلمه الازهريون من حفظ القرآن ودراسة السنة وأصول الدين ثم مبادىء القراءة والكتابة . ولم يدخل أبناء الفلاحين فى هذا الميدان الثقافى الجديد إلا بعد أن وثقوا من فائدته ولا سيا من الناحية المادية . وهنا أخذت تتلاشى المناظر الشائعة فى أوائل حكم محمد على من مهاجمة القرى وانتزاع الأبناء من أحضان آبائهم وارسالهم الى المدارس وسط العويل والبكاء

وأهم هذه الفوائد المادية ، ما كان يصرف للطالب من رواتب شهرية وما كان يمنحه محمد على لفقراء الطلبة من ملابس تظهرهم بمظهر لائق بين قرنائهم ، بل لقد بلغ الامر أنه اشترى لكل طالب من طلاب مدرسة المهندسخانة مطية يركبها فى الطريق الى القلعة ! . . .

***

أما أثر الطالب المصرى فى الحياة الاجتماعية والسياسية فلم يظهر الا فى صدر هذا القرن الاخير حين بدأ يشترك فى الثورات السياسية المختلفة . فأنشأ الطالب مصطفى كامل مجلة مدرسية دعاها (المدرسة) كانت بحوثها تشمل شئون السياسة والاجتماع والأدب ، كما كان صاحبها الطالب وغيره من زملائه طلبة الحقوق يتصلون بالجرائد اليومية وينشرون فيها آراءهم فى الشئون الاجتماعية والسياسية . ولدراسة الحقوق أوثق الصلات بالانقلابات السياسية التى توالت فى مصر فى أوائل هذا القرن ، وبدت هذه الظاهرة بشكل جديد لم يكن معروفا وأعنى به الاضراب . كما حدث فى الاضراب احتجاجاً على حادثة دنشواى ، والسير فى جنازة المغفور له مصطفى كامل باشا ، وللاحتجاج على دخول ايطاليا فى الحرب الطرابلسية ضد تركيا ، وكذلك قامت مظاهرة على خطاب مستر روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الذى القاه فى الجامعة المصرية القديمة

وعند ما نشبت الحرب الكبرى وتولى السلطان حسين كامل قام طلبة الحقوق اذ ذاك بمظاهرة احتجاج عند زيارة السلطان لمدرستهم فالهبوا بعض المفرقعات فى فناء المدرسة

ولكن ظهور الطالب المصرى على مسرح السياسة المصرية لم يبد كاملا الا عند انفجار الثورة المصرية الحديثة فى سنة ١٩١٩ ومقابلة هذه الثورة بالشدة ، فحمل هؤلاء الطلبة لواءها عاليا وكونوا الجمعيات العلنية والسرية وساهموا فى نشر آرائهم بطريق الصحافة ، ونظموا المظاهرات وأعلنوا الاضراب عن الدراسة فى كل ظرف مناسب ، وتغلغلت هذه الظاهرة فى حياة الطالب المصرى فى الوقت الحاضر حتى استحالت خطرا يهدد سلام الحياة المدرسية

وان هذه الروح الجديدة لتوضح أبلغ توضيح مدى الحرية التى اصابها الطالب المصرى فى العصر الحديث الذى نعيش فيه . وتتمشى هذه الروح مع انقراض أساليب الاستبداد المدرسى التى كانت شائعة فى القرن الماضى ، لا سيما أساليب العقاب ، (فالفلقة) والسوط اللذين كانا عنوانا للسلطة المدرسية واللذين كان يفخر بهما نظار المدارس بتزيين حجراتهم بهما ، لم يعد لهما مكان فى الحياة المدرسية الجديدة . ثم اختفى كثير من أساليب العقاب الصارم لانتشار المبادىء الانسانية واتصال نظم التعليم فى مصر بطرق التربية الأدبية الحديثة . فالحبس الانفرادى ، والزنزانات المدرسية والجلد والخبز القفار والتنكيل الجسمى لم تعد تتناسب مع روح التربية الحديثة

ثم تقوضت تلك التقاليد القديمة التى كانت تمنع الطالب المصرى من ممارسة الرياضة والالعاب

زعما منهم بأنها من وسائل اللهو التى تعرقل نجاحه فى عمله المدرسى وأصبح الآباء ينظرون الى الرياضة والالعاب كضرورة من ضرورات التعليم

***

ويحسن أن نختم المقال بكلمة عن أزياء الطالب المصرى منذ عهد محمد على الى اليوم

كان الطالب المصرى أول الامر يرتدى العمامة والسراويل الفضفاضة التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، وكان أعضاء البعثات فى أوربا يتمسكون بهذا الزى . واستمر الحال على ذلك حتى أواخر القرن الماضي . ومن ذلك ما رواه محمد توفيق العدل أثناء دراسته فى برلين وهو يشاهد موكب بسمارك وقد أثار استطلاع الالمان فالتفوا حوله يعجبون (بطربوشه) الاحمر الزاهى

ثم ادخلت الازياء الافرنجية فى المدارس وصار محتما على الطالب المصرى أن يرتدى هذه الملابس ولم يشذ من ذلك الا بعض المدارس الأولية والصناعية والكتاتيب ، أو أبناء المناطق النائية كالدر والعريش وغيرها ، وكذلك بعض المدارس الحرة فى الاقاليم حيث يرتدون الجلاليب البلدية نظرا لظروفهم الاقتصادية . كما كانت مدارس الاوقاف تفرض زيا خاصا لتلاميذها يتكون من بذلة زرقاء أقرب الى الزى العسكرى . وكذلك كانت الحال فى المدارس التى انشأتها بعض الهيئات التعليمية الحرة كالجمعية الخيرية الاسلامية ، الا أن هذه التقاليد قد محيت الآن

أما فى الوقت الحاضر فليس هنالك زى معين للطالب المصرى اللهم الا فى بعض المدارس الخاصة كرياض الاطفال الذين يحتمون عليهم ارتداء مباذع أنيقة تتناسب مع حياة الطفولة

ثم ان انشاء الجامعة المصرية على النسق الاوربى الحديث أدخل ضمنا استخدام الازياء الجامعية المختلفة التى تميز أنواع الدراسات والدرجات العلمية المختلفة

واليوم يمثل الطالب المصرى عنصراً هاما من عناصر الشعب له رأيه وتقاليده ، وهو يحتذى فى حياته الجديدة التقاليد المدرسية فى أوربا ، هذه التقاليد التى ينشرها بين جدران المدارس أعضاء البعثات الذين أتموا دراستهم فى أوربا فى العصر الحاضر

احمد عطية الله



فراسة محمد على
في اختيار أعضاء بعثاته

[كان محمد على موفقاً فى اختيار رجاله ، بفضل ما وهب من صواب الرأى وسداد البصيرة . وهنا ثلاث وقائع عن صادق فراسته فى اختيار طلاب البعثات العلمية التى كان أعضاؤها خير عون له فى بناء مصر الحديثة]

رزق محمد على الكبير ، منشىء مصر الحديثة ، فراسة صادقة وبصيرة نفاذة ، مكنته من اختيار رجال دولته وجنبته شراك أعدائه . وفى الحق لقد كانت فراسته سر نجاحه ، وقديماً قيل : الفراسة قبس من النبوة . وآية ذلك ما نرويه عن ثقات ممن تتلمذوا على أعضاء البعثات التى أوفدها الى أوربا لتحمل الى مصر النور :

يلمح نبوغه فى الصبا

عاد محمد افندى شريف قاضى قضاة مصر الى الاستانة بعد انقضاء المدة المقررة لكل من يتولى وظيفته فى الديار المصرية وقدرها سنتان على الاكثر ، وبعد سنوات عين قاضياً للحجاز ، فمر فى طريقه الى مكة بالقاهرة وقابل محمد على الكبير ، فأكرم وفادته . وزاره القاضى مرة ومعه ابنه ، فلمح عزيز مصر فى الصبى نجابة وذكاء ، فقال لوالده :

— أترك ولدك عندى ، أربيه وأتعهده وأعلمه ، فقد لمحت فيه صفات تؤهله لعليا المراتب وجليل الأعمال

فقال قاضى القضاة :

— هو خادمك وابن خادمك يا أفندينا . وأنت أبر به منى على كل حال

وسافر محمد أفندى شريف وترك ابنه الوحيد ، فأدخله محمد على مدرسة الخانكة التى أنشأها لتعليم أولاده وأحفاده وبعض الأذكياء من أبناء الأمة ، فتفوق على الأقران

وفى عام ١٨٤٤ أرسله ضمن البعثة الخامسة الى فرنسا ، وكان من أعضائها حفيده اسماعيل باشا وعلى مبارك باشا . فقضى بباريس سنوات عاد بعدها ليلعب دوراً خطيراً على مسرح السياسة . ومازال يرتقى السلم حتى بلغ الذروة ، وعين رئيساً للوزارة وسعى سعيه حتى استصدر من الخديو توفيق دستور سنة ١٨٨٢ ، وأجرى الانتخابات للبرلمان العرابى الذى عطله الانجليز . ولم يكن شريف باشا من أنصار عرابى ، وكم نصحهم بالاعتدال والاناة ، فوضعوا نصائحه دبر آذانهم ، فاستقال . . . ثم ولى الحكم عقب الاحتلال ، واحتج على سلخ السودان وتدخل الانجليز فى شئوننا الداخلية .

واستقال اباء منه أن يمضى اتفاقية ١٨٩٩ ويعترف بشركة الانجليز لمصر فى ملكية السودان . وهو صاحب الكلمة المشهورة : « إذا تركنا السودان فان السودان لا يتركنا »

الاخلاص سلم النبوغ

كلوت بك غاضب ، وقد جاء يشكو الشيخين : أحمد حسن الرشيدى وحسين غانم

قال محمد على : ما خطبك ؟ !

فكظم كلوت بك غيظه وقال : قبيل القاء الدروس على طلبة مدرسة الطب ، أوزع عليهم نسخاً باللغة العربية من محاضراتى . ولما كان المترجمون الذين استعين بهم لا يجيدون العربية ، فقد أمرتم يا أفندينا بتوظيف الشيخين غانم والرشيدى ليترجما الى الفصحى الترجمة العامية لمحاضراتى ، وقد لاحظت أن الشيخين يتلكآن ويماطلان فأضطر الى تأجيل المحاضرات ، وفى تأجيلها ضياع لوقت الطلبة وتعجيز لى عن القيام بمهمتى

فقال محمد على وهو يتفرس وجه الدكتور الفرنسى الشاب : سأحقق فى ذلك ثم أرى رأيى . فاذهب مطمئنا

فانصرف كلوت بك بعد ان أدى التحية وأمر محمد على سامى بك مدير المطبعة الأميرية باجراء تحقيق مع الشيخين المذكورين

ودافع الشيخان عن ابطائهما بأن المترجمين ينقلون محاضرات كلوت بك بالعامية ، واللغة العامية عاجزة عن نقل العلوم الطبية الى العربية ، والطلبة لا يفهمون المحاضرات الا اذا ترجمت الى الفصحى التى يجيدونها لأنهم جميعاً درسوا فى الأزهر قبل الحاقهم بمدرسة الطب . مثال ذلك قول المترجمين : « خارج العين وداخلها » ، يقصدون بذلك الموق واللحاظ ، وقس على ذلك ، ولو كنا نعرف الفرنسية لسهلت علينا الترجمة وأسرعنا فى عملنا

فاقتنع سامى بك ، ودلف الى ولى النعم ، فسأله محمد على : ما وراءك ؟؟ !!

فقال : وجدت الشيخين على حق فى الابطاء وهما ، ورأس أفندينا ، مخلصان للغة العربية وللعلم. ثم قص على مسامع مولاه ما سمعه من دفاع أدلى به الشيخان . فقال محمد على : « إن هذين الشيخين ذكيان ، يصلحان للبعثة الطبية »

وصدر الأمر الكريم باستحضارهما ، فمثلا بين يديه . فأثنى على اخلاصهما للواجب ، وبشرهما بعزمه على ارسالهما الى باريس للتخصص فى العلوم الطبية . وأمر كلوت بك أن يجهزهما للرحيل الى باريس مدينة النور

فتخصص الشيخ احمدحسن الرشيدى فى الطب الباطنى ، وتخصص الشيخ حسين غانم فى الصيدلة. ولما عادا عينهما مدرسين في مدرسة الطب فاشتهر الأول بغزارة علمه وكثرة ما نقل وترجم من

كتب الطب الى العربية ، واشتهر الثانى بكتابه فى الاقرباذين ، وقد أثنى عليهما كلوت بك وقال فى كتابه « لمحة الى مصر » إنهما من أركان النهضة الحديثة

انتباهه يؤهله للبعثة

اختار محمد على مديراً فرنسيا للترسانة لانشاء المصانع فى البلاد وتصليح العدد وصنع الآلات . ولحرصه على تمصير الصناعة الحق بالترسانة فريقا من الشبان النجباء كلهم من المصريين أو الشرقيين ، فقد كان محمد على لا يميز بين أبناء البلاد الشرقية ، ويتمنى لواندمجت كلها في امبراطورية شابة ترث الدولة العثمانية الهرمة

وقد اعتاد هذا المدير أن « يتمم » كل صباح على تلاميذه فيضع أمام أسمائهم علامة + أو — اشارة الى الحضور والغياب ، ويرفع بذلك كشفا لمحمد على ليطلع عليه بنفسه . وكان يكتب الأسماء على لوح « اردواز » ، فتشبه تلميذ بأستاذه ، وأحضر لوحا من الأردواز وصار يضع هاتين العلامتين أمام الحاضرين والغائبين . وذات مرة تغيب تلميذ أياما عدة ، فانتهره المدير وهدده بالفصل قائلا : لقد تغيبت ٢٢ يوما فى مدى هذا الشهر ، فالأولى أن تنقطع

فقاطعه التلميذ « إياه » قائلا : لقد تغيب ٢٣ يوما لا ٢٢

فسأله المدير : ومن أين علمت ذلك ؟

فأخرج التلميذ اللوح وأراه للمدير ، فسر من فطانته ، وقال سأكافئك على انتباهك بتعليمك اللغة الفرنسية . ودفع به الى زوجته ، وأوصاها أن تتبع فى تعليمه الفرنسية الطريقة المباشرة ـ وهى تشبه طريقة « وست » بالانجليزية فاتقن هذه اللغة قراءة وكتابة فى أشهر قليلة

وكان هذا التلميذ مالطياً ، عربيته أعجمية ، فتوسط له عند كبير المصححين فى المطبعة الأميرية فعلمه العربية قراءة وكتابة بنفس الطريقة وفى مدة وجيزة

فرشحه المدير للسفر فى بعثة ميكانيكية ، وقدمه لمحمد على الذى تفرس فيه الذكاء والميل للعلم فأوفده فى بعثة الى باريس

وقد ترق بعد عودته حتى أصبح وزيراً ، وكان ينوب عن الوالى عباس الأول وسعيد فى الحكم ، فقيل : كيف ينوب مسيحى عن حاكم مسلم ؟ فاعتنق الاسلام ، وسمى عبد الرحمن باشا رشدى ، وكان أثيرا عند محمد سعيد باشا فوهبه المطبعة الأميريه . فلما أعاد اسماعيل باشا ديوان المدارس بعد ولايته الحكم بسبعة أيام ، عينه ناظراً للمعارف ودفع له عشرة آلاف جنيه ثمناً للمطبعة ، واستردها للحكومة . وفى عهد هذا « الناظر » افتتحت مدرستا المبتديان والتجهيزية فى القلعة ، ثم نقلتا الى قشلاقات الجيش فى العباسية ... وأخيراً نقلت الأولى الى قصر بنيت مكانه المدرسة السنية للبنات ، ونقلت الثانية الى سراى مصطفى فاضل باشا بعد نفيه الى الاستانة ، وهذه السراي تسكنها اليوم المدرسة الخديوية

منذ مائة عام كان قصارى ما عندنا من الفن نقوش من الاشكال الهندسية أو الحروف العربية . أما اليوم فعندنا من الصور ما يفيض بالشعر ومن التماثيل ما ينبض بالحياة

تطور الفن الجميل

من أشكال جامدة الى صور تفيض بالحياة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

حتى أوائل القرن الأخير لم يكن للفن الرفيع فى مصر الحديثة حياة فى غير آثارها القديمة . واذا كان السائحون يفدون اليها فى كل شتاء زرافات فالفضل فى اذكاء هذه الرغبة فيهم انما هو لشمسها الفاخرة المتقدة منذ الأزل ، ولماضيها السحيق الضارب فى أعماق التاريخ ماثلا فى هياكلها العظيمة حياً فى مقابرها الخالدة . فان استرعى نظرهم شىء خارج المتاحف ودور العاديات فهو الفلاح ، وهذا الفلاح نفسه يعود بهم اليها ، لأنه صورة حية لما شهدوه بها ، إذ يجدونه فى هذا القرن العشرين كآثار البلد وموميائه لما يزل على حاله منذ مئات السنين فى معيشته وأدواته . والى هنا يلقى السائح هنا وهناك نظرة المتفرج العابر على المناظر المحلية من أزياء وعادات غير مألوفة عنده ، ولكنه لايلمس حياة للحاضر عامرة بدوافعها ، متفززة بهواجسها وقلقها ، ناطقة بآمالها ومطامحها ، كالتى يلمسها السائح فى عواصم الحضارات القائمة

وذلك أن روح العصر لم يكن لها عندنا ترجمان من الفن

أما الذى كان شائعا فلا يمت الى الفن الحى بأدنى سبب . فقصارى هذه الفنون التطبيقية نقوش من الاشكال الهندسية أو الحروف العربية منزلة فى الخشب من عاج وصدف أو محفورة على أطباق نحاسية ، وإلا فهى مخروطات متداخلة على النحو المعروف بالمشربية ، وكلها منقولة بلا تصرف عن الفن العربى . ثم هذه المعلقات من قطع الخيام خيطت بها قصاصات من الأقمشة الملونة على شكل رسوم هى فى جملتها منقولة عن الآثار الفرعونية

أما الفن عند طبقات الشعب فلم يكن يعدو التصاوير التى تزين بها القصص الشعبية أمثال ابو زيد الهلالى و « الف ليلة وليلة » وغيرهما فى الطبعات الشعبية . فضلا عن التهاويل التى لا نزال نراها فى الاحياء الوطنية على الجدران فوق مدخل الباب الخارجى تمثل أسدين على الجانبين يحمل كل منهما

سيفاً مبالغة فى الدلالة على بطشه كأن ليس فى براثنه الكفاية ، ثم مناظر الحج كالقطار وقافلة الجمال وهودج المحمل ، ويرجع الفضل فى هذه الى ريشة ـ أو بعبارة أصح ـ الى فرشة النقاشين الذين يقومون بتحصيص البيوت عادة وبزخرفتها عند اللزوم

على أن البيوتات العالية كان فيها من يشتغل بالفن ، فقد وجد الفن حظه بين الجنس اللطيف، ونزيد تخصيصا فنقول بين الكواعب المتعلمات فى السن التى ترشحهن للزواج ، فكن يتلقين التصوير على اساتذة مرتزقة من الأجانب . فكان الاستاذ يضع أمام ربيبة العز والترف بطاقات الصور الملونة وينصب اللوحة فوق الحامل وتقف الآنسة وقفتها وقد ضمت أناملها اللطيفة على قلم الرسم ، وتخط هى بارشاده بضعة خطوط مما تعلمته من مبادىء الرسم فى المدرسة ، فيقرظها ويتقدم هو فى لباقة باصلاحها وتتميم سائر الرسم ، ثم يناولها الريشة فتضع لطخة لون هنا وأخرى هناك فيعالجهما بدوره ، وعلى هذا المنوال تتعاقب أيام قلائل ، فاذا الصورة قد كملت ، والذى اكملها فى الواقع الاستاذ . وأخيرا تختم الآنسة جهدها بالتوقيع على الصور باسمها وهى طروب وأهل البيت طربون . فلا يدخل زائر أو زائرة إلا عرضوها عليه مباهاة وتنويها بالفنانة الجميلة . حتى اذا رأت الآنسة وذووها أنه أصبح عندهم عدد من هذه الصور يعادل أو يزيد عما عند لداتها ومن هن فى منزلتها الاجتماعية استغنوا عن خدمات الأستاذ ، واحتفظوا بالصور لعرضها فى جملة محاسنها الخاطبين ودخلت عند الزواج فى جملة شوارها . والقارىء طبعا فى غنى عن القول بأن الغادة الحسناء من يوم أن كملت لها المجموعة وتركها الاستاذ الصور لم تفكر فى التصوير ولم يخطر لها أن تمسك الريشة

وكان فى مصر أمير من أمراء البيت المالك هو الامير يوسف كمال يتردد كغيره من العلية الكبراء على العواصم الاوربية . وكان جم الحب للفن يرتاد متاحفه وتشغله روائعه . فأحب أن يرى بلده كسائر البلاد الراقية التى يزورها ، وان يكون لها الى جانب آثارها القديمة فنها الحى وفنانوها المجددون، فأنشأ فى سنة ١٩٠٨ من خالص ماله مدرسة الفنون الجميلة واستقدم لها المدرسين الاجانب وعلى رأسهم المسيو لابلانى ، وهو من كبار المثالين وقد صنع تمثالا للامير الصياد ، وعليه تلقى مختار دروسه الأولى فى النحت . ولما كانت المدرسة غير حكومية وكانت الفنون غير معترف بها ، وشأنها الأحط الأدنى فقد كان المتقدمون للحاق بها صنوفا ثلاثة : فهم (أولا) اخلاط متفاوتة الاسنان ممن لفظتهم المدارس ولما يخطوا فى الدراسة خطوات ، فآثروا أن يدرجوا أسماءهم هنا لايهام أوليائهم الناقمين أنهم ليسوا سبهللا عاطلين وأنهم ما برحوا فى سلك الدراسة ناهجين ، فلا يحرموا عطفهم ولا يفوتهم التمتع بكفالتهم واستدرار دراهمهم بضع سنين دون أن يتكلفوا هم ما تقتضيه المدارس من استذكار وتحصيل . ثم فريق كان لحاقه بحافز خفى مما تخيله الشهوات ، فقد عرف أن الفن هنا يتخذ من جسم المرأة العارى نموذجا ينقل التلاميذ عنه الصور والتماثيل ، فانساق بغرائزه المكبوتة أو العارمة الجارفة الى هذا المعرض الجسدى لا يحلم بغير جانبه الشهوى . وأخيرا

أفراد قلائل فيهم للفن استعداد فطرى ، ولعل المقادير قيضت وجود هذه المدرسة لاظهارهم وابراز مواهبهم ، وكفى بهذا تزكية لها وتقديرا لفضلها . ولما كان الاساتذة كما قدمنا كلهم أجانب من الفرنسيين والطليان يتكلمون لغة غير مفهومة عند التلاميذ فقد كان التفاهم بينهم يجري على أساليب طريفة تنتظم فيها الاشارة والعبارة وتتخللها فى آخر الامر رطانة أعجمية يبضع كلمات عربية عامية، ولقد كان الامير كثير التردد على مدرسته ، وبلغ من شغفه بها أنه كان أحيانا يقف أمام التلامذة وقفة المثال قائلا فى عطف : « هأنذا ! ارسمونى يا أولادى »

وأحدث وجود هذه المدرسة فى حيها بدرب الجماميز منظراً عجبا . فقد طلع تلاميذها على الناس بهيئة غير مألوفة . شعر طويل مسترسل مسدل على الاكتاف ، وربطة رقبة مستعرضة الجناحين كالفراشة إلا انها كبيرة منفوشة ، وسترة من القطيفة نظيفة ولكنها من بقع الألوان غير نظيفة ، الى غير ذلك من الأفانين . وكانت هذه المظاهر هى كل ما لاصحابها أو كثرتهم الغالبة من الصفة الفنية ، فهم كن يمثلون على مسرح هذا الحى دور الفنانين فى زيهم الغريب من غير ان يكونوا فنانين . على أن مدرسة الفنون الجميلة كما قلنا لم تعدم النوابغ بين طلابها ذوى الاستعداد ، وهؤلاء القلة أتموا دراستهم الفنية خارجا فى ايطاليا وفرنسا وهم نواة النهضة وعليهم قامت ، وفى مقدمتهم المثال مختار رحمه الله ومنهم الاساتذة محمد حسن واحمد صبرى ويوسف كامل وراغب عياد

وفى أثناء ذلك كان تعليم الرسم فى المدارس سائراً على منهاجه المرسوم ، وهو تمرينات فى نقل أشكال هندسية وزخرفية بالقلم الرصاص . ثم أدخلت عليه عناصر جديدة وهى الرسم المباشر من النماذج الطبيعية والمصنوعة وانشاء زخارف مبتكرة مستوحاة من ورق الشجر والأزهار وغيرها ، فضلا عن الرسم من الذاكرة والرسم القصصى . واستخدم التلاميذ عدا القلم الرصاص الاقلام الملونة والباستل والالوان المائية

وكان هذا الانتقال من محاكاة النماذج المطبوعة الى دراسة الطبيعة نفسها لابتكار الزخارف على أساسها ، ثم التعبير عن الحياة والحكاية عنها بتصوير وقائع ومشاهدات من الذاكرة وابراز مناظر وأشكال من وحى الخيال ـ كل هذا كان من طبيعته إظهار شخصية كل تلميذ فى عمله واطراد نمائها حتى صار الرسم ترجمة صادقة لمشاعره . فلا غلو ولا اسراف إذا قيل إنه على الرغم مما تقلبت فيه مواد التعليم وما اعتور منهاجها من تبديل وتغيير وتقديم وتأخير كل حين وحين ، فان الثورة التعليمية هى فى الرسم الثورة الحقيقية الملموسة ، وذلك لقيامه اليوم على الناحية النفسية الشخصية وعدم اقتصاره على الناحية الخارجية الموضوعية

وقد استحدثت وزارة المعارف من أعوام عدة سنة حميدة باقامة معارض عامة لجميع المدارس عدا المعارض الخاصة بكل مدرسة . ولا شك فى أن بين معروضات التلاميذ ما يعتبر بحق وفى ذاته ـ لا على وجه التشجيع ـ بدائع فنية رائعة

وفى السنة المدرسية ١٩٢٧ - ١٩٢٨ خطت الوزارة خطوة كبرى بافتتاحها مدرسة عليا للفنون الجميلة . وأغلقت مدرسة درب الجماميز أبوابها واقتصرت مساهمة الامير الجليل يوسف كمال على المعاونة المشكورة سنوياً فى نفقات البعوث الفنية التى توفدها الحكومة إلى الخارج . ولم تقف الوزارة فى النهوض بالفنون عند هذا بل وجهت عنايتها أيضاً الى الفنون التطبيقية ، وأنشأت كذلك متحف الفن الحديث الذى يضم مقتنياتها من اللوحات والتماثيل المجلوبة من المعارض الأوربية الى جانب مشترياتها من الفنانين المصريين

وساعد على هذه النهضة قيام جمعية محبى الفنون واضطلاعها منذ نيف وخمسة عشر عاما باقامة معرض كل ربيع . وكان فى مقدمة الآخذين بناصر الفنانين « الاتحاد النسائى » وعلى رأسه السيدة الجليلة هدى شعراوى وكذلك بعض الأمراء والأميرات . كما تفضل صاحب الجلالة الملك الراحل فى السنوات الأخيرة بافتتاحه رسميا فى كل دورة . وكانت الحكومة فيما سلف تمنح الفنانين هبات مالية على سبيل التشجيع ثم عدلت عن هذه الخطة الى أخرى أكثر تشريفاً لهم وهى اقتناء منتجاتهم لعرضها فى متحفها للفن الحديث

وفى الحق أن لدينا منظومة زاهرة من الفنانين المصريين جديرة بالذكر . ويجب هنا أن نذكرها ، وأن نستهلها باسم المثال النابغة المرحوم مختار . فقد كان مختار مصريا خالصاً لا بمولده فحسب بل فى فنه أيضا . ولئن كان قد ورد مع الواردين مناهل الفن فى باريس، وانغمس فى جوها الساحر بخيره وشره ، فانه قد أفاد ما أفاد دون أن يفقد مصريته . فما زالت نفسه منصرفة بكليتها فى عكوف العابد وشغف السليل البار الى آثار أجداده الأقدمين ، يتفهم ما يعربون عنه فى التماثيل والدمى والتهاويل والنقوش ، حتى كشفت له من أستارها وأباحته من أسرارها وقربته الى قلبها ، فعقد من وراء الآلاف من السنين الصلة بين نفسه ونفس مصر القديمة ، وبعبارة أصح مصر الحقيقية الخالدة . وهذا الفن الموصول بفن الفراعنة الذى يقوم على بساطة الخطوط وقوة دلالتها معاً يفرغه الفنان فى قالب مجدد أدنى الى العصر الذى يعيش فيه . وانك لتراه أجمل ما تراه فى هذه الدمى المرمرية التى تمثل الفلاحات ، فيجمع فيها الى جلال القامة ونبل الملامح ولطافة الحركة واتزان المشية ، خوالج الحياة النابضة بالحنان . وهو يضفى على هذا كله شاعرية فياضة من طبعه تجعل كل قطعة من هذه الدمى البديعة أشبه بمقطوعة من الشعر الغنائى

ثم الاستاذ محمود سعيد ، وفنه طراز وحده ، فهو من الأفذاذ ذوى الفردية المستقلة ، ولا ينى يجد فى طلب تعابير جديدة عليها كلها طابع شخصيته . وموضوعاته لا ترقق فيها ، بليغة الدلالة غنية الايحاء . وليس يدانيه أحد من مصورينا فى التشكيل وابراز السمات والأسارير ، وقد يغلو فى التجسيم حتى لتبدو صوره أقرب الى التماثيل ، وألوانه قوية ثقيلة الوطأة ، وشخوصه لايسبحون من خفة الروحانية بل هم أجساد مصبوبة تعمرها طبائع بشرية ، وهى تتنفس بتلك الحسية المكتومة

والكآبة العميقة العريقة فى النفس المصرية . وليس يصح أن تؤخذ صوره للنساء على انها مجرد مشابه لمن يرسمهن بل على انها تحليل عميق نفسانى. ولو أن الاستاذ سعيد يعرض للانظار دفعة واحدة ما سبق له عرضه فى مرات متفرقة لوضح بكل جلاء فى مجموعته العجيبة من النساء هذا المعنى المفزز الذى يشغلنا ويعذب حواسنا فيها . ونعنى به تصويره للغرائز الأولى وعلى الأخص غريزة الجنس العميقة بحقيقتها الفاجعة . ونحن لا نطالع صور سعيد حتى نذكر أشعار بودلير « أزاهير الشر »

وننتقل الى الاستاذ احمد صبرى حيث الرسم المدعم والبناء المكين ولمسات الريشة القوية يفرغ عليها الفنان رهافة حسه وموسيقى ألوانه وذوقه الفنى . والاستاذ محمد حسن بصنعته المتينة الضليعة فى التصوير ومقدرته الفائقة فيما جبله من تماثيل برونزية صغيرة تدل فوق اتقانها المعهود على حاسة للفكاهة عنده . والاساتذة يوسف كامل فى مقابلته الرائعة بين الظل والنور . وراغب عياد بروحه الزخرفية ، وناجى بتخطيطاته الناطقة ، وحبيب جورجى بما يجلوه فى صوره المائية من جمال وعذوبة فى مناظر الطبيعة المصرية وغيرهم وغيرهم

ونقتضب الكلام هنا ونحن نردد قول بودلير : « الفن طويل الشقة والعمر قصير المدة »

عبد الرحمن صدقى



المسرح فى عهد اسماعيل

لم تصب الفنون الجميلة شيئا من رعاية محمد على ، فقد كان همه منصرفا الى تدعيم الملك وتوسيعه، وانشاء الجيش وتنظيمه ، دون العناية بما دون هذا من الكماليات . فلما جاء اسماعيل بدأ الفن الجميل ينال نصيبه من رعاية الوالى ومن ميل المجتمع . وكان للتمثيل والوسيقى والغناء أوفى نصيب

فى سنة ١٨٦٩ افتتح مسرح « الكوميدى » الذى انشأه بالأزبكية وأتى له بممثلين من أوربا ولما احتفل بافتتاح قناة السويس ، بنى فيما بنى مسرح الأوبرا ومثلت به أوبرا « ريجوليتو » أمام حفل عظيم من ملوك أوربا وأمرائها كان فى مقدمتهم الامبراطورة أوجينى . ثم عهد اسماعيل الى « فردى » الموسيقى الايطالى فى أن يضع أوبرا مصرية ، فوضع رواية « عايده » التى ألف موضوعها العلامة الفرنسى «ماريت باشا» . واستقدم اسماعيل باشا بعد ذلك كثيراً من فرق التمثيل الأوربية وأغدق عليها الأموال والهبات

أما التمثيل العربى فقد بدأته جماعة من الأدباء والممثلين السوريين وفدوا على مصر سنة ١٨٧٦ ومثلوا بعض الروايات فى الاسكندرية ثم فى القاهرة . وقد عضدهم الخديو أول الأمر ، ولكنه لما شهد رواية « الظلوم » حسب أنهم يعرضون به فأمر باخراج الفرقة من مصر

ديوان المعارف

قصة نشأته وتطوره

بقلم الأستاذ محمد قاسم

المراقب المساعد للتعليم الحر بوزارة المعارف

ليس انشاء ديوان التعليم واتساع نطاقه من عهد إلى عهد ، إلا مظهراً من مظاهر النهضة الفكرية التى استجمعت قواها فى خلال هـذا القرن الحافل بالجهود الموفقة التى نشهد اليوم آثارها فى كل نواحى الحياة المصرية . ولا يقاس اتساع نطاق ديوان التعليم منذ انشائه إلى الوقت الحاضر باتساع نطاق التعليم وحده ، وانما يقاس بمقدار التطور الذى طرأ على مهمة التعليم نفسها ، وهى مهمة ترتفع فوق الأغراض النفعية الضيقة الى أغراض التربية الحقيقية

كيف أنشىء الديوان

كانت المدارس فى بداية حكم والى مصر الكبير محمد على تتبع المعية السنية ، شأنها فى ذلك شأن جميع المرافق الأخرى من الحياة القومية ، ثم ألحقت بعد ذلك بديوان الجهادية الذى أنشىء عام ١٢٣٧ هـ . غير ان هـذه العلاقة التى كان هنالك ما يبررها حينما كان التعليم فى جوهره تعليما عسكريا ، أصبحت فى النهاية علاقة غير مرضية ، (أولا) لان هـذا الاتصال كان من شأنه أن يعرقل سير التعليم فى المدارس و (ثانياً) لان توسيع نطاق التعليم بما يتفق مع حاجات البلاد فى ذلك العهد كان يستدعى عناية خاصة

لهذا الف محمد على لجنة عليا للبحث فى تنظيم شئون المدارس وادارة التعليم ، فقدمت مشروعا يتضمن تأليف مجلس أعلى للتعليم « مجلس شورى المدارس » يكون له حق الاشراف على جميع المدارس العسكرية والمدنية مع بقائه تابعا لديوان الجهادية ، وقد قبل الباشا هذا المشروع وأنشأ مجلس شورى المدارس فى ٩ ذى الحجة سنة ١٢٥١ هـ برياسة مختار بك وعضوية ارتين افندى واصطفان افندى والمسيو لوبر والمسيو لامبر ومظهر افندى والمسيو برونو وبهجت افندى ومحمد أمين أفندى وواسيل بك ولبنان افندى وأدهم افندى

غير أن هذا المجلس لاقى من بادىء الأمر صعوبات جمة من قبل ديوان الجهادية الذى احتفظ مع انشاء مجلس الشورى بسيطرته على شئون المدارس ، ولذا أصدر الباشا لائحة مقيدة فى فهرس

قيد الخلاصات بند يوم السبت ٥ ذى القعدة سنة ١٢٥٢ بفصل شئون المدارس عن ديوان الجهادية وانشاء ديوان مستقل لها وهو ديوان المدارس ونظمت له الادارات والمكاتب المختلفة حتى يستقل نهائيا بشئون التعليم

ويتبين من مجموعة الوثائق المحفوظة بعابدين أن مجلس الشورى كان مقره احدى غرف مجلس الملكية ثم نقل الى قصر الدفتردار بالأزبكية فى ٢ جمادى الثانية سنة ١٢٥٢ هـ . وفى هذا المكان الجديد أنشىء الديوان وظل به تسع سنوات حتى ضاق بدوائر العمل ، فبنى له مكان جديد بالناصرية ونقل اليه فى رجب سنة ١٢٦١ هـ ثم نقل من الناصرية الى دائرة السلحدار بالقلعة فى محرم سنة ١٢٦٦ هـ

وقد تحددت اختصاصات الديوان عند انشائه بقانون « السياسة نامة » الصادر سنة ١٢٥٣ هـ ، وبمقتضاه عهد الى الديوان بادارة المدارس والمكاتب والمعامل والمقاصف وقناطر الدلتا ومطبعة بولاق والوقائع المصرية ، ثم اتسع اختصاصه بعد ذلك حتى شمل كل ما يتصل بالديوان بصلة قريبة أو بعيدة : اصطبل شبرا وورشة آلات الجراحة ومخبز الخانكة والصيدليات والوجاقات والسواقى والحدائق ، واخراج الطوب الخ

اقسام الديوان

أما أقسام الديوان فكانت تنحصر فى ثلاثة أقلام : قلم المستخدمين وقلم المهات وقلم الخزينة ، وكان ناظر الديوان أو نائبه يتلقى المكاتبات ويفضها ويفحصها ويرسل لكل قلم ما يخصه منها ، وتكتب الردود فى الاقلام ويعطيها رئيس القلم ويحملها الى المدير فيوقع عليها بخاتمه . وكانت هذه المكاتبات تتعلق غالباً بالشئون الفنية والادارية ، إذ استبقت المديريات اشرافها المالي على المدارس ، وكانت تمدها بمرتبات المستخدمين والتلاميذ والمواد الغذائية وما اليها . وكان على نظار المدارس أن يرسلوا الى الديوان تقارير بالحالة فى المدارس كل ثلاثة شهور ، وكانت تعرض على الوالى من حين لآخر خلاصة مختصرة بأعمال الديوان

على أن اللجنة التى عهد اليها تنظيم التعليم فى سنة ١٢٥٧ هـ غيرت أقسام الديوان الثلاثة فجعلتها القلم العربى والقلم التركى وقلم الهندسة ، وعينت لها نظاراً من ذوى الكفاية كما عينت عددا من الكتبة من ذوى القدرة « تبعا لحالة العمل ووفقا لمقتضى المصلحة » والراجح أن هذه الأقلام كانت أقساماً كبيرة تشمل أقلاما عدة لأن السجلات العربية للمدارس تشير لأقلام التحريرات والحسابات والتنظيم والوقائع والاستشارة الخ

وكان لنظار الأقلام عدا مهامهم العادية مهام أخرى ، اذ جرت العادة بعد الغاء شورى المدارس أن يعقد منهم اجتماع عقب الامتحانات لفحص نتائج المدارس والتوصية بترقية المدرسين والنظار الذين حسنت نتائجهم ، وعقاب المهملين وتوزيع التلاميذ على الفرق الدراسية ، وفحص اقتراحات

اللجنة التى تولت امتحان التلاميذ ورفع تقرير بملخص النتائج والاقتراحات الى شورى المعاونة ومنها الى الجناب العالى

والى جانب هذه الهيئة الرئيسية كان يوجد ما سمى بمعاونى الديوان ، وكانوا يقومون بأعمال متعددة كالتفتيش على المدارس التجهيزية والخصوصية ورفع التقارير عن سير الدراسة فيها ونظافة تلاميذها وملابسهم ، والتحقيق فى الدعاوى التى تقع بين موظفى المدارس وغيرهم ، والاشتراك مع المدارس فى وضع مناهج الدراسة والاشراف على تطبيق انظمة جديدة فى التدريس ، والاشتراك مع موظفى ديوان المبانى فى وضع المقايسات ، وكان بعض المعاونين يشتغلون فى ترجمة الكتب وتصحيحها وكان يلحق بهم لهذا الغرض مساعدون أو « مبيضون »

اهمال التعليم والغاء الديوان

على أنه مما لا ريب فيه أن أعمال الديوان تضاءلت بعد انتهاء الأزمة المصرية سنة ١٨٤١ فان استقرار السلام ، وتحديد نطاق الجيش وما تبع ذلك من خمول النشاط الاقتصادى والادارى ، أدى بطبيعة الأمر إلى اقالة كثير من الموظفين ، وبالتالى الى تقليل متخرجى المدارس ، ومن ثم ألفت لجنة برياسة السر عسكر لتنظيم التعليم فى البلاد ، فقررت الغاء مكاتب المبتديان بالأقاليم وكانت نحو ٣٨ مكتباً ، ومدرسة المبتديان بالسيدة زينب ومدرسة الموسيقى والمدرسة التجهيزية، وتوزيع التلاميذ على آلايات البيادة والسوارى والطوبجية . غير أن قرارات اللجنة كانت شديدة الوقع فى البلاد بحيث اضطر محمد على إلى تأليف لجنة أخرى من سليمان باشا الفرنساوى وأرتين بك ترجمان الجناب العالى وكافى بك معاون ديوان الجهادية ومن نظار المدارس الخصوصية لاعادة بحث الحالة ، فأبقت اللجنة على أكثر المدارس الخصوصية والمدرسة التجهيزية مع تحديد عدد تلاميذها واحتفظت من المدارس الابتدائية بما يكفى لامداد المدرسة التجهيزية بالتلاميذ أى بخمس مدارس

غير أن هذا النظام لم يقدر له أن يعيش طويلا ، فحينما آل الحكم الى عباس الأول زار يوما مديريات الأقاليم الوسطى وامتحن المهندسين فى المنيا فوجد أنهم لا يفقهون شيئا من الهندسة فضلا عن أنهم لم يتمكنوا من عمليات الضرب « وعليه فالجناب العالى يهدد بالغاء ديوان المدارس » وسواء أكان هذا هو الباعث الأكبر ، أم أن الظروف السياسية التى واجهها الوالى كانت حافزاً له على الغاء المدارس ، فالواقع أن عباس الأول لم يحتفظ الا بمدرسة واحدة ابتدائية وثانوية وخصوصية سميت « المفروزة »

ولكن الديوان لم يغلق الا فى عهد سعيد « الذى كان يغلق المدارس ويفتحها تبعا لظروف البلاد المالية أو تبعاً للعوامل المختلفة التى كانت تؤثر فى أخلاقه وتصرفاته » ، وقد صدر الأمر باغلاق الديوان في ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٧١ هـ على أن تحصر حساباته فى مدى شهرين ، « فان لم يتم العمل يشتغل الموظفون بعد ذلك بلا أجر »

استئناف النهضة المدرسية

ولما تولى اسماعيل باشا مقاليد الحكم فى ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ استأنف جهود والى مصر الكبير محمد على ، فأعاد تأليف ديوان المدارس وعهد بادارته الى المرحوم ابراهيم أدهم باشا ، ولم يلبث أن أحال تفتيش المدارس وملاحظتها الى رئيس مجلس الأحكام شريف باشا «للزوم بذل العناية التامة في ترقية شئون المدارس ورقى التلاميذ فى مدارج الكمال العلمى والملاحظة الدقيقة لكليات هذه المهمة وجزئياتها » . ولما اتسع نطاق العمل أمر بتعيين المهندس على مبارك بك وكيلا لنظارة المدارس « ولكي يتفرغ لاصلاح المدارس وترقيتها اقتضى تعين وكيل آخر تكون وظيفته الاعمال التحريرية الصرفة لعدم كفاية الوقت لمبارك بك للاشتغال بكلا العملين » ولم يلبث أن عين على مبارك باشا ناظراً للديوان وانتقل الامر بعده الى سلسلة طويلة من النظار أو الوزراء ، مذ أصدر المغفور له السلطان حسين كامل الأول أمره فى ١٨ ابريل سنة ١٩١٥ بتغيير أسماء النظار والنظارات الى وزراء ووزارات

ومنذ أعيد إنشاء ديوان المدارس فى عهد الخديو اسماعيل استقر أمره واتسع نطاقه وأصبح ناظره أحد أعضاء هيئة النظارة المسئولة التى تألفت بمقتضى المرسوم الصادر فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٥ هـ - ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ م ، وتحددت أعماله بمقتضى الدكريتو الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ م وهى وظائف تتلخص فى الادارة العمومية بمركز النظارة والمدارس الاميرية - ما عدا المدارس الحربية والمدارس البحرية والبعثات المصرية والمدارس والمكاتب الاهليـة وما يلزم لها من الاعانة . وثبت مركز الديوان نهائيا بمقتضى القانون النظامى الصادر فى ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هـ الموافق أول مايو سنة ١٨٨٣ م ، والدستور المصرى الصادر فى ٣ رمضان سنة ١٣٤١ هـ الموافق ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ م

على ان اختصاصات الديوان اتسعت تدريجاً منذ صدور الدكريتو السابق الذكر فأصبحت تشمل عدا المدارس الجامعة المصرية ودار الكتب ومصلحتى الآثار المصرية والعربية ومعاهد الفنون الجميلة علاوة على رعاية الحياة الفكرية والثقافة الشعبية للبلاد

أما التنظيم الداخلى للنظارة فى العهد الأخير فكان يشمل عدا الناظر والوكيل هيئتين رئيسيتين : هيئة استشارية فنية وادارية عليا ، وهيئـة فنية وادارية دائمة ، وهذه تشمل الباشكاتب وأقلام الحسابات والمستخدمين واللوازمات والقيودات والسجلات والمفتشين ، ثم تحولت الأقلام منـذ عام ١٩٢١ م الى ادارات وقسمت الهيئة الفنية الى مراقبات يتبعها مفتشون يختصون بكل فرع من فروع التعليم ، وهو تنظيم لم يراع فيه اتساع نطاق التعليم وحده ، وإنما روعى فيه مواجهة التبعات والمهام الجديدة التى تواجه بلاداً ناهضة متحضرة فى عالم ناهض متحضر

محمد قاسم

تعليم الفتاة

بين الأمس واليوم

بقلم الاستاذ يوسف مظهر
بمراقبة تعليم البنات بوزارة المعارف

لم يكن للمرأة المصرية فى أوائل القرن الماضى نصيب من التعليم . وماكان لها مع هذا أن تحسد الرجل ، اذ لم يكن هناك متعلم إلا احد اثنين : طالب العلم الدينى الذى يكب على استظهار القرآن الكريم بادىء بدء ثم يعكف على حلقات الازهر ، وهؤلاء جميعا بالطبع مسلمون ، وطالب الكسب من طريق الكتابة والحساب ، وأولئك جلهم من غير المسلمين وفيهم انحصرت وظائف الكتبة والصيارف فى أواخر حكم العثمانيين . ولا تعدو معارفهم مبادىء القراءة والكتابة وقواعد الحساب الاربع و « صورة الفدان » . أما جمهور الشعب فغارق فى الأمية يزاول الزراعة أو الصناعة أو التجارة على أساليبها الفطرية ، فيخلف الولد أباه أو عمه فى مهنته ويجرى فيها على منواله دون نقص أو زيادة . وأما الفتاة فهى سجينة البيت مع أمها تتلقى عنها الشئون المنزلية من طهى وغسل وخياطة ، وتتدرب على الأمومة مشتركة فى حمل الأطفال من اخوتها واخواتها ورعاية الصغار وخدمة الكبار

ثم أتاحت الظروف السعيدة لمصر أن يولى عليها منشىء نهضتها الحديثة محمد على الكبير . فتعلم المصريون على يديه أن يكونوا كأولئك الذين أعجبوا بهم من رجال الحملة الفرنسية من أهل السيف والعلم . فحشدت الفتيان فى المدارس وأرسلت البعوث الى أوربا فاجتمع لمصر من أبنائها فى أواخر حكم محمد على طائفة من الرجال القادرين على تولى زمام البلاد فى جميع النواحى : فى الجيش ، والبحرية ، والطب ، والهندسة ، والادب ، والتعليم ، وظل هؤلاء الرجال يسدون حاجة مصر الى عصر اسماعيل

وكانت هذه النهضة فى التعليم مقصورة على الرجل دون المرأة ، لأن غرض المصلح الأول كان ايجاد القوة ، ولم تكن المرأة محسوبة من عوامل القوة فى ذلك العهد . وانما كان ينظر اليها إما متعة للزوج واما لتزويد الدولة بالاولاد اللازمين لتكوين قوتها ، اذ لم يكن محمد على يتطلع الى الدول الغربية إلا من ناحية القوة الحربية والقوة المالية وما يتأتى بهما من العلم والزراعة والصناعة.

وقد فترت هذه النهضة بعد محمد على وتبدد معظم هذه القوى بعد أن وقفت السياسة الاوربية فى طريق مصر وظلت النهضة العلمية فى ضعفها حتى جاء اسماعيل العظيم

عناية اسماعيل بتعليم الفتاة

لم يكن اسماعيل ينشد قوة عسكرية أو اقتصادية فحسب ، بل أرادها حضارة أوربية تامة ، ففتح صدره وخزائنه لأوربا فتدفقت وفود الفرنسيين والايطاليين وغيرهم من أهل العلم والفن والصناعة ورجال المال والاعمال ، وطاب لهم المقام وبدأوا يستوطنون هذا الوادى الخصيب . وجاءت معهم البعثات الدينية من الرهبان والراهبات كجماعة الجزويت والفرير على اختلاف طرائقهم ، وأسسوا المدارس للبنين والبنات ، وفتحت أعين المصريين وتطلعوا الى الاخذ باسباب المدنية الغربية ، فالتحق بمدارس الراهبات فى أول الامر الفتيات الاسرائيليات والقبطيات وتبعهن الفتيات المسلمات من الطبقتين العليا والوسطى ، فبدأت الثقافة الاوربية تدخل الى البيوت بلغاتها وآدابها وعلومها وفنونها من ناحية ، بينما كان اسماعيل العظيم يضع أسس التعليم القومى بتأسيس المدرسة السنية لتشجيع الاسرات الاسلامية المحافظة التى تنفر من مدارس الراهبات ، على ارسال بناتها الى هذا المعهد الحكومى ، وقد نجحت المدرسة وقامت بتثقيف طائفة من بنات الاسرات الكريمة ، وما زلنا نستعين بالفضليات من متخرجاتها فى تعليم الفتاة . على ان تعليم الفتاة لم ينحصر فى المدارس ، فان بعض ذوى اليسار بل ومتوسطى الحال كانوا يجيئون لبناتهم فى المنازل بمن يقوم على تعليمهن وتثقيفهن من شيوخ اللغة العربية ومعلمات اللغات الاجنبية والآداب والموسيقى . كما تأسست بجانب مدارس الراهبات مدارس حرة للبنات ، وهكذا خطا تعليم الفتاة خطوات لم يكن بعدها مجال للرجوع الى الوراء

ولا ننسى هنا أن نذكر ما كان يبذل فى قصور اسماعيل ووزرائه ورجال دولته من العناية بتعليم جماعة الجوارى على أيدى مهرة المعلمين والمعلمات والفنانين ، فدرسن اللغات العربية والتركية مع شيء من الآداب والموسيقى وبعض اللغات الأجنبية ، ليكن زينة المجالس وسميرات الأنس فى أوقات الفراغ . ومن هؤلاء الجوارى تزوج بعض المصريين فرحن ينشرن بين الاسرات الثقافة الاسلامية والأدب التركى

ثم تعقدت الأمور وتحرجت الأحوال من أواخر حكم اسماعيل الى الثورة العرابية فالاحتلال الانجليزى ، فتلكأت النهضة فى سيرها ، وتعثر تعليم البنت فى خطاه

الاحتلال يعترض طريق النهضة

كان هم الاحتلال تكييف اليقظة المصرية تكييفا يلائم المصلحة الاستعمارية ، فاتجهت جهود المحتلين الى قصر التعليم على تخريج موظفين للاداة الحكومية . أما ابعاد المرأة عن الحركة

التعليمية وضمان انزواء النساء بين جدران البيت الذى معناه استغراق ٥٠ ٪ من سكان البلاد فى نوم عميق ، فامر مرغوب فيه كثيراً فى نظر المحتل الذى يتظاهر بأنه لا يريد أن يدفع بالمرأة المصرية فى تيار المدنية احتراما لشعور الأغلبية المحافظة . فلم تفكر الحكومة فى رفع تعليم الفتاة الى أبعد من مقرر الشهادة الابتدائية بمدرستى السنية وعباس ، وبعض القشور بمدارس المعلمات .
ولكن الجيل الجديد كان قد ذاق حلاوة التعليم نوعا ما فزاد الاقبال على مدارس الراهبات والمدارس الحرة الأخرى كالليسيه فرانسيه ، فنمت هذه المدارس واتسع نطاقها . ولا تنسى ما للبعثات الأمريكية من الفضل ، فقد كان لها أجمل الأثر فى تكوين جيل مثقف من الفتيات المصريات قبطيات ومسلمات ، فى أسيوط والقاهرة وبعض عواصم المديريات ، كما لا ننسى فضل مدارس « الميردى ديه » وغيرها في تكوين طبقات من السيدات المصريات هن دعامات الحركة النسائية فى الوقت الحاضر

أما الجهود الحكومية فى سبيل تعليم البنت فبقيت مقصورة على مدرستين ابتدائيتين هما السنية وعباس الى أن وضع نظام مجالس المديريات ، فأسست مدارس ابتدائية للبنات فى عواصم المديريات ومدارس معلمات أولية ، لأن الانجليز كانوا يريدون توجيه اهتمام المصريين الى العناية بالتعليم الاولى وأن يصرفوهم عن مشروع الجامعة . وفى سنة ١٩١٧ أنشئت أقسام اضافية بمدرسة معلمات بولاق الأولية بدأت بقسم التعليم العام وقسم التدبير المنزلى ثم أضيف اليهما قسم رياض الاطفال بعد سنتين لسد حاجة المدارس الابتدائية المتزايدة ، وضم مدارس من رياض الأطفال الى المعلمات المصريات

الاستقلال ينهض بتعليم الفتاة

استمر هذا التلكؤ فى تعليم البنات والحد من ثقافتهن حتى انتهت الحرب العظمى ، وكانت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ والنضال للتحرر من القوامة الانجليزية ، ثم الغاء الحماية وصدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ واعلان استقلال مصر واطلاق يدنا فى شئوننا المصرية الداخلية ، وفى مقدمتها شأن التعليم ، فقامت تلك الحركة المباركة التى انتهت بضم الجامعة المصرية والبدء فى سياسة نشر التعليم بجميع درجاته للبنين والبنات ، وتعديل مناهجه المرة بعد المرة لتكون أكثر انطباقا على مقتضيات العصر والحالة المصرية . وفى هذه الحركة ضمت مدارس المعلمات الأولية التى كانت تابعة لمجالس المديريات الى وزارة المعارف

وأنشئت مدارس ابتدائية للبنات بقدر ما تدعو اليه حاجة القاهرة والاسكندرية ، وعدلت مناهج التعليم بمدارس المعلمات ثلاث مرات ، ثم حولت مدرستا المعلمات الثانويتان (السنية وحلوان) الى مدرستين ثانويتين للبنات ، وأنشئت مدرسة الأميرة فوقية الثانوية للبنات بالقاهرة

الى جانب مدرسة الأميرة فوزية المنشأة من قبل . ثم مدرسة الأميرة فائزة بالاسكندرية ، والقسمان الثانويان بطنطا وأسيوط . وكانت الوزارة قد أنشأت كلية البنات بالقاهرة سنة ١٩٢٥ لمنافسة مدارس الراهبات والليسيه وشجع نجاحها على انشاء كلية للبنات بالاسكندرية

وبفضل عناية الوزارة فى هذه الحركة باعانة مدارس البنات الحرة وتشجيعها ، نما بعض هذه المدارس وازدهر وأصبح عونا كبيراً على نشر تعليم البنت،وعلى الأخص ما كان منها تابعاً للجمعيات المحترمة كالجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقى ومدارس الاقباط الخيرية ومدارس الطائفة الاسرائيلية . وتوجت هذه الحركة المباركة بانشاء معهد التربية للبنات بقسميه الثانوى والعالى : الأول تلتحق به الحاصلات على شهادة الدراسة الثانوية ويشتغلن بعد التخرج بالتدريس بمدارس البنات الابتدائية ، والثانى تلتحق به خريجات كليتى العلوم والآداب من الجامعة المصرية ويشتغلن بعد تخرجهن بالتدريس بمدارس البنات الثانوية

ومن أبرز ما أدته الحركة الأخيرة من الخدمة للبلاد عناية وزارة المعارف بايفاد بعثات من الفتيات المصريات الى أوربا ، وقد تعددت وتنوعت هذه البعثات من سنة ١٩٢٥ الى الآن ، فكان لنا منها طائفة صالحة من الشابات اللاتى تلقين دراسات عالية وتثقفن ثقافة خصبة وعدن يحملن أرق الدبلومات بل الدرجات العلمية ، فى الرياضة والعلوم والفلسفة والآداب والتربية وفنون الرسم والموسيقى والتدبير المنزلى والتربية البدنية وغيرها ، وأصبحن دعامات التعليم النسوى فى التدريس والادارة والتفتيش

ولم تقصر وزارة المعارف عنايتها على الاكثار من المدارس التى تهيء لدخول الامتحانات العامة ونيل الشهادات الدراسية فحسب ، بل اتجهت اتجاهاً آخر فى تعليم البنت بوضع مناهج خاصة للثقافة النسوية البحتة الى جانب مناهج التعليم الثانوى العام ، وأنشأت مدارس الفنون الطرزية لتعليم التفصيل والخياطة والرسم والأزياء لتخريج فتيات يستطعن كسب العيش من طرق شريفة راقية ويزاحمن الخياطات الأجنبيات بالتجربة والمران

الآن وقد فرغنا من هذه النظرة السريعة الى تاريخ تعليم المرأة فى المائة سنة الأخيرة ، ووصفنا مدى العناية بالتعليم النسوى والثقافة النسوية وصفا موجزاً بقدر ما يسمح به المقام ، ورسمنا صورة تخطيطية لمختلف أبواب العلم والثقافة المفتحة أمام الفتاة المصرية فى هذه الآونة ، فهل نستطيع ان نتعرف ولو على وجه التقريب اتجاه ميول الفتاة للاستفادة من هذا التعليم ؟ يلوح لى أنها متجهة بكل قواها الى التكسب بمعارفها ، لأنها تعتقد ان السعادة فى الاستقلال ، وان الاستقلال لا يتم إلا بالكسب الشخصى

يوسف مظهر

الامتحانات في مصر

نظام يخلف في الممتحنين أسوأ الأثر

الامتحانات شر ، ولكنها مما يجرى عليها قول القائلين : شر لابد منه

فالتعليم مقصود به تفتيق الأذهان ، وتعويدها الملاحظة والتفكير ، وتطبيعها على التصرف ، فضلا عن تنمية الفضائل الاجتماعية وجلاء الصفات النفسية

فأين محل الامتحانات بين هذه؟ وهل تصح مقياساً صادقا لتقدير الملكات والحكم على الكفايات ؟

لقد تناول الباحثون هذا ، ونظروا فيه وأنعموا النظر وأعادوه ، ودونوا المشاهدات وعقدوا المقارنات وأداروا التجارب واجتمعوا فى مؤتمرات إثر مؤتمرات للمفاوضة وتبادل الرأى والمذاكرة ، فكان الذى انعقد عليه الاجماع - كما يعلم الخاص والعام - هو أن الامتحانات إن دلت على شيء فانما تدل على مدى قدرة الطالب على استظهار المعلومات ومقدار ما حصله منها

فالكل لسان واحد على نقد هذا النظام والحكم بعدم صلاحه . ولكنه لسوء الحظ - وبخاصة حظ التلاميذ - حكم معلق . ولا غرو أن يكون الحكم حكما موقف التنفيذ ، إذ لابد قبل القضاء على الامتحانات من التفكير فيما يخلفها ويقوم مقامها . وهنا يستعصى الأمر ويتوقف الفكر

وما دام ذلك كذلك ، أى ما دام فى عمر الامتحانات بقية ، ولقد تمتد هذه - علم الله - الى آخر عمرى وعمرك الطويل وآخر عمرنا أجمعين الى أبد الآبدين ، فانه من حق الامتحانات أن تستقل هنا بمكان أسوة بغيرها من الموضوعات

قبل عام ١٨٩١ كانت الامتحانات محلية لكل مدرسة امتحانها . وكان المتبع فى هذا أن تقيم المدرسة حفلة فى فنائها تدعو اليها أولياء التلاميذ وأعيان الناحية . وتكون المدرسة قد اختارت من التلاميذ أطلقهم لساناً وأظهرهم ألمعية ومخايل ذكاء ، وتكون قد لقنت كل تلميذ منهم الاجابة على السؤال المعد له ، حتى يسر الحاضرون بنجابة الصغار وفطنتهم فيقبلوا على تعليم أولادهم . فاذا اكتمل الحفل وانتظم عقده تولى ناظر المدرسة وحوله المدرسون امتحان التلاميذ . وينادى على التلميذ ويردد ضابط المدرسة النداء ، فيتقدم الصغير فى نشاط ويؤدى التحية أجمل تأدية . ولا يكاد السؤال يلقى عليه حتى يكون الجواب على فمه يرسله فى طلاقة وثقة مع الحركة المناسبة والايماءة الدالة . فيقول له الناظر : « أحسنت » ، ويصفق الحاضرون ، ويكون هذا التصفيق أيضاً بمثابة الاشارة الى فرقة الموسيقى المهيأة عند مدخل المدرسة حيث كانت تحيي الوافدين ، فتصدح هذه الآونة عازفة لتحيي مرة بعد مرة كل تلميذ من الناجحين

وهكذا كان للامتحان وجهه المشرق البسام . ولكنها ابتسامة ما لبثت أن عاجلها النظام الذى وضع فغاضت وزالت الى حيث لا رجعة لها . ولم يبق منها بعد ذلك إلا الذكرى يقصها الآباء على الأبناء مدلين عليهم بزمانهم ــ زمان البحبوحة والسماحة ، فاذا كل فتى فى سريرة نفسه يتمنى لو أنه ولد قبل ستين أو سبعين سنة

وقد اتخذت الامتحانات منذ ذلك الحين سحنة رهيبة . فصارت تعقد لها اللجان الرسمية فى درب الجماميز . ثم تعددت اللجان وكثرت الاجراءات واستحكمت النظم ، فزادت الامتحانات مع هذا رهبة على رهبة ، وزاد الطلاب لها ــ والمعلم معها ــ كراهة على كراهة . وهى اليوم أشبه بالغول يقع تحت براثنه كل يوم ألوف التلاميذ فيفترس خير ما فى نفوسهم

والامتحانات العامة تعقد فى المرحلة الأولى لمن أتموا الدراسة الابتدائية ، وفى الثانية لمن أتموا الدراسة الثانوية . وكان الامتحان فى المرحلة الأولى من عام ١٨٩١ الى ١٩١٥ يسمى امتحان الشهادة الابتدائية ، ثم امتحان القبول بالمدارس الثانوية الى عام ١٩٢٣ ، ثم امتحان شهادة اتمام الدراسة الابتدائية الى يومنا هذا . ويدور البحث الآن فى الغائه

وأما المرحلة الثانية للثقافة فكان امتحانها من عام ١٨٨٧ الى ١٩٠٥ يطلق عليه امتحان الشهادة الثانوية وكان قسما واحداً ، وانقسم الامتحان بعدها الى قسمين: قسم أول (وكان عقده لأول مرة باسم الشهادة الأهلية للوظائف الصغرى) وقسم ثان وهذا الأخير على نظامين علمى وأدبى . ثم ألغى القسم الأول فى العام الماضى

وعدا هذه الامتحانات العامة امتحانات خاصة للمدارس العالية ــ وقد تحول معظمها اليوم الى كليات الجامعة ــ وامتحانات المدارس الفنية من صناعية وزراعية وللاختبارات العملية فيها شأن كبير

وتتولى وضع الأسئلة هيئة فنية لا تذاع أسماء أعضائها . وهى مقسمة الى لجان بحسب طبيعة المواد . وتتألف كل لجنة من الاخصائيين فتضع الأسئلة الواقعة فى اختصاصها لجميع الامتحانات العامة على اختلاف المراحل ليتحقق بذلك حفظ نسبة المستوى بين درجات التعليم . وتسلم الى الرئيس العام لكل من الامتحانات الأسئلة الخاصة به ليقدمها للمطبعة السرية ويشرف على طبعها

والمطبعة السرية فى بناء مستقل موصدة الأبواب إلا باباً واحداً لا يجتازه إلا القائمون بالعمل . ويقوم عليها الحراس ليل نهار متناوبين وهم يطوفون حولها دواماً بحيث يسجلون طوافهم كل لحظة تسجيلا آلياً فى ساعة يحملها الحارس مصنوعة لهذا الغرض . وفى داخل المطبعة آلات الطباعة من طراز حديث لطبع الأسئلة ، وخزائن حديدية أمينة لحفظها . وفى المطبعة دفتر أحوال تحصى فيه كل حركة مهما هانت وكل صغيرة مهما دقت مع تحديد الزمن والملابسات ، للرجوع اليه فى التحقيق إذا استلزمته الحال . وبعد طبع الأسئلة يكون توزيعها على قدر حاجة كل لجنة فرعية

من لجان الامتحان في أنحاء القطر . وتوضع أسئلة كل مادة في ظرف خاص مختوم ، وتودع ظروف الأسئلة الخاصة باللجنة الفرعية جميعاً في صندوق مغلق مختوم . وهذه الصناديق يتسلمها رؤساء اللجان الفرعية قبيل الامتحان

وفي موسم الامتحان تقام الخيام في أفنية المدارس ورحاب ملاعبها لتتسع للمتقدمين . والموعد المقرر للامتحانات صيفا في شهر يونيه في كل عام ، حيث يكلف التلاميذ أن يقدحوا أذهانهم الفتية في الحر الشديد ، على حين يكون الرجال الكبار مفترة أوصالهم لا يعملون أو هم يعملون من غير تفكير . ولا يدخل التلاميذ لجنة الامتحان إلا بعد التحقق من شخصيتهم بمقتضى صورهم الشمسية ، ويجلسون الى المكاتب - أو على الأصح يشدون الى آلات التعذيب - وتوزع عليهم أوراق الأسئلة . وناهيك بما ينتابهم اذا تصعبت ، وعلى الأخص البنات ، فلا يكاد يقع على الورقة بصرهن حتى يغشى عليهن . وليس يفوت القارىء أن الاغماء كالبكاء من تقاليد المرأة . على أنه من دواعي الاطمئنان أن كل لجنة للامتحان مزودة بطبيب للاسعاف وقت اللزوم . ويقوم على رقابة التلاميذ ملاحظون في كل ناحية وعلى كل مسافة . والملاحظ مكلف أن يجعل التلاميذ الموكولين اليه قيد عيانه ، يوقظ لهم حواسه ويقصر عليهم انتباهه ويتتبع حركاتهم وسكناتهم . فمن زينت له نفسه محاولة الغش وتعرض لمآزقه فهيهات أن يقسم له الستر وتكتب له السلامة

وبانتهاء الاختبار في المواد يبدأ تقدير درجاتها ، والسرية مكفولة هنا أيضاً . لأن الطالب ممنوع من كتابة اسمه على ورقة الاجابة ، وإنما يكتبها على جذاذة ملصقة بها . فاذا جمعت الأوراق وأرسلت للمراقبة العامة للامتحان وهي مؤلفة من أفراد معدودين لا يرقى إلى ذمتهم وأمانتهم ظل شبهة ، عمدوا إلى دمغ ورقة الاجابة بالرقم السري الذي اصطلحوا عليه للتلميذ بعد أن يدمغوا هذا الرقم بعينه على الجذاذة . ثم يفصلون الجذاذات فتصبح أوراق الاجابة مرموزاً اليها - كالمساجين - بأرقام لايعرف خفية أمرها غير واضعيها . كما أنهم مبالغة في الاحتياط يخلطون أوراق الاجابة خلط ورق اللعب حتى يفوتوا كل فرصة لفتح الاغلاق على من يحسب أنه وقع على مفتاح السر ، ويقطعوا كل أمل في الاهتداء لمن يتوهم أنه أمسك بطرف الخيط

وتوزع أوراق الاجابة بعد هذا على اللجان المعهود اليها تقدير الدرجات وهي تجرى على نظام يكفل الحكم بالقسطاس والمساواة في المعاملة . فثمة نماذج للاجابة على كل سؤال ، وبيان بتوزيع الدرجة على كل جزء من اجزاء الاجابة ، وفضلا عن هذه القواعد المفصلة الموضوعة فان الورقة لا يستقل بتقدير درجتها عضو واحد بل يشترك فيها عضوان أو اكثر

وأخيراً تؤذن النتيجة بالظهور . اليوم ! اليوم موعدها ! تتردد الكلمة على أفواه التلاميذ وهم زرافات في طريقهم اليها كالأشباح ساهمون . ولو ذهبت حيث الرياسة العامة للامتحان ساعة اعلان النتيجة لرأيت كيف يكون التعبير بالملامح وكيف حركة الأسارير ونطقها بالشعور . كما أن

الطرابيش المتطايرة فى الفضاء كالمناطيد الصغيرة من المناظر المألوفة هنا ، وهى دليل على نجاح اصحابها الذين يطوحون بها لفرط ما استخفهم الفرح . والغالب فيمن ينجح أن يطيل الوقوف ليتعرف الى نتيجة الآخرين إشباعاً لحب الاستطلاع فيه بعد اطمئنانه على نفسه . أما الذين لم يسعدهم الحظ فسرعان ما يضعون المنديل فى أفواههم حتى لا يعولوا أو تهشم أسنانهم لشدة ما يصرون . وتراهم شاحبين ينسلون هياماً على وجوههم لا يدرون أين يذهبون !

ولا تلبث النتيجة أن تنشر فى ملاحق الصحف اليومية وقد انتشر بها الباعة منادين . فيقرأ فيها القراء المتلهفون نتيجة أبنائهم ، وذويهم ، وذوى ذويهم ، ومعارفهم . ويقرأون فى أثرها اياما متتالية وهم واجمون أخبار الشباب المنتحرين من التلاميذ الراسبين . وإنا لله وإنا اليه راجعون .

فأنت ترى أن الامتحان على قلة جدواه من الناحية التعليمية يخلف فى الممتحنين أسوأ الآثار النفسية . ولست أخشى سقوط اعتبارى فى عينيك اذا قررت هنا انى بعد تركي المدرسة ظللت أشهرا يطرقني الكابوس اذا طرقنى فى صورة الحلم الكريه بأنى على موعد من امتحان أؤديه ، فأستيقظ منزعجاً ، ثم أحمد الله على أنه حلم ، وأن عهدى بها قد انتهى

«ع . ص»

لماذا أنشئت مدرسة الهندسة ؟

أول مدرسة عليا أنشأها محمد علي هى مدرسة الهندسة بالقلعة التى أسست سنة ١٨١٦ . ويرجع هذا الى حادث طريف رواه الجبرتى . خلاصته : أن أحد « أولاد البلد » ويدعى حسين شلبى عجوة ، اخترع آلة لضرب الأرز وتبييضه ، وقدم نموذجا منها لمحمد على ، فأعجب بهذه « النكتة » ـ على حد تعبير الجبرتى ـ وقال : « ان فى أولاد مصر لنجابة وكفاءة » . وأنعم على مخترعها بعطاء جزيل ، وأمر بصنع آلتين مثلها أقيمت إحداهما فى دمياط والاخرى فى رشيد

ورأى محمد على أن مثل هذا الأمى الذى يفكر ويخترع أهل للتفوق والنبوغ إذا لقى من يتعهده بالتعليم والتثقيف ، فأمر ببناء مكتب بفناء قصره بالقلعة ، وجمع فيه طائفة من مماليكه ونخبة من أولاد البلد . وأتى لهم بجماعة من المدرسين الاتراك والافرنج ، ورتب لهم نفقاتهم وملابسهم ، وكان أهم ما يدرسونه كيفية قياس الاراضى وتقدير الأبعاد بآلات هندسية كان يأتى بها من انجلترا

العقوبات المدرسية

وتطورها خلال القرن الأخير

بقلم الاستاذ احمد قاسم جودة

طرق العقاب الصارم فى بدء العهد الاخير ـ القسوة في العقاب تفقد التلميذ كرامته ـ كيف نظمت وزارة المعارف وسائل العقاب وخففت من قسوتها ـ هل نحرم العقاب ، أم نبيحه مع شيء من التقييد؟

في الخطاب المستفيض الذى ألقاه حضرة الاستاذ محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ يوم الاحتفال بالعيد المئوى للمدرسة الخديوية ـ فقرة طريفة عن العقوبات المدرسية فى العهد القديم قال فيها :

« وكانت العقوبات التى توقع على المذنبين من التلاميذ هى : الانذار ثم التأنيب أمام التلاميذ ، ثم عزل المذنبين عن غيرهم ، ثم تنزيل الرتبة التى كانوا يمنحونها وهى شبيهة برتب الجنود ، ثم لبس الجاكتة مقلوبة ثم الحجز فى غرفة خاصة ، ثم الحرمان من الخروج ، ثم الحجز مع الاقتصار على الخبز القفار والماء ، ثم الحبس فى غرفة مظلمة ، ثم الضرب بالكرباج ، وأخيراً الطرد من المدرسة »

وفى مذكرات صاحب السعادة أحمد شفيق باشا فقرة شبيهة بهذه في صدد الحديث عن التربية والتعليم ، إذ يقول سعادته : « كان المتبع فى العقوبات اعطاءهم ـ يعنى التلاميذ ـ الخبز بدون أدم ، أو الجثو على الركبتين ، أو استعمال السوط (الزخمة) من الجلد لضرب التلميذ على رجليه بواسطة (فلقة) تشد أرجلهم ، وكذلك الحبس فى الزنزانة بالمدرسة ، وهى غرفة صغيرة مظلمة بها منفذ بسيط »

كانت العقوبات البدنية إذاً وسيلة من وسائل التربية والتعليم . وكانت (الفلقة) و (الزخمة) تقوم فى المدرسة بالدور الذى تقوم به إلى اليوم فى المكاتب الأهلية العامة. وقد عرفها سعادة الاستاذ نجيب الهلالى بك وزير المعارف الأسبق ووصف مهمتها أبدع وصف فى مجلة « الدنيا » إذ قال :

« والفلق لغة عود يربط به حبل من أحد طرفيه إلى الآخر وتجعل رجلا المذنب داخل ذلك الحبل لامكان ضربه . وهـذا (الفلق) هو سر الكتاب ، يسمع به الاولاد قبل أن يدخلوه ، ويخشونه قبل أن يروه. وهو ضابط المكتب والمعلم الاول ، هو حارس النظام ، وشاحذ الاذهان ، وملقن القرآن ، ومقوم اللسان ! »

ولم تكن هذه الوسائل وحدها أدوات العقاب فى ذلك العهد القديم . وإنما كانت تختلف أنواع العقاب وتتعدد وفقاً لمزاج المدرس وقدرته على الاختراع والتفنن فى ابتكار الوسائل لايذاء الكسول أو المهمل أو المعتدى من التلاميذ . فلم يكن هناك قانون موضوع تنحصر فى نصوصه ومواده أنواع العقاب ودرجاته ودواعيه . وإنما كان للمدرس أو الناظر أو الضابط أو (القلفة) ـ وهؤلاء جميعاً يملكون حق العقاب ـ أن يقدر وحده مدى تقصير التلميذ ، وما يستحقه من عقاب ، وما يجب أن يلجأ اليه من الوسائل لا تزال هذا العقاب به

القسوة فى العقاب

ولقد كان من النتائج الطبيعية لهذه الفوضى فى شأن العقوبات وأنواعها أن كان بعض المدرسين يلجأ الى وسائل في العقاب شديدة الخطر ، لا على صحة التلاميذ وحسب بل على أخلاقهم ونفوسهم كذلك . فكان من تلك الوسائل ما يجرح شعور الكرامة فى التلميذ جرحا يكاد يستعصى التئامه فى المستقبل ، فيخرج التلميذ من المدرسة الى الحياة العملية فاقد الكرامة بليد الطبع ضعيف الحساسية . وماذا تنتظر غير ذلك من إنسان يتلقى العلم ويتربى على يد أستاذ لا يكاد يعثر له على خطأ حتى يأمر أحد زملائه من التلاميذ أن يبصق فى وجهه أو يصفعه على خده أو نحو ذلك من طرق العقاب التى كانت مألوفة فى المدارس الى عهد قريب ، وهى طرق تربى التلميذ على الذل والهوان ؟ !

بل كان من وسائل العقاب فى ذلك العهد ما يلقى فى روع التلميذ ـ بحق ـ أن الغرض من معاقبته لا يكاد يمت بصلة الى خطئه أو ضعفه العلمى ، بل يرجع الى أن مدرسه يبغضه ويحاول له أن يعذبه ! إذ هو يرى هذا المدرس لا يكتفى مثلا بأن يأمره بالوقوف ساعة أو ساعات ، ولا يكتفى بأن يجعله يركع على ركبتيه ساعة أو ساعات ، بل يعمد الى استحضار الحصى الدقيق يلقيه الى جانب الحائط ويأمر التلميذ بالركوع عليه بركبتيه العاريتين حتى ليتفجر منهما الدم فى كثير من الأحيان ؟

ويدخل فى عداد هذه الوسائل التى كانت أقرب الى العذاب منها الى طرائق التهذيب والتقويم ، ألا يضرب المدرس تلميذه على كفه بل يأبى الا أن تقع ضرباته على أطراف أصابعه مجتمعة على شكل (الكمثرى) ، وأن تختار لحبس التلاميذ حجرة قصية مظلمة رطبة ، يزج فيها المذنب وحده ، كما هو الشأن فى أشد السجون وطأة على المجرمين

ولم تكن هذه العقوبات وقفاً على المدارس الأهلية وبعض المدارس الحكومية ، بل كانت تشمل كل معهد للتعليم حتى تلك المعاهد العليا التي كان يتلقى العلم فيها أبناء الأمراء والأعيان ، ويروى فى هذا الصدد أن السيد البكرى كان يوماً فى أحد الدروس مع بعض الأمراء ، فأمره مدرسه بأن يضرب أحدهم على وجهه عقابا له على خطئه ، ففعل على كره منه . فما زال يحفظها له هذا الامير

حتى كبر وكانت له مع السيد البكرى حوادث أملاها البغض الذى وقر فى نفس الأمير من ذلك الحادث ! ومهما يكن مبلغ الصحة أو الزيف فى هذه الرواية، فان الذى لا شك فيه أن التجاء المدرسين الى إكراه تلميذ على توقيع عقاب على زميله أمر يبعث على إثارة الاحقاد والاحن فى صدور الاحداث على نحو قد لا يزيله مر الأيام

تنظيم العقاب وتخفيفه

ولقد بقيت العقوبات (مشاعا) بين الاساتذة يختارون منها ما يشاءون كيفما زينت لهم نفوسهم أو أمزجتهم ، حتى أوائل القرن الحالى إذ صدر قانون نظام المدارس فى ١١ يوليو سنة ١٩٠٣ وفيه المادة التى يحفظها التلاميذ اليوم على اختلاف أعمارهم ، وكثيراً ما يسيئون استغلالها ، وهي المادة الثامنة والثمانون التى تنص على أن « العقوبات البدنية ممنوعة منعاً قطعياً »

وقد نظم هذا القانون أنواع العقوبات - من الناحية النظرية على الاقل - وحددها فى المدارس الابتدائية والثانوية فقال إنها الوقوف خارج (التختة) ، والتوبيخ على انفراد أو بحضور تلاميذ الفصل ، أو حرمان التلميذ من الفسحة أو حجزه فى المدرسة بعد انتهاء الدروس ، أو إعطاؤه الخبز والماء فقط ، أو توبيخه بحضور جميع التلاميذ ، أو حجزه فى أيام الاجازات ، أو حبسه من يوم الى أربعة أيام الى الغروب ، أو طرده من المدرسة مؤقتا . وتلى ذلك عقوبة الفصل، وقد تركت هذه للوزارة دون الناظر . وأما فى المدارس العالية فقد حدد القانون هذه العقوبات وقصرها على التوبيخ والطرد المؤقت والحرمان من المدرسة لمدة لا تزيد على ثمانية أيام ثم الحرمان من المجانية أو من الامتحان

ومن عجيب ما سمعت من الاستاذ عبد الرحيم عثمان بك السكرتير العام للجامعة المصرية أنه بعد أن صدر هذا القانون كان بعض المدرسين - وبخاصة الانجليز - يتصلون بالناظر لاستدعاء ولى أمر التلميذ ويفهمونه تقصير ولده تاركين له العقاب الذى يشاء ، فكان ولى الأمر - ولا سيما اذا كان من العمد وأعيان الريف - يشمر عن ساعديه ويحاول أن يظهر للمدرسين والناظر قوة شكيمته وحسن تربيته لولده بأن يتناول التلميذ المسكين بألوان الضرب المبرح على ملأ من زملائه وأساتذته أجمعين !

ويخطىء من يحسب أن قانون المدارس حد فاصل بين العقوبة البدنية والعقوبة المنظمة ، فالواقع أن ذلك القانون ليس الا من قبيل القوانين النظرية التى توضع لتخرق على حد ما يقول بعض الساخرين . فالعقوبات البدنية لم تنقطع يوما واحدا لا قبل سنة ١٩٠٣ ولا بعدها ، ولا سيما فى المدارس الأهلية التى كانت الى عهد قريب فى شبه استقلال كامل عن وزارة المعارف

واذا كان هذا القانون قد نجح فى تخفيف وطأة العقوبات نوعا ما ، فانه كان سيء الأثر شديد

الأذى من الناحية المعنوية . وذلك أن معظم المدرسين الذين ألفوا العقوبة البدنية أخذوا بعد هذا القانون يعملون على التوفيق بين توقيع العقوبة البدنية وعدم الوقوع فى تهمة الخروج على القانون . فهم يضربون المثل السيء للتلاميذ فى مخالفة القانون أولا ، وفى الظهور بمظهر الخوف ومحاولة الهرب من تبعة الخروج على القانون ثانيا

هل نحرم العقاب

وهنا يبرز سؤال لا مناص من الاجابة عنه إجابة صريحة قاطعة : هل من الخير تحريم العقوبة البدنية تحريما تاماً فى المدارس المصرية أو اباحتها مع تقييدها بما يكفل اجتناب أضرارها ؟

لقد وجهت هذا السؤال غير مرة الى نفر من أكبر رجال التربية والتعليم فى مصر ، ومن الغريب أن الجواب الذى تلقيته منهم جميعاً واحد ، وهو ضرورة الاستعانة بالعقوبة البدنية فى حدود ضيقة ، أى مخالفة قانون نظام المدارس الذى يمنع العقوبة البدنية قطعيا !

ان الذين يقولون بمنع العقوبة البدنية فى مصر يريدون فى الحقيقة أن يطبقوا على مصر نظريات غربية لا تقرها بيئتنا ولا ظروفنا بحال من الأحوال . فالطفل المصرى انما يدخل المدرسة من وسط عائلى تكاد تكون العقوبة البدنية فيه هى الوسيلة الوحيدة للتربية . وفرق شاسع بين هذا الوسط وبين العائلة الانجليزية أو الفرنسية أو السويسرية التى تتردد حتى فى الالتجاء إلى الزجر لتأديب الطفل وتقويم معوجه . فما يصلح للطفل الانجليزى مثلا لا يمكن أن يكفى لطفلنا إلا إذا ارتفع مستوى التربية والمعيشة فى المنزل الى مثل مستواها عند الانجليز . ومع ذلك فالعقوبة البدنية تجد لها أنصاراً متحمسين حتى عند الانجليز ، فمن العبث أن نجارى الخيال المطلق ونتعلق بأذيال القائلين بتحريم العقوبة البدنية تمام التحريم

على أنه يجب ألا يفهم من ذلك أن يطلق العقاب البدنى فى المدارس من كل قيد وشرط ، فالواجب ان توضع له حدود دقيقة تحول دون التمادى فيه والخروج به من الغرض الأول منه ، وهو التقويم بشيء من الشدة ، دون أن يكون هنا لك سبيل الى أن يثير فى نفس التلميذ شعور الحقد أو الكراهة أو الرهبة غير الطبيعية ، وبحيث لا يميت فى نفسه اى احساس بالكرامة ، وتقدير للعلم واقبال على التعليم !

احمد قاسم جودة

أكاذيب المدنية

بقلم الاستاذ أحمد أمين

مدنيتنا كاذبة ، ما لم تعن بالجانب
الروحي عنايتها بالجانب المادى

لكل مدنية جانبان ، جانب يصح أن نسميه « الجانب المادى » ، وجانب يصح أن نسميه « الجانب الروحى »

ونعنى بالجانب المادى القوة الحسية وما يتبعها وما يمدها ، فالتسليح وما اليه قوة مادية ، والمخترعات الحديثة من كهرباء وبواخر وقطارات وطائرات وغواصات قوة مادية . وما اخترع من صنوف الترف فى الحياة كاستخدام الكهرباء فى شؤون الحياة ، واستخدام القوى الميكانيكية فى تنظيم الأعمال ، وما أدخلته فى رفاهية الناس ، قوة مادية . بل ان الوسائل التى تستخدم لهذه الغاية كالعلوم الرياضية والطبيعية والكيمياوية والطبية هى أيضاً قوة مادية ، لأن نتيجتها فى الحياة هى هذه المخترعات والمستكشفات التى تزيد فى ترف الناس ونعيمهم من الناحية المادية . بل والمدارس والجامعات التى تعلم لهذه الغاية هى قوة مادية للدولة

والقوة الروحية هى رسم المثل الأعلى للانسان والسعى فى الوصول اليه ، وهى العمل على إصلاح النوع الانسانى بأكمله من الناحية الفردية ومن الناحية الاجتماعية والسياسية ، وهى تعويد الانسان أن يفكر ويشعر ويعمل لخير الانسانية حتى تقرب من المثل الأعلى لها ، وهى أن يحقق قلب الانسان بحب الناس جميعاً وبحب الخير العام لهم جميعاً ، وهى أن يوضع من النظم ومن طرق التربية ومن القوانين ومن المعاهدات ما يحقق هذه الغاية أو على الأقل ما يقرب منها ، وعلى الجملة هى تغذية الروح بحب الخير للانسانية

وليس يمكن أن تعد المدنية مدنية راقية إلا إذا وجد فيها الجانبان ، وكانا معاً راقيين ، وكانا متوازنين

فلننظر – إذن – فى ضوء هذا القول المجمل إلى المدنية الحديثة ، أهى مدنية صالحة ؟ أهى مدنية راقية ؟ أهى أمل الانسانية ؟

الحق – مع الأسف – أنها ليست كذلك

مظاهر تخدع وحقيقة تؤلم

لقد نجحت فى الجانب المادى نجاحاً فوق ما كان ينتظر ، وفشلت فى الجانب الروحى فشلا أبعد مما كان ينتظر . فأما الذين يهمهم الرواء والمنظر وحسن الشكل والمتعة المادية ، فقد صفقوا للمدنية الحديثة حتى كلت أيديهم من التصفيق ، و بحت أصواتهم من نداء الاستحسان . وأما الذين يهمهم من الانسان روحه لا جسمه ، ومن المادية روحها لا مادتها ، فنالهم شيء غير قليل من اليأس . أما المادية فحدث عنها ولا حرج ، لقد حلقت الطيارات فى السماء ، وغاصت الغواصات فى قاع الماء ، وأتت الكهرباء بالسحر الحلال ، تضغط على زر فتبعث ما شئت من أنوار ، وتضغط على زر فتبعث ما شئت من حرارة ، وتضغط على زر فتبعث ما شئت من حركة . هذا التليفون بين أوربا وامريكا ، وهذا اللاسلكي يفعل أعاجيبه ، بل كيف أعد والمخترعات لا تحصى عدداً ، والعجب منها لا ينتهى أبداً ، حتى ظننا أن العالم احتفظ بأسراره كلها منذ خلق ، ثم باح بها جميعها لرجال المدنية الحديثة ، فلم يعد لديه سر ، وكل ما فى الأمر تصفية حساب الأسرار

ولكن لا تخدعنك هذه المظاهر ، فالمثل العامي يقول : « لا يعجبنك البيت وتزويقه ، فساكنه قد جف ريقه » ، لا تنظر إلى المكان وانظر إلى السكان

هذه مشاكل العمال العاطلين ، وهذه الملايين المملينة من البائسين ، وهذه الحروب الطاحنة فى اسبانيا بين الشيوعيين والفاشستيين ، وهذه الدول كلها تتسلح لتقذف بأبنائها جميعاً في اتون من نار مساحته الارض كلها ، وهذا وهذه مما لا يعد من ضروب الشقاء

هذا هو القصر السعيد فأين سكانه السعداء ؟ وهذه هي السفينة الجميلة المعدة بكل وسائل الاعداد فأين بر السلامة ؟ وهذا « الفرح » فأين « العريس » ؟ !

العلم وحده لا يجدى

سر هذا الشقاء كله طغيان جانب المادة على جانب الروح – سر هذا كله أن المدنية الحديثة عجزت عن أن تنظر إلى الانسان كوحدة على الرغم من أنها قربت بطرق المواصلات

والمعاملات بين أجزاء العالم . لقد قربت فى المكان و باعدت بين السكان ، تقدمت فى علم الجغرافيا ولم تتقدم فى علم الاجتماع . اكتشفت الجبال والوديان والصحارى والأنهار والبحار ، ولم تكتشف قلب الانسان . عملت على وحدة الانسان جغرافياً ، وعملت على تفريقه اجتماعيا . فما أغرب شأنها وما أصح عينها وما أضعف ذكاءها !

لقد تساءلت المدنية كيف نعيش فحسنت كيف نعيش ، ولكن لم تتساءل لم نعيش ، وكيف يجب أن نعيش ، وما الغاية التى لأجلها نعيش ، فلم تتقدم فى هذا الباب فى شيء

إن العلم كان وسيلة صحيحة لتحسين كيف نعيش ، ولكن العلم لا يكفى للاجابة عن بقية الاسئلة ، فلم يكن وسيلة صحيحة لها

لقد ابتكرت المدنية الحديثة فكرة الوطنية فكانت سبب شقائها ، ومصدر محنتها ، وفقدانها روحانيتها

لقد كانت الاسرة هي الوحدة ، ثم كانت القبيلة ، ثم كانت المدينة ، ثم كان أهل الدين الواحد ، ثم كان فى المدنية الحديثة الامة ، ولكن فى كل ذلك شقاء . ولا يمكن أن يسعد العالم حتى تأتى مدنية تجعل الانسانية كلها هي الوحدة وهي الغاية وهي المثل الاعلى

فكر فى أكثر شرور هذا العالم ، وكلما بدا سبب فارجعه إلى علته الأولى تصل أخيراً الى أن علة العلل ضيق هذا النظر فى جعل الأمة لا الانسانية هي الوحدة . فالتسلح ، والحروب الماضية ، والحروب المستقبلة ، وكثرة العاطلين ، وغلاء الأسعار ، والخصومات بين الأحزاب ، والخصومات بين الأمم ، وعدم وجود المال الكافى للاصلاح الاجتماعى ، سببه كله هذه النظرة الضيقة ، نظرة الساسة المستبدين الى أمتهم ، يؤيدهم من وراء ستار رجال الأموال والأعمال ، وحتى الرجال الذين كانوا موضع الأمل فى اعزاز جانب الروح وهم رجال الدين ـ أصبحوا ـ كذلك ـ رجال سلطة

المادية تستبد بنا

هذه المادية التى شرحتها طغت على كل شيء ، فالأخلاق أساسها هذه المادية ، و برامج التعليم أساسها الوطنية ، ومالية الدولة مشلولة بالأغراض الحربية ، والآلات المخترعة جعلت أصحاب الأموال والحكومات ينظرون الى الانسان نظرهم الى ترس فى آلة ، واستغرقت المادة كل تفكير المفكرين من اقتصاديين وماليين وعلماء وحكوميين ، ومن اتسع تفكيره

لاصلاح روحي أو لاصلاح اجتماعي صدم بميزانية الدولة التي أسست على النظرة المادية ، وصدم بالحالة الدولية العامة ، كالذى كان فى عصبة الأمم فقد خذلت وأصيبت في صميمها لأنها حاولت محاولة بسيطة أن توجه تيار المدنية الحديثة الى الناحية الروحية ، فلما كانت البيئة التى حولها لا تساعدها اختنقت وأصبحت هى الأخرى جسما بلا روح ، ثم أصبح الناس جميعاً وقد فقدوا حريتهم الحقيقية على الرغم من الطلاء الكاذب من المناداة بالحرية ، فالحالة الاقتصادية المادية سلبت الناس حريتهم ، وجعلتهم يعانون أشد المعاناة وسائل العيش ولا حرية لهم فى التخلص منها ، وكلما زادت المدنية زادت مطالب الحياة وتعقدت سبل الحصول عليها وشعر الناس بضيق من شدة الضغط ، وهل مع هذا حرية ؟ والناس يرون الحرب أزمة المدنية ولكن هذا خطأ ، فالحرب نتيجة سوء المدنية ومظهر لحقيقة سوء الحال الاقتصادية والمادية ، لا أن الحرب نفسها هي الازمة ، فالحرب هى عقرب الساعة التي نراها ولكن العقارب نفسها ليست إلا مظهراً للآلات الدقيقة المستورة تحت العقارب ، وإذا رفعت العقارب لم يتغير سير الآلات فى شيء . وكل ما فقدناه هو المظهر والعلامة

نريد روحانية جديدة

لقد أعلت المدنية الحديثة شأن العقل وغالت فى تقديره ، وآمن رجالها بأنه وحده هو الاساس الصالح للحياة ، فكان من نتيجة ذلك ازدهار العلم الى حد بعيد وزادهم تحمساً له ما كان من نتائجه الباهرة فى المخترعات والآلات ، ولكنهم بعد سيرهم الطويل ونجاحهم الباهر فى هذه السبيل ، اصطدموا بحقيقة مؤكدة وهى أن العلم وحده وما تبعه لم يكن السبيل لاسعاد الانسان

وأظن أن قد ظهرت موجة علت نفوس الناس تشعرهم بأنهم لم يكونوا بعد العلم أسعد مما كانوا قبل العلم ، وتشعرهم بأن المدنية ينقصها شيء كبير

ما هو هذا الشيء ؟

هذا هو الجانب الروحى الذى أشرت اليه ، ولست أنكر مزية العلم ولكنى أعتقد أنه وحده لا يكفى . انى أفهم من المدنية معنى خاصاً ، هو أنها « التقدم الذى يقوم به الناس فى كل جانب من جوانب الحياة وفى كل وجهة من وجهات النظر المختلفة » فاذا انحصر التقدم فى المادة وحدها والعلم وحده كانت المدنية ناقصة ، كما اذا انحصر التقدم فى الروحانية وحدها

لقد رجحت فى المدنية الحديثة كفة المادية فيجب أن نضع فى الكفة الخفيفة روحانية كثيرة حتى تتوازن . ولكن ما هذه الروحانية التى نريد وضعها

هي أن يخفق القلب بحب الانسانية كلها ، فليس هناك أمة مستعمرة وأمة مستعمرة ، وليس هناك أسود وأبيض ، وليس هناك أصحاب رءوس أموال يتخذون الملايين خدمة وعبيداً . هى أن يتجه من بيدهم زمام الأمور الى الخير العام لا الخير الخاص

هى أن تلغى الحدود الجغرافية والحدود الجنسية والحدود الوطنية والحدود المالية ونحوها من حدود ، ثم يكون المبدأ العام « الانسان أخو الانسان يكد ويعمل لخيره »

هى ان يكون مبدأ الانسانية دينا يشرب به ويعمل من أجله ، وتحور مناهج التعليم وقواعد الاخلاق على حسبه

لو فعلنا ذلك لزالت أكثر شرور المدنية الحديثة من حروب وعطلة وتناحر بين العمال وأرباب الاموال ، ولتعاون الشرق والغرب ، وتعاون اهل الاديان المختلفة ولشعر الانسان بأن افق تفكيره اتسع ، وافق شعوره اتسع ، وشعر ان الأرض كلها وطنه ، والناس كلهم اخوانه ، ولشاع الحب فى جو الارض وأصبحنا نستنشقه مع الهواء

وما لم نصل الى هذا الحد فالمدنية مجموعة أكاذيب

احمد أمين



رجالنا

محمد محمود ..!

بقلم الاستاذ فكرى أباظه

بالكمال

نعم ... « بالكمال » ...

يجب أن يكتب الكاتب عن هذا الجبار بالكمال .. وبغاية الأدب . فان له نظرة صفراء - اذا غضب - تتجمع فيها كل ألوان السخط ، والمرارة ، والاحتقار ، والثأر ..

ومثلى ممن يقدرون خطر هذه الشخصية ، يعز عليه أن يفقد ودها . ولله الحمد ليست فى صفات « محمد محمود » الشخصية صفة تغرى الكاتب المناكف بالاغاظة والاستفزاز

فالرجل « نبيل » بكل معانى النبل . « نزيه » بكل معانى النزاهة .

و «الجبروت» وحده - وما تلا الجبروت من آثار - قد أصبح فى ذمة التاريخ، فلنسدل عليه الستار..

وليد الصعيد !

لكم أيها القراء بالطبيعة أصدقاء من الصعيد . وعندما أقول الصعيد أقصد الصعيد البعيد .

الصعيد العالى العميق البارز الأنياب ابتداء من أسيوط فما تحت . . ولست أقصد الصعيد من أسيوط فما فوق . . وسكان تلك الجهات لا يزالون يحتفظون « ببدوية » صحراوية ناشفة جريئة صريحة لا ترضى بسهولة ، ولا تغتفر بسهولة ، ولا تلين بسهولة ، ولا تتكسر بسهولة .. ولا يزالون يحتفظون بكبرياء وشمخة ، وأنوف مشمخرة للسماء ، وعيون متطلعة للجوزاء ، واعتداد بالنفس وبالذات . فى كل الأزمات . .

ومن دواعى هذا التحليل النفسانى لسكان الصعيد « الجوانى » يستنتج القراء بسهولة ان من مواليد هذه الجهات « العناد » العنيف من الذكور — و « الرءوس الناشفة » من الاناث . .

فى هذا الجو وفى تلك الأنحاء ولد « محمد محمود » وتربى ، وترعرع ، وتشبع . فهو بمنتهى الأدب و « بالكمال » بدوى ، صحراوى ، جرىء ، صريح ، لا يرضى بسهولة ، ولا يلين بسهولة ، ولا ينكسر بسهولة ، ومن ذوى الكبرياء والشمخة والأنف الصاعد للسماء ، والعين المتطلعة للجوزاء ، والاعتداد بالنفس وبالذات فى كل الأزمات ، ومن ذوى العناد والرءوس الناشفة . حسب الترتيب والتعقيب المذكور آنفاً . .

الارستقراطية الريفية

أوشكت مظاهر « الارستقراطية الريفية » المصرية أن تنهار . وأقصد بها ارستقراطية « البيوتات » القديمة والعيلات الكبيرة . فقد تحضرت البيوتات وتعصرت العيلات وامتلأت شقق الزمالك ، وجاردن سيتى ، وهليوبوليس ، بأرستقراطية جديدة « نية » غير « مسبوكة » ، وناعمة غير خشنة ، ومدللة غير مهيبة ، وتداعت شخصيات ريفية ضخمة واهتزت وتلاشت فلا تظفر اليوم « بارستقراطيين ريفيين » يحتفظون بجلال دواوير الريف ، ووقار أقطاب العشائر وصلابة رءوس العيلات . .

ولا تظفر اليوم « بعصبة ريفية أو عائلية » فقد حلت محلها « الحزبية السياسية » . .

ولكن « محمد محمود » لا يزال يحتفظ بمظهر ومخبر الارستقراطية الريفية ، ولا يزال يعتد بالعصبية ويمزجها بالحزبية . . وربما تفرع هذا الاختلاف فى « المزاج » من الاختلاف فى « الديكتاتورية » و « الديمقراطية » . .

وبعد : فقد شرحت لك هذا المزيج الخلقى فلا تدهش بعد ذلك اذا تذكرت كيف اصطدم فى حياته السياسية مع السلطات كلها ، وكيف كان شأنه مع السراى ، ومع الانكليز ، ومع أصدقائه الزعماء الآخرين ، ومع كتلة الشعب ! . .

عصبي . . .

ولا تدهش اذا تذكرت أنه « زعيم العصبيين » فى الوطن ، وأن لاعصابه دخلا كبيراً فى توجيهه

وفى نزعاته وفى عراكه ، وويل « للحكة » اذا اصطدمت مع حاجات « الجسم » وخضعت لارادته وطبيعته . .

ثروته السكسونية

ذهب « محمد محمود » الى انكلترا بهذه الصفات الاقليمية ، والمنزلية ، والطبيعية . وعاش هناك طالباً ـ فى جو الحرية والكبرياء الانكليزى والاعتداد بالنفس الانكليزى والتربية الاستقلالية الانكليزية . فلم يفعل الجو والوسط والبيئة هناك اكثر من أنها زادت صفاته الموروثة واستعداده التقليدى امعاناً وعمقاً وتأصلا . . .

وعاد الى وطنه وقد جمع بين الثقافة الانكليزية والصقل الانكليزى ، فمزجهما « بجبروت » الصعيد الذى شرحناه ، فكان المزيج ذلك « الرجل الحديدى » الذى استطاع ان يحتفظ طول حياته بميزات اليد الناشفة ، والرأس الفولاذى ، واحتفظ بجانب ذلك بالمثل الاعلى فى نزاهة اليد وفى العفة ـ فكان « شخصية » من الشخصيات المصرية المحترمة « المحسوب حسابها » الى اليوم ، وغد ، وإلى ما بعد عمر طويل ان شاء الله . .

معتزل . . .

وبالرغم من « دائرة المعارف » المحمودية الواسعة ، وبالرغم من كثرة الانصار والأصدقاء ، والصلات مع كل أسرة وكل جنسية وكل حيلية ، فنحن نحصى أن « محمد محمود » من المعتزلين ...

وقد يكون « لصحته » أثر كبير فى هذا الاعتزال . والرجل ليس بدمن سهرات صاخبة . وداره الكبيرة قلما تحفل بالحفلات والولائم . وشخصيته طالما تفقدها الصحفيون فى الفنادق والقصور فلم يظفروا بها إلا قليلا . . .

قد يظن بعض الناس أن مسألة هذا الاعتزال أثر من آثار « الكبرياء » الطبيعية . ونظنها نحن مسألة صحية . وان أردت الصلح بين الطرفين فقل إنها خليط بين الاثنين والسلام ...

سياسى صلب !

فاذا حللته « كسياسى » لم تتعب كثيراً ولم تنقب كثيراً . هو رجل صريح وجرىء وواضح . وهو لا يكلف ذهنه عناء التدبير والتاكتيك والابتكار واللف والدوران . وهو ليس من ذوى الحيلة البارعة فى الظلام . ولذلك نجح نجاحا رائعا فى المعارك السياسية المكشوفة العلنية ، ولم ينجح فى معارك المناورات . والحالة هذه هى الحالة بعينها فى الادارة العادية وفى الحكم العادى . ولئن لم يكتمل هذا السياسى فى جانبه « التاكتيكى » فالمسئولية عن ذلك ترجع الى أعصابه ، وتربيته ، وطبيعته...

تقليدى

وهو من النوع « التقليدى » أى من « المحافظين » . وهو شديد الحرص على شرقيته . واسلاميته . وهو « عنيف » فى هاتين الناحيتين ، وقد يوجه سياسة حكمه ـ عندما يحكم ـ مرتكزة على هذا الأساس ...

خطيب لا يتورط . . .

ومن صفاته الممتازة أنه خطيب ممتلىء الصوت ، عريض الجرس ، يلقى نظرياته كأنها « أوامر وتعليمات » ويحس القوة وهو ينثر الألفاظ . . .

وقد راقبت بيقظة وانتباه أساليبه الخطابى فى ظروف عدة . وراجعت خطبه واحدة واحدة . فخلصت الى نتيجة لا شك فيها : وهى انه خطيب لا يتورط . بل يعد نفسه اعداداً تاماً قبل أن يتكلم ، ويزن الألفاظ الحادة واللينة وزناً تاماً ، فهو يتعمدها ويقصدها ولا ينساق اليها بحكم الموقف وبحكم الاثارة والتيار . . .

وقد عانى من بعض الجمل وبعض الأقوال التى فاه بها . وأؤكد أنه أرادها وأراد آثارها . وقد لا أبرر كل « وقفاته » ولكنى أحلل ...

***

والخلاصة أن محمد محمود باشا «فذ» فى منطقة شخصيته . وقد يشترك الزعماء فى الصفات ، وقد تضع كثيراً منهم تحت زمرة واحدة أو ضمن (Class) واحدة ، ولكن « محمد محمود » باشا شخصية قائمة بذاتها ، تختلف في تركيبها الجسمى والذهنى عن غيرها من الشخصيات . . .

والى هذا الحد أكتفى ...

فكرى أباظه

المحامى



لماذا نقرأ؟.. وكيف نقرأ؟

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« .. يقرأ الانسان لأنه لا يستطيع أن يعيش أعمار الناس جميعا ، ولكنه يستطيع في عمر واحد أن يشعر بما شعروا به ويختبر ما اختبروه من طريق القراءة .. »

يقرأ الطبيب كتب الطب ، والمهندس كتب الهندسة ، والمحامى كتب القانون ، والمعلم كتب التدريس . وهذه وما شابهها هى القراءة التى يقضى بها حكم الصناعة ومطالب المعيشة . فلا محل فيها لاختلاف الآراء والأذواق ، وليست هى القراءة المقصودة فى هذا المقال

انما القراءة المقصودة هنا هي التي يقرؤها جميع هؤلاء لأنهم أصحاب عقول ومشارب نفسية لا لأنهم أصحاب صناعات وطلاب معيشة

فلماذا يقرأون اذن ان لم تكن قراءتهم لذلك الغرض الذي أسلفناه ؟ يقرأون لأسباب شتى يكثر القول فى سردها وطريقة التعبير عنها . ولكننا نستطيع أن نلخصها ونجمع بين اطرافها فى سبب واحد وهو : «أنهم يقرأون لكسب الوقت لا لتضييعه» ، وهذا أنفس وأقصى ما يستفيده المستفيد من الكتاب كائناً ما كان المؤلف والموضوع

ومن الواضح أن سرور القارىء بما يقرأ لا ينفى تضييع الوقت وقلة الفائدة من ذلك السرور ، لأن كل قارىء انما يقرأ فى الواقع ما يسره ما دام لا يجبر على مطالعته بحكم الصناعة ولا بحكم الدراسة ، ولا نعرف أحداً يختار كتابا لأنه لا يريد منه الفائدة ولا يريد منه السرور . وانما موضع الخلاف هو : هل كل سرور قيم جدير بالطلب ؟ وهل كل ما نقرؤه طلبا للسرور يستحق القراءة ؟ والجواب يعود بنا الى وصف القراءة الواجبة كما تقدم وهو « كسب الوقت » أو زيادة حظ الانسان من عمره وحياته

يقرأ الانسان لأنه لا يستطيع أن يعيش أعمار الناس جميعاً ، ولكنه يستطيع فى عمر واحد أن يشعر بما شعروا به ويختبر ما اختبروه من طريق القراءة . فالرواية الواحدة التى يحسن صاحبها وصف أبطالها هى حياة عشرات من الناس مجموعة فى بضع ساعات أو بضعة أيام . والرحلة التى يشرح فيها السائح ما شهده ومرس به شهوراً وأعواما هى شهور وأعوام لا تكلف القارىء الا ريثما يعبر صفحاتها ويستوعب معانيها وأحاسيسها ، وسيرة الرجل العظيم تستغرق من الدهر سبعين

أو ثمانين سنة ، ويمحض لنا الكتاب زبدتها وعبرتها فى أسابيع معدودات ، وتاريخ الأمة يحيط بالعصور الطوال وهو معصور ومحصور فيا بين جلدتين من كتاب ، وهذه كلها نماذج من القراءات التى نكسب بها الوقت ونستزيد بها العمر ونتكثر بها من أزواد الحياة ، ولا نحتاج فى ذلك الى اكثر من ساعات الفراغ التى نضن بها على الضياع

أما القراءة التى تستفز الشهوات وتشغلنا بالفضول فهى لا تزيدنا شيئاً ولا تعطينا شيئاً . بل لعلها تحرمنا وتشعرنا بحرماننا ان لم تتركنا على حالنا الذى نحن فيه . فمن الجائز أن تكون لنا معلومات مائة انسان متفرقين من طريق القراءة ، ولكن ليس من الجائز أن يكون لنا من طريق القراءة مائة جسم بدلا من جسم واحد ومائة شهوة بدلا من شهوة واحدة

***

فى هذا العصر غلبت قراءة الوقت الضائع على قراءة الوقت المكسوب ، لأن القراءة قد أصبحت اليوم عملا من أعمال الشركات التجارية التى تهمها كثرة البيع أضعاف ما تهمها جودة الأصناف

واذا شئنا أن نرجع الى سبب آخر وراء هذا السبب الظاهر فالسبب الآخر هو انتشار الحرية الفردية بين عامة الرجال والنساء ، فأصبحت الموضوعات الشائقة هى موضوعات الرعب والشهوة أى موضوعات الجرائم والغرام المبتذل المرذول ، لأن النفس الجاهلة لا تتأثر إلا بأقوى المؤثرات وأعنف الحوافز ، وهما الخوف والغريزة ، وليست لها قدرة على التأثر بدقائق الاحساس ولطائف الافكار . لأنها لا تدرك هذا الاحساس ولا تفقه هذه الافكار

حرية الرجل العامى ألقت فى روعه أنه قادر على أن يفعل ما يشاء ويقرأ ما يشاء ، ويجهر بميوله وعاداته لأنه لن يخشى انسانا ولن يخجل من انسان فهو وأعظم الناس على حد سواء ... ومن ثم أعفى نفسه من عناء التهذيب والتحسين وطلب الرفعة والامتياز ، واكتفى بما هو فيه لانه يجهل الحقيقة من جهة ، ولأنه من جهة أخرى يتحدى ويعتز بالحرية الجديدة التى آلت اليه

وحرية المرأة العامية أباحتها أن تظهر بنزواتها بعد أن كانت تواريها وتصطنع فيها الرياء والحياء . وآية ذلك أننا كنا نرى الصور المتحركة قبل عشرين أو ثلاثين سنة تعنى بانتقاء النساء الجميلات لاجتذاب النظارة فاذا هى اليوم تعنى بانتقاء الرجال العمالقة الذين لاقدرة لهم على صناعة التمثيل ولا فضل لهم غير فضل العضلات القوية والسواعد المفتولة والقامات المديدة ، وأدل من ذلك على هبوط أذواق النساء المقصودات بعرض هؤلاء الممثلين انهن لا يعجبن بمظاهر الرجولة إلا اذا كانت تذكرهن بصفاتها العضلية والجسدية ، فاذا كان الرجل كالممثل المعروف «فردريك مارش» فلا حظوة له عندهن كالحظوة التى يلقاها ذلك الصنف من الرجال ، لأنه قوى البنية متين التركيب جميل الطلعة ، ولكن محياه لا يذكر الناظر بمظاهر الرجولة العضلية كما يذكره بمظاهر الرجولة العقلية

***

هذه القراءات والمشاهد التى لا معول لها على غير الشهوة الحيوانية والرعب الحيوانى ، هى القراءات التى تضيع الوقت ولا مكسب فيها للقارىء من فهم ولا استطلاع ولا عطف ولا شعور . بل لعلها تنتكس بالانسان الى حضيض الحيوانية لانها لا تخيفه إلا كما يخاف الحيوان ولا تثير شهواته إلا كما تثار شهوات الحيوان

أما القراءات والمشاهد التى تكسب الانسان وقتاً وعمراً فهى التى تفسح أمامه آفاق الاختبار وتوسع بين يديه نطاق الشعور ، وتزيده علما بنفسه وعلما بدنياه ، وتعوده أن يفهم خيراً مما كان يفهم ،وأن يحس خيراً مما كان يحس ، وان يجمع فى عمر واحد ما ليس يجتمع بالمراس والمعاينة إلا فى الأعمار الطوال

ولست أحاول أن أحصى هذه القراءات فانها أوسع وأوفر من أن يجمعها احصاء ، ولكنى أذكر ما يروقني منها وأدع للقراء أن يختاروها أو يختاروا غيرها حسبما تتباين المشارب والمطالب والأذواق . فأفضل الكتب عندى هى الكتب التى أقرأ فيها الشعر ونقد الفن وتراجم الناس وفلسفة العقائد والأديان ووصف طبائع الاحياء وتواريخ الشعوب مقرونة بتواريخ العظماء والمذاهب الاجتماعية فى وقت واحد . وقد سألت نفسى كثيراً : ما الذى ألف عندى بين هذه الموضوعات وهى فى ظاهر الأمر شتيت موزع من هنا وهناك ؟ فاستطعت بعد طول المراقبة أن أعلم انها تصدر جميعاً من معين واحد وهو استكناه سر الحياة وسر الشعور . ورأيت انى حين أقرأ الشعر فانما أسبر مدى الحياة من الحس والعاطفة ، وحين أقرأ التراجم والسير فانما أساجل أصحابها ما خبروه وأحسوه ، وحين أقرأ فلسفة العقائد فانما أسبر مدى الحياة من العمق والخلود ، وحين أقرأ المذاهب الاجتماعية فانما أستعرض البواعث التى تزجى الحياة فى الجماعات والأفراد ، وكذلك حين أقرأ طبائع الأحياء من آدمية وغير آدمية

فالمعين واحد وان اختلفت العناوين ، وأحسب أن القارىء يعرف نفسه جيداً ويعرف موضوعاته جيداً إذا حاول أن يؤلف بين دواعيها وأن يرجع بها جميعا الى معينها ، لأنه يتغلغل حينئذ فى معانيها ومدلولاتها ويصل الى قرارها ويجعل كل موضوع منها معاونا للموضوعات الأخرى بالمدد والاضافة

***

أما كيف نقرأ فليس الأمر فى هذا الصدد بالعويص ولا بالعسير : نتوخى فى القراءة ما نتوخاه فى الطعام من مضغ جيد واعتدال فى الزاد ورياضة على الهضم وتحويل الغذاء الى عناصره النافعة فالطريقة « الامريكية » طريقة العجلة والقفز بين السطور والحروف هى أولى الطرائق بالاجتناب والمحاذرة . لاننا لا ننتفع بالغذاء على هذا الأسلوب ـ فمن باب أولى أن لا ننتفع بالقراءة ولو كانت للتسلية والاستطلاع . وقد رأينا فى شريط شارلى شابلن عن الزمن الحديث أن هواة

الاختراع لم يفلحوا فى اختراع الآلة التى تنوب عن الانسان فى تناول طعامه وازدراده ! ! فلا نخالهم يفلحون فى اختراع الآلة التى تنوب عنه فى رؤية الكلمات والالمام بالسطور واستخراج المعانى واستنباط الخفايا واستمراء الجمال والابداع !

انما نقرأ لنتذوق ونتفهم ونتأمل . وكل أولئك يحوجنا الى الأناة والاستقصاء والمقابلة بين السابق واللاحق مما قرأناه ووعيناه

قال لى بعض المتخرجين فى احدى الجامعات الامريكية إنه أتى على رواية « كرمازوف » للكاتب الروسى العظيم دستيفسكى فى ثلاثة أيام . فقلت له ضاعت الرواية وضاعت الثلاثة الأيام

انى لأذكر انى قرأت هذه الراوية بعينها فى أربعين يوما وأنا اتهم نفسى بالعجلة وأعود اليها حيناً بعد حين ولا أرى انى قد استنفدت ما فيها من متاع ودراسة . وكان فى وسعى أن آتى عليها فى ثلاثة أيام كما فى وسعى أن أزور أحياء القاهرة من أطرافها الى أطرافها فى تلك الأيام الثلاثة . ولكنني لن أفهم من كرمازوف ولا من القاهرة فى هذه الحالة الا ما انا فى غنى كل الغنى عن فهمه وتوجيه النظر اليه . وكل ما هنالك انني أستطيع اذا لغط اللاغطون أمامى بذكرى كرمازوف وذكرى القاهرة أن أخوض مع الخائضين فيقال انى رجل مطلع على الكتب مطلع على البلاد . فهل هذا هو المقصود بالقراءة والسياحة ؟

كلا ! ليس هـذا هو المقصود . ولكنما المقصود هو ما تعرفه انت لا ما يعرفه الناس عنك مصيبين ، فكيف بما يعرفونه عنك مخطئين واهمين ؟.. أوجز ما يجاب به عن سؤال السائل : ماذا نقرأ وكيف نقرأ اننا نقرأ ما يكسبنا ويزيدنا حياة ، واننا نغذى النفوس كما نغذى الجسوم

عباس محمود العقاد



للدكتور أمير بقطر

إذا بكت المرأة :

* تبينت في دموعها الحب والبغض ، والرحمة والقسوة

* عرفت في بكائها الامانة والخيانة ، والاخلاص والخديعة

* قرأت في عينيهـا سلسلة طويلة من تاريخ البشرية

كتبت بالأمس فى موضوع « اذا ابتسمت المرأة ... » ، واليوم أكتب فى موضوع « اذا بكت المرأة . . . » ، وليس بين الابتسام والبكاء ، من الناحية النفسية فرق يذكر . فكل منهما منفذ للانفعالات ، ومخرج للعواطف ، وكل منهما صمام للأمن ، اذا سدت فوهته انفجر الاناء ، وكل منهما مزيج غريب من ألوان الوجدان ، فاذا قلنا أن الابتسام عنوان السرور ، والبكاء عنوان الحزن ، فالواقع يخالف ذلك فى كثير من الأحايين . فقد يكون الابتسام دليل الحزن ، والألم ، والصد ، والهجر ، والحرمان ، والغيرة ، والحسد ، والختل ، والخديعة . وقد يكون البكاء دليل الفرح ، والارتياح ، والشفاء ، والوصل ، والحب ، واللقاء ، وتحقيق الأمل

جمال البكاء

ويخيل إلىّ أن الكاتب أطوع بناناً وأسيل قلما ، عند التحدث عن البكاء منه عند التحدث عن الابتسام ، خصوصا اذا كان الكلام عن المرأة . أليست المرأة باكية أجمل منها ضاحكة ؟ أليست دمعة تترقرق فى عين الحسناء ، ثم تنحدر كالدرة على ورد خديها ، أجمل من ابتسامة تحار بين شفتيها ، وترتسم على وجنتيها ؟ ألم ينبئنا الانجيل الشريف أن الحزن خير من الفرح ، وأن يوم المات خير من يوم الميلاد ؟ أليست الفتاة العذراء ، فى ثوبها الناصع البياض ، وهى تودع عالم الشقاء ، وترقد فى أحضان الأبدية ، أجمل منها فى ثياب العرس ، وهى تختال طربا ، وتميس تيها ، فى حلبة الرقص ؟ أليس الندب أبلغ من المديح ، والرثاء أشد وقعا فى النفوس من الثناء ؟ أليس نواح الحمام فى الروض أعذب لحنا من صدح البلابل فى الربى ؟

أين بسمات الربيع ونضارة أزهاره ورياحينه ، من ذبول الخريف وتساقط أوراقه وبكاء

جنانه ؟ أين بسمات الشمس وهى صحوة تشرق على الارض بأشعتها الذهبية ، من بكاء السماء وهى مجللة بالسحب مكسوة بالغمام، يتساقط منها رذاذ من المزن ، فيكسب الطبيعة جمالا على جمالها ؟

سل المحبين الواقفين على أسرار المرأة ، سل المتيمين الألى سبروا غورها ، وجففوا بأفواههم دموعها ... ثم سل الألى فرق الزمان بينهم وبينها ، وكوى الدهرجوارحهم بفرقتها .. سل هؤلاء جميعهم يجيبوك أن أعذب ساعات الغرام ، هى التى تتخللها دموع الحزن، هى التى تبكى فيها المرأة، حتى تذبل شفتاها كما تذبل شقائق النعمان الحمراء

ان أجمل الغناء ما كانت تتخلله رنات الحزن ، فاذا كان صاحبه امرأة جميلة ، ناحت كما ينوح الحمام على الأفنان ، وهدرت كما يهدر اليمام على الأغصان . أعد الى ذاكرتك تلك الاغانى الخالدة، التى لا تطرب لها وحسب ، وانما تخشع وتتعبد ، وقل لى هل هى الى الفرح أقرب أم الى الحزن ؟ أتذكر تلك الألحان الملائكية العذبة التى تنشدها جانيت مكدونلد ، وجريس مور ، ولوسين بوابيه ، وجاليكرشى ، وكل «بريما دونا» فى الأوبرا؟ أليس أبعدها شهرة هى تنهدات وزفرات تنفثها الصدور ، ودموع تسيل من الجفون ؟ أليست الاغانى العربية الخالدة التى يكاد يجن الجمهور عند سماعها ، هي تلك التى تصدح بها مغنياتنا ، وفى أصواتهن العذبة أنات البكاء وآهات الحزن والأسى ، وشكوى العيون والليالى ؟

أتدرى ما الذى يميز زنوج أميركا عن البيض فى ألحانهم وأناشيدهم ؟ هى تلك النغمة الخنفاء الحزينة ، اللينة الهادئة ، التى تسود كل ألحانهم ، سواء فى النوع الدينى الروحى (Spiritual) ، أو الاسيف المحزن (Crooning) . ومع كراهية البيض للسود ، فان أشد الغناء تأثيراً فى أميركا ما كان صاحبه امرأة سوداء الخدين . ولعل سر هذه العذوبة ، ذلك القلب الكسير الحزين ، الذى ذاق مرارة الأسر والاستعباد والمهانة ، منذ أن حمل الانجليز تلك السلالة السوداء البائسة من غرب أفريقا الى أميركا فى القرن السابع عشر

ان صوفوكليس الروائى الاغريقى لايموت ، لأن المأساة (التراجيدى) لا تموت . ومن لا يذكر روايته « أوديب الملك » ، والروايات الرائعة التى وضعها الروائى الاميركى أونيل ، ونسج فيها على منوال صوفوكليس ؟ ولكن كم منا يذكر ارستوفانيس ، ويعرف شيئاً عن رواياته الهزلية (كوميديا) ؟ من الذى ينسى مآسى كورنيل ، وراسين ، وما صورته من دموع وبكاء وصدام عنيف بين العاطفة والواجب ؟ وهل لروايات موليير الهزلية من الأثر ما كان لتلك ؟ أين مهازل سوفت وستيل من مآسى شكسبير ودوماس وغوته ؟ ومن الذى ينسى دموع أوفيليا فى «هملت» ، وديدمونة فى «عطيل» ، وجوليت فى «روميو وجوليت» ، ومرغريت جوتيه فى «غادة الكاميليا» وشارلوت فى « آلام فرتر» ؟

ان بكاء المرأة جميل لأنه ثمرة القلوب الرقيقة والاحساس الدقيق والأفئدة المكلومة . كما ان

الشعر المنثور ، والنثر المنظوم ، ثمرة الاقلام السيالة . والدموع فى عين الحسناء نجوم من الماس فى أكواب من النرجس لا يدرك جمالها الا الفنان ، كما لا يدرك جمال الماس سوى الخبير الماهر فى صناعة الجواهر

البكاء المستهجن

وكما أن الابتسام يكون قبيحا اذا انقلب ضحكا وقهقهة ، فالبكاء كذلك يكون قبيحا اذا استحال عويلا وصياحا . وليس ثمة ما يشوب الجمال كالمجون والاستهتار ، وتدفق العواطف ، والقهقهة والعويل والصياح والولولة ضرب من ضروب المجون ، ولون من ألوان الاستهتار . يتجلى الجمال فى الابتسامة ، كما يتجلى فى البكاء ، لأن فى كل منهما تهز العاطفة أوتار القلوب هزاً خفيفاً ، كما تداعب نسمات الربيع أوراق الأزاهر . فى حين أن فى كل من الضحك والاجهاش نوبة عصبية حادة ، وهزة قوية شبيهة بالعاصفة الهوجاء

يتمثل جمال البكاء فى الزفرات الهادئة ، لا فى الصرخات العنيفة الصاخبة ، كما أن جمال المطر يتمثل فى السحاب الخفيف المنعقد ، الذى ينحل ويتساقط رذاذاً من الماء المتناثر ، لا فى المطر المنهمر والسيل المتدفق

والبكاء لا يستملح فى الرجل لأن فيه معانى الأنوثة ، والاستضعاف ، ورقة العاطفة ، ودقة الحساسية ، وغريزة الامومة ، وعمق الوجدان ، وهى من صفات المرأة . ولا يستثنى من ذلك الا بكاء الشيخ الهرم لان الشيخوخة رجعة الى الوراء ، وعودة للطفولة ، ولانها كثيراً ما تتصل بأسمى معانى الوجدان ، وأجمل ذكريات الماضى ، وأحلى أحلام المستقبل — الابدية

روحانية البكاء

يتجلى فى بكاء المرأة أسمى العواطف الروحانية وأكثرها نبلا وجلالا . فيه تتجلى العظمة والخلود ، والتسليم للقوة الخارقة للعادة . وفيه يتمثل ضعف البشرية بأسرها أمام الطبيعة . فى البكاء معنى التصوف والعبادة والزهد فى الدنيا والحنين الى الآخرة . والمرأة الصافية القلب ، الصادقه الخلق ، تبكى فى جميع أطوار حياتها ولاتعيش بغير البكاء . تبكى فتية وعروساً وزوجا وأما ، وتبكى ممرضة وطبيبة وعاملة وخادمة وشاعرة وممثلة وكاتبة . المرأة التى تعيش حقاً بعد موتها ، هى التى تبكى كلما عطفت على بائس ، أو رثت لحال مريض ، أو غنت لحناً محزناً . والممثلة التى تسحر القلوب وتفتن الألباب ، هى التى اعتادت البكاء حقاً كما مثلت البكاء . وأبلغ الكاتبات من النساء هن اللاتى بكين الذكريات والعهود والأحباب ، فكتبن ما كتبن بمداد القلوب

البكاء الصادق فى المرأة خير مرآة للخلق المصفى والنفس التائبة النادمة . البكاء الصادق فى المرأة مرآة صافية لقلب شديد الحساسية يتعذب . وهل هناك ما يستدر العطف كعين باكية ، ينبعث منها شعاع أزلى ، وإن تك صاحبتها من رعاة الابقار ؟

لم أتأثر يوما فى حياتى تأثرى من منظر فى مقبرة لاول مرة فى جبال التيرول النمسوية . فى وسط ذلك السكون الرهيب ، تحت أشجار الزيزفون ، إبان الاصيل ، شاهدت سيدة فى ثياب الحداد ، تحمل حزمة من زهر السوسن ، وتهمس فى أذن الجنان بضع كلمات ، وهى تدس فى كفيه بعض النقود . فأدركت بعد ذلك ـ وقد رأيت هذا المشهد مرات ـ أنها توصيه أن يسقى الورود ويرعاها . وظلت واقفة وهى صامتة حتى أرخى الليل سدوله ، ثم جثت أمام زهرات القبر وأخذت تصلى فى سكون ، وترسل عيناها العبرة بعد العبرة ، حتى قلت لنفسى إن وقفة فى عالم الاموات هذا ، لاشد فعلا فى النفوس من أبلغ العظات فى معابد الاحياء . وليس هناك من مخلوق أدعى للاجلال من امرأة تبكى فى هدوء وصمت واتزان

معانى البكاء

لو دقت حواس الانسان استطاع التميز بين بكاء وبكاء ، والتفريق بين دموع ودموع ، كما يستطيع العالم النباتى التفريق بين مئات الانواع من الأزهار وتسميتها بأسمائها المتعددة

تبكى الفتاة العذراء ليلة زفافها ، ولسان حالها يقول : سلام على عهد الطفولة ، سلام على بيت ولدت فيه وربيت وشببت . سلام على أم حنت على ، وأب كلأنى برعايته

تبكى المرأة بعد سن الاربعين ريعان الصبا ، وزهرة الشباب ، وقد كانت أقصر من أيام البنفسج . وهيهات لجمال مضى أن يعود ! !

تبكى الحسناء حبيبها النائى وقد باتت فى انتظاره على أحر من الجمر ، يقتلها الهجر والفرقة ومضض النوى

تبكى المرأة المنكودة الحظ سوء طالعها فى الحب وقد خانها رفيقها ، وأصاب من فؤادها جرحا لا يقبل الاندمال

وتبكى الحكيمة المتزنة لتبلو بدموعها حب صديقها وصدقه وولاءه ، وتزنه بموازين دموعها حتى اذا ما وجدته ناقصاً نبذته نبذ النواة ، وإلا حرصت عليه حرصها على أناسى العيون

تبكى الغريبة عن أوطانها وتذرف دموع العهود والذكرى كلما جال بخاطرها طيف هذه العهود وتلك الذكرى ، كما كانت تبكى بولا نيجرى فى هوليوود كلما سمعت لحنا معلوما يذكرها بيولندا ولسان حالها يقول :

بلادى التى أهلى بها وأحبتى   وقلبى وروحى والمنى والخواطر
تذكرنى أنجادهـا ووهادها   عهوداً تقضت وهى خضر نواضر

تبكى العانس ، وقد حكم عليها المجتمع حكماً قاسيا لا مرد له ، وسلبها حقا من أقدس حقوقها وحرم عليها أن تستمتع ، ظلما وعدوانا ، بما فرضته عليها غريزة من أشد غرائز الانسان بأسا

تبكى الثكلى ولدها الوحيد ، وكعبة آمالها ، ونور عينيها ، وزهرة أمانيها ــ تبكى كراحيل لا تريد أن تتعزى

وتبكى الفتاة القاصر ، وقد أوقعتها الذئاب الخاطفة فى أيدى امرأة فاجرة ، تتاجر بجمالها ، وتسطو على عرضها ، وتلقى بها فى أعمق أغوار المواخير ، وأشدها ظلاما ، وأكثرها سكراً وعربدة واستهتاراً ــ تبكى ولسان حالها يقول : العفة ثوب تمزقه الفاقة

وتبكى هذه وتبكى تلك بكاء اللقاء ، وبكاء الفرح ، وبكاء العتاب ، وبكاء التوبة ، وبكاء الندامة ، وبكاء الغفران ، ولكل بكاء معناه ، ولكل دمعة حرقتها ونعيمها

الدموع الخالدة

بكت حواء ، أم الانسان ، فى جنة عدن ، لانها أدركت لأول مرة انها عريانة ، ولانها سمعت لأول مرة الصوت الالهى الرهيب يناديها فى عنف وغضب : « بالوجع تلدين ، والى رجلك تشتاقين ، وهو يسود عليك » . بكت المسكينة لانها أكلت من الشجرة التى نهاها الاله عنها ، وقد رأت الثمرة جيدة للأكل ، بهيجة للعيون ، شهية للنظر . بكت لان الحية أغوتها ، فبكت جميع بنات حواء ، وبنات بناتها من بعدها . ولا تزال المرأة تبكى ، ولا تزال بالوجع تلد ، والى رجلها تشتاق ، وهو يسود عليها ، ولا تزال تعلم أنها عارية ، وستظل كذلك ما بقيت ثمار شهية محرمة تؤكل ، وما بقيت حيات تغوى

بكت هاجر أم اسمعيل ، حينما طردها زوجها ابراهيم ، نزولا على رغبة سارة أم اسحق زوجته الأخرى ، فهامت على وجهها شريدة فى البادية ، وعاش الغلام اسمعيل ، وكان نواة لأمة عظيمة . وعاش الغلام اسحق ، وكان نواة لأمة عظيمة . ولا تزال دموع هاجر مدعاة لنقمة بنى اسمعيل على بنى اسحق

بكت راعوث الامية فى أرض الغربة فوجدت نعمة في عيني بوعز من بني اسرائيل فعطف عليها وتركها تلتقط الحنطة فى موسم الحصاد . ثم أحبها وتزوج منها . وشاء ربك أن يكون أحفادها أجداداً لرسل وأنبياء . وأصبحت راعوث على مدى الدهور نموذجا للدعة والجمال ، يتسابق الفنانون في رسمها ، ويتسابق عشاق الفن فى تزيين بيوتهم بصورتها . ولا تزال المرأة الغريبة تحظى بعطف رجل من غير أهلها ، لان الحب ديمقراطية لا دين له ولا وطن

بكت حنة وهى مرة النفس كما تقول التوراة ، لانها لم ترزق ولداً فعيرتها ضرتها فتنة . ولا تزال المرأة العاقر تبكى ، ولا تزال الضرة تعير الضرة

بكت مريم المجدلية الخاطئة وكانت كتاييس فتنة العصور وسحر الأيام . فبللت بدموع التوبة صدرها العارى ، وغسلت ما علق بيدنها من خزى ونقيصة ، فغفر الله لها آثامها ، وبقى رسمها فى دور

التحف الفنية رمز الخلود والجمال والتوبة ، وبقيت دموعها رمزاً لكبوة المرأة ، ورسالة الغفران ورحمة الخالق . والرحمة فوق العدل

بكت « اجريا » أم نيرون الظالم امبراطور روما ، وقد أرسل ابنها الجند لقتلها . فتوسلت اليهم أن يطعنوها بالخناجر معجلين ، ونادتهم ودموع الخيبة تنهمر من عينيها ، قائلة : « اطعنوا غير آسفين ، هذا البطن الخبيث الذى حمل ذلك الوحش الضارى » وسيبقى الولد العقوق ما بقيت الدنيا ، وستطعن الأمهات بالخناجر ما طبعت بعض النفوس الدنيئة على الجحود ونكران الجميل

بكت بسوس ناقة لها قتلها كليب ، فأثارت دموعها حرباً عواناً ، كادت تفنى القبائل العربية زهاء أربعين عاماً ، ولا تزال دمعة امرأة واحدة تهرق لها دماء ، ولا يزال رجل العدالة يفتش عن المرأة . .

بكت الخنساء أخويها صخراً ومعاوية ، فبكى لبكائها الشعر والأدب ، وأصبحت مضرب الأمثال فيقال بكت بكاء الخنساء على أخيها صخر

بكت فلورنس نايتنجيل فى حرب القرم ، فاهتزت لبكائها بريطانيا العظمى ، وفضح الطب والتمريض ، وجند أول جيش نسائي مدرب كأن جنوده ملائكة الرحمة . ولا تزال الممرضة الماهرة مثال العطف والحنان ، وعنوان التضحية والتفانى ، تؤاسى وتعزى ، وتضمد وتخفف ، وتذرف الدمع سخينا . .

بكت مارى تريزا امبراطورة النمسا ، عندما هزم آل هوهنزلورن آل هبسبرج ، كما بكت امبراطورة الحبشة أخيراً على سلم الباخرة التى أقلتها مع الامبراطور والأمراء من جيبوتى ، وهى تودع وطنها وشعبها وداعاً يغلب على الظن أنه الأخير

بكت مارى انتوانيت فى العربة التى أقلتها من فينا الى باريس . يوم زفت الى ذلك الغر لويس السادس عشر . وقد كانت فى الرابعة عشرة من عمرها وكان هو فى السادسة عشرة من عمره . وبكت مرة ثانية عندما هربت مع الملك من باريس تحت جنح الظلام ثم أسرت على الحدود . وبكت ثالثة حينما وضع الجلاد رأس زوجها (يناير سنة ١٧٩٣) فى المقصلة . وبكت أخيراً حينما نالها بعد شهور قلائل على يد الجلاد مانال زوجها

بكت جوزفين — الزوجة الأمينة المخلصة الأبية — يوم طلقها الامبراطور (نابليون) . لأنها لم تستطع أن تكون أماً . ولا تزال المرأة تنبذ كالسلعة القديمة لأهون الأسباب . ولا يزال الرجل ذلكم الوحش الضارى بونابرت

بكت اديث كفيل (Cavell) ، عند ما اتهمها الألمان بالتجسس . وقبل أن يطلق عليها الجنود الرصاص تبينها أحدهم فامتنع عن تنفيذ أوامر رؤسائه وأعدم على الأثر . وقد صورت لنا جريتا جاربو كفيل على اللوحة الفضية . كما صورت لنا فرنسيس كاى نايتنجيل ، فبكت وأبكت .

وقد كتب على التمثال الذى نصب على مقربة من ميدان الطرف الاغر فى لندن تخليداً لهذه الشهيدة عبارتها المشهورة : «الوطنية وحدها لاتكفى، انما يخلق بنا فوق ذلك ألا نحمل في صدورنا حقداً أو كراهية لأحد »

بكت اميلين بنكهرست الزعيمة النسائية في انجلترا فحررت دموعها المرأة وقررت حقوقها السياسية . ولا تزال المرأة تبكى من جور الرجل وطغيانه على حقوقها . وليس هناك ما يحمل على الاعتقاد انها تنال قسطها كاملا طالما كان خضوعها للرجل جزءاً من طبيعتها

***

اذا بكت المرأة تبينت فى قطرات دموعها معانى الحب والكراهية والرحمة والقسوة واللين والشدة والفرح والحزن والأمانة والخيانة والاخلاص والخديعة . وليس ثمة من سبيل الى تفهم هذه المعانى إلا بتحليل هذه القطرات ، كل على حدتها ، تحليلا نفسياً ، كما يحلل الكيمياوى المادة الى عناصرها الأولية

اذا بكت المرأة قرأت فى عينيها سلسلة طويلة من تاريخ البشرية ، من آلام وأفراح ، وبؤس ونعيم ، وحرب وسلام ، واتزان واستهتار ، واسترسال وتوبة ، وفجور وطهر . وتوجست فى حرقتها أنات الأفئدة الكسيرة ، وآهات القلوب الجريحة ، وتلمست فى نظراتها الحادة أعمق الشاعر ، ورأيت فى دمعها الشفاف المصفى ، شعاع الأبدية ، ومعانى الخلود

امير بقطر

كلمات خالدة

ليت للنساء جميعا ثغراً واحداً . . . اذا لقبلته واسترحت

لورد بيرون

لا تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .. فلكل أخلاق وطباع خاصة به

برنارد شو

الشرق الاسلامى مهد الجماعات السرية الثورية ـ الاسماعيلية وغاياتها الاباحية وجرائمها المروعة ـ مؤامراتها فى الحروب الصليبية ومحاولتها اغتيال صلاح الدين ـ أوجه الشبه بين هذه الجماعة وبين الجماعات السرية الحديثة

الاسماعيلية أو الحشيشية

صفحة رهيبة من صحف القتل السياسى

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كان القرن التاسع عشر حافلا بحوادث الاغتيال الملوكية ولا سيما فى روسيا القيصرية حيث كانت الحركة النهلستية أو « النهيليزم » تؤدى رسالتها الرهيبة فى تحطيم أغلال القيصرية الطاغية . وما زالت صحف هذه المآسى الدموية تثير من الاعجاب قدر ماتثير من الروعة ، ذلك أنها بالرغم من ألوانها المثيرة ، وطابعها الاجرامى ، كانت متنفسا للمثل العليا ، وكانت ترتكب فى سبيل فكرة انسانية سامية ، وكانت فوق ذلك معرضاً للتفانى فى سبيل المبدأ ، وبذل الأنفس رخيصة فى سبيل تحقيقه ، وكانت أمثلة نادرة للتضحية تحنى الرؤوس اجلالا كما تضطرم القلوب رهبة وروعا

وقد عرف الغرب هذه النزعة الفدائية العميقة متأخراً عن الشرق بمراحل ، وكان الشرق منذ العصور الوسطى مهد هـذه الجماعات والحركات الفدائية ، وكان متنفسها الجريمة كما كانت الجريمة متنفس النهلستية واللاحكومية (الفوضوية) وغيرهما من الحركات الثورية والتحريرية الحديثة . وكان جنودها الفدائيون يمتازون بصفات نادرة من الاقدام والتضحية واحتقار الحياة البشرية . وانك لتجد فى صحف الحركات الثورية الاسلامية ، وفى أخبار دعاتها الفدائيين من الباطنية والاسماعيلية ومن اليهم ، كثيراً من هذه المواقف المروعة التى اشتهرت بها « النهيليزم » فى القرن الماضى . بل لقد كانت هـذه الحركات ذاتها مستقى الحركات الأوربية المماثلة ، ففى مهاد الحروب الصليبية استطاع أحرار المفكرين وأصحاب المبادىء والنظريات الثورية من الافرنج ان يقفوا على كثير من أسرار الحركات الثورية والسرية الاسلامية ، وعلى نظمها ووسائلها العملية . وكانت نظم الاسماعيلية أو الباطنية ومراتبها السرية ووسائلها فى النضال مستقى لبعض الحركات والجماعات الثورية النصرانية التى قامت يومئذ مثل جماعة « فرسان الهيكل » الذين تعرفهم الرواية العربية باسم « الداوية » وجمعية « فرسان مالطة » وغيرهما . ونقل الصليبيون الى أوربا هـذه الأسرار والنظم

فكانت فيما بعد مستقى لمعظم الحركات والجمعيات السرية التى قامت فى مختلف الأمم الأوربية تسعى الى غايات ثورية أو تحريرية أو انسانية

* * *

وربما كان الاسماعيلية أو الباطنية هم أشهر هذه الجماعات الاسلامية السرية التى قامت لتحقق غاياتها ومثلها بالعنف والجريمة . ولسنا نقصد هنا الدعوة الاسماعيلية الأولى التى أسفرت عن قيام الدولة الفاطمية ، وانما نقصد تلك الجمعية السرية الهائلة التى أنشأها الداعية الاسماعيلى الكبير الحسن الصباح فى أواخر القرن الخامس الهجرى (أواخر القرن الحادى عشر الميلادى) ونظمها فى مراتب سرية مدهشة ، واستطاع أن يجعل منها قوة يخشى بأسها ، تسيطر على عدة قلاع فى الشام والجزيرة وفارس . وكانت تلك الجمعية الهائلة التى انتظمت تحت ستار الدعوة الامامية ، والتى كانت ترمي فى الواقع الى غايات اباحية دينية واجتماعية ، من أعظم وأخطر الهيئات الثورية السرية التى عرفها الاسلام ، وكانت تستمد قوتها المروعة من جيش مدرب من الدعاة والمغامرين الفدائيين الذين لا يحجمون عن شىء ولا يردهم شىء ، وكان القتل المنظم أروع وأنجع وسائلهم ، وكانوا يخصون بعدوانهم واغتيالهم جميع الأمراء والكبراء الذين لا ينزلون عند وعيدهم أو رغباتهم ، فكان الأمراء والكبراء فى معظم أنحاء العالم الاسلامى يرتجفون روعا لدسائسهم ومؤامراتهم ، وكان القتلة الفدائيون يرتكبون جرائمهم بتصميم وعزم وثبات لامثيل لها فى تاريخ الجريمة ، فكان أحدهم يتربص للأمير المحكوم عليه وقد استبطن خنجراً ثم يطعنه طعنة قاتلة فى الغالب ، وقلما يفكر فى الفرار بعد ذلك بل يهلك لوقته بيد أعوان القتيل وحشمه ، ويستقبل الموت والعذاب باسما

ولهؤلاء الاسماعيلية أو الباطنية ثبت حافل من الاغتيالات والجرائم السياسية تفوق فى خطورتها وروعتها كل ما عرفه العصر الحديث من الحوادث والجرائم الهائلة ، وقد بدأ نشاطهم بارتكاب سلسلة من الاغتيالات المنظمة فى فارس حيث كانوا يسيطرون فى الشمال على سلسلة من القلاع الجبلية المنيعة ، وكان من ضحاياهم نظام الملك وزير السلطان ملكشاه فى سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢م) وعدة من الامراء السلاجقة ، ولما اشتد فتكهم وعيثهم جد الأمراء السلاجقة فى مطاردتهم ومحاربتهم ، ففر بعض زعمائهم الى الشام ، ورأى اتابك دمشق أن يستعين بهم فى تنفيذ مشاريعه فأقطعهم قلعة بانياس ، فامتنعوا بها وغلبوا على عدة حصون منيعة أخرى واتخذوها قاعدة للعدو والفتك المنظم فى تلك الانحاء

وفى أواسط القرن السادس الهجرى بلغ الاسماعيلية ذروة القوة والنفوذ ، وظهر خطرهم فى الشام كما ظهر من قبل فى فارس ، وأضحى الفدائيـة وأضحت جرائمهم مثار الروع والرعب ، وألفى الباطنية فى الحوادث والمعارك الصليبية ميداناً خصباً لدسائسهم وجرائمهم ، واستطاعوا أن يستغلوا هـذا النشاط الدموى لتقوية نفوذهم وملء خزائنهم ، فتارة يعملون لحساب الأمراء

الصليبيين ، وتارة لحساب الأمراء المسلمين ، وكانت فترة مليئة بحوادث الاغتيال الرنانة ، وتطلق الرواية العربية على الباطنية فى هذه الفترة اسم « الحشيشية » ويستعملها بالأخص العماد الاصفهانى وأبو شامة المقدسى مؤرخا الحروب الصليبية ، وترجع هذه التسمية فيما يرجع الى أن الدعاة الباطنيين كانوا يأكلون أوراق شجرة « الحشيش » وأن هذا المخدر اقترن باسمهم فى فارس وفى الشام ، والظاهر أيضا أن التسمية الغربية للباطنية وهى Assassins ربما كانت تحريفا لكلمة « الحشيشية » أو ربما أطلقت عليهم لكثرة جرائمهم

وارتكب الباطنية أو الحشيشية فى تلك الفترة عدة من الجرائم الرنانة ، وفتكوا بعدة من أمراء المسلمين والفرنج ، وكان من ضحاياهم الكونت ريمون امير طرابلس قتلوه غيلة فى سنة ١١٢٥ م . ونشب النضال حينا بينهم وبين فرسان الهيكل (الداوية) ثم تفاهما ولعبا أدواراً مختلفة فى المعارك الصليبية وتقلبا فى محالفة المسلمين والفرنج ، وكانت المعارك الصليبية يومئذ فى أوج اضطرامها ، وكان صلاح الدين يتأهب يومئذ لخوض معارك عظيمة مع الصليبيين ، ففى أوائل سنة ٥٧١ ﻫ (١١٧٥ م) ، كان صلاح الدين غازيا على رأس جيشه فى شمال الشام . ففى أثناء حصاره لحصن عراز من اعمال حلب ، اندس الى معسكره جماعة من الباطنية فى ثياب الجند . وكان زعيم الباطنية «سنان» الملقب بشيخ الجبل قد حالف عز الدين مسعود امير حلب ، واتفق معه على اغتيال صلاح الدين . ففى ذات مساء وثب أحد الباطنية بصلاح الدين وهو فى خيمة بعض الامراء يفحص خطط الدفاع وطعنه بخنجره فى رأسه . وكان السلطان يعرف غدر الباطنية ويحترز منهم بارتداء الدروع المصفحة . فحالت قلنسوته الصلبة دون اصابته . فحول القاتل عندئذ خنجره الى خد السلطان فجرحه جرحا بليغا ، ثم دفعه فألقاه الى الأرض وحاول أن ينحره بخنجره ، وكانت بطانة السلطان قد روعت لهذه المفاجأة وأصابتهم الدهشة مدى برهة ، ولكن أحدهم وهو الأمير سيف الدين بازكوج ، بادر بمهاجمة القاتل وطعنه بسيفه فأرداه ، ووثب فى الوقت نفسه عدة أخر من الباطنية من جوانب الخيمة ، وقصد أحدهم صوب السلطان فتلقاه الامير منكلان الكردى فطعنه الباطنى فى جبهته ، ولكن الأمير تغلب عليه وقتله ، بيد أنه توفى بعد أيام متأثراً بجراحه ، ووثب باطني آخر فتلقاه الأمير على بن أبى الفوارس وقتله ، ووثب رابع فأصابه ما أصاب أصحابه ، واشتد الاضطراب والهرج ، وسار السلطان الى خيمته والدماء تقطر منه . واضطرب العسكر وكثر الارجاف ، ولكن النظام عاد فاستتب حينما خرج السلطان الى العسكر فوثقوا بنجاته وسلامته

وكان الاعتداء على صلاح الدين محاولة خطيرة ، وكان نذيراً بما بلغه أولئك الدعاة القتلة من القوة والنفوذ ، فعول صلاح الدين على سحقهم وإبادتهم قبل أن يستفحل شرهم فحاصر قلاعهم فى سنة ٥٧٢ ﻫ وضيق عليهم الحصار فاستغاث مقدمهم سنان (شيخ الجبل) بشهاب الدين صاحب حماة وهو خال السلطان ، ورجاه أن يشفع فيهم لدى السلطان ، وتوعده بالويل اذا أبى ، فخشى

شهاب الدين سطوتهم وغدرهم ، وتوسط فى الصلح بينهم وصلاح الدين ، فأمنهم وأخذ عليهم المواثيق وغادر قلاعهم

واستمر الاسماعيلية زهاء نصف قرن آخر يعيثون فساداً فى ربوع فارس والشام ، ثم كان مصرع دولهم وانفراط عقدهم فى منتصف القرن السابع حيث غزا السلطان هولاكو التترى قلاعهم وسحق دولتهم فى فارس ، وغزا الظاهر ملك مصر قلاعهم فى الشام وقضى على سلطانهم ونفوذهم ، ولم تبق منهم بعد ذلك سوى عصابات صغيرة يستعملها الأمراء المتنافسون فى تدبير حوادث السفك والاغتيال

وقد عرف الاسماعيلية ، قبيل مصرع دولتهم رحالة أوربى شهير هو ماركو بولو الذى شهد قلاعهم ووقف على نظمهم وأخبارهم حين اجتيازه فارس سنة ١٢٦٥ م . وترك لنا عنهم وعن قصورهم وحياتهم العجيبة نبذة بديعة شائقة

***

كانت الحروب الصليبية التى ظهر الاسماعيلية فى ميدانها ، وظهرت روعة خططهم ووسائلهم ، مجاز النقل والاشتقاق بين الشرق والغرب ، وكان مما نقلت الى الغرب تلك الخطط السرية والوسائل الدموية التى لجأ اليها الاسماعيلية لتحقيق غاياتهم ، وكانت هذه الخطط والوسائل مصدر الوحى والارشاد لكثير من الحركات والجمعيات السرية الارهابية التى قامت فى أوربا فى العصور الوسطى والحديثة ، ومن السهل أن نتبين وجوه الشبه بين خطط النهيليستية والكربونارى واللاحكومية وغيرها من حركات الارهاب الحديثة وبين خطط الاسماعيلية والفدائية ، ولقد كان الاسماعيلية فى الواقع أبرع المتآمرين فى الشرق ، وكانوا نهيليستيين فى نظمهم ووسائلهم قبل أن يعرف الغرب النهيليستية بقرون عديدة ، بيد أن هنالك فارقا جوهريا فى الغايات يرجع الى اختلاف العصور والمبادىء والظروف

محمد عبد الله عنان



من هو أشقى الكتاب ؟

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

« . . كلما فتح الناقد فمه أو أجرى قلمه جر عليه مدحه أو قدحه على السواء عداوات فى اثر عدوات ، من الكاتب ومن أنصاره وخصومه معاً ، وفى آن واحد . لان مقال الناقد أبداً دون ما يريده فريق وفوق ما يريده الفريق الآخر . . »

لكل كاتب من الكتاب جمهور قرائه وحلقة المعجبين به

فهذا كاتب فحل يلتف حوله الشباب المثقف ، المطلع على الآداب العالمية ، المستقرىء لحركات التفكير وطرائق البحث الحديثة فى التحليل النفسى والفلسفة والاجتماع والنقد وفن الجمال . فهؤلاء إذ يقرءون لكاتبهم الأثير يجدون أنفسهم فى الأجواء العالية ذاتها والآفاق البعيدة نفسها ، ويزيدهم ألفة لها وأنسا بها أن محدثهم فيها كاتب مواطن لهم يلمسون فى أدبه الانسانى العام نفسيته المصرية الصميمة ويسحرهم لسانه العربى المبين

وهذا الآخر منشىء من صاغة الكلام وأجود سباكه ، قد وعى أسرار اللغة وأحصى فرائدها ، وأحاط بالبلاغات المأثورة والطرائف المنقولة ، فكل صاغته أو جلها لفظ متخير ، وعبارة محبرة ، وديباجة محكمة . ولا يزال عندنا كثرة لا يعرفون الادب الا أنه هذا ، فهم على قراءته مقبلون كأنه درس فى البيان عليه طلاب الازهر متحلقون . ولقد يغشى مجالسه من حين الى حين بعض أصحاب الذوق من قادة التفكير ليفيدوا منه تراصف النظم وتناسب الفقر وجزالة التعبير

وذاك عالم من أهل التحقيق وذوى البسطة في التحصيل ، له عدة العلماء من جلد وجدل ، وله فوق ذلك سعة إلمام بألوان الرواية وأزياء الادب . فهو أبداً متجدد متطرف . وقد آنس من أبناء الجيل ضيقا بالطابع القديم الجيد من فحولة وتركيز ـ فتولى جلوته على الناس فى ثوب جديد مترسل متبسط مستفيض . فاحتسبوا من فضله الجديد والقديم . وحبب الاكثرين فيه أنه لا يشق عليهم وأنه يرضى غرورهم بسهولة الفهم والتقليد لما هو مرسله فى بعض الاحيان إرسالا

ثم بين هؤلاء مؤلف أكبر حظوته عند الشباب والفتيات المتعلمات ، لأنه يجعل من المرأة اللغز الاكبر والشغل الشاغل . وهو وضع لا شك يوافق هوى الشبان ويتفق ومصلحة النساء . ولو أن صاحبنا نعت المرأة بما ذهب اليه شوبنهور مثلا من أنها الحريصة على النسل الامينة على الحياة ، وأن الحب حيلة الطبيعة الى ذلك ، أو قال فى المرأة مقالة نيتشة انها تبدو بعيدة القاع لانه لا قاع

لها - لما جرى اسمه جريانه على الشفاه المصبوغة بالحمرة المعسولة ، ولا سرت أخيلته فى مسرى الدم الحار من القلوب الفتية المشوقة

ومنهم من يتملقون العرف ويلبسون مسوح الأولياء ويتخذون لهجة الدعاة المصلحين . ومنهم اصحاب الشطحات يلفتون النظر بجرأتهم وأحيانا بوقاحتهم . ومنهم من يعتمدون فى شهرتهم على الموضوعات التى يفهمها نساء البيوت ورجل الشارع

فكل من هؤلاء كما أسلفنا فى مستهل كلامنا له جمهور قرائه وحلقة المعجبين به . ولقد يكون مقضيا على بعض الكتاب ألا يدخلوا فى تاريخ الادب وألا يكتب لهم سطر من سطوره ، غير أنهم مع هذا مقروءون على الاقل فى حياتهم وقد ينيف ما يطبع من مؤلفاتهم على مايطبع لغيرهم أضعافا مضاعفة ، فليس منهم واحد الا له بين النفوس - قلت أو كثرت - من يبادله الشعور وينطوى له على حب

أجل ، كل بما لديهم فرحون - إلا واحداً ، وهو الناقد المسكين

يتناول الناقد هذا الكاتب أو ذاك . وينظر فيما أخرجه من المصنفات ، ويقلب فيه وجوه الفكر ، ويخلو به يوما أو أياما يكون فيها نجيه وسميره . فيسبر غوره ويستبطن سره ويحك معدنه . ثم يجلو للناس حقيقته ويدلهم على موارد كلامه ومصادره ، ويوفى الكاتب حقه من التقدير على مقتضى القصد والانصاف ، ويضع القلم قرير العين مرتاح الضمير . ولكن ، شد ما يدهشه أن الكاتب غير راض وان أنصار الكاتب ناقمون . لانه وقد أبرز محاسنه لم ينس الاشارة الى مساوئه ، وانه فى استشهاده بالصحيح وتنويهه بالجيد عرض للسفساف بالنقد ووضع إصبعه على الفاسد المغموز . بيد ان صاحبنا كما قلنا قرير العين مرتاح الضمير . فلا يزال يغضب هذا وذاك وتتألب عليه كراهية هؤلاء وهؤلاء . وفى ذات يوم يثوب إلى نفسه - وقد تطامنت حميته مع علو سنه - متسائلا : أما من سبيل إلى ارضائهم وارضاء الحق ؟ ولا تلبث أن تتفتق سعة الحيلة عنده عن وسيلة ، وقد اطمأن اليها كل الطمأنينة ... ماذا عليه لو قصر همه على الجانب المحمود فى الكاتب فامتدحه بما هو فيه ، دون أن يعدوه الى ما ليس فيه . وحسب الناقد محاسبة نفسه على ما قال ، أما المحاسبة على ما لم يقل فهى الرهق والاعنات فى مثل هذه الحال . وخير الأمور أوساطها

ويأخذ الناقد نفسه بهذه الطريقة مؤثرا مع الحق السلامة . فهل تراه سلم ؟ هيهات ، فلم تكتب قط لناقد سلامة . فما من منشىء تقول عنه انه أبلغ البلغاء إلا عتب عليك انك لم تشفع بها أحكم الحكماء . وما من روائى فكه تصفه بخفة الروح وحضور البديهة وسرعة البادرة وحلاوة الدعابة وبراعة النكتة إلا زعم لك أن له فى طى هذا فلسفة كالفلسفة الألمانية بل أشد تعويصاً وأكثر تعقيداً . وما من مؤرخ ذى بصر بالأسانيد والمراجع ويحسن الترتيب والسياق والتبويب يقنع بأقل من القدرة الفعلية على تصريف الأمور وقيادة الشعوب . والشاعر لا يكفيه ان يكون شاعر الانس

قاطبة حتى يسرّ ويهش لمن يدعوه بشاعر الثقلين الانس والجن جميعا . فاذا شئت الترضية للواحد من هؤلاء فقل عنه انه الفحل الرقيق ، العويص الأنيس ، وانه الوثنى والصوفى ، وانه الشرقى القح ، وانه الغربى مائة فى المائة ، وبالجملة انه الذى قيل فيه :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وهو يريد أن يفرض عليك رأيه فى نفسه أولا ، ولما كان بين قرائه من عبدوه لأنهم محدودون لم يسمعوا بغيره ولا بخير منه ، فهو لا يفهم كيف لا يكون موقفك منه موقف العبادة مثلهم مع البون الشاسع فى الثقافة ما بينك وبينهم . ثم هو مستغرق فى نفسه يحب أن يقرأه كل الناس وألا يقرأ الناس سواه من الكاتبين . ومن يكونون حضرات الأفاضل ؟ إنه نسيج وحده ، انه بيضة الديك !

ومن أظرف مايروى أنك قد تتلطف مع كاتب وسط بين الكتاب وتطلعه على ما كتبت عنه قبل نشره فاذا به يطلب منك رفع كلمة « الاستاذ » التى صدرت بها اسمه محتجاً بأنه لا ضرورة لها . ولكن من يلحظ امتعاضه وقتئذ ليشعر مثلك أن الأستاذ المؤلف فى دخيلة نفسه انما يحتج على كونك لم تكتب حين كتبت عنه « الأستاذ الكبير »

ولقد تزهد فى النقد وتنصرف عنه نفسك بعد أن لقيت الأمرين منه ، فيلقاك الصديق مهدياً اليك كتابه ، يناشدك الصداقة أن تتدبره وتقليه ، وأن تصرح عن رأيك فيه ، لا لتقرظه وتطريه ، بل لتدل على مواضع النقص والقصور ، للاستفادة بالنصح وتحرى مواقع الرشد . واذا كان الأخ لا ينتظر النصح من أخيه ، فممن ينتظره ؟ فيقنعك من صديقك صدق لهجته ، وصراحة نظرته ، ولا تزال بالانسان أبداً بقية من غفلة . وتقبل غلماً على الكتاب تدرسه وتمحصه لتؤدى الى أخيك من الخدمة ما يطلبه . فاذا قصدت بعدها اليه لتأدية حق الأمانة مستخبراً عما وجدت ، مستقصياً لما وقعت عليه . ولكنك الكيس الأريب ، فلا يذهلك هذا عن مقتضيات الذوق ومراسم التأدب ، فتقدم للقول على عادة شعراء العرب بالنسيب . فتلهج بمحاسن الكتاب وتصفه أجمل الوصف وتطيل فى الثناء عليه ، ثم تعقب على ذلك على نحو ما يسمونه حسن التخلص فتشير الى أنه من الحسن بحيث لا تعيبه بعض هنات متفرقة هنا وهناك ، والكمال لله وحده ، وتسوق اليه سقطة ثم أخرى وأنت تهونها وتقلل من شأنها وتتوخى أن تعرضها فى غير ما تشديد ولا نكير بل على أنها مجال نظر وموضع كلام . فاذا بك تحس من صديقك انقباضاً يغالبه ويداريه ، ويغالط نفسه مغالطتك فيه ، ويتخذ له حللا من مراسم الخطاب وأدبه وهيهات تغنى في الحديث عما غاض من بشاشته وثقل من حركته وبان من كلفة الجهد بعد الفيض ، فاذا افترقتما بالغ فى تكريمك وتحيتك ، ولكن كالآلة المسخرة المحركة غير صادرة عن نفس فتخاطب نفسك وتؤنسها وتمة تنقطع وشائج الأرحام بينك وبين روح شقيقة ، ثم أخرى وأخرى فاذا بك غريب بين أصدقائك واذا بينك وبين من تحبهم أجمعين حجاز

وهكذا كلما فتح الناقد فمه أو أجرى قلمه جر عليه مدحه أو قدحه على السواء عداوات في اثر عداوات من الكاتب ومن أنصاره ومن خصومه معاً في آن واحد . لأن مقال الناقد أبداً دون ما يريده فريق وفوق ما يريده الفريق الآخر . وقلما يختم ناقد حياته حتى يكون الناس كلهم أعداءه . فلا غرابة فيما رواه المترجمون لحياة علم من أعلام النقاد ، أنه حين مات لم يشيعه الى مثواه الأخير غير ثلاثة منهم امرأته وكلبه

ولا ينفي هذا بضع حالات تخرج على القياس ولكنها استثناء لا حكم له . وقد كان لاحداها في نفسي أبلغ الأثر في استبقاء بعض الثقة بالانسانية وامكان ايثارها في وقت من الأوقات للحق ، وان كان يؤسفني أن هـذا المثل لا يأتي من مصر ، بل من قوم يجري في عروقهم الدم السكسوني البارد . فقد قرأت منذ سنوات في صحيفة التيمس الأدبية نقداً لأحد المؤلفات ، أحصى فيه الناقد على المؤلف أغلاطه ، ولم يزل يتعقبها واحدة واحدة مبيناً ما فيها من اعتساف وخلط وبعد عن الصواب ومجانبة للحقيقة . فكان رد مؤلف الكتاب احتجاجاً صريحاً على الناقد اشتد عليه فيه لأنه دل بنقده على رسوخ القدم وسعة الاحاطة بالموضوع مما كان يوجب عليه التقدم بالتأليف فيه فينفع به ويؤدي في هذه الناحية من البحث ما لا يؤديه غيره ، فضلا عن انه كان يكفي المؤلف مؤونة العناء وحرج التورط فيما تورط فيه ملئاً للفراغ وسداً للحاجة

غير أن هذا كما قدمنا استثناء يندر وقوعه حتى في البلاد التي وقع فيها . واني كثيراً ما أكفر بالنقد وأجحد أثره ، أو بعبارة أصح أجد الناقد في دنيا الناس كالفضولي الدخيل . فهب المؤلف مسيئا والجمهور أجهل من أن ينتبه الى قلة احسانه ، فما شأننا ، ومالنا لا نذكر المثل السائر «وافق شن طبقا» فنريح ونستريح

ولو عمل « لسنغ » الناقد الألماني الأكبر على مقتضى المثل العربي لكان موقفه في هامبورج غير الموقف . فان القائمين على إدارة مسرح التمثيل في تلك المدينة أوكلوا اليه القيام على تحرير الصحيفة المسرحية بها . فعكف على تطبيق ما كان ينادي به من قواعد وأصول . وجعل همه هنا أيضاً تنبيه الألمان الى المنحدر الوبيل الذي ينساق فيه مسرحهم التمثيلي . وكانت معظم الروايات التي تمثل عليه مستعارة دخيلة ، فأراد تطهيره من العناصر الأجنبية التي كانت سداه ولحمته . ولما كان شديد الايمان بما يقول فانه لم يحجم عن مهاجمة أشهر المسرحيات وأضخمها اسماً . فهو يستعرض ما يعرض منها على مسرح هامبورج الواحدة بعد الأخرى كاشفاً عن مواطن ضعفها بمنطق جبار وذوق دقيق وعلم واسع . فاذا قيل دفاعاً عنها أن مؤلفيها يحتذون فيها حذو سوفكليس الأغريقي ، صاح ساخراً : « هذا شبيه سوفكليس ! وايم الحق ، بل هو الفرد في محاكاته » . وكان ثمة المتحمسون لحملاته والمصفقون . والمرء يصفق اذا كان المضروب جاره . ولـكن جاء دور المؤلفين من معاصريه الألمان أنفسهم . ولم يكن « لسنغ » ممن يصانع في خطابه الأجانب أو المواطنين .

فاستاءوا وهاجوا وماجوا . فأرسل لأخيه يقول : « تصور أنى وجدت الحمير أشق على الترويض من القردة »

وانضم الممثلون الى المؤلفين الموتورين بدعوى اقلاله من ذكرهم وتقتيره فى التقريظ حين يذكرهم . ثم انضم الى هذا الجمع زمرة النقاد المحترفين ، فكانت المدينة كلها إلباً واحداً عليه . ذلك أن الناس كانوا الى مقدم هذا الفظ الفظيع فى دعة يقضون أطيب الأوقات ، وكان المحكمون والمحتكمون يعيشون فى أكمل صفاء وعلى أتم وئام . فكان النقاد يتكلمون عن الروايات متلطفين وكانوا يرجعون الى المؤلفين والممثلين قبل أن ينشروا شيئاً على القراء فيستجيبون الى طلب هذا ويضيفون كلة فى الثناء على ذاك ، وبالجملة كان الكل راضين . فجاء لسنغ بصدقه وأمانته فكدر هذه السكينة والدعة فلن يغتفر له ذلك أحد . وكذا فشل المشروع الذى قام عليه ، واجترأ عليه أصاغر الكتاب ولم يناصره الجمهور الذى تجشم هذا كله فى خدمته . واضطر لسنغ الى النزوح عن هامبورج بعد أن أفرغ على أعدائه جام نقمته

وما كنا لنستعرض هنا مصير لسنغ الناقد الألمانى ، الا لأنه مصير كل ناقد يحمل بحق اسم الناقد . ولو كان امرؤ مخيراً فى ملكاته لما اختار لنفسه من بينها ملكة النقد فيكتب حظه فى طبقات الكاتبين أجمعين أشقاهم طيلة حياته وساعة مماته

عبد الرحمن صدقى

وما قيمة الناقد

كان الأديب الروسى أنطون تشيكوف يرى أن النقد عالة ثقيلة على الخلق ، وأن الناقد لا يجدى الاديب نفعاً . وقد روى مكسيم جوركى فى ذكرياته عن تشيكوف أنه قال له ذات مرة : « إن النقاد أشبه شيء بالذباب الذي يحوم حول الحصان وهو يجر المحرات . فبينا هو ناهض بعمله سائر فى سبيله ، إذا بذبابة تقع على أذنه وتطن ، ثم تنتقل إلى خاصرته وتدغدغها . فترتجف أجلاده القوية وتنشمر عضلاته المشدودة ، ويهتز رأسه وذيله يميناً وشمالا ... لماذا تطن الذبابة فى أذنه وتدغدغ جسمه ؟ لانها تريد أن تقول للحصان : أنظر إلى أيها الحيوان الضخم ، فانى أنا البعوضة التافهة أعيش كما تعيش ، بل إنى أستطيع أن أعوقك عن عملك وأولك بوخزى الموجع . . نعم ! فلقد مضى خمسة وعشرين عاما وأنا أقرأ ما يوجه لقصصى من النقد ، ولكنى لا أذكر إشارة واحدة ذات قيمة ، أو كلمة قيمة أرشدتنى وأفادتنى »

الدراسات الاسلامية فى المانيا

المستشرقون ينقبون عن المصاحف القديمة

ليسهلوا دراسة علوم القرآن وفن القراءات

[يقوم المجمع العلمى الباقارى فى ميونيخ بالبحث عن الكتب والمخطوطات التى تتعلق بالدراسات الاسلامية عامة وبعلوم القرآن وفن القراءات خاصة . وقد أوفد المجمع الى مصر الدكتور اوتو برتزل ليتولى هذه المهمة . فرأينا أن نتحدث اليه فى هذا الموضوع الذى يستحق اهتمام العالم الاسلامى ورعايته]

الدكتور أوتو برتزل هو أستاذ اللغات السامية فى جامعة ميونيخ ، وعضو المجمع العلمى الباقارى ، وعضو جمعية المستشرقين الألمانيين . وقد طاف بكثير من البلاد العربية ، وأقام حيناً فى بلاد المغرب والجزائر ومراكش وجزيرة العرب ، حيث تعلم لهجات البدو ودرس طباعهم ، وعثر فى أمصارهم على مخطوطات عربية نادرة . كما زار أخيراً تركيا وتفقد دور الكتب فيها ، فعثر فى مكتبة استنبول على تفسير للقرآن الكريم وضعه فى القرن الثانى الهجرى أبو زكريا يحيى بن زياد ، وهو يعد أقدم التفاسير الموجودة كلها

وللاستاذ برتزل فوق هذا كتب قيمة شتى ، منها كتاب جليل عن مراجع القرآن وعلومه . وقد اشترك مع الاستاذ برجستراسر — الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية سابقاً — فى تصحيح كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى ، وكتاب المقنع فى رسم المصاحف ، وكتاب غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى

***

حدثنا الاستاذ عن مهمة المجمع العلمى الباقارى فى ميونيخ الذى أوفده الى مصر فقال :

فكر الاستاذ برجستراسر فى أن يجمع كل ما يمكن الحصول عليه من المصادر الخاصة بالقرآن الكريم وعلومه . وقد سار فى تنفيذ هذا العمل عدة خطوات الى أن وافته منيته . فرأى المجمع العلمى الباقارى أن يتولى من بعده إكمال هذا العمل الجليل الذى يستحق عناية العالم الاسلامى قاطبة

رأينا المصاحف القديمة الخاصة بالقرآن الكريم يتسرب اليها بعض التلف على مر الأحقاب ، وتمتد اليها يد العبث ، فضلا عن عدم حفظها فى حرز أمين ، وتعرضها لالتهام الحريق أو السرقة ، ولذا بادرنا الى الحصول على صور شمسية عدة لها . وقصدنا بهذا العمل أن نوفر الجهود الكثيرة على المشتغلين بفنون القرآن ، إذ نوينا أن نجمع كل ذلك فى مركز واحد بمدينة ميونيخ بغية تيسير

الاطلاع عليها ، وإمكان الحصول على صور منها لمن أراد ، موفرين عليه نصب البحث والتنقيب ومشاق التجوال فى أقطار عدة

وتسهيلا لمحبي الاطلاع نوينا أن ندون كل آية من آيات الكتاب الكريم فى لوحة خاصة تحوى الرسوم التى عثر عليها فى المتون المنوعة وهى متبوعة بالتفاسير التى ظهرت على مدى العصور وتوالى القرون

ويقوم المجمع بالبحث عن المخطوطات الثمينة النادرة وتصويرها ثم القيام بنشرها على نفقته أو لحساب أى جهة من الجهات العلمية ، وقد بدأنا فعلا بأن نخرج من الكتب القيمة والبحوث المفيدة :

١ ـ كتاب التفسير فى القراءات السبع للامام عمرو بن عثمان بن سعيد الدانى وهذا الكتاب هو بحق أصح الكتب الموضوعة فى فن القراءات

٢ ـ كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار

٣ ـ كتاب مختصر الشواذ لابن خالويه

٤ ـ كتاب المحتسب لابن جنى

٥ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين الجزرى

٦ ـ رسالة فى تاريخ علم القراءات (باللغة الالمانية) وبها أسماء جميع المؤلفات التى تبحث فى هذا الموضوع

٧ ـ كتاب معانى القرآن للفراء النحوى . وهذا الكتاب يعد أقدم التفاسير الموجودة وأكثرها فائدة وأعمها نفعاً ويطبع الآن بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

٨ ـ كتاب إيضاح الوقف والابتداء لأبى بكر بن الانبارى

***

ثم سألناه عن حركة الاستشراق فى المانيا ، وما يقال عن ركودها بعد الحرب فقال :

ان حركة الاستشراق ظهرت فى المانيا منذ ثلاثة قرون . وكان الغرض الأساسى منها هو تفهم لغات العرب ودراسة العقلية الاسلامية والوقوف على مدى الرسالة التى يدعو اليها الاسلام . ومنذ أن تأسست جمعية المستشرقين الألمانيين عام ١٨٣٠ أرصدت الحكومة الأموال والهبات لتشجيع أبحاث العلماء ونشر مؤلفاتهم وإيجاد مراكز للدراسات الاسلامية فى الجامعات كيونيخ وهالليه وبرسلاو وتوبينجن وبون وليبزج وجامعة برلين

ولا تزال الدراسات الاسلامية فى ألمانيا باقية على شهرتها القديمة التى وصلت اليها قبل الحرب . وفى جامعة مونيخ التى أتولى التدريس فيها خمسة عشر طالبا يدرسون فى شعبة الدراسات الاسلامية . والمجمع العلمى البافارى الذى أمثله هو احدى المؤسسات الشرقية وعمله قائم على العناية بعلوم تفسير القرآن وتاريخه وعلوم القراءات . وقد استطاع أعضاؤه أن يقدموا الى العالم الاسلامى أجل

الخدمات فنشروا المؤلفات القديمة ونفضوا عنها غبار الأجيال وقاموا بتنسيقها وتبويبها وطبعها على طريقتهم العلمية

ولهذا المجمع علاقة بالبيئات العلمية المصرية منذ خمس سنوات، قامت بفضل الاستاذ برجستراسر والدكتور طه حسين بك والاستاذ ابراهيم مصطفى المدرس بكلية الآداب . ويقوم المجمع الآن بتصوير ما يلزم لدار الكتب المصرية ودار الكتب الأزهرية من مجاميع المخطوطات التي يعثر عليها. وبين هذه المخطوطات مجاميع كاملة في علم القراءات ورسم المصاحف والتفاسير المختلفة والمصاحف الكوفية

ونحن نشترك الآن مع جماعة من كبار العلماء الألمانيين في وضع موسوعة شاملة عن تاريخ القرآن ، صدر منها الى الآن المجلد الثالث . كما نهتم أشد الاهتمام باعداد تفسير للقرآن تفسيراً يعين القارىء على تفهم آياته بحيث يجد فيه لذة معنوية ونعيما روحياً

ولايفوتني أخيراً ان أحدث اليكم قليلا عن الجهود الفذة التي بذلها أستاذنا المرحوم برجستراسر . فقد كان من نوابغ علماء المشرقيات . كان يحفظ القرآن وعلوم التفسير والفقه والاحاديث النبوية عن ظهر قلب ، وصنف عشرات الكتب في شتى العلوم الاسلامية والفقهية ، منها رسالة عن «حروف النفي في القرآن واستعمالها» .وكانت له رغبة أكيدة في أن يتولى بنفسه طبع القرآن طبعة علمية حديثة ، وفعلا كاشف بذلك مؤتمر المستشرقين المنعقد في خلال صيف عام ١٩٣٠ فأيده وشجعه على المضي فيها . ولعل أكبر عمل قام به برجستراسر هو تسجيل أصوات مشاهير مقرئي القرآن في العالم الاسلامي بواسطة آلة خاصة ليرجع اليها وقت الحاجة ، كما انه سجل بهذه الآلة أيضاً صوت الدكتور طه حسين بك وهو يلقي الشعر أمامه على الطريقة التي كانت ذائعة أيام مواسم الشعر في أسواق عكاظ ومربد البصرة . وأفادته هذه الآلة في تسجيل لهجات بعض القبائل البدوية التي اختلط بها وبالأخص في « معلولة » ببادية الشام ، وهي قرية صغيرة اشتهرت في تاريخ اللغات السامية بأن أهلها لا يزالون يتكلمون بلهجة أرامية دارجة

وقد أمضى المرحوم برجستراسر زهاء عشرة أعوام في وضع كتاب عن القراءات ، وزار من أجل ذلك عواصم العالم الاسلامي ، وفحص مصاحف القرآن المخطوطة والمودعة في خزائن المساجد وقابل بعضها ببعض ، وأخذ صوراً شمسية لجميع صفحاتها ، وأنفق في هذا مئات الجنيهات ، وذلك لرغبته الأكيدة في اعادة طبع المصحف بطريقة مبتكرة حديثة



للكاتب الفرنسى مكس رينال

Le Monde de l'amour (par Max Raynal)

عرض وتحليل بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

> يعتبر مكس رينال من أقدر كتاب فرنسا الذين تحدثوا عن الحب وأطواره فى عبارة واضحة وأسلوب جذاب يجمع الى الروح الادبية صدق النظرة العلمية ودقتها . ومكس رينال أديب وطبيب يعرف جسم الانسان كما يعرف قلبه وعواطفه . لذلك أبدع في تصوير عوامل الحب فى هذا الكتاب الذى أعجبت به الشاعرة الكبيرة مدام دى نوياى وصدرته قبل وفاتها بمقدمة شائقة

الحب جاذبية حسية يغذيها التصور ويضخمها الفكر . ولولا الفكر وقوته والتصور وفنونه لاستحال الحب الى مجرد عمل بهيمي وضيع

فأنت إذ تلتقى بامرأة حسناء ، يتملكك الاعجاب بها من طريق حواسك فى مبدأ الأمر . أى ان بصرك يعجب بها ، وتقاطيع بدنها تستهوى عينيك ، وان شيئا معيناً فيها يروقك بوجه خاص ويفتنك . وهكذا تشعر نحوها بالجاذبية الحسية التى هى أول درجات الحب

ثم تلتقى بهذه الحسناء مرة ثانية . ويتفق أن يكون ذلك فى حديقة جميلة ، أو فى دار مسرح أو سينما تعرض فيها قصة غرامية مؤثرة ، أو فى مكان تتردد بالقرب منه نغمات الموسيقى ، فيحدث عندئذ أن يبهرك منظر الحديقة الجميلة ، أو يهز أعصابك موضوع القصة الغرامية المؤثرة ، أو تحرك أشجانك الراقدة نغمات الموسيقى ، فتتأجج احساساتك وتشعر بحنين الى العاطفة ورغبة جامحة فى أن تروى ظمأ نفسك ، فتتحول بالرغم منك الى المخلوق الذى عرف كيف يجتذب حواسك ، وتبدأ فى التفكير فيه وأنت تتصوره من خلال الجمال الشعرى الذي بالغ وهمك وخيالك فى تزيينه

وقد يكفى أن تسمع فقط رنين ضحك المرأة التى اجتذبتك أو صوتها وهى تتكلم ، كي تحدث فيك جلجلة الضحك أو رخامة الصوت ذلك التأثير الشعرى الذى لا بد أن تخلعه على المرأة لتطمئن اليها وتستطيع التفكير فيها وتوليد عاطفة الحب فى نفسك نحوها

ولا يمكن أن يتولد الحب بدون دافع شعرى يوقظ العاطفة ، ودافع جنسى يوقظ الحواس وقد تثير فينا المرأة سلطان العاطفة ثم الحواس أو بالعكس. غير ان اقتران الدافع العاطفى بالدافع الجنسى لابد منه لتحقيق الحب الكامل

وحيث ان العاطفة لاتعيش بدون تفكير ، فعقلنا هو الذى يخلق الحب ، وخيالنا هو الذى يتعهده ، وتصورنا هو الذى يغذيه ، مستمدا قوته من الظروف الشعرية التى أحاطت بالمرأة ومن شتى ألوان الجمال الخيالى التى أحاطت بتلك الظروف . واذن فلا حب بدون شعر ولاشعر بدون فكر وخيال ، وأرحب الناس خيالا أكثرهم حبا وأقدرهم على الحب

وهذا ما يفسر لنا خيبة المحبين وشقاءهم وما يدلنا أبلغ الدلالة على أن الحب وهم من الأوهام . وكيف لا يكون وهما والمحب لا يمكن أن يرى حبيبته إلا فى اطار من الشعر ، ولا يمكن أن يحبها إلا اذا أضفى عليها أبدع حلل الشعر ، ولا يمكن أن يسمو بحبه عن الغريزة البهيمية إلا اذا جمله وزينه بالشعر !..

ولكن الشعر غير الواقع ، والمرأة ليست الاهة ، فمتى اتصل بها الرجل وخالطها وكشفت له الحياة عن جوهر طبيعتها العادى ، أحس الفارق الهائل بين خيالها فى ذهنه وبين حقيقتها اليومية ، فانجابت السحب عن بصره وتداعى حبه وتقوض الهيكل الذى كان قد شيده بعقله وأعصابه ودمه !

وإذن فالحب يطلب ما يجب أن يكون لا ما هو كائن ! وهذا سر شقائه وهذا سر عظمته ، وعظمة الحب التى يتهالك عليها جميع الناس !

وفى هذا يقول مكس ريتال : « ان الحب شخص « مثالى » يريد ان ينهض بالحياة ، ويسمو بالانسان ، ويرفع حبيبته من حضيض الأرض الى عنان السماء ، انه يشعر بالدافع الجنسى يدفعه اليها فيستنكر خشونته ويستنكر غلظته ويأبى إلا أن يهذبه بدافع من القلب والروح »

ان حبه يقوده الى الطبيعة فيرى جمالها من خلال شخص محبوبته ، فيتناول هذا الجمال ويصوغه ويكللها به وهكذا يعلمنا معنى الفن ومعنى الحياة !

فماذا تهم خيبة الواقع أمام هذه اللذة العلوية التى يظفر بها المحبون ؟. وماذا يهم ان يكون الحب فى أصله وهما ما دامت الغاية هى السمو بالغريزة وتجميل الكون من طريق تجميل المرأة ؟..

لقد كان دستويفسكى يكره المرأة التى لا تستطيع اثارة الدافع الشعرى فى نفسه . وكان يخافها ويفر منها ويسميها « شيطان الظلام » أى شيطان الشهوة

وكان روسو لا يفهم كيف يمكن أن يشتهي امرأة لا تخاطب محاسنها قلبه أولا ولا توحي اليه عاطفة رقيقة أو فكرة غريبة أو خيالا شائقا

وكان فلوبيير يقول : « ليست وظيفة المرأة ان تكون حارسة النوع فقط بل حارسة الجمال أيضا. والمرأة التى لا أشعر بالقرب منها بجمال الطبيعة وجمال العواطف النبيلة الخالدة كالرقة والصفاء

والطيبة والوفاء والتضحية لايمكن أن أستريح اليها لانى لو أحببتها لقضت فى على كل نبل وكل جمال،

وعليه فالقوة التى تميز الحب عن الرغبة الجنسية المجردة هى هذا الاتجاه المثالى نحو عالم أكمل من الواقع وأصفى وأجدر بقيمة الانسان

وهنا يشترك الحب الكبير مع الشعور الدينى إذ كلاهما يبحث عن الصفاء ، وكلاهما ينشد الجمال الأعلى!

الحب والمرأة

المرأة تحب أن تكون محبوبة ولكنها فى صميم نفسها لا تؤمن بالرجل كثيراً

الرجل هو القوة ، ومن حق القوة أن تكون حرة وان تستمتع ما شاءت بنزواتها ، وأن تعبث فى كل حين بالضعف والضعفاء

هذا ما تعتقده المرأة ولذلك هى لاتؤمن بالرجل اذا ما ادعى الاخلاص والوفاء ، ولا يخطر على بالها لحظة ان حبه إياها يمكن أن يكون وطيداً أبديا كما تشتهى

ومع ذلك فهى تنصت له ، ويروقها منـه أن يطارحها الهوى ، وتجد لذة عظيمة فى مخادعة نفسها ومحاولة تصديق الرجل الذى تعلم حق العلم انه كاذب ...

فهى لا تصدق ادعاء الحب العظيم الدائم ولـكنها تريد أن تصدق ... تريد أن تصدق مدفوعة بعوامل الكبر والزهو والخيلاء ، سعيدة باعتقادها أنها أدت وظيفتها وأخضعت الرجل لسحر الجمال وأرغمت ذلك المخلوق القوى العابث المتقلب على طاعتها والاذعان لسلطانها

والحقيقة أن دفاع المرأة عن نفسها ، ونضالها الطويل قبل أن تستسلم ، ومراوغتها ، ودلالها ، واعراضها تارة واقبالها أخرى ، كل هذه الظواهر تدلنا أبلغ الدلالة على انها تخاف غدر الرجل ، ولا تؤمن بدوام حبه ، وتريد أن تعذبه وتمتحنه ما استطاعت لتفوز منه بعـد الاستسلام بأوفر قسط من الثبات والولاء والاخلاص

والواقع ان المرأة ـ على الرغم من نظرتها الحذرة الى الرجل ـ خيالية العاطفة شعرية التصور تنشد الحب الصادق الملتهب الدائم وتظل تبحث عنه مهما خيب الرجال ظنها ومهما خدعوها وعبثوا بها

فهى تحب أول مرة وتستسلم لتجرب ، فان فشلت لم تيأس وأعادت الكرة حتى تستقر على حب متبادل وطيد أو تنحدر شيئا فشيئا الى مهواة الخلاعة والتبذل

والغريب فى أخلاقها أنها لا تؤمن بالرجل ومع ذلك تؤمن بالحب . ولـكن الأغرب من ذلك والأشد فى الدلالة على ما تحمله نفسها من متناقضات ، أنها تحتقر الرجل الذى يحبها حقاً ، وتزدريه وتنكل به وتعد حبه ضعفا ، هذا الحب الذى تتطلع اليه وتناديه وتطلبه بكل جوارحها ! . .

وتلك هى المأساة !

المرأة انسان خلق ليسعى وراء الحب ، ولـكنها لفرط شعورها الوراثى بضعفها ، وشدة

احساسها بما لقوة الرجل من حقوق ، وعظم خوفها من تقلبه وتلونه ، وعبثه واستخفافه ، أصبحت تشك وترتاب فى هذا الرجل نفسه متى قدم لها الحب الخالص الذى تنشده . بل أصبحت ترى أن هذا الحب لا يتفق مع أخلاقه وقوته وانه دليل ضعف يثير الازدراء ويبعث على التهكم والسخرية !

وإذن فهى تريد الرجل قويا . تريد أن تحبه هى لا أن يحبها هو ... أو تريد أن يحبها ولكن فى أنفة وعزة وكبرياء وعدم اكتراث . أى بأسلوب لا يتفق وشروط العاطفة الصادقة المجتاحة التى تزعزع الكبرياء وتهدم فى أحيان كثيرة صرح الاباء والعزة

وهنا نلمس شقاء المرأة وشقاء الرجل معا . هى لا تصدقه لانها اعتادت منه الكذب . وهو لفرط ما كذب أصبح لا يجد من يقدر فيه الصدق !

لذلك يسعد مع المرأة كل رجل قوى ، كل رجل يعرف عند الاقتضاء كيف يكون شريراً ، ويعرف فوق هذا كيف يكبح عواطفه ويضبط حبه ويكذب ويتظاهر بأن فى وسعه الاستغناء عن هذا الحب وعن المرأة التى يتمثل حبه فيها . ولكن أى رجل صادق العاطفة نبيل الاحساس مستقيم الخلق يستطيع هذا ؟

إن كبح العاطفة وضبط الحب وتمويه الاستخفاف والتظاهر بالاستغناء ، كل هذه مناورات يمليها العقل ، والعاطفة الصادقة الملتهبة لا تعرف العقل أى الارادة والقوة

ولهذا لا ينجح مع النساء — على حد قول فولتير — إلا الرجال الذين لم يجد الحب الى قلوبهم المتحجرة سبيلا !

الحب والغيرة

هل هناك حب بدون غيرة ؟ وهل من الضرورى أن تلازم الغيرة الحب ؟ أم أن الحب عاطفة مستقلة والغيرة عاطفة دخيلة عليها ؟ !

يرى مكس رينال أن حق الرجل الوراثى فى امتلاك المرأة وحيازتها والانفاق عليها وعلى أبنائه المستولدين منها ، هذا الحق الكامن فى أعماق نفس الرجل والمتغلغل فى عقله الباطن والمنحدر اليه من سلسلة الأجيال المتعاقبة ، هو الذى يجعل الحب مقترنا بالغيرة

فالرجل اذا أحب لا ينسى أنه رجل ولا ينسى أنه السيد . لا ينسى أن المرأة كانت فى الغابة ملك الرجل القوى ، لذلك يطلب اليها الأمانة والوفاء ويفرضهما عليها فرضاً ، وان استحل لنفسه خيانتها والعبث بها والتطلع الى امرأة أجمل منها

فهو يحب ، ولكنه فى الوقت نفسه يرغب فى الاحتفاظ بكرامة رجولته . وهذه الكرامة هى التى تثور اذا ما ظهر المزاحم ، وهى التى تولد الغيرة ، وهى التى تدفع فى معظم الاحيان الى الاجرام أو إلى الجنون

فالحب بعد إذ يكون قد أخضع المرأة التى يهواها وأرغمها على الاذعان لسلطانه ، يعز عليه أن يطعن فى صميم رجولته وأن يولى الأدبار أمام منافس أجمل منه فى نظر المرأة وأقوى وأقدر

فالشعور بكرامة الرجولة ، وحقها الوراثى فى الحيازة والامتلاك ، وقدرتها على حماية الانثى الجميلة الضعيفة ـ هذا الشعور اذا توتر واهتاج تحت تأثير المنافسة ـ اضطرمت الغيرة وعصفت بالعقل والقلب والاعصاب

ومع ذلك فهناك باعث آخر على الغيرة قد يكون أهم وأخطر من البواعث التى ذكرنا . وهذا الباعث هو ما يسميه مكس رينال « خيال اللذة »

فالعاشق الذى فتن حباً بامرأة ، والذي أمتعته معشوقته بمختلف اللذائذ ، لا يستطيع أن ينسى هذه اللذائذ أبداً . انها من فرط قوتها تنطبع فى مشاعره وتستقر فى خياله وتستولى على وجدانه كله ، فيعتقد أنه ملك العالم وأنه أصبح نصف إله

فعندما يتقدم المزاحم وعندما تعرض المعشوقة عن عشيقها وتتجنى وتتدلل يدب الشك فى نفس العاشق ثم يشتعل فى ذهنه « خيال اللذة » فيتمثلها تماماً ويتمثل غريمه مستمتعاً بها فيجن جنوناً . وتلك أروع ضروب الغيرة !

وهذا الذى يقوله مكس رينال نجده واضحاً فى شخصية (عطيل) فى رواية شكسبير المشهورة . فعطيل يغار من منافسه وتكاد الغيرة تفقده صوابه لأنه يتصور اللذائذ التى ينعم بها مع امرأته ويتصور فى اللحظة نفسها امرأته وهى تجود بمثل تلك اللذائذ على منافسه ! . . وعليه فعطيل أو أى رجل عادى ، ينشد فى الحب الحيازة التامة ، ويطلب الاخلاص المطلق ليأمن شر الغيرة ، أى شر الامتهان والاذلال وفقدان الرجولة

فالرجل والحالة هذه أنانى ، وحبه مظهر من مظاهر الأنانية . والمرأة تعرف هذا حق المعرفة ، وتعرف عند الاقتضاء كيف تلهب أنانيته وتلهب كبرياءه وتلهب غيرته للاحتفاظ به أو لتعذيبه والانتقام منه

ولكن مكس رينال ـ على الرغم مما تقدم ، وعلى الرغم من تسليمه بأن الحب ضرب من الأنانية ، وأن الأنانية هى التى تولد الغيرة ، وأن الغيرة قرينة الحب ـ يؤمن بوجود حب آخر لا يعرف الانانية ولا تنفذ الغيرة الى قلب صاحبه

وفى هذا يقول : « كلما ارتقى الانسان فى سلم الحضارة ، وكلما اتسع ذهنه وصفت روحه وتحررت غرائزه من سلطان الشهوة ، مال به الحب نحو الغيرية لا نحو الانانية ، ونحو التضحية لا نحو الكبرياء وحب الذات »

هذا الانسان المتحضر ، اذا أحب لا يطغى ولا يستبد ولا يفكر فى الحيازة المطلقة ولا يعتقد أن

فى وسع المرأة أن تحب الى الأبد شخصاً واحداً وأن الحب عاطفة يجب أن تكون خالدة كى تكون عظيمة

فهو يسعد بلذة الحب كرجل عادى . ولكنه يسعد فوق هذا بلذة تضحية نفسه فى سبيل المرأة التى يحب ، وتذهب به السعادة الى حدها الأقصى عندما يتأكد أن محبوبته نفسها سعيدة وان كان ذلك مع رجل سواه ! . .

هكذا كان يحب تورجنيف مدام فياردو ، وجان جاك روسو مدام وارانس ، وشاتوبريان مدام ريكاميه . ولقد كان تورجنيف يقول : « انى أعبدها . وماذا يهمني أن تكون لى أو لسواى . المهم أن تكون سعيدة وأن يعرف الرجل الذى تحبه كيف يسعدها ! . . . »

وهذا فى رأى مكس رينال أسمى مراتب الحب !

الكهولة عهد الغرام

يعتقد الكثيرون أن عهد الشباب الاول هو عهد الغرام

والحقيقة أن الشباب يلهو بالغرام لهواً ويتخذ من عاطفة الحب أداة للتسلية ، ويعتبر الحب ضربا من المرح النفساني العنيف ، وينظر اليه آخر الامر من ناحية اشباع الغريزة الجنسية اكثر مما ينظر اليه من زاوية القلب والروح

أجل . الشباب جم العواطف وافر الاحساسات ، ولكن عواطف الشباب وإحساساته لاتلتمس المتعة والنعيم فى دائرة العاطفة والاحساس ، بل فى دائرة المادة أى فى دائرة الشهوة الجنسية

فالحب عند الشباب عاطفة يثيرها الدم الحار والعضل المفتول والمعدة القوية ، عاطفة تخلقها عوامل المادة ولا يمكن أن ترتوى الا فى محيط المادة

فاذا ما بلغت مرادها وارتوت ، فترت حدتها ، وتقلص ظلها ، واستحالت الى تبرم وضجر ونفور ، ثم تحولت نحو شخص آخر تنشد الغاية نفسها أى اللذة الجثمانية تحت ستار العاطفة

والملاحظ أن المرأة تفهم بفطرتها طبيعة الشاب . وتعرف أن عاطفته سريعة الثوران ، سريعة التقلب ، سريعة الانطفاء ، لقيامها على الرغبة الجنسية وحدها ، ولفرط تأثرها بقوة النداء الجنسى وحده

لذلك تعجب المرأة بالشاب وتحن اليه وتطلبه لانه مظهر من مظاهر الطبيعة البكر ، ولكنها لاتطمئن لحبه ولا يخطر على بالها لحظة واحدة أن فى وسعها الاحتفاظ بهذا الحب بدون كفاح وجهاد

والواقع — فى رأى مكس رينال — أن الشاب لا يمكن أن يحب امرأة بالذات لأنه يحب النساء جميعاً ، أو بمعنى آخر يحب الحياة

فمباهج الحياة ، ومناعمها ، وأفراحها ، ومسراتها التى لا تحصى ، تخلب لب الشاب وتستغرق

معظم اهتمامه وتحول بينه وبين تركيز قواه فى عاطفة واحدة وشخص واحد

الشاب يطالع الدنيا بعين مشغوفة ظمأى ، ويرى الجديد أمامه فى كل خطوة . فهو يود اكتناه سر الحياة الغريبة عليه ، يود احتضان الحياة بأسرها لا احتضان جسم واحد وجمال فرد

هذه هى طبيعة الشباب ، وهى تتعارض كل التعارض مع مستلزمات الحب

والحب ـ عند مكس رينال ـ عاطفة جبارة هائلة تتطلب منا توديع مناعم الحياة الظاهرة ، وتضييق آفاق متاعها الباطل ، وحصر هذا المتاع فى امتلاك ورفقة مخلوق معين ، يجمله خيالنا ويسمو به تصورنا ، ونرى من خلال عينيه الفاتنتين أو جبينه الوضاح أو خلقه الكريم ، خلاصة جمال ومتاع هذه الدنيا !

لهذا يؤكد مكس رينال أن الكهولة هى التى تعرف كيف تحب لا الشباب . .

الكهولة التى ذاقت مناعم الحياة المادية وسئمتها وعافت ألوانها وتاقت فى النهاية الى النعيم الأعظم أى الى عاطفة الحب الصادقة التى ينبع منها وينتهى اليها ـ بواسطة المرأة ـ ذلك الاستمتاع المادى والروحى المطلق بالحياة الكبرى . فالكهولة التى تنشد الاستقرار بعد طول المطاف ، هى التى ينمو فى أرجائها الحب ، وهى التى تذهب فيه الى أبعد حدود الولاء والتضحية

ولكن سخرية الحياة تهدد الكهول أيضاً وأسفاه ! . تهددهم وتوحى الزراية والاستخفاف بحبهم العظيم ، وتجعل هذا الحب ضربا من العاطفة الشاذة المستغربة المشوبة بالهوس والجنون

والواقع أن الكهولة ـ سواء أكانت ممثلة فى رجل أم فى امرأة ـ كثيراً ما لا تشعر بعاطفة الحب الا نحو الشباب . . فالكهل الذى يعرف كيف يحب ، تدفعه المقادير فى العادة الى حب امرأة صبية أو فتاة فى مقتبل العمر

غير أن هذه المرأة أو تلك الفتاة ـ نظراً لشبابها المتقد وطموحها المستمد من حيويتها ـ لا يمكن أن تفهم حق الفهم عاطفة الكهل ، وتحس ما فيها من كنوز الفضائل النادرة ، وتقدر تمام التقدير ما تشتمل عليه من رزانة وثبات ووفاء

أجل . قد تعطف الفتاة أو المرأة على الكهل العاشق ، ولكن مهما تبين لها من عظمة حبه وروعة اخلاصه ، فهى تؤثر عليه الشاب وان كانت تعلم كل العلم أن هذا الشاب سيحظى بها ، ثم يعذبها ، ويتجنى عليها ، ثم ينصرف عنها الى غير عودة

وعليه فالطبيعة تولد فينا الحب الكبير فى السن التى لا نصلح فيها للحب ، فننظر عندئذ الى الشباب ونتحسر ونذرف الدموع فى الوحدة مرددين المثل السائر :

أواه لو عرف الشباب ! وآه لو قدر المشيب !

ابراهيم المصرى

جزيرة عامرة يبتلعها البحر

ثورة بركان كراكاتو سنة ١٨٨٣

[فى أسطورة جيلة يميل الى تصديقها بعض العلماء ان الجزء من المحيط الأطلنطى الواقع بين افريقا وأمريكا الجنوبية كان فى عهد مجهول من عهود التاريخ أرضاً يابسة بل قارة عامرة تعرف باسم « الأطلانطيد » ، وان هذه القارة زالت من الوجود إذ ابتلعها البحر فى أثناء ثورة بركان قوى وبفعل زلزال شديد . ومهما يكن نصيب هذه الأسطورة من الصواب أو الخطأ ، فان الفاجعة التى نرويها هنا تؤيد القول بأن البحار تطغى أحيانا على أجزاء من اليابسة فتبتلعها وتزيل معالمها من الوجود]



هنالك فى بحر الصند ، فى جنوب آسيا ، وبين تلك المجموعة من الجزر الهولندية المتناثرة حول جزيرة جاوة ، وعلى مسافة ١٥٠ كيلو متراً من باتافيا ، يشاهد السائح كتلة من الصخر عارية جرداء ، وقفت فى البحر كالقبة الهائلة لا يتبين فيها الرائى مرتقى ولا منحدراً ، وقد تجردت أرضها من كل علامات الحياة فلا زرع فيها ولا ماء ولا حيوان ولا إنسان

تلك هى جزيرة « كراكاتو » التى لا يذكرها التاريخ الا ليذكر أنها كانت فى يوم من الأيام مسرحاً لأشد ثورة ثارتها الطبيعة ، وميداناً لأكبر كارثة بركانية وعتها ذاكرة العصور

لم تكن صخرة « كراكاتو » منذ نيف ونصف قرن على ما هى عليه اليوم ، وانما كانت سفحين لجبلين متقابلين ، نهض أحدهما فى شكل مخروطى على ارتفاع الف متر فوق الطرف الشمالى من الجزيرة ، وقام الثانى على مثل هذا الارتفاع فى الطرف الجنوبى منها ، وقد انبسط بين السفحين ، فى رقعة من الارض تبلغ مساحتها ٣٥ كيلومتراً مربعاً ، سهل فسيح خصب التربة مزهر الأديم يغل ثلاثة محاصيل فى السنة ، ويزخر بعدد من السكان يناهز الأربعين ألفاً يفلحون الأرض ويصيدون الأصداف ويحيون حياتهم الفطرية بمعزل عن ضوضاء الحضارة وما تثيره المدنية من قلق واضطراب

أما أحد الجبلين فبركان كراكاتو الذى سميت الجزيرة باسمه . وهو بركان قديم ثار مرة سنة

١٦٨٠ ثم خمد وطمت فوهته ، فحسبه أهل الجزيرة قد انطفأ ولن يعود الى الثوران فأمنوا شره وعاشوا الى جانبه وادعين مطمئنين

بيد أن البراكين تخمد وقد يطول خمودها ولكنها لا تنطفىء أبداً . وما دام جوف الأرض يجيش بالحمم والنار فلا بد من أن يلفظ ما فيه يوماً ، ويا ويل الانسان اذا لفظت الأرض ما فى جوفها فان قىء الأرض لشىء رهيب !

أمن الناس شر هياج الجبل ولبثوا آمنين مئتى عام . وفى أحد أيام شهر مايو سنة ١٨٨٣ ذعر سكان باتافيا اذ سمعوا فرقعة متتالية تأتيهم من بعيد وهم لا يعرفون مصدرها ولا ماهيتها ، فلبثوا فى حيرتهم يومين يتساءلون ولا من مجيب . فلما رست على ساحلهم احدى السفن الآتية من سوماطرا علموا من ركبها أن بركان كراكاتو عاد الى الثوران ، وأن ثورانه هذه المرة خفيف متقطع لا ينبىء بشر مستطير . أى نعم لقد استيقظ البركان الخامد من سباته وانكشفت فوهته وأخذ يقذف منها سحباً من بخار قاتم كان يسود الجو ويحجب ضوء النهار . ولقد كان ثورانه نذيراً لسكان الجزيرة بأن الطبيعة تهيىء لهم كارثة تصبها عليهم ، ولكنهم لم يفهموا هذا النذير . واذا كان اهتزاز البركان قد أزعجهم أول الأمر ، فقد ألفوه فيا بعد حتى اذا انقضت أيام وأسابيع لم يعودوا يرون فيه الا شيئاً عجيباً لا يخشى له شر ولا يتوقع منه خطر

لبث البركان طوال شهرى يونيو ويوليو يوالى تصعيد بخاره ويضفي على الأرض طبقات رقيقة من الغبار ، والاهالى فى شغل عنه بزرعهم وصيدهم يسألون الله أن يكشف عنهم هذه الغمة ، ولكن لا يأخذون حذرهم منها ولا يتخذون أهبتهم للرحيل عن الجزيرة فيما لو نزل البلاء

وفى الحادى عشر من شهر أغسطس تحدث القبطان ترزينار — أحد قباطنة السفن الهولندية وهو آخر أوروبى جاب أنحاء الجزيرة — فأفضى الى السلطات فى باتافيا بأنه شاهدفي أثناء تجواله حول الجزيرة ، أن ثلاث فتحات قد استجدت حول الفوهة الكبرى للبركان ، وان ظهور هذه الفتحات خلال اضطراب البركان دليل لا يبشر بخير ، ونصح لأولى الأمر أن يجلوا السكان عن الجزيرة المهددة الى مكان أمين حتى يهدأ البركان أو ينتهى ذلك الاضطراب

وكأنما أدركت الطبيعة أن الانسان سيتخذ الحيطة لغدرها لينجو من شرها فأرادت أن تخدعه ، ففى الخامس عشر من هذا الشهر هدأ البركان فجأة وسكتت أحشاء الأرض عن الغليان وكف الجبل عن تصعيد البخار والغبار . فاطمأن روع السلطات وعادت السكينة الى النفوس وظن الناس ان الله قد استجاب دعاءهم وفرج كربهم وأبدلهم من خوفهم أمنا وسلاما . ولكنها كانت هدأة التحفز أو السكون الذى يسبق الوثوب والانقضاض ، فلم يأت يوم ٢٦ أغسطس حتى اضطرب الجبل اضطرابا شديداً ولم يحل اليوم التالى حتى حلت بالجزيرة وساكنيها أفدح كارثة سجلها تاريخ البراكين على طول الدهور

ليس لدينا عن هذه الكارثة تقارير رسمية نستند عليها ولا شهادات أدلى بها شهود عيان نرجع اليها في وصف الفاجعة وسرد وقائعها وتفاصيلها ، فلا مندوحة لنا والحالة هذه من أن نأخذ بأقوال أقرب الشهود الى مكان الحادث وهو المهندس الهولندى فيربريك الذى كان يقيم يومئذ فى قرية بويتنزورج على ساحل باتافيا الجنوبى ، قال :

« كان ذلك فى السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٨٨٣ . فلما بلغت الساعة الواحدة بعد الظهر بدأنا نسمع فى بويتنزورج دوياً متواصلا وفرقعات متوالية كأنها قصف الرعد يصلنا من بعيد ، فأيقنا أن بركان كراكاتو الذى يبعد عنا بمائة كيلو متر قد عاد الى الثورة والاضطراب ، ولبثنا نرقب الأفق من ناحية الجزيرة البعيدة لنرى ما سوف يكون . مضت ساعة أو بعض الساعة على تلك الحال وإذا بنا نفاجأ بانفجارات قوية تصعد الى الأجواء العليا فتحدث فيها غيما مربدا تتخلله ومضات كومضات البرق فى وسط السحاب القاتم السواد ، ثم اذا بهذه الانفجارات تتزايد ودويها يتعاظم ونيرانها تلمع فى الجو لمعانا يضىء الآفاق

«وكانت الريح تحمل الى آذاننا قرعا متواصلا كقرع الطبول يشتد حينا ويخفت حينا ، ويتخلله من لحظة لأخرى دوى انفجارات هائلة كنا نسمعها ويسمعها معنا جميع سكان جاوه على بعد ما بيننا وبين الجبل الهائج من مسافات . فلما أقبل الغسق وأرخى الليل رداءه الأسود على الوجود ، نظرنا فرأينا فى سماء الجزيرة البعيدة شيئا كالجحيم أو هو الجحيم بعينه ، حتى لقد ظننا أن الفضاء يحترق أو أن السماء استحالت أتونا من نار : قرع مستمر وفرقعة تتلوها فرقعة وانفجار ، وقذائف حمراء وأخرى سوداء وغيرها بيضاء تنبعث من الأرض كالسهام متتالية متلاحقة تشق سواد الليل وتعقد فى الجو طبقات كثيفة من شىء لا يوصف إذ هو خليط من الألوان القاتمة والألوان الزاهية تمتزج بعضها ثم تنتشر وتسبح كالبسط فى الفضاء أو تتناثر شهباً تهوى الى الغبراء

« استمرت الحال على هذا المنوال طول الليل فلم تنم ولم يغمض لأحد من سكان جاوة جفن ومحال على من لم يشهد أهوال تلك الليلة بعينيه أن يتصورها ولا أن يكون لنفسه فكرة عنها ، ومحال على الذين شاهدوها أن يصوروها لغيرهم ولا أن يقولوا لهذا الغير كيف رأوا الأرض والسماء تمتزجان فى سعير واسع الأرجاء مترامى الأطراف . لقد شهدت المواقع الحربية ورأيت المدافع والبنادق تمطر الأرض وابلا من القنابل والرصاص فتخطف بنيرانها الأبصار وتصم بدويها الأسماع، ولكنى آمنت الآن بأن الحرب إلى جانب ما شهدته الليلة لعبة لاعب لا ترعج ولا تخيف

« نحن هنا على بعد مائة كيلو متر من مكان الهول ، وها نحن أولاء أسناننا تصطك وفرائصنا ترتعد، وقد عقد الفزع ألسنتنا وكاد الرعب يطير عقولنا من جماجمنا ، فما حال أولئك التعسين الذين يصلونها هنالك وقد جردت عليهم الطبيعة أقوى ما تملك من وسائل الابادة والافناء ؟

«ولكن ما بقى كان أدهى وأعظم ، إذ لم تبلغ الساعة السابعة من الصباح حتى حدث انفجار لا أعرف

ماذا كان من شدته هناك ، ولكنه زلزل جميع المساكن هنا ـ على بعد مائة كيلومتر ـ حتى لقد انكفأت المصابيح من فوق المناضد ، وسقطت الصور المعلقة على الجدران ، وتزحزحت الأثاثات فى البيوت عن مواضعها ، وعم السكان ذعر شديد جعلهم يهرعون من منازلهم الى الطرقات العامة والميادين الفسيحة . وأعقب ذلك بعض انفجارات أخرى أخف دوياً وأضعف أثراً ثم هدأت الحالة وانتشر السكون

« ولكن السماء فوقنا بدأت تغبر وتسود ، وأخذت سحب البخار تتدافع من الجزيرة المنكوبة الى ناحيتنا كثيفة قاتمة، فلما صارت الساعة السادسة عمنا ظلام اضطررنا حياله الى اضاءة المصابيح فى الشوارع وفى فوانيس المركبات . ثم بدأت السماء ترسل علينا مطراً من الرماد والسناج «الهباب» جعل التنفس عسيراً حتى لقد كدنا نختنق ونموت »

تلك رواية المهندس فيربريك. وما من شك فى أنه لم يصور لنا الا ما رأى. وهو ـ كما أسلفنا ـ على بعد مائة كيلو متر من مكان الكارثة . فاذا كان ذلك هو أثر ثورة البركان على جهة بعيدة عنه كل هـذا البعد ، فياليت شعرى ماذا كان أثرها على الجزيرة نفسها ؟ ذلك ما لم يعرفه أحد الا بعد انقضاء عدة أسابيع عندما استطاع بعض المغامرين دخول جزيرة كراكاتو والتجول فى بقاياها

ونقول « بقاياها » لأن الجزيرة نفسها كانت قد زالت من رقعة الأرض ولم يبق منهـا الا الصخرة العارية الجرداء التى يشاهدها اليوم رواد تلك الأصقاع . فهل ابتلعها البحر أم انفجر تحتها بركان بحرى فنسفها وبدد أجزاءها وصيرها هباء ؟ ذلك ما اجتهد العلماء زمناً فى معرفته ثم أعياهم البحث فهجروه غير موفقين

نعم زالت الجزيرة من موضعها وصارت أمواج البحر تلتطم فى هذا المكان الذى كان منذ أيام بقعة من أجمل بقاع الدنيا عامرة بالسكان حافلة بالخيرات . ولقد سبر العلماء غور المحيط فى النقطة التى كانت الجزيرة قائمة عليها فاذا بهذا الغور يبلغ ثلثمائة متر ويزيد . ولتلك والله عجيبة من عجائب الطبيعة لم يعرفها بنو الانسان من قبل ، وظاهرة غريبة تؤيد أسطورة الاطلانطيد

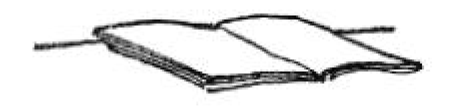
على أن آثار النكبة لم تقتصر على جزيرة كراكاتو وحدها ، بل تناولت الجزر القريبة منهـا والبعيدة عنها. فلقد هاج البحر فى أثناء ثورة البركان هياجاً عظيما جعله يقذف بقوة على الجهة الشرقية من جزيرة جاوة موجة عالية ارتفعت ثلاثين متراً فغطت جزءاً كبيراً من الساحل ، وارتدت الى البحر حاملة اليه كل ما صادفها من انسان وحيوان، واكتسحت كثيراً من القرى والدساكر فهدمت المساكن وخربت البيوت وأودت بحياة آلاف من الناس

ولكى يتصور القارىء هول ثورة البحر والبركان فى ذلك اليوم العصيب ـ نقول إن هياج المحيط الهندى فى تلك المنطقة قد امتد الى المحيطات الأخرى حتى لقد أحس به قباطين السفن المسافرة فى فى المحيطين الهادىء والاطلنطى ، وإن شدة الانفجار قد أحدثت اضطرابا فى الجو نشأت منه

تيارات هوائية عنيفة دارت حول الكرة الأرضية ثلاث دورات سجلتها المراصد فى جميع أنحاء الدنيا ، وان دوى ذلك الانفجار قد انتشر فى دائرة قطرها ٦٦٠٠ كيلو متر أى فى مساحة تبلغ سبع المعمورة ، وان البركان قذف من جوفه مواد ملتهبة تكدس رمادها على أبعاد شاسعة من الجزيرة ، وبلغ ارتفاع ذلك الرماد فى بعض الجهات ثلاثين وأربعين متراً فوق سطح الأرض ، وان كثيراً من القرى دفنت تحت الرماد والغبار فلم يكن يظهر منها الا أعالى أشجار مغبرة تحدث الناظر بأن تحت هذه التلال كانت قرى ومساكن آهلة بالسكان ، وان دائرة حول البركان يبلغ قطرها خمسة عشر كيلو متراً قد غطيت كلها بقطع من الأحجار كل منها فى حجم رأس الانسان ، وان مساحة المنطقة التي غطتها قذائف البركان تقرب من مساحة المانيا أو تزيد ، وان أعمدة البخار التى كانت تتصعد من البركان كانت ترتفع الى ثلاثين الف متر في الجو ثم تنتشر فى الآفاق الى أبعاد لا يصدقها العقل ، وأن الطبقات الكثيفة التى تكونت من ذلك البخار قد تمددت وانبسطت وسبحت فى الأجواء حتى لقد شوهدت آثارها طوال ستة أشهر فى جميع أنحاء الدنيا . وقرر العلماء أن شتى الظواهر الضوئية العجيبة التى لوحظت خلال تلك الاشهر فى سائر القارات كتلون الاضواء الشمسية وانتشار سحب البخار وتغير رائحة الهواء وغرابة مناظر قرص الشمس وقت الغروب ، انما كانت كلها من آثار ثورة ذلك البركان

نتبين مما تقدم أن تلك الكارثة البركانية كانت أشد كارثة من نوعها حلت ببنى الانسان . وأن التاريخ فى عصوره القديمة والحديثة لا يذكر ثورة بركان بلغت من الهول وسببت من الخسائر وانتقصت من الارض ، مابلغته وسببته وانتقصته ثورة بركان كراكاتو . ومما لا شك فيه انه من حسن حظ الانسانية والعالم أن تلك النكبة قد حلت بجزيرة نائية فى وسط المحيط فلم يزد عدد ضحاياها من البشر على ثلاثين الف نسمة ، إذ لو حلت بمنطقة من مناطق الدنيا المعمورة لأودت بحياة ملايين وملايين من الناس ولارتفعت قيمة الخسائر المترتبة عليها الى رقم كبير لا تتصوره العقول

ع . ف



اختلاط الجنسين في التعليم

يقوي الخلق ويصلح المجتمع

بقلم الاستاذ نظمى خليل

« .. لقد انقضى ذلك العصر الذى كان الرجل ينظر فيه الى المرأة نظرته الى لغز معقد وسر عميق ، يقف أمامه ذاهلا حائراً ، وجاء العصر الذى ينظر فيه الفتى الى الفتاة كأنها صـديق .. »

لو أن مصر جمعت بين الأولاد والبنات فى مدارس واحدة ، لسهل عليها أن تعمم التعليم الأولى وتقضى على الأمية والجهالة ، دون أن تتكبد نفقات أكثر مما تبذل الآن . ولكنها سارت على نظام الفصل بين الجنسين ، فأنشأت لكل منهما مدارس خاصة ، فلم تستطع أن تخفض نسبة الأمية تخفيضاً يتناسب مع ما أنفق فى مكافحتها من الأموال والجهود خلال السنوات العشر الماضية

وإن بلادنا لأولى من غيرها باتباع نظام الاختلاط بين الجنسين ، لان الطبقة الغالبة عندنا ، وهى طبقة الفلاحين ، ترسل أبناءها وبناتها معا الى الحقول حيث يعملون جنبا الى جنب ، فلا داعى للفصل بين الفريقين فى المدرسة ، ما داموا يجتمعون معا فى أرحب نواحى الحياة

وإذا جاوزنا الطبقة الدنيا الى الطبقتين المتوسطة والعليا ، وجدنا أبناءهما وبناتهما اذا بلغوا مرحلة التعليم العالى اختلطوا فيها معا ، فوجب اذاً أن يتعرف كل منهما الى الآخر فى دور الصبا حتى لا يفاجأ بهذا الاختلاط ولما يتأهب له بما يلزم من مقاومة وحصانة

***

هذه هى الاسباب التى تخص الحياة المصرية ونظامها ، وإلى جانبها عوامل أخرى عامة يذكرها علماء التربية تحبيذاً لنظام الاختلاط بين الجنسين

من هذه العوامل ما يتصل بالناحية المدرسية . فليس أدل على نجاح نظام الاختلاط من تلك المنافسة القوية التى تبدو من جانبي الفتى والفتاة ، فكلاهما يعمل على إعلاء شأن جنسه ويحاول أن يثبت كفاءته . يقول العالم دافيد جوردان : « انا نحصل على أحسن النتائج عندما يجتمع الجنسان فى فصل واحد ، فنرى الشاب أكثر إقبالا على العمل وأحسن خلقا ، ونرى الفتيات يؤدين أعمالهن فى جو طبيعى وبدوافع أرق وأفضل »

وهـذا ما يشعر به الطلبة فى الجامعة المصرية ، ولا سيا فى الكليات التى تكثر فيها الفتيات .

فلقد شعرت وأنا فى كلية الآداب أن هناك شيئا جديداً يدفعنى الى العمل غير هذا الذى كان يدفعنى فى المدرسة الثانوية ، وهو بلا شك وجود الفتاة التى أراها تنافسنى فأحاول أن أتفوق عليها

أما من الناحية الخلقية فاننا اذا فصلنا بين الولد والبنت ، حملناهما مرغمين على أن يتساءلا عن سبب هذا الفصل ، وأن يفسراه تفسيراً يفسد الغاية التي زعمنا أننا نعمل لها

يقول الاستاذ كورى : « ان الاولاد لم يولدوا كلهم فى بلد والبنات فى بلد آخر ، وإنما تعمل الطبيعة على أن تجمعهما معا فى أثناء الطفولة يلعبان ويتسامران فى غير كلفة أوتصنع ، فليس من الحكمة أن نفرق بينهما لأن هذه التفرقة تهيء عقل الولد أو البنت اذا ما تقدمت بهما السن الى التساؤل عن سبب هذه التفرقة وبذلك تتفتح عيونهما الى أشياء ما كانا ليعرفاها لو بقيا معا »

وفوق هذا فان الاختلاط فى التعليم يساعد على اعلاء الغريزة الجنسية والتسامى بها . وهذه الغريزة هى التى توجه حياة الفرد وتتحكم فيها لانها أصل الغرائز كلها ومصدر أعمال الانسان جميعها .. أنظر إلى شبابنا الذين حرموا نعمة التعليم المختلط تجدهم يسلكون فى هذه الناحية طريقاً ملتوياً ، تارة يضعف الجسم والتفكير معاً ، وتارة يحدث تلك الاضطرابات والأمراض التى تنتاب كثيرين منهم وتكاد تفترسهم

أضف الى هذا أن وجود الولد مع البنت يعوده على ألا يأتى من الأعمال ما يجعله عرضة لنقد صاحبته أو يحط من شأنه أمامها ، فهو يحاول أن يظهر أمامها رجلا كاملا Gentleman . وهنا نجد من يعترض فيقول إن وجود الجنسين معا يجعل كل فريق يفقد بعض صفاته متأثراً بصفات الفريق الآخر . فالبنات ينسين بعض طبائعهن كالحياء والرقة ، كذلك الشبان يحاولون كثيراً أن يظهروا شيئا من الظرف والأناقة فيزلوا عن بعض رجولتهم

والحقيقة أنه ليس فى الأمر فقدان أو ضياع ، بل فيه نوع من التقارب فى الطباع ، أى جرأة فى الفتيات وبعض الرقة فى الشبان . فالولد يكسب من البنت رقة فى الاحساس وسلامة فى الذوق اذا ما أتيح له عادتها فى حجرة الدراسة ، أو مشاركتها فى اللعب فى فترات الراحة ، كذلك البنت تكسب بعض الشجاعة الأدبية لكثرة اختلاطها به ، والتحدث معه . واذا قارنا بين حالة الفتاة التى تدخل الجامعة وهى تهاب ذلك الوسط الجديد الذى وجدت فيه ، فلا تجد من نفسها الشجاعة على التحدث الى زميلها أو الوقوف معه ، وبين الحالة التى تصل اليها فى منتصف العام أو فى نهايته ، لهالنا هذا الفارق العظيم بين ذلك الحياء وهذا الاقدام

أما المجتمع فلا يمكن أن ينهض إلا على أساس الأسرة . والأسرة لن تقوم إلا على فتى وفتاة قد فهم كل منهما الآخر فهما دقيقاً ووقف على طبائعه وميوله . لقد انقضى ذلك العصر الذى كان الرجل ينظر فيه الى المرأة نظرته الى لغز معقد وسر عميق يقف أمامه ذاهلا حائرا ، وجاء العصر الذى ينظر فيه الفتى الى الفتاة كأنها صديق . فاذا وفق الى الفتاة التى ترضى شعوره وتكمل نقصه

أمكنه أن يكوّن معها أسرة هانئة موفقــة . وقلما يتاح هذا للشاب إلا فى مراحل تعليمه ولا سيا « الجامعى » ، فيستطيع فى هذه الحالة أن يختار من يحب وبهذه الطريقة تحل مشكلة من أعوص مشاكلنا الاجتماعية اليوم وهى مشكلة الزواج . لقد قامت إحدى المجلات فى أمريكا باحصاء لنسبة الزواج فى نيويورك ، فوجدت ان نسبة المتزوجات من خريجات مدارس البنات ١٥ ٪ بينما نسبة المتزوجات من خريجات المدارس المختلطة ٣٦ ٪

وقد كتبت ادارة جامعة « تكساس » بالولايات المتحدة تقريراً قالت فيه انها تفاخر بخريجيها وخريجاتها ، فان بين مئات المتزوجين والمتزوجات منهم لم تحدث سوى قضية طلاق واحدة . وقد عزت الجامعة هــذه النتيجة الحسنة الى نظام التعليم المختلط الذى بدأ فى جامعتهم منذ ان أنشئت عام ١٨٨٦

***

قلت إن الاختلاط جائز فى المدارس الابتدائية والجامعة ، ولم أذكر مرحلة التعليم الثانوى لأن هذه المرحلة هى منطقة الخطر فى حياة الشاب والفتاة على السواء . ففيها يظهر الاختلاف واضحا بين الاثنين فى النمو الجسمى والعقلى . فان البنت تصل الى دور البلوغ فى الثانية عشرة بينما الولد يبلغ هــذا الدور فى الخامسة عشرة فى المتوسط . فاذا وجد الاثنان فى مدرسة واحدة فى الثانية عشرة وقعت البنت تحت نوبات البلوغ العصبية التى تعوقها عن السير مع الولد فى طريق التعليم . زيادة على ذلك فان هذين الحدثين اللذين عاشا معا فى مرحلتى الروضة والتعليم الابتدائى حياة كلهــا طفولة وطهر ، سرعان ما يحسان بذلك النداء الداخلى الذى لا يعرفانه ، ولكنهما يجدان نفسيهما مضطرين الى الافصاح عنه تارة بالكلام وتارة بالحركات ، وسرعان ما ينظر كل واحد للآخر نظرة الحيرة والدهشة ، فيجد الشاب أو الفتاة نفسه فى حالة قلق واضطراب . فى هذه المرحلة يجدر بنا أن نفصل بين الجنسين حتى تهدأ فورة الشباب ، ثم نعود فنجمع بينهما فى الجامعة بعد ان يكونا قد تخطيا « منطقة الخطر »

هــذه هى الاسباب التى يسوقها رجال التربية تحبيذاً لنظام الاختلاط . وهى أسباب لها أثرها البارز فى تقوية الخلق وبناء المجتمع . فلم لا نأخــذ بهذا النظام ، ولا سيا بعد أن فتحت الجامعة أبوابها للفتى والفتاة يتلقيان العلم فيها جنبا الى جنب ، فصار من الضرورى أن يتعرف كل منهما الى الآخر فى دور الطفولة حيث يسود الطهر والسذاجة ، لكى يتجنبا ما قد ينتج من تقابلهما فجأة فيما بعد فى مرحلة التعليم

نظمى خليل

مأساة غرام تنكشف بعد مائة عام

الملكة فكتوريا والأمير اسكندر

بقلم الاستاذ حسن الشريف

هذه مأساة من مآسى غرام الملوك ، تحدثنا مرة أخرى أن السعادة ليست فوق العروش ولا وليدة الغنى والجاه العريض ، وأن تلك التيجان التى تنحنى أمامها الرءوس كثيراً ما تغطى جماجم تكاد تنفجر من فرط الهموم ، وأن تلك الكسى الموشية بالذهب والنياشين كثيراً ما تستر قلوبا ممزقة وصدوراً مترعة بالآلام والاحزان

هذه مأساة من مآسى غرام الملوك لم تحدث فى العالم ضجة كالتى أحدثها غرام الملك كارول بمدام لوبيسكو ، أو غرام الملك ادوارد الثامن بمسز سمبسن . فهى لم تسبب طلاقا ولا أزمة دستورية ولم تسفر عن سقوط عرش أو ضياع تاج ، لا بل ولم تثر اهتمام المؤرخين ولا طلعة الصحفيين ، ولم تكن فى يوم من الأيام حديث العلية ولا سمر السهرات . ولولا مذكرات خاصة نشرت حديثاً وجاءت مكملة لمذكرات الملكة فيكتوريا ملكة انجلترا لظلت تلك المأساة سراً مجهولا ولطواها الزمن فيما يطويه من الأسرار

كانت الملكة فيكتوريا تدون ذكرياتها اليومية فى مذكرة تثبت فيها أهم الحوادث التى تقع لها أو تمر أمام نظرها، سواءاً كانت هذه الحوادث عامة تتعلق بشؤون الدولة ، أم شخصية تتعلق بحياتها الخاصة . ولقد نشرت تلك المذكرات بعد وفاتها بسنين [١] فقرأ الناس فيما قرأوه فيها نتفاً مبعثرة موجزة غامضة تشير الى زيارة القويصر [٢] اسكندر ولى عهد الروسيا للوندرة سنة ١٨٣٩ ، وتلمح فى خفة الى عاطفة ميل كانت قد نبتت فى قلب الملكة نحو هذا الأمير الشاب . ولكن تلك النتف لفرط ايجازها وغموضها لا تشبع طلبة الباحث ولا تروى ظمأ المؤرخ إذ لابد لها من تكملة توضح سرها وتلقي الضوء على المستور وراءها ليتم معناها فيستطيع المؤرخ ان يستنتج منها النتيجة التى يضيف بها صفحة جديدة الى صفحات التاريخ

---

(١) Journal de la Reine Victoria

(٢) القويصر ترجمة اخترتها لكلمة Tsarévitch ومعناها بالروسية « القيصر الصغير » أو « ابن القيصر » وهو اللقب الذى كان يطلق على ولى العهد في روسيا القيصرية . والقويصر اسكندر الذي نتحدث عنه هنا هو الذى اعتلى العرش فيما بعد باسم الامبراطور اسكندر الثانى

ولقد أتاحت الفرصة المسعدة لهذه التكملة من بعثها من مرقدها ونفض عنها غبار السنين، إذ عثرت النبيلة الروسية السيدة هيلين يوريفتش بين الأوراق التى خلفها حموها الجنرال سرج يوريفتش على مذكرات كان يدون فيها ذكرياته عن العهد الذى كان يشغل فيه وظيفة الرائد للقويصر اسكندر ويرافقه فى السياحات التى يقوم بها للتعرف بملوك أوربا تنفيذاً لرغبة أبيه الامبراطور. ولقد نشرت السيدة هيلين يوريفتش هذه المذكرات (١) حديثاً فاذا هى تتضمن تفاصيل شائقة عن زيارة القويصر لبلاط انجلترا سنة ١٨٣٩ وعن عاطفة الميل التى نبتت إذ ذاك فى قلب الملكة فيكتوريا نحو ضيفها العظيم

ولشد ما يغتبط المؤرخ عند ما يوفق بين المذكرتين ويطبق تواريخ الواحدة على تواريخ الأخرى ويكمل النقص الشائع فى الأولى بالتفاصيل المستفيضة فى الثانية، فيجد نفسه أمام مأساة غرامية رائعة تذيب القلب رحمة وتستدر الدمع عطفا وحنانا

***

كان ذلك فى سنة ١٨٣٩، يوم لم تكن الاخلاق، حتى أخلاق الملوك، قد تطورت الى ما تطورت اليه فى العصر الحديث، وحين كان للعروش قدسها والتقاليد حكمها، وحين كان الملوك ملوكا، لا يخطر لأحدهم ببال أن يوازن بين تاجه وقلبه، أو أن يضحى برسالته على مذبح هواه وحبه

فى ربيع تلك السنة هبط القويصر اسكندر ولى عهد الروسيا بلاط انجلترا ضيفاً على الملكة فيكتوريا فى رهط من حاشيته تتمثل فى أشخاصهم عظمة روسيا القيصرية وتتجلى فى مظاهرهم فخامة بلاط آل رومانوف

وكانت الملكة فيكتوريا إذ ذاك فتاة فى العشرين من عمرها، أقرب الى القصر منها الى الطول، سوداء الشعر ناعمته، ناصعة بياض البشرة، مشرقة الجبين، دقيقة الانف والفم، رقيقة الشفتين. جبتها

الملكة فكتوريا فى العشرين من عمرها

(١) Mémoires et Souvenirs par le Général S. Yourievitch


القيصر اسكندر الثانى فى اثناء ولايته للعهد

الطبيعة عينين خلقتا لسحر النفوس وخطف القلوب ، واسعتين مشرعتين طويلتى الاهداب تحت حاجبين كأنهما القوسان خطتهما ريشة الرسام ، وقد برز عنقها الجميل فوق كتفين ممتلئتين وصدر مكتمل النضج ينم على أنوثة مبكرة ، وتدلى ذراعاها الدملجتان الملفوفتان الى جانبى خصر ضامر نحيل يكاد لا ينهض بعبئيه فيتثنى بينهما تثنى الأملود . واذا كانت الطبيعة قد أضفت على الملكة الشابة كثيراً من حسن المرأة وجمالها ، فهى لم تضن عليها بشىء من تلك القوى الجذابة التى تنبعث من خفة روح الحسناء ومن حديثها وحركاتها ومشيتها ودلالها ، والتى اذا أضيفت الى الجمال ابرزته وعززته وجعلت منه فتنة للأعين وسحراً للقلوب

أما القويصر اسكندر فكان فتى فى الحادية والعشرين من عمره أمرد سمهرى العود أشقر الشعر أزرق العينين تصالحت على طلعته الوضيئة متعة الشباب ورزانة الرجولة ، وكان لطيف المعشر رقيق الفكاهة سهل الحديث ، يتنقل فى سمره من حوار إلى حوار ، ومن دعابة الى دعابة فى خفة ورشاقة تجعلان الاستماع اليه متعة للعقل والأذن ، وكان يجيد الرقص والرماحة والرماية والصيد ، ويحسن التكلم بالفرنسية والانجليزية والالمانية كأنه من أهلها . ولقد استمال اليه قلوب الناس ببساطته إذ كان - وهو يدرك كل الادراك عظمة اسمه وسمو مركزه وخطر الآمال المعقودة عليه - يتناسى هذه الاعتبارات فى غير ما اهمال ولا تبذل ، فيبدو سمحاً أليفاً لا يتكلف تواضع الرفيع ولا يتصنع تنازل العظيم . واستمال قلوب النساء بشبابه ومرحه ، وبالبشر الذى كان يفيض من محياه ، وعلى الأخص بذلك النوع من الحياء المتهيب اللطيف الذى يلازم كل شاب لم يألف عشرة النساء

ومذ التقى هذا الفتى الغض الاهاب بتلك الفتاة التى توجتها الاقدار بتاج الملك بعد أن توجتها الطبيعة بتاج الجمال ، توافق ذوقاهما وائتلفت روحاهما ونبض قلباهما باحساس واحد لم يتبينا كنهه أول الأمر ، ولكنهما شعرا أن كلا منهما منجذب الى الآخر بعامل غريب قوى لا يقاوم . وانا لنكاد نلمس هذه العاطفة الناشئة فى تقدير الملكة لضيفها الشاب اذ تدون فى مذكراتها أثر المقابلة الأولى فتقول :

« السبت ٤ مايو سنة ١٨٣٩ – عند منتصف الساعة الثانية بعد ظهر اليوم ذهبت الى مكتبي لاستقبل به الامير ولي عهد الروسيا الذي قدمه الى لورد بالمرستن ، وكان في صحبته الكونت أورلوف والكونت بوزو دي بورجو

« اجلست الامير الى جانبي وقد بدا لي طويل القامة ممشوق القد مليح قسمات الوجه وسيم الطلعة وان لم يكن كامل الجمال . عيناه زرقاوان واسعتان وأنفه دقيق وله فم حلو تنبعث منه ابتسامات ذات وميض ساحر جذاب

« انتقلت به الى البهو الكبير حيث قدم اليّ كبراء رجال حاشيته ، ثم تأبط ذراعي واقتادني الى مكاني ، فجلست بينه وبين البرنس هنري ، وجلس لورد ملبورن بين ليدي نورماندي ومس أنسن

« أني أجد الأمير لطيفاً حييا . وما اشك في أن عشرته ستحلو لي طوال اقامته عندي ، وأغلب الظن أن الطيبة والبساطة والمرح سجايا فطرية فيه . وهو يكبرني بسنة واحدة

« اني استلطف الأمير كثيراً وأحس أن ميلي اليه شديد ، فهو دمث الطبع وديع الخلق . والحقيقة أنه رفيق جذاب »

وتريد المصادفة أو تريد الترتيبات السرية أن تخرج الملكة للنزهة على جوادها بعد هذه المقابلة بيومين فيلتقي بها القويصر في الطريق فيسير الى جانبها ثم يتسابقان بالجياد ويقطعان شوطا طويلا ثم يعود كل منهما الى مقره جذلان فرحان . فنقرأ في مذكرات الجنرال يوريفتش :

« الثلاثاء ٧ مايو – حدثني القويصر اليوم عن نزهة خلوية تنزهها مع الملكة فيكتوريا ، وهو يبدو في حديثه شديد الميل اليها ظاهر الكلف بها . وكأني به يتحين المناسبات التي يجتمع بها فيها

« انتهزت فرصة سفر البريد اليوم وكتبت تقريري الى جلالة القيصر ، وذكرت فيه أن صحة ولي العهد على أحسن حال ، وأفضيت اليه بأن الناس هنا يتحدثون عن قرب استقالة لورد ملبورن رئيس الوزارة »

ويمضي على ذلك يومان آخران فيشعر الجنرال بشيء من القلق مصدره تزايد انجذاب سيده وتلميذه الى الملكة، ولكن تفكيره السياسي يطغى على كل تفكير في ناحية أخرى، فلا يرى في العاطفة المطردة النمو بقلب الشابين الا الفوائد السياسية التي يمكن اجتناؤها منها ، فيكتب :

« ٩ مايو – نحن مدعوون مساء الغد الى سهرة راقصة في القصر ، وولي العهد لا ينفك يحدثني عن الملكة وجمالها، ولا يمل هذا الحديث مهما طال ، ويخيل لي أن حسنها وكياستها قد أثرا في نفسه أعمق الأثر. ولكن أي عجب في ذلك وهي شابة مليحة تسر طلعتها الناظرين ؟ يجب استغلال هذا التودد المتبادل بين الشابين في توطيد دعائم العلائق الحسنة بين روسيا وانجلترا ، وما أحسب أن فرصة خيراً من هذه تسنح لنا في المستقبل . ومن يدري ؟ فلعل كياسة هذا الفتى اليافع تظفر بما لم تظفر به حكمة أبيه وتدابير السياسيين ! »

وليتصور القارىء معي حفلة ساهرة راقصة تتزحزح فيها حدود التقاليد عن مواضعها، فيستباح نوع من الحرية لا عهد للبلاط الانجليزى بمثله اذ يعلن أن الملكة ستراقص القويصر وبعض كبار المدعوين . وليتصور تلك الأنوار الساطعة من الثريات تنعكس على لألاء الجواهر ولمعان الذهب وبريق الحرير ، وروائح الأزهار تنتشر من كل مكان فتمتزج بعبيق العطور والمساحيق ، وتلك الأنبذة الرفيعة وحميا الكؤوس تدب فى الجسوم فتشرح الافئدة وتحل عقدة اللسان ، وحرارة الرقص والمخاصرة وتلاصق الصدور وتدانى القلوب ، والمرح الشامل والأنس المقيم وخلط الجد بالهزل على أنغام موسيقى مشجية منعشة تنتشى بها الأرواح فتطير معها شعاعا الى أجواء الشهوات العليا ثم تتناثر همسات ودعابات وبسمات . ليتصور القارىء كل ذلك وأثره فى نفس شابين متحابين يدفع الحب كلا منهما نحو صاحبه فلا يصده سوى حائل دقيق من التهيب والاستحياء ، وليقل بعد ذلك أى مجال أنسب من هذا لتناجى القلوب وتصارح العواطف والكشف عما فى النفوس ! ؟

بث الأمير الملكة حبه واستمعت اليه الملكة فى حياء مشجع على الاسترسال . وهبت عاصفة الحب فى قلبى الشابين قوية غلابة لاتحتمل الحوائل والحدود ولا تأبه لما قد يقال ولا لما قد يكون . وبينما كان حياء المرأة يملى على الملكة التحفظ والحزم والتريث ، كان وجدها يغلبها ويفضح أشياء من خفية قلبها فتتجلى هذه الاشياء فى أحاديثها وطربها ومزحها ، وفى خروجها بعض الاحيان على التقاليد المتزمتة المفروضة عليها . أما القويصر فقد أقبل عليها بجمعة قلبه يحيطها بنفسه وبعواطفه ، ويحاصرها حصاراً لا يدع لها وقتاً تراجع نفسها فيه أو تحزم أمرها أو تتدبر عواقب ذلك الحب الناشىء القوى المكين

***

من مذكرات الجنرال يوريفتش

« ١١ مايو سنة ١٨٣٩ - كانت سهرة أمس نخمة حافلة بالمسرات . وقد رقص القويصر معظم الرقصات مع الملكة ، وهو يبدو شديد السعادة والهناء كلما اجتمع بها ، ويغلب على ظنى أنها تبادله هذا الشعور ، فهى تسر كثيراً بصحبته بل ان الرضا والارتياح ليتفجران من أسارير وجهها كلما رقصت معه أو جلست الى جانبه . الحق أنهما يكوّنان زوجاً من الشباب لا مثيل له

« عدنا من السهرة بعد الساعة الرابعة من الصباح وقد أجفلت خيول مركبتنا واصطدمت بخيول مركبة ليدى باجت ، ولكن القويصر كان شارد الفكر حتى انه لم ينتبه الى الحادث »

من مذكرات الملكة فيكتوريا بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٨٣٩

« عند الساعة العاشرة من المساء دخلت البهو الكبير حيث كان رجال البلاط مصطفين

لاستقبالي لأفتتح المرقص . وقد لحق بنا الأمير والكونت أورلوف والبرنس هنري دورانج وخالي دوقة جلوستر ودوقة كمبردج والبرنسيس أوجستا

« بدأت الرقص مع الأمير ثم انتقلت الى البهو الثاني ورقصت مع البرنس دولجوروكي ولورد دوجلاس . ولما بلغت الساعة الواحدة من الصباح جلسنا الى الموائد لتناول طعام السهرة واستأنفنا الرقص بعد ذلك

« ذهبت مع الأمير الى أحد الابهاء لنشاهد راقصتين اسكوتلنديتين ، وقد سر منهما الامير سروراً عظيما وصفق لهما طويلا ، ثم ختمت السهرة بأن راقصته رقصة « الكادريل » وانصرفت عند منتصف الساعة الرابعة الى غرفة نومي هنيئة البال مرتاحة الخاطر »

غمرت الملكة لجة عواطفها وساقها تيار الشباب الى أبعد حدود الاماني والاحلام . ولعمري أنى لتلك الفتاة التي ولدت في مهد السعادة والجاه وتعودت من زمانها أن يواتيها بما تشاء ، والتي لم تكد عيناها تتفتحان على الحياة حتى وقعتا على ذلك الشاب الجميل الذي تخيلته المثل الاعلى من الرجال ، أنى لها أن تقاوم ذلك التيار القوي الذي باتت تتخبط فيه أو أن تدرك الموقف العسير الذي يوقفها إياه ؟ . أما القويصر — برغم شبابه وقلة تجاريبه وبرغم عواطفه الفياضة وطبيعته المرحة المتدفقة — فقد أدرك خطر المغامرة التي انساق فيها ، ولبث ثلاثة أيام يفكر في أمره تفكيراً عميقاً يكاد لا يكلم أحداً ولا يصغى الى أحد . ثم قهرته عاطفة الحب واشتدت به تباريح الوجد فلم يقو على ضبط نفسه ولا على كتم سره ، وأفضى الى رائده بالحقيقة الرهيبة

من مذكرات الجنرال يوريفتش

« الاحد ١٢ مايو — انصرفت الآن من حضرة القويصر ، وأحس أن صوابي يكاد يطير من رأسي . لقد كان الشاب ممتقع اللون مضعضع الحواس متلعثم اللسان عندما أسر إليّ أنه يحب الملكة فيكتوريا وأنها تحبه

« يا للهول ! أي حيال أزمة عاطفية تقلق بالي وتزعج خاطري ! ولشد ما يبدو لي الامر عجيبا كلما فكرت أنه لم يمض بعد على تعارفهما ثمانية أيام

« لم أرد أن أصدم القويصر بهواجسي ومخاوفي وطلبت اليه أن يمهلني الوقت الكافي للتفكير وأظنني أحسنت ، فلو أني فاجأته بحقيقة رأيي في المسألة لما ضمنت سلامته من قوة الصدمة »

وتشتد الازمة في اليوم التالي وتتجلى في شكلها الصحيح ، فنقرأ في مذكرات الجنرال :

« الاثنين ١٣ مايو — طلب مني القويصر أن أمضي الامسية الى جانبه . وقد لبث وقتاً طويلا وهو مقطب الجبين مشرد النظر لا ينطق بكلمة ولا يأتي بحركة . ثم نهض وجعل يسير في الحجرة بخطوات غير متزنة تنم على الاضطراب النفسي . وعاد فأخذ مكانه الى جانبي وصوب نحوي عينيه

الواسعتين وقال لى بصوت هادىء رصين لم أتعوده منه قبل ذلك : « انى أحب الملكة فيكتوريا وكلى يقين أنها تحبنى . إنى لم أكتم عنك شيئاً مذ عرفتك وهأنذا أعترف لك بأني ، لاول مرة فى حياتى ، قد صادفت المرأة التى تصبو اليها نفسى ، وبأنى أحب هذه الفتاة حباً يخيل لى أن الحياة بغيره تصير عبثاً لا يطاق . نعم انى أحبها ومحال أن يخفق قلبى بعد اليوم بحب امرأة سواها » وطفق القويصر يحدثنى على هـذا النحو حديثاً طويلا أهم نفسى وأحزن قلبى ، ولكنى حزمت أمرى وصارحته بأن هذه العلاقة الناشئة بينه وبين الملكة لا يمكن الا أن تكون مقدمة لمشروع زواج . وأفهمته أن هذا الزواج مستحيل الا اذا خان واجبه الوطنى وتزل عن حقوقه فى عرش الامبراطورية ، وهذا ما لا يرضاه له ضميره ولا يقره عليه عاقل. ولقد اقتنع القويصر بهذا الكلام ولكنه لبث محزوناً مكتئباً الى درجة يتعذر علىّ وصفها ، ثم تركنى وهو فى حالة جعلت الدموع تترقرق بين أجفاني

« ان حيرتى لشديدة حتى لا أدرى ما ينبغى أن أفعل . أأكتب الى جلالة القيصر لأقفه على حقيقة الواقع أم أصبر وأنتظر ؟ انى محجم متردد ، وان الاحجام والتردد ليتزايدان كلما فكرت فى الغضب الذى سيستولى عليه متىعلم المغامرة التىيجتازها ولي عهده العزيز.حقاً انالامر جد خطير! »

وبعد يومين تتحرج الحال ويستشرى الخطر وتدخل المسألة فى طور لا يحتمل ولا يحسن السكوت عليه فيكتب الجنرال :

« الاربعاء ١٥ مايو ـ حالة القويصر تسبب لى قلقاً كبيراً فان غرامه يتأجج فى قلبه ووجده يهتاج نفسه ، حتى لقد اعترف لى بأنه أصبح فى موقف لا يستطيع أن يتحمله طويلا

« إنى أحب هذا الشاب كما أحب ابنى ، ولقد أنزلته من قلبى منزلة الولد ، ولذلك أتألم لألمه ولا أستطيع أن أراه على هـذه الحال فالهم يكاد يقتله . لا سبيل الى علاج المسألة الا بتقصير أجل اقامتنا هنا وبالارتحال عن انجلترا ، وسأعمل على تحقيق ذلك »

« الخميس ١٦ مايو ـ حددنا للسفر يوم ٣٠ من الشهر الحالى ولكن القويصر يظهر رغبته فى مد الفترة الباقية وسأقاوم هذه الرغبة جهد الاستطاعة

« انه لا يفتأ يؤكد لى أنه اذا خطب الملكة قابلت خطبته بالقبول والارتياح ، وأنه يحس منها رغبتها فى أن تكون زوجا له . ولكن ، يا للمصيبة ، كيف يكون ذلك ؟ أتنزل هى عن عرشها لتصحبه الى سان بطرسبورج أم ينزل هو عن العرش المهيأ له ليمكث معها فى لوندرة ، أم يتزوجان ويبقى الزوج فى شرق أوروبا وتبقى الزوجة فى غربها . كل هذه الفروض مستحيلة ولن يكون شىء من ذلك لأن طبيعة الأشياء تأباه . ولكن ماذا أعمل ؟ أسأل الله أن يعيننى فى مهمتى الشاقة العسيرة لان سعادة هذا الشاب هى سعادتى وكل ما أبتغى فى الحياة . يارب خـذ بيدى فانى أجتاز أشد أزمة قد تعترض حياتى . واجبى بين واضح لا يحتمل رأيين ، ومسئوليتى أعظم من أن

تتسع لكل هذا التلكؤ والتسويف . لقد قال لى القويصر إنى صديقه الوحيد وانه لا يعتمد على غيرى فى هذه المأساة ، وانى لأشعر ان ليس فى استطاعتى تحقيق سعادته المستحيلة ولا التوفيق بين رغبته الطائشة وشتى الواجبات . إذاً لا مناص لى من تأدية واجبى وسأؤديه الى النهاية مهما يكن مراً وعسيراً . فلأسكت قلبى ولأخرس عواطفى فاليوم للواجب وليكن بعد ذلك ما يكون »

ويحس الجنرال ان أنجع الوسائل حيال مثل هذا الحب العميق انما هي ضربة المشرط الحاسمة لا المسكنات المؤقتة ، ويرى أنه قد آن الأوان للضغط على القويصر وعلى الملكة فى وقت واحد . أما القويصر فقد صار على بينة من أمره . وأما الملكة فيجب صد تيار عواطفها المندفع ، وذلك لا يكون إلا بالاستعانة برجالها والمقربين اليها . إذاً لا بد من الافضاء بالأمر الى لورد ملبورن رئيس الحكومة والى أصدقاء الملكة ليتخيروا الوسيلة التى يضعون بها حداً لتلك المأساة الصامتة

من مذكرات الجنرال يوريفتش

« ٢٢ مايو - دار بيني اليوم وبين البارونة ل... صديقة الملكة وأمينة سرها حديث طويل . وقد أفضت الى بأن الملكة لم تكتم عنها غرامها الشديد بالغراندوق ، وبأنه أول شاب أعجبها وهام به قلبها ، حتى انها صارت لا تشعر بالسعادة إلا فى الساعات التى تخلوها به . وأكدت البارونة أن الملكة تغتبط كل الاغتباط اذا خطبها الغراندوق ، بل انها تنتظر الساعة التى يكاشفها فيها بذلك فى صبر قلق وشوق مستحر

« ... ان البارونة ل... تدرك حرج الموقف كما أدركه ، وتكاد لا تتصور مضاعفات الحالة اذا خطر للشاب أن يقدم على اظهار رغبته للملكة فى التزوج بها . ولقد قالت لى ان القويصر اذا فعل فانما يزج بنفسه وبأبيه وبالعلائق القائمة بين الدولتين فى موقف دقيق ، بل انه يخلق بذلك حالة شاذة لا قبل لأحد بحلها . وقد وعدتنى البارونة أن تعمل من ناحيتها كل ما فى وسعها لتدارك المسألة قبل أن يصبح الجميع أمام الأمر الواقع ، ولتحاشى الكارثة قبل وقوعها »

عندئذ لا يرى رجال الدولة سوى التفريق بين الشابين بأسرع الوسائل ، فيقرر الروسيون انهاء أجل الزيارة والارتحال عن انجلترا يوم ٣٠ مايو ، ويتبادلون فى ذلك المكاتبات الرسمية مع الحكومة الانجليزية حتى لا يبقى مجال للتردد أو التسويف

* * *

ويدخل هذا الغرام الناشىء فى دور النزع . وتأبى الأقدار الا أن يكفن فى مهده . ويشعر القويصر أن واجبه ينتظره هناك فى روسيا فيتأهب للسفر اليها ، ويعد الأيام والساعات الباقية له بالقرب من الملكة كما يعد المحتضر الأيام والساعات الباقية له من الحياة . وتقع الملكة فيكتوريا فى حالة نفسية ينم عليها وجهها الشاحب وانقباض روحها وانصرافها عن الناس وقلة اكتراثها لشىء

مما يعرض عليها . ثم تدرك بعد طول التفكير أنها حلمت حلماً لذيذاً أعقبته اليقظة المرة المؤلمة ، وأن الوقت قد حان لتواجه الواقع الموجع الذى يقضى عليها أن تكون ملكة ممزقة القلب ، تضحى على هيكل العرش بكل ما خلق ليسعد به الناس فى الحياة . ويتبدى يأسها وحزنها فى اهمالها مذكراتها اليومية فهى لا تودعها شيئاً من همومها المضنية ولا تفضح نفسها على الورق بشىء من اللوعة التى تعانيها ، ولكنها تكتفى بتدوين ذكريات تافهة نستطيع أن نستشف منها روحا مضطربة قلقة تريد أن تنفجر

من مذكرات الملكة فيكتوريا

« ٢٧ مايو - اليوم صحو والجو جميل ، والشمس مشرقة ترسل أشعتها الذهبية على خضرة الشجر التى ما تزال مبللة بأمطار أمس فتحيي البشر والحبور فى النفوس ، ولكنى مع ذلك أشعر بحزن يملك علي مشاعري ، وانقباض يصرفنى عن كل شىء حتى عن اجتلاء محاسن الطبيعة فى هذا اليوم البهيج . رأيت الغراندوق قادما الى القصر وقد حيانى وأنا أطل من نافذة غرفتى ، وكانت الساعة السابعة . ولبثنا نتجاذب أطراف الحديث الى أن حان وقت العشاء فنهضنا الى حجرة المائدة فى جمع من حاشية الأمير ورجال البلاط

« ظلت الاحاديث خافتة والمحاورات فاترة الى أن انتقلنا الى البهو الاحمر حيث كانت فرقة موسيقية تنتظرنا لافتتاح المرقص . ولقد افتتحناه برقصة « الكادريل » وكان الغراندوق زميلى فيها . أما الرقصات الأخرى فلم أشترك فيها بحكم التقاليد المرعية بل جلست فى أثنائها أتحدث الى الأمير واستمع اليه

« بعد أن تناولنا طعام السهرة وبعض المرطبات رغب الامير فى أن ارقص معه رقصة المازوركا ، فلم أشأ أن اخيب رغبته وتخطيت بذلك كل التقاليد لأول مرة فى حياتى

« ان الرقص مع الغراندوق شىء لذيذ ، فهو رشيق الحركات سريع الخطا يكاد يحمل صاحبته بذراعه حتى لتشعر أنه يطير بها . وهو فوق ذلك شاب خفيف الروح حلو المجون صريح الأسارير حتى ليقرأ الانسان على وجهه كل ما يدور بنفسه

« لعبنا كثيراً وضحكنا كثيراً ولا أذكر أنى طربت قبل اليوم طربى من مصاحبته . ولقد ذهبت الى غرفة نومى عند الساعة الثالثة من الصباح ، ولكني لم أنم الا بعد الخامسة »

ولا يجد لورد ملبورن رئيس الحكومة بدا من التدخل فى الامر ، فيقابل الملكة ويطرق الموضوع بتلك الرشاقة فى الحديث التى برع فيها ساسة الانجليز واشتهروا بها والتى تجعلهم يعملون المبضع فى الجسم فيجرحون ولا يسيلون نقطة من الدم . وتنقل الينا الملكة طرفا من هذا الحديث فى مذكراتها ، فتقول :

« ٢٩ مايو — كنت أتحدث الى صديقى لورد ملبورن وقد قلت له ان كل هذا اللهو يفيدنى وينعش نفسى ، فأجابني وهو يبتسم ابتسامة شرا من العبوس : « ولكنك ستتألمين كثيراً بعد ذلك. يجب أن ترفقى بصحتك اكثر مما تفعلين والا أضنتك هذه الجهود . انك تشكين من شيء تسببه ضيقا قد استولى على نفسك وتعللين به ذلك الاضطراب الذى تتخبطين فيه منذ أسابيع ، وهذا النفور من الناس الذى نحسه منك والذى لم يبق أحد حولك الا وقد لاحظه . فهل لا تخشين أن يحملك ضيق صدرك على النفور من العمل الرسمى أيضا ، فتسنى بذلك سنة غير محمودة ؟ »

« أردت أن أؤكد له أن ذلك لن يكون ، وأنه مهما يكن من شواغل نفسى فلن تؤثر هذه الشواغل في أعمالى الرسمية ، ولكنه لم يشأ أن يسمع الى ، بل قال : « انك تحيين فى هذه الاسابيع الأخيرة حياة غير طبيعية وغير معقولة من شابة فى سنك ، وانى وأنا أحدثك الآن حديث الصديق ، أتوسل اليك أن تكونى اكثر رفقاً بصحتك وشبابك . ان الحياة أمامك ممتدة طويلة ، وفيها متسع لتحقق كل معقول من الامانى وكل ممكن من الآمال . ولكن من السعادات ما هو مستحيل ان لم يكن بطبيعته فبطبيعة الظروف والاحوال ، فلماذا تدعين الآمال المستحيلة تساور نفسك فتنغصها وتفسد عليها نعيم الحياة ؟ »

قلت : « ولكن أليست الملكة انسانا له حقه فى السعادة كسائر الناس ؟ » فأطرق الرجل مليا ثم رفع رأسه المتثاقل وحدق الى عينى وقال : « أنتم الملوك ناس ولكن لا كسائر الناس ، لأن لكم رسالة سامية يجب أن تندمج بها شخصياتكم حتى تفنى فيها فلا يبقى من الانسان الا الملك ، ولن يتم هذا الاندماج وهذا التفانى الا إذا سما الملك بنفسه الى المستوى اللائق برسالته وضحى فى سبيل سموه اليه بكثير من آرائه الشخصية وميوله النفسية . وان الملك إذ يرتقي العرش إنما يوقع بهذا الارتقاء صك تلك التضحية ، ولن يحله من توقيعه شيء حتى لو أراد أن يتحرر منه بالنزول عن سرير الملك ، لأنه اذا فعل فانما يضيف الى حقارة الحنث بالعهد حقارة الفرار من الواجب » .

أمام هذا الشيخ الجليل الذى أبهظت كتفيه أعباء الحكم وأعباء السنين ، وأمام هذه العبارات التى تنم على عقيدة لا تحتمل الجدل والنقاش ، لم يسعنى أن احبس دمعة كانت تترقرق فى عينى ، فما ان أرسلتها تجرى على خدى حتى نظر إلىّ الرجل نظرة تفيض رحمة وحنانا ، وأخذ يدى وقبلها ثم نهض واقفا وقال : « الآن قد اتفقنا يا مولاتى ، وسأبيت الليلة هادىء البال »

***

ويحل اليوم الرهيب يوم الفراق المرير ، وما أشق الفراق على قلبين أرادا أن يرتشفا كأس السعادة فاذا الكأس صبر وعلقم . وما أقسى الوداع على نفسين تفتحت لهما أبواب الهناء يوما ثم أوصدت ، فلم يبق أمامهما من الهناء الا الذكرى واللوعة والحنين

من مذكرات الملكة فيكتوريا

« ٢٩ مايو — ذهبت الى الحجرة المجاورة لغرفة نومى ، وقد وفد على القراندوق يصحبه لورد بالمرستن ليستأذننى في السفر . أخذ الامير يدى وضغطها ضغطا تمثلت فيه حرارة روحه ، وكان شاحب الوجه متهدج الصوت عند ما قال لى : « إن الكلام يخوننى ولا يسعفنى لأعبر لك عن كل ما أشعر به الآن » . ثم استطرد ، فقال إنه يشكر لى من أعماق القلب كل العناية التى أحطته بها وكل صنوف المجاملات التى لقيها فى بلادى وفى بلاطى سواء منى أو من رجال حكومتى أو من أفراد شعبى ، وانه كبير الأمل فى أن يعود لزيارتى متى سمحت له الظروف ، وأكد لى أن ذلك الاستقبال الرائع الذى استقبل به فى انجلترا ، وتلك الحفاوة التى احتفاها به الشعب لا يمكن الا أن يكون لهما أكبر الاثر فى توثيق عرى روابط الصداقة التى تربط دولتينا . ثم عاد فتناول يدى وضغطهما مرة أخرى بكلتا يديه ، فمددت ذراعى وأدنيت رأسه مني وقبلته على خديه فعانقنى هو أيضاً عناقا تبينت فيه كثيراً من المودة والأخوة

« ان الذى أحسسته فى تلك اللحظة كان احساسا غريباً ، فلقد شعرت أن روحا صديقة تنتزع منى لا أن مجرد ضيف لطيف يودعنى . نعم لقد شعرت بحزن بالغ وأنا أودع هذا الشاب الرقيق حتى لقد خيل الى أنى أحبه حقيقة أو أنى على الأقل ميالة اليه كل الميل »

من مذكرات الجنرال يوريفتش

« ٣٠ مايو سنة ١٨٣٩ — أمس استأذنا الملكة فى السفر وودعنا رجال الحكومة والبلاط . واذ خلوت بالقويصر بعد ذلك لم يملك الشاب المسكين نفسه فارتمى بين ذراعى وبكى طويلا . وقال لى وهو يشهق شهيقاً كان يقطع منى نياط القلب : « لن أنسى هذا الفراق ما حييت ، لقد عانقت فيكتوريا وعانقتنى ، وان القبلة التى طبعتها بشفتيها على خدى لخير تذكار أتزود به منها وسأحتفظ به ليصحبنى إلى القبر بعد الممات » ولقد أردت أن أهدىء من روعه ولكن اجهاشه بالبكاء لم يجعله يستمع الى عبارات المواساة التى كنت ارتجلها عفو الخاطر المضطرب والقريحة المتزعجة المشتتة . وأخيراً بسطت كفى على كتفيه وحدقت الى وجهه وأهبت به : « أنت ملك يا مولاى ولا يجمل بملك أن يبكى أمام رعيته » قال : « عذراً يا صديق فان ما بى لشديد لا أقوى عليه » . فأعدت الكرة فى شىء من العنف وصحت به : « كن ملكا يا مولاى » فارتمى بين ذراعى مرة ثانية وهو يغمغم بين شفتيه : « أليس أيسر عليك أن تكون انساناً أيها الصديق » ثم غادرني وانكفأ على سريره وهو يقول : « اذا كانت هذه تباشير الملك ، فيالشقاء الملوك ! »

حسن الشريف

الامتحان

مشكلة التعليم منذ القدم

بقلم الأستاذ حامد عبد القادر

مدير قسم مراقبة الامتحانات بوزارة المعارف

أدرك الناس منذ القدم ما للامتحانات من فوائد فأولوها ما تستحق من عناية . وما زالت أهميتها تظهر وشأنها يعلو حتى أصبحت من النظم الاجتماعية المقررة التي لا مناص منها ، فهي - على تعدد أنواعها واختلاف آراء المربين فيها وبرغم ما قد ينجم عنها من شرور وأضرار - من ضروريات المجتمع التي لا يمكن الاستغناء عنها ، وهي أداة مدرسية فعالة تحمل التلاميذ على الجد والنشاط ، وتدل على منزلتهم العلمية ومبلغ استعدادهم لتولي مهام الحياة . وهي أيضاً مقياس لجهود المدرسين تعرف بها نتائج أعمالهم ومبلغ اهتمامهم بمهنتهم . ولم يصل المربون بعد الى ابتكار وسيلة أخرى غير الامتحانات التي بها تقيم المدارس الدليل على أنها تستحق النفقات التي تنفق عليها ، وتمد أولياء أمور التلاميذ بمعلومات عن قوى أبنائهم وبناتهم ، وترشدهم إلى ما يجب أن يعملوا ليوجهوا كلا منهم إلى الطريق التي هو مستعد بطبيعته إلى السير فيها بمقدرة ونجاح

تطور الامتحانات

إن سنة التطور التي شملت حياة الفرد وعملت عملها في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية قد شملت الامتحانات أيضاً . وكما اختلفت نظم الحكم وتنوعت القوانين الاجتماعية ، باختلاف ظروف الأمم وتجاربها ومبلغ رقيها الاجتماعي ، كذلك اختلفت الامتحانات من حيث أنواعها وأساليبها بتوالي العصور وتنوع البيئات والظروف واختلاف التجارب

والامتحانات كما تعلم إما شفوية وإما تحريرية وإما عملية . والتاريخ يقص علينا ان الامتحان الشفوي أسبق في الوجود من التحريري، ذلك لان الاقدمين لم يعرفوا القراءة والكتابة كما نعرف ، ولم يستعملوا الورق كما نستعمل ، فكان من الطبيعي أن يلجئوا إلى الامتحان الشفوي في أول الأمر

ويروي المؤرخون فيما يروون أن أول امتحان ظهر في الوجود كان في بلاد الصين حوالى سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد ، إذ كان الصينيون يختبرون - من حين إلى آخر - الموظفين الذين يتولون مهام الدولة . وفي سنة ١١١٥ ق . م جعلوا الانتظام في سلك الوظائف الحكومية متوقفاً على النجاح في امتحانات تعقد لهذا الغرض في أوقات مختلفة عند الحاجة

وقد ظهرت الامتحانات فى أوربا فى القرون الوسطى فى الجامعات أولا ، ثم عمل بها فى المدارس الثانوية والابتدائية

ولما كانت تلك الجامعات الأولى تخضع لسلطات دينية واحدة ولمبادىء علمية واحدة كان من الطبيعى أن تتبع نظاماً واحداً ، وان يكون المتخرج فى إحداها كالمتخرج فى غيرها . وكان لا يتولى التدريس إلا من تتلمذ ثم تمرن على التدريس وبرهن على كفايته بالنجاح فى امتحان خاص ثم حاز موافقة البابا - أو فى بعض الاحيان موافقة الامبراطور - على تولى هذه الصناعة أى مهنة التدريس . وأول امتحان عقد من هذا النوع هو امتحان جامعة بولونيا سنة ١٢١٩

وكانت مادة الدراسة الهامة هى القانون المدنى والفقه المسيحى المستمد من الكتاب المقدس . وكان هناك امتحان عام يقوم به أولا الاساتذة ، وخاص يتولاه بعض رؤساء الجامعة من رجال الكهنوت بعد أن يقرر أستاذ الطالب أو أساتذته أنه أهل للتقدم للامتحان . وكانت الطريقة المتبعة فى الامتحان العام أن يعين للطالب أول النهار فقرة من فقرات الكتاب المقدس أو غيره فيقتلها بحثاً بنفسه أو بمعونة أحد الاساتذة ، وبعد مضى الوقت المعين يحضر فى اليوم نفسه أمام لجنة الامتحان ليلقى محاضرة فى الموضوع المعين ويناقشه فيه أستاذان تعينهما الجامعة ، وقد يسأله غيرهما بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوع ويوردون على اجابات الطالب بعض اعتراضات . وقد أخذت جامعة باريس هذا النظام عن جامعة بولونيا ، وفى أواخر القرن الثالث عشر كان لها ثلاثة امتحانات : امتحان البكالوريا وامتحان الليسانس وامتحان الدكتوراه . وقد اقتفت الجامعات الأوربية الكبرى آثار هاتين الجامعتين . وقد ظل الامتحان الشفوى النظام الوحيد المتبع حتى مستهل القرن الثامن عشر فعم استعمال الورق وقلت نفقاته وصارت الكتابة من أهم وسائل التعليم والتعلم ، وحينئذ ظهر فى الوجود الامتحانات التحريرية بجانب الامتحانات الشفوية

ويقول بعض المؤرخين انه لم يعثر على أية وثيقة رسمية تدل على عقد امتحان تحريرى فى أية مملكة من الممالك الأوربية قبل سنة ١٧٠٢ بعد الميلاد ، تلك السنة التى أدخل فيها الامتحان التحريرى فى إحدى كليات جامعة كيمبردج . ويقول مؤرخ آخر ان أول ظهور الامتحانات التحريرية بحالتها ونظمها الشائعة الآن كان بجامعة اكسفورد ، وذلك حينما وضع قانون الامتحانات العامة سنة ١٨٠٠

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنشىء بانجلترا عدد كبير من المدارس الثانوية وأراد أصحابها أن يقوموا بدعاية لها واسعة النطاق فطالبوا وزارة المعارف الانجليزية بعقد امتحانات خارجية، لها لكي تقر ما فيها من أنظمة وتتبين صحة ما يدرس فيها من مواد ، وكان غرض أصحاب هذه المدارس الثانوية أن يظهروا أهمية مدارسهم ويشعروا الناس بفوائدها الجمة فيشتد الاقبال عليها .

واشتدت العاصفة الامتحانية بانجلترا ، وظلت الامتحانات الشغل الشاغل لا للمدرسين ونظار المدارس والتلاميذ فحسب ، ولكن للمؤلفين الذين أخذوا يؤلفون الكتب المشحونة بأسئلة من

مواد مختلفة والاجابة عنها كما هو متبع الآن فى بلادنا المصرية . ولقد كثرت الامتحانات الداخلية والخارجية بانجلترا حتى ملها رجال التعليم وضجوا بالشكوى منها وقالوا ان الاستعداد لها يرهق التلاميذ والمدرسين ، ويوجه الدراسة توجيهاً خاصاً لا غرض له إلا نجاح التلاميذ

لم يسع وزارة المعارف الانجليزية أمام تلك الشكاوى الصارخة إلا أن تشرع فى إلغاء نظام الاعانة بحسب النتائج ، وكان هذا إلغاء نهائياً سنة ١٨٩٧ ، ومنحت المدارس نوعا من الاستقلال ، وتركت الحرية للمدرسين والنظار كي يوجهوا الدراسة وفق ما يتراءى لهم مسترشدين فى ذلك بمقتضيات البيئة وحالة التلاميذ . ومن سنة ١٨٩٥ صرح للمفتشين ألا يزوروا المدارس تلك الزيارة السنوية الامتحانية ، على أن يزوروها مرتين خلال العام الدراسى للاشراف فقط من دون علم نظار المدارس

كان من آثار هذا التغيير أن تحسنت طرق التدريس وزاد اقبال التلاميذ على المدارس فارتفعت نسبة التعليم من ٧٠ ٪ الى ٩٠ ٪ ، وكان من الممكن لتلاميذ المدارس الابتدائية أن يقرءوا فى العام الدراسى ثلاثة كتب ، وأن يكتبوا عدة موضوعات انشائية دون أن يعذبوا أو يحبسوا بحجرات الدراسة بعد انتهاء اليوم المدرسى . حينئذ علم الناس أن تلك الامتحانات مع ما استتبعت من ضجة وأهوال أقامت البلاد وأقعدتها لم تكن لتشجع التلاميذ على العمل ولا تحفزهم إلى الجد كما كان يظن ، ولكنها كانت محناً قاسية هدمت أعصابهم وعاقتهم عن العمل المنتج

الامتحانات التحريرية ومقاييس الذكاء

من الامتحانات التحريرية المتبعة الآن فى الممالك المختلفة ذلك النوع الذى تكون فيه الاسئلة بمثابة رءوس موضوعات انشائية يجيب عنها التلاميذ بكتابة موضوعات انشائية تستغرق كتابة كل منها وقتاً لا يستهان به . ولاريب أن التلميذ فى اجابته عن مثل هذه الاسئلة يعانى مشقتين : إذ عليه أن يعنى بالاسلوب اللغوى حتى يكون صحيحاً مطابقاً لقواعد اللغة ، وبالمعلومات التى يسردها كى تكون صحيحة مطابقة لما درس وتعلم . ولا شك أن التلاميذ على فرض تساويهم فى مقدار ما درسوا من المادة ومقدار ما يعرفون منها يختلفون كثيراً فى طرق تعبيرهم عن أفكارهم

وقد دلت المباحث الدقيقة على أن مصححى الاجابات التى من هذا النوع يختلفون اختلافا بيناً فى تقدير الدرجات ، وقد كان الدكتور بلارد Ballard من أول من قاموا بتجارب متنوعة فى هذا الموضوع ، وقد ذكر فى كتابه المتحن الحديث The New Examiner التجربة الآتية :

أعطى اجابات سبعة من التلاميذ عن موضوع واحد لأحد المتحنين الخارجيين ليقدر الدرجات التى تستحقها كل اجابة على أساس أن النهاية الكبرى مائة درجة ، فأعطاها هذا المتحن درجات تتفاوت بين ٩٠ و ٤٠ درجة ، ثم أعطى هذه الأوراق نفسها إلى ثلاثة عشر من المدرسين المجربين ليقدروا درجاتها ، فرتبها كل منهم بحسب ما ارتأى فكانت النتيجة ما يأتى :

اختلفت ورقة من الاوراق على سبع درجات، فكانت الأولى فى نظر أحد المصححين، والثانية فى نظر ثان والثالثة فى نظر مصحح ثالث وهكذا ، واختلفت ورقتان فى الترتيب على ست درجات من الدرجة الأولى إلى السادسة ، واختلفت كل من الأربع الاوراق الباقية فى الترتيب على خمس درجات . ولقد عملت تجربة أخرى دلت على أن الاختلاف فى التقدير كما يكون فى تصحيح الاجابات الخاصة بالمواد الأدبية كذلك يكون فى تقرير الدرجات بالنسبة للعلوم الرياضية ، فقد طلب الى ١١٥ من المصححين أن يضعوا درجة لاجابة أحد التلاميذ فى الهندسة فوجد أن الدرجات التى أعطيت تتفاوت من ٢٨ ٪ الى ٩٢ ٪

وقد وجد أن اتفاق المصححين فى وضع درجات التاريخ والجغرافيا وغيرهما من المواد الأدبية يكاد يكون مستحيلا ، ذلك لان الاجابة فى هذه المواد تتطلب كتابة موضوعات انشائية

لهذه الاسباب يرى بلارد وأتباعه أن الامتحانات التحريرية بنظامها الحالى لا يمكن الاعتماد عليها فى قياس قوى التلاميذ ومعرفة مدى تقدمهم فى دراسة المواد المختلفة

مثالب الامتحانات العامة

وخلاصة القول أن المعارضين للامتحانات التحريرية العامة بنظمها الحالية يرون فيها معايب كثيرة ، ويذكرون من مثالبها :

(١) انها تدعو الى اضعاف ميول التلاميذ الطبيعية وقصر عنايتهم على دائرة ضيقة خاصة هى دائرة المعلومات التى يتوقعون الامتحان فيها

(٢) ان تقدير الدرجات فى الامتحانات العامة معناه حكم المصححين على استعداد المتعلمين العلمى دون أن تكون لهم بهم صلة مباشرة يبنون عليها أحكامهم

(٣) ان الامتحان فى مواد متنوعة يتطلب توزيع قوى التلاميذ على تلك المواد وتشتيت أذهانهم وعدم منحهم فرصة كافية للنبوغ فى بعض نواحى المعرفة

(٤) ان بعض الممتحنين يتعصبون لموادهم ، ويضعون فيها أسئلة صعبة تشمل بعض تفصيلات لا قيمة لها فى نمو مدارك التلاميذ العقلية وتكوين شخصياتهم وإعدادهم لحياتهم المستقبلة

(٥) ان الامتحانات تضعف قدرة التلاميذ على التنويع فى التعبير بتنوع مقتضيات الأحوال ، إذ أنهم داء يصوغون معلوماتهم فى عبارات محفوظة يقبلها الممتحن

(٦) ان التلاميذ لا يتقدمون الى الامتحانات العامة وهم بحالات عقلية أو جسمية واحدة ، فقد يكون من بين الأسئلة سؤال اتفق أن درسه بعض التلاميذ دراسة جيدة ولم يدرسوا غيره ، وقد يكون من بينها سؤال فى موضوع صعب على التلاميذ فهمه لعذر قهرى ، وقد يكون من بين التلاميذ من يشعر فى وقت الامتحان بضعف جسمى أو اضطرابات عصبية

(٧) ان نتائج الامتحانات لا يمكن الاعتماد عليها فى قياس قوى التلاميذ قياساً مضبوطاً وترتيبهم ترتيباً دقيقاً ، ذلك لأنهم لا يسلكون طرقا متحدة فى الاجابة عن الاسئلة . واذا كان هناك مجال للاختيار فى الاجابة عن بعض الأسئلة دون بعض فقد يجيبون عن أسئلة مختلفة . والمصححون كما بينا آنفاً يختلفون فى مشاربهم وأمزجتهم ، فليس من الممكن أن تكون الدرجة التى يمنحها أحدهم ممثلة لمقدرة التلميذ تمثيلا دقيقا فى نظر غيره من المصححين

(٨) ان أداء الامتحانات بصورتها الحالية وما تستتبع من إجهاد الذاكرة وحصر الذهن مدة طويلة يجعل التلاميذ عرضة للامراض الجسمية والعقلية

(٩) ان الامتحانات العامة تدعو الى صوغ عقليات التلاميذ والتلميذات فى قالب واحد ، فتكون النتيجة أن جميع الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية مثلا إن صلحوا لشىء فانما يصلحون لعمل واحد ، وبذلك لا يكون هناك مجال لأن يسير كل تلميذ فى الطريق التى هو مستعد بطبيعته للسير فيها ، ولا لأن تتفرغ التلميذة لحياتها المستقبلة حينما تصير زوجة

(١٠) ان الاستعداد للامتحانات العامة وإجراءها يحدث ضجة عنيفة تشمل البلاد طولا وعرضا ويسبب كثيراً من القلق لرجال التعليم والمدرسين والنظار والتلاميذ وأولياء أمورهم ، ويكلف الدولة والاهالى نفقات باهظة . ولقد يكون من الممكن التغاضى عن كل ذلك لو كانت الامتحانات تؤدى الى نتائج يرتضيها الناس ويطمئن اليها الباحثون ، ولكن التجارب قد دلت على أن من بين الراسبين من كانوا يستحقون النجاح ، كما أن من بين الناجحين من كانوا يستحقون الرسوب لو عدلت طرق الامتحانات . ولا يستطيع أحد أن يعتقد تمام الاعتقاد أن ترتيب الناجحين فى الامتحان هو الترتيب الصحيح المصور لقواهم تمام التصوير

على أن لقائل أن يقول : ماذا نصنع لقياس قوى التلاميذ ، وما النظام الذى يتبع بدلا من نظام الامتحان الحالى حتى نرفع مستوى التعليم وننزل التلاميذ منازلهم ؟

إن المعارضين للامتحانات الناقدين لها لا يقفون عند حد المعارضة والنقد بل انهم ابتكروا نظما جديدة للامتحانات ، وابتدعوا طرقا حديثة لوضع الاسئلة . فمنهم من يرى العمل بمقاييس الذكاء المشهورة ، ولكن مقاييس الذكاء هذه رغم مايصفها به واضعوها من صفات المدح والثناء لا تزال معيبة ، ومع ذلك فليس من البعيد أن يأتى يوم يعم فيه استعمال أقيسة للذكاء تختلف باختلاف البيئات وتكون قابلة للتعديل والتغيير والتبديل تبعا لمقتضيات الأحوال

ولعدم صلاحية أقيسة الذكاء لأن تحل محل الامتحانات يرى بعض المربين ألا مفر من اتباع نظام الأسئلة المعروف على شريطة أن يتولى وضع الاسئلة رجال فنيون ملمون بمناهج الدراسة خبيرون بطرق التدريس ، عالمون بالطرق الفنية لصوغ الأسئلة وترتيبها

حامد عبد القادر

نقد وتحليل

مشكلة السكان في مصر

كتاب للاستاذ وندل كليلاند

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

صاحب هذا الكتاب مقيم فى مصر منذ عشرين سنة ، متصل بكثير من أبنائها فى طبقاتهم المختلفة ، مطلع على شئونها العامة ولا سيما فى المسائل التعليمية والصحية والاجتماعية . وقد وضع هذا الكتاب عن حالة مصر ومستقبلها من حيث السكن وتدبير الغذاء الصالح والمعيشة الكافية واتساع الأرض ومواردها للزيادة المنتظرة في عدد ساكنيها ، واستند الى الاحصاءات والمراجع الرسمية والمصادر التاريخية ، فكان بحثه هذا من الأدلة الجديدة على أن « الاحصاء » سند لا غنى عنه لكل باحث فى شئون العمران والاجتماع ، وان التشريع والأخلاق والتربية وتمحيص طبائع الشعوب موضوعات لا سبيل الى فصلها بعد اليوم عن الحساب والأرقام

***

مصر كانت معنية باحصاء السكان من قديم الزمان ، فكان « مينا » يحصى السكان كل سنة ، ووردت الاشارات الى الاحصاء فى عهد « أمينمحت » الأول قبل المسيح بألفى سنة ، كما وردت الاشارات اليه قبل المسيح بستة قرون . ويقول هيرودوت : « ان احمس هو الذى سن القانون الذى يفرض على كل مصرى أن يعرض نفسه على حاكم اقليمه ويبين له مورداً مشروعا يكسب منه رزقه . وقد اقتبس صولون هذا التشريع من مصر وفرضه على الاثينيين ولم يزل قائماً بينهم لانه تشريع لا عيب فيه ، وسعدت مصر وعمها من الرغد فى عهد احمس ما لم تعرف له مثيلا في العهود الغابرة . . . وبلغت القرى الآهلة فيها عشرين ألف قرية » . قال مؤلف الكتاب : « فاذا لاحظنا المتوسط فى عدد سكان القرية المصرية الحديثة ، فقد كان سكان مصر يبلغون يوم ذاك أربعة وعشرين مليونا » . وهوعدد ينقصه الاستاذ مصطفى عامر الى ثمانية عشر مليونا في الألف السنة السابقة لميلاد المسيح . معززاً ذلك بالاسباب التى تلاها على المؤتمر الجغرافى الدولى سنة ١٩٢٨

The Population Problem in Egypt, A Study of Population Trends and Conditions in Modern Egypt, by Wendell Cleland

أما عند فتح العرب لمصر فقد بلغت الجزية التى جمعها عمرو بن العاص « ثمانية ملايين دينار » عن الذكور البالغين من غير المسلمين ، مما يدل على انهم كانوا يبلغون أربعة ملايين . فاذا قدرنا أن الذكور الذين يتجاوزون خمس عشرة سنة يبلغون ثلاثين فى المائة من جملة السكان ، فقد كان أبناء مصر ثلاثة عشر مليونا حوالى القرن السابع ، وهو ما يقارب عدتهم فى العصر الحديث

والمشكلة القائمة الآن هى : كيف تتسع مصر لسكانها مع ارتقاء نظام المعيشة اذا اطردت الزيادة على النسبة الملحوظة فى الاحصاءات الأخيرة ؟

في السنة الحاضرة ينتظر ان يكون السكان خمسة عشر مليونا وأربعمائة وثلاثين ألفا ، وينتظر أن يبلغوا سبعة عشر مليونا بعد عشرين سنة ، وليس من المنتظر أن تزداد الأرض الصالحة للزراعة على هذه الوتيرة ولو تمت أعمال الرى جميعها فى مواعيدها المقدورة . فكيف تحل هذه المشكلة التى سنواجهها بوقائعها الملموسة بعد جيل واحد ؟ يرجو المؤلف أن يصبح الفحم الأبيض أو استخراج الكهرباء من مساقط الماء مرتزقا لألوف من السكان ، ويقول إن السودان يتسع لنحو مليون مصرى اذا استصلح من أرضه الغامرة ستون ألف كيلو متر مربع ميسورة الاصلاح ، وانتظمت فيه وسائل المواصلات بما يكفل نجاح الزراعة وسرعة النقل من تلك الأرض المستصلحة واليها

لكن المؤلف يقدر ان انتقال هذا العدد من الأيدى العاملة سيكون له أثره فى أجور العمال وقيمة الأرض وأرباح الملاك وسائر ما يتصل بذلك من العلائق الاقتصادية والشئون الاجتماعية

هذه هى المشكلة التى تصدى الاستاذ كليلاند لبحثها فى هذا الكتاب ، وهى ولا ريب مشكلة قائمة تستحق التدبر والتدبير منذ الساعة الحاضرة ، ولكننا مع توكيد الحاجة الى حلها نلاحظ أمرين لابد أن يلاحظا فى هذا الموضوع وهما :

أولا — ان الاحصاء على دقته قابل للخطأ الكثير ، والدليل على ذلك الخطأ ماثل فى الكتاب نفسه حيث لاحظ المؤلف ان عدد المواليد فى بعض هذه الاحصاءات بلغ ٥٧١ ٦٨٣ ١٠ وعدد الوفيات ١٣٩ ٩٤٣ ٦ وان عدد السكان بناء على ذلك ينبغي ان يكون ٧٩١ ٠٢٧ ١٥ ولكنه فى الحقيقة لا يتجاوز ٦٨٤ ٢١٧ ١٤ فأين ذهب الفرق وهو يتجاوز ثمانمائة ألف من النفوس ؟

لابد إذن من خلل فى الاحصاء على الرغم من التدقيق والمراجعة

ثانياً — ان البحث فى هذه الموضوعات لا يتم إلا بالمقابلة بين الاحصاءات المتشابهة والاحوال المتماثلة . فاذا عرفنا مشكلة من هذه المشكلات وعرفنا ما نجم عن حلها أو عن اهمال حلها ، فى وسعنا أن نعرف حينئذ كيف نلتمس وجوه الحل قبل استعصائه ، وان نعرف من الجهة الأخرى مقدار ما يتوقف على جهود الحكومة ومقدار ما يتوقف على الموازنات الطبيعية التى لا تقع فى الحسبان ولا تخضع لأوامر الحكومات ، فان للشعوب بنية اجتماعية تقاوم الطوارىء وتستعد بما يوازنها كما يستعد الجسم الحى بضروب المقاومة عند مهاجمة المرض أو عند الانتقال من

بيئة الى بيئة ، فلا يكفى التعويل على علاج الطبيب دون التعويل على علاج الموازنات الطبيعية فى تكوين الاجسام

وقد أنذر « مالتوس » سكان الأرض بالمجاعة معتمداً على ما لديه من الاحصاءات والأرقام ، أو على ما سماه زيادة الغلات بالنسبة الحسابية وزيادة السكان بالنسبة الهندسية، فجاءت الحوادث بما ينقض حسابه وثبت ان الموازنات الطبيعية لها شأن فى التقريب بين الزيادتين لم يدخل لمالتوس فى تقدير

* * *

لكننا نعتقد ان الكتاب ـ كجميع الكتب النافعة ـ سيفيد فى الغاية التى توخاها المؤلف ، كما يفيد فى غايات شتى لم يشغل باله بها كما شغله بمسألة السكان ومصير العمران

لا ندرى ما هو رأى الاستاذ كليلاند فى المؤرخين الماديين الذين يربطون تاريخ الأمة بطبيعة أرضها وغلات زراعتها وصناعتها وأساليب ريها ومواقعها الجغرافية وما الى ذلك من الظواهر المادية ، ولكننا نرى أنه قد جاء بدليل غير ضعيف على العلاقة بين نظام الرى وأخلاق السكان ومبلغ ما عندهم من الحيوية الجسدية والحيوية الفكرية

فمن رأيه أن هناك علاقة وثيقة بين نظام الصرف والرى وبين جلد السكان على العمل وقدرتهم على المقاومة . فأبناء الوجه البحرى أقل جلداً وأقل مقاومة وكفاحا من أبناء الصعيد ،لأن استفاضة الرى وقلة الصرف فى الوجه البحرى تهيئان الأرض لنمو الديدان وجراثيم الأمراض التى تفتك بجسم الفلاح وأشيعها البلهارسيا والانكلستوما ، وان هذه العوارض ظهرت فى بنى سويف والمنيا بعد أن شملهما نظام الرى السنوى فكثرت الوفيات بين الرجال وساءت الصحة العامة ، وقد كانت الشمس تجفف الارض فى الصعيد كله فى الفترات التى تعرض بين الزراعات فتقضى على الجراثيم وتنقذ أبناء الصعيد من فتك تلك الديدان

وربما كان لذلك علاقة بالاقدام على الهجرة وما اشتهر به أهل الصعيد من البأس والشدة والجلد على الاعمال الشاقة التى لا يصبر عليها أبناء الاقاليم المصرية الأخرى . وعلى هذا يملك زمام الاخلاق والنهضة القومية من يملك زمام الصرف والرى والرقابة الصحية ، ويخلق الاقدام والطموح فى الأمة من يستطيع أن ينشىء فيها نظاما للرى والصرف خيراً وأحكم من نظامها القائم الآن

وعلة أخرى لضعف الطموح والاقدام أن الجمهرة الكبرى من الفلاحين المصريين لا يتناولون من الغذاء ما يسد حاجة الجسم ، وان اكثروا من بعض المواد الغذائية التى لا تمون البنية الحية بجميع العناصر الضرورية . فالغالب فى طعام الفلاحين انه ناقص فى مولدات الحرارة وفى المعدلات بين حاجات الجسد من اللحم والشحم والعضل والوظائف المختلفة ، فكأنه منصرف الى وظائف محصورة دون سائر الوظائف التى تقوم عليها البنية القومية

وهنا أيضا تتوقف عوامل اليقين والارادة والهمة على عوامل القوت والسكنى ، ويبدو لنا

ان تغذية الفلاح بالغذاء الصالح هى حاجة من حاجات مصر النفسية والفكرية ، كما هى حاجة من حاجاتها الجسدية والمادية ، لأنها تلقيح لبنية الامة بلقاح البأس والأنفة وشحذ لما فيها من الطموح والعزة والقدرة على المثابرة فى اعمال الرءوس وأعمال الجسوم

وخلاصة القول ان الكتاب الصغير الذى وضعه الاستاذ كليلاند كتاب نافع بما فيه من الاغراض المقصودة ، ونافع بما يوحى اليه من الاغراض المنطوية فى ثنايا السطور ومضامين الوقائع التى لا يخلو منها فصل من فصوله ولا جزء من أجزائه . وقد ظهر فى أوانه لأنه ظهر فى الآونة التى يشتغل فيها القطر بتحضير الاحصاء الجديد ، وسيكون هذا الاحصاء من دواعى الاهتمام بالموضوعات المشار اليها سواء طابق التقدير المنظور أو خالفه بعض المخالفة فى مقابلات الأرقام

عباس محمود العقاد

أرض مصر وسكانها

فدان

٢٠٠٠٠٠٠٠
١٥٠٠٠٠٠٠
١٠٠٠٠٠٠٠
٥٠٠٠٠٠٠
0

عدد السكان
الأراضى المزروعة
الاراضى القابلة للزراعة

١٨٨٦
١٩٢٦
١٩٦٦

يبين هذا الرسم الذى وضعه الاستاذ ونعل كليلند أن أرض مصر تتسع مساحتها بنسبة أقل من نسبة ازدياد سكانها . فترى ثلاثة خطوط : يبين أولها عدد السكان ، وثانيها مساحة الأرض المزروعة ، وثالثها مساحة الأرض الصالحة للزراعة . فنجد أن خط السكان الذى كان قريبا من الخطين الآخرين فى سنة ١٨٨٦ ، أخذ يتباعد عنهما شيئاً فشيئاً دلالة على أن مساحة الأرض لم تتسع بنسبة نمو السكان . فاذا استمر الامر على هذا المنوال فسيأتى اليوم الذى تضيق فيه مصر بأبنائها . إذ كان ما يخص كل مائة فدان من أرض مصر المزروعة ١٢٠ نسمة فى سنة ١٨٨٦ ، فصار ١٤٠ فى سنة ١٨٩٧ ، ١٤٦ فى سنة ١٩٠٧ ، ١٦٦ فى سنة ١٩١٧ ، ١٦٤ فى سنة ١٩٢٧ . وعلى فرض أن جميع أرض مصر القابلة للزراعة أصلحت واستثمرت بعد عشرين سنة ، فسيظل سكان مصر فى حاجة الى أرض جديدة ، أو الى موارد أخرى للرزق ، إذ سيخص كل مائة فدان من الأرض المزروعة زهاء ١٥٠ فرداً وهو عدد قلما نجده فى أكثر بقاع الارض ازدحاما

بدأ الانسان دور الانحطاط

وآذنت حضارته بالزوال

هل الانسان الحاضر أقل ذكاء وقوة من الانسان الأول ؟ وهل بدأ النوع البشرى بالانحطاط الذى ينذر بانقراضه وزوال حضارته ؟. فريق من العلماء يرون هذا الرأى كما ترى فى هذا المقال

يزعم بعض العلماء والفلاسفة ـ وفى مقدمتهم العالم جريجورى أستاذ البيولوجيا بجامعة أمريكا ، والاستاذان فيشر وجالتون من علماء جامعة لندن ـ أن دور انحطاط النوع البشرى قد بدأ ، وأنه بعد بضعة آلاف من السنين ستزول الحضارة ولا يبقى إلا أثر ضئيل . ويزعم الكثيرون ان كلا جسم الانسان وعقله آخذان فى الانحطاط ، فأما انحطاط الجسم وقواه فأمر مسلم به ، إذ المعروف ان المدنية قد أفقدت الانسان قواه البدنية وأضعفت حواسه الخمس وأوهنت الكثير من أعضاء جسمه كيديه ورجليه وأسنانه ، وأذهبت قدرته على تحريك بعض الأعضاء . نعم ان الانسان قد كسب بعض الشيء بازاء ذلك الانحطاط . إذ ارتقى ذكاؤه واتسعت دائرة تفكيره ، ولكن مقدار الكسب لايعادل مقدار الخسارة . بل ان الكثيرين من العلماء ينكرون ذلك الكسب ويقولون ان العقل أيضاً آخذ فى الانحطاط ، وان انحطاطه أسرع من انحطاط الجسم . فاذا لم يوفق العلم الى وسيلة لوقفه ، كان مصير النوع الانسانى وحضارته الى الزوال

كثر علمنا وقل ذكاؤنا

والذى يوهم بعض الناس ان عقل الانسان لا يزال فى تقدم كونهم لا يميزون بين الذكاء والعلم ، وهما أمران مختلفان كل الاختلاف . فالذكاء هو قدرة الانسان الغريزية على التفكير ، والعلم هو ما قد يجمعه العقل من التجارب والاختبارات . فالانسان الذى كان يسكن الكهوف والمغاور كان على قسط وافر من الذكاء ، مع أن نصيبه من العلم كان ضئيلا تافهاً ، فلم يكن يومئذ يعرف الكتابة والقراءة التى هى وسيلة العلم والمعرفة

وقد كان الذكاء الصفة المميزة للانسان الأول . وهى الصفة التى حرسته وحالت دون انقراضه . فقد كان يعلم ما ينفعه فيقبل عليه ، ويدرك ما يضره فيبعد عنه . أما الآن فمع أنه يعرف أن أموراً كثيرة تضره فانه يظل يندفع وراءها ولا يتجنبها

أجل ، ليس فى استطاعة أحد فى العالم أن يحمل أى حيوان على أكل ما يضره أو شرب

ما يؤذيه ، بل ما من قوة تستطيع ارغامه على أكل أى شيء لا يستطيب طعمه . ومهما يكن من جهل الحيوان فانه لا يعرض نفسه لعوامل الحر والبرد إلا وهو آمن كل ضرر . فلا يخلع فروه ويعرض نفسه للبرد . ولا ينفض عنه وبره لئلا يتعرض للفحة الشمس . ولا يأتى أى عمل يدل على غباوة كتلك التى تدل عليها مئات الألوف من قتلى الحروب بين شعوب البشر ! وهل يتصور العقل أن الحيوانات تفنى بعضها بعضاً بالحرب فتعجل بذلك انقراض نوعها ؟

ورب معترض يقول إن ألوف الاختراعات الحديثة دليل قاطع على ذكاء الانسان . على أن هذه الاختراعات مع ما هى عليه من القيمة وعظم الشأن ليست أدل على الذكاء من اختراع النار والحراثة والزراعة وترويض الحيوانات وصنع أدوات الطبخ وما الى ذلك من الاختراعات التى وفق اليها الانسان الأول ، والتى لولاها ما وجدت الاختراعات الحديثة

اختراع الكلام أفسد أخلاق الانسان

وليس ثمة أى دليل على أن الانسان فى عصوره الأولى ارتكب من الاعمال الجنونية ما يرتكبه فى هذا العصر . أما زعم بعض علماء الاجتماع أن الناس فى تلك العصور البعيدة كانوا فى حروب ومنازعات مستمرة ، فليس لدينا ما يؤيده ، بل بالعكس هنالك قرائن كثيرة تدل على أن الانسان الأول كان مخلوقا وديعاً متواضعاً لا تمتد يده الى أحد بأذية إلا دفاعاً عن نفسه ـ الأمر الذى يثبت أن الحرب ليست غريزية بل هى من مستنبطات الانسان فى أطوار حضارته وهى من علامات انحطاطه

ويذهب العالم «هوبتنول» من أساتذة جامعة كولجيت الى أن أجدادنا الأولين كانوا خالين من صفات الشراهة والأنانية التى يمتاز بها الانسان فى هذا العصر ، وكانوا على جانب عظيم من الدعة والتواضع وطيب الخلق . وكانت علاقة الرجل بزوجته وثيقة جداً وروابط الأسرة متينة بحيث لم يكن يقع أى شيء من الخلاف بين الرجل وأعضاء أسرته

ويزعم الاستاذ جريجورى الذى أشرنا اليه أن انحطاط الانسان العقلى بدأ على الأرجح باختراع الكلام : فان الخلاف بين أفراد الجماعة ظهر بظهور ذلك الاختراع . إذ صار كل فرد يستطيع أن يعبر عما يجول بفكره مما يخالف رأى أخيه الانسان ورغباته . وبعبارة أخرى ان الانسان قبل اختراع الكلام كان يعجز عن اظهار ما يكنه من السخط والغضب ، ولكن ذلك الاختراع مكنه من مخاصمة أخيه الانسان ومن سبه واهانته ، مما أدى الى نشوء الخصومات والعداوات . وكان أكبر عون على ظهور الغرور والأنانية والأحقاد والشرور بجميع أنواعها . ومن دواعى الأسف أن هذه الشرور أصبحت صفة ملازمة للانسان ومنها تفرعت سائر الشرور التى تئن منها الانسانية

ويقول الاستاذ جريجورى إن الانسان الحاضر هو وليد تلك الشرور التى ظل آباؤه يرتكبونها

مدى ألوف القرون أى منذ بدء اختراع الكلام . ولا يزال التدهور الخلق مستمراً الى الآن ، وسيظل مستمراً مقترنا بالانحطاط الجسمى

قد تعجز المرأة عن التناسل

ويقول النشوئيون إن من علامات انحطاط الجسم التي قد لا يعيرها الكثيرون انتباها كون الانسان قد بدأ يفقد بعض أسنانه ولا سيما سن الحكمة . ويظهر ان مصير هذه السن الى الزوال لان الفك يضعف ويصغر شيئا فشيئا بحيث لن يبق فى المستقبل مكان لنمو تلك السن . أضف الى ذلك أن عظام الوجه آخذة فى الضعف لان الانسان لا يستعمل اليوم فكيه كما كان يفعل أجداده فى العصور الأولى ، بل ان حجم الرأس نفسه آخذ فى الكبر بخلاف بقية أعضاء الجسم . وقد يكون فى هذا انقراض النوع البشرى . فانه اذا استمر الرأس يكبر حالة كون تجويف حوض المرأة يتقلص ، فقد يجىء يوم يتعذر فيه على المرأة أن تحمل وتلد ، إلا اذا وفق العلم الى استنباط وسيلة للتغلب على تلك الصعوبة . وفى الواقع أن تجويف الحوض يثبت لنا أن جمجمة الجنين وهو فى بطن أمه آخذة فى الكبر حالة أن تجويف الحوض آخذ فى التقلص

وهذا يحملنا على أن تنظر الى وجهة أخرى من هذا الموضوع ، ونعنى بها انحطاط النوع الانسانى واشرافه على الانقراض بسبب قلة النسل . فالاحصاءات الدولية كلها تدل على أن النوع الانسانى آخذ فى الانتحار عن طريق تناقص النسل . ومن دواعى الاسف أن هذا التناقص هو على أشده فى الشعوب المفروض أنها زعيمة الاجتماع والمشرفة على الحضارة الحاضرة . بل فى الاسر التى يتوقع منها الناس أن تنجب كبار الزعماء وقادة الفكر

فاذا ظل غول هذا التناقص مطلق السراح افضى ذلك الى انحطاط المستوى العقلى . وهذا ما يقلق بال علماء الاجتماع فى هذا العصر ويقض مضجعهم . ويزيدهم قلقاً على قلق أن الشعوب التى توصف بأنها أرقى فى قواها العقلية من غيرها هى اكثر تناقصاً فى النسل من غيرها ، فكأن الرقى العقلى وتناقص النسل يسيران معاً جنباً الى جنب

ويقول الاستاذ رونالد فيشر ، وهو فى طليعة فلاسفة هذا العصر ، ان النسل آخذ فى النقصان فى كلتا أوربا وأميركا بحيث نخشى أن لا تنجب الاجيال القادمة عدداً من النوابغ يكفى لانقاذ الاجتماع من الانحطاط . نعم قد يكون هذا التناقص أبطأ فى الولايات المتحدة منه فى غيرها ، ولكن هنالك قرائن تدل على أنه لن تنقضى عشرون سنة أخرى حتى تضبح تلك البلاد كغيرها من بلدان أوربا ، إذ يصبح تناقص النسل فيها واضحاً سريعاً . وغنى عن البيان أن التناقص فى الوقت الحاضر يتناول نسبة المواليد فقط لا عدد المواليد الحقيقى . ولكن اذا سارت الأمور على هذا المنوال فسيتناول النقص عدد المواليد أيضاً . وبعبارة أخرى ان الزيادة فى عدد السكان فى الوقت

الحاضر بطيئة جداً فى انجلترا وأميركا وفرنسا وألمانيا والبلجيك وفى جميع بلاد السكندناف ، التى تعتبر مهد النوابغ والعظماء . فتناقص النسل فيها حادث على أعظم ما يكون من الشأن إذ لا يمكن أن يفضى الا الى نتيجة واحدة وهى انهيار صرح الحضارة واندثار آثار المدنية الحاضرة

هل يقفر المستقبل من النوابغ ؟

وإذا درسنا احصاءات المواليد في مختلف الطبقات وقابلنا بعضها ببعض ثبت لنا أن تناقص المواليد بين الذين يزاولون المهن الراقية هو أعظم منه بين أصحاب المهن الوضيعة والاعمال المنحطة ، وكلما كانت الاسرة ممتازة بالذكاء والنبوغ كان نسلها أقل . فكأن الخاصة تمتنع عن كثرة التناسل حالة كون العامة تطلق لنسلها العنان . والاحصاءات كلها تؤيد هذه الحقيقة وتثبت أنه كلما صعد الانسان درجة فى سلم الحضارة هبطت نسبة مواليده ونقص نسله . وهى ظاهرة عامة تدعو إلى كثير من القلق . ومغزاها أن الفلاسفة والعلماء والاطباء والمهندسين والمحامين والمؤلفين والكتاب ـ جميع هؤلاء آخذون فى التناقص ، وسيظل نسلهم يقل الى أن يندثر أثرهم اندثاراً تاماً . والشعور العام عند جميع المتعلمين فى هذا العصر هو أن مقتضيات المعيشة اليوم كثيرة باهظة فليس من الحكمة أن يزيد الانسان فى اعبائها باكثاره من النسل

ولو أن التناقص كان فى نسل الطبقات المنحطة لكان الأمر يدعو الى الارتياح . أما وهو على أشده فى الطبقات الراقية فالمصيبة كبيرة جداً . لأن الذكاء والنشاط والاخلاق ومقتضيات الزعامة ومكملات العظمة ـ جميع هذه الأمور تنتقل من جيل إلى جيل بالوراثة ، فاذا نقص النسل ، حال ذلك النقص دون ظهور الابطال والنوابغ . نعم ان العالم سيظل ينجب النوابغ والعظماء مدة بضع مئات أخرى من السنين ، إذ لا ينتظر وقوع الكارثة إلا بعد انقضاء بضعة آلاف من السنين ولكن المسألة هى مسألة زمن فقط ، ولابد لصرح الحضارة من الانهيار عاجلا أو آجلا إلا اذا وفق العلم الى استنباط وسيلة تحول دون تلك الكارثة . على أن المشكلة العظمى ليست فى الاحتفاظ بنسبة المواليد من النوابغ والمتعلمين ، بل فى السعى لزيادة تلك النسبة ، وفي الوقت عينه ، السعى لتقليل نسل الذين ليس للاجتماع مصلحة فى وجودهم ، والاحتفاظ بنسبة مواليد المتعلمين انما يمكن اذا ذللنا الصعاب المالية والاقتصادية بحيث لا تكون كثرة النسل عبئاً ثقيلا

وقد سعت بعض الحكومات الى معالجة تناقص النسل على وجوه شتى تبشر بكثير من النجاح . واكثرها يقوم على الترغيب فى الزواج ومنح الاعانات المالية لمن يجاوز نسلهم عدداً معينا ، مع اعفائهم من الضرائب ومنحهم امتيازات خاصة فى أماكن عملهم . ومن حسن الحظ أن القرائن تدل على أن الحكومات سائرة سيراً حثيثاً فى طريق حل هذه المشكلة فاذا انتهت الى حل نهائى لها أمكن اجتناب الكارثة التى تهدد الحضارة اليوم وتنذر بانهيار صرحها

هل أنقذت مسز سمبسون بريطانيا ؟

يقول الدكتور آرثر فرانك باين : نعم !

أستاذ علم النفس بجامعة نيويورك

[لعل الناس جميعاً يرون أن مسز سمبسون قد أساءت الى بريطانيا حين حرمتها ملكا له جرأة الشباب وطموحه ، وله عقل الرجولة ورزانتها . ولكنا نثبت هنا خلاصة الرأى الذى انتهى اليه الدكتور آرثر فرانك باين بعد أن تقصى نفسية دوق وندسور دراسة وتحليلا ، فاستنتج أن مسز سمبسون قد أسدت الى بريطانيا جميلا جزيلا]

لولا هذا الحب الذى نشأ بين دوق وندسور ومسز سمبسون فأخلصا له وصدقا فيه معا ، لكان على انجلترا أن تواجه اليوم عهداً عصيباً ينضاف الى تلك العهود التى ألقى فيها زمامها بين يدى ملك مجنون . . !

وما من شك فى ان ملك انجلترا السابق قد ظل طوال حياته متزناً رزيناً فى تصرفه وتفكيره ولكن جاءت عليه فترة توفرت فيها الدلائل التى تؤذن بأنه قد أشرف على اضطراب عنيف يتهدد عقله وأعصابه . وإنى على ثقة من أن الفضل فى انقاذه من الهوة التى كاد يتردى فيها انما يرجع تلك التى فتحت قلبه فوهبها إياه . . فقد أثبتت مسز سمبسون أنها « الدواء النفسى » الناجع الذى كان يلزم الملك ادوارد لينقذه من هذه « العقدة النفسية » التى وجهت تفكيره وشعوره وجهة مرتبكة مضطربة ...

***

كيف استطاعت سيدة تزوجت وطلقت مرتين ، وجاوزت نضارة الصبا وغضارة الشباب ، أن تنفرد دون نساء العالم جميعا بقلب هذا الرجل الذى كان فى وسعه أن يختار من يشاء من بين أشهر الأميرات وأجمل النساء ؟ يجيب علم النفس عن هـذا السؤال بأن مسز سمبسون قد استطاعت أن تعطى ادوارد العنصر الذى كان فى مسيس الحاجة اليه ، وهو « حب امرأة ناضجة رجلا ناضجاً » . واستطاعت بهذا أن تظفر بقلبه أولا ، وان تنقذه وتنجيه ثانيا ، وأن تحمله على إيثارها على العرش والتاج ثالثا ...

يبلغ دوق وندسور زهاء ٤٣ عاماً ، ولا تقل عنه مسز سمبسون بأكثر من سنتين . وإذاً فهما فى نظر علم النفس لا يحققان النسبة التى تشترط بين عمر الرجل وعمر المرأة ، كى يكون التوافق بينهما تاماً وثيقاً . وهذه النسبة تقتضي أن يكون عمر المرأة نصف عمر الرجل مضافا اليه سبع

سنوات . فالمرأة التى يرشحها علم النفس لدوق وندسور يجب أن تكون فى الثامنة والعشرين من عمرها ، ولكننا لو تقصينا شتى النواحى التى تحيط بهما ، ولو رجعنا إلى مجرى حياة كل منهما ، لوجدنا أن بينهما من التوافق ما لا يدع لهذه النسبة فى الأعمار شأناً ما

فقد ظل دوق وندسور أربعين سنة قبل ولايته للعرش وهو يتوق الى الحرية ويتمناها، دون أن تتاح له الوسائل اليها . فبقى هذه السنوات الطويلة مثقلا بأعباء التقاليد ، مكبلا بأغلال الملكية. فقد ولد ليتولى عرش الأمبراطورية البريطانيـة ، فوجب أن يكيف حياته ويشق مجراها وفق ما يقتضيه هذا المستقبل ، لا حسب ما يريده ويختاره . ولهذا كان عليه أن يخضع للقواعد المرسومة والتقاليد المرعية ، فى كل كلمة ينطقها وكل عمل يؤديه ، وسواء كان فى ساعة الجد أو فى ساعة الهزل ، وسواء كان منفردا فى قصره أو وسط جمهرة من الناس ، حتى أصدقاءه وأوصياءه لم يكن له أن يختارهم وفق مايريد ، بل كانوا يفرضون عليه فرضاً دون النظر الى آرائه الشخصية . وقد كان أبوه شديد التمسك بالتقاليد المألوفة ، شديد المحافظة على القواعد الرسمية ، واشتهرت أمه بإيثارها كل قديم من العادات والأوضاع ، بل ومن الأزياء ، حتى انها أبت أن تغير زى قبعتها القديم حتى اليوم !

وإذاً فكل من حوله ، من أب وأم وأصدقاء ، مسير وفق تقاليد ما أشد كرهه لها ، وما أشد رغبته فى القضاء عليها . فلا عجب ان كان عقله موضع صراع عنيف بين ما يريد وما يراد له ، بين الحياة التى يصبو اليها والحياة المفروضة عليه كرهاً . ولا جرم بعد هذا ان تولدت فى قرارة نفسه « عقدة » وجهت أفكاره ومشاعره منذ السنوات الأولى . ولو حللت تصرفات دوق وندسور تحليلا نفسيا لظهرت آثار هذه العقدة النفسية الدقيقة بادية واضحة

فقد أصيب منذ صغره بعىّ فى لسانه يجعله يتمتم ويدمدم قبل أن يستطيع النطق باللفظة . وعند ما شب وبلغ سن الرجولة كان يوصف دائما بأنه « شرس نافر » ، إذ كان يأبى أن يستقر ويستكن ، ويهم بأن يتمرد ويثور ويحطم . وكان كثير التردد على منتديات الليل مخالفا بذلك القواعد التى أراد أبواه أن يقيما عليها حياته ومستقبله . وان سعيه وراء الهزل والمزاح ، وبهذه الروح العابثة الغريرة ، ليس إلا دليلا على تلك « العقدة » التى يحسها في قرارة نفسه ، والتى كان يجهد فى مقاومتها والتخلص منها

وأعتقد اعتقاداً راسخا أنه عندما بلغ سن الخامسة والثلاثين ، أشرف على الغاية التى كان يخشى عندها أن تضطرب أعصابه وتختل قوى تفكيره ، فكنت أتوقع حينذاك أن تؤدى به هذه العوامل النفسية التى تستقر فى خبايا نفسه الى تلك الوهدة التى وقف يتأرجح على حافتها

***

ثم ... ثم التقى بمسز سمبسون سنة ١٩٣١ هذا اللقاء الذى غير وجه التاريخ تغيراً لا يدركه

إلا من يدرس هذه السيدة دراسة نفسية دقيقة يتبين منها قدر تأثيرها فى الرجل الذى بادلته الحب وما خلفه هذا التأثير من نتائج تاريخية خطيرة

لقد أولته حبا ناضجا يستطيع أن يكيف عواطفه ويوجهها ، ويستطيع أن يدرك عقباته ويذللها . حبا صقلته التجارب وأنضجته الأيام ، ثم أوقدته روح تريد أن تلتهم الحياة وتنعم بلذائذها وتمتلىء من مباهجها

ان الفتيات اللاتى لم يجاوزن الخامسة والعشرين ، لا يستطعن أن يحببن الرجل هذا الحب الناضج الوافى ، ولهذا فقلما يرضى بهن من يضيق بالعبث والهزل والخفة ، كما ان هؤلاء الفتيات الناشئات لا يصبرن على جد الرجال ورزانتهم ، فلا يلبث حبهن أن يذوى ويزول . أما المرأة التى تتقدم بها السن فتنضجها الأيام ، فهى التى تستطيع أن تزن الأمور بميزانها الصحيح ، وتستطيع بهذا أن تقدم للرجل ما يفتقده ويفتقر اليه . والواقع أن المرأة فى الاربعين من عمرها ، اذا كانت ذات ذكاء وفطنة ، كانت أقدر من الفتاة على فتنة الرجال

ثم ان المرأة فى هذه السن تمتاز بفضيلة الايثار التى تدفعها الى ألا تقصر تفكيرها على نفسها شأن الفتاة الغريرة ، بل توجه أكثره الى الرجل الذى تحبه . ولا تجد المرأة القدرة من نفسها على تدليل الرجل والتملق اليه الا بعد أن تجاوز الخامسة والثلاثين ، أما وهى دون هذا فانها تقف فى مكانها على زعم أن الرجل لابد أن يسعى اليها مدللا متملقاً . وإنى أرى أن فضيلة الايثار التى يعمر بها قلب مسز سمبسون هى التى مكنتها من امتلاك قلب ادوارد ومكنتها من أن تذلل له صعابه وتهون عليه آلامه . بل إنى واثق من أنها قد استطاعت بها أن تنسيه تلك العقدة التى كانت تهدد عقله وأعصابه بالضر والاذى

ولقد بدا على ادوارد عقب أن اتصل بمسز سمبسون روح جديد من الامل والعزم والنشاط ظهر فيما غيره من عاداته فى الاكل والشرب والتدخين تغييراً يدل على اطمئنانه الى حياته ومستقبله ، وهدوء ثائرته واستقرار تفكيره . وهكذا تخلص من هذه العوامل التى كانت تجهد قواه العقلية وتؤثر فيها ، وتولدت فيه قوة جديدة جعلته يقبل على العرش فى ثبات وطموح . ويخيل إلىّ أن هذا الاقبال على العمل وعلى الحياة انما جاء من رغبته فى أن يوفق وينجح ليظهر بذلك أمام المرأة التى يحبها كفئا وأهلا لها

وفى كل سيدة روح أمومة تجعلها تنظر الى حبيبها نظرة الام الى ابنها . والرجل يحب فى قرارة نفسه أن ترعاه حبيبته وتدلله ، فان المرأة التى تفهم الحب حقا هى التى تشعر الرجل بأنها منه بمنزلة الأم ، فلا تبخل عليه بالرعاية والتدليل . ولكن هذه الروح لا تظهر فى المرأة واضحة الا حينما يتراوح عمرها بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين . ولا شك فى أن مسز سمبسون تظهر لحبيبها روح الامومة هذه ، فانهما فى حديثهما معاً تناديه باسم « ديفى » فتذكره بأيام طفولته

التى عرف فيها ما عرف من السعادة حين كانت تدلله أمه وتداعبه باسم « إد » أو « إيدى » . .

أضف الى هذه الدلائل التى تنبىء عما بلغته مسز سمبسون من « نضج » لا يتيسر لفتاة ناشئة ، دلالة أخرى هى تطليقها زوجها من أجل حبيبها . فقد دلت الاحصاءات على أن أكثر حوادث الطلاق تقع بعد أن تجاوز المرأة سن الخامسة والثلاثين ، أى حين « تنضج » روحها وعقلها ، فتتراءى لها حياتها الراهنة أضيق من أن تتسع لها وأقل من أن تتكافأ معها . وهكذا نجد مسز سمبسون تمل زوجها الذى قبلته وأحبته وهى فى غرارة الصبا والشباب ، لتسعى وراء حياة جديدة تلائم هذا النضج الذى بلغته

والرجل ، بعد هذا ، اذا رق شعوره وصدق احساسه ، آثر المرأة الناضجة على الفتاة الغريرة . ولهذا نجد كثيراً من نوابغ الفنانين لا يستوحون فى رسومهم الا هذه المرأة الناضجة ، إذ يرونها المثل الأعلى للحب والجمال ، ويلمسون فيها صدق الأنوثة وقوتها . ولهذا كان كثير من الصور الفنية الخالدة نماذج حية للنساء الناضجات ، كما ترى فى « مدالينا دونى » لرفائيل ، « ولوكريزيا » لبرونزينو ، « وفلورا » لتيتيان

واذاً فبفضل هذا النضج استطاعت مسز سمبسون حين جاء ادوارد الى ذلك المركز الحرج الذى استحال عليه أن يجمع بين العرش والمرأة التى يحب ، أن تنقذه من هذا العرش الذى لو بقى عليه محروما من الحب لتعرض لاخطار تصيب عقله وأعصابه ، وأن تجعله فى الوقت نفسه يعتقد أنه سلك الطريق القويم واختار النصيب الأوفى حين رجح كفة القلب على كفة العرش

والخلاصة أن دوق وندسور قد وجد فى مسز سمبسون العنصر الذى كان ينقصه ، وهو هذا الحب الناضج الذى تقدمه امرأة تعرف ما هو الحب بفضل ذكائها وفطنتها وتجاربها ، فأنقذته من هذا الاضطراب الذى كاد يلم بتفكيره وشعوره ، وأنقذت بذلك بريطانيا من أن تواجه دوراً خطيراً كذلك الذى واجهته فيما مضى حين تولى عرشها ملوك كانت الاطياف تلم بعقولهم



الدرس الأخير

قصة وطنية على لسان
تلميذ من أبناء الالزاس فى
أثناء الاحتلال البروسى

لألفونس دوديه

فى صبيحة ذلك اليوم تأخرت كثيراً فى الذهاب الى المدرسة ، وكنت شديد الخوف من التوبيخ ، فضلا عن أن المعلم المسيو هاميل كان قد أخبرنا بأنه سيسألنا فى أسماء الأفعال ولست أعرف منها حرفاً . وقد خطر لى فى لحظة من اللحظات أن أتغيب عن الدرس وأن أمضى سبيلى الى الحقول

وكان الجو عظيم الدفء والاشراق

وكان صفير الشحارير مسموعا فى طرف الغاب . ومن وراء منشر الأخشاب فى روضة ريبرت يقوم الجنود البروسيون بتمارينهم العسكرية . كل هذا كان أشد استهواء لى من قواعد أسماء الأفعال . ولكننى قويت على المقاومة وسعيت جاداً الى المدرسة

وفى مرورى أمام دار العمدة أبصرت خلقاً وقوفا الى اللوحة المشبكة الصغيرة التى تلصق عليها النشرات . وما زالت من سنتين تجيئنا من هناك أخبار السوء جميعاً ، من هزائم واستدعاءات رسمية وأوامر للقيادة . فقلت فى نفسى دون توقف عندها :

— ترى ماذا جد أيضاً ؟

ومضيت أجتاز الميدان مهرولا . وكان ثمة وشتر الحداد مع صبيه يقرأان الاعلان فصاح بى :

— لا تكلف نفسك هذه العجلة كلها يا بنى ! فانك بعد واصل فى فسحة من الوقت الى مدرستك

فاعتقدت أنه ساخر بى ، وبلغت الى فناء المدرسة مبهور الأنفاس

والمعتاد فى أوائل الدرس أن ترتفع ضجة يسمعها من فى الشارع من قرقعة الأدراج فتحاً واغلاقاً ، وعجيج التلاميذ باستذكار الدرس ، وقد وضعوا أصابعهم فى آذانهم عونا لهم على الاستظهار ، ودقات المعلم بالمسطرة الكبيرة على المناضد :

— خفضوا الصوت قليلا !

ولقد كنت معتمداً على هذا الزياط لبلوغ مقعدى غير ملحوظ . إلا أنه فى ذلك اليوم بعينه كان السكون شاملا كل شىء كأنه يوم البطالة . ومن خلال النافذة المفتوحة أبصرت أترابى التلاميذ

وقد انتظموا فى مجالسهم ، والمعلم المسيو هاميل يروح ويجيء ومسطرته الحديدية الفظيعة تحت ابطه . وكان على أن أفتح الباب وأدخل فى وسط هذه السكينة الشاملة . ولك أن تتصور خجلى وإشفاق

ولكن ، لا . فقد رمقنى المسيو هاميل غير ساخط . وقال لى بمنتهى اللطف :

— فرانز : أسرع يا بنى الى مكانك . لقد كنا على وشك البدء من دونك

وامتطيت المقعد وجلست فى الحال الى درجي . وعندئذ ، وبعد أن سكن روعى وقر بالى ، لحظت أن معلمنا يرتدى كسوته الرسمية الخضراء وقميصه ذا الأثناء الرقيقة وسرواله الحريرى الأسود المطرف الذى يدخر لبسه لأيام التفتيش أو توزيع الجوائز . وفضلا عن ذلك فانه كان على الدرس كله شيء من الغرابة والمهابة . على أن الذى أدهشنى أشد الدهش أنى أبصرت فى آخر القاعة فى المقاعد المعتاد خلوها أناسا من البلدة جلوساً مثلنا صامتين بينهم الشيخ هوسر بقبعته المثلثة الأركان ، والعمدة السابق ، وساعى البريد السابق ، وآخرون . وكانت عليهم سيماء الحزن أجمعين وقد حمل هوسر معه كتابا فى الهجاء ومبادىء القراءة عتيقاً متآكل الأطراف جعله مفتوحاً على ركبتيه وعويناته الكبيرة موضوعة بين صفحاته

وفيما أنا من هذا كله حائر مذهول ، ارتقى المسيو هاميل الى منصته ، ثم قال باللهجة الحلوة الرصينة التى استقبلنى بها مخاطباً لنا :

— يا أبنائى ، هذه هى المرة الأخيرة التى تحضرون لى فيها درساً . فقد صدر الأمر من برلين ألا تعليم لغير اللغة الألمانية فى مدارس الالزاس واللورين ... وسيحضر المعلم الجديد غداً . ودرس اليوم هو درسكم الأخير فى الفرنسية . فأرجو أن تعينوا الالتفات

بلبلت هذه الكلمات خاطرى . آه للأشقياء ، هو ذاك منشورهم فى دار العمدة

وبعد ، فهذا درسى الأخير للفرنسية !...

وكيف ، وأنا الذى لا أكاد أقيم كتابتها ! ليس لى إذن الى التعلم سبيل ! لقد قضى على إذن بالبقاء حيث أنا . . . لشد ما أندم الساعة على ما فاتني ، على وقت ضيعته ودروس غبت عنها للعبث بأوكار الطير أو الانزلاق على جليد السار ! ثم كتبي التى كنت منذ لحظة أجدها مملة ثقيلة الحمل ، من أجرومية وتاريخ مقدس ، هى الآن منى بمنزلة الأصدقاء القدماء يشق على فراقها . وكذلك المسيو هاميل . فان تفكيرى فى ذهابه ، وانى لن أراه بعد اليوم ، لينسينى قصاصه وضربات مسطرته مسكين هذا الرجل !

لقد ارتدى ملابس يوم الأحد القشيبة اكراما لهذا الدرس الأخير . والآن أدركت السبب فى حضور شيوخ البلدة وجلوسهم فى آخر القاعة . وكأن فى هذا معنى ندمهم على عدم التردد كثيراً هنا ، كما انه بمثابة الشكر لمعلمنا على خدماته الطيبة مدى أربعين سنة ، وتشييعاً منهم للوطن الفقيد . . .

ولما بلغت فى تفكيرى الى هذا ، اذا بى أسمع مناداة باسمى . هذا دورى فى التسميع . لعمرى لقد كان كل شىء يهون علىّ فى تلك اللحظة لو أعطيت لى القدرة على تسميع هذه القاعدة الشنوعة لأسماء الأفعال كرًّا بصوت جهورى وافصاح مبين ومن غير هفوة . ولكننى عيت ، والتاث علىّ الأمر من أول حرف . ولبثت واقفاً أتملل فى موضعى وقلبى مفعم غماً ، وأنا لا أجرؤ على رفع رأسى . ورن فى مسمعى صوت المسيو هاميل يقول :

— لا تخش منى تبكيتاً يا فرانز ، يا بنى ! حسبك ما أنت فيه عقابا . . وهذه واقعة الحال . يقول الواحد منكم كل يوم : « دعك ! لايزال عندى متسع من الوقت . سأحفظ درسى غداً . ومن ثم فأنت ترى ما قد جرى . . أواه ، انما البلاء الاعظم فى بلدنا الالزاس إرجاء أمر التعليم فيها الى الغد . والآن يحق لهؤلاء القوم أن يقولوا لنا : ما بالكم تدعون انكم فرنسيون ، وأنتم لا تعرفون الكلام والكتابة بلغتكم ! . . ولست يا فرانز المسكين بأ كبرنا ذنباً فى هذا كله ، فلكل منا نصيبه الأوفى من اللائمة والتعذير

« فان آباءكم لم يحرصوا الحرص كله على تعليمكم.وكانوا يؤثرون أن يبعثوا بكم لفلاحة الأرض أو الى مصانع الغزل ليحصلوا على بضعة دريهمات . وأنا نفسى ، أفيعدونى اللوم ؟ أو لم أ كلفكم غير مرة رش حديقتى بدلا من العمل المدرسى ؟ ولما كنت أرغب فى صيد السمك ، اكنت أتحرج فى مسامحتكم فى الانصراف ؟ . . »

واستطرد مسيو هاميل بعد هذا وذاك الى الحديث عن اللغة الفرنسية ، فقال إنها أجمل لغات الدنيا وأنصعها بيانا وأجزلها ديباجة . وإن الواجب حفظها فيما بيننا وعدم نسيانها ، لأن الشعب الواقع فى الأسر اذا ما استمسك بلغته فانه قابض على مفتاح سجنه . ثم تناول كتاب الأجرومية وتلا علينا درساً . وقد أدهشنى حسن فهمى له . وظهر لى ما قاله كله سهلا ، جد سهل ، وأحسبنى أيضاً لم أصغ فى يوم من الأيام إصغائى له وقتئذ ، وانه لكذلك لم يتسع صدره ويطل باله ويتأن فى الشرح مثل اناته اليوم . حتى ليخيل اليك أن المسكين يريد قبل ذهابه أن يودعنا كل علمه وأن يدخله فى رءوسنا دفعة واحدة

ولما انتهى درس الأجرومية انتقلنا الى الخط . وقد أعد لنا المسيو هاميل فى هذا اليوم نماذج جديدة كل الجدة مكتوبا عليها بالخط الثلث الجميل : فرنسا ، الالزاس ، فرنسا ، الالزاس . فكانت وهى معلقة فى أركان تختوتنا أشبه بالأعلام الصغيرة ترفرف حول قاعة الدرس . وناهيك بانكباب كل واحد على الكتابة فى سكون وأى سكون ، لا تسمع فيه الا صرير الأقلام على الورق . واذا ببعض هوام الحديقة تتطرق الى قاعة الدرس ، ولكن أحداً لم يلتفت اليها ، حتى الاولاد الصغار كانوا مكبين يرسمون خطوطهم المستقيمة بحب وذمة كأن هذه أيضاً لغة فرنسية . وكانت على سقف المدرسة حمائم تسجع بهديل خافت . فقلت فى نفسى وأنا منصت اليها :

— أترى سيضطرونها هى أيضاً على التغريد بالالمانية ؟

وكنت كلما رفعت ناظرى من حين الى حين من القرطاس أبصرت المسيو هاميل جامداً فى منصته شاخصاً الى الاشياء التى حوله كأنما يريد أن يحمل فى مقلتيه دار مدرسته الصغيرة . . . تصوروا ! انه هنا منذ أربعين عاما فى نفس المكان وهذا الفناء تجاهه وقاعة الدرس على حالها . وقصارى الامر أن المقاعد والتخوت اليوم مقشورة معروكة لطول الاستعمال . وأشجار البندق فى الفناء قد زكت وطال فرعها ، وحشيشة الدينار التى غرسها بنفسه تطوق الآن النوافذ وتكللها حتى السقف . وانه لما ينفطر له قلب هذا الرجل المسكين وتتصدع كبده أن يفارق هذه الاشياء وأن يطرق سمعه فى هذه الساعة وقع اقدام أخته جيئة وذهابا فى الغرفة التى فوقه تعد الحقائب وتغلقها . فهو مقهور على الرحيل فى الغد والخروج من البلاد الى حيث لا يعود

ومع ذلك كله قضت شجاعته بالتدريس لنا حتى النهاية . فبعد الخط كان درس التاريخ ، وبعده ردد الصغار معاً نطق الحروف : با ، بو ، بى . وهنالك فى آخر القاعة وضع الشيخ هوسر عويناته وأمسك كتاب الهجاء بكلتا يديه وجعل يتهجى معهم . وظهر لنا أنه هو أيضاً عاكف على الدرس . وكان يتهجى بصوت متهدج من التأثر ، وكان من غرابة الوقع فى سمعنا بحيث كدنا نضحك ونجهش بالبكاء

آه ! ما أنس لا أنس هذا الدرس الأخير

وعلى حين فجأة دقت ساعة الكنيسة مؤذنة بحاول الظهر . وفى نفس اللحظة جلجلت أبواق البروسيين وهم عائدون من تمارينهم العسكرية يمرون تحت نوافذنا . فهب المسيو هاميل فى منصته شاحباً شديد الشحوب . وما رأيته قط أفرع قامة . وقال :

— اخوانى ، اخوانى ، انى . . ، انى . .

ولكنه غص واختنق صوته ، ولم يستطع اتمام كلمته

فالتفت الى السبورة وتناول قطعة من الطباشير فاعتمد عليها بكل قواه وكتب اكبر ما استطاع : « لتحى فرنسا »

ثم بقى حيث هو ، مسنداً رأسه الى الحائط وأشار بيده من غير أن يتكلم : انتهى .. انصرفوا

ترجمة (ع . ص)

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربيـة

خطك لا شبيه له

وليس فى العالم اثنان تتشابه خطوطهما

ان البحث العلمى يتيح اليوم لرجال الأمن الكشف عن الجرائم ومعرفة المجرمين ومواجهتهم بحقائق لا يستطيعون انكارها . وهذه الحقائق لا يتطرق اليها الشك ولا تترك فى نفس المحقق أية ريبة بشأن هوية المجرم

ومما يجدر بالذكر أن فى ادارة الأمن العام بالولايات المتحدة مصلحة خاصة لتعليم طلبة المباحث الجنائية كيفية البحث عن الجرائم . ومما يتعلمه هؤلاء الطلبة فن التصوير الفوتوغرافى الدقيق . مثال ذلك أنهم يصورون رصاصات البنادق والمسدسات تصويراً ميكروسكوبياً تتجلى معه دقائق الرصاصة وما قد يلصق بها من أنبوب (ماسورة) المسدس أو البندقية وما يتركه ذلك الأنبوب من آثار لا ترى الا بالميكروسكوب . لذلك ترى صورة الرصاصة أو صورة جزء منها تبلغ عدة أمتار مربعة ، وجميع دقائقها الميكرسكوبية ظاهرة للعيان

ولا يخفى أن أنابيب المدافع والبندقيات كثيراً ما تكون مخددة من الداخل أخاديد لولبية لكى تندفع منها الرصاصة وهى تدور دورانا لولبياً . ولا شك أن تلك الأخاديد تترك فى الرصاصة وهى مندفعة من الأنبوب آثاراً تسهل رؤيتها بالميكرسكوب بحيث يمكن تعيين البندقية التى أطلقت منها . على أن تعيين البندقية لا يعنى تعيين المجرم ، ولذلك يجب على الفاحص عن الجرائم أن يولى وجهه شطر جهة أخرى لالتماس أدلة جديدة على هوية المجرم

ومما يدخل فى المباحث الجنائية درس التزوير وفن مقابلة الخطوط لاكتشاف ما قد يرتكبه بعض المزورين من الجرائم . ولا بد لنا من القول هنا بأن خطوط الناس تختلف بعضها عن بعض باختلاف عوامل كثيرة . فللسن ولنوع القلم والحبر وموضوع الكتابة والحالة النفسية والجنسية وغير هذه من الاعتبارات آثار واضحة فى كل ما يكتبه الانسان بخطه . ولا يخفى ان لكل كاتب « لازمة » خاصة فهو يرسم بعض الخطوط بطريقة خاصة ربما لا يقلده فى حرف واحد منها سوى

واحد من كل مائة كاتب . وبما أن لكل حرف من الحروف التى يخطها « لازمة » خاصة فانك لا تجد فى العالم كله شخصين تتشابه « لوازم » جميع حروفهما تشابهاً تاماً . واذا رجعنا الى قاعدة التبادل الحسابية ونواميس الاحصاءات نجد أن تشابه « لوازم » جميع حروف الهجاء الأوربية ـ وهي ستة وعشرون حرفا ـ لا يقع الا مرة فى كل ثلاثين الف الف الف مليون مرة . وبما أن مجموع سكان الكرة الأرضية لا يزيد على الفى مليون نفس ، فليس من المعقول أن يوجد بينهم شخصان تتشابه جميع « لوازم » خطوطهما كل التشابه. نعم هنالك الوف تتشابه « لوازم » حرف أو حرفين من خطوطهم بطريق الاتفاق . أما أن تتشابه « لوازم » جميع الحروف بين اثنين من سكان الكرة الارضية فيكاد يكون من المستحيلات

ولنضرب على ذلك مثلا بسيطا حادث خطف طفل لندبرج فى سنة ١٩٣٢ فان خاطفه بعث الى والده برسالة طلب فيها منه فدية لاعادة طفله اليه . وقد درس رجال المباحث الجنائية يومئذ خطوط نحو عشرة آلاف مجرم (من الخطوط المحفوظة نماذجها فى ادارة الأمن العام) فلم يجدوا بينها خطاً لحروفه « لوازم » تشبه « لوازم » خط الرسالة التى كتبها الخاطف . ولما قام رجال المباحث بعمل تقدير حسابي لتلك « اللوازم » وجدوا أنه لا يمكن أن تتوافر فى أى خط الا مرة من مليون مليون مليون مرة

ومع ذلك فان رجال المباحث الجنائية لا يقنطون من معرفة كاتب أى رسالة بل يستخدمون فى سبيل ذلك طرقا وأساليب لا يعرفها الجمهور ، وليس من المصلحة العامة اعلانها للجميع ، فان ترك المجرم فى ظلام يجهل تلك الطرق والاساليب يؤدى إلى أفضل النتائج

[خلاصة مقالة للدكتور ولتر سودر نشرت فى رسالة الاخبار العلمية]

الالوان تسيطر علينا

وتوجه عواطفنا واذواقنا وأخلاقنا

لا شك فى أن للالوان تأثيراً كبيراً فى نفس الانسان . فاللون القرمزى الداكن مثلا (ويعرف باون ماجنطا) يريح عضلات الجسم ويساعدها على الاسترخاء . واللون البنفسجي ينشىء فى النفس الشجن . واللون الاصفر يهيج الجهاز العصبى . واللون الاحمر ينبه الدماغ ويزيد فى قوة النبض

فى القرن الثامن عشر كان اللون الشائع في زجاج المنازل هو الازرق والقرمزى . وكان الاعتقاد العام بين الناس أن هذين اللونين يساعدان فى شفاء أمراض كثيرة. وليس فى هذا الاعتقاد ما يناقض العلم ، فقد ثبت أن اللون القرمزى يجلب النعاس ويريح الاعصاب ، حالة أن اللون الازرق

بعيد الحيوية والنشاط . ومن الحقائق المعروفة عند علماء النبات أن النبات الذى يغطيه زجاج أزرق اللون هو أسرع نمواً من النبات الذى ينمو فى أشعة الشمس

وقد جمع الانسان بين الالوان ومختلف العواطف منذ اقدم الازمنة ، فاللون الاحمر مثلا هو عنوان الشجاعة والاقدام ، واللون الاصفر رمز الى المجد والسعادة والرخاء ، باستثناء بعض درجات هذا اللون. واللون القرمزى يشف عن البطولة والشهوات ومعاناة الاحزان ، وقس على ذلك سائر الالوان . ومن أنصع الادلة على تأثير الالوان التجربة التى قاموا بها فى لندن لتقليل حوادث الانتحار من فوق جسر (كوبرى) بلاك فرايار ، فقد دهنوا ذلك الجسر القائم باللون الأخضر الزاهى فنقصت حوادث الانتحار هناك بمقدار الثلث

وللون أثره في الذوق ، ولهذا اختلفت الشعوب فى ميلها الى الألوان . فمن العبث أن يحاول الانسان فى اليابان مثلا أن يبيع أوتوموبيلات مدهونة باللون الاحمر لأن ذلك مناف للذوق اليابانى. وفى انجلترا قلما تقع العين على أوتوموبيل أخضر اذ أن من أوهام العامة هنالك أن الاوتوموبيل الأخضر شؤم على من يركبه . وفى الصين وغيرها من بلاد الشرق يعتبر اللون الابيض لون الحداد . وقد اتفق أن احدى شركات البنزين فى الصين دهنت احدى محطاتها المعدة لبيع البنزين باللون الابيض فكانت النتيجة ان الشركة أفلست لأن اللون الأبيض فى نظر الصينيين هولون الحداد الشائع

وقد أثبتت التجارب التى قام بها رجال بوليس «المرور» فى لندن أن تلوين الشوارع باللونين الأبيض والأصفر يقلل الاصابات التى تقع فيها ، وجربت بعض المدارس الاميركية استعمال طباشير أسود اللون على الواح ذات لون أصفر ، فثبتت فائدة ذلك فى تقليل تعب العينين.

ومما يجدر بالذكر أن بعض البواخر تدهن اليوم جدرانها الخارجية ولا سيما الجزء الغاطس منها في الماء باللون الابيض ، منعا لتجمع الدويبات البحرية عليها والالتصاق بقعرها مما يعوق سيرها

ولمسألة الألوان شأن عظيم فى بناء الطائرات وتزيينها من الداخل لكي تكون مريحة للنظر مانعة للبرد . وقد اثبت الاختبار أن بعض الالوان تمنع الدوار فى أثناء الطيران وتحول دون القيء

ومما روته احدى الصحف الاميركية ، أن النساء العاملات فى أحد مصانع مدينة نيويورك كن يتناولن غداءهن فى مطعم خاص تابع لذلك المصنع ، وكن يشكين من شدة البرد فى المطعم ويضطررن الى لبس فرائهن . فدهش صاحب المطعم لأن درجة الحرارة فيه كانت معادلة تماماً لدرجة الحرارة فى سائر غرف المصنع . وأخيراً فكر فى تغيير لون جدران المطعم فدهنها باللون البرتقالى فلم تشعر النساء بعد ذلك بالبرد واتضح أن بين اللون والشعور بالبرد علاقة وثيقة

والخلاصة أن الألوان تؤثر فى كل حركاتنا وأعمالنا فى الحياة ــ فى صحتنا وتجارتنا ومجتمعاتنا وعواطفنا ودروسنا ــ وفى حالتنا النفسية بوجه الاجمال

[خلاصة مقالة للاستاذ هوارد كيتشام نشرت فى مجلة هاربرز]

أمريكا مهد الحضارة

لأنها سبقت مصر وبابل فى الزراعة

هل الحضارة أقدم عهداً فى العالم الجديد منها فى العالم القديم ؟ وهل كان فى أميركا فى العصور الخالية معابد وهياكل قبل أن بنى أمثالها فى مصر وبابل ؟ وهل زرع هنود أمريكا الذرة والتبغ قبل أن جاءهم الرجل الأبيض بزراعة القمح والرز والعنب ؟

لقد تعلمنا فى المدارس أن مصر وما بين النهرين كانتا مهد الحضارة البشرية ، وأن حضارة أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية هى أحدث عهداً من حضارتهما . ولكن علم التاريخ يكشف لنا كل يوم عن حقائق جديدة ، والمؤرخون يميطون اللثام عن أمور تبدو لنا فى أول الأمر غير مقبولة ثم سرعان ما تتوافر الأدلة على صحتها

من ذلك ما قد ذهب بعضهم اليه حديثاً من أن الزراعة التى هى أساس الحضارة عرفت فى أمريكا قبل أن عرفت فى العالم القديم . نعم ان هذا الزعم لا يزيد على كونه نظرية ولكن اثنين من كبار علماء النبات الامريكيين يؤيدونه . فهو إذن يستحق شيئاً من الاعتبار . وهذان العالمان هما الدكتور جنكنز من كبار رجال وزارة الزراعة بالولايات المتحدة . والدكتور مريل استاذ علم النبات بجامعة هارفارد . وقد كتب أولهما يقول ما خلاصته :

« هنالك أدلة نباتية بحتة تجعل الذرة على الأرجح أقدم الحبوب التى زرعها الانسان ، ان لم نقل أقدم النباتات بوجه الاجمال . وهى اليوم لا توجد على حالتها البرية . ولا شك انها قطعت ألوف السنين قبل أن وصلت الى مرحلتها الحاضرة ، أى أن الانسان زرعها منذ أحقاب كثيرة حتى تطورت الى ما هى عليه الآن » . وبعبارة أخرى ان الناس فى أمريكا زاولوا زراعتها منذ آلاف من السنين ، وقد كانت غذاءهم الأساسى قبل تشييدهم أهرام المكسيك ، كما أن القمح والشعير كانا غذاء بناة الاهرام فى مصر . ولاشك فى أن بناة الصروح والمعابد الهندية فى شمال المكسيك تعلموا زراعة الذرة من سكان المكسيك ، وان انتشار فن الزراعة فى تلك الأرجاء استغرق عدة قرون ، لأن هذا الفن لم ينشر يومئذ بالكتب والمدارس

ولم تكن الذرة النبات الوحيد الذى زرعه القوم فى تلك الأحقاب النائية، بل زرعوا أيضاً التبغ والبطاطس والبطاطا والطماطم والفلفل والخرشوف والقرع والكوسى والأراروت والفول السودانى وعشرات من أصناف الفواكه التى لا يعرفها أكثرنا إلا بالاسم . وبين هذه المزروعات أنواع كثيرة لاتعرف إلا كما هى فى الوقت الحاضر ، لان «أسلافها» التى نشأت منها قد بادت وانقرضت

ولم يبق لها أى أثر . ومعنى ذلك أنه قد مرت على زراعتها الأحقاب الطويلة . بخلاف الواقع فى العالم القديم ـ فى آسيا وأوربا وأفريقيا ـ فان أسلاف المزروعات المذكورة لا تزال توجد فى بعض الجهات بحالتها البرية ، بل ان معظم النباتات والحبوب والبقول والفواكه المعروفة هنالك لا يزال في الامكان الحصول عليها فى حالتها الأصلية البرية ـ كالقمح والأرز والشوفان والشعير والجودار والتفاح والكمثرى والكرز الخ . وهذا دليل على أن زراعة هذه الأشياء أحدث عهداً من زراعة الذرة فى القارة الامريكية

أضف الى ذلك أن زراعة الأشياء المذكورة فى القارة الامريكية كانت محصورة فى المناطق التى ازدهرت فيها الحضارة الهندية

ومما يجدر بالذكر أن الحيوانات التى جاء بها هنود أمريكا من آسيا كانت قليلة جداً وأهمها الكلب . وجميع القرائن تدل على أن الهنود لم يجلبوا معهم فن الزراعة عندما قدموا من العالم القديم ، أى أن الزراعة كانت موجودة فى أمريكا ولم تنتقل اليها من آسيا أوأفريقيا أو أوربا . الا أنهم زاولوا الزراعة بعد ما استقروا فى العالم الجديد ثم تقدموا وارتقوا فى ذلك الفن بمرور الزمن

ولايزال أصل الذرة من الألغاز المستعصية على علماء النبات ، إذ لا يعلمون كيف نشأت ولا الأصل الذى تطورت منه . وهنالك نظريات فى هذا الشأن لا يتسع المجال لشرحها . وانما نقول ان الهنود الأقدمين استنبتوا أصنافا من المزروعات واستولدوها بمرور الزمن وعرفوا جميع مستلزمات الزراعة من حرث وفلاحة وعزق وخلافه . وجميعها أمور تدل على قدم عهد القوم بالزراعة

وقد حاول بعض علماء النبات أن يثبتوا أن الزراعة انتقلت من العالم القديم الى القارة الامريكية عن طريق قارة أطلنطة . على أن حكاية اطلنطة هذه لا تزال خرافة فى نظر معظم المؤرخين . ولو كانت صحيحة لوصل الى القارة الامريكية عن طريق أطلنطة حيوانات من أصل شرقي . ولكن ما الذى نراه الآن ؟ نرى أن الحيوان الوحيد الذى وصل الى القارة الامريكية من العالم القديم هو الكلب . والقرائن كلها تدل على أن الهنود الذين نزحوا الى أمريكا من العالم القديم فى الحقب الخالية لم يكونوا زراعاً بل كانوا على الأرجح يعيشون على الصيد والقنص . فالزراعة فى القارة الامريكية أصلية لا مقتبسة . وكانت منذ بضعة آلاف من السنين قد وصلت فى تلك القارة الى درجة عالية من الرقى . وهذا دليل قاطع على قدم عهد الحضارة الاميركية

[خلاصة مقالة للاستاذ فرانك نشرت فى مجلة ساينس سرفيس]

بين هنغاريا وسورية

صفحة من تاريخ الحروب الصليبية

يعتبر المؤرخون هنغاريا وبولونيا حارستى أوربا من غزوات الشعوب الأسيوية . وفى الحقيقة ان هاتين الدولتين صدتا فى جبال الكاربات وعلى ضفاف نهر الطونة (الدانوب) جميع الغزاة الذين حاولوا اجتياح أوربا من جهة الشرق . بل هما اللتان ردتا غزوة المغول فى المائة الثالثة عشرة ، ووقفتا زحف الجيوش العثمانية على ضفاف الطونة ، وأرجعتا الاتراك الى البلقان . ولم تقف هنغاريا فى الحروب الماضية موقف الدفاع فقط ، بل كانت فى الكثيرمن تلك الحروب هى المهاجمة والبادئة بالقتال . والمعروف عن ملكها اندراوس الثانى أنه قاد أكبر حملة من الحملات الصليبية التى أوفدتها أوربا لانقاذ بلاد المقدس . وكان الهدف الأكبر لتلك الحملة تقوية الدولة اللاتينية التى أنشئت فى سوريا ، وتحصين مدينة عكاء ، واسترداد مدينة القدس

وقعت هذه الحملة فى سنة ١٢١٧ ، وتعرف بالحملة الصليبية النمسوية . ولشرح حوادثها يجب أن نذكر بالايجاز أن السلطان صلاح الدين كان قد انتصر على الصليبيين ودوخ مملكة القدس التى أنشأوها فى أوائل حروبهم . ومع أن الحملة الثالثة انتقمت للصليبيين بعض الشىء إلا أنها عجزت عن استرجاع القدس ، فلم يبق بيد الصليبيين سوى سواحل سوريا الجنوبية وبعض مدنها وأهمها عكا (وكانت العاصمة الجديدة) ويافا وقيصرية وصور وصيداء وبيروت ، عدا «كونتية» طرابلس فى الشمال والجزء الشمالى من سوريا المعروف بامارة انطاكية . أما ما بقى من سوريا وفلسطين فكان خاضعاً للملك العادل أخى السلطان صلاح الدين وخليفته (وكان ملكا على مصر).

وكان «جان دى برين» الملقب بملك أورشليم يعلل نفسه بأنه لابد لملك فرنسا وأمبراطور ألمانيا من السعى لاسترجاع مقاطعتى الخليل واليهودية . إلا أن تنافس الأسر المالكة فى أوربا وانجلترا حال دون بذل أى مجهود صادق لتأييد الصليبيين فى بلاد المقدس . فلم يبق سوى هنغاريا لبذل ذلك المجهود . وقد قامت بتلك المهمة بكل همة ونشاط ، وكانت ترجو أن تضم اليها جميع دول أوربا لتكون حملتها ذات صبغة دولية . وكان الدوق ليوبولد السادس عشر أمير النمسا قد تقدم بحملة فى سبتمبر سنة ١٢١٧ . واستغرق وصوله الى ميناء عكا ستة عشر يوما . وبعد ذلك ببضعة أيام وصل اندراوس الثانى فوجد الخلاف والتحاسد مستفحلين بين قواد الصليبيين المختلفى الجنسيات . فسعى لازالة الحزازات من الصدور وعقد مجلساً حربياً فى عكاء حضره القواد العسكريون والرؤساء الدينيون والوجهاء والأعيان. ومن سوء حظ الصليبيين قرر المجتمعون ـ على الكره من اندراوس

الثاني - محاصرة حصن طابور الذي كان السلطان العادل قد أنشأه للتحكم في الطرق الموصلة الى الجليل والسامرة . نعم ان الاستيلاء على ذلك الحصن كان ينقذ مدينة عكاء من خطر عاجل . ولكن الخطة كانت عقيمة بسبب مناعة الحصن . أضف الى ذلك أن ملك النمسا كان قد قدم بجيشه وفرسانه لاستخلاص مدينة القدس لا لمحاصرة حصن طابور . وكان العرب يخشون مواجهة الجيوش المنغارية في معارك فاصلة في أراض سهلة ويفضلون أن يواجهوها في الجبال والوعور . لذلك كانت مشورة المجلس الحربي تشف عن قصر نظر

وشرع الصليبيون في زحفهم في ٣ نوفمبر سنة ١٢١٧ فاجتازوا السهل الواقع شرق الكرمل في مرحلة واحدة . وما كاد السلطان العادل يسمع بزحفهم حتى أسرع من مدينة القدس الى نابلس ليحول دون تقدمهم.إلا أن زحف الجيوش المنغارية أرغمه على التقهقر . فارتد الى بيسان. وأراد ابنه (وكان أميراً على دمشق وقائداً لجيوشه) أن يهاجم المنغاريين في موقعة فاصلة على مقربة من جبل حرمون . ولكن السلطان أبى أن يوافقه على ذلك وألح عليه بالارتداد . ذلك لانه أدرك بثاقب بصيرته أن جيوش المسلمين موزعة على مدن فلسطين حالة أن جيوش الصليبيين أقوى وأكثر ، وفي امكانها التغلب على جيوش المسلمين بسهولة ، ولا سيما أن صدورها تلتهب بنار الحماسة الدينية . وعليه لما كاد السلطان يسمع بزحف الصليبيين كما تقدم حتى أمر جيوشه بالارتداد . واضطر بعد ذلك الى الارتداد الى ما وراء بيسان . فلما حاول ابنه أن يحمله على تغيير خطته عنفه بشدة باللغة الفارسية حتى لا يفهم الجنود حديثه ، وأمره بمواصلة التقهقر

واضطر السلطان العادل أن يتقهقر عن مدينة بيسان سراً فلم يدر بذلك أحد ، ولا أقرب المقربين اليه ، لانه أراد كتمان خططه . وضحى في ذلك بمؤن وذخائر كثيرة . فدخل الصليبيون المدينة بلا قتال واستولوا على كل ما وصلت اليه أيديهم . قيل انهم غنموا من القمح والمواشي ما كفاهم بقية مدة تلك الحملة

وواصلت الحملة الزحف فاستولت على عدة مواقع أخرى وأراض خصبة على ضفاف نهر الأردن الغربية وصارت تهدد دمشق وأرشليم وغيرهما من المدن التي كانت بيد السلطان . وأسرع هذا لتحصين دمشق وأمر ابنه بأن يذهب ويحصن مدينة القدس

وزحف اندراوس في أثر جيوش السلطان وعبر الأردن في ١٠ نوفمبر سنة ١٢١٧ وأشرف على خصفين . وذكر ابن الأثير أن الفرسان المنغاريين وصلوا الى نقطة تبعد ستة كيلو مترات الى شمال الشيخ سعد فأصبحوا يهددون دمشق . وزحف بعضهم صعداً على ضفاف الأردن حتى بلغوا بحيرة الحولة وأشرفوا على حصن بانياس - عند سفح جبل حرمون - وهو الحصن الذي كان يحمي الطريق من الجليل الى دمشق . ثم دخلوا عكاء ليتركوا فيها الأسرى والغنائم التي كانت تعوقهم عن السير

وأصبح مركز السلطان حرجاً . فأمر بتحصين غوطة الشام وبايداع الذخائر والأطعمة فى القلعة وبالاستعداد لاطلاق المياه على السهل المجاور لدمشق لاغراقه عند دنو الصليبيين . وإذ ذاك بدأ أهل دمشق يشعرون بالضيق والجوع واشتد فيهم الهرج والاضطراب

إلا أن عاملا غير منتظر غير الموقف وقلبه رأساً على عقب . ذلك أن خلافا خطيراً وقع بين اندراوس الثاني (ملك هنغاريا) وجان دى برين (ملك أورشليم) ولا يعرف سبب هذا الخلاف تماما . ولكن بعض المؤرخين يرجحون أن الملك اندراوس كان يريد الزحف رأساً على دمشق أو على القدس حالة أن جان دى برين كان يريد محاصرة القلاع التى كانت على مقربة من عكاء . وفى الواقع أن جان دى برين ترك اندراوس فى عكاء وزحف بجيشه للاستيلاء على قلعة طابور

واستمر حصار هذه القلعة من ٢٩ نوفمبر الى ٧ ديسمبر من ذلك العام . وضرب الصليبيون خيامهم فى السهل المجاور للقلعة . وكانوا كل يوم يتسلقون الجبل الذى تقوم عليه القلعة بقصد الوصول الى أسوارها الخارجية ويستعملون لأجل ذلك سلالم يصعدون عليها فى جنح الظلام وتحت ستار الضباب . ولكن ما كادت الحامية تشعر بدنوهم حتى أحرقت السلالم بالنار اليونانية وقذفت بالمهاجمين الى الوراء ، فقتل من هؤلاء كثيرون . ومع ذلك لبثوا يحاصرون القلعة مدة طويلة ويرجون أن يجيعوا حاميتها ليرغموها على التسليم . ولما طال أمد الحصار ثبطت عزائمهم فغادروا القلعة فى ٧ ديسمبر وعادوا الى عكاء . وأدرك السلطان بعد انصرافهم أن فى وجود القلعة خطراً كبيراً فأمر بهدمها حتى لا تغرى الصليبيين بمهاجمتها

ولا شك أن الخلاف بين اندراوس وجان دى برين هو سبب اخفاق هذه الحملة الصليبية . على أن اندراوس عزم بعدئذ على ايفاد حملة الى جبل لبنان شرقى صيدا . ونزل جيشه أربعة أيام فى مرجعيون على مقربة من قلعة شقيف عرنون وكان المسلمون قد اشتروها من الصليبيين فى سنة ١١٩٠ وفى الوقت عينه زحفت حملة أخرى من الجنود الهنغارية على جزين . وهنا أيضا وقع خلاف بين الفرنسيين والهنغاريين، فان الأولين كانوا يرفضون الزحف على جزين الا أن الهنغاريين واصلوا الزحف . وساءت بعد ذلك صحة اندراوس فاضطر أن يعود الى بلاده . فسار من عكاء الى طرابلس ومعه ملك قبرس وأمير انطاكية ، وحضر فى تلك المدينة عرس أمير انطاكية (وقد اقترن بأخت ملك قبرس) ثم سافر من هناك الى طرسوس (عاصمة مملكة كيلكية الأرمنية) حيث عقدت خطبة أحد أولاده على ابنة ليون الثاني ملك ارمينيا

وعلى كل فان حملة اندراوس الصليبية أثبتت تفوق الجيوش الأوربية على جيوش السلطان وشجعت جان دى برين على غزوة مصر فى السنة التالية

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة « نوفيل ريفى دى هونجرى » بقلم الاستاذ رينيه جروسيه]

الزوج أسعد من الزوجة

ومزايا الرجل اكثر من مزايا المرأة

يقول بعض الكتاب الباحثين إن النبوغ غير معروف فى النساء، وإن العبقرية وقف على الرجال فقط . وفى الواقع أن التاريخ لا يذكر أن امرأة استنبطت فناً من الفنون أو نبغت فى التصوير أو الشعر أو الموسيقى أو التأليف أو غير ذلك من الأمور . بل غاية ما فى الأمر أنها تحسن التقليد وتطبيق ما تتلقنه عن أساتذة الفن . فهى اذن مقلدة لا مبتدعة

ويقول العلماء أيضاً إن أحسن تعليل للفرق بينها وبين الرجل هو تغير طبيعتها بسبب تغير المراحل التى تتألف منها حياتها . فهى فى بعض تلك المراحل دقيقة الاحساس تحسن انتهاز الفرص ، وفى بعضها لا قيمة للفرصة فى نظرها . ومع انها قد تقوم بأعمال مجيدة فى ميادين العلوم والفنون ، الا أن تلك الأعمال ليست فى شيء من العبقرية

وغني عن البيان ان الرجل أقوى جسما وأمتن عضلا من المرأة . ولذلك لا تستطيع المرأة مجاراته فى الالعاب الرياضية من ركض وقفز وغيرهما . انما هى أقدر منه على المشى فى تيه ودلال

وهى أيضا لا تحسن استعمال مختلف الآلات اليدوية الا ما كان له علاقة بالزي وما ليس فيه شيء من الخشونة . انظر اليها وهى تبرى قلم الرصاص أو تحاول قطع شيء بالسكين فانها تقوم بذلك العمل على وجه يدعو الى الضحك . وإذا اضطرت أن تدق مسماراً فقلما تستطيع ذلك فتطلب من الرجل أن يقوم بتلك المهمة

ومن الجهة الأخرى ـ انظر اليها وهى تسلك الخيط فى الابرة فانها تفعل ذلك بكل اناقة ورشاقة وذكاء

والمرأة بوجه الاجمال أقوى فى شعورها الديني من الرجل وأكثر تمسكا بالاعتقادات والمبادىء الدينية . وهى أيضاً أقوى فى عواطفها ومشاعرها النفسانية . والأرجح أيضا أنها أكثر غروراً من الرجل ، وان تكن آراء علماء النفس تختلف بهذا الاعتبار

أما الوقت فلا قيمة له فى نظر المرأة على الاطلاق . وازدراؤها بقيمة الوقت كثيراً مايسبب لها المتاعب . وأكثرنا يعلم كيف ينفد صبر الرجل إذ يقف منتظراً زوجته للخروج معه ، وبدلا من أن تسرع فى هندامها تقف طويلا أمام المرآة وهو يتنفس من وقت الى آخر مغتاظاً صامتاً وينظر الى ساعته بين الدقيقة والاخرى . وكذلك تفعل المرأة أيضاً إذ تقف أمام التليفون وقتاً طويلا وتطيل الحديث غير عابئة بمرور الوقت ، وزوجها ينتظر بصبر نافد أن تفرغ من حديثها وكثيراً ما تتركه ينتظر ويخل بمواعيده ريثما تفرغ من انجاز هندامها

نعم ان الوقت لا قيمة له فى نظرها أو أنها تقدره بنصف قيمته الحقيقية ، وفى الحقيقة أن المرأة اذا عرض لها القيام بمهمة فانها لا تقدر لانجاز تلك المهمة سوى نصف الوقت الذى تقتضيه ، ولذلك يقول علماء النفس ان الوقت ــ مهما طال ــ يبدو أقصر فى نظر المرأة منه فى نظر الرجل . وعليه تكون حياة الرجل ــ ولا سيما المتزوج ــ أطول من حياة المرأة

ولا شك فى ان الرجال المتزوجين هم ــ بوجه الاجمال ــ أسعد من زوجاتهم . على أن لكل انسان رأيه الخاص فى هذا الشأن ، لأن العلائق الزوجية تختلف باختلاف كل زوجين . والذى لا يستطيع أن يفهمه كل زوج هو : لماذا تتعرض له زوجته فى كل شىء ؟ ولماذا تشكو من أنها ليس عندها ثياب مع أن خزانتها قد تكون ملأى بها ؟ ولماذا تصخب وتتكلم كثيراً ؟ ولماذا تنسى أو تتناسى كل شىء ؟ ولماذا تستفز زوجها الى الغضب كلما سنحت الفرصة ؟ ولماذا تلومه على كل شىء ــ حتى على ما ترتكبه هى نفسها من الأغلاط ؟ ولماذا تكثر من الكلام فى كل ظرف من ظروف الحياة ؟ ولماذا . . ولماذا . . . ؟

[خلاصة مقالة بقلم السيدة هيلين برايس نشرت فى جريدة بلتيمور صن]



الحيوان طبيب نفسه

غريزة تمكنه من علاج أمراضه وجراحه

من درس غرائز الحيوانات ظهرت له حكمة الطبيعة على أجلاها . ولا أدل على هذه الحكمة من أن العجماوات على جميع أنواعها ــ من طيور وحيوانات وأسماك ــ اذا أصيبت بمرض عالجت نفسها علاجا يعجل شفاءها . والمعروف عنها بوجه خاص أنها تعرف بالغريزة خواص بعض الأعشاب وفائدتها فى شفاء الأمراض. وكان الهنود الاميركيون الأقدمون ملمين بخواص الأعشاب لأنهم كانوا يراقبون الطيور والحيوانات تستعملها اذا أصيبت بتخمة أو جرح أو كسر أو ما الى ذلك . فالدببة اذا أصيبت باسهال عمدت الى جذور بعض النباتات . والذئب اذا لسعته الأفعى عمد الى مضغ النبات المعروف بلوف الثعبان

ولا يخفى أن بعض أنواع النسور تسقط على الجيف وتنهشها . ويتساءل الكثيرون كيف لا تصاب تلك الطيور بالعدوى مع ما فى الجيف من جراثيم ومكروبات . والحقيقة أن الطبيعة قد جردت رءوس تلك الطيور من الزغب والريش وليس فى مناقيرها مادة تصلح للجراثيم . وفوق ذلك فانها بعد أن تنهش الجيفة تحلق صعداً فى الجو وتجثم فوق قنن الجبال الشاهقة فى نور الشمس الساطع حيث لا تعيش الجراثيم . فاذا علق بها شىء من الجراثيم لم تحتمل حرارة الشمس ولا

أوكسجين الهواء . ثم ان هذا الطير إذ يجثم على قنة الجبل يبسط جناحيه ويعرضها للشمس لتعقيمها

ومن عادة الطيور والحيوانات انها تستحم لا طلباً للنظافة فقط ، بل للقضاء على أسباب العدوى أيضا . وبعضها تستحم بالماء وبعضها « تستحم استحماما شمسياً » أو فى الوحل أو التراب . وقد شوهدت الدببة فى حديقة « يلوستون » بامبركا تستحم فى الينابيع المعدنية الكائنة فى تلك الحديقة استشفاء من آلام تشعر بها أو استجماما من عناء الشيخوخة

ثم ان الطيور والحيوانات التى تصاب بجرح أو كسر أو ما الى ذلك تعالج نفسها فى الحال وبلا ابطاء . بل لقد يعمد بعضها الى بتر العضو الفاسد أو المكسور . وقد شوهدت مرة فأرة بجانب مصيدة قد وقع فيها أحد صغارها . وهى تحاول بتر ساقه لتنقذه من المصيدة . والمعروف عن فأر المسك أنه اذا أصيب بجرح غطى المكان المجروح بصمغ الشويكران منعا لوصول الجراثيم اليه عند ما يسبح فى الماء . وكذلك تفعل الدببة أيضا وقد تستعيض عن صمغ الشويكران بصمغ نبات آخر أو بالفخار . أما القردة ـ ولا سيا الأورانج أوتانج والشمبانزى والغوريلاـ فانها اذا أصيبت بجرح ضغطت بأيديها المكان المجروح منعا للنزف ثم وضعت على الجرح بعض النباتات العطرية الكاوية

وكسر مرة سنجاب طائر احدى ساقيه . فجثم يريح العضو المكسور وقضى بضعة أيام لا يتحرك الى أن شفيت الساق شفاء تاما . ومما يجدر بالذكر أن معظم الحيوانات البرية اذا أصيبت بجرح طلبت العزلة والراحة التامتين . وبعضها يعمد الى تناول أعشاب مقيئة أو مسهلة تنظيفا للمعدة . والمعروف عن القطط والكلاب أنها اذا شعرت بتوعك عمدت الى أكل بعض الأعشاب المسهلة تنظيفا لأمعائها . وكذلك تفعل الدببة البرية أيضا . أما ذوات الأظلاف فقلما تحتاج الى مسهل ، بل لقد تحتاج بالعكس الى قابض ، وهى تجده فى النباتات ولحاء الأشجار التى يكثر فيها حامض التنيك

واذا أصيب الحيوان بالحمى قصد الى مكان ظليل قريب من الماء ولبث فيه لا يأكل ، وقلما يشرب الى أن ينال الشفاء التام . واذا أصيب بالروماتزم قصد الى مكان تتوافر فيه الحرارة

وكثيراً ما تغير الطيور غذاءها بتغير الفصول . وقد يرحل بعضها من أقليم الى أقليم بقصد تغيير الغذاء . وقد يقطع الغزال المسافات الشاسعة طلبا للمياه التى تتوافر فيها مادة الفوسفات لان هذه المادة لازمة لنمو قرنيه . كذلك تحتاج أناث الطيور الى المواد الكلسية لأجل قشرة بيوضها . وهى تعرف أين تجد تلك المواد

وعلى كل فان الطبيعة قد جعلت للعجماوات غريزة لا تخطىء . وبفضل هذه الغريزة تحسن علاج ما يلم بها من أمراض أو اصابات

[خلاصة مقالة للاستاذ ارتشبالد رطلج نشرت فى مجلة فيرجينيا كوارترلى ريفو]

طريقة سهلة لتعقيم الجروح

الصابون يقتل الميكروبات

مرت على الحضارة أحقاب كثيرة والناس لا يعرفون من خواص الصابون إلا أنه مادة لتنظيف البشرة . على أن الاختبار قد أثبت للصابون مزايا أخرى كثيرة لم يتنبه اليها الناس إلا منذ عهد قريب . وفى الحقيقة أن للصابون مزيتين كبيرتين ـ أولاهما ثانوية وهى أنه وسيلة للتنظيف ، والأخرى ـ وهى الأهم ـ كونه وسيلة للتعقيم أى لقتل الميكروبات ، أو على الأقل لشل نموها وتكاثرها

منذ نحو خمس وعشرين سنة نشر الدكتور « كامسكاس » طائفة من المقالات حاول أن يبسط بها النتائج الباهرة التى توصل اليها فى مهنته الطبية باستعماله الصابون . وكان هذا الطبيب يقيم بالأرياف ويعول على الصابون فى حالات كثيرة ، ولا سيما حيث لم يكن يتوافر لديه أى ضرب آخر من المواد المعقمة . وكان ينصح لمرضاه باستعمال الصابون دائما ويشير عليهم بغسل أسنانهم به . وقد ثبت له أن غسل الجروح وتضميدها بالصابون يعجل شفاءها ، وان استنشاق رغوة الصابون يشفي التهاب تجويف الأنف ، وان استعمال الصابون بسخاء يمنع حمى النفاس ويساعد على شفاء الخراجات والدمامل وغير ذلك

ولم يفتخر الدكتور كامسكاس بأنه هو مكتشف مزايا الصابون المذكورة ، بل قال انه استفاد ما استفاده فى هـذا الشأن مما كان أساتذته يقومون به فى عهد دراسـته ، يوم لم يكن العلم قد اكتشف شيئاً من المواد المعقمة ، ولا عرف صبغة اليود . بل كان الجراحون يعتمدون على الصابون وحده لتطهير أيديهم ولتعقيم غرفة العمليات الجراحية ، وكان تأثير الصابون فى جميع ذلك واضحاً

ولم يكن ثمة شك فى وجود مادة معقمة تدخل فى تركيب الصابون ، وفى أن مادة الصودا التى فيه مادة كاوية

ومرت السنون وبعض الأطباء يتساءلون : هل الصابون مادة معقمة حقيقة أم لا ؟ وكان بعضهم يجيب عنه بالايجاب . وكان الطبيب كوخ الألمانى من منكرى مزايا الصابون ، بينما كان الاستاذ روديه الطبيب الشهير ينسب الى الصابون مزايا كبيرة . ومما ثبت له بعد تجارب كثيرة أن ميكروب الحمى التيفوئيدية لا ينمو فى بيئة مائية اذا كان ٣ فى الألف منها صابونا ، وأن ذلك الميكروب يموت فى الحال اذا كان الصابون واحداً فى المائة من البيئة . وكذلك تموت الميكروبات

المسماة « ستافيلوكوك » وغيرها فى الصابون . وزعم الدكتور « بيلو » أن الصابون يقتل أكثر الميكروبات ويعجز عن بعضها

وقام الدكتوران آشار ولبلان بمباحث أيدت النتائج التى توصل اليها الدكتور كامسكاس وأثبتت أن الصابون من أفضل المواد المعقمة . ولا سيما اذا أضيف اليه الكحول ، وانه يطهر الجروح ولكن يجب عدم الاسراف فى غسل الجروح به لئلا يؤدى ذلك الى تهييج الأنسجة

وألقى الدكتور فنسان خطبة مسهبة فى أكاديمية العلوم بباريس ألقى بها ضوءاً على مسألة الصابون وقيمته من الوجهة الطبية . ومما قاله إنه درس الصفراء (المرارة) فوجد أن لها خاصة التعقيم بسبب المادة الصابونية التى فيها ، وأنها تزيل فعل بعض السموم ـ كالسموم التى تفرزها ميكروبات التيتانوس والدسنطاريا والحمى التيفوئيدية . وطريقة ازالتها أنها تنشىء حولها غشاء دقيقاً تمنع به ضررها . نعم ان تلك السموم تظل مكفنة أو مغشاة ، ولكن وجودها وعدمها فى هذه الحالة سيان . وفى الواقع أن بعض الأطباء يعتقدون أن خاصة التعقيم المنسوبة الى الصابون تنشأ عن كون الصابون ينشىء حول الميكروبات غشاء يحول دون نفثها للسموم

وقد قام أطباء كثيرون بمباحث واسعة النطاق تؤيد الحقائق التى تقدم ذكرها ، ومنها مباحث للدكتورين فيول ولارسون تثبت أن تأثير الصابون يختلف باختلاف الزيوت وغيرها من المواد الدهنية التى يتألف منها ، وان ذلك التأثير يقوى كثيراً جداً اذا أضيف الى تركيب الصابون شىء من المواد المعقمة المعروفة

وعلى كل فان استعمال الصابون يجب ألا ينحصر فى غسل بشرة الجسم فقط . فهو خير ما تنظف به الاسنان يوميا . ونظراً الى ما له من خواص صار يدخل فى تركيب السنون (المادة التى تنظف بها الأسنان) ويقول أحد الأطباء الاخصائيين إن غسل الفم بالصابون يحول دون أمراض كثيرة ويقتل الميكروبات التى تدخل الى المعدة عن طريق الفم

ومما يجدر بالذكر أن تأثير الصابون يظهر على أجلاه اذا استعمل مع الماء الذى تبلغ درجة حرارته الثامنة والثلاثين بمقياس سنتجراد فصاعداً . وعلى كل فان الصابون هو من أفضل المواد المعقمة ومن أرخصها . ويزيد فى مزيته أنه سهل الاستعمال وفى متناول كل امرىء . فلنحرص على استعماله ولنعود أولادنا ذلك ، فاننا نتقى بذلك شروراً كثيرة ونتجنب أمراضاً لا عدد لها

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة الطان للدكتور هنرى بوكيه]

الاله الزنجي

مئات من الامريكيين يدينون لزنجي بالالوهية

في أميركا اليوم كاهن زنجي اسمه الأب « ديفاين » ــ أي الأب الأقدس ــ يدعي الألوهية ، وقد فشا أمره وذاع صيته وصار له أتباع كثيرون . وهو اليوم في نحو الستين من عمره ، أصلع قصير القامة يشف مرآه عن كثير من الوقار والاحترام ، ولا يعلم أحد شيئاً عن ماضيه ، ولكن الذين كانوا يعرفونه في صباه يقولون إنه كان شابا نشيطاً لا يعرف الا الجد ولا يميل الى الهزل

كان هذا الرجل في حداثته يسمى جورج بيكر . بدأ حياته بسيطاً ميالا الى الروحانيات . وكان كثير التفكير في الله وفي اليوم الآخر ، يتردد الى احدى كنائس المعمدانيين ويشترك في الخطب والمواعظ التي تلقى فيها

واتفق ذات يوم أنه سمع قسيساً يسمى صموئيل موريس يشرح قول الانجيل : « ألا تعلمون أنكم هيكل الله وان روح الله مستقرة فيكم ؟ » وقد قال في تفسير هذه الآية ، إنه الله لأن روح الله مستقرة في جسده . فلما سمع الجمهور تفسيره هاجوا وماجوا وقاموا عليه فقذفوا به الى الشارع واتهموه بالكفر

الا أن جورج بيكر عطف عليه وساعده على النهوض . فتوثقت عرى الصداقة بين الاثنين عدة سنوات . وكان القسيس يتردد الى منزل جورج بيكر ويصر على ادعاء الألوهية . وتمكن من اقناع بضعة أصدقاء بصدق دعواه فصاروا يترددون معه الى منزل جورج بيكر . وكانوا يقولون فيما بينهم : « لو لم يكن القس موريس إلهاً كما يدعي لضربه الله وأماته في الحال ! »

وفي سنة ١٩٠٧ ادعى القس موريس بأنه قد ولد ولادة ثانية وسمى نفسه « الأب يهوه » (ويهوه من أسماء الله تعالى) فما كان من جورج بيكر الا أن أعلن هو أيضاً انه قد ولد ولادة ثانية واتخذ لنفسه لقب « الرسول » وفسر هذا اللقب بقوله انه « الله في حالة البنوة » . وظل الاثنان يتعاونان ويبثان دعوتهما ، ولكن لم يتبعهما سوى بضعة أنفار . فعزم بيكر في سنة ١٩١٢ على الانفصال عن رفيقه والقيام بسياحة في البلاد لنشر دعوته . وفي سنة ١٩١٥ وصل الى مدينة نيويورك واستأجر « شقة » في حي بروكلين ذات أربع غرف . وما هي الا بضعة أسابيع حتى تلمذ له سبعة أو ثمانية وصاروا يترددون الى منزله . وأنشأ إذ ذاك مكتباً للاستخدام ، وساعده الحظ فوجد أعمالا لجميع أتباعه . فزادوا تعلقاً به ، والتفافا حوله ، وآمنوا بألوهيته وصاروا يسلمون اليه أجورهم وجميع ما تصل اليه أيديهم من نقود ، وهم يشعرون بسعادة لا توصف

وزاد عددهم بمرور الزمن ، وكان بيكر يوفق الى إيجاد عمل لكل طالب جديد ينضم الى شيعته. وكان مجموع ما يكسبونه من الاجور نحو مائة جنيه على الاقل في كل شهر يدفعونها له كلها وهو يقدم لهم حاجتهم من الغذاء والملبس ، وينام كل ثلاثة أو أربعة منهم فى غرفة من غرف منزله

وفى خريف سنة ١٩١٩ زاد عدد اتباعه فصاروا سبعة عشر . فاضطر إلى التوسيع عليهم فاشترى منزلا بخمسمائة جنيه يشتمل على اثنتى عشرة غرفة فى جزيرة لونج آيلند التابعة لولاية نيويورك . ووقع عقد الشراء بأسم « ماجور ديفاين » ثم ادعى بأنه ولد ولادة روحية ثالثة فولادة رابعة . وبعد ذلك اصبح يدعى الالوهية واتخذ لنفسه اسم « الاب ديفاين » أو الاب الاقدس

واذ كان على جانب عظيم من الوداعة وكرامة الخلق ، كان محبوبا لدى الكثيرين من معارفه وجيرانه . وكان يسعى دائما للحصول على اعمال ووظائف لكل من يقصده ، وفي أغلب الاحيان كان ينجح فى مساعيه . قيل إنه بفضل مساعيه لم يبق شاب فى جزيرة لونج آيلند بلا عمل . وكان أكثر اصدقائه واتباعه من الزنوج ، وكانوا جميعاً يعطونه ما يكسبونه من أجور وهو ينفق عليهم ما يحتاجون اليه من كساء وغذاء ومأوى . وغنى عن البيان أنه كان يجنى من ذلك المكاسب الطائلة ولذلك لم يكن يفرض على اتباعه أية ضريبة ولا يكلفهم تقديم الاعطية المعتادة فى أيام الآحاد . وكثيرا ما كان يقيم لهم الولائم فى منزله ويعظهم بعد تناول الطعام

وكان بين اتباعه رجل زنجي يدعى توماس براون وله زوجة تدعى فيرندا . وكان الاثنان يكسبان أجراً شهريا لا يقل مجموعه عن ثلاثين جنيها ويقدمانه حسب العادة الى الأب ديفاين . وكانا يملكان أيضاً قليلا من العقار والامتعة ، فوهبا جميع ذلك الى أبيهما الروحى فكسبا بذلك ــ زيادة على عطفه ــ لقب ملك (بفتح اللام) ومنذ ذلك اليوم صار جميع الذين يقدمون الى الاب ديفاين ما يملكون من مال وعقار يلقبون « بالملائكة » . الا أنه لم يمر زمن طويل على صيرورة توماس براون وزوجته « ملكين » . حتى ندما ثم انفصلا عن الأب ديفاين واستعادا حريتهما بعد أن خسرا نحو ألف ومائتى جنيه .

ومن خزعبلات الاب ديفاين أنه لا يؤمن بالطب والاطباء ، ويقول إن من كان إيمانه قويا لا يمرض ولا يموت . وقد جمعت هذه النظرية حوله أتباعا كثيرين لا من الزنوج فقط بل من البيض أيضاً ، ومنهم كثيرون من رتبة « الملائكة » ولذلك أصبح على جانب كبير من الثروة ومكنته ثروته من اقامة حفلات شاى مجانية لفقراء المدينة فى كل يوم أحد . وبعد تناول الشاى كان دائما يعظ الضيوف ، ويدعوهم الى الدين الجديد

وزاد صيته ذيوعا حتى اجتذب أنظار رجال الحكومة وحامت حوله الشبهات . وكانت الحكومة تخشى أن يكون دجالا يستعمل طرق « النصب » والاحتيال لابتزاز الاموال من الاغرار البسطاء . لذلك ضربت عليه المراقبة ولكنها لم تجد ما يؤاخذ به أو ما يسوغ مواصلة مراقبته . الا أن ازدياد

أتباعه الى حد تخشى معه الفتنة حمل الحكومة على اعادة النظر فى أمره . فأصدرت أمراً بالقبض عليه فى خريف سنة ١٩٣١ وحاكمته فحكم عليه بالسجن مدة سنة واحدة وبغرامة مائة جنيه . واتفق أنه بعد أن أصدر عليه القاضى هذا الحكم بأربعة أيام توفى بغتة بالسكتة القلبية . وكان رجلا قوى البنية فى الخامسة والخمسين من عمره . فصار الناس يعتقدون أن وفاته كانت عقابا له على حكمه القاسى على الاب ديفاين، ولما استؤنف الحكم برىء الاب ديفاين بعد أن قضى فى السجن خمسة أسابيع كان أتباعه فى خلالها قد زادوا زيادة كبيرة حتى بلغ عدد « الملائكة » فقط نحو ثلثمائة . فلما خرج من السجن عزم على الرحيل الى جهة أخرى ، فذهب الى نيويورك تاركاً وراءه بعض « الملائكة » الشيوخ ليعنوا بأمر الطائفة ، واتخذ لنفسه مقراً فى رقم ٢٠ شارع ١١٥ ولا يزال هنالك الى هذا اليوم

وكثر أتباعه فى هذه المدينة فاضطر الى انشاء رتبة جديدة غير رتبة الملائكة سماها رتبة «الاولاد» وصار يقدم لهم السكن ولا يتقاضى منهم الا شيئاً يسيراً . واستأجر لهذا الغرض تسعة منازل خاصة ونحو عشرين (شقة) وثلاث قاعات لعقد الاجتماعات . وصار يسمى كل منزل وكل (شقة) سماء ويقيم على كل سماء (ملكا) يشرف على شؤونها

ومن ثم اتسع مجال العمل أمامه ، حتى انه يملك الآن خمسة وعشرين مطعماً وست «بقالات» وعشرة دكاكين حلاقة ، وعشرة دكاكين لغسل الثياب وكيها ، وعنده جيش من الباعة المتنقلين يبيعون مختلف السلع والمواد الغذائية لحسابه . أضف إلى ذلك أنه ينشر جريدتين أسبوعيتين تدران عليه الأرباح الطائلة

ويقدر عدد « الملائكة » الخاضعين له فى الوقت الحاضر بنحو ألف يتقاضى من كل منهم ما متوسطه جنيهان كل أسبوع . ويقدر مجموع دخله كل أسبوع بما يزيد على ألفى جنيه ! والغريب أنه لا أحد يدرى أين يضع أمواله ، وقد حاولت الحكومة نفسها أن تعلم أين يضعها لتفرض عليه ضريبة الدخل فلم توفق الى ذلك . ومع ذلك فانه ينفق عن سعة ، يدلك على ذلك أنه حكم مرة على أحد « ملائكته » بدفع غرامة مائة جنيه ، فما كان منه إلا ان أخرج ورقة بنكنوت من محفظته دافعاً الغرامة المطلوبة ، وخرج هو و «الملك» يبتسمان

ولا يزال الناس يلتفون حوله ، إلا أن الكثيرين منهم قد أصيبوا بأعراض تشبه أعراض الجنون . وفى السنين الماضية دخل ثمانية عشر من « ملائكته » مستشفى المجاذيب فى « بلفو » . إلا أن معظم أتباع الرجل لا يزالون يتمتعون بقواهم العقلية ويؤمنون بألوهيته

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة النيويوركر بقلم الاستاذ ماكلواى ولينج]

تقدم العلم والعالم

حب الشباب

ليس بين الأمراض الجلدية الشائعة ما يشوه وجه الشاب أو الفتاة كمرض «الأكنه» أو حبوب الشباب. والرأى الشائع بين الأطباء هو أن هذه الحبوب ناشئة عن سوء التغذية. على أن مباحث العلماء الأخيرة تدل على ما يخالف هذا الرأى، وتكاد تثبت أن هذه الحبوب تنشأ عن جراثيم ميكرسكوبية تنمو فى مسام غدد الجلد فتسدها وتمنع سريان المادة الدهنية من الغدد التى تفرز الدهن. فاذا تآكلت جدران الغدد انطلقت تلك الجراثيم الميكرسكوبية الى أنسجة الجلد ونشأت عنها حبوب الشباب. وليس لدى العلماء براهين قوية على أن هذه الحبوب تنشأ عن نوع معين من الأغذية، ولكن التجارب قد أثبتت أن فى الامكان معالجة هذه الحبوب بحقن المصاب بمحلول السكر وباعطائه غذاء غنيا بالمواد السكرية والنشوية

الغدة التيموسية

هى غدة تقع فى أعلى التجويف الصدرى وفى أسفل الحلق وتوجد تقريبا فى جميع المخلوقات ذوات السلسلة الفقرية. ولا تزال وظيفتها مجهولة، فبعض العلماء يقول إنها تتحكم فى نمو الجسم وبعضهم يعتقد أن لها علاقة بتولد الدم. وقد جاءتنا الآن احدى المجلات العلمية الاميركية بنبأ اذا صح كان له أعظم شأن فى الأوساط العلمية. وخلاصته أن الدكتور آرثر ستاينبرج من علماء معهد فيلادلفيا للمباحث الطبية قد أثبت بتجارب واسعة النطاق أن غدة التيموس التى نحن فى صددها تتحكم فى نمو الجسم وفى نمو النتوءات السرطانية، لأنها تحتوى الخلاصة الكيمياوية المعروفة باسم «جلوتايتون» وهى المادة التى تسبب نمو الجسم. ومن التجارب التى قام بها العالم المذكور أنه أطعم طائفة من الجرذان خلاصة «الجلوتايتون» فلم تمر عليها بضعة أيام حتى نمت نمواً مدهشاً وصارت نحو خمسة أضعاف حجمها الطبيعى. ولما توالدت كانت صغارها ذات حجم هائل. وقد قام الدكتور ستاينبرج بتجارب أخرى من هذا القبيل ثبت له من جميعها تأثير مادة «الجلوتايتون» — أو خلاصة الغدة التيموسية — فى نمو الجسم أو النتوءات السرطانية. ولكن لم يتضح حتى الآن هل الغدة المذكورة تفرز مادة «الجلوتايتون» أم هى بعض مستودع لها

النطق بين الانسان والقردة

لا شك أن أعظم فارق بين الانسان والحيوان هو اتصاف أولهما بقوة النطق. ومنشأ هذه القوة هو فى جزء من الدماغ يسمى «منطقة بروكا» وقد أثبتت المباحث العلمية الدقيقة أن أدمغة جميع الحيوانات خالية من هذه «المنطقة» ما عدا أدمغة الثلاثة القرود التى هى أعلى الأنواع المعروفة، ونعنى بها الأورانج أوتان والغوريلا والشمبانزى. أما سائر أنواع القرود فأدمغتها خالية من المنطقة المذكورة. وقد يكون هذا دليلا على الصلة بين الانسان وأنواع القردة العليا

الوفيات بالسرطان

لا يزال السرطان ثانى الأمراض بالنسبة الى كثرة عدد ضحاياه (وأول تلك الأمراض أمراض القلب) . وتدل الاحصاءات في الظاهر على أن عدد الوفيات بالسرطان فى ازدياد مستمر، ولكننا اذا فحصنا تلك الاحصاءات فحصا علميا ثبت لنا أن زيادة عدد الوفيات ليست حقيقية بل هى زيادة فى الظاهر فقط . وسببها تقدم علم الطب وطرق تشخيص الداء . فقد كان الكثيرون يموتون قديما بالسرطان ولا يدرى الأطباء حقيقة مرضهم . أما الآن فقد تقدم علم الطب فصار فى وسع الطبيب فحص أعضاء الجسم الباطنية ومعرفة ما تصاب به من الأمراض . ومن الأمور التى لها دلالة خاصة أن سرطان الأعضاء الظاهرة فى تناقص محسوس وأن ألوفا من المصابين بهذا السرطان يشفون شفاء تاما بشرط تدارك المرض فى أوائل ظهوره

مرض الكساح

هو مرض يصيب الأطفال . وسببه نقص الفيتامين (د) من غذائهم ولذلك يعالجونهم باعطائهم زيت كبد الحوت ومواد أخرى يكثر فيها الفيتامين المذكور . ومما يجدر بالذكر أن هذا المرض انما يصيب الاطفال فى السنتين الأولى والثانية من حياتهم وقلما يصيبهم بعد تلك السن

ملوك افريقا وزوجاتهم

يقول الأب وارد « الكاثوليكى » الذى عاش مدة طويلة بين متوحشى افريقا إن ملوك بعض القبائل الافريقية يتزوجون زوجات كثيرات بنسبة ما لهم من ثروة وجاه . فملك قبيلة (يعربا) مثلا بساحل العبيد فى غرب افريقا له خمس وسبعون زوجا . ويظهر أن رعاياه غير مرتاحين الى قلة عدد أزواجه لأن أحد رؤساء القبائل الخاضعين له اكثر أزواجاً منه . إذ يبلغ عدد نسائه مائتى زوج وخمس أزواج . ويقول الاب (وارد) ان فى مملكة هذا الرجل عرافة لم يرها أحد سوى الملك وبعض المقربين منه، وهى التى تحدد عدد الازواج اللواتى يجب على الملك أن يقترن بهن . وهى التى تسمى أولاد الملك بأسمائهم عند ولادتهم ، ولها فوق ذلك سلطان عظيم فى ادارة شؤون الملك الخاصة

متى ظهرت الحياة

فى المؤتمر السنوى الذى عقدته الجمعية الجيولوجية الاميركية فى سنسناتى ألقى بعض العلماء خطبا حاولوا أن يثبتوا بها أن الحياة ظهرت على وجه الكرة الارضية بشكل نباتات بسيطة جداً (سموها نباتات فجر الحياة) منذ نحو الف ومئتى مليون سنة . وبعد ظهور النباتات بنحو سبعمائة مليون سنة ظهرت الحياة الحيوانية بشكل كتل هلامية . وقد حاول العلماء المذكورون اثبات نظريتهم هذه بالاستشهاد بآثار الراديوم وغيره من العناصر الكيمياوية فى طبقات الارض وصخورها بطريقة يصعب شرحها فى أسطر قليلة

مرض الدفتيريا والمناعة

المعروف أن حقن الطفل بلقاح الدفتيريا يولد فى الجسم مناعة مدى الحياة ، ولكن يؤخذ من بعض الاحصاءات الطبية أن هذه المناعة لا تستمر مدى الحياة . فقد شوهدت اصابات بالدفتيريا كان المصابون بها قد لقحوا باللقاح الواقى ولكن المناعة لم تدم فيهم طويلا . نعم ان عددهم قليل جداً ولكن قد جعل الاطباء ينقحون آراءهم بشأن مبدأ المناعة

نوع جديد من المورفين

استنبط الدكتور صمول من أساتذة جامعة فرجينيا بأميركا ثلاثة أنواع جديدة من المورفين يظهر أن أحدها (وقد سجله المستنبط برقم ٢٠٠٥٨٥٢١) هو أقوى من المورفين الاعتيادى وأفضل منه من جميع الوجوه ولا سيما من حيث ان استعماله لا ينشىء فى متعاطيه عادة الادمان . وبما أن هذا المورفين أقوى من النوع المعروف فان جرعة صغيرة منه تعوض عن جرعة كبيرة من ذلك النوع ، وتأثيرها يظل مدة أطول من مدة تأثير المورفين الاعتيادى. وتقول المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر إنهم قد شرعوا في تجربة هذا النوع من المورفين على نطاق واسع والاستعاضة به عن النوع المعروف

الغذاء وطول العمر

تدل أحدث المباحث العلمية على أن بين نوع الغذاء الذى يكثر منه الانسان وطول عمره علاقة متينة . وأن الغذاء الذى تكثر فيه الألبان والمواد المستخرجة من اللبن يطيل العمر اذ يكثر فيه الفيتامين (ا) والفيتامين (ز) والمواد الكلسية والبروتاتينية . ولا يخفى أن لاطالة العمر وسيلتين ـ احداهما ابعاد الأمراض عن الجسم ، والأخرى اعطاء الجسم المواد التى تغذيه وتقوى انسجته . والتجارب الواسعة النطاق تدل على أن الغذاء اللبنى أو الذى يدخل اللبن فى تركيبه هو أقدر على اطالة العمر من غيره

تجارة بابل القديمة

بينما كانت بعثة متحف اكسفورد تبحث فى ما بين النهرين عن آثار مدينة (قيش) عثرت على آنية مصنوعة من الفخار الاسود الناعم كانت تصنع فى تلك المدينة وترسل الى مختلف أنحاء العالم . وترجع بعض تلك الآنية الى نحو خمسة آلاف سنة مضت أى الى حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل المسيح . ويظهر أنه كان لمدينة قيش تجارة واسعة مع الهند وبلاد فارس والاناضول وشمال سوريا وغير هذه الاصقاع ، فقد عثر علماء الآثار فى جميعها على آنية وقوارير من النوع الذى نحن فى صدده ، والذى كان يصنع فى مدينة قيش المذكورة مما يدل على قدم حضارة ما بين النهرين واتساع نطاق تجارتها فى تلك الازمنة الخالية

الرومان والكرنب

يعتقد الأوربيون ، ولا سيما الانجليز والفرنسيون ، أن الاكثار من أكل التفاح مفيد للصحة ، ولهم فى ذلك أمثلة معروفة منها قولهم : « من تناول تفاحة فى اليوم استغنى عن الطبيب الى الأبد » . وقد كان للرومان القدماء مثل هذا الاعتقاد فى الكرنب ، ومن أقوالهم المأثورة فيه: « ان الاكثار من أكل الكرنب يطرد المرض »

الحصى الصفراوية

يظهر أن الحصى الصفراوية أو حصى المرارة انما تتكون وتتجمد اذا كانت البيئة قلوية . فاذا كانت البيئة حامضة ذابت الحصى وزالت . وقد قام بعض الاطباء بتجارب لاثبات هذه النظرية ، فنقلوا حصى صفراوية الى مثانة كلب فذابت كلها وانحلت ، لأن صفراء الكلب أكثر حموضة من صفراء الانسان . وقاموا بهذه التجربة عينها فى خنازير غينيا فلم تذب الحصى لأن صفراء تلك الخنازير قلوية

نظرية تمدد الكون

منذ عهد بعيد ادعى الأب (ليميتر) العالم الفلكي البلجيكي بأن الكون آخذ في التمدد ، وبأن السدم السحيقة التي في أطراف الكون مندفعة في الفضاء متبعدة عن مركز الكون بسرعة هائلة كما يستدل على ذلك بحمرة لون النور الذي يصل الينا من تلك السدم ، وهي كلما ابتعدت عنا ازداد لونها احمراراً . وقد سلم اكثر علماء الفلك الحاليين بنظرية الأب (ليميتر) هذه ما عدا القليلين منهم . ومنذ نحو ثلاثة أشهر ألقى الدكتور (هبل) مدير مرصد مونت ويلسون ، وهو اكبر المراصد الفلكية في العالم خطبة في مؤتمر علمي جاء فيها أن هذه النظرية قد تكون صحيحة وقد تكون خطأ وربما كان الفرض الثاني أرجح . وقد انبرى الآن الأستاذ (هاز) العالم النمسوي لتفنيد هذه النظرية بطريقة علمية ، فأثبت بالمعادلات الحسابية أن قوة الجاذبية التي في مركز الكون هي أقوى بكثير من قوة الاندفاع التي تتولد عن انفجار السدم ، والتي بموجبها تتطاير تلك السدم في الفضاء . وبعبارة أخرى أن قوة الجذب التي في مركز الكون تحول دون استمرار السدم في الاندفاع في فضاء الكون الى ما لا نهاية له . ولا بد لتلك القوة من أن تقف السدم المتطايرة وتمنعها من مواصلة الانطلاق على غير هدى

اكتشافات أثرية مهمة

بينا كانت بعثة متحف متروبوليتان الاميركية تقوم بأعمال الحفر منذ عهد قريب في منطقة طيبة (لوكسر) في واد عميق عثرت على قبر فيه صندوق كبير وعلى مقربة منه تابوت صغير . فلما فتحت الصندوق والتابوت وجدت في أولهما بقايا حصان وفي ثانيهما بقايا قرد صغير . واتضح أن كلا القرد والحصان كانا ملكا لرجل يدعى « صنموت » عاش في مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح ، وكان رجلا عصاميا أصبح من أعظم رجال الدولة في زمانه لذكائه وسعة حيلة أمه . ولا يخفى أن الهكسوس أو الملوك الرعاة هم الذين أدخلوا الحصان الى مصر حوالي سنة ١٧٠٠ ق . م . والحصان الذي نحن في صدده هو بقايا الحصان الوحيد الذي انتهى الينا من أهل ذلك الزمن

والاكتشاف الذي وقفت اليه البعثة الاميركية يلقي نوراً ساطعاً على جزء من تاريخ ذلك العصر ، وهو العصر الذي حكمت فيه الملكة « حتشبسوت » على مصر . وخلاصة حكايتها أنها اغتصبت العرش من ابن زوجها (وكان في الوقت عينه ابن أخيها لأنها كانت زوجة لأخيها حسب عادات الملوك في ذلك الزمن) ولم تكتف بأن جلست على العرش كملكة ، بل لبست بعد قليل لحية مستعارة وتسمت باسم ملك واتخذت لها بطانة كسائر ملوك ذلك العصر . وكان « صنموت » من أقرب المقربين اليها لأن أمه (واسمها هات - نوفر وكانت من العامة) كانت خادما ثم أصبحت قهرمانة (أي وكيلة الدخل والخرج في قصر الملكة) ومع إنها كانت أمية لا تعرف القراءة والكتابة ، وكان زوجها فقيراً وقد مات فقيراً ، إلا إنها كانت على شيء كثير من الذكاء الفطري ، وكانت تنصح ابنها بما يجب عليه أن يفعله ، وبفضل نصائحها وصل الى المركز الذي وصل اليه في قصر الملكة وأصبح صاحب الأمر والنهي في طول البلاد وعرضها

جمجمة انسان جديد

بينما كانت بعثة علمية ألمانية برآسة الدكتور كوهل لارسن تبحث فى السنة الماضية عن البقايا البشرية فى منطقة بحيرة تانجانيقا بافريقيا ، عثرت على جمجمة بشرية قديمة العهد يظهر أنها من الحلقات المفقودة بين الانسان وأسلافه القردة . وقد أتيح للدكتور ليكى العالم الأنثربولوجى الشهير درس هذه الجمجمة فى متحف برلين للتاريخ الطبيعى فحكم بأنها جمجمة انسان افريقى من أهل العصر الحجرى ، وأنه عاش على الأرض منذ نحو ثلاثين ألف سنة على الأقل

اكبر رقم فى الوجود

هل تعلم ما هو اكبر رقم لاشياء لها وجود حقيقى فى العالم ؟ هو الرقم الدال على الايلكترونات — أو الومضات الكهربائية — التى تتألف منها مادة الكون على الأرض وفى الأجرام العلوية . وهذا العدد يعبر عنه بالرقم « ١ » والى يمينه مائة وعشرة أصفار . واذا كان عند القارىء شك فى ذلك فما عليه الا أن يشرع فى عد الايلكترونات ! . .

الكحول فى الجسم

لم يوفق العلماء حتى الآن الى معرفة ما يحل بمادة الكحول بعد دخولها الجسم . فمن قائل انها تحترق وتزول ، ومن قائل انها تتحول الى مادة أخرى تدخل فى تركيب أنسجة الجسم . ولعل الفرض الأخير أقرب الى الحقيقة . لذلك يسعى بعض العلماء فى أميركا اليوم الى استقصاء هذه الحقيقة

الزنوج والسرطان

يظهر أن الزنوج غير معرضين للسرطان كالبيض ولا سيما سرطان الجلد . ولا يعلم الاطباء سبب هذه الظاهرة ، ولكن بعض الأطباء يزعمون أن للمادة الملونة التى فى جلد الزنجى أثرا فى منع السرطان أو تقليل الاصابة به

طرائف علمية

* سيكون الزى القادم فى الاسنان الصناعية من نوع متين من الزجاج ذى لون أقرب الى اللون الطبيعى رخيص الثمن سهل الصنع . وقد بدأ بعض أطباء الاسنان بكندا باستعمال هذه الاسنان فلقيت رواجا عظيما

* من أغرب الأمور التى ذكرها بعض المؤرخين أن اليونان فى زمن « هوميروس » الشاعر كانوا ينظرون الى اللبن الحليب نظرة احتقار ، ويعتبرونه من المواد الغذائية التى لا تليق الا بالمتوحشين . ولم تتغير نظرتهم هذه الى اللبن الا فى عهد الاسكندر

* ثبت بالاختبار أن الطماطم الخضراء التى تطبخ كما تطبخ البقول أو التى « تخلل » تحتفظ بكل ما فيها من فيتامينات وتصلح للتغذية

* حاول بعضهم زرع أرز لبنان فى ولاية انجلند الجديدة بأميركا فأخفقت التجربة . ثم أعيدت وجىء بشجيرات (فسائل) من جهات باردة فى لبنان وزرعت فى مشجر جامعة هارفرد فنجحت التجربة ونمت الشجيرات ويبلغ ارتفاع بعضها الآن نحو أربعين قدما

كتب جديدة

القصر المسحور

للدكتور طه حسين بك والاستاذ توفيق الحكيم

دار النشر الحديث . صفحاته ٢١١

«فى قرية نائية من قرى فرنسا ، وفى صحبة شهرزاد الآسرة الفاتنة ، قضى أديبانا شهراً من أشهر الصيف الماضي « يعبثان بأنفسهما وبالحياة » هذا العبث الذى تذيعه قصتهما فى الناس ! . .

ستقول : ويح عقلك ! أتزعم أن شهرزاد التى كانت تحيا فى بغداد منذ مئات السنين ، تقيم اليوم فى فرنسا تتحدث وتستمع الى الناس ؟ ! ولكن رويدك ، فما كانت شهرزاد الا علماً على المرأة أنى عاشت أو أقامت ، ورمزاً لهذه التى « هي كل ما كان ، وكل ما يكون ، وكل ما سيكون . . » . .

وإذاً فموضوع القصة هو طرف من هذه الأحاديث التى تجد حتى تجهد وتضنى ، وتهزل حتى تطرب وتستخف ، لأنها تدور بين المرأة التي تمثلت فيها حواء وبناتها جميعاً ، وبين خيال الأديب الذى يختزل أجيال الماضى وأنحاء الدنيا فى الساعة التى يحياها والمدى الذى تبصره عيناه

تقرأ هذه القصة فاذا بك تنتقل من مشهد طريف فيه لهو وعبث إلى فكرة عميقة تمس الزمن والخلود ، أو من كلمة هازلة فيها نقد وسخر، الى بحث شائك يمس الدين والخالق ، فبينا أنت فى سرحة هذا الخيال الذى يخلقه الأدب الحى الرفيع ، إذا بك تصطدم برأى خطير يلقى به عقل مفكر ناضج ، ثم اذا بالأسلوب الدافق أو الحوار الشائق يتخطى بك هذه الفكرة التى اعترضتك دون أن ينسيك أن تردد فيها فكرك بعد هذا مرة ومرات

خطف رجال شهرزاد توفيق الحكيم وسجنوه ، فتنكر شهرزاد أنها هى التى أمرت أن يفعل به هذا ، فيسألها كيف يخالفها رجالها عما تريد ، فتقول :

شهرزاد : ثق ان الملوك بل الآلهة لايستطيعون دائماً أن يصنعوا كل ما يشاءون !

توفيق : وماقيمة هذا الاله الذى لايستطيع أن يصنع كل ما يشاء !

شهرزاد : وهل يتصور كون منظم يدبره إله يستطيع أن يعبث بكل ما يشاء وقتما يشاء ؟!

هذه فكرة دقيقة شائكة ، ولكن الكتاب ساقها فى سهولة لا تشعر القارىء بأنه مقدم على موضوع يعجز التفكير . .

وهل من عجب أن يجتمع فى هذا الكتاب الاسلوب السلس والخيال الطريف، وقد اجتمع فيه هذان الأديبان

الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى

للاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك

مطبعة النهضة . صفحاته ٥٨١

للثورة العرابية — كغيرها من الثورات — أنصار يمجدون رجالها ويشيدون بمبادئها ، وخصوم يتجنون على زعمائها ، ويشوهون صورتها

لهذا كنا فى حاجة الى المؤرخ الذى يقف

من الثورة موقف القاضي العادل، يردد الفكر فى أقوال الأنصار والخصوم على السواء، ويستقرىء الحوادث ويدرس الرجال بدقة ونزاهة ليستخلص الحقيقة مجردة من المحاباة خالية من التحامل. وهذا ما قام به الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك بتأريخ هذا الدور الخطير المجيد من أدوار حركتنا القومية، لأنه آثر ألا يحكم للثورة أو عليها قبل أن يدرس عواملها ويمحص وقائعها، وآثر كذلك ألا يخلط بين الوقائع التى يسوق رواياتها، والآراء التى عنت له فأبداها

بدأ الكتاب باجمال الحالة السياسية فى أثناء الفترة التى تقدمت الثورة، وما اقترحه شريف باشا من نظام دستورى يرضى الشعب ويؤلفه حول العرش. ثم تحدث عن أسباب الثورة العامة التى ترجع إلى تذمر الشعب من النظام السياسى القائم على استبداد الحكام واضطهاد الرعية، ومن النظام الاقتصادى الذى أثقل الحكومة بالديون الفادحة كما أرهق الفلاح وأشقاه، وذكر الأسباب المباشرة التى تنحصر فى تذمر الضباط الوطنيين من رؤسائهم الشراكس والأتراك

وانتقل من هذا الى بيان الوقائع التى حدثت فى قصر النيل وسراى عابدين فأدت إلى إعلان الدستور وإنشاء مجلس النواب الذى اضطلع خلال حياته الوجيزة بكثير من الأعمال القيمة، فدل على كفاءة مصر للحياة الدستورية منذ خمسين سنة ونيف. وتدرج من هذا الى الحديث عن الفتن والأحداث التى قامت فأدت الى انفضاض المجلس واحتدام الخلاف بين الخديو والوزارة والجيش، ثم ما تلا هذا من حضور الأسطولين الانجليزى والفرنسى منذرين بالشر والعدوان، وما وقع فى الاسكندرية من مذبحة خطيرة لا شك فى انها دبرت لتبرر للاسطول الانجليزى ضرب الاسكندرية واحتلال مصر. وبعد أن سرد بافاضة وقائع الثورة وتفاصيل الحرب التى انتهت بهزيمة العرابيين، عقد فصلين قيمين درس فى أحدهما زعماء الثورة فأبان عناصر القوة ومواضع الضعف فى كل منهم، وبحث فى ثانيهما أسباب اخفاق الثورة وانكسارها

ولا شك فى أن هذا الكتاب الذى استقيت معلوماته من أصدق الوثائق وأصح المصادر، ومحصت وقائعه ما دق منها وما جل تمحيصاً وافياً، ثم فسرت أحداثه تفسيراً دقيقاً نزيهاً، هو خير تاريخ لهذه الفترة الخطيرة المجيدة، التى وجهت حياتنا دهراً طويلا، والتى ما زالت نتائجها متصلة بنا أوثق اتصال

عالم السدود والقيود

للاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة حجازى . صفحاته ٢١٩

من أقدر من الشاعر الذى فطر على الحرية، والمفكر الذى نذر عقله للحرية، على أن يتحدث عن غيابة السجن وأصفاده، فيبث الألم والأسى، ويثير العطف والرحمة، ويستفز النفس غضباً وغيظاً؟.. أجل من أقدر من العقاد على وصف تلك الغيابة الرهيبة التى ظل تسعة أشهر يقاسى آلامها المرة بقلبه الشاعر، ويطيل الفكر ويردده فى ظلامها الموحش بعقله الناضج، فاذا ما تحدث عنها نفذ الى صميم النفس فأثارها؟!

يقدم الاستاذ العقاد فى هذه الصفحات خلاصة احساسه وتفكيره تسعة أشهر طويلة قضاها رهين السدود والقيود، فصور كل ما يقاسيه السجناء من غير وخطوب وأحداث، وكل ما

يحيط بهم من مساوىء ورذائل وآلام ، فى حديث تتخلله فكاهة رقيقة ساخرة ترفه على القارىء وتهون عليه هذا الألم الذى يراوحه وهو يطالع فصول الكتاب

فبينما هو يتحدث عن تلك الليلة القاسية التى قضاها فى مستشفى السجن أرقاً يسمع أنين المرضى والجرحى ، ويرى مناظر كريهة ، إذا به ينتقل الى هذه الحوادث الفكهة التى يرويها عن خادمه الساذج البسيط . وبينما يشمئز القارىء من تلك المساوىء التى يقارفها السجناء ، إذا به لا يقنط حين يفكر فى هذه الآراء السديدة التى يبديها الكاتب فى اصلاح السجون

وبعد ، فان هذا الشعور القوى الصادق الذى يسرى في الكتاب، يذكر المرء بهذه الأغنية الشجية الرقيقة التى أنشدها أوسكار وايلد فى سجنه، إذ أن الشعر هو الشعر سواء جاء منثوراً أم كان منظوما . .

احياء النحو

للاستاذ ابراهيم مصطفى

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

صفحاته ٢٠٠

هذا بحث خطير فى النحو وقواعده ، يغير النهج القديم المألوف الذى ضاق به التلاميذ والطلاب قديماً وحديثاً ، ويضع أصولا جديدة مبتكرة يراد بها تقريب المتعلمين الى العربية ليتفقهوا — عن طريق النحو — بأساليبها ومبانيها

وقد استخلص الاستاذ المؤلف هذه الفكرة بعد دراسة طويلة دقيقة شاقة ، تتبع فيها أبواب النحو وأقوال النحاة من قدماء ومحدثين ، ودرس شعر العرب ونثرهم ليتبين أوجه الاختلاف والاتفاق بين البيان العربى الصحيح وقواعد النحو المرسومة ، حتى انتهى الى أن للنحو نوعين من القواعد أحدهما لا يختلف فى النحاة كثيراً ، ولهذا يسهل درسه والتزامه ، والآخر يشتد فيه جدل النحاة وخلافهم فيفنى دارسه ولا يسعفه بعد هذا بالقول الفصل فى مواضع الاختلاف. أما الأول منهما — فانه على يسره وبساطته — هو الذى لابد منه للمتكلم والمستمع لانه يوضح المعنى ويبرزه ، وأما الثانى — فرغم ما يستدعيه من جهد وعناء — إلا انه لا فضل له فى تصوير المعنى ، فسواء رفعت الكلمة أم نصبت فان المعنى الذى أراده القائل والذى أدركه السامع لا يتغير ولا يختلف . ولو كان فى تبديل حركات الاعراب تبديل فى المعنى لكان ذلك هو الحكم بين النحاة فيما اختلفوا فيه . فاذا لم يكن لعلامات الاعراب فائدة فى تصوير المعنى فلم تبق ولم نجهد فى دراستنا ؟ !

وقد وصل المؤلف بعد تتبع الشعر والنثر القديم الى هذه النتائج :

(١) ان الرفع علم الاسناد . ودليل أن الكلمة يتحدث عنها

(٢) أن الجر علم الاضافة ، سواء أكانت بحروف أم بغير حروف

(٣) أن الفتحة ، ليست بعلم على الاعراب ، ولكنها الحركة الخفيفة المستحبة، التى يحب العرب أن يختموا بها كلماتهم مالم يلفتهم عنها لافت ، فهى بمنزلة السكون فى لغتنا الدارجة

(٤) ان علامات الاعراب فى الاسم لا تخرج عن هذا الا فى بناء ، أو نوع من الاتباع

هذه جملة أحكام الاعراب التى يطرد حكمها فى جميع أبواب الاعراب . فلو أقمنا علم النحو على هذه القواعد المبسطة الميسرة لسهلت دراسته والتزامه ، ولأمكن تذوق البيان العربى

على وجهه الصحيح

وقد اقتصر الاستاذ فى هذه الرسالة على اعراب الاسم ، لأنه أسهل على الفهم وأدنى الى الوضوح من إعراب الفعل الذى أرجأه الى رسالة أخرى ، نرجو أن يتحفنا بها المؤلف قريبا فقد استطاع فى هذا الكتاب - كما قال الدكتور طه حسين فى مقدمته الطريفة الممتعة :

« أن يفتح للنحويين طريقا إن سلكوها فلن يحيوا النحو وحده ، ولكنهم سيحيون معه الأدب العربى أيضا »

وحى الصحراء

للاستاذين محمد سعيد عبد المقصود

وعبد الله عمر بالخير

مطبعة عيسى البابى الحلبي . صفحاته ٤١٦

هذه طائفة من القصائد والفصول اختيرت من الأدب الحديث فى بلاد الحجاز ، التى يجهل أبناء العروبة كثيراً من شئونها برغم ما بينهم وبينها من صلة الدم والأصل ، وبرغم ما يدينون لها به من أدب ودين ، ولهذا نرحب بهذا الكتاب أجمل ترحيب لأنه يعطينا صورة صادقة عن الحياة الأدبية الناشئة فى تلك البلاد

والكتاب يتحدث عن نخبة من الشعراء والناثرين الحجازيين ، فيبدأ باجمال سيرة حياتهم واتجاههم الأدبى ، ثم بمجموعة مختارة مما جادت به قرائحهم من شعر ونثر . وقد افتتحه المؤلفان بمقدمة مسهبة تتبعا فيها أطوار الأدب العربى فى الحجاز منذ نشأته الأولى الى اليوم ، فأبانا ما اختلف عليه من أدوار القوة والضعف ، وأوضحا متجهه ومنزعه فى العهد الأخير الذى بدأ ينهض فيه ويستعيد شيئاً من مجده التليد

وقد صدر الدكتور محمد حسين هيكل بك الكتاب بمقدمة قيمة تحدث فيها عن أبناء النهضة الفكرية الناشئة فى الحجاز ، فقال انهم أبناء النهضة الحديثة التى شملت البلاد العربية جميعاً ، وليسوا أبناء العروبة القديمة فى تفكيرهم وتعبيرهم ، فقال : « وقل أن تقف عند شىء يشبه القديم من الأدب العربى ، فالأسلوب والصور وطرائق التفكير والتعبير تجرى كلها مجرى ما تقرؤه فى أدب مصر وسورية والعراق وغيرها من البلاد العربية فى هذا العصر الأخير »

وانه لجدير بأبناء العروبة أن يطالعوا هذا الكتاب الذى يربطهم بتلك البلاد التى كانت مهد الأدب العربي ، ومنزل الوحى على النبى العربى ، ولا سيما وأنه قد كتب بأسلوب سهل رصين ، وزين بصور جميع من تناولهم من الأدباء والكتاب

تاريخ التربية

للاستاذ عبد الله مشنوق

مطبعة الكشاف ببيروت . صفحاته ٢٢٥

ما زال ينقص نهضتنا التعليمية كثير من الكتب التى تبحث فى مسائل التربية وتطور طرقها وأساليبها ، والتى تزود المعلمين بما يلزمهم من أقوال المربين قديما وحديثاً

فالكتاب الذى بين يدينا يسد فراغاً يحسه كل من زاول التربية والتعليم ، لأنه يقدم صورة واضحة مبسطة لتاريخ التربية من أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر . فبدأ بأربعة فصول بحث فيها التربية فى العصور التى سبقت التاريخ ، ثم فى بلاد الشرق ، ثم عند اليونان والرومان . وتلا هذا عرض مسهب للتربية المسيحية والتربية العربية الاسلامية . وانتقل من هذا الى العصر

الحديث وما استجد فيه من نظريات علمية غيرت كثيراً من القواعد القديمة المقررة ، فشرح النزعات التي أقامها علماء التربية والنفس على أسس من المباحث الدقيقة والتجارب الواقعية . وقد استطاع فى هذه الناحية بكثير من البراعة أن يبسط هذه الآراء ويوضح غوامضها ويذلل عقباتها أمام الدارسين

واعتمد المؤلف على طائفة من الكتب العلمية الدقيقة التى وضعها أساتذة التربية فى أوربا وأمريكا ، فجاء الكتاب وافياً بموضوعه دقيقاً فى فى بحوثه ، واضحاً فى شروحه

تاريخ العراق

حكومة الجلايرية

للاستاذ عباس العزاوى

مطبعة بغداد الحديثة . صفحاته ٤٢٠

يتناول هذا الكتاب الضخم فترة من تاريخ العراق وقع فيها تحت الحكومة الجلايرية التى قامت سنة ١٣٣٨ م وسقطت سنة ١٤١٦ .

وقل بين أبناء العربية من يعرفون شيئاً عن هـذه الحكومة التى سيطرت على العراق زمناً طويلا ، ولهذا فان الكتاب يسد نقصاً ملموساً فى مؤلفاتنا التاريخية

وقد كانت الفترة التى قامت فيها الحكومة الجلايرية فترة عصيبة فى تاريخ العراق ، ذاق فيها كثيراً من الظلم والاضطهاد الذى بثه العنصر التترى فى كل مكان بسط عليه سلطانه . وقد صور الكتاب حياة العراق فى أثناء هذا الحكم الظالم تصويراً شاملا وافياً ، لأنه اعتمد على مجموعة كبيرة من الكتب التى تشتتت فى ثناياها أخبار الحكومة الجلايرية وحالة العراق فى أيامها. وقد قسمت هذه الفترة التي يتناولها الكتاب الى سنوات روى المؤلف ما وقع فى كل منها من أحداث هامة ، وما قام فى أثنائها من رجال معروفين وأسهب فى الحديث حتى جاء كتابه جامعاً لكثير من الأمور الجليلة والدقيقة

وقد أصدر المؤلف كتاباً آخر عن العراق تناول الفترة التى سبقت حكم التتار ، فلعله يتم تأريخ حياة العراق على هذا النمط من الدقة والاسهاب

رئيس مجلس الوزراء

وتطور النظام البرلمانى فى فرنسا

Le Président du Conseil et l'évolution du parlementarisme en France.

للدكتور يوسف هيكل

مطبعة رودشتين بباريس . صفحاته ٥٣٦

الدكتور يوسف هيكل من كبار علماء القانون والاجتماع وله عناية خاصة بجميع المباحث القانونية والقضائية والسياسية والفلسفية . وقد أتحفنا بنسخة من مؤلفه الفرنسى الجديد « رئيس مجلس الوزراء وتطور النظام البرلمانى فى فرنسا » ، وقد حاول المؤلف فى كتابه هـذا أن يبسط باسهاب نشوء النظام البرلمانى فى فرنسا وشوائب هذا النظام ومركز رئيس وزراء فرنسا من الوجهة القانونية ومن وجهة التقاليد . وألحق بذلك بحثاً ممتعاً فى سير بعض مشهورى رؤساء الوزارة الفرنسية بعد الحرب وفى مقدمتهم بوانكاريه وبريان ولافال وبلوم . ثم بسط المغزى السياسى الذى أسفرت عنه الانتخابات النيابية فى فرنسا فى سنة ١٩١٩ و ١٩٢٤ و ١٩٢٨ ١٩٣٢ و ١٩٣٦ وشرح نظام الأحزاب واللجان البرلمانيـة وحقوق النواب واقتراح القوانين المالية وحق الرقابة على النفقات ، وتناول بعد

ذلك القوانين التي صدرت بعد الحرب بتخويل السلطة المطلقة ، وبحث في مركز رئيس الوزارة ومبدأ عدم الجمع بين سلطتين فأكثر وفي مسألة الثقة الوزارية وضرورة تقرير حق حل البرلمان ووسائل تنفيذ ذلك ، وهلم جرا من المباحث الشائقة التي خاضها المؤلف ببراعة فائقة وأسلوب يدل على طول باع في هذه المباحث العويصة والكتاب مصدر بمقدمة للاستاذ هارولد لاسكي استاذ العلوم السياسية بجامعة لندن

المحفوظات الملكية في مصر

وأسباب الحملة المصرية على سوريا

The Royal Archives of Egypt and the Origins of the Egyptian Expedition to Syria

للدكتور أسد رستم

المطبعة الامريكية في بيروت . صفحاته ١١٦

هذا الكتاب هو الحلقة الثامنة من سلسلة مباحث تاريخية تقوم بنشرها جامعة بيروت الامريكية لطائفة من العلماء الأثبات . ومؤلف هذه الحلقة هو أيضا مؤلف الحلقات الثلاث الأولى التي تبحث في تاريخ سوريا تحت حكم محمد علي باشا مؤسس الأسرة العلوية ، وهو أستاذ التاريخ الشرقي بجامعة بيروت الامريكية . وقد حاول في الحلقة الثامنة التي نحن في صددها أن يبسط الأسباب الرسمية ثم الأسباب الحقيقية التي حملت مصر على توجيه حملة على سوريا (سنة ١٨٣١) . فأما الأسباب الرسمية فتتعلق بمسألة عبد الله باشا والي عكا الذي استنجد بمحمد علي باشا وبمسألة الاصلاحات التي أريد ادخالها على السلطنة العثمانية . وأما الأسباب الحقيقية فكانت سوء نية الباب العالي واستقلال مصر والاعتبارات الجغرافية التي تجعل مصر وسوريا وحدة طبيعية وغير ذلك من الأسباب التي بسطها المؤلف بأسلوب قوي دقيق

والكتاب موضوع باللغة الانجليزية وقد طبع طبعاً متقناً وفيه صور زنكوغرافية لكثير من المستندات الرسمية وهي باللغة التركية

المتنبي

Al Mutanabi

بحوث للمعهد الفرنسي بدمشق

المطبعة الكاثوليكية بيروت . صفحاته ١١٤

هو بحث ممتع نشره المعهد الفرنسي بدمشق باللغة الفرنسية بمناسبة احتفال جميع الأقطار العربية بمرور ألف سنة على أبي الطيب المتنبي . والبحث مقسم الى ستة موضوعات وهي (١) المتنبي قبل عصر الاسماعيلية ، وقد وضع هذا البحث ماسينيون الاستاذ بكلية فرنسا (٢) حلب في عصر سيف الدولة ، وقد وضع هذا البحث الاستاذ سوفاجيه السكرتير العام للمعهد الفرنسي بدمشق (٣) عصبية المتنبي ومغزاها من الوجهة التاريخية ، وقد وضع هذا البحث الاستاذ ليسير العضو بالمعهد الفرنسي بدمشق (٤) حياة أبي الطيب المتنبي وشعره للمسيو بلاشير الاستاذ بالمدرسة الأهلية لتعليم اللغات الشرقية الحية (٥) المتنبي وأسباب شهرته للمسيو دوممبين عضو المعهد والاستاذ بجامعة باريس (٦) المتنبي وحروب الروم للمسيو كانار الاستاذ بجامعة الجزائر

فنشكر للمعهد الفرنسي بدمشق عنايته بدراسة هذه النواحي من سيرة المتنبي والسعي في نشرها بين المتكلمين باللغة الفرنسية

بين الهلال وقرائه

المتر واليرد

(بيروت — لبنان) مترى خليل

على أى شىء بنى الفرنسيون قياس المتر ، والانجليز قياس اليرد ؟

(الهلال) اليرد هو قياس انجليزى مقداره ثلاث أقدام . وقياس القدم مأخوذ عن قياس القدم البشرية . أما المتر فهو قياس توصل اليه بعض المهندسين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر وهو يعادل جزءاً من عشرة ملايين جزء من المسافة التي بين القطب الشمالى وخط الاستواء . واليارد نحو ٩١٤ جزءاً من الف جزء من المتر أو هو ٩١٤ ملليمتراً

ومما يجدر بالذكر أن الرومان القدماء كانوا يستعملون القدم فى مقاييسهم وكانت القدم الرومانية تنقص عن القدم الانجليزية الحديثة نحو ثلث بوصة

مستوى البحار

(بيروت — لبنان) ومنه

يقيسون ارتفاع الجبال دائماً باعتبار ارتفاعها فوق مستوى البحار . فهل هذا المستوى ثابت أم هو متغير؟

(الهلال) مستوى ارتفاع الماء فى جميع البحار واحد ، وهو ثابت لا يتغير إلا فى حالتى المد والجزر بتأثير جاذبية القمر

جرم الشمس

(القدس — فلسطين) مشترك

هل جرم الشمس جامد أم غازى . واذا كان مجموعة غازات فلماذا لا تتشتت هذه الغازات فى الفضاء ؟

(الهلال) الشمس جرم غازى وغازاتها منضغطة كثيفة . وهذه الغازات هى العناصر الموجودة على الكرة الارضية بعينها وقد استحالت غازات بسبب شدة حرارة الشمس التى قد صهرتها . أما سبب عدم تشتتها فى الفضاء فهو قوة الجاذبية فى مركز الشمس . فهذا المركز يجذب تلك الغازات جذباً شديداً ويضغطها ضغطاً يجعل ثقلها النوعى اكثر من ثقل الماء بنسبة مائة (للماء) الى ١٤١ لمادة الشمس

فلك الارض

(القدس — فلسطين) ومنه

ما هو حجم الفلك الذى تدور فيه الارض كل سنة حول الشمس ؟

(الهلال) هو دائرة متوسط قطرها نحو مائة وستة وثمانين مليون ميل

الورق النشاف

(القدس فلسطين) ومنه

كيف ينشف الورق النشاف الحبر ؟

(الهلال) يختلف الورق النشاف عن الورق العادى بتركيبه . فاليافه رخوة غير محكمة بحيث أنها تجعل للورق مسام كثيرة . وهذه المسام تمتص الحبر بقوة الجاذبية الشعرية التى فى الورق . والورق الاعتيادى أشد كثافة منه فمسامه لا تمتص الحبر

حاجة الانسان الى النوم

(عمارة — شرق الاردن) خ . ع .

لماذا يحتاج الانسان الى النوم ؟

(الهلال) يحتاج الانسان الى النوم لتجديد نشاط ألياف العضلات . ذلك لأنه فى أثناء النوم يجرى الدم فى جميع أجزاء الجسم فيغذى ألياف العضلات ويعيضها ما فقدته فى أثناء الجهد الذى قامت به فى ساعات اليقظة

هل يستطاع الاستغناء عن النوم

(عمارة — شرق الاردن) ومنه

هل يستطاع الاستغناء عن النوم بقوة العادة ؟

(الهلال) لا يمكن الاستغناء عنه أبداً . نعم ان بعض الاشخاص لا ينامون سوى بضع ساعات من كل

أربع وعشرين ساعة . ولكن الاستغناء عن النوم جانباً مناقض لناموس الطبيعة لأن الراحة لازمة لكل جسم حى ، بل هى لازمة للجماد نفسه . وما دامت كل حركة من حركات جسم الانسان تستنفد جانباً من النشاط فلا بد من تعويض الجسم ما استنفده والا فنى وتلاشى . ولا يخفى أن هنالك حيوانات كثيرة تنام نوماً طويلا فى فصل الشتاء أكثر مما تنام فى فصل الصيف . ويكفى الانسان أن ينام خمس ساعات فى كل ٢٤ ساعة بشرط أن يكون نوماً هادئاً مريحاً لا يشوبه أى قلق أو اضطراب

معالجة الصم البكم

(هيكات — جمايكا) حليم حداد

سمعنا أن فى مصر طبيباً لمعالجة البكم الصم . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) فى مصر أطباء كثيرون مشهود لهم بالكفاية والدراية . ولكننا لا نعرف طبيباً اخصائياً فى معالجة الصم والبكم . وفى معظم مدن أوربا وأميركا يعهد فى معالجة الصم والبكم الى معاهد خاصة تقوم — الى جانب معالجتهم — بتعليمهم بعض المهن والصناعات ليرتزقوا منها

اللحم النيء

(داكار — سنغال) عبد المجيد علباوى

ما رأيكم في أكل اللحم النيء — هل هو مفيد للصحة أم مضر بها ؟

(الهلال) لا نعلم أى اللحوم النيئة تقصدون . فلحوم الاغنام والعجول والبقر مفيدة جداً لو استطاع الانسان أن يأكلها نيئة ، لأن طبخها يذهب بجانب كبير من الفيتامين الذى فيها . ولا شك أن ما تتمتع به الحيوانات الضارية من قوة هائلة يرجع بالاكثر الى ما تزدرده من اللحوم النيئة . ثم ان الكثيرين من الاطباء يشيرون اليوم على المصابين بمرض السل والامراض الصدرية بأكل اللحوم النيئة ، وبعضهم يشير بأكل لحوم الخيل نيئة ،على أن الافراط فى أكل اللحوم النيئة قد يؤدى إلى نشوء الدودة الوحيدة فى الجسم ويضر المصابين بالجذام

تعريب الألفاظ

(طهران — إيران) احمد ايزد برست

لماذا عربوا بعض الالفاظ كلفظة (اندازه) بهندسة ولفظ (اندام) بهندام الخ مع أن حروف الكلمات الأصلية موجودة في اللغة العربية فلا حاجة إلى الاستعاضة عنها بحروف تقاربها فى النطق ؟

(الهلال) لم يضع العرب قواعد صريحة للتعريب . وانما وضعوا مبادىء عامة أساسها نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية بأقل ما يكون من الكلفة مع الابتعاد عما يصعب نطقه ويمجه الذوق العربي . ومع أن الحروف التي تتركب منها كلمتا (اندازه) (واندام) وغيرهما موجودة في اللغة العربية ، فقد استسهل العرب استبدال الهمزة بالهاء والزاى بالسين والفاء المثلثة بالباء والذال بالدال والتاء بالطاء وهلم جرا . أما تعريب الاعلام فلا يكاد يكون له ضابط ، وقلما تجد ثلاثة كتاب يتفقون على تعريب اسم ارسطو بصورة واحدة .فبعضهم يقول: آريسطو وبعضهم يقول ارسطوطاليس وهلم جرا . وفى الواقع أن التعريب لا يجرى على قاعدة منطقية صريحة بل على مبادىء اصطلاحية استبدادية

أما سؤالكم عن أهم الكتب العلمية والاجتماعية والادبية التى ظهرت فى مصر فى ابان النهضة الحديثة ، فلا نستطيع أن نجيب عنه فى بضعة أسطر لأن اسماء تلك الكتب تستغرق صفحات كثيرة . والافضل أن تتصلوا بإحدى المكاتب الكبرى فى القاهرة وتطلبوا منها قائمة الكتب التى تطلبونها

بيضة الديك

(طهران — ايران) ميشيل سليم حداد

أصحيح أن الديك يبيض ؟ ومتى ؟ وكيف نفسر قول الشاعر :

قد زرتنا مرة فى العمر واحدة
ثنى ولا تجعليها بيضة الديك

(الهلال) قولهم (بيضة الديك) مثل فيما يقع مرة ثم لا يقع بعد ذلك أبداً وذلك أنهم يزعمون أن الديك يبيض فى حياته مرة واحدة، وهو زعم لا يستند إلى

أساس صحيح . وتسمى هذه البيضة أيضاً بيضة العقر (بضم فاسكان) قيل ان الديك يبيضها مرة كل سنة (لا مرة واحدة فقط في العمر) ومن ذلك قولهم : (كانت بيضة العقر) للعطية اذا كانت مرة واحدة . وقال بعضهم (بيضة العقر) انما هو كقولهم (بيض الانوق والابلق العقوق) مثل لما لا يكون ولا وجود له

الشعوذة

(الناصرة — فلسطين) جورج جراسيموس خوري

ما هي حقيقة الألعاب الغريبة التي يقوم بها رجال السيميا ، وهي تدعو الى الدهشة وتشبه اعمال السحر التي نقرأ عنها في بعض الكتب ؟

(الهلال) هي من ضروب الشعوذة وليست في شيء من السحر كما قد تتوهمون ، الا ما كان منها من قبيل التنويم المغناطيسي فانها تبدو للذين لا يعرفون شيئاً من أسرار هذا التنويم من قبيل الاسرار الغامضة

العيون الصناعية

(القاهرة — مصر) ع . ج

هل يمكن عمل عين صناعية في مصر لا تفرق عن العين الطبيعية في اللون والشكل ؟

(الهلال) نعم وفي امكانكم الاستعلام عن ذلك من كبار أطباء العيون في مصر

تجميل الانف

(القاهرة — مصر) ومنه

هل يمكن تجميل الانف بواسطة الاجهزة التي يعلن عنها أم لا بد لذلك من عملية جراحية . وهل يمكن عمل هذه العملية في مصر ؟

(الهلال) أما الأجهزة التي تشيرون اليها والتي يكثر الاعلان عنها في بعض الصحف فاكثرها لا يحقق الغرض المطلوب منه . وأفضل طريقة لتجميل الانف هي العملية الجراحية . وفي وسع الأطباء الجراحيين القيام بها . وفي برلين معهد خاص لتجميل الأنف وسائر أعضاء الرأس والوجه يديره جراحون اخصائيون ، ويقومون بعمليات جراحية مختلفة تسفر اكثرها عن النجاح . وفي القاهرة أطباء جراحون للتجميل يستطيعون أن يشيروا عليكم بما يجدر بكم عمله

أما سؤالكم الآخر عن البريق الذي يكسو الأنف فهذا البريق ناشيء عن افرازات غدد العرق . والنساء يعالجن هذا البريق « بالبودرة » ولكنها معالجة وقتية فان استمرار افراز العرق يعيد البريق الى الانف

المرآة قديماً

(دمشق — سوريا) سليمان جابر

المعروف أن الزجاج لم يكن معروفاً عند الأمم القديمة فمم كانت المرائي تصنع في القرون الغابرة ؟

(الهلال) قولكم ان الزجاج لم يكن معروفاً عند الأمم القديمة لا ينطبق على الحقيقة ، فقد كان الفينيقيون يصنعون الزجاج منذ اكثر من ألفي سنة . على أن المرائي الزجاجية لم تصنع الا في القرن الحادي عشر بعد المسيح ، أي منذ اكثر من تسعمائة سنة . وكان الاقدمون يصنعون المرائي من المعادن المصقولة صقلا تاماً

لازالة السمن

(دمشق — سوريا) ومنه

أشرتم في أحد الأعداد الماضية الى الدواء المسمى دينيترو فينول لازالة السمن فأين يوجد هذا الدواء وهل استعماله يخلو من الضرر ؟

(الهلال) لا يزال هذا الدواء غير موجود في مصر ولكنه موجود في صيدليات أميركا بكثرة ، ولكننا نحذركم من استعماله فقد اثبت الاختبار أنه وان كان يزيل السمانة الا أنه يؤدي الى اظلام عدسة العين بالتدريج ، وقد يؤول في الآخر الى العمى كما قرأنا في تقارير بعض الأطباء الاميركيين ومنهم أساتذة في بعض مدارس الطب

ميزان الحرارة

(حماة — سوريا) أحد القراء

هل ترتفع درجة الحرارة في ميزان الحرارة إذا أردنا تدفئة الميزان بأنفاسنا ؟

(الهلال) نعم ان درجة الحرارة ترتفع كما ترتفع أيضاً اذا لففنا الميزان بقطعة من النسيج بعد غمسها في

الماء الساخن وبوسائل أخرى صناعية لا تخفى على الذين يصنعون موازين الحرارة

حية البحر

(حماة — سوريا) ومنه

هل ثبت وجود حية البحر ثبوتاً قاطعاً ؟

(الهلال) لم يثبت وجودها مع أن الكثير من قباطين البواخر وغيرهم يؤكدون أن هذه الحية موجودة وادعى بعضهم بأنه شاهدها ولكن لم يقم على ذلك أدنى دليل حتى الآن

غاز الخردل

(بيروت — لبنان) خليل اسعد

قرأت فى احدى المجلات أن غاز الخردل هو أهول الغازات التي استعملت فى الحرب العظمى الماضية والتي ينتظر أن تستعمل في الحروب المقبلة . فهل هذا صحيح؟

(الهلال) غاز الخردل من الغازات الهائلة ولكن ليس أشدها فتكا ، وهو ليس فى الحقيقة غازاً ولا خردلا وانما هو سائل طيار ذو تأثير شديد

منع الحمل

(كفر شكي — لبنان) ت . ف

ما هو أفضل علاج لمنع الحمل ؟

(الهلال) هنالك عدة طرق لمنع الحمل لانستطيع أن نشرحها لكم على صفحات مجلة يقرأها الكثيرون من الفتيان والفتيات . واكثر تلك الطرق لا تخلو من الضرر ، ولعل أحدثها التعقيم بواسطة الأشعة . وعلى كل فليس من الحكمة الاقدام على استعمال أى علاج من دون استشارة طبيب اخصائى

خطب مصطفى كامل

(يافا — فلسطين) الياس فرح المنير

هل جمعت خطب مصطفى كامل فى كتاب ؟ وأين يمكن الحصول عليها ؟

(الهلال) نعم ويمكنكم الحصول عليها من أية مكتبة عربية فى القاهرة

أثر السفينة فى الماء

(يافا — فلسطين) ومنه

تترك السفن البحرية خطا واضحاً وراءها على الماء يدل على اتجاهها ، فكيف يتكون هذا الخط ويبقى مدة قبل أن يتلاشى ؟

(الهلال) ينشأ هذا الخط لأن ماء البحر اكثف من الماء العذب الذى تشربه ، وقاعدة السفينة تخده خداً كما يخد السكين العجين ، ويترك فيه أثراً ظاهراً ، ولو كان ماء البحر خفيفاً كالماء الذى تشربه ما استطاعت السفينة أن تترك فيه أى أثر تقريبا ، وكلما كان الماء كثيفاً كان أثر السفينة فيه (أى الخط الذى تشيرون اليه) أطول بقاء

بين عالمنا والعالم العلوى

(ناشير — الولايات المتحدة) خليل رفول

هل ثبت وجود أية صلة بين عالمنا الارضى والعالم العلوى ، واذا وجد فى العالم العلوى أحياء فهل يمكننا أن نتصل بهم ؟ وهل يحتمل أن يكون ذلك العالم مقراً لأرواحنا بعد أن تخلع ثوب المادة فى العالم الأرضى ؟

(الهلال) بيننا وبين العالم العلوى — أى الاجرام — صلة الجاذبية والاشتراك فى الخضوع لنواميس المادة . ولم يثبت حتى الآن وجود أى نوع من أنواع الحياة في تلك الاجرام ، وان كان ذلك متعذراً فى بعضها محتملا فى البعض الآخر . وليس لدينا أى برهان علمى على أن أرواحنا متى خلعت ثوب المادة على هذه الأرض حلقت الى تلك العوالم لتستقر فيها . واذا صدقنا هذه النظرية كان معنى ذلك أن الاجرام الفلكية التى تسبح حول عالمنا الارضى في الفضاء هى مقر الخلود وهو ما لم يقل به أحد من العلماء حتى الآن ، ولاسيا أن العلم قد أثبت ان الاجرام العلوية تتألف من عناصر المادة التى تتألف منها كرتنا الأرضية أو من بعضها . أضف الى ذلك أن العلم قد أثبت أن جميع الاجرام الفلكية — ومن جملتها كرتنا الأرضية — كانت فى الاصل كتلة سديمية واحدة تفرقت وتجزأت بمرور الزمن وبحكم بعض النواميس الطبيعية ، وفى مقدمتها ناموس الجاذبية

أثر الأجانب في نهضة مصر

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« .. فالمجتمع المصرى أقرب الى المجتمع الأوربى مما كان قبل مائة عام ، والفرد المصرى حين يكون انسانا اجتماعياً أقرب كذلك الى الفرد الأوربى مما كان أبوه وحده . ولكن الانسان المصرى فى طويته ودخيلة تفكيره لم يقترب من الأوربى الا اقترابا غير جوهرى ولا محسوس .. »

أقام الأجانب فى مصر وطافوا بها للتجارة والسياحة منذ أقدم العصور ـ وليس هذا هو المقصود بالبحث فى هذا المقال

وأقاموا بها منذ عهد صلاح الدين ودول المماليك والدولة العثمانية الى عصرنا الحاضر ، ولكنهم لم يؤثروا فى حضارتها أثرا كبيراً مستفيضاً إلا منذ الحملة الفرنسية التى قادها نابليون بونابرت فى أواخر القرن الثامن عشر

وسبب ذلك قريب لا يصعب ادراكه ، فان الشرقيين كانوا ينظرون الى الأوربيين على عهد صلاح الدين ومن جاء بعده نظرة الغالبين الى المغلوبين : هزموهم فى الحروب الصليبية وجاء العثمانيون فهزموهم فى ديارهم هزائم متوالية ، ولم تكن النهضة الأوربية قد استوفت حظوظها واستجمعت عناصرها وبهرت أبصار الأمم الشرقية بلألائها . فمن الطبيعى ألا يتهافت أبناء الشرق على محاكاة الغربيين ولو عاشروهم وبادلوهم التجارة والضيافة ، وكل ما كان لهؤلاء من قيمة فى رأى المصرى المقيم بالقاهرة أو السورى المقيم بدمشق أو التركي المقيم بغروق انهم تجار يجلبون الحلل الفاخرة والحلى النادرة من أقطار بعيدة ، ويخدمونهم بنقل هذه السلع الى أعتابهم طمعاً فى الربح والحظوة ، فاذا جاءوا بالسلع عادوا بالمال وهم الرابحون الشاكرون

أما قدوم الاجانب الى مصر على أيام نابليون فكان على خلاف ذلك : كان قدوم فاتح قوى لبلاد مغزوة ضعيفة ، وكان كل ما يصحب الفرنسيين من سلاح أو نظام أو علم أو صناعة يدل على أنهم أصحاب الكفة الراجحة والسطوة الناجحة ، وأن عندهم أشياء يعلمونها إياها ولا حيلة لنا فى اجتناب تعلمها وحذقها والاقتداء بهم فيها ، فتراجع الشرق السرى العزيز المستكبر الذى يسخو بفضل ثرائه على طلاب المكاسب من شذاذ الآفاق ، وحل مكانه التلميذ المبهور المستطلع الى المحاكاة والاقتباس ، وأثرت حضارة الغرب فى حياة مصر تأثيرها الشائع المطرد منذ تلك الأيام

ولتأثير الأمم فى الأمم طريقان : طريق المدارس والكتب ، وطريق القدوة والمعاشرة ، وهو أكبرهما خطراً وأوسعهما أثراً لانه يعمل عمله بقصد وبغير قصد ، ويتناول القريب والبعيد من خاصة الشعب ودهمائه ، ولا يقتصر على الأفراد المتعلمين

ولهذا نعتبر أن الدكاكين والمجالس كانت أكبر أثراً فى النهضة المصرية من الكتب والمدارس ، لانها صبغت الحياة الاجتماعية بصبغتها وزودت المرأة الحديثة والبيت الحديث بما لهما من الحرية والانماط المعيشية التى لم تكن مألوفة فى مصر القرون الوسطى ومصر التى لا تزال الى الآن بمعزل عن معاشرة الاجانب فى الثغور والحواضر

انني من المعجبين بقاسم أمين الذاكرين لفضله وشجاعته وغيرته على الاصلاح والانصاف ، ولكننى أعتقد أن كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » انما كانا مظهر الحركة وعنوانها ولم يكونا باعث الحركة ومرشدها ، فلو لم يكتب قاسم كتابيه لما زاد برقع واحد اليوم على البراقع التى تستر بعض الوجوه

كنت أزور حى الجمالية فى الأيام الأخيرة فى حارة منزوية لايزيد عرضها على ثلاثة أمتار ، ولا يشاهد فيها منزل واحد على الطراز الحديث فى بنائه . فمرت بي فتاتان كأحدث ما تكون الفتاة الباريسية فى المشية والهندام والمظهر ، ولا أحسبهما ولا أحسب أهلهما سمعوا بقاسم امين أو حمدوا دعوته الى تحرير المرأة ، ولكنهما لا تختلفان عن البنات اللواتى قرأن كتابي المصلح الكبير من الجلدة الى الجلدة ، وهن اليوم جد قليل !

انما تحدث هذه الأطوار من الرجل أولا ثم من ربة البيت ثانياً ثم من الجيل الناشىء ثالثاً ثم تعم وتستفيض حتى ينطوى الحاكى فيها والمحكى ويتساوى فيها السابق واللاحق ولا يعرف منها إلا أثرها المشترك بين الجميع

يري الرجال نساء أوربا هنا وفى بلادهن فيفتتنون بهن ويهيمون فى أثرهن ، وتحس الأمهات أن الفتى لا تعجبه الفتاة إلا اذا نشأت على مثال الأوربية التى استأثرت باعجاب الكهول والشبان ، ولا شيء يعوق المرأة فى ميدان المنافسة من عرف أو وعظ أو تقليد ، ولا شئ يمنع الآباء أن يذعنوا لمشيئة الآباء اذا أصبحت المسألة مسألة البنات ومستقبلهن وصدوف الأزواج عنهن أو اقبالهم عليهن ، فتنشأ البدعة والى جانبها النقمة عليها والتأفف منها . ثم تزول النقمة والتأفف وتعود البدعة عادة لا غرابة فيها ، ويتبعها ما يلازمها من حرية وانماط معيشية وحياة اجتماعية . ومن ثم أصبح أطفالنا يعرفون « ماما » و « بابا » و « تانت » ، ولا يعرفون نظائرها فى مصر القرون الوسطى ، وانما الشأن الأكبر فى ذلك شأن القدوة والمشاهدة لا شأن المدرسة والكتاب

وعلى هذا القياس نقارب الصواب اذا جعلنا القاعدة فى تأثير الاجانب انه أقوى ما يكون فى

المسائل التى تنتقل اجتماعياً وأضعف ما يكون فى المسائل التى تنتقل فردياً ، ويتوقف أثرها على المزايا الشخصية

فالفنون الجميلة ، مثلا ، أسبقها اقتباساً من أوربا التمثيل ، لانه فن مجتمع لا فن أفراد ، وأقلها شيوعا بين الشعب التصوير لان المعول فيه على تمييز الفرد لا على الحفلات والاجتماعات

والشعر كذلك ظهر أثره فى الافراد الذين زاولوه ودرسوه ولم يظهر أثره العميم فى الجمهرة والسواد

وتسرى هذه القاعدة على الدعوات القومية كما تسرى على مظاهر البيت والمعيشة . فان الثورة العرابية كانت أقرب الى الثورة الفرنسية من كل دعوة عامة ، ولحقت بها النظم النيابية والقوانين الحديثة وأوضاع الحكومة العصرية . أما الافراد فاذا استثنينا ما استفاده كل متعلم فى المدرسة سواء هنا أو فى أوربا فأثر الأجانب فيهم ضعيف ، ولعل الأصح أن نقول انه أثر مقصور على « الكائن الاجتماعى » لا على الكائن المستقل بتكوينه الخاص ومزاياه الشخصية

فالمجتمع المصرى أقرب الى المجتمع الأوربى مما كان قبل مائة عام ، والفرد المصرى حين يكون انسانا اجتماعيا أقرب كذلك الى العرف الأوربى مما كان أبوه وجده . ولكن الانسان المصرى فى طويته ودخيلة فكره لم يقترب من الأوربى إلا اقترابا غير جوهرى ولا محسوس ، وقد يكون فى ذلك ما يؤسف له كما يكون فى ذلك ما تحمد عقباه

ومن أدعى الأمور الى توضيح هذه الفكرة أن تنظر الى المصرى فى القاهرة والإسكندرية وتنظر اليه هو نفسه فى القرية والبلدة الصغيرة ، فهو فى العاصمة شىء وفى الريف شىء آخر ، وقد يشتاق الى العاصمة اذا تعود الاقامة فيها كما كان يشتاق اليها لو كان من المقيمين فيها قبل مائة سنة ، لانها أوفر متعة وأطلق عيشاً لا لأن طبيعته اصطبغت بالصبغة الأوربية ، أو لانها اصطبغت قبل ذلك بالصبغة التركية

لقد أثر الأجانب فى نهضتنا بما تعلمه منهم أبناؤنا ، فعلماؤنا وأطباؤنا وفقهاؤنا والكثرة الغالبة من أدبائنا كلهم من تلاميذ الثقافة الأوربية ، وتفكيرهم قد تبدل من أثر العلم كما يتبدل تفكير الانسان بعد انتقاله من الجهل الى المعرفة وهو فى معدنه واحد . وانما نقول إن أثر القدوة والمعاشرة هو الأهم والأعم لانه يشمل العدد الأعظم بين طوائف الأمة متعلمين وغير متعلمين ، ولان أثر العلم والطب والهندسة فى أمة من الأمم يكون متقاربا سواء قام به وطنيون أو أجانب . فالقناطر الخيرية تروى ما روت من الضياع وتجلب ما جلبت من الثراء أياً كان المهندس الذى بناها ، والمستشفى يداوى المرضى ويصحح الاعضاء أياً كان الطبيب الذى يتولى فيه العلاج ، وانما يبدو التغير والاختلاف بين الحالتين حين يتصل الأثر بالمجتمع والظواهر القومية ، فيعمل العالم المصرى

ما ليس يعمله العالم الأجنبي ، ولا قيمة لهذا الاختلاف فيما نحن بصدده ان لم تكن له نتيجة غير فائدة العلم المعهودة فى كل مكان بغير نظر الى الأقوام والأوطان

ان المهندس المصرى لا يقترب من الأوربى لانه مهندس مثله ، وكذلك الطبيب والمحامى والمعلم وصاحب الصناعة . فانما العلم هو الذى أثر فى المصرى كما أثر فى زميله . وليس المهم فيما نحن بصدده أن يعلم الناس شيئاً واحداً وانما المهم ان يحسوا شيئاً واحدا ويعيشوا معيشة واحدة ، وهذا هو الذى يحولنا الى المجتمع والمظاهر الاجتماعية لنشهد أثر الاجانب فيها

ومتى تحولنا الى هذا الجانب ، فالذى نشاهده كما قدمنا ان أهم أثر للأجانب فى نهضتنا هو تحرير المرأة أولا ، ثم تجديد النظم الحكومية ثانياً ، ثم عدد الذين تعلموا وكان لتعليمهم علاقة بالنهضة القومية لانه رشحهم لقيادتها وحضهم على طلب النهوض . وكل أولئك غير الآثار الاقتصادية والتجارية التى يدل عليها الاحصاء ولا تدخل فى موضوع هذا المقال

عباس محمود العقاد

---

* ما أجهل من قال : «العقل السليم فى الجسم السليم» !! فان العقل السليم هو الذى يخلق وينتج جسما سليما !

(برنارد شو)

* إنى أخالفك فيما تقول كل المخالفة .. ولكنى لا أتردد فى أن أبذل آخر نسمة من أنفاسى ، وآخر قطرة من دمائى ، دفاعا عن حقك فى الجهر برأيك هذا

(فولتير)

* إن الله لا يفصل فى أمرنا ولا يصدر حكمه فى عملنا ، إلا بعد أن تنتهى حياتنا فلا يبقى فيها متسع لتعديل أو تبديل أو تغيير .. فلماذا نتعجل نحن فى اصدار أحكامنا على الناس وما زال أمامهم المجال رحباً لتقويم ما اعوج من أمرهم ، واصلاح ما فسد من عملهم؟

(دكتور جونسون)

الوظيفة والموظف في اللغة والعرف ـ الموظف هو أداة الحكم ـ
واجبه نحو الجمهور خطير ـ ماذا يجب عليه نحو مرءوسيه ـ
فن الوظيفة في الزلفى الى الرؤساء ـ الحرية الشخصية للموظف

الموظّف والوظيفة

للأستاذ عبد العزيز البشرى

ورد فى قاموس الفيروزابادي مانصه : « وظيفة كسفينة : ما يقدر لك فى اليوم [1] من طعام أو رزق أو نحوه . والعهد والشرط . والجمع وظائف ووظف بضمتين . والتوظيف : تعيين الوظيفة » اه

وكثيراً ماقرأنا للمتقدمين وأصحاب البلاغة أن السلطان أو نحوه أجرى على فلان كذا وظيفة سنوية ، أو أنه أطلق له وظيفته بعد أن حبسها عنه . (فالوظيفة) على هذا ماندعوه (راتباً) الآن

على أن هذه الكلمة (الوظيفة) انما تطلق الآن ، وفى مصر بخاصة ، على المنصب . وأنت خبير بالعلاقة الوثيقة بين الكلمتين ، سواء أردت من (الوظيفة) ما يقدر للمرء من الرزق فى زمان معين ، أم أردت بها العهد والشرط ، لأن (المنصب) كما يقتضى (للموظف) عليه أجراً فى زمان معين ، فهو كذلك عهد والتزام . ولا أحسب أن من الخير أن نستهلك من مساحة هذا المقال أكثر مما استهلكنا فى البحث عن تصرفات هذه الكلمة (الوظيفة) فى الأزمنة المختلفة ، حتى صار معناها الى ماصار اليه فى هذا الزمان

***

الوظيفة إذن هى المنصب ، والموظف (بفتح الظاء) هو المضطلع باعبائه . وانما نقصر حديثنا فى هذا الباب على الوظيفة الحكومية ، وعلى الموظف الحكومى أو (الموظف العمومى) فى تعبير أصحاب القانون . فما أحسب مجلة الهلال أرادت إلا هذا حين أشارت على بالكتابة فى هذا الموضوع :

وبعد ، فالوظيفة الحكومية هى ولاية لشطر من الاعمال العامة يعهد بها الى الموظف صاحب السلطان فى البلاد ، أو غيره من المأذون لهم ، ولو بالواسطة ، من صاحب السلطان . فالموظف انما يعمل ، فى حدود وظيفته ، على كل حال ، بالوكالة عن صاحب السلطان

وكذلك تتألف من مجموعة الموظفين أداة الحكم فى البلاد . واذا كان الغرض من اقامة

---

(١) جاء فى التعليقات على هامش القاموس : « أو فى السنة أو فى زمان معين »

الحكومات فى الجماعات هو دفع العدوان من الخارج ، وحفظ الأمن وتقرير النظام فى داخل البلاد ، واقامة العدل بين الناس ، والعمل على رقى المحكومين ، وتيسير أسباب اليسر لهم والترفية عنهم – اذا كان هذا هكذا ، فان من واجب الموظف ، فى الأمم المتحضرة بخاصة ، ألا يألو جهداً فى العمل به ، والسعى له ، فى دائرة ولايته ، متهديا بالقانون فيما نص عليه القانون ، وبالعرف النبيل فيما جرى به العرف ، وبقواعد العدالة وابتغاء المصلحة العامة فيما لم يجر فى شأنه عرف ولم يرد فيه قانون

كذلك ينبغى أن يكون الموظف ، وعلى هذا يقتضى الموظف أجره من الأموال العامة . وفى هذا مرضاة الله ، ومرضاة السلطان ، ومرضاة الضمير . فاذا انحرف الموظف عنه لنزعة هوى كان خائناً مستحقاً لغضب الله ، ولعقوبة السلطان ، ولمقت كل شريف أمين

والموظف انما يقتضى أجره من مال المجموع الذى تأدى الى الخزانة العامة من ألوان الضرائب المختلفة ، جزاء قيامه ، فى دائرة عمله ، بتحقيق المصلحة وتقرير العدل بين هذا المجموع . فاذا هو أخل بهذا الواجب الحتم طوعاً لشهوة من الشهوات ، أو انسياقاً مع هوى من الأهواء كان إثمه عظيما ، وجرمه مضاعفاً . فهو أولا خائن فيما ائتمن عليه . وهو ثانياً سارق لأنه انما يقتضى الأجر لتحقيق النفع العام ، لا للعبث بمنافع الأنام . وهو ثالثاً مجرم على الوطن ، لأنه بافساده للأداة الحكومية ، يشيع الفوضى ، ويضع من هيبة الحكومة ، ويلهب الاضغان فى صدور الناس ، ويقلل من ثقتهم فى وصول الحقوق الى أصحابها . وهذا لقد يصرفهم عن الجهد فى تحصيل المنافع من الطريق المشروع الى الطريق غير المشروع . وسرعان ما تغشى الظلمات البلاد ، وتنحدر الى حضيض الجهل والفقر واضطراب الأمن وفساد الأخلاق

واذا كان القانون قد شرع عقوبات شديدة توسلا الى تقرير أمن الموظف الحكومى ، وحياطة كرامته وهيبته ، كعقوبة من يهينه أثناء تأدية وظيفته ، أو بسبب تأدية وظيفته ، فانه كذلك قد اختص هذا الموظف نفسه بعقوبات شديدة اذا اتخذ وظيفته أداة للاجرام على المصلحة العامة أو على أفراد الناس . وناهيك بعقاب الموظف المرتشى ، وناهيك بعقوبة من يستعين بسلطان الوظيفة على تعذيب الناس ، او امتهان كرامتهم ، أو الحد من حرياتهم فى غير مسوغ من القانون .

وهناك ألوان من المخالفات ، واذا طلبت الصراحة فى القول ، قلت ألوان من الجرائم التى يمكن أن يقترفها الموظف ، ومنها ما يتصل بالرشوة ، ومنها ما يتصل بالاختلاس ، ومنها ما يلحق بايذاء الناس ، ونحو ذلك . على أن العادة لم تجر باحالة هؤلاء المقترفين على المحاكم . بل يكتفى ، وفى النادر القليل جداً ، بأن يؤاخذوا ، اذا أوخذوا عليها ، بالطريق الادارى . وهذا كمن يستخدم عمال المصلحة أو آلاتها فى أسبابه الخاصة ، بحكم سطوة الوظيفة . وبديه أن استخدام العامل فى مصلحته الخاصة مثلا إذا تحيف من عمله فى المصلحة العامة ، بحيث لا يستطيع معه أن يؤديه على

الوجه المقدر ، فالأمر لا يعدو اختلاس الأموال العامة ، وان كان هذا الاختلاس بطريق غير مباشر . أما اذا أداه العامل على وجهه واستهلك بعد ذلك وقت فراغه فى خدمة رئيسه ، رهبة من سلطانه ، أو رغبة فى دفع عقاب يستحقه ، أو فى نيل ثواب يستحقه ، فالأمر لايبعد عن الرشوة كثيراً ، ولعله لايبعد عنها قليلا أيضا !

وقل مثل هذا فيمن يسب طلاب الحقوق أو أصحاب الخصومات ، ويمتهن كراماتهم ، ويحبسهم دون بابه الزمن الطويل فى غير مسوغ ولا داع من ازدحام العمل ، ونحو ذلك !

* * *

وبعد ، فاذا كان من أوجب الواجبات على الموظف أن يقيم العدل بين عامة الناس ، ويبادر بكل جهده برد الحقوق الى أصحابها ، فان ذلك عليه فيمن دونه من الموظفين أوجب ، ومخالفته أكره وأنكر . وذلك بأن هؤلاء الموظفين أولا ناس كسائر الناس ، ينبغى أن تصل حقوقهم اليهم غير موتورة ، كما ينبغى أن يلقى المسىء منهم جزاء اساءته ، وأن يلقى المحسن منهم جزاء إحسانه . فاذا خولفت هذه الأوضاع فى شأنهم ، كان من أثر ذلك مامر به الكلام فى شأن سائر الافراد . وزاد على هذا الفساد ، باعتبارهم موظفين ، فساد آخر عظيم ، حيث يؤمن الجميع ، بأن مثوبة الموظف برفع راتبه واعلاء منصبه ، لا ترجع الى كفايته ، ولا الى نزاهته ، ولا الى إحسان عمله ، ولا الى ارتفاع سنه ، وتقدمه فى الخدمة على غيره ، كما أن الاساءة اليه لا تعود الى ما يناقض شيئاً من هذا كله . وحينئذ تجرى أعمال كثرة الموظفين ، اذا لم نقل جميعهم ، الى ما يحقق لهم منافعهم ، ويتضمن لهم الزلفى الى رؤسائهم ، توسلا الى الوثب فى معارج الرقى ، أو على الاقل ، لابتغاء حقوقهم المشروعة . يفعلون هذا ولو على حساب المصلحة العامة ، ولو أوذى الحق والعدل من جميع الاقطار . وهذا ، ولا ريب ، أذان الخراب ونذير الدمار !

واذا كان الموظف أميناً على مابين يديه من مصالح العباد ، يعمل على دفع الأذى عنهم . ويرعى العدل بينهم ، ويوصل الحقوق اليهم ، فان من واجبه أن يبدأ بهذا فيمن دونه من الموظفين ، لانهم ناس كسائر الناس أولا . وثانياً لأنه قدوتهم وإمامهم ، يضطرهم الى سبيل النزاهة والعدل اذا كان نزيهاً عادلا ، ويستدرجهم الى الخيانة والظلم اذا كان شهوان متغرضاً ظالما . وهذا هو البلاء العظيم !

ولعل من أبلغ القصد فى القول فى هذا المقام أن نزعم أن الموظف اذا لم يتعمد الخيانة أو الظلم فى هذه الحال ، فانه على الأقل ، صارف أجل همه الى ارضاء الرئيس ، والتماس الزلفى اليه والحظوة عنده من أى سبيل ، حتى ليكون حرصه على هذا أشد من حرصه على الاكباب على عمله ، والعناية به والتشمير فيه . ولقد أرسلنا فى هذا الباب ، من نحو عشر سنوات خلت مقالا أجريناه على أسلوب المفاكهة . وأثبتناه تحت عنوان « فن الوظيفة » . ومما جاء فى هذا المقال : « ... و « فن

الوظيفة » هـذا ، شرح الله صدرك ، وأطال عمرك ، ورفع فى المناصب قدرك ، فن واسع الأطراف ، رحب الأكناف ، موصل الأصول ، مفصل الفصول ، مقعد القواعد ، مبسط الأمثلة والشواهد ، لايحذقه الفتى إلا بعد الجهد وشدة المطاولة ، وسهر الليالى فى التفكير والتدبير ، وتمرين الأعضاء فى كيفية القعود والقيام ، والسكوت والكلام . والدخول والخروج ، والهبوط والعروج ، والتشييع والاستقبال ، والخنوع والاستبسال . والانقباض والتبسط ، والرضا والتسخط . وارهاف الأنف حتى يشم الريح على أميال ، ويدرك مدى تحول الجو من حال الى حال

« وهذا الفن الجليل . لا يكفى فى تحصيله والتبرز فيه كل هذا ، بل لابد من التهيؤ والاستعداد، وأن يكون للمرء طبيعة وموهبة ، شأن سائر الفنون الجميلة !

« ومن أولى مزايا هذا « الفن » الجليل تخليد « الوظيفة » للفنان على مدى الزمان،ولو عصفت أحداث السياسة بلداته جميعاً ! ومنها الوثب فى الدرجات مثنى وثلاث ورباع ، وخماس وسداس وسباع

« وانى لأعرف طائفة من هؤلاء « الفنانين » مهد لهم « الفن » الدرج كله ، فتناولوه وثاباً فى كل وزارات : عدلى ، وثروت ، ونسيم ، ويحيى ، وسعد ، وزيور ، وعدلى ، وثروت ، والنحاس ، ومحمد محمود ، حتى بلغوا القنة بدقة « الفن » وحده . ناعمين بثقة الجميع ، ولا إيمان لهم بواحد من الجميع !

« ألا حيا الله هذه الهمم ، وحيا معها تلك الذمم ! ! ! »

***

وبعد ، فقد بقيت مسألة لانرى بدأ من أن يفطن اليها بعض اخواننا الموظفين ، فهى مما يشتبه وجه الرأى فيه على غير قليل . وأعنى بها خلط النزعة الحزبية بكيفية تصريف الأمور :

لا ريب فى أن الموظفين كسائر الوطنيين ، لهم مالهم من الحق فى اعتناق المذهب السياسى الذى يحبون ويرتضون . بل ان الطبيعة نفسها لتفرض الميل والهوى على الانسان فى السياسة وفى غير السياسة ، ماله بصرفه عن قلبه يدان . فمن المستحيل أن يقتضى الموظف اعتناق عقيدة خاصة تتصل بسياسة البلاد . ولو قدر فى الطبيعة ذلك ، فان الزام الموظف إياه ليس من الحق ولا من العدل فى شىء أبدا . ولو دخل ذلك فى دائرة الامكان ولم يجانب الحق والعدل ، لكان من حق كل حكومة أن تطبع جمهرة الموظفين على مذهبها ، وإذن تصبح العقيدة والايمان ، بكثر ما تتبدل وتتلون فى الموظفين ، سخرية فى العالمين !

على أن للموظف فى هذا الباب شأنا ليس لسائر الناس . وهذا الشأن يقتضيه أن ينسى هواه السياسى فى تصريفه لما بين يديه من أمور الناس . فان الحكومة انما تقوم كما قلنا لتدبير مصالح الأمة جمعاء ، لا لمنافع حزب دون حزب . وان هذا الموظف نفسه انما يقتضى أجره من الخزانة

العامة التى تجبى اليها الأموال من جميع الناس طوعاً لأحكام القانون ، فايثار قوم بالمنافع لأنهم يدينون بدين الموظف ، وصب الأذى على آخرين لخلافهم له فى الرأى السياسى ، ليس من الحق ولا من العدل ، بل انه لظلم واجرام !

وأخيراً ، فانه ليس من حق الموظف أن يعرقل أعمال الحكومة أو يجاهر بعداوتها . فاذا تطلعت نفسه الى شىء من هذا كان عليه أن يستقيل ، لأن مهمته فى عمله أن يعاونها ، وهو انما يعمل بالوكالة عنها . فكيف يستقيم هذا مع المصارحة بالعداوة وعرقلة الاعمال ؟

فاذا لم يستقل هو مع هذا ، كان من حق الحكومة بل من واجبها أن تزيله عن منصبه ، وإلا كان شأنها شأن القائد يتخذ بعض جنده من الأعداء ، والعياذ بالله من هذا البلاء

عبد العزيز البشرى

آراء العظماء فى أنفسهم

سأل أحدهم القائد الفرنسى (فوش) الذى قاد جيوش الحلفاء فى الحرب الكبرى ، عمن له الفضل فى انتصار الحلفاء على أعدائهم ، فابتسم قليلا وقال :

« لست أدرى . . ولكن لو انهزم الحلفاء لكنت أنا الملوم أمام الناس ، المؤاخذ فى نظر التاريخ » . . !

***

يميل برنارد شو الى العزلة عن الناس ، والخلوة الى نفسه ، ليتيح لنفسه فرصة التفكير الهادىء الرزين ، وقد سئل ذات مرة عما يدعوه الى إيثار الخلوة على العزلة ، فقال :

« . . لأنى أحب أن أتحدث طويلا الى رجل ذكى . . » !

مكرم عبيد .. !

بقلم الاستاذ فكري أباظه

لو أنه . . .

حقيقة . . .

« الدنيا صدف » . . .

لولا « المصادفة » وحدها التى استفزت « مكرم عبيد » أيام الثورة ففعل ما فعل . وكتب ما كتب ، لظل « مكرم عبيد » منزوياً فى وظيفته ، أستاذاً أو مستشارا ، ولطوى الزمن هذه الشخصية الفذة فلم تدو دويها ، ولم تقرع طبلها ، ولم تفجر قنابلها ، ولم تنثر شظاياها ذات اليمين وذات اليسار . .

فالدنيا كما ترى حظوظ . يتوقف مصيرها ومصير أحيائها على لحظة يتطور فيها مجرى الحياة فينتقل من النقيض إلى النقيض ، ويطفر من كتب الفقه و « تخت » الطلبة إلى حلبة الساسة المحليين والعالميين ، وإلى معارك النزال والنضال مع الافراد والاحزاب والدول . وسبحان الله يثبت فى سجله ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ، وهو العلى القدير . . .

فلو أن « مكرم عبيد » ظل سائراً فى طريقه المعتاد كغيره من أغلبية مخلوقات الله لاختفى إلى الأبد فى ذهنه وفى استعداده ، وفى لسانه وفى جنانه، عنصر الكتابة والخطابة والتاكتيك والثورة والسياسة والحكم ، ولاختفت إلى الابد تلك الضجة والضوضاء التى أثارتها وتثيرها شخصيته من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٧ وما بعدها إلى عمر طويل

الخميرة الاولى

لا أعلم على وجه التأكيد تاريخ تربيته الأولى فى طفولته وصباه . . . وإنما سمعت انه كان فى مدرسة من تلك المدارس التى تعنى بتأليف جمعيات « الخطابة » وكان ذلك التقليد سائداً فى المدارس فى ذلك الزمن . جمعيات «الخطابة» كانت موجودة فى كل مدرسة وفى كل حى من أحياء العاصمة والأرياف . ولا أدرى لماذا قتل العصر الجديد ذلك التقليد المفيد فى المدارس الابتدائية والثانوية . جمعيات الخطابة عودت الطلبة الناشئين اختيار اللفظ واختيار الفكرة ، والنظام ، واستقامت ألسنتهم وقويت قرائحهم بالمران . . . وهكذا كانت « خميرة » مكرم الأولى فى نشأته وصباه فغدا وأمسى خطيباً ، وكاتبا ، ومفكراً ، وصاحب تدبير و « تاكتيك » . . .

جرسه الصوتى وأسلوبه اللغوى

لست أتردد في تصديق ما يقال من أن « مكرما » حفظ القرآن أو تلاه مراراً . فلغته لغة قرآنية عربية تحاول أن تصعد إلى شرف محاكاة الاسلوب القرآنى من غير تشبيه ... ولا شك انه بجانب ذلك قد تشبع من النغمات والترتيلات الكنائسية الأرغنية فتكيفت طبقات صوته بالتكييف الفنى الكنائسى الترتيلى ، فجمع بين تهذيب اللغة وتهذيب الصوت . ولعل شهوة «السجع» التى تتملكه غالباً تجد مرجعها ومنبعها فى هذا التعليل . ثم اذا أضفت الى ذلك أنه من هواة « الصوت » وأنه من هواة «الغناء» ومن محاوليه والمشغوفين به تكون أمام نظارك خطيب بمعنى الكلمة ، يملك كل أسلحة الخطابة من صوت جميل يتأثر بالطرب وبالغناء — الى لغة — الى ترتيل . . . فاذا أضفت الى هذا كله انه كالمطرب الذكى اللبق اللماح يفهم ما يلذ للجماهير فيكرره على سمعهم وأنه خلق للجماهير والشعب وعرف قبل غيره كيف يوقع لهم على قيثارة منطقهم هم لامنطقه هو ... اذا جمعت كل ذلك فى ذهنك فهمت كيف بلغ « مكرم » شأوه الأول بالخطابة ، ثم صعد بعد ذلك الى حيث شاء ...

ولا يفوتنى مطلقا أن أتحفظ فأقول انى لا أوافق على كل خطبه ، وإنما نحن هنا ندرس دراسة تحليلية بسيكولوجية « على الحياد » فقل ما شئت وشاءت خصومتك لرأيه ، وعقيدته ، وخطته ، وازعم أنه خطيب « بلاف » من الطبقة الاولى — و « هواش » من الدرجة « البولمان » — و «ساحر» من صنف الحواة والمنومين المغناطيسيين . ولكن سلم مع ذلك وبرغم أنفك بأنه «خطيب» نجيح وضرب الرقم الأعلى فى فن الخطابة على حد ما يريده الجمهور فى مصر ، وما يقبله استعداد الجمهور فى مصر ، وما تقبله وتهضمه طبقات الأغلبية الغالبة فى هذا البلد . . .

ثم سلم مع هذا على طول الخط وبرغم أنفك ومشاعرك بأنه « خطيب » من النوع الذى لا يرتجل إلا تحت ضغط الاحراج . فهو دائما أبداً مستعد بأفكاره ، وآرائه ، ومنطقه ، ولغته ، وسجعه ، فهو لا يلقى الكلام على عواهنه فى المنابر العامة والحفلات المجهزة المحضرة المرتبة وهو

لا شك يجهد ذهنه وقريحته اجهاداً خارقا للعادة فى هذا السبيل ...

وما دمنا بصدد الخطابة والكلام فهو « كمحام » بلغ شأوا كبيراً جداً من ناحية الدراسة والتحضير وإن لم يبلغ فى مهنته « كخطيب قضائى » قمته العليا فى الخطابة السياسية والعامة . وما ذلك إلا لان آذان القضاة غير آذان الجماهير . فالذنب ليس ذنبه ، وإنما ذنب الجو القضائى الذى يختلف عن الجو الشعبي ...

وهكذا الحال فى مناقشاته البرلمانية فهو يبلغ السماك فى البيانات الحكومية الزاخرة،ولكنه فى المناقشات العادية يهبط قليلا ، والنقص البسيط هنا يرجع فى علته ، الى طبيعته . فهو على ما يبدو لى عصبي متعجل مندفع لا يملك أن يسلط تفكيره على لسانه فقد يسبق الجنان الذهن . ومن هنا فرطت منه - كوزير للمالية وكسياسى فى منصب رسمى - بعض التصريحات التى كان يجدر به أن يتفاداها... وبعد ...

فقد وفينا هذه النعمة التى منحها الله « مكرما » حقها فهو من ناحية الكلام من الفرسان والابطال والعباقرة بلا شك وبكل تأكيد . . .

ثقافة ...

وفن «الخطابة» يجر الى ذكر «الثقافة» . «فمكرم عبيد» مثقف تعلم تعلما من الطبقة الأولى. ونال أرقى الشهادات . وتخصص في فن القانون ودرسه دراسة وافية . فكان بارزاً كطالب وكأستاذ ...

وهو لم يقطع مجرى ثقافته بانقطاع دراسته وأستاذيته بل قرأ فى البيت وفى المخدع وفى الأجازة ونوع القراءة فأصبح من ذوى الاطلاع الواسع والمعلومات الوافرة فهو « كامل » من هذه الناحية...

غريزة « التاكتيك » ...

«مكرم عبيد» من زعماء «التاكتيك» و«التدبير» و«الابتكار» و «التآمر» فى هذا الوطن. ولا شك أن هذه الصفات تكتسب بالمران وقد وجد ميدانه الواسع في الفترة الطويلة بين سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٣٧ . ووجد ميدان المران الواسع فى النكبات والكوارث التى حلت بالوفد فى مختلف الظروف ثم معارك النضال الحامية بين الاحزاب وبين القصور والسلطات . فلا شك ان مرانه من هذه الناحية اكتسابى ، ولكن الأساس غريزى فطرى . وليس أبرع فى هذه الناحية من أن يتحد الاستعداد مع المران ...

أغنى السياسيين ...

و« مكرم عبيد » أغنى السياسيين المصريين ... لا فى « المال » و « الفلوس » ... وانما فى « الأعداء » . . .

وأرجو ألا يحزنه هـذا فان من مستلزمات العبقرية السياسية أن يكون لها أعداء ... وسمهم فى بعض الأقسام والشيع حساداً .. وسمهم فى بعض المنازع والمعتقدات خصوماً غير سياسيين .. وسمهم فى عالم الحزبية خصوماً سياسيين لا شخصيين . الواقع ان ذلك الرجل ذا الجلبة والضوضاء والحركة الفادحة والكر والفر والنضال والنزال لابد أن يكون من أغنى أغنياء القطر « بالأعداء » ...

ولكن . . . لعلى أكون مبالغاً وأكون قد اخترت الأعداء من صنف معين . هو صنف المتطرفين فى بعض النواحى « الروحية » ـ وصنف السياسيين الذين طالما اصطدم معهم « مكرم » فى معارك ... فاذا ما أخرجنا هؤلاء من الحساب بقيت كتلة « الملايين » المغرمة بمكرم ، والمتيمة بمكرم ، والمشغوفة بمكرم ، وفيها العزاء كل العزاء . . .

ارهاق . . .

اذا ما تركت السياسة جانباً ، والذكاء جانباً ، والعلم جانباً ، فاعلم أن « مكرم عبيد » من زعماء المرهقين فى هذا البلد . . . لا أظنه رجلا يعنى بطعامه ، ولا راحته ، وأظنه من أولئك الذين لا ينظمون أوقاتهم . وهكذا الأفذاذ . . . قد يلتق بعائلى عام فيدعوهم للغداء على مائدته وينسى أن يخطر المنزل بالتليفون ليعد الغداء ! . . .

وهو يعتمد كثيراً على استعداده وسرعة فهمه فيغامر ويكتب البيانات الهامة الدقيقة فى القطار ـ وفى السيارة ـ وربما أعطى .. ه ميعاداً هاما فى ظرف قصير . ولكنه ينسى انه وهو يحمل نفسه تلك الأعباء الجسام وتلك المسئوليات الخطيرة وتلك الكتل من الأثقال . . . ينسى أنه يدفع الثمن غالياً من صحته ، ومزاجه ... ثم ينسى بجانب ذلك ان ذلك التحمس المبالغ فيه فى حمل كل هذه الاعباء قد يؤثر على « مصلحة العمل » وهنا موطن النقد العام . فهو وزير المالية ـ وهو ساعد رئيس الوزراء الأيمن ـ وهو سكرتير الوفد العام ـ وهو القاسم المشترك الأعظم فى كل مفاوضة ـ وهو خطيب الحفلات السياسية الموسمية ـ وهو أحد منفذى المعاهدة . . . الخ الخ ! ! !

ولو لم يكن « رجل الخزانة » و « مارد المال » لتسامحنا فى أن يشترك فى كل معضلة . أما وواجبه الخطير هذا يتطلب حتما التفرغ له وحده فاننا لا نجد مندوحة عن ابداء هذه الملاحظة وتكرارها في كل مناسبة ... ولكن اذا رد بعض العشاق على هذا بقوله إن الرجل دائما « عبيد » قلنا نعم ! لان كفايته فوق المعتاد . . . وخير لنا وله أن نستغلها فى التخصص والانقطاع لنربح منها أكثر ولنجنى منها أضعافاً مضاعفة ... ثم من يضمن « الاجادة » اذا استمر الحال على هذا المنوال ؟ !

هذه هى الشخصية الضخمة قد حللناها ببساطة . ونرجو ألا نكون ظالمين . ولا مبالغين . . . والمستقبل كفيل بأن يرفعها إلى درجة الكمال ان شاء الله . . .

فكرى أباظه

المحامى

امتحان الحياة

بقلم الأستاذ أحمد أمين

إذا فهم الانسان الطبيعة لم يخاصمها

ولم يحاربها ، بل عدل نفسه ليوافقها

اذا نحن امتحنا الحياة الانسانية ـ سواء كانت حياة فرد أم حياة مجموع ـ وجدناها تخضع قانونين أساسيين :

أولهما ـ أن الانسان يمثل الرواية التى يمثلها كل الكائنات : كينونة،ثم نمو ونضج ، ثم تدهور وفناء . مثله فى ذلك مثل كل أنواع النبات والحيوان والجماد والنجوم والكواكب

وهو خاضع كل الخضوع للبيئة التى تحكمه وتحكم قوته ،وتحدد قدرته على المقاومة ، ولاسيما بيئته الطبيعية من جو وإقليم وما اليهما

وقد بدأت الحياة فى أرضنا متحدة متشابهة ثم أخذت تتنوع فى شكلها وحجمها وعقليتها حسب هذه البيئة ، الى أن وصلت فى تنوعها الى الانسان ، والانسان نفسه أخذ يتنوع الى اسود وأبيض وأصفر ، والى بدوى ومتحضر ، والى راق ومنحط ، تبعا لكل ما يحيط به من بيئة ، وكلما تقدم الزمان زاد التنوع ، وكثر التحول ، حتى تصير الأرض الى غايتها فى النمو والنضج ، ثم تتدهور وتأخذ فى البرودة شيئاً فشيئاً فيعترى سكانها الفناء ، ويأتى الفناء أولا لأرق الاصناف ، للطفها ورقة حالها ، ثم لما هو دونها الى أن يأتى على آخرها رقياً

هذه هى الطبيعة ، وهذه هى الحياة ، فالشتاء لا محالة يتبع الصيف ، والهرم يتبع الشباب ، والفساد يلحق الكون ، وليس موجوداً على ظهر الأرض اليوم أحد ممن كانوا قبل مائة وخمسين سنة على اكثر تقدير ، خضوعا لقانون الفناء

يخضع جسم الانسان لقوانين الطبيعة كما يخضع الحجر ، فهو خاضع لقوانين المادة والقوة خضوع الحجر لقوانين المادة والقوة ، ويفعل الحر والبرد وكل أحداث الجو فيه فعلها فى الحجر ، وكل ما هناك من فرق أن قوانين جسم الانسان معقدة اكثر من تعقد الحجر ، لكثرة تركبه

والجمعية البشرية خاضعة لقوانين الطبيعة ككل شىء ، حتى ليمكن إرجاع كثير من المعانى الى هذه القوانين ، فاختلاف الأمم فى العادات والتقاليد ، واختلافهم فى الغنى والفقر ، وفى الخمول

والنشاط ، واختلافهم فى الزراعة والصناعة والتجارة ، واختلافهم فى الآداب والفنون ، واختلافهم فى العقلية بل واختلافهم فى أنواع الحكومات التى تحكمهم كل هذا يرجع ـ الى درجة كبيرة ـ لحالة الاقليم الطبيعية التى تسيطر على الانسان وتحكمه حكما لا مناص له منه

ثم هو يخضع خضوعا تاما لقوانين الحياة كما يخضع كل جسم حي من نبات وحيوان ، فبناؤه العضوى يخضع لقوانين الجسم ذى الاعضاء من توزع الوظائف على الاعضاء والتعاون بينها ونموها من داخلها، ونموها من جنسها. فبذرة الورد تنمو لتكون شجرة ورد، والطفل ينمو ليكون رجلا، والجرو ينمو ليكون كلبا ، وهو يخضع ككل الاحياء لقوانين النشوء والارتقاء ـ يخضع لهذه القوانين كلها كفرد وكمجموع

بل إن عقله يخضع للقوانين خضوع جسمه وأعضائه ، فتكوين المخ والاعصاب يجعل أكثر أعمال الانسان من شعور وغريزة تأتى عن طبيعة ، وتأتى ميكانيكية كأعمال الحيوان ، والعقل فى كثير من شؤون الحياة ليس إلا خادما مطيعاً للمشاعر والغرائز ، وكثير من العادات التى نظنها اختيارية ليست إلا نتيجة طبيعية لحالة المخ والاعصاب والبيئة ، بل الذكاء والغباوة ونوع التفكير ونظامه ، راجع الى ما منحه الانسان طبيعياً من مجموع عصبى وما أحاط به من ظروف

***

بجانب هذا القانون الاساسى ـ قانون الخضوع لقوانين الطبيعة . وهناك قانون آخر يعارض الاول ويعاكسه ، وهو قانون تعديل الانسان للبيئة واستخدامها فى منفعته ، فالانسان منذ وجد على ظهر الارض يحاول أن يخضع قوانين الطبيعة لأمره ، وبدأ ذلك بمحاولات قليلة ضعيفة كان يفشل فى أكثرها ، ولكنه تعلم من الفشل كما تعلم من النجاح . فكان يمتحن سر فشله ويعيد التجارب حتى ينجح ، وكلما تقدم به الزمن زاد نجاحه وقوى أمله ، وسيكون من بعدنا أكثر اخضاعا لقوانين الطبيعة وتعديلها منا ـ حتى كان من أهم مقياس رقى الأمم وانحطاطها مقدار معرفة استخدامها لقوانين الطبيعة وتحويلها إلى مصلحتها ـ وما الزراعة والتجارة والصناعة فى جميع أشكالها إلا محاربة لقوانين الطبيعة ، أو على الأصح تعديلها ، أو بعبارة أدق ، تحويل لها فى خدمته ، على هذا الأساس وبهذه الفكرة اتخذ له مسكنا يحتمى فيه من قوانين الطبيعة وربى الحيوانات ، وعالج المأكولات ، واتخذ الملبوسات ، وخالف بينها صيفا وشتاء ـ لقد ضايقته قوانين الماء فى البحر فاتخذ السفن يخضع بها البحر لسلطانه ، وعرف قوانين الجذب فاستخدمها فى مصلحته ـ وما المستكشفات والمخترعات وجميع صنوف المدنية إلا تحقيق لغرض واحد ، هو استخدام قوانين الطبيعة لخدمة الانسان ، بل ليست الوسائل المعنوية من تربية وتهذيب واصلاح اجتماعى ودين ، إلا لتحقيق هذا الغرض . بل ليست قيمة الوسائل الفنية من أدب وموسيقى وحفر وتصوير إلا أن تزيدنا حياة وتمنحنا قوة نستعين بها على مقاومة قوانين الطبيعة والتغلب عليها . ومقياس التربية الصحيحة

والاصلاح الصحيح والدين الصحيح والفن الصحيح هو مقدار ما فيها من قوة تجعل الانسان أصلح لمواجهة قوانين الطبيعة . وليس عمل الاطباء ولا الصيدلة بجميع ما فيها من عقاقير إلا ضربا من ضروب محاربة قوانين الطبيعة . وكلما تقدم الطب كان معنى ذلك ان الاطباء استكشفوا القوانين الطبيعية للامراض ، وأخضعوها لمصلحة الانسان ـ وليست التعاليم الاخلاقية ولا علم النفس إلا من هذا القبيل ، كلاهما يعالج النفس كما يعالج الطبيب الجسم ، وكلاهما يكتشف القوانين الطبيعية ويحاول اخضاعها

***

بين هذين القانونين ـ قانون الخضوع لقوانين الطبيعة وقانون تعديلها ، سر الحياة . وبينهما حيرة العلماء . وبينهما اختلاف أنظار الفلاسفة . لقد نظر قوم الى الحياة من جانب القانون الاول وحده فقالوا بالجبر وأن الانسان كالريشة فى الهواء وقالوا بالقضاء والقدر . ونظر قوم الى القانون الثانى وحده فقالوا بحرية الارادة وقالوا بسلطة الانسان وأنكروا الحظ وأنكروا القضاء والقدر . وتفلسف قوم فنظروا الى القانونين معا . وقالوا ان الطبيعة التى تخضع بقوانينها الانسان قد منحت الانسان نفسه قدرة على محاربتها والوقوف أمامها لمقاومتها

والحق أن لا حرب ولا خصام، وأن حياة الانسان نفسها ضرب من ضروب القوانين الطبيعية، وأن هناك التئاما بين القوانين الطبيعية والانسان ، وأن هناك « وحدة فى الوجود » لا اثنينية فى القانون ، وأن الانسان لا يحارب الطبيعة ولكن يندمج فيها ويعيش فى وفاق معها ، وكلما رقى ، فهم اسرارها وقوانينها . واذا فهمها لم يعدلها ، ولكنه يعدل نفسه ليوافقها ، وليكوّن هو وهى نغمات متجانسة لا نشوز فيها ، وأن النزاع والخصومة بين الانسان وقوانين الطبيعة سببه الجهل بها ، فيكون شأنه كالطفل يلعب بالنار والغر يتجرع السم يظنه سكراً ، والمثل الأعلى للانسان انسان عرف كل قوانين الطبيعة وكل قوانين نفسه ووفق بينهما ، كالاناء يوفق بينه وبين غطائه والسيف يختار له ما يوافق من غمده . وإذن فلا جبر ولا اختيار ولا خصومة ولا نزاع، ولكن أين هو ذلك الانسان ؟

احمد أمين

ماذا علمتني السياحة

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

كانت السياحة عذاباً ، فصارت دراسة ومتعة

قف بنا - أيها الصديق - لحظة ننظر إلى هذه السفينة العظيمة ، وقد أخذت تبتعد عن الساحل قليلا قليلا ، وكأنها مدينة تتحرك ، قد احتشدت فوقها جموع ضاحكة مستبشرة ، حاملة بأيديها مناديل تخفق بالتوديع ، ولكنه وداع ملؤه الغبطة والفرح ، والتطلع إلى فترة من العمر كلها طرب وسرور !

أهذا هو الفراق الذى يصفه لنا الشعراء ؟ أهذه هى النوى التى كانت تمزق القلوب ، وتستدر الدموع ؟ ليت هذا المنظر يتاح للشاعر القديم الذى قال :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا .

لكى يرى كيف حالت الحال ، وكيف دار الفلك !

حقيقة لا يزال فى العالم مقترون يهجرون أوطانهم فى طلب الرزق ، وينشدون الغنى فى أراض بعيدة ، وأقطار جديدة . ولكن السياحة بمعناها الصحيح قد أصبحت تتطلب شيئا من اليسار - ولو قليلا . وقد نشأ فى العالم اليوم جيل من الناس نطلق عليهم فى مصر اسم « السواح » لا يكاد يقر لهم قرار فى قطر من الأقطار ، ويقضون العمر كله أو جله فى التنقل من أرض إلى أرض ومن بلد إلى بلد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبال عذيب يوماً ويوما بالخليصاء !

وجميع الناس ينظرون الى هؤلاء « السواح » كأنهم طائفة ممتازة من الناس تحسد وتغبط على أنها لا تكاد تقيم بأرضها إلا شطراً يسيراً من العمر

لقد كان السفر فيما مضى قطعة من العذاب ، ولا يزال فى كثير من الأقطار البعيدة عن الحضارة محفوفا بكثير من المكاره والشدائد . ولكن السفر بوجه عام قد أصبح اليوم متعة ونعيما ، محفوفا بكل أسباب الراحة والرفاهية . ولهذا أقبل عليه ذوو اليسار وترك الأغنياء أرضهم وديارهم ، وانقلبوا الى « سواح »

سياحة الفقراء أنفع وأمتع

على أنه ليس من مستلزمات السياحة فى عصرنا هذا أن تكون غنيا . فقد بات من الفنون الجميلة

التى يتقنها طائفة من الشباب الحى القوى فى بعض أقطار أوربا أن يقوم المرء بسياحة لا تكاد تكلفه من النفقات أكثر مما تكلفه الاقامة فى أرضه وداره . وكثيراً ما تلقى الطالب من النمسا أو ألمانيا يجوب الأقطار سعياً على الرجل أو راكبا دراجة ، ولقد يركب القطار أحيانا فى الدرجة الثالثة أو الرابعة ان كان فى الجيب فضل من الدراهم . فاذا جن عليه الليل التمس لنفسه مبيتا فى خان صغير ، أو تحت خيمة صغيرة يحملها فى حقيبته ، أو لدى بعض الزراع ـ لا فى المنزل الريفى الجميل الذى تعيش فيه الأسرة ـ بل فى مستودع التبن . وأنت أيها الصديق الذى لا تعرف ما مستودع التبن ، تجهل من غير شك ما الفراش الوثير حقا والمضجع اللين الوطىء ، فليس بين أسرة المنعمين المترفين ما هو أنعم مضجعا وأوطأ مرقداً من أكداس التبن التى تفوح منها رائحة البرسيم الطاهر المجفف ، تنعم فيه برقاد عميق لذيذ بعد السير الطويل ، ثم تفتح عينيك فى الصباح ، بعد ليل نمته ملء جفونك ، فترى الشمس تطل عليك من وراء الجبال ، والنهر يطربك بخريره والطير يسخر منك لانك استطبت الرقاد ، ولم تستيقظ منه لتحية الصباح

لقد كان أول عهدى بالمبيت فى مستودع التبن سياحة قمت بها مع فريق من طلبة الجامعات الانكليزية وخريجيها منذ بضعة أعوام فى بلاد اسكندناوه . كان عددنا يقرب من العشرين . وقد نظمت السياحة على أن نجنى منها اكبر الفوائد بأقل نفقة ممكنة ، فاستأجرنا من غوتمبرج ـ أول مرفأ فى بلاد السويد ـ سيارة عظيمة تسع الراكبين وأمتعتهم والخيام التى تؤويهم فى الليل ، والأغذية التى يبتاعونها أثناء الطريق . تبوأنا مقاعدنا فى هذه السيارة الكبيرة ، وجعلت تقطع بنا المروج والأودية والغابات والجبال ، ونحن ننظر من نوافذها محدقين فيما يمر بنا ، ونستمتع بما تقع عليه أبصارنا ، فاذا جاء وقت الغداء نزلنا الى جانب غدير أو نهر أو غابة لنتغدى . واذا صادفنا آثاراً أو دياراً ذات شأن أرحنا « مطيتنا » وانطلقنا لنتفرج وندرس ونحقق . فاذا أدركنا المساء ، وقف قائد الرحلة ينظر يمنة ويسرة لكى يختار لنا المكان الذى نبيت فيه . ولا بد له أن يجمع بين جمال المنظر ووفرة الماء ودماثة الارض . فاذا بلغناه انقلبنا فجأة من الجلوس والجمود الى الحركة والنشاط . فاذا الخيام تنصب ، والأوتاد تدق ، والاطناب تثبت . واذا الطهاة قد أخذوا فى تقطيع البطاطس وتقشير البصل وإعداد اللحم والخضر ، وتهيئة أدوات الطبخ . فلا تمضى ساعة أو بعض ساعة حتى يكون العشاء قد هيىء لافواه متلهفة وبطون جائعة . وفى هذه الاثناء ينطلق الآخرون الى ما قد يتاح لهم من الرياضة أو المشى أو السباحة أو الصعود فى الجبال

وفى أحد أيام هذه الرحلة أدركنا الليل قبل أن نصل الى موضع صالح نضرب فيه خيامنا . فأوقف رئيسنا السيارة فجأة ، ثم انطلق وهو يعدو الى بيت قائم وسط مزرعة . فغاب به قليلا ثم عاد الينا وأعلن أننا لن نبيت فى الخيام ليلتنا هذه . ولن يكون فراشنا الارض الجافة . بل سننام على فراش وثير فى مستودع للتبن من الطراز الفاخر . وانطلقنا فاذا مستودع التبن هذا حجرة

عظيمة من الخشب ، قائمة وسط الحقول ، مضاءة بالنور الكهربائى ، وما شككت فى أن البقر فى حاجة الى هذا النور لكى يطالع البرسيم المجفف بدقة وإمعان . ولكن الوقت كان صيفا ، والبقر يرعى فى الحقول ، فلم يكن بالمستودع ماشية سوانا ، فأخذ كل منا يجمع قدراً عظيما من التبن ، ويجعل منه سريراً عظيما وفراشا وثيراً . وكان فى المستودع متسع لنا جميعا بل ولاضعاف عددنا

حقيقة لقد كان هذا مستودعا فاخراً ، وليست كل مستودعات التبن فى أسوج وتروج بهذه الفخامة . ولكنك مصيب فيها دائما ما أصبناه من الراحة والدفء والنوم العميق ، ولطف المكان وظرف السكان

وهنالك منازل أخرى لمبيت القليل النفقة ، ليس هذا موضع الافاضة فى شرحها مثل بيوت الجوالة ، والمدارس الداخلية حين تخلو من الطلبة ومنازل البحارة ، وفى جهات الريف وبعض المدن الصغرى من المألوف جداً أن يصادف المرء منزلا يؤجر أصحابه غرفة لمبيت عابر السبيل بأجر زهيد لا يتجاوز بضعة قروش

ليس الغنى واليسار إذن من مستلزمات السياحة . بل ان الرحلة الفقيرة المظهر ، التى يقوم بها طالب يجوب الآفاق بأرخص الوسائل ، وينام فى أبسط فراش ، تدفعه رحلاته وسط الجبال والانهار والغابات ، يعيش مع الطبيعة وفى كنفها ، يتسنم الصخور ، ويجتاز الثلوج ، ويشرف من قمم الجبال على العالم ، ويطالع صفحات الكون المفعمة بالعجائب والآيات ، هى أجدى وأنفع وأغنى وأغزر من سياحة قوامها فنادق وفنازج ، ومراقص وحانات ، وسيارات ومدن صاخبة ، وموائد مترعة بالاطعمة ، وأخرى مغطاة بأوراق القمار ، فيزداد الجسد مرضاً على مرض ، وفقراً على فقر ، وتنتهى السياحة بالسائح الى أسرة المرضى ودور الاستشفاء فى فيشى أو كرلسباد أو نحوها

إن السياحة أجل درس ، وأرقى أنواع التهذيب ، اذا كان السائح ممن يتأثرون بالدرس والتعليم . وبقدر ما فى نفس السائح من الثقافة والاحساس — لا بقدر ما فى جيبه من المال — تكون فائدته . وليست الكثرة من السائحين الموسرين ، الذين همهم من السياحة متابعة اللهو والشهوات ، بالذين يجنون من السياحة فائدة ، وكثير منهم إعلان محزن مؤلم عن البلاد التى ينتمون اليها

البعثات العلمية خير فرصة للسياحة

وهنالك ضرب آخر من السياحة لم يكلف أصحابه درهماً واحداً . وقد يسرته لنا هذه الأم الكريمة ، التى لا تلقى منا سوى العقوق والنكران — أمنا مصر — التى تكلف نفسها عناء غير قليل وتجشم نفسها ألوانا وضروبا من الارهاق ، من أجل ارسالنا فى بعثات علمية . فتغدق علينا النعم ، وتسبغ علينا أنواع الكرم ، حتى انك لتجد الطالب المصرى ممتازاً بارزاً بين طلبة البعثات من الأمم الاخرى . وقليل جداً من شباننا من يحس حين يرسل فى بعثة علمية أنه مدين بذلك لهذا

الوطن الكريم ، ولهذه الأم البرة . وأكثرنا يعد هذا حقاً مكتسبا ، ولم يفكر ساعة أن عليه فى هذا دينا واجب الوفاء وحقا لازم الأداء . ان كاتب هذه السطور حاول أن يحصى ما أنفقته عليه الأمة من أجل ارساله الى دور العلم بانكلترا ، فاذا هو مبلغ لا يقل عن الألفين من الجنيهات . ولا بد أن يكون المرء متسامحا مع نفسه وضميره ، اذا استطاع أن يتوهم أنه قد وفى هذا الدين المادى ، بله الدين الأدبى

وليست بنا حاجة لاطالة هذا الحديث الاليم ، الا لكى نشير الى أن هذا الضرب من السياحة ـ وإن لم يكن عادة مما ندعوه بالسياحة ـ هو أكثر نفعا وفائدة من تلك الرحلات السريعة . يقضى فيها المرء شهرين أو ثلاثة ، متنقلا بين العواصم ، ومرتاداً أقطاراً عديدة لا يكاد يستقر فى واحدة منها سوى أيام أو أسابيع ، قلما تكفي لأن يجنى فيها السائح فائدة ذات أثر عميق دائم . وان لم يخل الامر من أثر صالح فى كل نفس رزقت نصيبا وافراً من الثقافة وقوة الاحساس

أما الاقامة بين شعب غريب بضع سنين ، يقضيها المرء فى الاطلاع على مختلف البيئات من علمية واجتماعية وسياسية ودينية ، يتذوق فيها ألواناً من الحياة ، محتفظا فى كل هذا بشخصيته وبطابعه القومى ، ولكن غير مغلق صدره دون كل تأثير صالح وتهذيب مقوم ، تكمل به شخصيته وتجمل ، فهذا خير ما يمكن عمله لتكوين شبابنا الذى نعلق عليه آمالا واسعة ، وتتطلب منه الهداية والارشاد فى ميدان العلم والفضيلة والوطنية

المفروض أننا نرسل بعثاتنا إلى بلاد نعدها أرقى وأكثر تقدما من بلادنا ـ ولو من بعض الوجوه ـ ونريد من شبابنا أن يدرس سر هذا التقدم والرقى . فالطالب المصرى الذى يقضى حياته فى الغربة مكبا على صفحات مكتوبة يستظهرها وأسفار يطالعها ثم يعود حاملا « شهادة » يفخر ويتيه بها ، ويراها أقصى ما يمكن أن يبلغه فى الدهر كله ، دون أن يدرس حياة الأمة التى كان يعيش فيها ، فكأنه لم يفعل شيئا . ومثل هذا المسكين هو الذى نراه بعد عودته لا يلبث أن تتطاير من رأسه قشور العلم التى جمعها ، ولا يزال يهبط وينحط ، حتى لا تكاد تجد للسياحة والاسفار ومعاهد العلم والثقافة الغربية فى مظهره ولا فى نفسه أثراً ، اللهم إلا بقية من الغرور الفارغ ، الذى لا يستند حتى إلى أوهى الأسباب

إن سنى البعثة لن تكون لها أدنى فائدة ، بل لقد تغدو ضارة بالشاب وبالأمة التى بعثته ، اذا كانت قاصرة على الحصول على هذه الحروف الأبجدية الجوفاء ، ولم تصحبها دراسة لحياة الأمة التى يعيش الطالب وسطها ، وبحث لأسرار رقيها ، ولما انفردت به من خلق أو صفات امتازت بها علينا

انجلترا خير بلد للسائح المصرى

وإذا جاز لنا أن نفاضل بين الأقطار التى تصلح لأن نوفد أبناءنا اليها ، فانى لا أعرف فيما رأيت من بلاد أوربا بلداً نستطيع ، كمصريين ، أن نستفيد من السياحة والاقامة فيه مثل بلاد الانكليز .

وليس هذا لان الانكليز أرقى شعوب أوربا ، فان كثيراً من الشعوب الأوربية لا يقل بل لقد يكون أكثر رقيا من الانكليز . وكذلك لا أزعم أن الاقامة بينهم هي أطيب وأمتع وأشهى اقامة . ولكنها أجدى وأنفع على المصرى خاصة من الحياة فى أى قطر آخر ، لان فى أخلاق المصريين وطباعهم وجوهاً من النقص والقصور ، وهذه الوجوه هى بالذات التى نجد نقيضها لدى الانكليز فى بلادهم

ولا يكفى للمصرى أن يدرس أخلاق الانكليز الذين فى مصر ، بل لابد لمن يريد دراسة الحياة الانكليزية أن يراها فى بيئتها الصحيحة . ومهما طالعت عن تلك البيئة ، ودرستها فى الكتب فليس هذا بمغن شيئا . فان من أكبر ما أدهشنى فى حياة الانكليز مثلا شدة التدين وقوة الايمان ، مع الحرية الدينية التى ليس لها حد . ومن أحسن ما يمدح به الرجل بين الانكليز أن يصفوه بانه رجل يخشى الله A God-fearing man . والذى نتوهمه أن شدة التدين عادة من بواعث التعصب ، أما فى انكلترا فانها تمشى جنباً إلى جنب مع تعدد الأديان والمذاهب تعدداً مدهشاً

هذا التدين المتغلغل فى الحياة الانكليزية ظاهرة لم تكن تخطر لى ببال ، وليست حياة الانكليز فى مصر مما يعد المرء لان يتوقع مثل تلك الظاهرة . و يقينى أنها ركن متين من أركان القوة فى الحياة الانكليزية ، بل أكبر الظن أنها الأساس المتين الذى يقوم عليه كل ما امتاز به الخلق الانكليزى من الصفات القوية المتينة . وقد كانت الحرية الدينية كفيلة بانشاء مذاهب دينية تتفق مع ميول وعقول كل طبقة من الطبقات ، مهما بلغت من الرقى ، أو الثقافة ، أو السفسطة

وكنت بالطبع أتوقع أن أرى الروح الوطنية قوية بين الانكليز ، ولكنى لم أدرك حقيقتها بصورتها الرائعة الماثلة ، إلا يوم تمثلت لعينى فى حياة الأفراد . وفى ايمانهم الراسخ بعظمتهم وبرقيهم ، وبأنهم أفضل الشعوب . وقد يكون فى هذا ما يقلق الغريب ، بل ويؤلمه أحيانا . ولكنه يحفزه أيضا ويستفزه ، ويشعره إحساسا بالكرامة واعتزازا بقوميته اذا كان ممن يحس ويعقل

ونحن الذين من عاداتنا هنا أن نحتال فى الخروج على القانون المفروض ، سيدهشنا أن نرى الانكليز يخضعون للقانون وللسلطة عن رغبة وعن رضى . ولهم فى هذا أيضا تعبير فيه مدح لذلك الخلق الحميد ، فيصفون شعبا من الشعوب بأنه خاضع للقانون A law-abiding people . حقيقة انهم قد يكونون دون الألمان فى هذا الخلق ، ولكن الانكليز فى خضوعهم للسلطان يفعلون هذا مع تمتعهم بالحرية المطلقة ، ولعلمهم أن هذا القانون انما هو من صنع أيديهم بواسطة نوابهم وبرلمانهم ، فأحر بهم أن يخضعوا له

ومن العبارات التى نسمعها حتى من عامة الانكليز قولهم إن بلادنا بلاد حرة: This is a free Country حتى يمكن أن يقال ان هذه العبارة صارت مثلا . وليس من شك فى أن الانكليز يتمتعون بحرية كاملة فى صحافتهم وخطابتهم وسكناتهم وحركاتهم . ومع ذلك قل أن نجد بينهم من يسىء استخدام هذه الحرية ، بحيث تنقلب الى فوضى

كنت أتمشى مرة فى الحديقة المسماة هايد بارك فى لندن ، ومعى أحد الوجهاء المصريين أطلعه على حياة العاصمة البريطانية ومناظرها . فجعلت أريه الخطباء المنتشرين فى الحديقة ، وقد وقف بعضهم يخطب فى مدح الاشتراكية ، والى جانبه آخر يذمها ، وهذا ينقد الديانات وينادى بالدهرية ، وذاك يمدح المذهب الانجيلى ، وذاك يدرس المذهب الكاثوليكى ... هذا استعمارى يمدح الاستعمار وينادى بعظمة الدول الاستعمارية ، وذاك ينقد السياسة الاستعمارية ويفند مزاعمها . وقد تبوأ كل خطيب منبراً فى الهواء الطلق ، والتف من حوله عدد كبير من المشايعين أو المحايدين أو الناقدين... فكانت دهشتى عظيمة جداً حين التفت صاحبى إلى وقال : لماذا لا ينطلق أعضاء هذا الفريق فيسكتوا أعضاء الفريق الآخر بالقوة ؟..

ولست أريد أن أطيل الشرح فى الدروس الكثيرة التى يستطيع المصرى ـ بوجه خاص ـ أن يتعلمها حين يعيش بين الانكليز . وحسبى أن أشير هنا الى أهم الصفات ، التى ينقصنا الكثير منها . وأخصها ما امتاز به عامة الانكليز من الهدوء والبعد عن الضوضاء فى كل أمر يفعلونه ، ومن الاعتدال فى القول وفى الصداقة والخصومة

ومن أمثلة اعتدالهم فى الكلام مثل لابد لى أن أسوقه هنا وإن ضاق المقام : كنت مرة أصطاف على بعض السواحل ، فنزلت فى بنسيون ، كنا فيه ـ على حد التعبير المصرى ـ نتضور جوعاً . وكنت قد تخلقت بشىء من أخلاق القوم فى الاقلال من الشكوى ، وفى الصبر على المكاره . وهكذا ظللنا أسبوعا كاملا دون أن ينبس أحدنا بكلمة . وكنا جميعا نبتسم لصاحبة البنسيون ونحييها كل يوم ، وجميع مظاهرنا تدل على أن الأحوال على ما يرام . وفى نهاية الأسبوع سافرنا ، وجاء ذكر البنسيون ونحن فى المحطة . فقلت ـ وأنا أحسب أنى أتكلم بغاية الاعتدال ـ لقد كان المنزل حسن الموقع لولا أن الطعام لم يكن كافياً . فقال لى صاحبى : « أجل ! انها لم تكن تسرف فى تغذيتنا ! » .. هذا الطراز من الكلام يطلق عليه الانكليز اسم under-statement ، وهو شائع بينهم حتى بين العامة منهم ، ولقد طال بهم التخلق بهذا الخلق حتى تجد الانكليزى ينفر من كل عبارة فيها غلو أو تهور أو اسراف

وإلى جانب الهدوء والاعتدال يعلمنا المجتمع الانكليزى روح النظام . فهنالك كل شىء مرتب منظم وكل مظهر من مظاهر النشاط له نظمه الصريحة التى تواضع الناس عليها ، والتى لا يجوز لك أن تجهلها أو تخرج عليها

وهنالك ما يسميه الناس البرود الانكليزى . ومعنى هذا الانقباض عما لا يعنيك ، وعمن لا تعرف من الناس ، وألا يستفزك حادث ، ولا يهيجك أمر . وليس هذا « البرود » عن كلل فى العقل أو فقر فى الاحساس ، بل عن عادة الهدوء وخلق الرزانة المغروس فى الطبع أو على الأرجح ـ فى التطبع ـ وهذا الخلق بلا شك واسع الانتشار بين الانكليز ، فليس أيسر من أن تجلس الى

جانب أحدهم فى قطار يحملكما الى بلد بعيـد ، وقد تجلسان على مائدة واحدة . دون أن يتحدث أحدكما الى الآخر بكلمة . . وأنا لا أريد أن أقرر ان هذا خلق حميد أو قبيح ، ولـكني أزعم أن معاشرة أصحاب هذا الخلق مما يحتاجه شبابنا الممتلىء هوساً وقلقاً ، وتسرعا وتطرفا

وخلاصة هذا الكلام أن أهم ما ينتفع به المرء فى دار الغربة فى البلاد الراقية أن يرقب حيـاة الناس عن كثب ، وأن يجتهد فى دراسة مشاربهم وأطوارهم . وهـذا ميسور لطلاب البعثات من غير عناء كبير . أما السائح القصير الاقامة ، فأحر به قبل أن يغـادر مصر أن يتزود ببعض رسائل التوصية ، التى تمكنه أن ينتفع بأسابيعه أو أيامه الى أقصى حد ممكن ، فلا يضيع وقتا فى الانتظار ريثما تجمعه المقادير بالناس الذين يستحقون أن يراهم ويعرفهم . فان هؤلاء ليسوا فى العـادة ممن يلقاهم الانسان بمحض الصدفة

فليكن هم السائح مشاهدة الطبيعة ودراسة الحياة

وهنالك ناحية أخرى لما يتعلمه الانسان من السياحة هى أيسر وأسهل من الأولى ، ولا تتطلب إقامة طويلة ولا بحثا عميقا . وهى الاطلاع على الاقطار الغربية ، وتوسيع مدارك السائح بما يراه من الآثار الفنية ، وبمشاهدة مناظر الطبيعة ، التى قد لاتتاح لسكان مصر ، والتى خصت بها بعض الأقطار

وأكثر السائحين من أهل مصر لا يعنيه من السياحة سوى المدن عامة والعواصم بوجه خاص . ولا شك فى أن للمدن أهميتها وخطرها . ولـكن الذى لم يشهد من القطر سوى عاصمته ، فكأنه لم يشهد منهـا سوى الشطر اليسير . وقد فوت على نفسه أجل المتع وأسماها ، وهى مطالعة الطبيعة ومخالطتها فى مظاهرها المتعددة . فأى شىء أجل وأى متعة أسمى من أن تجلس الى جانب نهر متدفق ، ينصب شلاله فى خرير وزئير ، ورغوة وزبد ، وحياة متدفقة باهرة ، كلها شباب وقوة وفتوة . ثم تنتقل بعد هذا الى نهر من الجليد الجامد الناصع البياض ، يغشاه السكون والوقار والهدوء ، كانه شيخ رزين قد علاه المشيب ، ومن حوله قمم الجبال بارزة وسط الجليد كما يخرج الرأس من وسط الرداء . . ثم تتوكأ على عصاك وتصعد على مهل فى طريق ضيقة وعرة ، حتى تصل بعد لأى الى احدى تلك القمم ، فتشرف منها على عالم ملؤه الروعة والبهاء . فترى الجبال من حولك قائمة صفاً صفا ، ومن بينها الأودية تنساب فيها الأنهار ، وتتوسطها البحيرات . وأنت من مرقبك العالى تشهد هذا كله ، فتحس كأنك تملـكه كله ، وتحتويه كله . ثم تنحدر بعد ذلك الى السفح ، فترى الغابات قائمة من حولك ، فتتعمق فى وسطها ، حيث يظللك شجر الصنوبر ودوح البلوط والزان . ثم تجلس ساعة على العشب الطرى ، وتتأمل فى هذا الهيكل الالهى العظيم ، الذى لا يرى الطرف مداه . . .

فى هذا العالم الفسيح لن يزعجك ـ إن شئت ـ صوت آدمى . ولا ضوضاء حضارة ، وليس

اكثر تهذيبا للنفس الحساسة ، وسط هذه المدنية الداوية الصاخبة التى لا تزداد على الأيام الا ضوضاء ودمامة ، من أيام تقضيها وسط الطبيعة تلمسها وتحسها وتتشربها وتحتضنها

ومن الناس من طغى عليه تيار الحضارة وطمس على قلبه ، فبات لا يحس الحاجة الى الاغتسال بنمير الطبيعة من أدران المدنية . هذا الطراز من الناس مفقود مقضى عليه بالدمار ، ولا سبيل الى انقاذه . وانما يحس الحاجة الى العلم من لم يقبره الجهل ، وإنما يبحث عن الخلاص من به بقية من الحياة

وهنالك من يزعم بأنه يكفى للعلم بأى قطر أو أى اقليم أن تقرأ عنه كتابا أو رسالة . وليس من شك فى أن مطالعة كتاب جيد عن بلد هى خير عوض عن الأصل البعيد المنال . ونحن الذين احترفنا دراسة الجغرافيا وتدريسها مضطرون لأن نتحدث عن أقطار وعن ظاهرات لم نشهدها . ولكن بالطبع ليس الاستماع كالمشاهدة ، وليس من أكل الرغيف كمن قرأ عنه فى الكتب . ولقد كنت أطالع الشىء الكثير عن العالم الجديد ودوله الكثيرة ، وأنها ما زالت فى تطور وتحول ، ولم تستقر لها بعد صورة ثابتة . كانت هذه المعلومات مستقاة من أحسن المصادر ، ولكنها لم تكن على أحسن تقدير سوى صور أتصورها وأخيلة أتخيلها . وأشهد أنى لم أدرك ذلك فى جلاء ووضوح ولم تنطبع الصورة فى ذهنى انطباعا ، الا يوم أتاحت لى الظروف رؤية بلاد الأرجنتين والبرازيل، فأحسست حقيقة أن هذه الاقطار فى تحول وتطور ، أو كما يصفها الجغرافيون فى دور التكوين . وهنالك فرق هائل بين أن تسمع أو تقرأ بأن سكان تلك البلاد من أجناس متعددة ، وألسنة مختلفة وألوان شتى ، وبين أن تعيش بينهم وترى هذه الاختلافات تطالعك أينما ذهبت واتجهت ، وتقف لدى بائع الجرائد فتشاهد المجلات والجرائد فى جميع اللغات التى تعرفها وفى لغات كثيرة لا تعرفها . وتتحدث الى الناس فى الدكاكين فتعرف أن هذا من أصل ألمانى وذاك إيطالى ، والآخر عربى وسواه تركي وبلغارى وهلم جرا

ولهذا ليس لدى اعتراض على الدعوى المعروفة بأن السياحة خير معلم للجغرافيا ، على شرط ألا يكون السائح خلواً من الثقافة الجغرافية . وإلا رأيته يمر بالحقائق دون أن يراها ، وتطالعه المعلومات فلا ينتبه لها ، ولا يجنى من رحلاته سوى قشور لا تسمن ولا تغنى من الجوع الذى ملك عقله وروحه

ما هى السياحة التى تفيد ؟

وفى ختام هذا الحديث لا بد من الاشارة الى أن الاسفار فى الازمنة السالفة كانت تعلم الصبر على الشدائد واحتمال المكاره ، والتغلب على الصعاب ، حين كان السفر - كما قدمنا - قطعة من العذاب

وبديهى أن هذا العهد قد انتهى . ولكن هل أصبحت الأسفار اليوم خالية تماما من هذه الفائدة الجليلة ، التى تستحق وحدها أن تكون من أهم ما يبعث على تشجيع السفر ؟

الحقيقة أن السياحة قد أصبحت وفيها متسع لأصناف كثيرة من الناس . فالمريض العاجز ، والكسلان الفاتر الهمة ، الذى لا يريد أن يكلف نفسه عناء مهما كان يسيراً ، والبليد الذى لا يحسن التصرف فى أمر من الأمور . كل هؤلاء يستطيعون اليوم أن يسيحوا فى الأرض ما دام لديهم المال الكافى . فان شركات السياحة كفيلة أن تأخذ بأيديهم وتقودهم وتذهب بهم حيث تريد ، أو حيث يريدون إن كانت لهم إرادة . وهى التى ترسم لهم البرنامج ، وتقوم عنهم بكل عمل يستدعى فيها أو تفكيراً أو تصرفاً من أى نوع كان ، ولو أن السائح لم يكن انسانا بل دابة من الدواب ، فان شركات السياحة قادرة مع هذا على أن تسير به فى منا كب الارض ثم تعود به سالما آمنا

ولكن السياحة التى تشحذ الذكاء ، وتعلمك حسن تصريف الأمور ، واللباقة فى التفاهم مع مختلف الأجناس والشعوب ، فهذه هى التى يضطلع بها السائح نفسه ، ويتعلم بالخطأ كيف يصل إلى الصواب

ولا يزال فى السياحة متسع لمن يريد أن يتمتع باجتياز العقبات ، وركوب الصعاب . ولكن هذا ليس بمتاح إلا لمن فى نفسه شىء من الروح الرياضية ، الذى يسره أن يقطع الجبال صعوداً وانحداراً ، تارة يمشى فى طريق معبد وطوراً فى مسالك وعر ، وحينا يقطع الجليد ، وطوراً يتسنم الجنادل والصخور ... ورياضة الجبال هى أرقى الرياضات وأعظمها . واذا قيل لك ان الأرواح قد تتعرض فيها للخطر ، فقد رأينا الأرواح تتعرض للخطر فيما هو أتفه وأحقر من هذا

***

والآن لقد طال هذا الحديث ، ولم أبلغ إلا شطراً يسيراً مما أردت أن أقول ، ولكن لا بد من الوقوف عند هذا الحد

والخلاصة التى لا بد من توكيدها هنا ، هى أن السائح يجب أن ينتفع بسياحته الى أقصى حد ، وأن يحصل منها على رياضة الجسم والروح ، وتهذيب الطبع وتثقيف الفكر . وهذا كله ليس بمتاح لكل الناس ، وانما يأخذ منه كل على قدر ما أوتى من الاحساس وسعة الثقافة

محمد عوض محمد

من محفوظات السلاطين

حادث قنصلي شائق

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

قصة تستعرض طرفا من رسوم البروتوكول بين مصر والبندقية فى العصور الوسطى

فى أواخر الصيف الماضى ، كنت ذات صباح بمدينة البندقية (فينزيا) أتأمل واجهة كنيسة القديس مرقص (سان ماركو) الشهيرة بعد أن تم اصلاحها ، وبدت صورها وفسيفساؤها الساحرة فى أبدع مظاهرها ، فلفت نظرى صورة قد نقشت فى ركن واجهتها اليمنى مما يلى قصر الدوجات ، تمثل نقل رفات القديس مرقص من الاسكندرية ، وقد ظهرت بها صور رجال يرتدون العمائم والثياب العربية ، فذكرت ماترده تلك الأسطورة التى تسبغ لوناً من الروعة والقدسية على تاريخ الجمهورية الشهيرة ، وهى أن خدم كنيسة القديس مرقص بالاسكندرية انتهزوا فرصة رسو بعض سفن للبنادقة فى مياه الثغر ، فأخرجوا رفات القديس مرقص من مرقدها بالكنيسة ، وحملوها خفية فى سلة كبيرة غطيت بالأعشاب والأغصان الى سفن البنادقة ، فأقلعت بها حتى وصلت الى البندقية بسلام ، وهنالك أودع القديس لحده الجديد بين مظاهر التكريم الباذخ وأقيمت فوقه الكنيسة التى تعرف باسمه حتى اليوم

كان ذلك فى أوائل القرن التاسع الميلادى . ومنذ القرن العاشر نرى مصر المستقلة ترتبط بجمهورية البندقية بصلات كثيرة ، سياسية وتجارية ، ونرى هذه الصلات تنمو وتتسع طوال العصور الوسطى . وكانت الثغور المصرية ولا سيما الاسكندرية مرسى دائما لسفن البنادقة ، وكانت مصر أعظم طريق لتجارتهم الى الشرقين الأوسط والأقصى ، وكانت البندقية يومئذ أعظم الدول النصرانية فى البحر الأبيض المتوسط بعد الدولة البيزنطية ، ولما دخلت الدولة البيزنطية فى طور انحلالها فى القرن الثالث عشر ، احتلت البندقية مكانتها القديمة ، وغدت عميدة الدول النصرانية فى البحر الابيض المتوسط ، وغدت بلا ريب سيدة هذه المياه تضرب أساطيلها الحربية والتجارية فى جنباتها الوسطى والشرقية ، وتستأثر بأعظم المغانم التجارية فى ثغورها ومجتمعاتها

كانت العلائق السلمية التجارية أهم ما يربط مصر والبندقية فى تلك العصور ، ولم تك ثمة بواعث للخصومات السياسية والحربية بين الدولتين الا في فرص قليلة ، حينما بسطت البندقية حمايتها على بعض الجزر الشرقية مثل قبرص ورودس ، واقتربت بذلك من الشواطىء المصرية ، فعندئذ وقعت بين مصر والبندقية بعض معارك وملاحم بحرية ، أحياناً فى مياه الاسكندرية وأحيانا فى مياه الجزر وكانت البندقية تدفع دائما ثمنا فادحا لهذه الخصومات من تجارتها ومغانمها المادية ، وكانت حكومة السلاطين تعرف دائما موضع الضعف فى مصالح البندقية ، فتعمد فى مثل هذه الظروف الى مصادرة تجارتها ، وقد كان لها كما قدمنا مصالح تجارية وصناعية زاهرة في معظم الثغور والعواصم المصرية ، وكان رهط كبير من التجار البنادقة يبث فى الاسكندرية والقاهرة ، فعندئذ تهرع البندقية الى مصانعة مصر وعقد المعاهدات الودية معها

فى سنة ١٣٦٥ سار اسطول بندق من جزيرة رودس الى الاسكندرية ، وكان ذلك فى عهد السلطان الأشرف أبى المعالى ملك مصر ، ونزل الجيش البندقى الى الاسكندرية ، ولكنه رد فى الحال على أعقابه ، وأمر السلطان فى الحال بمصادرة المتاجر البندقية ، والقبض على التجار البنادقة واعتقالهم مصفدين بالحديد ، فخشيت حكومة الجمهورية عاقبة هذه السياسة على مصالحها التجارية الواسعة ، وأرسل دوج البندقية وهو يومئذ ماركو كورنارو الى سلطان مصر سفارة وهدايا فخمة واعتذر البنادقة عن فعلتهم ، وعاد التفاهم بين الدولتين

***

وفى عهد السلطان الناصر فرج ، وقع حادث « قنصلى » طريف يوضح لنا طبيعة العلائق بين مصر والبندقية . وقد انتهت الينا عن هذا الحادث وثيقة شائقة من محفوظات البلاط المصرى ، نقلها الينا القلقشندى صاحب صبح الأعشى ، وهى تلقى ضياء على نظم التمثيل القنصلى فى تلك العصور ، وماكان لمصر يومئذ من السيادة المطلقة فى معاملة ممثلى الدول الأجنبية ، كما تلقى ضياء على قواعد البروتوكول الدبلوماسي أو المصطلح الشريف فى هذا العصر

وتاريخ هذه الوثيقة ١٦ صفر سنة ٨١٤ هـ (١٤١٢ م) ، وقد وردت الى البلاط المصرى من دوج البندقية « ميكائيل ستينو » على يد سفيره « نقولا البندق » وكتبت فى « فرخة ورق فرنجى مربعة متقاربة السطور » وترجمت فى قلم الترجمة السلطانى وهذا نصها :

« السلطان المعظم ملك الملوك « فرج الله » ناصر الملة الاسلامية ، خلد الله سلطانه

« يقبل الارض بين يديه . . . دوج البنادقة ، ويسأل الله أن يزيد عظمته ، لانه ناصر الحق ومؤيده . وموئل الممالك الاسلامية كلها ، وينهى ما عنده من الشوق والمحبة لمولانا السلطان ، وانه لم تزل أكابر التجار والمحتشمين والترددين من الفرنج الى الممالك الاسلامية شاكرين من عدل مولانا السلطان وعلو مجده ، وتزايد الدعاء بقاء دولته ، وقد رغب التجار بالترداد لى مملكته

الشريفة بواسطة ذلك ، ولاجل الصلح المتصل الآن بيننا والمحبة

«وأما غير ذلك ، فانه بلغنا ما اتفق فى العام الماضى من حبس العير فى ثغر دمياط المحروس ، وان مولانا السلطان مسك « قنصل » البنادقة والمحتشمين من التجار بثغر الاسكندرية المحروس ، وزنجرهم بالحديد ، وأحضرهم الى القاهرة ، وحصلت لهم البهدلة بين جنوسهم والضرر والقهر الزائد ، وكسر حرمتنا بين أهل طائفتنا ، فان الذى فعل مع المذكورين انما فعل معنا ، وتعجبنا من ذلك ، لان طائفتنا لم يكن لهم ذنب . وهذا مع كثرة عدل مولانا السلطان فى مملكته ، وعبتناله ، ومناداتنا فى جميع مملكتنا بكثرة عدله ، وبمحبته لطائفتنا ، وإقباله عليهم ، وقولنا لجميع نوابنا ، انهم يكرمون من يجدونه من مملكة مولانا السلطان ، ويراعونه ، ويحسنون اليه ، والمسؤول من إحسانه الوصية بالقنصل والتجار وغيرهم من البنادقة ، ومراعاتهم واكرامهم والاقبال عليهم ، والنظر فى أمورهم اذا حصل ما يشبه هذا الامر ، ومنع من يشاكلهم لتحصل بذلك الطمأنينة للتجار ، ويترددوا إلى مملكته »

وهذه الوثيقة ، وما تضمنته من الوقائع والاشارات ، تلق كما قدمنا ضوءاً على طبيعة العلائق التى كانت قائمة بين مصر والبندقية خلال العصور الوسطى ، وفيها تنويه واضح بأهمية المصالح التجارية التى كانت للبندقية فى مصر ، وما كانت تجنح اليه هذه الجمهورية القوية الغنية من مسالمة حكومة السلاطين التى كانت تستطيع بسلكها أن ترعى هذه المصالح أو تحطمها . والواقع ان العلائق بين مصر وبين الجمهوريات الايطالية ، ولا سيا جمهورية البندقية ، كانت دائماً مشبعة بروح الصداقة والمسالمة ، وقد كانت البندقية دولة بحرية قوية ، ولكن مغامراتها الحربية لم تمتد الى مصر إلا فى فرص قليلة وكانت تنتهى دائماً بعقد الصلح والتفاهم ، وكان بين الدولتين تراث تجارى عظيم مشترك ، فقد كانت البندقية تحمل تجارة الغرب وثرواته الى الشرقين الأدنى والأقصى ، وكانت مصر وثغورها أعظم طريق لهذه التجارة ، تجنى من مكوسها ووساطتها الأرباح الطائلة ، ولقد كان اكتشاف طريق الهند فى خاتمة القرن الخامس عشر ضربة لتجارة البلدين ، وكان له أعظم أثر فى انحلال ثرواتهما ورخائهما

وقد لبثت هذه الروابط الودية الوثيقة قائمة بين الدولتين حتى الفتح العثمانى لمصر ، ففى سنة ١٤٦٢ م (٨٦٥ هـ) عقد دوج البندقية باسكالى ماليير معاهدة تجارية مع الملك المؤيد احمد ابن الملك الأشرف اينال سلطان مصر ، وفيها تنويه بما بين الدولتين من صداقة قديمة واشارة إلى الهدايا المتبادلة بين الأميرين ، وتنظيم لبعض المسائل التجارية ، وكان عقدها بواسطة سفير البندقية المسمى « مافى ميكالى » ، وقد حمل بعد عقدها هدية السلطان الى الدوج ، وفيها مقادير من العنبر والطيب والصندل والسكر وأبسطة شرقية ثمينة

وكانت هذه السفارات البندقية الى بلاط السلاطين منتظمة مستمرة ، توفدها حكومة

الجمهورية الى القاهرة كلما تولى سلطان جديد ، لتجدد بينهما عهود الصداقة والمودة ، وقد انتهت الينا أخبار كثيرة من هذه السفارات ، بيد اننا من جهة أخرى، لا نجد فى تاريخ البندقية أثراً لسفارات مصرية أوفدت الى حكومة الجمهورية ، وان كانت قد انتهت الينا بعض رسائل دبلوماسية يوجهها سلاطين مصر الى دوج البندقية ، وهى رسائل كان يحملها غالبا سفراء البندقية عند عودهم الى بلادهم

وقد كانت آخر سفارة بندقية الى مصر فى عهد السلطان الغورى آخر ملوك مصر المستقلة ، وذلك قبيل الفتح العثمانى بأعوام قلائل

ولعله مما يلفت النظر أن هذه الرسالة الدبلوماسية التى أوردنا نصها ، والتى تدل على انه كان للبندقية بمصر أيام السلاطين وكلاء وممثلون دائمون ، تدل أيضا على ما انتهت اليه المخاطبات الدبلوماسية يومئذ من حسن السبك ودقة التعبير ، وقد كان للبلاط المصرى قلم ترجمة بارع ، انتهى الينا من تراثه تعريب كلمة « قنصل » التي أضحت فى يومنا تعبيراً عربيا فصيحا لمقابلها الفرنجي

محمد عبد الله عنان

الغنى والفقير

ليس بين الغنى والفقير سوى فارق واحد : هو أن هذا يهم التفكير فى وجبته الآتية ، لأنه يخشى الا يجد فيها ما يتبلغ به ، وذاك يهم التفكير فى وجبته الفائتة ، لأنه يخشى أن تؤذيه التخمة والبطنة . . .

مصطفى صادق الرافعى

فى الشهر الفائت خبا فى مصر نور سطع فيها ردحاً طويلا ، وانطفأ نبراس كان يستضيء به طلاب الأدب العربى ، وافتقدت اللغة العربية المرحوم مصطفى صادق الرافعى

نشأ المرحوم فى طنطا فى أسرة عرفت بالعلم والأدب والدين . وكان والده من كبار رجال الفقه والقانون ، شغل مناصب القضاء والافتاء وترك فيها ذكراً محموداً . وأظهر صاحب الترجمة منذ نعومة أظفاره ميلا الى اللغة والأدب والشعر والانشاء حتى بلغ فيها جميعا منزلة تعز على الاكثرين كما تشهد بذلك مؤلفاته وبنات قريحته . ولا أدل على صحة هذا القول من كتاب « اعجاز القرآن » الذى حاز منزلة ملحوظة بين كتب الأدب ، لا فى مصر فقط بل فى جميع الاقطار التى يتكلم أهلها العربية . ونحن انما نذكر « اعجاز القرآن » دون غيره لانه بلغ حداً من البلاغة والفصاحة لم يبلغه غيره . ولا غرو فان من وصل الى مرتبة الرافعى بين الكتاب قليل فى هذا العصر

واذا كان الرافعى يمتاز بالفصاحة والبلاغة وحسن الديباجة ، فقد كان يمتاز بشيء آخر وهو التفكير المطبوع بطابع التمشي مع روح العصر ومسايرة الجيل الحديث . وبعبارة أخرى . أن مصطفى صادق الرافعى كان يجمع بين القديم والحديث . فلم يكن مجدداً بالمعنى المفهوم اليوم من التجديد ، أى انه لم يكن ممن ينكرون ما فى القديم من حكمة وجمال . وانما كان مجدداً بمعنى انه كان يأخذ بكل ما هو جدير بالأخذ ، قديما كان أم حديثا ، ويسعى للتوفيق بين أساليب كتاب هذا العصر ، مراعيا قواعد اللغة ومقتضيات الفصاحة فلا يفرط فى شيء ولا يتجاوز عن شيء . وكان ملما بموضوعات كثيرة قلما تجتمع لأحد ، من أدب وفلسفة وشريعة واجتماع وعلم وفن وتاريخ وفقه وما الى ذلك . فكان اذا كتب فى الأدب ظننته الجاحظ . واذا كتب فى فلسفة الاجتماع ظننته ابن خلدون . واذا كتب فى الفقه ظننته من كبار الأئمة . واذا كتب فى التاريخ ظننته ابن الأثير . وهو فى كل ذلك الحجة الثبت يرجع اليه ويحتج بكلامه

وكان ودنا أن نطيل الكلام على مؤلفات الفقيد فى اللغة والأدب وأصول الدين وهى كثيرة ، ولكن المجال يضيق دون ذلك . أضف الى ذلك اننا مهما أفضنا فى الحديث عنها وعن صاحبها لم نزد القراء تعريفا بفقيدنا الكريم . ولكن الذين قرأوا اعجاز القرآن وتاريخ آداب العرب ووحى القلم والسحاب الأحمر وتحت راية القرآن ورسائل الاحزان وأوراق الورد وديوان الرافعى وغير هذه المؤلفات والمنظومات لا يسعهم إلا أن يدهشوا لما كان الفقيد عليه من العلم وسعة الاطلاع ،

وما كان صدره يعيه من فنون الأدب وعلوم الاجتماع . ولعل ما كان قد ابتلى به من محنة فى سمعه هو الذى صرفه الى مواصلة الدرس والاغتراف من بحر الآداب . بل هو الذى شحذ قريحته وصقل شعوره فأخرج منها شاعراً بلغ المرتبة الأولى بين شعراء العصر ، ومع ذلك كان يضن بشعره أن يبتذل ، فلا يأذن بنشر شىء منه إلا اذا دعت الحاجة الى ذلك

***

وكان يمتاز الفقيد ـ الى جانب ما يمتاز به من التبحر فى العلوم الأدبية ـ بدماثة الخلق ورقة الطبع . وفى الحقيقة انه كان لشدة أدبه وتواضعه يتحاشى الظهور بين الناس ويتوارى عنهم إلا اذا دفعته الضرورة الى غير ذلك . واننا فى خلال ثلاثين سنة عرفناه فيها قلما اجتمعنا به فى حفل عام بل كان أكثر اجتماعنا به عرضا واتفاقا . فكان بذلك يقدم المثال الصالح للكثيرين من الأدباء . وقد كان الكثيرون من عظماء مصر الذين عرفوا الفقيد وخبروه يقدرونه حق القدر ويعجبون بأخلاقه وآدابه وما هو عليه من سعة العلم ، وفى مقدمتهم المغفور لهما الشيخ محمد عبده وسعد زغلول باشا . ومع أن فقيدنا كان فى أخريات أيام المغفور له الشيخ محمد عبده فى شرخ شبابه ، فقد كان الامام رحمه الله يعجب بأدبه ويقدر علمه حق قدره ، وقد صرح بذلك جهاراً

أما تدينه وتقواه فحدث عنهما ولا حرج . وأنى لمؤلف «اعجاز القرآن» «وتحت راية القرآن» إلا أن يكون متدينا تقيا . ولم يكن الشعور الدينى فيه من قبيل التظاهر أو تقليد السلف بل كان عقيدة راسخة فيه ورثها عن المرحوم والده فتمسك بها أشد التمسك . وفى الحقيقة انه كان ملما كل الالمام بأوامر الدين ونواهيه وبما توجبه الشريعة السمحة والكتب المنزلة

***

أما أسلوب الرافعى فكان مطبوعا بطابع خاص لا أثر فيه للتقليد ، سواء أكان فى منثوره أم فى منظومه . وهو أسلوب بعيد الغور يدل على تفكير الفيلسوف الذى ينظر الى الحقائق والى ربط العلل بالمعلولات . ولذلك لم يكن من السهل على غير المفكر أن يدرك مرام ذلك الكاتب أول وهلة بل قد يضطر الى الوقوف للتفكير هنيهة فى المعنى الذى يريده . فاذا انجلى له رآه يشف عن حكمة بالغة ترتفع الى أسمى مراتب الفلسفة . وفى هذا أكبر دليل على أن الرافعى لم يكن كاتبا فحسب بل فيلسوفا مفكراً يرمى الى أقصى غايات الحكمة والفلسفة . ولذلك لا نخطىء اذا قلنا إن الرافعى لم يكن يكتب للعامة بل للخاصة . وكانت متانة أسلوبه وجزالة تعابيره وبلاغة منثوره ومنظومه فى المرتبة الأولى

وكان من يجتمع بالرافعى ويستمع الى حديثه يدهش لما يتدفق منه من الأقوال الدالة على غزارة مادة وسعة باع فى كل منحى من مناحى العلوم والفنون . حتى لقد كان يخيل الى جليسه أنه أمام أحد كبار الأئمة يسمع آيات البلاغة والحكمة والاختبار تتدافع من لسانه . وما كان الجليس

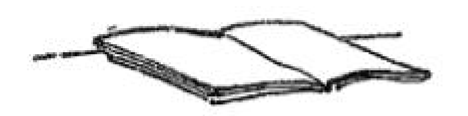
ليشعر بما يشف عن غير القناعة والرضى . ذلك لان الرافعى كان مثال الزهد والقناعة يكتفى بما يحفظ كرامته ويرعى حرمته . ولا أدل على قناعتـه من تواريه عن الاكثرين واقتصاره فى معاشراته على نفر من الاصدقاء الخلص الذين كانوا يدركون نفسيته ويدرك نفسيتهم ، فيبادلهم ما يجول فى خاطره من آراء وأفكار . ومع ذلك كان كثير المرح حاضر النكتة يميل الى الجذل والانشراح ويودع أحاديثه كثيراً من الطرائف المستملحة

***

ولعل خير ما نختم به هـذه الكلمة الوجيزة هو ما قاله المغفور له سـعد زغلول باشا حين قرأ كتاب إعجاز القرآن فأعجب ببلاغته كل الاعجاب ، فقال : « كأن بيانه تنزيل من التنزيل ، أوقبس من نور الذكر الحكيم » فان هذه العبارة هى أدق تصوير لمـا بلغه الرافعى من بلاغة فى التعبير ، وجزالة فى الاداء ، سمت به الى مرتبة كبار الناثرين فى القرن الثالث والرابع الهجرى

هذه هى منزلة الرافعى الذى فقدته مصر وأصيبت فيه جميع الاقطار التي يتكلم أهلها العربية . وستبقى طويلا قبل أن يقوم من يسد جميع الفراغ الذى أحدثته وفاته





فتح قناة السويس

كيف يتحقق الأمل بفضل الصبر والكفاح

بقلم الاستاذ حسن الشريف

فكرة وصل مياه البحر الاحمر بمياه البحر الابيض المتوسط فكرة قديمة لا يمكن تحديد تاريخها على وجه الدقة ، ولكن يغلب على الظن أنها ترجع الى فجر مدنيات الأمم المقيمة على شواطيء بحر الروم ، حين أخذت هذه المدنيات تتصل ببلاد الشرق القريب وبلاد الشرق البعيد

ومن المحقق الذي لا شك فيه أن الجزء من قناة السويس الواقع اليوم بين بحيرة التمساح والبحر الأحمر كان محفوراً في عهد فراعين مصر وأنه كان امتداداً لترعة عظيمة تنبع من النيل وتجري — على ما أرجح — في المجرى الذي تجري فيه الآن ترعة الاسماعيلية من القاهرة الى بحيرة التمساح [1] وتصل مياه النيل بمياه البحر الأحمر

وينسب شق تلك الترعة القديمة إلى رمسيس الثاني . ويقول المؤرخون انها ظلت قائمة إلى عهد ملوك الأسرة الصاوية ثم أهملت فتهدمت جسورها وطغى عليها الرمل والطمي ، فتعطلت حركة الملاحة فيها إلى ان جاء الملك نيخاو أونيقوس — من ملوك الأسرة السادسة والعشرين — فتولاها بعنايته وطهرها وصيرها صالحة لمرور السفن من جديد ، فلما غزا الفرس مصر في عهد ملكهم داريوس وجدوا تلك الترعة واستخدموها

ومما يدل على أن ترعة رمسيس بقيت إلى زمن الملوك البطالسة أن الملكة كليوباتره حاولت بعد هزيمتها في معركة اكسيوم البحرية أن تفر من وجه الرومان بأن تنفذ بأسطولها من البحر الأبيض المتوسط الى البحر الأحمر عن طريق النيل وتلك الترعة . ولقد جاء قياصرة روما ابان حكمهم في مصر فوسعوا ترعة رمسيس وجعلوها أكثر صلاحية للملاحة ، وسميت من ذلك العهد « نهر تراجان » نسبة إلى الامبراطور الروماني صاحب هذا الاسم

وبعد الفتح الاسلامي تعهد عمرو بن العاص نهر تراجان ووالى اصلاحه وتعميقه وتوسيعه وظلت السفن تجري فيه حاملة تجارة مصر إلى الشرق وتجارة الشرق إلى مصر ، حتى جاء الخلفاء

---

(١) راجع خريطة الدلتا لمستر بتلر في كتابه « مصر في عهد الفتح الاسلامي » تجد أن مجرى نهر تراجان — وهو الترعة التي نتحدث عنها — مطابق لمجرى ترعة الاسماعيلية

العباسيون فهدموه وردموه لأسباب يقول اناتول فرانس انها حربية ويقول جلال الدين السيوطى انها سياسية (١) وهكذا اندثرت معالم ذلك الاثر الجغرافى العظيم الذى وجه نظر العالم إلى وجوب فتح قناة السويس

ويوجد المقريزى صلة بين نهر تراجان والخليج المصرى فيقول فى خططه :

« هـذا الخليج بظاهر فسطاط مصر ويمر غربى القاهرة . وهو خليج قديم احتفره بعض ملوك مصر ، ثم تمادته الدهور والاعوام فجدد حفره ثانيا بعض من حكم مصر من ملوك الروم . فلما فتحت مصر على يد عمرو بن العاص جدد حفره باشارة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحفر عام الرمادة وكان يصب فى بحر القلزم . ولم يزل على ذلك إلى أن أقام محمد بن عبد الله بن حسن ابن على بن أبى طالب بالمدينة ، فكتب الخليفة المنصور الى عامله بمصر أن يطم هـذا الخليج حتى لا تحمل الميرة من مصر الى المدينة ، فطم وانقطع من حينئذ اتصاله ببحر القلزم (البحر الاحمر) وصار على ما هو عليه اليوم »

ويؤيد على باشا مبارك هذا الرأى فى خططه التوفيقية فيقول :

« ان هـذا الخليج (يريد خليج القاهرة) بعض من خليج قديم كان مستعملا فى الأزمان الغابرة للملاحة وموصـلا بين النيل والبحر الاحمر . وكانت تدخل بواسطته تجارة بلاد العرب والهند والسودان الى القطر المصرى وتوزع فى بلاده ، كما أن التجارة المصرية كانت تحملها نفس السفن فيه الى البحر الاحمر فتدخل فى جميع البلاد المذكورة ، فهو بهذا الاعتبار أثر من الآثار العتيقة يستحق الذكر »

وغزا بونابرت مصر فى أواخر القرن الثامن عشر ولم يلبث حتى تراءت له فائدة فتح طريق بحرى بين أوربا والشرق الأقصى ، وأدرك أن خير وسيلة إلى ذلك انما هى اعادة حفر الجزء من نهر تراجان الذى ردمه العباسيون ، على أن يمد هذا الحفر من بحيرة التمساح إلى البحر الابيض المتوسط فى قناة تخترق البرزخ على طوله . وإذ اقتنع بونابرت بأن هذا البوغاز يختزل الطريق أمام أسطوله الى الهند ويسهل عليه انتزاع هذه الهند العظيمة من أيدى الانجليز ، ويعاونه على انشاء الامبراطورية الشرقية التى طالما ساورت أحلامه والتى لم يكن فتح مصر إلا الخطوة الأولى فى سبيلها ـ عهد الى بعض المهندسين من العلماء الذين رافقوا حملته درس هذا المشروع ووضع تقرير عنه . ولكن الظروف السياسية اقتضت إذ ذاك ارتحاله عن مصر ، ففشلت الفكرة بفشل الحملة الفرنسية . بيد أن وجوب تحقيقها ظل مستقراً فى الأذهان حتى لقد كتب القس انفانتان فى سنة ١٨٣٣ فقال : « ان السويس هى النقطة التى يجب أن تلتقى عندها أنظار المفكرين فى مستقبل المدنية والمحور الذى

---

(١) راجع الجزء الثانى من كتاب « حسن المحاضرة » للسيوطى

يجب أن تدور حوله حياتنا التجارية . ولا شك اننا سنحقق هنالك هذا المشروع الأكبر الذى ينتظره العالم منذ زمن طويل »

يتبين من تلك اللمحة التاريخية السريعة ان فتح قناة السويس فكرة ساورت الأجيال من قديم الزمان ، ولكن ارتدت عنها همم الملوك وعزائم الحكومات وتقاعست أمامها العلوم والأموال والكفايات . فلما أراد الله للمعجزة أن تتم ، تمت على يد رجل غريب عنها لا تربطه بها صلة ولا يمت اليها بسبب ، رجل لم يكن ملكا ولا حاكماً ولا مهندسا ولا ذا مال ، وانما كان صاحب عزمة قوية تراءى له حلم لذيذ فأراد أن يحققه فقال له كن فكان

ويا ليت شعرى ما أعجب تصرفات الأقدار ترتب أعظم النتائج على أتفه الأسباب . ! وإلا فمن الذى يصدق أن أكبر مشروع هندسى أخرجته يد الانسان انما جاء وليد صدفة سخيفة لو لم تقع لما تمت المعجزة ولبقيت قناة السويس حلما يطوف من وقت لآخر برؤوس القرون والاجيال ؟

فى سنة ١٨٣٠ كان المسيو فرديناند ده ليسبس شابا فى الثامنة والعشرين من عمره عينته حكومته قنصلا تحت التمرين بقنصليتها فى الاسكندرية . فلما بلغت به السفينة الميناء لم يكن له مناص من قضاء أيام الحجر الصحى بمحجر الثغر عاطلا لا عمل له يشغل به نفسه أو يقطع فيه وقته . وكأنما أشفق عليه رئيسه من السآمة التى يستوجبها هذا العطل الطويل فأرسل اليه حزمة من الكتب ليتلهى بمطالعتها ريثما تنقضى مدة الحجر فيتسلم عمله الجديد

وتشاء الصدف أو يشاء سوء الاختيار أن تكون بين حزمة الكتب رسالة مطبوعة للمهندس لوبير ، وضعها مؤلفها اجابة لرغبة بونابرت وجعل موضوعها نبذة تاريخية عن فكرة شق برزخ السويس وعرضا لشتى الآراء التى أبديت فى سبيل تنفيذ هذا المشروع ونقداً فنيا لكل تلك الآراء واقتراحات جديدة يراها صاحبها أولى بالاعتبار

ولعمرى لست أدرى كيف أعلل اختيار القنصل هذه الرسالة الفنية الجافة ليقرأها ناشىء فى السلك السياسى لا علاقة له بالعلوم الهندسية ولا بشؤون المهندسين ، ولكن هكذا شاءت الأقدار لترتب على هذا الاختيار المضحك تحقيق ذلك المشروع الذى طالما بسم للناس بمزاياه وفوائده وأعجزهم بصعوباته وموانعه

تناول فرديناند ده ليسبس رسالة المهندس لوبير ، وجعل يقلب صفحاتها ، وكأنما استرعى سمو الفكرة اهتمامه ، أو داعبت ضخامتها همته ، فقرأ الرسالة مرة ثم مرة ، ثم أغمض جفنيه وسبح فى بحر من التأملات وتحدث الى نفسه قائلا : « ما دامت هذه الفكرة قد ساورت الانسانية فى شتى العصور فاما أن يكون تحقيقها ممكنا رغم ما قد يعترضه من العوائق والصعوبات ، واما أن يكون مستحيلا رغم صدق عزيمة القائمين به . فلم لا أحاول ، والحالة هذه ، تحقيق هذه الفكرة حتى إذا نجحت أكون قد قدمت للانسانية خدمة عظمى ، أو إذا فشلت أكون قد أقمت الدليل العملى على

استحالتها فتنصرف عنها العقول ؟ » ومن ذلك اليوم بثت فى ذهنه فكرة شق برزخ السويس

***

كانت مصر فى ذلك الحين بلادا بكرا لا تزال ضروب الاصلاح فيها كثيرة ونواحى التعمير والاستغلال متعددة ، ولكن تنقصها النفوس الوثابة والرؤوس المدبرة المبتكرة التى تستكشف كنوزها وتهتدى الى وسائل ترقيتها وتتعرف مواطن الثروة والغنى فيها . وكان محمد على ، ذلك العبقرى الأمى العظيم ، يرحب بكل أجنبى يتوسم فيه القدرة على معاونته وارشاده الى طرائق النهوض بملكه ، فكان باب العمل والاجتهاد فى مصر مفتوحا أمام الاجانب على مصراعيه

ولقد تذكر محمد على فى شيخوخته وقبيل انطفاء سراج عبقريته أنه مدين بكثير من نجاح مشروعاته بل ومن ولايته أمر مصر لرجل فرنسى اسمه ماتيوه ده ليسبس كان قنصلا لفرنسا بالقاهرة ، وأن هذا الرجل طالما أمده بنصائحه وزوده بارشاداته وذلل فى طريقه كثيرا من الصعاب السياسية والادارية . وهاهوذا فردينان ابن ذلك القنصل الطيب الذكر يحل بمصر موظفا سياسيا فكيف لا يرحب به الوالى وكيف لايوسع له صدره ويقربه اليه ؟

وكان فردينان شابا متوقد الذكاء واسع الحيلة لطيف التدخل فى الامور . وهذه مزايا كفيلة بانجاح صاحبها فى بلاد الغرب ، فما بالك بأثرها فى نفس حاكم شرقى يندر أن يجد حوله رجلا قد اكتملت فيه تلك المزايا والصفات ؟ لذلك لم يلبث الشاب طويلا حتى شغل فى قلب الوالى تلك المنزلة التى كان أبوه يشغلها من قبل فصار موضع ثقته ومستشاره الأمين فى كثير من الاحوال

وكان لمحمد على أولاد كثيرون ، ولكن كان أحبهم اليه الأمير سعيد الذى رزقه على الكبر وأعجب بأخلاقه ومواهبه ورجحان عقله ، فخصه بنصيب وافر من حبه وعطفه وعقد عليه أكبر الآمال . واذ كان محمد على قد تسنم ذروة المجد وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب فان اعجابه بهذا الولد النابه كان يتزايد كلما رآه يقبل على درس العلوم الغربية الحديثة ويحسن القراءة والكتابة ويجيد التكلم باللغة الفرنسية ويبدى فى الدراسة والتحصيل نجابة واجتهادا . بيد أن هذا الاعجاب لم يكن ليقلل من القلق المستحوذ على نفس الوالد من جراء بدانة ولده . نعم فلقد كان سعيد بادنا الى درجة مزعجة وكان أخوف مايخافه أبوه أن يقتله الشحم المتراكم على صدره . لذلك كان يراقب وزن جسمه كما يراقب سير دراسته ، فاذا نقص الوزن كافأه واذا زاد عاقبه وحرمه الطعام وحتم عليه أن يقوم بأعمال رياضية مرهقة يعود منها منهوك الجسم موجع المفاصل والاطراف

وكان الوالى يحظر على ابنه سعيد زيارة أهله وأصدقائه خشية أن يستطعمهم مايزيد فى بدانته ، ولم يستثن من هذا الحظر إلا بيت المسيو فردينان ده ليسبس فكان للامير الشاب أن يختلف اليه فى أى وقت يشاء

وكان ده ليسبس يعرف فى صاحبه الشاب نهمه وشراهته فكان ينحرف عن أوامر الوالى

ويقدم الى الأمير كل مرة صحفة مترعة بالمكرونة ، لا لأن المكرونة خير طعام يقدم للامراء بل لأن سعيداً كان يحبها ويؤثرها على غيرها من الالوان . ولعمرى لو تنبأ صاحب الدار بما سوف يكون لهذه المكرونة فيما بعد من الفضل فى حصوله على امتياز شركة قناة السويس لكال لضيفه منها بالهيل والهيلمان

لم تطل اقامة ده ليسبس فى مصر أكثر من بضع سنين نقل بعدها الى اسبانيا ثم الى ايطاليا وظل يتنقل فى وظائف السلك السياسى حتى كانت سنة ١٨٤٩ إذ ارتأى في مسألة ما رأيا أملى عليه تصرفا شاذاً خالفته فيه حكومته فاستدعته وأخذت عليه تصرفه ثم قدمته للمحاكمة أمام الهيئة التأديبية المختصة التى قضت بتوبيخه فلم يقبل هذا الحكم واستقال من منصبه

أصبح الرجل حراً طليقا من قيود الوظيفة وكان لم يتجاوز بعد السابعة والاربعين من عمره موفور الشباب والهمة والنشاط ، ولكنه عاطل لا يعرف فيم يصرف شبابه وهمته ونشاطه . فكان من الطبيعى أن يحن الى فكرته القديمة ، فكرة شق برزخ السويس ووصل البحر الابيض بالبحر الاحمر

عاد الى رسالة المهندس لوبير يدرسها ويمحصها ويشاور أهل الفن فى جملتها وتفاصيلها ويستنير بآراء الخبراء فى وسائل التغلب على صعوباتها وعوائقها . ثم خرج من كل ذلك بأن الفكرة ممكنة التحقق مضمونة النجاح . ووضع مذكرة مسهبة أودعها رأيه فى المشروع مبينا فوائده ونتائجه . تاركا للمهندسين وضع الخرائط والتصميات مفضلا تصميا معينا كان المهندس لينان بك قد وضعه من قبل واقترح فيه أن يشق البرزخ شقا مستقيما من نقطة الطينة الى مدينة السويس

بيد أن قبول مثل هذا المشروع الضخم كان يقتضى أن يكون والى مصر رجلا ذكيا جريئا واسع أفق التفكير حتى يقتنع بصواب الفكرة وبامكان تحقيقها ، ولا تهوله شتى الصعوبات التى لا تلبث حتى تبدو من جميع نواحيها . ولم يكن عباس الاول والى مصر وقتئذ ذلك الرجل ولا الحاكم الذى يستطيع ده ليسبس أن يركن اليه أو يعتمد على معاونته فى مثل ما هو مقدم عليه . لذلك اضطر أن يطوى مشروعه ويرجئه الى الوقت المناسب . ومن ثم انصرف الى فلاحة مزرعة كانت حماته قد اشترتها منذ حين

وتشاء الأقدار المواتية أن لايطول به الانتظار فيموت عباس باشا الاول ويتولى عرش مصر من بعده أخوه سعيد . ويقرأ ده ليسبس الخبر فى الصحف فيتذكر الايام الخالية والصداقة القديمة وصحاف المكرونة فيحزم أمتعته ويحمل حقائبه ويستقل اول سفينة مقلعة نحو مصر فيصل اليها فى مستهل خريف سنة ١٨٥٤

استقبل سعيد باشا صديق الصغر بالترحاب واستذكر واياه هموم الماضى البعيد وأفضى اليه بأنه يواجه مسئولياته الجديدة بنفس راغبة فى الخير ميالة الى الاصلاح ، ولكن وجوه الخير كثيرة،

ونواحي الاصلاح متعددة ومالية الحكومة لاتحتمل كل هذه الاعباء . والحق أن سعيد باشا كان حاكماً صالحاً ولكنه كان عصبي المزاج عنيف الطبع شديد الاعتزاز بنفسه والاغترار بمواهبه ، لا يحب أن يسبقه أحد الى عمل نافع أو رأى مفيد ولا يريد أن يكون لغيره فضل إلا أن يكون هو مصدر هذا الفضل أو الموعز به أو الدافع اليه

ولقد كان ده ليسبس يعرف فيه بوادر هذه الخصال من قبل فلم يدهشه ان رآها قد استفحلت حتى غطت فضائله فى نظر من لايعرف حقيقته . واذ لمس ده ليسبس باصبعه مواضع الضعف في نفس صاحبه أيقن أنه لن يفلح فى اقناعه بصلاحية مشروع حفر القناة إلا اذا أفلح قبل ذلك فى ارضاء أنانيته واقناعه بأنه هو صاحب الفكرة ومبتدعها وأنه يجمل به وقد صار ولى أمر مصر ، أن يتعهدها ويرعاها ويسير بها الى النجاح فيقرن اسمه باسم أعظم مشروع عالمى سوف يذكره التاريخ

وابتسمت الفكرة لسعيد ، وأعجب سعيد بالفكرة ، ورأى بعين الخيال ذلك الميناء الذى سينشأ على مدخل القناة ويحمل اسمه وتحييه أعلام الدول في الذهاب والاياب ، فما لبث أن اعتنق المشروع وتبناه واحتضنه وصار يقول : مشروعى . . . وفكرتى . . . وقناتى . . . وفى اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر سنة ١٨٥٤ اصدر مرسوماً يمنح شركة المساهمة التى ألفها المسيو فرديناند ده ليسبس وسماها « شركة قناة السويس » امتياز حفر القناة

***

اغتبط ده ليسبس بهذا النجاح وطربت له نفسه المغامرة الجريئة وأصبح وجها لوجه أمام مسئولياته الجديدة ، وآن له أن يجابه المخاطر التى لاتحصى والصعوبات التى لاتعد ، وأن يقاوم فى وقت واحد عناد الطبيعة وعناد الناس

أما الطبيعة فكانت شديدة المراس مستعصية على قدرة الانسان وقد برزت لخصمها المستهتر فى جمودها المخيف ، برزت له بصحرائها القاتلة وشمسها المحرقة وجدبها المهلك وبعدها الرعب وصخورها الصلبة ورمالها السائلة التى لا تثبت على حال . واما الناس فكانوا يشكون فى امكان بناء ثغر فى خليج الطينة ذى الارض اللينة اللزجة التى تتمدد أو تنقبض وتعلو أو تهبط وفقاً لتأثير أمواج البحر فيها . وكانوا يشكون فى امكان فتح طريق للملاحة فى أوحال بحيرة المنزلة الطرية التى لاتلبث حتى يطغى بعضها على بعض وعلى الطريق المحفور . وكانوا يشكون فى امكان شق تلك الهضبة العالية التى يتكون منها البرزخ الطويل لصلابة أرضها وخشونة تربتها . وكانوا يشكون فى بقاء هذا الشق — على فرض امكانه — بين تلك الرمال اللينة الكثيرة التموج كالأمواه . وكانوا يشكون فى امكان اقامة المعامل والمصانع والمغالق فى صحراء قاحلة تبعد خمسا وعشرين مرحلة عن أقرب القرى اليها وفى عزلة عن العالم لا طرق فيها ولا ظل ولا زرع ولا ماء

وكانوا يعترضون عليه بقولهم : « هبك استطعت القيام بهذا العمل الذى لم يخلق الانسان ليقوم بمثله ، فما عسى أن يكون مصيره ؟ ألم يقرر علماء الجغرافيا قديما وحديثا أن مستوى البحر الاحمر والبحر الأبيض مختلفان وان احدهما يعلو الآخر بمقدار غير قليل ، فماذا أنت فاعل لتدارك أثر هذا الاختلاف يوم يجرف التيار المنحدر من المستوى الأعلى الرمال فى طريقه الى المستوى الأدنى فيردم بعد حين ما يكون العمال قد حفروه ؟

« وهب هذا الاجماع قد انعقد على ضلالة وأن الحق ماذهب اليه العالم الفلكى لابلاس ووافقه عليه المهندس بورداوه إذ قال بأن هذا الاختلاف فى مستوى البحرين مستحيل لا يتفق وطبيعة تكوين الأرض ، فهل تنكر أن للبحر الاحمر مداً ليس للبحر الابيض مثله وأن هذا المد القوى سيهدم أثناء الليل ماتكون يد الانسان قد حفرته أثناء النهار ؟ والمال ايها المغامر المجازف ! من ذا الذى يقامر بماله فى مشروع تكتنفه الشكوك من كل صوب، أو يرمى به فى تلك المجاهل الصحراوية الملعونة التى لا يسكنها غير الوحوش والزواحف والهوام ؟ ثم من أنت ياهذا الداعى الى ذلك المشروع ؟ لو كنت مهندسا أو جغرافيا أو فلكيا أو مقاولا أو كانت لك خبرة سابقة بمثل ما أنت مقدم عليه لاطمأن الناس اليك بعض الاطمئنان ولقالوا لعلك معجز فى الارض وهم لا يعلمون ، ولكنك لست هذا ولا شيئاً من هذا ، فكيف تريد الناس على أن يصدقوك ويثقوا بك ويتبعوك؟ »

ولعمرى لو كان فردينان دهليسبس مهندساً لانثنت عزيمته أمام هذه الاعتراضات الفنية والاعتبارات العلمية ، ولاقتنع بأن مشروعه ضرب من ضروب المحال . ولكن الرجل لم يكن مهندسا والحمد لله فلم يلق بالا الى تلك الاعتبارات والاعتراضات بل اندفع فى طريقه غير آبه لأقوال العلماء

وجلس الى المهندسين ثمانية عشر يوما ناقشهم خلالها فى تفاصيل المشروع وانتهى واياهم الى اقرار تصميم نهائى رسموا فيه الخط الذى تخترقه القناة من الشمال الى الجنوب وقرروا طولها وعرضها وعمقها بعد أن فحصوا تربة الارض تحت طبقة الرمال

واذ انتهى الرجل من هذه الاعمال التمهيدية ذهبت به نشوة الظفر كل مذهب وأغمض جفنيه فخيل اليه أن كل شىء سائر فى طريق النجاح ، فكتب الى حماته يبثها خيالاته وأحلامه ويفضى اليها بآماله وأمانيه : « . . هذا هو الشرق الناهض البسام عن يمينى ، وذلك هو الغرب العابس المعتم عن شمالى ، وهأنذا أرى قوس قزح يلوح فى الجو بألوانه الزاهية وينغمس أحد طرفيه فى الغرب بينما ينغمس الطرف الآخر فى الشرق فأحس ان قلبى يخفق طربا واتفاءل بهذه الظاهرة السعيدة التى اعتبرتها التوراة علامة على السلام والاتحاد ، وأرجو أن تكون بشيرا بقرب ذلك اليوم المأمول الذى يرتبط فيه الشرق بالغرب وهو يوم نجاح مشروعى الكبير . . »

***

ولكن ذلك المتفائل المقدام كان يسبق الحوادث بخياله ولا يتوقع ماسوف يصادفه من العوائق والصعوبات . نعم لقد ظفر من سعيد باشا بامتياز الشركة ، ولكن سعيدا كان تابعا للباب العالى ولا قيمة لمرسوم الامتياز الذى اصدره الا اذا وافقت عليه حكومة السلطان . وكان أخوف مايخافه أن تبطىء الارادة الشاهانية فى الوصول أو ألا تصل ابدا . فلقد كان وزراء الآستانة رجالا ظنانين موسوسين يتوجسون خيفة من كل جديد ومن كل تجديد ولا ينظرون فى ارتياح الى تلك القناة المملوءة بالماء التى سوف تقطع الطريق أمام جيوش السلطان اذا أراد ارسالها الى مصر لقمع ثورة أو لاخماد فتنة أو لأى غرض من الاغراض

وكان الساسة الانجليز ينظرون فى قلق الى ذلك الفرنسى الذى يعتزم شق البرزخ بقناة تفتح الطريق الى الهند وتقربها من اطماع الطامعين . وكانوا يقولون ان بوسفورا واحدا قد اقلق الدنيا وسبب كثيرا من المشاكل والحروب ، فماذا يكون من الامر اذا انشأ الفرنسيون فى افريقا بوسفورا ثانيا يفتحونه ويقفلونه عند مايشاءون ويستطيعون أن يسيروا منه الى البحار الشرقية أساطيل تسبق أساطيلنا باكثر من ثلاثين يوما

وقاد لورد بالمرستن ، رئيس الحكومة الانجليزية ، الحملة على المشروع . ولعله كان يتذكر نابليون وماكان ينتويه من انتزاع الهند من فم الأسد البريطانى ، ويخشى أن يقوم فى فرنسا نابليون آخر يستأنف مشروع سلفه العظيم فى انشاء الامبراطورية الشرقية . وكانت الحملة قوية عنيفة ، فهبت الحكومة والصحافة وهب البرلمان والسفراء وأهل الفن ، ووقف الجميع متكاتفين يناضلون لاحباط المشروع ويثيرون الرأى العالمى عليه ويحذرون أصحاب الأموال بأن أموالهم ذاهبة هباء لان المشروع مستحيل ماديا وعلميا ومقضى عليه بالفشل مهما بذل فيه من الجهود والاموال

بيد أن الانجليز الجبناء كانوا ــ وهم يقولون ذلك ويروجونه فى أنحاء الدنيا ــ يتوقعون أن ينجح ده ليسبس فى مشروعه ويحسبون لهذا النجاح كل حساب . ولذلك رأيناهم وقتئذ يحصنون طريق الهند بتحصين عدن وبريم على بوغاز باب المندب

ولقد أدرك ده ليسبس مبلغ الخطر على مشروعه من دسائس الانجليز وسعاياتهم عند حكومة تركيا ، فسافر إلى الاستانة ليقنع الباب العالى بوجهة نظره وبالفوائد التى تعود على السلطان من انشاء القناة . وهنالك ــ على حد تعبيره الظريف ــ ألفى السفير البريطانى « مستتراً وراء الباب » يوغر صدر السلطان على عامله فى مصر ويصور له تصرف سعيد باشا كما لو كان ثورة على سيده ، ويجسم أمامه المخاطر التى تنجم عن شق البرزخ وكيف تفصل القناة مصر عن أملاك السلطنة وتصبح حداً طبيعياً بينها وبين تلك الاملاك

لبث ده ليسبس ثلاث سنين يتوسل إلى وزراء السلطان بكل الوسائل ويسلك الى مرضاتهم كل سبيل وهم يعرضون عنه بالسمع والبصر متأثرين بنصائح السفير الانجليزى ودسائس حكومة لندرة .

فلما أعيته الحيل وأوصدت فى وجهه الابواب عاد إلى مصر ليحمل سعيد باشا على التدخل بنفوذه لدى الباب العالى عسى أن ينجح النفوذ فيما أخفق فيه العقل والمنطق . ولكنه لم يكد يهبط القاهرة حتى ألفى سعيد باشا غاضباً حنقا يلعن الساعة التى عرف فيها فرنسا والفرنسيين واليوم الذى أمضى فيه مرسوم الامتياز . فلقد ترامى اليه من أصدقائه فى الاستانة أن الحكومة الشاهانية تعتبره ثائراً عليها وأن السلطان يفكر فى عزله وفى تنصيب وال آخر من غير أسرة محمد على التى ثار كبيرها من قبل على السلطنة وأخذ أولاده الآن يتصرفون فى شؤونها كأن لارقيب عليهم ولاحسيب

عندئذ عرف ده ليسبس مهب الخطر وأدرك أن لا حيلة له مع سعيد و لا مع الباب العالى ما دامت انجلترا مصرة على مقاومة المشروع . فعقد العزم على أن يحارب الأسد فى عرينه وأن يكافح خصوم المشروع فى بلادهم ، فاما نصر يقوده إلى النجاح واما هزيمة يلقى بعدها السلاح

وصل ده ليسبس الى انجلترا فى ١٥ ابريل سنة ١٨٥٧ وأخذ يناضل عن فكرته وينافح عن مشروعه فى همة لا تعرف اليأس ولا تعترف بالهزيمة ولا تعبأ بالصعوبات ، فألقى فى ثلاثة أشهر أربعاً وعشرين محاضرة فى اجتماعات ضمت أساطين السياسة والمال والأعمال ، وأمطر الرأى العام الانجليزى وابلا من الرسائل والنشرات والبيانات يدفع بها اعتراضات المعترضين ويزيل شكوك المتشككين فيقول للذين يزعمون أن مشروعه مشروع حربى تستفيد منه بعض الدول دون الأخرى : « لابل هو عمل سلمى تستفيد منه الانسانية جمعاء ، فاذا خيف أن يستخدم فى الحرب فما على الدول الا أن تتفق على حياد القناة والا أن تضمن هذا الحياد » ثم يبين للتجار وأصحاب المناجم ومديرى الشركات ورجال الصناعة ، مدى التسهيلات الكبرى التى ستترتب على فتح القناة ومبلغ الأرباح الطائلة التى ستعود عليهم من اختصار طريق الهند بمقدار خمسة آلاف من الأميال . ثم يدحض شكوك المهندسين فى امكان شق البرزخ بتأكيدات زملاء لهم يرون أن هذا الشق ممكن وان استلزم كثيراً من الوقت والمال . فاذا ظلوا على شكهم وعنادهم طلب التحكيم وقال انه يكل الأمر الى لجنة دولية تتألف من خبراء عالميين يفحصون المشروع وتكون انجلترا ممثلة فيها حتى تطمئن الى حكم المحكمين

ولقد تألفت هذه اللجنة الدولية من بعض كبراء المهندسين العالميين وتناولت المشروع بالدرس والتمحيص فقررت صلاحيته وامكان تنفيذه وأوصت بالسير فيه على أن يعدل التصميم الموضوع تعديلا طفيفا يقضى باقصاء الميناء الذى سيشيد عند مدخل القناة بضعة كيلو مترات شرق المكان المعين لها فى التصميم

وانه ليتعسر على أن أصدق أن الانجليز لم يقتنعوا ببيانات ده ليسبس الصريحة الواضحة ولا بقرار اللجنة التى ضمت نخبة من مهندسى الدنيا ، فلا أجد بداً من القول بان الاعتبارات السياسية طغت فى نفوسهم على سائر الاعتبارات الأخرى ، وجعلتهم يعرضون عن كل ما عليه المنطق ويقدمون

مصلحة الدولة على مصلحة الانسانية والشعوب . فلما عاد ده ليسبس الى مصر الفى السياسة الانجليزية مستترة وراء سعيد باشا الذى تنكر له وللمشروع وأبى أن يسمع عنه خيراً ولا شراً ، والفاها مستترة وراء علماء الدين الذين كانوا يرون أن لا فائدة من شق برزخ السويس والا لشقه أحد رجال السلف الصالح من ملوك المسلمين ، والفاها مستترة وراء عمد البلاد ومشايخها وأعيانها الذين كانوا يعرقلون مساعيه في جمع العمال والدواب والمؤن والآلات !

ألا والله ما أحرى تلك الصعاب الشداد وهذى الحرب العوان بان تفل العزيمة وتفت في العضد وترسل اليأس الى النفوس ! ولكن صاحبنا كان مؤمنا راسخ الايمان بالنجاح فلم تزلزل فؤاده تلك العاصفة التى هبت على مشروعه من كل صوب ، بل كأن تلك العاصفة لم يكن من شأنها الا أن تذكي فى قلبه روح المقاومة والرغبة فى التغلب على العقبات ، فلم ييأس ولم يبتئس بل هرع فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٥٩ الى ساحل الطينة فأقام خيمة ورفع العلم المصرى فى ساريتها وجمع حوله أعضاء مجلسه الاستشارى ومهندسيه ومائة وخمسين بحاراً وعاملا وتناول المعول وضرب به الضربة الأولى فى البرزخ إيذانا بالبدء فى العمل

غضب سعيد باشا من جرأة ده ليسبس ومن اقدامه على العمل قبل أن تجيء الارادة الشاهانية بالموافقة على مرسوم الامتياز . فاستدعى اليه ده ليسبس وأبدى له استياءه وأمره أن يطوى خيامه وينزل أعلامه ويسرح بحارته وعماله وأن لا يحدثه مرة أخرى عن المشروع المشئوم الذى أصبح يتبرأ منه ويقول عنه لصاحبه : « مشروعك وقناتك » بعد ان كان يقول : « مشروعى وقناتى » . واستعان على عناد ده ليسبس بقنصل فرنسا فى القاهرة ، فأيد القنصل رغبة الوالى والسياسة الانجليزية وحذر المغامر الجريء من مغبة الاستمرار . فكان جواب ده ليسبس على كل ذلك أن أرسل الى ساحل الطينة شحنة جديدة من الأدوات والآلات والعمال

وكتب الى الامبراطور نابليون الثالث يلتمس عضده وسنده ويتوسل اليه أن يتدخل بنفوذه ليزيح من طريقه العقبات . ويصطنع فى كتابه الطمأنينة والهدوء ويؤكد ثقته بنجاح مشروعه ويفضى الى سيده بارتياحه الى ما وصلت اليه حال هذا المشروع فيقول :

« فى رأيى أننا تقدمنا كثيراً وقطعنا مرحلة طويلة من الطريق ، ولم تكن حالة مشروعنا يوما من الأيام خيراً مما هى اليوم . فلقد وصلت إلى الغاية التى كنت أريدها وهى أن يهتم الرأى العالمى بمشروع قناة السويس باعتبار كونه أمراً واقعاً لا مجرد خيال من الخيالات »

ولم يكتف بالكتابة بل سافر الى فرنسا والتمس مقابلة الامبراطور الذى أحسن استقباله وأوسع له صدره وأصغى اليه فى انتباه . فلما انتهى الرجل من حديثه نهض الامبراطور واقفا وربت على كتفه وقال : « لك يا مسيو ده ليسبس أن تعتمد من الآن على ثقتى وتأييدى »

وتدخل نابليون الثالث فى الأمر وسعى سعيه فى مختلف الجهات فلم تلبث الحال حتى تبدلت

غير الحال ، وأعلنت حكومة الباب العالى أنها ستعيد النظر فى الموضوع ، واطمأن سعيد باشا على مركزه وعاد إلى المشروع يتبناه ويحتضنه ويقول : « مشروعى وقناتى » ، وأخذ يرسل الى ساحل الطينة جيوش العمال مسخرين بلا أجر مزودين بالميرة والآلات . ومن ذلك الحين بدأ العمل يسير حثيثاً ويتقدم بخطوات واسعات . وبث ده ليسبس روحه الوثابة فى أعوانه وعماله فلم يحل يوم ٨ نوفمبر سنة ١٨٦٢ حتى كانت مياه البحر الابيض المتوسط قد اجتازت نصف الطريق وامتزجت بمياه بحيرة التمساح

***

بيد أن الشقة الى النهاية كانت لا تزال بعيدة وعسيرة ، وكان أمام ده ليسبس سبع سنوات طويلة لاتمام مشروعه الهائل وللوصول به الى النتيجة التى يرضاها . وليت صعوبات العمل فى تلك الطبيعة القاسية كانت كل شىء فيهون أمرها على تلك العزيمة الجبارة . ولكن الصعوبات الكبرى كانت فى الدسائس التى تحاك حوله فى كل ناحية وفى المعاكسات التى تعترض طريقه كل ساعة . فلقد أشرف المشروع ذات يوم على الانهيار وكاد ذلك العمل الضخم يتردى فى هوة الافلاس والخيبة . ذلك يوم تظاهرت الحكومة الانجليزية بالغيرة على الانسانية فحملت حملتها المشهورة على نظام السخرة وجرت الدول الأخرى وراءها فى الحملة عليه وأكرهت سعيد باشا على الغاء هذا النظام

من ذلك اليوم تعقدت الأمور ونهضت الصعوبات القوية ووقف ده ليسبس أمام الأمر الواقع الذى لا يد له فيه ولا حيلة . فلقد كان حتى ذلك الحين يستخدم عمالا مسخرين بلا أجر يحملون معهم الزاد من قراهم وما زادهم الا المش والخيار المملح والخبز المصنوع من خليط من الذرة والحلبة . أما بعد الغاء نظام السخرة فقد أصبح الرجل مضطراً الى استئجار عمال بأجور يومية تبهظ خزانة الشركة ، والى توفير المآكل لهؤلاء العمال الذين بدأوا يغالون فى فهم حقوقهم ويتمردون ويثورون لأتفه سبب أو لغير ما سبب . وهكذا ارتفعت النفقات ارتفاعاً غير منتظر وغير محسوب له حساب ثم تزايدت تزايداً هدد المشروع بالفشل العاجل الأكيد

ولو أن رجلا غير فرديناند ده ليسبس امتحن بكل تلك المحن ثم فوجىء بهذه المفاجأة التى تقصم الظهر وتدق العنق لكانت أول فكرة تهرول الى ذهنه فكرة تصفية الشركة وإنقاذ ما يمكن انقاذه من أموال المكتتبين والمساهمين . ولكن ده ليسبس كان عنيداً صبوراً لا يؤمن بالمستحيل وانما يؤمن بأن لكل شىء حلا وبأن إحكام الرأى وحسن التدبير كفيلان بالتغلب على كل شىء . وما دامت الصعوبة الطارئة هى صعوبة أجور العمال فلا بد من الاستغناء عن هؤلاء العمال والاستعاضة عنهم بالعدد والآلات ، وما دامت ظروف العمل قد تغيرت فلا بد من تغيير أساليبه ووسائله

عند ذلك رأى الناس طريقة العمل تنتقل فجأة من الأساليب الفرعونية العتيقة إلى أساليب العصر الحديث ومستحدثاته ، رأوا الكراكات الكبيرة والرافعات الضخمة والنقالات القوية وما الى ذلك من الآلات الميكانيكية الدقيقة تحل محل الأيدى العاملة وتغنى عن آلاف العمال بأيسر النفقات ، ورأوا عمليات الحفر والنقل تجرى سريعة متقنة ، والطبيعة تحنى رأسها وتخضع وتلين تحت تلك الآلات البخارية الجبارة ، فلم تنقض سبع سنوات حتى كان برزخ السويس قد شق من أوله الى نهايته ، وحتى كانت أمواه البحر الأبيض تمتزج بأمواه البحر الأحمر والشرق الناهض من سباته يمد يده عبر القناة ليصافح ذلك الغرب الفاتح المقدام

صحت النبوءة وتمت المعجزة وفاز الايمان والاقدام بما استعصى على العلم والعرفان ، وحقق فردينان ده ليسبس بفضل ثباته واستماتته ذلك العمل الهائل الذى طالما ساور أحلام الأمم والقرون وراود نفوس الملوك والقياصرة على ممر الأزمان والدهور ، ومد قناة طولها ١٤٧ كيلو متراً تصل بحار الشرق ببحار الغرب وتكسب البحر الأبيض أهمية تجارية وسياسية لم يعرفها له أحد قبل ذلك . وافتتحت القناة رسمياً فى اليوم السادس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ ورست سفن الدول ما بين تجارية وحربية عند ميناء سعيد تحيي بأعلامها مصر الحديثة التى أصبحت بهذه القناة همزة الوصل بين طرفى العالم القديم

حسن الشريف

كلمات عن الحظ

* ما من أمر يبدو منذراً بالأذى والسوء إلا استطاع الماهر أن يخلق منه ما ينفع ويجدى ، وما من فرصة طيبة تسنح للخامل إلا أضاعها وأبقى منها ما يضر ويؤذى

لاروشفوكولد

* لا تؤمل خيراً من الحظ الحسن ، ولا تخش شراً من الحظ السيء ، تجد نفسك مكرها على أن تفكر وتعمل ، وتقدم وتتبصر .. فيخيل للناس انك حسن الحظ ! ..

بلور لبتون

غرام الفيلسوف نيتشه

صراع بين العقل والقلب

كان يمقت الضعف ويشيد بالقوة ويزدرى المرأة
ويستهين بالحب ، ولكن المرأة استطاعت أن
تذل كبرياءه وتجعل حياته صراعا بين عقله وقلبه

ليس بين كبار المفكرين والشعراء من كان أشد جرأة وأوفر كبرياء وأكثر غطرسة واعتداداً بنفسه من الفيلسوف الشاعر الألمانى فردريك نيتشه

لقد هدم هذا الرجل معظم الاخلاق والآداب التى كانت شائعة فى عصره ، وحاول تحطيم الآراء والمبادىء المنحدرة من المسيحية ، وبشر فى حماسة وشبه جنون بعقيدة القوة ، وأراد وهو المخلوق الناقص أن يؤله الانسان وان يحل عظمة الانسان محل عظمة الله نفسه

كان يبغض الضعف والضعفاء ، ويؤكد ان القوة هى رأس الفضائل وان المجتمع الارستقراطى القائم على عبادة القوة هو خير مجتمع يمكن أن تصدر عنه أفضل حضارة

ومع ذلك فالحب أذل هذا الرجل وأخضعه لسلطانه وأشعره أن العواطف شىء والافكار المجردة شىء آخر ، وان الانسان قد يكون عبقريا ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يكون سعيداً فى هذه الحياة الدنيا

كان نيتشه مخلوقا حساساً إلى أبعد حد ، قوى المخيلة واسع مدى التصور غزير العاطفة ولوعاً بالعزلة ، ميالا الى دراسة الحياة وفهمها عن طريق خيال الشاعر وبصيرته وإلهامه ، أكثر مما كان ميالا الى ادراك حقائقها عن طريق التفكير الفلسفى المستند الى العلم والوقائع الماثلة الحية

وكان يقرر ان المرأة انسان ثانوى وانه من الخير للمفكر أو الفنان ألا يصل حياته بحياتها وان يعرف كيف يأمن شرها ويتقى نزواتها ويحذر تقلبها ويتخذ منها أداة للاستمتاع أو لبقاء النوع فحسب

ومن أشهر ما قاله فى هذا الموضوع : « المرأة راحة الجندى بعد المعركة ! » أى وسيلة من

وسائل التلذذ الجثماني يحظى بها رجل العمل والكفاح بعد أن يؤدى واجبه وتتوق نفسه للاخلاد الى الراحة والسكون

ولكن نيتشه برغم هذه النظرة المادية الى المرأة أحب فتاة عذراء حباً عاصفاً مبرحاً نبع من عقله واستقر فى وجدانه وألهب عواطفه وعذبه شر عذاب

التقى بها في ايطاليا ذات صباح . وكانت تدعى (لو سالوميه) فما أن رآها حتى أعجب بها الاعجاب كله وأحس أن جمالها أقوى أثراً فى كيانه من سحر عبقريته نفسها فلم يجسر على مخاطبتها ومضى الى داره وذهنه محتل بطيفها

أقصى الطيف عنه ولكن على غير جدوى . كان لا يلبث ان يخلو الى كتبه وأوراقه حتى يرى عينيها الجميلتين تحدقان اليه من خلال السطور . كان يسمع فى الوحدة رنين صوتها . كان يخيل اليه ان حجرة عمله ملأى بها . كان ينصت الى حفيف الاشجار ويذكر حفيف ثوبها

استولت عليه وتمكنت منه فكبر عليه أن يتراجع وينهزم أمام هذه العاطفة وهو رسول القوة والقسوة ، فكان يعمد الى سكين يحز بها أصابعه ليتألم ويستطيع أن يروض نفسه على احتمال الألم ورؤية الدماء

ولقد ذكر عنه الدكتور كابانيس أنه كان فى تلك الساعات يضرب رأسه بقبضته ويكاد ينتزع شعره بيديه اشمئزازاً من شخصه واستنكاراً لضعفه ورغبة فى التفوق على عواطفه

وكانت (لو سالوميه) فتاة لينة البدن رشيقة الحركات ساحرة العينين تفيض حيوية وذكاء خارقا ، تحب الشعر والموسيقى والقصص وتعجب بكتابات نيتشه وموسيقى ريشار فاجنر ، وتكاد تقدس حياتها فى سبيل التأمل والتثقف والفلسفة والفن

ولم يستطع نيتشه مقاومة احساسه من نحوها ، فتعرف اليها وضاعف ذكاؤها واكتمال أنوثتها حبه لها ، فهام بها وظل يلاحقها راجياً متوسلا كالفتى في أول عهد الشباب

واعتقد الفيلسوف الشاعر فى صميم نفسه انها المرأة المثلى التى فى وسعها أن تقاسمه حياته وتقدر عبقريته وتشاركه فى تفكيره وتوحى اليه أصفى الخواطر وأعمق الافكار

وكان نيتشه من أكبر أنصار الأدب الاغريقى ومن المولعين بالحياة الاغريقية ، يعبد القوة والطلاقة والمرح ، ويعبد الجمال ممثلا فى العقل القوى والجسم المنسجم القوى ، فخيل اليه أن (لو سالوميه) هى الرمز الحى لذلك الجمال ، هى المرأة التى تتمثل فيها الروح الاغريقية كاملة والتى يمكن أن يتعاون معها على تشييد حياة سعيدة حافلة بالفكر والفن والجمال

وشبت العاطفة فى نفسه وترعرعت ، فكان يرتجف لمقدم الفتاة كطفل ، ويكتئب ويطرق وتسود الحياة فى عينيه اذا ما غضبت منه ، وينظر اليها طويلا وهى تحادثه ثم يختلج ويكاد يبكى فيعض على شفتيه حتى يدميهما خشية أن ينفجر وتنحدر على خديه الدموع ! ..

وكان إلى جانب جرأته الفكرية وجسارته فى التعبير بقلمه عن آرائه ، ضعيفاً حيال المرأة حيياً خجولا يرتبك لأقل شيء ويفقد اتزانه ويخشى الافضاء بما يشعر به وتهوله الكلمة البسيطة تنطلق منه فى ساعة طيش فتهدم فى زعمه صرح أحلامه

وكان لفرط خوفه من مكاشفة الفتاة بحقيقة عاطفته يرتمى فى حضن العزلة ويتأمل فى الحياة طويلا ويتعزى بهذا التأمل عن المجاهرة بما يعتلج فى فؤاده

ويقول الأديب المجرى فرانك رالف فى كتابه عن (حياة نيتشه) إنه كان فى عزلته يرسم عدة صور تخطيطية للوسالوميه ويكتب على أوراقه الحرفين الأولين من اسمه واسمها متشابكين معتنقين ويطلق اسمها على أحب الزهور الى نفسه ثم يعتزم الكتابة فيتمثل له طيفها فيسقط القلم من يده فيطمر وجهه بين راحتيه ويظل يبكى الساعات الطوال

وهكذا أصبح رسول القوة مثال الضعف . وكانت الفتاة بذكائها الخارق وغريزتها المتقدة تشعر أن الفيلسوف يحبها وأنه يتألم وأن أخلاقه تتبدل وتتطور بسببها ، ولكنها كانت تخافه وتنفر من وحشيته وتعجب بعقله إعجابا يشوبه الرعب الذى يحس به الانسان أمام عنصر جامح من عناصر الطبيعة . أما نيتشه فقد زاده تحفظ الفتاة حنقاً وحباً ولم يستطع الصبر ، فكاشف بحبه صديقاً له يدعى (بول رى) ورجاه فى حرارة وصدق أن يطلب له يد الآنسة لوسالوميه

كان عدو الزواج فأصبح يسعى إليه . كان يحتقر الضعف فاستضعف لاتجاه القوة ، بل أمام رمز الضعف . . .

وكانت لوسا لوميه تعرف أن نيتشه فنان بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، يفتنه الجمال ويستخفه الحسن أنى رآه بحيث لا يدع لعقله عليه أى سلطان . وكانت تحس فيه غريزة التقلب والتلون وعدم الثبات المقترنة بمزاج الفنان الشاعر ، فصرفت صديقه بلطف واحتفظت برأيها النهائى فى قبول الزواج أو رفضه

وعانى نيتشه من موقفها ما عانى . والغريب أنه كان يعتقد وهو المفكر المتكبر العبقرى أن الفتاة سوف تخر صعقة أمامه وتلثم يده شاكرة له تنازله وحبه ورضاه الاقتران بها . ولكن شد ما استولت عليه الدهشة عندما علم بترددها واحجامها

انتابه ذهول عميق وصغرت نفسه فى عينيه وهان الفكر فى نظره . ولأول مرة خالجه الشعور بأن عقله لا قيمة له وان ليس فى وسع عبقريته أن تجعله سعيدا

لم يفهم أو لم يشأ أن يفهم أن المرأة كائنة ما كانت مواهبها لا يمكن أن تحب من طريق العقل بل من طريق الاحساس . وانه لم يوفق فى إثارة إحساس الفتاة بقدر ما وفق فى إثارة إعجابها العقلى به

لم يفهم أو لم يشأ يفهم أن لوسالوميه قد هالها منه على وجه خاص ميله الشديد الى العزلة وقضاؤه

الساعات بل الأيام فى حجرته لا يخرج منها ولا يقع بصره على وجه مخلوق

أدركت الفتاة أن نيتشه يحب العزلة أكثر من أى انسان وهو لا يدرى . يحب العزلة لأنها مثار التأمل والاشراف على العالم أجمع من قمة جبل العقل المنيف ، ففكرت فيما ستؤول اليه حياتها لو اتصلت بهذا الرجل برباط الزواج ، وفيما قد لا تستطيع أن تحتمله من ناسك نذر نفسه وجهده للفكر المجرد وحده

وكان الموسيقى الذائع الصيت ريشارد فاجنر فى أوج مجده إذ ذاك . وكانت تمثل أوبراته فى مسرح بايروت . وكان نيتشه قد اختلف معه وهاجمه وانتقد فنه الموسيقى والشعرى

وحدث أن زوجة فاجنر دعت اليزابث شقيقة لوسالوميه الى مدينة بايروت لمشاهدة رواية غنائية لفاجنر هى « برسيفال » . فصحبت لوسالوميه شقيقتها وهرع كل من الفتاتين الى كعبة الموسيقى وفى قلبيهما ما فيهما من الاعجاب العظيم بفاجنر أكبر موسيقى ذلك العصر

وما أسدل الستار على الفصل الأخير من قصة «برسيفال» حتى دوت القاعة بالهتاف وكان مجداً منقطع النظير ونصراً لريشارد فاجنر لا مثيل له

شاهدت لوسالوميه كل هذا فجاشت أنوثتها واضطرمت عواطفها واختبل عقلها وخضعت لسلطان الفن وسحر الموسيقى

خاطبت الموسيقى احساسها فايقظته ، واستطاعت الأنغام النافذة أن تحدث فى قلبها ذلك الأثر البالغ الذى لم يستطع أن يحدثه شعر نيتشه ولا فلسفته ولا تفكيره الاجتماعى الصارم الجبار

وكان أن طلبت لوسالوميه مقابلة ريشارد فاجنر فأذن لها . وما أن أبصرته أمامها مخلوقا من لحم ودم حتى انتشت وجثت على ركبتيها وقد أشرق وجهها وتهلل، ثم انحنت فى خشوع وقبلت يده!

قبلت يد عدو نيتشه اللدود

خضعت للموسيقى التى كان يراها نيتشه مثال الضعف والفوضى

ومنذ ذلك اليوم تبدل إحساسها من نحو الشاعر الفيلسوف كل التبدل ورفضت نهائيا التزوج منه

ولما بلغ نيتشه الخبر انخلع قلبه وكاد يغشى عليه ، ولكنه تمالك نفسه وسلم بحكم القدر وقال :

« لقد اجتاز طائر سماء حى الصافية ، فاختطف المخلوق الذى أحبه . ولكن هذا الطائر لم يكن نسراً ، وفى هذا كل عزائى .. »

ثم ترك الصديق الذى نقل اليه الخبر وصعد الى مخدعه وهناك أوصد عليه الباب وتناول السكين وشرع يحز بها أصابعه ! . . .

ا . م .

التخصيص العلمي ، والنظام الصناعي ،

والأدب الزائف ، والحكم الاستبدادي :

أخطار تتهدد الثقافة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

لا شك في أننا نواجه اليوم نشوء عقلية جديدة . ونحن نعرفها – على الوجه الأقرب الأعم – بسماتها السلبية الهادمة . فهي معرضة عن الاعتبار بالماضي وتقديسه ، زاهدة في الدراسات التقليدية القديمة الخصبة بما توحيه من عبادة للجمال وسمو بالتفكير ، نافرة من الأمثلة ، الانسانية العليا ، لها رغبتها المؤكدة – وإن كانت تتفاوت ظهوراً و خفاء – الى نقض المقاييس الخلقية المقررة وإحلال مقاييس غيرها أكثر ملاءمة لها ، كما أن بها نزعة ملحة الى الاغراق في التحليل والتشريح حتى يستحيل كل شيء الى مواده الأولى ويتجرد من معانيه الروحية والخيالية

وقد شغلت هذه الحال بال المفكرين وأثارت مخاوف البعض على مستقبل الثقافة

فالناس في عصرنا هذا ، عصر القوة والآلة والسرعة ، دائماً معجلون محمومون . فالفترات التي نستطيع كل يوم أن نخلو فيها بفكرنا وضميرنا لا تزال يقل عددها وتتقاصر مددها . فنحن نكاد نكون محرومين من حياة التجرد والتفكير . واذا اشتغلنا سواء بالفنون أو بالعلوم فانما نشتغل واقعين تحت سيطرة هذه الحمى المتفشية في الخارج حولنا والتي تختلط بحمى الخلق والابداع في نفوسنا

ومن معقبات هذه الحركة الدائبة الصاخبة ما نراه من نزوع هذا الجيل المتعب الى الأوضاع المبسطة الواضحة المجملة . وقد ظهر هذا التبسيط في الأدب ، وهو في التصوير والعمارة أوضح وأبعد مدى . ولقد أصبح فن الزنوج وموسيقاهم في مقدمة ما يستهوى هواة الفن في هذه الأيام. وليس من شك في أن ما يسمونه العودة الى الطبيعة ونشدان الأوضاع الأولية للحضارة يؤدى من تلقاء نفسه الى نكران الثقافة

ثم إن العلم نفسه أصبح خطراً على الثقافة الحاضرة . فقد زاد التقدم العلمي في القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة حتى صار من المستحيل كل الاستحالة على أى عقل من العقول أن يهيمن على جملة المعارف الانسانية ويستوعب هذا المقدار الكبير الذي جمعته الانسانية طيلة هذه القرون . فلم

يكن بد من التجزئة ، فاقتصر كل فرد على ناحية من الاشتغال العلمى ، وصار الاختصاص أمراً واجباً . وفى كل يوم يزداد الاختصاص ضيقاً وانحصاراً ، وينتحى من هذا الفضاء الشاسع من المعرفة الانسانية حيزاً يصغر نطاقه وتنكمش دائرته يوما بعد يوم . وذلك أن المعارف المحصلة فى كل صغيرة تزداد مع البحث تعدداً وتعقداً ، فلا مندوحة للمتخصص عن التوفر كل التوفر على نقطة بعينها والاستغراق فيها . ويترتب على هذا أن يكون المتخصص جاهلا بكل ما لا يدخل فى اختصاصه، وهذا الذى لا يدخل فى اختصاصه كثير كما رأينا . ثم إن المسألة لا تقف عند الجهل بأمور كثيرة بل هى تعدوها الى أن مثل هذا المتخصص يصبح وليست له أية نظرة عامة شاملة حتى فى العلم وطرائقه . صحيح أن الانسانية قد زاد محصولها من المعارف وأنها لم تكن فى زمن من الأزمان أعلم منها اليوم ، غير أنه يصح أن يضاف الى ذلك كذلك أن الأفراد لم يكونوا فى زمن من الأزمان أجهل منهم اليوم . فالثقافة الشخصية فى عمومها وشمولها تعوزهم كل العوز ، وقد أحال الاختصاص كل فرد الى آلة للتفكير فى نسق خاص من المسائل اذا عداه وقفت حركتها وبطلت ميزتها

ثم إن تقدم الصناعة على يد الرأسمالية جعلها تنتج بواسطة الآلات مقادير هائلة بالجملة ، فتغرق الأسواق بمصنوعات من طراز واحد . وانك لترى المساكن اليوم فى المدن ، وما فيها من الأثاث ، وسائر الأدوات المتداولة فى المعيشة ، بل مطالعاتنا نفسها من كتب وصحف يومية ـ كل هذه أصبحت اليوم واحدة لكل الناس ، خلافا لما كانت عليه الحال منذ قرون إذ كنا نوصى هذا الصانع أو ذاك بصنع ما نريد من أثاث لنا ، وقد نكتسى مما نسجته فى البيوت نساؤنا . وأما اليوم فالأشياء غير مصنوعة لواحد منا بعينه ولا يعرف لها صانع بعينه، وانما هى معروفة بعلامة المصنع المسجلة ورمزه العام على هذه الصناعة . ولا شك فى أن هذا التوحيد فى أسلوب المعيشة وما يلابسها ويحيط بها يترتب عليه مستوى روحى واحد بعينه بين الناس كافة . فثمة محل للاشفاق من أن يصبح الناس هم أيضا كالمصنوعات ليس لواحد منهم ثقافة مميزة

كذلك انتشار الثقافة المتوسطة ، ويعنون بها معرفة القراءة والكتابة وأكثر من ذلك بقدر جد قليل . وقد كان فى ازدياد عدد هؤلاء حافز يستدعى وجود مؤلفين يكتبون لهم . وماذا يكتبون ؟ أشياء مما يعجب هذا السواد الأعظم بطبيعة الحال ومما يفهمونه بسهولة ما بعدها سهولة ومن غير أدنى صعوبة . أى أنها أشياء فى مستوى فكرى غير رفيع . ولقد طغى على الأدب كتاب من الطبقة الدنيا ، ويتعذر على الجمهور التميز بين الطيب منهم والخبيث ، وبين النوابغ ومن هم دونهم . ولم يعد الجمهور يتطلع بعين الاكبار والاجلال الى أعلام المفكرين الذين يفوتون ادراكه ويعلون على مستواه ، ولم يعد يهتدى فى أذواقه وتقديراته واعجابه بأحكام الفحول من النقاد وقادة الفكر وينتصح بارشاداتهم وتوجيهاتهم ، وانما هو يعجب بما يعجبه ويرضيه أى بكل ما هو دون ،

أو على الاكثر متوسط . وهذا الاستقلال من الجماهير فى اختيار زادها الفكرى فيه أكبر الضرر على مستقبل الثقافة

يبقى بعد ذلك أنظمة الحكم التى تقضى على حرية الفرد . فانه اذا كانت الكثرة لا يعرفون تمام المعرفة ماذا يصنعون بالحرية، فليس فى هذا مبرر للقضاء على الحرية ، لان حاجة الأذهان الكبيرة والنفوس العالية اليها حاجة مادية كالحاجة الى الهواء ، ولانه لا نماء للثقافة الأصيلة بمعناها الصحيح فى جو غير طليق

***

تلك هى مخاوف المتشائمين . وما يحسب القارىء لها يعدهم جميعاً من الواهمين . إلا أننا نشفق على الناس من الجزع لو تركناهم وشبح هذا الخطر ماثل أمامهم يملأ عليهم الفضاء ويسد المنادح، فنسارع اليهم هنا بما يطمئن من أقوال الفريق الآخر من المفكرين المتفائلين

فما من شك فى أن الاختصاص الفكرى فى عصرنا مما يؤخذ عليه . ولكن ما من شك أيضا فى أن تجارب القرون الأخيرة التى أخذت بالاختصاص شاهدة على انه أسرع إنتاجا ، فهو كسب على الأقل من ناحية السرعة . على أن الحياة الحاضرة نفسها لا تسمح قط لأحد بالبقاء بمعزل تام عن تأثيرها على اختلاف مناحيها ، فالعالم الذى يصح أن يقال إنه منقطع عن الحياة فى برجه العاجى لا وجود له اليوم ، فان الحياة الحاضرة لها من القوة على النفاذ ما ليس لأحد دونه مناعة ، فنحن ـ سواء أردنا أم لم نرد ـ ممتزجون بها ولا مندوحة لنا من أن نحياها ونفكر فيها مع سائر العالمين. وكما أن المتوفر على الأدب الذى لا يلم بطرف من العلم يعتبر اليوم بعيداً عن الرقى ، فكذلك شأن العالم الذى لم يتذوق شيئا من الفن والأدب . ثم إن تقدم العلم تقدمه الكبير يستوجب منا التزود بالأفكار العامة للاستنارة بها حتى فى زوايا العلم الخافية . ومن غير الأفكار العامة لا يتسنى لعالم أن يساهم مساهمة لها شأن فى أى فرع خاص من فروع المعرفة أيا كان . فلا بد لعلماء الحياة اليوم من أن تكون لهم أفكار عامة عن الطبيعيات وعن الكيمياء بل والرياضيات . وكذلك شأن رجال الاقتصاد والاجتماع . ولا بد للرياضيين من تحصيل أصول العلوم الطبيعية وأن تكون لهم فوق هذا استعدادات فلسفية ، وهكذا حتى ليصح القول على سبيل المفارقة أن أقل الناس تخصصاً اليوم هم المتخصصون . ولئن يك ثمة اختصاص بالمعنى الضيق فلا يمكن نسبته لغير العلماء من الطبقة الثانية أو ما دونها . أما العلماء من الطراز الأول فلهم فى سائر المعارف الانسانية مشاركة يتفاوت مداها ، وإلمامهم فى غير اختصاصهم مهما قل فلا يكون قط دون معدل المعرفة عند الناس

أما الاشارة الى توحيد أساليب الحياة على أنها من مساوىء الزمن الحاضر ، فأمر مبالغ فيه أيضا . لأن النزوع الى التشابه قائم منذ القدم . والذى استجد اليوم على الموقف هو سرعة الشيوع نظراً للوسائل التى استجدت . فقد كان الفنانون مثلا من مصورين وبناة يرحلون من بلاد الفلمنك

الى إسبانيا أو الى ايطاليا وبالعكس فيقضون من حياتهم عشرين أو ثلاثين سنة لينقلوا من قطر الى آخر أساليبه الفنية ومعانيه المستلهمة فضلا عن أسرار الصنعة حتى أدق دقائقها . أما اليوم فى عصر القاطرة والباخرة والطائرة ، فمن شاء أن يجوب الأرض كلها مستطلعاً ومقتبسا فى أقل من هذا . وعلى كل حال فان هذا التوحد المزعوم سطحى . ولو أننا لا نقنع فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والفن والأدب بمجرد استعراض مذاهبها ، بل نستقصى آراء أصحابها فى مطولاتهم لتبين لنا أن ما يبدو متشابها لا يلبث فى التفصيل أن يداخله الخلاف وتتباعد شقته بعد ما بين المذهبين المتناقضين . فالنفس الانسانية غنية بكل متنوع ومرتجل

أما خطر الجماهير المتعلمة بعض التعليم على الثقافة العليا فمن الأمور المسلم بها . على أن الخطب يهون اذا نحن واجهنا الموضوع على الوضع الآتى :

أيها أشد على مستقبل المدنية خطراً : أن يكون لدينا نواة صغيرة من الثقافة العليا تحيط بها جاهلية هائلة كثيفة ، أو أن يكون لدينا ثقافة تتسرب ما استطاعت فى الكتلة التى حولها وتتخلل كثافتها ابتغاء تعديلها ؟

نظن أنه لا نزاع فى أن الخطر الأعظم هو فى وجود جمهور هائل كثيف من الناس حول ثقافة لا يتصلون بها أى اتصال . والتاريخ نفسه شاهد صدق على ذلك . فليست هذه بالمرة الأولى التى تتعرض المدنية فيها للخطر . ولقد كادت المدنية مراراً تندثر وتصبح فى خبر كان . بل لقد عفى عليها وانطمست معالمها إلا قليلا فى بعض العصور ، فكيف كانت عملية هذا الاندثار الذى أصاب الحضارة القديمة ؟ لقد كان السبب بعينه أن مدنية بلغت شوطا بعيداً فى التقدم وازدهرت أبهى ازدهار وأخرجت أجمل الثمار ، تحيط بها كتلة لا منفذ البتة فيها للثقافة ، ومن جراء ذلك كانت الواقعة . فليس من صالح الثقافة والمدنية والفن والعلم أن تبقى كالمعسكرات فى وسط مئات الألوف من الأهلين المعادين لها . وطالما بقيت الانسانية لا تلابسها الثقافة ولا تتخللها مع كل ما فى شيوعها من قصور وابتذاء ، فانه لن يبرح حولها هذا العدد الاكثر من الأهلين المعادين متحفزين على الدوام لتدميرها يوم تسمح الحال . والأسلم للثقافة جمهور عنده فكرة ولو غامضة عن قيمة العلم والفن . واننا لو تصورنا أقواما من السود أو الصفر ممن بلغ اليهم ولو بالسماع خبر آيات الفن عند الغربيين ، قد أغاروا اليوم على بلاد الغرب ، فاننا نتصورهم يترددون ولا ريب دون احراق المتاحف التى تحوى هذه الآيات ، بخلاف الهمج بالمعنى الصحيح القح الذين لا يعلمون عن هذه الثقافة والمدنية شيئا ، فانهم فى طغيانهم على الدولة الرومانية قديماً وما يشابهها حديثا يهدمون كل شىء ويدمرون كل شىء لانهم لا يعرفون هذا الذى يهدمون ويدمرون

أما فيما يختص بالحكومات وموقفها من الفرد ، فتلك مسألة قديمة ومشكلتها عويصة . الا أن الحكومة طالما كانت عبارة عن الأمة فى صورة مجملة محسوسة فلا ضير منها على حرية الثقافة .

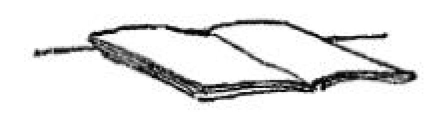
ولئن قامت بعض حكومات مستبدة ودكتاتوريات عاتية ، فما نحسبها كانت إلا احداثا طارئة فى التاريخ ، قديمه وحديثه ، ولم يكتب لها قط ولن يكتب لها البقاء ، لان ما تحصله البشرية فى مراحل تقدمها لا يمكن ضياعه ، وقد حصلت على الحرية بعد أن بذلت فى سبيلها المهج ، فلن تنفض منها أبد الدهر كفها ، ولن ترجع الانسانية القهقرى . وانما هى فى تقدمها قد تتعثر ، ولكنها أبدا تنهض من عثارها وتستأنف سيرها صامدة الى الامام

أما قيام الوطنيات المتطرفة وتيقظ النعرة الجنسية وروح العصبية فليس منه كبير خطر على الثقافة ، بل لعل فيه خيراً لها من ناحية . فانه من صالح الثقافة أن تتمثل فيها الصفة القومية الفردية والصفة العالمية . واننا لنجد لأدب كل أمة طابعا خاصا بها ، ولقد تشاركها فيه غيرها من الأمم ولكنها مشاركة لا تبلغ قط مبلغها فيه . وهذه الظاهرة جد قديمة . فالأدب العربى الجاهلى مثلا ناطق بالفحولة والروح الفطرية ، والادب الانجليزى متميز بالناحية الخلقية ، والفرنسى طافح بالحيوية العاطفية الحسية ، والجرمانى متسم بالمعانى الغامضة الروحية ، والروسى بالانسانية السمحة الفياضة . ونحن فى نشداتنا هذه الآداب ننشدها للصفة المميزة لكل منها . وفى انطماس هذه الصفة ضياع لعنصر من أهم عناصر الحياة فيها

وأخيراً فان هذه الاعراض والأزمات قد تكون هى الحالة الطبيعية . وذلك أن التطور لا يسير أبداً على نسق متصل ، بل تتداوله حال بعد حال ، يسميها البعض أزمات ويصح تسميتها دفعات . وهذا التقطع الظاهرى فى سير الأمور هو السير الطبيعى عند من يستعرض مصادر الأشياء ومواردها ويأخذها فى جملتها

وبعد ، فليس معنى هذا جميعه أن لا خطر على الثقافة ، كلا ، إن الثقافة فى خطر ، شأنها اليوم فى ذلك كشأنها فى الماضى ، ولن يكون شأنها غير هذا فى المستقبل . وما دامت الحياة ، فالخطر راصد لها ولأسبابها . ولولاه لادركها الركود ، وهو صنو الموت وسبيله . وبالجملة فالخطر قائم ، ولكن الثقافة ، شأن كل ما هو حيوى ، مما يجرى عليه قول نيتشه : « كل ما لا يقتلني يقويني »

عبد الرحمن صدقى





فن الزواج

للكاتبة الاسوجية ماجدا رينارت

L'art d'être epoux par Magda Reinart

عرض وتحليل : بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

ماجدا رينارت من أشهر أديبات أسوج . وقد تفوقت فى وضع البحوث الشائقة الطريفة عن تربية الطفل ومستقبل الأسرة والعلاقات الاجتماعية والنفسية والجنسية بين المرأة والرجل . ولقد أحرز كتابها « فن الزواج » نجاحا كبيرا عند ظهوره وترجم الى معظم اللغات الأوربية نظراً لما اشتمل عليه من ملاحظات دقيقة ، وآراء جديدة ، ونظرات صادقة عميقة فى مختلف أطوار العلاقات الزوجية

تجديد الحياة الزوجية يخفف عبئها

ان ما يفسد الحياة الزوجية فى الغالب هو الضجر ، الضجر الذى ينشأ عن العادة ، عادة رؤية مخلوق واحد يجب علينا أن نحبه ونخلص له ونبذل قصارانا فى خدمته ونودعه خلاصة عواطفنا وصفوة آمالنا ورغباتنا

فالعادة تقتل الحب وتخلق الضجر وتثير الأعصاب وتدفع بنا الى البحث عن السعادة خارج محيط البيت بجوار شخص آخر نعتقد أنه يفهمنا حق الفهم ، وأن فى وسعه أن يجلب عنصر البهجة والطرافة الى حياتنا

فكيف يمكن التغلب على سلطان العادة ومكافحة الضجر ؟

ماذا يجب أن تصنع المرأة لترى فى زوجها كل يوم رجلا جديداً . وماذا يجب أن يصنع الرجل ليرى فى زوجه كل يوم امرأة لاعهد له بها ؟

ان من يجد الحل لهذه المشكلة يستطيع ولا ريب حل معضلة الزواج

وقد خبرت مدام رينارت الحياة الزوجية أكثر من عشرين سنة ، وهى تعتقد أن الوصول الى الغرض المتقدم أمر هين ميسور اذا اتبع الزوجان القواعد الآتية :

أولا — أن تهرع الزوجة الى مخدعها الخاص كلما أرادت أن تنضو عنها ثيابها أو تتجمل . وهكذا تحتفظ بسر جمالها وغرابة مظهرها لأن المظهر المتجدد هو كل شيء تقريباً فى الحياة الزوجية

ثانياً — أن تستخدم المرأة عبقريتها النسوية فى تجديد شكل أثوابها واسلوب اناقتها مع توخى

البساطة وقلة التكاليف . وهكذا يفرح الزوج بجمالها ويفرح أيضا لأن هـذا الجمال لم يكلفه ثمنا غالياً

ثالثاً ـ أن يستخدم الزوج عبقريته فى اثارة اهتمام زوجته به واعجابها الدائم بشخصه ، كأن يحاول التفوق فى عمل من الاعمال أو يجتهد فى التحدث الى امرأته عن أشياء عظيمة تجهلها أو يجيئها بهدايا متواضعة تدل على احساس نبيل وذوق حسن ، وهكذا يفوز بحبها لأن المرأة كالطفل كلما واجهتها بشيء جديد رأت فيك انسانا جديداً

رابعا ـ أن تصون المرأة ذاتها وتحترم نفسها ولاترهق الرجل بمظاهر الحب كالاعراض والاقبال، وهكذا يظل الزوج واقعا تحت تأثير يقظة الحياة الغرامية المفاجئة فى شخص امرأته فيزداد حباً لها وضناً بها ، إذ ليس أبغض الى الزوج فى الواقع من رؤية امرأته تحبه على الدوام وتبذل من أجله فى كل لحظة مختلف صور الحب ومعانيه ودلائله

خامساً ـ ألا يسرف الرجل فى اشعار امرأته برغبته فيها ، وأن يقدر استجابتها لرغبته ولا تعقبها ساعة المرض أو الألم أو التبرم أو الضيق ، وهكذا تجله ويزداد حنوها عليه ، لأن المرأة لاتحب إلا الرجل الذى يعرف كيف يكبح نفسه ، ويضبط أعصابه ولا يخاطبها دائما عن الجسد مغفلا القلب والروح

سادسا ـ أن يحاول كل من الزوجين تغذية عقله بالمطالعة والتفكير والاهتمام بشؤون العالم ، إذ قوة الفكر المتجدد تجدد الشخص نفسه وتكسبه حلة طريفة وتفيض على بدنه سحر الجمال المعنوى الذى لايبلى

سابعاً ـ ان يحاول كل من الزوجين التحدث دائما عن موضوعات جديدة وأثارة موضوعات جديدة وتناول الاشياء والاشخاص وبحثهم والنظر اليهم من جانب جديد ، وهكذا تتخذ الحياة اليومية المتشابهة الوانا مختلفة غريبة فتخف وطأة العادة ويتقلص ظل الضجر

ثامناً ـ أن يجتنب كل من الزوجين ملازمة الآخر مدة طويلة . فاذا استطاعت المرأة أن تتغيب عن البيت باذن من زوجها ميقات اسبوع أو اسبوعين كل ثلاثة اشهر فلتفعل ، وكذلك الرجل . وهكذا يلتقيان أوفر شوقا وأغزر حباً وأكثر استعداداً لاحتمال متاعب الحياة الزوجية

تاسعاً ـ أن ينصرف الرجل بكل قواه الى تجديد عمله الخارجى والاهتمام به جهد الطاقة . لأن هذا العمل هو الذى ينقذه من الشعور بتشابه حياته البيتية وتشابه جمال امرأته وثقل الجو الزوجى

هذه هى بعض القواعد الأولى التى ينهض عليها فن الزواج فى رأى مدام ماجدا رينارت والتى يمكن أن تساعد الأزواج ـ لو أخذوا بها ـ على جعل أشخاصهم دائمة التجدد ، قابلة للحياة الرغدة السعيدة تحت سقف واحد

مكانة العقل فى الحياة الزوجية

يفتر الحب بعد الزواج ويستحيل على مر الأيام الى صداقة وديعة لطيفة هى فى الواقع أثمن من الحب

ولكن هذه الصداقة لا يمكن أن تبقى وتتوطد الا اذا أدرك كل من الزوجين أن الحياة الزوجية جهاد مستمر فى سبيل أن يفهم الواحد منهما الآخر ويدرس أخلاقه ويفحص أطواره ويحللها وينفذ الى أعماقها

وإذن فمكانة العقل فى الحياة الزوجية أهم بكثير من مكانة القلب

وترى مدام ماجدا رينارت أن الأصل فى المنازعات البيتية هو أن الزوج لا يكلف نفسه عناء فهم نفسية امرأته ، والمرأة لاتحفل بدراسة شخصية زوجها ، وكل منهما يعتقد بأن الاختلاط اليومي وحده كفيل بإماطة اللثام عن حقيقة أخلاق الآخر ، ولكن فى الطبيعة البشرية من الأسرار والخفايا ما لا يمكن أن نقف عليه ونفطن له الا اذا أرهفنا أبصارنا واستخدمنا عقولنا ودربنا أذهاننا على الملاحظة والاستنتاج والاستقراء

وكثيرا ما تدهش إحدى الزوجات عندما تقول لها ان زوجها رجل طيب وانه حليم ورقيق ودمث الأخلاق ، تدهش وتنظر اليك مبهوتة كأنك تحدثها عن رجل آخر ، وذلك لأنها تعاشر رجلا لم تفهمه ولم تفكر فى أن تفهمه ، ولأن هذا الرجل نفسه يعيش مع زوجه دون ما رغبة فى الاتصال الحقيق بها ، ذلك الاتصال العقلى والروحانى الذى يضمن ائتلاف الأسرة وتماسكها بأكثر الف مرة مما يضمنه الاتصال الجنسي

ومما لا يقبل الريب أن لكلمنا تقلبات وتطورات نفسانية يجب أن يفضي بها الى أقرب الناس وأعزهم اليه . وهذا المنزع الفطرى هو قوام حياتنا وهو ما نطلب الى الغير أن يفهمه فينا ويقدره ، ونحن نطلب ذلك الى الأجنبي فكيف بنا عندما نشعر أن من نتصل به يوميا لا يحاول فهمه ولا يحفل البتة به

ان الحياة الزوجية جهاد فى سبيل المعرفة المتبادلة . وكل جهاد من هذا النوع يجب أن يقوم على فضائل العقل أى على الملاحظة والتجربة ، وكل زوج يكافح ليدرس جوهر أخلاق امرأته يربحها لنفسه ولأولاده ، وكل امرأة تناضل لتفهم شخصية زوجها تكسبه لنفسها وأولادها . أما البلادة العقلية والتواكل اليومى والاعتماد على الرابطة الجنسية وحدها ، فحيوانية سرعان ما يشعر بها الزوجان وسرعان ما تفضي الى انفصالهما الروحى ثم المادى ثم الى انهيار صرح الأسرة

ولا شك أن الحديث عن مكانة العقل فى الحياة الزوجية يجب ألا ينسى مكانة القلب . لأن القلب العطوف الحنون يصقل ملاحظات العقل ويصبها جميعا فى قالب رائع هو المحبة

ولكن الحقيقة التى لا ريب فيها أن المحبة وحدها لا تكفى ولا بد من اقترانها بالعقل المتيقظ المتفرس الملاحظ كى تنمو وتؤتى أبرك الثمرات

وعليه فتحقيق هذا الاقتران هو أيضا من القواعد الرئيسية فى فن الزواج

الزوجة بين الجمال الحسى والمعنوى

المرأة مدفوعة بغريزتها الى حب الجمال وتقديره . فهى تأنف أن تكون دميمة ، وهى تعلن الحرب على القبح ، سواء أكان ممثلا فيها أم فى الآخرين . والرجل يستشعر هذه الحقيقة ويقبلها ويرضى بها عن طيبة خاطر لأنه هو المقصود بها . ولذلك ينشد الجمال فى المرأة ، ولكن قانون الاسرة وطبيعة الزواج يدفعان به الى طلب الجمال مقترنا بالفضيلة ممتزجا بالخلق الطيب الكريم

هذا هو المثل الاعلى . فاذا لم يوفق اليه الرجل اكتفى بالخلق الطيب وفضله على الجمال

والسر في ذلك أن الرجل ينشد الراحة فى بيته ويدرك أن لا راحة مع الجمال ولا سيما اذا كان الجمال هو كل غرض المرأة

والواقع أن الشاعر هو الذى يبحث عن الجمال أى عن الفوضى

أما الزوج فيبحث عن الخلق الطيب أى عن النظام

والشاعر لا يخشى جمال المرأة بل هو فى حاجة اليه لالهاب خياله وإثارة عواطفه ، أما الزوج فيقلقه الجمال وقد يعكر عليه صفوه ويفعم جو حياته بالريب والشكوك

وكل رجل فى دور العزوبة أقرب الى شخصية الشاعر ، يطلب فى المرأة الجمال وينشد بقربها المرح واللهو والفوضى. ولكنه متى أصبح زوجا احتلت عقله فكرة النظام وضحى بالجمال العرضى الزائل وتعلق بالفضائل النفسية الباقية

فالويل للمرأة التى لا تفهم هذا الجانب من نفسية الرجل والتى لا تنفك تعنى بجمالها الجثمانى وترصد صفوة قواها على الاغراء البدنى المحض ، كأنما هى مقترنة بشاعر منقطع لعبادة جمالها . الويل لها لان اسرافها فى التجمل والتبرج والاناقة يعتبره الزوج على الدوام دليل نقص فى حبها له ، وامعان فى حبها لنفسها ، ونفور من مسرات الحياة البيتية الهادئة ، وتطلع الى ملذات العالم الخارجى ، ورغبة شيطانية فى جر الخراب الى البيت وتقويض دعائمه

والزوج قد يغض الطرف أول الأمر ان كان غنياً ، ولكن ثورته فى النهاية لابد من وقوعها لان هذا الغنى نفسه يخشى على ثروته ويخشى على امرأته ويخشى على سمعته ، وهو كالرجل العادى ينشد فى الزواج الراحة لا الاضطراب ، والنظام لا الفوضى

وعليه فأشق فن من فنون الزواج يجب أن تحذقه المرأة العصرية ، هو أن تعرف كيف تؤلف من عناصر البساطة هيكل جمالها . اذ البساطة فى الجمال الظاهرى هى وحدها التى تقنع الرجال بان

المرأة على سمو فى الجمال الباطني وعلى سماحة نفس وطيبة قلب وكرم خلق واحساس
وليس شك فى أنهم على حق !

خطر الغيرة على كيان الأسرة

المرأة مدفوعة الى الزواج بفطرتها . وهى لا ترى الى استمرار النوع فقط بل ترغب أيضا فى ضمان حياتها الشخصية وضمان المستقبل لأولادها وضمان وجود الرجل الذى يسهر على الأسرة ويعولها ويكفل لها أسباب الحياة

وهذا هو السر فى غيرة المرأة على قرينها وخوفها من أن تعبث به امرأة أخرى وتسلبه منها

فغيرة الزوجة عاطفة أنانية فى أصلها ، ولكنها مع ذلك عاطفة تفضى الى خدمة الأسرة

ولكن من الزوجات من تسرف فى هذه الغيرة اسرافا يؤدى فى معظم الأحيان الى عكس الغرض المقصود منها ، أى الى تداعى بنيان الأسرة وانهيارها

وترى مدام ربنارت ان المرأة التى تغلو فى غيرتها على قرينها لا تنظر الى مصلحة الاسرة بقدر ما تنظر الى مصلحتها هى ، والى رغبتها فى الاستيلاء على الرجل لنفسها فقط بصرف النظر عن مصلحة البيت والابناء

ولا شك فى أن واجب الأمانة الزوجية محتم على الرجل كما أنه محتم على المرأة ، وان الرجل كى يقر السعادة فى بيته ينبغى أن يخلص لامرأته اخلاصها له ، ولكن اسراف الزوجة فى الغيرة قد ينبعث من شكوك لا أساس لها ، وهو يدل أبلغ الدلالة على جهل بعقلية الرجل وعلى قلة حيلة وسوء فهم . ولذلك يتبرم به الرجل ويعتبره استبدادا فى حين تعتبره المرأة عاطفة طبيعية مشروعة

والواقع ان المرأة الغيور لا تفهم أن لزوجها حياتين بحكم وظيفته كرجل : حياة البيت وحياة المجتمع

فحياة البيت تضطره الى الوفاء لزوجه والاخلاص لابنائه ، ولكن حياة المجتمع تضطره أيضا الى الاتصال بالناس وقضاء جزء من وقته فى الخارج . فاذا أسرفت الزوجة فى مطالبته بقصر حياته عليها وعلى بيته وضيقت فى وجهه سبل الاتصال بالعالم الخارجى وأرادت الاستيلاء على عقله وقلبه استيلاء كاملا مطلقا ، اذا فعلت ذلك ولدت فى الرجل عواطف الثورة والتمرد ودفعته بالرغم منه الى تحطيم قيود الاسرة والانطلاق فى فسحات الحياة الحرة وانكار واجبه نحو البيت والابناء

وهنالك من الزوجات العصريات المتعلمات من تحاسب زوجها على كل خطوة واشارة ، ومن تعد عليه كل حركة ولفتة ، ومن تتشكك فى كل ساعة يقضيها بعيداً عنها ، ومن تعصف بها الهواجس والريب عصفاً يدفعها الى تسميم حياة زوجها وإحالة بيتها الى جحيم

هذه المرأة لا تريد أن تمنح زوجها قسط الحرية الذى يضن به كل رجل ويحرص عليه كل

زوج والذى يمثل فى عقل الزوج معنى الرجولة والكرامة

وتعتقد مدام رينارت أن الرجل يعرف حق المعرفة أن واجب الزواج يحتم عليه النزول عن حرية العزوبة فى سبيل مصلحة الأسرة ، ولكنه بحكم اعتياده الحرية أيام العزوبة يأبى أن يشعر شعوراً واضحاً قويا بأن هذه الحرية قد سلبت منه وان هناك شخصاً ضعيفا يقيده . فهو والحالة هذه لا يجد غضاضة فى التضحية بنفسه والتضحية بحريته ، ولكنه يود مع ذلك أن يعيش رجلا وأن يجد الحل الوسط الذى يوفق بين تضحية الحرية فى سبيل الأسرة وبين الاحتفاظ بجزء منها فى سبيل المجتمع والاتصال بالعالم والناس

فمتى أرادت الزوجة الغيور حرمانه من هذا الجزء المقدس اضطربت حياته وتجهم خلقه ، وشاع فيه الضجر والتمرد والفوضى

والعجيب فى الزوجة الغيور هو أنها تتوهم أن اسرافها فى الغيرة دليل حب . وهذا ما لا يمكن أن يفهمه الرجل ويسيغه . فهو يود أن يكون محبوبا على شرط ألا يلتهم الحب حياته وان يدع له بعض الحرية يشرف من خلالها على هذه الدنيا التى تدعوه شواغله الى احكام الصلة بينه وبينها

ثم ان فكرة الرجل عن السعادة أرحب أفقاً من فكرة المرأة . فهى ترى سعادتها فى البيت وهو يراها فى البيت والخارج أيضا . يراها فى فكرة عظيمة يعمل لتحقيقها أو فى مشروع خطير يعالجه أو فى رفقة أصدقاء يعتقد أن لا غنى عنهم وعن مبادلتهم آراءه وأفكاره ومبادئه فى الحياة

فالزوجة مقصور جهادها فى الغالب على محيط الأسرة . أما الزوج فيجاهد فى ميدانين ويعيش فى محيطين وتتوزع قواه بين عالمين . وهو ان اقتدى بالمرأة فقصر حياته على البيت وعلى الاولاد وعلى الحب ولم يهتم بما يجرى فى الخارج استحال الى عضو أشل وخسره المجتمع وابتردت نار فكره وحرارة رجولته

فالمهارة كل المهارة فى أن تخفى المرأة غيرتها ، ولا تقيم الدليل بالغيرة على عدم ثقتها بنفسها ، وعلى ضعف أخلاقها وانحطاط كرامتها ونقص جاذبية محاسنها كأنثى

المهارة كل المهارة فى ألا تحاول المرأة الحد من حرية قرينها لأى سبب كان ، وألا تظهر خوفها من عواقب هذه الحرية . وهذا بالطبع بعد ان تكون قد استعانت على اخضاعه وكسب حبه بفضائل أنوثتها ، أى بالطيبة والرقة والوداعة والعطف الكامل الصريح

عليها أن تكون قدوة له فى كل شىء . ثم فلتدعه حراً وتثق به . ومتى شعر بقيمة فضائلها وشعر بأنه رجل محترم الرجولة ، محترم الحرية الشخصية ، خجل من نفسه ، وخجل من سوء استخدام حريته ، وازداد إحساساً بمعنى المسئولية وأخلص لزوجه الاخلاص المطلق المنشود

هنا هو الجانب الاكثر خطورة فى فن الزواج . ومعالجته فى يد المرأة المتزنة العاقلة الهادئة الأعصاب والحواس

خمس نصائح للزوج ومثلها للزوجة

أيها الزوج :

أولا ـ لا تفاخر بقواك البدنية أو العقلية أمام امرأتك . لأن الواقع قد يفضحك فتحتقرك زوجك وتستخف بك

ثانيا ـ لا تتحدث طويلا الى امرأتك عما فعلت أيام عزوبتك والا أثرت فى نفسها الشك فى حاضرك وفى صلاحيتك لحياة الزواج وابتليتها بمرض الغيرة

ثالثا ـ اذا اعتقدت بعد التفكير أنك على صواب وان امرأتك على خطأ ، فكن رجلا ونفذ مشيئتك ولا تعبأ بصياح المرأة وعويلها

رابعاً ـ لاتعنف امرأتك أمام أبنائك والا احتقروا والدتهم ، فازداد سخطها عليك وبغضها لك

خامساً ـ اخلص لامرأتك وامنحها نفس حقوقك وطالبها بتأدية نفس الواجبات التى تؤديها أنت ، ثم دعها حرة وثق بها فالثقة رأس الفضائل جميعاً

أيتها الزوجة :

أولا ـ لا تكذبى على زوجك أبداً . واعلمى أن المرأة الكاذبة لابد أن يشك الرجل فى سلوكها مهما كانت فضيلتها

ثانياً ـ لا تقصى على زوجك فى المساء ما قاسيته من هموم البيت فى النهار

ثالثاً ـ لا تصارحى زوجك بوجهة نظرك الخاصة الا بعد أن تهدأ سورة غضبه بساعات

رابعاً ـ لا تغتابى صديقاتك لتفاخرى عليهن بفضيلتك والا داخل زوجك الشك فى أن فضيلتك مصطنعة وقائمة على النفاق

خامساً ـ لا تكونى ثرثارة . . .

ابراهيم المصرى

موسوليني ـ هتلر

ستالين ـ أتاتورك

وجوه التشابه بين الزعماء الأربعة

« . . . هل نجد من هذا التشابه بينهم في الأصل والمنبت ، وفى النشأة والبيئة ، وفيا اختلف عليهم من الغير والخطوب والأحداث ، وما ذاقوه من شقوة الحياة وبأسائها ، تفسيراً لما بلغوه من زعامة وقيادة ؟ . . »

لماذا كان موسوليني وهتلر وستالين وأتاتورك ، حكاما يصرفون بأيديهم سياسة العالم وشؤونه ، وقادة تعنو لهم الشعوب والجماهير ؟ أهم رسل مختارون ، أم توابغ أفذاذ ، أم مغامرون صادفهم التوفيق ؟ أم هل هى المصادفة العمياء آثرتهم بالمجد والسؤدد والفخار ، دون أن يكون لهم من الخلق أو العقل أو الذكاء ما يميزهم عن غيرهم من الأوساط المغمورين ؟ . أم هناك عوامل أخرى وجهتهم فى هذا السبيل الذى انتهى بهم الى الذرى ؟

لسنا نقدر الآن أن نتبين الرأى الصائب من بين هذه الآراء المتفرقة ، وكل ما نستطيعه هو أن نستعرض هذه الأوجه التى تشابه فيها الرجال الأربعة تشابها يكاد يكون تاما

آباؤهم فقراء حازمون

يرجع التشابه بين الزعماء الأربعة الى الأصل والمنبت ، وإلى النشأة والتربية ، فهم جميعاً أبناء رجال من أهل القرى احترفوا الزراعة أو الرعى أو ما شابههما من حرف القرويين . وكان آباؤهم الأربعة جهلاء فقراء ، لم يصيبوا علماً يهذب من طبائعهم ويرققها ، ولم يرثوا مالا يغنيهم عن شقاء العمل وجهده . واتفقوا كذلك فى خصلة أخرى هي ضيقهم بحياتهم الشاقة المضنية ، وطموحهم الى حياة أسعد منها وأنعم ، ورغبتهم فى أن يكونوا أكثر من فلاحين تسفعهم الشمس ويبرأهم البرد سعيا وراء الكفاف من الرزق

يقول موسوليني عن والده : « ولم يذهب أبى الى المدرسة ، ولما بلغ العاشرة أرسل الى حداد فى قرية مجاورة ليأخذ عنه ، حتى اذا أتقن هذه الحرفة استقل بنفسه فى دكان صغير . وبدأ إذ ذاك يتصل بالاشتراكيين ويستمع اليهم ويتلقى عنهم آراءهم التى راح ينشرها ويدعو لها بين اهل القرية ،

واستطاع ان يؤلف من انصاره واتباعه عصبة اقضت مضاجع البوليس فناوأها وقضى عليها . . .

وامتاز ابو موسوليني بشدته على ابنه ، فما كان يدلله او يداعبه ، بل يظهر له كثيراً من الحزم والخشونة . وقد ذكر موسوليني في « قصة حياته » انه حين كان يغطي وجهه بكفيه ليتقي الشرر المتطاير من أتون النار او من الحديد المحمى في دكان أبيه ، كان يهوى عليه ابوه بالضرب المبرح المؤلم بسوط من الجلد ، مما اضطر الصبي الى ان يفر ذات ليلة من بيت ابيه هربا من قسوته وغلظته ، وكان إذ ذاك في السابعة من عمره ! . .

وهذه قصة أخرى تبين هذا الأسلوب الذي اتخذه أبوه في تنشئته ، فقد أتى له بلعبة صغيرة راح يدل بها على غيره من الأطفال ، فاختطفها أحدهم بعد أن اوسعه ضربا ، وولى بها تاركا موسوليني يبكي ويصيح . فلما رآه أبوه صاح به مغيظاً محنقا : ماذا ؟ أتسمح لطفل مثلك ان يغلبك على امرك ؟ اتتركه يفر بها وتأتيني تبكي وتولول كالبنت ؟ لماذا لم تمسك به وتبادله لطما بلطم ولكما بلكم ؟ » . ورفع يده الخشنة وأهوى بها على وجه ابنه المستضعف ، فما كان من الصبي الا أن اتخذ حجراً صلداً حدد حافته وراح يعدو وراء خصمه حتى أمسك به وضرب رأسه بالحجر فأراق منه الدماء . . !

وكذلك كان والد هتلر رجلا قرويا فقيراً . في الثالثة عشرة من عمره ترك قريته وراح يضرب في الأرض سعيا وراء الرزق ، حتى استقر بفيينا واحترف صناعة الأحذية . ولكنه لم يطق صبراً على هذه الحرفة التي لا تكاد تقوم بأوده ، ولم يرض لنفسه ان يظل معدما فقيراً ، فراح يجاهد ويكافح حتى استطاع بعد ثلاثة وعشرين عاما أن يعين موظفا في الجمارك ! وكان الرجل شديد الكلف بالحياة والتهافت على متعها ، فتزوج ثلاث نساء أولاهن في الرابعة عشرة ، وأخراهن تصغره بثلاث وعشرين سنة ، ولم يمض شهر بين موت زوجته الأولى وبنائه بزوجته الثانية ، التي وضعت له بنتا عقب زواجها بشهرين اثنين ..! ومن هذا ندرك أنه كان رجلا راغبا في الحياة ، مقبلا على لذاتها ، منتهلا من مواردها قدر ما يستطيع

ولما جاوز الخمسين آوى الى بيت في الريف منصرفا عن العمل ، نافراً من الناس ، شامخا بأنفه عليهم ، غطرسة وكبرياء . ولكن أولئك الذين كانوا يعرفون ماضيه لم يقابلوا كبرياءه الا بإيماءات ساخرة وعبارات جارحة ، فلم يجد الرجل مصرفا لغطرسته هذه الا في بيته حيث كان يتخذ القسوة والغلظة في تربية أولاده وتنشئتهم ، فقاسوا كثيراً من كلماته الشرسة النابية ، ومن يده الخشنة وعصاه الموجعة ! . فلا عجب بعد هذا ان جاء ابنه أدولف صلب الرأي ، عنيد الطبع ، قوى المراس . .

ولم يكن أبوا ستالين وأتاتورك أقل من زميليهما اتباعا لسياسة العصا في تربية ولديهما ، واظهاراً للبأس والعنف والشدة أمام الطفلين الناشئين . فهل كان هذا الأسلوب في التربية هو السر فيما بلغه هؤلاء الابناء الاربعة من عظمة وفخار ؟

ما من شك فى أن هذه المعاملة القاسية قد ولدت فى الاطفال روح السخط والتمرد والثورة ، وخلقت فيهم الطموح والصبر والكفاح ، وهى العوامل التى قام عليها مستقبلهم الباذخ بلا مراء

ومن الغريب أن هؤلاء الابناء الاربعة لم يخضعوا لسلطان آبائهم طويلا ، بل سرعان ما مات آباؤهم وما زالوا صبية صغارا . فقد فقد اتاتورك أباه وهو فى التاسعة ، وستالين قبل ان يبلغ الحادية عشرة ، وهتلر وهو فى الثالثة عشرة من عمره . وكذلك موسولينى تخلص من سلطان أبيه حين هجر قريته الى مدرسة نائية وهو فى سن التاسعة . فهل كان موت آبائهم - بعد ان أقاموا أخلاقهم على أساس متين - فرصة هيأت لهم الاستقلال بآرائهم ، والاعتماد على أنفسهم ، واضطرتهم لان يشعروا بواجبهم وقيمتهم وما زالوا فى حياتهم الأولى ؟

أمهاتهم ضعاف ورعات

ولم يقف التشابه بين الرجال الاربعة عند حد آبائهم ، بل تعدى الى أمهاتهم اللاتى كن جميعاً - على نقيض أزواجهن - نساء وادعات رقيقات ، ضعيفات ورعات . وقد رزقت الامهات الاربع كثرة البنين والبنات ، فكن منصرفات الى شؤون بيوتهن عن سائر متع الحياة ، كما كن - بما فطرن عليه من طهر وسذاجة وبما قاسين من شظف وفاقة ، نساء يعمر الدين والورع قلوبهن . فنشأ هؤلاء الاطفال الاربعة وسط عاملين متضاربين : عامل الثورة التى تتأجج فى صدور آبائهم ، وعامل الايمان الذى يفيء وجوه أمهاتهم بالرضى والاطمئنان

وقد اختلفت مشارب آبائهم وأمهاتهم فى أساليب تربيتهم وتوجيههم فى الحياة . فأم أتاتورك خاصمت زوجها طويلا لانه أبى أن يرسله الى « كتاب » يتلقى فيه القرآن ويتفقه فى الدين . ولم يذهب موسولينى الى احدى المدارس الدينية إلا بعد ان شجر نزاع عنيف بين أمه الورعة وأبيه الاشترا كى الثائر . وكم فرحت أم هتلر حين أقبل على حفظ الأناشيد الدينية وترتيلها ، وكم تمنت ان يجعله الله أسقفا منصرفا عن هذه الحياة الصاخبة الهائجة الى الله وحده . ونذرت أم ستالين لئن عاش لتجعلنه خادما وفيا للدين والكنيسة ، فلما بلغ الرابعة عشرة من عمره ذهبت به الى احدى مدارس اللاهوت حيث قضى فترة من الزمن يتعلم كيف يكون راهبا قسيسا ، لا زعيما للدولة التى تمارس الالحاد ومحاربة الاديان ..!!

ومع ما وهب أبناء الزعماء الاربعة من بسطة فى الجسم ، وصحة فى البدن ، كانت امهاتهم رقيقات البناء ، شاحبات اللون ، ضعيفات الاعصاب . وقد كانت أم موسولينى الجبار مريضة سقيمة ، تقضى الليالى ساهرة ، وتهب من فراشها صارخة مذعورة . .

والآن كيف أمضى هؤلاء الاطفال طفولتهم وصباهم ، وهل هناك أوجه شبه بينهم توضح رأينا وتعززه ؟؟ فلندعهم يتحدثون عن أنفسهم ، ولنسمع ماذا يقول عنهم اخوان الصبا

يقول موسوليني : « كنت صبيا مشاكساً عنيداً . لا أكاد أخرج الى الشارع حتى أشتبك فى شجار، ولا أكاد اعود إلى البيت إلا مصابا بجروح ورضوض شتى. ولكنى ما كنت أسكت عن الثأر والانتقام . . » وأتاتورك أغضبته كلمة قالها معلمه فأبى إلا أن يترك المدرسة الى غير رجعة اليها . وكان ستالين رئيسا لعصابة من الصبيان العابثين المشاكسين . فقد كان فى قريتهم رجل سكير اذا رأى كلبا ألقمه حجراً أو آذاه بعصاه . فاتفق ستالين مع رفقائه على ان يحتالوا بهذا الرجل ويلقوا عليه درسا أليما . فذهبوا اليه يحملون عصيهم واحجارهم وتجمعوا حوله حتى اذا أشار اليهم ستالين بيده قذفوه بحجارتهم وانهالوا عليه بعصيهم ، ثم ولوا هاربين بعد ان قال له ستالين : « أتعرف الآن كيف يكون الضرب موجعا أليما» !!

ويقول معلم هتلر فى احدى المدارس الأولية انه كان صبيا ثائراً شرسا ، عنيد الرأى ، قوى المراس ، لا يألف زملاءه ولا هم يألفونه ، وقلما كنت تجده يسير برفقة واحد منهم . وكذلك كان موسوليني ، فقد استضعف بنتا فى قريته كان اذا رآها قال لها : « دعيني أقبلك » . وكانت الفتاة تخشى بأسه فتطيعه ، فاذا ما امسكها ابى ان يقبلها وآثر ان يمسك شعرها بجماع يده القوية ويجذبها منه بعنف وشدة بينما الفتاة تصرخ وتستغيث. وكان هذا شأنه مع البنت اينما قابلها. فكأنه يستلذ ضعفها امام قوته وعجزها عن مقاومته . . وبلغ اتاتورك من اعتداده بنفسه وثقته برأيه ان نفر منه جميع اصدقائه وزملائه ، إذ كان يأبى الا ان يفرض عليهم مشيئته ويقضى فيهم بما يريد

فأنت ترى أن هؤلاء الأطفال قد ورثوا عن آبائهم روح التمرد والثورة ، وروح الطموح والكبرياء التى امتاز بها آباؤهم الأقوياء ، كما ورثوا فورة الأعصاب وثورة النفس التى امتازت بها امهاتهم الضعيفات . .

أبناء أمهاتهم

وهذه خصلة أخرى اشترك فيها هؤلاء الزعماء الأربعة ، وكان لها أثر ولا شك فى مجرى تفكيرهم ومتجه حياتهم ، وهى هذا التدليل الذى غمرتهم به امهاتهم . فبقدر ما حرموا من عطف آبائهم وحنانهم مما جعلهم شرسى الاخلاق نافرى الطباع ، دللتهم أمهاتهم تدليلا ولد فيهم روح الاثرة والأنانية التى يمتاز بها الصبي الغرير دون الرجل العاقل

يقول هتلر : « كنت احترم أبي ولكني كنت أحب أمى » . ولم لا وهو منذ مات أبوه ترك المدرسة واستكن فى البيت يأكل ويلعب وينام ، بينما أمه تجهد فى سبيل الرزق . وقد ظل على هذه الحال أربع سنوات دون ان تضيق به أمه رغم ما كانت فيه من فقر وفاقة

ويقول موسوليني : « إنى لأشعر بأعمق الحب لأمي . هذه التى قاست كثيراً من أجلى ، والتى

أولتنى كل ما يطمع فيه الابن من حب وحنان . لقد كانت تعمل الساعات المتواصلة دون أن تشكو أو تتذمر لتعيننى على بأساء الحياة »

وكذلك كانت أم ستالين وأم أتاتورك تواصلان الليل بالنهار سعياً وراء شيء من المال ينفقه ابناهما المدللان . .

هذه عوامل شتى اشترك فيها الزعماء الأربعة ، فهل كان من عمل المصادفات أن يتخذوا جميعاً سبيلا واحدة ، وينتهوا جميعا الى غاية واحدة ؟

الجوع والسجن

على أن هناك أمراً آخر لعله أثر فى حياتهم وتفكيرهم اكثر مما عداه . وهو ما قاسوه فى أول حياتهم من الشظف والمتربة التى بلغت حد الجوع

نعم ا فموسولينى ظل ردحا من الزمن فى اسبانيا لايكاد يجد القفار الذى يتبلغ به ، وهتلر بعد أن فقد أباه كان يهيم فى شوارع فينا دون ان يصيب الكفاف من الخبز ، وكان ينام مع الشحاذين والمشردين جنبا الى جنب ، ولما اشتد به الأمر لم يستطع إلا أن يمد يده متسولا . . وكذلك عرف ستالين ألم الجوع فى صدر حياته حين كان يقاسم زملاءه الثائرين طعامهم الزهيد . .

أما السجن فقد عرفه الاربعة خير معرفة . فستالين سجن ست مرات ، وعرف النفى والتشريد مراراً ، وقضى رهين القيود ثمانية اعوام طويلة . اما موسولينى فقد دخل السجن إحدى عشرة مرة اختلف اثناءها على سجون ايطاليا وسويسرا واوستريا . وكذلك عرف اتاتورك « السجن الأحمر » باستنبول متهما فى ثورات ومؤامرات . وقضى هتلر سنة فى السجن ألف اثناءها كتابه « كفاحى » . وهكذا كان السجن مرحلة مر بها الرجال الاربعة وتعلموا فيها أثمن دروس الحياة الشاقة القاسية . .

هذه بعض ادوار اشترك فيها هؤلاء الزعماء ، فهل نجد فى هذا التشابه بينهم فى الأصل والمنبت ، وفى النشأة والبيئة ، وفيما اختلف عليهم من الغير والخطوب والاحداث ، وما ذاقوه من شقوة الحياة وبأسائها تفسيراً لما بلغوه من زعامة وقيادة ؟ وهل كانت هذه العوامل التى اشتركوا فيها هى التى اعدتهم للزعامة وهيأتهم لمكان القيادة والحكم ؟

[ملخصة عن مقال لستيفان لورانت ، فى مجلة بريتانيا ولايف]

النيل في مصر

الجزء الثانى من كتاب اميل لدفج

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

النيل فى مصر هو الجزء الثانى من كتاب اميل لدفج «حياة نهر عظيم» وهو موضوع يوشك أن يكون منفصلا عن الجزء الأول لولا اشتراك الجزءين فى الكلام على النيل

ويقول لودفج فى كلمة التقديم التى صدر بها كتابه الجديد « ان ثلاثة أرباع الجزء الأول كانت موقوفة على الناحية الطبيعية وكان الربع الباقى موقوفا على الناحية التاريخية . أما فى الجزء الثانى فنصف الكتاب موقوف على التاريخ لان النبات والحيوان ومناظر الارض تتغير قليلا من وراء اسوان الى الشمال » ثم يقول : « وفى هذه الصور قدمت الأطوار الاجتماعية على الحروب ، وقدمت شعور الناس ودخائل نفوسهم على مراتبهم وظواهر أحوالهم . . . وحاولت ان أبسط التاريخ لا كما رآه الفراعنة والسلاطين ، بل كما تراءى من وجهة نظر الفلاح الذى كان فى طوال الدهور أقرب اتصالا بالنيل وامتزاجا به من حكامه . لان مصر هى البلد الوحيد على وجه الارض الذى لايزال كل ساكن فيه بمشهد من النهر فى جميع الاوقات »

وقد وفى الكاتب بوعده واستعرض حالات الفلاح فى جميع العصور ، فاذا هى حالة واحدة مطردة تتلخص فى كلمات الضنك والنقم والخنوع ، لم يتخللها فى التاريخ القديم إلا ثورة واحدة سجلها السادة المغضوب عليهم ولم يسجلها العبيد الثائرون الغاضبون ، كما هو الشأن فى ثورات البلاد الأخرى ، وذاك قبل الميلاد بنحو ألفين وثلثمائة وخمسين سنة وما بعد ذلك بنحو قرنين ، إذ يقول كاهن من كهان عين شمس فى وصف الثورة الجائحة : « لقد ضاعت الارض وانكسفت الشمس ونضب النيل حتى لتعبره على القدمين ، وأقبلت وحوش الصحراء تنهل وتعل من مائه ، وزحف الأعداء من الشرق وغرقت البلاد فى الحداد والشقاء ، وأنحى كل جار على جاره يذبحه وشاعت البغضاء فى المدينة ، وضرب الصمت على الأفواه فانقلبت كلمات القائلين شواظا من النار فى القلوب»

وإذ يصفها أحد الحاكمين قائلا : « انتصر الفقراء وراحوا يصيحون : ليسقط الكبراء . وأصبح كل لابس لجلباب من الكتان عرضة للضرب والايذاء ، ووثب الى المراتب الرفيعة اناس لم يبصروا النور قبل ذاك »

على ان مصر أم العجائب لم تكن أعجوبتها الفذة في عالم الثورات هذه الثورة التي سجلها المقهورون ولم يسجلها القاهرون . وانما كانت لها أعجوبة أخرى فريدة في تواريخ البلاد ، وهي الثورة من الأعلى لا من الأدنى ، ويعني بها المؤلف ثورة الملك اخناتون !

ومن رأى لدفج ان مجرى النهر خليق أن يدلنا على أصل المصريين الأقدمين ، فهم قد وردوا مع النيل من الجنوب الى الشمال ، ثم خالطهم من شعوب الشمال والشرق والغرب من وفدوا الى مصر السفلى رواداً أو فاتحين

وهو يرجع إلى النيل في استكناه حقائق كثيرة عن أخلاق المصريين وسلائقهم وموروثاتهم النفسية ، فعنده ان « الالهين » اللذين اشتركا في تكوين جو مصر قد اشتركا كذلك في تكوين أخلاقها ، فأما حب الحياة والقصد «الجاف» فمن الشمس ، وأما النظام والخنوع فمن النيل !

وقد أجاد المقارنة بين الحضارتين المصرية واليونانية حين قال : « ان شعباً نشأ على الديمقراطية لم يكن باليسير عليه أن يفهم الشعب الذي نشأ على الملكية ، وكذلك ليس باليسير على أهل جزيرة أن يفهموا أهل واحة . ولم يكن في وسع أحدهما أن يصم الآخر بوصمة البربرية . غير أن الاغريقي الذي كان يحرق موتاه ويتركهم رماداً لم يكن له مناص من شعور الغربة والاختلاف بين اناس يحفظون أجساد موتاهم بكل ما في صناعة الكيمياء من وسيلة ، وقد التقى هنا صفاء الذهن والملاحة بالغموض المبهم الذي لا يتكلم ، والتقى الفكر الحر بقيود التراث القديم ، والتقى الشك بالعقيدة ، والخفة بالوجوم ، والجمال المنطلق بالضخامة الراسخة ، والتقت بلاد الجبال والينابيع بوادي الصحراء ، وروح البحر بروح النهر »

ويرد « لدفج » كراهة المصريين للجندية إلى زمن قديم حيث جاءت في قصة شعبية على لسان المعلم مفاضلة بين الجندي والكاتب يقول فيها المعلم : «أتحسبه أسعد من الكاتب ؟ ألا ترى انه وهو طفل يؤخذ الى الثكنات فيسجن فيها بين ضربة على البطن وأخرى على الحاجب فاذا هو مصدوع مشدوه ؟ ثم يطرقونه كما يطرقون ورق البردي . ثم ماذا يلقى في رحلته إلى الديار السورية ؟ انه ليحمل خبزه وماءه على كتفيه كالحمار وهو مرنق الشراب . فاذا قدم العدو فهو كالعصفور الأسير منحل المفاصل كالماء . واذا قفل الى بلاده فهو كالخشب المنخور محمول على حمار ، وقد سرقت ثيابه وفر خادمه من زمن طويل ... »

ويثني لدفج على رأفة المصريين بالحيوان وما في ذلك من المودة والايناس . ويرى ان القطط وروح المحافظة يقربان الشبه بين المصريين والفرنسيين ، ويقول ان الحمار المصري مفرد بين الحمير بغير نظير الا ان يكون حمار الحجاز !

وفي الكتاب طرائف شتى ومعلومات مبعثرة لا تشيع هذا الشيوع في الكتب الأخرى التي تؤلف عن مصر والنيل . فهو يروي أن اسم « موسى » معناه ابن النيل مركبا من كلمتين هما

« مو » أى طفل و « شى » أى بركة وتطلق على النيل فى بعض الاحيان . وهو يذكر بعض التفصيل أن فيلسوفا ـ هو ليبنتز ـ كان أول من أشار بتوجيه الانظار الى غزو مصر فلم يفلح فى اقناع لويس الرابع عشر ، وظلت النصيحة مطوية الى ان قام بتحقيقها المفكر القائد نابليون

وهو ينقل ما كتبه فى وصف محمد على الكبير الكونت والفسكي ابن نابليون من النبيلة البولونية الجميلة حيث قال : «ان احساسه الأول قد يكون من أثر التعاظم والأنانية ، ولكنه لم يكن يصدر فى عزائمه قط إلا عن تدبر طويل ، وعبقريته فى التمدين أظهر منها فى التنظيم ، وليست له عين النسر التى ترى الرجال من عل ولا الفكر الخارق الذى يوحى الى الانسان آراء تلوح فى بادىء الأمر كأنها غريبة محيرة لبعض الناس ، ولكنه صاحب فكر نافذ دؤوب وعزيمة صارمة ولباقة عجيبة . ولو أنه ولد فى بلادنا لكان أحجى ان يصبح مترنيخ أو تاليران وليس نابليون »

وقد روى لدفج عن الملك فؤاد ان اسماعيل كان قد أجمع العزم عند افتتاح قناة السويس على خلع السيطرة العثمانية والمناداة بنفسه ملكا مستقلا على مصر ، فحالت دون ذلك دولة أجنبية . . . قال لدفج : « وربما ظهرت وثائق هذه المسألة يوما ما فى خزائن الأضابير الايطالية »

نقول : ومن العجيب ان ما شرع فيه الأب يؤخره الزمان حتى يتم على يد ابنه الذى لم يكن منظوراً أن يخلفه على عرشه

وكتاب « النيل فى مصر » حافل بأمثال هذه المعلومات والطرائف المفرقة بين الفصول . إلا أنه أقل من جزئه الأول حظا من الفكاهة والجمل الرشيقة . وربما كان أرشق عباراته تلك التى يقول فيها عن نخار قنا : ان كان النيل رباً فالجرار لا شك أنبياؤه ورسله ، لانها تنقل روحه إلى الناس !

وغلطات الكتاب هينة معدودة : من أمثلتها انه حسب ان دمشق كانت عاصمة الخليفة عمر بن الخطاب . وان كلمة الفيوم تعنى بالعربية البحيرة . وأكبر غلطاته قوله عن سعد زغلول انه أصبح غنيا بالزواج وانه «فلاح ولد فى حجرة مظلمة من الطين بين الدجاج والحمام ... » الى آخر ما قال

فقد يكون لهذا الكلام وقع « روائى » يروق الأوربيين البعيدين من ديارنا المصرية . أما فى الديار المصرية فكثير من الأوربيين يعلمون كما يعلم المصريون ان سعداً لم يولد فى حجرة من الطين بل ولد في بيت هو أشبه بالقصور إذا قيس إلى بيوت الريف

وان هذه الغلطة لكبيرة الدلالة كبيرة الفائدة . إذ يسوغ لنا أن نسأل بعد هذا : ماذا يبقى من حقائق التاريخ وروايات الأقوام عن أبطالهم الأقدمين إذا كانت هذه غلطة مؤرخ كبير زار مصر عدة زيارات ويجهل نشأة الرجل الذى هو أشهر الرجال فى تاريخ مصر الحديث ؟

عباس محمود العقاد

صديقي طه حسين

بقلم الدكتور أمير بقطر

عدوي طه حسين

بقلم الدكتور زكي مبارك

هذه دراسة أدبية ممتعة تناول طرفيها صديق لا يجامل وخصم غير متحامل ، فجاءت بعيدة من المدح الزائف والهجاء الذميم ، وإنما هي تحليل طريف لرجل له في حياتنا الفكرية والادبية أثر بعيد . وقد كتب الدكتور زكي مبارك كلمته قبل أن يزول الجفاء الذي اعترض طريق صداقته بالدكتور طه حيناً ما ، ثم انقشعت سحابة الخصومة والمقال معد للطبع ، فنهنئهما . .

صديقي طه حسين

ما ساكنته يوما ، ولا مازجته ، ولا بلوت أخلاقه . وغاية ما في الأمر انني جالسته حول مائدة الطعام بضع مرات دقائق معدودات ، وطارحته الحديث بضع مرات دقائق معدودات . إذاً فأنا أتحدث عن صداقة فكرية بحتة ، لا دخل لعاطفة المودة فيها . ولا إخالني إلا كسائر الناس ، لي بين معشر الكتاب الأصدقاء ، كما لي بينهم الأعداء . ولست أحجم عن قراءة العدو ، ولا أنغمس في قراءة الصديق . أقرأ العدو كما أقرأ الصديق ، طالما أجد في كل منهما عنصراً من ذلك الغذاء الروحي الذي تتطلبه النفوس ، ويسعى اليه القراء في الكتاب . أقرأ العدو لعلي أجد حبة من الذهب في كومة من التراب ، فاذا وجدتها لعنته وشق عليّ أن يعطى « القدس للكلاب » ! وإذا لم أعثر عليها لعنته وعجبت من قوم يقضون يومهم بحثاً عن الرم في التراب . وأقرأ الصديق لعلي أسمع لحناً تردده أوتار فؤاده كما أفهم ذلك الفؤاد ، ولعلي أرى صورة تمثل ذلك الشعور ، فاذا عثرت على ما أريد حمدته ، وإذا ما خاب أملي فيه ، التمست له العذر أو أنكرته عليه ، وغفرت له ذنبه أو نقمت عليه

أما أعدائي بين الكتاب الناطقين بالعربية فكثيرون ، كما أن أصدقائي بينهم كثيرون أيضاً . ولي وقفات معدودة خاوت فيها بنفسي ، فنقمت على أعدائي الكتاب ، كما أن لي كذلك وقفات

حقدت فيها على أصدقائى منهم ، حتى اشتهيت لو أتيح لى النيل من سمعتهم بالطعن والهجاء ، ومن أبدانهم بالعصى والسياط

وإذا شئت ان أعدد المرات التى نقمت فيها على أعدائي الكتاب ، وتاقت نفسى الى الثأر منهم ، لضاقت صفحات هذه المجلة على سعتها . أما صديقى طه حسين فقد حقدت عليه دفعات قليلة أقتصر هنا على ذكر اثنتين منها . حنقت عليه وأنا فتى يافع فى الحلقة الثانية من عمرى ، لانه هجا المنفلوطى ، ونقده نقداً مراً ، فى عصر كان الشباب يترنح فيه « بالنظرات » فأترنح أنا ، ويتغنى « بالعبرات » فأتغنى أنا ، ولانه أخذ يتعقب سقطات المنفلوطى اللغوية ، ويترصد عثراته النحوية والصرفية ، حتى أطال عليه لسانه ، وتناوله بقلمه ، وأصاب منه مغمزاً . فعل ذلك وأنا فى تلك الحلقة الجامحة من العمر ، وتيك الفترة الثائرة من الصبا ، التى كانت تلعب فيها عبارات الكاتب بالعواطف ، وإن تهدمت فى سبيل ذلك صروح اللغة والنحو والصرف معا ــ تلك الفترة التى كنت أجد فى خلالها نفسى ومشاعرى فى ثلاثة : فى رميو وجوليت لشكسبير (بالانجليزية) ، وفى غادة الكاميليا لدوماس الصغير (بالفرنسية وكنت حديث العهد بها) ، وفى النظرات والعبرات للمنفلوطى (بالعربية)

وحنقت عليه فى صيف سنة ١٩٣٦ لانه وقف يخطب فى حفلة كلية الاميركان للبنات فهجا قاسم بك أمين ، فكان هجاء قاسم على خفته ، أشد وقعاً فى نفسى من هجاء المنفلوطى على شدته ، لان الأول هوجم وجهاً لوجه ، فى حين أن الثانى هوجم فى أحضان الثرى . وحنقت عليه أكثر من ذلك لانه كاد ينسى مقتضى الحال فأخذ يمدح المرأة العربية فى مختلف العصور ، وما بلغته من الثقافة العالية ، وهو يعلم أن عدد المتعلمات منهن أو من غيرهن من الأمم الأخرى فى ذلك الحين كان قليلا جداً . نقمت عليه لانى ذكرت ما كتبه هو فى فبراير سنة ١٩٢٣ فى رده على رفيق بك العظم بهذا المعنى وبهذه الألفاظ : « ... إن كثيراً من العلماء فى الشرق يسبغون على التاريخ العربي صبغة من التقديس . . . تحول بين العقل وبين النظر فيه نظراً يعتمد على البحث العلمى . . » ذكرت ذلك فشق علىّ ان أرى صديقى يقع فى سنة ١٩٣٦ فى الخطأ الذى نبه إليه سواه سنة ١٩٢٣

***

بيد أن حنقى على طه حسين لم يكن إلا لوناً يميل إلى الاحمرار من ألوان العتاب ، لاننى لا أعرف بين كتاب « الأدب العربى » من يتفق معى رأيا ، وينبض معى فؤاداً ، كطه حسين ، ولو أنى أستدرك فأقول إن صديقى كاتب اجتماعى قبل أن يكون « أديباً » بالمعنى المتداول بيننا . ويؤدى بنا هـذا الى القول بأن صداقتى لطه حسين تعزى إلى تغلغله في الحياة العامة ، والنظر إلى الأشياء من قمة عالية ، تتناول شتى النواحى زماناً ومكانا . وتكاد تكون دائرة ابحاثه تامة الاستدارة ، لا يشوبها احديداب . فهو يعجب بالموسيقى ، ويصف ما يشاهده من الروايات فى ال Palais Royal والأوبرا والأوبريت ، ويتحدث لنا عن باريس وأدبها وجمالها وحياة « الصالون»

فيها ، ثم ينتقل بنا إلى الحياة الزوجية السعيدة ، فيدعو القارىء إلى جلسة حول الموقد ، ويسمعه صوت الريح خارج المنزل ، ويصور له زمهرير الشتاء ، ثم يتحدث له عن الموسيقى المنبعثة من بوق اللاسلكى بجانب الموقد . هذه قطعة موضوعها الدموع ، فهل هى دموع الفرح أم دموع الحزن ؟ وهذا اللحن تطرب له كريمته ، ولا يطرب هو له ، فما علة ذلك ؟

ومتى أطلق لقلمه وخياله العنان لا يعوقه عائق ، فيصف صديقه « وشكله القبيح ، وأطرافه الضخمة ، وكتفه العريض ، ووجهه الغليظ الجهم ، وأنفه الدقيق المسرف فى الدقة ، المنبطح المسرف فى الانبطاح » ويتكلم عن فن المثال مختار وابداعه ، ويتناول كواكب الأوبرا والتمثيل فى رواياتهم ، فيشبع الواحد بعد الآخر نقداً ، وتعليقاً ، تعميا وتفصيلا ، مدحا وقدحا . ويعجب القراء ويتساءلون . ولكن ألا تستمع لرواية تمثيلية أو غنائية بجانب اللاسلكى فتتقد أدوارها وألحانها والقائمين بها ، بغير تليفيزون ؟

تلمس فى كل ما تخطه يراعته ميلا الى التحليل الفلسفى ، كما ترى فى قصته « التيه » المترجمة عن الفرنسية ، وجنوحا الى البحث الاجتماعى كما ترى فى قصصه الأخرى التمثيلية المترجمة ، ورغبة شديدة في الموازنة والمفاضلة . فبينا هو يتكلم عن كاتب من كتاب الجاهلية ، إذا به ينتقل بك فجأة إلى أناتول فرانس ، أو الفونس دوديه ، أو لامرتين . وما هذه الجولات التى يجولها قلمه فى جميع العصور وفى ميادين الفكر الانسانى ، سوى شرر من شعلة الذكاء المتقد الذى يدفع طه حسين إلى حب الاستطلاع ، والانتفاع بالبيئات العدة التى عاش بها فى مصر وفرنسا وانجلترا وبلجيكا وغيرها ، فيصورها لقرائه هذا التصوير .

ومن أكبر ميزات طه حسين التى جعلته صديقاً لى تذوقه الجمال الراقى فى جميع ضروب الفنون من شعر ، وغناء ، وموسيقى ، ورقص ، وتمثيل ، ونحت ، ونثر ، وتصوير . ولا شك عندى أن سر هذا الميل للجمال يعزى إلى ثقافته المكتسبة من دراسة تاريخ الاغريق وآدابهم وفنونهم ، كما يتبين من « صحفه المختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان » . أو ليست تلك الثقافة الاغريقية هى عينها الثقافة التى اقتبس منها الأوربيون مقاييس الجمال والذوق السليم ؟ ولست أغالى اذا قلت ان طه حسين لم يتأثر بالثقافة اللاتينية بما يزيد كثيراً عن تأثره بالثقافة الاغريقية الكلاسيكية . بيد أن تفهم طه حسين للجمال لم يجعله خيالياً ، فالشعر الجميل عنده يفقد عنصراً من عناصر الجمال إذا لم يستند الى الحقيقة والتاريخ ، لذلك تراه يعيب شوقى وحافظاً لأن كلا منهما شاد بفضل لطفى السيد فى قصيدة أثر ظهور مؤلفه عن أرسطو ، ولم يأت ببيت واحد ينبىء عن تعرف الشاعر على ارسطو تعرفا حقيقياً . وقد استطاع طه حسين أن يحس بالجمال لفظاً كما أحس به معنى ، ولذا تراه عصريا ، يتخير العبارة التى لا تتصادم والذوق الحديث ، ويتجنب المفردات التى يولع بها بعض الكتاب ، تلك المفردات التى « لم تخلع بعد أسمال البداوة ، ولم ترتد حلل الحضارة ، أيام كانت لغة الصحراء

يضعها الحداة ، أيام كانت لغة الأشداق الواسعة العريضة ، والشفاه الضخمة الغليظة ، لا الأفواه الضيقة الظريفة ، ولا الشفاه الناعمة الرقيقة »

ويعلم القراء أن اللغات في الحياة الفطرية كانت تستمد ألفاظها من أصوات الجماد والحيوان : من « بعبعة » الجمال ، وخوار الثيران ، وقعقعة السنان ، الى نقنقة الضفادع ، وهدير الغدير ، وسقسقة الطيور

* * *

صديقي طه حسين في معظم كتاباته صريح ، مسرف في الصراحة ، شجاع جريء ، مسرف في الشجاعة والجرأة . بيد أن ليونة ألفاظه ، ومرونة تراكيبه ، تسمو بصراحته فلا تهبط أبداً الى ذلك المستوى الذي كثيراً ما يقرب من الوقاحة عند البعض ، وتعلو بتلك الجرأة فلا تشتم فيها رائحة الثورة العنيفة . يجري قلمه أحيانا بحروف من نار ، ولكن قل أن يكتوي بها أحد . يمس قلمه أشد المسائل قابلية للانفجار ، وأقدسها عند الجمهور ، ولكنه يخرج منها في معظم الأحوال سالماً . يكتب بكل صراحة عن حياة الطفولة المصرية فتترجم أقواله الى اللغات الأجنبية ، فلا يجد القراء في تلك الصورة عاراً على مصر وحياة البداوة في ريفها ، ويكتب عن دين الناس في الازاس وبريطانيا ولورد (بفرنسا) وما يبديه العامة من نفاق وشعوذة ، فلا يجد أحد في ذلك غضاضة ، ويحاول مصالحة الدين مع العلم فيقول : « ان الدين لا يحول بين أهله وضروب النشاط المختلفة للعقل . . ولا يستطيع الدين أن يحيا آمنا الا اذا أباح لأهله أن يأخذوا بحظوظهم من هذا النشاط على اختلافه . . » يقول ذلك فلا يحنق عليه أحد ، لما تحمل هذه العبارات من أشد العناصر الفلسفية مرونة ولباقة

ولعلي أكثر إعجابا بطه حسين فيما يحمل غيري أن يكون أكثر نقمة عليه . يعجبني فيه أكثر من أي شيء آخر حرصه على أن يدرك الغير ما يدرك هو . وأن يحس الغير ما يحس هو ، ولو أدى ذلك الى الاعادة والتكرار ، شأن المعلم الحاذق ، الذي لا يتردد في أن يقول اليوم ما قاله بالأمس ، وأن يقول غداً ما يقول اليوم . ومن أكبر أعدائي بين كتاب العربية نفر قليل أقرأ لهم المقال مثنى وثلاث ورباع ، فلا أدري أية طريق يسلكون ، أو أي باب يطرقون . ولعل داء هؤلاء يرجع الى اختلال في النظام العصبي لا تشفع فيه ثقافتهم ، مهما بلغت . وقد صدق طه حسين في قوله عن نفسه : « انه لا يحس لنفسه وإنما يحس للناس ، ولا يفكر لنفسه وإنما يفكر للناس » وقد يبلغ به شغفه بهذا المبدأ انه اذا لم يجد كلمة عربية تقابل ما يريد بالفرنسية مثلا استعاض عنها بثلاثة سطور ، كما قال مرة عن بول فاليري إنه « لا يريد أن يكون قابلا في الفن وإنما يريد أن يكون فاعلا ، لا يريد أن يكون متأثراً وإنما يريد أن يكون مؤثراً ، لا يريد أن يهبط عليه الوحي انما يريد أن يخلق الفن خلقا » – كل هذه ترجمة لكلمتي passive, active . وأذكر للقارىء بهذه

للناسبة أن أكبر درجة تمنح للطلبة فى الانشاء فى جامعات أميركا اليوم تكون لجلاء الفكرة فى الموضوع قبل أى شىء آخر

ولا أريد أن أختم هذه الكلمة قبل أن أهمس فى أذن القارىء أن صديقى طه حسين كسائر الفنانين يكون أكثر انتاجا وأشد غيرة على أن يحس القراء بما يحس هو ، متى كان مغبونا ، قلقاً ، مضطهداً ، ومتى استتب له الأمر غاب عن الانظار ، إلا متى حمل كرها على الانتاج

أمير بقطر

عدوى طه حسين

انه عدو عزيز ! إى والله ، فما أذكر انى عاديت انسانا أحبه قبل الدكتور طه حسين ، والعدواة والحب يجتمعان فى القلب الواحد ، وان عجب من ذلك من لا يفقهون ، وآية الصدق فى هذه القضية أنى لم أتورط فى عداوة الدكتور طه حسين إلا منذ أشفقت عليه : فقد ابتدأ هـذا الرجل حياته الأدبية بداية حسنة ، ولكنه لم يستطع الصبر على مكاره الجد ، ولم تقو نفسه على معالجة البحث العميق ، وعندئذ عرفت أن الرجل سيضيع نصيبه من الخلود ، وعز علىّ ذلك فأردت أن يبقى اسمه فى الدنيا بعد أن تبيد ملايين الأسماء ولا يبقى إلا من أشار اليهم صاحب « النثر الفنى »

وكان الدكتور طه فى بداية هـذه العداوة يظنها جمرة سريعة الخمود ، ولكنها تضرمت ، واستطارت أقباسها فى المشرق والمغرب ، ولم يبق انسان يقرأ ويفهم إلا عرف أن فى الدنيا رجلا اسمه طه حسين ، وصار لا يدخل فى محفل ، ولا يتكلم فى مجتمع ، ولا ينشر مقالا فى جريدة ، إلا قال الناس : هذا هو الرجل الذى رأينا اسمه فى مؤلفات زكى مبارك

والدكتور طه رجل فيه شيء من الذكاء ، وقد هداه ذكاؤه إلى هذه الحقيقة فاندفع يعادينى بلا ترفق ليتم له من نباهة الذكر ما يريد

***

ولكن هل يستحق الدكتور طه أن يشغل رجلا مثلى ؟

هذا هو السؤال !

وأجيب بأنه يستحق ذلك كل الاستحقاق ، فما ينكر أحد أن لهذا الرجل شخصية قوية ، وأنه استطاع أن يكون غرضا ترميه الاقلام ، وهذا دليل على ما له من وجود ملحوظ

ومن مظاهر القوة فى هـذا الرجل أنه تماسك فى أزمات كثيرة ، وأنه عرف كيف يقارع الأحداث والخطوب ، حتى أصبح رجلا يحسب له حساب

ومن مظاهر القوة أيضا فى هذا الرجل أنه حلو المودة ، مر العداوة ، فهو يضر وينفع ، وبعض الناس تغلب عليهم التفاهة فلا ينفعون ولا يضرون

ولا يمكن أن نعرف قيمة الدكتور طه إلا ان نظرنا فى مهارته الأدبية ، وبيان ذلك أن هذا الرجل قليـل المحصول ، ولعلى لم أر فى حياتى رجلا قليل العلم مع الصيت البعيد ، كما رأيت طه حسين ، ومع قلة محصوله العلمى تراه يتكلم كلام المحققين ، ويمضى فيبنى ويهدم ، ويبرم وينقض ، كأنه عالم محقق أخذ بنواحى المعارف الانسانية فى القديم والحديث ، وهذا لايقع إلا من رجل وصل فى المهارة الى أبعد الحدود

يضاف الى ذلك كله لسان يحكى ملاسة المرمر ، وليونة الماء ، فاذا سمعت طه حسين وهو يحاضر شعرت بأنك أمام انسان يملك ناصية الحديث ، وليس ذلك بالقليل

***

ولكن الشخصية العلمية شىء غير ذلك ، فالدكتور طه الذى يضر وينفع ، ويبرم وينقض ، ويتحدث فيحسن الحديث ، هذا الرجل قد انهزم فى الميادين العلمية ، ولم يظفر من المجد الأدبى بأيسر نصيب ... وأعيذكم أن تفتنوا بأنه ألف أقصوصة اسمها « الأيام » نشرها الهلال ثم ترجمت الى الانجليزية والروسية ، فان تأليف الأقاصيص ليس من الفنون العالية ، وانما هو فن يمثل سذاجة الانسان الأول يوم كان يملأ الدنيا أساطير وأحاديث . وهل رأيتم فى الدنيا كلها رجلا يرأس كلية آداب ثم يقف مجده عند الأقاصيص ؟ !

انظروا ما وقع للدكتور طه يوم قرر المشاركة فى تأليف كتاب فجر الاسلام ، فقد كانت النية أن يؤلف فى الناحية الأدبية ، وأن يؤلف أحمد أمين فى الناحية العقلية ، أتعرفون ما وقع ؟ كانت النتيجة أن نشر أحمد أمين أربعة مجلدات وطه حسين ساكت يترقب ! !

وكيف تفسرون ذلك السكوت ؟ ان تفسيره سهل : وهو يتلخص في أن طه حسين لا يحسن الكتابة العلمية ، وانما يحسن تلخيص الأقاصيص

وهناك جانب آخر من ضعف هذا الرجل : وهو حرمانه من حاسة العدل ، فما أعرف أن هذا الرجل استطاع أن يقهر أهواءه وهو يعامل الناس ، وقد اتفق له أن يصطنع النقد الأدبى حينا من الزمان ، فكانت أحكامه كلها وليدة الهوى والغرض ، ولم يستطع أن يكشف للناس عن موهبة مستورة أو نبوغ مكنون

ولو سئل طه حسين عما صنع فى النقد الأدبى لعجز عن الجواب . وهل من النزاهة أن يقصر محاضراته فى الراديو على ما أخرجته لجنة النشر والتأليف ؟

ان طه حسين تسامى الى منزلة أدبية عالية يوم سعى الى الظفر بعمادة كلية الآداب ، ولكن

هل استطاع أن يخلق لتلك الكلية نصيراً واحداً ؟ هل استطاع أن يخرج من عمره كله بكتاب جيد يضيفه إلى منازل الباحثين من عمداء الكليات ؟

وليته اكتفى بهذه المزايا العظيمة من الضعف ! بل رأيناه يتكلم عن البحترى فيقع فى أغلاط ، فلما نبهناه أصر واستكبر ونشر المحاضرة فى كتاب ، وشكل الأغلاط ليدلنا على أنه لا يهتم بالنقد ، ولا يحسب للحق أى حساب

وقد ظن من لا يفهمون أننا نعنى شخصه حين نجادله ، وهيهات أن يكون الأمر كذلك ، انما يهمنا أن نحاسب من يشغل اكبر المناصب الأدبية حين يسيطر على كليـة الآداب ، ولا يرضينا من عمادة مثل هذا الرجل الا أن يكون باحثاً نرى فى وجهه وجه برونو ودى لاكروا من الذين تولوا كلية الآداب في جامعة باريس

نحن قوم غلبتنا الأقدار في الميادين السياسية ، فمن العيب أن نرضى بمثل ذلك الحظ فى الميادين العلمية ، وإذا قيل ان الانجليز غلبونا فى السياسة فلايصح أن يقال ان العجز غلبنا فى العلوم والآداب

زكي مبارك



كلمات ثمينة

* إن الصخرة العاتية التى تعترض طريق الضعيف فتصده وتقعد به بعيداً عن غايته ، هى الصخرة التى يلقى بها القوى فى حفر الطريق ووهداته كى يجعله ممهداً سوياً . . كارليل

* إن الناس لا يخفقون فى الحياة لان الذكاء ينقصهم أو القوة تعوزهم ، بل لانهم يعملون بعقولهم دون قلوبهم ، بأفكارهم دون عواطفهم . . بينما النجاح رهين الحرارة التى تتقد فى القلب وتضرم العاطفة . . ستردرس بيرت

العقاب

قصة للفيلسوف الروسي

ليو تولستوي

قريباً من الحدود التي تفصل بين فرنسا وإيطاليا ، وعلى شاطىء البحر الابيض المتوسط تقع مملكة ضيقة صغيرة اسمها « موناكو » . ولكثير من المدن الصغيرة أن تفخر على هذه المملكة بكثرة سكانها ، إذ لا يزيد أهلها عن سبعة آلاف نسمة ، لو قسمت عليهم جميع أراضي المملكة لما بلغ نصيب الفرد منهم فداناً واحداً . ولكن لها – على هذا – ملك كسائر الملوك : فله قصر وحاشية وله وزراء ورجال دين ، وله جيش وقواد . . ومع أن جنود الجيش لا يزيدون عن ستين رجلا فحسب ، الا أنهم مع هذا يؤلفون جيشا ذا عدة وعتاد ، وخطر ومكانة

وتفرض هذه المملكة – كما تفرض سائر الممالك – ضرائب شتى ، ففيها ضريبة على التبغ ، وأخرى على الخمر ، وثالثة على الرءوس . وبالرغم من أن أهل موناكو يدخنون ويشربون كغيرهم من شعوب الممالك الأخرى ، الا أن عددهم الضئيل ما كان يكفي لامداد « أمير المملكة » بما يستدعيه قصره وحاشيته ، ويتطلبه جيشه وحكومته من النفقات ، لو لم يتيسر له مورد آخر من موارد الدخل ، هو ملعب للميسر يفد اليه الناس للرهان على لعبة الروليت . وسواء كسب اللاعبون أو خسروا فان صاحب الملعب يتقاضى منهم مبلغا ما على كل دور ، فيجمع من هذا ربحا طائلا يدفع جزءاً كبيراً منه لأمير البلاد . وهو يدفع هذا المبلغ عن طيبة خاطر لأن بيته هذا هو البيت الوحيد في أوربا للعب « الروليت » . وقد كان بعض صغار الحكام في ألمانيا يقيمون أمثال هذه البيوت فيما مضى ، الا أنهم منعوا من ذلك منذ سنوات قلائل لما كان يقارف في هذه البيوت من آثام تسفر عن أضرار شتى . فكثيراً ما يريد اللاعب تجربة حظه ، فيجازف بأمواله كلها ، ويخونه الحظ فيفقدها عن آخرها . وقد يسرف أكثر من هذا فيجازف بكل ما تملك يداه ويخسره كذلك ، فتتملكه سورة اليأس فلا يبالي أن يلقي بنفسه في اليم ، أو ينفذ الرصاص الى صدره ورأسه . لهذا منع الألمان حكامهم من ابتزاز المال عن طريق الميسر ، أما أمير موناكو فليس هناك من يحرم عليه عملا كهذا ، فظل وحده محتكراً له في أوربا كلها . فكل من يريد أن يقامر ذهب الى موناكو ، حيث يربح تارة ويخسر أخرى ، أما الأمير فانه يكسب من وراء ربحهم وخسارتهم على السواء . والمثل

يقول : « انك لا تستطيع أن تبنى القصور وتعلى الشواهق بالعمل الشريف . . » وأمير موناكو يعلم حق العلم أن الميسر عمل لا يشرف ولا يليق ، ولكن ما عساه أن يصنع وهو يريد أن يعيش ويحكم ، وأن يقيم الحفلات ويولم المآدب ، ويحافظ على مظاهر الأبهة التى يعهدها الناس فى بلاط زملائه الملوك ؟ . فهو يحتفل بعيد جلوسه وميلاده ، ويمنح الهبات ويجزل العطايا ، وهو يعقد المجالس ويؤلف اللجان ، ويسن القوانين وينشىء المحاكم ، وهو يستعرض الجيش تارة ويتجول فى أنحاء المملكة أخرى ، وهو على الجملة يفعل ما يفعله غيره من الملوك ، ولكن فى صورة مصغرة تناسب مملكته الألعوبة !

***

ظل أهل موناكو أجيالا تلو أجيال قوما وادعين مسالمين ، لا يأتون الآثام ولا يقارفون الجرائم ، حتى وقعت منذ بضع سنين جريمة قتل بينهم لأول مرة . .

فاجتمع القضاة فى حفل مهيب ، ليبحثوا هذه المسألة التى لا عهد لهم بمثلها من قبل ، بحثا فقهيا عميقا . وضم الحفل شتى عناصر القضاء من مدعين ومحامين ومن محلفين وقضاة . وراحوا يدرسون النصوص ويفسرونها ، ويرجعون الى الشروح ويضاهونها بعضا ببعض ، حتى انتهوا الى إصدار حكم الاعدام على الجانى الأثيم . وحملوا قرار الحكم الى الأمير ، فقرأه وأقره وأمر بتنفيذه

ولكن هنالك عقدة فى الأمر ... فليس فى المملكة مقصلة ولا جلاد ! وما الحاجة اليها والبلاد خلو من الجرائم ؟ وبحث الوزراء المسألة وقرروا أن يرسلوا الى الحكومة الفرنسية يسألونها عما إذا كان فى وسعها أن تقرضهم مقصلة وجلاداً لتقطع أحد الرءوس ، وإذا تفضلت الحكومة باجابة طلبهم فهل لها أن تبين لهم ما يقتضيه الأمر من النفقات . وأرسلوا الخطاب الى رئيس الجمهورية الفرنسية فجاءهم الرد بعد أسبوع يقول : « يمكننا ارسال مقصلة وجلاد مقابل مبلغ ١٦٠٠٠ فرنك » . وحمل الوزراء الرد وعرضوه على الملك ، فهاله هذا المبلغ الطائل وقال :

— ان حياة هذا الجانى الشقى لا تساوى هذا المبلغ كله ! ألا يمكن أن نقطع رأسه بطريقة أخرى أرخص من هذه ؟ ستة عشر ألف فرنك معناها تحميل سكان المملكة ضريبة جديدة قدرها فرنكان عن كل رأس . ولن يرضى الشعب بهذا الارهاق . وقد يتمرد ويثور فتشيع الفوضى فى أنحاء البلاد . .

فدعى مجلس الوزراء مرة أخرى ليبحث فيما يجب اتخاذه حيال هذه المسألة ، فقرر ارسال طلب آخر الى ملك ايطاليا ولان الحكومة الفرنسية حكومة جمهورية لا تراعى واجب المجاملة والاكرام للملوك ، أما ملك ايطاليا فسوف يتساهل مع زميله ملك موناكو فيما يطلبه من الأجر» ..! وعلى ذلك أرسلوا الخطاب ، وبعد حين وصلهم الرد عليه

قالت الحكومة الايطالية إنه يسرها أن ترسل الى جارتها الشقيقة مقصلة وجلاداً . وانها

لا تتشدد معها فى الأجر رعاية لحقوق الجوار والزمالة ، فهى تكتفى منها باثنى عشر ألف فرنك تشمل مصاريف الارسال والاعادة كذلك .. نعم هذا الأجر أقل من سابقه بأربعة آلاف فرنك ، ولكنه مع ذلك ما زال باهظا ثقيلا على خزينة الدولة . والمجرم لا يساوى شيئا من هذا المبلغ الذى سيثقل اعباء الناس بضرائب جديدة . فدعى مجلس الوزراء مرة ثالثة وتباحث فى الموضوع عسى أن يهتدى الى طريقة لتنفيذ حكم الاعدام بأيسر ما يمكن من النفقة .. ألا يستطيع مثلا أحد الجنود أن يطيح رأس المجرم بطريقة ما كيفما اتفق ؟ واستدعى قائد الجيش وقيل له : « ألا يستطيع أحد جنودك أن يقطع رأس هذا الرجل ؟ . والدولة لا تريد أن يقطعها بطريقة معينة بل كيفما يستطيع » .فجمع القائد جنوده وسألهم أفيهم من يقوم بتنفيذ هذه المهمة . ولكن أحداً منهم لم يجبه ولم يرض بهذا، وقالوا له : «لا . نحن لانعرف سوى حرب الاعداء وقتالهم . أما أن نقطع رءوس الآمنين المسالمين فأمر لم نتعلمه بعد ..»

ما العمل إذاً ؟ . اجتمع مجلس الوزراء مرة أخرى ، وألف لجنتين لبحث الموضوع احداهما فرعية والأخرى عليا ، وأخيراً قر القرار على أن يستبدلوا حكم الاعدام بالسجن الشاق المؤبد ، وبهذا يستطيع الأمير أن يظهر لرعيته رحمته وشفقته ، كما تستطيع الدولة أن تقتصد نفقات الاعدام الباهظة

ووافق الأمير على استبدال الحكم ، وطلب اليهم تنفيذ العقوبة الجديدة . ولكن الأمر لم يكن هيناً يسيراً كما زعموا أول الأمر ، فليس بالمملكة سجن ولا سجان ، فلم يقع قبل اليوم ما يقتضى حبس أحد الناس . ومع هذا فقد أعدوا غرفة وألقوا فيها السجين وأقاموا على بابها رجلا مهمته حراسة المجرم واحضار الطعام له من مطهى القصر . .

* * *

استراحت الحكومة اذاً من هذه المعضلة التى واجهتها ، وظل السجين فى غرفته والسجان على بابها حتى انقضت سنة كاملة . ولكن بينما الملك يراجع ميزانية المملكة فى نهاية العام وجد بها بابا جديداً من أبواب النفقات ، هو ما يتكلفه سجن المجرم وسجانه وطعام الرجلين ولباسهما . ولم يكن المبلغ قليلا فقد جاوز السمائة فرنك . فما العمل والرجل ما زال حديث السن ، وافر الصحة قوى البنية ، فمن المحتمل أن يعيش خمسين سنة أخرى ؟ لقد حسبوا انهم استراحوا وانتهوا منه ، ولكن ها هى مسألة سجنه معضلة أشد تعقيداً من مسألة اعدامه . !

فجمع الأمير وزراءه وقال لهم :

— يجب أن تبتكروا طريقة فى عقاب المجرم غير هذه الطريقة التى أرهقت خزانة الدولة بمبلغ طائل

فانعقد مجلس الوزراء ، وتشاور رجاله وتداولوا ، حتى قال أحدهم :

ـــ أيها السادة . أرى أن نطرد الحارس فنقتصد نفقاته . .

فاعترض وزير آخر :

ـــ وما الذى يمنع المجرم من الفرار إذاً ؟

فرد عليه الوزير الأول قائلا :

ـــ فليهرب ! فهذا ما نريده . . !

ووافق المجلس على هذا الرأى الطريف ، وكتبوا الى الأمير تقريراً بما استقر رأيهم عليه . وأعجب الأمير بالفكرة ووافقهم عليها . فطرد الحارس وتركوا السجين فى الغرفة بغير رقيب . وانتظروا ليروا ما سوف يحدث بعد هذا . ولكن كل ما حدث أنه عند ما جاء موعد الغداء ولم يأت الحارس الى السجين بطعامه خرج هذا من غرفته وذهب الى قصر الأمير حيث طلب من الطاهى غداءه . فلما تناوله عاد ثانية الى سجنه وأوصد عليه الباب واستلق فيه كما اعتاد . وتكرر هذا العمل فى العشاء وفى الايام التالية . فكلما حان موعد الوجبة فتح باب السجن وذهب الى مطهى القصر وجاء بطعامه وعاد به الى سجنه ثانية ، دون أن يبدى أية رغبة فى الفرار

فماذا يفعلون فى هذا السجين الخبيث ؟ أعادوا البحث فى المسألة فان الدولة أولى بما يتكلفه فى طعامه وشرابه . وأخيراً قرروا أن يصارحوه بنيتهم وقال أحدهم :

ـــ يجب أن نقول له جهاراً اننا لا نريد أن تبقى سجيناً . .

فدعاه وزير الحقانية وقال له :

ـــ لماذا لم تهرب ؟ ليس على بابك حارس يمنعك من ذلك . وفى وسعك أن تذهب الى حيث تريد دون أن تخشى عقابا أو لوما . وأصارحك بأن الحكومة لن تهتم بفرارك ولن تتعقبك

فابتسم الرجل وقال :

« نعم ان الحكومة لن يقلقها فرارى ولن تتعقبنى.ولكن الى أين أذهب ؟ وماذا أستطيع أن أفعل لأكسب قوتى ؟ لقد لوثتم سمعتى بهذا الحكم الذى أصدرتموه علىّ ، فسوف ينفر منى الناس ويقصوننى عنهم . . كما اننى اعتدت الكسل والخمول إذ أقضى نهارى وليلى رهين أربعة جدران ، بينما يأتينى طعامى وشرابى من مطهى الامير

« هذا وقد أسأتم معاملتى . ففى أول الأمر حكمتم على بالاعدام ، ولكنكم لم تسرعوا بتنفيذ الحكم وإراحتى من ألم توقع الموت . ومع هذا لم أشك ولم أتذمر . ثم عدلتم هذا الحكم الى السجن المؤبد فشكرت لكم رأفتكم وعنايتكم بى حين أقمتم حارساً بالباب يأتينى بالطعام والشراب . ولكنكم عدتم فسرحتم الحارس ، فكنت أضطر أن أذهب بنفسى الى المطهى لآتى بالطعام والشراب .

ومع هذا لم أشك ولم أتذمر . والآن تريدون منى أن أهرب ! كلا ، لن اوافقكم على هذا . افعلوا بى ما تريدون أما أنا فلن أهرب »

***

ماذا يعملون يا ترى ؟ اجتمع مجلس الوزراء ليبحث هذه المعضلة ، وجرى البحث فى اتخاذ خطة حاسمة تريح الدولة من هذا العناء ، فراحوا يقلبون الرأى على شتى الوجوه ، وأخذ كل منهم يفكر فى الطريقة المثلى التى يخدم بها الحكومة ويرضى أميره ، الى أن استقر رأيهم على أن يمنحوه معاشا ..

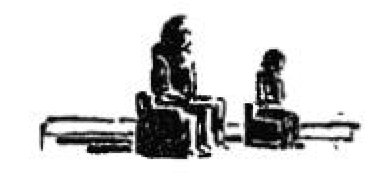
وكتبوا الى الأمير بذلك قائلين : « ليس هناك من وسيلة أفضل من هذه . ولا سبيل الى الخلاص منه ، واتقاء شروره وآثامه ، الا اذا منحناه معاشا »

ورضي الأمير بهذا الرأى وهو كاره ، ورتبوا للمجرم معاشا قدره ٦٠٠ ف . وأعلن هذا القرار الى السجين ، فقال :

« لا بأس من الهروب ! ما دمتم ستواظبون على دفع المعاش بانتظام . أما ان أخللتم فسأعود اليكم طالبا إطعامى وإسكانى »

وتم الاتفاق بين حكومة موناكو والمجرم على هذا . وقبض الرجل ثلث معاشه السنوى مقدما . وهاجر من المملكة مستقلا القطار . وعلى مسيرة ربع ساعة فقط ، كان القطار قد تخطى المملكة ، فنزل الرجل الى إحدى القرى حيث اشترى قطعة من الارض على مقربة من حدود بلاده . وزرع بها أشجاراً كان يتاجر في ثمارها ويعيش من أرباح تجارته ومن معاشه فى دعة ورغد وهدوء . وكلما جاء أول العام ذهب الى موناكو حيث يتقاضى معاشه ، ثم يذهب الى موائد القمار فيجازف بفرنكين أو ثلاثة فحسب ، ويعود الى مزرعته فيستأنف زرعه وتجارته

.. وإنه لمن حسن حظه أنه لم يرتكب جريمة فى مملكة أخرى من تلك الممالك التى يرخص فيها قطع الرءوس ، والزج فى السجون .. !



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

الكلام باليدين

طبيعة من طبائع الانسان

قام بعض العلماء بمباحث واسعة النطاق لمعرفة أى الشعوب تستعمل الاشارات والايماءات باليد والعين والحاجب والرأس وغيرها من أعضاء الجسد ، وأى الشعوب لا تستعمل تلك الاشارات والايماءات أو تستعملها أقل من غيرها . والاعتقاد الشائع أن الشعب الأمريكي أقل الشعوب استعانة بأعضاء جسمه على إيضاح أفكاره . ومع ذلك فهو يستعمل الاشارات فى جميع كلامه لأنها تزيده بلاغة وفصاحة

وقد درس الدكتور بواس — استاذ علم الانثروبولوجيا بجامعة كولومبيا — عادة استعمال الاشارات مع الكلام ، فاتضح له أن الغرض الأول منها هو الوصف والايضاح . فاذا تكلمنا على شيء مستدير أوضحنا الكلام باشارة بسيطة باليدين بأن نقبض أصابع كل يد (ماعدا السبابة والابهام) ونضم كلتا السبابتين والابهامين بشكل دائرة . وإذا أردنا وصف شيء مستقيم أشرنا الى ذلك بخط وهمى ترسمه يدنا فى الهواء . وإذا تكلمنا على شيء معوج رسمنا بيدنا خطاً متعرجاً فى الهواء ، وقس على ذلك ما جرى مجراه



هكذا يتكلم اليهودى ...

ولعل اليهود والشعوب اللاتينية هى أشد الشعوب ميلا الى استعمال الايماءات والاشارات باليدين والساقين والكتفين والعينين والرأس وهلم جرا . ويظهر أن للبيئة تأثيراً عظيما فى



حين يشير الايطالى هكذا يفهم الجميع أنه يريد أن يذهب الى الحانة ليشرب

اعتياد الاشارات ، فان الامريكى الذى يستوطن أوربا يكتسب الكثير من عادات أهلها ، ويتخلق أولاده وأحفاده بأخلاق الأوربين اكثر فأكثر بمرور الزمن. وكذلك الأوربيون وغيرهم من الذين يستوطنون الولايات المتحدة فانهم يتخلقون بمرور الزمن بأخلاق الشعب الأمريكى من هذا القبيل

قلنا إن اليهود والشعوب اللاتينية هم أشد الشعوب ميلا الى استعمال الايماءات والاشارات . وفى مقدمتها الشعب الايطالى فهو يشير دائماً بيديه وعينيه وقدميه ورأسه وعنقه وبجميع أعضاء جسمه . وإشاراته هى وقف عليه لا يشاركه فيها حتى اليهودى . وهى توضح معانيه أتم إيضاح حتى يقال إن الايطالى يتقن فن « البانتوميم » اكثر مما يتقنه أى انسان آخر . وإشاراته تمتاز بارخاء عضلات الكتفين وإمالة الجسم الى الأمام وتأخير المرفقين الى الوراء . وقد يمسك رسغ إحدى اليدين باليد الأخرى جاعلا كلتا يديه وراء ظهره

وتختلف الاشارات التى يعملها اليهودى بكونها اكثر دلالة على الحركة العصبية من إشارات الرجل الايطالى . ولا تتحرك يداه حركات متناسقة بل ان لكل منها اتجاها خاصاً . أما المرفقان فيظلان عادة لاصقين بالجسم لأن الساعدين والأصابع هى التى تتحرك . وحركتها تؤيدها حركة الرأس وهى تتبع مجرى الفكر

ويمتاز اليهودى أيضاً بكونه يريد الوصول الى أعماق نفسه . وهو فى سبيل ذلك كثيراً ما يمسك بذراع محدثه ويستمر فى عمل الاشارات

ويقول الاستاذ بواس الذى سبقت الاشارة اليه إن مباحثه قد أثبتت له أن الأميركيين الذين يجنحون الى استعمال الاشارات فى كلامهم هم من أصل يهودى أو لاتينى ، وانهم كلما مر عليهم الزمن وهم فى أميركا ضعف ميلهم الى تلك الاشارات



هذه الوقفة وهذه الاشارة تغنيك عن معرفة كلمة « لا »

ثم إن للمهنة تأثيراً فى كثرة الاشارات أو قلتها . فالمصورون والرسامون مثلا يستعملون الاشارات أكثر من غيرهم . وكذلك الذين يكثرون من استعمال الارقام والأعداد فان أحاديثهم قلما تخلو من الاشارات

وهنالك اشارات عامة تشترك فيها جميع الشعوب أى أنها ليست خاصة بشعب دون آخر . فاذا ضم الانسان أطراف ابهامه وسبابته وأصبعه الوسطى ووجهها الى فمه كان ذلك اشارة الى الأكل . وإذا دفع رأسه الى الوراء رافعاً حنكه وأشار بيده مفتوحة من أسفل عنقه فصاعداً الى حنكه كان معنى ذلك : « هذا لا يهمنى قلامة ظفر ! » . وإذا كشر وزم منخريه كان ذلك دليل رائحة كريهة . وقس على ذلك إشارات يفهمها جميع الناس بالسليقة وهى دليل على أن الاشارات طبيعية فى الانسان وان الخلق والوراثة والبيئة وغير هذه عوامل تؤثر فى تكييفها وتوجيهها

[خلاصة مقالة نشرت فى رسالة الاخبار العلمية . بقلم الدكتور فرنك ملون]



الحمل الصناعى

الطب يلقح زوجة الرجل العاقر

قد يبدو للقارىء أن الكلام على الحمل الصناعى والولادة بلا أب ضرب من الخيال ، ولكنه حقيقة واقعة معروفة عند بعض الاطباء . وفى مدينة نيويورك طبيبان هما الدكتور فرنسيس سيمور والدكتور الفريد كورنر يقومان منذ خمسة أعوام بعمليات التلقيح الصناعى، ويعرفان عدة أطفال حملتهم أمهاتهم بطريقة صناعية وهم على أحسن ما يكونون من الصحة والعافية

وغنى عن البيان أن أزواجاً كثيرات يتمنين أن يولد لهن أولاد ولكنهن محرومات نعمة الولد بسبب عقم أزواجهن . فأمثال هؤلاء قد صار الآن فى وسعهن أن يحملن بطريقة صناعية ويلدن كسائر الأمهات . ولكنهن يجب قبل ذلك أن يخضعن لفحص طبى دقيق لاثبات خلوهن من مرض وراثى ولاثبات خلو أفراد أسرهن من ذلك المرض ، كما يجب فحص الرجل الذى يؤخذ منه اللقاح فحصاً دقيقاً أيضا لئلا يكون مصابا بمرض من الأمراض الوراثية . والافضل أن يؤخذ اللقاح من رجل فى مقتبل العمر ممتاز بنشاطه العقلى والجسمى وبخلو تاريخ أسرته من أى مرض وراثى

وقد نشأت عن هذا الكشف الجديد فى عالم الطب عدة أمور قانونية واجتماعية . وفى أكثر الحالات التى عالجها الدكتوران سيمور وكورنر المشار اليهما كان الزوج العاقر الذى يريد أن تحمل

زوجته يفضل أن يؤخذ اللقاح من أحد إخوته أملا أن يجيء المولود شبيها به . ولكن الطبيبين كانا دائما يرفضان طلبا كهذا لاعتبارات عائلية لا نستطيع التوسع فيها ، ومن جملتها ان الزوجة إذا عرفت مصدر اللقاح فقد تتحول عواطفها عن زوجها الى أخيه . وعلاوة على ذلك فان هذين الطبيبين يسعيان دائما ليضمنا ـ على قدر الامكان ـ أن تكون الزوجة وصاحب اللقاح أكثر ما يمكن تماثلا فى الاخلاق والصفات والأذواق والمشارب

ومن المحتمل أن يعمد صاحب اللقاح ـ اذا عرف هوية المرأة ـ الى الطعن عليها والتشهير بها . ومن المحتمل أن تعمد هى أيضا ـ إذا عرفته ـ إلى التهويش والتهديد . ولذلك تؤخذ كل الاحتياطات ويحرص كل الحرص على كتمان هوية « الأب » عن الأم ، وكتمان هوية « الأم » عن صاحب اللقاح

أما اللقاح فيحفظ بطريقة ميكانيكية فى آلة مبردة تختلف درجة الحرارة فيها من ٤٠ إلى ٥٠ بمقياس فهرنهيت . فيظل محتفظا بقوته على هذه الحال عدة أيام ولا يتطرق اليه الفساد . ومتى أريد استعماله مزج بمواد أخرى قبل اتمام عملية اللقيح . ولا بد قبل اتمام هذه العملية من استكتاب كل من المرأة التى تطلب الحمل وزوجها العاقر ، اقراراً صريحا بأن التلقيح الصناعى سيتم باتفاقهما ورضاهما . وزيادة فى الضمان تذيل هذه الوثيقة «ببصمة» أصابع كل منهما ثم توضع فى حرز حريز لكى ينتفع بها كلا الزوجين أو أحدهما إذا قامت بينهما قضية طلاق . إذ لا يخفى أنه إذا أثبت الزوج أنه عاقر وكان لزوجته ولد فانه يستطيع أن يتهمها بأن ولدها ليس منه . إلا أن الوثيقة المشار اليها تزيل كل اشكال

وهنا تعترضنا مسألة قانونية وهى : هل يعتبر القانون الطفل الذى يولد بهذه الطريقة ولداً شرعيا ؟

ان المحاكم لم تنظر حتى الآن فى قضية من هذا القبيل ، ولكن الرأى الغالب هو فى جانب اعتبار طفل كهذا ولداً شرعيا . وغنى عن البيان أن قبول الوالد أن يتبنى الولد يحل الاشكال . ولكن المفروض عند قيام قضية طلاق من هذا القبيل أنه يرفض تبنيه ، وفى هذه الحالة تضطر الأم الى الاستشهاد بالوثيقة المذكورة آنفا

ومما يجدر بالتنبيه أن الدكتورين سيمور وكورنر يحذران من توليد الأم على يد الطبيب الذى قام بعملية التلقيح ، فان الأفضل الاستعانة على توليدها بطبيب لا يعلم شيئا عن عملية التلقيح المذكورة وذلك زيادة فى الاحتياط وكتمان سر المرأة وزوجها

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ليترارى دايجست . بقلم محرر المجلة]

فواجع البحار

غرقى يقتل بعضهم بعضا فى المحيط

مرت الفترة المعروفة فى التاريخ « بالأيام المائة » ونفى نابليون الى جزيرة القديسة هيلانة ، وأعادت انجلترا الى فرنسا المستعمرات التى كانت قد انتزعتها منها بقوة السلاح ، ومنها « السنغال »

وفى ١٧ يونيه سنة ١٨١٦ أقلعت البارجة الحربية المسماة « مدوزا » من ميناء روشفور تخفرها سفن حربية صغيرة وعلى ظهرها المسيو شمالتز الذى عينه لويس الثامن عشر حاكما على السينغال وأوفده ليتسلم هذه المستعمرة من الانجليز

وقف المسيو شمالتز على ظهر البارجة « مدوزا » ببزته البديعة وقد اتكأ على مؤخرة مدفع وأحاط به جمهور من الجنود البحارة والكتبة والمهندسين والنساء ، ومعظمهن من نساء الطبقة الراقية وقد لبسن أفخر حللهن وحلاهن وأخذن يملأن الجو بضحكاتهن . وكان بين الجنود فريق من رجال نابليون وغيرهم ممن اشتهروا قبل دخولهم الجندية بالشرور والجرائم وانحطاط الأخلاق ومجموع عددهم نحو أربعمائة

وكانت البارجة بقيادة الكابتن « شومارى » وهو من أكثر القواد البحريين اهمالا لواجبات المروءة والنخوة والبسالة ، فلم يكن يهمه شىء سوى حظيته وزجاجات نبيذه . وكان يقضى أكثر ساعاته فى غرفته مع حظيته تاركا قيادة البارجة لواحد من رجاله لم يكن يعرف شيئا من شؤون الملاحة ولا يعرف جغرافية سواحل افريقيا . لذلك لم يكن بد من وقوع كارثة عظيمة . فتاهت البارجة عن السفن التى كانت تخفرها وارتطمت فى ٢ يوليه برمال ساحل ضحل بالقرب من رأس بلانكو فى المحيط الاتلانتيكي . وما كاد الركاب والنوتية يشعرون بالارتطام حتى ذعروا ووقعوا فى اضطراب عظيم وسادت بينهم الفوضى ، فأخذوا يتراكضون ويصرخون وقد استولى عليهم الهلع ، وصار الماء يتدفق الى البارجة حتى أدرك الجميع أنها سوف تغرق لا محالة

وكان للبارجة ستة قوارب للنجاة لا تسع سوى مائتين وخمسين فقط من مجموع الركاب والنوتية الذين كان عددهم يزيد على أربعمائة . فاستقر الرأى على صنع رمث يسع مائتين مع مايحتاجون اليه من ماء ومؤونة ، وذلك من ألواح من الخشب تؤخذ من صوارى البارجة ومن أضلاعها ويضم بعضها الى بعض بالحبال ثم « تقطرها » القوارب وتجرها الى الشاطىء الذى كان يبعد نحو ستين ميلا

ومن دواعى الأسف ان الرمث الذى صنع لم يكن متيناً ولا مستوفياً شروط السلامة . وقد

حشر عليه ــ بالوعيد والتهديد ــ مائة وسبعة وأربعون من الركاب كان مرآهم يدعو الى الرأفة والشفقة

أما حاكم السنغال وزوجته وأعضاء أسرته فانهم ركبوا أحسن قوارب النجاة وأوسعها وأخذوا معهم كل ما يحتاجون اليه من ماء وزاد ومؤونة ، وركب قائد البارجة ــ الكابتن شومارى ــ وحظيته قاربا آخر ومعهما كل ما يحتاجان اليه من خمر ومؤونة ، وترك الباقون لرحمة المقادير . فكان أقوياء السواعد منهم يسبقون غيرهم الى ما بقى من القوارب ، وبقى سبعة عشر على ظهر البارجة لأنهم كانوا ثملين لايعون ما يحدق بهم من خطر . أما الباقون من الاربعمائة فانهم حشروا على الرمث

ولم تستطع القوارب أن تجر الرمث لأنه كان مثقلا بالركاب الذين كانوا لكثرتهم يدوس بعضهم بعضا ، وكلما اندفعت عليهم موجة ابتلعت بعضهم

ولم يقطع الرمث فرسخين حتى انقطعت الحبال التى كانت تربطه بالقوارب . وما هى الا دقائق حتى توارت القوارب عن الأنظار وبقى الرمث يكافح الأمواج تحت رحمة المقادير إذ لم تكن له مجاذيف تدفعه . ولا تسل عن بؤس ركابه وسوء حالتهم . فلم يكن معهم من الزاد سوى خمسة وعشرين رطلا من البسكويت قد بلله ماء البحر فصارت النفس تعافه . وستة براميل من النبيذ وبرميلين من الماء . وأعطيت قيادة الرمث الى نوتى يدعى « كودان » كانت قدماه قد أصيبتا بجروح تمنعه من الوقوف

وأقبل الظلام فبدىء بتوزيع البسكويت على الركاب ليتعشوا ــ وهى أول وجبة وآخر وجبة تناولها أولئك البائسون . وكان البحر هائجا والأمواج تلطم الرمث وتلعب به كما يلعب الاعصار بالريشة . وكلما اندفعت موجة عليه قذفت الناس بعضهم فوق بعض وابتلعت منهم من ابتلعت . وكثيراً ماكانت أضلاع الرمث تتفتح من عنف الأمواج فتنشأ عن ذلك ثغرات يسقط فيها الركاب ثم تطبق الاضلاع عليهم وتسحقهم !

وفى صباح اليوم التالى ــ ٦ يوليه ــ لم يكن قد بقى من الركاب سوى ١٢٧ أى ان عشرين منهم هلكوا . وكان أكثر الباقين مصابين بجروح ورضوض وقد أخذ منهم الجوع والعطش كل مأخذ ، فاصبحوا عبارة عن هياكل بشرية تتنفس . وكان منظر الجنود ــ وقد استولى عليهم اليأس ــ كمنظر وحوش ضارية قد وقعت فى فخ فلاتستطيع النجاة . وفى المساء اشتد تلاطم الأمواج فازداد الطين بلة وصار البعض يقعون على البعض ويزهقون أرواحهم فلا تسمع إلا أنين الجرحى وصراخ المدوسين تحت الاقدام وشتائم الجنود الذين اصبحوا كالشياطين الهائجة

وشرب بعضهم نبيذاً حتى ثملوا ، ودفعتهم سورة الخمر الى القيام بشبه ثورة . فعمدوا الى الحبال التى تربط أضلاع الرمث وقطعوها بالسكاكين ، ولا تسل إذ ذاك عن الهرج والمرج . واندفع

أحد الضباط على أحد الذين قطعوا الحبال فطعنه بسيفه طعنة قاتلة ورفسه الى البحر. فاندفع الثائرون على الضباط وأعملوا فيهم السيوف ، والرمث يرقص بهم وأصوات الركاب وأناتهم تملأ الفضاء وحنق الثائرون على أحد الضباط بوجه خاص فأوثقوه ووضعوه فى أحد براميل النبيذ ، وأخرجوا سكاكينهم ليقلعوا بها عينيه ، ولم ينقذه من يدهم إلا بعض الركاب

وأقبل المساء وقد قتل ستون شخصاً من الركاب والجنود وأخذ الجهد والاعياء من الجميع كل مأخذ ، واشتد بهم الجوع والعطش والاعياء . وكانت الأمواج لا تزال تتلاعب بهم وكلاب البحر تدنو منهم . وحاول بعضهم أن يصطادوا سمكا ليأكلوه نيئاً فلم يوفقوا الى شيء . واشتد بهم الجوع فأخذوا يقضمون أحزمتهم الجلدية ، وخارت قوى أحدهم فسقط كالميت . فما كان من الآخرين الا أن سقطوا عليه ينهشونه كالذئاب الجائعة ولم يتركوا منه سوى العظام !

وفى مساء اليوم الرابع تجددت الفتنة فأخذ الركاب يتضاربون بالسكاكين فى نور القمر . فلما طلع الفجر لم يكن قد بقى على قيد الحياة سوى ثلاثين فقط من الركاب معظمهم مثخنون بالجراح. وفى اليوم الخامس كان ماء البحر قد تغلغل فى الجروح فأكل اللحم فبانت العظام بصورة تقشعر منها الأبدان

وبقى من مجموع الركاب سبعة وعشرون فقط منهم اثنا عشر فى حالة احتضار (وبين هؤلاء الاثنى عشر امرأة) وكانت الدماء تتدفق من جروحهم وقد أصيبوا جميعا بالجنون ، وإذ لم يكن يرجى أن يعيشوا قذف بهم رفاقهم الى البحر !

لم يبق بعد ذلك الا خمسة عشر ليس معهم سوى ثلاثين سن ثوم وقطعة ليمون وجرعة من نبيذ . وزادت حدة حرارة الشمس فى آلام القوم فكانوا يجلسون على حافة الرمث ويدلون أرجلهم الى الماء . وبعد سبعة أيام عثرت عليهم سفينة شراعية تسمى آرجوس ، ولم يكن قد بقى منهم سوى خيال هياكل بشرية . وبعد انقاذهم بمدة وجيزة توفى خمسة منهم . أما العشرة الباقون فظلوا يعانون الآلام المبرحة الى أن وصلت بهم السفينة الى الشاطىء . ولم يعيشوا بعد ذلك طويلا

هذا ما جرى للذين ركبوا الرمث . أما الذين بقوا على ظهر البارجة « مدوزا » وعددهم سبعة عشر فلم يحاول أحد انقاذهم . ولكن حاكم السنغال تذكر فيما بعد أنه كان بالبارجة خمسة آلاف جنيه ذهباً ، فأرسل سفينة للبحث عن البارجة . وبعد اثنين وخمسين يوما التقت السفينة بالبارجة فوجدت من السبعة عشر نوتياً ثلاثة فقط قد أصيبوا بالجنون وهم أقرب الى الموت منهم الى الحياة فأنقذتهم السفينة وعادت بهم الى السنغال . وما كادوا يصلون حتى توفى اثنان منهم . وكان الثالث يجاهر بأنه يعرف أسراراً كثيرة عن تلك الفاجعة سيذيعها متى عاد الى فرنسا . وفى ليلة اليوم الذى كان سيعود فيه وجد مقتولا فى سريره ولم يعرف أحد قاتله

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة سكوايبر . بقلم الاستاذ هانسون بلدوين]

هل هو كفن المسيح ؟

قصة شعبية متوارثة يثبت العلماء صحتها

فى كنيسة فخمة بجوار كاتدرائية تورينو الشهيرة كفن من نسيج الكتان يقدسه الكثيرون من المسيحيين منذ قرون عدة ويعتبرونه الكفن الذى أدرجت فيه جثة المسيح بعد انزاله عن الصليب . وطول هذا الكفن أربع عشرة قدماً وعليه شبه رسمين أو « بصمتين » لما يمكن اعتباره الوجه الامامى والوجه الخلفى من الجسم . والاعتقاد الشائع بين المسيحيين هو أن « البصمتين » المذكورتين هما أثر جثة المسيح ـ أى ان احداهما هي صورة وجهه والأخرى صورة ظهره

وكان الكثيرون من المسيحيين يعتقدون أن هذين الرسمين هما من عمل بعض رسامي القرن الرابع عشر . ولكن الفت في سنة ١٩٣١ لجنتان ـ احداهما ايطالية والأخرى فرنسية ـ لفحص هذا الكفن فحصاً علمياً دقيقاً . وقد ثبت لكلتيهما بعد درس وعناء عظيمين أن الرسمين اللذين على الكفن ليسا من ريشة مصور بل هما أثر جثة بشرية قد طبع على ذلك الكفن بفعل العوامل الطبيعية . وأن الجثة كانت جثة المسيح

ولما صور الكفن تصويراً فوتوغرافياً اتضح أن الظلال والآثار التى يتألف منها الرسمان هى « سلبية » كما يقال فى اصطلاح فن الفوتوغرافيا ، أى انها بمنزلة الزجاجة التى تطبع عليها الصورة . وليس من المعقول أن مصوراً رسمهما على ذلك الوجه بقصد أن تؤخذ عنهما فيما بعد صورة « ايجابية » كما هو الشأن فى الصور الفوتوغرافية . ذلك لأن مبدأ « السلب » و « الايجاب » فى فن الفوتوغرافيا لم يعرف إلا فى القرن التاسع عشر . ومن البعيد أن يكون قد خطر لأى مصور منذ عدة قرون أن يرسم على الكفن الذى نحن فى صدده رسما « سلبياً » يمكن أن تؤخذ عنه صورة « ايجابية »

وقد قامت اللجنة الفرنسية التى تولت فحص الكفن بعمل تجارب واسعة النطاق فى معمل السوربون الكيميائى . فثبت لها أن الرسمين هما رسما جثة بشرية انطبعا على الكفن مباشرة ، وأن الأبخرة التى تصاعدت عن تلك الجثة أثرت فى نسيج الكفن تأثيراً كيميائياً فأحدثت فيه ذينك الرسمين . وكان التأثير على أشده حيث كان الكفن أشد ملامسة للجسم ، وعلى أضعفه عند الجانبين وحيث توجد التجاويف . وهذا هو السبب فى أن الرسم على الكفن هو بمنزلة الزجاجة الفوتوغرافية « السلبية » ، فان الأجزاء البارزة من الجثة أحدثت أثراً أشد دكنة من الآثار التي أحدثتها التجاويف

وبفضل المساعدة التى قام بها أحد الأساتذة الكيميائيين بباريس تسنى للجنة الفرنسية المذكورة معرفة أنواع الأبخرة التى أحدثت فى الكفن ذلك التأثير ، وهى أبخرة الامونيا (النشادر) الناتجة عن اختمار « اليوريا » التى تكثر كثرة غير عادية فى العرق الناتج عن الآلام والعذابات الجسدية. ولا يخفى أن الاقدمين كانوا يذرون مسحوق الصبر على الأكفان لحفظ الجثة من الفساد . وقد اكتشفت اللجنة أن مسحوق الصبر جعل نسيج الكفن حساساً يتأثر بفعل أبخرة الامونيا وهذا التأثر يظهر بشكل لطخة سمراء . وفى الواقع ان كاتب هذه السطور استطاع الحصول على « بصمات » ، « كالبصمات » التى نحن فى صددها بان جاء بقطعة من النسيج وذر عليها مسحوق الصبر ثم لف بها تمثالا من الجص بعد بله فى محلول الامونيا

وثبت أيضا أن على الكفن آثار نقط دم لا تزال واضحة ويمكن فحصها ومعرفة تركيبها . أما الجثة التي كان الكفن ملفوفا بها فلم يكن ثمة شك فى انها جثة رجل مات مصلوباً . فآثار جروح اليدين والقدمين واضحة على الكفن كل الوضوح . ومن الامور الجديرة بالاعتبار أن الصور الاعتيادية التى تمثل لنا المسيح مصلوباً ترينا فى كل يد من يديه مسماراً قد ثقب الكف واخترقها من الوسط . أما « البصمة » التى على الكفن فتدل على ان المسمار دق فى اليد حيث يجب أن يدق عند الصلب أى فى قاعدة الرسغ . وتدل آثار الكفن أيضا على أن الرجل الذى لف به عانى آلام الجلد ، وان رأسه وجبينه أصيبا بجروح نزت دماؤها على الكفن ، والأرجح أن تلك الجروح نشأت عن اشواك . والمعروف أن اكليلا من الشوك وضع على رأس المسيح . ثم إن على الجانب الأيمن من الكفن أثر جرح نشأ على ما يظهر عن طعنة رمح . وعند القدمين أثر جرح ناشىء عن مسمار كبير دق فى كلتا القدمين . ونحن نعلم أن هذه هى الطريقة التى صلب بها المسيح ، وليس من المحتمل أن يكون ثمة انسان آخر أنزل به من ضروب القسوة والتعذيب ما أنزل بالمسيح عند صلبه

أما ان الكفن قد بقى حتى الآن ولم يبل فليس بالامر العجيب ، لأن بعض الأكفان المصرية المصنوعة من الكتان لاتزال باقية سليمة حتى الآن مع أنه قد مر عليها أكثر من ثلاثة آلاف سنة . ومع ذلك فليس لدينا دليل قاطع على أن الكفن الذى نحن فى صدده هو كفن المسيح ، وانما القرائن مجمعة على أنه هو هو . وفى بعض السجلات التى ترجع الى بضعة القرون الاولى من التاريخ المسيحى إشارات الى هذا الكفن . وقد تواترت هذه الاشارات حتى سنة ١٣٥٥ ، وهى السنة التى ظهر فيها الكفن فى بلدة ليرى بفرنسا ، وكان « جوفرى دى شارنى » الاول — من قواد الحروب الصليبية — قد جاء به من بلاد المقدس

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة سايتفيك اميركان . بقلم الدكتور بول فينبون]

أين ينقب عن الآثار؟

وما الوسائل التي تعرف بها أماكن الحفريات

لم يصبح التاريخ علما بالمعنى الصحيح إلا في سنة ١٨٧٠ وهي السنة التي عثر فيها علماء الآثار على بقايا طروادة . ولا يخفى أن الجيولوجيا والكيمياء والطبيعة هي علوم مؤسسة على حقائق لا على فروض . أما طالب علم التاريخ فقد كان حتى عهد قريب مضطراً أن يعتمد على فروض وقصص وأساطير كالمذكورة في الالياذة أو على ذكريات لا يوثق بها كروايات هيرودوت وغيره

وقد ألبس علم الآثار علم التاريخ ثوباً جديداً . وأصبحت مصر وبابل وفينيقية واليونان وروما وأوربا وأميركا وحدة تاريخية لا تقبل التجزئة . وأصبح تاريخ الانسان كله سلسلة واحدة متصلة الحلقات ، أولها الأحافير البشرية التي قد عثر عليها علماء الآثار ، وآخرها الحوادث الجارية في عصرنا الحاضر . ولا يزيد الزمن الذي يمتد بين طرفي تلك السلسلة على خمسة عشر ألف عام بوجه التقريب ـ وهو مدة الحضارة البشرية منذ بدأ الانسان يصنع الأدوات والآنية ويبني البيوت والمعابد

وقد ارتقى علم الاركيولوجيا أو علم الآثار إلى درجة عالية ، بحيث صارت حضارات كثيرة من حضارات العصور الخالية ماثلة أمامنا بجميع حذافيرها ، حتى يصح القول بأننا نعلم اليوم عن حضارة مصر في القرن الرابع عشر قبل المسيح أكثر مما نعرفه عن حضارة انجلترا في القرن الرابع عشر بعد المسيح . بل إن لدينا صورة تكادة تكون تامة عن حضارة كريت بين سنة ٣٤٠٠ وسنة ١١٠٠ قبل المسيح

ترى كيف ينتقي عالم الآثار المكان الذي يجب أن يقوم فيه بأعمال الحفر ؟

هنالك عوامل كثيرة تحمله على انتقاء ذلك المكان . فقد يعرف ذلك المكان معرفة أكيدة مستقاة من درسه للتاريخ . وقد يختاره لان فلاحا قد عثر فيه على جمجمة بشرية أو وجد فيه قطعة نقود أو قطعة اناء خزفيّ أو ما الى ذلك . وكثيراً ما يستطيع ـ بفضل هذه الأشياء التي تبدو تافهة ـ أن يعين بالضبط موقع مدينة بأسرها فيشرع في الحفر والتنقيب عنها

وللطيارات أيضا نصيب من علم الآثار . فقد يكتشف العلماء بواسطتها موقع مدينة مطموسة أو آثار حضارة بائدة . واذا ثبت لعالم الآثار مركز مدينة من المدن المندثرة ولى وجهه الى الجانب الغربي منها حيث يكاد يكون من المؤكد وجود مقابر أهلها . ومما يزيده تأكيداً أن العشب الذي ينمو على المقابر يكون دائما أشد خضرة من العشب الذي ينمو في أي مكان آخر . وكثيراً ما دهش سكان العراق وما بين النهرين لان علماء الآثار الذين كانوا يعملون على ضفاف الفرات كانوا يعينون

مواقع مقابر الأمم الخالية ولا يخطئون أبداً حتى لقد حسبهم الأهالي سحرة

أما الآلات والأدوات التي يستعين بها علماء الآثار فقليلة وبسيطة، ولكن جميعها مما لا غنى عنه. فهي بضع فؤوس ومجارف ومعاول وخرائط وأقلام رصاص ودفاتر وحبر وقواطع وسكاكين ومقصات «وفرش» أسنان (لتنظيف الآثار مما قد يكون عالقا بها من تراب) وهلم جرا . ولا بد لكل بعثة تبحث عن الآثار من مهندس ومصور فوتوغرافي . وأكثر علماء الآثار يصطحبون زوجاتهم ليساعدنهم في أعمال التسجيل والتدوين والترتيب

والاستدلال والاستقراء من أهم ما يجب أن يتقنه عالم الآثار . فهو مضطر في أكثر الأوقات الى الاستدلال على المواقع التي يجب أن يحفرها من رؤية أشياء قد تبدو في نظر أكثر الناس تافهة ولكنها في نظره ذات قيمة لا تقدر . واذا شرع في الحفر وعثر على آثار جدران رقيقة كان معنى ذلك أن البيت الذي قام على تلك الجدران كان مؤلفا من طبقة واحدة . فاذا كانت الجدران ثخينة كان البيت مؤلفا من طبقتين فاكثر . ولما كان الأقدمون يبنون بيوتهم بمقتضى قواعد هندسية معروفة في الامكان الاستدلال على ارتفاع البناء من مقياس قاعدة كل عمود من الأعمدة التي كان يقوم عليها ذلك البناء . وكثيراً ما يستطاع رسم بناء معبد من المعابد المندثرة كما كان في الأصل تماما من قاعدة أحد أعمدته ومن آثار أحد جدرانه . وقد تمكن العلماء بهذه الطريقة من رسم قصر الملك اخناتن (من ملوك المصريين القدماء) رسما متقنا بالاستعانة ببعض بقايا ذلك القصر

وهنالك آثار يستدل منها العالم على الحروب والنيران والمجاعات وعلى انخفاض مستوى المدنية . فعلماء الآثار الاميركيون الذين بحثوا عن حضارة الاسكيمو الغابرة كانوا كلما تعمقوا في التنقيب وجدوا آثاراً تدل على حضارة أرق، مما يدل على أن حضارة القوم تضاءلت وانحطت بمرور الزمن

وكثيراً ما يعثر المنقبون على تراب ارجواني اللون فيستدلون منه على أن اناء فضيا كان يوجد في ذلك المكان . وقد اتفق للعلماء الذين كانوا يبحثون عن خرائب أور الكلدانيين انهم أبصروا في مكان معين حفرتين غائرتين . فصبوا فيهما جبسا فلما يبس إذا هو نموذج قيثارة يرجع عمرها — على الأرجح — الى سنة ٣٢٠٠ قبل المسيح، وعلى الأرض آثار خطوط ضئيلة هي آثار أوتار تلك القيثارة

وعلماء الآثار يحبون نبش القبور والبحث عما تحتويه من عظام وبقايا وآثار . ولا يخفى أن الأقدمين جميعهم اعتادوا أن يدفنوا مع موتاهم أدوات كثيرة يمكن الاستدلال منها على معيشة الجيل الذي كان منه ذلك الميت . وكثيراً ما يعثر المنقب على أثر يبدو ضئيلا في نظر الرجل العادي ولكنه ذو قيمة عظيمة في نظر العلماء . وفي الحقيقة ان مقدرة العالم الأثري تظهر على أجلاها عندما يبوب الآثار التي يكتشفها ويرتبها ويفسر ما تنطوي عليه من معان كثيرة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة فورتشون . بقلم منشىء المجلة]

سفاح باريس

صفحة رهيبة من تاريخ الاجرام

كان لاندرو متزوجا وله ولد . ومع ذلك كان يغازل الفتيات والأرامل ، وبعد أن يوقعهن فى حبائل غرامه يقتلهن شر قتلة ويستولى على ما عندهن من مال وحلى وأمتعة . وكان يوهم كل امرأة يغازلها أنه ينوى الاقتران بها ، فيخطبها ويساكنها مدة فى منزل له يسمى « فيللاجامبيه » على مقربة من ضاحية فرساى . وما هى إلا أيام حتى تختفى « الخطيبة » ، فيبلغ أهلها البوليس خبر اختفائها ، ومع ما كان البوليس يبذله من الجهد فى البحث عنها كان لاندرو يظل بعيداً عن الشبهات

ومع تعدد حوادث الاختفاء لم يستطع البوليس أن يجد بينها أية علاقة . ومما سهل للسفاح لاندرو أن يرتكب جرائمه كثرة الأرامل اللواتى فقدن أزواجهن ، والفتيات اللواتى فقدن أخطابهن ، والبنات اللواتى فقدن آباءهن بعد الحرب العظمى الماضية . ولعله لولا « المصادفة » العمياء ما وفق رجال الأمن فى فرنسا إلى معرفة هوية ذلك السفاح

وتفصيل ذلك أنه فى شهر ابريل سنة ١٩١٩ كانت شقيقة احدى « الضحايا » تسير يوما فى أحد شوارع باريس ، فلاحت منها التفاتة فأبصرت لاندرو ورأت أوصافه تنطبق على الاوصاف التى لدى البوليس عن ذلك السفاح الغامض . فتبعته عن بعد الى المنزل الذى كان يقيم به مع زوجه وابنه ، ثم أسرعت وأبلغت البوليس الخبر ، ولم يدر فى خلدها أنها قد وفقت الى العثور على أعظم سفاح عرفته باريس فى العصور الحديثة

ولم يضع رجال البوليس الوقت ، فأسرعوا وقبضوا على لاندرو . وفى جملة ما عثروا عليه دفتر كان له أعظم شأن فى اثبات مختلف التهم على ذلك الرجل إذ كان مدونا فيه بيانات مبهمة تبدو أول وهلة كأنها بيانات عن صفقات وأعمال تجارية ، ولكن البوليس لم يلبث أن وفق الى حل رموزها واثبات التهم بها على لاندرو . وقد حوت تلك البيانات اشارات الى النساء اللواتى فتك بهن منذ سنة ١٩١٥

وثبت لرجال الأمن أن لاندرو كان يقيم بأحد عشر مكاناً بباريس ، وقد اتخذ له خمسة عشر اسماً مختلفاً . واتضح فيما بعد أن والده كان من رجال باريس المحترمين وأنه أصيب فيما بعد بالجنون ثم انتحر . وكان لاندرو فى صباه شابا ذكياً ذا أخلاق رضية ، ولكنه ما كاد يصل الى الكهولة حتى طرأت عليه تغييرات عظيمة وظهرت فيه الميول الاجرامية . فسجن مرتين بسبب الاحتيال على بعض الناس . وفى سنة ١٩١٤ — أى فى أوائل الحرب العظمى — فتقت له مخيلته الجهنمية أن يحترف التغرير باللواتى أفقدتهن الحرب أزواجهن أو أخطابهن . فأخذ ينشر فى بعض الصحف

إعلانات « طلب الزواج » ، وأتقن فن الحب والمغازلة . ولم يكن يقصد فى أول الأمر الا ابتزاز أموال ضحاياه من الأرامل والفتيات ، ولكن الابتزاز كان الخطوة الأولى فى سلم جرائمه

وبلغ من حذقه فن المغازلة أن المرأة أو الفتاة التى كان يتعرف بها كانت تقع فى حبائل غرامه بعد مقابلته مرتين أو ثلاث مرات فيعرض عليها الزواج ويشرع منذ تلك الدقيقة فى وضع الخطط الجهنمية لابتزاز مالها وحلاها وأمتعتها . وقد ثبت من « الدفتر » الذى سبقت الاشارة اليه أنه فى وقت من الأوقات كان قد خطب سبع نساء فى آن واحد ، وكان يغازل كلا منهن على حدة ويبعث اليها برسائل تفيض عشقاً وغراماً . وقد عثر البوليس فى بيته على رزمة من نماذج رسائل غرامية قد أعدها لوقت الحاجة !..

قلنا إن لاندرو كان متزوجا وله ولد . ويظهر أنه كان فى معيشته المنزلية نموذج الأبوة الصالحة، يظهر الحب لزوجته وابنه ، ويعنى بهما أتم عناية . وكانا يثقان به ثقة تامة ويجهلان ما يرتكبه من جرائم . وكلما سألاه عن أسباب زياراته المتوالية « لفيللا جامبيه » يجيبهما بأن أعمالا تجارية تقضى عليه بتلك الزيارات

واجتمعت الأدلة على اثبات التهمة على لاندرو ، وشرع فى محاكمته فى خريف سنة ١٩٢١ . فتقاطرت باريس كلها لشهود محاكمته . وظل ذلك الرجل فى أثناء المحاكمة كلها رابط الجأش يجيب عن جميع الأسئلة برزانة وصراحة . وكثيراً ما كانت ابتسامات الازدراء تصحب أجوبته ، وكان يتهكم على القضاة والنائب العام . وما أشد ما أضحك المحكمة عند ما سئل : هل شعر بتوبيخ ضميره له من ارتكاب جناياته المختلفة ؟ فأجاب : « لقد ندمت على شيء واحد فقط وهو انى خنت زوجتى ٢٨٣ مرة ! »

وطالت المحاكمة ، وكانت كل يوم تنجلي عن ظهور أدلة وحقائق جديدة تحمل النفس على الاشمئزاز من ذلك السفاح المجرم . من ذلك أن زوجته شهدت جلسات محاكمته وهى تجهل أنها لابسة حلياً ومصوغات أخذها لاندرو من ضحاياه المختلفة . ومن جملتها حلى لأرملة تدعى مدام كوشيه ساكنها لاندرو في « فيللا جامبيه » مدة من الزمن على أن يتزوجها ثم قتلها وقتل ابنها — وكان عمره سبعة عشر عاماً — وانتزع حليها الثمينة وأهداها الى بعض اللواتى خطبهن — الواحدة بعد الأخرى — ثم أهداها أخيراً الى زوجته فلبستها وشهدت بها محاكمته

وكان من جملة ضحاياه فتاة فى التاسعة والعشرين من عمرها تدعى فرناند سيجريت ، وقد نجت من الموت بأعجوبة . ومع ذلك — ومع أن لاندرو ابتز منها مبلغ ألفى فرنك — أبت أن تشهد عليه بسوء ، وقالت إنه لولا معاكسة الاقدار لتزوجته ولعاشت معه عيشة سعادة وهناءة . وكانت وهى تلقى بشهادتها تحاول اجتناب نظرات لاندرو قدر استطاعتها . ولما وقعت أخيراً عينها على عينه أغمى عليها وهى فى « قفص » الشهود !

ومما وقع فى أثناء المحاكمة أنه جيء بمائتين وستة وخمسين عظماً من العظام البشرية من «فيللا جامبيه» وهى من عظام ثلاث جثث. وأثبت أحد الخبراء الكيميائيين الذين استعانت بهم المحكمة أن دخان المدفأة فى «فيللا جامبيه» كان يحتوى على آثار دهن بشرى! وان فى رماد تلك المدفأة بقايا أضلاع بشرية وأزرار ثوب امرأة! وقد عثروا فى تلك «الفيللا» على زجاجات فيها سوائل مختلفة لافناء أنسجة الجسم. وشهد الجيران بأن روائح كريهة كانت تتصاعد من «الفيللا» من وقت إلى آخر

وقد درس الكثيرون من العلماء والاخصائيين فى الأمراض النفسية «شخصية» لاندرو ليعلموا سر تأثيره السحرى فى النساء فعجزوا عن ذلك. ومما زاد ذلك السر غموضا ان الرجل كان مجرداً من الجمال لولا عينان براقتان تشبهان عينى الأفعوان. وقد سئل عن سر سلطانه على النساء فقال: انه سر المهنة لا يستطيع أن يبوح به لأحد!

وأخيراً — بعد محاكمة طويلة — صدر الحكم على لاندرو بالموت بالجيلوتين (المقصلة) وعين يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٢ لتنفيذ الحكم. ففي الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم حضر الجلاد الشهير — اناطول ديبلر — إلى سجن فرساى ومعه المقصلة. واصطفت كتيبة من الجند مؤلفة من أربعمائة جندى حول السجن لمنع الناس من الاحتشاد، إلا الذين بيدهم جواز خاص. وكانت مصابيح الشوارع تلقى على المكان ضوءاً ضئيلا. وبلغ عدد الموظفين والصحافيين الذين شهدوا تنفيذ الحكم نحو المائة وقد اصطفوا بشكل دائرة حول المكان المعد لنصب المقصلة (الجيلوتين).

وجاء لاندرو حافى القدمين وعليه بنطلون أسود رخيص الثمن وقميص بلا زيق (ياقة) وقد أوثقت يداه وراء ظهره بسيور متينة، وقد حلقت لحيته المرسلة لزعمه أن ذلك يجعله أجمل فى نظر النساء! وساعده السجان ومساعد السجان على السير لان قدميه لم تكونا تحملانه ولان الذعر والذهول كانا قد استوليا عليه. ولما وقف أمام المقصلة نظر اليها وقد امتقع وجهه حتى أصبح أشبه شيء بالشمع. وما كاد يقف به السجان ومساعده أمام المقصلة حتى تقدم بعض الموظفين ومعهم سلة مستديرة وصندوق يشبه التابوت من قش. فوضعوا السلة أمام المقصلة تماما لينزل فيها رأس لاندرو حال فصله عن جسده، ووضعوا الصندوق الى جانب المقصلة لتوضع فيه الجثة. ثم أمسك الجلاد بلاندرو وأدخل عنقه فى ثقب مستدير يسمى فى اصطلاحهم «الهلال». وما هى إلا ثانية حتى هوى سكين المقصلة على عنقه ففصل رأسه عن جسده فى لحظة عين، وتدفق الدم كالسيل، وتنفست باريس الصعداء لانها استراحت من كابوس ذلك المجرم السفاح

[من كتاب بعنوان «لم أجد سلاماً». بقلم الاستاذ ويب ميللر]

الروسيا الشيوعية

لا فرق بينها وبين الروسيا القيصرية

فى سنة ١٩٣٤ أنشأ كاتب هذه السطور مقالة أثنى بها على حسنات النظام السوفياتى الذى كان متحمساً له . أما اليوم فقد ذهبت تلك الحسنات وانهار نظام الاشتراكية الروسية

خذ مقام المرأة ونظام الأسرة ومسألة تقييد النسل وغير هذه الأمور التى عالجتها الثورة الروسية فى أول عهدها وأنظر كيف تعالجها الآن. فمسألة تقييد النسل لمنع ازدحام السكان وتخفيف التهافت على الموارد الغذائية من الأمور الأساسية فى أوائل كل نظام اشتراكى . ولا يخفى أن فى روسيا اليوم مئات الألوف من الأمهات اللواتى لا يستطعن شراء اللبن لأطفالهن ، وبعضهن لا بيوت لهن يأوين اليها . ومع ذلك فقد أذاعت الحكومة منشوراً هو أبعد ما يكون عن مقتضيات الاشتراكية والعقل والعواطف الانسانية ، لانه يشجع على الاكثار من النسل بحجة ان الوطن فى حاجة الى جنود يدافعون عنه والى أيد عاملة تخدمه . ويقول ذلك المنشور إن كل فتاة من فتيات الأمة تستطيع أن تكون جندية وطيارة ومهندسة وعاملة ، وفوق ذلك - تستطيع أن تكون أماً لجنود كثيرين ! والقوانين الروسية الجديدة تجعل الطلاق من أعسر الأمور بسبب ما تفرضه من كثرة النفقات . على أن كثرة النفقات انما هى عثرة فى سبيل الفقراء فقط ، أما الاغنياء فيستطيعون تحملها ، وفى هذا ما فيه من تفرقة الأمة الى طبقات - الأمر الذى يناقض مبادىء الاشتراكية

أما فى الشؤون الحربية فقد أصبحت روسيا أقرب الى نظام الكابتالسم منها الى الاشتراكية . فقد أصبحت البلاد عبارة عن معسكر عام وصار كل شاب مدعواً الى حمل السلاح . ولا يؤذن لأحد فى سن العسكرية في مغادرة البلاد ، وكل من اجتاز الحدود عد خائنا يستحق الموت . وإذا ساعده أهله على ذلك أو كانوا عالمين بعزمه ولم يبلغوا الحكومة خبره عرضوا أنفسهم للنفى والتشريد فى أقصى أنحاء سيبريا وصودرت أملاكهم . فاذا لم يكونوا عالمين اكتفى بتجريدهم من حقوقهم المدنية وبنفيهم إلى أقاصى سيبريا مدة خمس سنوات

وقد أعيد تنظيم الجيش الروسى على نمط الجيوش الأوربية فى بلاد « الكابتالسم » وأعيدت امتيازات الضباط وكبار القواد الى ما كانت عليه فى عهد الحكومة القيصرية ومنح جنود القوزاق امتيازات خاصة

والحكومة البلشفية تقوم اليوم على أساس بيروقراطى . فالسلطة السياسية « مركزة » فى فئة من الزعماء الذين يزيد طغيانهم واستبدادهم على ما كان يعهد فى القياصرة . ومع ذلك يقول أولئك البيروقراطيون إنهم يمثلون الحزب الشيوعى ، والشيوعية بعيدة عنهم بعد الارض عن السماء

وقد زاد دستور السوفيات الجديد الطين بلة ، وهو دستور منسوج على نمط دستورى هتلر وموسوليني . فقد حل ستالين مجالس السوفيات وأنشأ بدلا منها نظاما تمثيليا شديد التعقيد لا يمكن أن يكون معبراً عن ارادة الأمة . وهذا النظام يقضى بوجود مجلسين ـ أعلى وأدنى ـ أحدهما يشبه مجلس اللوردات والآخر مجلس العامة . فأما المجلس الأعلى فيضم كبار الحكام ورؤساء الجمهوريات وله سلطة حل المجلسين معاً . والسلطة العليا محصورة فى يد ستالين ، فهو الدكتاتور المطلق ، وسلطته لا حد لها . وهذه هى البيروقراطية بعينها . لان الاشتراكية تمنع التفرقة بين طبقات الأمة، ولا تحصر السلطة فى أيدى نفر من البيروقراطيين المستبدين . وليس ذلك فقط بل ان الاشتراكية تمنع استغلال العمال أو العامة وتسخيرهم لمصلحة الطبقة الحاكمة ، وبعبارة أخرى انها تمنع استغلال العمال على وجه ينتفع منه ساداتهم ويزيدون به ثروتهم

فروسيا اليوم لا يمكن اعتبارها دولة اشتراكية ، لان الثروة فيها ليست موزعة بمقتضى المبادىء الاشتراكية ، بل ان توزيعها لا يزال مقيداً بقيود الكابتالسم ، وهى تزداد شدة ووضوحا بمرور الزمن . والرجال الذين بيدهم السلطة الحقيقية يكتمون الحقائق عن الأمة ويستعملون جميع وسائل الارهاب لاستبقاء مقاليد السلطة فى أيديهم . وأى دليل أصدق على تغلغل نظام الكابتالسم فى جميع أعمال الحكومة من اختلاف أجور العمال اختلافا هائلا ؟ فبعضهم لا ينال ما يسد به رمقه ، حالة أن الغير ـ كالمسيو اوسترولیادوف مثلا ـ يتناول أجراً شهريا يزيد على ثلثمائة وخمسين جنيها ! وهل يختلف مثل هذا النظام الاقتصادى عن النظم المتبعة فى أميركا وغيرها من مواطن الكابتالسم ؟ وهل فيه ما يتفق والمبادىء التى جاهر بها رسول الشيوعية كارل ماركس ؟

يقول بعض العائدين من روسيا إن أصحاب الاموال والمعامل هنالك قد أصبحوا من ذوى الثروات الطائلة ، وهم يعيشون عيشة بذخ واسراف كما كان الاغنياء يفعلون فى العهد القيصرى ، وأكثرهم يقتنون القصور الفخمة والاملاك الواسعة والاتوموبيلات الفاخرة وهم محاطون بالخدم والحشم ويتمتعون بلذات الحياة ومسراتها كما يفعل أمثالهم الارستقراطيون فى جميع أنحاء العالم التى يسودها نظام الكابتالسم . وزعماء البلاشفة يرون ذلك ويسمحون به على مرأى من الجماهير ، لان همهم الاكبر منصرف الى استبقاء مقاليد الحكم فى أيديهم ولا يريدون اثارة الاقوياء عليهم . وهم يقترضون الاموال من دول الكابتالسم بربا باهظ لقضاء لباناتهم ، ويقدمون لتلك الدول الامتيازات المختلفة حملا لها على اقراضهم ما يحتاجون اليه من الاموال . ومع ذلك فان فى البلاد ملايين من السكان يتضورون جوعا . وسيزيد عددهم لان الحكومة ستضطر الى استغلال عرق جبينهم لتوفية ما تعقده من قروض . ولا شك ان محاكمات الزعماء التى جرت أخيراً والاحكام القاسية التى صدرت على الكثيرين منهم دليل قاطع على انهيار نظام الاشتراكية فى روسيا

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة هاربرز مجازين . بقلم ماكس ايستمان الاشتراكى]

تقدم العلم والعالم

اليود أفضل معقم

المعروف بوجه الاجمال أن صبغة اليود هى من أفضل المواد المعقمة للجلد اذا جرح أو سحج، لانه يقتل البكتيريا والجراثيم على اختلاف أنواعها.

وقد اتضح الآن من مقابلة اليود بالزئبق والكلورين وغيرهما من المواد المعقمة أن اليود أقدر على قتل الجراثيم والميكروبات، ولكن فائدته تكون على أكملها اذا استعمل مخففاً فى الماء بنسبة واحد (أو نصف واحد) فى المائة بدلا من استعماله مذاباً فى الكحول بالنسبة القانونية. ذلك لانه ثبت من التجارب الكثيرة أن كمية الكحول المذاب فيها اليود تهيج أنسجة الجلد، واذا كانت البشرة رخصة فقد يحدث فيها التهابات. لذلك يجدر استعمال اليود محلولا فى ماء مقطر بالنسبة التى سبقت الاشارة اليها. فانه فى هذه الحالة يتغلغل فى الانسجة من دون أن يحدث فيها أى التهاب، ويأتى بالتأثير المرغوب من حيث قتله الجراثيم والميكروبات

حلقة مفقودة أخرى

فى خلال الاثنتين والأربعين سنة الأخيرة — أى منذ سنة ١٨٩٥ الى الآن — عثر العلماء على بقايا وأحافير كثيرة كلها حلقات مفقودة من سلسلة الاحياء العليا. ووجوه الشبه بينها وبين القردة من جهة، وبينها وبين الانسان من جهة أخرى، كثيرة جداً. فهنالك «انسان جاوى» وانسان «نياندرتال» وانسان «بكين» وانسان «بلتدون» وانسان «كينيا» وانسان «فلسطين» وغيره من الأحافير التى هى بلا شك حلقات مفقودة بين الانسان الحالى وجدوده الحيوانات العليا. وأحدث حلقة من هذا القبيل هى الانسان «الترنسفالى» وقد اكتشف بقاياه الدكتور بروم مدير متحف الترنسفال بمدينة بريتوريا منذ نحو سنة ونصف سنة. وقد درس المكتشف بقايا هذه «الحلقة» فاستنتج منها عدة حقائق أهمها أن الزاوية الوجهية «للحلقة» وبقايا أسنانها أقرب الى الانسان منها الى القرد، وأنها كانت عائشة فى العصر الحجرى الأول، وكان الانسان قد ظهر يومئذ على الأرض، بل إن بعض الأنواع البشرية كانت قد ظهرت وشاخت ثم انقرضت. والأرجح أن الحلقة التى نحن فى صددها كانت من سكان الكهوف لان الدكتور بروم عثر عليها مطمورة فى مغارة فى تلك الجهات ويظهر انها كانت تمشى على الارض منتصبة القامة

العين مرآة الجسم

لا شك أن العين مرآة الجسم والطبيب الماهر يستطيع أن يقرأ فيها حالة الانسان الصحية. فكدرة لونها مثلا دليل على الكباد (مرض الكبد). واحتقان الأوعية الدموية فيها مع دكنة العروق تشف عن درجة عالية من ضغط الدم. وهذه الاعراض وأمثالها تظهر بجلاء تام على زجاجة الآلة الفوتوغرافية بحيث لا يمكن أن يخطىء الطبيب فى تأويل هذه الاعراض

الدخان والأشعة التي فوق البنفسجية

ثبت من فحص الهواء المشبع بالدخان أن الأشعة التي فوق البنفسجية لا تخترقه بمثل السهولة التي تخترق بها الهواء الخالي من الدخان . وعليه فجو المدن التي يكثر فيها دخان المصانع لا تكثر فيه الأشعة التي فوق البنفسجية . وهذا هو السبب الأول في كون جو الأرياف أكثر انطباقاً على مقتضيات الصحة

التغلب على حمى النفاس

من أخبار المجلات الطبية أن مستشفى الملكة شارلوت - وهو من أكبر مستشفيات العالم للولادة - يعالج حمى النفاس بطريقة جديدة قد ضمن بها الانتصار على تلك الحمى القاتلة . وقد أنقذت هذه الطريقة حياة الألوف من الأمهات. ومستنبط الطريقة هو الدكتور كولبروك من أطباء المستشفى المذكور وطريقته تقوم على حقن المرأة التي تلد بمادة تسمى « برونتوسيل » - Prontosil - وهي عبارة عن صباغ أحمر يقتل ميكروب حمى النفاس وميكروبات حميات أخرى من دون أن يتلف أي جزء من أنسجة الجسم الحية . ويعتقد الدكتور كولبروك أن علماء الكيمياء سيوفقون الى استحضار مواد أخرى من «البرونتوسيل» لقتل أمراض أخرى كثيرة، لان حمى النفاس هي واحدة من عدة حميات تنشأ عن الميكروب المعروف « بالستربتوكوك » ومن جملتها الحمرة والحمى القرمزية والتهاب الحلق العفني والسبتيسيميا أو الحمى الناشئة عن تسمم الدم وغير هذه من الامراض . والارجح أن البرونتوسيل سيكون وسيلة للتغلب على جميع هذه الامراض مادام منشؤها الميكروب المذكور

علاج جديد لتقيح اللثة

روت بعض المجلات الامريكية أن أحد أطباء الاسنان الاميركيين وفق الى علاج جديد لمرض البيوريا أو تقيح اللثة . وقد جربه في معالجة لثات الكلاب فأسفرت التجربة عن نجاح تام. وهذا العلاج هو عبارة عن مسحوق عظام الغنم والبقر بعد اغلائها

نمو الجسم وتقلصه

يعتقد البعض أن الانسان يعتبر « ناضجاً » متى بلغ الرابعة والعشرين من عمره . وهذا خطأ كبير ، فقد أثبتت مباحث فريق كبير من الاطباء أن جسم الانسان لايقف عن النمو حتى بعد بلوغه الأربعين. على أن مقدار النمو يختلف باختلاف الاعضاء . فالساقان تنموان قليلا . والجسم - ما عدا الرأس والعنق - ينمو أكثر. والذراع تطول بعد الرابعة والعشرين . واليد والقدم تكبران كثيراً . والصدر يتسع الى زمن الشيخوخة ثم يبدأ يتقلص والعنق يثخن ثم يضمر

ناطحات السحاب في الحبشة

عثر الدكتور كرنكر الأستاذ بجامعة برلين على نصب وآثار بمدينة اقصوم المقدسة من مدن بلاد الحبشة ترجع الى ألف وأربعمائة سنة ومنها أبراج هي عبارة عن أعمدة عالية واقعة على الارض يبلغ طول (ارتفاع) كل عمود منها مائة قدم وتسع أقدام وبكل عمود آثار تدل على ثلاث عشرة طبقة (دور) مما يدل على أن مدينة اقصوم كانت تعج بناطحات السحاب

من آثار العصر الحجري

عثر الدكتور بركهيمر مدير معهد التاريخ الطبيعي بمدينة ورتمبرج بألمانيا على جمجمة بشرية بالقرب من احدى ضواحى مدينة ستوتجارت بألمانيا ، لا يقل عمرها عن مائتى ألف سنة أو ثلثمائة الف سنة وبينها وبين جمجمة « انسان نياندرتال » اوجه شبه واوجه خلاف كثيرة . فمن جملة أوجه الشبه بروز قاعدة الحاجبين وسعة المنخرين وضخامة الفك الأعلى . ومن جملة أوجه الخلاف أن « الزاوية الوجهية » أقرب الى زاوية الانسان الحاضر الوجهية . فالجمجمة أقرب شبها بالانسان الحاضر من انسان نياندرتال

وقد عثر الدكتور بركهيمر أيضاً على بقايا فيل كانت مطمورة بقرب الجمجمة المشار اليها . وهذا الفيل هو من النوع الذى كان يجول فى أوربا قبل نهاية العصر الجيولوجى المعروف بالعصر البليستوسينى الجليدى

ويظن الدكتور بركهيمر أن جمجمة الانسان الذى اكتشفه (وقد أطلق عليه اسم « انسان شتاينهيمر ») وجمجمة انسان نياندرتال هما لسلالتين من البشر لهما جد واحد لم يعرف حتى الآن

باريس فى القرن السابع عشر

كانت شوارع باريس فى القرن السابع عشر مظلمة جداً فى الليل ليس فيها مصابيح يستضىء بها السائر . وكانت ثمة تجارة رائجة وهى « ايجار » الفوانيس وحملة الفوانيس لمن يقصد السير فى الشوارع ليلا . ويقال ان بعضهم جمع من هذه التجارة ثروة كبيرة

ديانة الازتيك

ثبت للعلماء أن شعب الأزتيك (وهم الهنود الذين كانوا يسكنون بلاد المكسيك قبل وصول الرجل الأبيض) كانوا يدينون بديانة ذات نظام معقد لها كهنة من درجات مختلفة وأديار وشعائر كأديان اكثر الأمم المتحضرة

الصناعة فى ايطاليا

يوالى علماء ايطاليا الكيميائيون مباحثهم الكثيرة منذ حرب الحبشة . وقد وفقوا أخيراً الى صنع زيت للطعام من ورق الدخان كما وفقوا الى صنع أنواع أخرى كثيرة من الزيت من ذلك النبات . ووفقوا أيضاً الى صنع علف للغنم والبقر من بزور الدخان

بشرى للمجانين

من الأخبار التى سيكون لها دوى فى الدوائر العلمية ما روته مجلة الاتحاد الطبى الأميركى من أن الدكتور برنارد كلوك من كبار أطباء نيويورك يعالج اليوم مرض الجنون العام (غير الجنون المسبب عن الزهرى) بالحقن بالأنسولين ، ويظهر أن أطباء أوربيين كثيرين يستعملون الأنسولين لهذا الغرض ، وقد أسفرت تجاربهم عن نجاح مدهش . وفى سويسرا اليوم مستشفى للمجانين عولج فيه ١١٨ من مرضاه بالانسولين فنال خمسة وسبعون منهم الشفاء التام . على أنه لم يمض حتى الآن زمن كاف لمعرفة هل شفاؤهم دائم أم هو مؤقت ، وانما يؤخذ من القرائن أنه دائم . وعليه يرجو أطباء الأمراض العقلية أن يحدث الأنسولين ثورة عظيمة فى طريقة معالجة الجنون

فى عالم الفلك

وفق الاستاذ سيميزو العالم الفلكى اليابانى الى اكتشاف نجم مذنب من القدر الثالث عشر، لا تمكن رؤيته بالعين المجردة . ويعتقد البعض انه نفس « مذنب دانيال » الذى اكتشف سنة ١٩٠٩ والذى قدرت يومئذ مدة دورته الفلكية حول الشمس بما يزيد على ست سنوات ونصف سنة

ومن أخبار مرصد يوهانسبرج بجنوبى افريقيا أن الدكتور سيريل جاكسون العالم الفلكى اكتشف مذنبا جديداً من القدر الثانى عشر وهو ضعيف النور، ومن المحتمل أن يزداد نوره تألقا فيما بعد

وجاء من المكتب المركزى للاتحاد الفلكى الدولى بمدينة كوبنهاجن أن نجما جديداً (من النوع المعروف عند علماء الفلك بنوفا) فى كوكب النسر قد انفجر ، وأول من رصد انفجاره أحد علماء الفلك بمرصد كنيستابرج الخاص بمدينة برو بأسوج . وهذا النجم الجديد هو من القدر الثامن ولا تمكن رؤيته بالعين المجردة

وانفجار النجوم أو الشموس ظاهرة معروفة عند علماء الفلك . ولو أن شمسنا أصيبت بانفجار من ذلك القبيل لأفنت الأرض وجميع السيارات التابعة للنظام الشمسى فى طرفة عين

الالتهاب السحائى

يدل الاختبار على أن مرض الالتهاب السحائى أو الحمى الشوكية كثيراً ما يؤثر فى نظر الذين يسعفهم الحظ بالشفاء منه . ذلك أنه يشل عضلات العين ويحدث التهابا في قاعدة الدماغ فيؤثر ذلك فى حاسة البصر . وقد لوحظ أن القردة التى تصاب بالالتهاب السحائى وتشفى منه تصاب فيما بعد بضعف النظر

هل ينتحر الانسان كرهاً

كثيراً ما نقرأ عن أخبار انتحار يصعب تعليله . والظاهر أن المرء يصاب أحيانا بنمو درنات فى دماغه ، وهذه الدرنات تؤثر فى جهاز السمع وتحدث فيه دواراً شديداً يدفع المرء الى الانتحار على غير رغبة منه ، ويظل انتحاره سراً غامضا . وقد يصاب الدماغ أيضا بنزيف يسبب مثل ذلك الأثر عينه ويدفع صاحبه الى الانتحار ويظل سبب هذا الانتحار مجهولا

الحياة فى البحر الميت

من أخبار الجامعة العبرية بالقدس أن الدكتور فيلكانسكى أحد أساتذتها قد اكتشف فى البحر الميت حيوينات حية على أعماق مختلفة ، وقد كان الاعتقاد الشائع بين العلماء حتى الآن أن البحر الميت خال من المخلوقات الحية لأن شدة ملوحته وكثرة ما فيه من بوتاس ومواد معدنية أخرى تحول دون وجود الحياة فيه . على أن مباحث الدكتور فيلكانسكى قد أثبتت وجود خلائق ميكرسكوبية فيه من ثلاثة أنواع . فالأولى منه شبيهة بخلايا الخميرة ، والثانية شبيهة بالبكتريا ، والثالثة خلايا مستطيلة دقيقة تشبه الخيوط

الكوليرا

فى سنة ١٩٣٤ بلغ عدد الاصابات بالكوليرا فى جميع أنحاء العالم ٢٨٧ الفا . وفى سنة ١٩٣٥ زاد ذلك العدد فبلغ ٣٣٤ الفا ، وفى السنة الماضية بلغ ٣٥٦ الفا . فهل نستدل من هذا على انتشار هذا المرض الخطر ؟

قلعة تريفلس

عزمت حكومة بافاريا أن ترمم قلعة تريفلس الشهيرة التى كانت قصراً للامبراطور هينريخ الرابع (امبراطور المانيا) والتى استولى عليها سنة ١٠٨١ للميلاد وهى من أشهر قلاع المانيا القديمة. وقد أعيد بناؤها في عصر هينريخ السادس ، واشتهرت بكونها المكان الذى سجن فيه ريكاردوس قلب الأسد على أثر عودته من الحرب الصليبية فى بلاد المقدس . وفى هذه القلعة أيضا سجن مع الملك ريكاردوس كثيرون من أشراف جزيرة صقلية . وفى أوائل القرن الثانى عشر جعلت هذه القلعة متحفا ومستودعا لآثار ملوك المانيا ، وفيها أودع أولئك الملوك تيجانهم وصوالجتهم وعروشهم وشعائرهم وسيوفهم وكل ما كانوا يملكونه من رموز السلطة . وفى نية حكومة بافاريا بعد ترميم هذه القلعة أن تجعلها متحفا كما كانت قديما

أكبر ترعة مائية فى العالم

وضع كبار المهندسين الروس خطة لانشاء ترعة « فولجا ـ دون » وهى ترعة يراد منها وصل البحر الأبيض وبحر البلطيك وبحر الخزر والبحر الاسود وبحر يزوف معا . وستكون هذه الترعة من أعظم الأعمال الهندسية التى قام بها الانسان

لضبط مقياس الحرارة

تتولى مصلحة المكاييل والمقاييس للحكومة الاميركية بواشنطن فحص جميع موازين الحرارة (الترمومترات) التى تخرج من المصانع الاميركية وذلك بطريقة علمية دقيقة تسجل جزءاً من الف جزء من درجة الحرارة بمقياس فهرنهيت . ومعظم الموظفين الذين يقومون بهذا الفحص هم من النساء

ازدياد طول التلاميذ وثقلهم

علم أساتذة جامعة هارفارد بالاختبار أن طلبة المدارس ـ لا فى هارفارد فقط بل في معظم الجامعات الأميريكية ـ يزدادون طولا وثقلا، وقد بلغ متوسط زيادة الطول ١٫٧٨ من البوصة فى خلال العقدين الأخيرين من الزمن . وبلغ متوسط الزيادة فى الثقل ١٫٥٦ من الرطل . والأرجح أن سبب الزيادتين المذكورتين هو تحسن وسائل التغذية

طرائف علمية

* شرعت احدى الشركات الانجليزية فى بناء بيت مؤلف من ألف ومائتى «شقة» للتأجير للسكن فى لندن ، وسيقام هذا البناء على ضفاف نهر التامز وسيكون اكبر بناء من نوعه فى العالم

* يؤخذ من الأرصاد الفلكية ومن الصور الفوتوغرافية الكثيرة التى أخذها علماء الهيئة أن زوابع هائلة تجتاح الشمس عند وقوع الكسوف التام . ولا يعلم حتى الآن أسباب تلك الزوابع فهى سر من أسرار الشمس الكثيرة الغامضة

* تدل المباحث الكيميائية على أن ماء الشرب يحتوى على كمية من الأكسيجين فى الشتاء اكثر من الكمية التى يحتوى عليها من ذلك العنصر فى فصل الصيف

* بلغ مجموع عدد المكالمات التليفونية فى جميع أنحاء الولايات المتحدة في السنة الماضية خمسة وعشرين الف مليون مكالمة

كتب جديدة

المختار – الجزء الثاني

للاستاذ عبد العزيز البشرى

مطبعة المعارف . عدد صفحاته ٢٧٢

استأثر الاستاذ البشرى بما لم يبلغ بعضه الا قليل من الأدباء ، فان قراء العربية جميعاً – على اختلاف حظوظهم من الثقافة ، وآرائهم فى الأدب ، وأذواقهم فى الأسلوب – يحبون أدبه ، ويحتفلون به ، ويقبلون عليه ، ويؤثرونه باعجابهم وتفضيلهم

وقد أصدر فى العام الماضى طائفة من مقالاته ، استقبلت أجمل استقبال من النقاد والأدباء والمتأدبين ، وأتحف قراءه اليوم بطائفة أخرى من مقالاته ومحاضرته فى الفن والمفتنين ، وفى المداعبات والأفاكيه . فتحدث فى القسم الأول عن كثير من رجال الموسيقى والغناء فى الجيل الماضى فى مصر ، وتناول كثيراً من شؤون الفن ومسائله ببحوث دقيقة شاملة لا يستطيعها إلا رجل أطال ترديد الفكر والذوق فى أساليب الأدب والغناء والموسيقى لا فى الكتب فحسب بل فى الحياة ذاتها . وجمع فى القسم الثانى موضوعات شتى بلغ فيها ذروة الابداع فى فكاهته الرائعة اللاذعة فى استعراض كثير من الافراد والاخلاق ، ووصف كثير من المشاهد والمناظر ، التى يمر عليها الرجل العادى فلا تنال منه لفتة أو انصاتة ، بينما يقف أمامها الأديب الموهوب يستوضحها ويحللها ، فيستخرج معانيها الخفية ويبرز نواحيها المستورة

وقد بلغ الاستاذ البشرى فى هذه الموضوعات مالا مبلغ بعده حين يتحدث عن مشاهد المجتمع ومناظر الحياة ، وحين يصور سمات الوجوه وهيئات الاجسام ، بل حين يصف أنغام الصوت وألحان الغناء . . استمع اليه يصف طريقة الشيخ احمد ندا فى تلاوة القرآن الكريم فيقول :

« ... يكون فى أعلى طبقات الصوت الى الحد الذى يعلق له السامع النفس ، ما يظن ان وراءه لصائغ مدى ، إلا أن تتصدع الحنجرة أو ينفجر الوريد . ثم تتنظر له من جانب السماء نغمة جديدة فسرعان ما يتجمع لها ، فما يزال يمط صوته القوى الجرىء اليها ، ولقد تروّاغه بادىء الرأى ، فلا يبرح يتحرف لها متيامنا تارة ومتياسراً أخرى ، حتى إذا شكها زر حنجرته عليها ، فخرجت له ، على هذا الجهد كله ، نبرة لينة حلوة ، لا عسر فيها ولا كلفة ، كأنما أصابها وهى ترف على ظهر الارض لا تحلق فى عنان السماء ! » . .

على أن من العبث أن نختار جملة أو مقالا من هذا الكتاب ، فكل ما فيه عذب جميل ، قوى رائع ، قيم نفيس . وذلك بفضل هذا الأسلوب الجزل الرصين الذى يصرف عبارته كيف شاء فى التعبير عن كل ما جل ودق مما تبصره العين أو تسمعه الأذن ، وكل ما يمس الحس أو يتبادر الى الذهن

عابر سبيل

للاستاذ عباس محمود العقاد

مكتبة النهضة المصرية . عدد صفحاته ١٥٤

عهدنا الشعراء يقصرون شعرهم على الأمور « الجليلة » دون سواها من الموضوعات الزهيدة كأنما الشعور لا يتنبه وينشط ، والخيال لا يجيش ويسمو ، الا اذا ماجت البحار وثارت الرياح ، أو أزهرت الرياض وصدحت البلابل ، مع أن الشاعر قد تمر به لحظات وفترات ، يوحى اليه فيها قلمه أو صحيفته ما لا توحيه أروع مشاهد الطبيعة وأجمل مظاهر الحياة

الواقع أن الشاعر يرى شعراً فى كل مكان ، يراه فى البيت وفى الطريق ، ويراه فى الطعام واللباس ، ويراه فى السيارة التى يركبها والحيوان الذى يراه . فليس هناك ما يدعو الى أن يقصر شعره على البحر والجبل ، وجمال المرأة وكأس الخمر ، وليس هناك ما يمنع من أن يخلع الشاعر على مشاهد الحياة وأدواتها العادية ثوبا جميلا من الشعر قد يحيل واقعها الثقيل حلماً أو خيالا . .

وهذه هى الرسالة الادبية التى أداها الاستاذ العقاد فى هذا الديوان الجديد . فهو هنا لا يتحدث عن الملائكة والشياطين ، ولا عن الصحارى والجبال ، وانما يتحدث عما يراه «عابر السبيل» من طريق أو بيت أو دكان أو سيارة ، فينفض عنها هذه التفاهة التى تجعلنا نظن أنها ليست أهلا للنظرة العابرة فضلا عن القصيدة البارعة ، ويخلق فيها حياة تلفت الذهن وتستحق العناية . فهذه أبيات من مقطوعة عن « الفنادق » :

منازل كل ما فيها انسجام !

منازل كل ما فيها انقسام !

بنوها أسرة ما شذ فيها

مقام أو منام أو طعام

وما افترقت شعوب الارض يوما

كما افترقوا اذا انصرفوا وهاموا

ففيهم يافث حيناً وشيث

وفيهم تارة حام وسام

ويمر بالمصرف (البنك) فينشد :

شبران من ذاك البناء

بينى وبين المال والدنيا العريضة والثراء

ليست بأقصى فى الرجاء

من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء

كلا ! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء

أعرفت آماد السماء ؟ !

هذه رسالة الديوان . وهو يضم فضلا عن هذه طائفة من القصائد القومية الرائعة ، ومن الأغاني والاناشيد الجميلة ، ومن التأملات الفلسفية ، وغير ذلك من روائع شعر العقاد الذى يجمع الفكرة العميقة الى جانب الشعور الصادق ، والاسلوب القوى الرصين الى جانب العبارة السهلة المرسلة . .

من حديث الشرق والغرب

للدكتور محمد عوض محمد

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . عدد صفحاته ٣٢٧

قد يكون الكاتب عميق الفكرة جديد الرأى ، وقد يكون سهل العبارة سلس الاسلوب ، ومع هذا تقرؤه فتحس بالفتور يسرى الى نفسك ويثقل عليها ، ويحملك على أن تدع الكتاب أو تقرأه ضيقاً به كارها له .. ذلك لان شيئا واحداً ينقصه ، هو هذه الحرارة التى تتقد فى قلبه وتلهب شعوره ، فتخلق من الفاظه وجمله روحا نابضة حية ، تنفذ الى النفس فتنشطها وتستجيشها

وهذه الفصول والقصص التى جمعها الدكتور عوض فى كتابه هذا تمتاز أولا وقبل كل شىء بالحرارة اللاهبة تسرى فيها ، وتنتقل منها الى القارىء فتبلغ منه الصميم

وقد يكون مرجع هذه الحرارة الى إلف الكاتب وفطرته ، ولكنه ـ غالبا ـ الى أنه أبى أن يمسك القلم الا بعد أن نضج رأيه واختمر ، واضطرب فى نفسه وأثارها ، وحاول أن ينطلق منها فاحتجزه ، حتى انفلت من عقاله قويا شديداً عنيفا . .

وتمتاز هذه الفصول بخصلة أخرى هى هذه الروح الجريئة التى تعالج الموضوعات فى صراحة ووضوح ، وتعرضها عارية عن كل ما يجللها من أفكار وعادات ، وتبدى رأيها فيها بغير تردد أو مداراة

وكذلك هذه الفكاهة الرقيقة الساخرة التى تسرى فى الكتاب فترضى وتبهج ولكنها تلذع وتخز . ولعل هذا السخر هو خير ما يمتاز به الدكتور عوض ، فهو رجل ثائر على ما حوله ، طامح الى ما هو أسمى منه وأفضل ، فلا يتردد فى أن ينظر الى البيئة المحيطة به نظرة هازئة عابثة لا تزيغ أمام تقاليدها وآرائها الثابتة . وحسبك أنه عقد فصلا عنوانه « الرجوع الى الباطل خير من التمادى فى الحق » ! .. وحسبك أنه يرى فى ملعب الكرة من الحكمة والفلسفة ما يفتقده فى دور العلم وحلقات الادب

أما أسلوب الكتاب فسهل رصين ، لاتكلف فيه ولا ابتذال ، ولا يستدعى من القارىء جهداً أو عناء ، رغم ما يحمله اليه من افكار ناضجة قيمة وآراء جديدة جريئة

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطمية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

دار النشر الحديث . عدد صفحاته ٢٧٧

حفلت مصر أثناء العصر الفاطمى بكثير من الأحداث الغريبة الشائقة ، ومظاهر البذخ والثراء والبهاء ، مما يضفى على هذه الفترة من تاريخ مصر الاسلامية شيئاً من السحر والفتنة والروعة . وقد كان عصر الحاكم بأمر الله من أغرب مراحل هذه الفترة ، فان أطواره الغريبة ونزعاته الشاذة قد جعلت عهده حافلا بالغير والخطوب ، وبالنوادر والغرائب

ولا شك ان دراسة هذا العصر ليست سهلة ميسورة ، لان أخباره مشتتة فى بطون الكتب القديمة ، والروايات عنه ناقصة مقتضبة ، متناقضة متضاربة . لذلك نرحب بهذا الكتاب القيم الذى أخرجه الاستاذ محمد عبد الله عنان عن عصر الحاكم بأمر الله ، فجلا به غوامض هذه الفترة وأوضح نواحيها الخفية ، ورسم صورة دقيقة شاملة لحياة هذا العصر وأحداثه ووقائعه ، بعد أن تقصى أخباره فى أمهات الكتب والمخطوطات ، ثم أضفى عليها من دراسته ثوباً علميا قشيباً

وقد بدأ الاستاذ بحثه باجمالة عن مركز مصر وقت الفتح الفاطمى ، وعن خلافة المعز والعزيز . ثم انتقل الى الحديث عن الحاكم فذكر أصله ونشأته ، وأبان ما أحاط به من عوامل ودوافع كونت أخلاقه النافرة الشرسة ، وعقليته الغريبة الشاذة . وتلا هذا فصول عن الاحداث الرهيبة التى وقعت فى عهده وعن الدعوة الكافرة التى قامت على أيدى رهط من الملاحدة ،

وما اقترن بهذه الدعوة من مشاهد مروعة ومآس دامية ، انتهت بصرع الحاكم الذى مازالت تساق فيه حتى اليوم الروايات والأساطير

وانتقل من هذا الى بحث « الدعوة الفاطمية » فأبان مقاصدها ومراميها ، وأوضح وسائلها واسبابها ، وذكر مراتبها التسعة المدهشة . وقد افاض فى هذا البحث حتى جلا غوامضها ونواحيها الخفية . وتلا هذا ثلاثة فصول عن النظام السياسى للدولة الفاطمية ، وعن بنائها الاجتماعى وما امتاز به من بدع وطقوس ، وعن حياتها الفكرية ومن قام فيها من علماء وأدباء . وذيل الكتاب بمجوعة من الوثائق النادرة ، منها « السجل المعلق » الذى اثبتت به شروح واشارات شتى عن اختفاء الحاكم وما اقترن به من مزاعم وآراء ، ومنها « ميثاق ولى الزمان » الذى يبين ما بلغته تلك الدعوة من كفر وجنون

والخلاصة ان هذا الكتاب النفيس قد ألقى ضوءاً على هذه الفترة الرهيبة الشائقة ، وذلك بفضل ما بذله مؤلفه المحقق من جهود فى جمع اخباره من اشتات الكتب ومضاهاة رواياته بعضا ببعض ، وبتناوله هذا الموضوع بما امتاز به من تدقيق وتحقيق ، ومن عرض شائق طريف

مصطفى النحاس

أو الزعامة والزعيم

للاستاذ عباس حافظ

مطبعة مصر . عدد صفحاته ٥٤٣

« ... جرينا فى البحث على نمط من التناول ، جعلنا مفتاحه البحث فى معانى الزعامة وحدود البطولة ، ثم تطبيق موجباتها ومطالبها على زعامتنا ، والتماس نواحيها من أبطالنا وقادتنا ، جلاء لحقائق البطولة عامة ، وتصويراً لمظاهرها ومظانها ومواقفها فى بطولتنا الوطنية خاصة ، حتى يكون الكتاب درسا تطبيقياً ، وبحثاً وتحقيقا ، وتعريفا وتصديقا ، ومعالم ومقتضيات ، وعبراً موائل وعظات ، ومرشداً للمستهدين والمسترشدين

« وقد جعلنا شخصية مصطفى النحاس ومبلغ بطولته ومحل زعامته من الزعامات ، مقدمة الدرس ونظريته ، والتمهيد للبحث ونقطته ، لانه الشخصية التى استحوذت على اعجاب الجيل ومحبته ، والعظمة الصادقة التى وجدت الملايين من الناس بها مؤمنين »

هذه فقرات من مقدمة الكتاب الحافل الذى صور فيه الاستاذ عباس حافظ عناصر الزعامة وخلال الزعيم عامة ، وأبان فيه نواحى القوة فى زعامتنا ، ومؤهلات الكفاية فى زعيمنا ، فجاء كتابه تحليلا اجتماعيا دقيقا طريفا ، وعرضا تاريخيا شاملا شائقا ، وفصولا أدبية بليغة رصينة ، جعلت هذه التحية الخالصة أجمل ما حيى به رجلنا المجاهد الموفق

فقدم للكتاب بفصول شتى فى تعريف الزعامة وكشف سرها ، استعرض فيها العوامل والمؤثرات فى نشأة الزعامة ، والصفات والخواص التى امتاز بها الزعماء . وتحدث عن الشخصية البارزة وخلالها ومظاهرها ، وما يمتاز به صاحبها من قوة العزم وشدة البأس إلى جانب الروح المرحة والنفس المرسلة . ثم استطرد إلى الحديث عن أخطار الزعامة وما ينحرف بها عن الطريق السوى ، وعن مكانة الزعامة فى النظام الديمقراطى ، وعن أثر المرأة فى حياة الزعماء ، مدعما أراءه واستدلالاته باستشهادات شتى من

التاريخ لا تتيسر إلا لرجل واسع الثقافة ملم بأطراف الموضوع

وتحدث فى الجزء الثانى من الكتاب عن زعامة مصطفى النحاس، والأسس القوية التى قامت عليها من استعداد قوى ونشأة طيبة، ومن صبر جميل وجهاد طويل، وتتبع أدوار حياته الحافلة بالكفاح فى سبيل الحرية، المزدانة بأجمل خصال الزعماء من شدة عزم وقوة مراس، ومن حكمة وحنكة وبراعة، حتى استطاع أن يتوج جهاد مصر بتوفيق باهر ونصر مؤزر. وما من شك فى أن المؤلف قد استطاع أن يدقق البحث ويتنزه عن الهوى، فلم يكن كتابه تحية تقدير وإكبار فحسب، بل بحثا نفيسا مستفيضا كذلك

كتب أخرى

« البراعم » ديوان للاستاذ عمر يحيى. طبع بالمطبعة العلمية بحلب. عدد صفحاته ٢١٥ وهو مجموعة جميلة من الشعر الوجدانى الصادق، سلسة الاسلوب رقيقة النغم، لا تكلف فى بنائها ولا تعسف فى أفكارها، لهذا يطرب القارىء عند تلاوتها، ويحس بأبياتها تمس قلبه وتهزه، كما ترى فى وصف الشاعر لنفسه:

قضى ساهداً تستنجد الدمع عينه
وترعى عيون النجم والقوم نوم
يرى الشعر روحا فى الحياة وراحة
فيبدي به بعض الذى كان يكتم

وبالديوان كثير من قصائد الرثاء البليغة، والقصائد الوطنية الصادقة، والشعر الوجدانى الرقيق

« مآثر العرب فى الرياضيات والفلك » للاستاذ منصور حنا جردان. طبع بالمطبعة الامريكانية ببيروت. عدد صفحاته ٣٣ وواضع هذا الكتاب هو استاذ الرياضيات العالية بالجامعة الامريكية ببيروت، ومؤلف كثير من الكتب الرياضية بالعربية والانجليزية. وقد استعرض فى هذا الكتاب ما أداه العرب من خدمات جليلة فى شتى أنحاء العلوم الرياضية، من فلك وحساب وجبر وهندسة ومثلثات. فجاء بحثاً دقيقا وافيا، له غاية سامية هى تمجيد أسلافنا العظماء وإذكاء الهمم فى الخلف الناهض. وذيل الكتاب بفصل قيم عن منشأ العلوم الرياضية فى الشرق الأدنى. ومع أن موضوع البحث علمى، الا أن المؤلف أوضحه وقربه الى الافهام

« تاريخ التطور الدينى » للاستاذ احمد زكي بدوى. طبع بمطبعة المجلة الجديدة. عدد صفحاته ٦٢. ويتناول هذا الكتاب موضوعا تناوله عشرات من كتاب الغرب بالبحث والتمحيص، وهو موضوع مقارنة الأديان بعضها ببعض وتتبع نشأتها وتطورها. وقد استوفى الكاتب بحث الموضوع على قدر الامكان، فعقد فصلا عن نشوء الدين وآخر عن الدين الفرعونى. ثم تحدث عن اليهودية والمسيحية والاسلام، فأبان أصولها وروحها. وتكلم أخيراً عن تطور التفكير الدينى فى العصر الحديث. وقد اعتمد على مجموعة قيمة من الكتب العربية والأجنبية فاستطاع أن يملأ هذه الصفحات القليلة بكثير من الآراء

« أوراق متناثرة » للاستاذ صلاح الدين كامل. طبع بمطبعة المجلة الجديدة. عدد صفحاته ٨٥. وهى طائفة طريفة من القطع القصصية المختلفة. فمنها أقاصيص قصيرة تصور بعض نواحى الحياة المصرية، فيها كثير من التحليل والوصف الدقيق ومنها محاورات منسجمة الاسلوب قيمة المعنى، ومنها مذكرات وشذرات شتى تحمل كل منها رأيا جديدا أو فكرة طريفة حرة محبوبة

بين الهلال وقرائه

علم الاسرائيليين

(بغداد - العراق) موسى عبد الحى

قرأت فى احدى المجلات المصرية أن للاسرائيليين في مصر علما خاصاً بهم ، فهل هذا صحيح أم هم تحت حماية العلم المصرى ؟

(الهلال) لا نظن ما قرأتموه صحيحاً ولا نعتقد أن للاسرائيليين فى مصر أو في غير مصر علما خاصا الا اذا كان المراد بذلك العلم شارة متفقا عليها شبيهة بعض الشبه بالعلم الليجيرى أو المراكشي . وعلى كل فان الاسرائيليين المصريين يتمتعون فى مصر بحماية الحكومة المصرية وهم من رعاياها المخلصين

الأعلام الأعجمية

(طهران - ايران) محمد حسن شريف

كثيراً ما نعثر فى مقالات على أعلام أعجمية يصعب علينا نطقها نطقاً صحيحاً لعدم ذكر مقابلها باللغات الاوربية . وقد تفوتنا الفائدة لعدم معرفتنا ماهية تلك الأعلام أو البلاد التى تنتمى اليها . وقد جريتم فى باب مجلة المجلات على عادة توضح ما تقصده وهى انكم تذكرون اسم المجلة التي تلخصون عنها المقال وتوردون اسم كاتب المقال . واكثر القراء لا يعرفون شيئا عن المجلة ولا عن صاحب المقال . أفليس فى إمكانكم تلافى هذا النقص ؟

(الهلال) أما أننا نذكر الاعلام الاعجمية دون ضبطها بالحروف الأعجمية فعادة شائعة جرت عليها جميع الصحف والمجلات ، ولم تنفرد بها مجلة الهلال . ولو أردنا أن نضبط كل اسم أعجمى يرد على صفحات الهلال بالحروف الاعجمية لضاق بنا المجال ولأصبح الهلال كشكولا لكلمات عربية وأعجمية . أضف الى ذلك أن صحف أوربا وأميركا عند ما تذكر أعلاما أجنبية لا تضبطها بالحروف الاجنبية

أما ما أشرتم اليه من أننا نهمل تعريف المجلات التى نلخص عنها باب مجلة المجلات ونهمل تعريف كتاب تلك المقالات فسببه ان ضيق المجال فى باب مجلة المجلات يحول دون اطالة الشرح عن المجلة التى تنقل عنها مقالا وعن كاتب المقال لأن غرضنا هو تلخيص المقال لما يتضمن من آراء أو معلومات طريفة

امارة الشعر

(مكسيكو - عاصمة المكسيك) انطونيوس الياس روفائيل

الى من انتقلت امارة الشعر العربي بعد وفاة المرحوم شوقى بك ومن هو أهل لها ؟

(الهلال) لم تتفق الاقطار العربية على مبايعة أحد الشعراء بامارة الشعر بعد وفاة المرحوم شوقى بك ولا نظنها تتفق ما دام لكل شاعر وشويعر مطمع فى تلك الامارة وكل منهم يدعى أنه أجدر بها من غيره . ولا شك أن فى مصر وفى غيرها من الاقطار العربية شعراء مبرزين ولكن الموازنة بينهم وتفضيل بعضهم على بعض من الامور التى ستحكم فيها الاجيال القادمة لكي يجيء حكمها منزها عن كل غاية

علم العروض

(الخرطوم - السودان) و . س

هل لكم أن ترشدونا الى كتاب مفيد يشرح بحور الشعر العربي شرحا وافياً ؟

(الهلال) هنالك مؤلفات كثيرة تفى بالغرض . ولعل أبسطها وأسهلها منالا كتاب المرحوم الدكتور كورنيليوس فانديك المستشرق الاميركي الذى وضع مؤلفات علمية وأدبية كثيرة باللغة العربية ومن جملتها كتابه فى علم العروض

المجلات الهندسية

(صافية - مديرية الغربية) طه أبو النصر

أرجو أن تفيدونى عن أسماء وعنوانات أشهر

المجلات الهندسية فى كل من فرنسا وانجلترا وإيطاليا

(الهلال) كلية الهندسة بالقاهرة تستطيع أن تجيبكم عن سؤالكم هذا فلديها مجموعة نفيسة من المجلات التى تطلبونها

الحرباء وتغيير لونه

(طنطا ــ مصر) أحد المشتركين

كيف يستطيع الحرباء أن يغير لونه ؟

(الهلال) الحرباء (وهو مذكر وتأنيثه خطأ) حيوان من الزحافات أكبر من العظاءة قليلا يستطيع أن يغير لون جسمه بسهولة تبعاً للبيئة التى هو فيها لكي يأمن الخطر المفاجىء إذ يختفى عن النظر بامتزاج لونه بلون بيئته . وقد يغير لونه أيضا عند اشتداد غضبه . ويتم تغيير لونه بواسطة جهازه العصبي الذى يتحكم فى المادة الملونة في جسمه . والمعروف عن الحرباء أنه بطيء الحركة يعيش على الهوام والحشرات التى يقتنصها بلسانه ، وجسمه مغطى بدرنات متعددة وعيناه عبارة عن كرتين مستديرتين كل منهما مستقلة عن الاخرى تمام الاستقلال وتستطيع أن تدور الى أية جهة منفردة عن العين الاخرى . ويقال إن من عادة الحرباء أن يستقبل الشمس حيثما اتجهت

تفسير مثل

(طنطا ــ مصر) ومنه

ما معنى قولهم : أصرد من عين الحرباء ؟

(الهلال) الصرد فى اللغة البرد . وهذا المثل يضرب لمن أصابه برد شديد لان الاعتقاد الشائع بين العامة أن الحرباء يدور مع الشمس كيفما دارت ويستقبلها بعينه ، طلباً للدفء من البرد الشديد

لقاح واق من الانفلونزا

(بيروت ــ لبنان) خليل عساف

هل اكتشف الطب لقاحا واقياً من الانفلونزا والحميات الشبيهة بها ؟

(الهلال) نعم وقد جرب هذا اللقاح فى أميركا وأوربا فأسفرت التجربة عن نجاح كبير

تأثير الرعد والبرق فى اللبن

(بيروت ــ لبنان) ومنه

هل صحيح أن الرعد والبرق يؤثران في اللبن الحليب فيخثرانه ويحولانه لبناً حامضاً ؟

(الهلال) هذه خرافة شائعة بين الاميركيين والاوربيين ولا نظنها شائعة بيننا وهى لا تستند الى أساس علمى على الاطلاق

حجم الرأس والعقل

(صيدا ــ لبنان) أحد القراء

هل من علاقة بين حجم الرأس والعقل ، فان الاعتقاد القائم بين الجمهور أن كبر الرأس دليل على ارتفاع المستوى العقلى ؟

(الهلال) الأرجح أن منشأ هذا الاعتقاد زعم الجمهور أن كبر الرأس دليل على كبر حجم الدماغ وعلى كثرة المادة السنجابية فيه . على أنه زعم فاسد لا يستند الى حقيقة علمية فقد أثبت الاختبار أنه لا علاقة بين حجم الدماغ ومستوى العقل

نسيان الأحلام

(صيدا ــ لبنان) ومنه

لماذا ننسى أكثر أحلامنا حالما نستيقظ ؟

(الهلال) لأن الأحلام انما تأتى عن طريق الوجدان الباطنى . فعندما نستيقظ يحل الشعور والاحساس محل الوجدان الباطنى فيذهب من ذاكرتنا معظم أحلامنا ماعدا الواضح الجلى منها فانه يظل عالقاً بمخيلتنا

الاحلام والمستقبل

(صيدا ــ لبنان) ومنه

هل بين الأحلام والمستقبل أية علاقة ؟

(الهلال) قد سبق أن نشرنا عدة مباحث على صفحات الهلال الماضية أوضحنا بها أن العلم ينكر وجود أية علاقة بين الأحلام وحوادث المستقبل الا ما كان من قبيل المصادفة . على أن بعض الحوادث التى تقع لنا أو حولنا قد تؤثر فينا تأثيراً قويا جداً يبقى معنا ويعمل في أعصابنا حتى فى أثناء النوم وينشىء

أحلاما . وغنى عن البيان أن أحلاما كهذه لا علاقة لها بحوادث المستقبل والعلم لا يقيم لها وزنا

أما سؤالكم عن « علم تفسير الأحلام » وهل هو صحيح فالجواب عنه بالنفى . وادعاء بعض الناس القدرة على تفسير الاحلام دجل فى دجل لا يقع فى شركه الا البسطاء الاغرار

ارتقاء العقل

(نيويورك — الولايات المتحدة) ر . ح

ألا تظنون ان الاختراعات والاكتشافات والنظريات والآراء العلمية تتوالى بكثرة لا يستطيع معها عقل الانسان أن يستوعبها ، وان اكثرها ليس دليلا على رقي العقل البشرى بل على اضطرابه ؟

(الهلال) تذكر اننا قرأنا منذ سنتين أو ثلاث سنوات اقتراحا لأحد رجال الدين الانجليز يدعو به علماء العالم الى « هدنة علمية » مدة عشر سنوات يتسنى فيها للعالم استيعاب النظريات العلمية وغربلتها لفصل الفاسد منها عن الصحيح ، لأن استمرار الاتيان بنظريات علمية جديدة يزيد فى فوضى العلم وارتباك العلماء . على أن اقتراحا كهذا لا يمكن العمل به لأنه يعنى وقف التفكير . واذا انقطع العلماء عن التفكير تقهقرت العلوم والحضارة وانخفض مستوى الاجتماع

أما وقف الاختراعات والاكتشافات مدة من الزمن منعاً للفوضى العلمية فلا يقول به ولا يسلم به أحد لأن تلك الاختراعات والاكتشافات عنوان رقى العقل البشرى

وزن الشمس

(دمشق — الشام) أحد القراء

كيف يمكن معرفة وزن الشمس ؟

(الهلال) اذا عرفنا وزن الارض أمكننا أن نحسب مقدار جاذبية الشمس للارض ، ومتى عرفنا مقدار هذه الجاذبية أمكننا معرفة وزن الشمس ، ولا يخفى ان حجم الشمس يزيد على مليون وثلثمائة الف ضعف حجم الارض . ومادتها تعادل ثلثمائة واثنين وثلاثين الف ضعف مادة الارض ومعرفة هذه البيانات تساعد على معرفة وزن الشمس

متوسط درجة الحرارة

(دمشق — الشام) ومنه

هل يتغير متوسط درجة الحرارة لقطر من الاقطار بمرور الزمن وما هو سبب هذا التغيير ؟

(الهلال) يتغير متوسط درجة الحرارة بمرور الاحقاب الطويلة . وسبب هذا التغيير عوامل كثيرة أهمها مركز الارض بالنسبة الى الشمس ، وازدياد المساحات المزروعة فى ذلك القطر . وزيادة القوى الكهربائية فيه . وتغير شكله الجغرافى والطبوغرافى وغير ذلك من العوامل

ديانة اليابانيين

(بغداد — العراق) ح . ك

ما هي ديانة اليابانيين ؟

(الهلال) هى الديانة البوذية ولكنها قد فقدت ما كان لها من السلطة على عقول اليابانيين وأصبح الجيل الحديث من هذا الشعب المستيقظ لا يؤمن بشىء ، والجمعيات التبشيرية على اختلاف نزعاتها تبذل فى اليابان جهود الجبابرة ولكن النجاح الذى قد أصابه لا يبعث فى النفوس رجاء قويا . واننا نعتقد أن المستقبل القريب سيجد اليابان غاطسة فى بحر من «اللادينية» والالحاد

نور الكهربائية

(القاهرة — مصر) حسن الدجوى

كيف ينشىء التيار الكهربائى النور ؟

(الهلال) التيار الكهربائى يسخن السلك المعدنى الدقيق الذى ترونه داخل المصباح الكهربائى ، ومتى اشتدت حرارة هذا السلك الى درجة «البياض» أصبح مضيئاً . وهذا السلك يصنع اليوم من معدن يسمى طنجستن ومن خواصه أنه شديد الصلابة يستطيع احتمال الحرارة مدة طويلة من دون أن يعطب . وقد قضى العلماء أعواما كثيرة حتى وفقوا الى طريقة لصنع أسلاك من هذا المعدن الشديد الصلابة

النور والكهربائية

(القاهرة — مصر) ومنه

أيهما أسرع انتقالا — النور أم الكهربائية ؟

(الهلال) النور . وتبلغ سرعته أكثر من ١٨٦ الف ميل في الثانية . أما سرعة الكهربائية فتتوقف على المادة التي تسرى فيها . ومع أنها قد تبلغ عدة آلاف من الأميال في الساعة الا أنها لا تبلغ سرعة النور أبداً

ميناء الأسنان

(الاسكندرية ـ مصر) حسن ناجي

قرأت في إحدى المجلات العلمية أن ميناء الاسنان مادة سامة . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) الأرجح أنكم قرأتم أن هنالك مادة غازية سامة تدعى فلورين ولا غنى عنها لنمو مادة الميناء أو طلاء الأسنان . وفي الواقع أن هذا الغاز الذي يفني كل مادة حية في حالته النقية هو ، على ما يعتقد أطباء الأسنان ، ضروري لنشوء الميناء

الحصى في جداول المياه

(حلب ـ سوريا) مشترك

لماذا نجد الحصى في جداول المياه مستديرة شديدة الملاسة

(الهلال) لأن الماء الجاري يضربها بعضها ببعض باستمرار فتذهب خشونتها وتستدير ثم يصغر حجمها بمرور الزمن

وادى اريزونا

(دنفر ـ الولايات المتحدة) أحد قراء الهلال

زرت الممر أو الوادى العظيم المعروف في هذه الجهات بوادى أريزونا أو الممر الاكبر فكيف نشأ هذا الوادي ؟

(الهلال) يقول علماء الجيولوجيا ان نهر كولورادو ظل يشقه ويجرى فيه في أثناء الملايين من السنين . وهذا النهر لا يزال يجرى في أسفل هذا الوادى العظيم

الماء المقطر

(دنفر ـ الولايات المتحدة) ومنه

ما هو الماء المقطر وما الفرق بينه وبين الماء الاعتيادى ؟

(الهلال) الماء المقطر هو الماء يحول بخاراً ثم يتكاثف البخار الى أن يتحول ماء مرة أخرى . والماء عندما يتبخر يتجرد من جميع الأوساخ والاقذار والمواد الأجنبية التي قد تكون فيه . فاذا عاد واستحال ماء مرة أخرى كان هذا الماء في منتهى النقاوة والصفاء

سرعة الريح

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ر . ح

ما هي سرعة الريح الاعتيادية ؟

(الهلال) هي ثلاثون أو أربعون ميلا في الساعة وكثيراً ما تصل الى مائة ميل أو اكثر . وفي أثناء الزوابع والاعاصير قد تكون سرعة الريح اكثر من ذلك بكثير ، ولكنها لا تستمر بهذه السرعة طويلا . وعلى كل فان الريح عندما تبلغ سرعتها خمسين أو ستين ميلا في الساعة تحدث أضراراً جسيمة

أعلى أشجار العالم

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ومنه

توجد في جهات كاليفورنيا في هذه البلاد أشجار تسمى سوكويا يقال إنها أعلى أشجار العالم فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) الاشجار التي تشيرون اليها نوعان ـ أحدهما السوكويا الجبارة . والآخر السوكويا ذات الخشب الاحمر . . وقد يبلغ ارتفاع النوع الاول ثلثمائة وعشرين قدما وارتفاع النوع الثاني ثلثمائة وأربعين قدما وقطر الاول نحو خمس وثلاثين قدما ، وقطر الثاني نحو ثمان وعشرين قدما . أى أن الاول (أى السوكويا الجبارة) أثخن جذعا وأقل ارتفاعا من الثاني . على أن هذه الاشجار ليست أعلى أشجار العالم فان في استراليا نوعا من شجر اليوكالبتوس (شجر الكافور) يسمى شجر الصمغ الازرق قد يزيد ارتفاعه على أربعمائة قدم وهو أعلى الاشجار في العالم

ساسة العالم

هل أفلحوا فى توجيه سياسته

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« .. إن توجيه العالم لا يعقل ولا يوافق البداهة مادام الساسة يرتكزون على أمة أمة ، ولا يرتكزون على العالم أجمع .. »

الجواب الوجيز كلا !

والسبب الوجيز أن العالم أكبر من أن يقبض على زمامه رجل وان عظم ، أو دولة وان عظمت ، وكل من استطاع شيئا من التوجيه فانما يظهر أثره بعد أعوام ان لم نقل بعد أجيال

والساسة من حيث القدرة على التوجيه ينقسمون إلى فريقين : فريق الساسة الديمقراطيين أصحاب السلطة المحدودة بالقوانين والنظم النيابية ، وفريق الساسة المطلقين على اختلاف أنواعهم من فاشيين وشيوعيين وعسكريين

فالساسة الديمقراطيون يدينون بالحد من سلطان الحكومة ومنعها أن تتعرض لأعمال الناس فى التجارة والمرافق الاقتصادية على التخصيص ، ذهابا مع الرأى القديم الذى زكاه فى فرنسا دعاة ثورتها العظمى ، وزكاه فى انجلترا أصحاب المصانع والشركات الحديثة الذين استولوا على زمام الحكومة وهزموا المحافظين من أصحاب الضياع الواسعة القائلين بفرض الرسوم على الواردات الخارجية لترويج غلاتهم ورفع أسعارها فى داخل البلاد . فخبطت سياسة المحافظين الراغبين فى تدخل الحكومة واشرافها على المرافق الداخلية وأخذها بسياسة التوجيه والتصريف وانتصر الأحرار – أصحاب المصانع – الراغبون فى اطلاق الحرية وترك التجارة « حرة » فى رعاية قانون العرض والطلب يتولاها بالرواج أو الكساد كما يشاء

ولما كانت سياسة العالم فى العصر الحاضر لا تنفصل عن مسائله الاقتصادية الكبرى ، فليس من الميسور للوزراء الديمقراطيين أن يقبضوا على نواصى الأمور ، ويفرضوا على شعوبهم

خطط التوجيه الواسع البعيد ، سواء قدروا عليه أوعجزوا عنه

أما الحكام المطلقون فقد يلوح للنظر بادىء الأمر أنهم أقدر على التوجيه . وأقمن بتصريف السياسة العالمية على النحو الذي يروقهم . وذلك فى الحقيقة وهم بعيد

إذ الحقيقة ان هؤلاء الحكام المطلقون ينساقون أمام الحوادث ولا يسوقونها ، ويكونون على حد المثل العربى كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه منهم أهيب

فحكام ايطاليا مثلا قد اضطروا اضطرارا إلى الخضوع لحكم « الامتداد أو الانفجار » (Expansion or Explosion) فأقدموا على فتح الحبشة تسكيناً للمطامع التى أثاروها فى نفوس الشبان واصطناعاً للرواج الموقوت الذى ينشأ من انفاق المال على التسليح والتموين . ثم وجدوا أن هذه المغامرة صدمتهم بالدولة البريطانية ، وانهم لا مناص لهم من مخاصمتها والتأهب لحربها ، وانهم اذا حاربوها فلا بد لهم من شواطىء على المحيط الأطلسى يلجأون اليها فى حالة الحصار المحتومة بعد نشوب الحرب بينهم وبين الدولة ، فأقدموا على المغامرة الثانية التى يحاولون بها السيطرة على البلاد الاسبانية والجزر القريبة منها ، وستقودهم هذه الحركة من مغامرة إلى مغامرة وهم مستسلمون للتيار الجارف حتى ينتهى بهم إلى قراره

وكذلك الحال فى المانيا الحاضرة . فقد أفضى بها النظام المطلق إلى مشروع السنوات الأربع ،وهو المشروع الذى يجعلها «معسكراً حربياً» مستعداً للحصار وامتناع التصدير والتوريد إلى زمن طويل . فالآن يتلق الألمان الأوامر حينا بعد حين بما يأكلونه وما يصومون عنه ، ويقال لهم مثلا ان أكل اللحوم من الأرانب والسمك مباح لانها موفورة ، وان الماشية قليلة فى البلاد فلا يحسن الأكل منها بل يحسن الاكثار من زرع البطاطس لانه مولد كاف للحرارة ! ويقال لهم ان استعمال السلال فى حمل المشتريات أولى من لفها فى الورق لحاجة الأمة إلى مادته الأولية . وقس على ذلك توجيه الأفراد فى الطعام واللباس والمنام والرياضة وكل ما يعالجه الانسان من شؤون العيش كأنه جندى فى معسكر محصور ، وتلك حال لا يستقيم معها شأن الفرد ولا شأن الأمة ولا شأن العالم ، ولا بد من عواقبها التى لا فكاك منها لمستبد ولا خاضع لاستبداد

أما الروسيا ــ وهى اكبر الامم التى تجرى فيها الحكومة على سياسة التوجيه ، فدستورها الجديد حبر على ورق ، والحرية فيها معدومة ، يدل على نصيب الروسيين منها تلك المجازر التى يسمونها المحاكمات ويقضون فيها بين آونة وأخرى بالموت على خصوم ستالين ورفاقه ، وقد

خرج الزعماء هناك من توجيه إلى توجيه، ومن مشروع إلى مشروع ،والعمال الذين يقال ان الثورة الروسية انما قامت لانصافهم وترقيه معيشتهم لايزالون يكدحون و ينصبون و يعيشون فى الضنك ولا يظفرون إلا بالقليل البخس من الأجور . فبعد السياسة الاقتصادية الجديدة التى أسسها لنين، قام مشروع السنوات الخمس الأول ، ثم قام مشروع السنوات الخمس الثانى ، والبلاد الروسية باعتراف زعمائها ليست كما يراد لها ، والعالم بأسره على غير ما يودون

ولعل التوجيه الذى يتولاه روزفلت رئيس الجمهورية فى الولايات المتحدة الامريكية هو أبر السياسات بالأمم وأدناها إلى الخير والاحسان ، وخلاصته تكثير المال فى الايدى لزيادة الشراء وزيادة الانتاج وارضاء العمال ورجال المال على السواء ، مع وقوفه موقف الحيدة والانصاف بين جميع الطبقات . ولكن هذا الرجل النبيل أشبه بمن يتناول فى يديه منفاخاً عظيما ينفخ به الهواء فى شراع الحركة الاقتصادية لتجرى السفينة مجراها إلى المرفأ الامين ، فالى متى يصمد المنفاخ العظيم فى يديه ؟ ومتى تهب الريح الطبيعية سهلة رخاء على ذلك الشراع ؟ تلك خبيئة من خبايا الغيب يكشف عنها المستقبل القريب

وسواء صمد المنفاخ فى يدي روزفلت إلى زمن طويل أو تغلبت عليه المكايد والعقبات التى تحدق به من الآن فالتوجيه الامريكى بمعزل عن توجيه السياسة العالمية ، وما يصنعه روزفلت لاتقاء الزوابع فى ولاياته المتحدة لن يعصمها من الزوابع العالميـة اذا حان أوانها ودارت مواسمها على غير ما يرسم من خطة وتقيض ما يرجو من أمنية

***

فزعماء الشعوب اليوم بين رجل لا يعنى «بالتوجيه» لمصلحة بلاده أو لمصلحة العالم بأسره ، أو رجل يعنى بالتوجيه ويخطىء أسـبابه وغاياته ، أو رجل يصيب فى توجيهاته وتنعكس عليه الاغراض والغايات لاتساع الدنيا وتعدد نواحيها وتناقض أهوائها وخضوعها فى الحوادث الكبرى للقوانين السرمدية التى لا تفلح فى دفاعها مشيئة ولا يجدى فى ضبطها حسبان وتقدير

ولا شك ان الجهود الانسانية واجبة ولو تفاقمت حولها الموانع وأحاطت بها دواعى التثبيط ، لان العمل من صفات الحياة والسكون من صفات الموت ، بل لأننا لا نستطيع أن نسكن بلا عمل نافع أو غير نافع. إذ كانت ضرورة العمل قانونا سرمدياً لا تقل عن ضرورة القوانين السرمدية التى تحيط بنا وتحبط أعمالنا فى كثير من الأحيان

فلا ينبغي ان نكف عن العمل بتة ولا أن نيأس من النتيجة المحجوبة ، لاننا نجهلها أو نعلمها

ولا نصل اليها . كلا ! ذلك لا ينبغى ولا يستطاع . وانما علينا أن نسأل : متى يفيد التوجيه فى سياسة العالم أكبر ما في وسعه أن يفيد ؟

وجواب ذلك ان «توجيه» العالم لا يعقل ولا يوافق البداهة ما دام الساسة يرتكزون على أمة أمة ولا يرتكزون على العالم أجمع

فالوزير فى كل بلد من بلاد الدنيا انما يستقر فى كرسيه بارادة ذلك البلد لا بارادة الدنيا مجتمعة أو مفترقة ، فليس فى مقدوره ان يغضب أمته ليرضى أمم العالم إذا فرضنا انها ترضى عنه حين يخدم مصالحها مجتمعات ، ونقول «إذا فرضنا» لان الواقع انه كثيراً ما يغضب كل دولة على حدة إذا لاحظ فى سياسته مصالح جميع الدول . فان هـذه المصالح العامة من طبيعتها ان تكون بعيدة الآثار مؤجلة المنافع ، وفى طبيعة الناس ان يفضلوا القريب على البعيد والتعجيل على التأجيل

فهب وزيراً فرنسياً وثقت به أمته فأجلسته على مقاعد الحكم ووكلت اليه توجيه السياسة الفرنسية ، ورأى هو ان معارضة التسليح فى بلاده وفى البلاد الأخرى اجدى على الدول كلها مع تمادى الزمن وانتظار المستقبل البعيد ، فالذين يستطيعون اسقاطه من أهل بلده ومن ساسة الدول المعارضة لآرائه لا يعنيهم الأمر ولا يحجمون عن محاربته وتصعيب البقاء عليه ، والذين يعنيهم الأمر هم صورة مبهمة لم ينكشف عنها حجاب الغيب ولن تسفر وتنجلى وتملك الامر والنهى إلا بعد فوات الفرصة ونسيان الخلاف

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كيف نقسر الساسة على خدمة العالم وما رأينا قط سائساً واحداً أصابه العقاب على سيئاته واخطائه التى ينساق اليها عفواً أو بتدبير وتقدير ؟

لا أمل فى نجاح التوجيـه إلا اذا افتقر كل سائس من سواس الأمم الى تأييـد العالم كما يفتقر ـ بل اكثر مما يفتقر الى تأييد بلاده

ولا أمل فى نجاح التوجيه إلا اذا تسنى لبنى الانسان احصاء التبعات العالمية وعقاب من يستحقون العقاب عليها

اما قبل ذلك فـكيف ينجح الساسة فى توجيه احوال العالم كله وليس هناك عالم مسموع الرأى ، وليس هناك اتجاه ولا موجهون ؟ !

عباس محمود العقاد

الادب الانشائى يستدعى استعداداً قويا ومزاجا ملائماً ــ كل شىء يصلح موضوعا لمقالة أدبية ــ بماذا يفترق كاتب عن كاتب؟ ــ لكل أديب ناحية يجيد فيها وناحية يقصر عنها ــ خير الكتاب من يقصر نفسه على الناحية التى توافق استعداده

كتابة المقالات

بقلم الاستاذ احمد أمين

هناك أنواع من المقالات يصح أن نسميها مقالات علمية بالمعنى الواسع ، فتشمل المقالات الاجتماعية كما تشمل بحث مسألة أدبية بحثاً علميا ، وهذا النوع سهل على الكاتب متى تيسرت له أدوات البحث من كتب ومراجع ونحوها ، وتوفر له حسن الاستعداد من معرفة بمناهج البحث وأساليبه ، فكل وقت صالح لكتابة مثل هذه المقالات وإعدادها ما لم يكن الكاتب فى حالة استثنائية من مرض ونحوه

وهناك نوع من المقالات هى المقالات الادبية بالمعنى الخاص ، وأعنى بها الادبية أدباً انشائياً صرفا لا أدب بحث ودرس ــ وهذه أصعب من الاولى ، من حيث أنها تتطلب ــ فوق حسن الاستعداد ــ « المزاج الملائم » ، فليس الكاتب فى كل وقت صالحاً ، بل لا بد أن يكون مزاجه ملائما للموضوع الذى يريد أن يكتب فيه ، فان كان الموضوع فكها مرحا فلا بد أن يكون مزاج الكاتب كذلك فكها مرحا ، وإن كان الموضوع عابسا حزينا فلا بد أن يكون مزاج الكاتب من هذا القبيل ، ولذلك قد يمر على الكاتب الاديب أوقات وخلع ضرسه أهون عليه من كتابة مقالة ، واذا هو حاول ذلك فكأنما يمتح من بئر ، أو ينحت فى صخر ، ذلك لان هذه المقالة الادبية لابد أن تنبع من عاطفة فياضة ، وشعور قوى ، فاذا لم يتوفر هذا عند الكاتب خرجت المقالة فاترة باردة ، لا يشعر منها القارىء بروح ، ولا يحس منها حرارة وقوة . ولا يكفى ــ عند الكاتب ــ وجود العاطفة القوية ، بل لابد أن تكون هذه العاطفة من جنس الموضوع الذى يريد معالجته ، فويل له إن أراد رثاء وقلبه ضاحك مرح ، أو أراد فكاهة وقلبه بائس حزين . ومن أجل هذا يحاول الكتاب أن يؤقلموا نفوسهم للموضوع أولا ، فيستلهموا كتابا أو قصيدة أو منظراً طبيعيا أو نحو ذلك من الوسائل الصناعية ــ إن عدموا الوسائل الطبيعية ــ حتى تهيج مشاعرهم من جنس الموضوع ، ثم يأخذوا فى الكتابة فتتدفق معانيهم ، وتغزر أفكارهم ومشاعرهم

وشأنهم فى ذلك شأن كل فنان من موسيقى ومصور ومثال ، فهؤلاء لا يحسنون الاخراج ــ وخاصة اذا أرادو الانشاء ــ إلا فى ساعات خاصة ، هى ساعات هياج مشاعرهم من جنس موضوعهم ،

أما البحث فى لم تهتاج المشاعر فى بعض الأوقات ، ولم لا تهتاج فى بعضها ، وما الوسائل لذلك ، فبحث بسيكولوجى لا يعنينا هنا وان كان الباحثون فيه الى الآن لم يحيطوا بدقائقه وتفصيلاته وأسبابه

* * *

أما موضوع « المقالات الأدبية » فكل شىء فى الحياة صالح لان يكون موضوعا ، من الذرة الحقيرة الى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح الى قصر الملك ، ومن الماضى الى الحاضر الى المستقبل ، ومن أقبح قبيح الى أجمل جميل ، ومن الحياة الى الموت ، ومن الزهرة الناضرة الى الزهرة الذابلة ، ومن كل شىء الى كل شىء

والكاتب الفنى من استطاع أن يجد من كل شىء موضوعا يجيد فيه ويستخرج اعجاب القارىء ، ومن استطاع أن يجد من كل شىء نواة يؤلف حولها مايصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقا تنسيقا يبهر السامع والقارىء ، وهو فى تأليفه قد يضم الشىء الى ألفه وقد يضمه الى نقيضه ، وقد يصل به الكلام فى الذرة الى الكلام فى الشمس ، وقد يصل به الكلام فى النملة الى الكلام فى الله ، ولكن القارىء لا يشعر بمفارقات ولا يشعر بهوة بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه فى حلم لذيذ أو قصة محبوكة

والفرق بين كاتب وكاتب فى شيئين : التلقى والاذاعة ، فالفرق فى التلقى هو أن الكاتب قد يكون دقيق الحس ، يسمع حفيف الاشجار ودبيب النمال ، ويرى دقيق الاشياء فى الظلماء ، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوههم ، وقد يرى بأذنه ويسمع بعينه ، وقد يرى مالا يرى الناس ، ويسمع مالا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بكل شىء فيه ، ويدرك القبح بكل شىء فيه ، حتى كأنه قد منح من الحواس ما لم يمنحه الناس ، وكأن حواسه ليست خمسا وانما هى خمسون أو خمسمائة أو ما شئت — على حين أن أخاه الكاتب الآخر لم يمنح هذا القدر من الحس ، ولم يبلغ هذا المبلغ من الذوق ، قد فاق المألوف من الناس ولكن الى حد ، وتسامى ولكن بمقدار

ويفضل الكاتب الكاتب أيضا فى التلقى من ناحية أن كاتباً قد تتعدد مناحى ادراكه تعدداً متشعباً ، فالطبيعة توحى اليه بأسرارها ، والمجتمع يملى عليه بواطنه ، والحياة كلها لا تضن عليه بخفاياها ، والملح والفكاهات تدخر له أحسن ما لديها . والجد لا يضن عليه بخير ما عنده ، فهو مستودع الأسرار ، وملتقى البحار والأنهار ، ومن يأمنه كل على سره ، ويفضى اليه كل بما يضن به على غيره — على حين أن أخاه الكاتب قد يصل الى بعض الاسرار ، ويدرك بعض الاتجاهات ويعجز عن ادراك البعض ، قد يجيد فهم الطبيعة ولا يفهم للمجتمع سراً ، وقد يجيد فهم الجد ولايفهم للدعابة معنى ، ذكى فى أمر وغبى فى آخر ، منير فى جانب مظلم فى جانب

وأما اختلاف الكتاب فى « الاذاعة » فعلى هذا النحو أيضا ، منهم من يجيدها الى أقصى حد ، فصوته صاف جميل يأخذ بالألباب ، ويستخرج منك العجب والاعجاب ، وهو فى كل ما يغنى معجب

مطرب ، سواء أحزن أو أسر ، وأضحك أو أبكى ، وسواء غنى على العود أو الكمان أو البيان ، وسواء غنى عالياً أو واطئاً ، ـ ومنهم من يجيد نوعا دون نوع : هو فى أحد الانواع ممدوح الصنيع حميد الأثر ، وفى الآخر معيب مستهجن ، يحسن العود ولا يحسن الكمان ، يبنى فى ناحية ويقوض فى أخرى ، يواتيه الطبع فى باب ، فيأتى بالعجب العجاب ، ولا يواتيه فى آخر فمها اصطنع وتكلف فلا يأتى الا بما تستك منه الأسماع

***

ومن اختلاف الكتاب فى التلقى والاذاعة يختلفون فى « القيمة » ، ومع هذا فقد يختلفون فى التلقى والاذاعة معا ويتحدون فى القيمة ، كالمغنيين يختلفان فى «الصوت» الذى يغنيانه ، وفى الآلات التى يوقعان عليها ، ولكن لا تستطيع أن تميز احدهما عن الآخر

فهذا كاتب يجيد فى ناحية من النواحى ، وذاك يجيد فى ناحية أخرى ، وهما فى درجة الاجادة سواء ـ هذا كاتب يعنى كل العناية بشكل المقالة ومظهرها ، فتخرج من يده مرتدية بالملاحة ، موسومة بالظرف ، لها بهاء موفق ، ورونق معجب ، قد قيست كل جملة منها بالمسطرة حتى تكون وفق قرينتها ، ان كان فى أحد أذنيها قرط كان فى الأذن الاخرى قرط مثله ، يوافقه فى الحجم والشكل والطول ، وإن كحلت إحدى عينيها فلا بد أن تكحل الاخرى على نمط الاولى فى دقة وضبط ، حتى تبرز كأنها دمية عاج ، ثم هى بعد خفيفة المعنى ، فاترة الروح ، تشغل الافكار بالنظر الى شكلها عن النظر الى روحها ـ وهذا كاتب آخر لا يعنى فى مقالته بزى ، ولا براعة شكل ، فتخرج نظيفة فى غير جمال ، لا يقف عليها الطرف ولا تأخذ بالأبصار ، ولكنها عميقة المعنى ، رائعة الفكر ، جميلة الروح ، هي كالغانية تستغنى بحسن ذاتها عن التجمل بالزينة ، حسنها كما قال أبو الطيب ـ حسن غير مجاوب ، وجمالها غير مصنوع

ومع الاختلاف بين هذا وذاك فلكل جماله ولكل قيمته الأدبية ، هذا يرضى الخاصة وذاك يرضى العامة ، ولا بد فى الحياة الادبية من النغمتين معاً

***

وليس يشترط فى اجادة الكاتب أن يطرق موضوعا جديداً لم يسبق اليه . بل كل موضوع صالح لأن يكتب فيه ولو تداولته أقلام الكتاب من قبل ، فمن مبدأ خلق الانسان وهو يحب ، ومن مبدأ خلق الادب والحب موضوع للادب . ومع هذا لم تنفد مادته ، ولا يزال الشعر والنثر والغناء والتصوير تستقى من منابعه ، وتكرر أناشيده ، ولكن لا يعد الكاتب فى الموضوع المعاد مجيداً الا اذا أتى بجديد ، غاية الأمر أنه لا يشترط جدة الفكر بل يكفى فى ذلك جدة العرض ، وأكثر الادب من هذا القبيل أفكار مألوفة وآراء معروفة ولكن الاديب يستطيع أن يصوغها صياغة جديدة حتى يخيل للقارىء من جودة الصياغة أنها جديدة الفكرة ، بل ان الكاتب اذا

كثرت آراؤه الجديدة خرج عن أن يعد أديباً شعبياً أو أديب أمة وصار أديباً للخاصة ، لا يقوم الا فى أوساط قليلة . فالوردة الجميلة تعجب الناظر ولو سبق للحديقة أن أنبتت من قبل أمثالها و « الدور » يغنيه المغنى الحديث يطرب ولو سبقه أحد بغنائه

وكل ما يطلب من الفنان أن يجيد العرض ، وأن يكون عرضه ملائماً لشخصيته . أنظر فى ذلك الى الروايات الجيدة ، تجد معانيها فى أغلب الأحيان معروفة ينطق بها العامة والخاصة ، وتجرى على ألسنة الجهلاء والعلماء ، ومع ذلك استطاع الأديب الفنان أن يجعل منها رواية رائعة ، أو قصة بديعة ، أو مقالة شائقة ، وليس له فى ذلك إلا الصياغة وحسن العرض ، قد أخذ الفكرة التى يراها كل الناس ولكنه عرف كيف يلعب بها ويجيد اللعب ، ويقلبها على وجوهها المختلفة ، ويلبسها لباساً جديداً ، قد أسبغ على الفكرة من عواطفه وشعوره ما جعلها جذابة أخاذة ، وهذا هو الجديد فى الموضوع ، فان لكل أديب نفسه وعواطفه وأسلوبه وشخصيته فاذا مزج الفكرة بذلك كله كان فى الناتج جدة . وفى الموضوع طرافة ، كحروف الهجاء ، كل الناس ينطقون بها ولكن اختلفت مناطقهم وأصواتهم وحناجرهم فكانت كأن كل انسان ينطق بها نطقا جديداً ، وكأن الحروف لم تخلق بشكلها الخاص إلا له ، والقطعة من الذهب انما يتفاوت الصائغون بالمهارة فى صياغتها ، والذهب هو الذهب فى أيديهم جميعا

***

وأخيراً ، خير الكتاب من استطاع أن يفهم نفسه ويعرف استعداداته ، فى أى النواحى هو يجيد ، وفى أيها يضعف ، ومتى يرقى ومتى يسف ، قد جرب نفسه أولا فى ضروب الادب المختلفة من قصة وشعر وكتابة اجتماعية وكتابة أدبية ونقد وانشاء ، وقلب نفسه على وجوهها المختلفة ، ولاحظ ذلك فى دقة وعمق ، وعالج مواضع الضعف منها ، ثم استقر بعد السياحة الطويلة الشاقة الى شىء اطمأن اليه ، وهو أن ملكاته واستعداداته يوافقها شىء ولا يوافقها آخر ، وتنبغ فى مواضع وتقصر فى أخرى

فان هو آنس من نفسه ذلك اكتفى بما منحه القدر ، وغنى فقط نوع الاناشيد التى يحسنها ، وطلب السمو فى النواحى التى تواتيه فيها ملكاته ، وإلا اضاع نفسه من كثرة ما يحاول فيما يعجز عنه ويقصر فيه ، فالفلاسفة الى الآن لم يعثروا على الاكسير الذى يجعل الفضة ذهبا أو الحديد فضة فخير لنا أن نبذل جهدنا فى اظهار الفضة بخير مظاهرها من أن نحاول — مع الفشل الدائم .. أن نقلبها ذهبا

أحمد أمين

رجالنا

احمد ماهر ..!

بقلم الأستاذ فكرى أباظه

رئيسى ! . .

هو رئيسى اليوم فى مجلس النواب . وقد أتهم سلفاً « بالمجلسة » و « مسح الجوخ » عند ما أتعرض لتحليل شخصيته . ولكنى أبادر فأرجو من القراء أن يستبعدوا هذا الشك . فانني حين أكتب فى « الهلال » أكتب للتاريخ . ثم ليعلموا بعد ذلك أن « الدستور » يحمينى من « احمد ماهر » فلست أحتاج اليه غاضباً أو راضياً . .

كما أننى وطنت نفسى فى حرفتى الحرة التى اخترتها فى حياتى الحرة أن لايقع «رزق» تحت تأثير أى مخلوق . فأنا محام ، وصحفى ، ونائب ، ومذيع فى الراديو ، وكلها مصادر رزق حرة ليست فى دائرة الضغط الحكومى . فاطمئنوا الى نزاهة المباحث التى تقرءونها فى هذا الموضوع

ثقافته . .

ليست لدى معلومات كافية عن أدوار تعليمه الأولى . ولكنى أعلم أنه كان أستاذاً بارزاً من أساتذة مدرسة التجارة . وأنا دائماً سىء الظن باستعداد اخواننا المدرسين لحياة الجلبة والضوضاء ، وكانت تلك هى نظريتى واعتقادى دائماً حتى أفلت « احمد ماهر » و « مكرم عبيد » من سجن « الاستاذية والتعليم » الى ميدان السياسة فكان لهما الشأن المعروف وحينئذ غيرت نظريتى واعتقادى وعلمت أن الاستعداد الدفين قد يختبىء زمناً طويلا تحت أكوام الوظيفة وتلالها ، ثم يتجلى حين « تنزاح » تلك الأكوام والتلال . .

ولا بد أن « احمد ماهر » قد تثقف جيداً . أعنى لابد أن « تأسيسه العلمى » الأول كان متينا مدعماً . فلست أعلم أنه فى حياته الحالية لديه الوقت الكافى للاطلاع والقراءة العلمية . إذن من أين تأتى ذلك الاطلاع الواسع والالمام المحبوك بفنون الاقتصاد والسياسة والفقه فى آن واحد ؟ عندى حل لهذه المعضلة وهو ما أشرت اليه من أنه لابد أن « تأسيسه العلمى » الأول كان متينا مدعما . ومتى كان الأساس التعليمى الأول قويا فابن ما شئت من القصور والحصون والقلاع على الأساس الدعم المتين . .



ثم لا تنس أن «احمد ماهر» يحظى بنعمة ربانية هائلة قد تصل الى مرتبة الالهام . تلك النعمة الربانية الهائلة هى ذكاؤه السليقى المتوقد المشتعل اللماح السريع الخاطر ، وقد أضعه فى الصف الأول من أذكياء هذه البلاد بل قد يتصدر القائمة اذا استطعنا أن نعد للاذكياء قائمة . .

هذا الذكاء يمتاز بالتخريج . وكم من الأذكياء يفهمون ويدركون ولكن لا يتحركون ولا يخرجون ولا ينتجون. وكم من العلماء الأفذاذ يحصلون ويدرسون ويستزيدون من الفنون ولكن تظل قرائحهم خامدة وتظل رءوسهم بمثابة «مخازن» لا تورد ، ولا تصرف ، ولا تتخلص من البضاعة المتراكمة . . .

«احمد ماهر» اذن تكفيه كمية فنه التعليمى الأول . وبذكائه النادر وقريحته المتوقدة وبتجاربه وذوقه السليم استطاع أن يكون منتجا أكثر من غيره ، ومبتكراً أكثر من غيره . .

واستطاع أن يكون اليوم شخصية من أبرز شخصيات البلد فى عالم السياسة وعالم المال . . .

تناقض !

والافذاذ النوابغ كثيراً ما تتناقض صفاتهم . وتستطيع بكل اطمئنان وهدوء للتحليل أن تقول إن «أحمد ماهر» فى بعض أدوار حياته يعتبر من أفذاذ الصامتين كاتمى الأسرار ، ومن أقطاب الأحاجى والألغاز والطلاسم !!!

ثم فى الوقت نفسه تستطيع أن تقول بكل اطمئنان وهدوء للتحليل إن «أحمد ماهر» فى بعض أدوار حياته يعتبر من أفذاذ «الفضفضين» المندفعين فى الوضوح والافضاء ، ومن أقطاب الصراحة المطلقة التى لا تتقيد بتحفظات ولا اعتبارات ولا ملابسات ولا رسميات !..

ناحيتان متصادمتان عدوتان فى شخصية هذا الرجل : ناحية مظلمة كل الظلام ! وناحية مضيئة كل الضياء ! . . ناحية مستورة كل الستر ! وناحية مكشوفة كل الانكشاف !.. ناحية غير مقروءة ! وناحية مقروءة ! . . .

فاذا سلمت بهذا فاعلم إذن أن «أحمد ماهر» من الآدميين المعروفين فى عالم الفن البسيكولوجى بأنهم من ذوى «الشخصيات المزدوجة» !...

مزاجه ..

و « أحمد ماهر » من ذوى المزاج . والعباقرة العالميون لم تتمخض عنهم المعاهد والمدارس والجامعات ودوائر الحكم والادارات والفنون ، وانما تمخضت عنهم « دوائر المزاج » . ولو كنتم قرأتم تحليلي فى الهلال سنة ١٩٢٧ لشخصية العبقرى « سعد زغلول » ، لعلمتم أننى أرجعت الفضل فى عبقرياته الى « دوائر مزاجه » الليلية لا النهارية . والى تجاربه وامتزاجاته فى حياة السهر والسحر !..

والنوابغ خريجو دوائر «المزاج الخاص» يمتازون عن غيرهم من شعوب هذه الدوائر بأنهم فى النهار شيء ، وفى الليل شيء ! والمدرسة الليلية عندى هى التى خرجت للعالم العباقرة والنوابغ والأفذاذ ... فى مدارس الليل تجارب لا تتوافر مطلقا فى مدارس النهار ، ولم يشتهر سياسى عالمى فى كل أدوار التاريخ إلا وكان «الليل» في تاريخ حياته هو المعلم والمهذب والمدرب الكامل المعدات... ونظرة واحدة فى صفحات تاريخ أبطال المال ، والسياسة ، والفن ، تكفيكم للثقة بصحة ما أقول . فما اشتهر مصطفى كمال ، ونابليون ، وهتلر ، وموسولينى ، وروزفلت ، وركفلر ، ويوليوس قيصر ، وغيرهم حديثاً وقديماً ، إلا وارتكزت شهرتهم على أنهم كانوا « ذوى مزاج » ، وان اختلف المزاج وتنوع ... إلا وارتكزت شهرتهم على أنهم كانوا ذوى تجارب ، والتجارب وافرة المحصول فى الليل ، فقيرة المحصول فى النهار ..

أعصابه ..

ابن حلال ...

ولم أعرف تماماً تاريخ والده المرحوم ولم أدرسه . ولكنى أعلم أن « أحمد ماهر » يشترك مع أخيه « على ماهر » فى عنصر الأعصاب الملتهبة ، المتدفقة ، النارية ، المتأججة ...

أعصاب غير لينة وغير هادئة . فلا بد لها من دائرة واسعة تفرج فيها عن عناء سجنها الجسمى والبدنى . ولا بد لها من مبادىء للثورة ، والضجة ، والنضال ، والمفاجآت . وكما ظل أخوه « على ماهر » زمناً طويلا مصدراً للثورات الادارية والسياسية فى حكمه . ومصدراً للمفاجآت فى حركاته ، ومصدراً للإندفاع القوى فى ابتكاراته . فكذلك «أحمد ماهر» يلعب الدور نفسه فى وظائفه الحرة . وفي مناصبه الكبرى ، وفى « روله » السياسى الطويل ...

فاذا أدهشكم فى تاريخ « الكفاح الوفدى » بنزعاته الجريئة المستهينة بالخطر ، واذا أدهشكم اليوم ابتكاره « الدستورى » النظامى الذى كالسيف فى مضائه وحسمه ، واذا أدهشتكم تصريحاته العديدة المثيرة للأعاصير والزوابع ، واذا أدهشتكم مفاجآته فى مجلس النواب ، فلا تدهشوا . . . هى «أعصابه» الحادة القوية التى تتمتع «باستقلال تام» ولا تخضع لأى اعتبار . والتى تعمل بوحى طبيعتها وبحافز سليقتها والتى لا تتقيد إلا بارادتها على قدر الامكان . وذوو الذكاء وذوو الأعصاب

مندفعون لان كل شيء جاهز للاندفاع : قوة الحكم على الاشياء جاهزة ، وقوة الحركة العصبية جاهزة ، فلا تملك أية قوة تقليدية ، أو عرفية ، أن تحبس هذين العاملين الطبيعيين عن الانطلاق

والمبتكرون المجددون الثائرون على التقاليد الجامدة الميتة العتيقة البالية لا يبالون بالمواريث السخيفة . بل يكوّنون الاعتقاد بسرعة البرق ويعلنونه بسرعة البرق . . . ولا تنزه « الاندفاع » عن الأخطار كما يجب ألا نحرمه من أنه مفيد . والظروف وحدها هى التى تحكم على وجه الفائدة أو وجه الضرر . . .

والغريب فى أمر بطلنا هذا انه أثبت صلاحيته كل الصلاحية للزعامة الدستورية الديمقراطية . ولكنى قلت قبلا انه « شخصية مزدوجة » فما رأيكم أنه يصلح — أيضا — كل الصلاحية للزعامة الدكتاتورية الأوتوقراطية ! ! !

هو حاسم وسريع البت ومبتكر . وتلك صفات أبرزته كزعيم من زعماء الشورى والدستور والديمقراطية . ولكنها — أيضا — صفات الدكتاتورين ! . . .

أنا واقع فى حيرة . فتفضلوا وشاركونى فى هذه الحيرة . . .

مرتب ! . .

وهو رجل مرتب ومنظم . يعد لجلساته كل عدته فلا يحتاج فى المفاجآت واللحظات الحرجة الى تردد أو تفكير طويل . هو جاهز لكل مباغتة لانه درس واجبه قبل الانغمار فيه . . .

ويساعده ذكاؤه كل المساعدة فى السرعة والبت العاجل اطلب اليه مرة أن يسرع فى اعداد تقارير الميزانية لمجلس النواب ، وذلك عمل ضخم عنيف فاحتجز نفسه من الساعة الثامنة صباحاً الى الساعة التاسعة ليلا فى غرفته بمجلس النواب وخرج ومعه كل تقارير الميزانية معدة للطبع والتوزيع . . .

وكان عمل السجين محل دهشة الجميع . ثم زادت دهشتهم لما عرض التقرير على المجلس فكان من أبرعها وأروعها وأدقها وأحكمها . . .

خطيب من نوع خاص

هو خطيب من نوع خاص . . له طريقته وله أسلوبه الخاص . .

ليس من زعماء البلاغة ، وليس من زعماء اللغة العربية الفوارة المهلهلة المثيرة ، ولكنه بلغ الذروة والقمة « بمنطق » لا يجارى . وطريقة « عرضه » منقطعة النظير . وله ميزته فى اختيار الألفاظ الحاسمة والجمل المقنعة ، وهى بلاغة لها جمالها وجلالها وتأثيرها العميق . .

وأبدع ما فى أسلوب خطبه هو انه لا يتكلف ! ولا يحاول أن يخفى مواطن الضعف فى قضيته بل يبرزها علية كحقيقتها ، ثم ينثنى عليها « بالمنطق » فيقويها ويسرد الأعذار والظروف فيستميل سامعيه باعترافاته ، لا بمغالطاته . .

قلب الحنون . .

واليكم دليلا آخر على أنه متناقض فى كثير من الصفات . ذلك الجرىء الشجاع المندفع المستهين بالعواقب « ضعيف القلب جداً » أمام حبات القلوب . .

حبه لأسرته وذريته حب فيه من الحنو ، والضعف ، والاشفاق ، ما يدهش له علماء فن « الآباء والاولاد » ! . . تلك العاطفة الابوية الفياضة التى تسيل عطفا وغراما وهياما لا تماشى عاطفة النضال والكفاح والانغمار فى الاخطار . .

وعبثا تحاولون أن توفقوا بين الصفات المتناقضة فى ذوى الشخصيات المزدوجة . .

هل له برنامج ؟

لا شك أن « أحمد ماهر » من عهد رياسته لمجلس النواب الى اليوم استهدف لعجب أصدقائه واخوانه . ويظن البعض منهم أن « احمد ماهر » قد رسم لنفسه ولمستقبله برنامجا معينا . وانه لا يحدث أحداثه عفواً ، وإنما تعمداً . . وانه يسير على خطة محبوكة الاطراف رسمها لنفسه المستقبلة

وقد يبدو أنه ليس من حقى أن انغمر فى هذا البحث . وانه كان من الواجب أن يظل فى دائرة اختصاصه . ولكنى لا أعبأ بذلك الاعتراض البروتوكولى فأنا محلل فنان فى علم الشخصيات وواجبى يقضى على بأن أبدى رأيى فى الموضوع . . وخلاصة رأيى حرف واحد : لا ! . .

هو لا ينفذ برنامجا ولا يعلن خطة . وانما هو اليوم لا يقيد رأيه ولا اعتقاده ويرى أن الظروف الجديدة تستدعى تقليداً حراً جديداً ليس إلا . .

وذوو الاعصاب الملتهبة لا يضعون خططا ولا برامجا . وانما ينفذون بسرعة وبدون تردد وحى الطبيعة . وقد يكون التنفيذ فى مظاهره وشكلياته قاسيا بعض القسوة ، أو جامحا بعض الجموح ، أو غريبا على أفهام الذين لم يتعودوه ، ولكنه لا ينم عن خطة مكتومة ، أو برنامجاً غير معروف . .

الى هنا أود أن أنتهى . وبرفع النظر عن « خصومتى الحزبية » التى لا تزال قائمة بيني وبين من حللت شخصيته ، فاننى أود أن يظل فى مستقبله كما هو فى حاضره . وأتحفظ فأقول إن حكمى الذى قرأتموه هو حكم أكثره عن الحاضر ، وأقله عن الماضى ، أما المستقبل ففى علم علام الغيوب !

فكرى اباظه

المحامى

كانت مصر حارسة المدنية
فى عصور السيادة والمجد

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

« لم يكن ذلك التقدير الاجماعى المؤثر الذى وجهته الدول الى مصر من منبر جمعية الامم ، مجاملة ودية فقط ، ولكنه يقوم على حقائق التاريخ الخالدة »

فى الجلسة التاريخية التى عقدتها جمعية الأمم فى السادس والعشرين من شهر مايو بقبول مصر الفتية فى سلك الدول المستقلة ، وجه ممثلو الدول الكبرى والصغرى الى مصر آيات باهرات من الثناء والتقدير ، فنوهوا بماضيها المجيد وحضارتها الأثيلة وفضلها على المدنية منذ العصور الغابرة .

واذا كانت مصر قد حظيت من قبل بمثل هذه الاشادة بمكانتها العريقة وماضيها المؤثل فى بعض المباحث التاريخية الغربية الجليلة ، فانها لم تحظ من قبل بمثل هذا التقدير الاجماعى المؤثر من أعظم منابر السياسة الدولية ، وقد كانت السياسة الدولية تنكر عليها من قبل أبسط حقوق الأمم

فمصر تحظى بهذه الاشادة الدولية العظيمة لأول مرة فى تاريخها ، ومن حق مصر أن تسجل على الغرب اعترافه وتقديره ، وأن تفخر بهذا التقدير وتعتز ، وأن ترتد الى ماضيها لتتبين أسباب هذا التقدير فترى أنه لم يكن مجاملة سياسية من دول صديقة فحسب ، ولكنه يقوم فى الواقع على حقائق التاريخ الخالدة . واذا كانت العقلية الغربية ترتد فى هذا التقدير دائما إلى عصور مصر الغابرة ، فانه يفوتها دائما ان ترتد الى عصور أحدث وأقرب الينا أدت مصر فيها خدمات جليلة للتاريخ ، وكانت حارسة المدنية بوجه عام وحامية الحضارة الاسلامية بوجه خاص ، وكانت درعا للشرق والغرب معا ضد فورات وانفجارات عظيمة ، كادت غير مرة أن تكتسح المجتمع المتمدن كله ، وأن تهدم صروح المدنية جميعا

كانت الحروب الصليبية أولى هذه الفورات العالمية الخطيرة التى قامت مصر بأكبر عبء فى ردها وسحقها ، وكانت مصر وقت انفجار هذه العاصفة المروعة سيدة الأراضى المقدسة التى كان استردادها ذريعة ظاهرة لتقاطر سيل الحملات الصليبية الى المشرق ، بيد أن الحملات الصليبية التى قامت باسم الدين وتحريض الكنيسة ، لم تلبث ان استحالت الى حملات مخربة ناهبة تقصد الى تحقيق الثمار والمغانم الدنيوية ، واستخلاص ثروات المشرق العظيمة التى كان مجتمع الفرسان والسادة فى الغرب يرمقها بعين الجشع ، وكانت الحروب الصليبية من أعظم وأخطر مواطن النضال بين

الشرق والغرب والاسلام والنصرانية ، وكانت بالنسبة للاسلام معركة حياة أو موت ، وكانت مصر بموقعها الجغرافى وسيادتها على فلسطين والشام أعظم ميدان لهذه الحروب البربرية التى استطالت احداثها ومعاركها زهاء قرنين . ومنذ أواخر القرن السابع من الهجرة (١٠٩٠ - ١٢٨٠ م) تخوض مصر هذا النضال المضطرم ، لادفاعا عن نفسها وكيانها فقط ، بل ودفاعا عن الاسلام والمدنية الاسلامية أيضا ، ولم يفت فى عزمها أنها هزمت فى المعارك الأولى ، وقامت فى أرضها بفلسطين مملكة لاتينية نصرانية ، بل استأنفت النضال واستطاعت فى عهد صلاح الدين أن تسحق المملكة اللاتينية وأن تسترد بيت المقدس ومعظم فلسطين ، وأن تهزم الصليبيين فى عدة مواقع حاسمة ، واستطاعت بعد ذلك أن ترد الغزاة الصليبيين غير مرة عن ثغورها وأراضيها وأن توقع بهم هزيمة المنصورة الساحقة (١٢٥٠ م) وأن تسترد معظم قلاعهم فى الشام (١٢٧١ م) وأن ترد بذلك خطرهم نهائيا عن مصر والشام والمشرق بوجه عام . ولقد كانت مصر تقوم فى الحروب الصليبية فوق دورها القومى ، بدور انسانى جليل ، فقد استطاعت برد الخطر الصليبى أن تحمى الاسلام والمدنية الاسلامية ، وعاونت فى الوقت نفسه بتحطيمها للفروسة الفرنجية على انقاذ المدنية البيزنطية والمدنية الغربية بوجه عام من عواقب هذه الفورات المخربة التى كادت تكتسح فى طريقها كل العوامل والقوى الانسانية والعمرانية سواء فى الغرب أو الشرق

وفى منتصف القرن السابع الهجرى دعيت مصر لمواجهة خطر داهم آخر هو الخطر المغولى . ففى سنة ٦٥٨ ﻫ (١٢٥٨ م) انقض هولاكو بجيوشه كالسيل على بغداد وسحق الدولة العباسية وقتل المستعصم آخر خلفائها ، ثم انساب هذا السيل نحو الغرب بسرعة مدهشة ولم يمض عامان حتى افتتح المغول بلاد الشام ، وزحفوا جنوبا نحو فلسطين ، ولم تكن غزوات المغول فتوحات منظمة تختفى فيها دول مغلوبة وتقوم دول ظافرة ، ولكنها كانت وابلا من السفك والتخريب المطبق يحمل فى طريقه كل شىء

وكانت مصر ترقب هذا الخطر الداهم فى جزع ولكنها كانت تستعد لمواجهته ورده بكل ما ملكت من عزم وقوة . فلما بعث هولاكو رسله الى سلطان مصر ، وهو يومئذ الملك المظفر قطز يطلب اليه الخضوع والتسليم ، أجاب المظفر باعدام الرسل وتعليق رءوسهم على باب زويلة ، وفى الحال سارت جيوش مصر للقاء المغول فردتهم عن أسوار غزة واشتبكت معهم فى معركة عظيمة حاسمة فى عين جالوت على مقربة من بيسان (سبتمبر سنة ١٢٦٠) ، وفى عين جالوت أحرزت مصر نصراً باهراً واستطاعت أن ترد الغزاة البرابرة على أعقابهم ، وأن تستخلص الشام منهم وأن تقف هذا السيل المخرب فى طريقه . وكان يوما عظيما لا فى تاريخ مصر وحدها ، ولكن فى تاريخ المدنية كلها . ذلك لأن السيل المغولى كان ينذر باقتحام المشرق الى المغرب ، وتقويض أسس الاسلام والمدنية الاسلامية . ولو اجتاح المغول مصر لاجتاحوا المغرب والاندلس وربما اوربا ، ولانهارت صروح

المدنية كلها من شرقية وغربية ، ولكن مصر استطاعت فى عين جالوت أن تنقذ الاسلام والمدنية كلها ، ولم تكن موقعة عين جالوت أقل خطراً من موقعة شالون التى هزم فيها « الهون » على يد القوط والرومان (سنة ٤٥١ م) بعد أن اجتاحوا أوربا كلها ، والتى تنوه التواريخ الغربية بفضلها فى انقاذ المدنية الرومانية

وفى أواخر القرن الثامن اجتاح التتار الأمم الاسلامية من سمرقند الى الشام ، وانقض تيمورلنك فى جموعه الجرارة على الشام فاستولى على حلب فى مناظر مروعة من السفك (سنة ١٤٠٠ م) ثم اخترق الشام جنوبا الى دمشق ، وهرع سلطان مصر الناصر فرج الى ملاقاته على رأس جيوشه ، واشتبك جنود مصر مع الفاتح فى عدة معارك غير حاسمة . ولم يكن الخطر التترى أقل روعة من الخطر المغولى ، وكانت له نفس النتائج المخربة فى جميع الممالك الاسلامية التى حل بها ، ولو لم يشغل تيمورلنك بشئونه الداخلية أولا ، ثم بصراعه مع الترك العثمانيين ثانياً ، لكان الخطر على مصر والمدنية الاسلامية أشد وأعظم ، ومع أن مصر لم تقم فى هذا الموقف بدور حاسم ، فانه لا ريب أن قوة مصر ، ووقوفها فى وجه الغزاة ، واستعدادها لردهم ، كانت عاملا قوى الأثر فى صرف الغزاة وفى تبديد هذا الخطر الداهم

وأخذت مصر ترقب بعد ذلك خطراً جديداً ينذر بالانسياب نحو حدودها الشمالية أى نحو الشام . ذلك هو خطر الترك العثمانيين الذين سحقوا الدولة الشرقية واستولوا على القسطنطينية آخر معاقلها ، ودفعوا فتوحاتهم جنوبا حتى حدود مصر الشمالية وأخذوا يتحرشون بها من وقت الى آخر . وكانت مصر يومئذ تجوز دور انحلالها بعد عصور طويلة من القوة والرخاء والمجد ، فلما انفجر بركان الخطر وانقضت الدولة العثمانية الفتية على مصر ، سقطت مصر صريعة فى نفس الميدان الذى لبث عصوراً مسرحا لظفرها وانتصاراتها . وكان استيلاء الترك على مصر كارثة على العالم العربى والاسلامى كله . فقد كانت مصر آخر معقل للاسلام وحضارته ولو استطاعت مصر أن تقف سيل الغزاة الترك فى « مرج دابق » لما حلت كل هذه المحن بالعالم الاسلامى ، ولما لبث الاسلام يرسف عصوراً فى ظلمات العهد التركى ، ولما انحدرت المدنية الاسلامية الى هذا الدور من الانحلال

والخلاصة أن مصر قامت بمهمتها الانسانية الجليلة عصوراً مديدة . ولم تكن من منشئ المدنية ومن حراسها فى تاريخها الغابر فقط ، بل كانت من عمدها وحراسها طوال العصور الوسطى ، وقد حملت قسطها من رعاية المدنية وحمايتها فى أزمات ومواقف داهمة

فاذا كانت الدول التى كانت تنكر عليها بالأمس حقوقها وأهليتها لأن تتبوأ مقامها بين الدول المستقلة ، قد رأت أن تسدى اليها عقود الثناء والتقدير من منبر جامعة الأمم ، واذا كانت قد رأت أن تشيد بتاريخها المؤثل وحضارتها القديمة الباهرة ، فانما هو صوت الحقيقة الخالدة يدوى بعد أن أخمدته عصور من المحن والتحامل والنسيان

محمد عبد الله عنان

حملة تركية على مصر

بقيادة الخديو السابق

ذكريات تاريخية للأستاذ احمد شفيق باشا

هذه صفحة مطوية من تاريخ مصر ينشرها اليوم المؤرخ المحقق الاستاذ احمد شفيق باشا ، فى الحلقة الاخيرة من سلسلة ذكرياته ، وهى تبين كيف حاول الخديو عباس حلمى استرداد عرشه بحملة جردتها الحكومة العثمانية على مصر

فى ٨ يناير سنة ١٩١٥ قابلت البرنس ابراهيم حلمى ، فسألنى عما اذا كان الخديو عباس يقبل العودة للاستانة ، ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سردارا له ، لأن الأتراك فهموا الآن ضرورة ذلك بعد الانقلاب التى حصل فى مصر . وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : « ما أظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والأحسن ترك هذه المساعى لتصنع الحكومة ماتراه صواباً ، خصوصاً وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك . وأن الأصوب تعيين قائم مقام خديو لمرافقة الحملة خوفاً من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو تعيين جمال باشا القائد العام قائمقام لسموه » فطلب منى البرنس ان أقابله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

وفى يوم ١٠ يناير قابلته وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائمقام خديو ليرافق الحملة نائباً عن سموه ، فوافق عليها ، ثم قال لى : انه فكر فيما قلته له فى المقابلة الأولى وانه يجب التعجيل بصدور هذه الارادة . وأما ما يحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لا يهمه . ثم قال : «ولو انى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا انى الآن بعدما عرفته من الحوادث الماضية ، وبعد ماسمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه الى التهلكة »

ثم تحدثت مع سموه فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد مهمة الحملة على مصر الى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، مع احترام الفرمانات ، فقال: « ان الاتراك لايعملون عملا بطيبة خاطر، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجبروهم على اصدار هذه الارادة » ثم ضرب مثلا لذلك اجبار الالمان اياهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة الى فينا

وفى اليوم نفسه قابلت الصدر ، وتحدث معى ساعة كاملة ، ومما قاله لى : «ان الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر ، وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القنال تتم ، وعما قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرما »

ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ، وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا أو تولية غريب عن العائلة كما سمعت أن «أغا خان» الهندى كان مرشحا لهذا المنصب . فقال : « إن هذا خطأ ولا يمكن اجراء هذا العمل من جانب انجلترا ، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية » ثم قال : « والحقيقة هى أن البرنس مدين ، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفى يوم ١٥ منه قابلت سفير المانيا ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة ، أبلغته فى أثنائها تحية الجناب العالى ، وأخبرته بكل معلوماتى عن الحالة السياسية ، وبارتياح الخديو لوجوده فى فينا واتصاله بسفيرى المانيا والدولة وناظر خارجية النمسا ، وما دار من الحديث بينه وبين امبراطور النمسا . ثم تفاهمت معه بصفة شخصية فى ضرورة اصدار ارادة شاهانية يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر انما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التى نالتها مصر من قبل ، وما ينتجه هذا التصريح من الطمأنينة ومن انجاح الحملة فى مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقنى السفير قائلا : « نعم إن هذا ضرورى ، وأعضاء الحزب الوطنى بجنيف يلحون فى ذلك ، وقد تحدثت مع الصدر فى هذا الموضوع ، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه فى ذلك ، فقلت له : « لا ، أعفنى من هذه المهمة لأن الاتراك لا يحبون التدخل فى شئون حكومتهم وربما قالوا : « ما لهذا الذى يريد أن يعطينا درسا ؟ ! » قال السفير : « اذا كان الأمر كذلك فقل للصدر انى كلفتك ذلك » فقبلت . ثم أفهمته أن الانجليز يخدعون المصريين ويقولون لهم : « هانحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة وسنعطيكم الحرية والدستور ، أما الأتراك اذا دخلوا مصر ، فانهم ينهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها ، فاذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ وبرجوع خديويهم المحبوب لبلاده ، فانهم لا يعبأون بخداع الانجليز » .
وبعد هذا سألنى السفير عما اذا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز ؟ فأجبته بأن ذلك محتمل اذا نجح الاتراك فى عبور القنال ، لأنه فى هذه الحالة يضمن الثائرون النتيجة ويأمنون الانتقام منهم ، أما الآن فلا يجرءون على ذلك

وفى يوم ١٦ يناير ذهبت ومعى جلال الدين باشا وعارف باشا الى منزل الصدر فى استامبول فوجدنا البرنس ابراهيم حلمى ، فقلت له : « ان سفير المانيا تحادث معى فى ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر ، وطلب منى ان اذكر لفخامتكم بذلك » وما كدت انتهى من هـذه الجملة حتى قال لى بحدة : « مالى أراكم تستعجلون هذا الطلب يا مصريون ؟ فمنذ شهرين

وأنتم تلحون علينا » قلت : « ان هذا فى صالح الحملة حتى يطمئن الاهالى فى مصر » فقال : « بل فى صالحكم أنتم ! » ثم قال : « هذه الارادة ستصدر فى حينها » فتحدث عارف باشا وجلال الدين باشا فى وجوب اصدارها فقلت : « مادام فخامته قد وعد بأنها ستصدر فى الوقت المناسب ، فنحن نكتفى بهذا الوعد ، وذلك لأسجل عليه ما قال » وخرجنا

وفى يوم ٢٤ منه قابلت سفير المانيا فأخبرته بأنى أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة فوجدت منه امتعاضاً ، وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ـ أعنى السفير ـ فضحك وقال : « انما أجابك بأن الارادة ستصدر لا محالة فى وقتها المناسب » قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القناة » وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية أعددته بناء على طلبه فى المقابلة السابقة وهو :

أولا : نظرا لكون انجلترا منعت الجناب الخديو من الرجوع الى مصر بدون حق فمهمة الجيش ارجاع سموه لعرشه ، وثانيا : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ ، وثالثا : تعلن الحكومة العثمانية انها لا تبتغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى . وبعد الاطلاع عليها أعادها الى قائلا : « ابقها لوقتها ، وسأقابل الصدر واطلب منه الاسراع فى اصدار الارادة » . وأخيراً أخبرته أن أمر الخديو بتعيين البرنس ابراهيم باشا حلمى لمرافقة الحملة قد أرسلت صورته للجناب العالى لتوقيعه

وفى أول فبراير وصلت الى أوامر من فينا بالبريد ، من بينها حجز الف جنيه من المبلغ الموجود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابراهيم حلمى ، وانه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الارادة الخديوية ، احداهما للبرنس بانتدابه والأخرى للصدارة لاخبارها بهذا الانتداب

ثم تقرر أن يذهب البرنس ابراهيم حلمى للصدر لجس نبضه فيقول له : « ان الجناب الخديو لما علم بقرب وصول الجيش للقنال أرسل الارادة بتعيينى مندوبا من قبله ، فهل يرى الصدر مانعاً من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده !

وفى اليوم التالى تقابلنا فأخبرنا أن الصدر لايرى مانعاً ، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يجب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائمقام فى مصر ، فكان يجوز له عزله واقامة البرنس مقامه . أما الآن فانه يوجد فى مصر سلطان مناظر له ، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة ، فاجابه البرنس بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رجاله ومعداته ولكن الحكومه التركية أرجعتهم ثانية ، فقال الصدر : « نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان . أما فى هذه المرة فسيطلب الخديو للسفر فى الوقت المناسب » ولما سأله البرنس عما اذا كان سيشار الى ذلك فى ارادة شاهانية تصدر من السلطان ؟ قال : « نحن لا نقبل شروطا مطلقا ،

ونحن لا نرجو الخديو ، وفقط عند ما يحين الوقت نكلف سفيرنا فى فينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة ، فان قبل كان بها ، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! أما اذا كان يعتقد بأنه سيركب وابوراً من ترستة ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لن يكون »

وأخيرا صدرت الارادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بارجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التى خولتها اياها الفرمانات العثمانية

وفى يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم حلمى أن الصدر قال فى معرض الكلام عن مصر . « اذا لاقدر الله لم ندخل مصر ، فاننا نطلب فى مؤتمر الصلح ارجاعها الى ما كانت عليه ، بما فى ذلك عزل البرنس حسين ، أما اذا دخلنا فاننا سنشنقه أمام ضوله بغجه ، ولكن طلعت بك ناظر الداخلية يرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرون ويستحسن شنقه على الجسر » ! !

احمد شفيق



ليلة وصباح

للاستاذ فخرى أبو السعود

بدا صبح على الدنيا منير	زهت فيه الشواطىء والبحور
نما فى الشط أو فى الأفق الا	سنىً أو ندىً أو نضير
تنفس كل فج من همود	وعاوده مع الصبح الحبور
كأن الطير والأشجار هبت	تناجى : قد أتى صبح طرير
وهبت نسمة ، فى صفحتيها	تمازجت الطراوة والعبير
ولاح اليم فى عظم ورحب	وديعاً مثلما سكن الغدير
وقر كأن كفاً مهدته	ولان كأن ملمسه حرير
وشف فبان للرائى حصاه	وراق كأنه عذب نمير
واهدى موجه الشطان فوجا	ففوجا ، خافتاً منه الخرير
يكر على صخور الشط هيناً	رفيقا ، ثم تثنيه الصخور

اذا ردت مغيراً راجعتها فلول منـه عائدة تغير
اذا طافت به الامواج زرقاً بأكناف الصخور لها صرير
ثناها الصخر بيضاً ناصعات كما افترت عن الدرر الثغور
وفوق اليم حول الأفق غيم عليه منه قد شقت ستور
فلست تخاله غيما ولكن غشاء قد تجسم فيه نور
كأن اليم لم تك امس تدوى بضجته السواحل والبرور
يثور على الشطوط كما تأبىّ على أقيـاده ليث اسير
ينفض في الشواطىء لبدتيه كما يتوثب الاسد الهصور
تشب برائن الأمواج منه تُليح الى الفرائس أو تشير
يكر على صخور الشط شداً وليس بنى حواليها يمور
فتغرق فيـه آناً ثم تطفو ترائبهـا عليه والنحور
يحور على جوانبها رغاء تساقط أو رشاشاً يستطير
وفى آذيه للـريح دفع وفى أجوازه منها صفير
لها فى حينما انطلقت صياح يصيح الويل فيه والثبور
وفوق عبابه غيم كثيف يلوح وراءه قمر حسير
كليل الضوء تحسبه مروعا لهول اليم أفزعه نذير
تحف به نجوم واجمات روان .مثله لليم صور
كأن بها حذاراً أن تهاوى ويدرك أفقها الموج الجسور
مضى ذاك الهياج فلا وثاب تضج له الشطوط ولا زئير
وولى والدجى فزع الأواذى وسكن روعها الصبح المنير

فخرى أبو السعود

الطريقة المثلى للامتحان

كيف تعين مستوى التلميذ العقلي

وكيف تبين درجة تحصيله للعلوم

يختلف مستوى القوى العقلية بين الناس باختلاف الأفراد . ومرجع هذا الاختلاف الى أسباب كثيرة أهمها ـ على ما يقول الخبيرون بشؤون التعليم ـ ثلاثة ، وهى : الوراثة ، والغدد ، والبيئة ، وهذه الأسباب تعلل ما نراه من اختلاف الميل والمشارب بين طلبة العلم ، فمنهم من يميل الى علوم الأدب والاجتماع ، ومنهم من يجنح الى الرياضيات والعلوم الطبيعية ، ومنهم من يفضل عليها الفلسفة أو غيرها من العلوم . ولم يستجل العلماء حتى الآن سر اختلاف هذه الميول ، والأرجح أنه ناشىء عن اختلاف افرازات الغدد الباطنية المعروفة بالغدد الصم ، والتى هى على ما يقول العلماء سبب اختلاف الصفات والطباع والأخلاق . فاذا وجدت طالب علم يجنح الى الفلسفة وهو ضعيف فى الرياضيات ، أو يميل الى الشعر وهو ضعيف فى العلوم المالية ، أو يحب الفنون الجميلة ويكره الكيمياء فليس فى ذلك ما يدعو الى الدهشة ، لأن الانسان مسير فى ميوله لا مخير ، وهو عبد لما تفرزه غدده الباطنية ، وإن كان لا يشعر بتلك الافرازات

وقد تستطيع أن تجعل من الغدد والوراثة عاملا واحداً ، وأن تتتبع تأثير هـذا العامل فى تكييف القوى العقلية . فى مقدمة ما يرثه الانسان عن والديه مواد تفرزها الغدد الصم فى داخل جسمه وتنشىء فيه طباعا وأخلاقاً مختلفة : فهى التى تجعله شجاعا أو جبانا ، كريماً أو بخيلا ، ذكياً أو بليداً . نعم انه ليس من المحتوم أن يرث كل فرد من والديه الافرازات نفسها ، ولكنه يرثها فى الغالب أو يرث معظمها . ولذلك ترى الذين ينبغون فى الموسيقى مثلا يخلفون أولاداً يميلون الى الموسيقى . والذين يمتازون بالميل الى الرياضة يمتاز أولادهم بذلك الميل . نعم ان لهذه القواعد شواذ كثيرة ولكن الشواذ ـ كما يقول الأوربيون ـ كثيراً ما تكون برهانا على صحة القاعدة

وعامل البيئة أيضا يؤثر في توجيه ميل التلميـذ . فالطفل الذى يعيش فى بيئة تسودها الفنون الجميلة ينشأ وفيه ميل الى هذه الفنون . والذى يعيش بين قوم منصرفين الى الشؤون التجارية ، ينشأ وفيه ميل الى الانصراف اليها هو أيضاً . وهذا الميـل يتولد فيه وهو لا يكاد يحس به ، ثم يقوى ويشتد الى أن يتغلب على كل ميل آخر سواه

توجيه التلاميذ وطرائقه

وهذا ما يشجع القائمين بشؤون التعليم على السعى الى توجيه ميول التلاميذ الى مناح مختلفة. وكون التلميذ غير ميال ـ بحكم الوراثة ـ الى فرع معين من العلوم والفنون لا يثبط عزيمتهم ولا يصرفهم عن السعى الى توجيه ميله الى ذلك الفرع لتمكينه منه وتخريجه فيه ، إذ هم يعلمون ما للبيئة من الأثر فى تنشئة الميول وتوجيهها . نعم قد يعجزون عن إيصال ذلك التلميذ الى درجة النبوغ فى علم من العلوم ، ولكنهم لا يعجزون عن إيصاله الى مستوى يدعو الى الرضا . وبعبارة أخرى ـ انك قد تعجز عن جعل التلميذ شاعراً اذا لم يكن فيه ميل غريزى الى الشعر ، ولكنك لا تعجز عن تعليمه فنون الشعر وما يتصل بعلم العروض . بل لقد تستطيع أن تعلمه النظم فيصبح ناظما ولو لم يصبح شاعراً

ثم ان المستوى الذى يبلغه التلميذ يختلف باختلاف أساليب التعليم التى يسير عليها . وهذه الأساليب تختلف باختلاف استعداد الشعوب وميولها وأذواقها . فقدماء اليونان مثلا كانوا يتبعون طريقة السؤال والجواب . أى ان الانسان كان اذا أراد ترسيخ حقيقة علمية أو فلسفية فى ذهن التلميذ ألقى عليه طائفة من الأسئلة ينتقل من الواحد منها الى الآخر الى أن يصل بالتلميذ الى الحقيقة المراد ترسيخها فى الذهن . وتعرف هذه بطريقة السؤال والجواب « الديالوج » أو بالاسلوب الحوارى ، وعليه جرى سقراط وأفلاطون وارسطوطاليس

وهنالك أيضاً طريقة تعليمية أخرى وهى طريقة إلقاء الخطب ـ ويسمونها فى مصر «المحاضرات» مع أن للمحاضرة فى اللغة مدلولا آخر ـ ومع أن هذه الطريقة شائعة في معظم المدارس الجامعة فى العالم ، فلا يمكن الاستغناء بها عن الكتب المدرسية . أما الطريقة القديمة ونعنى بها تحفيظ التلميذ الدرس عن ظهر القلب ـ وهى على الأرجح أقدم طرق التعليم المعروفة ـ فلا تزال منتشرة فى كثير من مدارس العالم ، مع ما لها من الحسنات والسيآت ، وأفضل ما تكون في القواعد والمعادلات الرياضية والأوليات وما اليها

وهنالك أساليب أخرى لا يتسع المجال للكلام عليها ، وأكثرها معروف منذ أقدم الازمنة . ومما يجدر بالذكر أن هذه الاساليب لم يطرأ عليها بمرور الزمن الا تغير طفيف ، مع أن هذه التغيرات التى طرأت على العلوم نفسها وعلى مناهج التعليم عظيمة جداً

نظام العلامات العددية

على أن المستحدث فى أسلوب التعليم هو نظام العلامات العددية التى يراد بها تعيين مستوى التلميذ العقلى وتبيان درجة تحصيله . وأغلب المدارس الاميركية تجرى فى هذا الشأن على نظام

الارقام العشرية ، فالتلميذ الذى يصل الى درجة الكمال فى تحصيله يمنح الرقم « ١٠ » أو « ١٠٠ » فاذا كان مبلغ تحصيله أقل منح رقما يناسب درجة ذلك التحصيل ـ ٩ ونصف أو ٩ أو ٨ وهلم جرا. ولكى يجتاز التلميذ الامتحان يجب أن يحصل على الرقم ٥ أو ٦ (أو ٥٠ أو ٦٠) أى أنه يجب أن يكون ملما بخمسين أو ستين فى المائة من الدرس المفروض

على أن هذا النظام العشرى غير معروف فى مصر ، وانما يحل محله نظام عددى آخر يرمز الى درجة التحصيل فى كل علم من العلوم بأرقام تختلف عن أرقام التحصيل فى غيره من العلوم . فهو يرمز مثلا الى درجة الكمال فى آداب اللغة مثلا بالرقم « ٣٠ » والى درجة الكمال فى الرياضيات بالرقم « ٤٠ » والى درجة الكمال فى العلوم الطبيعية بالرقم « ٥٠ » . وقس على ذلك ما جرى مجراه . ولا يعتبر التلميذ ناجحا في دروسه الا اذا بلغ مجموع الارقام التى يحصل عليها حداً معينا . فاذا قصر عن ذلك الحد عد (ساقطا)

أما سبب التفرقة بين الارقام التى ترمز الى درجات الكمال فى مختلف العلوم فهو زعمهم أن قيم هذه العلوم تختلف باختلاف ما يعلقه عليها الناس من الشأن . فعلوم اللغة مثلا هى فى نظرهم أهم من علم الرسم . وعلم الحساب أهم من علم الجغرافيا أو الجيولوجيا . على أن هذه التفرقة لا تقوم على المنطق ، وفى الامكان الاستغناء عنها بنظام الارقام العشرية الذى سبقت الاشارة اليه

وهنالك مدارس لا تستعمل الأساليب العددية بل تعدل عنها الى اعلان نتيجة تحصيل التلميذ ببيان يشرح حالة التلميذ ودرجة تحصيله فى مختلف العلوم مع ذكر أوجه ضعفه والاشارة عليه بما يجب عليه من بذل الجهد فى جهات معينة . ومثل هذه الطريقة مجدية بلا شك ، وقد تكون أوفى بالغرض لو جمع بينها وبين الاسلوب العددى على أن يقدم الى التلميذ بيان مسهب كل أسبوع مثلا ليتمكن من تكملة أوجه النقص وتقوية مواقع الضعف

وفى بعض أقطار أوربا يجرون على نظام آخر لتعيين درجة التحصيل وتبيان حالة التلميذ وهل هو يستحق أن يجاز أم لا . وهـذا النظام قوامه الألوان . وأغلب المدارس تستعمل ثلاثة منها وهى الأبيض والأحمر والأسود . فالأول يرمز الى اتقان التحصيل والوصول الى درجة الكمال أو ما يدانيه ، والثانى يرمز الى التوسط فى التحصيل ، والثالث يرمز الى الاخفاق

عيوب هذا النظام وكيف تصلح

ولا حاجة الى شرح النظم الأخرى التى تستعملها سائر المدارس للرمز الى درجة تحصيل التلميذ . وانما نقول انه ما من نظام منها يفى بالغرض الذى وضع من أجله أو يخلو من العيوب . فنظام الأرقام أو العلامات العددية مثلا هو تقديرى محض ، ويختلف باختلاف نفسية الاستاذ . ومعنى ذلك أن الاستاذ قد يمنح أحد تلاميذه الرقم « ٣٥ » فى علم من العلوم حالة أن أستاذاً آخر يرى أن ذلك

التلميذ يستحق الرقم «٤٠» فالمسألة إذن مسألة تقدير لا غير . أضف الى ذلك ان علاقة التلميذ بأستاذه ودرجة حظوته لديه قد تزيدان ذلك الرقم أو تنقصانه . ومن الاساتذة من يتساهلون فى تقدير أغلاط التلاميذ ومنهم من يتشددون . ولكل منهم فى تصحيح أجوبة الطلبة مذهب خاص. وفى هذا ما فيه من عدم القسط فى تبيان مرتبة التلميذ ومستوى تحصيله

ولنظام العلامات العددية فوق ذلك مساءة أخرى وهى أنها تربى فى نفوس التلاميذ روح الحسد والتباغض . فالتلميذ الذى يرى رفيقه مقدماً عليه فى نظر أساتذته قد يكرهه وينقم عليه لانه يعتقد أن ما ينسب اليه من تفوق أو سبق انما هو تقديرى محض أو أنه يقوم على شىء من المحاباة . وفى الحقيقة انه من اللغو القول بأن التفرقة بين تلميذين بالعلامات العددية قد تشحذ همة الضعيف منها وتستفز حماسته للتشبه برفيقه . فان الاختبار يثبت لنا أن التلميذ الخامل قلما يصبح ذكياً معها بذل من الجهد والنشاط . وسبب ذلك على ما نعتقد راجع الى نشاط الغدد الصم وكيفية افرازها كما تقدم . وأنت تعلم أن الانسان لا سلطان له على غدده

ورب معترض يقول : انك أنكرت نظام العلامات العددية ولم تقترح أى نظام يمكن احلاله محله . وليس هذا فى شىء من الانصاف

فالجواب عن ذلك أن النظام العددى انما يصلح اذا أزيلت منه العيوب اللاصقة به . وإزالة هذه العيوب غير مستحيلة . فالاستاذ الذى يمتحن تلميذاً فى علم الكيمياء ـ مثلا ـ يجب أن لا يحاسب ذلك التلميذ عن الاغلاط النحوية التى يرتكبها . والذى يمتحن تلميذاً فى علوم اللغة يجب أن لا يحاسبه عما قد يرتكبه من الاغلاط الحسابية أو الجيولوجية . وقس على ذلك ما جرى مجراه . وبعبارة أخرى ان الاستاذ الذى يمنح تلميذه علامة عددية معينة يجب أن ينظر الى موضوع العلم الذى يتلقاه ذلك التلميذ وأن يصرف النظر عن الاغلاط التى قد يرتكبها فى غير ذلك العلم

ويجب وضع قاعدة عامة يكون بموجبها تقدير كل أستاذ لعمل التلميذ مماثلا لتقدير أى أستاذ آخر . أضف الى ذلك أنه يجب توحيد حد النجاح وحد التقصير فى جميع المدارس . فبعض المدارس تجعل حد النجاح «٥٠» فى المائة من رقم الكمال ، فاذا نال التلميذ رقماً دون ذلك عد مقصراً . وبعض المدارس الاخرى تجعل ذلك الحد «٦٠» فى المائة . بل ان بعضها تجعل ذلك الحد يختلف باختلاف العلوم التى يتلقاها التلميذ . فهو مثلا «٥٠» فى المائة فى اللغة و «٦٠» فى المائة فى الرياضيات وهلم جرا . وفى مثل هذا النظام من أسباب الفوضى ما فيه . وعلاجه توحيد الحدين ـ الأدنى والأقصى ـ لجميع العلوم وعدم التفرقة بينها

ان هذا النظام حديث العهد فلم يكن معروفا منذ أكثر من قرن ونصف قرن . واذا ترك على حالته الحاضرة لم يؤمن معه الظلم لانه أسلوب ميكانيكى للدلالة على حالة معنوية ، أى على مدى تحصيل الطالب . فاما اصلاحه واما العدول عنه

كانت النفس البشرية محور الادب الى عهد قريب ـ الحرب الكبرى وجرائرها لفتت الادباء الى العالم السياسى والاقتصادى ـ بدأ الادب بدعاية سياسية اقتصادية لمصلحة الانسانية كلها ـ ثم انقلب الى الدعاية الحزبية والقومية ـ المذاهب التى يعتنقها الادباء المعاصرون فى أوربا

أدباء أوربا فى معترك السياسة

بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

كان معظم أدباء أوربا حتى مطلع هذا القرن أبعد الناس عن الاهتمام بالشؤون السياسية . وكان عمل الأديب ينحصر فى دراسة العواطف البشرية ورسم وتحليل مختلف الميول والأهواء وتصوير مظاهر الطبيعة ومحاولة تجميل هذه المظاهر واضفاء حلة من الخيال والشعر على حقائق الحياة . وكان الأدباء يعيشون بمعزل عن العالم الاقتصادى والسياسى ، ويستخفون بالنظم الاقتصادية والسياسية، ويترفعون عن الاهتمام بأحكام المادة ، ويعتبرون السياسة حرفة الغدر والنفاق ، وينظرون الى الأدب كرسالة مقدسة حملتهم الطبيعة إياها لرفع مستوى الحياة النفسية عند الشعوب والاتجاه بها نحو الرقى الوجدانى والسمو المعنوى أى نحو الحضارة الصحيحة والمدنية الكاملة

والواقع أن الأديب الأوربى فى ذلك العهد كان يؤمن أعمق الايمان وأصدقه ، أن النظم الاجتماعية والسياسية لا يمكن أن تؤدى مهما ارتقت ومهما تبدلت إلى رقى الانسان ، وأن هذا الرقى لايمكن أن يتم إلا متى تهذبت النفس البشرية على مر الزمن بواسطة الآداب والفنون ، التى تلطف من حدة الغريزة ، وتكسر من شرة النزوات البهيمية ، وتصقل العواطف والاحساسات ، وتحل بين الناس قانون التعاطف والتراحم والشفقة والمحبة محل قانون المصلحة المجردة والصراع اليومى فى سبيل الحياة

ولقد حدث فى القرن الثامن عشر فى فرنسا ان اهتم جان جاك روسو وديدرو وغيرهما بالشؤون السياسية فمهدوا للثورة الفرنسية . ولكن لم تكد تار هذه الثورة تخمد ولم تكد تستقر الحياة العامة فى القرن التاسع عشر حتى عاد كل أديب الى محرابه وانصرف لخدمة الادب وحده وانقطع لعبادة الفن والجمال موليا ظهره الى مشا كل السياسة والاقتصاد

وكانت طلائع النهضة الصناعية قد لاحت فى الأفق الاوربى وظهرت إذ ذاك الآلات واتسع نطاق المصانع وبدأت الشؤون الاقتصادية تشغل عقول بعض كبار المفكرين ولا سيما أولئك الذين اعتنقوا

المبادىء الاشتراكية واتجهوا نحو نصرة الطبقة العاملة

وحتى هذ الوقت كان الادباء ما يزالون سابحين فى برج أحلامهم الذهبى يخدمون الفن للفن ، وينشئون المذاهب الادبية الجديدة ، ويبشرون بحب الجمال ، ويرصد أقدرهم وأذكاهم صفوة جهوده على تحليل النفس البشرية والكشف عن أطوارها الغريبة ، واماطة اللثام عن أدق وأخفى ميولها ونزعاتها ، تأدية لواجب الادب الاول والاخير وهو دراسة طبيعة الانسان

ومما يدل أبلغ الدلالة على صحة ما تقدم وعلى أن معظم أدباء أوربا فى ذلك العهد كانوا يعيشون بمعزل عن العالم الاقتصادى والسياسى ، أن الناقد الفرنسى الكبير هنرى بيدو يقرر فى رسالته عن (الحركة الأدبية فى أوربا فى القرن التاسع عشر) أن ثلاثة أرباع أدباء أوربا فى ذلك القرن لم يطالعوا كتابا واحداً فى شؤون السياسة أو شؤون الاقتصاد

***

وجاء القرن الحاضر فألفى أولئك الأدباء على حالهم من الزهد والاعتكاف والوحدة المتكبرة المتأملة . ثم نشبت الحرب الكبرى فبوغتوا بها وأخذوا على غرة وتلفتوا واذا بهم حيال عالم جن جنونه وأطلقت فيه شر الغرائز من عقالها ، عالم يزعم أنه قد ارتقى وتحضر ، وأنه قطع شوطا بعيداً فى ميدان الاختراعات والعلوم ، ثم هو بعد ذلك يسمح بمثل تلك الحرب الهائلة ويقدم على مذبحها نفوس الملايين من زهرة شباب أوربا

بهت الأدباء واستولى عليهم ضرب من الخيبة المرة الممزوجة بالحنق والاستنكار ، وشعروا أن جهودهم الأدبية ذهبت أدراج الرياح وان النفس البشرية باقية على حالها وان الحرب كشفت عن جوهر الانسان وردته فى لحظة الى حياة الغابة وإلى أحكام الفطرة المتوحشة الأولى

وعندئذ أدرك الأدباء أن النظم الاقتصادية والسياسية القائمة هى التى كانت السبب فى تلك الحرب أدركوا أن الصراع الاستعمارى والرغبة فى فتح أسواق جديدة والتنافس على المواد الخام والتزاحم على ترويج البضائع والنضال المستمر بين كبار أصحاب رؤوس الأموال ، كل ذلك هو أصل النزاع وهو السبب الرئيسى لتلك المجزرة التى لم يعرف لها التاريخ مثيلا

ولما وضعت الحرب أوزارها شاهد الأدباء أزمات جديدة نشأت عنها وانحدرت منها :

شاهدوا ماليات الدول تتزعزع ، والعمال العاطلين يموتون فى الطرقات بؤساً وجوعا والاخلاق تفسد والعادات تتطور وتتجه نحو الاباحية المرذولة ، والوصوليين الذين ربحوا الثروات الطائلة من تجارة الحرب ينفقون عن سعة ويحيون حياة الرفاهية والسعد على أشلاء الضحايا المساكين !

هذه الظواهر الفظيعة غيرت عقلية معظم الأدباء وبدلت نظراتهم الى الحياة وإلى الفن الأدبى وإلى غاية الادب ورسالته فى المجتمع

لم يتمردوا على الحضارة الصناعية العلمية بل تمردوا على النظم الاقتصادية والسياسية التى تطبق على هذه الحضارة تطبيقا فاسداً شائنا أفضى الى تلك النتائج الهائلة

وإذ ذاك أحس أدباء أوربا أن من واجبهم التخلى عن برج أحلامهم الذهبى والهبوط الى معترك السياسة والاقتصاد لاصلاح الحياة العامة واقامتها على دعائم الانسانية والعدل

وكان أن ظهر فى الميدان (رومان رولان) و (ستيفان زفايج) و (برتراند راسل) و (هنرى باربوس) و (هنريخ مان) وغيرهم . وطفق هؤلاء الادباء يبشرون بمبادىء انسانية ونظريات حرة وتعاليم اشتراكية تناهض الاستعمار والمستعمرين وتدافع عن الطبقة العاملة وتناصر عصبة الامم وتطلب اشراف الحكومات على صناعة السلاح وتنادى بوجوب تعديل معاهدة فرسايل اقراراً للسكينة وحفظاً للنظام فى اوربا

ولكن ساسة الدول المنتصرة اعرضوا عن هذه النظريات واحتفظوا بالحالة التى أوجدتها الحرب وضيقوا الخناق على المانيا وامعنوا فى اذلالها . وكان أن استفحل أمر العطلة بين العمال وفشت الفوضى الاجتماعية والاقتصادية فى ايطاليا عقب الحرب ، وانتشرت بين الطبقات العاملة ، الآراء والمبادىء الاشتراكية المتطرفة ، فظهر الفاشيزم فى ايطاليا كرد فعل لهذه الآراء والمبادىء ، وظهر الفاشيزم بعد ذلك فى المانيا كرد فعل آخر لما أسفرت عنه معاهدة فرسايل من رغبة فى خنق الشعب الالمانى

وهكذا تطور الفكر فى أوربا من دعايات انسانية كان يقوم بها الادباء ، الى دعايات حربية واستعمارية جديدة قام بها الفاشيزم فى ايطاليا وفى المانيا

وإذ ذاك شعر فريق من الادباء أن التاريخ سيعيد نفسه ، وأن الاستعمار قد عاد الى الوجود على يد الفاشيزم ، وان الطبقة العاملة بعد أن حررتها الحرب سترجع الى سابق ذلها وعبوديتها على يد الفاشيزم أيضا ، فدعا هذا الفريق الى الاشتراكية المطلقة فى قوة وحماسة وحرارة أغرت الجماهير والهبت عواطفها ودفعت بها الى مختلف اعمال التمرد والثورة والاضراب

ولكن هذه الحركة لم ترض فريقا آخر من الادباء الارستقراطيين محبى السلطة ودعاة القوة وأنصار التوسع والاستعمار ، كما انها لم ترض فريقاً ثالثا من المعتدلين المعجبين بالنظم البرلمانية والمؤيدين للحكم الديمقراطى . فكان من نتيجة هذا كله أن انقسم الادباء طوائف وشيعا : الاولى تنادى بالاشتراكية المطلقة والثانية تبشر بالفاشيزم والثالثة تعتدل وتتوسط وتدعو للديمقراطية

***

والغريب أن معظم أدباء أوربا بعد ان كانوا يضعون رسالتهم الادبية فوق كل شىء ويعتقدون أن الآداب والفنون هى التى يمكن أن ترقى بالافراد والجماعات ، أصبحوا يؤمنون أصدق الايمان

أن النظم الاقتصادية والسياسية الصالحة هى وحدها التى تستطيع تأدية هذا الغرض ، وأن الآداب والفنون يجب أن تتحول عن مجراها القديم وتخرج من عزلتها السابقة وتكف عن الاهتمام بالانسان ونفسه وعواطفه كفرد مستقل لتهتم بالانسان الكلى أى بالمجتمع وقوانينه وخير نظام يصلح له

هذه هى الظاهرة الجديدة فى الفكر الاوربى اليوم ، وهى ممثلة فى الكتاب الاشتراكيين أمثال (أندريه جيد) و(اندريه مالرو) و (جان ريتشارد بلوك) و (برنارد شو) و(مدلتون مارى) وفى الكتاب الفاشيستين أمثال (هنرى ماسيس) و (جاك دى لا كرتيل) و (دريو لاروشيل) وفى الكتاب الديمقراطيين أمثال (بول فاليرى) و (الدوس هكسلى) و (جول رومان) واضرابهم

وعليه فهناك ثلاثة مذاهب سياسية واقتصادية تتنازع اليوم قلوب أدباء أوربا وعقولهم . فلمن تكون الغلبة وأيها سيكتب له النصر ؟ هذا ماقد يكشف عنه المستقبل القريب

ابراهيم المصرى

فضل القبح !

لاندريه موروا

لقبح الطلعة ودمامة الملامح مزايا معنوية مشهودة الآثار . فالرجل الذى ثالت الطبيعة من وجهه وقوامه ، فنثرت الصعاب والاشواك فى طريقه الى الحب ، وأبت عليه أن يشبع هذه العاطفة الآسرة فى يسر وسهولة ، يشعر فى قرار نفسه أنه مكره على أن يستغل — الى أقصى غاية — ما بقى له من المواهب والمزايا . .

والقبح اذا اقترن بالقوة والسطوة ،أفاد من أصابه فائدة مزدوجة ، فأولا — لا يشعر ضده من هم على حظ من الجمال بشىء من الحسد والغيرة ، ولا برغبة فى منافسته وغلبته ، فيتركون له الطريق خالياً ممهداً وثانياً — لا يستطيعون أن يتجاهلوه أو يتناسوه ، بل يظل ماثلا فى أذهانهم أبداً . إذ أن ملامحه الشاذة النابية أثبت فى الذاكرة من ملامح سواه المألوفة العادية . .

أول قطار فى مصر

بقلم الاستاذ محمد أمين حسونة

من المآثر التى تفخر بها مصر أنها أول دولة فى أفريقية ، بل فى الشرق كله ، استخدمت القطار . وهذه قصة أول خط حديدى مد فى أرض مصر

بعد ان فرغ الانجليز من مد الخط الحديدى بين ليفربول ومنشستر - وهو أول خط حديدى فى العالم - اتجهت نيتهم الى اجراء التجربة فى مصر . ويظهر أن المهندس جالواى مهندس محمد على ، كان متصلا بمديرى شركة سكة حديد « ليفربول - منشستر » فكلفوه أن يعرض على والى مصر فكرة انشاء طريق حديدى بين عين شمس والسويس بدلا من الطريق البرى « الاوفرلاند روت » الذى كان توماس واجهورن قد اقترحه *

وحصل جالواى على تصريح من الوالى بمسح الطريق الصحراوى الى السويس واختبار طبيعة الأرض ودرجة تحملها . وهناك وثائق ثلاث الأولى مؤرخة فى ٢٢ مايو سنة ١٨٣٤ وهى عبارة عن مذكرة بعث بها جالواى وفيها يقترح اما ادارة هذا الخط بقاطرات بخارية أو بعربات تسير عليه وتجرها الدواب . ووثيقة ثانية رد بها محمد على على هذا الاقتراح طالبا تقديم التصميمات التى يستلزمها كل من المشروعين . وكانت تكاليف المشروع حسبما وضعه جالواى ، وهو انشاء خط حديدى مفرد طوله ٨٠ ميلا من القبة الى السويس ، تبلغ زهاء ثلثمائة ألف جنيه انجليزى . وفعلا أعطيت « مناقصة » بذلك لبيت جالواى فى لندن

وسافر جالواى الى انجلترا مزوداً بتعليمات من الوالى للاشراف على احضار الأدوات ، والبحث عن مساهمين يمدون المشروع بالمال ، ومفاوضة الحكومة الانجليزية فى الترخيص لها باستعمال هذا الطريق نظير احتساب ٦ بنسات عن كل ميل للبضائع الانجليزية المنقولة الى الهند

ولكن فرنسا خشيت أن يعرقل هذا المشروع نيتها المبيتة على حفر قناة تصل البحر الابيض بالبحر الأحمر ، فأوعزت الى قنصلها بالقاهرة أن يعرقل المشروع ، وأن يذكر للباشا أن مرور البضائع من أوربا الى الشرق عن طريق مصر ستكون نتيجته أن يضع الفائدة التجارية والسياسية فى يد انجلترا . ومن ناحية أخرى فان منح انجلترا الحق فى انشاء طرق حديدية فى مصر معناه الحصول فى المستقبل على امتيازات أشد خطورة ، كالسماح بمرور الجيوش الأجنبية المتجهة الى الهند فضلا عن أن

---

* راجع هلال يناير سنة ١٩٣٧

للمؤسسات التى ستصحب المشروع وتنفيذه كمحطات البضائع والعنابر والورش ومخازن الفحم ستكون مؤسسات انجليزية

وكانت الأدوات التى طلبها محمد على من انجلترا قد وصلت الى ميناء الاسكندرية وظلت متروكة على الشاطىء مدة خمسة عشر عاما الى أن علاها الصدأ . وقد استعمل جزء منها فى انشاء خط يصل عاجر الدخيلة بميناء المكس ، وفى انشاء ترام بخارى بالاسكندرية ، والبعض منها استعمل فى نقل الأدوات والأحجار التى كانت تنقل من القاهرة لبناء القناطر الخيرية

على أن هذه الحرب الخفية التى قامت بين انجلترا وفرنسا للسيطرة على المواصلات في مصر واتخاذها حلقة تصل الغرب بالشرق لم تثن همة محمد على ، فكان ينتهز كل فرصة لتحقيق الحلم الذى يداعب فكره . ففى سبتمبر عام ١٨٤٣ بعث شقيق جالواى مرة أخرى الى انجلترا للحصول على مدد لان المشروع كان صعب التنفيذ من دون موافقة مصلحة البريد الانجليزى

وكان موت محمد على فابراهيم فرصة طيبة لانجلترا التى لم تتوان عن توطيد علاقتها بالوالى الجديد . فان « مستر والم » قنصل انجلترا بالقاهرة انتهز فرصة فتور وقع بين عباس الأول والباب العالى فتقدم يعرض خدمات دولته لازالة سوء التفاهم الواقع بينهما مشترطا أنه اذا ما نجحت انجلترا فى حمل الباب العالى على تغيير سياسته نحو الوالى فانه يصرح بانشاء سكة حديدية على نفقة الحكومة المصرية

بيد ان عباس الأول كان يخشى سطوة فرنسا ، فأراد أن يعجم عودها أولا ، وأرسل المهندس «موجيل بك» الى باريس لاستطلاع رأى حكومتها عن نوع المساعدة التى يمكن أن تتقدم بها فى حالة انشاء خطوط حديدية بمصر . ولما رأى أن فرنسا تهتم فى الواقع بمشروع حفر القناة أكثر من اهتمامها بمشروع الخط الحديدى انقاد لمشيئة انجلترا وآثر الالتجاء اليها كى تتولى بمعرفتها القيام بالمشروع

وكانت المباحثات بين عباس باشا وبين مستر والم تجرى سراً فى الليل بناحية « درب البيضة » على طريق السويس

***

ولا بد من الاشارة الى شخصية قوية لعبت دوراً هاماً فى تنفيذ المشروع ، تلك هى شخصية عبد الله الانجليزى مترجم القنصلية

كان عبد الله أغا أو الحاج عبد الله الانجليزى شخصاً فضولياً عجيبا ، اسمه الحقيقى ريتشارد . وكان جنديا فى الجيش الانجليزى . ولكن لسبب ما اعتنق الاسلام وتوجه الى الحجاز فى موسم الحج وتعلم العربية . ثم وفد على مصر وشغل وظيفة أمين مخزن بشركة « الترانسيت » بشبرا ، ثم وظيفة مترجم بالقنصلية الانجليزية . ولما كان عباس الأول لا يحيط بلغة أجنبية ما ، كان لا بد لعبد الله

اغا أن يشهد المحادثات التى تجرى بين الوالى والقنصل . وانتهز فرصة هذه المحادثات فكان يتودد الى الباشا ، وأفضى اليه مرة بأنه اذا مازال الفتور بين السلطان وبين سموه فان الحكومة المصرية تعينه مديراً عاما لمصلحة السكة الحديدية . وضحك عباس باشا ثم وعده باجابة طلبه . وتم الأمر فمنح عبد الله أغا هبة مالية قدرها ألفا جنيه ، وأنعم عليه برتبة « الميرالاى » ، ووهبه عباس باشا قصراً فخما بالحلمية . وعين فيما بعد مديراً عاما لمصلحة السكة الحديدية بمرتب شهرى قدره ثمانون جنيها . وظل يشغل هذه الوظيفة من ١٨ أغسطس سنة ١٨٥٣ الى سبتمبر عام ١٨٥٤ ثم نقل منها الى وظيفة مدير عام مصلحة المرور

***

ولما تقدمت المحادثات بين قنصل انجلترا وعباس باشا وفد روبرت ستيفنسن - وهو نجل جورج ستيفنسن مخترع السكك الحديدية - الى مصر بقصد النزهة والسياحة ظاهراً ، وبقصد تقديم مشورته الى الوالى فى الواقع

وبعد مباحثات قليلة وافق عباس الأول على وجهة نظر المهندس ستيفنسن بشأن انشاء سكة حديد مصرية تبدأ من الاسكندرية الى القاهرة ومنها الى السويس . وفى أول سبتمبر سنة ١٨٥١ سافر نوبار باشا الى لندن حاملا معه العقود الرسمية لوضعها فى صيغها النهائية وللاشراف على شراء وشحن العدد والأدوات اللازمة لانشاء الخط

وعقد اتفاق بين كل من استيفان بك وكيل خارجية مصر والمهندس بورثويك نائب روبرت ستيفنسن نص فيه على أن ستيفنسن يقوم بانشاء خط حديدى ما بين القاهرة والسويس نظير مبلغ ستة وخمسين ألف جنيه انجليزى . على أن يقدم ستيفنسن على نفقاته الخاصة العدد الكافى من المهندسين والمساحين والرسامين وسائر المهمات والأدوات والعربات اللازمة لانشاء الخط ، وتقوم الحكومة المصرية من ناحيتها بتقديم العمال وتتحمل مسؤولية تشييد الكبارى والسدود بالكيفية التى تكون فيها ملائمة للخط الحديدى المذكور

وصدر الأمر بتعيين روبرت ستيفنسن فى منصب كبير مهندسى السكة الحديدية المصرية وأخذ بمساعدة المهندسين الذين استقدمهم من انجلترا فى وضع خطة العمل . وفى فبراير سنة ١٨٥٢ وقف ستيفنسن ومعه طائفة من المهندسين ، تحيط به جموع العمال والفلاحين وضرب بيده المعول الأول فابتدأ العمل فى الحال . وما أتى شهر ابريل سنة ١٨٥٣ حتى كان الخط من الاسكندرية الى بلدة كفر العيس - قبالة كفر الزيات - قد انتهى ، ومنها الى طنطا فبنها فالقاهرة

محمد أمين حسونة

« .. لا يقدح فى العمل الفنى أنه صادر عن الغريزة الجنسية ،
بل موضوع القدح ألا ينقلها الفنان الى الصفة الفنية
بحيث تصبح موضوعاً نظرياً لا صلة له بطبيعة العمل .. »

الفنون لاثنا في الأخلاق

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

للفنون اليوم بسطة وانتشار ، ودولة عريضة متأثلة الجذور بعيدة الآثار . ولا غرو فقد تولى تدبير شئونها وتوفير أسباب نجاحها وتعميم الاقبال عليها الدهاقين من رجال الأعمال والعواهل من أرباب المال

فما من عاصمة من العواصم تجتاز ساحتها إلا وتلقى نفسك أمام دار للأوبرا فخمة رائعة ، ولا تخلو مدينة كبيرة من متحف ومعهد للتمثيل والموسيقى ومكاتب تزدحم وراء زجاجها الروايات والقصص ومجموعات الشعر مطردة كالأمواج متجددة . ثم من آونة لأخرى تفتح بها معارض الصور والدمى أبوابها تستقبل أفواج الرجال والنساء من هواتها . فاذا خيم المساء طلعت عليك شوارعها الكبرى مرصعة بدور الصور المتحركة تتألق كاللآلىء باعلاناتها المنورة ، وهنا وهناك المراقص والملاهى منها البرزة الفاخرة والمنزوية المتواضعة . والى هؤلاء جميعا يصدر فى اليوم الواحد على توالى الايام عدة صحف ومجلات ليس منها واحدة لا تفرد لهذه المظاهر الفنية من القصص والتمثيل والصور المتحركة والملاهى أبواباً كاملة يحررها متخصصون للنقد الأدبى

وناهيك بما تجده الفنون من الحكومات فى البلاد المتحضرة من التشجيع وأى تشجيع . وان الاعانات المالية المبذولة للمتاحف والمسارح والمعارض ومعاهد الموسيقى وما اليها تعد بمئات الألوف من الجنيهات كل عام

أما الجهود المسخرة فى خدمة هذه الآلهة الجميلة فلا يحيط بها الوصف . ومهما غالى الناظر المتفرج فى تقديرها فانها من وراء كل تقدير

على أنه بحسب المرء أن يتاح له مرة حضور احدى الروايات فى دور تحضيرها ، لتتمثل لذهنه فكرة مقربة عن حقيقة عدد القائمين باخراجها ، وليتبين أن هؤلاء المترائين المتخايلين فى ثياب التمثيل على المسرح هم فى الواقع الأقلون عدداً ، وليسوا على الدوام ، الاكثر عملا ، وان وراء الستار مئات

من الفنانين والعمال لولا جهودهم المتصلة بالليل والنهار مدى شهور طوال لما كانت هذه الرواية التى يشهدها النظار على خشبة المسرح تحت ساطع الأنوار

فهنالك واضعو مناظر الرواية والرسامون ، ثم الميكانيكيون والمهندسون لادارة الآلات والدواليب والأجهزة الخاصة بتغيير المشاهد على تعددها وتراكبها فى سرعة كما تتقلب على الحالم الاحلام ، وتدبير الاضاءة بما يتفق والوقت المطلوب ويحدث الأثر النفسى المنشود ، وكذلك مبتكرو الأزياء والخياطون والخياطات من كل مفتن ومفتنة فى ضروب اللباس والهندام ، والمزينون والمواشط من كل بارع وبارعة لا تخفى عليهم خافية من أسرار التطرية والتجميل ، فضلا عن ذوى الاختصاص فى التنكر والتصرف فى مشابه الوجه واخراج الشخصيات . ولكل مسرح مديره الفنى وأعوانه ، فاذا كانت الرواية من النوع الغنائى زاد عليهم مؤلف الموسيقى ، وأستاذ الرقص ، وحلقة الراقصين والراقصات ، كأنها عبقر وهم فيها الجن والجنيات ، يأتون من عجائب الحركات والسكنات ما يفوق طاقة الاجساد الترابية ويشبه أن يكون أشباحاً من مارج النار فى تمايلها وتنزيها ، ثم رئيس الموسيقيين ، والموسيقيون من عازفين على الآلات الوترية ونافخين فى الأبواق النحاسية وناقرى الدفوف وقارعى الطبول والمنشدين والمنشدات شتى العقائر ، وهو يلوح بعصاه السحرية فتجرى معها الأصوات منقادة فى تصعيد وتصويب واجتماع وافتراق ، محكومة مضبوطة أيما حكم وضبط كأنها موسيقى الأفلاك ، فلا تعدو نغمة من الأنغام مقامها المقدور قيد شعرة . وما قيد شعرة عند رئيسهم بالأمر الهين ، فانه اذا شذت نغمة ولو فى تجربة من التجارب انزعج وطار طائره كأن العوالم نفسها قد اختل توازنها ، وهم لهذا لايقدمون على عرض رواية من الروايات من أى نوع كانت إلا بعد عشرات التجارب يعاد فيها الموقف الواحد مرات . ولهم فى ذلك صبر أيوب ليس له نفاد . فهذه المرة لأن المقطع الأول من العبارة فى ادائه بعض التقصير ، ومرة أخرى لانه مع الاجادة جاء غير متسق مع ما بعده ، وثالثة ورابعة وعاشرة الى عشرات لان الاشارة من هذا أو ذاك غير معبرة ، أو ان الحركة بدرت متقدمة أو متأخرة ، أو غير ذلك . ثم لا يكفى أن يتحقق الكمال لكل فرد بل يجب أن يكون من هذه الكمالات المتفرقة وحدة مندمجة منسجمة

وليس الشأن هنا شأن ما يبذل من الجهود العظيمة فى سبيل الفنون فحسب ، بل انها نفوس الناس تذهب كما تذهب فى حرب ضروس بالمئات والألوف ضحايا عزيزة . فمئات الألوف من الناس على حد تعبير تولستوى يقفون حياتهم منذ الطفولة على تعلم السرعة فى الدوران بأرجلهم ليكونوا راقصين ، أو السرعة في نبض الأوتار ولمس الدساتين ليكونوا موسيقيين ، أو التخطيط بالألوان وتمثيل ما هم مبصرون ليكونوا رسامين ، أو قلب كل عبارة بطنا لظهر وتجنيس كل كلمة وتقفية كل سطر ليكونوا شعراء نظامين . فاذا بهذه النفوس الكريمة الناشطة منصرفة عن سائر مظاهر الوجود ونواحى جده ، واذا بأصحابها الفنانين قد استوحشوا فيما عدا هذا الذى تخصصوا له ،

وأصبحوا ولا حياة لهم خارج السرعة في تحريك أرجلهم أو ألسنهم أو أصابعهم

أمام هذا كله لا نكون من الفضوليين اذا ما وقفنا هنيهة متسائلين : في أي سبيل هذه الجهود العظيمة والضحايا العزيزة ؟

يقول تولستوي بصراحته الخشنة وصوته الجهير : إنها لوجه الشيطان جميعا !

فالروايات والأقاصيص والأشعار تنقل على السواء شعور العشق الجنسي في شتى ألوانه وأشكاله، وليس هذا العشق عند الروائيين بالموضوع المستحب الأثير فحسب، بل هو الموضوع الوحيد المتكرر، فالأدب الحديث على وجه العموم ليس الا تعابير شهوانية ، وبعضه وصف مفصل مستفيض واف عن العلائق الجنسية بين رجل ونساء عديدات أو بين امرأة وأكثر من رجل . فهو أدب وليد الشهوة ومولد للشهوات . وأما التمثيل فلا يكون تمثيلا ، ولا تكون الأوبرات حقاً أوبرات الا اذا ظهرت النساء فيها - بعذر وبغير عذر وبمناسبة وغير مناسبة - نصف عاريات مكشوفات الصدور عسورات السيقان . وكذلك التماثيل ومعظم اللوحات والتصاوير لا تمثل الا المرأة العارية في مختلف الأوضاع المثيرة المستهوية . فالفن الذي يفيض به مجتمعنا ، سواء في ذلك صادقه وكاذبه ، منصرف الا القليل النادر الى وصف العشق الجنسي وتمثيله وتصويره ، وبالجملة الى اذكائه على كل وجه وبشتى الأساليب . ونحن حين نتدبر مظاهره وبدائعه حولنا يخيل الينا أن هذا الفن بأنواعه ليست له من غاية الا الترويج للرذيلة ونشرها أبعد وأوسع انتشار مستطاع

فأي عجب تلقاء هذا اذا ارتفعت كل حين وآخر من جانب دعاة الأخلاق صيحة السخط وكلمة اللعنة على الفن وأصحاب الفن وعلى اليوم الذي افتتنت به الدنيا بهذا الابن النغل للحضارة الذي أسموه الفن . وأي عجب اذا رأيناهم وقد جازوا - على كره أو غير قصد - بدعة من بدعه أو جرى بمجالسهم الموقرة ذكره حوقلوا وأرجعوا وتعوذوا ، أو سمعناهم يتنادون باسم الأخلاق بمحاربته ويطالبون ذوي الأمر بابطاله ويحضون الناس على مجانبته والانصراف عنه

الا اننا نعتذر دون المضي طويلا مع هذه الغيرة الحماسية ونحب أن نؤثر عليها في هذا المقام وغيره نظرة البحث المجرد خالصة من التأثر والتعصب ، فاحصة ثاقبة باردة ، لنتعرف - قبل أن نقضي قضاءنا في الفن - الى وظيفته في الحياة وعلاقته بالأخلاق

فالفن يجلو لنا الحياة جلوة فيها متعة ، وهذه المتعة نجدها في المؤنس الجميل كما نجدها في الرائع الجليل . ثم انه إدراك مباشر عن طريق الخيال أو تعبير بالغ عن خوالج الانفعال أو مناجاة روحية متطلعة نحو الكمال . كذلك هو مهرب للنفس من ارادة الحياة أو هو تحرير لهذه الارادة . ولقد يكون فن الفنان واحداً من هذه ، أو يكونها كافة بأقدار متفاوتة

فالعلاقة صميمة بين الفن والحياة . ولم تعرف الحياة جماعة مهما تكن حالهم من الجهالة الأولى وقلة حظهم من الرقي الا وعندهم فن . وان مكتشفات علماء الآثار من رسوم الانسان الأول

ونقوشه على ألواح العظام وجدران الكهوف لترجع بتاريخ الفن الى ما قبل التاريخ المعروف

ذلك شأن الفن من الحياة أجملنا الاشارة اليه إذ ليس هنا محل تفصيله

وأما من حيث العلاقة بين الفن والأخلاق ، فما نحسب بينهما علاقة . وذلك أن الأخلاق تدخل في سلوكنا العملى ، والفن موضوعه نظرى . وأنت لا تكون فاضلا حتى تصطنع الفضيلة فى أعمالك ولكنك فنان حين تتأمل الزهرة وحين تنقل هذا التأمل صوتا أو رسماً ، فعالمك هنا عالم النظر ونشاطك لا يخرج عن هذا الأفق . وإذن يكون للفن أحكامه وللاخلاق أحكامها . ولا يصح أن يؤخذ هذا بتلك . وقد ذهب أوسكار وايلد الى أنه ليس ثمة كتاب خلقى وكتاب مناف للخلق ، وإنما كتاب أحسن الكاتب صوغه أو أساءه

على أننا نحب أن نكون أكثر شجاعة ، فندافع عن الفن من ناحية الغريزة الجنسية نفسها . فان قوام الحياة وهمها الاكبر بقاء النوع عن طريق الفرد . أى انها قائمة على عاملين أولهما حفظ الذات وسبيله طلب القوت والدفاع عن النفس ، وثانيهما سلامة النوع ودوامه وسبيله المخالطة والتكاثر . وهذا العامل الأخير أقوى الاثنين ، ولن تبرح الحياة مضحية بالفرد من أجل صالح النوع . وهذا الشعور الجماعى مصدر الفنون وينبوعها القوى الجياش

فلماذا إذن نكلف الفنون ضد طباعها ونحرمها الانتساب الى أصلها . أليس بقاء النوع مرهونا بغريزة الجنس ؟ وماذا فى هذه الغريزة وهى أم الحياة ، ولا يستطيع أخلاقى أن ينكر أنها منبت الحب والايثار والرعاية الأبوية للأبناء وعن هؤلاء تتولد سائر الفضائل الاجتماعية

فلنقرر هنا أنه لا يقدح فى العمل الفنى أنه صادر عن الغريزة الجنسية ، بل موضع القدح ألا ينقلها الفنان الى الصفة الفنية بحيث تصبح موضوعا نظريا لا صلة له بطبيعة العمل . وأوضح مثال على هذا تماثيل اليونان الأقدمين حيث ترى آلهتهم وأبطالهم نساء ورجالا عرايا إلا من ورقة كرم تستر عوراتهم ، ومع هذا فانك لا تنكر منهم هذا التجرد ، بل لا تتصورهم قط على غير هذه الحال . فى حين يمثل بعض الفنانين الجسد العارى فلا تملك إلا أن تتمثله كاسياً ثم نضا عنه ثيابه ، فاذا بك تخجل وتضطرب . فنحن بازاء هذا المنظر الأخير لا نشهد فنا وانما نشهد عملا ، فلا جرم تجرى عليه أحكامنا الخلقية . ولو أن الفنان نجح فى تحويله الى أفقه النظرى ، لما كان للاخلاق به شأن ولخرج من اختصاصها ، وكان الحكم فيه للذوق الفنى وحده

ثم لا ينسى الأخلاقيون أن الفنون بالنسبة لغرائزنا المكبوتة أشبه بصمام السلامة تنفس عنها فتخفف وطأتها ويؤمن خطرها علينا وعلى الآخرين . بل ان الكثيرين ممن يشبعون شهواتهم هذا الشبع الفنى يجدون فيه الغناء ويلهون به عما سواه حتى ليزهد بعضهم بالفعل كأزهد الزاهدين ويعيشوا فى عالم الواقع عيش القديسين ـ فالفنون بآثارها القريبة أو البعيدة فى خدمة الأخلاق وان أغضبت الأخلاقيين

عبد الرحمن صدقى

ماهى الحضارة

للعلامة الفرنسى شارل ريشيه

Qu'est-ce que la civilisation par Charles Richet

شارل ريشيه من أشهر علماء فرنسا المعاصرين وأقدرهم على معالجة المشاكل الاجتماعية والفلسفية وتبسيطها، بحيث يسهل على القارىء فهمها والاحاطة بمختلف وجوهها . وقد تناول فى هذا الكتاب بحث العوامل التى تنشىء الأمة المتحضرة ، وألقى ضوءاً ساطعاً على المقومات الرئيسية لكل حضارة صالحة للاستمرار والبقاء

الحضارة والعلم

الحضارة فى عرف شارل ريشيه هى مجموع الآراء والعادات الناشئة عن الجهود التى تبذلها الأمة فى ميادين العلوم والفنون والصناعات والدين . فالذى يميز الأمة المتحضرة عن الأمة التى لا تزال فى طور الهمجية والتوحش هو ما يأتى :

العامل الأول هو العلم

فالشعب الذى استطاع علماؤه الكشف عن متعدد أسرار الطبيعة ، والذى تمكن بعد جهاد طويل من معرفة حركة الأرض مثلا ودوران الافلاك وأسباب الأمراض وما إلى ذلك من نواميس الكون ، هو شعب تفوق على سواه وقطع شوطا بعيداً فى ميدان الحضارة

ومن شروط التحضر الرئيسية ألا يكون العلم وقفا على طبقة دون طبقة ، وألا تنحصر المعارف فى دائرة رجال العلم وحدهم ، بل تنحدر منهم الى سواد الأمة بحيث يصبح الأفراد جميعا وقد جاوزوا الطور البدائى الغريزى أقرب إلى فهم أسرار الطبيعة وأقدر على معالجتها واتقاء أخطارها

ولقد كان العلماء فى القرنين السابع عشر والثامن عشر يحرصون كل الحرص على أسرار مكتشفاتهم . وكان البعض منهم يخشى المجاهرة بها لئلا تصطدم نتائجها بالتقاليد البالية أو العرف الاجتماعى السائد أو العقائد الدينية العامة . أما اليوم فوجود الصحف والجمعيات العلمية والمؤتمرات، ساعد على نشر العلوم واذاعة أنباء المكتشفات وترويجها بين عامة الشعب

فهذا التبدل الملحوظ هو تقدم مطرد فى سبيل تعميم روح الحضارة أى فى سبيل توكيد الغرض المقصود منها

والواقع أن شيوع كلمات «بارومتر» و «ترمومتر» و «ميكروب» و «أوكسجين» وغيرها، وانتشار هذه المصطلحات العلمية بين تلاميذ المدارس، يدل أبلغ الدلالة على تمكن سلطان العلم من الأغلبيات الساحقة، وعلى أن هذه الأغلبيات قد بدأت تفهم الظواهر الطبيعية عن طريق العقل لا عن طريق الخيال والتصور كما كانت الحال في العصور الأولى

وهذا المظهر هو أجلى مظاهر الحضارة وأروع غاية من غاياتها اذا ما قورن بمظهر الحياة ومظهر العقل عند قبائل الاسكيمو والهوتنتوت

وعليه فنحن قد تحضرنا وهؤلاء ما يزالون سابحين في خيالات الفطرة الجامحة العمياء

ولكن الصحف والجمعيات العلمية والمؤتمرات لا تكفي لنشر العلم بين سواد الشعب وتحقيق غاية الحضارة. ولابد من تنظيم التعليم الالزامي العام تمهيداً لنشر المكتشفات العلمية والارتقاء بعقلية الشعب ودفعا به في طريق البحث والاستقصاء والمعرفة

وإذن فالحضارة من الناحية العقلية تتألف من عنصرين وهما: نشر المعارف بين سواد الشعب، وتقدم هذه المعارف واتساع نطاقها على أيدي علماء أفذاذ تسهل لهم الحكومات سبيل البحث والاستكشاف

الحضارة والتقدم المادى

والعامل الثاني الذي يميز الأمة المتحضرة هو التقدم المادي، أي اخضاع المادة لارادة الانسان ورغباته واحتياجاته. فكلما تحرر الفرد من سلطان الأشياء، وكلما استطاع تسخير المادة لمصلحته، اقترب من الانسان المتحضر. والحقيقة أن تضييق المسافات التي تفصل بين الناس وتقصير مدة الزمن التي تستخدم لاجتياز تلك المسافات، من أكبر الجهود الدالة على التحضر، لأن الغرض منها هو التفوق على الفضاء والوقت والزمن، وتسهيل المواصلات لانعاش التجارة والصناعة، أي لتوكيد التقدم المادي

فاستخدام البخار وانشاء السكك الحديدية بدل وجه العالم وضاعف شعور الناس بمعنى الحضارة وقيمتها. وكذلك اختراع المطبعة والطيارة والتلغراف الكهربائي واللاسلكي، كل هذه الجهود ساعدت على التقدم المادي العام وساهمت في نشر الرخاء والمسرات وأذاعت مختلف العلوم والفنون ووحدت بين أجزاء العالم وحققت الغرض المقصود من الحضارة وهو نفع الجميع وتسخير الطبيعة لمصلحة الجميع ووضع العلم تحت تصرف الجميع

فكلما انصرفت جهودنا نحو هذا الغرض واستطعنا أن نضيف قوة عملية جديدة إلى هذه القوى العملية الرائعة، اشتد ايماننا بمقدرتنا البشرية وعززنا في نفوسنا كرامتنا الانسانية وازددنا حضارة وتقدما ودفعنا بعجلة التطور إلى الامام

ولا شك في أن اختراع الآلات والسعي المطرد لتحسينها من أبلغ الدلائل على التحضر أيضا.

لان الآلة تخفف عن الانسان عبء العمل ، وتنتج فى يوم واحد بواسطة رجلين ما كان يعجز عن انتاجه فيما مضى عشرة رجال مجتمعين . وهكذا تخفض الآلة قيمة المصنوعات وساعات العمل وتتيح للعمال فرص الراحة والتثقف والاستمتاع بالحياة

وما يسرى على اختراع الآلات يسرى على المكتشفات والعلوم الطبية أيضا ، فهى تكافح المرض والألم والموت ، وترمى إلى الغاية نفسها أى إلى مضاعفة الاستمتاع بالحياة ومضاعفة القدرة على العمل والتثقف والسعادة

وعليه فالعلوم الطبية والطبيعية والكيمائية ، تخضع العالم المادى لسلطاننا وتساعد كل المساعدة على تحضرنا بدليل اننا ننتفع بكل شىء عن طريقها في حين أن الرجل المتوحش الذى يجهلها يعيش فى عالم مغلق محدود لا يعرف أن بضعة أحجار سوداء يمكن أن تنتج حرارة وقوة ، وأن هناك أسمدة تزيد فى محصول الأرض ، وأساليب وطرائق لصنع الألوان والعطور والعقاقير ومختلف المباهج والمتع ، وأن هناك معجزات أخرى سوف تتمخض عنها حضارة الغد

الحضارة والاخلاق

والعامل الثالث الذى يميز الأمة المتحضرة هو العادات والاخلاق . إذ أية فائدة من الحضارة المادية بالغة ما بلغت من الرقى ان هى لم تقترن بعادات حميدة وأخلاق سامية وأمثلة روحية عليا أية فائدة من الحضارة المادية إذا كان الفرد لا يعرف حق المعرفة ما هو واجبه الاجتماعى وواجبه السياسى وواجبه العائلى ، وما هى مسؤولياته حيال وطنه وحكومته وأسرته والانسانية جمعاء؟

الواقع ان العادات والاخلاق أبلغ في الدلالة على التحضر من الرقى العلمى والتقدم المادى . وقد عرف التاريخ شعوبا سرعان ما انحطت حضارتها بانحطاط أخلاقها وسرعان ما تقلصت جهودها العلمية والفنية بتقلص عناصر المتانة والصرامة والجد فى أخلاقها

وما نفع استغلال قوى الطبيعة والتغلب على المادة والقضاء على وفيات الأطفال وتنظيم سرعة المواصلات وتنشيط التجارة والصناعة وانتاج عباقرة فى الآداب والعلوم والفنون ، ما نفع كل هذا إذا ازدادت نسبة الاجرام ، واستفحل شر الدعارة ، وانحطت الاخلاق السياسية ، وفشت روح الوصولية ، وقضى على عناصر الاستقامة والنزاهة والتضحية فى الحياة العامة ؟ لا شك ان رقى الأمة المادى لن يقيها فى هذه الحال خطر السير شيئاً فشيئا نحو الانحطاط والعدم

ويرى شارل ريشيه ان من مستلزمات الحضارة الصحيحة أن يقترن التقدم المادى بالتقدم الخلقى ويسايره جنباً الى جنب وإلا أصبحت الأمة كالشخص الكسيح لا ينهض إلا ليقع

الحضارة والحرية

والعامل الرابع الذى يميز الأمة المتحضرة هو الحرية ، حرية النظم السياسية التى تسمح

بازدهار العلوم والفنون والفكر البشرى نفسه . والتى تخول الفرد سلطة الحكم على الاعمال العامة ومناقشتها ومحاولة اصلاحها والاشتراك فى بحثها وتوجيهها مع قادة الرأى ورجال الدولة . فلا وجود للحضارة بدون هـذه الحرية . ولا معنى للحضارة مع الاستبداد . ومن المحال انشاء حضارة بلا قانون عادل يسيطر على الجميع ويحترمه الجميع ويساوى بين الجميع سواء فى ذلك الحاكم أو المحكوم

ولكن من طبيعة القانون أن يكون صارماً قاسياً شديد الوطأة ، ولذلك لا تتحقق الحضارة المثلى فى أمة من الأمم إلا إذا لازمت القوانين عواطف التضامن والتسامح والمحبة والرأفة ، وتغلغلت فى قلب كل فرد وجعلته يستغنى جهد الطاقة عن الاحتكام إلى القضاء والالتجاء إلى القانون طلبا للانصاف والعدل . وهذا التطور لا يمكن أن يتم إلا بعد جهاد طويل شاق تشترك فيه الآداب والفنون فتهذب المشاعر وتلطف الأهواء وتقرب بين الأفئدة والعقول

الحضارة والفن

والعامل الخامس الذى يميز الأمة المتحضرة هو الفن . ولكن بعض الناس يعتقدون ان الفنون من كماليات الحياة ، وأن لا حاجة بالفرد الى حب الفن وفهمه وتذوقه كى يكون انسانا متحضراً . وتذهب فئة كبيرة الى أن الفن ليس من مقومات الحضارة الأولى وأن الحضارة نفسها قد تسمو وتزدهر بلا فنون رفيعة كما هى الحال اليوم فى أمريكا مثلا

والواقع أن أصحاب هذا الرأى يغالطون مغالطة واضحة وينكرون الحقائق الأبدية التى يقوم التاريخ شاهداً عليها

ويرى شارل ريشيه أن لا حضارة بالمعنى الصحيح إلا متى اقترنت بالثقافة

فأمريكا مثلا بلاد متحضرة من الوجهة المادية ، أى من حيث التنظيم الصناعى والاقتصادى ، ولكنها ما تزال متأخرة من الوجهة المعنوية ، أى من حيث الرقى الفكرى والوجدانى وانتاج الطرائف الخالدة فى الآداب والفنون . وفى أمريكا مصانع عظيمة وناطحات سحب رائعة وأنظمة اجتماعية واقتصادية تعود بالرخاء المادى على أغلبية الشعب ، ولكن ليس فيها حركات أدبية وفنية متغلغلة فى مجموع الأمة ، وليس فيها طائفة من كبار الفنانين والأدباء تنتج أعمالا فكرية ممتازة وتستطيع أن تؤثر بواسطتها فى عقلية الأمة نفسها وفى اتجاهها المعنوى بحيث يتعادل الرقى الاقتصادى مع الرقى الفكرى والاحساسى لتكتمل عناصر الحضارة

ومما لا يقبل الريب أن أمريكا أخرجت نفراً من كبار الأدباء وبعض كبار الفنانين ، ولكن هذا النفر استطاع الظهور بمحض مجهوده الشخصى ، وعلى الرغم من ارادة سواد الشعب الذى يؤثر الاستمتاع بالرخاء المادى والعمل فى سبيل هذا الرخاء على الاستمتاع بالآداب والفنون

أن ذلك النفر من الفنانين والأدباء لم يكن فى مقدوره تبديل عقلية الشعب وحمله على حب

الفنون والآداب حباً صادقا عميقا واعتبارها من ضرورات الحياة ، لعظم سيطرة الفكرة المادية على ذلك الشعب الفتى المولع بالشؤون العملية فحسب . واذن فى وسعنا أن نقول إن فى أمريكا شروعا فى انشاء حضارة ما تزال تنقصها الثقافة ، وان فيها ضروبا منوعة من الرقى المادى ولكن ليس فيها تلك الشعلة الفنية والأدبية التى ترفع مستوى الشعب وتسمو بنفوس أفراده وترقى بأرواحهم وتصقل ميولهم ومشاعرهم وتوازن فى عقولهم بين مطالب المادة ومطالب الروح

فهذا التوازن المنشود هو دليل الحضارة الصحيحة وهو نتيجة ازدهار الثقافة بمختلف فروعها ولا سيما الفن . والحقيقة أن هناك فارقاً كبيراً بين الرجل الامريكى المتوسط والرجل الأوربى المتوسط . فالأول ينظر الى شتى مولدات الذهن البشرى نظرة مصلحة ويحاول اخضاعها جميعا لحكم المصلحة أى للنفع المباشر المحسوس . أما الثانى فمع تشبثه بمصلحته ودفاعه عنها وتعلقه الشديد بها ، فانه يميل الى تثقيف عقله ونفسه بالفنون والآداب تثقيفا نزيها لا يعود عليه بأية فائدة عملية بل يعود على جوهر نفسه بفائدة معنوية مجردة ولذة روحية تجد نهايتها فى نفسها

وقد يتبرم الأمريكى مثلا بقضاء جزء من وقته لمشاهدة معرض صور فنية ، ويعتقد أن هذا وقت ضائع ، وأن معرض الصور يتطلب اليه أن يمعن النظر ويفكر ويفهم ويتذوق ، فى حين أن فى استطاعته أن يستخدم هذا المجهود الفكرى فى عمل يستدر منه المال ، أو يستخدم ذلك الوقت فى الذهاب الى قاعات الرقص أو دور السينما حيث يتسلى ويلهو وينسى عناء النهار ويعود مجدد النشاط لاستئناف عمله المادى من أجل المادة أيضا

هذا مايدور فى خلد الأمريكى المتوسط ، وهذا ما يفكر فيه أغلب الأحيان . أما الأوربى المتوسط فيعجب بالفن ويسحره الأدب الرفيع ويحاول أن يفهم ويتذوق هذا وذاك ولا يجد أية غضاضة فى إرهاق نفسه بالتفكير فى عمل فنى وهو يعلم علم اليقين أن مجهوده لن يعود عليه بأية فائدة مادية

هذه الظاهرة الملحوظة فى معظم الأوربيين هى الدليل البالغ على أن فى أوربا حضارة قديمة عريقة فى العناصر الثقافية تمتاز عن حضارة أمريكا بهذه الثقافة نفسها وتأصلها فى نفوس شعوبها واعتياد هذه الشعوب حب الظواهر الفكرية لذاتها لا لغرض معين

يتضح مما تقدم أن مثل الحضارة الأعلى هو ضبط النسبة بين الرقى المادى والرقى الروحي كي يحيا الشعب بالعقل والقلب لا بالجسم فقط . كما يتضح أن توجيه الشعب نحو المعنويات لا يمكن أن يتحقق الا من طريق الفن ، وأن الفن عنصر رئيسي من عناصر التحضر ، وان الاهتمام به وتشجيعه وترويج الدعوة له وحث الجماهير على حبه وتذوقه من أهم الأغراض التى يجب أن يسعى المصلحون لتحقيقها اذا شاءوا التقدم الصحيح بأمة ناهضة وإبلاغ هذه الأمة شأواً بعيدا فى ميدان الحضارة !

الرجل القوي إذا أحب

قصة غرام الشاعر دانونزيو

بقلم الاستاذ نظمي خليل

أمضى جبرائيل دانونزيو ـ شاعر ايطاليا العظيم ـ صدر حياته حائراً بين الحانة والدير ، نهباً بين الخطيئة والتوبة ، سائراً وراء الشيطان يوما ، ومبتهلا إلى الله يوما آخر . . فكان يفلت من ذراعى المرأة ليعود إلى كرسى الاعتراف يتوب ويطهر ، حتى إذا ما أحس بثقل الندم يبهظ كاهله انطلق الى المرأة ثانية لينسى بين ذراعيها آلام الندم وأثقال الخطيئة ، ثم لا يلبث أن يصدف عن تلك اللذائذ فيكتب الى رئيس الدير ليهيء له صومعة يقضى فيها بقية حياته عابداً زاهداً ، ويتأهب لاستقبال حياته الجديدة الشاقة بأن يمضى الليل كله فى حمأة اللهو والمتعة . . ! وبينما رئيس الدير قد فتح ذراعيه لاستقبال التائب النادم ، يكون دانونزيو قد نسى خطيئته الاولى واستلقى بين ذراعى امرأة أخرى ! . .

في «كتابه السرى» تقرأ قصة حياته الحافلة فتعجب كيف كان يعيش فى مونمارتر بين الخمر والميسر والنساء ، حتى اذا ضاق بهذه الحياة الصاخبة اللاهية ، فر الى شاطىء البحر حيث يجلس الى راهب يتلو كتابا عن المسيح فى تبتل وخشوع . . .

ولكنه مع هذا التلميذ الوفى «لنيتشه» يثور على الاخلاق اللينة والعواطف الرقيقة التى تعوق الانسان عن أن يرقى من ضعفه ونقصه الى «السوبرمان» القوى الكامل . فاعجب لشاعر يحيا للحب وبالحب ، دون أن يذرف عبرة واحدة من أجل انسان سواه ! . .

وهو بعد هذا كله الجندى المغامر والبطل المجاهد ، الذى قام جزء كبير من صرح ايطاليا الحديثة على منكبيه ، فقد وقف الى جانب موسولينى يبشر بالفاشستية ويدعو اليها ، كما قاد الكتائب أيام الحرب الى ساحات النصر المؤزر . . . ثم ارتضى لنفسه بعد هذا أن يعتزل العالم الذى كان يحيا فى صميمه ، الى هذ المسكن النائى فى قمة الجبل حيث يقضى بقية حياته فى أمن وهدوء . . .

***

ما كان فى وسع دانونزيو الذى يجرع كؤوس الخطايا حتى ثمالتها ، أن يدرك شيئا من هذا الطهر الذى يتمثله كثير من الفنانين فى المرأة ، بل هو لا يراها إلا جسما تتمثل فيه الغريزة الآسرة التى تطغى على العقل فتفقده سلطانه وتنفى أحكامه . فاذا ما وقف أمام المرأة الجميلة أعاد ذكر عمر الخيام وبيرون وبودلير ممن كانت تصيح بهم عواطفهم هاتفة : « ولك الساعة التى أنت فيها » . . .

فلا عجب ان كانت عقيدته فى الحب أو شعاره فى الحياة ، ما يتمثل فى عبارته هذه : « إن من يعود إلى حبه القديم كمن يشعل لفائف التبغ المحترقة » . . . فما كان همه من المرأة إلا أن يروى ظمأه ويشبع جوعه ، ثم يلقى بها فى عرض الطريق متأففاً نافراً . فقد أحب فى العشرين من عمره احدى الفتيات النبيلات هى « ماريا هاردون » وفر بها فاضطر والداها أن يزوجاها به . ومع هذا فان الشاعر لم يكن يضمر الحب للفتاة وانما كان يطمع فى مجد أسرتها ، فطالما سخط على القدر الذى خلقه من طينة الفلاحين ولم يخلقه من طينة النبلاء . حتى لقد قال مرة : انه يود لو يستبدل ذهنه الجبار بلقب متواضع ..!

ولكن قلبه لم يستطع أن يستكين الى أليف واحد ، فسرعان ما شال عن عشه هـذا وراح يضرب بجناحيه فى الفضاء حتى حط أخيراً فى أحضان المرأة الجديدة ، وعبثاً حاولت زوجه أن تعيده اليها بكائها وتوسلاتها فأرسل اليها يعتذر عن لقائها ، فانبجس الدمع من عينى المسكينة وانحنت على عتبة بيته فى خشوع ، ووضعت عليها باقة الورد كما لو كانت واقفة أمام المحراب ...

وكانت صاحبته الجديدة « ماريا جرافينا » زوجا لأحد النبلاء وأما لفتاتين ، ولكنها كانت ضيقة بحياة ذلك الزوج فوجدت فى صحبة الشاعر تفريجا لذلك الضيق . فقضت معه تسع سنوات عرف فيها الشاعر هدوء الحياة الزوجية ونعيمها . وقد أحب الشاعر ابنتها « زيناتا » حباً أبوياً عميقا ، فهى التى سهرت عليه الشهور الستة التى قضاها فى ظلام حالك راكد بعد فقده احدى عينيه فى الحرب الكبرى . وأخيراً حدث ما لا بد منه .. فقد تركها الشاعر ليلقى بنفسه فى أحضان امرأة أخرى هى الممثلة العظيمة « إلينورا دوزى »

***

قالت هذه المرأة وهى على فراش الموت : « انبئوه أنى قد غفرت له » . ولكن هل أساء اليها دانونزيو اساءة تستحق الغفران ؟ ما نحسب هذا اذا نظرنا اليه على حقيقته ، أى على أنه تلميذ لنيتشه يزدرى المرأة ويستخف بالحب . والواقع أنه كان لزاما على الممثلة العظيمة أن تفهم جيداً رأى الشاعر فى « لفائف التبغ المحترقة » ، ولكنها لم ترد أن ينتهى دورها الذى مثلته على مرسح دانونزيو كما انتهت أدوار سواها من النساء ، وبقيت متشبثة به مصرة على حبها له ، رغم انصرافه عنها إلى بطلة جديدة . . فعند ما سافرت الى أمريكا لتمثل مسرحياته كانت تكتب له كل يوم خطابا طويلا كله حب وهوى وغرام . وفى يوم عيد ميلاده بعثت اليه باثنتى عشرة رسالة برقية ، واحدة كل ساعة . أما هو فلم يفكر فى قراءة هذه الرسائل والبرقيات بل كان يلقى بها فى النار حالما يتناولها . وقد كان الشاعر إذ ذاك فى ثورة نفسية عنيفة ، بعد ان ضنت عليه حكومته بمبلغ من المال يدفع به دينه ويبقى على خيوله وكلابه التى تنازعها الدائنون . فهجر وطنه الى فرنسا حنقا مغيظا ، وقد عزم على ألا يعود ثانية الى تلك البلاد التي عقته وكفرت به

وكانت هذه الممثلة كصاحبها الشاعر لا تكاد تسكن الى قلب حتى تنصرف عنه ، وكانت امرأة فاتنة تجيد اصطياد القلوب ، فكانت تعرف الثرى المترف فتحوم حوله وسرعان ما توقعه فى شباكها. ولكنها لم تكن تطمئن الى هؤلاء الأثرياء كثيراً بل كانت كالنحلة المتنقلة ترتشف من جميع الأزهار فهى إذاً لم تتعرف على دانتسيو إلا بعد أن اكتملت خبرة ونضجا ، فقد كانت فى الأربعين بينما هو لم يكن قد جاوز السابعة والثلاثين

وقد قيل ان الشاعر لم يستغل فنها ومالها فحسب ، بل استغل روحها أيضا . فقد شرحها فى ساعات نشوتها وذهولها فى صحائف قصته العظيمة «النار» ذات الأوصاف الحسية الغريبة ، حتى ان «شومان» مدير مسرحها لم يكد يقرأ تلك القصة حتى اندفع اليها فى ثورة واضطراب يقول : «لقد فضح دانونزيو سرك . ما من أحد يقرأ هذا الكتاب إلا ويتبين شخصيتك» . ولكن المرأة ذات اليدين الجميلتين والصوت الموسيقى العذب لم تكترث لهذا الأمر بل أجابت فى هدوء : « انى أعرف هذه القصة ــ لقد سمحت له أن ينشرها ــ فانى امرأة فى الأربعين ولكنى أحب» . وكثرت الاشاعات حول استغلال الشاعر لتلك الممثلة ماليا ، ولكن ألا يحق « للسوبرمان » أن يستغل النساء كما يستغل الرجال العاديين تمشياً مع قانون التطور ونزولا على رغبة الفردية القوية ؟ !

ومهما يكن من أمر فانه إذا كان الشاعر قد استغل دوزى فى بعض النواحى فقد استغلته هى أيضاً فى نواح شتى ، فقد خلدت فى أبطال قصصه التى مثلتها ، وخلدت فى شخص بطلة قصته العظيمة « النار » . وحسبها أن الشاعر بالرغم من كبريائه وقوة شخصيته قد وهبها قلبه فترة من الزمن فصحبها معه الى مصر وشربا معاً كؤوس الحب دهاقا ، حتى إنها لم تفتأ تتحدث عن تلك الأيام السعيدة فى كثير من التفاخر لقدرتها على اصطياد ذلك الشاعر من بين صاحباته الكثيرات غير أنها كانت تخشى دائما أن تمتد اليه يد أخرى فتنتزعه منها

وقد انتهى هذا الحب الى مصيره المحتوم ، فسرعان ما برزت « مارشيسا » فى الميدان فى شخصية المرأة القوية المهاجمة . فلما رأت الممثلة العظيمة خطر تلك المرأة المنازلة ثارت وهددت ، ثم توددت واستعطفت ، ولكنها فشلت فى الحالتين ، فقد كان ذلك النسر الذى طار من وكرها قد وقع فى حبائل تلك المرأة ذات الرأس الجميل والشعر الفاحم الاثيث . فعادت الى فلورنس حيث اشترت لها « فيلا » جميلة وسط حديقة شجراء ، وأقامت هناك تراوض قلبها المفجوع على نسيان حبها الضائع ولكنها لم تستطع . فلما جاء الى ميلان بعد ذلك ببضع سنوات ليلقى خطابا سياسياً ، كتبت اليه ترجو مقابلته فى أحد الفنادق ثم انتظرته هناك عدة ساعات ولكنه لم يأت . وقد لقيته اللقاء الاخير قبيل رحلتها الى أمريكا حيث قضى الموت على أحزانها المريرة وذكرياتها المؤلمة

نظمى خليل

نبىّ فى جمهوريّة الشياطين

بقلم الاستاذ حسن الشريف

هــذا مشهد من مشاهد الثورة الفرنسية يصور « عقلية الجماعة » تصويراً بارعاً ، فيبين كيف ان الفكرة التي ينكرها كل فرد مهما قل حظه من العقل والذكاء ، تلقى اجماعاً على تحبيذها وتمجيدها من جمهرة الناس ، وكيف ينقلب الجمهور من التمجيد والاكبار الى الازدراء والاستنكار ،من دون أى مبرر سوى أن منطق الجمهور لا يخضع لأحكام العقل وأقيسة التفكير

فى اليوم الثانى من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٢ اجتمع ناخبو اقليم « باديكاليه » لينتخبوا خمسة نواب يمثلونهم في المجلس الوطنى الذى عرف فى عهد الثورة الفرنسية الكبرى باسم : « La Convention Nationale »

وفى انتظار انعقاد لجنة الانتخاب وابتداء عملية التصويت ، لم يجد المجتمعون مايقطعون به الوقت إلا الخطابة والاستماع الى الخطباء .

واذ كانت الثورة وقتئذ على أشدها ، والرءوس تغلى حقداً على الاستبداد والمستبدين ، والقلوب تخفق طربا لذكر الحرية وشهدائها ورسلها ، فقد ارتأى أحد المتكلمين أن يجعل موضوع خطبته سيرة رجل انجليزى اسمه « توماس باين » Thomas Paine

ولا شك أن جمهرة المستمعين لم تكن تعلم عن توماس باين شيئا، كما أن سيرة هذا التوماس باين لم تكن لتهم أحداً منهم فى شىء ، لذلك أعرضوا عن الخطيب وحاولوا بشتى الوسائل أن يصرفوه عن هذا الحديث ، ولـكن صاحبهم كان ثرثاراً من الذين اذا فتحت ميازيب أفواههم لا تقلع حتى ينضب معين الـكلام ، فاسترسل في حديثه غير آبه لمقاطعة القاطعين ولا لاعراض المعرضين .

ولو شاء القوم أن يستمعوا الى خطيبهم لفهموا أن الرجل الذى يتحدث عنه انما هو فيلسوف انجليزى كان معاصرا لهم ، وقد استولت عليه منذ الصغر أوهام وخيالات جعلته يرتجل من نفسه رسولا يدعو الى الحرية والمساواة والاخاء ، وان آراء مفكرى القرن الثامن عشر قد تمكنت من عقله حتى نصب نفسه نبيا من أنبياء الديمقراطية المتطرفة فصار يبشر بالغاء الفواصل بين طبقات الشعب الواحد وبالتالى بين طبقات الانسانية جمعاء حتى لايبقى فى الدنيا غنى وفقير ولا سيد ومسود . ولعلموا أيضا أن هذا الفيلسوف الفج لم يكتف بانجلترا ميداناً لرسالته،فارتحل الى أمريكا ليؤذن فيها بمذهبه ، وليدعو أهلها الى اعتناق مبادئه ، وأنه لقى من الامريكيين ترحيبا لابأس به ، واقبالا شجعه على التمادى والاسترسال ، فنشر فى عام واحد كتابين سمى أحدهما «حقوق الانسان» وسمى الآخر

« منطق البشر » واعتبرها دستوراً للهيئة الاجتماعية لو قبلته وطبقت أحكامه لوفرت على نفسها كل الآلام والشرور التى أنتجتها التقاليد المتبعة والنظم القائمة

ولقد أفاض الخطيب فى الاشادة بمناقب الفيلسوف فذكر انه رسول من رسل الحرية لاق فى سبيل دعوته ما لاقاه السالفون من الرسل . فلقد اضطهدته حكومة الملك جورج الثالث أيما اضطهاد وصادف من حماقة الجماهير ما صادفه دعاة الاصلاح من قبل ، فسجن وعذب واستهدف مراراً للموت ومراراً لأحكام الاعدام . واستطرد الخطيب فى حماسة واندفاع فقال ان الشعب الانجليزى المعروف بالبلادة والتمسك بالقديم لم يعرف للرجل قيمته ولم يقدره قدره بل أنزل به شتى صنوف الاهانة والتحقير حتى لقد كانت الجماهير تضربه فى الميادين كلما لقيته وتجره من ساقيه فى الأوحال

وخرج الخطيب المتدفق من كل ذلك الى أن لا كرامة لنبى فى وطنه ، وان ما أصاب توماس باين مقدر من قديم الأزل على الهداة والرسل والمصلحين ، وأن العقلية البشرية الجامدة لا تقلع عن قديمها الذى ألفته الا مضطرة بحكم الظروف أو مكرهة على تقبل الجديد ، وان الوقت قد حان لاطراح المبادىء العتيقة والمذاهب البالية وللاخذ بالتعاليم السليمة التى ينشرها ويبشر بها توماس باين

بيد أن جمهور الحاضرين كان فى شغل عن الخطيب الثرثار والنبى المجهول بما هو أهم وأجدى . فلقد كان عليهم أن يفحصوا مشكلة أثارتها الحكومة الثورية بلا مبرر ولا سبب ، وهى اعتزامها نقل مقر الادارة من مدينة آراس الى مدينة آير وجعل هذه عاصمة لاقليم باديكاليه . فلما تألفت لجنة الانتخاب وأخذت تباشير عملها كان النقاش دائراً حول هذا الموضوع الخطير ، بينما كان الخطيب مسترسلا فى بلاغته يصبها وابلا على تلك الآذان التى لا تريد أن تصغى اليه

جرت عملية الانتخاب لاختيار النائب الأول من الخمسة الذين سيمثلون الاقليم ففاز روبسبيير بأربعمائة واثنى عشر صوتا من سبعمائة وأربعة وثمانين ونجح . وكذلك نجح بعده كارنو ثم دوكينواه . فلما جاء دور جوفروا المرشح للكرسى الرابع حمل عليه خصومه حملة عنيفة صرفت عنه أصوات الناخبين ففاز عليه مزاحمه المدعو لوباه . ولكن جوفروا لم يرض بالهزيمة بل تحدى خصومه مرة أخرى مرشحاً نفسه للكرسى الخامس الذى لم يزاحمه فيه سوى مرشح نكرة مشكوك فى نجاحه . وإذ خشى خصوم جوفروا أن يفوز على هذا المزاحم الضعيف ، أخذوا يبحثون عن مرشح قوى يضعونه أمامه فى الكفة الأخرى من الميزان . فلما أعياهم البحث ولم يهتدوا ، وقف أحدهم واقترح ترشيح مستر توماس باين الذى حدثهم عنه منذ لحظة ذلك الخطيب الثرثار

وهنا تعوزنى كل فلسفة الدكتور جوستاف لوبون فى تحليل طبائع الجماعات ، وآراؤه فى العدوى الفكرية وسرعة انتشارها بين الجماهير ، ونظرياته فى الفرق بين عقلية الفرد منفرداً وعقليته مجتمعا ، وشروحه المسهبة لتلك الطوارىء المفاجئة التى تطرأ على تفكير الجماعات فى الساعات الحرجة فتوجه تفكيرها وحركاتها فور اللحظة توجيهاً غير متوقع وغير معقول . نعم يعوزنى هنا

كل ذلك لأفسر هذا الأثر المدهش الذى أحدثه ذلك الاقتراح العجيب فى عقول الحاضرين ، ولأعلل به تحزب أكثرية الناخبين ذلك التحزب المفاجىء لرجل كانوا منذ هنيهة يجهلون اسمه ووجوده وما يزالون يجهلون منه كل شىء جملة وتفصيلا . فما أن عرض المقترح اقتراحه حتى هب لمعاضدته الكثيرون ، واندفع بعضهم يؤيد « رسول الحرية العامل على إسعاد بنى الانسان ، الكفيل بانارة الطريق أمام العاملين ، الزعيم بارشاد الفرنسيين الى الخلاص من ربقة الاستبداد والمستبدين »

وكان أخذ ورد وجدال ونقاش ، وتأييد من هنا وتسفيه من هناك . وما دام دستور الثورة لم يحتط لمثل هذا الشذوذ فليس ثم ما يحول دون انتخاب أجنبى ليمثل فريقا من الفرنسيين . ثم دارت عملية التصويت مرتين فلم يفز أحد المرشحين بأغلبية ، ثم دارت مرة ثالثة فاذا مستر توماس باين ينتخب بأربعمائة وثمانية عشر صوتا أى بأغلبية تفوق بستة أصوات تلك التى انتخب بها الزعيم الاكبر روبسبيير . أى نعم ! انتخب توماس باين الانجليزى نائبا عن شعب فرنسا فى المجلس الوطنى . ولمن يشاء أن يقول فى هذا الانتخاب العجيب ما يشاء ، فليس ذلك بمانع أن هذا الانتخاب كان وليد ارادة الأمة التى هى مصدر جميع السلطات

ولكن اذا كان الانتخاب قد تم على خير أو على هذا النوع من الخير ، فقد بقيت أمام القوم صعوبة لم يعرفوا كيف يذللونها وهى الطريقة التى يبلغون بها النائب الجديد نبأ فوزه ويدعونه الى المجىء لمباشرة مهمته النيابية . فبأى عنوان يكتبون اليه وهم لا يعرفون له عنوانا ، وإلى أى مدينة يوجهون الرسالة وهم لا يعرفون له مقراً ؟

تشاوروا فأشار بعضهم بالكتابة الى الفيلسوف الفرنساوى كوندورسيه الذى كان مقيما بلوندرة إذ ذاك ، وبتكليفه حمل النبأ الى النائب المختار . وقال البعض الآخر : بل نوجه الرسالة الى لوندرة حاملة اسم الرجل على غلافها ولا بد من أن تنتهى اليه لأن اسمه هناك أشهر من أن يجهله سعاة البريد

وقد كان . ووصلت الرسالة الى توماس باين فى الوقت المناسب ، فلم يدهشه خبر انتخابه نائباً عن قوم لا يعرفونه ولا يعرفهم ، وفى بلد لم تطأ قدماه أرضه ، بل لم ير فى ذلك الا عملا معقولا من شعب عاقل أراد أن يكون له من هداية نبى الديمقراطية نصيب

ولبى الرجل متململا دعوة ناخبيه الذين التمسوا نيابته عنهم كما يلبى الطبيب الكبير فى منتصف الليل دعوة مريض محتضر التجأ الى علمه وخبرته . وفى اليوم التالى كان فى ميناء دوفر ينتظر قيام السفينة التى تقله الى فرنسا ، وتقل اليها معه كنوز فلسفته وحكمته وديمقراطيته . ولكن الشعب الانجليزى الذى لا تساعده عقليته على فهم هذا النوع من الديمقراطية ، ولا على تقدير عظماء الرجال ورسل الحرية ، لم ير فى انتخاب الفرنساويين مستر باين الا سخفاً جديراً بالسخرية ، ولم ير فى مستر باين نفسه الا دجالا قمينا بالتأديب

والانجليز كما هو معلوم ، قوم يؤثرون العمل المنتج على الكلام الأجوف . لذلك لم يقصروا

اعلان رأيهم فى الفيلسوف السافر على المناداة بسقوطه ولا على الهتاف بموته ، بل احتشدت جموع منهم على افريز الميناء وأوسعوه لكماً بالأيدى وصفعاً بالأكف وركلا بالأرجل ورجماً بالحجارة ، ثم حملوه فى غيبوبته وقذفوا به الى السفينة مرضوض العظام مهلهل الثياب مشيعاً باللعنات

أفاق الفيلسوف من غيبوبته والسفينة تدنو من شواطىء فرنسا ، فحمد الله على خلاصه من أيدى مواطنيه بتلك الرضوض والجروح ، وأخذ يسرح الطرف فى الأفق فيشاهد حصون مدينة كاليه وأبراجها وميناءها ، وجعل يرتب فى ذهنه برنامج أعمال الاصلاح التى سوف يقوم بها فى هذا البلد المضياف الكريم . ولكن ما ان اقتربت السفينة من المرسى حتى رأى الفيلسوف افريز الميناء يموج بطوائف كثيفة من الناس تلوح بقبعاتها ومناديلها وعصيها ، وسمع دوى مدافع يتصعد من البر مصحوبا بهتافات صاخبة ونداءات عالية

ماذا ؟ أهو شعب كاليه الساخط على مقدمه قد جاء ليستقبله بمثل ما ودعه به مواطنوه ؟ واذا صح ان لا كرامة لنبى فى وطنه فهل يعدم الانبياء الكرامة فى كل المواطن ؟ وبعد ففيم كان انتخابهم إياه وهم يعدون له هذا الاستقبال المهين ؟ انها لخيبة ما بعدها خيبة ، والخير كل الخير فى أن يلازم السفينة لا يبرحها حتى تقلع به الى أمريكا بلاد الحرية الحقة والديمقراطية الصحيحة حيث يعرف الناس أقدار الرجال وكرامة الانبياء

ولكن قلقه لم يلبث طويلا حتى زال . فلقد رست السفينة على الشاطىء وتبين الهتافات والنداءات فاذا فيها معانى الحفاوة به والاشادة بذكره ، وإذا القوم قد احتشدوا ليستقبلوه أحسن استقبال وليحيوه خير تحية . فلم يكد يضع قدمه على الافريز حتى أحاط به القوم من كل صوب وجعلوا يعانقونه ويلثمون يديه ويلمسون بأيديهم على ثيابه الممزقة ، وتحمست احدى النساء فانقضت عليه وقبلته على خديه ثم رشقت فى قبعته الريشة المثلثة الألوان رمز الثورة والجمهورية ، وحمله الناس على أكتافهم وهم يتخاطفونه وساروا به فى مظاهرة صاخبة ، بينما كان الجنود يؤدون له التحية العسكرية والمدافع تطلق بارودها تكريما لمقدمه السعيد ، إلى أن بلغوا به دار المحافظة حيث اجتمعت هيئة المجلس البلدى لاستقباله الاستقبال الرسمى الواجب . ثم انتقلوا به إلى مقر الجمعية الشعبية فأجلسوه تحت تمثال ميرابو ليستمع إلى خطب الترحيب التى ألقاها الزعماء المحليون والتى لم يفهم منها كلمة . فلما أمسى المساء ذهبوا به الى النزل الذى يقضى فيه الليل وظلوا طوال السهرة محيطين بالنزل هاتفين صائحين . وبكر القوم فى الغد لتوديعه ساعة يستقل العربة إلى باريس ، فكانت مظاهر التوديع أفخم وأعظم من مظاهر الاستقبال . وهكذا طاب توماس باين نفسا وأيقن أن الجحود شيمة خاصة بمواطنيه الانجليز ، أما الدنيا فبخير ما دامت فيها شعوب تعشق الحق والحرية وترعى حرمة الرسل والانبياء

وفى الحادى والعشرين من شهر سبتمبر ذهب النائب الجليل توماس باين إلى قصر التويلرى

مقر المجلس الوطنى ليقتعد كرسيه فيه ، فاستقبله الاعضاء استقبالا كريما ، ونهض أحدهم فقدمه إلى الزملاء بخطبة رقيقة عدد فيها مآثره على الحرية وأياديه على المبادىء الديمقراطية وأشاد بآرائه ومؤلفاته أحسن إشادة وأكد لممثلى الشعب أن فرنسا سوف تجنى من نصائح النائب الجديد وارشاداته الخير العميم . ولبث النواب ينتظرون فى شوق ولهفة أن يقف الفيلسوف العظيم ليخطبهم فيهديهم بآرائه السديدة إلى وسائل حل المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى أنهكت قوى البلاد وكادت توردها موارد التلف ، وكانوا يتوقعون أن يسمعوا من آياته البينات ما ينير أمامهم السبيل ويوضح لهم الصراط المستقيم . ولكن الفيلسوف لم يحقق شيئا من هذه الآمال ، بل التزم صمتاً وقوراً حير القوم وأدهشهم ، واكتفى بأن يوزع عليهم ابتسامات متكلفة وبأن يهز أيدى بعضهم مصافحاً ويربت على أكتاف الآخرين محيياً وشاكراً . وعندئذ فقط أدرك أعضاء المجلس الوطنى أن زميلهم الانجليزى لا يتكلم الفرنسية ولا يفهمها . . .

***

لا شك أن مركز الرجل كان حرجا فى وسط هذا المجلس الذى لم تكن لأعضائه صناعة غير الكلام . ولا شك أيضا أن ناخبى اقليم باديكاليه قد ندموا لاختيارهم نائبا لا يجيد غير الصمت ، أو أسفوا لحالة هذا النائب الفخم الذى لا عيب فيه إلا أنه لا يستطيع إبانة رأيه ولا الافصاح عما فى نفسه

ومهما يكن من الأمر فان توماس باين ـ بغض النظر عن عقليته الخيالية ـ كان رجلا خيراً بفطرته حسن الظن بالناس إلى حد السذاجة . ولقد كان ، لجهله اللغة الفرنسية ، ينظر الى مايجرى حوله في المجلس ويرى الخطباء يتعاقبون على المنبر ويمضون فوقه الساعات الطوال وهم يهدرون ويزمجرون حتى تجف حلوقهم وتجحظ عيونهم ، فيخيل اليه أن خطورة المسائل المعروضة هى التى تستوجب هذا العنف والنضال ولا يدور بخلده قط أنها جعجعة فارغة وثرثرة ليس تحتها طائل ، فكان يصفق مع المصفقين ويبتسم مع المبتسمين

واذا كان الرجل قد راض نفسه على السكون فلم يلق الخطب ولم يشترك فى المناقشات ، واذا كان قد تعلم بالفرنسية كلمة «لا» و «نعم» يصوت باحداهما فى وقار عند ما يؤخذ رأيه فى الأمور العادية مستنيراً فى ذلك بتصويت الأكثرين ، فقد أبت الأقدار إلا أن تخرجه من صمته المريح وإلا أن تدخله مع زملائه فى نضال عنيف حول موضوع خطير

ذلك أن محاكمة الملك لويس السادس عشر كانت قد انتهت ، وحان وقت أخذ الرأى فى العقوبة التى توقع عليه . ولقد استشار توماس باين ضميره فأوحى اليه أن عقوبة الاعدام شىء لامبرر له ، وأن الحكمة تقضى بالاعتدال فى كل شىء وفى كل زمان حتى فى أزمنة الثورة التى لا مجال فيها للعقل والتعقل . فلما نودى ليبدى رأيه وقف وألقى بالفرنسية كلمات كان قد حفظها عن ظهر قلب

قال فيها إنه يقترح نفي الملك الى أمريكا نفيـا مؤبداً ، وباكراه الملكة مارى أنطوانيت على احتراف نسيج الأقمشة ، وبالاستيلاء على الأمير الصغير ولى العهد لتربيته تربية مدنية تجعل منه فى المستقبل القريب رجلا جمهوريا صالحاً . ولما كان لكل عضو أن يشفع فتواه ببيان يشرحها فيه فقد عهد الى أحد الزملاء فى القاء الترجمة الفرنسية للبيان الذى وضعه ليفصل فيه للاعضاء كل الاسباب التى حدت به الى سلوك طريق الاعتدال والأخذ بالظروف المخففة والأسباب الموجبة للتسامح والرحمة

ووقف الزميل ليلقى ترجمة البيان ولكنه لم يكد يمضى فيها حتى قاطعته أكثرية المجلس بعاصفة من الصخب والضجيج والهياج . ماذا : أتوماس باين ، رسول الحرية ، صديق الديمقراطية ، عدو الاستبداد وحكم الفرد ، هو صاحب هذا الكلام ؟ أيصمت توماس باين كل ذلك الصمت الطويل حتى اذا ما انفرجت شفتاه انفرجتا عن هذا الكفر المبين ؟ أيظل طول حياته يبشر بدولة العدل والمساواة وينتصر للشعوب على الحكومات ويحارب الطغيان والاستبداد ، حتى اذا حان وقت تطبيق هذه المبادىء السامية تطبيقا عملياً تنكر لها وانحرف عنها وضن على الحرية والأحرار برأس لويس السادس عشر كبير الطغاة وامام المستبدين ؟ لا . . لا . . ان فى الترجمة لتحريفا بل ان المترجم ليزور القول على توماس باين . وقفز النائب توريو الى المنبر وضرب خشبته بقبضة يده وصاح : « أيها الواطنون ، لا تصدقوا أن هذا الكلام يصدر عن توماس باين » وأعقبه النائب ماراه الهائل فأكد فى عبارة قوية حازمة أن الترجمة مزورة وطلب اجراء تحقيق فى الموضوع ومطابقة الترجمة على الأصل بواسطة خبير متمكن من اللغتين

وبينما كان المترجم يقسم للاعضاء جهد أيمانه أنه لا يجيئهم بشىء من عنده وانما ينقل اليهم بالفرنسية فى أمانة وصدق ما دونه زميله بالانجليزية ، كان توماس باين يتفرس فى الوجوه ويراقب الحركات لعله يتبين علة النقاش وسبب كل هذا الضجيج . ولقد ظن أول الأمر أن القوم معجبون برأيه متحمسون له ، فبدت على محياه علامات الرضاء والارتياح ، ولكن تجهم الاسارير وحدة الجدال لم يشجعاه على الاسترسال فى هذا الظن ، فأخذ القلق يساوره . ولعله لم يأسف فى حياته على شىء أسفه فى هذه اللحظة لجهله اللغة الفرنسية هذا الجهل الذى يحول دون تفهمه ما يقال ودون اشتراكه فى النقاش. عجب الرجل كل العجب من أن دعوة الى التسامح والاعتدال تثير هذه الحدة فى الجدل وتحدث كل ذلك الاضطراب . ولكنه تريث حتى يستبين حقيقة الحال . فلما انتهى المترجم من القاء البيان هبت فى المجلس عاصفة ثانية لم تبق فى نفس الرجل شكا فى انها عاصفة احتجاج ونفور واستنكار . ثم انقطع الشك باليقين عند ما أبصر وجوه جيرانه تعبس فى وجهه وتتولى عنه فى اعراض مهين

عندئذ أدرك الفيلسوف أن الثورات لاعقل لها وان الحكمة فى أثناء الثورات هى الجنون بعينه ، وان الجماعات فى أزمنة الفتنة لا تتعقل ولا تتدبر ، وانما تتبع عمياء أعلى الصائحين صوتا وأكثر

القادة صخباً وشعوذة ودجلا ، وأن الحكيم اذا أبى إلا أن ينغمس فى حمأة الثورة كان أوجب واجباته أن يعرف كيف يعوى مع الذئاب اذا عوت وكيف يغنى مع المجانين اذا غنوا

ومن ذلك اليوم اشتدت وطأة الخيبة على نفس الفيلسوف ، وانهار صرح أوهامه فى حكمة الشعوب ، فاستولى عليه حزن مرير لايحس مثله إلا المتفائل الذى تصدمه الحقائق على غرة منه فتخيب ظنونه فى الحياة وتعكس آماله فى الناس . ومذ عركته هذه التجربة القاسية وامتحنته الأيام بتلك المحنة المضنية ، تبدى للناس مهموم النفس مقطب الجبين وقد فارقته ابتسامته التى كانت تغنيه عن الكلام فى كثير من الحالات ، ولازمت وجهه كآبة دائمة جعلت أساريره لاتنم إلا على انقباض دائم وهم مقيم

تغير رأى الاخوان فى رسول الحرية وبدا لهم هذا الرسول شخصاً مريباً لايستحق الاجلال والتبجيل ، وتكشفت منه امامهم حقائق لم تلفت نظرهم من قبل ، أو لعلها لفتته ولكن ثقتهم بالرجل جعلتهم لايلقون اليها بالا ولا يستنتجون منها شيئاً خطيراً . ذلك بأن الدجاجلة من زعماء الثورة الفرنسية الذين كانوا يعلقون على الظواهر أهمية لا يعلقون مثلها على الحقائق ، قد جعلوا من العلامات المميزة للثوار المخلصين رثاثة الملبس وسوء الهندام وشعوثة الشعر ، فكانوا يتبارون فى ذلك تقربا من الطبقات الفقيرة فى الشعب وامعانا فى الشعوذة واستغلال سذاجة الجماهير . ولقد كانوا يتوقعون أن يروا توماس باين كما ألفوا أن يروا الزعيم « ماراه » رجلا معصوب الرأس بعصبة قذرة حمراء وسراويل طويلة متهدلة وحذاء مثقوب النعل ممزق الجوانب . فلشدما كانت دهشتهم عندما أبصروه وهو ينزل من السفينة فى زى أنيق منتظم يعلو رأسه فراء من الشعر المصطنع الجميل ويكسو ساقيه جوربان من الحرير الناعم . ولكنهم كانوا متأثرين بشهرته كبطل من أبطال الحرية ونبى من أنبياء الجمهورية والمبادىء الجديدة فلم يشاءوا أن يروا فى ذلك الهندام المنسق ماينقص من قيمة الرجل ولا من قيمة رسالته ، فاغتفروا له هذا الضعف كما اغتفروه من قبل لصاحبهم روبسبيير . أما الآن وقد بانت لأعينهم حقيقته وظهر لهم أنه من أهل الرجعة وأنصار الطغاة حتى ليشفق على الملك أن يقطع رأسه ، فلم يبق مجال لحسن الظن ولا للتسامح ، بل لم يبق إلا أن زيه مظهر لخبيئة نفسه ودليل على خبث طويته وان حاول أن يستر ذلك بطلاء من تعشق الحرية واعتناق المبادىء الجمهورية القويمة . نعم ان روبسبيير يلبس لباس الاشراف ولكن أعماله كلها تنبىء بأنه دعامة من دعائم الثورة وحصن من حصونها المنيعة . أما هذا الأفاق الذى لم يخلع زى الاشراف اللاعين ثم لا يزال يرى آراءهم ويحاول تخليص عنق الملك من سكين المقصلة ، فدجال خدعهم بدعواه التى وضح زيفها كما يتضح الصبح للمبصرين

وثم مسألة أخرى غير مسألة الزى والهندام : فلقد لاحظ القوم أن صاحبهم لم يتحمس ولا مرة واحدة لخطبة من تلك الخطب التى كان الزعماء الثوريون يلقونها من فوق المنبر فتلهب النفوس

وتثير العقول وتحرك الحناجر بالهتاف والأكف بالتصفيق ، ولم يريدوا أن يرجعوا هذه الظاهرة المقلقة الى سببها الطبيعي وهو جهل الرجل لغة الخطباء وعدم فهمه مايثير حماستهم وما يقولون ، وانما تلمسوا لها الاسباب فى فتور وطنيته وفى تعلقه بالرجعة والرجعيين حتى لاتطاوعه يداه على التصفيق لكلام يستنكره وحتى لاتسعفه حنجرته بالهتاف لرأى لايستسيغه

إذن فالرجل منافق كذاب . و ياويل من يعتقد الثوريون أنه منافق كذاب !

ولو وقفت الشبهات عند هذه القرائن لهان خطبها . ولكن هناك قرائن أخرى أمعن فى الدلالة على أن الرجل ضالع مع الرجعيين منغمس فى الرجعة الى أم رأسه . ذلك بأنه توسط مرة لدى السلطات الثورية فى انقاذ رجل كان قد اعتدى عليه بالضرب فى الطريق العام ورأت الحكومة فى هذا الاعتداء اهانة لكرامة ممثلى الشعب فأرادت أن تحكم على المعتدى بالاعدام وكاد الحكم ينفذ فيه لولا وساطة توماس باين . ولقد شفع مرة أخرى لجاسوس انجليزى كان يتجسس عليه ويوافى حكومة لوندرة بأعماله واقواله فأنقذه أيضا بشفاعته من الاعدام . واذا كان رجال المجلس الوطنى قد رأوا فى هذه الشفاعة وتلك الوساطة حين أقدم عليهما توماس باين شيئاً من نبل النفس وسماحة الخلق ، فقد أصبحوا الآن وقد تفتحت عيونهم على حقيقة الرجل يرون فيهما نزعة خبيثة تجنح بصاحبها الى تضليل العدالة بغية حماية الخونة والمجرمين . فلما أضاف الوطنيون هذه القرائن البليغة الى قلة تحمس الرجل لخطبهم فى المجلس والى الزى الذى يأبى أن يخلعه والى محاولته انقاذ حياة الملك الطاغية ، تبدى لهم توماس باين على حقيقته وأدرك رجال المجلس كما أدرك ناخبو اقليم باديكاليه انهم ابتلوا بدخيل خطر يحسن الخلاص منه بأسرع وسيلة

واذا كان الفيلسوف قد بقيت له بعد كل ذلك بقية من احترام أو من ثقة فى نفوس زملائه ، فقد زالت هذه البقية حين نظر المجلس الوطنى قضية حزب الجيرندة وأبى المتطرفون تحت ضغط روبسبير وماراه وسانجوست الا أن يحكموا على الزعماء الجيرونديين بالاعدام جزاء ارتكابهم جريمة الاعتدال . فلقد كان توماس باين يرى ويعتقد أن الاعتدال صفة ممدوحة يجب أن يتصف بها الحكام والسياسيون ، ولا يعقل كيف يصورها بعضهم جريمة يحكم على مرتكبها بالاعدام . فلما آنس من أكثرية المجلس اتجاهها الى العنف واصرارها على قتل شرذمة الجيرونديين وهى زهرة المجلس وخلاصة النابهين من أعضائه ، استنكر سياسة الاكثرية وأخذ الشك يساوره فى نزاهتها بل فى نزاهة الثورة والجمهورية نفسها ، وبدأ يسائل نفسه فى قلق وحيرة : علام هذه الثورة كلها ما دامت نتيجتها الخروج من طغيان الفرد للدخول فى طغيان الجماعة ؟

وجاءت بعد قضية الجيروندة قضية دانتون وكمى ديمولان وأصحابهما ، ورأى توماس باين أن الثورة وقدبدأت بأكل أولادها ، صارت الآن كالنار يأكل بعضها بعضاً ان لم تجد ما تأكله . فعافت نفسه هذه الحال وتقززت طبيعته من تلك الشرور والآثام ولم يستطع الصبر على رؤيتها وهى تقع

بين سمعه وبصره كل يوم ، فكف عن كتابة البيانات التي كان يدفعها الى من يترجمها ويتلوها على المنبر إذ لم يعد يجد بين الزملاء من يقدم على هذه المغامرة الخطرة . ثم أخذ يقاطع المجلس ولا يحضر من جلساته الا القليل مباعداً بين الجلسات التي يحضرها ما أمكنه المباعدة

وكان قد استأجر لسكنه داراً خاوية في حي سان دنيس أنشأ حولها حديقة متواضعة وجعل جزءاً منها مراحا للخنازير وتقفيصة للدواجن . فلما رأى أنه لا يجني من الذهاب الى المجلس الا الغصص المريرة وأن نفور القوم منه يتزايد بمرور الزمن ، لزم داره يفلح الحديقة ويعنى بتربية خنازيره وأرانبه وطيوره تاركا وحوش الثورة يلغون في الدم ويطبقون تعاليم الحرية على ذلك النحو الشنيع . ولكن أليست هذه جريمة أخرى ؟! رجل من الشعب يمثل الطبقة الدنيا ومفروض أن يكون قدوة للفقراء في تحمل الفقر أو الاعراض عن نعيم الحياة وها هوذا يسكن كالنبلاء داراً مستقلة ذات حديقة ومراح وتقفيصة ! فهل بعد ذلك ارستقراطية وهل قامت الثورة إلا للقضاء على الارستقراطية ؟ وما دام الرجل ارستقراطياً إلى هذا الحد الفاضح ففيم تشدقه بكلمات الحرية والاخاء والمساواة وتغنيه بالمبادىء الحديثة والنظم الجديدة إلا أن يكون منافقا يبتغي أمراً أو خائنا يضمر للجمهورية شراً ؟ وفي أصبوحة يوم من الايام صحا الفيلسوف من نومه فاذا بيته مطوق برجال الشرطة ، واذا الجنود يأخذونه من سريره إلى سجن لوكسمبورج

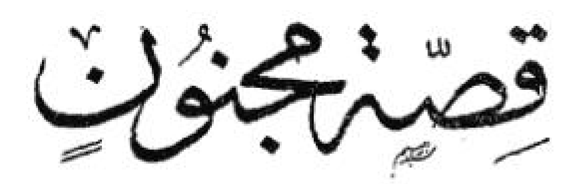
وكانت نفس الرجل قد تقززت من كل شيء فلم يرد أن يسأل عن سبب اعتقاله موقنا أن لا جريمة له إلا جريمة الاعتدال . وقبع في السجن ينتظر أن يبت القوم في مصيره بما يشاءون . وإذ كانت المحاكم الانجليزية في تلك الاثناء قد حاكمته غيابيا وحكمت عليه بالسجن متهمة إياه بالتطرف في اثارة الخواطر على الحكومة وتحريض الجماهير على قلب الأنظمة المرعية ، فقد جلس الفيلسوف يتأمل في حالته الغريبة ويعجب من جنون بني الانسان الذين يسجنونه في انجلترا لجريمة التطرف ويسجنونه في فرنسا لجريمة الاعتدال !

***

ولبث في السجن عشرة أشهر ثم أخلي سبيله بعد سقوط روبسبيير وانتهاء عهد الارهاب . وما دام القوم لم يشاءوا أن يفضوا اليه بأسباب اعتقاله ، فهو لم يشأ أن يسألهم عن أسباب تسريحه . وخرج من السجن راضيا بهذه النتيجة الطيبة وهي أن رأسه ما يزال قائما بين كتفيه وأنه يستطيع بهذا الرأس أن يواصل تفكيره في وسائل اسعاد الانسانية ، ولكن من طريق غير طريق الثورة المحفوف بالمخاطر والأهوال

وارتحل توماس باين إلى أمريكا حاملا من فرنسا أسوأ الذكريات . وكان اذا سئل عما فعلته ثورة الديمقراطية بفرنسا يجيب في حزن عميق : «لقد صيرتها الثورة جمهورية شياطين لامقام فيها لرجل شريف »

حسن الشريف



قصة مجنون

بقلم الاستاذ رمسيس جبراوي

هذه خلاصة كتاب وضعه رجل قضى سنوات مريضاً فى مستشفيات الامراض العقلية وقد وصف فيه المعاملة الشاذة القاسية التى لقيها فى هذه المستشفيات ، فأحدث به ثورة علمية هائلة اشترك فيها العلماء والجامعات ، وانعقدت لها الجميات والمؤتمرات

كثيراً ما ألف المجانين كتباً يعنى بها الهواة ، ولكن الغريب ان يخلد منها كتاب واحد يعاد طبع الملايين منه سنويا مدة خمس وعشرين سنة ، ويترجم الى اللغات كافة (ما عدا العربية للأسف) ثم هو لا يزال كتاب اليوم له جدته وجاذبيته وسحره

ولست أعنى المجنون فى الاصطلاح العلمى ، فان علم النفس يكاد يجعل الجنون هو القاعدة ، والسلامة منه هى الاستثناء النادر الذى ان جاز اليوم نسبته الى شخص ما فالى أجل معين . وانما رجل القصة مجنون بالمعنى الذى يفهمه كل الناس ، فهو نزيل مستشفيات المجانين ومعترف فوق ذلك بجنته فى كتابه الذى يكاد يكون أروع ما فيه أنه اعتراف صريح مفصل . ثم يكفى أن تسمع العالم وليم جيمس وهو يقول عن ذلك الاعتراف : « انه يلوح للقارىء العادى خيالا ، ولكنه حقيقة واقعة » لكي تعرف قيمة الكتاب

هذا المجنون هو كليفورد ويتنجهام بيرز . ولد سنة ١٨٨٠ ونشأ كما ينشأ أولاد الامريكان ، اذا استثنينا شدة خجل بالغة ، مع احساس أدق وفكر أعمق وميل الى الوحدة والتفكير الرزين . وكان دائم العناية بمن حوله ، محملا نفسه مسئوليتهم ، دائب التفكير فى مصالحهم ، فوق ما تسمح به حداثة سنه ، وضعف حيلته وقلة خبرته . رأى ذات يوم عملة نقشت عليها آية من الانجيل فخطمها . أليست هى معدة لاستعمال أى مراب وغاش ومنافق ؟!

وكان لشدة خجله قليل الكلام ، مدركا عيبه ، محاولا تلافيه . ولذلك كانت جمله ملاحظات وآراء فى قالب فكاهى يدق فهم مرماها على أكثر سامعيها . فقد لاحظ يوماً كثرة الجالسين حول مائدة العائلة ، وأدرك أن والده يتجنب البذخ فى الطعام مسايرة لميزانيته . فقال : « وددت لو قل عديدنا ، ويحسن الطعام » فكانت ملاحظة أكبر من عمره بكثير ، إذ هى خلاصة نظرية « مالتوس » فى تحديد النسل

والتحق بجامعة «ييل» إحدى جامعتى أمريكا الرئيستين ، وكانت له إذ ذاك ثلاثة مقاصد : أن يشترك فى تحرير مجلة الجامعة ، ثم يرأس التحرير — وهى خدمة مأجورة — ثم يتخرج فى أقصر وقت

وولع بالتنس فكان لاعباً متوسطا ، وحدث ان دخل مباريات الجامعة السنوية وانتهى الى الشوط النهائى واجتمع الاساتذة والمدعوون والطلبة يشاهدون ، وكان خصمه قويا متمكنا ، وكانت جماعة من الطالبات تميل الى ذلك الخصم ، فاذا ما قابلن صاحبنا فى الطريق بادلنه التحية على طريقة لفت الوجوه الى الناحية المضادة . وكان حسنا من هؤلاء الطالبات أن يصفقن لكل ضربة حسنة من خصمه ، وكان حسنا ألا يصفقن لأية ضربة حسنة من صاحبنا ، ولكن الذى لم يكن حسنا أنهن كن يصفرن استهزاء لكل ضربة منه اذا خابت . عندئذ غلى فيه مرجل الغضب، فلعب ولعب حتى لم ينتزع البطولة فحسب ، بل محا خصمه محواً ، وأخرس هؤلاء الفتيات

ثم أصيب أخوه الأكبر بالصرع فجأة . فكان يقضى أوقات فراغه بجوار أخيه وينصرف الى أفكاره التي تركزت رويداً رويداً فى فكرة واحدة : إذا كان أخوه وهو فى تمام قوته جسما وعقلا ، قد أصيب بالصرع ، فما الذى يمنعه وهو الأضعف منه ، والأقل استعداداً ، أن تكون النازلة به أشد . وازداد إمعانا فى التفكير وقل كلامه ثم تلعثم لسانه . ثم امتنع عن الكلام اطلاقا ، فى حصص معينة

ونال الاجازة فى موعدها وتحققت أغراضه الثلاثة ، والتحق بعمل طيب فى الحى التجارى بنيويورك ، ثم مات أخوه فأيقن هو الآخر بقرب الآخرة ، وخيل اليه آلاف المرات أن نوبة الصرع آتية ، وتمكن الهاجس منه فما يدرى أصرع فعلا أم هو سيصرع ، حتى اسودت الدنيا فى عينيه وخال العالم ينظر اليه شزراً كمريض لاخير فيه . واشتدت عليه العلة فلزم الفراش ، وأقبلوا يمرضونه وهو صامت يائس يفكر فى جدوى الانتحار من عذاب ذلك الموت المؤلم البطىء . وتعددت فى فكره طرق الانتحار فاستيقظ ذات يوم مبكراً ورأى أنه فى غفلة من الرقيب فقفز من الفراش وفتح النافذة وألقى نظره على الأرض الصلبة تحته على عمق ثلاثين قدماً ، ثم أقفل النافذة متجنباً احداث صوت . وما كاد يستلقى على السرير حتى دخلت قريبة له — ربما بذلك الدافع الخفى الذى تلهمه المحبة — وحدثته فى ريبة من أمره ، فاضطر الى محاولة طمأنتها بكلام اختلقه لأول مرة . إذ أى ضير فى الكذب وماذا تهم مبادىء الشرف والصدق وقد فقدت الحياة كل ما لها من قيمة ؟

وجاء الصباح ، فما كان أكثره اشراقا فى أعين الناس ، وأظلمه فى عينيه الساهمتين . وكان يحاول خداع مراقبيه فينطق كلمة بين آونة وأخرى ، ويوهمهم أنه يقرأ فى الجريدة وهو لا يرى فيها حرفاً ، حتى أتوا له بالطعام وانصرفوا ماعدا والدته فأكل ، وعرضت عليه فاكهة أخرى فأجاب بالايجاب . وخرجت أمه فقفز من النافذة الى الموت المحتم ، ولكنه تشبث بيديه فى النافذة ، ثم لف فى الهواء ودار حتى هوى على قدميه وجنبه ، فتهشمت عظام قدميه وذراعه وكتفه ، وكان من توزيع

ضغط السقوط ان خف الوقع هونا ما ، فلم ينكسر رأسه ، ولا سلسلته الفقرية ، ونقله الاسعاف وعقله يضطرب ، أليس الانتحار جريمة ؟ أليس هو مجرما ؟ فهو الآن مقبوض عليه ، مساق الى المحاكمة ! وخال من حوله كلهم من رجال البوليس ، وخال الاتهامات تنهال عليه يمنة ويسرة ، وخال زملاءه والانسانية جمعاء تتنصل منه ، فهذا العذاب الذى يحسه ليس إلا إحدى درجات التعذيب التى قرأ عنها فى وصف محاكم التفتيش ، لنزع الاعتراف من المجرم . وغلت درجة الحمى وزاد لغوه ، وهو محصور بين قوالب الجبس بينما تخز ظهره وعظامه آلاف المسامير الدقيقة ، فتمحو البقية الباقية من عقله الهارب . وزاره والده فعاد عقله هنيهة ، وحاول أن يصفى مع والده حسابه ويودعه بكلمة ، فنطق بمنتهى الصعوبة والألم : « لقد كنت لى أباً طيباً » وأجاب الوالد وقد أطرق : « لقد اجتهدت دائما أن أكونه ! »

وعاد صاحبنا الى سكوت لا نهاية له ، وانقضى الزمن والحوادث تمر سراعا يراها رؤية الحلم . واختلط الحابل بالنابل ونال المرض كل حواسه فما عاد يميز بين اختلاف الصوت أو الشكل أو المذاق أو اللمس ، فكل ما حوله من أدوات التعذيب ، وكل مأكل ومشرب حيلة لحمله على الاعتراف ، وكل الاطباء والممرضين والخدم من رجال البوليس . ولكم خال جثث الموتى المشوهة راقدة بجواره ، وأنواع الجن تلعب حواليه ، واتسعت دائرة الاتهام فشملت كل أهل بيته ، فكلهم فى اعتقاده سجان وكل من زاره منهم بوليس ماهر فى التنكر . ولماذا التكلم اذا كانت الكلمة قد تودى بالجميع ، ولماذا الأكل وقد امتزج بدماء الضحايا ولحمهم ، ولماذا الشرب ، ولماذا الدواء ، ولماذا العمل ؟ ؟

ثم تحسنت صحته نوعا ما ونقل الى مستشفى الأمراض العقلية ملقى على ظهره محصورة رجلاه فى قوالب الجبس . وهناك كان يطلب اليه أن يتناول الشىء فيتردد فيكره عليه بالقوة ولا وسيلة لديه للمقاومة سوى ذراع ضعيفة ، وعين متحدثة فى صمت . ووصفوه بالعنيد ، وكيف يكون عنيداً من فقد ملكة الحكم على الاشياء ، ومقدرة التمييز والادراك ؟

وقد مر به الطبيب يوما فسأله عن حالته فلم يجبه المسكين بغير نظرة تعمد فيها أن يظهر احتقاره لذلك الذى يدعى الطب وهو من رجال البوليس . فلمعت عين الدكتور ببريق الغضب ، وجذب المريض فى عنف وألقاه على الارض بعيداً ، جسداً مشلولا مقيداً بالجبس ، مهشم العظام متلف الاعصاب معدوم العقل والحيلة . وقال شامتاً :

— والآن ألا تجيب ؟

وهنا يقول المؤلف : « ولو أنى قد تأخرت عليه أكثر مما يجب ، إلا أنى أبعث اليه الآن باجابتى : كتابى هذا ! »

وبعد لأى تقدمت صحته . وألزم أن يلمس الأرض بقدميه ، فآلمه هذا كل الايلام ، إذ كان كعباه اذا لامستا الأرض فكأنما لامستا جمراً ملتهباً ، فتطير نفسه شعاعا ويجف الدم فى عروقه

وينضح العرق مدراراً ، وتخور قواه فى شبه اغماء . ولم يفهم ذلك إلا على انه امعان فى التعذيب لحمله على الاعتراف ، ولكن مدير المستشفى أمر بعد بضعة أسابيع بمنع كل معاونة له فى محاولة السير ، فلولا رأفة الممرض به ومخالفته لأمر رئيسه لبلغ العذاب منتهاه

وكان من خطة هذا المدير أن يطرد المريض اذا عجز أهله عن الدفع وقد علم المؤلف أن ربحه بلغ ثمانية وتسعين ألف دولار فى سنة واحدة وانه مات تاركا مليونا ونصف مليون

ولما رقت حال عائلة مريضنا نقلوه آسفين الى مستشفى للمرضى الميئوس منهم ، الى مقبرة الأحياء على حدود العالم الآخر

ولكن الحال تغيرت ، فقد بدأ يلمس كم يحبوه أهله وصحبه بالعطف والحب . وكان لهذا الشعور ولحضوره الصلاة فى الكنيسة الملحقة ، أحسن الأثر فى نفسه ، برغم أنه كان واثقا بأن زائريه ليسوا من أقاربه وأصدقائه وإن شابهوهم ، وأحسنوا اظهار عواطف الود ، خصوصا ذلك الذى يتظاهر بأنه أخ ويكثر من زيارته والتلطف معه

وأخيراً امحت مخاوفه وأوهامه ، وتمت المعجزة وشفى المريض !

ولكن لم يكن سهلا عليه أن يتكلم وقد تعطلت عضلات اللسان سنتين . ثم تركزت أفكاره فى اتجاه واحد ، فتكلم فكأنه لم يمرض أبداً

والعقل البشرى ليس سهل التركيب . بل هو معقد الى حد لا يسمح للبندول أن يتحرك من أقصى اليسار الا الى أقصى اليمين : من هوان الضعة الى زهو الغرور ، من سكوت الخمول الى صخب الهيجان ، من الاحساس بضعف المرض ، الى الشعور بمنتهى القوة . وهكذا مرت به أيام وليال وهو دائم الحركة والكلام لا يفتر ولا يهن ، وقد فهم أن الله وهبه العقل فى هذه الظروف ليؤدى رسالة سامية ، فهو مبعوث العناية الالهية فى ذلك الوسط المملوء فى اعتقاده جهلا وظلما وقسوة

فأشهرها حربا عوانا ، على كل قانون وذى سلطة فى المستشفى . وكان يدرك أنه لكى يصلح يجب أن يعرف الصغيرة والكبيرة مما حواليه ، وكان يرى كيف يعامل الجدد الذين ينقلونهم الى العنبر الرابع ، عنبر الهائجين ، لذلك قرر دخول ذلك العنبر

ومر به الطبيب ذات مرة ، فطلب اليه أمراً ما ، ولكنه رفض فى صلف وتكلف . وتسلمه صاحبنا بلسانه ونكاته ، فأنذره قائلا : « اذا لم تخرس فسأنقلك الى العنبر الرابع »

فأجاب : « افعل ما بدا لك ، ولكن اعلم أننى لن أخرس ! »

وهكذا نقل الى العنبر الرابع حيث غدا فيه السيد الآمر الناهى لمصلحته حينا ولمصلحة زملائه أحيانا

ودخل العنبر مريض جديد ، كان يدمن الشراب ، فاحتال أهله حتى أدخلوه المستشفى سجينا بين قوم أقل ما يقال فيهم أنهم مجانين ، وعرف صاحبنا ذلك فشمله بحمايته ، وأبى أن يخرج الى النزهة الا معه

واعترضهما ممرض ذات مرة وجذب زميله بقوة ، فما كان من صاحبنا الا أن لكم الممرض فى عينه اليسرى . أو حواليها لكمة قوية ، فخنقه الممرض بيده ، وفجأة هجم الزميل وقبض على عنق الممرض وكاد يخنقه . وكان من المحتمل أن يموت من ذلك لولا دخول المدير فى الوقت المناسب وهو زميل من « ييل » تخرج قبل صاحبنا بقليل ، فسمع منه القصة ثم قال : « لم يكن يجدر بأحد رجال ييل أن يتصرف كرجل الشارع ! » فأجاب : « اذا كان الدفاع عن حقوق ضعيف يستلزم أن أكون رجل شارع ، فانى أفضل دائما ان أكونه ! » . واضطروا بعد ذلك الى ترقية صاحبنا الى عنبر خاص حتى لا يتدخل فى شئون الآخرين

وعندئذ انصرف الى الكتابة والرسم ، وبدهى أنه كان يعتقد أن الفارق بينه وبين أعظم الكتاب أو أشهر الرسامين ، هو فارق زمنى لا أقل ولا أكثر . هم له سلف صالح وهو لهم خلف ممتاز ! ولهذا كان يحرص على منتجات قريحته ، ولا يكف عن ابدائها فى كل وقت ، وكل مناسبة ـ فلما حرموه من أدوات الكتابة ، كان يكسر زجاج النوافذ ، ويخفى قطعاً يسطر بها على الجدران خواطره الفذة ، حتى تضايق يوما فنقش على باب محبسه : « بارك الله منزلنا ، فان هو الا جحيم ! »

وأمر يوما أن يتناول دواء كريها ، لم ير منه فائدة ، فرفض ، وفى الحال جاءه الطبيب المعهود فى رهط من المرضين والخدم ، وبيده خراطيم المطاط لوضعها فى خياشيمه وحلقومه ، فسألهم : « لم كل هذا ؟ » ، قال : « لاعطائك الدواء الذى رفضته » قال : « ولكن هاتوه أشربه » . فأجاب الطبيب فى شماتة وتحد : « هيهات فقد أضعت الفرصة الذهبية » . . . وأمر فهجم عليه الجمع وأحدثوا به من الاصابات والآلام ما كان لهم خير ثأر وانتقام

وكان الخدم يفهمون أن واجباتهم هى ـ على سبيل الحصر ـ تقديم الغذاء للمرضى ثلاث مرات كل يوم ، فان طلب مريض غير هذا فهى قحة تستحق التأديب .. ! وعطش صاحبنا بعد العشاء ، فانتظر رجوع هؤلاء من حفلة رقص داخلية مع المرضات ، فلما سمعهم بعد منتصف الليل ، صاح يطلب الماء ، فأمروه بالسكوت ، فصاح قارعا الباب بشدة ، فعادوا محنقين ليؤدبوه ودفعوا الباب فأخذ يقاومهم ، فلما دخلوا عليه حتى أعطوه درساً قاسياً لم ينجه من إتمامه الا تصنعه الاغماء ، ثم تركوه ليموت كما يشاء هو ، أو يشاء له القدر . . . ولم ينم حتى سجل تلك الوقائع بدقة ، على جدار محبسه

ومر الطبيب صباحا فى حاشيته ، فناداه صاحبنا : « أريد أن أقص عليك حلما مزعجا ، لعله من قبيل تلك « الهلوسة » التى انتابتنى فى أوائل مرضى ، فاذا كان الأمر كذلك ، فالعجب أنه لأول مرة يترك كل هذه الآثار المادية » وكشف للدكتور عن اصاباته ، وهز رأسه ، ثم مضى دون أن ينطق . وكان يذهب أخوه لزيارته فيرجعه الطبيب بحجة أن الزيارة ضارة ، وشكى أخيراً

لأخيه ، فنقله الى مستشفى حكومي ، أرحب بقعة وإن لم يكن أدق نظاما ولا اكثر رعاية لمرضاه ، ووضعوه فى العنبر الثالث . فأخذ يطالب بما يظنه من حقه ، منددا بهم مهددا اياهم وكان سلاحه لسانه ، وسلاح المستشفى نقله الى العنبر الرابع ، عنبر الهائجين الذين يرون القتل أمراً طبيعياً لا غرابة فيه

وأخيراً تحسنت صحته ، وسمح له بالخروج مع رقيب للنزهة وشراء الكتب . فانتهز الفرصة ، وبعث الى حاكم الولاية خطابا مطولا يكاد يبلغ حجم كتاب ، وصف فيه بعض ما لاقاه وشاهده فى المستشفيات ، فى لغة سهلة ، خالية من التكلف ، صادقة التعبير . ثم حار فى إرساله ، فألقاه خلسة فى المكتبة التى كان يتردد عليها ، وكتب على الغلاف هذا الرجاء :

« سيدى موظف البريد

« ليست هذه الرسالة مختومة ، ولكنها برغم ذلك عظيمة الأهمية ، شأنها فى ذلك شأن جميع ما أحرره . وقد وضعت عليها طابعين بسنتيمين . فاذا لم يكن هذا كافيا ، فستقلد الحاكم جميلا بأن ترسلها اليه مغرمة بالباق . واذا شئت أن تعرف من أنا ، فسل سعادته » ثم كتب هذا الطلب :

« كل من يجد هذه الرسالة ، وقد لصقت عليها الطوابع ، وعنونت للمرسل اليه ، عليه أن يلقيها فى صندوق البريد ، إذ هى فى حمى الحكومة منذ لصقت عليها طوابع البريد » !.. ثم هذا التحذير : « كل مخالفة لقانون الدولة الذى يحرم على أى كان عدا المرسل اليه أن يطلع على الخطاب، تعرض المخالف للزج به فى سجن الحكومة » وقد وصل ذلك الخطاب الطريف للحاكم وقرأه ، فكان له فى المستشفيات أثر طيب نسبيا ، وأضحى موظفو المستشفى يحسبون لقلمه ولسانه حسابا

وزاد تمتعه بحرية الكلام والكتابة والخروج ، وزار منزله كثيراً ، ومكث فيه مرة ثلاثة أيام وكان يرجع الى المستشفى راضيا ، منتظراً الحرية النهائية بملء الثقة حتى استعادها ، بعد ثلاث سنوات فى المستشفيات ومرض دام ثمانى سنوات تقريبا . وكان أقاربه وأصدقاؤه يزورونه فى منزله فيتحدثون فى كل شىء الا فى ماضيه كريض . فكانوا يتحاشونه خشية جرح احساسه . أما هو فكان يصر على أن يتحدث عنه كحدث عارض ، فات بقضه وقضيضه ، فلم يبق منه الا ذلك الضمير الذى لن يستريح حتى يقدم العون لزملاء الأمس ليرفع عن كاهلهم يد الظلم والقسوة ومغبة الجهل والخشونة

ثم تقدم الى البنك الذى كان يعمل فيه سابقا طالبا العودة اليه ، وكان مديره واسع الفكر سليم التقدير ، فرأى أن فى اصرار عدته على التمتع بأفضل المزايا ضمانا لشدة احتفاظه بمصالح البنك . فقال له: « يا صديق ، عند ما يمرض أحد موظفى البنك ، فانى لا أعبأ بأى مستشفى دخل . وسواء لدى الحميات والأمراض العقلية . ولذلك فان فى وسعك ، عند ما تشعر بحاجة الى الراحة ، أن تنالها فى أى جهة أو مستشفى أردت . على أن ترجع بمجرد ان ترى نفسك قادراً على العمل » . وكان عمله

كوكيل أعمال يتيح له السفر الى الأقاصى والتسلى برؤية العجائب ، كما لم ترى له فسحة من الوقت لاشباع مزاجه الخاص . ولكنه كثيراً ما كان يفكر فى هؤلاء الزملاء الذين تركهم وراءه ، وأهمه أمرهم

ثم تفرغ للقراءة وكان من جملة ما قرأ « البؤساء » لفيكتور هوجو ، فملك عليه عواطفه ، وفكر فى أن يكتب هو الآخر كتابا ، يدافع فيه عن مرضى العقل ، كما دافع هوجو عن البؤساء . وشغل ذلك الموضوع عقله ، فما عاد يفكر فى غيره ، وخاطب فى شأنه الكثيرين من المفكرين ، أخصهم مدير جامعة « ييل » الذى أصغى اليه ثم أشار عليه بالتريث ، ولكنه لم يستطع اليه سبيلا ، فكان طول أيامه مشغولا بالحديث فى تكوين جمعية وبالبحث فى تأليف الكتاب ونشره

وأشار عليه أخوه بأن يحضر اليه فى مكتبه للتحدث فى هذا الموضوع فى سعة من الوقت ، فذهب فى الموعد المحدد ، وما ان جلس حتى أقبل رجل أمرد فى شكل مرب ، فما قدمه اليه أخوه حتى فهم الحقيقة . وبطيبة خاطر مدهشة ، توجه من جديد للمستشفى ، مقتنعاً بأن فى ذلك راحة لخاطره ولخواطر أقاربه والأصدقاء . وكم كان يلتذ بأن يكتب لصحبه رسائل على ورق مطبوع باسم فندق كبير يقول فيها : « ان أحوالا خاصة تضطرنى للتغيب مدة لا أستطيع اليوم تحديدها ، وآمل ألا تطول ، فالى اللقاء القريب ! » وكم كان طريفا أن يدخل عملا تجاريا ، والمرض المراقب فى الخارج ، فيتناقش فى صفقة هائلة للبنك الذى يعمل فيه ، ثم يعقدها بنجاح مدهش ويقفل راجعا لمستشفاه !

ثم خرج من المستشفى سليم الرأى ماضى العزيمة ، فنشر كتابه هذا الذى مررنا به فى هذه العجالة ، وقال فيه ما قاله عالم مشهور : « ان أفيد شىء للمجنون ، هو الصديق ، فحيث توجد المحبة يكون الشفاء » وكان من أثر ذلك الكتاب ، ان تكونت جمعيات الصحة العقلية فى ولايته ثم فى أمريكا ثم فى مختلف الدول . وعقدت المؤتمرات الدولية لهذه الجمعيات واشترك فيها أعظم علماء النفس فى العالم وتراكمت عليه الدرجات العلمية ، وألقاب الشرف ، والأوسمة الرفيعة من كثير من الدول والجامعات

رمسيس جبراوى
المحامى

نقد وتحليل



تأليف برترام توماس

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

صاحب هذا الكتاب برترام توماس هو أحد الانجليز الثلاثة الذين اشتهروا فى القضية العربية وعرفوا بلاد العرب وأبناءها بالعشرة الطويلة والدراسة القريبة ، والآخران هما لورنس صاحب الملك فيصل وفيلبى صاحب الملك ابن سعود . ولم يقتصر صاحب كتاب « العرب » على بلاط واحد ولا على جهة واحدة من جهات البلاد العربية . فقد عمل حينا فى العراق ، وعمل حينا آخر فى شرق الأردن وتقلد رآسة الوزارة لسلطان مسقط وعمان ، وقضى فى الاقاليم المختلفة أربع عشرة سنة خرج منها بمحصول قيم من معرفة التاريخ وفهم الاخلاق ومراس الشعوب

ومما لاريب فيه أن رجال الانجليز الذين يعيشون فى الاقطار الشرقية لهم غرض سياسى يتحرونه لأنفسهم أو يتحراه لهم القائمون على السياسة البريطانية ، ولكن من الخطأ ان يظن فى هؤلاء الرجال أنهم عاملون سياسيون وكفى ، أو انهم يصلحون للمقاصد الحكومية ولا يصلحون لشىء غيرها ، فان الحقيقة أنهم لايوجدون فى مكان إلا بذلوا قصارى الجهد فى استطلاع كل مايتسنى لهم أن يستطلعوه من مباحث الأصول والآثار وحقائق الأجناس والمجتمعات فى حاضرها وغابرها وما يقابلها من أحوال الأمم المشابهة لها ، بحيث يستفيد التاريخ الانسانى كله والعلم الانسانى كله ويستفيد أبناء البلاد أنفسهم من نتائج ما كشفوه ودلوا عليه

وصاحب هـذا الكتاب أسبق الانجليز الى الرحلات الجنوبية فى شبه الجزيرة العربية ، ولرحلاته فضل يعتمد عليه المحققون فى تصحيح الآراء عن ماضى بلاد العرب وعن مكان القبائل العربية من السلالات البشرية ، وله كتاب قبل هذا عن الربع الخالى معدود من أحسن المراجع فى بابه فضلا عن طلاوته وامتاع أسلوبه

أما كتاب « العرب » الذى بين أيدينا الآن فقد دعاه الى تأليفه أنه ندب لالقاء محاضرات عن العرب فى معهد لويل بمدينة بوستون ، فاحوجته هـذه المحاضرات الى المراجعة والاستحضار

والمضاهاة بين المصادر والأخبار بما يصلح لتأليف كتاب شامل فى موضوعه ، فكانت المحاضرات سبباً لظهور الكتاب ، وان لم تكن نصوصه هى بعينها نصوص المحاضرات

وقد تناول فيه الكلام عن العرب الأقدمين وعن نهضتهم الاولى وعن حضارتهم ومجدهم وعن أيام ضعفهم وركودهم وعن نهضتهم الحديثة ومشكلاتهم الحاضرة وآمالهم فى بعث الدولة العربية وتجديد الحضارة القومية ، متخللا هذه الفصول بوصف الاسلام والنبى عليه السلام واجمال ما تعلمه المسلمون الأولون وعلموه الأمم فى المشرق والمغرب ، بعبارة يغلب عليها الانصاف بل يغلب عليها التشيع فى بعض الأحيان

فرأيه فى النبى العربى أحسن الآراء التى يقول بها رجل لا يدين بالاسلام ، وشهادته للمناقب العربية شهادة الرجل الذى يحرص على اذاعة الأحدوثة الطيبة وينبو عن المبالغة فى المآخذ والهنات

قال : « ليس فى العالم أمة تفوق العرب فى الكرم المطبوع . فانهم ليعطون باليدين ويعطون عطاء القلب الفعم بأريحية العطاء ، لايشحون ولا يحسبون حساب المثوبة المنظورة ، وانما يجودون عفو السليقة المطبوعة على هذه الخصال . وقد هزنى الاعجاب عشرين مرة لامرة واحدة أو مرات قليلة بما شهدت من الدلائل الصغيرة العارضة التى تشف عما جبل عليه رفقائى البدو من السجايا الانسانية. فقد كنت بعد ساعات العطش والركوب المضنى أخف ومعى واحد أو اثنان منهم الى عين ماء طال بنا ارتقابها لنسبق الى ورودها ، فكان السابقون معى يرقبوننى وعلى وجوههم أمارات الرضى والاغتباط إذ أنا مقبل على الماء اطفىء غلتى فى شوق ولهفة . بيد أن واحدا منهم لايبيح نفسه قطرة من الماء يبل بها شفتيه قبل أن يصل رفاقه المتخلفون ، ولعلهم لايصلون إلا بعد ساعة طويلة ليشربوا معا مجتمعين . ولاحظت مرة ان أحدهم قد ادخر كسرة خبز أعطيته اياها ليقاسمها رفيقه . وندر جدا أن عبرنا بخيمة كائنة ما كانت من الضعة والشظف دون أن يعدو الينا صاحبها ملحا علينا فى مقاسمته قعب اللبن والتمرات التى عنده وربما كان فى أشد الحاجة اليها . وانك لغريب ما رآك من قبل ولن يراك بعد ارتحالك ، ولكنه على هذا يؤثرك على نفسه ويعطيك ماهو فى أمس الحاجة اليه» .وقال فى موضع آخر إنه كان آمنا على حياته مع انه كان يحمل المال الكثير ويعلم رفاقه ما يحمل ولا يخشون وتراً ولا عقابا من أحد لو سفكوا دمه وسلبوه ماله

وهكذا تقرأ الثناء بعد الثناء فى غير تحفظ ولا ضنانة كتلك التى تلمحها كثيراً فى كتابات المادحين للقبائل البدوية حتى الأصدقاء منهم والعشراء

أما رأيه فى فضل الحضارة العربية على الغرب والعالم المتمدن فهو رأى ينضح بهذا السخاء وحب الثناء ولا يخالف المشهور المأثور من أقوال العلماء ، وهو يلاحظ أن الاسلام لم يكن حفيا بالموسيقى لما يقترن بها من اللهو والمجانة ، ولكنه يرى أن المسلمين كانوا أصحاب الفضل الأول فى تعليم الأوربيين ضبط الآلات على حساب النسب الرياضية بعد أن كانوا يضبطونها بالمرانة والسماع ،

وان فلسفة ابن رشد كان لها أثر فى تطور المذاهب المسيحية فوق الأثر المعروف لها فى تطور العلم والتفكير، وان شعر الأندلسيين كان له أثر فى الشعر الفرنسى ومن ثم فى معظم الاشعار الأوربية

وقد بحث المؤلف فى أصول العرب القديمة فجاء فيها بأقوال قد يؤكدها المستقبل بالتأييد وقد يعرض لها التمحيص ببعض الشك أو التعديل، ولكنها بلا جدال هى أحدث الأقوال وأوفرها حجة عند المقارنة بينها وبين سائر الآراء التى يذهب اليها الباحثون فى أصول الأجناس

فهو يرجح رأى العلامة الكبير «ارثر كيث» الذى درس جماجم العرب المحدثين رهيا كلهم وقابل بينها وبين بقايا العصور الدابرة منذ آلاف السنين. وخلاصة هذا الرأى ان الأجناس الحامية كانت فيما قبل التاريخ تسكن نطاقا من الارض يمتد من افريقيا الى بلاد الملايا فى آسيا الشرقية، ثم غلب عليهم الشماليون فى الهند وفى شبه الجزيرة العربية، وان هؤلاء الشماليين قد أغراهم بالوفود الى شبه الجزيرة خصبها وغزارة مائها وطيب مناخها يومذاك بالقياس الى الاقطار الشمالية التى كانت تغمرها الثلوج وتقل فيها خيرات الطبيعة، والأرجح أن الشماليين الوافدين كانوا ممن يعيشون على الصيد ولا يحسنون الزرع ولا الرعاية

وتدل المقارنة بين الجماجم والملامح على اشتراك ثلاثة عناصر في تكوين القبائل الموسومة باسم القبائل العربية، فهناك الجنس الاسود الآتى من الجنوب، والجنس المستدير الرأس الشبيه بالارمنى الآتى من الشمال، والجنس الضيق الجماجم الآتى من شواطئ البحر الابيض، وهى تتميز وتتضح الفوارق بينها الى اليوم

ولعل في هذا الاستقصاء الموغل فى القدم درسا لمن يرسمون الحواجز الحاسمة بين أجناس البشر ويكادون يقسمونها بالأذرع والأشبار كما تقسم مساحات الارض ومسافات الاحجام

وفى الكتاب عدا تحقيقاته التاريخية ومراجعه القديمة معلومات حديثة يحتاج اليها من يعنيه شأن العرب فى حياتهم الحاضرة كما يحتاج اليها من يعنيه شأنهم فى حياتهم التاريخية

فمن معلوماته مثلا أن النسبة المئوية لزيادة اليهود فى فلسطين تساوى أربعة أضعاف النسبة المئوية لزيادة العرب المسلمين والمسيحيين بين سنتى ١٩٢٢ و١٩٣١ ولكن عدد العرب الزائدين يكاد يساوى ضعف العدد الزائد من اليهود، لأنهم كانوا ستمائة وثلاثة وسبعين الفا فأصبحوا ثمانمائة وواحداً وستين الفا. أما اليهود فكانوا أربعة وثمانين الفا فأصبحوا مائة وخمسة وسبعين الفا، فلولا الحيوية العربية التى تسابق مدد الهجرة اليهودية لما استطاع العرب أن يصمدوا لذلك التيار بعد سنوات، لأن العرب قد زادوا بالولادة ولم يطرأ عليهم مهاجرون من خارج فلسطين

وفى وسعك أن تقول ان هذا الكتاب يجمع شتات مكتبة وافية لمن يهمه الوقوف على أحوال العرب القدماء والمعاصرين ولا يواتيه الوقت على ملاحقة الاخبار ومتابعة أطراف البحث فى شتى نواحيه

عباس محمود العقاد

مسالك التجارة وأساليبها
فى العصور القديمة والوسطى

صورة عامة لنشأة التجارة وتطورها ـ النظام التجارى عند الفينيقيين ـ عناية الرومان بالتجارة البرية والبحرية ـ ارتقاء الحالة التجارية فى عهد الدولة البيزنطية ـ المدن الايطالية القديمة وأثرها فى رواج تجارة الشرق والغرب

كانت التجارة فى أول عهد الحضارة تقوم على المقايضة والمعاوضة أى على تبادل السلع . ولا نعلم كيف نشأت المقايضة ولا السلع التى تبادلها البشر فى أول عهدهم . والأرجح أنها كانت حيوانات الذبح لا غلة الأرض ، لان الانسان أكل تلك الحيوانات قبل أن أكل غلة الأرض . فكانت قوام غذائه ومعاشه قبل أن تصبح الحبوب ـ كالقمح والشعير والذرة والعدس وغيرها ـ من لوازم معيشته

وليس الغرض من هذا البحث بيان السلع التى تاجر بها الانسان فى أول عهد حضارته ، بل بيان الطرق العالمية التى سلكتها قوافل البر وسفن البحر عند نقلها تلك السلع ، والأساليب التى كانت تتخذ فى الحياة التجارية حينذاك . وفى الحقيقة أن رواج التجارة يتوقف على عدة عوامل وفى مقدمتها وسائل النقل وطرقه ـ من حيث اتجاهها وطولها وتوافر عوامل الأمن فيها . ومنها أيضا شدة الحاجة الى السلع المعروضة ، وما هى عليه من رخص أو غلاء ، وطرق توفية أثمانها ، وما يدفع عنها من مكوس وغير ذلك من العوامل التى تؤثر فى رواجها

فى العصور القديمة

كان طول طرق النقل وامتدادها فى العصور القديمة فى مقدمة الصعاب التى تواجه التجار . وكان معظم تلك الطرق يمتد في وسط الصحارى أو على محاذاتها لان حراسة القوافل فى مثل تلك الطرق أسهل من حراستها فى الجهات الأخرى . وكانت القوافل تسير محتاطة لما قد يفاجئها من الطوارىء أو لمن قد يفاجئها من اللصوص . ولذلك كانت تقيم فى الصحارى واحات تنثرها على محاذاة طرق سيرها وتجعلها مستودعات للماء والزاد والبضائع

على هذا الوجه نشأت التجارة بين مختلف الشعوب التى كانت تسكن قديما على ضفاف دجلة والفرات وفى وادى النيل . وازدهرت تلك التجارة لان القوافل كانت تسير بين مختلف الأقطار جيئة وذهابا تحمل الألوف من قناطير السلع . وكان نقل تلك السلع يقتضى النفقات الباهظة ، ولذلك

لم يكن بد من غلائها . وفى مقدمة تلك السلع الأفاويه والطيوب والعقاقير والاصباغ والمنسوجات الدقيقة من حريرية وخلافها وأدوات الزينة المعدنية وما الى ذلك من السلع الكمالية والضرورية . وقد ظلت القوافل أهم وسائل النقل مدة طويلة . ولكنها فقدت بعض ما كان لها من الشأن بتقدم فن الملاحة وحلول الطرق المائية محل الطرق البرية . ولعل أول الذين استعانوا بالبحار على ترويج التجارة أهل فينيقية . فقد كانوا ينقلون البضائع من متاجرهم القائمة على سواحل سوريا الى قبرس وردس وغيرها من جزائر البحر الابيض المتوسط . ثم وسعوا نطاق تجارتهم الى غربى ذلك البحر وجاوزوا أعمدة هرقل (أى بوغاز جبل طارق) الى بحر الظلمات . وفى الحقيقة ان مدينتى صور وصيدا كانتا أعظم متاجر العالم فى العصور الماضية . وأهاليهما هم الذين أسسوا المستعمرات التجارية على سواحل البحر الابيض المتوسط . وفى مقدمة تلك المستعمرات مدينة قرطاجة على سواحل أفريقيا الشمالية ، وقد اشتهرت أسواقها بالسلع الزجاجية والمعدنية والفضية والنحاسية وبالمنسوجات على اختلاف أنواعها . ولا شك فى أن الفينيقيين أول من زاول صناعة السفن وحذق سلك البحار . وقد أثبتوا أن طول طرق التجارة البحرية من عوامل الكسب لا من عوامل الخسارة

والمعروف عن الفينيقيين أيضا أن التجارة عندهم كانت تقوم على أساس المقايضة . فلم يكونوا يستعملون النقود المسكوكة لايفاء أثمان السلع التى يشترونها أو لاستيفاء أثمان السلع التى يبيعونها . ولم يشع استعمال تلك النقود الا فى أيام اليونان الذين خلفوا الفينيقيين فى ميادين التجارة . وفى الحقيقة أن مدينة أثينا اشتهرت بسك النقود الفضية وكثرة تداولها . وقد عم استعمالها لأن الحكومة ضمنت قيمتها وأعلنت أنها لن تأذن فى خفضها . وفى مقدمة السلع التى كانت أثينا ترسلها الى مختلف المدن التين والزيتون والزيت والعسل والآنية الفخارية والمعدنية وقليل من المنسوجات . وكانت السفن اليونانية تجوب بحر اليونان والبحر الأسود وتنثر السلع على مختلف الموانىء الواقعة فى طريقها . وكانت مدينة بيريه اكبر مستودع للسلع يومئذ ولم يكن لتجار سوريا وآسيا الصغرى غنى عن ذلك المستودع فى تجارتهم مع اليونان وبلاد المغرب . ولما غزا الاسكندر الشرق انفتحت أمام اليونان طرق المتاجرة مع آسيا ، وكانت من أطول طرق التجارة العالمية فى ذلك العصر . ومثلها طرق التجارة التى كانت تمتد من مدينتى انطاكية والاسكندرية فقد كانت طويلة جالبة للكسب

طرق الرومان التجارية

لم تكن روما فى أول عهد نشأتها تعنى بالتجارة لأن أهلها كانوا فى الأصل يشتغلون بالزراعة . وقد ظلوا يزاولونها مدة طويلة بعد إنشاء العاصمة ، إلا أن توالى الحروب التى انتهت بسقوط قرطاجة فى سنة ١٤٦ ق . م . أثبت للرومان عظم فائدة التجارة ، ولا سيما بعد حلول سيادتهم

على سيادة اليونان . ولما ارتقى أغسطوس قيصر العرش وجه همه بادىء ذى بدء الى القضاء على الفتن والثورات الداخلية . وما كاد الامر يستتب له حتى أخذ يفكر فى ضمان أسباب الرخاء للامبراطورية ، وقد أدرك بثاقب بصيرته أن التجارة فى مقدمة العوامل على ذلك الرخاء . وكان اليونان قبلا قد رسموا طرق التجارة مع مختلف أنحاء العالم فى ذلك العصر . فرأى أغسطوس أن تظل تلك الطرق كما هى . وعليه أصبحت مدينة انطاكية أهم مستودع تجارى فى ذلك الزمن . فكانت القوافل تخرج منها الى جميع أنحاء الشرق ، وتأتى اليها من جميع المدن التجارية . ومن ثغرها (ساوقية) كانت ترسل البضائع الى جميع موانىء البحر الابيض المتوسط ، وفى مقدمة تلك البضائع الأفاويه والطيوب والعقاقير والمنسوجات الحريرية وغيرها من الكماليات التى كان الاغنياء يتهافتون على شرائها . أما الاسكندرية فكانت تمتاز بطابع خاص . فقد كانت السلع الكماليه الغالية ترد عليها من بلاد العرب والهند عن طريق البحر الأحمر . فكانت السفن تجىء موسقة شتى السلع وتفرغ شحنها فى ميناء الاسكندرية لتنقل من هنالك الى مختلف الجهات. وأدرك أغسطوس قيصر ماللتجارة عن طريق البحر الأحمر من الشأن فسعى لتطهير البحر من اللصوص (القرصان) العرب والحبشان وشرع فى ترميم الترع التى كانت تصلح للملاحة . وقيل ان أحد ربابنة السفن الرومانية ــ واسمه هيالوس ــ كان أول من رصد الرياح الموسمية فى منتصف القرن الأول للميلاد . وأفضى رصده لها الى تأمين طرق الملاحة الى الهند ، وصارت السفن التجارية تستغنى عن الالتجاء الى موانىء سواحل العرب عند هبوب تلك الرياح . والتاريخ حافل بوصف ازدهار التجارة عن طريق البحر الأحمر فى القرنين الأول والثانى من التاريخ المسيحى . وقد ذكر المؤرخ بلينوس أن تهافت الرومان على شراء السلع الكمالية الشرقية كان عظيما الى حد انه استنزف معظم ما كان فى البلاد من نقود فضية . ومما يؤيد قوله هذا ما عثر عليه المؤرخون من النقود الرومانية التى ضربت فى عهد الأباطرة الأولين فى أنحاء الهند الجنوبية

وقد كان للتجارة مع مدينة الاسكندرية وجه آخر . ذلك أن سكان مدينة روما والمدن التى حواليها كانوا فى ازدياد مستمر . فكانت حاجتهم الى القمح أيضا في ازدياد . وفى بعض المصادر التاريخية أنه كان لامبراطور روما أراض زراعية فى مصر تنتج نحو أربعين مليون كيلة كانت ترسل كلها الى روما بطريق البحر . وكان القانون الذى سنه أغسطوس قيصر يفرض أشد أنواع العقاب على من يتعرض للسفن التى تنقل ذلك القمح أو يتسبب فى تأخيرها . وكانت تلك السفن تفرغ شحنها فى ميناء « أوستيا » الذى أصلحه الامبراطور كلوديوس وحسنه . ولما ارتقى الامبراطور تراجانوس العرش نظم الملاحة التجارية وأنشأ مستودعات للحبوب . ولم يكن بد من فرض الرقابة الحكومية على تلك الملاحة لأن التجارة كانت ذات شأن حيوى للامبراطورية الرومانية . ولم يكن ثمة تبادل تجارى بين مصر وروما بالمعنى الصحيح ، لأن روما لم تكن تنتج سلعاً أو مصنوعات حتى

فى أشد أيام ازدهارها . والمعروف أنها قلما كانت تدفع أثمان السلع التى تستوردها من الخارج . ولكنها كانت تشرف على التجارة بين مختلف أنحاء الامبراطورية وتعنى بتأمين تلك الطرق . ومع ذلك فان لصوص البحر كانوا يهاجمون السفن التى تمخر عبابه بلا حراسة . ولم تكن تلك السفن ـ حتى المخفورة ـ تستطيع القيام بالاسفار فى الشتاء خيفة الزوابع . وكانت تقطع المسافة بين روما والاسكندرية ـ عند اعتدال الأحوال الجوية ـ فى ثمانية أيام أو تسعة . أما فى الاحوال الجوية غير المعتدلة فكانت السفرة تستغرق عدة أسابيع . وفى الاصحاح السابع والعشرين من سفر الاعمال وصف سفرة من هذا القبيل . وعلى كل فان التجار كانوا يفضلون ارسال بضائعهم الى شرق البحر الابيض المتوسط . وكان معظمهم يهوداً أو يونانيين أو سوريين . وكانت أرباحهم من تجارتهم مع الغرب عظيمة جداً ، لأن الأخطار التي كانت تهدد السفن فى البحار ـ سواء أ كانت من ناحية اللصوص أم من ناحية الاحوال الجوية ـ كانت أعظم من الاخطار التى تهدد القوافل

فى عصر بيزنطة

ولما اجتاح الغزاة الامبراطورية الرومانية ودكوا عرشها أصيبت التجارة بصدمة خطيرة حتى كادت تنحصر فى شرق البحر الأبيض المتوسط . وكان الفرس قد أحرقوا مدينة انطاكية فى سنة ٥٤٠ مسيحية . ومع ان أهلها عادوا فرمموها ، إلا أن العرب استولوا عليها فى سنة ٦٤١ . ومنذ ذلك الحين أصبحت القسطنطينية (التى لم تسقط فى يد الاتراك إلا فى المائة الخامسة عشرة) أهم مركز للتجارة فى العالم . فكانت البضائع ترسل منها الى جميع أنحاء آسيا وأوربا وتصل اليها من تلك الانحاء . وظلت محتفظة بمركزها التجارى الى الحروب الصليبية . واشتهرت مصانعها بما كانت تخرجه من السلع والمصنوعات الدقيقة من منسوجات وأدوات معدنية وعاجية وفخارية وخلافها . وكانت تقايض بتلك السلع والمصنوعات ما كانت تحتاج اليه من قمح وشعير وشمع وملح وسمك وصوف ومعدن خام وهلم جرا . وكانت «البيزانت» ـ وهى قطعة من النقود الذهبية المسكوكة فى القسطنطينية ـ مقبولة عند جميع تجار العالم فى ذلك العصر كالجنيه الاسترلينى فى هذا العصر . وكانت أساليب المعاملات المالية (أى أساليب البنوك) من عقد قروض واصدار سفاتج وغيرها معروفة عند التجار . وأغرب من ذلك أن نظام التأمين الخاص بالسفن التجارية كان معروفاً يومئذ، وقد أعان على تنمية التجارة وتوسيع نطاقها . وفي أيام الامبراطور يوستنيانوس (سنة ٥٢٨ الى سنة ٥٦٥ ميلادية) بدىء بفرض المكوس على «الصادرات» و «الواردات» وفى أيامه أيضا أنشىء أول احتكار ، فان الحكومة احتكرت صناعة الحرير لتستطيع الاستغناء بها عن المصنوعات الحريرية الشرقية التى كان الفرس متحكمين فيها . وفى أيامه أيضا أقيمت فى القسطنطينية وتسالونيكى الأسواق أو المعارض التجارية التى كانت تجتذب التجار من جميع الانحاء . وكان الأجانب منهم يمنحون

امتيازات خاصة وتتاح لهم الاقامة بأماكن معينة . وكان لتجار جنوى والبندقية مقام خاص، ولذلك كانوا يعفون من بعض القيود التى كانت تفرض على غيرهم من التجار - وهى قيود خاصة بمدة الاقامة وبأساليب المعاملة . ولما سقطت القسطنطينية فى يد الاتراك أصيبت التجارة اصابة شديدة كادت تقضى عليها لولا أن قيضت لها الأقدار الخلاص - بل الازدهار - على يد المدن الايطالية

جنوى والبندقية

ظهرت فى ايطاليا على أثر سقوط الاستانة عدة مدن زهت فيها التجارة وازدهرت . وكانت قد تخرجت فى أساليبها على أيدى التجار البيزنطيين . وفى مقدمة تلك المدن جنوى والبندقية ، والثانية منهما قائمة على مجموعة بحيرات وقنوات مائية فى رأس الادرياتيك . ونظراً الى مناعة موقعها اتخذها الكثيرون من الرومان ملجأ عندما اجتاح الغزاة « البرابرة » حدود الامبراطورية . وفى الحقيقة ان موقعها الجغرافى جعلها أفضل مستودع تجارى فى العالم في ذلك العصر ، وأحسن محط لتجارة الشرق والغرب . فكان التجار الجرمان يتصلون بالبندقية عن طريق ممر « برينر » وكانت القوافل التجارية تخرج منها وتسير في وادى نهر « بو » ثم في مضيق سان جوثار الى مدن الرين وهولندا وكذلك كانت تسير عن طريق « استيريا » وعلى محاذاة « الساف » الى المدن القائمة على نهر الطونة وفى حوضه . على أن أهالى البندقية كانوا يفضلون الطرق البحرية للتجارة . وقد سعوا الى تأمين الطريق البحرى الى شرق البحر الأبيض المتوسط بالاستيلاء على السواحل والجزائر المتاخمة لها . واستعانوا بالصليبيين على تحقيق هـذه الفكرة . ولما طلب الصليبيون فى الحملة الرابعة من أهل البندقية أن ينقلوهم الى مصر التى كانت أول أهدافهم طلب منهم البنادقة خمسة وثمانين ألف مارك ونصيبا من الغنائم . وإذ لم يستطع الصليبيون انجاز هذه الشروط عرضوا على البنادقة أن يستولوا لهم على ميناء « زارا » على سواحل الادرياتيك ، وكان هؤلاء يعللون النفس بتلك الغنيمة . ومع أن الحملة الصليبية تحولت بعدئذ الى الاستيلاء على القسطنطينية فى سنة ١٢٠٢ فان البنادقة استفادوا من تطور الحوادث ونالوا مكاسب عظيمة . وظلوا يهتمون بتنمية طرق التجارة وتوسيع نطاقها عاما فعاما . وكانوا يتولون توزيع السلع التى تأتى بها القوافل من الشرق - ولا سيما ما كان يأتى عن طريق القسطنطينية - ويرسلونها الى أوربا الغربية وإلى القسم الغربى من سواحل البحر الأبيض المتوسط حتى بوغاز جبل طارق وحتى الجزائر البريطانية . وأهم تلك البضائع الأفاويه والأصباغ والزنجبيل ومختلف العقاقير والطيوب ، وكانت السفن الذاهبة تعود موسقة بضائع أخرى من جزائر بريطانيا ومن البلاد الواقعة فى غرب البحر الأبيض المتوسط

الرهبان

للقصصي الروسي

انطون تشيكوف

كل ما يجرى اليوم صباحا ومساء ، كان يجرى فى أثناء القرن الخامس عشر : فكانت الشمس فى بدء النهار تشرق من مستقرها ، وفى نهايته تأوى الى مضجعها ، وإذا ما أشرق الصباح ومس ضوءه الندى ، صحت الدنيا مرحة منتشية ، وتبدت الحيـاة بهيجة مستبشرة ، حتى يقبـل الليل فتتبدل الدنيا الصاخبة الضاحكة دنيا هادئة واجمة ظلماء . وكانت السماء تغيم من آن لآخر بسحائب قاتمة كثيفة ، أو تدوى برعود قاصفة هائجة ، أو تقذف ببعض شهبها الى الخلاء . أو كان يقبل أحد الرهبان الى الدير راكضا لاهثا لينبىء اخوانه عن ذلك النمر الضارى الذى رآه يتربص بهم عن كثب. هذا كل ما كان يجرى حينذاك ، فكانت الأيام تتوالى على نسق واحد ، تتبعها الليالى متشابهة متماثلة

أما رهبان الدير فكانوا يمضون سحابة النهار وزلفا من الليل فى العمل والصلاة ، بينما ينصرف رئيسهم الكاهن الى عزف الناى ونظم الأغانى وتأليف الموسيقى . وكان الرجل على ملكة فذة وهبة نادرة ، فقد مهر وأفتن فى عزف الناى حتى إن الرهبان المعمرين الذين ضعف سمعهم لطول ما أنصتوا ، كانوا لا يملكون حبس دموعهم المنهمرة كلمـا مس آذانهم صوت النـاى المنبعث من صومعة الكاهن . أما إن تحدث فما كان فى وسع أحد يصغى اليه الا أن يفتر ثغره عن بسمة بهيجة ، أو أن تذرف عينه عبرة سخينة ، حتى ولو كان موضوع حديثه تافها مألوفا . ذلك ان نبرات صوته كانت تنبعث من قرارة نفسه حيث تنبعث أنغام الناى ، فتنفذ كلماته الى صميم الروح حيث تنفـذ الموسيقى الشجية الحنون . وسواء أكان الكاهن يتميز غيظا وحنقا ، أم يضطرب فرحا وطربا ، وسواء أكان يتحدث عما يفجأ ويروع ، أم عما يستخف ويزدهى ، فثمة شعور عنيف دافق كان يتملكه ويسيطر عليه ، فاذا بعينيه الموقدتين تسفحان شئونهما ، واذا بوجهه المشرق تتجهم أساريره ، وإذا بصوته الوادع اللين يدوى كالرعد القاصف .. فيحس الرهبان أن الكاهن قد امتلك أرواحهم وصرف وجهتها الى حيث يشاء . فى هذه الفترات الرائعة المهيبة لم يكن هناك ما يصد تيـار قوته الدافق ، فلو أنه أمر الرهبان المعمرين أن يلقوا بأنفسهم فى اليم ، لنهضوا اليه سراعا خفافا ، طوع أمر رئيسهم ووفق ارادته

وهكذا كان غناؤه الآسر ، وصوته النافذ ، وأشعاره التي يرتلها صلاة وابتهالا ، نبعا يستقى الرهبان من فيضه مرحهم ورضاهم . على أن هذه الحياة الراضية الهانئة لم تخل من فترات تراءت لهم في أثنائها الاشجار الظليلة عارية ، والأزهار الناضرة ذاوية ، والربيع البهيج خريفا كئيبا ، وتمثل لهم خرير الماء صخبا وقصفا ، وتغريد العصافير نعيقا وعواء . ومع هذا فانهم في غضون هذه الفترات التي كانت تصد أنفسهم وتثقل أرواحهم بهمومها ، كانوا لا يجدون بدا من سماع أناشيد الكاهن وأحاديثه ، إذ لا صبر لأرواحهم على افتقاده ، الا كصبر الأجسام على افتقاد الخبز والماء . .

ومرت عشرون سنة على هذه الوتيرة ، فلم يشذ فيها يوم واحد على نسق سائر الأيام . ولم يشهد أهل الدير في عرض هذا الخلاء سوى الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة ، إذ كان أقرب بيت الى الدير يبعد بمسيرة أيام وسط الصحارى والقفار ، حيث لا يغامر الا أولئك الذين لا يقيمون للحياة وزنا ، لأنهم أنكروها وازدروها وودوا الخلاص منها ، فهجروها الى هذا الدير كما يهجرها الموتى الى القبور . .

لهذا دهش الرهبان دهشة بالغة حين فوجئوا ذات ليلة برجل غريب يطرق أبوابهم . وقد وفد عليهم هذا الرجل من تلك المدينة النائية التي لا يسكنها الا أولئك الذين يحبون الحياة حبا جما ، فيجترحون في سبيلها شتى الخطايا والآثام ، ويستبيحون مختلف المعاصي والذنوب . وقبل أن ينبس الرجل بكلمة دعاء أو صلاة ، وقبل أن يلتمس من الكاهن أن يباركه كما جرت العادة ، طلب اليهم أن يأتوه بطعام وخمر . ولما سألوه كيف اجتاز هذه الآماد وسط الفلاة القاحلة ، قص عليهم قصة طويلة خلاصتها انه ترك المدينة الى الصحراء في التماس صيد الحيوان ، ولكنه أسرف ذات يوم في احتساء الخمر حتى غاب عن رشده فضل الطريق . . ولما اقترحوا عليه أن يظل في ديرهم حيث يطهر ويتوب ، ويتخذ حياة الرهبنة البريئة السامية ، أجابهم باسما ساخراً هازئا : « كلا فلست منكم ، ولست على رأيكم » ! !

وراح يلتهم الطعام التهاماً ، ويعب الخمر عبا ، فلما امتلأ شبعاً ورياً نظر الى الرهبان الذين يقومون على خدمته ، وهز رأسه هزة الهزء والتأنيب ، وقال لهم :

« أي عمل تؤدون أيها الرهبان ؟ أليس كل ما يعنيكم هو ما تأكلون وتشربون ؟ فهل هذا هو الطريق الذي يعصم القلب ويطهر الروح ؟ ! فكروا معي مليا ترون أنه بينا تعيشون أنتم هنا راضين آمنين ، تأكلون وتشربون ، وتغنون وترتلون ، وتحلمون بالجنة والنعيم ، يعيش اخوان لكم في تلك المدينة عيشة الذنوب والآثام التي تشقيهم وتضنيهم في الحياة ، ثم تلقى بهم في الأخرى في سواء الجحيم . . ! انظروا ماذا يجرى في المدينة ترون ناسا يموتون جوعا وعريا ، وناسا لا يدرون كيف ينفقون ذهبهم وفضتهم ، فينغمسون في اللذائذ والمعاصي ، ويعلقون بها الى أن يموتوا في حمأتها كما يعلق الذباب بالعسل الى أن يموت فيه . . ! فليس لهؤلاء ولا لأولئك إيمان يعمر قلوبهم ، ولا

فضيلة تطهر أرواحهم . فمن الذى يجب عليه أن ينتشل هؤلاء من الوهدات التى ترد وا فيها ؟ أيجب على أنا الذى يمضى الليل كله ينهل الكؤوس ، كى يظل طول النهار ذاهلا مخموراً ؟ ؟ وهل منحكم الله إيمانا ثبتا وقلوبا طاهرة ، وغرس فيكم الحب والرضا والتواضع ، كى تحبسوا أنفسكم وسط أربعة جدران صماء ، حيث لا هم لكم الا الأكل والشرب والنوم ؟ ! »

وقد تطاول رجل المدينة السكير على الرهبان بكلمات زرية شائنة ، ومع هذا فان حديثه كان ينفذ الى قلب الكاهن فيضيئه ويثيره . وراح الرهبان يتلفت بعضهم الى بعض فى حيرة ودهشة من أمر هذا الرجل ومن أمرهم ، حتى رفع اليهم الكاهن رأسه وقد علت وجهه الصفرة والشحوب وقال :

« انه على حق يا إخوانى ! فالواقع ان الانسان قد قذف به الغباء والعجز والقصور فى حمأة من الآثام والذنوب ، ومن الريب والشكوك ، تغمره وتغرقه وتودى به . . بينما نحن هنا لا نلقى بالا الى أولئك الضالين ، كأن الأمر لا يهمنا ولا يعنينا . . ! فلماذا لا أدع الدير وأقصد اليهم كى أذكرهم بالمسيح الذى نسوه ؟ »

وهكذا نفذت كلمات الرجل الى عقل الكاهن فاقتحمته . فما ان أصبح اليوم التالى حتى حمل عكازته وودع اخوانه واتخذ طريقه الى المدينة ، تاركا الرهبان وراءه بغير أناشيد أو أحاديث أو موسيقى تطربهم وتشجيهم . .

ومر عليهم شهران نفد فى أثنائهما صبرهم على فراق الكاهن ، حتى اذا انتهى الشهر الثالث سمعوا عن بعد صوت عصاه تدق الأرض دقاتها الوئيدة المألوفة . فخفوا سراعا للقائه ، وراحوا يسألونه عما جرى . ولكن ما جرى لم يكن خيراً فيسمعهم أنباءه ، بل لم يستطع أن ينظر اليهم الا بعين عبرى باكية ، دون أن ينبس بكلمة أو يلقى جوابا . ورأى الرهبان أن الرجل قد شحب وجهه ونحل بدنه ، وأضناه الجهد وأذواه الأسى ، فارتسمت على محياه شتى علائم الهموم والآلام التى كانت تضطرم من حناياه . وكانت دموعه المنهمرة على وجهه المرتجف دلالة واضحة على أن الرجل قد أصيب فى صميم روحه اصابة بالغة أليمة . .

ولم يتمالك الرهبان أنفسهم أمام رئيسهم الباكى ، ففاضت عيونهم بالدموع . وعلت أصواتهم بالبكاء ، وهم يستوضحونه سبب همه وأساه . ولكن الرجل لم يجبهم بكلمة واحدة ، بل تركهم الى صومعته حيث سجن نفسه خمسة أيام سويا ، لم يذق فى أثنائها طعاماً ولا شراباً ، ولم يسمع له فيها كلام أو غناء . ولما طرق الرهبان بابه ورجوه أن يخرج اليهم عسى أن يشاطروه حمل همومه ، كان رده عليهم صمتاً عميقاً مثيراً

وأخيراً خرج الكاهن من عزلته الى الرهبان الذين اجتمعوا حوله واجمين خاشعين ، فجلس وسطهم ، وهو متجعد الأسارير مرتجف الأوصال ، وراح يقص عليهم قصة ما لاقاه خلال هذه

الأشهر الثلاثة . وقد بدأ الرجل حديثه بصوت وادع هادىء، وهو يصف لهم رحلته من الدير الى المدينة وسط القفار ، ثم تهلل وجهه وأشرقت أساريره وهو يذكر لهم ما رآه بعد ان اجتاز البيداء من طيور تصدح وجداول تجرى ، كانت تبث فى نفسه آمالا حلوة بهيجة ، وتشعره بأنه جندى مقبل على معركة حامية كتب له فيها النصر المؤزر . فسار فى طريقه قدماً ، يؤلف الأشعار ويرتل الأناشيد ويحلم بما سيؤديه للانسانية من خير جزيل . ولكنه لم يكد يبلغ المدينة حتى تبدد حلمه إثر ماسمع وما رأى . .

وهنا اضطرب صوته وارتعد ، وأبرقت عينه واتقدت ، واضطربت نفسه بسورة الغضب والغيظ ،حين راح يتحدث عن المدينة وأهلها ..! إنه لم ير من قبل بل ولم يتخيل أبداً أن فى العالم شيئا مما لقيه فى هـذه المدينة . فقد أدرك لأول مرة فى حياته ، بعد ان بلغ من الكبر عتياً ، ما للشيطان من القوة والسطوة ، وما للعسف من المجد والفخار ، وما للضعف والجبن والضعة من السيطرة على الانسان والاستبداد بتفكيره وشعوره

وقد شاءت المصادفة أن يطرق أول ما يطرق بيتاً من بيوت النكر والرذيلة ، فرأى جمعا من الناس يناهز الخمسين فرداً ، ينفقون المال عن سعة ، فيما يجرعونه من الخمر طول الليـل . وقد انعقـدت فوق رؤوسهم سحائب الدخان ، وراحوا يضجون ويصخبون ويغنون ، ثم صاروا لا يتهيبون إلقاء كلمات بذيئة شائنة ألجة ، لا يجرؤ على أن يفوه بها رجل يخشى الله حقاً ... وقد كان الجميع أحراراً طلقاء فى حركاتهم وكلماتهم ، فما يصدهم عما هم فيه خوف من الله ، ولا من الموت ، ولاحتى من الشيطان ..! فما كانت تخطر لهم أية كلمة إلا ألقوها مهما بلغت من القحة والبذاءة ، وما كان يتراءى لهم أى عمل إلا أقدموا عليه مهما كان وضيعا دنيئا ، إذ لم يكن يعنيهم سوى أن يلبوا نزواتهم الطائشة ، ويحققوا رغائبهم الخسيسة . أما الخمر فكانت تتألق فى كؤوسها كالضوء اللامع ، وكانت ولا شـك سائغة شهية زكية الرائحة ، فما يرشف الواحد منهم رشفة منها حتى يتهلل بشراً وفرحا ، فاذا به ينهال عليها رشفا وعبا ، كى يزداد اشراقا وابتهاجا . وكأنما كانت الكؤوس تبسم لشاربيها وتضحك ، وكأنما كانت تدعوهم اليها وتجذبهم ، وكأنما كانت الخمر تدرك ما يكمن فى قطراتها من اغراء واغواء

وهنا ثارت عواطف الـكاهن ومشاعره ، فاضطرب صوته بكاء ونحيبا ، وراح يتم وصفه البليغ لما رأى وسمع فى المدينة . فقال انه رأى وسط هذا الجمهور الحاشد فى ذلك البيت ، امرأة فوق احدى المناضد عارية إلا من غلالة رقيقة . وانه لعسير على المرء أن يتصور ما هو أبهى وأبهر وأفتن وأسبى من هذه المرأة . فهى شابة فى ربيع الحياة ، ساحرة العينين ، ممتلئة الشفتين ، ناصعة الأسنان ، مسدلة الشعور ، حتى ليكاد كل ما فيها يهتف ويصيح بالناس : « أنظروا إلىّ ، لتروا مبلغ جمالى وفتنتى .. وانصتوا لى لتسمعوا أصوات تبذلى وبذاءتى » ! ! . وكان يكسو صدرها

الغض ثوب رقيق من الحرير الموشى ، تتدلى غلائله الناعمة حول أعطافها فتبرز حسنها وفتنتها للعيان . وكانت المرأة لا تدرك شيئا اسمه الخجل أو الحياء . فقضت الليل كله تسكر ، وتغنى ، وترقص ، وتبذل نفسها لأولئك اللاهين العابثين

وراح الكاهن يلوح بذراعيه مغيظا محنقا ، وراح يتم حديثه عما رأى من الملاهى والمباذل من مسارح ومراقص ، ومن دور للميسر وحلبات للرهان . ومن متاحف للفن تعرض فيها تماثيل فاضحة للنساء العاريات ، مصنوعة من الرمر الناصع اللامع . وكان الكاهن يتحدث فى بلاغة آسرة ، ولهجة نافذة ، كأنما كان يوحى اليه بهذه الكلمات القوية ، التى كانت أشبه شيء بأنغام ناى لا يرى . فجلس الرهبان حوله ينصتون إلى صوته ونبراته فى شغف ولهفة ، حتى ليخيل للمرء أن حديث الكاهن قد انتابهم بنشوة وذهول . ولما انتهى الرجل من حديثه عن سطوة الشيطان وأعوانه ، وضعف الانسان وأهوائه ، وعن هذه المباذل التى ينغمس فيها الرجال والنساء معا ، راح يلعن ابليس ويسبه ، ويحذر زملاءه شره ، ثم تركهم وعاد الى صومعته ..

وقضى ليلة قائمة عابدة . حتى اذا أقبل الصباح خرج من صومعته فلم يجد أحداً بالدير . . .

نعم ! كان الرهبان جميعا قد اتخذوا طريقهم الى المدينة ..!!



الأمل

ان الأمل هو الحافز الشخصى الذى يدفعنا فى قوة وعنف أو فى ليونة وضعف ، الى اقتحام المخاطر والمغامرة فى الأهوال واستصغار العظائم . وهو الرائد الذى يسبقنا فى طريق الحياة إما الى المجد وإما الى الهلاك ، وهو أحلى ما فى الحياة لأنه حلم النفس اللذيذ الذى يسكرها بنشوته ويطربها بنغمته ، والحياة بدونه أقفر من الصحراء ، وأحقر من أن نقيم لها وزناً أو أن نفرض لنفسها وجوداً فى أخيلتنا وأفكارنا وعواطفنا

ترى ماذا يكون مصير هذا الكون العامر اذا أحلتنا كفة اليأس على كفة الأمل العالية ؟ إذن لانطفأت فينا جذوة النشاط وتعطلت قوانا العاقلة ، واستولى علينا الجمود وانحطت ميزاتنا الانسانية الى درجة من الحيوانية لا يرضاها الانسان لنفسه ، واذن لانقلبت الحركة سكونا والوجود عدما والحياة موتاً ، واستولت علينا الخيبة وصارت تلك الدوافع ، التى تحركنا الى الأمام حثيثا ، الى وقوف أشبه ما يكون بوقوف الفلك الدوار اذا ما اختلت نظمه واعتلت قواعده

لماذا يقولون فى أمثالهم الحكيمة : « سبحان من أودع فى كل قلب ما شغله » ثم لماذا كنا نسمع

من أحد خطباء الشرق وزعمائه هذه الكلمة الخالدة تتجاوب أصداؤها فى أجواء مصر فيتلقاها الكبير ويلقيها الى الصغير ويتواصى بها البعيد والقريب وهى : « لا معنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس » ؟

ان قلبنا ليشبه الصحراء المشتعلة بوهج الشمس المحرومة من النبات . وأن الامل لينبت فى شعاب هذا القلب أشبه ما يكون بالشجرة الالهية المقدسة تظلل الوافدين اليها من كل حدب وصوب وتعطيهم الثمرة والظل والحياة . فأية قيمة لهذه الصحراء بلا شجرة وأية لذة لهؤلاء المكتوين بنارها اذا لم يكن الظل ، وأية فائدة ترجى من اتساعها ما لم تكن الثمرة ؟

فالأمل وحده هو المهيمن الحاكم على هذه الحياة والمصباح الساطع فى ظلماتها والنور الالهى المنبعث فى طوايا أنفسنا ، وإلا فمن أجل أى شىء يستمر الطالب ساهراً على تحصيل درسه ويذبل نضارة عمره فى الكد والتحصيل ؟ أليس من أجل الأمل فى الحصول على النجاح ؟ ولماذا يبيت التاجر مشغولا مهموما لتدبير شئون المكسب والخسارة واختيار أنفس البضائع واكثرها رواجا وأيسرها قبولا وأعظمها ربحاً ؟ أليس ذلك من أجل الأمل فى أن يصير من أصحاب الملايين ؟ ثم لماذا يكد الشاعر ذهنه ويجهد فكره ويعمل خياله . أليس من أجل الأمل فى أن يصير الى الخلود وأن يذكر فى عداد الشعراء الذين يذكرون فى المحافل ويتمدح بذكرهم فى المجالس وترتل أشعارهم أمام ركاب الزمن فى طريق السعادة والمجد ؟ ثم لماذا تجيش الجيوش وتعد العدد وتحشد الحشود ؟ أليس من أجل الأمل فى الفتح أو الغلبة أو النكاية بالاعداء ؟ لعمرى أى خيال مجنون استولى على عقل اسكندر المقدونى أو نابليون بونابرت فطوح بهما فى المهامه المتلفة والمهالك الرهيبة وجعلهما يسخران كل ما يملكان من قوى مادية ومعنوية في الاغارة على ممالك الشرق والغرب ؟ . أليس هو الأمل الذى خيل لهما أن فى إمكان الانسان الصغير أن يحول رقعة الارض ومساحتها الى رقعة شطرنج يلعب بها ويلهو فيكسبها مرة ويخسرها أخرى ؟

***

قالوا إن عالماً عظيما وفيلسوفا حكيما كان له ولدان رباهما فأحسن تربيتهما وثقفهما بما يثقف به العظيم أبناءه من العلم النافع والخلق الكريم ، فلما تهيأ له ذلك وظن أنهما أصبحا قادرين على فهم رسالتهما فى الحياة رغب فى اختبارهما فاستدعى أحدهما وهو الاكثر ثقافة وألقى عليه السؤال الآتى :

— ماذا تأمل أن تكون من الرجال العظماء ؟ فقال : آمل أن أكون فى منزلة والدى علما وحكمة . فقال : والله يا ولدى لقد خاب أملى فيك ولقد ظننتك تطلب غاية أسمى من تلك وأعظم ، وتتمنى منزلة أشرف من هذه وأرفع فاذا بك قصير النظر ضعيف الأمل واهن العزيمة ، انى يوم أن كنت صغيراً ما طلبت لنفسى منزلة أقل من منزلة الامام مالك أو الشافعى أو أبى حنيفة ولقد

جعلت ذلك دأبي فأوصلني جدي واجتهادي الى هذه المنزلة التي هي أقل من الثلاثة بلا شك وأكثر من منازل غيرهم من العلماء

ضرب لنا هذا العالم العظيم مثلا أراد به أن يلقى فى روع ولده أنه لا يلزم أن نقصر آمالنا على الغايات القريبة التي فى متناول كل الناس تقريبا ، وإنما نسمو بآمالنا الى أسمى الغايات وأشرفها ثم نسعى فى طلبها جهد ما استطعنا . فاذا لم تنل غاية املنا فلا اقل من ان تنال الغايات الوسطى وذلك ادنى واشبه بقوانا واشرف لمستوانا

قالوا ان البطل العظيم تيمورلنك عندما خابت آماله فى بعض المعارك لجأ الى ناحية قصية مهموما حزيناً وقد ضاقت الدنيا فى عينيه وأحس بمرارة الحسرة تدب فى روحه ، وبينما هو جالس ورأسه بين يديه وفكره مشرد بصر بنملة كانت تحمل حبة قمح من الأرض لتوصلها الى بيتها فى الصخرة ، فلم تستطع حملها فى المرة الأولى فعالجت ان تحملها ثانية فسقطت فرجعت ثالثة ففشلت وهكذا ، فجعل تيمورلنك يعد لها المرات التي حاولت أن تحمل فيها الحبة ولم تستطع ، فعد لها سبعين مرة وفى المرة الحادية والسبعين استجمعت النملة كل قواها وجذبت الحبة جذبة المستميت فنقلتها وحققت بذلك أملها . عند ذلك تهلل وجه تيمورلنك وقد ألقت عليه النملة درسا نافعا فى التجلد وثبات القدم وقوة الارادة ، فنهض واقفا والأمل يتخايل أمام عينيه والدنيا تتسع له وقال : ان النملة لم تيأس وقد فشلت سبعين مرة أفيعتريني اليأس لانكساري وفشلي مرة واحدة ؟ ثم جمع فلول جيشه ونفخ فيه من شجاعته وهجم به على عدوه فانتصر أيما انتصار ونال الامل الذي ظنه مستحيلا

عزيز واصف
بوزارة المعارف



مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

الاحلام تنبئ عن المستقبل

وتوحي الى الادباء والفنانين

عالم الاحلام هو العالم الذى يستوى فى الجولان فيه الغنى والفقير ، والملك والحقير ، والكبير والصغير . ومع أن الانسان فى هذا القرن قد بلغ شأواً بعيداً فى العلم والفلسفة ، إلا انه قد عجز عن استجلاء غوامض الاحلام والتحكم فيها

يرى الانسان فى الحلم مناظر غير طبيعية ويشهد حوادث تتناهى فى غرابتها وسرعة تتابعها وعدم ارتباط بعضها ببعض . ومعظمها يبلغ الدرجة القصوى من حالات النفس المختلفة ولا يقف عند حد وسط . فأنت لا تبتسم فى الحلم بل تضحك وتقهقه ، ولا تتنهد بل تبكي وتشهق ، ولا تتكلم همساً بل تصرخ وتصيح . كل ذلك دليل على أننا لا نلزم فى أحلامنا أوساط الأمور بل أقصى درجاتها

وقد يكون موضوع الحلم فى حد ذاته اعتيادياً تافها ، ولكن المشاهد التى يتألف منها تكون فى أغلب الأحيان غريبة غير مألوفة . فأنت لا تمشى فى الحلم مشيا طبيعيا بل تركض أو تتزحلق . واذا أحدق بك الخطر شعرت بثقل خطوتك كأن قدميك قد أوثقتا بسلاسل تمنعك من الحركة . وكثيراً ما يخيل اليك انك على شفير جرف هار وتحت قدميك هوة لا قرار لها وأنت على قاب قوسين من الموت !

فالاحلام ليست دائما مشاهد منطقية معقولة . نعم انها قد تبدأ على وجه معقول ولكنها تمتزج بعد قليل بمشاهد غير معقولة تجعلها مضطربة مرتبكة

وما من انسان ينجو من الاحلام . ولكن من الناس من يحلم كثيراً ومنهم من لا يحلم إلا نادراً . ومع ذلك فان الذين لا يحلمون إلا نادراً تفوتهم اختبارات كثيرة تخرجهم من المعيشة المسئمة التى يسيرون فيها على وتيرة واحدة . فقد يحلم الأعمى أنه يسير فى الطريق بعينين مبصرتين ، وقد يحلم الأعرج بأنه يركض فى الطريق وساقاه سليمتان . وكل ذلك يخرج به عن معيشته الاعتيادية المضجرة الى حياة جديدة

وكثيراً ما يدعى مفسرو الاحلام بأن الاحلام تفسر بعكس ما تشف عنه . فاذا حلمت عن وفاة صديق كان معنى ذلك أنه ـ هو أو أحد أفراد أسرته ـ سيتزوج قريبا. واذا حلمت بانك جائع كان معنى ذلك أنك مقبل على سعة من العيش والرخاء . وفى الواقع ان الانسان قد سعى من أقدم الأزمنة الى استطلاع كنه الاحلام واستقصاء معانيها . وقد ذهب « فرويد » وهو أكبر علماء البسيكولوجيا فى الوقت الحاضر الى أن الاحلام هى نتيجة الرغبات الصادرة عن الارادة الباطنية ، وهى رغبات تكمن فى نفس كل انسان منذ طفولته

وقد اتفق ان كانت الاحلام فى أحوال كثيرة نذير شؤم ونكبات . وكاتبة هذه السطور تعرف شخصا حلم بأن الباخرة « تيتانيك » سوف تنسف وتغرق . وذكر من يعتمد على أقوالهم أن فتاة انجليزية كان والدها فى ميادين القتال بفرنسا فى الحرب الكبرى حلمت غير مرة بما كان يقع لأبيها ، وكانت تقص أحلامها على أمها فاذا وصلت رسائل أبيها أيدت أقوال الفتاة

وقد يكون الحلم بمنزلة التحذير أيضا كما روى بعض علماء النفس وكما أيدت ذلك شهادات الكثيرين ممن يوثق بأقوالهم . وكثيراً ما أثر ذلك التحذير فى تصرفات صاحب الحلم وأعماله . وعليه فقد يمتنع الانسان عن السفر لانه حلم حلما أنذره بوجوب الامتناع . وقد يؤجل أعمالا أخرى كثيرة لذلك السبب عينه

والجد أكثر من الهزل فى الاحلام . بل هى بوجه الاجمال مجردة مما يشف عن الهزل أو الأمور المضحكة . ومع ذلك فقد روى بعضهم أموراً مضحكة وقعت لهم فى أحلامهم

ومما يروى عن فيكتور هوجو كبير رواة فرنسا انه كثيرا ما كان يحلم أحلاما يتخذ منها العبر ويجعلها أساسا لرواياته . ولذلك كان يستيقظ كل يوم عند الفجر ويدون خلاصة حلمه ليجعلها أساسا لرواية جديدة . وذكر روبرت ستيفنسون الروائى الشهير فى كتابه « فى وسط السهول » أن معظم الافكار التى أدرجها جاءته عن طريق الاحلام

ومما يروى من هذا القبيل أن موزار الموسيقى الشهير حلم حلما مكنه من نظم أحسن قطعه الموسيقية . وكذلك وقع « لتارتينى » الموسيقى الشهير فانه عجز مرة عن استنباط لحن معين وقضى بضعة أيام فى محاولة ذلك فلم ينجح ، وأخيراً حلم حلما ساعده على حل مشكلته . ذلك أنه رأى فى منامه ابليس واقفا الى جانبه وقد أمسك بكمنجته وأخذ يعزف عليها اللحن الذى كان تارتينى يسعى لاستنباطه . وللحال استيقظ هذا من نومه ودوّن اللحن لكى لا ينساه وسماه « نشيد ابليس » ولا يزال يعرف بين الموسيقيين بهذا الاسم الى هذا اليوم

وقد روى بعض علماء النفس حلما علميا غريبا . ذلك أن أحدهم كان يسعى لحل عملية حسابية عويصة . وقضى عدة أيام محاولا ذلك والعملية مستعصية عليه حتى كاد ييأس منها . وفى ذات ليلة

رأى فى نومه اعرابياً واقفاً أمامه يخاطبه ، وبعد حديث أوحى اليه بطريقة حل العملية . وعلى أثر ذلك استيقظ الرجل ودوّن الحل

ومن أغرب ما تمتاز به الاحلام سرعة تتابع الحوادث التى تقع فى أثنائها حتى كأن الوقت لا قيمة له على الاطلاق . روى بعضهم انه حلم بأنه انتظم فى فرقة معينة فى الجيش وخاض احدى المعارك ، فهرب ثم قبض عليه وحوكم أمام احدى المحاكم العسكرية وصدر عليه الحكم بالموت . وقد جرى ذلك كله فى مدة بضع دقائق ، إذ لم ينقض بين اغفاءة الرجل ويقظته سوى دقيقتين أو ثلاث . وأمثال هذه الاحلام كثيرة وجميعها تمتاز بسرعة الحوادث التى تقع فيها

أما الاحلام المزعجة ــ وتعرف بالكابوس ــ فكثيرة ، وقلما ينجو منها أحد . وهى تمتاز بسرعة تتابع حوادثها بحيث لا تستغرق سوى بضع دقائق بل بضع ثوان . وأكثرها ينتهى بيقظة يستمر معها شعور الفزع والاضطراب المصحوب أحيانا بشعور التشاؤم . وعلى كل فان الاحلام لا تزال سراً مستغلقا على العلماء

[خلاصة مقالة للسيدة هنريتا لزلى . نشرت فى مجلة ومانز سفير]



فى وسعك أن تبقى شابا

دون دون أن تلجأ الى دواء أو علاج

ما من امرأة إلا وتود أن تظهر بأنها أصغر سناً مما هى بعشر سنوات . وما دام فى وسعها تحقيق هذه الأمنية فليس لها عذر اذا هى أهملت تحقيقها ، وخاصة أن ذلك لا يكلفها عناء كبيراً فكل ما يقتضيه الأمر هو مراعاة شروط الغذاء والرياضة والعمل والنوم كما يجب . وكل امرأة تراعى هذه الشروط تشعر أن شبابها قد عاودها وأنها ستحتفظ به على الدوام

خذ مسألة الغذاء . اننا نخطىء فيما نتناوله من صنوف الأطعمة والأشربة ونلتهم كل ما يقدم الينا غير مراعين إلا شهوة الأكل ولا مكترثين إلا لملء بطوننا . وفى الواقع انه ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . وقد اعتاد الاكثرون أن يملأوا معدهم منذ الصباح بما لا قبل لهم بهضمه أو بما لا يفيدهم فائدة حقيقية . مع انهم لو اقتصروا فى الصباح على الفواكه مثلا لكان ذلك خيراً لهم وأجدى ، ولوجدوا أن نشاطهم وقوة احتمالهم وصفاء خاطرهم على أحسن ما يتمنون

ولسنا نلقي الكلام على عواهنه وانما نبنى ما نقوله على أحدث ما أسفرت عنه المباحث العلمية فى خواص الفيتامينات وما لها من علاقة بمختلف أنواع المواد الغذائية . ولا يخفى أن الانسان ميال الى أكل الفاكهة وهذا من حسن حظه ، لان الفاكهة مصدر الكثير من أنواع الفيتامينات ،

وقد اختارتها لنا الطبيعة وأغرتنا بأكلها طازجة غير مطبوخة وغير معالجة بأصناف الدهان والزيوت والتبلات والأفاويه التي نعالج بها الأطعمة المطبوخة

ولا يقتصر أثر الطعام على حالة الصحة بوجه الاجمال فقط ، بل يتعدى ذلك إلى لون البشرة والشعر أيضا . وتدل أحدث المباحث العلمية على أن مرجع بياض الشعر الى نوع الغذاء قبل كل شيء

ليس الغذاء هو العامل الوحيد الذي يجب مراعاته اذا أريد استدامة الشباب ، بل هنالك عوامل أخرى كثيرة كما تقدم وجميعها شروط يجب مراعاتها، وفي مقدمتها أن يأخذ الانسان قسطه من نور الشمس والهواء، ولاشك فى ان الذين يستوفون قسطهم من هذين العاملين يتمتعون بشباب طويل الأمد ويستطيعون أن يظهروا من النشاط مالا يستطيعه غيرهم ممن هم أصغر منهم سناً ولكنهم أقل نصيباً من نور الشمس والهواء

وعليه فان العاقل الذي يريد أن يتمتع بشبابه كما يجب لابد له من استيفاء نصيبه من ذينك العاملين الطبيعيين

وهنالك عامل آخر من عوامل الشباب الدائم وهو الرياضة البدنية بالاعتدال . نقول بالاعتدال لان الافراط في ممارسة تلك الرياضة مقصر للعمر كما تدل على ذلك احصاءات شركات التأمين فى أنحاء العالم . وتعليل ذلك أن الافراط فى الرياضة يعنى الافراط فى قوى الجسم واستنفادها . وفى ذلك ما فيه من أسباب تقصير الحياة أو قل تقصير أيام الشباب . وأما الاعتدال فى الرياضة فمن الاسباب التى تساعد على الاحتفاظ بقوة الشباب ونشاطه

وتنظيم ساعات العمل والراحة والنوم عامل آخر من عوامل إطالة الشباب والتمتع به ، وعدم تنظيم تلك الساعات مما يجعل الانسان فى اضطراب مستمر

على أن أهم عامل يساعد على الاحتفاظ بنشاط الشباب هو العامل النفسانى ، ومعنى ذلك أن المرء يجب أن يكون فى تفكيره وعمله ــ بل فى كل خطوة من خطوات حياته ــ شاباً بمعنى الكلمة . وعليه أيضا أن يمتنع عن التفكير فى أى شيء يزعجه أو يحزنه . فان الافكار السوداوية والمحزنة تقصر العمر وتذهب برونق الشباب . فاذا خطرت لك فكرة محزنة فقاومها بالرجوع الى الذكريات القديمة المفرحة وبالتعلل بالأمانى الجميلة . وقد قيل ان فى وسع الانسان أن ينتهى الى الحالة التى يطيل التأمل فيها . فاذا أطال التأمل فيما يفرحه وتناسى ما يحزنه أطال زمان شبابه بل أطال عمره ومتع نفسه بما يشتهيه

فالشباب الدائم هو في وسع كل امرىء وفى متناول كل من يراعى شروطه ويقبل قيوده . والحياة كما تريدها ، فاما نعيم وهناءة ، واما شقاء ومتاعب

[خلاصة مقالة للسيدة ديسموند . نشرت فى مجلة البسيكولوجيا والوحى]

مباريات الجمال لا تظهر الجمال

لأنه معنى وروح لا أقيسة وموازين

لامشاحة فى أن النساء اللواتى يمتزن بجمال المنظر كثيرات يملأن المخازن والمكاتب والمعامل والمدارس وسائر ميادين الحياة . على أن ذوات الجمال الحقيقى قليلات جداً . ذلك لأن الجمال ليس صفة مادية فقط بل هو معنى روحانى أيضاً

وقد درج الناس منذ أقدم الأزمنة على اعتبار المرأة رمزاً الى الجمال الروحانى . والجمال الروحانى فى نظرهم مزيج من الاعتبارات المعنوية والنفسانية والشهوانية . ولولا هذه الاعتبارات لكان الجمال صفة تافهة لامغزى لها ولا قيمة

ومع كثرة النساء اللواتى يمتزن بجمال المنظر كما قلنا ، نرى المجتمع فقيراً جداً فى النساء اللواتى يمتزن بالجمال الحقيقى . وبعبارة أخرى — أن فى العالم فتيات كثيرات يصلحن للعرض فى مخازن الأزياء ومحال البيع والشراء وفى السوق عامة . ولكن اذا استثنينا بعض أولئك الفتيات لم يبق أمامنا سوى مخلوقات يعوزهن الكثير من شروط الجمال الحقيقى . ذلك لأن الجمال فى هذا العصر قد أصبح سلعة يتاجر بها ، وهذه السلعة يجب أن تتوافر فيها أقيسة معينة من حيث الطول والعرض والثخانة والنحافة والثقل وهلم جرا . أما شروط الجمال الحقيقى — الجمال الروحانى الفاتن — فليس من الضرورى توافرها . ولهذا ترى نظرات أولئك الفتيات ولفتاتهن وحركاتهن وابتساماتهن واقوالهن جميعها خالية من معنى الجمال الحقيقى . فجمالهن سطحى لايجاوز بشرتهن ولا يحتاج المرء إلا أن يتفرس فيهن ويستمع أقوالهن حتى يثبت له انهن مجردات من معنى الجمال

أما مباريات الجمال فعمل عقيم لامغزى له على الاطلاق ، بل إنه من أسخف المباريات التى يقبل عليها أهل هـذا الزمن . وقد لبى كاتب هذه السطور عدة دعوات للفصل والحكم في تلك المباريات ، ولم تكن تلبيته لها إلا على سبيل التفكهة . وكثيراً ما منحت احدى الفتيات جائزة الجمال ، وهى أبعد ماتكون عن الجمال الحقيقى . وما كانت لتفوز بتلك الجائزة لولا أسباب ليس هذا مجال التوسع فيها ، وانما هى اعتبارات شخصية بينها وبين الجمال مابين الارض والسماء . وغنى عن البيان أن الفتيات اللواتى يمتزن بالجمال الحقيقى يرفضن دخول تلك المباريات ولا يسمحن لأنفسهن بالانحطاط الى ذلك المستوى الذى يعبثن فيه بمنحة الجمال الروحانى

والفتاة التى تمتاز بالجمال الحقيقى تجمع فى ملامحها ومرآها وشكلها وصوتها وابتسامتها وحركاتها كل الصفات التى اشتهرت بها النساء الجميلات فى التاريخ ، ومع ذلك فلكل جيل ولكل عصر جميلاته وحسانه ، من عصر هيلانة اليونانية الى هذا اليوم . ولا شك أن هناك سراً غامضا تشترك

فيه جميع النساء الجميلات – قديماً وحديثاً – وهو مصدر جمالهن ومبعثه . ولعل هذا السر هو العنصر الأساسي الوحيد للجمال . أما العناصر الاخرى فتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأذواق والمشارب

لقد تسنى لكاتب هذه السطور أن يصور الكثيرات من النساء الجميلات – وأكثرهن من المتحليات بجمال المنظر فقط . وجمال المنظر فى حد ذاته صفة تافهة لاقيمة لها اذا اكتفت بها المرأة ظهرت صورتها مجردة من معانى الجمال الحقيقى . ومن معانى الجمال الحقيقى الرقة والدماثة واللطف والمرح ودقة الاحساس والعواطف والشعور – غير الشعور الشهوانى – وكثرة الحركة والنشاط وحضور البديهة وسرعة الادراك الى غير ذلك من الصفات التى هى قوام جمال المرأة . ومن مكملات تلك الصفات أن تكون المرأة رزينة جادة غير هازلة . فاذا توافرت فيها هذه الصفات فليس من المهم أن تكون ممشوقة القد أو نحيلة القوام أو غليظة الشفتين ، فان الجمال الروحانى فوق الجمال الجثمانى ، ومن دونه لايمكن أن تكون أية فتاة ذات حسن يذكر

واذا كان لابد من ذكر شروط الجمال الجثمانى ، فنى مقدمتها طول القامة وتناسب المنكبين وكثافة الشعر – أسود كان أم غير أسود – وطول الاهداب ، ودقة الأنف واستقامته ، واستدارة الفم وصغره ، وابيضاض الاسنان ، وبروز النهدين ، وتناسب اليدين والساقين فى الطول والتخن والنحافة .. على أن يكون الوجه بيضوياً والعينان لوزيتين . هذا هو نموذج الجمال المادى ، وهكذا يجب أن تكون المرأة الحسناء

على أن الفتاة التى تستوفى هذه الشروط من شروط الجمال المادى وتكتفي بها هى بعيدة عن الجمال الحقيقى بعد الارض عن السماء . ويزيدها بعداً عنه شعورها – أو ادعاؤها – بانها جميلة ومباهاتها بذلك الجمال . وفى الواقع أنه لاشىء ينقص جمال المرأة كغرورها وزعمها انها ذات جمال فتان . وأن فتنتها وجمالها يخولانها الحق فى الظهور بمظهر الدلال . فالدلال قد يكون من شروط الجمال اذا كان مجرداً من الغرور والمباهاة . والوداعة قد تكسب الفتاة الاعتيادية جمالا فاتناً فكم بالأحرى الفتاة الحسناء . ومن الفتيات من يزعمن أن جمالهن يبيح لهن أن يفعلن مايبدو لهن وأن لايتقيدن بقيد أو قانون . ويعتقدن انهن باستعمال المساحيق والمعجونات وأدوات الزينة يستطعن أن يستبين العقول ويتحكمن فى قلوب الناس كما يحلو لهن . نعم ان المرأة تستطيع تحسين ماتصنعه الطبيعة بالطرق الصناعية – أى «بالرتوش» – ولكنها اذا اكتفت بذلك «الرتوش» على زعم أنه يكسبها الجمال الفاتن فقد اخطأت ، لأن جمالها يكون إذ ذاك جمال تمثال بديع الصنع ولكن لا حياة فيه

[خلاصة مقالة للاستاذ مونتغمبرى فلاج . نشرت فى مجلة ريدرز دايجست]

هل العالم صائر الى الجنون

وهل الحضارة الحديثة تضعف قوانا العقلية ؟

يزعم فريق من الناس أن قوى الانسان العقلية صائرة الى الضعف وانها اذا استمرت كذلك فسيأتي يوم يصبح فيه أكثر الناس مجانين . ويزعم أولئك الناعقون بالشؤم أن نصف المرضى الذين يعالجون اليوم في مستشفيات أوربا وأميركا - ولا يقل عددهم عن بضعة ملايين - هم مصابون بالأمراض العقلية ، وان الاحصاءات الموثوق بها تدل على أن عددهم قد تضاعف خلال نصف القرن الاخير . وتدل تلك الاحصاءات أيضا على أن الحالة متماثلة في جميع أنحاء العالم - لا في بلاد الغرب فقط - أي أن الأمراض العقلية آخذة في الانتشار . أضف الى ذلك أن حوادث الانتحار تزداد زيادة مطردة وهي دليل على انتشار الامراض العصبية واشتدادها

فاذا صدقت هذه المزاعم وكانت صورة المستقبل - أي مستقبل المجتمع العمراني - قاتمة مظلمة ، ترى كيف تكون حالة الحضارة اذا ظلت الأمراض العصبية والحالة النفسية العامة تنتقل من سيء الى أسوأ ؟ وكيف يمكن انقاذ البشرية ما دامت أعمال الرحمة الكاذبة تسعى لانقاذ المتوهين وضعاف العقول والاجسام الذين لا يصلحون للبقاء

ومن حسن حظ البشرية أن ما يقوله أولئك الناعقون ليس سوى مزاعم فاسدة وفي الامكان دحضها بحجج دامغة . فلا يخفى أن علم الطب وتشخيص الأمراض قد تقدم في هذا العصر تقدماً عظيما . فصار من السهل اكتشاف الأمراض التي كانت تخفى قديما على الطبيب . واكتشافها يوهم المرء أنها قد زادت مع أن الحقيقة هي أن تلك الأمراض لم تكن في الأزمنة الماضية أقل مما هي الآن ، وانما كانت في تلك الأزمنة تخفى على الطبيب الفاحص ، ولا تخفى عليه في هذا العصر . وبعبارة أخرى ان اكتشاف الأمراض يوهم الناس أنها قد زادت . فالأمراض العقلية لم تزد على ما كانت عليه قديما ، ولكن الطبيب يعرفها اليوم بسهولة . وبعد ان كان الناس قديما يحسبونها أعراضا بسيطة صاروا يعرفون حقيقتها معرفة تامة . وهذا سبب زيادتها في الاحصاءات - وهي في الحقيقة زيادة ظاهرة فقط

إن في كل فرد من أفراد الاجتماع ميلا الى اظهار المزاج العصبي . وهذا الميل الكامن كان مجهولا من قبل ولكنه معروف اليوم . ونحن نحسبه من الاعراض الشاذة وهو في الحقيقة ليس كذلك . واذا كانت المستشفيات ملأى بالمصابين بالأمراض العقلية كما يزعم البعض ، فليس ذلك دليلا على ازدياد تلك الامراض . لان الامراض الاعتيادية لا تحبس المريض في المستشفى سوى بضعة أيام يخرج على أثرها ويحل محله في المستشفى مريض ثان فثالث . مع أن المرض العقلي يحبس المرء في

المستشفى عدة أسابيع بل عدة أشهر . فيخيل الى المرء ان نصف مرضى المستشفيات هم مصابون بالامراض العقلية . مع انه بازاء كل مريض بالامراض العقلية يتبدل فى المستشفى أربعة أو خمسة أو أكثر من المصابين بالأمراض الاعتيادية

أضف الى ذلك أن الناس قديما كانوا يخجلون من الاصابة بالامراض العقلية فيكتمونها ولا يعرضون المصاب بمرض عقلى على الطبيب . أما الآن فقد تغيرت نظرة الانسان الى ذلك المرض وصار لا يخجل من استشارة الطبيب

وهنالك تعليل آخر للزيادة الظاهرة فى الامراض العقلية وهى زيادة متوسط عمر الانسان بفضل تقدم علم الطب . فالذين يبلغون حدود الشيخوخة والهرم هم أكثر اليوم منهم بالأمس . وغنى عن البيان أن الهرم كثيراً ما يكون مصحوبا بضعف القوى العقلية . والناس يؤولون هذه الظاهرة بزعمهم أن الأمراض العقلية آخذة فى الزيادة

أما القول بأن تشعب مطالب الحياة وازدياد همومها مما يؤدى الى ازدياد الامراض العقلية فلم يقم عليه دليل قاطع . والمباحث التى قامت بها بعض الجمعيات العلمية فى أميركا فى السنة الماضية تثبت أن الضائقة المالية التى اجتاحت العالم فى خلال الستة الأعوام الأخيرة لم تسفر عن أية زيادة فى الأمراض العقلية

[خلاصة مقالة للاستاذ فارنزورث كراودر . نشرت فى مجلة سرفاى جرافيك]

الراهبات يمرضن بتأثير الوهم

وامراضهن النفسية تنتشر بالعدوى

كثير من المظاهر التى كان الناس فى العصور الوسطى يحسبونها من عمل الشياطين والأرواح الشريرة قد أصبحت الآن فى نظر العلم من الأمراض النفسية التى لاعلاقة لها بتلك الأرواح

ولعل أول حادث رواه المؤرخون من هذا القبيل حادث راهبات دير كمبراى الذى وقع فى سنة ١٤٩٤ . فقد أصيبت راهبات ذلك الدير يومئذ بمرض نفسانى قيل انه نتيجة عمل الشياطين . ووجهت التهمة الى حنة بوتيير — احدى الراهبات — بانها سحرت رفيقاتها فحلت فيهن الأرواح الشريرة ، وبناء عليه حكم عليها بالسجن المؤبد . إلا أن الراهبات بقين أربع سنوات تحت تأثير اعتقاد غريب لم يمكن ازالته من مخيلاتهن ، وهو أن الشياطين قد حلت فيهن ومسختهن حيوانات مختلفة . فكان بعضهن ينبحن كالكلاب وبعضهن يموءن كالقطط ويركضن فى الغرف مقلدات مختلف الحيوانات والطيور

ووقع مثل ذلك فى دير « ايفرتيت » بعد ذلك بنحو ستين سنة . فكانت راهباته يأتين اعمالا جنونية نسبها الناس يومئذ الى الشيطان ، ولا شك انها كانت ضربا من الهستيريا إذ كانت أولئك الراهبات ينتقلن من الضحك الى البكاء الى الخوف الى الحزن فى أقل من لمح البصر ، وكان يخيل الى بعضهن ان ارواحا غير منظورة تجذبهن فى الليل من أسرتهن وتوقعهن على الارض وتعقد ألسنتهن عن الكلام . وكثيراً ما كان بعضهن يتقيأن سائلا اسود اللون حريفاً لاذعا الى حد أنه كان يسلخ شفاههن

ووقعت أمثال هذه الحوادث فى ديور كثيرة فى أوربا فى تلك العصور . واشتهر يومئذ دير كنتورب (بالقرب من مدينة ستراسبورج) بان راهباته جميعهن أصبن بمرض روحانى من عمل الشيطان وبأن الأرواح الشريرة حلت فى أجسامهن . فكن يصرخن ويأتين اعمالا لاشك فى كونها ضربا من الهستيريا . إلا أن الراهبات اتهمن طباخة الدير بأنها قد سحرتهن ، فقبض الرؤساء عليها وعلى أمها واحرقوهما معاً

وفى سنة ١٥٦٠ أصيبت راهبات دير الناصرة بمدينة كولونيا بمرض الهستيريا الذى كان ينتقل يومئذ من مكان الى مكان والناس يحسبونه من عمل الشيطان، ولوحظ فى ذلك الحين ان الراهبات صرن يتفوهن بأقبح الألفاظ المنافية للدين والآداب . ومن حسن الحظ أن التهمة لم توجه فى هذه المرة إلا الى كلب زعم القوم أنه هو سبب الأرواح الشريرة التى عبثت بأولئك الراهبات

وفى سنة ١٦٠٩ وقع فى دير سان أورسالا بمدينة اكس حادث غريب . ذلك ان راهبة تدعى مادلين ادعت ان طائفة كبيرة من الشياطين قد حلت فيها . وادعت راهبة أخرى تدعى لويز أن ثلاثة أرواح شريرة قد حلت فيها . وادعت كلتا الراهبتين أن سبب حلول نكبتهما رجل يدعى لويس جوفريدى من أهالى تلك المدينة . فقبض عليه وعذب عذابا اليما أفضى به الى الجنون . ولما جن اعترف بصحة التهمة بل اعترف باكثر من ذلك إذ زعم أنه من عبدة الشيطان . فأمر أصحاب السلطة باحراقه حياً ، فاحرق وألحق بفتاة عمياء أحرقت هى أيضا بتلك التهمة عينها ، ولكن الراهبات لم يشفين

وأشيع يومئذ ان عدواهن انتقلت الى راهبات البرجيتين بمدينة ليل . واتهمت هؤلاء الراهبات رفيقة لهن تدعى «مارى دى سنس» بانها سحرتهن ،مع ان هذه الراهبة كانت مشهورة بالورع والتقوى . فقبض عليها وزجت فى السجن حيث ظلت سنة كاملة تنكر التهمة . واخيراً خيل لها انها مسئولة حقيقة عن مصيبة رفيقاتها فاعترفت بصحة التهمة وادعت بانها قتلت وخنقت الوفا من الاطفال ونبشت قبور الكثيرين وارتكبت من الفواحش ماتبرأ منه الأبالسة وادعت أيضا بأن الشيطان كان يحرضها على كل ذلك . وعليه حكم عليها بالسجن المؤبد ولا شك انها أصيبت بالخبل أو الهستيريا وان هذا هو ماحملها على اعترافاتها الكاذبة

وكانت راهبات معظم الديور فى تلك العصور يمارسن أشد انواع التقشف وقمع النفس حذراً من حلول الأرواح النجسة فيهن . وقلما كان يخلو دير من راهبات مأخوذات بذلك الاعتقاد . وكان المشى فى النوم (السمنمبوليسم) غير مفهوم علمياً فى ذلك العصر، واتفق أن راهبة أحد الديور فى لودون كانت معتادة أن تمشى فى نومها فلما عرفت رفيقاتها ورئيسة الدير ذلك عزون ما بها الى السحر وزعمن ان الارواح الشريرة تسكنها

واستولى الوهم على راهبات دير آخر فزعمت الرئيسة ان بها سبعة شياطين (وذكرت اسماءهم) وزعمت راهبة أخرى ان بها شياطين أكثر . وانتهى الأمر بان أصبحت كل راهبة تعتقد أن بها عدداً معيناً من الشياطين تعرفهم بأسمائهم واشكالهم

وهنالك حوادث أخرى كثيرة من هذا القبيل لايتسع لها هذا المكان وكلها دليل على ان الامراض العقلية ـ كالأمراض الجسيمة ـ تنتقل وتنتشر بالعدوى حتى تصبح وافدة

[خلاصة مقالة للاستاذ ادوارد اولباك . نشرت فى مجلة مودرن سيكولوجست]

انجلترا بلاد التقاليد

طرائف عن التقاليد التى يحافظ عليها الانجليز

في انجلترا مئات من التقاليد التى يراعيها الشعب الانجليزى أدق مراعاة ويتشدد فى المحافظة عليها حتى فى أثناء قيامه بأعماله اليومية الاعتيادية . وأى دليل أصدق على هـذا القول من أن الفلاحين الانجليز اذا فرغوا من عملهم اليومى وأرادوا إعادة الخيـل الى حظائرها زينوا أعناقها بأكاليل الأزهار . وملاهى التمثيل ودور السينما وميادين الألعاب الرياضية تختم كل حفلة من حفلاتها بنشيد الملك . وحفلة افتتاح البرلمان انما هى مجموعة أعمال وتقاليـد قديمة يخيل الى من يشاهدها أنه لا يزال فى العصور الوسطى . فالملك يذهب الى البرلمان فى مركبة مذهبة . وأعضاء مجلسى النواب واللوردات يستدعيهم رجل يسمى منذ سنة ١٣٥٠ بحامل العصا السوداء ، وسبب هذه التسمية أنه يحمل بيده عصا مصنوعة من الآبنوس الاسود

ومن عادات الانجليز الراسخة أنهم لا يجلسون الى مائدة العشاء الا وهم لابسون الثياب السود الخاصة وتعرف عند العامة «بالسموكنج» . وأهالى لندن يشاهدون فى صباح كل يوم صاح أو ماطر مائة رجل من الحرس أمام قصر بوكنهام (أو أمام قصر سنت جيمس اذا كان الملك غائبا) وكلهم بمعاطف حمر يبدءون فى مشيتهم أمام القصر ذهابا وإيابا من الساعة العاشرة والنصف صباحا لا يلتفتون يمنة ولا يسرة ولا ينبسون ببنت شفة كأنهم أصنام متحركة، وفى أثناء ذلك كله تعزف الفرقة العسكرية.

وأعضاء هذه الفرقة يلبسون قبعات مصنوعة من جلود الدببة المكسوة بالفراء ، والفراء تتدلى على عيونهم فتمنعهم من رؤية ما أمامهم . ولذلك يضطر بعض الصبية أن يمسكوا « بالنوتة » الوسيقية بأيديهم ويضعوها أمام عيونهم ليستطيعوا رؤيتها

وقد تقول للانجليزى ان المحافظة على هذه التقاليد مضيعة للوقت والمال فيجيبك مبتسما : « قد يكون الأمر كما تقول ولكن لا بأس » ويردف كلامه بهز منكبيه . ذلك لأنه يرى فى المحافظة على التقاليد القديمة عاملا من عوامل الدوام والاستمرار والقوة فضلا عن عامل الاتصال بالاجيال الماضية

وفى الواقع أن الانجليزى لا يتقيد بالتقاليد فى أحوال معينة فقط بل هو يتقيد بها فى كل مكان وزمان وفى جميع أعماله ومعيشته. فرجال المال يراعون عادات وتقاليد ترجع الى مئات من السنين ، وهم يعتبرونها من ضمن العوامل التى أدت الى نجاحهم وعظمتهم، فبعض موظفى المصارف يلبسون ثياباً من زى معين ولون معين وقبعات عالية . ورجال الأعمال يلبسون « جاكتات » قصيرة وقبعات مستديرة من النوع المسمى « دربى » أو « هومبورج » . وكل قاض ومحام يلبس شعراً عارية أبيض اللون لا يقل ثمنه عن عدة جنيهات ، والانجليز يستسهلون دفع ذلك الثمن فى سبيل ضمان العدل ويحسبون ذلك الشعر العارية رمزاً الى العدل البريطانى المشهور . واذا ذهب المرء الى مصرف (كوتس وشركاه) ــ وهو المصرف الذى يعامله جلالة الملك ــ وأراد قبض مبلغ من المال، قبض ذلك المبلغ عن يد رجل وقور المنظر لابس (جاكتة) من النوع المسمى (فروك) . واذا كان المبلغ عبارة عن نقود فضية دفعه اليه ذلك الرجل بمجرفة خاصة . وجميع رجال هذا المصرف وموظفيه يلبسون (الفروك) منذ انشاء المصرف ولا يرون داعيا الى تغير هذا التقليد

وفى حى الأعمال بمدينة لندن ــ ويعرف (بالستى) ــ مظاهر أعمق فى القدم وأدل على حب الانجليز للمحافظة على التقاليد . فهنالك نقابات يرجع بعضها الى القرن الثانى عشر كنقابة (مطرق أسلاك الذهب والفضة) ونقابة (صانعى الأحذية) ونقابة (صانعى الشاشيب) وغيرها من النقابات التى لا تزال باقية بالاسم ولكنها مجردة من جميع الامتيازات . ومن أغرب ما يذكر فى هذا الصدد أن لنقابة (صانعى النظارات) ــ وهى من أقدم النقابات ــ الحق فى أن تطأ وتكسر كل نظارة لا تكون مستوفية شروط صنع النظارات . ولكل من نقابتى (باعة الخمور) و (باعة الأصباغ) حق اقتناء الأوز وتعويمه على نهر التيمز ! . .

وغنى عن البيان أن النقابات أنشئت فى الأصل للدفاع عن حقوق الصناع والعمال . ومع ان « اتحادات العمال » قد حلت اليوم محلها فى القيام بوظيفتها الأصلية فلا تزال النقابات باقية الى هذا اليوم وهى فى نظر العامل الانجليزى رمز ظاهر الى كونه يستطيع الاطمئنان الى عمله

ومن تقاليد الانجليز القديمة أنه فى اليوم الأول من شهر مايو من كل عام يخرج حراس برج

لندن ـ ويعرفون باسم أكلة لحم البقر ـ بأبهة وفخفخة عظيمتين وهم لابسون الثياب المقصبة التى يرجع زيها الى عصر التيودور . فيدورون حول البرج وهم يقرعون جدرانه بالعصا رمزاً الى أنهم يعينون حدود ذلك البرج ليعرفها الجمهور . وفى اليوم الأول من شهر مايو أيضا يخرج وكلاء الكنيسة فى عدة أبروشيات يحملون بأيديهم أغصاناً خضراء وهم يقولون : «ان الانجليزى يعرف ما له وما عليه»

وقد يمر عابر السبيل بقصر سنت جيمس فى لندن فيرى فى فناء القصر نحو خمسمائة جندى بثياب من المخمل الاسود وبنطلونات قصيرة وقبعات ذات حواف مقلوبة الى فوق وفى أرجلهم خفاف ذات أزرار فضية . ومهمة هؤلاء الجنود القيام بحفلة عرض مرتين أو ثلاث مرات فى السنة فى حفلات الاستقبال الملكية الصباحية، وفى تلك الحفلات ترى بعض اللوردات خارجين من بوابة القصر فى مركبات تعود بالذاكرة الى عصور الاقطاع . وقد بدا كل من اللورد وسائق المركبة والوصيف بثياب لا يشف مرآها عن شىء من التناسق

أما نظام الألقاب فى انجلترا فلا يقصد به تمجيد طبقة الأشراف النبلاء كما قد يتبادر الى الذهن، بل احترام كل طبقة من طبقات الشعب . فعدد الأعيان من رتبة «دوق» الى رتبة «سر» لا يقل عن خمسة آلاف . ولكن لكل تاجر الحق فى أن يخاطب بلقب «مستر» وكل من الطباخة والخادمة والوصيفة تخاطب بلقب «مس» أو «مسز» ولا يجوز مناداتها باسمها . واذا خاطبت رجلا وأنت لا تعرف مرتبته وجب أن تردف اسمه بلقب «اسكواير» أى المحترم

وعندما تنزل فى فندق أو تزور أحد المخازن الكبرى تجد على الباب رجلا لابساً ثيابا سوداً وعلى صدره مجموعة أنواط وهو من فئة نشأت بعد الحرب ويبلغ مجموع أفرادها اليوم نحو ثلاثة آلاف وقد اشتهروا فى الحرب الماضية بالبسالة النادرة وأصيبوا بما يقعدهم عن مزاولة الأعمال المرهقة ولذلك احتكروا مهنة الوقوف على أبواب الفنادق والمخازن والمصارف وجميعهم بثياب معينة . ومما يدل على ما لهذه الفئة من الشأن أن جلالة الملك يزور مجلس نقابتها كل عام ! . .

ويضيق بنا المجال اذا أردنا تعداد جميع مظاهر المحافظة على التقاليد فى انجلترا فهى تبدو فى كل حركة من حركات الشعب وفى جميع أقواله وأعماله ـ لا فى انجلترا فقط بل فى كل مكان يحل فيه الانجليزى أو يمر به . واذا علمنا شدة محافظة الانجليز على تقاليد آبائهم وأجدادهم أدركنا سبب نفورهم من كل تغيير، ومن النظم السياسية والاجتماعية الحديثة التى يجدون فيها ثورة على عاداتهم وشعائرهم . وهذا هو السبب الاكبر فى نفورهم من الشيوعية والفاشستية على السواء

[خلاصة مقالة للاستاذ ويلسون تشمبرلن . نشرت فى مجلة سكربنر]

يجب ألا نخاف

لانه الخوف عقبة في سبيل سعادتنا

لا مشاحة فى أننا جميعاً خاضعون لسلطان الخوف ولا يمكننا الفرار منه . ومن العبث أن يتكلف المرء الشجاعة فى جميع المواقف . فما من امرىء إلا ويعتريه الخوف : من الظلام ومن اللصوص ومن المرض ومن الزلازل ومن الصواعق ومن الموت

أجل ! من العبث أن تنكر الخوف فان هذا الانكار قد يلقينا فى مآزق حرجة تظهر فيها حاسة الخوف بأجلى مظاهرها ، إذ لا يمكن سترها أو كتمانها . ومن الغريب أن أشد ما يخشاه الجبان هو أن يعلم الناس أنه جبان ، وجل ما يتمناه هو أن يحسبوه بطلا شجاعا

ومن الطبيعى أن يشعر المرء بارتعاد فرائصه كلما عرض له ما يخيفه . وغنى عن البيان أن مخاوفه ليست دائما خاصة بشخصه بل كثيراً ما تظهر بصورة القلق على الآخرين . وما أكثر ما يقضى المرء ليلة ليلاء لا يغمض له فيها جفن لتوقعه شراً سوف يصيبه أو يصيب أشخاصاً آخرين يحبهم

وما دام الجميع خاضعين لسلطان الخوف ، فالخوف ليس خاصاً بفريق دون آخر من الناس . فالغنى يخاف على أمواله ، والفقير يخاف أن لا تتحقق آماله ، ومتوسط الحال بينهما (وهو سواد الناس) يخشى أن تجيء حوادث الغد بما قد يزعجه ويحزنه ، وهذا هو الهلع الناشىء عن توقع الشر ، وما من امرىء إلا وقد اختبره وعاناه . ومن الطبيعى أن تختلف صوره وشدته باختلاف أسبابه . وفى مقدمة تلك الأسباب السببان الآتيان وهما : (أولا) أن المرء لا يعيش ليومه بل لغده ـ أى انه لا يكتفى بما هو فيه فى الحاضر بل يفكر دائما فى المستقبل . (ثانيا) ان المرء اذا استولى عليه اليأس استولى عليه الهلع والخوف . والفرق بين اليأس والخوف تافه جداً أو يكاد الاثنان يكونان واحداً . ولو أن صوتاً قوياً سرى دويه بين الناس داعيا إياهم الى السكينة ورباطة الجأش ومؤكداً لهم أنه ليس ثمة أى مسوغ لليأس لظهر الناس بمظهر الشجاعة ولانتفت جميع أسباب الخوف . على أن مثل ذلك الدوى غير متوقع البتة

ولا يختص الخوف بالعمر ، فالاطفال والاحداث والشبان والكهول والشيوخ فيه سواء . وكلما تقدم الانسان فى العلم وتشعبت علائقه مع الناس زادت مخاوفه . وقد يستولى الخوف على الشاب فيخشى حتى ان يحلم أو يفكر . وقد يستولى على الشيخ الهرم فيخشى حتى ان يتعلل بالآمال

ومع ذلك فالخوف واليأس لا يزالان مستولين على النفوس يشوهان جمال الحياة

والخوف على نوعين كبيرين ـ أحدهما ما ينشأ عن القلق على المستقبل القريب (كقلقنا على مريض عزيز أو على رزقنا أو أسباب معيشتنا أو ما إلى ذلك) وهذا النوع من الخوف أسهل

علاجا وأقل شأنا من النوع الآخر . أما النوع الثانى فأسوأ أثراً فى النفس وأقتل للهمة والنشاط لان الفكر يغذيه ويقويه . فهو إذن سم زعاف لا ترياق له . أو هو عدو قاتل ليس ثمة ما يعصمنا منه . فهو يهاجمنا فى خلواتنا ومجتمعاتنا ، فى مكاتبنا وعلى أسرتنا ، فى البر وفى البحر ، فليس لنا منه منقذ ولا نستطيع الفرار منه

ويزيد فى غرابة هذا الخوف انه لاحقيقة له ، أى أنه لايقع تحت الحواس الخمس إذ لانراه ولا نسمعه ولا نذوقه ولا نشمه ولا نلمسه . وانما نحن نتوهم وجوده ونخيل الينا أنه يهاجمنا فنفتح له السبيل للوصول الى النفس والتغلغل فيها . والحقيقة أن هذا النوع من الخوف أقتل من كل نوع آخر ، والسبيل الوحيد الى التغلب عليه هو أن تعرفه وتكتنه حقيقته فتدرك أنه ضرب من اليأس والقلق غير المنظورين واللذين لا يسهل تعليلهما . نعم انه الخوف من شيء غير حقيقى أو مادى

ومن حسن حظ الانسان أن هنالك أشياء كثيرة يخشاها ويجزع من مجرد ذكرها أو تصورها ولكنها لاتتحقق . ولو تحققت جميعها لكانت الحياة عبئاً ثقيلا ليس ثمة ما يسوغ استمرارها . من منا لم تحدق به المخاوف فى طور من أطوار حياته ، ولم يستول عليه الجزع بسبب ما كان يتهدده أو يتهدد أسرته من الأخطار ؟ وكم شعر بانفراج كربته لان تلك المخاوف لم تتحقق ، ولان ما كان يخشاه لم يحل به ولا بأهله ولا باصدقائه ، وان كان الخوف قد بيض لمته وترك عليه آثاراً ظاهرة ؟

وليس فى العالم أحد يستطيع أن يثبت أن الخوف أفاده أو دفع عنه محذوراً أو أنقذه من ملمة . بل هو بالعكس كثيراً ما نغص عليه معيشته وأفقده جانباً من مسرات الحياة

وفى الحقيقة أن معظم المخاوف التى تحدق بنا هى خاصة بالمستقبل أكثر منها بالحاضر . فقد يكون الحاضر باعثا على الرضا والارتياح بحيث يخشى زوال الحاضر ومجيء المستقبل بأيامه المجهولة ولياليه السود . ولكم سأل المرء نفسه : « ترى هل تستمر السعادة التى أنا فيها وهل تتحقق الآمال التى أتعلل بها أم أن الغد سيجيء بما أكرهه وأمقته ؟ »

ان الكثيرين من الناس يهرمون قبل أوانهم لانهم يدعون الخوف يستحوذ على نفوسهم ويتغلغل فى صدورهم . وقد ترى دلائل ذلك على وجوههم وفى شعور رؤوسهم ونبرات أصواتهم

وليس المراد مما قلناه أن يكون الانسان متفائلا فى كل حال ولا يخشى محذوراً ، فالحياة محفوفة بالمكاره وطريقها شائكة مخيفة . ولكن لابد لنا من التسليم بهاتين الحقيقتين وهما : (أولا) أن الخوف لا يستطيع أن ينقذنا من أية ورطة أو أن يصلح ما نحن فيه . (وثانيهما) أن أكبر عقبة فى سبيل سعادتنا هى استسلامنا الى الخوف والقلق على مستقبلنا . فاذا تغلبنا على هاتين العقبتين أمكننا أن نستقبل الحاضر بكل هدوء ورباطة جأش . وليس للمرء إلا حاضره ، ومتى جاء الغد أمكنه أن يعنى به كما عنى بيومه . أما الشيوخ فهم خير قدوة لنا لانهم ينظرون الى غدهم بهدوء

[خلاصة مقالة بقلم السيدة مارى رينهارت . نشرت فى مجلة ناش]

ملكة فى ساعة الاعدام

نهاية مارى ستوارت المروعة

ليس فى وصف موت مارى ملكة اسكتلندا إلا كل ما يثير الاشجان . وقد سمع كاتب هذه السطور تفاصيل وفاتها من وصيفتين من أخلص وصائفها أقسمتا لها يمين الاخلاص ووعدتا بأن تذيعا وصف «اعدامها» بدقة وأمانة

فى اليوم السابع عشر من شهر فبراير سنة ١٥٨٧ وصل مندوبو ملكة انجلترا الى قصر « فوذرنجاى » حيث كانت مارى ملكة اسكتلندا سجينة ، وما كادوا يدخلون عليها حتى قرأوا لها الأمر الصادر اليها « باعدامها » فى صباح اليوم التالى ، فتلقت الملكة الخبر برباطة جأش واعتذرت للرسل لأنها تسببت فى معاناتهم مشقة الحضور وقالت انها ترحب بالغد إذ فيه تنتهى آلامها المبرحة بعد اقامة عشرين سنة بالسجن !

وما كاد الرسل يخرجون من حضرتها حتى طلبت كاهناً لتتم على يديه الشعائر الدينية من اعتراف وصلاة وخلافهما — ولكنهم رفضوا تلبية طلبها فتناولت ورقا وقلما وجلست تكتب اعترافها ثم وصيتها واتبعتهما برسائل وداع محزنة الى ملك انجلترا والملكة الوالدة وغيرهما من الأصدقاء ، ثم استدعت جميع أفراد حاشيتها — كباراً وصغاراً — وفتحت صناديق أمتعتها وثيابها ووزعت عليهم كل ماقد بقى لها مما كانت تملكه ، فوهبت لوصائفها اليسير الذى كان قد بقى لها من حلاها ، وأبدت لهن أسفها اذ لم يكن قد بقى عندها حلى غيره لتهبه لهن ثم أوصت رئيس خدمها بأن يبلغ ابنها وصيتها له وهى أن لا يسعى للثأر . وبعد أن وزعت على الجميع ما تملكه ودعتهم واحداً واحداً وأوصتهم بأن لا يبكوا بل عليهم أن يفرحوا لأن ضيقتها قد انفرجت

وأقبل المساء فاعتزلت الى الكنيسة التى كانت قد خصت بها حيث قضت ساعتين وهى راكعة تصلى ، ولما عادت الى غرفتها قالت لوصيفتها : أريد ان اتعشى وآوى الى سريرى لانام واستريح فلا يبدو منى غداً ما يشف عن جزع أو جبن أو ما يحط من كرامتى

على انها قضت الليلة كلها ولم يغمض لها جفن ، وقبيل انبلاج الفجر نهضت فارتدت ثوبا من المخمل الاسود ومعطفاً من حرير قرمزى اللون ووضعت على وجهها برقعاً أسود ، ثم نادت احدى وصائفها وناولتها منديلا وقالت لها : « متى وصلت الى المكان المعد فأرجو أن تعصبى عينى بهذا المنديل . وهذا آخر ملتمس لى » ثم استدعت أفراد حاشيتها فقبلتهم وودعتهم واحدا واحدا ، واعتزلت بعد ذلك الى الكنيسة لتقديم آخر صلاة لها . وعادت بعد ذلك الى غرفتها وقد أشرقت الشمس فجلست امام المدفأة تصطلى وتحادث وصائفها وتعزيهن

وما كادت تفرغ من الكلام حتى قرع باب غرفتها ثم دخل الرسل فخاطبتهم الملكة قائلة :
« انى أعلم ايها السادة انكم قد حضرتم فى طلبي . فانا مستعدة للذهاب معكم الى حيث ألاقى حتفى ، وأشعر بأن أختى الملكة قد أحسنت الى ـ وكذلك انتم أيضا فهلموا بنا »

فلما رأى الرسل رباطة جأشها وما أبدته من لطف وتسامح دهشوا دهشاً عظيما وأخذتهم الشفقة عليها ثم ساروا بها الى الغرفة المقامة فيها الدكة (المقصلة) لقطع رأسها . وكانت الغرفة فسيحة والدكة مغطاة بغطاء خشن من الكتان . فدخلت الملكة بخطوات ثابتة يحف بها الجلال والوقار ، لا يلوح عليها شيء من الجزع أو الاكتراث ، وكأنها مقبلة على مقصف . إلا أن احدى وصائفها لم تستطع حبس دمعها فاندفعت فى البكاء إذ رأت السيافين محدقين بسيدتها ، فأومأت اليها الملكة بوضع سبابتها على شفتيها ـ بأن تكف عن البكاء وتسكت ، فأطاعت الوصيفة الامر

وتقدمت الملكة الى الدكة ، فأمسك كبير السيافين بذراعها بخشونة وأنزل ثوبها عن عنقها وصدرها فظهرا كالعاج النقى . ثم نزع صدرتها فأسرعت وغطت صدرها بقدر ما استطاعت وهى تقول انها لم تعتد أن تخلع ثيابها أمام نحو خمسمائة شخص ثم التفتت الى احدى وصائفها وطلبت منها أن تعصب عينيها . ثم ركعت الملكة برباطة جأش ، مظهرة منتهى الشجاعة والبسالة

واذ كانت الملكة تتمتم بكلمات الصلاة كان كبير السيافين يقاطعها بكل خشونة ، إلا انها لم تعبأ به بل استمرت الى أن أكملتها وتلت بعدها أحد المزامير . ولما فرغت تقدمت فمدت عنقها على المقصلة وهى تقول باللاتينية : « اللهم انى استودع روحى يديك » . واذ ذاك رفع السياف الفأس وأهوى بها على عنقها بضربة هائلة . ولكنها لم تكن من القوة بحيث تفصل الرأس عن الجسد . فاضطر السياف أن يتبع الضربة بثانية فثالثة حتى قطع العنق تماما . ثم أخذ الرأس بيديه وعرضه على الحاضرين وهو يقول : « لتحى الملكة اليصابات ، وليهلك جميع أعداء الانجيل ! » قال ذلك ونزع من الرأس غطاءه وكل ما كان يزينه فبان الشعر وقدعبث به البياض ـ لا بياض الشيب ، إذ لم يكن عمر الملكة يومئذ يزيد على اربعين عاما ، بل البياض الذى هو وليد الآلام والأحزان

أما الوصائف فخشين أن يعبث القوم بكرامة الملكة . فالتمسن من كبير السيافين أن لا ينزع عنها ثيابها بنفسه بل أن يسمح لهن بأن يتولين ذلك بأنفسهن. ولكن السياف طردهن من الغرفة وتولى نزع ثياب الجثة كما شاء . ولما فرغ من ذلك وضع الجثة فى غرفة ملاصقة لغرفة الخدم وأوصد بابها . ونظرت الوصائف من ثقب المفتاح فأبصرن الجثة عارية إلا من قطعة من النسيج الخشن نزعت من مائدة البلياردو ووضعت عليها . وظلت كذلك الى ان بدأ الفساد يدب اليها . فحنطت بسرعة وبتقتير ووضعت فى تابوت من الرصاص ، ولم تدفن إلا بعد سبعة أشهر ، أما الاشياء التى لوثها الدم عند قطع الرأس فاحرقت خيفة أن تصبح فيما بعد آثاراً مقدسة

[ملخصة من كتاب « تراجم موجزة للعظماء » . بقلم الاستاذ باريت كلارك]

تقدم العلم والعالم

بعثات علمية لاربع دقائق

فى اليوم الثامن من شهر يونيو الماضى كسفت الشمس كسوفا كليا لم يشاهده سكان القاهرة ولا سكان معظم الكرة الأرضية إذ لم تكن رؤيته ممكنة إلا فى جزيرة أو جزيرتين فى المحيط الهادى . وحتى فى هاتين الجزيرتين لم يستمر الكسوف سوى أربع دقائق . على أنه استمر سبع دقائق وأربع ثوان فى نقطة فى وسط هذا المحيط تبعد نحو ألف وخمسمائة ميل عن اليابسة . وقد سافرت عدة بعثات علمية الى الجزيرتين المذكورتين والى النقطة المشار اليها من المحيط الهادى وهى تحمل الآلات والمعدات الفلكية لرصد هذا الكسوف . ولم تقف حتى الآن على نتيجة الرصد

مقاومة طيور الجو

من أعظم الأخطار التى تواجه الطيارين فى اثناء تحليقهم فى الجو طيور الجو الكاسرة كالنسور والعقبان والصقور والبزاة وغيرها . فقد تصدم هذه الطيور الطيارة فتكسر زجاجها وتعطب آلاتها . نعم انها تلقى حتفها لا محالة ولكنها تلحق بالطيارة بعض الاضرار . وعليه يبحث بناة الطيارات عن مادة خفيفة ومتينة تصنع منها بعض أجزاء الطيارة لتلافى الخطر المذكور . ولا يزالون يقومون بتجارب كثيرة لهذا الغرض

الغدتان الكظريتان

فى جسم الانسان غدتان صغيرتان فوق الكليتين تسميان الغدتين الكظريتين أو الادرناليتين ولا تزال وظيفتهما الحقيقية مجهولة بعض الشىء . ولكن المباحث العلمية الاخيرة تدل على أن هذه الوظيفة هى تقوية الجسم واعطاؤه المناعة اللازمة بازاء السموم وغيرها من العوامل المؤذية كالتعرض للبرد الشديد فجأة أو نقص السكر الذى فى دم الانسان نقصا شديداً وهلم جرا

نوم النباتات

النوم لازم للنباتات كلزومه للحيوانات . فى النبات مادة تسمى « أوكسين » هى قوام نموه وهى شديدة الاحساس والتأثر بالنور . فاذا لبث النبات معرضا للنور طويلا أتلف النور تلك المادة وعطل النبات عن النمو . ولهذا كان لابد للنبات من قضاء جانب من الوقت فى الظلام لئلا يتلاشى

حجارة صناعية

يجربون اليوم فى روسيا وانجلترا طريقة لصنع الحجر الصلب من فتات الصخور والحصى والبازلت . وذلك باحماء الفتات واذابته وصبه فى قوالب مختلفة الاشكال . ويقال ان الحجارة التى تصنع بهذه الطريقة هى من أصلب الحجارة المعروفة فى الطبيعة إلا أن طريقة صنعها لا تزال كثيرة النفقات . ولذلك يبحث القوم عن مواد رخيصة (من قمامة ونفايات) لتحويلها وقوداً لصنع الحجارة المذكورة

الأبنية المقاومة للزلازل

يدل الاختبار على أن الأبنية التى يستعمل

الأسمنت فى بنائها هى أقدر على مقاومة الزلازل واحتمال هزاتها العنيفة من الأبنية التى تخلو من الأسمنت . ولكن علم الهندسة الحديث يثبت أن بين طبيعة الأرض المقام عليها البناء وبين اتجاه الزلزلة ارتباطا وثيقا جداً . وغني عن البيان أن التربة التى يراد اقامة أى بناء عليها تؤلف من طبقات جيولوجية تختلف اتجاهاتها بين أفقية ومائلة وعمودية . فاذا عرف المهندس اتجاه تلك الطبقات أمكنه أن يتحكم فى ترسيخ الأسس بمقتضى ذلك الاتجاه . وهذا يجعل البناء أقدر على مقاومة الزلازل . أما القول بأن البناء المؤسس على الصخر أقدر على مقاومة الزلازل من البناء المؤسس على الرمل فليس صحيحا دائما

النظام الملكى

لاشك فى أن النظام الملكى قديم العهد جداً ان لم يكن أقدم أنظمة الحكم التى عرفها الانسان . وتدل الاكتشافات التى وفق اليها علماء الآثار على أن بعض مدن ما بين النهرين كان يحكمها ملوك ـ أى انها كانت خاضعة للنظام الملكى ـ منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . أما مصر فالمعروف أن النظام الملكى كان شائعا فيها منذ بدء الدولة الأولى التى أسسها الملك مينا ـ أى قبل بدء النظام الملكى فيما بين النهرين

الانسان الصناعى

يقول الدكتور كونكلن أستاذ علم البيولوجيا السابق بجامعة برنستون ان جميع المساعى التى قد بذلها العلماء ولا يزالون يبذلونها لاستيلاد النوع البشرى خارج الوعاء الطبيعى ـ أى فى المعمل الكيميائى ـ قد ذهب سدى وسيظل سر الحياة مستغلقا على عقل الانسان مهما بلغ من الرقى . واليوم الذى يوفق فيه العلم الى استيلاد الحياة في « الأنبوب الكيميائى » هو اليوم الذى يبدأ فيه انحلال الجنس البشرى واضمحلاله لان الانسان الذى يولد فى ذلك « الأنبوب » يكون مخلوقا صناعيا مجرداً من العواطف وربما من الشعور والاحساس أيضا

أقدم التماثيل المعدنية

وفق علماء الآثار الذين يعملون فى سوريا وينقبون بين خرائبها الى العثور على بضعة تماثيل معدنية فى خرائب أحد الهيا كل فى « تل الجديدة » . ولا شك فى ان هذه التماثيل هى أقدم التماثيل التى قد عثر عليها العلماء حتى الآن ، فقد صنعت ـ كما يستدل من النقوش والرموز التي عليها ـ سنة ٣٣٠٠ قبل المسيح أى منذ أكثر من خمسة آلاف ومائتى سنة . وهذه التماثيل مصنوعة من النحاس ، وهى تمثل ذكوراً واناثا . فالذكور منها تمثل إله الحرب ، ورءوسها مغطاة بخوذ فضية . والاناث تمثل إلاهة الخصب والنمو ، وعلى رءوسهن جدائل من فضة

غرائب الطب

أشرنا غير مرة على صفحات أجزاء الهلال الماضية الى طريقة معالجة الشلل الناشيء عن داء الزهرى بتوليد حمى قوية فى جسم المصاب . وكان توليد هذه الحمى يتم أولا باطلاق جراثيم الملاريا على الشخص المصاب بالشلل ، على أن يعالج فيما بعد من مرض الملاريا . ثم استعيض عن المعالجة بجراثيم الملاريا بالمعالجة بأمواج كهربائية قوية تنشيء فى جسم المريض حمى صناعية . وكان المظنون حتى الآن أن تلك الحمى تشفى من داء الشلل بقتل جراثيم الداء . ولكن الدكتور فاجنر يوريج مستنبط هذه الطريقة ، وهو من

كبار علماء النمسا، يقول ان السر فى المعالجة بالحمى الصناعية هو أن الحمى تزيد فى قوة مقاومة الجسم واحتماله لتلك الجراثيم ولا تقتلها بدليل انها تستمر فى الجسم حتى بعد نيله الشفاء التام ولكنها لا تؤثر فيه

ويقول الاستاذ دارسونفال – شيخ أطباء باريس ويبلغ اليوم السادسة والثمانين من العمر – أنه تنبأ فى سنة ١٨٨٤ بأن أمواج الكهربائية سوف تستعمل فى الطب بدلا من عقاقير كثيرة. وها هى تلك النبوءة قد تحققت فصارت الكهربائية تستعمل فى معالجة الشلل والزهرى والأمراض العقلية الناشئة عن الزهرى

وذكر الدكتور موريس دوكوست كبير أطباء مستشفى الأمراض العقلية بضاحية «فيلجويف» بفرنسا انه اكتشف طريقة جديدة لمعالجة الجنون العام الناشىء عن الزهرى، وهى أنه يحقن الدماغ مباشرة بكمية من الدم المشتمل على جراثيم الملاريا مضافا اليه كمية قليلة من ترياق (antitoxine) التيتانوس أو الكزاز. وقد عالج ٤٥٣ عليلا بهذه الطريقة فنال ٣٤٣ منهم الشفاء التام ولا يزالون – منذ عشر سنوات – يتمتعون بالصحة التامة. أما الباقون فمع أنهم كانوا قد بلغوا آخر درجات الداء، فان تحسناً ظاهراً قد بدا عليهم ما عدا ستة وعشرين منهم توفوا ولم يكن يرجى لهم أى شفاء أو تحسين

ومما يجدر بالذكر أن هذه الطريقة – أى المعالجة بحمى الملاريا – قد أفادت فى معالجة المصابين بالمرض المسمى عند الأطباء «برقصة كوريا» أو رقصة «سان فيتوس» فقد روى عدد كبير من الاطباء أنهم استعملوا هذه الطريقة فأسفرت عن نجاح كبير

العميان قديماً

يعتمد العميان اليوم على أسلوب برايل فى قراءة الكتب. ويقال ان الذى أوحى باستنباط هذه الطريقة ما ذكره بعض المؤرخين من أن العميان فى مصر قديما كانوا يستعملون خيوطا معقدة، وكان لكل عقدة فى تلك الخيوط معنى أو رمز خاص تبعا لحجم العقدة وموقعها من الخيط ودرجة بروزها

أكبر معجم للكتاب المقدس

هو معجم صنفه عالم يهودى يدعى داود بن ابراهام الفاسى منذ ألف سنة ثم ضاع، الى أن أخذ العلماء يعثرون على بعض أجزائه فى العصور الحديثة. وكانت مكاتب أوربا وأميركا تتسابق الى اقتناء الاجزاء التى تظهر أولا فأولا. وقد تمكن الدكتور سولومون سكوس أستاذ اللغة العربية بكلية دورسى بفيلادلفيا من درس جميع الأجزاء المبعثرة فى مكاتب أوربا وجمع أشتاتها، وقد نشرت جامعة يايل الاميركية الجزء الأول منها وستوالى نشر الأجزاء الباقية

وقد كان هذا المصنف من أشهر المصنفات فى زمانه حتى انه كان يسمى «الكتاب»، وقد كتب فى الأصل باللغة العربية وبالحروف العبرية. وذلك لأن علماء اليهود كانوا يستعملون اللغة العربية ثم أهملوها ولكن بعضهم ظل يكتب بها بالحروف العبرية

وهذا المعجم يفسر أموراً كثيرة مما لا تزال سراً مستغلقا على علماء التفسير حتى الآن. من ذلك ماجاء فى سفر النبى ارميا من أن الله أمره – وهو يومئذ فى فلسطين – بأن يذهب الى الفرات ويخبىء منطقته (حزامه) بين بعض الصخور

القائمة هنالك . ولا يخفى أن نهر الفرات يجرى فى البلاد المعروفة ببابل قديما . وقد كان بين بابل وفلسطين يومئذ عداوة شديدة بحيث لا يستطيع أحد أن يجتاز الحدود الفاصلة بينهما. فكيف استطاع ارميا أن يجتازها ويتوغل فيها حتى ضفاف الفرات ؟

هذا ما كان يحير علماء التفسير حتى الآن . على أن المعجم الذى نحن بصدده يشرح هذا السر ويقول أن كلمة « بيرات » العبرانية (وهى التى ترجمت بكلمة فرات فى العربية) كانت اسم ضاحية من ضواحى مدينة اورشليم تسمى اليوم فاراح ؟

كيف اخترعت الكتابة

يقول أحد علماء الآثار إن الكتابة اخترعت لان الكهنة كانوا يتلقون هدايا من أفراد الشعب فكانوا يحتاجون الى ضبطها وتدوينها . وكانوا يحتاجون أيضا الى تسجيل ما يقبضونه وينفقونه من أجور وخلافه . فدفعهم ذلك الى استنباط الكتابة

سرعة الدببة

الاعتقاد الشائع بين العامة أن الدببة (جمع دب) هى بطيئة السير . وهذا الاعتقاد خطأ ، فان الدببة ـ ولا سيما الدببة الاميركية المعروفة بالسنجابية ـ شديدة السرعة حتى إن بعضها تستطيع الركض بسرعة خمسة وثلاثين ميلا ـ أى نحو ستة وخمسين كيلو متراً ـ فى الساعة وهى كما ترى سرعة عظيمة جداً

مدينة مطمورة

عثر علماء الآثار الروس على خرائب حديثة قديمة بقرب سواحل بحر بزوف كانت تدعى « فراناجوريا » وهى مدينة مستعمرة أنشأها اليونان منذ عدة قرون ثم خسفت بها الأرض ـ وكانت رملية ـ منذ نحو ٢٥٠٠ سنة ، أى فى القرن السادس قبل الميلاد

لارشاد السفن

لا يخفى أن السفن تسترشد فى الليل بأنوار المنائر القوية التى تصل إلى مسافات شاسعة . على أن السفن كثيراً ما تكون فى وسط المحيط فلا تصل تلك الأنوار اليها مهما كانت قوية ـ ولاسيما إذا كان الجو ملبداً بغيوم كثيفة سوداء . ولما وفق العلماء إلى استنباط الراديو رؤى أن يستعان به على ارشاد السفن . فأنشئت محطات للارشاد يبلغ عددها الآن ٣٧٩ محطة تستطيع السفن الاتصال والاهتداء بها فى سيرها أينما كانت . ونحو ثلث هذه المحطات مقامة على سواحل الولايات المتحدة . والباقية مقامة على سائر سواحل البحار فى العالم

التنويم المغناطيسى وطب الأسنان

لا يستطيع من اضطر إلى خلع سن من أسنانه فى يوم من الأيام إلا أن يتذكر ما عاناه من الآلام . وقد جرب أطباء الأسنان عدة وسائل لتخفيف آلام الخلع . وقد قرأنا فى المجلات العلمية الأخيرة أن مستشفى الأسنان الملكى فى لندن شرع منذ أوائل هذا العام فى استعمال التنويم المغناطيسى لتسهيل خلع الأسنان. ولا نعلم هل أسفرت هذه النتيجة عن النجاح إذ ليس من السهل تنويم كل انسان تنويما مغناطيسيا

انسان فلسطين

أشرنا غير مرة إلى الأحافير البشرية التى وفق علماء الأنثروبولوجيا إلى العثور عليها فى الأزمنة

الحديثة ، والتي يعتبرها الكثيرون بمنزلة «حلقات مفقودة » تكمل سلسلة المخلوقات الحيوانية وتربط النوع البشري بأسلافه الحيوانات العليا. ومن أحدث تلك الاكتشافات التي ذكرناها في أجزاء الهلال السابقة «انسان فلسطين» ويؤخذ من المباحث الأخيرة التي قام بها جمهور كبير من العلماء بينهم السر آرثر كيث والاستاذ تيودور مكاون العالم الأميركي الشهير أن هذا الانسان عاش منذ نحو ستين ألف سنة . فهو إذن ليس جداً للانسان الحاضر بل « من أسرته » أو « أولاد عمه » لو صح التعبير . وقد بلغ شأوه في منتصف العصر الحجري. ويظهر أنه في ذلك الوقت عينه كان يوجد في فلسطين انسان آخر أصغر حجما من الانسان الأول وأقرب إلى انسان نياندرتال الذي كان يسكن غرب أوربا

تناقص العلماء

هل عدد العلماء آخذ في التناقص ؟

إذا رجعت إلى «معجمات الاعلام» الانجليزية والاميركية (Who is Who) وجدت أن عدد العلماء في انجلترا وأميركا قد زاد زيادة مطردة . فقد كان عددهم في سنة ١٩٠٦ في أميركا فقط نحو أربعة آلاف فأصبحوا في هذه السنة نحو ثلاثين ألفا . ومع ذلك يقول الدكتور كاتل محرر مجلة « العلم » الأميركية ان الذي زاد في الحقيقة هو عدد الذين يشتغلون بالمباحث العلمية. أما عدد العلماء الحقيقيين فهو متناقص نسبيا

« قنابل » الراديوم

في معهد الراديوم بلندن قطعة من الراديوم زنتها خمسة جرامات وثمنها بحسب سعر الراديوم نحو أربعين ألف جنيه ! وعلماء المعهد المذكور يقومون اليوم بمباحث واسعة النطاق لاستنباط أفضل الطرق لاستعمال الراديوم من دون أن يتعرض الطبيب أو العليل للخطر . والخمسة الجرامات التي نحن بصددها موضوعة في أنبوب خاص من الرصاص الشديد المرونة واللين. وهذا الأنبوب مفتوح من أحد طرفيه ، ومن هذا الطرف تطلق « قنابل » الراديوم على السرطان والأورام الخبيثة لابادتها

طرائف علمية

* كانت قطع النقود السويسرية منذ مئتي سنة كبيرة الحجم جداً حتى كان بعضها يزن سبعة أرطال ونصف رطل

* يقضي القانون الانجليزي على جميع الذين يشتغلون في مصانع المواد الكيميائية بأن يلبسوا ثياباً خاصة تقيهم أذى تلك المواد

* في سنة ١٨٧٧ جيء بأول أسد الى حديقة الحيوانات بمدينة ليبسك بألمانيا ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحديقة المذكورة اخصائية في تربية الأسود واستيلادها . وقد بلغ عدد الأسود التي ولدت هنالك منذ تلك السنة حتى الآن أكثر من ألف أسد

* كان المظنون حتى الآن أن بعض المناجم في روسيا وألمانيا وانجلترا وأميركا هي أغنى مناجم الحديد في العالم . إلا أن الاحصاءات الأخيرة قد أثبتت أن أغنى تلك المناجم هي في لابلند

* تقول رسالة الأخبار العلمية وهي من أشهر المجلات العلمية الاميركية أن بعثة علمية مصرية قد فرغت من درس قاع البحر الأحمر

* الشمبانزي — وهو من أرقى أنواع القردة — يصاب بالزكام كالانسان تماما . أما أنواع القردة الأخرى فالعلماء لايعرفون حتى الآن هل هي تصاب بالزكام أم لا . ولا تزال التجارب مستمرة لمعرفة ذلك

كتب جديدة

ديوان حافظ ابراهيم

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية . عدد صفحاته ٣١٨

رأت وزارة المعارف ، وفاء لحق الأدب ، واداء لواجب الوطن ، أن تخلد شعر المغفور له حافظ ابراهيم الذى كان دعامة من أقوى دعائم نهضتنا القومية ، فندبت الأستاذ أحمد أمين ليجمع ما تشتت من شعره على صفحات الجرائد ، وليقوم على تصحيحه وتنسيقه ونشره

وقد قام الأستاذ أحمد أمين بما ندب له خير قيام ، واستعان فى ذلك بالأستاذين أحمد الزين وابراهيم الابيارى . وقد صادفوا صعابا جمة فى جمع شعره المبعثر ولكنهم أتموا الجزء الأول من الديوان الذى ضمنوه سبعة أبواب هى : المدائح والتهانى ، والأهاجى ، والأخوانيات ، والوصف ، والخمريات ، والغزل ، والاجتماعيات . ونشروا قصائد كل باب حسب تاريخ قولها أو نشرها ، لأن هذا الترتيب أدل على متجه تفكير الشاعر . وضبطوا ألفاظ الكتاب ضبطا كاملا لتسهل على النشء قراءته ، وشرحوا القصائد شرحا وافياً مفصلا يمكن القارىء من الالمام بجميع نواحيها خير المام

ووضع الأستاذ أحمد أمين مقدمة مفصلة للديوان ، استعرض فيها بأسلوب روائى طريف حياة حافظ ، وتناول فيها بالتحليل صفاته وأخلاقه ، وثقافته وتفكيره ، ثم تبسط فى نقد شعره ودراسته بما عهد فى الأستاذ من وضوح وبيان ، مع الدقة والوفاء

الاجرام السياسى

ترجمة الأستاذ حسن الجداوى

مطبعة حجازى . عدد صفحاته ٣٢٥

ارتقت المدنية بالانسان فى شتى الأنحاء إلا نحو السياسة ، فما يزال مرتعاً فسيحاً لضروب الرذائل والنقائص والجرائم . وما هذا إلا لأننا لا نفهم « فن الحكم » إلا على أنه وسيلة لقضاء المآرب وتحقيق الأطماع ، بشتى أساليب العنف والبطش وطرائق الخداع والتضليل . وهذا هو موضوع الكتاب النفيس الذى ترجمه الاستاذ حسن الجداوى عن الكاتب الفرنسى « لوى بارول » . فقد تحدث فيه عن المبادىء الفاسدة ، والوسائل المجرمة ، التى يتخذها أكثر من ألقى اليهم قياد الشعوب والجماعات ، فلم يتحرجوا عن أن يمدوا أيديهم الآثمة ، ولم يتهيبوا أن يلوثوها بالدماء الذكية البريئة

وقد قال المؤلف فى شرح غايته من وضع الكتاب : « وأنا أرمى بتعداد الجرائم التى ارتكبتها الأنظمة السياسية فى مختلف الأزمنة ، والمبنية على العنف والقوة ، ان أثبت بأدلة من الوقائع أن السياسة الشريفة المخلصة اجدى أنواع السياسات ، وأن السياسة اذا تخلت عن الأمانة والشرف هبط مستواها وانقلبت الى مجازفات ورياء »

وتتناول فصول الكتاب الحديث عن مبادىء مكيافيلى وتطبيقها ، وعن القتل السياسى والفوضوية ، وعما يسود به وجه الحياة السياسية من حقد ورياء وخداع ، كما يستعرض شتى أنواع

الفساد السياسى قديما وحديثا فى أثينا وروما وانجلترا وفرنسا ، وأسباب هذا الفساد من ناحية التشريع والقضاء والنظام النيابي ، وجرائره على الاخلاق العامة فى مختلف الأوساط . وتدليلات المؤلف فى كل هذا قوية واضحة ، واستنتاجاته قيمة سديدة . وعبارة المترجم سهلة رصينة لا ضعف فيها ولا تكلف

الوثبة الاولى ، وقلب غانية

للاستاذ محمود تيمور

دار النشر الحديث . عدد صفحاتهما ١٩٠ و ٢٠٤

مجموعتان من القصص المصرية الصغيرة تضم الأولى منهما طائفة من القصص التى أنشأها الأستاذ تيمور فى صدر حياته الأدبية ، فهى تمثل فترة من فترات انتاجه تتميز بالسهولة فى التفكير والتعبير ، وبالبساطة فى رسم الأشخاص والمواقف. ولعل هذه الفترة هى من خير الفترات التى مر بها الاستاذ تيمور ، فقد كان فيها قريباً جداً إلى الفلاح البسيط والقروية الساذجة ، فجاءت قصصه ملأى بالحب والعطف على هذه الطبقة الشقية الضعيفة التى يضيق الآن بها ويكره الاقتراب منها ..! وهذه المجموعة مصدرة بمحاضرة نفيسة موضوعها «حاجتنا الى الفن»

أما المجموعة الثانية فتمثل الفترة الراهنة من فترات تفكيره . وهى فترة مازالت محتفظة بطابع السهولة والبساطة ، وان امتازت بعنصر التحليل النفسى الدقيق كما ترى في قصته « قلب غانية » و «السجينة» و «قبلة» . وقد صدرت المجموعة بمحاضرة قيمة تحدث فيها عن الناحية القصصية فى المغفور له حافظ ابراهيم

ويمكننا أن نقول إن قصص الاستاذ محمود تيمور تمتاز بخصلتين واضحتين: أولا انها تصور حياة الطبقات الفقيرة ، وتعالجها بشعور دافق من الحب والرعاية ، يعطف القلب اليها ويلفت الذهن الى نقائصها . وثانياً ، انها حافلة بالتحليل النفسى الذى لا يتيسر إلا لأديب كالاستاذ تيمور دقيق الملاحظة واسع الثقافة ، والتى صارت عنصراً أساسياً من عناصر القصة الأدبية العالية

الفاروق عمر بن الخطاب

للاستاذ محمد رضا

المطبعة المحمودية التجارية . عدد صفحاته ٣٤٠

يتناول هذا الكتاب سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فيتتبع أدوار حياته الحافلة بالمجد والخير والفضائل ، ويبين بلاءه الصادق فى نشر الاسلام واعلاء دعائمه ، ويفصل حديث هذه الحروب التى انتصر فيها الاسلام نصراً مؤزراً ، وقد جمع المؤلف فى كتابه خلاصة ما تشتت فى كتب التاريخ عن هذا البطل العظيم ، فجاء كتابه وافيا بما لا يجده القارىء إلا فى المطولات التى لا يصبر عليها إلا القليل

وهذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من سلسلة يريد المؤلف اخراجها عن رجال الاسلام ، وقد أصدر منها كتابين : «محمد رسول الله» «أبو بكر الصديق» . فقوبلا بكثير من الاعجاب والتقدير لما يبذله المؤلف من جهد صادق فى لم أشتات الموضوع ، وتمحيص دقائقه وتفنيدها ، ولما يبثه فى أنحاء الكتاب من آراء كثيرة يدحض بها أقوال المتجنين على هؤلاء العظماء

قصص فكاهية للاطفال

للاستاذ كامل كيلانى

مطبعة المعارف . عدد صفحات كل قصة ١٦ صفحة

هذه ناحية طريفة من هذه المكتبة الحافلة التى أنشأها الاستاذ كامل كيلانى للاطفال . وقد

سبقتها نواح أخرى قدم فيها قصصاً علمية وتاريخية وأدبية ، مترجمة عن كبار الكتاب ، أو مستقاة من الأدب العربى القديم . ولكنه رأى هذه المرة أن يغذى عقل الطفل بلون جديد من القصص الفكهة الرقيقة ، فكتب هذه القصص الست التى سيطالعها الاطفال بشغف ولذة ، لانها تمدهم بالفكاهة التى يستسيغونها ويطربون لها

وهى الى هذه المتعة الرقيقة ، تفتح للطفل منافذ للتفكير وللخيال ، فضلا عن انها تروضه على حب الادب وتذوقه منذ الصغر ، فقد كتبت بأسلوب سهل بسيط صحيح ، كما انها زينت بصور جميلة تزيد الطفل إقبالا عليها . وهكذا يتعهد الاستاذ كيلانى أطفاله بعطفه ورعايته ، ويمد عقولهم بجد القول وهزله ، فيهيء لهم منذ الصغر عنصرى الحياة ودعامتيها . . .

فلسطين العربية

بين الانتداب والصهيونية

للاستاذ عيسى السفرى

مطبعة فلسطين بيافا . عدد صفحاته ٤٧٠

يتناول هذا الكتاب الحافل فى جزئه الأول تاريخ القضية العربية الفلسطينية منذ الاحتلال البريطانى لفلسطين سنة ١٩١٧ حتى نشوب ثورة نيسان الكبرى سنة ١٩٣٦ ، ويتحدث فى جزئه الثانى عن تاريخ هذه الثورة وأسبابها وتطوراتها ونتائجها . فهو على الجملة سجل عام مفصل لقضية فلسطين المجاهدة خلال عشرين سنة لم تفتر فيها عن المطالبة بحقوقها والسعى فى سبيل استعادتها . وقد توخى المؤلف فى كتابه ثلاث غايات : سهولة المأخذ بحيث تسهل مطالعته ، وغزارة المادة بحيث يكون مرجعاً لكل ما يتعلق بهذه القضية ، وتنسيق الحوادث كى يستعرضها القارىء فى يسر ويستوعبها جيداً . والكتاب مزين بكثير من الصور والخرائط التى تبلغ زهاء ٢٥٠ رسماً مما يجعل هذا الكتاب عرضا شاملا مفصلا ، وتحليلا دقيقا وافيا ، لجميع نواحى هذه القضية التى تهم العالم العربى كله ، لأنها قضية الحرية والقومية التى سوف يأتى يوم تتوج فيه بالنصر المؤزر والتوفيق العظيم

أسرار الانقلاب

للاستاذ السيد عبد الرازق الحسنى

مطبعة العرفان بصيدا . عدد صفحاته ٢٠٠

عرض تاريخى مفصل للاحداث السياسية الخطيرة التى اجتازتها بلاد العراق منذ توفى المغفور له الملك فيصل الى أن وقعت حادثة بغداد الشهيرة الأخيرة التى أدت الى الانقلاب الوزارى المعروف . وقد تتبع المؤلف حوادث هذه الفترة بالتدقيق والتحقيق ، ونزه قلمه عن عوامل التمويه والتضليل ، فجاء كتابه سجلا لهذه الفترة يصح الرجوع اليه والاستفادة منه . وقد أوضح الأسباب التى أدت الى نشوب هذا الاضطراب العنيف . فأبان أن الحادث لم يكن ثورة عسكرية مفاجئة ، بل هو انقلاب شعبى له أسسه ودعائمه التى لم ينتبه اليها القائمون بالحكم وهى تتغلغل فى صميم الشعب وتفتح له منافذ للتفكير والتقدير والسخط والاستنكار

والكتاب بوجه عام عمل تاريخى قيم ، يدل على سعة اطلاع مؤلفه النابه ، وتمكنه الوثيق من تاريخ العراق وحالته السياسية والاجتماعية ، وقد أصدر قبل هذا مجموعة كبيرة من المؤلفات القيمة عن العراق تناول فيه شؤونه السياسية والمذهبية والتاريخية ، فقوبلت من قراء العربية بالحفاوة والتقدير

البترول

ترجمة الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف

مطبعة دار الترقى . عدد صفحاته ١٢٠

هذه إحدى القصص العنيفة التى وضعها الأديب الأمريكى الكبير أبتون سنكلير فأحدث بها ضجة داوية بين رجال الأعمال الذين قابلوها بالسخط والاستنكار لأنها تفضح مخازيهم ورذائلهم ودسائسهم ، كما صادف بها فى صفوف الطبقات العاملة كل حفاوة وتمجيد لأنها تصف حياتهم القلقة المضطربة وصفا دقيقا ، وتعبر عن آمالهم وآلامهم تعبيراً بليغا

ولا شك فى أننا نحتاج الى هذا النوع من الأدب ، فقد ضقنا بأدب الترف واللذة والنعيم ، وآن لنا أن ننصرف الى الأدب النافع القيم الذى يدرس حياتنا دراسة جدية عميقة تنفذ الى الصميم كى تشخص العلل الحقيقية وتصف الأدواء الناجعة . ولهذا نرحب بهذه القصة التى نقلها الاستاذ عصام الدين حفنى ناصف أجمل ترحيب ، فقد أضاف بها حلقة جديدة الى هذه السلسلة الفكرية القيمة التى نقلها عن كثير من مفكرى الغرب وأدبائه . وأسلوب الاستاذ فى الترجمة سهل بسيط ، وإن كنا نأخذ عليه اختصار القصة شيئا ما

جرير

للاستاذ جميل سلطان

المطبعة الهاشمية بدمشق . عدد صفحاته ٢١٦ صفحة

هذه الخصومة العنيفة التى ثارت بين جرير والفرزدق والأخطل، قد شغلت الأدباء والمتأدبين دهراً طويلا ومع هذا لم يستقروا فيها على رأى يرضى الحكم العادل والنقد النزيه ، لانهم تناولوها مدفوعين بنوازع النفس وروح التعصب الى فرد دون آخر . ولهذا نرحب بهذا الكتاب الذى يدرس أحد هؤلاء الشعراء درساً مبنيا على مقاييس الفكر التى لا تتأثر بالعاطفة أو الهوى ، وانما تسعى الى استخلاص الحقيقة وتقرير الواقع

والكتاب يدرس جريراً الرجل وجريراً الشاعر . ففى قسمه الأول يتحدث عن مولده ونشأته وبيئته ، ثم يتتبع سيرة حياته وما ألم بها من أحداث وخطوب، وما عرف عنه من فضائل ورذائل ، معتمداً فى هذا على أصح المصادر من أهم كتب الأدب العربى القديم . وفى قسمه الثانى تناول تحليل شعره وبيان الدوافع التى أوحت بمعانيه ، والأساليب التى ابتكرها للتعبير عن أفكاره وخواطره . وأبان نواحى القوة والنبوغ فى هذا الشعر الرائع من خيال فسيح المدى ، وروح حية متقدة ، وعصبية قوية واضحة . وختم الكتاب بمجموعة انتخبها من فرائد شعر جرير

حول العالم

للاستاذ نزيه مسعد

مطبعة الاخاء . عدد صفحاته ٢٨٦

طاف مؤلف هذا الكتاب بكثير من أقطار العالم ، ووافى بعض الصحف بمشاهداته وملاحظاته فيها ، فنال إعجاب القراء وتقديرهم لما يجمعه فى كتابه من معارف شتى شاملة .

وهو فى هذا الكتاب يتحدث عن رحلته الى أمريكا وايطاليا حيث درس نظمها ومظاهرها ، واتصل بكثير من رجالها البارزين ، فضمنه معلومات شائقة عن أغرب ما فى تلك البلاد ، وأفاض فى الشرح حتى ليثير طلعة الانسان الى مشاهدتها . كما انه وقف طويلا عند كثير من المشاكل السياسية والاجتماعية فى كلتا الدولتين ،

واستعرضها وبسطها بسطا وافيا . وقد زين الكتاب بمجموعة من الصور الجميلة ومن امضاءات المشاهير . فجاء كتابه من أوفى كتب الرحلات وأمتعها

كتابى

للاستاذ احمد عبد الغفور عطار

مطبعة أم القرى . عدد صفحاته ٢٢٥

هذه مجموعة مقالات فى الأدب والاجتماع والسياسة لأديب نابه من أدباء الحجاز ، تقدم نموذجا حسنا لهذه النهضة الفكرية التى قامت حديثا فى الحجاز بفضل جماعة من الشبان المثقفين. فيه فصول عن الأدب الحجازى ، وأخرى عن الأدب العربى والادب الغربى ، ومقالات شتى عن ابن سعود وأتاتورك وغاندى وطاغور . وعدة قطع انشائية أخرى رصينة الاسلوب جميلة المعنى تتمثل فيها عقلية الشباب الحجازى الناهض

شعراء العصور

للاستاذ عبد الصاحب جبلى

مطبعة الراعى . عدد صفحاته ١٢٤

هذه هى الحلقة الثالثة من سلسلة كتب تشتمل على مجموعة مختارة من الشعر العربى القديم . ويتناول هذا الكتاب العصر العباسى فاشتمل على كثير من قصائد كبار شعراء هذا العصر الزاهر ، سواء فى العراق والشام والأندلس . وقد كتب المؤلف عن كل منهم فذلكة تاريخية حسنة تستعرض حياة الشاعر وقيمته الأدبية ، مما ييسر للقارىء الالمام بروائع الأدب العربى القديم

صورة من حياة النبك وجبل القلمون

مطبعة القديس بولس . عدد صفحاته ١٨٠

النبك بلدة صغيرة تقع شمالى دمشق على حافة الصحراء ، وهى عاصمة جبل القلمون . وقد امتازت فى القرن الماضى بكثير من التقاليد والعادات الغريبة التى ورثها الخلف عن أسلافهم القدماء . وهذا الكتاب يرسم صورة طريفة شائقة لحياة هذا الاقليم منذ خمسين سنة ، فيبين عاداتهم فى الملبس والمسكن ، وطقوسهم فى الأعراس والمآتم ، ويتحدث عن حرفهم وحياتهم اليومية . وهو مزين بكثير من الصور ، ومذيل بمجموعة من الأغانى والأهازيج التى كان ينشدها أهل الاقليم

لمعة فى تاريخ الأمة السريانية فى العراق

بقلم مار أغناطيوس افرام الأول

طبع فى مطبعة دير مار مرقس للسريان. صفحاته ٣٢

يتناول هذا الكتاب الصغير ــ الذى وضعه بطريرك أنطاكية وسائر الشرق ــ تاريخ الأمة السريانية ببلاد العراق،فذكر كنائسها ومعابدها ثم مدارسها ومعاهدها ، ثم علماءها وأطباءها ، فى إيجاز ييسر السبيل لمن يريد أن يلم إجمالا بتاريخ هذه الأمة التى ساهمت بشىء ما فى بعض نواحى الحضارة

ثورة العواطف

للامرتين . ترجمة أبو الوفا محمد الدرويش

طبع بمطبعة جريدة الشفق . صفحاته ٢٥٦

« جرازيلا أو ثورة العواطف » قصة هوى عنيف رواها الشاعر الفرنسى الخالد الفونس دى لامارتين . فبين فيها كيف يجمع الحب بين القلوب الطاهرة ، مهما أبعدت بينها فوارق العادات وحواجز التقاليد . وهى من أمتع القصص التى تلذ قراءتها للشاب والفتاة ، ولا سيما وقد نقلها المترجم فى لغة صحيحة سلسة

بين الهلال وقرائه

شعر الانسان

(القاهرة ــ مصر) حسين الكيالى

ترى الشعر يكسو بعض أجزاء جسم الانسان دون غيرها كالرأس والابطين مثلا فما سبب ذلك ؟ وهل للشعر علاقة بتطور الانسان ؟

(الهلال) كان الشعر يكسو جسم الانسان كله فى الأزمنة القديمة لأن الطبيعة حبته بذلك الشعر لتقيه البرد إذ أن الانسان الأول ظهر على الارض فى العصر الجليدى القديم . وبمرور الزمن انقشع العصر الجليدى وأخذت الارض تدفأ فصار الانسان يفقد شعره بالتدريج . ولا يخفى أن الفيل والحيوان المعروف بالكركدن أو وحيد القرن هما من الحيوانات المجردة من الشعر . ولكن منهما أنواعا كانت تسكن فى القطب الشمالى وكانت مكسوة بشعر كالفرو لأن الطبيعة حبتها به لوقايتها من البرد . ويقول علماء النشوء إن المرء سيفقد جميع الشعر الذى على جسمه بمرور الزمن الى أن تبدأ الارض تبرد مرة أخرى فيعود الشعر الى الظهور على جسمه

رقى الانسان

(القاهرة ــ مصر) ومنه

ما هو البرهان القاطع على رقى الانسان وعلى أن النوع البشرى فى العصور الخالية كان أحط منه فى هذا العصر ؟

(الهلال) سؤالكم دليل على ارتيابكم فى مبدأ التطور الذى يسلم به جميع العلماء . ولكن أليس فى الاكتشافات والاختراعات الحديثة دليل على أن الانسان اليوم أرقى منه فى الأزمنة الغابرة ؟ لقد كان ، وهو فى العصر الحجرى ، لا يكاد يحسن التعبير عن أفكاره ، بل لا يستطيع أن يعد أكثر من عشرة (وهو عدد أصابع يديه) ولكنه تمكن بمرور الزمن من توسيع دائرة تصوراته وأفكاره ، وازداد عدد الكلمات التى صار يعبر بها حتى صار معجم كلامه يشتمل اليوم على عشرات الالوف من الكلمات . أفليس فى هذه الحقيقة وحدها دليل على تطور عقل الانسان وتدرجه فى سلم الرقى ؟

أما زعم بعضهم ان الانسان فى الازمنة الخالية كان ذا حضارة راقية ثم اندثرت تلك الحضارة وانطمست ، فمع أنه لم تقم عليه أدلة قاطعة حتى الآن ، فليس دليلا على أن الانسان ظهر على وجه الارض وهو ذو حضارة راقية ، بل لا بد أن يكون قد وصل الى تلك الحضارة عن طريق التطور

جمال الذكر والأنثى

(الاسكندرية ــ مصر) خليل صائغ

أيهما أجمل فى نظركم . الذكر أم الانثى ؟

(الهلال) هذه مسألة يصعب الحكم فيها حكماً يسلم به الجميع ما دامت صفة الجمال اعتباراً نسبياً عند الناس . فما قد تحسبه أنت جميلا قد يحسبه غيرك دميما . ولو اتفق البشر على تعريف الجمال وتحديد شروطه لأمكن الحكم بين الذكر والانثى وتفضيل أحدهما على الآخر . ويذهب بعض أساطين الفن الى أن الطبيعة حبت الرجل بقوة أعظم من قوة المرأة ، ولكنها حبت المرأة جمالا أكثر من جمال الرجل ليكون بينهما توازن . وهو زعم يسلم به الجمهور ولكنه لا يستند الى أساس منطقى

هالة القمر

(طنطا ــ مصر) يوسف توفيق

كثيراً ما نرى حول القمر عند تمامه هالة مضيئة كأنها حلقة محيطة به . فما سبب هذه الحلقة ؟

(الهلال) سببها انعكاس نور القمر على ملايين الذرات السابحة فى الهواء المحيطة بجرم القمر . وأكثر هذه الذرات بلورية وكثير منها جليدية وهى تعكس نور القمر كأنها مراء محيطة بجرم القمر

دماغ الانسان

(طنطا ــ مصر) ومنه

قد قسم علماء البسيكولوجيا الدماغ الى «مراكز» متعددة ، فنها مركز للذاكرة ومركز لتمييز الألوان وآخر لتمييز الروائح الخ . فما هو مركز التفكير ؟

(الهلال) ان جزء الدماغ الذى يقوم بمهمة التفكير هو غشاء الدماغ نفسه ويعرف بالمادة السنجابية . وتختلف ثخانة هذا الغشاء من ربع بوصة الى عشر بوصة ، وهو يغطى سطح الدماغ الأعلى . ويختلف الانسان عن معظم أنواع الحيوان بكون الغشاء السنجابي فيه خارج الدماغ حيث يتسنى له النمو . أما في الحيوانات الدنيا فالغشاء فى باطن الدماغ حيث لا يتسع له مجال النمو

عمر الصخور

(الخرطوم ــ السودان) مشترك

كيف نستطيع أن نستدل على أعمار الصخور وطبقات الأرض بالأحافير الحيوانية ؟

(الهلال) ذلك أننا نعرف ، بفضل علم الجيولوجيا ان حيوانات معينة عاشت فى عصور جيولوجية معينة ولم تعش قبلها ولا بعدها . فاذا وجدنا أحافير تلك الحيوانات فى صخر من الصخور أمكننا تعيين عمر ذلك الصخر جيولوجياً

لغة تشيكوسلوفاكيا

(القدس ــ فلسطين) حنين سلامة

هل للغة التشيكوسلوفاكية حروف خاصة أم هى تكتب بالحروف الروسية ؟

(الهلال) اللغة التشيوسلوفاكية هى خليط من لغة « التشيك » ولغة « السلاف » (بشمال غربى هنغاريا) وقد أصبح لتشيكوسلوفاكيا كيان مستقل منذ الحرب العظمى الماضية . وليس لهذه اللغة حروف خاصة ولذلك تكتب بالحروف اللاتينية

خاتم الخطبة وخاتم الزواج

(القدس ــ فلسطين) ومنه

فى أية اصبع يجب أن يلبس كل من خاتمى الخطبة والزواج ؟

(الهلال) لم يتفق الناس على تعيين الاصبع الخاصة بهذين الخاتمين . فمن الناس من يضع خاتم الخطبة في الاصبع الوسطى من اليد اليسرى ثم ينقله عند الزواج باليد اليمنى . ومن الناس من يخالف هذه القاعدة فيضع خاتم الخطبة في بنصر اليد اليسرى ثم ينقله عند الزواج الى بنصر اليد اليمنى . ومنهم من يسير على خلاف هذه القاعدة

قائل بيت

(بغداد ــ العراق) أحد القراء

من قائل البيت الآتى وما معناه :

لعمرى مع الرمضاء والنار تلتظى
أرق وأحنى منك فى ساعة الكرب

(الهلال) روايتكم للبيت على هذا الوجه خطأ والصحيح قوله :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى
أرق وأحنى منك فى ساعة الكرب

ولا نذكر قائل البيت ولكن فيه مما يعرف عند البديعيين بالتلميح ويكون بألفاظ يسيرة يشار بها الى قصة معلومة أو بيت مشهور أو مثل سائر . والاشارة هنا هى الى البيت المشهور الذى قيل فى جساس بن مرة البكرى وكان قد طعن كليب بن ربيعة التغلبي فألقاه على الأرض . فقال له كليب : يا عمرو ، أغثنى بشربة ماء . فأجهز عليه فقال بعض العرب :

المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

الثوابت

(بغداد ــ العراق) ومنه

لماذا تسمى بعض الاجرام الفلكية ثوابت ؟

(الهلال) هى تسمية خطأ أطلقها الاقدمون على النجوم تمييزاً لها عن الكواكب السيارة . أما الآن وقد ثبت أن النجوم كلها متحركة وأن كلا منها شمس تدور فى الفضاء كشمسنا فيجب أن يعدل عن تلك التسمية

أبعاد النجوم

(بغداد ــ العراق) ومنه

من أول من قاس أبعاد النجوم بالضبط ؟

(الهلال) هو عالم فلكي يدعى ستروف فانه قس بعد النسر الواقع سنة ١٨٣٥ الى سنة ١٨٣٨ فجاءت نتيجة قياسه مطابقة لنتيجة القياسات الحديثة مع ان الفلكيين يستخدمون الآن من الوسائل ما لم يكن معروفاً في عصره

حقيقة الجاذبية

(بغداد ــ العراق) ومنه

هل عرف العلماء حقيقة الجاذبية ؟

(الهلال) لاعرفوا حقيقتها ولا فرضوا لتعليلها فرضا ينطبق على كل أفعالها . أما حركات السيارات والاقمار التي قيل انها تفعل مع الجاذبية في جعل الاجرام تدور في دوائر فالمظنون أن سببها كون كل جرم منها انفصل عن الجرم الذي يدور حوله بقوة دافعة يقال لها قوة التباعد عن المركز فصارت تحت تأثير قوتين هما القوة الدافعة والقوة الجاذبة

حفظ الفواكه

(دمشق ــ الشام) مصطفى الجزائري

ما هي أفضل طريقة لحفظ الفواكه الطازجة من الفساد ولا سيما الفواكه التي يراد ارسالها الى الخارج ؟

(الهلال) أفضل طريقة هي أن تلف لفاً محكماً بورق رقيق معالج بمادة البود . فان هذه المادة تمنع ــ أو على الاقل تعوق ــ ظهور البكتيريا والفطريات في تلك الفاكهة من دون أن تؤثر في طعمها . وقد جرب كبار تجار الفواكه في أميركا وأستراليا هذه الطريقة فأسفرت عن نجاح كبير

الموسيقى والحشرات

(دمشق ــ الشام) ومنه

قرأنا في مجلة «آنسرز» الانجليزية أن أحد العلماء اليابانيين قد اكتشف ان أحسن طريقة لقتل الطفيليات التي تؤذي دودة الحرير هي ادارة اسطوانات الموسيقى المرونة (بالجاز) على الجراموفون ، وأن فلاحاً في بروسيا الشرقية طهر حقله من الجرذان والفيران بعزف موسيقى الجاز المذكورة على آلة الاكورديون . فما قولكم في ذلك ؟

(الهلال) قرأنا ما قرأتموه في مجلة «آنسرز» المذكورة ونظنه من الاخبار التي لا يعول عليها . ويستحسن أن تجربوا هذه الطريقة لتتحقق لكم صحة القول أو كذبه ؟

تخاطب الحشرات

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) ومنه

هل تتخاطب الهوام أو الحشرات ؟ وبأية وسيلة تتخاطب ؟

(الهلال) الارجح أنها تتخاطب . أما وسيلة تخاطبها فغير معروفة . وقد تكون كما يزعم البعض بطريقة شبيهة بأمواج الكهربائية اللاسلكية

أمريكا والحرب المقبلة

(ناشفيل ــ الولايات المتحدة) عابر سبيل

هل تعتقدون أن الولايات المتحدة ستدخل الحرب القادمة كما دخلت الحرب العظمى الماضية ؟

(الهلال) سؤالكم هذا غريب ولا نظن أن رئيس الولايات المتحدة نفسه يستطيع أن يجيبكم عنه . فانتم تفرضون وقوع حرب عامة وتعتبرون وقوعها قضية مسلمة ، فعلى فرض صحة ما تذهبون اليه فكيف يسعنا أن نتنبأ بأن الولايات المتحدة سوف تدخل أو لن تدخل تلك الحرب ؟ وفي الحقيقة أن أمريكا لن تشتبك في المستقبل في أية حرب أوربية الا اذا أصيبت مصالحها بضرر

الجيش الاميركي

(ناشفيل ــ الولايات المتحدة) ومنه

ما عدد جنود الجيش الذي تستطيع الولايات المتحدة أن تقذف به الى ميادين القتال لو اضطرت أن تخوض الحرب المقبلة ؟

(الهلال) الفرق عظيم جداً بين الجيش الذي تستطيع الولايات المتحدة أنزاله الى ميادين القتال ، والجيش الذي سوف تنزله حقيقة لو اضطرت الى الحرب . ففي وسعها انزال عشرة ملايين جندي ، ولكن لا ينتظر منها أن تنزل اكثر من نصف هذا العدد ، وذلك لاعتبارات فنية واقتصادية وصناعية وخلافها مما لا يتسع هذا المجال للكلام عليه

هل الحرب واقعة

(حلب — الشام) أحد القراء

هل تظنون أن الحرب واقعة حتما بين دول أوربا ؟

(الهلال) أما كون الحرب واقعة حتما بين دول أوربا فما لا يختلف فيه اثنان . وانما الخلاف هو على الزمن الذى ستقع فيه الحرب . والعوامل التى تقضى بوقوعها كثيرة متنوعة وفى مقدمتها رغبة المانيا فى الانتقام من أعدائها السابقين وفى استعادة مستعمراتها ، وطمع ايطاليا فى انشاء امبراطورية تسود بها العالم وتحل محل الامبراطورية البريطانية الحاضرة . ونفور الشعوب الحرة من الديكتاتورية من جهة ومن فوضى البولشفية أو الاشتراكية المتطرفة . وعوامل أخرى لا يتسع لها هذا المجال

كتمان العمر

(نيويورك — الولايات المتحدة) ر . ح .

ما هو سبب كتمان معظم النساء أعمارهن الحقيقية ؟

(الهلال) ولماذا تقولون معظم النساء ولا تقولون جميع النساء وجميع الرجال ؟ فكم من مسن يأبى الا أن يتصابى ويصبغ شعر رأسه وشاربيه ويحاول خداع الناس . واذا كان للمرأة التى تقدمت فى السن قليلا ولم تتزوج بعض العذر فى محاولة كتمان عمرها فما عذر من بلغ من العمر أرذله اذا هو صبغ شعره وزجج حاجبيه وحاول تمويه مرآه ؟ انها يا سيدى علة متأصلة فى كل من لم يبلغ الثمانين — رجلا كان أو امرأة — فتى بلغ الثمانين فالارجح أنه يسرع فى زيادة عمره الى أكثر من حقيقته ليدهش الناس بجودة بنيته واكتمال صحته مع بلوغه تلك السن . فالمرء كاذب قبل الثمانين ، واكذب منه بعد الثمانين

مخترع الستيتسكوب

(طنطا — مصر) احمد الشافعى

من مخترع الستيتسكوب أو آلة السمع التى يستعملها الأطباء ؟

(الهلال) مخترعها فرنسى يدعى رينيه لايين . وكان ذلك حوالى سنة ١٨١٩ الا أن طبيا أميركيا يدعى جورج فيليب كامان — من أهالى مدينة نيويورك — أدخل على هذا الاختراع تحسينات كثيرة حتى وصل الى شكله الحاضر

لون الأزهار

(البصرة — العراق) احمد نورى آل باش أعيان

قلتم فى الجزء الرابع من مجلة الهلال — فبراير سنة ١٩٣٧ — فى جوابكم عن السؤال الخامس بلون الازهار أنكم لم تروا قط زهرة خضراء ، وأن حكمة الطبيعة قد قضت بجعل لون الزهرة يختلف عن لون أوراق النبات . ولكن الزهر الأخضر موجود منه فى مدينتى بغداد والبصرة نوعان يسمى الأول «الأشرفى» أو «الروز» ولا يختلف شكلا عن الزهرة ذات اللون الأبيض أو الأحمر أو الأصفر أو غيره . أما النوع الثانى فلا تختلف شجرته عن باقى أشجار الأزهار المذكورة الا أن زهرته صغيرة الحجم ولها وريقات صغيرة مستطيلة خضراء لا يختلف لونها عن لون أوراق شجرتها غير أنها ليست ذات رائحة . فما قولكم فى ذلك ؟

(الهلال) نشكركم على هذه البيانات النفيسة ونكرر القول بأننا لم نر قط زهرة خضراء ، ولا شك فى أن نوعى الأزهار اللذين أشرتم اليهما هما من خوارق الطبيعة

قاطرة ديزل

(نجع حمادى — مصر) دافيد زكور

قلتم فى جزء شهر مارس الماضى من الهلال فى الكلام على قاطرة ديزل أنها قاطرة تقوم على مبدأ الاحتراق الداخلى الخ . أفما كان الاحرى أن تقولوا أنها قاطرة تسير بمحرك ديزل وأن محرك ديزل يقوم على مبدأ الاحتراق الداخلى الخ ؟

(الهلال) إن قولنا قاطرة ديزل تقوم على مبدأ الاحتراق الداخلى انما يعنى القاطرة التى تسير بمحرك ديزل والكلام هنا من قبيل حذف المضاف كقولنا خرجت المدينة لاستقبال فلان أى خرج أهل المدينة لأن المدينة نفسها لا تخرج . ونشكركم على هذا التنبية

الملك في الإسلام

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدى

« ... الملك فى الاسلام مظهر للناحية الدنيوية منه . وهو بهذا الاعتبار يقوم على الاصول نفسها التى تقوم عليها ناحيته الروحية . لهذا جاء راسخا فى قواعده سامقا فى بنائه ... »

الاسلام ميثاق إلهى أخذه الله على الناس لاقامة أمرى الدين والدنيا معاً

فهو من الناحية الأولى يقوم على أصول مثالية ، ومبادىء كلية ، أساسها العلم المنزه عن الخيالات والأوهام ، وعمادها العقل المجرد عن الاهواء والظنون ، بحيث يتألف من مجموعها دستور راسخ الوطائد ، بين المعالم ، يكفل للذى يسير على موجبه أرفع ما تتوق اليه الفطر السليمة من سمو روحانى ، وطهر قلبى ، ونزوع متواصل للكمال المعنوى

وهو من الناحية الثانية يدعو لابلاغ الحياة الدنيا إلى أكمل ما تصل اليه من المدنية الفاضلة ، لانه لا يرى فارقا بين توفية مطالب الروح ومطالب الجسد ، ما داما متلازمين ، وما دام كل عامل يتحيف أحدهما يتأثر به الآخر على قدره : « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، بل خيركم من أخذ من هذه وهذه »

فلذلك ترى فى تاريخ المسلمين أنهم بعدد ما شيدوا من مساجد ، وكتبوا من مصاحف ، وجمعوا من سنن ، أقاموا من معامل ، ودونوا من علوم ، والتقطوا من فنون وصنائع

و بقدر ما سروا فى سرائر النفس ، وسخروا قواها للوصول الى لباب الحق ، واستخرجوا من أعمق ثناياها ما احتجب من نور الروح ، سروا فى سرائر الكون وسخروا قواه لترقية الحياة الانسانية ، واستخرجوا من أخفى احناء الأرض ما أجنت من مواد أولية ، وكنوز عنصرية

وكما ان للدين فى الاسلام قيماً وهى النبوة ، فكذلك للدنيا فيه مظهراً وهو الملك . فاما النبوة فمادتها الوحى الموافق لاحكام للعقل ، المناسب لأحوال الخلق ، الملائم لسنن الوجود ،

المطابق لاعلام الحق . وأما الملك فهو موضوع بحثنا اليوم ولذلك نخصه ببسطة من الشرح

الملك على وجه عام

عرف الناس الملك مذ عرفوا الاجتماع ، بل هو مظهر ذلك الاجتماع ونتيجته الطبيعية ، ومتى وجد كانت الحاجة ماسة لمن يمثله فى شخصه ، فوجد الملك تحت أسماء مختلفة . وقد انقاد الناس لهذا النظام الطبيعى انقيادهم لما لابد منه من مقومات الاجتماع . ولكن الانسان ليس بالكائن الذى يخضع ولا يفكر لماذا يخضع ، او يجرى على سنة ولا يحاول تسخيرها لارادته . وقد حاول فى جميع عهوده تسخير نواميس الطبيعة لمصلحته ، ونجح فى ذلك الى حد بعيد ، فأى نظام بعد ذلك يقف فى وجهه ، أو يحد من مطامعه ؟

بدأت مسألة الملك ككل مسائل الانسان فى عهده الاقدم فوق متناول البحث، وانه حق الهى لبعض الأفذاذ يتفضل الله به على من يصطفيه منهم ، ولكنها لم تلبث أن تحولت الى بوتقة محاولاته العقلية، فأوسعها تحليلا وتقطيراً على ضوء مصلحته الاجتماعية ، وحاجته الحكومية. فكان هذا أول عهد لها بالدخول فى عداد الشؤون الانسانية ، مع احتفاظها بمكانتها الطبيعية ، وظلت فى هذا المستوى الى عهد النهضة الدستورية للامة الانجليزية فى القرن الحادى عشر

سبقت هذه الامة جميع الأمم الأوروبية الى محاولة تقييد سلطان الملك بدستور مقرر ، فهب أشرافها فى سنة ١٠٦٦ فى عهد الملك وليم الاول ، يحملونه على التوقيع على عقد يخول الناس شيئاً من الحرية ، ويضع للسلطان الملكى حدوداً لا يتعداها . وما زالت هذه الامة النجيبة توالى فتوحها فى هذه الناحية حتى بلغت الغاية منها فى القرن السابع عشر ، على حين أن سائر الممالك الاوربية بقيت على عهدها الاول خاضعة لنير ملكية مطلقة . ولكن علماء وفلاسفة من الفرنسيين فى القرن الثامن عشر كانوا قد نهلوا من معين الفلسفة الانجليزية ، وافتتنوا بأساليبها الحكومية ، فبثوا فى كتاباتهم روح الديموقراطية ، والتقاليد الدستورية ، فهبت الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ مؤذنة بعهد جديد للملكية

تنحصر الاسس التى يقوم عليها العقد الدستورى فيما يلى :

١ ــ السلطان كله للأمة تمنح منه ماتشاء لمن تشاء ليزاوله باسمها فى حدود لا يمكن تجاوزها

٢ ــ تقسيم الاداة الحكومية الى ثلاث سلطات مختلفة : السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية

٣ـ السلطة التنفيذية تتألف من وزارة وعلى رأسها الملك ، على شريطة أن يكون الوزراء مسؤولين أمام نواب الامة

٤ـ السلطة التشريعية ، وقوامها مجموع نواب الامة يؤلفون مجلساً واحداً أو مجلسين لامداد الحكومة بالنظم والقوانين ، ومراقبة سيرتها فى تطبيقها مراقبة دقيقة

٥ـ السلطة القضائية وظيفتها الحكم فى المنازعات التى تتولد بين الناس ، وتوزيع العدالة بينهم بالسوية

هذا أقصى ما وصل اليه العقل البشرى من أساليب الحكم ، وقامت عليه الامم الراقية فبلغت شأواً بعيداً من المدنية

الملك فى الاسلام

قلنا ان الملك فى الاسلام مظهر للناحية الدنيوية منه ، ولهذه الناحية فيه حظ كبير من العناية تمثلها هذه الوصاة الالهية : « ولا تنس نصيبك من الدنيا »

والذى تقرر اليوم وأصبح من البدهيات العلمية ، أن الاسلام جاء بصدد كل ما يتصل بالناحية الروحية بالنهايات التى ليس وراءها مرمى ، فهل بلغ هذا الشأو فيما يتعلق بالناحية الدنيوية أيضاً ؟

المعروف من تاريخ الاسلام أن النبى صلى الله عليه وسلم انتقل الى الرفيق الاعلى ولم يسم من يخلفه ، ولم يعين شكل الحكومة التى تؤلف بعده ، مكتفياً بما قرره الكتاب من الأصول العامة لاقامة الحكم ، وصيانة الأمن ، وتوزيع العدل ، فماذا كان بعد وفاته طباقاً لتلك الاصول ، ووفاقاً لهاتيك التعاليم ؟

هل جاءت حكومة المسلمين الاولين موافقة للمبادىء الديمقراطية ؟

هل نص فيها على ان السلطان كله للامة ، وعلى ان القائم بالأمر يجب ان يتقيد بدستور ، وعلى ان تكون الحكومة مسئولة أمام نواب الشعب ، وعلى ان يكون لها مجلس نيابى أو مجلسان ، حتى يمكن ان يقال ان الاسلام جاء من هذه الناحية أيضاً بما انتهى اليه التطور العلمى من شكل الحكومة ومعنى الحكم ؟

أما من ناحية المبادىء الدستورية ، والأصول الديموقراطية ، فنعم . وأما من ناحية شكل الأداة الحكومية ، فلا . وعذر المسلمين الأولين فى هذا واضح ، والمعول فى الحكومة على

المبادىء والأصول التى تقوم عليها ، لا على شكلها وطراز تركيبها

فأما عن وجود الاصل الأساسى للديموقراطية فى الاسلام ، وهو ان السلطان كله للامة ، فيتضح عملياً مما فعله المسلمون عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الاجتماع فى أحد نواديهم، والتشاور فى اقامة من يخلفه فى الحكم ، ودعوة الناس لمبايعته ، عملا بقوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم »

ولما حضرت الوفاة الخليفة الأول جمع الناس وحسن لهم ان ينتخبوا عمر بن الخطاب ، فبايعوه ، ولو شاءوا لبايعوا غيره

ولما يئس الناس من حياة عمر طلبوا رأيه فيمن يصح ان يخلفه ، فعين لهم ستة رجال ودعاهم ان ينتخبوا واحدا منهم ، فانتخبوا عثمان

فلما قتل عثمان أقبل الناس على علي بن أبى طالب فدعوه لتولى الخلافة فقبل بعد تردد

معنى هذا كله ان المسلمين الأولين فهموا من روح الاسلام ان السلطان للامة ، فجروا على هذا الاصل من غير ان يصادفوا اعتراضاً

وأما عن الاصل الثانى وهو ان القائم بالامر يجب ان يتقيد بدستور مقرر ، فهو من أوليات الاسلام ، ودستوره القرآن والسنة الصحيحة . قال أبو بكر فى أول خطبة خطبها عقب توليه الخلافة : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فان عصيتهما فلا طاعة لى عليكم » وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »

وأما عن مسؤولية الحكومة أمام الامة فهو من أصول الحكم فى الاسلام ، وقد أعلنها الخليفتان الاولان على المنبر ، فقال أبو بكر : « أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان صدفت فقومونى »

وقال عمر بن الخطاب : « أيها الناس من رأى منكم فىّ اعوجاجاً فليقومه »

أما عن وجود مجلس أو مجلسين نيابيين لمراقبة أعمال الحكومة ووضع النظم الصالحة لها ، فهذه أداة أدت اليها الحاجة فى العهد الحديث ، فلم يدرك عهدها المسلمون الاولون ، ولو أدركوه لاتخذوها ، لأن الروح التى تقتضيها موجودة فى الاسلام على أكمل وجه ، وقد أدت فى أول الأمر الى أبسط أشكالها . فكانوا إذا حدث ما يستوجب أخذ الآراء نادى مناديهم الصلاة جامعة ، فيجتمع الناس من كل الطبقات ، ويرقى القائم بالأمر المنبر ويبسط لهم ما هو بصدده مستنزلا آراءهم فيه . وما كان يحظر على أحد من الناس التصريح برأيه ، ولو كان امرأة ،و قد

حدث ان عمر أراد ان يجعل لمهور النساء حداً ، وطلب الى الناس رأيهم فى ذلك ، فقامت امرأة ونقضت ما ذهب اليه مستدلة بآية من الكتاب ، فاعترف بخطئه وعدل عن رأيه . فلم يمنعها الكلام ولم يلمها عليه أحد ، لان النبى صلى الله عليه وسلم أمر ألا يمنع النساء من شهود أمور المسلمين العامة

فالمسلمون يرحبون باقامة مجلس واحد أو مجلسين لمراقبة الحكومة ووضع النظم الضرورية لها ، ولا يعارضون فى مثول نسائهم فيه أو فيهما ، اذا روعيت الشروط التى قررها الاسلام لحفظ كرامتهن النسوية

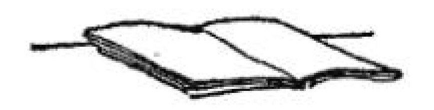
بناء على هذا كله يمكن القول بأن الاسلام سبق نظم العالم كافة الى ايجاد أصول الحكم الدستورى على الوجه الأكمل ، وهذه مفخرة تضاف الى سائر مفاخره

ولقد بلغ الملك الاسلامى برعاية هذه الأصول الى أوج من العظمة لم تصل اليه الى اليوم أمة فى العالم ، وقد ضربت الامثال بمراعاتها الحقوق الطبيعية ، وعدم اعتدادها أمام العدالة بالفوارق الجنسية واللغوية والدينية ، ووصلت حماية العلوم والفنون والصنائع فيها الى حد لم تبلغه تحت أية شريعة تقدمتها فى الأرض

فالملك فى الاسلام مظهر للناحية الدنيوية منه ، وهو بهذا الاعتبار يقوم على الأصول نفسها التى تقوم عليها ناحيته الروحية ؛ لهذا جاء راسخاً فى قواعده ، سامقا فى بنائه ، متناهياً فى شأوه ، يصار اليه ولا يصار الى غيره

فاذا آل اليوم ملك مصر الى حضرة صاحب الجلالة الفاروق فقد آل الى خير من يمثل أصوله العالية ، ومبادئه القويمة ، فقد تربى فى حجر الدستور ، ودرج من عرين الملك ، وورث أكرم شيم أسلافه العظام ، فلتهنأ مصر بعهده الكريم ، وليهنأ جلالته بشعب شغف به حباً ، وبنى له فى صميم قلبه صرحا

محمد فريد وجدى



« . . وليس أصلح لهذا القطر الواحد المتناسق المماثل المتضامن المتكافل من عرش واحد يضمه الى حظيرة واحدة وتستقر دعائمه على ولاء القلوب كما تستقر على الايمان الشامل بفضل هذا النظام على كل نظام . . »

النظام الملكي في مصر

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

من أرجح الاقوال التاريخية ان مصر هي أول أمة نشأ فيها النظام الملكي أو نشأت فيها الأسر المالكة ، بحيث يصح ان يقال إن هذا النظام اختراع مصرى لم يعرف فى أمة أخرى قبل ان يعرف فى الأمة المصرية

وسبب ذلك انه ما من قطر من الاقطار إلا كانت حكومته متيسرة لعدة أمراء أو عدة شيوخ يحكمونه على نظام حكم القبيلة ويستطيعون تدبير مصالحه المتفرقة وهم متفرقون لا تجمع بينهم وحدة العمل ولا وحدة الدولة . الا مصر ، فانها لاعتمادها على النيل وحاجتها الى توحيد مواعيد الرى وتوحيد مواسم الزراعة كان الحكم المتفرق فيها وبالا وخيما لا يطاق الصبر عليه الى زمن طويل، وكانت الحاجة فيها ماسة أشد المساس الى رجل واحد يسوس ماء النيل فى مواسم الفيض والنضوب ، ومتى وجد الرجل الذى يسوس ماء النيل فهو بطبيعة الحال فى مقام الملك الذى يسوس الحكومة ويصون الأمن ويوزع العدل والخير والماء بقسطاس يرضاه جميع المحكومين ، أو يرضاه الفريق الغالب بين أولئك المحكومين

قال السير جرافتون اليوت سميث وهو من الثقات فى تاريخ مصر القديم :

« . . ظاهر ان أصل الفكرة الملكية انما جاء من ضرورة ملموسة تقضى بتنظيم العمل فى المجتمع كله حين ينمو عدد السكان نموا يدعو الى ضبط تصريف الماء اللازم للرى والزراعة . فأصبح المهندس الأكبر ملكا وأصبحت له على توالى الزمن شهرة القداسة الالهية ، فلا ينظرون اليه كأنه منظم الماء الذى يجلب الخصب الى الارض ويغدق الخير والقوت على كل انسان وحسب ، بل ينتهى به الامر ان يحسبوه هو جالب الحياة وواهب النفوس »

ويؤيد هذا القول ان المأثرة الكبرى التى عزيت الى الملك « مينا » أول من جمع

الوجهين البحرى والقبلى الى عرش واحد كانت من مآثر الهندسة وتنظيم الرى بين شمال القطر وجنوبه ، فقد حول مجرى النيل وأقام السد الذى بقيت آثاره الى العصر الحديث فى ناحية قشيش ، وحمى به أرض الجيزة وما جاورها من غوائل الفيضان . وقد زعموا انه أشرف على الغرق يوما فحمله تمساح من شاطىء الى شاطىء في بحيرة « موريس » فدعاه ذلك الى بناء مدينة باسم التمساح واباحة البحيرة كلها للتماسيح

على هذا النحو نشأ الملك المقدس فى مصر الأولى ، وظلت العقيدة فى قدرته على تصريف الماء راسخة نامية طوال أيام الفراعنة فى جميع الأسر القديمة . فكتب كاتب من أبناء الأسرة العشرين يقول على لسان الملك الغابر : « أنا هو الذى خلق الماء وأرسل الفيضان ، و بأمرى يجرى ماء النيل . . وأنا الذى أبعث العيد فى كل عام وأصوغ النهر كما أشاء »

وكانوا يمثلون الملك تارة فى صورة الآلهة ، وتارة فى صورة الرضيع الذى يتناول اكسير الحياة من ثدى ربة الأمومة كما يشاهد في هيكل سيتى الأول ، وعلقوا به كل ثقة فى الحاضر وكل رجاء فى المستقبل ، فما من حالة يشكونها الا اتجهت آمالهم الى ملك فى الغيب يصلحها ويخلفها بما هو خير منها ، وقد ظهرت نبوءات « ايبور » عن الملك الصالح المنتظر قبل ان تظهر عند العبريين بألف وخمسمائة سنة ، كما لاحظ برستيد فى تعقيبه على هذه النبوءات من كتابه « فجر الضمير »

***

ولا يخفى ان كلمة « المسيح » كانت ترادف عند الاسرائيليين كلمة الملك أو كلمة الممسوح بالزيت المقدس ، لأن المسح بالزيت كان رسما من مراسم التتويج فى العصور الاولى . وقد جاء فى رسائل تل العمارنة التى يرجع تاريخها الى الف وأربعمائة سنة قبل الميلاد ، ان صاحب جزيرة قبرس أهدى الى فرعون مصر « قنينة من الزيت الطيب ليدهن بها رأسه وقد جلس على عرش بلاده »

فالملك المسيح المرجو لاصلاح الأرض ورفع المظالم وكبح الشرور ، قد كان إذن معروفا فى مصر قبل ان يعرف بين الاسرائيليين بعشرات الاجيال

ومصر إذن لم تنشىء للعالم « نظاما حكوميا » وحسب ، بل هى قد وضعت أساسا للعقائد الروحية التى تشمل الآن مئات الملايين فى المشرق والمغرب ، ويدين بها أرقى الشعوب فى حضارة العصر الحديث

ولقد توالت العصور بعد أيام الفراعنة ومصر لا تعرف نظاما للحكم غير نظام الملك أو نظام النائبين عن الملوك ، وربما شاعت فيها الفوضى زمناً واشتعلت فيها الثورات زمناً آخر وتقلبت فيها الاحوال بين العسر والرخاء والنهضة والركود ، وهى لا تطلب الامان والسلم ولا تشرئب إلى المجد والعظمة الا فى ظل عرش ثابت وملك وطيد

فلم تحدث فيها حالة من الحالات ألجأتها الى اختراع حكومة غير الحكومة الملكية كما حدث في بلاد اليونان أو فى بلاد الرومان ، وهى لم تحاول ذلك وتعجز عنه بعد المحاولة . ولكنها اطمأنت الى العروش لانها تشعر بالبداهة الاجتماعية انها أصلح النظم لحكمها وسياستها ، وانها اذا صلحت فهى أصلح من غيرها وأعم بركة ونفعاً ، واذا فسدت فهي أقل فساداً من غيرها وأقل ضرراً وفتنة . وان لكل وطن قواما يملى عليه أسلوب الحكومة الذى يوافقه ويلائمه دون الاساليب عامة . ولا شك ان أسلوبا من أساليب الحكم لن يوافق المصريين كما يوافقهم الملك الموروث المدعوم بمحبة الشعب واختياره

***

تلك هى الحال فى العصر الحديث كما كانت فى العصور الوسطى وكما كانت فى العصور الأولى . ولا تزال مصر كما كانت من قبل حريّة بالمحافظة على نظامها الذى اخترعته للعالم وتكفلت بصيانته والوفاء له منذ كان فى الدنيا ملوك وكانت فيها دول وحكومات

فاذا استعرضنا جميع الأسباب التى حفزت الامم الأخرى الى تبديل النظام الملكى فى عصرنا هذا لم نجد سبباً واحداً منها مشهوداً أو مكنونا فى خفايا الحياة المصرية

فقد ثار الفرنسيون على النظام الملكى لانه كان قائما عندهم على الفروسية القديمة ، ثم اضمحلت هذه الفروسية ولم يستطع العرش ان يعقد الوفاق بينه و بين مصالح العناصر الطارئة بعد ان حسم العلاقة التى كانت موصولة بينه و بين الفرسان والنبلاء

وقد ثار الالمان على النظام الملكى لانه قادهم الى الخراب فى حرب طاحنة ، ثم لم يستطع ان يجمع حوله الفلول المهزومة التى زادها النضال الاجتماعى والتطور الاقتصادى خلافا على خلاف الفشل والهزيمة

وقد ثار الروسيون على النظام الملكى لأنه فشل كذلك فى الحرب الكبرى ، وربط نفسه إلى طبقة واحدة من طبقات الأمة يقوم معها ويسقط معها فعصفت به حرب الطبقات

حين هبت بريح الفوضى والدمار على تلك الأرجاء التى نخرتها الفتنة وشاع فيها القنوط وحب التبديل . وقد ثار الترك على النظام الملكى لأنهم أمة تحتاج إلى القتال لحفظ بقائها ودفع المغيرين عليها ، وكان الجالسون على عرشها فى ابان الأزمات المحدقة بها ، مثلا فى الجبن والخور وحب التسليم والاذعان،فبات التوفيق بين الأمة الراغبة فى الحياة والأسرة الراغبة فى الموت ضربا من المستحيل . وقد ثار غير هؤلاء على نظام الملك لأسباب تشبه هذه الأسباب ولكنها لا تحتوى سبباً واحداً يشبه ما نحن فيه من أمور العيش وأمور التفكير وأمور السياسة

فالديار المصرية قطر واحد فى استواء أرضها ، وقطر واحد فى عنصر سكانها ، وقطر واحد فى لغة اهلها ، وقطر واحد فى المصالح المشتركة بين أقاليمها ، وليس أصلح لهذا القطر الواحد المتناسق المتماثل ، المتضامن المتكافل ، من عرش واحد يضمه الى حظيرة واحدة وتستقر دعائمه على ولاء القلوب كما تستقرعلى الايمان الشامل بفضل هذا النظام على كل نظام و رجحان المصلحة فيه على كل مصلحة تبتغيها الأمم الأخرى من غيره

لقد قام ملك مصر على ماء النيل ، وماء النيل أصلب من صخور الجبال ومعاقل الحصون، لأنه مدد الحياة الذى لا ينقطع ومعين الخير الذى لا ينضب ، وشريان القلب الذى تتحد به الاوصال وتتألف به الاجزاء . وكثيراً ما استقرت العروش على دعائم الاطواد فمالت وزالت ، وهذا العرش — أو هذا النظام — الذى استقر على الأساس الجاري أبداً ، الثابت أبداً ، مكين ركين ، راسخ باذخ ، لا يميل ولا يزول

ومن محاسن التوفيق أن يقترن موسم الملك وموسم الفيضان فى عهد الملك الفاروق . فحين يرحب المصريون بالعرش الجديد الخالد يرحبون كذلك بالنيل الجديد الخالد ، ويرجون أن يهتف الهاتفون : « ليحى ملك مصر » فاذا بهم يقولون أيضاً : « ليحى ملك النيل »

كان المصريون فى عهد رمسيس الثانى يقولون : « ان مصر هى ابنة رع الوحيدة . اما ابنه فهو الجالس على عرشها »

ولا يؤمن المصريون الحاضرون برع ولا بسلالة الآلهة ، ولكنهم يقولون : « ان لهم أماً واحدة هي مصر وأباً واحداً هوالفاروق » ، ويالها من أبوة جميلة فى مقتبل الشباب ، خليقة أن يسرى شبابها الى الابناء فاذا بمصر كلها فى عصر جديد وعمر قشيب

عباس محمود العقاد

ملوك الأسلام والأدب العربي

بقلم الاستاذ احمد أمين

ظاهرة واضحة ـ من ظواهر الأدب العربي ـ أنه أكثر ما نما كان في ظل الملوك والأمراء ، وكان هذا شأنه من أول عهد النابغة الذبياني في الجاهلية الى شوقي بك في عصرنا

لقد كان العرب في أول عهدهم يعيشون عيشة قبائل ، وكان للقبيلة شيخها وكان المعنى القبلي متغلباً عليهم ، وكان الفرد يعيش لقبيلته ويموت لقبيلته ، أما شعوره بشخصيته فضعيف فاتر . من أجل هذا كان شعر الشاعر انما هو في الاشادة بقبيلته والتشهير باعدائها . فلما ظهر للعرب ملوك رأينا الشعر بدأ يتحول نحوهم ، فقصد النابغة الذبياني النعمان بن المنذر ومدحه وقبل الصلة منه ، واستطعم الترف والنعيم ، فكان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة مما كان يناله من الملوك

وفاقه الأعشى في ذلك فكان رحالة الى الملوك يمدحهم وينال عطاءهم ، فقصد المناذرة على تخوم العراق والغساسنة على تخوم الشام ، بل وقصد ملوك العجم يمدحهم فيجزلون عطاءه ويملؤون يده

فلما جاء ملوك بني أمية عرفوا قيمة الشعر وأثره في الدعوة لهم ومكافحة خصومهم ، فقربوا الشعراء وأجزلوا لهم العطاء ، فكان من شعرائهم الأخطل وجرير والفرزدق وغيرهم من مشهوري الشعراء . وكان كل من طمع في الملك من مناوئيهم يتخذ الشعراء أداة له في الخصومة والنزال ، فللخوارج شعراؤهم ، وللشيعة شعراؤهم ، ولعبد الله بن الزبير شعراؤه

ولا يستثنى من مشاهير شعراء بني أمية إلا عدد قليل لم يتصل بملك ولم يقبل عطاء مثل عمر بن أبي ربيعة . فقد كان يغني لنفسه وللنساء ، واكتفى بجاهه وغناه ، وأنف من المدح والهجاء . ولكن هذا وأمثاله قليلون اذا قيسوا بمن نبغوا في ظل الملوك والأمراء

فلما جاءت الدولة العباسية أكثر الملوك من عطاياهم فقصدهم الشعراء من كل فج . فكانت بغداد موطن الخلفاء ، وموطن الشعراء معا ، ومن نبغ في مصر أو الشام أو الحجاز لم ينفق شعره ولم يشتهر أمره إلا اذا قصد الملوك والامراء ببغداد ، فاذا عددت نوابغ الشعراء في ذلك العصر أمثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي نواس وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن الجهم ، رأيتهم نبغوا في ظل القصور ، ورأيت تاريخهم وتاريخ شعرهم جزءاً من تاريخ الخلفاء والأمراء ، هؤلاء يقصدون الخلفاء ، وهؤلاء يقصدون البرامكة ، وهؤلاء يقصدون الأمير أبا دلف الى غير ذلك

وقل أن ترى فى هذا العصر شاعراً لاصلة له بملك أو أمير ، حتى العباس بن الأحنف ، فانه أنف عن المدح ، وقصر شعره على الغزل ، ومع هذا أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن تغزله ولطف مقصده فى التشبيب بالنساء

ومن هؤلاء الشعراء من كان يقنع بمدح أى أمير وأى غنى ، ومنهم من كان يأنف أن يمدح إلا الملوك ، فسلم الخاسر يعير مروان بن أبى حفصة بتكففه من هذا ومن ذاك ويفخر هو بأنه لايمدح إلا الملوك فيقول :

من مبلغ مروان عنى رسالة ... مغلغلة لا تنثنى عن لقائكا
حبانى أمير المؤمنين بنفحة ... ثمانين الفا طأطأت من حبائكا
ثمانين الفا نلت من صلب ماله ... ولم تك قسما من أولى وأولائكا

ويفتخر بشار بن برد فيقول :

وأنى لنهاض اليدين الى العلا ... قروع لأبواب الهمام المتوج

الى كثير من أمثال ذلك

وفى بلاط سيف الدولة بن حمدان فى حلب اجتمع عشرات الشعراء ، وعلى رأسهم المتنبى وأبو فراس يشيدون بفضله ويسجلون وقائعه وهو يغدق عليهم من ماله حتى قال فيه أبو الطيب :

« وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا »

ولما ضعفت الخلافة ببغداد وعلا شأن مصر تحول غرض الشعراء من بغداد الى مصر ، فكانت مصر مقصد المغاربة والشاميين والعراقيين ، وكان من شعراء صلاح الدين الأيوبى القاضى الفاضل البيسانى والعماد الاصفهانى وابن سناء الملك ، وكان من شعراء الملك الصالح الأيوبى ابن مطروح والبهاء زهير

فلما جاءت دولة المماليك ارتفع شأن مصر بقدر ما ضعف شأن بغداد ، فأصبحت مركز الثقافة للعالم الاسلامى ، ومجمع العلماء والأدباء والشعراء . ولكن لم يكن حظ الشعراء فى عصر المماليك كحظ العلماء ، لأن ملوك المماليك لم يكونوا يحسنون فهم العربية ولم يكونوا يتذوقون الشعر فضعف من أجل ذلك الشعر وخمل الشعراء ، وعلى العكس من ذلك قوى العلم وعظم شأن رجال الدين

حتى جاءت نهضة مصر الحديثة فأخذ الشعر يستعيد رونقه وكان أكثر النابغين من الشعراء فى ظل الملوك والأمراء أيضا ، فالسيد على ابو النصر كان فى رعاية البيت العلوى من عهد محمد على باشا الى عهد توفيق باشا ، والشيخ على الليثى كان شاعر الخديو اسماعيل والخديو توفيق ونديمهما ، وولد شوقى – كما يقول هو – بباب اسماعيل ، وأزهر شعره فى ظل الخديو عباس الثانى

***

وعلى الجملة فلو أحصينا شعراء العرب وعددنا النابغين منهم وقرأنا تاريخ حياتهم لوجدنا الجمهرة العظمى منهم قد نبغوا فى ظل الملوك والأمراء

وسبب هذا ان الشعر فن جميل والفنون الجميلة انما تنمو وتزهر فى القصور ، كالغناء والموسيقى والنحت والتصوير والخطوط ، لأنها تعد من الامور الكمالية ،ومن الزينة والترف ، وأحسن أنواع الزينة انما مكانه اللائق به القصور ، كاللؤلؤة الكبيرة والحجر الكريم النادر والصورة الرائعة والمصحف المخطوط خطا بديعاً ، فكل هذه وأمثالها لا يقومها حق تقويمها إلا الملوك والامراء ، فاليهم تهدى وفى قصورهم تزداد روعة وجمالا

ثم كان أن اتجه الشعر العربى أكثر ما اتجه الى المديح ، فلو أحصينا الشعر العربى ووزعناه على أبوابه لوجدنا نحو ثلثيه مديحاً والثلث الآخر تتقسمه الأبواب المختلفة الاخرى ، ومن أليق بالمديح من الخلفاء والملوك والأمراء ؟ إنهم أقدر على المكافأة وأسخى فى العطاء ، فالشاعر يبدأ يتعلم فى مدح متوسطى الحال ،فاذا نبغ لم يجد موضعا لشعره لائقا الا الملوك ، فقصدهم وقصر مديحه عليهم . ومن أجل هذا نرى أنواع الشعر الأخرى تنمو خارج القصور بعيدة عنها كاللزوميات لأبى العلاء المعرى ، وشعر التصوف مثل شعر عمر بن الفارض ، وشعر الغزل الصرف كشعر جميل والعباس بن الأحنف ، وأمثال ذلك ، لأن الشاعر فيها يغنى لنفسه ، ويرضى عاطفة تجيش بصدره لا يتطلب من أجل ذلك جزاء ولا شكوراً

***

هذه ناحية واحدة من نواحى الأدب العربى وهى ناحية الشعر ، وهناك نواح أخرى كان للملوك كبير أثر فيها أيضا ، فالكتابة الديوانيـة انما أزهرت كذلك فى حماية الملوك والأمراء ، فعبد الحميد الكاتب أثمرت كتابته فى ظل مروان بن محمد ، وابن المقفع فى ظل الأمير عيسى بن على ، وعمرو بن مسعدة فى ظل المأمون ، وابن العميد فى ظل بنى بويه ، والقاضى الفاضل فى عهد صلاح الدين والعماد في عهد نور الدين الخ

وذلك ان الكتابة الانشائية كانت وظيفة حكومية ، فكان فى العهد الاول لكل أمير كاتب يجيد الكتابة عنه ، ويجتهد فى تنميق أسلوبه وحسن بيانه ، وبطبيعة الحال كان خير الكتاب كتاب الملوك فهم يتخيرون أدق تخير وعنهم تصدر أروع الكتب وأبلغ المقالات

وحظ التآليف من الملوك ليس أقل من حظ الشعر والنثر ، فالجاحظ يهدى بعض كتبه للمأمون وبعضها للفتح بن خاقان ، وأبو الفرج الاصفهانى يهدى كتابه الأغانى لسيف الدولة الحمدانى ، وكثير من التآليف الادبية والعلمية والدينية تراها قد أهديت فى تاريخها أو فى ديباجتها الى ملك أو أمير ، ذلك لان كثيراً من هؤلاء الملوك والامراء كانت لهم مشاركة علمية أو أدبية ، فكانوا يقترحون

على العلماء والادباء موضوعات يؤلفون فيها ، وكثير منهم كان يرى ان تقديم الكتاب اليه يخلد ذكره ويبقى على الدهر اسمه ، فكتاب علمى أو أدبى يؤلف باسمه ورسمه بمثابة مسجد يقيمه أو مدرسة ينشئها أو « سبيل » يتقرب به الى الله

يضاف الى ذلك سبب آخر هام ، وهو ان الثروة لم تكن موزعة على حسب المنهج الذى نراه الآن، بل كانت أغلب الثروة فى يد الملوك والامراء، والعلماء ليس لهم الا قليل من الاوقاف ونحوها، فلم تكن هناك وزارة معارف تجرى مرتبات على المدرسين ونحو ذلك ، انما كان العلماء يعيشون على القليل من مال الوقف وعلى الكثير من عطايا الخلفاء والامراء ، فكان ارتباط العلماء بالامراء أقوى ، وحاجتهم اليهم أشد ، فالعالم مخير بين ان يعتزل الامراء ويعيش عيشة كفاف أو يتطلب عيشة الغنى فعليه ان يتصل بالملوك والامراء يسامرهم ويحدثهم ويؤلف لهم . وحاجة الادباء فى ذلك أشد لان طبيعة أدبهم وحياتهم لا تتفق والزهد ، ولان الاوقاف لا تشملهم ، فليسوا رجال علم ولا رجال دين . فمنهجهم الوحيد الذى يتطلبونه ويقصدونه هو قصور الخلفاء والملوك والأمراء والأغنياء ، ففيها عيشة الترف التى تناسب الادب وتغذيه ، وفيها يجد سلعته رائجة وعمله مكافأ . ومن أجل هذا الفرق قد ترى علما خارج القصور ولكن قل أن ترى أدبا نما وازدهر خارج القصور

وبعد فاتصال العلم العربى والأدب العربى بالملوك والأمراء اتصال وثيق ، وشرح أسبابه ونتائجه لا يمكن أن يتسع له مقال ، فلنجتزىء الآن بهذا القدر

أحمد امين



هل الحياة جديرة بأن نحياها

بقلم الدكتور أمير بقطر

«إن آلام الحياة وأحزانها ، كالهوى، داء تداوى به النفوس الصحاح. وراحة البال الناعمة والاطمئنان المستمر ، وغيرهما من الاحلام والأوهام ، مخدرات تستهوى بها الاجسام العليلة والنفوس السقيمة »

فى هذا السؤال من الناحية البيولوجية تناقض لاشك فيه ، إذ كيف تكون الحياة حياة ، وهى غير جديرة بأن نحياها ؟ ان الجهاز الذى يسير كل كائن حى (organism) ، بما فى ذلك أحط الحيوانات منزلة ـ ذات الخلية الواحدة ـ هذا الجهاز الدقيق ، البديع ، المدهش ، يشمل جميع العناصر التى ترغب صاحبه فى الحياة ، وتحببه فيها ، فيسعى اليها ، عن حب أكيد ، وشغف ملتهب ، طالما كان سليما . فاذا ما اعتل الجهاز أو أصابه عطب ، ماتت فى صاحبه الرغبة الصادقة ، وخبت نارها المتقدة ، وهتف فى داخله هاتف : « الحياة غير جديرة بأن نحياها » كما هتف الثعلب : « ان هذا العنب إلا حصرم ». واذا كانت احقر الكائنات الحية ، ذات الخلية الواحدة ، مزودة بشىء من الميول والدوافع ، التى تجعل الحياة حلوة ، فان الانسان سيد هذه الكائنات وتاجها مزود بأضعاف هذه الميول والدوافع ، أو الغرائز والنزعات والعواطف ـ أو سمها ما شئت

ويقابل هذه الميول التى لا بد للانسان من إشباعها ، عقبات لا بد له من تذليلها . وطالما كان الجهاز البشرى صحيحاً معافى ، صحت رغبته فى تذليل هذه العقبات . ولما كانت الحياة لاتتسع إلا لعدد محدود من الكائنات الحية ، فان مبدأ بقاء الأصلح يقضى على ذوى الأجهزة السقيمة ، التى تعجز عن المقاومة إشباعا للرغبات والعواطف

زيارة قصيرة الى متحف من متاحف الاسلحة الكثيرة ، المنبثة فى عواصم أوربا ، تنبئنا أن الانسان كان يقاتل أخاه الانسان من قديم الزمان ، لأن الحياة جديرة بأن نحياها . لقد عمد الناس الى الأقواس فأوتروها ، والى السيوف والرماح والخناجر فطعنوا بها ، والى البنادق فأطلقوها ، والى الالغام فنسفوا بها ، وقاموا بجميع ضروب الفتك والتقتيل والتدمير ، لأن الحياة جديرة بأن نحياها

وقد أصبحت الحياة اليوم ، بفضل العلم والتشريع ، أقل خطراً ، وأمست حاجات العيش أطيب ، ومتوسط الاعمار أطول ، والتغلب على الامراض الفتاكة وقوات الطبيعة أسهل . بيد أن

العلم الذى يحمى الناس وحدانا وأفراداً من الناحية الواحدة ، يبيدهم بمعدات الحروب زرافات وجماعات من الناحية الاخرى . والعلم الذى مهد لبنى الانسان سبل العيش ، فجعله رغداً ، عذب المنهل ، من جهة ، ضاعف من همومهم توصلا لذلك العيش وتعدد حاجاته من جهة أخرى . غير أن مرارة البؤس والكد ، وعلقم الهم والحزن ، وحنظل الشقاء والأسى ، كلها ضروب من المغامرة والمخاطرة ، في سبيل السعادة ، وبغيرها لاتكون الحياة جديرة بأن نحياها . يتوهم البعض أن الرجل الذى يربح خمسين الف جنيه عن طريق «اليانصيب» فيعتزل الاعمال ، يعيش قرير العين ، ناعم البال ، البقية الباقية من حياته . والواقع أن الرجل الذى يعيش عالة على الانسانية ، بغير مسئوليات وهموم ينوء تحت أعبائها ، وبغير مغامرات متواصلة يحاول تذليل عقباتها ـ هذا الرجل يحفر حفرته بيده ، ولا يظل على هذه الحالة كثيراً حتى يشعر أن الحياة غير جديرة بالعيش

وليس الفرار من المسئوليات والهموم جبنا وحسب ، وانما هو انكار للطبيعة الانسانية ، واخلال بالنظام الذى يتطلبه جهاز الكائنات الحية السالفة الذكر

ولنعلم أخيراً أن آلام الحياة وأحزانها ، كالهوى ، داء تداوى به النفوس الصحاح . وراحة البال الدائمة ، والاطمئنان المستمر ، وغيرهما من الاحلام والأوهام ، مخدرات تستهوى بها الاجسام العليلة والنفوس السقيمة . وقد برهن لنا تاريخ الانسانية على ان أكثر الشعوب والسلالات تعرضاً للآفات الجوية ، والتقلبات المناخية القاسية ، وسبل العيش الوعرة ، أشدهم عناية بمنازلهم وأطفالهم وأبدانهم وعقولهم ، لأن الحياة فى نظرهم جديرة بأن نحياها

***

وما الأبدية إلا اختراع من صنع البشر يقصدون به مد أجل الحياة الى حياة أخرى ينعمون فيها بأطايب الحياة الأولى ونعيمها دون بؤسها وشقائها ، أى انهم يريدون الموت حتى يظفروا بالحياة ، ويرجون غنما لايشوبه غرم . ان النساك والزهاد والمتعبدين من آل بوذا لايعنون بالحياة الدنيا ، فيعذبون أجسامهم بالنار والآلات الحادة ، وينكرون على أنفسهم لذات العيش جميعها ، ولكنهم انما يفعلون ذلك طمعاً فى حياة أخرى أطيب مقاماً ، فهم اذن تجار يشترون الآخرة وهى باقية خالدة ، بالدنيا وهى قصيرة زائلة ، أى انهم يبتاعون أثمن السلع بأبخس الأسعار

والانسانية تفرق بين نوعين من هؤلاء النساك . فهناك أرباب المسوح والثياب الرثة البالية ، أو مثلهم من المعتزلة الذين يولون ظهورهم عن العلم والبشرية ، فيأوون إلى الكهوف والأديرة الصامتة وينقطعون للتسبيح والعبادة . هؤلاء بغير جدال أنانيون ، لايعود على الانسانية منهم أى نفع ، ان لم نقل إنهم عالة عليها . وهناك نوع آخر من هؤلاء جدير بكل عطف وتقدير ، وأعنى بهم ملائك الرحمة الذين ينقطعون لخدمة الانسانية بغير مكافأة غير القليل من الخبز والنبيذ والأولم أمثال الاخوة الرهبان والآباء الجزويت الذين ينشرون العلم والأدب والخلق ، والأخوات الراهبات

اللاتى يوقفن حياتهن لمواساة الحزين وتعليم الجاهل والعناية بالمريض

ومن أسطع الأدلة على أن الحياة جديرة بأن نحياها ، هى أن معظم الناس من رجال ونساء حتى أشدهم كرها للحياة فى الظاهر ، يحرصون على انجاب البنين والبنات ، ويرغبون فى نسل يخلفهم ويحمل اسماءهم بعدهم ، لأن النسل فيه معنى الخلود ، وبقاء السلالة والعنصر فى الحياة الدنيا ، تلك الحياة التى هى جديرة بالعيش

وقد فسر العلماء والفلاسفة وبعض الشعراء الخلود بقولهم ان الانسان لا يموت بمعنى أن رفاته يختلط بالتربة فيغذى الحبة ، وهذه تنبت عوداً يحمل سنبلة من القمح ، وهذه تطحن وتخبز وتتحول دماً فى الجهاز الآدمى ، فتتكون منه نطفه منوية ، وهذه تلقح بويضة تنمو فى رحم المرأة جنينا ، ثم يكبر الجنين ويموت ويدفن ، ويستحيل رفاته تربة تغذى حبة وهكذا دواليك . وقد أجاد المعرى هذا الوصف فى قصيدته المعروفة التى جاء فيها :

خفف الوطء ما أظن أديم الا رض إلا من هذه الأجساد

وقد سبقه عمر الخيام فصور الفكرة أجمل تصوير فى قصائده الغرامية الفلسفية ومنها قوله لحبيته ، وكانت تختال تيها على بساط من الخضرة : « خففى الوطء فمن يعلم ؟ قد تكون هذه الوردة الحمراء نبت فم أحمر فان لحسناء يغذى رفاتها هذا العود » . وقيل لاينشتين مرة أن يبدى رأيه فى الآخرة فأجاب : « يكفينى حياة واحدة »

بيد أن الأبدية اذا لم توجد فما علينا إلا أن نخلقها ، إذ أن بغيرها نفقد الايمان والرجاء وبدونها تصبح الحياة غير جديرة بأن نحياها . ولعل أجمل ما قيل فى هذا الصدد الحكمة المأثورة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

ومن سوء حظ أولئك النساك والزهاد الذين سبقت الاشارة اليهم أنهم لايعنون بالشطر الأول من هذه الحكمة بتاتاً ، لأنهم يريدون أن ينسوا هذه الحياة بكل مافيها ، وأن ينتظروا ريثما تتم الصفقة ، فيكون لهم أكبر نصيب فى الحياة الاخرى

ولعل الموت هو من أكبر العوامل التى تجعل الناس يزعمون أحيانا أن الحياة غير جديرة بالعيش . ومهما فكرنا فى لغز الموت لا نستطيع الوصول الى نتيجة ، فمن الناحية الواحدة نخافه ونبكي موتانا ، وهذا دليل قوى على ان نفوسنا تحدثنا أن الحياة جميلة لذيذة جديرة بأن نحياها ونستمتع بها . ومن الناحية الأخرى نعلم أن الحياة بغير موت عبء لا يطاق ، ولولا الموت ما استمتعنا بالحياة ، ولا ألفينا فى العيش لذة

* * *

متى تكون الحياة جديرة بأن نحياها ومتى لا تكون ؟

يمكن القول بوجه عام إجابة عن هذا السؤال أن الحياة جديرة بالعيش طالما كان الانسان

حياً ، أى كل حياته . غير أن التوازن بين صحة البدن والعقل والنفس هو فى اعتقادى أهم العوامل التى تجعل صاحبها مطمئناً للحياة راضياً عنها ، مشغوفا بها ، أمينا لها ، فاذا ما رأينا انسانا يسخط على الحياة ويصر على انكارها ، وينادى أن الحياة غير جديرة بأن نحياها ويتمادى فى القول زمناً طويلا، فلا بد أن يكون هناك خطأ جسيم فى توازنه . فاما أن يكون قد تسرب اليه الهرم والشيخوخة ، أو ضعف عقله ،أو ساءت حالته النفسية للسبب السالف أو لأسباب أخرى خفية . وقد تنتاب الامراض الرجل ولكنه يظل مولعا بالحياة شديد الايمان بها ، طالما كان التوازن موجوداً . ولكن الذى يحدث عادة هو أن الداء اذا استفحل وعجز الاطباء عن وصف الدواء ، عيل صبر المريض وساءت حالته النفسية فاختل التوازن اختلالا يرى به صاحبه الشمس كاسفة ، والقمر ظلاما حالكا ، وأطايب الحياة بؤسا

من سنوات قليلة مضت حرم عشاق الأدب العربى من قلم كان يسيل رقة وعذوبة وكان صاحبه من أحب الناس الى القراء وأبعدهم شهرة ، وقد جف هذا المداد فجأة فحزن على صاحبه القراء المقربون اليه حزناً شديداً ، وتساءل الباقون الذين لا يعرفون من أمره شيئاً . ولا شك أن قصة صاحب هذا القلم خليق بالمشتغلين بعلم النفس أن يحللوها ويدرسوها . وليس فى هذا المقام متسع للاطالة والتحليل ، ولكنا نستطيع أن نضع هذه القصة فى بضع كلمات . . قلم سيال ، علم جم ، صيت بعيد المدى ، رقته تستأثر الاصدقاء ، القريب منهم والبعيد ، مجالس أدب ووقار وأنس . . موت أقرب الناس ، وما تبع ذلك من كمد وحزن ووحدة وكبت ، السخط على المدنية بضوضائها وكهربائها ومنازلها الشاهقة التى تحجب أشعة الشمس وتخسف أهلة المناظر الجميلة فى المدينة واعلام مبانيها ، والتمادى فى هذا السخط وكراهية الحياة واضطراب فى الأعصاب وتعقد الحالة النفسية ثم اختلال عام فى التوازن يسميه العامة ذهاب العقل

هذه القصة الأسيفة ليست الاولى من نوعها وانما هى قصة معروفة تتكرر أمام عيوننا كل يوم . وليس من الحكمة فى شىء أن نشجع أصدقاءنا الذين يقولون فيغلظون الايمان أن الحياة غير جديرة بأن نحياها ، بل الحكمة كل الحكمة أن نزيل العوامل التى تؤدى الى هذا القول ونخلق الجو البهيج السار ، اذا كان ذلك فى مقدورنا . ولايفوتنا أن نشك فى صحة كل رجل يكره الحياة أو بدأ النظر اليها بمنظار اسود ، ولا يفوتنا أن نسارع فى علاجه ، لأن التمادى فى هذه الكراهية يؤدى الى مايسمونه عقدة نفسية يختل بسببها توازن صاحبها فيذهب عقله كما يقولون . لقد خلق الانسان هكذا محبا للحياة ، بفضل ماجبل عليه من غرائز وعواطف وميول ودوافع كما سبق القول ، وكل امرىء صحيح البدن والعقل والنفس يؤمن أن الحياة جديرة بأن نحياها ، وكل امرىء مرتاح الضمير صافى الوجدان نقى النفس يؤمن أن الحياة جديرة بأن نحياها . وراحة الضمير هذه لا تتأتى إلا بالتقوى وحسن معاملة الغير . ولنعلم أن اللصوص والقتلة وقطاع الطرق لا يمكن أن

يؤمنوا بالحياة لأنهم قلقو الضمائر مزعزعو الوجدان ، ولذا فانهم لا يهابون الموت ولا يرهبون الردى ، لاشجاعة منهم بل يأسا واستسلاما واستهتاراً ، لأنهم لا ايمان لهم ولا رجاء ، ولا حب ولا شغف بعمل يؤدونه

من الحكم المأثورة عند الانجليز أن السعادة ترتكز على ثلاث دعائم ، وهى : شىء نعمله ، وشىء نحبه ، وشىء نرجوه . ومتى توافرت هذه الثلاث ، وهى فى مقدور الجميع ، مع سلامة البدن والعقل والنفس ، أيقن صاحبها ان الحياة جديرة بالعيش ، وان يك فقيراً معدما . تأمل فى حياة المهاجرين وما يلاقون من مخاطر وأهوال ، فانهم يرحلون طوراً الى أشد الاصقاع برودة ، فلا يجدون من وسائل العيش إلا أتفهها ، ومع ذلك يجلسون حول نار يشعلونها ، ويتجاذبون أطراف الحديث ونفوسهم تفيض مرحاً وطربا . وطوراً يلوون الأعنة الى حيث تصهر الهاجرة أبدانهم ، ومع ذلك يتحينون ساعة يجلسون فيها تحت ظلال الشجر يمزجون الخمر بالماء الزلال

يقول لنا علماء الأحياء إن خلايا الجسم التى يتألف منها اللحم والعظم والدم والعضل والجهاز العصبي تعد بمئات الملايين ، وهي فى تجدد مستمر ، أي ان كل ما يموت منها ويفرزه الجسم فضلات يحل محلها سواها ، الى أن يدب الهرم فى صاحبها ، وعند ذلك تموت الخلية ، ولا يحل مكانها سواها . ويقول الفيلسوف برتراند رسل : ان الرجل اذا بلغ السن التى يضعف فيها الجهاز التناسلى Sex fatigue يبدأ يتطرق اليه الشعور بأن الحياة غير جديرة بالعيش . ولعل هذا ما حدا بسليمان الحكيم أن ينعم بالحياة ويستسيغها ، فيحب الف امرأة فى شبابه ، ويكتب أبدع سفر غرامى فى الوجود ـ نشيد الانشاد ـ ثم لا يفتأ ينقلب فى شيخوخته الى منذر ، كاره للحياة ، متشائم ، فيكتب سفر الجامعة ، الذى يقول لنا فيه ويمعن فى القول : « باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح »

وقد مثل الفنان الصورة المنشورة فى هذا المقال أجمل تمثيل ، فصور الشباب بكؤوس الراح ، والنساء الحسان ، وصور الهرم بجمجمة تقول للناس : « ان جمال الشباب حلم زائل . . باطل الاباطيل الكل باطل . . . »

توفى فى النصف الثاني من شهر يونيه هذا العام سر جيمس برى ، من أشهر كتاب الانجليز وأرقهم عاطفة ، وأجزلهم قلما . وقد تكدست الازهار الحمراء والورود البيضاء على نعشه الذى سار وراءه النبلاء والوزراء وكبار الكتاب والممثلين والممثلات . واذا بحثنا عن سر عظمة هذا الكاتب الذى سيظل اسمه خالداً ، لوجدناه فى روايته التى صور فيها « بيتر بان » Peter Pan فتى لا يكبر . وتمثال هذا الفتى فى انجلترا معبود الجماهير

* * *

ان الرجل الذى يزعم أن الحياة غير جديرة بالعيش ، إما أن يكون جبانا يكره الكفاح ، أو كسلان لا يحب العمل ، أو شريراً مقطوع الرجاء ، أو مريض النفس ، أو منافقاً يأبى أن يعترف بالحقيقة .

حدثنا توماس هود الكاتب الرحالة أن فى المانيا ناديا (فى ذلك الحين) لعشاق الانتحار ، يتعهد فيه الاعضاء أن يحملوا أكبر عدد من الناس على الانتحار ثم ينتحرون هم

والانتحار علة يرجع سببها الى مبدأ واحد وهو أن المنتحر يحصر أسباب سعادته فى شىء واحد ، فاذا عدم هذا الشىء اظلمت الحياة فى وجهه فلم ير بدأ من الانتحار . روت الصحف الانجليزية أخيراً خبر مهندس قتل عشيق زوجته وحاول اطلاق النار على نفسه . ومما قاله للقاضى انه كان لا يعيش إلا لشريكة حياته ، ولا يكتسب درهما إلا لينفقه عليها ، ولا يرى فى الحياة نوراً ، إلا بوجودها . فلما خانته بعد سبع سنوات من زواجهما ، فى أعز ما لديها ، وذلك باتصالها بطالب من جيرانهم اتصالا شائنا ، لم ير فى الحياة ما يستحق أن يحياها . وخطأ هذا المسكين - وروايته تتمثل على مسرح الحياة كل يوم - أنه كان يعيش لزوجه وحسب ، وكان ينبغى أن يكون شغفه بالحياة أفسح مجالا من ذلك وأبعد مدى ، كأن يحب عمله وأصدقاءه ، وكأن يولع بفن من الفنون الجميلة ، أو بضرب من ضروب الرياضة ، حتى اذا ما خاب فى شىء من هذه ، كان له فى غيره من عزاء وحب وسلوى ما يجعل للحياة عنده قيمة

ان الرجل الطيب الذى يؤمن بالحياة ويعتقد أنها جديرة بالعيش ، إما أن يموت مرتاح الضمير أو يموت وهو يطلب من الحياة المزيد . أما الرجل الشرير الذى لا يؤمن بالحياة إما أن يموت قلقا أو غير آسف على الدنيا وما فيها . لما أن دنت ساعة الموت من الكاتب جوزيف أديسون ، وكان مرتاح الضمير ، استدعى ابن اخته الى سريره ، وقال له : انظر يا بنى كيف يموت المسيحى (ويقصد بالمسيحى فى الأدب الانجليزى الرجل الطيب) . ولما قاربت روح اليزابيث ملكة انجلترا أن تفارق الحياة ، قالت الملكة لطبيبها : « لست أخاف الموت ولكنى أحب الحياة ، وأضع بين يديك نصف ثروتى ثمناً لدقيقة من الزمن »

فى اليوم الذى شرعت فيه فى كتابة هذا المقال - فى مدينة البندقية - كتبت بطاقة صغيرة لشاب ايطالى ، كان من أعز أصدقائى ، وكان قاضيا فى محكمة فيرونا ، وكان هذا الشاب الأدب والرقة مجسمين ، وكان الصلاح وطيب العنصر بعينهما . وبعد أيام جاءنى خطاب مجلل بالسواد موقعا عليه من شقيقه يقول فيه : « لقد أعادت رسالتك يا سيدى ذكريات جميلة لصداقة قديمة ، وان كانت قد أحيت جرحا كاد يندمل . لقد فارق أخى الحياة منذ شهور ، وقد أخفينا بطاقتك حتى لا يراها أبى أو زوجة أخى » . وختم الكتاب بهذه العبارة المؤثرة : مات أخى وكان آخر عبارة نطق بها : « كم كنت أحب أن أحيا بجانب زوجتى الشابة وطفلنا الصغير ! ! »

***

ومن الغريب أن معظم الذين ينكرون على الحياة جدارتها بالعيش ، يدل وجدانهم على خلاف ذلك . أليس لهؤلاء أطفال صغار كالملائكة الأطهار يحبونهم ؟ أليس لهم فلذات أكباد يحملون

أبناءهم ويخلدون ذكراهم ، ينعمون بالنظر اليهم ؟ أليس لهم زوجات يقدسون فيهن شركة دائمة وصداقة تبقى ما بقيت نسمات الحياة ، حلوة كانت أم مرة ؟ أليس لهم أصدقاء ، أخلصوا لهم الود ، يجدون فى ولائهم ما يجعل الحياة جديرة بالعيش ؟ أليس في قرارات نفوسهم ذكريات وعهود ترجع الى أيام كانوا فيها ناعمى الأظفار ، يريدون اعادتها مثنى وثلاث ورباع ؟

قال لى صديق مصرى كان يحادث أستاذه القديم فى جامعة باريس ، وهو رجل كلل الشيب رأسه ، إنه سأل الأستاذ عن رأيه فى الحياة فأجابه هذا الجواب الصريح : « إن أجمل ما فى الحياة فى نظرى شيئان : الكتاب والمرأة ، وطالما كان هناك كتاب يقرأ وامرأة تحب ، فلست أرضى بغير الحياة بديلا » وقد يتهم البعض هذا الشيخ « الزنديق » اتهامات شتى ، غير أن فلسفته في الحياة ، وإن كنا لا نتفق معه فيها قوية الأساس ، لانه من الهواة (أى له فى الحياة «hobby») وكل هوى سليم ، رياضيا كان أم علميا ، أم روحيا ، أم وجدانيا ، يكون لصاحبه بمثابة الدفاع للباخرة ، وكل امرىء يوجد داخله ذلك الحافز « motivation » لايكره الحياة . غير أنه جدير بنا أن نذكر أن السعادة لا تأتى للناس اعتباطا ، وعلينا نحن أن نسعى اليها . من أجمل القطع الشعرية التى أذكرها قطعة فى كتاب محفوظات انجليزية كان من مقررات وزارة المعارف لطلبة البكالوريا ، وطالما كنت أعجب بها فأعيدها فى خلوتى بعد نهاية الامتحان بسنوات . وكنت أود لو أتيح لى نقلها للقراء برمتها . وملخص هذه القطعة خطاب من صديق لصديقه يقول له فيه ما معناه : ما الذى جرى لك يا عزيزى ؟ ألا تعجبك الشمس والقمر والنجوم ؟ ألا ترى الجمال فى البحر الزاهر ، والزهر الباسم ، والماء المتدفق ، والنسيم العليل ؟ أليس العالم جميلا بالموسيقى والغناء ، والاخوة والاصدقاء ؟ ألا تسمع هزار البان ، وبلبل الغابة ، ويمامة الوادى ؟ . . .

***

وأريد أن أذكر القارىء مرة أخرى أن آلام الحياة ، وبؤسها وجهادها ، هى التى تخلق مسراتها كما قال اللورد آفبرى فى كتابه « مسرات الحياة » . وهذه حاجات الناس لو لم تكن عسيرة المنال لما كانت هناك لذة العمل ولما كان ثمة السعى اليه . ما الذى كان يحدث لو كان المال ملكا مشاعا للجميع ؟ وما الذى كان يحدث لو كانت كل امرأة فى الوجود ملكا لكل رجل فى الوجود ؟ إن سهولة الحصول على اللذة كما قال أحد كتاب الفرنسيين ، يهدم تلك اللذة ، لانها تقضى على ذلك السراب الخلاب الذى يضيفه عالم الخيال الى عالم الحقيقة (١)

وأختم مقالى باحالة القارىء الى آراء الفيلسوف الفرنسى برجسون فيما أطلق عليه اسم «élan vital» — والى آراء الفيلسوف الألمانى شوبنهور فيما يسمونه « The will to live » — والى

(١) La facilité des plaisirs déflore les plaisirs, parce qu'elle détruit le mirage que l'imagination ajoute à la realité

قول اللورد بيرون فى احدى قصائده المشهورة إن العالم ملك لمن يهواه فيصبح جزءاً لا يتجزأ من جباله وأنهاره ووديانه ... وأخيراً الى مايقصده الفرنسيون بعبارتهم المعروفة « Savoir vivre »

إن الحياة فن من الفنون الجميلة ، بل قل إنها الفنون الجميلة كلها مجتمعة ، وما دمنا بشراً ، نحس ، ونعمل ، ونفكر ، كان لزاماً علينا أن نتعلم ذلك الفن ، ونسعى جهدنا نحو السعادة فنجد الحياة جديرة بأن نحياها . كم ننغمس فى هموم الحياة ومشاغلها ، ولا نفكر فى أن لأبداننا ونفوسنا حقا علينا ! ! رأيت أخيراً لوحة جذابة فى قاعة استقبال كتب عليها هذه العبارة التهكمية باللغة الانجليزية ، وهى : « إذا تصادم العمل مع الويسكى ، فألق العمل جانبا » وآمل ألا يأخذ بعض القراء هذا الكلام بحرفيته ، إن جل ما فى هذا المثل معناه دون حروفه ، والرجل الذى يدرك معنى الحياة ، يستطيع أن يجد فى العمل ، وأن يستخرج من الهزل الجد ، ويتطلب الفرح فى الحزن ، ويتلمس اللذة فى الألم

أمير بقطر



الألم يخلق اللذة

لا يحيا الفرح ولا تمكث المتعة ، ما لم يسبقها مايؤلم ويوجع ، أو يشق ويضنى . . . فهذا الفرح الذى يزدهى من ينتصر فى ساحة الحرب قد وجف القلب قبله خشية الموت أو الهزيمة ، وهذه الراحة التى يشعر بها المستحم فى البحر سبقتها رعشة الجلد ورجفة الأوصال من الماء البارد . . . وكذلك النجاح الذى يوفق اليه الرجل فى زواجه لن يتحقق إلا بعد أن يصيبه الاخفاق والاضطراب فى أثناء شهر العسل

ج . ك . تشسترتون

محمد علي

هل قصد من حروبه ملكا واستقلالا ؟

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

« . . فهذه الحروب هي من أقوى دعائم الدولة المصرية المستقلة ، ومن أعظم أركان القومية المصرية ، وخاصة فتح السودان وحروب سورية والأناضول ، فان فتح السودان قد أتم الوحدة القومية ، وحروب سورية والأناضول قد كفلت لمصر استقلالها وجعلته حقيقة واقعة معترفا بها من الدول جميعاً . . »

لا شك ان استقلال مصر كان ثمرة الحروب التى خاضت غمارها على عهد محمد على ، تلك الحروب التى بذلت فيها الأمة أرواح عشرات الآلاف من زهرة أبنائها ، أولئك الأبطال الذين جاهدوا واستشهدوا فى ميادين القتال ، وسقوا أديم الأرض بدمائهم فى ربوع مصر والسودان ، وفى صحارى جزيرة العرب ، وجبال كريت والموره ، وبطاح سوريه والأناضول ، وفى قاع البحر بمياه اليونان ، أو على سواحل مصر والشام

إن أول حرب خاضتها مصر فى ذلك العهد هى الحملة الانجليزية سنة ١٨٠٧ . إذ كان محمد على لا يزال يعمل على تأسيس الدولة المصرية المستقلة ، فدهمت البلاد الحملة التى جردتها انجلترا بقيادة الجنرال فريزر ، فصمد لها محمد على يؤيده زعماء الشعب وأبناؤه فى الذود عن الاستقلال ، وكان نصيب الحملة الانجليزية الاخفاق والهزيمة فى معركة رشيد (٣١ مارس سنة ١٨٠٧) وواقعة الحماد (٢١ ابريل سنة ١٧٠٧) . وانتهت بابرام معاهدة ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ التى قضت بجلاء الجنود الانجليزية عن مصر ، وتم الجلاء فعلا فى ١٩ سبتمبر من تلك السنة ، فكان ذلك الجلاء هو أمارة الاستقلال وعلامته الحقيقية

ثم جاءت الحرب الوهابية (١٨١١ - ١٨١٩) وقد حارب فيها محمد على الوهابيين استجابة لنداء سلطان تركيا لاخضاعهم للحكم العثمانى . فهي فى ظاهرها لا تمت لاستقلال مصر بصلة ما . ولكنه خاض غمارها تمكينا لسلطته ورفعاً لشأنه وشأن مصر واعلاء لمكانتها . ذلك أن تركيا قد أخفقت فى اخماد الثورة الوهابية برغم الحملات التى أنفذتها لقمعها ، مما أدى إلى تزلزل هيبتها ، فرأى محمد على أنه إذا نجح حيث أخفقت تركيا فلا جرم أن يتوطد مركزه وتسمو مكانته حيال تركيا ، فلاتعود تفكر فى عزله أو تغييره، بل يدعوها تطور الحوادث إلى أن تعامله معاملة الند للند.

وأغلب الظن أن فكرة الانفصال عن تركيا قد بدأت تملك عليه مشاعره من ذلك العهد ، وأخذ يعمل لها من طريق الفتح والحرب . وكانت الحرب الوهابية أول مرحلة فى ذلك البرنامج . وقد حققت الأيام صدق نظره ، إذ عظمت منزلته خلال تلك الحرب وبعد انتهائها ، وعلت مكانة مصر الحربية والسياسية ، وامتدت سلطتها إلى جزيرة العرب . فان الجيوش المصرية التى جردها محمد على لحرب الوهابيين لم تنسحب منها بعد انتهاء الحرب بل ظلت ترابط فيها ، وأخذت الحكومة المصرية تبسط سلطانها فى أصقاع الجزيرة ، وتنصب لها القواد والحكام . واتسع فعلا نطاق مصر وضمت اليها بلاد الحجاز ونجداً وعسيراً وجزءاً من اليمن ، ووصلت سيادتها إلى شاطىء الخليج الفارسى ، أى أن نفوذ مصر قد امتد إلى معظم جزيرة العرب

ثم جاءت حملة السودان (سنة ١٨٢٠ – ١٨٢٢) وهى حرب قومية بحتة كان الغرض منها من أسمى أغراض الحروب وأنبلها إذ كانت غايتها تأليف وحدة مصر السياسية بضم السودان إلى حظيرة الوطن ، والمحافظة على كيان مصر القومى . وفى ذلك يقول ابراهيم باشا فوزى فى كتابه « السودان بين يدى غردون وكتشنر » :

« قضى ساكن الجنان محمد على باشا محيي الديار المصرية لبانتين من فتح السودان ، بل تخلص من ورطتين كبيرتين : فقد علمت من شيخ ذى منصب معاصر لمحمد على باشا أن دولة أوربية كانت تسعى لمعارضته باحتلال منابع النيل ، فاهتم لهذا الخبر أكبر اهتمام واستشار كثيراً من المهندسين الأوربيين الذين جاء بهم من بلادهم إلى هذا القطر ، فأقروا بالاجماع أن وقوع منابع النيل تحت براثن هذه الدولة مما لا محمد مغبته حيث تصير حياة مصر فى يدها . فصمم على انفاذ الحملة إلى السودان »[1]

وغير خاف أن تلك الدولة التى يشير اليها فوزى باشا فى كتابه هى انجلترا . فهى التى كانت تناوىء محمد على وتدأب للسعى فى احتلال مصر وبسط نفوذها عليها

ولا يغيب عن الأذهان أن مساحة السودان تزيد عن ضعف مساحة مصر إذ أنه يبلغ مسطح القطر المصرى مرتين ونصفا ، ومساحته تضاهى ربع مساحة القارة الأوربية . فبفتح السودان اتسعت رقعة الدولة المصرية فبلغت ثلاثة أمثال ما كانت عليه من قبل ووصلت الى معظم حدودها الطبيعية وتحققت وحدتها السياسية التى صارت على مدى السنين من أقدس مطالب القومية المصرية

وجاءت حرب اليونان (١٨٢١ – ١٨٢٨) وهى أول حرب أوربية اشتركت فيها مصر على عهد محمد على بعد حروبها فى آسيا وافريقية . ولم تكن فى بدايتها حربا ذات صبغة قومية إذ كان الغرض منها اخماد ثورة اليونان واعادتها للحكم التركي . وقد انتهت بتألب الدول الأوربية على مصر وتركيا وتحطيم الأسطول المصرى فى واقعة نافارين البحرية (٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧) وجلاء

(١) كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر جزء ١ ص ٥٨

الجيش المصرى عن اليونان . على أن مصر قد كسبت من هذه الحرب ضم جزيرة كريت اليها إذ عهد السلطان محمود إلى محمد على ولاية تلك الجزيرة مكافأة له على خدماته فى حرب اليونان ، ثم إنها أكسبت مصر منزلة معنوية كبيرة . لان هذه أول حرب أوربية خاض الجيش المصرى غمارها . ولقد برهن فيها على كفاءته . وأثبت أنه يضارع أرقى الجيوش الأوربية فى ميادين القتال . فلا غرو ان ارتفع شأن مصر ، ونال جيشها شهرة عالية . وهذه المكانة تعد من أركان عظمة مصر الحديثة . ومن عوامل مجدها الخالد . ولا غرو فالأمم الحية تقدر مجدها الحربى تقديراً كبيراً

هذا فضلا عن أن الجيش المصرى قد اكتسب فى معارك اليونان مرانا على الكفاح وممارسة لفنون الحرب وخططها وأساليبها الحديثة . ولا ريب أن خوض الجنود والضباط والقواد غمار المعارك المتوالية مما يغرس فى نفوسهم الفضائل والأخلاق الحربية ، ويزيدهم شجاعة واقداما ، ويبصرهم بمواقع الحروب ويزيدهم علما وتجربة

ولا يخفى من جهة أخرى أن الحرب اليونانية كانت خير اعلان عن قوة الجيش المصرى وحسن نظامه ، وكفاءة قواده وشجاعة جنوده . ولقد ظهر فى تلك الحرب أرفع شأنا وأشد بأساً من الجيش التركى ، فكان لهذه الميزة أثرها فى توطيد دعائم الدولة المصرية الفتية واعلاء شأنها حيال تركيا ، بحيث لم يعد يسهل على السلطان العثمانى أن ينظر إلى محمد على كوال من ولاة السلطنة العثمانية ، بل جعلته الحرب ملكا مهيب الجانب ، قوى البأس والسلطان . فلا عجب ان قويت فى نفس محمد على بعد تلك الحرب فكرة اعلان الاستقلال ، تلك الفكرة التى ساورته منذ رسخت قدمه فى الحكم وكان يعمل لها بثبات وحكمة وينتهز الفرص ويهيء الوسائل ويرسم الخطط لتحقيقها ، فكانت الحرب اليونانية مرحلة شجعته على تحقيق تلك الفكرة الجليلة

وكان من نتائج الحرب اليونانية ان أخذت مصر تكسب مركزاً دولياً ، لان الدول الأوربية قد فاوضت محمد على رأساً دون وساطة تركيا ، فكسبت بالفعل مركزا ممتازاً بين الدول . وهكذا كانت الحرب اليونانية وسيلة لظهور شخصية مصر الدولية . وقد كان لحسن نظام الجيش المصرى وما أبداه من المهارة والشجاعة والكفاية الفضل الاكبر فيما نالته مصر من المكانة إذ خاطبت الدول محمد على ، لا كما تخاطب والياً من ولاة السلطنة العثمانية ، بل مخاطبة الند للند . وأرسلت اليه الحكومة الانجليزية تبدى شديد أسفها على ما لحق الأسطول المصرى فى واقعة نافارين ، وتظهر رغبتها فى جعل علاقاتها بمصر علاقة ودية . وفاوضته فيما يكون مركز انجلترا إذا نشبت الحرب بين الانجليز والترك ، فتعهدت له بأن يكون موقفها حيال مصر موقف حياد

فالحرب اليونانية قد جعلت من مصر دولة مستقلة فعلا عن تركيا وبذلك نالت مركزاً ممتازاً . وكان من مظاهر هذا المركز ان عقدت الدول اتفاق (أغسطس سنة ١٨٢٨) رأساً مع مصر .

ووقع هذا الاتفاق بوغوص بك وزير خارجية مصر . وهذه أول وثيقة سياسية أبرمها وزير خارجية مصر مع دولة أجنبية فى عصر محمد على

ثم جاءت الحرب فى سوريه والأناضول ، وهى الحرب التى قاتل فيها محمد على تركيا وجها لوجه بقصد الانفصال النهائى عنها وتوسيع ملك مصر واعلان استقلالها التام . كانت هذه الحرب حربا دفاعية هجومية . أما انها حرب دفاعية فلأن محمد على كان يعلم أن تركيا لا تفتأ تسعى لاسترداد مركزها فى مصر . وانها لم تكن خالصة النية نحوها ، فاعتزم فتح سوريه ليطمئن على سلامة الدولة المصرية . وفى ذلك يقول الدكتور كلوت بك وهو من خاصة مستشارى محمد على: وان ضم سوريه إلى مصر كان ضروريا لصيانة أملاك محمد على ، فمنذ تقرر فى الأذهان أن انشاء دولة مستقلة على ضفاف النيل يفيد المدنية فائدة عامة وجب الاعتراف بأنه لا يمكن ادراك هذه الغاية إلا بضم سوريه إلى مصر»

وأما أن تلك الحرب كانت هجومية فلأنه كان يرمى من ورائها إلى انشاء دولة مصرية عربية مستقلة تضم البلاد العربية فى افريقية وآسيا. فبعد ان استقل فى مصر وضم السودان وفتح معظم جزيرة العرب وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية ، طمح إلى سوريه ليؤسس الدولة المصرية الكبيرة . يؤيد هذه الحقيقة أن ابراهيم باشا بينما كان يحاصر عكا فى خلال الحرب السورية سئل : إلى أى مدى تصل فتوحاته إذا تم له الاستيلاء على عكا ؟ فقال : إلى مدى ما يتكلم الناس وأتفاهم وإياهم باللسان العربى [1] . وقابله البارون « لبوالكونت » بالقرب من طرسوس بالأناضول سنة ١٨٣٣ بعد انتصاراته على الجيش التركى ، فذكر عنه « ان ابراهيم باشا يجاهر علنا بأنه ينوى احياء القومية العربية » ونقل عنه حديثاً قال فيه : « ان أباه يحكم مصر والسودان وسوريه . ومن الواجب أن يضم العراق إلى حكمه . وان جزيرة العرب تابعة لأبيه الذى يعمل الآن على اتمام فتحها . وهو فى صلاته مع أهل البلاد يستخدم اللغة العربية ، ويعد نفسه عربياً . ولذلك لا ينفك يطعن فى الأتراك . وقد لاحظ عليه ذلك أحد جنوده وخاطبه بتلك الحرية التى كان يشجع رجاله عليها وسأله كيف يطعن الأتراك وهو منهم . فأجابه ابراهيم باشا على الفور : « أنا لست تركياً . فاني جئت مصر صبيا . ومنذ ذلك الحين قد مصرتنى شمسها وغيرت من دمي وجعلته دما عربيا » [2]

وقد انتهت الحرب السورية الأولى بعقد الصلح المعروف باتفاق (كوتاهيه) في ٨ ابريل سنة ١٨٣٣ وهو يقضى بتخلى تركيا عن سوريه واقليم ادنه إلى محمد على مع تثبيته على مصر والحجاز وجزيرة كريت مقابل جلاء الجيش المصرى عن باقى بلاد الأناضول . ثم نقضت تركيا هذا الصلح سنة ١٨٣٩ فعادت الحرب بينها وبين مصر ثانية وانتهت بهزيمة الجيش التركى في واقعة (نصيبين)

---

(١) كادلفين وبارو . حروب مصر ضد الباب العالى فى سوريه والاناضول ص ٤١٢

(٢) كتاب مهمة البارون لبو الكونت ص ٢٤٨ و ٢٤٩

الشهيرة في ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ وصار طريق الاستانة مفتوحا أمام الجيش المصرى

وقد كان انتصار مصر فى هذه الحروب كفيلا بتحقيق مطالبها وهى تأليف الدولة المصرية الكبرى ، لولا أن وقفت انجلترا لها بالمرصاد وألبت عليها الدول الأوربية فحرمتها ثمرة انتصاراتها مما ظهر أثره فى معاهدة لندن (١٥ يوليه سنة ١٨٤٠) التى حددت مركز مصر الدولى وقتئذ إذ قضت بارجاع الجيوش المصرية إلى حدود مصر الأصلية وضمان استقلالها وجعلها دولة مستقلة غير مستكملة السيادة . وهذه المعاهدة على ما فيها من قيود قد كفلت لمصر شخصية دولة مستقلة تتمتع باستقلالها الداخلى التام بكل مظاهره مضافا اليه بعض مظاهر الاستقلال الخارجى مثل حق مصر فى قبول التمثيل الخارجى للدول الأجنبية

ومن الواجب أن نقول إنه لولا حروب محمد على المتواصلة وانتصارات مصر فيها لما رضيت أوروبا ولا تركيا باستقلال مصر المقيد بل لرجعت بها ولاية كسائر ولايات السلطنة العثمانية يتعاقب عليها الولاة كل سنة أو سنتين . فلولا تلك الحروب وما أظهرته مصر فيها من القوة والمنعة لما احتفظت باستقلالها الذى نالته فى ميادين القتال . فالجهود التى بذلتها والدماء التى جادت بها والتضحيات التى احتملتها هى التى حفظت ذلك الاستقلال وصانته من الضياع . فلم يعد فى استطاعة تركيا ولا الدول الأوربية أن تعيدها إلى حالتها القديمة . ولئن حرمت مصر كل ما تصبو اليه من نتائج انتصاراتها وتضحياتها ، فقد أدركت غايتين من أعظم المقاصد القومية . فلقد وطدت دعائم استقلالها وحققت وحدتها بضم السودان إلى حظيرتها ثم نالت مركزاً دولياً وطيداً لم يكن لها من قبل ، ومركزاً معنويا رفع من شأنها بين الأمم

وإذا كانت الأمة الفرنسية تفخر بمعارك نابليون وحروبه العظيمة مع انها لم تنل من ورائها سوى الخسران والتراجع إلى ما وراء حدودها الأصلية . وتعدها مع ذلك صفحات مجد زاهية فى تاريخها القومى ، فأجدر بمصر أن تفخر بحروبها فى عصر محمد على ، تلك الحروب التى رفعت ذكرها فى الخافقين وسارت باسمها مسير الشمس . فضلا عما أنتجته من تحقيق استقلالها وتوطيد دعائمه

فهذه الحروب هى من أقوى دعائم الدولة المصرية المستقلة.ومن أعظم أركان القومية المصرية . وخاصة فتح السودان وحروب سوريه والأناضول . فان فتح السودان قد أتم الوحدة القومية وحروب سورية قد كفلت لمصر استقلالها وجعلته حقيقة واقعة معترفا بها من الدول جميعا

عبد الرحمن الرافعى

عرش مصر الحديثة

للمغفور له احمد شوقى بك

محمد على

علم أنت فى المشارق مفرد … لك فى العالمين ذكر مخلد
حبذا دولة وملك كبير … أنت بانى ركنيهما يا محمد
ولواء فى البر والبحر يعطى … مظهر الشمس فى الوجود وأزيد
يدخل الأرض فيه قطراً فقطراً … مدخل الناس فى شريعة احمد
تملأ الأرض صافنات وتجرى … لك فى البحر كل برج مشيد
هكذا فلينل سماء المعالى … من سعى فى الورى لمجد وسؤدد
همة تبتنى الممالك شما … ء ، ورأى يسوسهن مسدد
وثبات فى الحادثات وعزم … مثل ريب الزمان لا يتردد
تضع السيف موضعاً يرتضيه … ومن البأس ما يذم ويحمد
همة الفاتحين حكم وقهر … ولك الهمة التى هى أبعد
ليس من يفتح البلاد لتشقى … مثل من يفتح البلاد لتسعد

الى خلفائه

شرفا فى الزمان آل على … جدكم سيد الملوك المسود
ارجعوا فى العلى اليه وروموا … نهجه ، نهجه الذى كان أقصد
ألبسوه كما كساكم فخاراً … كلما رثت الثياب تجدد
واملأوا مسمع الزمان حديثا … كدوى الخضم أرغى وأزبد
إنما الناس أمة لا يموتو … ن وأخرى تمر مراً وتنفد
وأرى جدكم على الدهر حياً … خالد الذكر والثناء المردد
كلما مر من مساعيه قرن … مر يزهو بعقدهن المنضد
مشرقا من ثنائه مستضيئا … من بنيه بكل أبلج أصيد
يتحداه فى فخار ويسرى … فى منار على طريق معبد

التتويج عند الفراعنة

بقلم الأستاذ أحمد فخري

كبير مفتشي آثار مصر الوسطى

منذ آلاف السنين عرفت مصر النظام الملكي الوطيد، وما يستدعيه من أنظمة ومظاهر وتقاليد ما زال أكثرها قائماً حتى اليوم. وفي هذا المقال تصوير شامل لحفلات التتويج عند الفراعنة يبين ما كان يجري فيها من رسوم وطقوس هي أساس ما يجري في حفلات التتويج الحديثة. وما كانت عليه هذه الحفلات الدينية الشعبية من الأبهة والرواء

لم يكن الملك عند قدماء المصريين حاكما على الناس فحسب، بل كان إلها لشعبه يعبدونه ويصلون له وتقدم له القرابين في المعابد، كما كان بحكم وظيفته الكاهن الأكبر لجميع المعابد المصرية المقامة لعبادة « اخوانه الآلهة ». أما مركزه كحاكم على الشعب فكان مركز الحاكم المطلق السلطة الذي يطلب منه كل شخص من رعاياه سواء في مصر أم في البلاد الخاضعة لها، « أن يمنحه الهواء الذي لا تمكن الحياة بدونه ». وانه وان اختلفت نظرة المصريين الى ملكهم في مختلف العصور حسب تطور الديموقراطية بينهم الا أنه بقي دائما يستمد سلطانه عليهم من الناحية الدينية أولا، ومن ناحية كونه المالك للاراضي بأجمعها يمنح جزءاً منها لمن يشاء ويسترده منه اذا لم يحسن خدمة مولاه. وقد كان في المملكة كثير من الأمراء والعائلات القوية، ولكن تقاليد البلاط المصري لم تكن تبيح لأحد أن يقترب مركزه من مركز سيد البلاد

قرب الملك « شبسكاف » من الأسرة الخامسة (حوالى سنة ٢٧٠٠ ق . م) أحد الرجال اليه وكان سليل عائلة قوية تولت الوزارة عدة أجيال، ولم يكن من كبار الموظفين فحسب، بل كان رئيسا لكهنة معبد الشمس وهي أكبر وظيفة دينية في ذلك العهد، وأحبه الملك حبا جما حتى إنه زوجه من كبرى بناته ورفعه الى مرتبة الأمراء، وأصبح فخوراً بعطف مولاه، وقص ذلك كله على جدران مقبرته، ومع هذا كله فقد كان فخره الأكبر « أن سيده كان يسمح له بأن يقبل قدميه بدل أن يقبل الأرض »

أما نظرة الشعب الى الملك فكانت نظرة العبد الى من يعتقد أنه قادر على كل شيء، ولنستمع الى رجال حاشية الملك رمسيس الثاني وهم يخاطبون مولاهم عندما دعاهم لمشورته في أمر من الأمور : (من لوحة كوبان)

« أنت شبيه الأله رع في كل ما تعمله ، وكل ما يريده قلبك لابد من تنفيذه ، واذا طلبت شيئا فى الليل يتم تنفيذه فى الفجر . لقد شاهدنا الكثير من أعمالك العظيمة منذ أن توجت وصرت ملك الأرضين . لم نسمع ولم نر شيئا ، ولكنا نشعر أن كل شيء قد تم . إن كل ما ينطق به فمك هى ألفاظ الاله حورس فى أفقه . ان لسانك ميزان وشفتك أضبط من مؤشر ميزان الاله تحوت . أى شيء لا تعرفه ؟ ومن ذا الذى يفعل ما تفعله ؟ وأين هو البلد الذى لم تره ؟ ليس هناك أرض لم تطأها قدماك ، وكل ما يحدث فيها يصل الى سمعك منذ أن توليت سيادة هذه البلاد . لقد حكمت قبل أن تلدك أمك لأنك ابن حاكم من قبل ، واليك آلت أمور الملك وأنت صغير تتدلى ذؤابتك . لم يقم بناء لم تشرف عليه ، ولم يتم شيء فى البلاد لم تحط به خبرا . لقد كنت أميراً للجيش وأنت ابن عشر سنوات ، وضعت يداك أسس جميع الأعمال . لو قلت للماء اصعد الى الجبل لصعد حالما تنتهى من قولك ، لأنك أنت رع والأله « منخبررع » متحد بأعضائك . أنت على الأرض صورة من أبيك «أتوم» سيد هليوبوليس . ان إله الذوق فى فمك ، واله المعرفة فى قلبك ، وعرش لسانك ما هو الا معبد للعدل وعلى شفتيك يجلس إلهه »

ولنسمع اليهم مرة أخرى يخاطبون سيدهم الشاب : (على واجهة معبد أبيدوس)

« أنت يا من تخلق الأمراء وتسير الأمور ، ويا من تسرى أقواله مسرى التقديس ، يامن تسهر عندما ينام الجميع ويامن بقوته نجت مصر ، ويا من سار لقهر البلاد الأجنبية وعاد منتصراً . حميت مصر بقوتك ، ياحبيب العدل ، واليك ألقيت حماية الأرضين ، ياطويل العمر وعظيم القوة ، ويامن ألانت هيبته صلابة الأمم الأجنبية . أنت مليكنا ، أنت سيدنا وشمسنا ، وبأمرك يعيش الجميع . انظر ، ها نحن أمام جلالتك لكى تمنحنا الحياة التى لا يمنحها غيرك . أنت فرعون فلك الحياة والسلامة والصحة . أنت الهواء الذى نستنشقه يا من بطلعته تعيش الدنيا بأسرها »

نصيب الكهنة فى التتويج

كان تولى العرش من حق الابن الاكبر من الزوجة الملكية ، وكان يسمى « ولى العهد » ويعده أبوه منذ صغره للقيام بأداء المهمة العظيمة التى تنتظره . ولم يكن هناك ضير على الأمراء اذا ما شغلوا الوظائف الكبيرة ـ وعلى الأخص الدينية منها ـ ليتيسر لهم الاطلاع على شئون البلاد ، وطالما ذهب أولياء العهود على رءوس الجيوش لغزو الأمم الأخرى . ولقد بلغ من حرص ملوك الأسرة الثانية عشرة على تدريب أبنائها على مهام الملك ، ان كانوا يشركونهم معهم كملوك يتولون تدريبهم بأنفسهم ، حتى اذا مات الملك سار ابنه بأمور البلاد على خير وجه ، وأمنت البلاد شر ما عساه يحدث من فتن فى مثل هذه الظروف ، وعلى هذا نرى أن التتويج فى مصر كان على حالتين : إما تتويج فى حياة الملك السابق أو تتويج عادى يتوج فيه الملك بعد وفاة سلفه ، ولا فارق بين الاثنين الا فى

شيء واحد فقط ، وهو إعلان تنازل الملك الحاكم أمام ذوى الرأى فى البلاد وأصحاب الكلمة فيها

والتتويج لا يتم فى حفلة واحدة بل فى عدة حفلات ، للجانب الدينى النصيب الأكبر فيها ، إذ أن أكبر سلطة الملك كان يستمدها من كونه إلها يجرى فى عروقه دم الآلهة . وكان للكهنة كلمة مسموعة وقوة معدودة ، وما كانوا ليرضوا عن ملك لا يرضى شهواتهم من حيث اتاحة الفرصة لهم لكى تظهر سلطتهم أثناء حفلات التتويج ، وليكون اشتراكهم مظهراً لرضاء الآلهة الذين يمثلونهم ومحافظة على تقاليد قديمة يحرصون عليها كل الحرص

وكان لكل منطقة إله يعبده أهلها ولا يكون ذلك حائلا دون اظهار مظاهر الاحترام لغيره من الآلهة . ولكن الاله الذى كان له الحظ الأوفى ، وبعبارة أخرى الذى كان له معابد وأراض أكثر من غيره ، هو الاله الذى يلتفت اليه أفراد البيت الحاكم ويعتبرون أنفسهم مدينين لنفوذه. وقد تناوب هذا التبجيل آلهة مختلفة كالاله « اتوم » فى هيليوبوليس ، و « رع » اله الشمس ، والاله « امون » فى طيبة ، أو « أوزوريس » و « ست » و «حورس » و « أنوبيس » ، وبعض الالاهات « كحاتحور » و « ايزيس » و « نفتيس » و « سخمت » . ولكل من هذه الآلهة معابد ولكل منها كهنة . وتحدثنا أساطير قدماء المصريين أن الآلهة كانوا يحكمون على الأرض ثم خلقوا الانسان ليعيش فيها ، وعادوا هم الى السماء . ولما كان الملك يعتبر كاله على الأرض الى أن تطير روحه الى مستقرها فى السماء ، وتتحد مع الشمس وتصير جزءاً منها ويصير إلها بعد الموت ، فان تتويجه على العرش الذى كان يلقب دائماً بأنه عرش الآلهة ، لا يتم الا باشتراك الآلهة انفسهم . وقد كان الكهنة قوام هذه الحفلات وكانوا على علم برسومها وأسرارها . وفيها يلبسون فوق رءوسهم اقنعة تمثل الآلهة المختلفة التى كان يرمز لها ببعض انواع الحيوان . وهذا ما نراه مرسوما على جدران المعابد المصرية ، إذ ان هذه المناظر كلها لا تخرج عن تصوير مناظر عبادة الالهة المختلفة وتقديم القرابين لها

رسوم حفلة التتويج

واخبار حفلات التتويج قليلة ومبعثرة على الآثار المصرية ، ولكن هناك معبدان نقش على جدرانهما شيء عن ذلك وهما : معبد الملكة « حتشبسوت » بالدير البحرى بطيبة حيث سطرت على الجدران قصة ممتعة عن تولية صاحبته العرش ، والثانى معبد « هابو » حيث رسم منظر فريد لاحدى حفلات التتويج للملك رمسيس الثالث . كما حفظ لنا معبد الملك « ساحورع » من الدولة القديمة واوراق بردى «هاريس» و «ساليه» من الدولة الحديثة شيئا كثيراً عن هذه الحفلات ، وكذلك مقابر كبار الموظفين فى القرنة (الاقصر) حفظت لنا اجمل المناظر وافخمها فيما يختص بالملك وبلاطه

لم يكن شرف رؤية الحاكم فى قاعة العرش بالأمر الهين ولم يكن يباح إلا لأفراد مخصوصين ، وكان من يحظى بذلك يتحتم عليه أن يغتسل ويلبس ملابس خاصة مطهرة . كما يجب أن يطهر فمه بغسله ومضغ مادة النطرون حتى تكون ألفاظه نقية اذا تكلم محيياً وشاكراً مولاه

وكانت تبدأ حفلات التتويج بأن يتقدم الالهان « حورس » و « ست » أو « حورس » و «تحوت» لتطهير جسد الملك بصب ماء عليه ، فاذا ماتم ذلك ارتدى ثيابه وتقدم الى حيث توجد الآلهة مجتمعة وعلى رأسهم الاله «أتوم» فيضعون على رأسه التاج الأبيض وهو رمز الوجه القبلى ثم التاج الأحمر وهو رمز الوجه البحرى ، ويسلمونه صولجانين من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة ، أحدهما على شكل عصا معقوفة كالتى يستعملها الرعاة تسمى « حق » والآخر يدعى « نخخ » وهو أيضا من الذهب المرصع يمثل شكل «فرقلة» وهما من مستلزمات مظاهر الملك . فاذا ما تم ذلك وجب على الملك أن يجرى حول الجدار — وقد اتبع هذا التقليد منذ عهد الملك « منا » أول الملوك الذين حكموا مصر (حوالى ٣٢٠٠ ق . م) إذ أنه قام بذلك عندما أسس « منف » وأعلن اتحاد المملكتين أى الدلتا والصعيد ، وأقام احتفالا بهذا كان أهم شىء فيه سعيه جريا وراء الحائط الذى أقامه ، فأصبح هذا الجرى تقليداً واجباً على كل ملك عند تتويجه ليكون ملك الأرضين كما كان يسميهما قدماء المصريين . فاذا انتهى من ذلك جلس على العرش ودخل كبار رجال الدولة من كهنة ووزراء وأمراء البلاد وكبار موظفيها ليقسموا يمين الطاعة للملك الجديد ويعلنوا رضاهم عن تتويجه ، وتعلن أسماؤه الخمسة التى اختارها وتبلغ رسمياً الى البلاد كافة بما فيها الممالك الخاضعة للحكم المصرى ليكون ذلك اعلانا بتولى الملك الجديد ، ولتكون صيغتها القسم الذى يقسم به المتقاضون

أما هذه الأسماء فهى عبارة عن اسمه وهو ولى العهد وأربعة أخرى . ولنأخذ هذه الأسماء حسب أهميتها ، وأولها مانسميه الآن «الاسم الحورى» وهو يختار على اعتبار أن الملك هو الذى يتجسد فيه الاله «حورس» الذى كان يرمز له بالصقر ، وهذا الاسم يكتب على مستطيل يعلوه رسم صقر وفى أسفله خطوط طويلة على شكل واجهة القصر . وثانى الاسماء هو الاسم «النبتى» وأطلق عليه هذا اللفظ لانه يمثل الملك الجالس على عرش الالهتين « نخبت » و « وازيت » الاهتى الشمال والجنوب ويطلق عليهما كلمة « نبتى » أى السيدتين . وثالث الاسماء ما يطلق عليه اسم « حورس الذهبى » . وهذه الاسماء الثلاثة لا تستعمل إلا فى المناسبات الكبيرة الرسمية . أما الذى يستعمل دائما فهو اللقب وهو اسم يمنحه الالهان «حورس» و « ست» للملك دلالة على أنه حاكم الأرضين، ويكتب داخل خانة ملكية يعلوه رسم نبات من فصيلة الغاب ينمو فى الماء أو على مقربة منه ويرمز به للوجه القبلى وبجانبه النحلة رمز الوجه البحرى . أما الاسم الخامس فهو الاسم الذى أطلق على الملك يوم ولادته ويكتب كذلك فى داخل خانة ملكية تحت كلمة «ابن الشمس» . والآن لنعط مثلا لذلك أسماء الملك « تحوتمس الثالث » أعظم ملوك الفراعنة الذين تولوا عرش مصر

(١) حورس ـ الثور القوى الذى يظهر فى طيبة
(٢) السيدتان ـ الثابت الملك مثل الاله «رع» فى السماء
(٣) حورس الذهبى ـ القوى المقدس التيجان
(٤) ملك مصر العليا والسفلى ـ « منخبر رع » (كيان رع خالد أبدى)
(٥) ابن الشمس ـ تحوتمس (الاله تحوت قد أنجب)

مثال من تتويج الملكات

وقبل أن ننتقل الى شىء آخر يجدر بنا أن نلقى نظرة على ما جاء بمعبد الدير البحرى خاصا بتتويج الملكة «حتشبسوت» فان أباها الملك «تحتمس الأول» لم ينجب سواها من زوجته الملكية، أى التى من العائلة، ولكنه أنجب بعض الذكور من زوجاته الأخريات. وانقسم الناس فريقين: أحدهما لا يرى من الصواب اعتلاء أنثى على العرش ويفضل أن يتولى أحد إخوتها الملك. وفريق يرى أنه رغم كونها أنثى فهى الوحيدة التى يجرى فى عروقها الدم الألهى ويجب ألا يجلس على العرش غيرها. وكان أبوها من أنصار الرأى الأخير وخاف أن يلحقه الموت فتتعرض البلاد لتطاحن الفريقين فرأى أن خير وسيلة هى أن يتنازل لها عن العرش ويرعاها بنفوذه، وقد تم له ما أراد وتولت الملك وحكمت سنين طويلة وشادت الكثير من الآثار منها معبد الدير البحرى الشهير الذى نقشت عليه قصة التتويج، وهناك نرى الملكة تقودها الالاهة «حاتحور» لتقدمها الى الاله «أتوم» الجالس على العرش حيث تركع أمامه وقد وقف الاله «تحوت» بجانبه، وتتقدم الملكة بعد ذلك الى الاله «أمون» الذى يعانقها ويقترب منها الالاهتان تحمل احداهما تاج الوجه البحرى والأخرى تاج الصعيد وبجانبهما الكلمات الآتية: «يقدم اليك التاج الاحمر الذى يلبسه الاله «رع» وستلبسين التاج المزدوج وتحكمين الأرضين باسمه. يقدم اليك التاج الابيض العظيم على معزتك وستحكمين البلاد بسنائه واسمه»

يلى ذلك منحها الاسماء ونقشها واعلانها. وبعد ذلك نرى الملكة جالسة على عرشها وعلى رأسها التاج المزدوج وقد وقف خلفها أربعة آلهة يمثلون الجهات الأربع كما وقف الأله «تحوت» كاتم أسرار الآلهة واله العلم والفنون تعاونه الالاهة «سفخت» لتدوين ما يجرى وبذلك تكون الحفلة الدينية قد انتهت. وتبدأ مناظر حفلة أخرى هى بيت القصيد، إذ نرى الملك «تحوتمس» الأول جالسا على عرشه وقد وقفت أمامه ابنته ووقف فى الجانب الآخر ثلاثة صفوف من الرجال ونقش على الجدار نص طويل يبدأ بكلام عذب موجه الى ابنته مشيداً بحكمتها وعزمها ويدعوها لتولى الملك ثم يتوجه بعد ذلك بالحديث الى المجتمعين قائلا لهم: «... انها خليفتى على العرش وستجلس عليه دون منازع. ستحكم فى كل مكان فى القصر وهى التى ستأمر فيكم وعليكم أن تهتفوا باسمها

وتجتمعوا عند طلبها . ان من يقدم لها الطاعة سيحيا . أما من يخوض فى الحديث عنها بسوء فجزاؤه الموت » . فاذا ما انتهى من كلامه تقدم كبار رجال الدولة يتبعهم النبلاء وممثلو الشعب وبعد أن قبلوا الأرض أمامه مدحوا الملك وابنته ورضوا بها حاكما عليهم . وعاهدوا أباها على الاخلاص لها . فاذا ما انتهوا أمر الملك باحضار الكهنة لتلاوة الاسماء التى اختارتها وبعد اعلانها تم التتويج العلني وتبع ذلك بعض المراسيم الدينية منها جريها حول الحائط رمزا إلى حائط «منفيس»

ويقتضى التتويج أن يذهب الملك الى معبد الشمس بهليوبوليس ليتوجه هناك أيضاً الاله « رع » وقد قامت الملكة «حتشبسوت» بهذه الرحلة مع أبيها مرة قبل تتويجها فى طيبة فلم يكن ثمة داع لاعادة ذلك

نترك الآن الدير البحرى الى مدينة « هابو » لنرى الملك « رمسيس الثالث » فى منظر ليس هناك شك فى أنه احدى الحفلات التى تقام لتتويج الملك فى عيد إله الخصب والتناسل « مين » فى شهر بشنس ، إذ نرى الملك جالسا على كرسى فوق محفة يحملها أبناؤه كما مشى بعضهم يحمل المراوح، وقد مشى أمامه كاهنان معهما المباخر يعطران الجو أمام موكبه ، وأمام هذين مشى رئيس الكهنة يقرأ من ملف معه ، ويتقدم الموكب عدد كبير من الأمراء والحكام يتقدمهم ضارب على الطبل ونافخ فى مزمار ، ومشى الموكب وراء الجنود . وبينما هـذا الموكب يتقدم الى داخل المعبد يأتى لمقابلته موكب آخر لا يقل عنه بهاء وهو موكب الاله «مين» حيث يحمل الكهنة تمثاله ليقابل الملك القادم، فاذا ما تقابل الموكبان أطلق أربعة كهنة طيورا أربعاً لكي يطير كل منها فى ناحية من الجهات الأربع لكى يخبر آلهة كل منها « أن حورس بن ايزيس وابن أوزوريس قد لبس التاج الأبيض والتاج الأحمر ، وأن الملك رمسيس لبس التاج الأبيض والتاج الأحمر »

وفى أيام الامبراطورية المصرية أى فى الأسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م) كان يجرى تقليد وهو أن يجمع حاكم كل مستعمرة مصرية أبناء البلاد الى حفل رسمى يعلن فيه تأييد الملك الجديد وتتلى أسماؤه وتقام له الصلوات ، وبعد أن تستقر الأمور فى نصابها يأتى كل حاكم مع أمراء بلاده الى مقر الملك محملين بالهدايا وخيرات بلادهم ليتشرفوا بتقديم ولائهم وخضوعهم للجالس على عرش الفراعنة

أبهة حفلات التتويج

كانت حفلات تتويج قدماء المصريين بالغة أكبر حد من الأبهة والرواء ، ولم تكن تقتصر فقط على اجراء الطقوس الدينية التى كانت تحتمها تقاليد آلاف السنين والتى كان يشترك فيها كهنة المعابد ، بل كانت تشمل حضور كبار رجال المملكة ليبايعوا الملك الجديد ويأتى حكام البلاد الخاضعة للنفوذ المصرى على رأس أمراء اقاليمهم ليقدموا خضوعهم وولاءهم . وكانت الهبات والصدقات

توزع بسخاء على افراد الشعب كما كان يفرج عن المسجونين ليكمل سرور اهليهم وسرورهم . وكانت النساء يخرجن راقصات مغنيات بعد ان يرتدين اجمل الحلل مما كان يزيد فى بهاء يوم التتويج

ومع أن التتويج يتبع عادة وفاة أحد الملوك فان الحاكم الجديد لا يقتصد فى جعل حفلات التتويج فخمة بهيجة ، فعند وفاة الملك رمسيس الثانى وهو من أعظم الملوك الذين حكموا مصر تولى ابنه « منفتاح » وقد حفظت لنا إحدى أوراق البردى « ساليه » تحية لاعتلائه العرش جاء فيها : « افرحى أيتها البلاد فقد جاء وقتك السعيد . لقد عين مليك فى الأرض كلها وشهدت مكانه الناس » الى أن جاء فيها : « لقد كثر الماء ولم ينقص وزاد فيضان النيل . زاد النهار وقصر الليل ، وأتت الشهور فى أوقاتها ، ورضى الآلهة وأصبحوا سعداء ، وهكذا نصرف الحياة في سرور ودهشة »

ولعل خير ما نختم به هذا البحث هو ما قيل يوم تتويج الملك رمسيس الرابع ، وقد وصل الينا مكتوبا على لخاف من الحجر موجود الآن في متحف « تورين » وفيه يعبر كاتبه أصدق تعبير عن سرور الشعب بيوم اقترن فيه تولى مليكهم بتوزيع الهبات والصدقات والافراج عن المسجونين ، وكيف خرج الجميع يحيون ذلك اليوم وينشدون الأغانى :

« ما أسعده من يوم ! ان السماء والأرض تسعدان لأنك سيد مصر العظيم . من كان هاربا عاد لبلده ، ومن كان مختبئا عاد للظهور ، ومن كان جائعا شبع وصار سعيداً ، ومن كان ظامئاً ارتوى ، ومن كان عاريا أصبح يرفل فى أجمل حلل التيل ، ومن كان قذراً صار يلبس الملابس البيضاء . لقد أفرج عمن فى السجون وامتلأت بالسرور قلوب الذين كانوا فى الأصفاد . لقد تصالح المتخاصمون وجاء النيل فياضا من منابعه ليدخل السرور على قلوب الناس . ترك الأرامل منازلهن مفتوحة لكى يطرقها عابر السبيل ، وسارت العذارى طربات يغنين أغانى السرور يرفلن فى حللهن ويغنين :

« . . . انه يخلق جيلا بعد جيل . أيها الملك كتبت لك الحياة الى الأبد »

احمد فخرى

كبير مفتشى آثار مصر الوسطى

رسوم التولية والتتويج
في ظل الدولة المصرية الاسلامية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

نشأة الملوكية المستقلة فى مصر ـ التولية أيام الفاطميين ـ العرش والتاج والصولجان
الخلافة العباسية تشرف اشرافا أدبيا ـ وثائق تفويض الخلفاء لسلاطين
مصر ـ تبسيط رسوم التولية فى عهد المماليك ـ رجال الدين والتتويج

حينما يصدر هـذا العدد من « الهلال » يكون جلالة الملك فاروق ملك مصر قد بلغ رشده الدستوري وافتتح عهده السعيد بصفة رسمية وأخذ يباشر المهمة الخطيرة التى ألقاها القدر اليه

وبجلوس الملك فاروق على عرش مصر المستقلة تستأنف الملوكية سيرها الذى انقطع منذ الفتح العثمانى لمصر فى سنة ١٥١٧ م أعني منذ أكثر من أربعة قرون، واستؤنف بصورة محدودة فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول حينما اتخذ لقب الملك على أثر تصريح فبراير البريطانى باستقلال مصر فى سنة ١٩٢٢

ويتبوأ جلالة الملك الشاب عرشاً من أعرق العروش . فعرش مصر الحديثة هو عرش السلاطين ، وهو عرش الخلفاء المؤثل الذى لبث عصوراً طويلة رمزاً باهراً لمصر الاسلامية ، ولبث قرونا يسطع بين العروش القوية العظيمة . واذا كان للملوكية المصرية الاسلامية تاريخ مجيد امتد زهاء ستة قرون فان لها تراثا حافلا من الرسوم والتقاليد الملوكية الفخمة . وللعروش المؤثلة رسوم وتقاليد خاصة تتناقلها الاجيال عصراً بعد عصر . وقد رأينا كيف أحيطت حفلات التتويج البريطانى بكثير من الرسوم القديمة التى يرجع بعضها الى عدة قرون . ومن ثم فقد يكون من الشائق بهذه المناسبة السعيدة التى يتبوأ فيها مليكنا الشاب عرش مصر بصفة رسمية ، أن نعرف طرفاً من الرسوم والاجراءات التى كانت تتبع فى جلوس الخلفاء والسلاطين

***

نشأت الملوكية المستقلة فى مصر الاسلامية فى أواخر القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر الميلادى) حينما قامت الدولة الفاطمية بمصر . وكانت مصر قد شهدت قبل ذلك فى عهد الدولتين الطولونية والأخشيدية نوعا من الامارة المستقلة فى ظل الخلافة الاسمى ، ولكن دون تقاليد ملوكية راسخة . ومذ قامت الخلافة الفاطمية بمصر تسير الملوكية المصرية فى طريق الاستقرار والتوطد ،

ويتعاقب على عرش مصر عدة من الدول والأسر الملوكية ، ويغدو عرش الخلفاء والسلاطين رمزاً لمصر المستقلة حتى الفتح العثمانى فى سنة ١٥١٧ م

وكانت الدولة الفاطمية تجنح فى رسومها الى الفخامة والطرافة والبذخ ، وكان الخليفة الفاطمى يتبوأ العرش الخلافى فى فيض من الرسوم والمواكب الباذخة . وتقع تولية الخليفة الجديد عقب وفاة سلفه مباشرة ، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون الخليفة الجديد حدثاً أو رشيداً ، ويقع هذا الاجراء الأول بالقصر أو حيث كانت وفاة الخليفة الذاهب ، ويتولاه أعظم رجال القصر نفوذاً أو قاضى القضاة . ثم تعقد رسوم البيعة بعد ذلك فى ايوان القصر الكبير (أو فى قاعة الذهب فيما بعد) بحضور قاضى القضاة وأكابر رجال الدولة والجيش وأعضاء الأسرة الفاطمية . ويبدأ بأخذ البيعة للخليفة الجديد قاضى القضاة وأعضاء الاسرة وأكابر رجال الدولة والقصر ، ويسلمون عليه بسلام الخلافة ثم يقبلون الارض بين يديه . واذا وافق جلوس الخليفة يوم عيد أو يوم جمعة خرج الخليفة بعد البيعة للصلاة فى جامع الحاكم أو الجامع الأزهر فى موكبه الفخم ، وعلى رأسه المظلة ومن حوله الأكابر والجند ، ثم يكتب الديوان بولاية الخليفة الجديد الى سائر الأنحاء

وكانت مواكب الخليفة الفاطمى آية فى الفخامة والرونق والبهاء ، وكان للعرش الفاطمى عدة من الذخائر والآلات الملوكية الباذخة ، من ذلك سرير الملك أو العرش الذى يجلس عليه الخليفة يوم توليته ثم بعد ذلك فى المواكب والاستقبالات الرسمية ، وهو من الذهب الخالص وعليه مرتبة مطرزة بالذهب أيضا . وكان العرش قائما فى الايوان الكبير حتى عصر الخليفة الآمر، ثم نقل بعد ذلك الى قاعة الذهب وهى من أبهاء القصر العظيمة أيضا ، ومنها تاج الخليفة أو التاج الشريف وهو الذى يضعه الخليفة على رأسه فى المواكب والايام العظيمة وبه جوهرة رائعة تعرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم ، وقضيب الملك وهو عود طوله شبر ونصف شبر ملبس بالذهب ومرصع بالجواهر يحمله الخليفة فى المواكب العظام ، والسيف الخاص يحمله أحد أمراء القصر عند ركوب الخليفة ، ومنها المظلة التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه ، والرمح ، والدواة ، والدرقة ، والحافر ، وهو قطعة من ياقوت أحمر فى شكل الهلال تحمل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه ، ومنها الاعلام والبنود والسلاح الخاص

* * *

ولما سقطت الدولة الفاطمية واستبد صلاح الدين بملك مصر قطع الدعوة الفاطمية وأعاد الدعوة العباسية . وكانت الملوكية المصرية في عهد الدولة الأيوبية مع احتفاظها باستقلالها تنضوى من الوجهة الروحية تحت لواء الخلافة العباسية . وكان الخليفة العباسى يشترك من الوجهة الشكلية فى تولية ملوك بنى أيوب . وكانت تولية السلطان الجديد تجرى أولا على الرسوم المعتادة بالقصر الملكى ، ثم يرسل الخليفة رسوله من بغداد الى القاهرة يحمل (التشريف) أو خلع التولية للسلطان،

وهى عبارة عن جبة من أطلس اسود بطراز مذهب وطوق من ذهب يجعله السلطان فى عنقه وسوارين من ذهب يجعلان فى يديه ، وسيف غمده من الذهب ، وفرس بمركب من ذهب ، وعلم أسود مكتوب عليه اسم الخليفة ينشر على رأسه . فاذا وصل رسول الخليفة لبس السلطان الخلعة وتقلد السيف وركب الفرس وسار فى موكبه فى شوارع القاهرة على ترتيب معلوم حتى يصل الى القصر الملكى . وقد بدىء بهذا الاجراء فى الدولة الأيوبية منذ السلطان صلاح الدين نفسه إذ بعث اليه الخليفة المستنصر بأمر الله العباسى بالتشريف حسبما تقدم . وأحيانا يقترن التشريف بخلع اخرى يبعث بها الخليفة الى الوزير أو بعض أقارب السلطان

وكانت مراسيم التوليـة فى الدولة الأيوبية تجرى أولا بدار الوزارة الكبرى التى اتخذها صلاح الدين منزلا له دون القصر الفاطمى ، ولبثت منزل ملوك بنى أيوب حتى انتقل الملك الكامل الى قلعة الجبل التى أنشأها صلاح الدين (سنة ٦١٥ هـ) وصارت القلعة منـذ ذلك الحين منزلا لسلاطين مصر . وكانت الدولة الأيوبية أكثر بساطة فى مراسيمها ومواكبها من الدولة الفاطمية . وكانت ذخائرها الملوكية أقل فخامة وروتقا ، فكان لها العرش (سرير الملك) دون التاج ، والمظلة والاعلام ولا سيما السناجق وهى أعلام صغيرة صفراء كانت تحمل على رأس السلطان وهى من خواص هذه الدولة و « الطبلخاناه » وهى موسيق القصر ، وغيرها من الذخائر الملوكية المعتادة

***

وفى عهد دولة المماليك البحرية وريثة الدولة الأيوبية تتخذ مراسيم التولية صوراً أخرى وتدخل فيها عناصر جديدة ، وكانت تجرى بمنتهى البساطة ، إذ يجلس الملك يوم قيامه فى السلطنة على سرير الملك فى حفل يضم أمراء الجند ورجال الدولة ، فيقبلون الأرض بين يديه ويقسمون له يمين الطاعة ، وألا يخونوا ولا يغدروا به ، ولا يخرجوا عليه ، ويقع الحلف بذلك على القرآن الكريم . ثم يشق الملك الجديد القاهرة ماراً بباب النصر ويعلن المنادى الشعب بتوليته ، وأن يدعو له بالنصر . وفى عهد الظاهر بيبرس رابع ملوك هذه الأسرة وفد على القاهرة من بغداد شخص زعم أنه سليل بنى العباس ، فاستقبله السلطان بالترحاب وأصدر مرسوما بثبوت نسبه وأعلن قيـام الخلافة العباسية بمصر بعد سقوطها فى بغداد (سنة ٦٥٨ هـ) وبايع الخليفة الجديد السلطان بالملك ، وقلده الخلع التى اعتاد أسلافه الخلفاء ان يبعثوا بها الى سلطان مصر ، واصدر اليه تفويضا بحكم البلاد الاسلامية وما سيفتحه الله من بلاد الكفر ، وفوضه فى سائر امورها وشئونها ، ودعى للخليفة الجديد بسائر الديار المصرية ونقش اسمه فى السكة . ومن ذلك الحين يتوارث عقب هذا المدعى لقب الخلافة بمصر حتى الفتح العثمانى ، ويتولون تقليد السلاطين والبيعة لهم . بيد أن قيام الخلافة على هذا النحو لم يكن سوى اجراء شكلى فقط ولم يكن للخليفة اى نفوذ فعلى سياسى او دينى

وقد انتهت الينا بعض وثائق التفويض التى كان يصدرها أولئك الخلفاء لسلاطين مصر ، ومنها

تقليد صدر من الخليفة للسلطان قلاوون الصالحى سنة ٦٧٨ هـ وهو من انشاء الكاتب الأشهر محي الدين عبد الظاهر ، وقد وردت فيه صيغة التفويض بعد الديباجة على النحو الآتى :

« وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله تعالى أن يكون المقر العالى المولوى السلطانى الملكي المنصورى ، أجله الله ونصره وأظفره وأقدره وأيده وأبده ، كما فوضه مولانا أمير المؤمنين من حكم فى الوجود وفى البهائم والنجود وفى الجيوش والجنود ، وفى الخزائن والمدائن وفى الظواهر والبواطن ، وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه ، وفيما فسد بالكفر والرجاء من الله انه سيصلحه ، وفى كل جود ومن وكل عطاء ، وفى كل هبة وتمليك ، وفى كل تفرد بالنظر فى أمور المسلمين بغير شريك ، وفى كل تعاهد ونبذ وفى كل عطاء وأخذ ، وفى كل عزل وتولية وفى كل تسليم وتخلية ، وفى كل ارفاق وانفاق وفى كل انعام واطلاق ، وفى كل استرقاق واعتاق ، وفى كل تقليل وتكثير وفى كل تأثيل وتأثير ، وفى كل تقليد وتفويض ، وفى كل تجديد وتعويض وفى كل حمد وتقريض ، ولاية تامة محكمة منضدة منظمة لا يعقبها فسخ من خلفها ولا من بين يديها ولا يعتريها نسخ يطرأ عليها ، يزيدها مر الليالى جدة يعقبها حسن شباب ، ولا ينتهى عن الاعوام والاحقاب . . . » الخ

وكان التتويج فى هذه الدولة يحتفل به على النحو الآتى : يجتمع القضاة والأمراء بالقلعة بدار العدل ويجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت (العرش) وعليه خلعة خضراء وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض ثم يخرج السلطان من القصر الى الايوان فيحييه الحضور وقوفا ، ويجلس على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة وعندئذ يوصيه الخليفة بالرفق بالرعية واقامة الحق وتأييد شعائر الاسلام ونصرة الدين ، ثم يفوض اليه جميع أمور المسلمين بصيغة معلومة ويقدم اليه خلعة سوداء وعمامة سوداء فيلبسها السلطان ، ويقلده السيف ، ثم يأتى بعهد التفويض فيتلوه القاضى ثم يتناوله الخليفة بعد ذلك ويصادق عليه ويوقعه ثم يوقعه القضاة الأربعة بعد ذلك ، ويعقب ذلك السماط السلطانى . ويخرج الموكب السلطانى بعد ذلك وعلى رأسه السلطان لابساً الخلعة الخلافية ومن حوله الأمراء والجند ويشق القاهرة ثم يعود الى القصر

***

واستمرت رسوم التتويج على هذا المنوال فى دولة السلاطين الشراكسة مع تحوير بسيط فى الاجراءات وجنوح الى الفخامة القديمة . بيد انه يلاحظ أن نفوذ القضاة والعلماء يشتد فى هذه الفترة ويغدو عاملا حاسما فى تتويج السلاطين وخلعهم . وهؤلاء هم القضاة الأربعة وأكابر العلماء يمثلهم شيخهم أو شيخ الاسلام . وكان نفوذهم فى ذلك يرجح أحيانا نفوذ الأمراء والجند ، واذا كان السلطان حدثاً فان شيخ الاسلام هو الذى يقرر بلوغه الرشد كما حدث حين تولية الملك الناصر فرج ثاني ملوك الشراكسة (سنة ٨٠١ هـ) فان شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى هو الذى تولى هذا الاجراء . وأحيانا يتولى شيخ الاسلام اختيار اللقب الذى يلقب به السلطان

الجديد . هـذا مع حضور الخليفة العباسى حفل التتويج دائما وتقليده للسلطان تفويض الملك على النحو الذى أسلفناه

هذه خلاصة من رسوم البيعة والتتويج فى ظل الدول الاسلامية بمصر . وقد افتتح الترك العثمانيون مصر سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) وسقطت الملوكية المصرية العريقة بعد ان عمرت زهاء ستة قرون

* * *

ونستطيع أن نختم بالاشارة الى المنظر الشعبى الباهر الذى اقترنت به ولاية محمد على حكم مصر ، والذى يصفه لنا الجبرتى مؤرخ العصر ، فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ هـ (١٣ مايو سنة ١٨٠٥ م) اجتمع زعماء الشعب المصرى ونوابه بدار المحكمة وقر رأيهم على عزل خورشيد باشا الوالى التركى بعد ان رفض مطالبهم التى رأوها كفيلة باعادة النظام والأمن . وعلى اختيار محمد على والياً على مصر مكانه . ثم ذهبوا فى نفس اليوم الى دار محمد على وأبلغوه قرارهم وتمسكوا باختياره للولاية ، فقبل محمد على عرضهم ، وتقدم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والشيخ الشرقاوى كبير العلماء وألبساه خلعة الولاية. وكان هذا الاجراء الشعبى البسيط الرائع معا خاتمة الحكم التركى بمصر . وبدأ عصر جديد من الاستقلال المصرى ، ومع أن هذه التولية لم تكن تولية ملوكية بالمعنى الحقيقى فانها كانت بيعة من الشعب المصرى لأميره الجديد ، وكانت فى الوقت نفسه دليلا جديداً على ما لكلمة الشعب وزعمائه المختارين من اثر حاسم فى مصاير الولاية والحكم

محمد عبد الله عنان



الجنرال سيكورسكى من أقطاب رجال العسكرية فى بولونيا ومن كبار الاخصائيين فى فنون الحرب . وقد كان فيما مضى رئيساً للوزارة ثم وزيراً للحربية ، واليه يرجع الفضل فى ادخال شتى الاصلاحات الجديدة على نظام الجيش البولونى . ومن المؤلفات الحربية التى اشتهر بها الجنرال كتابه « الحرب المقبلة » الذى ترجم الى مختلف اللغات ، وصدره الماريشال بيتان بمقدمة رائعة

الحرب المقبلة

للجنرال سيكورسكى البولونى

عرض وتحليل بقلم الاستاذ ابراهيم المصرى

يلوح لبعض المفكرين الخياليين أن أوربا لابد أن تفكر طويلا قبل الاقدام على حرب جديدة ، وأن أهوال الحرب الماضية التى ما تزال عالقة بالأذهان سترغم الساسة وأقطاب الدول الكبرى على التردد والاحجام ، وعلى استخدام جميع الوسائل السلمية لمنع الحرب ، وعلى تقدير قوى الرأى العام والحذر من تقلبات الجماهير ، والخوف من الانقلابات الثورية التى يمكن أن تحدث بين الشعوب التى تخرج منهزمة من الحرب المقبلة على نحو ما وقع فى الماضى لروسيا وألمانيا

هذا ما يعتقده البعض ، ولكن الحقيقة غير ذلك . فما دامت أوربا منقسمة الى معسكرين وما دامت النزعة الوطنية الاستعمارية سائدة فى ألمانيا وايطاليا ، فما لا شك فيه أن الحرب واقعة ولو بعد سنوات

ان ايطاليا لم تقنع باستيلائها على الحبشة وها هى تتدخل فى الحرب الاهلية الاسبانية وترمى الى التحالف مع اسبانيا الثائرة كى تستطيع استخدام المحطات البحرية الاسبانية ذات الأهمية العظيمة لبسط السيادة الايطالية على البحر الابيض المتوسط

وها هى ألمانيا لم تقنع بالاجزاء التى هدمتها من معاهدة فرساي ولا باستيلائها على منطقة الرين التى كانت بموجب تلك المعاهدة مجردة من السلاح ، بل طالبت وما تزال تطالب برد مستعمراتها القديمة اليها ، ثم هى فوق ذلك تتدخل فى الحرب الاسبانية وتمون الثوار الاسبان بشتى أنواع السلاح وتبذل قصاراها لوضع يدها على بعض مناجم اسبانيا وبسط نفوذها على جزائر الكنارى

وإذن فايطاليا وألمانيا تعتبران الوضع الأوربى الحاضر وضعاً موقتا وتسعى كل منهما بكل ما أوتيت من مهارة سياسية وقوة حربية لتبديل ذلك الوضع وتوسيع ممتلكاتهما تارة بحجة

تطهير أوربا وانقاذ حضارتها من المبادىء الشيوعية وأخرى بحجة كثرة المواليد وضيق مساحة الارض وشدة الحاجة الى المواد الأولى

تجاه هاتين الدولتين الفاشستيتين تنهض انجلترا الديموقراطية وفرنسا الديموقراطية وتحاولان الدفاع عن الوضع الأوربى الحاضر والذود عن النظام الديموقراطى والحرص على أمبراطوريتيهما والتأهب جهد الطاقة للدفاع المسلح عن سياستهما عند الاقتضاء

فهذه العوامل كلها تجعل الحرب الأوربية المقبلة محتملة الوقوع على الرغم من سيادة فكرة السلام وانتشار عاطفة الكراهية للحرب بين شعوب الدول الديموقراطية

وعليه فأى طابع ستتخذه هذه الحرب الجديدة ؟ وما هى الأنظمة التى ستقوم عليها ؟ وما هى الأساليب التى ستستخدم فيها ؟

هذا هو موضوع كتاب الجنرال سيكورسكي واليك خلاصته :

الجيش الالمانى وحرب الدفاع

يعتقد الجنرال سيكورسكى أن ألمانيا النازية مستعدة لاستخدام جميع الوسائل التى تردها أمبراطورية عظيمة كما كانت وتغسل عار الهزيمة التى لحقت بها فى الحرب الماضية

ويرى الجنرال أن فى وسع ألمانيا إذا ما أعلنت الحرب أن تلقى فى ميدان القتال ٦٠٠ ألف جندى مزودين بـ ٢٥٠٠ طائرة للقيام بهجوم ساحق فظيع يعرقل حركات العدو ويشل قواه . وفى وسع ألمانيا أن تعبىء جيشاً آخر لا يقل عدده عن الاول ويناط به أمر المحافظة على حدود الريخ وتأييد الجيش الأول فى عمله . هذا الى جانب تعبئة جميع قوى الدولة ووضعها تحت تصرف القيادة الحربية العليا

أمام هذه القوى الهائلة يبدو بشكل واضح عجز الدول الديموقراطية عن المقاومة

وسر هذا العجز يرجع الى أن جيوش هذه الدول تدرب على وسائل الدفاع أكثر مما تدرب على طرائق الهجوم . وتزود بأسلحة تصلح للدفاع أكثر مما تصلح للهجوم . والدليل على ذلك أن فرنسا لم تفطن الى هذا النقص إلا أخيراً ، فأسرعت تنشىء فرقا جديدة للهجوم مزودة بالسيارات السريعة والمعدات الميكانيكية الحديثة التى تفوقت فيها ألمانيا والتى لابد من توافرها فى كل جيش مهاجم فى الحرب المقبلة

ومن رأى الجنرال سيكورسكى أن الدول الديموقراطية أهملت العناية بقوة الجيش المهاجم لفرط تعلقها بالسلم واعتقادها انها لن تبدأ بالهجوم وانها ستقف موقف المدافع على الدوام. ولكن الحرب الدفاعية المجردة أصبحت وهماً من الأوهام فى نظر الجنرال البولونى الذى يقول بأن السرعة

فى الهجوم والمباغتة فى الانقضاض واعداد الجيش برمته للحرب العملية ذات الطابع الهجومى ، هى القوى التى لابد من انمائها فى كل جيش يطمح للنصر في الحرب المقبلة

فلكى يتحقق النصر المنشود يجب أن يستوفى الجيش الشروط الآتية :

أولا - يجب ألا تقتصر مهمة الفرق المهاجمة على الهجوم فقط بل يجب أن تقوم فوق ذلك هى نفسها بتدريب الاحتياطى على الحرب العملية أى على وسائل الهجوم

ثانيا - يجب أن يزود الجيش بطبقة ممتازة من الرجال العسكريين المحترفين ومن كبار الاخصائيين فى فنون الميكانيكا

ثالثا - يجب أن لا يضيع الوقت فى تدريب الجندى على استخدام شتى الأسلحة بل يجب أن يدرب فقط على حسن استخدام سلاحه الخاص إلى أقصى حد مستطاع

رابعا - يجب أن يدرب سلاح الطيران وسلاح السيارات والدبابات والسيارات المزودة بالمدافع على الحرب العملية الهجومية فى مناورات مطردة تنوع بتنوع الخطط

خامسا - اذا اضطرت الدولة الى دعوة فريق جديد من صغار المجندين واقتضت الظروف سرعة تمرين هذا الفريق الجديد فيجب والحالة هذه تدريب أفراده الشبان على أعمال المدفعية قبل إلحاقهم بالجيش العامل . وهذا النظام متبع منذ الآن فى روسيا وألمانيا وايطاليا . أما فى فرنسا فما يزال وقفا على بعض أجزاء من الاحتياطى فقط ولم يفرض بعد على الشبان فى حين أن تدريبهم عليه من الأهمية بمكان عظيم نظراً لقيمة المدفعية فى حرب الهجوم المقبلة

هذه الشروط الخمسة لابد من توافرها فى الجيش القوى المعد لأهوال الحرب القادمة . ولقد فطنت الى بعضها الدول الديكتاتورية وفى طليعتها ألمانيا . ثم تنبهت الدول الديموقراطية أخيراً الى أهميتها ، ولكن هذه الدول لن تستطيع وقف تيار الهجوم النازى والفاشستى إلا إذا وحدت خططها العسكرية وتأهبت هى الأخرى الى حرب الهجوم أيضا لا الى حرب الدفاع فقط

ومن المهم أن نذكر أن الحصون بالغة ما بلغت من المتانة والعظمة لا يمكن أن تعتبر ضمانة كافية لرد المعتدى وإلحاق الهزيمة به . ان الحصون ذات فائدة كبيرة لحماية البلاد أثناء التعبئة . ولكنها تصبح عديمة القيمة متى تمت هذه التعبئة . وعندئذ لابد أن ينقلب الدفاع الى هجوم كى يسحق العدو . مع ملاحظة أن الهجوم لن يكلل بنجاح سريع إلا إذا استغرق الدفاع أقل مدة ممكنة

ولكن الخطر كل الخطر هو القيام بالهجوم بواسطة جيش من الاحتياطى لم يتم تدريبه أو بواسطة عدة جيوش تنتمى الى عدة دول ولا تخضع لقيادة موحدة كما حدث فى الحرب الماضية قبل تعيين المارشال فوش قائداً أعلى

مهمة سلاح الطيران

يغالى البعض فى قيمة سلاح الطيران فى الحرب المقبلة ويعتقد أنه هو الذى سيفصل فى نتيجتها . ولكن الجنرال سيكورسكى يرى أن الفصل فى الحرب سيكون من عمل المشاة . وأما الطيران فى الحرب القادمة فينبغى أن ينحصر فى الاعمال الآتية كى يقوم بدوره العظيم :

أولا — يجب أن يستخدم سلاح الطيران فى تمهيد وتغطية وتعزيز الهجوم الذى يقوم به الجيش بواسطة الدبابات والوحدات الميكانيكية

ثانيا — يجب أن يستخدم سلاح الطيران عند الدفاع فى عرقلة هجمات العدو واصابة مراكزه الأولى التى يندفع منها

ثالثا — يجب أن يعاون سلاح الطيران المدفعية الثقيلة ذات الأهداف البعيدة معاونة وثيقة تامة

رابعا — يجب أن تناط بسلاح الطيران مهمة الاستكشاف وإلقاء الضوء على مواطن العدو واصابته فى مراكزه الحيوية

وإذن فلا بد للدولة الراغبة فى النصر من الحصول على السيادة المطلقة فى الجو وإلا ضاعت أعمال المشاة ودبت الفوضى بين السكان المدنيين وانحطت الروح المعنوية العامة وأصاب الفشل كل هجوم

الحرب الكيمياوية الجوية

تستنكر الدول الحرب الكيميائية الجوية أو الغازات التى تنفجر من قنابل تطلقها الطائرات على السكان المدنيين من شيوخ ونساء وأطفال

تستنكر الدول هذه الحرب ولكنها محتملة الوقوع أيضا وقد يلجأ اليها فى الحرب المقبلة . والواقع أنه منذ اليوم الذى رفضت فيه انجلترا وألمانيا والولايات المتحدة وهولندا وأسوج توقيع عقوبات عملية مشتركة على الدولة التى تلجأ الى الحرب الكيمياوية ، أصبحت هذه الحرب سلاحا قد تستخدمه الدولة اليائسة غير مكترثة

ويعتقد الجنرال سيكورسكى أن الأقنعة الواقية من الغازات ومختلف ضروب المقاومة الحديثة لا تعود بالنفع الكبير حيال الحرب الكيمياوية ومخاطرها إلا اذا كانت الدولة المدافعة متمتعة بالسيادة المطلقة على الجو ، لأن هذه السيادة وحدها هى التى تمكنها من اتلاف طائرات العدو وحماية السكان المدنيين

تعبئة الأمة

ان الحرب العصرية نظراً لما تستخدمه من أدوات كثيرة العدد تتطلب تعبئة جميع قوى الأمة، أى جميع القوى الاقتصادية والعسكرية

ولا شك أن السرعة فى هذه التعبئة ومسابقة العدو إلى تحقيقها، من أهم أسباب الفوز لأن فى مقدور العدو أن يهاجم الدولة أثناء عملية التعبئة مغتنما فرصة تباطئها

ومن جهة أخرى فالجيش العصرى يستهلك كمية هائلة من المؤونة والذخيرة وكلما اشتد الاستهلاك نقصت الكميات المخزونة فى زمن السلم

فمن الواضح والحالة هذه أن الدول ذات الرقى الصناعى ستجد نفسها مميزة عن الدول الأخرى. ولذلك يتحتم على الدول الفقيرة فى انتاجها الصناعى أن تدخر فى زمن السلم أكبر كمية ممكنة من المؤونة والذخائر والمواد الأولى

وليس شك فى أن ضمان سرعة التعبئة الاقتصادية والعسكرية وتوفير المخزون جهد الطاقة هما من العوامل الفعالة فى تقرير مصير الحرب المقبلة

دور المباغتة فى حرب الهجوم

لا بد أن يقوم عنصر المباغتة بدور رئيسى فى فترات الهجوم فى الحرب المقبلة

وتنحصر أهمية المباغتة فى ترك العدو مدة طويلة يتخبط فى قلقه وحيرته جاهلا كل الجهل بالمنطقة التى يمكن أن يقع فيها الهجوم كى يؤخذ على غرة ولا يستخدم الوقت فى تعزيز تلك المنطقة بجلب قوة كبيرة من احتياطى الجيش اليها

أما الهجوم نفسه فينبغى ان تقوم به فرق مزودة بالسيارات الميكانيكية والدبابات المصفحة الثقيلة فتحاول ما استطاعت شطر جبهة العدو وإيقاع الرعب فى صفوفه وشل حركات التئامها واحداث ثغرة تنفذ منها الدبابات الخفيفة وفرق الفرسان وتجتهد فى توسيعها واستغلالها ثم يتقدم الجيش بسرعة متناهية منتهزاً فرصة ارتباك العدو وذهوله متجهاً نحو الاهداف التى رسمت له

وأما الوحدات العسكرية التى عهدت اليها مهمة شطر العدو فيجب عند انتهائها من تأدية هذه المهمة أن تتجمع على عجل وتسرع الى نقطة أخرى من جبهة العدو لتحاول القيام فيها بنفس العمل ابتغاء اضعاف الروح المعنوية فى الجيش وضعضعة الجبهة كلها

وفى وسع الجيش المهاجم أن يضيف الى قوته عاملا آخر لا يقل أهمية عن عامل المباغتة. وذلك بأن يستخدم سلاحا جديداً مجهولا من العدو. وهكذا يضع خصمه أمام حالة طارئة لم يكن مهيئاً لها

ويعتبر الألمان أمهر الناس فى إيجاد هذه الحالات ، ولقد أوجدوها بالفعل فى الحرب الماضية ، ولا ريب فى أن عبقريتهم العلمية ستدفعهم فى الحرب الآتية الى البحث عن عامل المباغتة فى السلاح الجوى الكيمياوى الخطير وفى ابتكار نوع جديد منه لم يكن فى الحسبان

صور شاملة للحرب المقبلة

وصفوة القول أن الحرب المقبلة ستكون حرب هجوم مفاجىء سريع ، حربا ميكانيكية شاملة ترمى الى سحق العدو سحقا تاما وتدمير بلاده تدميرا مروعا، بحيث اذا تعذر على الدولة المعتدى عليها أن تدافع عن نفسها دفاعا سريعا وافيا ثم تنقلب الى هجوم حاسم بأسلحة كاملة فعالة ، أصبحت نتيجة الحرب الموت المحقق لها

هذه النتيجة المحتومة التى يعرفها الجميع هى التى تخيف الآن كل أمم أوربا وهى التى تجبر الدول المشاكسة على التردد والتفكير قبل الاقدام على عمل طائش ، وهى التى تخلق الجو السياسى الغريب الذى نعيش فيه والذى لا نلبث أن نراه قد تلبد واكفهر حتى نبصر على الفور من خلال غيومه بصيص الحكمة والنور

ومع ذلك فما دامت أوربا منقسمة الى معسكرين ، وما دام بعض ذوى المطامع الاستعمارية يدعون الى حرب صليبية جديدة بين الفاشية والشيوعية ، وما دامت هناك دول تحاول أن تغير الوضع الأوربى الحاضر لمصلحتها ، وتتأهب لاحداث هذا التغير فى الوقت المناسب بقوة السلاح ، ما دامت هذه الظواهر واضحة فى الأفق الأوربى فلا شك أن خطر الحرب سيظل قائما ، الا اذا تحالفت جميع الأمم الديموقراطية وأعلنت أنها تقف صفا واحداً فى وجه المعتدى مستندة الى عصبة الأمم بعد إصلاحها وتوسيع نطاقها ، والاتفاق على جعلها أداة تأديبية فعالة ،لا مجرد هيئة توقع عقوبات اقتصادية ثم تندم عليها !



العروس المفقودة

بقلم الاستاذ حسن الشريف

« ايها الداخل الى هذا المكان أسلم امرك
لله ، فانك لن تخرج منه حياً ولا ميتاً »

فى يوم من أيام صيف سنة ١٧٤٥ كان شاب من سراة الريف فى فرنسا ، اسمه الكونت راباستين ، يجوب أرجاء اقليم الدوفينيه مع شرذمة من لداته وأصدقائه طلباً للصيد وتمتيع الطرف بمناظر ذلك الاقليم الساحر ، وقد أدى بهم الطواف الى الوقوف أمام قصر مونسيجور . وقصر مونسيجور بناء ضخم عتيق تهدمت أركانه ودب البلى فى نواحيه ، فزالت تلك المعالم الفخمة التى كانت تحدث السابلة بعزة السادة الأمجاد الذين تعاقبوا على سكناه جيلا بعد جيل ، وأضحى - بعد ان هجره آل برا كوتال فى سنة ١٧١٥ - مزاراً لهواة الأطلال وعشاق الآثار ، يختلف اليه رواد تلك الأماكن لمشاهدة أبراجه العالية وأبهائه الفسيحة وأقبائه العجيبة وسراديبه المظلمة

ولعل أهم ما كان يجذب السياح إلى ذلك القصر المهجور سيرة بانيه والبارون ديزادريه ، وما أحاط أهل الاقليم به تلك السيرة من خرافات وأساطير . فلقد كان البارون ديزادريه سيداً من وجهاء قومه اعتنق المذهب البروتستانتى فى عهد الملك هنرى الرابع ، وكبر عليه ما يلاقيه أبناء دينه من عنت الكاثوليك ، فكانت له فى قراع أولئك الكاثوليك وقائع هائلة وحوادث حافلة روعت جيرانه حينا من الدهر وخلدت اسمه فى ذاكرة مواطنيه ، حتى لقد ظلوا الى منتصف القرن الثامن عشر يتناقلون عن حياة ذلك السيد العنيف أغرب القصص وأعجب الروايات

كان البارون يشن الغارة على جيرانه الكاثوليك فينحر ماشيتهم ويسلب مقتنياتهم ويفتك بما يتيسر له الفتك به من أرواحهم ، ويظل يقارعهم ويناضلهم حتى اذا ما احتشدوا عليه وخاف شرهم لجأ إلى قصره واحتمى فيه . وكثيراً ما حدث ان تعقبه الأعداء واقتحموا باب القصر أو تسلقوا أسواره ، وتغلغلوا فى أقبائه وسراديبه باحثين عن خصمهم لينكلوا به أو ليقتلوه ، ولكنهم كانوا ينفقون الساعات الطوال فى البحث والتنقيب ثم يعودون خائبين

ولقد اختلف الناس فى تأويل ذلك ، فكان الفلاحون يعتقدون اعتقاداً لا يرق الشك اليه أن البارون لم يكن إنسياً وانما كان عفريتا من الجن لا يمت إلى آدم بنسب ، فاذا دخل قصره

تبخر أو استحال هواء أو شيئا آخر لا يلمس ولا يرى . أما الذين عندهم علم الاشياء فكانوا يهزءون بهذا الزعم وينكرونه ذاهبين إلى أن غرابة أطوار البارون انما ترجع إلى أنه يؤاخى الجن ويتألفهم ويسخرهم فيما يشاء من الأغراض . ولم تكن فكرة احتمال وجود مخبأ سرى فى القصر يلجأ اليه ديزادريه كلما حزبه الأمر وضيق عليه أعداؤه الخناق ، لتخطر إذ ذاك لأحد من الناس ببال ، لان أعداء البارون لم يدعوا شيئا فى القصر إلا نقبوا فيه . فلقد طالما حفروا الارض وخصوا الجدران وفتشوا الأقباء وجاسوا خلال السراديب فلم يعثروا بهذا المخبأ ولم يقفوا له على أثر ، ولقد طالما بحثوا فى الغابات المجاورة علهم يستكشفون نفقا خفيا يصلها بالقصر ويسهل للبارون طريق الفرار فلم يهتدوا إلى شيء وذهبت بحوثهم وجهودهم أدراج الرياح . وهكذا ظل البارون يختفى عند ما يشاء ويظهر عندما يشاء واستقر في أذهان الناس أن الرجل عفريت من الجن يتبخر عند الحاجة أو يستحيل هواء

ولقد انتقلت ملكية قصر مونسيجور بعد وفاة البارون ديزادريه من أسرة إلى أسرة حتى اشتراه آخر الأمر آل براكونتال الذين ظلوا يقيمون فيه هانئين إلى أن كان عام ١٧١٥ إذ نزل بهم مصاب قلب أفراحهم أتراحا وأزهدهم فى سكناه فارتحلوا عنه ملتمسين العزاء والنسيان فى ريف اسبانيا البعيد

وبقى القصر مهجوراً ثلاثين عاما يعشش فيه البوم وتنعق فوق أبراجه الغربان ولا يتولى حراسته سوى حارس عجوز يسكن مع امرأته الجوسق الصغير القائم إلى جانب مدخل البستان . وكان هذا الحارس ، كلما سمحت له بنيته المتصدعة وقواه الخائرة ، يتعهد الأثاثات القليلة الباقية فى بعض حجرات القصر فينفض عنها التراب ويزيل ما تكون فيها من العناكب قد نسجته حولها من الشباك . فاذا ما جاءت الطلعة بأحد السياح إلى زيارة ذلك الخورنق العتيق ، اقتاده الحارس وطاف به الأبهاء والردهات والسراديب ، وروى له بعض ما علق بذاكرته من أخبار البارون ديزادريه والمأساة المحزنة التى نزلت بآل براكونتال

***

كان القيظ شديداً يوم أقبل الكونت راباستين وأصحابه على قصر مونسيجور ليزوروه . وكانت السماء متلبدة بالغيم المربد تنذر بعاصفة هوجاء . وقد آذنت الحارس فراسته بأن أولئك الفتية البهاليل كرام سيصلونه صلة الكرام . فاستجمع ما بقى له من نشاط وانطلق وإياهم ينتقل بهم من برج الى برج ومن قبو إلى قبو ومن سرداب إلى سرداب ، وهو كلما حل معهم مكانا قص عليهم ما تيسر من سيرة البارون المشاغب وحياته الحافلة بالحوادث والمغامرات . فلما انتهى الطواف بداخل القصر خرج الجميع إلى البستان لمشاهدة الأسوار ، فسار بهم الحارس إلى فناء من الارض منبسط فى انحدار ومكسو بالحشائش والأعشاب يشرف على منحدر آخر كأنه الهاوية تكتنف

سفحه صخور عاتية ويجرى فى أسفله خندق ضيق عميق . وهنالك رفع الحارس قبعته وأشار بأصبعه إلى صليب من الحجر نصب فى ذلك الفناء كما تنصب شواهد القبور ، وقد كتبت عليه بأحرف غائرة هذه الكلمات : « لوسى ده براكونتال ٢٥ يونيو سنة ١٧١٥ »

وبدأ الحارس قصته فقال :

« فى السنوات الأخيرة من حكم الملك لويس الرابع عشر كان آل براكونتال النبلاء يسكنون قصر مونسيجور . وكانت الأسرة مؤلفة من الأب الذى يقضى معظم أيامه فى خدمة الملك بفرساى أو فى ميادين القتال ، ومن الكونتيس زوجه وهى سيدة تقية برة بالبائسين والفقراء ، ومن ابنتهما الوحيدة الآنسة لوسى التى كان ظرفها وجمالها وطيب خصالها مضرب الامثال

« وفى ربيع سنة ١٧١٥ بلغت الآنسة لوسى دى براكونتال الثامنة عشرة من عمرها وخطبها شاب من أعيان الاقليم اسمه الكونت كينسوناس . ولقد صادفت هذه الخطبة هوى فى نفس أبوى الفتاة فأرادا أن يعجلا بهناء الخطيبين وحددا لزفافهما يوم ٢٥ يونيو من ذلك العام

«حل اليوم الموعود وازين القصر أبهى زينة وأقيمت حفلة الأكليل بمصلى القصر ، واختلف المدعوون إلى المائدة التى جللت بالأزهار وتجلى فوقها كرم آل براكونتال . وبرزت العروس إلى جانب زوجها متهللة باسمة مشرقة الجبين ، تلبس حلة لازوردية تزيد بياض بشرتها نصوعا وشقرة شعرها الذهبى رونقاً . وقد تحلى صدرها وعنقها بالجواهر وا كتنف رأسها تاج من زهر البرتقال فتبدت كأنها حورية هبطت من علياء الجنان جاءت مسرة للقلوب ومتعة للابصار

« فرغ المدعوون من الطعام وانتشروا فى أنحاء القصر ينتظرون أن تبدأ الموسيقى عزفها ليرقصوا على أنغامها ، فجلس بعضهم يتسامرون ، وأحاط البعض الآخر بالعروسين يطرون انسجام شبابهما وتوافق جمالها ويدعون لهما بالسعادة والهناء . وكان الجو حاراً ساخناً لا يطيب الرقص فيه ، فآثر المدعوون أن يمضوا بعض الوقت فى التلهى بلعبة من الألعاب حتى تهب نسمات الليل فتلطف الهواء . واقترح أحدهم أن تكون اللعبة التى يختارونها لعبة الاستخفاء ، مؤيداً اقتراحه بأن فى سراديب القصر وأقبائه مخابىء تصلح للاستخفاء وتجعل بحث الباحثين عن المستخفين أمراً شاقا ومضحكا يدخل السرور إلى النفوس

« ورضى الجميع بهذا الاقتراح واتفقوا على جائزة تمنح للذى يهتدى إلى مخبأ العروس وهى قبلة تطبعها على خده بفمها الجميل . ونظموا أنفسهم فريقين : فريق السيدات يستخفى وفريق الرجال يستكشف . وانتشرت السيدات فى أنحاء القصر تتخذ كل منهن لنفسها مخبأ تظن أن لن يهتدى اليه الباحثون ، وانطلق الرجال فى أثرهن يتلمسونهن وراء الصفف وتحت المناضد وفى زوايا الاقباء وثنايا السراديب . وكانت الضحكات تنبعث عالية كلما تعثر أحد الباحثين بشىء فى الظلام أو اصطدم بزميل له يتحسس مثله الزوايا والأركان ، وكانت الصرخات حادة كلما وفق صائد إلى اصطياد ضالته.

وهكذا انقضت الساعة المحددة لتلك المطاردة المسلية فى ضحك وصياح وجرى وامساك وافلات ، ثم نفخ فى النفير إيذانا بانتهاء المطاردة ودعوة الجميع الى العودة ، فخرجت السيدات من مكامنهن وعاد الباحثون يتيه بعضهم بالفوز ويجرجر البعض الآخر ثوب الفشل والخذلان

« ولكن العروس لم تعد مع العائدين !

« افتقدها أبواها وافتقدها أصدقاؤها فلم يروها بينهم ، فتساءلوا : أين هى ولم لم تعد ؟ ألعلها لم تسمع صوت النفير ، أو لعلها ، وهى التى تعرف عن مخابىء القصر مالا يعرفه غيرها ، قد آوت إلى مخبأ بعيد ؟ وقال قائل : لقد ضنت علينا بالقبلة الموعودة فبالغت فى الاستخفاء . وضحك الجميع من هذا التعليل ولبثوا برهة ينتظرون . ولكن الدقائق انقضت وربع الساعة أوشك على الانقضاء والعروس لم تظهر . فماذا حدث ؟

« استحوذ القلق على الأم والزوج فانطلق كل منهما إلى ناحية فى القصر وأخذا يصيحان : « لوسى . . . لوسى . . . أين أنت يا لوسى ؟ » فلم يجبهما سوى رجع الصدى داوياً فى الردهات والدهاليز ! ! ماذا جرى للفتاة ؟ وأين ذهبت ؟ وما سر ذلك الاختفاء العجيب ؟ أسئلة ظلت بغير أجوبة وقد عم الوجوم وجوه الجميع واستولت الحيرة على عقولهم ووقف بعضهم ينظر إلى بعض فى صمت كئيب

« فلما مضت ساعة من الزمان على تلك الحال أيقن المدعوون أن حادثا حدث للفتاة وعاقها عن العودة ، وتوجس أبواها وزوجها شراً فتفرق الجميع فرقا وقسموا القصر أقساما وعينوا لكل فريق قسما يبحث فيه ، ففتشوا الغرف والمطابخ ، والأروقة والأقباء ، والسطوح والأبراج ، والبستان والاحراج والفناء والاسوار ، ومرابط الخيل ومراح الدواجن ، وكل مكان ظنوا ان انسانا قد يأوى اليه ، ولكن جهودهم لم تسفر عن شىء ولم يقفوا للعروس على أثر

« واصطحب الكونت ده براكونتال بعض أصدقائه وخدامه وقصد إلى الفناء الخارجى وهو يقول : « أخوف ما أخافه أن تكون ابنتى أرادت أن تختبىء وراء السور المطل على الخندق فانزلقت قدماها على العشب الرطب ووقعت فى الهاوية » وسرعان مادار الخدم حول القصر وهبطوا إلى الخندق وسلطوا أضواء المشاعل على صخوره ومجراه ولكن ابنة سيدهم لم تكن فيه

« انقلب العرس مأتما وتبدلت الافراح أتراحاً ولولا بقية أمل لما شك أحد في أن الفتاة قد لقيت حتفها فى مكان مجهول . وأمضى الجميع ليلهم ساهرين يتبادلون المشورة ويتداولون الرأى وهم لا يلوون على شىء . وطلع النهار عليهم فلم تزدهم طلعته إلا غماً على غم ويأساً على يأس . فلقد استأنفوا البحث والتنقيب وبالغوا فيهما حتى لقد كانوا يقرعون الجدران بالعصى ويقلبون الفرش ، ويجوبون أنحاء الغابة المجاورة لعل وحشاً ضارياً يكون قد افترس الفتاة . ولكن الجدران ظلت

صامتة ، والفرش لا تخفى أحداً تحتها ولا وراءها ، وأرض الغابة لا أثر فيها من ثياب ممزقة ولا من دم انسان

« وعلم آ ل برا كونتال أن قافلة من الغجر الرحل كانوا قد نصبوا خيامهم منذ يومين بالقرب من القصر وانهم ارتحلوا والعرس قائم ، فدار بخلد الأسرة أن الغجر قد اختطفوا الفتاة طمعاً فى حليها وجواهرها . وأبلغ الكونت الامر الى السلطات فى المدينة ، وهرعت الشرطة فى أثر القافلة ولحقت بها وشددت النكير على زعيمها وأفرادها ، ولكن اتضح أن الغجر أبرياء لا جريرة لهم إلا المصادفة السيئة التى جعلتهم يرحلون عن ذلك المكان فى تلك الليلة المشئومة

« يئست الأسرة بعد طول البحث من استكشاف سر اختفاء الفتاة . وتصرمت الايام والاسابيع والشهور ، والكونتيس دى برا كونتال لا تفتأ تذكر لوسى وتبكيها بالدمع الهتون ، وتذهب الفينة بعد الفينة إلى السور المطل على الخندق وتطيل النظر اليه كأن قلبها يحدثها أن لوسيتها العزيزة راقدة فيه . ولم يكن لدليل منطق ولا لبرهان عملى أن يزحزح الأم عن هذه الفكرة التى تأصلت فى روحها وجعلتها تردد باعتقاد أكيد أن جثة ابنتها لم تبرح هذا المكان

« وخشى الكونت على زوجته المحزونة ان يذهب الحزن بعقلها أو أن يقضى الهم على حياتها فقرر الرحيل عن قصر مونسيجور ليقصيها عن تلك الاماكن التى تذكرها بمصرع ابنتها فى ليلة زفافها . وأبت الأم قبل مغادرتها القصر إلا أن تقيم نصباً تذكارياً للفاجعة فأقامت هذا الصليب ونقشت عليه اسم لوسى وتاريخ الليلة المشئومة التى وقع فيها الحادث الأليم »

وهنا صمت الحارس عن الكلام برهة ثم رفع نظره الى الشبان وقال : تلك يا سادتى قصة المرحومة الآنسة لوسى ده برا كونتال

ولقد ألقى الشبان الى الحارس وهو يقص عليهم تلك المأساة بالا لم يلقوا اليه مثله عند ما كان يروى لهم أخبار البارون ديزادريه ، وتجلى الأسى على وجوه بعضهم وتنهد بعضهم الآخر تنهداً ينم على أسى عميق . أما الكونت راباستين فتولى عنهم وجفف بمنديله دمعة كانت تترقرق فى مآقيه .

وكانت ساعة الغداء قد حانت ، وشهية الشباب لا تصدها مآسى الغير ، فأقبلوا على المائدة التى نصبها لهم الحارس فى إحدى الشرفات ، وأخرجوا ما فى جعباتهم من طعام وشراب وجلسوا يأكلون ويتفكهون . بيد أن الكونت راباستين لم يأكل ولم يشرب إلا قليلا . فلقد كان مهموم الخاطر مكتئب النفس يحاول أن يخفى عن اخوانه همه واكتئابه فلا يفلح إلا بعناء . وأيقن أصحابه أن قصة العروس المفقودة أثرت فيه فأرادوا أن يصرفوا عنه بعض ما به ، ولكنه ظل عابساً مقطب الجبين لا يشاطرهم مزاحهم إلا بتعمل ظاهر ، ولا يشاركهم فى أحاديثهم إلا بيسمات تنم على تكلف شديد

لم يكن قد سمع باسم لوسى ده برا كونتال قبل ذلك اليوم ، ولم يكن حتى تلك الساعة يعرف شخصها أو رسمها ، ومع ذلك فقد انطبع ذلك الاسم على صفحة قلبه وارتسم شبحها أمام نظره ،

فصار أينما ولى وجهه يسمع هاتفا يهتف باسم لوسى ويرى ذلك الشبح الجميل يخطر أمام عينيه بشعره الذهبي فى ثوب لازوردى جميل . ولقد عجب الشاب من أمر نفسه وحار فى تعليل تلك الهواجس والخيالات التى استولت عليه ، وحسب أن لحالة الجو دخلا فى عبوسه وانقباض قلبه ، فأخذ يرقب السحب المعتمة التى كانت تتصعد من الأفق وتتكاثف فى السماء ، وينصت إلى دوى رعد بعيد ينذر باقتراب العاصفة ، وينظر إلى الاشجار تعبث بها الريح فتشتبك أغصانها وتترنح في الفضاء

واستمر الاصدقاء يأكلون ويمرحون وصاحبهم فى شغل عن كل ذلك بهواجسه وخيالاته ، ينظر الى الأفق تارة وتارة يملس بكفه على قط ضخم رمادى اللون ذى عينين كالكهرمان كان حارس القصر يربيه، وقد قادته حاسة الشم الى المائدة المنصوبة فأقبل يبصبص بذنبه ويموء مواء خافتاً كأنه يقول للآكلين : أطعموني مما تطعمون

وسئم راباستين طول الجلسة أو قل انه سئم طول الهذر والمزاح فنهض عن المائدة طلباً للحركة ، واتجه الى ناحية الصليب التذكارى وأطال النظر اليه ، وقرأ هذه الكلمات : «لوسى ده براكوتنال — ٢٥ يونيو سنة ١٧١٥» وأعاد قراءتها مراراً كأنما كان يجد لها فى كل مرة معنى جديداً ، ثم وجه خطواته شطر الخندق وجعل يقفز من صخرة إلى صخرة حتى قارب مجرى الماء ، وأخذ يجيل عينيه فيما بين تلك الصخور وفيما تحتها كأنما أوحى اليه أن الفتاة راقدة فى ذلك الغور السحيق

ونزل القطر من السماء فنبه الشاب إلى وجوب العودة فعاد أدراجه ، وكان القطر قد استحال غيثاً شديداً فوجد راباستين أصحابه يلعنون ذلك المطر الذى سيفوت عليهم صيد اليوم ويعوقهم عن ارتياد الجزء الباقى من الاقليم . وأقتم الجو وانهمر المطر سيولا وهبت العاصفة قوية فشق البرق ظلام السماء ودوى هزيم الرعد فى الأرجاء ، فأيقن الفتية أن لا سبيل الى استئناف الرحلة وأن لا محيص لهم عن لزوم القصر فى ذلك اليوم العصيب

جلس الاصدقاء يتحدثون ، وكان طبيعياً أن يدور حديثهم حول الآنسة دى براكوتنال واختفائها ، فقال أحدهم : «بماذا تفسرون يا اخوانى هذا الاختفاء ؟» فأجابه آخر مازحاً : «أنسيت أن هذا القصر عامر بالجن والعفاريت ؟ ... من يدرى ؟ فلعلها أعجبت عفريت البارون ديزادريه فاختطفها لتكون له زوجاً» وقال ثالث : «انه لعفريت غليظ القلب ذلك الذى يختطف عروساً فى ليلة زفافها ...» ونظر الكونت راباستين الى أصحابه معاتبا وقال : «كفى مجوناً أيها الاصدقاء ، فالمأساة آلم من أن تحتمل كل هذا المجون» وصاح أصغرهم سنا وأكثرهم صخبا وحركة : «وفيم نقضى هذا اليوم العبوس اذا لم نقضه فى المزاح والكلام ؟ لا ورق معنا نلعب به ولا كتب نتلهى بمطالعتها ، فهل تريدنا أن نقيم مأتم الآنسة دى براكوتنال بعد ثلاثين عاما من وفاتها ؟» وصمت الاخوان قليلا ثم نهض أحدهم وقال : «ماذا تقولون أيها السادة اذا اقترحت عليكم أن

تلعب لعبة الاستخفاء ؟ انها لفرصة نتعرف فيها أسرار هذا القصر وخفاياه ولعلنا نصادف بعض الجن الذين خطفوا الآنسة ده برا كوتتال ، فهل أنتم فاعلون ؟ »

وصفق الجميع رضاء وارتياحاً وسرعان ما انقسموا فريقين : أحدهما يستخفى والآخر يستكشف . وانطلق الأولون يتلمسون المخابىء وتريث الآخرون لحظة ثم انطلقوا فى اثرهم يبحثون

وكان الكونت راباستين من فريق المستخفين فذهب يعدو على غير هدى مخترقا بضع حجرات خالية من الرياش ، وسلك ردهة طويلة أدت به الى سلم حلزونى ضيق قاده الى دهليز فى نهايته باب عرج منه على دهليز موصل الى مكان مظلم لم تتبين عيناه فيه شيئا فلم يعرف أهو قبو أم سرداب . فسار يتحسس الأرض بقدميه والحيطان بيديه حتى وصل الى باب آخر لم يكد يجتاز عتبته حتى سمع وقع أقدام تقترب وأيقن أن أحد الباحثين قد صار منه قيد خطوات

أراد أن يختبىء ولكن أنى له الخبأ وهو لا يبصر شيئا فى الظلام ؟ استند إلى حائط الباب وجذب اليه أحد المصراعين ووقف خلفه ساكنا يكاد يحبس أنفاسه فى صدره حتى لا يهتدى اليه المتعقب . ولكن ها هو ذلك المتعقب يقترب بخطوات وئيدة مترددة وها هو يسير كالأعمى وتتلمس يداه مصراع الباب الذى يفصل بينهما

انكمش راباستين فى مخبئه وتضاءل ليشغل أصغر حيز ممكن واتكأ بظهره على الحائط وود لو أن هذا الحائط يلين له لينفذ بجسمه فيه . ولشد ما كانت فرحته أو لشد ما كانت دهشته عند ما أحس أن الجدار يتحرك تحت الضغط كأنه يتزحزح عن مكانه من دون أن يحدث صوتا ، وأن مصراعى باب ينفتحان من وراء ظهره ويسفران عن شىء كالممر ضيق حالك الظلام

لم يكن ضيق الوقت وحرج الموقف ليتحملا طول التردد والتفكير . فنفذ راباستين فى هدوء إلى تلك الثغرة التى انفتحت وراءه ، وما ان احتوته حتى عاد مصراعا بابها السرى فانقفلا من تلقاء نفسهما بحركة آلية صامتة لا تسمعها الأذن المرهفة . ثم لم تمض ثوان حتى شعر راباستين أن يدى الشخص الذى يتعقبه تتحسسان ذلك الجدار المتحرك الذى يفصل بينهما وسمع خطواته تبتعد عنه فاطمأن إلى أن المصادفة قادته إلى مخبأ لا يهتدى اليه أحد . وقبع فى مكانه برهة طويلة ثم تراءى له ــ وقد أفلت من يد المستكشف الذى كان يتعقبه ــ أن لا يمكث أكثر من ذلك فى هذا المكان المخيف .
فأخذ يبحث بكفه فى الظلام عن الأكرة ليفتح الباب ، ولما لم يجدها حيث توجد الأكرات فى الأبواب عادة جعل يصعد يديه إلى أعلى وينزلهما إلى أسفل ويوجههما يمنة ويسرة لعله يجد رتاجا أو مزلاجا أو مفتاحا ، فلم تصادف يداه سوى جدار ناعم مصقول لا أثر فيه لشىء بارز ولا لشىء غائر . خطر له أن يدق الباب بقبضة يده وأن يهيب باخوانه لينقذوه ، ولكنه آثر أن لا يفعل خوفا من سخريتهم منه وانتصارهم عليه بعد ان أعجزهم عن الاهتداء الى مخبئه

ولكن أين هو ؟ وما هذا المكان المعتم الذى لا يصل اليه شعاع من ضوء النهار ؟ أدهليز هو

أم دولاب أم قبو من الأقباء التي يحفظ فيها النبيذ ؟ . استدبر الباب ونشر ذراعيه فمست كل من يديه جداراً ، وتقدم الى الامام متردداً وجلا ولم يكد يخطو خمس خطوات حتى اصطدم بجدار مقابل للباب الذى استدبره ، فأدرك أن هذا المضيق لا يمكن إلا أن يكون ممراً موصلا الى احدى الحجرات ، فأخذ يعالج الجدران بكفيه مجتهداً فى أن لايدع مساحة صغيرة منها من دون أن يفحصها. فلما بلغ الجدار المقابل للباب الخلفى وأجرى عليه كفيه ألفاه أملس ناعماً كذلك الباب ووجده مثله لا أثر فيه لشق ولا أكرة أو رتاج . ولكن سبابته عثرت فى احدى الزوايا بثقب صغير كتجويف « الكستبان » فأدخل أصبعه فيه ليسبر غوره وأعمله فى جوانبه ضاغطاً ، ولشد ما كانت دهشته عند ما سمع فى جوف الحائط قرقعة سلاسل تعلو وتهبط وصوت دولاب آلة يتحرك ورأى مصراعى باب ينفرجان أمام وجهه ...

دفع الشاب أحد المصراعين وظلت يمناه ممسكة به ومد عنقه الى الداخل فاذا أمامه حجرة واطئة يهبط اليها بسلم ذى أربع درجات ، وفى سقفها كوة ذات قضبان من الحديد ينفذ من خلالها ضوء النهار باهتاً ضئيلا ، وقد استند الى أحد الحوائط درع من تلك الدروع التى كان فرسان القرون الوسطى يلبسونها فى الحروب فتغطى أجسامهم من قمة الرأس الى أسفل القدم . أما الأثاث فلم يكن أكثر من منضدة خشبية كبيرة كان بالقرب من أحد جوانبها مقعد ذو متكأ وذراعين لا يرى الداخل منه سوى ظهر المتكأ ، وكان فى الجانب المقابل له من المنضدة مقعد مثله ، وقد كسيت هذه الأشياء بطبقة كثيفة من التراب ونسجت العناكب فى أركانها كثيراً من خيوطها وشباكها

تقدم راباستين خطوة الى الامام ويده لا تزال ممسكة بمصراع الباب ، فهب عليه من داخل الحجرة هواء عفن مشبع برائحة نتنة تؤذى الأنوف . وأجال عينيه فيما أمامه فاذا به يرى انسانا جالسا فوق المقعد مسنداً ظهره الى المتكأ وقد تدلى ساعداه على ذراعيه

استأنس الكونت بوجود هذا الانسان فى ذلك المكان الموحش وترك مصراع الباب وخطا خطوة نحو السلم ولكنه لم يكد يخطوها حتى التفت الى الخلف مذعوراً . فلقد سمع قرقعة السلاسل تعلو وتهبط وصوت دولاب الآلة يتحرك فى جوف الحائط ورأي مصراعى الباب يتقابلان وينقفلان ثم أعقب ذلك صمت رهيب

هرع الى الباب يحاول فتحه فلم يجد له أكرة ولا رتاجا ولا مقبضا وانما وجده لوحا كبيراً من الحديد الأملس المصقول لا قبل لقوة الانسان به ولا حيلة له فيه . وأحس شيئا من الخوف يدب الى قلبه ولكنه تشجع وتمالك وطمأن نفسه بأن هذا مكان يختلف اليه الناس فلا خطر منه على أحد . وهبط درج السلم وخطا نحو المقعد الأول ودار حوله ووقف أمام الشخص الجالس عليه

كان هذا الشخص امرأة . وكانت المرأة نائمة وقد أسدلت على وجهها نقابا شفافا وأسندت رأسها الى متكأ المقعد وأرخت ساعديها على ذراعيه . وكان النور النازل من كوة السقف ضعيفا لا يسمح للناظر باستطلاع قسمات الوجه وتقاطيعه ولكن راباستين ظن أنه رأى النائمة تبتسم وقد انفرجت شفتاها عن صفين من أسنان صغيرة صفراء

تبادر الى ذهن الشاب أن هذه المرأة قد تكون ابنة حارس القصر أخافتها العاصفة فآوت الى هذه الحجرة لتنام فيها بعيدة عن دوى الرعود ولمعان البروق ، فلم يشأ أن يزعجها وان يكن قد أدهشه ان حركة السلاسل وانقفال الباب لم يوقظاها من نومها

فكر قليلا فيما يجمل به أن يفعل ، وآثر أن يدع الفتاة فى نومها حتى تصحو ، واتجه الى المقعد المقابل لمقعدها عند الجانب الآخر من المنضدة وجلس . ونظر فاذا فوق المنضدة مجلد ضخم فجذبه اليه ونفخ التراب الذى كان يكسو جلدتيه وفتحه فاذا هو نسخة قديمة من التوراة يرجع تاريخها الى مائتى سنة مضت فلم يشك فى أنها توراة البارون ديزادريه

ولكن ما هذا ؟ . . تلك كلمات مكتوبة على غلاف المجلد من الداخل أو على الأصح محفورة فى ذلك الغلاف بطرف شىء مدبب . وهذا هو الشىء المدبب الذى كتبت به تلك الكلمات وهو دبوس طويل غطاه الصدأ ذو رأس من اللؤلؤ غيرت لونه السنون

أدار الكتاب الى الناحية التى يتلقى منها الضوء وأجهد عينيه فى القراءة فقرأ :

« أيها الداخل هذا المكان ، أسلم أمرك لله فانك لن تخرج منه حياً ولا ميتاً ـ لوسى ده براكوتال »

انتفض راباستين من الهول ووقع الكتاب من يده وجحظت عيناه وحملق فى وجه المرأة النائمة وصاح : « لوسي ده براكوتال ! » ، وقفز من كرسيه واتجه صوب الفتاة وهزها بلطف فلم تتحرك فهزها بعنف فلم تتحرك ، فتناول يدها وضغطها قليلا ولكنه لم يلبث حتى أفلتها إذ ألفاها باردة كالثلج يابسة كالعظام ، وهرول الى الباب يدقه بكلتا قبضتيه وهو يصيح كالمجنون : « أيها الأصدقاء أنقذونى . . النجدة النجدة . . أنا هنا . . أنا راباستين » . ولقد أحس أن صوته يخرج من صدره كالحشرجة وأن صيحاته منحبسة فى صدره كما تنحبس صيحات النائم اذا أصيب بكابوس ، فنظر الى ما حوله كأنه يبحث عن شىء ورأى درع الفارس فاقتلع منه الخوذة الفولاذية وجعل يطرق بها الباب بأقصى قوته وهو لا ينفك يصيح ويطلب الغوث والنجدة . وكان يكف من لحظة لأخرى ويرهف أذنيه متسمعاً فاذا لم يسمع مجيبا عاد الى الخوذة يدق بها الباب دقا عنيفا متواصلا والى الصرخات يبعثها من اعماق صدره حادة عالية حتى بح صوته ودار رأسه وخارت قواه ، فارتمى على درج السلم فاتر الهمة مضعضع الحواس

وأقبل المساء وبدأ الليل يضفى رداءه على الحجرة . وكان راباستين قد استجم وآنس فى نفسه

بعض القوة فجذب المنضدة وجعلها تحت الكوة المفتوحة فى السقف ووضع فوقها المقعد وتسلقه ومد ذراعيه وتعلق بالقضبان الحديدية ورفع جسمه اليها حتى صار رأسه فى مستواها وأخذ يجيل عينيه خلال فتحات تلك القضبان ليتبين ماهية ذلك المكان الذى ساقه اليه حظه المشئوم

أدرك بعد نظرة أو نظرتين أن الكوة التى ينظر منها انما هى فتحة فى أرض فناء ضيق مستطيل محاط بأربعة أسوار عالية جرداء تجعل من الحجرة التى هو فيها شبه جب غائر فى جوف الأرض لا صلة بينه وبين عالم الأحياء الا تلك الفتحة المربعة المسلحة بقضبان الحديد

استجمع قواه وجعل يصيح بأقوى صوته مردداً : « إلى أيها الناس . . يا من تسمعنى هلم إلى فانى مشرف على الهلاك » ولكن ما الذى تفعله الصيحات فى ذلك البرزخ الضيق الذى تكتنفه الأسوار الشاهقة ، وإلى أى اذن تستطيع أن تصل ، وما جعل هذا الفناء المسور الا لتسكنه الهوام والزواحف والحشرات ؟

ولكنه لم ييأس . ولعمرى كيف ييأس وتلك النفحات من الهواء التى تهب عليه من الكوة وتلك الغيوم السوداء التى تسبح أمام ناظريه فى السماء تحدثه بأن بالقرب منه عالما حيا يستطيع أن يسمعه وأن ينقذه وأن يعيده الى اخوانه الأحياء

ظل يتشبث بالقضبان محاولا أن ينفذ رأسه منها وظل يصرخ ويصيح وتعلقه بالحياة يزود ساعديه بالقوة وينفخ فيه روح الاستبسال الى أن أحس أن ذراعيه تتخاذلان وأصابعه تتراخى وقدرته على المقاومة تفنى ، فتدلى من السقف وأفلت القضبان وهوى على المقعد

وها هو ذا مرة أخرى فى ذلك الجب العميق بل فى تلك المقبرة الموحشة وجها لوجه أمام الميتة الجالسة فوق كرسيها لا يستطيع أن ينظر اليها ولا أن يبتعد عنها . ولقد أخذ يفكر فى مصيره وفيما ستؤول اليه تلك الحال ، وتساءل أيصيبه الجنون فيقضى غير شاعر بنهايته ، أم يظل مالكا قوى عقله فيقاسى آلام ذلك النزع الطويل وأوجاعه المبرحة واعياً ومدركا وشاعراً ؟

وكان الظلام قد اشتمل الحجرة فلم يعد رابا ستين يستبين من محتوياتها شيئا . فأسند ظهره الى الحائط برهة وحاول أن يستعيد قواه ليسترجع المقعد من فوق المنضدة الى مكانه فيستريح عليه ، ولكن ساقيه لم تقويا على حمله فسقط على الأرض من فرط الاعياء ، وأجرى كفه على جبينه فاذا جبينه يتصبب بالعرق والحمى تلهب رأسه وتبعث البرد الى أطرافه وتنشر الفتور فى جسمه ، فجعل يصلى لله ويبتهل اليه أن ينقذه من ذلك الهول . ثم شعر بدوار يغشاه وزاغ منه البصر وجف الحلق فارتمى على الأرض وغاب عن الصواب

كم لبث فى غيبوبته ؟ ـ لم يدر . ولكنه أيقن أنه نام نوما طويلا لم يصح منه الا على صوت كأنه دبيب شىء كان يدب فى الحجرة . أما هذا الشىء فلم يره ولم يعرف ماهيته . ومذ أفاق عاد اليه صوابه كاملا فاستذكر موقفه الرهيب وتلك الميتة التى تزامله فى وحشته وهى جالسة جلستها

هذه منذ ثلاثين سنة على هذا الكرسى العتيق ، وذلك الباب الموصد بأجهزة جهنمية تدور فى داخل الحائط ولا يظهر منها شيء ، وأولئك الأصدقاء الذين ينتظرونه غير عالمين ما حل به أو متوهمين أنه يمثل لهم فصلا من رواية اختفاء الآنسة دى براكونتال فلا يجشمون أنفسهم عناء البحث عنه أو محاولة الاهتداء اليه

وفيما هو يفكر في ذلك تفكير المشتت العقل المضطرب الحواس انتفض انتفاضة المذعور إذ أحس شيئا يتحرك فى الحجرة وجسما طرياً يسقط على أرضها ، وود لو يعرف مصدر تلك الحركة وماهية هذا الجسم ولكن حال الظلام دون ما يود فبقى حائراً مرتاعا . حدق فى الحلكة الى ما حوله وأطال التحديق فخيل اليه أنه يرى عينين واسعتين مستديرتين تنظران اليه ويخترق بريقهما حجب الظلام . ولكن هاتين العينين ليستا عينى الآنسة دى براكونتال لأن جثتها جالسة هناك فى مكان آخر من الحجرة غير هذا المكان الذى ينبعث منه البريق ، ولأنه لا يعقل أن ينبعث مثل هذا البريق من عينين أطفأهما الموت منذ عشرات السنين . فعينا من أو عينا ماذا يا ترى تلك العينان ؟

ظن أول الأمر أنه واهم أو أنها خيالات خائف محموم ، ولكنه لم يستطع مع ذلك أن يكذب نظره وهو يرى الحقيقة الواقعة ماثلة أمامه ، ولا أن يتعامى عن عينين مستديرتين منيرتين مصوبتين اليه . ولقد أراد أن يتحقق من الأمر فأتى بحركة أحدثت صوتا فاختفت العينان من مكانهما ولكنهما لم تلبثا حتى ظهرتا فى مكان آخر من الفضاء الواقع بين سقف الحجرة وأرضها كأن صاحبهما قد تسلق الكرسى المنصوب فوق المنضدة أو انتصب فجأة فى هذا الفضاء

عندئذ انقطع الشك باليقين ولم يبق لرابانستين مجال لاتهام حواسه فاعتزم ـ وهو اليائس الذى بات لا يخشى شيئا ولا يتوقع خطراً أشد من الخطر الذى هو فيه ـ أن يسير الى تلك العينين فان أصابه منهما سوء فالسوء لاحقه سار أو قعد . ولكنه لم يقو على الحركة وقعدت به ساقاه فقبع فى مكانه واستكان

وكانت تباريح الجوع والظمأ قد بدأت تلهب جوفه وتمزق أحشاءه ، وخشى أن تزيد الحركة فى تلك التباريح فآثر أن يسكن حيث هو حتى يقضى الله فى أمره بما يشاء ، ولم يعد يعبأ ببريق العينين المسدد اليه من فضاء الحجرة فحول عنه مقلتيه . وإذا صح أن الخائف والجائع لا ينامان فان من الآلام النفسية والبدنية ما يتضاءل الى جانبهما ألم الخوف والجوع ، فأغمض رابانستين جفنيه واستسلم لسلطان الكرى ونام نوما ثقيلا

واستيقظ الشاب من نومه وكانت أضواء النهار تضيء الحجرة من كوة السقف فأخرج ساعته ليعرف الوقت ولكنه وجد آلة الساعة واقفة ، فحرك عقربيها وجعلهما على الثانية عشرة وأدار المفتاح فيها فملأها . وعمد الى الكرسى الذى كان نصبه أمس فوق المنضدة فأنزله وأعاده الى مكانه . وبحث عن العينين البراقتين فى الأرض وفى السقف وفى الفضاء فلم يجدهما . وكان قد ألف

صحبة جثة الآنسة دى براكونتال فلم يعد الخوف يتسرب الى قلبه كلما نظر اليها ، فاقترب منها واستطاع هذه المرة أن يتفرس فيها ما شاء أن يتفرس

وقف أمام الجثة ورفع النقاب عن وجهها وتأمل مليا فى عينيها الغائرتين فى تجويف محجريهما وبشرتها المغبرة وقد التصق جلد الخدين على عظام صدغيها ، وشفتيها المنفرجتين كما لو كانتا تبتسمان وقد كشفتا عن فكين غطاهما التراب ، وأجرى كفه فى رفق وحذر على شعرها المتهدل من رأسها على كتفيها فانتشر منه غبار ناعم دقيق ظهرت من تحته شقرة انطفأت لمعتها الذهبية بفعل الزمان .
ونظر الى الثياب التى استحال لونها اللازوردى الزاهى لونا آخر أقتم باهتا تحت ما يغطيه من طبقات الغبار ، فوجد عند الصدر شيئا كالاسفنجة الجافة لم يشك فى أنها كانت باقة من الزهر يبست واستحالت هشيما ، ورأى الجواهر فى نحرها وجيدها وقد اسود منها اللون وذهب البريق

وتذكر راباستين أنه كان قد رأى قبل ذلك جثث أموات دفنت منذ عدة قرون بمقبرة فى احدى كنائس مدينة بوردوه ، وأن تلك الجثث قد احتفظت بسلامة كيانها ولم يذهب البلى معالمها وأيقن أن جثة الآنسة دى براكونتال قد احتفظت هى أيضا بكيانها بفضل تلك العوامل العجيبة المجهولة التى تصون بعض الجثث من البلى مئات ومئات من السنين

ولقد أعمل فكره ليتمثل الظروف القاسية التى قضت الفتاة فيها نحبها بين تلك الجدران بعد احتضار طويل ، وغلب على ظنه أن روحها فاضت وهى فى غيبوبة من آلام الظمأ والخوف والجوع . وإذ خطرت له هذه الفكر خطرت له فكرة أخرى ، وهى أن المصير الذى كتبه القدر لتلك الفتاة هو ذات المصير الذى أصبح يواجهه الآن بعد أن فقد كل أمل فى الخروج من هذا المحبس اللعين . على أن تلك الفكرة لم تروعه كثيراً فلقد ألفها ووطن النفس عليها حتى لقد اعتبرها الحل المنطقى الوحيد لمشكلته العسيرة . ومذ راض نفسه على تلك الحقيقة نزلت السكينة على قلبه وهدأ خاطره هدوءاً عجيبا ولبث ينتظر النهاية التى لا نهاية سواها فى استكانة واستسلام

أعاد المنضدة الى مكانها وجعلها بينه وبين الآنسة دى براكونتال ، وجلس أمام الجثة معتمداً رأسه بين يديه كما لو كان ينتظر أن تصحو الميتة من نومها ، وجعل يتأمل تلك العينين الغائرتين تحت جفنيهما المطبقين وخيل اليه أن قوة غريبة تدفعه الى التحديق فيهما فلا يقوى على أن يصرف عنهما ناظريه

يا حيرة الفكر فى تفهم عجائب الأقدار ! من كان يظن وهو يسمع من حارس القصر قصة اختفاء الفتاة ، أن القدر قد عينه لاستكشاف مخبئها بعد إذ عجز الناس عن استكشافه فانصرفوا عنه يائسين ؟ لقد بدأ الآن يدرك سر ذلك التأثير الغريب الذى كان اسم الفتاة وقصتها يحدثانه فى نفسه ويوقن أن روح الفتاة هى التى كانت تهيب به وتناديه ، وأن تلك الروح التائهة فى سراديب القصر ودهاليزه هى التى قادت خطواته وأرشدته الى الباب السرى وإلى طريقة فتحه ، وأنه لم يكن فى

كل ما عمل الا طائعا لتلك الروح مسحوراً بارادتها القوية

وخاف على نفسه شر الاسترسال فى هذه التأملات ، ففتح التوراة وجعل يقلب صفحاتها ، فعاودته ذكرى البارون ديزادريه الذى طالما أمضى الساعات والأيام فى هذا المكمن الرهيب . فلقد كانت هذه الحجرة مخبأه وهذا المخبأ هو الذى طالما حير الناس وأعجزهم عن الاهتداء اليه حتى لقد ظنوا فى بشرية الرجل الظنون

وأقبل مساء اليوم الثانى وهو على هذا الحال لا ينتظر شيئا ولا يرجو أمراً الا أن يغفى اغفاءة طويلة يموت خلالها بلا أوجاع ولا آلام . وكان الجوع والظمأ قد أنهكا جسمه وعقله فأحس أن شللا قد أصاب قواه المفكرة فصارت لا تقوى على تدبر حالته . فبسط ذراعيه على المنضدة ووضع رأسه على احداها ملتمسا فى النوم بعض الراحة مما يعانيه

وعلى حين فجأة أحس أن شيئا يتحرك وراء ظهره وأيقن أن جسما حيا يدب فى الحجرة دبيبا خفيفا ، فأدار رأسه بتؤدة ونظر فاذا العينان البراقتان اللتان رآهما أمس تشخصان اليه الآن . وكانت مقلتاه قد ألفتا الظلام وصارتا قادرتين على تمييز الأشياء ، فحدق فى ذلك البريق ولم يلبث حتى تبين أنه صادر عن عيني قط كبير

ولكن ما الذى يجىء بالقطط الى هذا المكان ؟ ودنا القط منه فى ريبة وحذر مبصبصا بذيله مرهفا أذنيه ، فعرفه فى الحال ولم يشك فى أنه قط حارس القصر الذي كان يتمرغ أمس عند ركبتيه وأنه نفذ الى الحجرة من كوة السقف ليتصيد الفيران

عندئذ خطر لراباستين خاطر جعل قلبه يخفق فى صدره بعنف وشرايينه تنبض فى جسمه بقوة . خطر له أن هذا الحيوان قد يكون مبعوث العناية الآلهية لانقاذه وأنه قد يستطيع استخدامه فى الاتصال بأصدقائه أو بالحارس أو بأى انسان . واحتشدت فى ذهنه ألف فكرة فى آن واحد ولكنه لم يقف إلا عند واحدة منها ، فانتزع من خنصره خاتما ومد يده الى جيبه وأخرج منه منديلا فتله كالحبل وصر الخاتم فى أحد طرفيه ، ولبث لا يأتى بحركة خشية أن يخيف القط فيجفل ويهرب وتكون الطامة الكبرى وانقطاع هذا الخيط الواهى من الأمل الأخير

جعل يرقب بعينيه حركات القط ويسائل نفسه فى لهفة وقلق : هل يطمئن اليه هذا الحيوان ويدنو منه وهو لم يألف بعد رؤية الأحياء فى هذا المكان ؟ ودنا القط بخطوات وئيدة حذرة وقفز فوق المنضدة فصار غير بعيد عن يديه . وأدرك الشاب أن الفرصة مهيأة وأنها ان أفلتت فلن تعود ، وأحس أن قلبه يمشى فى صدره وأن جفنيه يختلجان فوق مقلتيه ، فأنشب أصابعه فى القط بحركة سريعة لم تدع له وقتا للافلات ، ولف المنديل حول وسط الحيوان وعقده من طرفيه عقدة وثيقة غير مبال بالمخالب والأسنان التى كادت تمزق راحتيه وتدميهما ، وأطلق القط فانطلق

مذعوراً وقفز قفزة أوصلته الى حجر نانىء في الحائط وقفز قفزة أخرى فتعلق بقضبان الكوة ومرق من بينها مروق السهم واختفى

وكأنما تنبه الأمل الميت فى نفس راباستين ونفخ فيه نشاطا وقوة فانتصب فوق كرسيه وجعل يصيح : « أدركونى ... أغيثونى ... أنا راباستين ... أنا هنا ... تعالوا إلىّ أيها الاخوان ... » وظل يردد هذه الصيحات بأعلى صوته حتى بحت حنجرته وخانته ساقاه فوقع على الارض وتدحرج عند قدمى الميتة فاقد الحس والصواب

***

كانت الشمس فى كبد السماء ترسل أشعتها فتملأ الغرفة ضوءاً عند ما فتح راباستين عينيه وأجالها فيا حوله ثم أغمضهما وعاد إلى السبات . ولقد نظر أصدقاؤه الى الطبيب نظرة قلقة مستفهمة فابتسم الطبيب ابتسامة المستبشر الواثق من النجاح وقال : « اطمئنوا فهو بخير » وأقبل على المريض يقطر فى فمه قطرات من نبيذ أو من دواء ، فانتفض الشاب فجأة وفتح عينيه مرة أخرى وانفرجت شفتاه ، وأدار رأسه على الوسادة يمنة ويسرة ثم حملق فى وجوه أصحابه يسائلهم بالنظرات من هم وأين هو ومن الذى جاء به الى هذا المكان ؟

ولقد ترفقوا به الى ان استرجع صوابه وبعض قواه فقصوا عليه قصتهم وعلم منهم كيف اهتدوا اليه وأنقذوه

كانوا قد أقسموا أن لا يبرحوا القصر أو يجدوا صاحبهم المفقود ، فلما عثروا بالقط ورأوا حول وسطه الخاتم والمنديل أدركوا أن راباستين لا يزال حياً يلتمس النجدة والغوث وأن هذا القط يختلف الى المكان المجهول الذى تردى فيه . ولقد ظلوا يراقبون حركات الحيوان ويتعقبونه أينما سار حتى رأوه يتسلق سوراً عاليا قائما بين برجين من أبراج القصر فجاءوا بسلم نصبوه على هذا السور وتسلقوه . فلما أطلوا من فوقه استولت عليهم الدهشة إذ ألفوه أحد شقى حائط يخفيان بينهما فناء ضيقا مستطيلا لم يكن وجوده ليخطر لانسان ببال . ثم نظروا فرأوا القط يدور حول ثغرة فى أرض الفناء ويغيب فيها ، فأداروا السلم الى ما بين شقى السور ونزلوا الى الارض فوجدوا أن تلك الثغرة كوة مسلحة بالقضبان الحديدية وقد جعلت لترسل ما يتيسر من الهواء والنور الى حجرة عميقة مظلمة تكاد العين لا تتبين من محتوياتها شيئا . ولقد عالجوا القضبان بوسائل شتى لينزعوها ولكنها استعصت عليهم فاستعانوا عليها بالمعاول والفؤوس وهدموا ماحولها فوسعوا الكوة ونزلوا منها الى أرض الحجرة حيث وجدوا صاحبهم فى حالة اغماء شديد

ومضت بعد ذلك أيام تعافى خلالها راباستين واستجم واستكمل قواه ، وآن أوان الرحيل عن قصر مونسيجور المشئوم . وتشاور الاخوان فيما يجمل بهم أن يفعلوه بجثة الآنسة دى برا كونتال ، فاستقر رأيهم على أن يكتبوا الى أمها لينبئوها باستكشافهم الرهيب

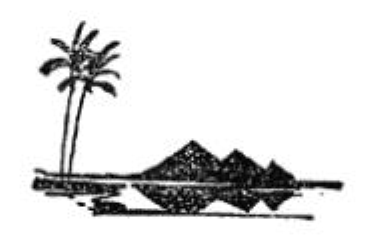
وكانت الكونتيس دي براكونتال قد هرمت وأذهب الحزن نور عينيها وفعلت بها الهموم أكثر مما فعلته السنون ، فنزل عليها كتاب راباستين كما نزل قميص يوسف على أبيه يعقوب . ولئن كان يعقوب قد قر عينا بلقاء ابنه المفقود بعد أن لبث يجد ريحه بضع سنين ، فان الأم المحزونة قد هدأت نفسها اذ عرفت لابنتها مقراً تزورها وتبكيها فيه . ولقد هرعت الى مونسيجور وغالبت ضعفها ودخلت على لوسيتها العزيزة فى محبسها فكان لتلك الشيخة المنتحبة حيال هذه الجثة الهامدة موقف يستدر الدمع من المآقى ويذيب حبات القلوب

ولم تشأ الكونتيس أن تنقل ابنتها الى غير هذا اللحد الذى اختارته لها المقادير فأحالت الحجرة مصلى وجعلت قبر لوسى فى احدى زواياه . أما الباب الحديدى الذى نفذت منه الفتاة الى الحجرة ونفذ منه اليها بعدها راباستين فقد استعصى فتحه على كل المحاولات حتى اضطر القوم فى النهاية الى هدم الحائط كله . فلما هدموه ألفوه أجوف يخفي جهازاً هائلا ذا عجلات وسلاسل وأثقال

وهكذا عرف الناس بعد ثلاثين عاما سر اختفاء العروس ليلة زفافها ووقفوا على المخبأ الرهيب الذى كان البارون ديزادريه يأوى اليـه كلما ضيق أعداؤه عليه الخناق ، وصارت حادثة العروس المفقودة قصة يتناقلها الرواة من أهل اقليم الدوفينيه

حسن الشريف

اعتمدنا فى كتابة هذا المقال على كتاب :
Histoires Etranges qui sont arrivées
للمؤرخ الكبير « جورج لينوتر » عضو الاكاديمية الفرنسية



جبران خليل جبران

الشاعر الأعمى

عربها عن الانجليزية

الاستاذ موسى سليمان

لقد أعمانى النور

والشمس التى تضىء أيامكم بشعاعها

هى التى رمتنى فى ظلمات أعمق من الأحلام !

* * *

لذلك فأنا هارب من وجه الحياه

بينما انتم باقون حيث ولدتكم الحياه

الى ان يجىء الموت فيلدكم ولادة ثانية . .

* * *

ورغما عن ذلك فأنا أفتش عن طريقى

يقود خطواتى نايى وعكازى

بينما انتم تلهون « بطقطقات » مسبحاتكم . .

* * *

وسأسير فى قلب الظلمات السوداء

بينما انتم تخافون حتى من النور

وسأغنى :

* * *

لن اضل طريقى

ولو كانت مغلقة بالظلام

فالله يسدد خطواتى

ويرعانى فأنجو

***

واذا ما عثرت بى قدماى

فسترتفع اغانى فوق الأثير

***

لقد اعماني تحديق الشديد

بالأرض والسماء

ومن منا لا يجود بعينيه

لنظرة من السماء والأرض ؟!

***

من منا لا يطفىء سراجين ، صغيرين ، مرتعشين

ليتمتع بمرأى الفجر البسام ؟؟

***

تقولون : « مسكين ! لا يستطيع رؤية الكواكب

ولا الفراش فى الحقول »

وأقول : « مساكين ! لا يمكنهم بلوغ الكواكب

ولا سماع حفيف الفراش »

***

مساكين ! لهم آذان ولا يسمعون

مساكين .. مساكين . لهم حواس ولا يحسون ..

جبران خليل جبران

تعريب موسى سليمان

مدرس بالجامعة الاميركية بيروت

مقومات الوطنية

الوطن هو تاريخ الوطن

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

يكفى لمعرفة ما للوطنية من شأن عريق فى النفوس أن نذكر أن السلاح الذى يشهره فريق من أصحاب الدعوات فى وجه فريق آخر للنيل منهم وصرف الناس عنهم هو القول وترديد القول بالحق أو بالباطل بأن هذه الدعوة بعيدة عن الوطنية مخالفة لمبادئها

وقد ظلت الاشتراكية محببة الى الطليان والالمان وهم على بينة من أنها تعنى مبدئياً زوال التخوم والأوطان ، ومع هذا فانه حين أهاب الهيبيون بروح الوطنية ونصبوا فكرة الوطن فى وجه الاشتراكية فقد الاشتراكيون سلطانهم بعد استطالته وانفض حزبهم على كثرته وهان أمرهم وذهبت ريحهم ، وأصبحت الكلمة للوطنية ، لا شعار إلا شعارها ، ولا عمل يعمل للسلم أو للحرب إلا باسمها

ولا غرو ، فان فكرة الوطن تلابس الانسان فى جميع أطواره . فالانسان متعلق بهذه البقعة من أديم الارض التى نشأ فيها والفها لأنه مبدئياً وبالفطرة يأنس بالمعلوم ويخشى المجهول . والرجل من أهل الفطرة لايطمئن إلا فى بلدته أو على مقربة منها . وقد يكون له فيها أعداء من عشيرته ، ولكن له أيضا الى جانبهم أولياء وحلفاء . أما فى غيرها فالجميع أعداؤه . ومهما تقدمت المدنية وتطورت أحوال العمران فلن تبرح أثارة من هذا الشعور فى نفس الانسان ، ولن يبرح الوطن عنده صورة مكبرة لبلده ومنه يستمد « البلد الأكبر » على الدوام جانبا من معناه . وان العائد من الأقطار النائية حين يلمس أرض الوطن ليحس أنه الآن بسبيله الى وطنه الأصغر . فالقاهرى المتغرب فى أوربا عند ما ترسو به الباخرة فى ميناء الاسكندرية أو بورسعيد يذكر لساعته القاهرة المعزية ويتمثل مآذنها ومجرى نيلها الزاخر العريض ومثلثات أهرامها الباذخة وجبل المقطم الممتد على حافة أفقها الشرقى وبناياتها القديمة العربية واسواقها المسقوفة الشرقية ، بل يذكر فى طرب وحنين بيته وأهله فى انتظاره مشوقين فرحين

فالمعنى الأولى للوطن هو الأسرة . ويتسع هذا المعنى فيشتمل على اشتراك المصلحة ـ أو بعبارة أبسط ـ على الحياة الجماعية . ويؤكد هذا المعنى فى نفوس الجماعة ما يقام من الأعياد العامة احتفالا

بالنصر أو غير ذلك من الاحداث أو المواسم الطبيعية كفيض نهر وحصاد زرع . ولئن كانت الأسرة عند كل انسان هى أحب شىء اليه ، إلا أنه يشرك من بعدها فى هذا الحب من يحيط به من أبناء العشيرة والوطن لأنهم أقرب الى المعرفة والتفاهم والتعاطف ممن لاتجمعهم واياه رابطة من الروابط الطبيعية والمصلحية ، كما أنهم حول أسرته بمثابة الحصن والوقاية

وهذا هو الجانب المادى من الوطن

على أن الوطن المادى تمتزج به الذكرى والأمل ـ وهى ممتزجة به أبدا ـ فاذا هو أيضا وطن روحى

فانك حيثما سرحت الطرف واقع على مايذكرك بآبائك فى مختلف النواحى والمرافق من اقتصاد ولغة وتاريخ ودين وعلم وفن ، فلا جرم تتشرب نفسك انك تدرج هنا حيث درجوا ، وتنشأ على مانشأوا ، وأن بينك وبينهم على تطاول الأزمان مشاركة ، وانك ملتحم واياهم برحم ماسة ، فيحق لك أن تفخر بآيائهم ومفاخرهم كما يحق عليك أن تحمد لهم أياديهم ومآثرهم . ولما كنت لاتعرف على التحقيق من هم أولئك الآباء الأقدمون ، وما هو نصيب كل منهم فيما يحيط بك من آثارهم ، فانك تتمثلهم فى خاطرك كلا واحداً لايتجزأ . وهذه الوحدة فى الذكرى وحمد الصنيع والتعظيم اذا قامت فى جماعة فقد قامت الوطنية على أساسها المكين

ويضاف الى ذكرى الماضى أمل المستقبل . فالمرء لايعمل كل مايعمله لنفسه ، بل ينظر من بعده الى أولاده وأحفاده ، ولهذا سعيه لتأمين المستقبل لهم وضمانه. ثم ان المرء فى استشعاره التعظيم لآبائه يحب أن يكون له مثل هذا التعظيم فى نفوس أبنائه . وكما أن فكرة الآباء فى ذكراه عامة تشمل الأجيال السابقة ، فكذلك تشمل فكرة الأبناء فى أحلامه الأجيال اللاحقة لجيله . ومن ثم تنشأ الوحدة فى الأمل مكملة للوحدة فى الذكرى . وهذا بشطريه هو الجانب الروحى للوطن

ولكنا نقف هنا متسائلين : هل يكون مفهوما مما تقدم أنه لابد من استكمال العنصر المادى والعناصر الروحية لقيام الوطنية ؟

فاليهود ـ مثلا ـ مضت عليهم الوف السنين بغير وطن . وهم مشتتون فى الآفاق لاتلم شملهم بقعة من الارض ليقوم عليها كما أسلفنا الأساس المادى للوطنية . ومع ذلك فانهم أقوى الناس جامعة وأمتنهم رابطة وأشدهم غيرة وتحمساً لفكرة الوطن . وجوابنا على ذلك أن أورشليم فى مجدها القديم وهيكل سليمان فى روعته المأثورة ، مابرح طيفهما ماثلا لخيلاتهم، وأن هذا الخيال لأرض الميعاد هو الذى قام عندهم طوال هذه الأحقاب مقام الحقيقة الواقعة . وليس من تعليل لما تبذله الصهيونية من مال وجهد فى السنوات الأخيرة لاقتطاع بقعة لهم من أرض فلسطين الصخرية القاحلة إلا أن تكون رغبة ملحة من دعاتهم لتحقيق هذا الخيال ليأمنوا على فكرة الوطن عند بنى جنسهم من الزوال

كذلك العناصر الروحية كالتاريخ والدين واللغة والفنون والعلوم فان شأنها يتفاوت باختلاف أحوال الجماعات

ولا مراء فى أن التاريخ أكبر عامل على الروح الوطنية حتى ليصح القول بأن الوطن هو تاريخ الوطن . ومن ثمة عناية كل دولة بتعليم التاريخ لابنائها وعلى الأخص تاريخ بلادهم ، وكلما تغير نظام الحكم فيها أعاد مؤرخوها كتابة التاريخ على الوجه الذى يخدم هـذا الغرض ويدعم الايمان به . فالتاريخ في عهد الحكم الفردى هو سيرة العظماء الأفذاذ ، فهم الذين خلقوا الوطن وأضفوا عليه الرفعة والعظمة . فاذا صار الحكم للديموقراطية فالتاريخ هو حركة الجماعات فى طوال العصور والدهور لتحقيق التقدم فى مرافق الحياة واسعاد البشر وتخفيف ويلاتهم والاتجاه بالانسانية الى مثلها العليا

وقد يعترض معترض بأن تاريخ أمة من الأمم لايخلو قط مما نستهجنه ونتكره . فاسلافنا لم يبرءوا من فعل السوء وارتكاب الجرائم وكانت لهم نقائصهم ومشاينهم . ولـكن المعترض يغيب عنه ان عزة النفس التى تجعلنا لا نذكر لآبائنا إلا كل جميل كرامة لواشجة الرحم التى تصلنا بهم هى بعينها الكفيلة بألا تنال الحقائق التاريخية من ميراث شعورنا القومى . فنحن نقرأ فى تاريخ أسلافنا الطيب والخبيث ، فاذا تذكرناهم لم يتوارد على خاطرنا فى الغالب الأعم إلا كل حميد مجيد . وما عداه فاننا نعزوه الى جاهلية ذلك الزمن ومقتضياته ، كأن للزمن وجوداً خارج أهله . وهكذا يكون للمطالعات التاريخية أثرها الحافز للوطنية . وفيما تقدم مثال لما يجرى فى أكثر الأحوال من التفاعل . فنحن بدافع شعورنا بالتضامن مع أسلافنا ـ نجنح ـ من وراء وعينا ـ الى رؤية كل جميل فيهم ولا شيء غير الجميل ، ومن ناحية أخرى فان هذه النظرة الجميلة اليهم تعزز شعورنا بالتضامن معهم وتقويه اضعافا مضاعفة . ولولا أن التاريخ يبذر الوطنية ويلد الوطنيين ما شهدنا كل أمة غالبة تجعل همها الأول حرمان الأمة المغلوبة من معرفة تاريخها ، وما شهدنا حرصها على التنكيل بكتابها المؤرخين أو شراء ذممهم بالغالى الثمين ، علما منها بأنه ما دام تاريخ تلك الأمة فى صدور أبنائها فصدورهم بالوطنية عامرة جائشة وانها لمخرجة فى العاجل أو الآجل أبطالا مستبسلين يصبون النقمة والبلاء على القوم الظالمين

ويأتي بعد ذلك عنصر هام هو الدين . وإن العرب الأقدمين ما كانوا ليبلغوا ما بلغوه فى بعض سنين لولا أن أصبح لهم دين واحد نشأ فيهم وتشربته نفوسهم ولابس نهوضهم ، فكان أقوى عناصر وطنيتهم ، بل كان الدين والوطن شيئاً واحدا ، وكان الخارج عليهم خارجا على الوطن والدين معا . أما اذا تعددت الأديان فى البلد الواحد ، وجعل كل فريق من دينه وطنا ، فعندئذ يقع الخلف بين الوطن القومي والوطن الدينى ، ويختلف الناس على ايثار هذا على ذاك ، وتصبح البلاد مهددة بالشقاق والنزاع الذى لا آخر له . ولئن كان هنرى الثامن على كونه بروتستانتيا قد

اعتنق الكثلكة لأنها دين الكثرة من الفرنسيين فذلك مثال نادر أيا كانت ملابساته وحواشيه .
وخير ضمان فى حال تعدد الأديان فى بلد من البلدان هو احترام الحرية الدينية ، فلا تعدو الكثرة على القلة فى شئون الدين ولا تمتعض القلة من الكثرة لاستمساكها باهدابه . وبهذا أوصى القرآن الكريم « لكم دينكم ولى دين » ، كما أوصى به الانجيل « اعطوا لقيصر ما لقيصر ، وما لله لله »

أما اللغة فهى رابطة من أقوى روابط الجماعة ، وكيف لا ، وأنت قد تقبل على الرجل تخاطبه فاذا لم يفهم لغتك أحسست فى الحال أنه غريب عنك ، وأنه ناء بعيد ، وانه قد انفتحت بينكما هوة تعمق وتتسع وتزداد عمقا واتساعا لتعذر التفاهم بينكما . ولقد تتعلم لغة قوم آخرين ولكنك لن تصير منهم إلا الى حد محدود ، لأن لهجاتهم الخاصة المأنوسة لايحسنها ويحسن الاختيار بينها على حسب المناسبة والملابسة إلا من نشأ عليها . ثم إن اللغة ـ وهى تحمل المعانى وتتطور معها ـ تطبع جيلا بعد جيل أساليب التفكير ، وتفرض على الأجيال القادمة أفكار الأجيال الماضية . فلا مغالاة فى القول بأن اللغة قالب الأفكار وأن الطفل وهو يتلقن اللفظ من لغة قومه يرث معه فكرة من موروثات أفكارهم . ولا سبيل بعد هذا للشك فيما للغة من قوة وثيقة مبينة فى ربط الجيل من الجماعة بعضهم ببعض ، وربط هذا الجيل بسابقه ثم بلاحقه ممن سيتكلمون هذه اللغة بما أدخله عليها من مستحدثات . على أن هذا لم يمنع من وجود وطنيات رائعة بالرغم من اختلاف اللغات مثل سويسرا وبلجيكا والولايات المتحدة بأمريكا ، فهى وان عدمت هذه الرابطة فلم تعدم الروابط الأخرى من تاريخية تعتز بها أو اقتصادية تفيد منها أو تشريعية تطمئن اليها

ثم الآداب والفنون . ولا شك فى تعبيرها عن روح الامة وشخصيتها . والمطلع على آداب الامم وفنونها يعرف لكل منها طابعها وسماتها المميزة . ولقد يكون الادباء والفنانون أنفسهم لا يصدرون عن الروح الوطنية السائدة فى زمانهم ، وقد يكون وطنهم الفكرى فى غير بلادهم ومواطنوهم فى التفكير من غير أبنائها ، إلا أن منتجاتهم تظل مع هذا ومع كل مايستحدثونه فيها مطبوعة فى صميمها بطابع قومهم . ولا يختلف حال العلم والعلماء فى حكم الوطنية عن حال الادب والادباء والفن والفنانين ، فان العالم ـ فيما عدا المشتغلين بالاختراعات الحربية ـ لايفكر فى الوطن وهو مقبل على الاختراع والكشف ، وانما يفكر فى كشفه واختراعه فقط ، وقد يفكر فيما سوف ينال من المجد الشخصى بين العلماء . ومع ذلك فان نبوغ عالم فى بلد من البلاد يجعل مواطنيه أكثر اعتزازاً بوطنهم الذى أنجب هذه العبقرية . فالادب والفن والعلم تدخل فى خميرة الوطنية كشأن العناصر التى أسلفنا ذكرها من مادية وروحية

وطالما بقيت هذه العناصر كلها أو بعضها فالوطنية باقية ، مهما ردد المرددون وجهد الجاهدون من دعاة الدولية والمبشرين باسم الانسانية

عبد الرحمن صدقى

العالم يبدأ عصراً جديداً

ترى هل نحن الآن على أبواب عصر جديد ؟ واذا كان الامر كذلك فما هي أسباب هذا الانقلاب ؟ وهل يحقق هذا العصر ماتصبو اليه الانسانية من سعادة ورخاء ؟ هذه أسئلة تشغل بال المفكرين . وفي هذا المقال يعرضها الكاتب ويدرسها

ان التحول الاجتماعي الذي يطرأ على عصر من العصور لايشعر به من كان عائشاً فيه ، بل الذي يجيء بعده . فالمؤرخ الذي يعرض الماضي ويستقصي أخباره ، يرى مجموعة من الحوادث المتتابعة يأخذ بعضها برقاب بعض بحيث تصعب تفرقتها أو تجزئتها . فهي أمامه بمنزلة «فلم سنماتوغرافي» قد قسم أدواراً : (أولها) التاريخ القديم (وثانيها) العصور الوسطى (وثالثها) العصور الحديثة . أما الذين كانوا يعيشون في كل دور من تلك الأدوار فما كانوا قط يشعرون بالانتقال من عصر الى عصر ، ولا كانوا يدركون أن الحوادث التي تجري على مرأى منهم ستكون مراحل تفصل بين أجزاء التاريخ . فحوادث التاريخ تشبه نهراً تتابع أمواجه ، وهذه الأمواج قد تكون أحياناً هادئة وأحياناً مضطربة . والمؤرخ هو وحده القادر على تقسيم الحوادث مراحل وعلى استخراج العبر منها

ويمتاز بدء كل عصر من عصور التاريخ بظهور آراء وتعاليم جديدة سواء ما يختص منها بالنظام العمراني والعلمي والأدبي والاقتصادي . وقد يتوالى ظهور الاختراعات في عصر من العصور فيعتبر ظهورها بدء مرحلة من مراحل التاريخ بسبب ما تحدثه من الانقلابات في علاقات الشعوب . وسنبسط فيما يلي تاريخ المجتمع الحديث دوراً دوراً ، لنتبين ما اختلف عليه من تطور وتحول

* * *

في القرن السادس عشر بدأ عصر الاصلاح البروتستانتي بظهور كلفن وغيره من المصلحين . وجاء هؤلاء بتعاليم وآراء جديدة حددوا بها علاقة الانسان بخالقه وموقفه بازاء العقيدة الدينية . وأهم ماجاءوا به مناداتهم بحرية الفرد وحقه في تأويل التعاليم الدينية وعدم خضوعه لسلطان رجال الدين خضوعاً أعمى . وكان من نتيجة ذلك ظهور آراء سياسية جديدة بحيث يصح القول بأن تلك الثورة الدينية مهدت الطريق لثورة سياسية أعظم . لأن الناس رأوا أنهم اذا كانوا أحراراً في تفسير علاقاتهم بخالقهم فمن باب أولى أن يكونوا أحراراً في تأويل علاقاتهم بالسلطة السياسية

ومن غرائب المتناقضات أن التعاليم الدينية الجديدة التى كانت تقول بحرية الفرد فى تحديد علاقته بالمجموع حملت أتباع الاصلاح على لم شملهم وتوحيد صفوفهم للدفاع عن كيانهم بحيث كان الفرد يفنى نفسه فى المجموع ، على خلاف منطوق تعاليمه ، للدفاع عن حياة ذلك المجموع . ومن ثمة نشأت الحروب الدينية التى ليس هذا مجال البحث فيها . وانتهى الأمر الى أن صار لوثيروس يؤيد بعض الحكام والأمراء ، وينصر بعضهم على بعض بقصد نشر التعاليم الجديدة المبنية على حرية الفرد . ومن أغرب المتناقضات أن تنشر مبادىء الحرية بقوة السيف ! . .

***

ثم مهدت الثورة الدينية الطريق لثورة سياسية . فمن انجلترا ومن أميركا ومن جنيف انبعثت أنوار التعاليم الجديدة على لسان فولتير ومونتسكيو ولافاييت وجان جاك روسو ، وأشعلت جذوة أعظم ثورة سياسية عرفها التاريخ ، ألا وهى الثورة الفرنسية التى لم يكن غرض زعمائها إلا شيئا واحدا وهو تقرير حقوق الانسان والدفاع عن حرية الفرد بازاء المجموع . وقد كان جان جاك روسو من أنصار كلفن ، وعنه أخذ التعاليم الخاصة بنظام الفرد والجماعة ونشر فكرة جديدة صور بها الدولة باقوى مظاهر سلطتها ، لأن مصدر تلك السلطة هو الأمة نفسها . والذى يطالع ما كتبه جان جاك روسو فى هذا الشأن يخيل اليه أنه يقرأ كتابا لزعماء الشيوعية فى هذا العصر ، ومن مبادئها أن نواب الامة ليسوا ممثلى الأمة بل هم رسلها الموفدون عنها المستمدون سلطتهم منها

وفى العصر الذى تلا الثورة الفرنسية سادت فكرة الفردية فى جميع أنحاء أوربا . فاخذ الناس فى كل مكان يطالبون بحقوقهم ، ولا سيما حق الاقتراع ، وهو رمز الى المساواة وضمان لحرية الفرد . وكانت حقوق الانتخاب مقصورة فى أول الأمر على الطبقات الممتازة من الأمة ، وكانت قائمة على أساس مايدفعه الفرد من الضرائب . ثم توالت وجوه الاصلاح حتى أصبح حق الاقتراع عاما فى أواخر القرن فى بلاد كثيرة . واذا صح القول بأن عصراً جديداً بدأ بيده القرن العشرين فذلك هو عصر الحرية . والدول التى انتصرت فى الحرب الماضية هى الدول التى انتصرت لمبادىء الحرية والديمقراطية

***

وكانت ثمة قوات تعمل منذ زمان طويل على تقويض النظم الديمقراطية والفردية . وفى الحقيقة ان مبدأ الاقتراع العام منح الجماعات سلطة جديدة أو زاد فى سلطتها على حساب الفرد . فصارت الاحزاب تبذل المال بسخاء للحصول على الاصوات . وصار الاغنياء يشعرون بسلطة المجالس النيابية فيحاولون شراء الضمائر ونشر الدعوة بالطرق المحللة والمحرمة على السواء . وفى ذلك من الفوضى والارتباك مافيه . بل هو فساد فى الديمقراطية وتشويه لجمالها وتحويل لها عن الطريق السوى الى جهة الديماجوجية أو البلوطوقراطية

ومن المحتمل أنه لو بذلت المساعى لاصلاح مفاسد الديمقراطية لاستعاد هـذا النظام قوته ولعاش قروناً أخرى . إلا أن الأزمة الاقتصادية الأخيرة التى اجتاحت العالم كان لها اسوأ الأثر من هذا الوجه . والديمقراطية الصحيحة لا تنمو إلا فى جو من الهدوء والطمأنينة والرخاء . أما فى الأزمنة العصيبة وفى ابان العواصف الاجتماعية فان جل اهتمام الفرد ينصرف الى التماس وسائل الأمان ولا يفكر فى الحرية السياسية تفكيراً جديا . وكثيراً ماتوافق الجماعة على قيام حكومة مستبدة اذا كان فى استبدادها طلاوة الجديد . فقد أقام كلفن فى جنيف ديكتاتورية دينية على انقاض « الاوليغاركية الارستقراطية » التى كانت تسود أوربا فى ذلك الزمن . واذا التمسنا مثلا من التاريخ الحديث رأينا أن زعماء الشيوعية فى روسيا قد اقاموا ديكتاتورية العامة على انقاض الديكتاتورية القيصرية ، فانتقلوا بذلك من الشيء الى نقيضه

ثم إن الديماجوجية (أى حكم الرعاع أو العامة) والبلوطوقراطية (أى حكم الاغنياء والخاصة) فى بعض البلاد التى جرت على النظم الحرة قد أسفرتا عن مساوىء كثيرة الجأت تلك البلاد الى النزول عن الفوائد التى أحرزتها الفردية والتى كانت فى الحقيقة عظيمة الشأن. ففى ايطاليا مثلا أصبحت مصلحة الفرد تفنى فى مصلحة الدولة ، وصار الفرد يتناسى حقوقه لصيانة حقوق الأمة . والمانيا تلتمس اليوم زعيما يقودها وينقذها من مساوىء الديماجوجية والبلوطوقراطية اللتين ليستا من طبيعة شعبها . ونصف شعوب العالم المتمدنة تبدو لنا اليوم بمظهر الغاضب على الديمقراطية اليائس منها . والصحافة الاميركية تبدى أشد القلق من التطرف فى اطلاق الحرية للفرد وتصيح بصوت واحد بوجوب اقامة حكومة قوية ذات دعائم ثابتة

وفى روسيا نرى جيلا جديداً غير ملم بمبادىء حرية الفرد القائمة عليها معظم النظم الاوربية . وفى الواقع أن نظام روسيا فى الوقت الحاضر لا يعنى بحقوق الفرد بل بواجباته . فكأن الفرد هنالك يشعر بشىء من الغبطة لتناسيه حياته الفردية واندماجه فى حياة الدولة ، والناس فى ظل نظام كهذا يشبهون جماعة من النمل أو النحل ينسى فيها الفرد نفسه فى سبيل حياة الجماعة . ومثل هذه الآراء هى نقيض الآراء التى كانت تسود العالم فى خلال القرن السالف . فهل نستدل من ذلك على أن الافراط فى الفردية هو الذى قضى على الفردية وأدى الى ظهور النظام الجديد ؟ وهل يصح أن نسمى النظام الجديد « نظام النمل ؟ »

***

ومن دواعى الأسف أن العصبية الوطنية قد أصبحت ديانة الفرد فى هذا العصر ، وهي ابداً مصبوغة بصبغة التطرف ، مع أن العاقل يعلم تمام العلم أن التطرف لا يتفق مع مبادىء الارتباط الدولى التى تجعل شعوب الارض متصلة بعضها ببعض ومصالحها مرتبطة بعضها ببعض . وحالة الشعوب هذه تجعل العاقل يرى فى الحرب وسيلة لفناء كلا الغالب والمغلوب . وفى الواقع أن الحرب هى

بمنزلة انتحار لكلا الفريقين المتحاربين . ولو رسخت هذه العقيدة فى نفوس الناس لزالت الحروب واستراح العالم

ولدينا فى الوقت الحاضر عقيدتان أخريان هما بمنزلة ديانتين سياسيتين ، ونعنى بهما البولشفية والفاشستية . وفى كلتيهما تعتبر الدولة مصدراً للآداب والفضائل ولكل عامل من العوامل التى تؤثر فى نظام العمران وتوجهه . وبمقتضى هاتين الديانتين يجب افناء الفرد فى الجماعة

***

ترى اذن هل نحن الآن مقبلون على عصر جديد تحل فيه الجماعة محل الفرد ؟

ذلك محتمل . ومثل هذا النظام انما هو ممكن اذا أسس على برامج قومية واسعة النطاق يكون غرضها قبل كل شىء تحسين النظم الاقتصادية والسياسية . وقد تنتشر الافكار الجديدة ــ لا بقوة الغزو والفتح كما حدث فى بعض أزمنة التاريخ ــ بل بقوة العدوى . فالآراء والنظريات التى جاءت بها الثورة الفرنسية انتشرت بطرق العدوى أكثر من انتشارها بقوة السيف . وناموس بقاء الأصلح سوف يقضى على كل نظام غير صالح للبقاء ويستبقى كل نظام فيه خير للاجتماع وتثبيت لدعائمه

ومن الجهة الاخرى ــ ليس ثمة مايضمن نجاح النظام الجديد ، أى نظام البرامج القومية الاقتصادية . فقد ينتهى الى الفشل اذ لم يثبت حتى الآن أن ذكاء الانسان يستطيع التحكم فى مستقبله الاقتصادى وأن الحكمة التى يظهرها بوضعه تلك البرامج تستطيع انقاذه من الكوارث الاقتصادية فى المستقبل

ان العوامل غير المنظورة التى تتحكم فى مصير الاجتماع أكثر من العوامل المنظورة . فاذا انتهى أمر النظام الجديد الى الفشل فقد نشهد بدء عصر جديد يضطرب فيه العالم كما تضطرب أمواج البحر . ولا يستقر على حال إلا بعد مرور زمن طويل يسير فيه تطور الاجتماع سيره . ولكن هنالك مايحمل على الاعتقاد أن العصر الجديد المقبل الذى سيحل محل الفوضى الحاضرة سيكون عصر سعادة ورخاء يتمتع فيه البشر بالهناءة مدة طويلة وتقوى فيه دعائم العمران فى جميع أنحاء العالم

فالنظم الاجتماعية ملقاة فى شبه بوتقة يصهرها الاختبار لينتقى منها أفضلها وأصلحها للبقاء . على أنه مامن نظام منها يدوم الى الأبد بل أن لكل عصر ولكل جيل منها نصيبا خاصا

نقد وتحليل

النساء المسلمات في حياة جديدة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« روث فرنسيس ودسمال » مؤلفة هذا الكتاب هي مربية أمريكية قضت تسع سنوات في جماعات الشواب المسيحيات ما بين تركيا وسورية ، وأتاحت لها الفرصة أن تنتظم في بعثة من بعثات معهد روكفلر للسياحة والدراسة الاجتماعية . فأتمت رحلتها في بلدان العالم الاسلامي من تركيا الى سورية الى مصر الى فلسطين الى شرق الأردن ، ثم الموصل فبغداد فالحدود العراقية الفارسية فطهران وأصفهان ، ثم الهند من أقصاها الى أقصاها ولا سيما مراكز الحركة الاجتماعية في العواصم الكبرى

وقد أصدرت جامعة بيروت الامريكية هذا الكتاب بين مطبوعاتها الاجتماعية وصدره الاستاذ « رايارد ددج » بمقدمة وجيزة أعلن فيها أن الجامعة لا تتقيد بآراء الكاتبة وملاحظاتها وان كانت تعرف للكتاب قيمته وللمؤلفة فضلها

ومراجعة الكتاب تدل على معلومات حسنة ومشاهدات صادقة ، وان شابه بعض النقص في التحقيق ، وبعض الاتكال على المراجع القريبة التي يصادفها الغربيون كلما هبطوا بلداً شرقيا يبحثون عن دخائل حياته الاجتماعية ويحاولون النفاذ الى أسراره ، وهي مما يستعصى أحيانا على المقيم المتمكن من البيئة الشرقية ، فينتهي الأمر بأن يتلقفوا ما يسمعون ويأخذوا من هنا ومن هناك ما يأخذه العجلان الذي لا متسع لديه للغربلة والانتخال

الا أن الكاتبة على الجملة سديدة الآراء مستقيمة الطريقة ، فهي قد اتخذت لبحثها مقاييس صحيحة تعرض عليها أحوال النساء المسلمات في البلدان المختلفة ، وتعرف منها حظوظهن من التقدم والحرية ، وأصح تلك المقاييس سن الزواج وتعدد الزوجات ودرجة التعليم ومزاولة الاعمال الاقتصادية والاشتغال بالمسائل العامة . فكلما تأخرت سن الزواج وقل تعدد الزوجات وانتشرت مدارس البنات وعنيت المرأة بأمور غير أمور الأنوثة الفطرية كان ذلك دليلا على التقدم والحرية ، وكلما انعكس الحال في تلك المقاييس كان ذلك دليلا على التخلف والجمود والاسترقاق

وهي لا تنسى أن ترد الحقائق الى أسبابها الصحيحة غير قانعة بمجرد السرد أو بالاسباب الشائعة المزعومة ، فلما لاحظت قلة الزوجات في الطبقات العالية والوسطى لم تنسبها كلها الى التقدم الفكري

أو تطور الشعور بين الرجل والمرأة فى علاقة الزوجية ، ولكنها نسبتها قبل ذلك الى الاسباب الاقتصادية التى جعلت تأثيث البيوت في المجتمع المهذب صعوبة لا يستطيعها جميع الأزواج ، بحيث تزيد الصعوبة كلما ارتفعت الطبقة وعظمت الثروة وتعددت مطالب الحياة البيتية . أما الفقراء الذين لم يشعروا بتعدد هذه المطالب ولم يخضعوا لهذه التكاليف الاجتماعية فلا يزال تعدد الزوجات بينهم أكثر من المألوف بين الموسرين وذوى الوجاهة

واستثنت البلاد الفارسية حيث يباح زواج المتعة بين أتباع بعض الفرق ، ويحق للزوجين أن يتفقا على أجل الزواج من ساعة واحدة الى تسع وتسعين سنة . فقالت إن الزواج على هذا العرف الشائع لا يختلف فى حقيقته عن التسرى والمخالة ، ولا يرتب للزوجة حقوقا تعتمد عليها بعد طلاقها أو انقضاء مدتها ، وان ثلاثة أرباع النساء اللواتى يتزوجن هذا الزواج ينقلبن الى الدعارة ، لانهن لا يزلن فى اسفاف من زواج متعة الى زواج متعة أخس منه وأخسر مع توالى الايام وفقدهن الصبا والصباحة حتى يسين ولا مرتزق لهن غير التبذل والبغاء

وتكلمت عن تأخر سن الزواج فى مصر والهند ، فقالت ان مصر سبقت الى تحريم زواج البنت قبل السادسة عشرة وزواج الفتى قبل الثامنة عشرة ، وإن القانون المعروف فى الهند باسم قانون ساردا - أو ساردا بهادور - صاحب الدعوة الى رفع سن الزواج قد صدر فى سنة ١٩٣٠ محرما زواج البنت قبل الرابعة عشرة والفتى قبل الثامنة عشرة ، وذلك بعد استفتاء شامل أشرفت عليه الحكومة وتحققت من رجوع السائلين فيه الى كل طبقة وكل نحلة وكل فريق من الجهلاء والمتعلمين فى الهند أو البلدان الخارجية . إلا أن القانون لم ينفذ وكثر الخارجون عليه والرائغون منه لتأصل العادات وقلة الحوافز الى التبديل

وترى الكاتبة أن تأخر سن الزواج نتيجة من نتائج العرف الذى قضى بتعليم الفتاة وتثقيفها وتحصيلها للمزايا التى لا تتيسر لها قبل اتمام الدراسة الثانوية أو العالية ، فهى لا تغادر المدرسة الا بعد تجاوز السن الباكرة التى جرت العادة فى الاجيال الماضية أن تستعد فيها البنات للزواج

وأشارت الكاتبة الى صعوبة الاصلاح حيث لا ينبعث طلب الاصلاح من المتكوبين بآفات الظلم والجمود ، وضربت لذلك مثلا ، النساء المسلمات العاملات فى مصانع الحلاجة بمدينة امرتسار . فهناك تفهم المرأة غير المسلمة الاضراب والاشتراك فى النقابات وتبدى كثيراً من الاقدام والعناد . أما المرأة المسلمة فهى تحجم حتى عن الاجابة على الأسئلة الموجهة اليها اذا خشيت الرقابة وتوقعت الغضب ممن يستخدمونها . سألت الكاتبة امرأة عاملة : كم ساعة تعملين ؟ فقالت : طول النهار . فسألتها : ومتى تقفين العمل ؟ قالت : متى وقفت العدد ، فسألتها : ألا تستريحين للغداء ؟ قالت : أحيانا ، فسألتها : ومتى تتناولين غداءك ؟ قالت متى سمعت الصفارة

وتلمس صاحبة الكتاب سببا قويا من أسباب الجمود على التقاليد والعادات الغابرة حين تتكلم

عن نساء فلسطين وشرق الأردن ، فتقول : «ان النزوع الى السفور فى شرق الأردن قليل قلته فى فلسطين ، وقد تسربت الآراء الحديثة الى عمان من طريق زوجات الموظفين الترك والمصريين ، وكان لحضور البدويات السافرات أثره فى جو عمان. أما فى الصلت فالحجاب مفروض على المسيحيات فضلا عن المسلمات»

وقالت قبل ذلك : «لم تظهر فى فلسطين حركة معادية للحجاب ، بل ظهر على نقيض ذلك أن زعيمات المسلمات مع تسليمهن بأضرار الحجاب لا يتركنه فى بيت المقدس اثباتا لمنعة الآداب العربية وصيانتها أن تنهزم فى وجه الغارة الصهيونية »

فالواقع المشاهد أن الاصرار على العادات القديمة انما يشتد ويتحرج فى البلدان التى تكثر فيها العناصر وتبرز العصبيات وتلجأ كل طائفة الى اقامة الحواجز حولها أمام الطوائف الاخرى ، ولا أعرف تعليلا لتشبث المسلمات بالبراقع فى بعض العواصم السورية غير النزاع الذى كان فاشيا بين الطوائف على عهد الدولة العثمانية ، وكانت دول أوربا تنفخ فى جذوته ـ كل واحدة من ناحيتها ـ ترويجاً لمطامعها . وقد تبدلت الاحوال كثيراً فى أيامنا هذه ولا تبرح المرأة المسلمة حريصة على حجابها وبرقعها . حتى لقد روت السيدة «روث» أن الفتاة المسلمة المتعلمة قد تعمل سافرة فى مصرف من المصارف أو متجر من المتاجر ، فاذا انتهى عملها أسبلت عليها إزارها وتناولت خمارها من حقيبتها وعادت به مبرقعة الى بيتها !

***

وتعتقد السيدة « روث » أن للعالم الاسلامى عواصم محدودة تسرى منها جداول الثقافة والتجديد الى جميع أطرافه ، وهى لاهور والاستانة والقاهرة وطهران . وتخص بالتنويه لاهور والقاهرة ، لان المدينة الهندية ترسل الصحف والمطبوعات الى المسلمين فى أنحاء الهند عامة ، ولان القاهرة تملى دروسها على خمسة وأربعين مليونا من الناطقين بالعربية ، وتجاوز ذلك أحيانا الى أقصى الاقطار الاسلامية . وقالت ان الصحف والمجلات والكتب التى تطبع فى القاهرة تقرأ فى كل مكان يعيش فيه عرب ومسلمون ، وأنها رأت « المصور » عند تخوم صحراء المغرب كما رأته فى شتى الجهات ، وذكرت فضل صاحب «الهلال» فى تعويد القارئات أن يشهدن صور النساء السافرات مسلمات كن أو غير مسلمات ، وكثيراً ما تسرى الافكار من صورة ولا تسرى من كلام

وأثنت على نفوذ السيدة صفية زغلول وجهود السيدة هدى شعراوى ، وقالت ان أثر الأولى أقرب الى السياسة وأثر الثانية أقرب الى المساعى الاجتماعية . وألمت بمطالبة السيدات فى مصر والهند بالمساواة فى الحقوق الانتخابية ، وان كانت هذه المطالبة لا تنى ضعيفة متمهلة هنا وهناك

***

ومن ملاحظات الكاتبة أن الشرق يقتبس الحضارة الأوربية اقتباساً سهلا سريعاً دون أن يرهقه

عناء الفكر أو جهد الثورة النفسية ، فغير عجيب فيه أن ترى « عقلية » القرن السابع عشر تستخدم بضائع القرن العشرين ، وانها لرشاقة بينة تلك التي هيأت الشرقيين أن يقفزوا قفزة واحدة فوق عشرات السنين التي قضاها الغرب متطوراً متحولا قبل أن يبلغ ما بلغه في القرن العشرين . فالشيخ الصحراوي بجانب العراق ينظر الى الطيارة تدوي على رأسه في طريقها بين بغداد والقاهرة ولا يلوح عليه شيء من الاكتراث ، وسائق المركبة التي تجرها الثيران ينحرف بغير استغراب ليخلي الطريق لسيارة من أحدث طراز ، فلا يدهشه هذا التلاقي المفاجيء بين القرون الوسطى والقرون الحديثة ، ولا يهمه مجرى التغير في عصر العجائب أو عصر التلاحم بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، على ما بينهما من تباين بعيد

وهذه الملاحظة في جملتها صحيحة مستوجبة منا نحن الشرقيين لانعام النظر الطويل ، لان التغير الداخل والتغير الظاهر عندنا لا يتجاوبان إلا بمقدار ضئيل ، وإنما ينبغي أن يتجاوبا ويتلاحقا لكي نشعر ـ كما يشعر الاحياء ـ بأننا نعيش في عالم النفوس والافكار ولا نقتصر في معيشتنا على عالم الحس والظهور ، واننا لا نعمل عملا بأيدينا إلا أحسسنا صداه في ضمائرنا ، وكلفنا عقولنا أن تفقه مغزاه وخواطرنا أن تستوعب فحواه ، ومن ثم نخترع ونبتكر ونجاري المخترعين والمبتكرين ولا تظل جهودنا كلها وقفاً على اقتباس واقتداء

إلا أن كلمة نقلتها المؤلفة عن سيدة جميلة من مسلمات الاسكندرية تنبئنا أن هناك نفوسا تتلقى الحضارة وتتلقى معها ما يقترن بها من نزعات النفس ودوافع التفكير ، وبهذه الكلمة نختم مقالنا هذا حيث تقول السيدة الاسكندرية في معنى البرقع أو معنى الحجاب :

« إن البرقع كائنا ما كان من علوه وهبوطه ومن كثافته ورفاهته يظل برقعاً له كل معاني الحجاب حتى يختفي كل الاختفاء ، فما كان قط بمثابة قطعة من النسيج الأبيض أو الاسود ، أو بمثابة زي من الأزياء وشكل من أشكال الكساء . وما يلبس مرة أو يخلع إلا أوحى الى الذهن بعض التأمل والتفكير ، فانه رمز لمجموعة من النقائض الغربية ، وحاجز مؤكد للفاصل بين الجنسين والرقابة الاخلاقية ، وعلامة على التواكل ، كما أنه علامة على الراحة من التبعات ، وعقبة في سبيل التقدم كما أنه عنوان لشيء من الامتياز ، أوهو كما نلخصه في كلمة واحدة تمثيل لنظام اجتماعي مختلف جد الاختلاف ، فنبذه يستتبع تغيراً كاملا في جميع النواحي النفسية ، وما بقيت منه اثارة على الوجه فذلك النظام باق »

اذا كان بيننا كثيرات وكثيرون يفهمون اختلاف الأزياء على هذا المنوال ، فنحن اذن نعرف شيئا من مجاراة الحضارة الأوربية غير الاقتباس والاقتداء

عباس محمود العقاد

عروش الفراعنة

بقلم الاستاذ احمد يوسف

للأمة المصرية أن تفاخر سائر الأمم بأنها هى التى أنجبت أول ملك فى التاريخ ، وأقامت أول عرش عرفه العالم . فمنذ آلاف السنين ابتكرت مصر النظام الملكي ، الذى أثبت على مر الاحقاب والاجيال متانته ورسوخه ، وتفوقه على سائر أنظمة الحكم الاخرى

نعمت مصر بالحكم الملكى زهاء سبعة وعشرين قرنا مطردة متتابعة . فحوالى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد جلس منا — أول ملوك العالم — على عرش مصر كلها ، بعد أن ضم أطرافها من أقصى الصعيد الى أقصى الشمال ، ووحد الوجهين البحرى والقبلى تحت تاج واحد . وظلت الملكية مطردة فى مصر الى أن غزاها الفرس سنة ٥٢٥ ق . م .

وكانت قبل عهد منا تعرف الحكم الملكى بصورة مصغرة . إذ كان يتولى أمر الحكم فيها ملوك متفرقون استقل كل واحد منهم بقسم من الارض ، أعلن فيه سلطته ونادى بنفسه ملكا عليه . وقد أبانت الحفائر القديمة عن عدد من هؤلاء الملوك الصغار الذين سبقوا عهد منا ، وان كانت لم توضح لنا كنه النظام السياسى والاجتماعى الذى سارت عليه البلاد أيامهم . أضف الى هذا أن من أساطير المصريين القدماء أنهم منذ ظهروا على وجه الارض وهم محكومون بجماعة من الآلهة هبطوا الارض لينشروا فيها الرخاء والسلام ، وليعلموا الناس ويدربوهم على الحياة . وهؤلاء الآلهة هم بمثابة الملوك ، وحكومتهم بمثابة الحكومة الملكية ، فكأن مصر قد عرفت النظام الملكى منذ الأزل ..

واذا استقرأنا التاريخ المصرى فى جميع أدواره ، وتتبعنا مراحل نظام الحكم فيه وما طرأ عليه من تحول وتغير ، وجدنا أن هذه البلاد لا يلائمها سوى الحكومة الملكية . فطالما كان هناك ملك وطيد العرش رفيع التاج ، كانت البلاد مرفوعة الرأس معززة الكرامة ، إذ كان الشعب يرى فى الملك رمزاً لمجده وعنوانا لقوته ، فلا يدخر وسعا في خدمة وطنه واعلائه ، اخلاصا منه لهذا الملك الذى يمثل الوطن ويرمز اليه . ولهذا بلغت مصر فى عهد ملوكها « تحوتمس الثالث » و « امنحتب الثالث » و « رعمسيس الثانى » ما لم تبلغه فى أى عهد آخر من المجد والسيادة والرخاء

وقد كان المصريون يقدسون الملوك ويؤلهونهم ، وكان الملك هو ممثل الاله فى الأرض . أى انهم كانوا يعتبرون الاله هو الحاكم الأول للبلاد ، وأن فرعون هو نائبه وممثله . وكان الملك يحج

الى معبد الاله الا كبر « رع » ، حيث يعلن ويؤكد أنه من نسل الآلهة ، فيعترف به ملكا شرعيا على البلاد ويكتسب العرش بهذا صفة دينية قدسية

ومن أمارات اجلال المصريين للتاج أنهم ما كانوا يؤنثون صاحبه فى لغتهم أبداً ، حتى عندما وليت الحكم الملكة « حتشبسوت » فان لقبها ظل مذكراً باسم « نسوت بيتى » أى صاحب التاجين ، ملك مصر العليا والسفلى

وكان التاج والعرش أجل وأسمى شىء فى مصر ، وناهيك بما يوضع فوق رأس ملك انحدر من سلالة الآلهة ، وبما كان يجلس عليه من يعده الناس نصف إله وكانوا دائما يقرنون الملك بهذه العبارة : « يضىء على الناس من فوق عرشه مثل رع فى السماء » فكأن هذا العرش هو مبعث الضوء الذى ينير للناس سبيل الحياة

***

واذا كان أول عرش هو هذا الذى عرفته هذه البلاد ، وقلدتها فيه من بعد ذلك الأمم المختلفة ، فماذا ترى كان شكل ذلك العرش ؟

لقد أعطتنا البحوث الأثرية صوراً شائقة لشكل العرش المصرى القديم ، ولكن تاريخ هذه العروش جميعا يرجع الى ما بعد عهد الملك « منا » صاحب أقدم العروش طراً . وكم يكون جميلا لو يماط اللثام عن ذلك العرش الاول بصورته الساذجة البسيطة التى هذبتها الايام من بعد حتى صارت مثالا واضحا للعظمة والأبهة

بلغت عروش الفراعنة مبلغا عظيما من الفخامة والجلال . وليتنا كنا نستطيع أن نضع أمام القارىء صورة ملونة لأحد تلك العروش ، بشكله المذهب المزركش المجمل بأبهى الألوان ، اذن لرأينا ما يروع العين بجلاله وجماله

كانت العروش ، بوجه عام عبارة عن سقيفة ـ أى مقصورة ـ مربعة الشكل ، تحملها من أركانها الأربعة أعمدة خشبية جميلة الصنع مزخرفة بشتى الألوان الزاهية . ويعلو السقيفة اطار كان يزين عادة بعدد كبير من الاصلال ـ جمع صل ـ تدور مع الاطار كله . وقد يكون الاطار مكونا من طبقتين ، كما يرى فى شكل عرش الملك « امنحتب الثالث » . وبالغ بعض الملوك فى الاكثار من رسوم هذه الاصلال ، فزين بها مقصورة العرش كلها حتى أعمدتها وأرضها . إذ كانوا يعتقدون أن الصل يدفع عن الملك شر أعدائه وينفث فيهم سمه اذا نهضوا الى ايذائه

ويجلس الملك داخل هذه المقصورة على مقعد عظيم هو كرسى العرش الذى كان يصنع غالبا من صفائح الذهب ويزركش بأنفس النقوش المطعمة بالأحجار الكريمة . ويرى القراء فى صورة كرسى عرش الملك « توت عنخ آمون » مثالا من فخامة هذا الكرسى وجماله

وكانت تكسى أرض العرش بقطعة من السجاد عليها موطىء لأقدام الملك ، وهو يتألف

من كرسى صغير من الخشب ، يضع الملك عليه قدميه . وكانت تنقش على هذا الموطىء صور أعداء الملك بسحنهم المختلفة ، وهم رؤساء القبائل البدوية الذين كثيرا ما كانوا يشاكسون ملوك مصر . فكانوا يضعون صورهم تحت اقدامهم رمزاً الى أنهم قد قهروهم وأذلوهم و وطأوهم باقدامهم

وكانت المقصورة تعلو الارض درجة أودرجتين ، وغالبا ما كان ينقش عليها العلامة الهيروغليفية « رخيت نب » عدة مرات ، ومعناها : « كل البشر » ، دلالة على أن الناس جميعا تحت سلطة ملك مصر وهى تشاهد فى عرش الملك « توت عنخ آمون » . وأحيانا ينقش عليها صور الأسرى من رؤساء القبائل كما يشاهد فى عرش الملك « امنحتب الثالث »

وقد يختلف شكل كرسى العرش عن هذا ، كما يختلف شكل المقصورة كلها . فتارة يصور على جانبى الكرسى رمز اتحاد الوجهين البحرى والقبلى المعروف باسم « سما » ، أو مضافا اليه أسيران مكتوفان مشدودان الى علامة الاتحاد

وكان الملك عندما يجلس على العرش يتزيى بزى خاص ، ويقبض بيديه على صولجانين ، احدهما معقوف النهاية والآخر شبيه بالسوط ، وهما رمزا الاله أوزيريس . وقد يمسكهما معاً فى يد واحدة ويمسك فى الاخرى علامة « عنخ » رمز الحياة

احمد يوسف
بالمتحف المصرى

مصر : ذكرينا بمجدك الخالد

شباب قنع لا خير فيهم	وبورك فى الشباب الطامحينا
فناجيهم بعرش كان صنوا	لعرشك فى شبيبته سنينا
وكان العز حليته وكانت	قوائمه الكتائب والسفينا
وتاج من فرائده (ابن سيتى)	ومن خرزاته (خوفو) و (مينا)
علا خداً به صعر وأنفا	ترفع فى الحوادث أن يدينا
ولست بقائل ظلموا وجاروا	على الاجراء أو جلدوا القطينا
فانا لم نوق النقص حتى	نطالب بالكمال الأولينا

احمد شوقى

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

لماذا يتعطل الشباب

والعلم يفتح لهم ميادين لم يطرقها آباؤهم

أينما سرت اليوم تسمع حديث البطالة وضيق سبل الرزق فى وجوه الشبان المتعلمين . ومثل هذا الحديث مثبط لعزيمة الشبان مع أن العقل والاختبار يؤكدان لنا أن الفرص المتاحة للشباب هى اليوم أوفر مما كانت بالأمس ، لأن رقى الحضارة وتطور الاجتماع يفتحان أمام الشبان ميادين جديدة ويفسحان لهم سبل الرزق . فلا ينقضى يوم إلا وتنشأ فيه صناعة جديدة تنطوى على احتمالات كثيرة . ففى ميدان الهندسة تشتد الحاجة كل يوم الى استنباطات جديدة لتحسين السكك الحديدية والقطرات على اختلاف أنواعها بقصد الاقتصاد فى النفقات وتوفير وسائل الراحة . ولا يظهر فى العالم اختراع إلا ويتطلب عمالا وموظفين جدداً . والمصانع التى تصنع الأدوات المنزلية على اختلاف أنواعها أنصع دليل على صحة ما نقول . ففى كل يوم آلة جديدة تستعملها ربة المنزل فى مطبخها أو فى غرفة نومها أو غرفة جلوسها . وهذه الآلة الجديدة تتطلب الصناع الجدد . وكل آلة تظهر فى السوق وتروج هى من « تصميم » مهندس وقف جانباً من وقته على ابراز ذلك « التصميم » – سواء أكان لمكواة جديدة أم لمصفاة أم لآلة أخرى . وقد عن لأحدهم أخيراً أن يستنبط حروفاً جديدة مزخرفة يتوج بها الورق الاعتيادى الذى تكتب عليه الرسائل . ويقال إنه شق لنفسه بهذا الاختراع البسيط طريق الثروة الطائلة

واذا رجعت الى الاحصاءات الصناعية تجد عدة ملايين من الشبان والشابات يعملون اليوم فى مصانع لم يكن لها أو لأكثرها وجود فى أواخر القرن الماضى ، كمصانع الصور المتحركة والاوتوموبيلات والراديو والطيارات واللاسلكى على اختلاف أنواعه وآلات التبريد والتدفئة وتنظيم التهوية وهلم جرا . جميع هذه الصناعات نمت واتسع نطاقها بفضل المباحث والتجارب التى قام بها المهندسون والرسامون وغيرهم . وليس فى العالم رجل يعتقد أن باب التحسين والاستنباط قد أوصد أو ان العالم قد وصل الى درجة الكمال . وقد قال الاستاذ سارنوف رئيس اتحاد

شركات الراديو بامبركا فى خطبة له ألقاها أخيراً : لن تنقضى خمس سنوات حتى تصبح كل قطعة من قطع أجهزة الراديو الحالية عتيقة وتحل محلها اختراعات جديدة

ان الرجل الواسع الدربة يجد ميادين العمل أمامه فسيحة . ففى مهنة الطيران وفى صناعة الطيارات تجد العمال الاخصائيين ينقصون عن الحاجة . ومصانع الطيارات تعجز عن تلبية مايطلب منها من طيارات حربية أو تجارية . وقد تقدمت صناعتها تقدما عظيما فى بضعة الأشهر الأخيرة بفضل استنباط وسيلة لصنع الطيارة وجميع أجزائها من معدن . وهذا التقدم يقتضى عمالا اخصائيين جداً . والمعادن التى تصنع منها الطيارة وأجزاؤها جديدة حتى لقد اضطرت المصانع الى انشاء مدارس لتخريج اخصائيين فيما هى فى حاجة اليه يحذقون صناعة المعادن وما يتصل بها من صهر وتطريق ولحام وتحويل وتركيب وكهربة وهلم جرا

ولننظر الى الزراعة ، وقد يزعم البعض أن ميادين العمل فيها قد ضاقت بطلابها . وهو زعم خطأ فان الحاجة ماسة اليوم أكثر منها قبلا الى تحسين وسائل الزراعة وترقيتها واكثار النتاج الصالح والقضاء على الغلة الرديئة . بل الحاجة ماسة الى استيلاد النباتات والاشجار الجديدة التى تحتاج اليها الصناعات الجديدة ، نذكر منها على سبيل المثال الشجرة المعروفة بشجرة الخشب الصينى أو الخشب اليابانى ولها جوزة يستخرج منها زيت لاغنى عنه فى صناعة الأدهان . وقد خطر ببال أحد الزراع الاميركيين أن يستورد هذه الشجرة من موطنها الأصلى ويزرعها فى أراضيه ، فأسفرت التجربة عن نجاح عظيم، حتى انك تجد اليوم فى بعض أنحاء أميركا الوفا من الأفدنة مزروعة شجرة الخشب الصينى . وتجد أيضا مصانع كثيرة لاستخراج الزيت من جوزتها وصنع الدهان المطلوب منه

وماذا عسانا أن نقول عن العمل فى صناعة الأطعمة و « جاراجات » الاوتومبيلات وعمال تنظيف الثياب وتحسين المنسوجات ومعامل الهندسة الصحية ومئات غيرها من ميادين العمل ؟ ان الفرص سانحة أمام الوف الالوف من الشبان الماهرين الأذكياء

ولا تنس مدارس المباحث الجنائية والحاجة ماسة الى توسيع نطاقها ورجال البوليس يرحبون بجميع الشبان الذين يتقنون تلك المباحث ويتفننون فى طرق الكشف عن الجرائم . وفى انجلترا وفرنسا والمانيا شبان من خريجى أكبر الجامعات يعملون فى ادارات البوليس ويقومون بأنفع المباحث الجنائية . وقد وقفوا قواهم ووقتهم وحياتهم على ترقية مستوى تلك المباحث حتى أصبحت مزاولتها معادلة تماما لمزاولة مهنة الطب أو المحاماة أو الهندسة

ان تقدم حضارتنا يجعل للحياة كل يوم مطالب جديدة . وهذه المطالب تستلزم مصانع وصناعات جديدة ، وتفسح للايدى التى تطلب العمل ميادين جديدة ، وأبواب الرزق مفتوحة أبداً أمام الشبان الأذكياء الذين يعرفون كيف يستغلون مواهبهم

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ريدرز دیجست . للاستاذ تشيز عميد جامعة نيويورك]

أسرار الدماغ

وعلاقاته بأمراض الانسان وانفعالاته

لكاتب هذه السطور صديق أصيب فى احدى مواقع الحرب الماضية بشظية من قذيفة مدفع كسرت الجمجمة وأتلفت جانباً كبيراً من الدماغ. وقد أعيدت قطع الجمجمة الى مكانها و «لحمت» معاً بقطعة رقيقة من الفضة فشفى الرجل ورقى فيما بعد الى رتبة كولونيل. واتضح أن دماغه لم يعطب

وأصيب فى تلك الحرب أيضا جندى برصاصة استقرت فى جبينه. ولا يزال حياً يرزق الى هذا اليوم

ان المرء ليدهش اذا عرف مايستطيع الدماغ احتماله من ضروب العطب والايذاء. ومع ذلك فان هنالك اصابات بسيطة تبدو تافهة أول وهلة ولكنها تتلف الدماغ اتلافا تاما وتسبب الوفاة. وكذلك فى الجسم أعضاء دقيقة اذا أصيبت بأقل عطب مات الانسان. فالعصب المعروف «بالتائه» — وهو الذى يتحكم فى القلب — اذا أصيب بأقل ضغط قتل صاحبه. وقد يموت الانسان بهذا الضغط ولا تبدو أية علامة على سبب الوفاة. وفى زمن الحرب الماضية سقط الكثيرون من الجنود قتلى — لا بالرصاص أو بشظايا القذائف بل بسبب ضغط الهواء (الناشىء عن مرور قذيفة المدفع) على العصب «التائه»

ولكى نفهم ماقد يصيب الدماغ من ضروب العطب والأضرار يجب أن نتذكر أن للجهاز العصبى ثلاثة مراكز (أولها) الدماغ نفسه و (ثانيها) كتل المادة السنجابية فى قاعدة الدماغ و (ثالثها) الحبل الشوكى وما يتصل به من أعصاب. فاذا أصيبت خلايا الأعصاب الشوكية بضرر لم يؤثر ذلك فى حياة الانسان العقلية تأثيراً يذكر. واذا أصيب الحبل الشوكى نفسه بجراثيم الزهرى أعطبت قوة الانسان على المشى أو على استعمال يديه، ويعرف هذا العطب بالشلل العضلى. وقد يكون المصاب به سليم الجسم من كل وجه إلا أن مشيته لا تكون طبيعية

وقد يصاب الحبل الشوكى اصابات كثيرة مختلفة فى مقدمتها شلل الاطفال، وجراثيم هذا الشلل تتغذى بخلايا الأعصاب المتصلة بالعضلات. فتفقد هذه العضلات قدرتها على الحركة وتتلف بمرور الزمن

والحمى الشوكية المخية تصيب غشاء الحبل الشوكى فيلتهب. وكثيراً مايصل الالتهاب الى خلايا الأعصاب فيتلفها ويتسبب عن ذلك جميع ضروب الشلل

وفى قاعدة الدماغ مجموعة من الأعصاب تتحكم فى القلب والرئتين. وهنالك طائفة من الامراض (كالحمى المخية الشوكية وشلل الاطفال) اذا هاجمت تلك المنطقة أفضت الى الموت. واذا أصيب

وجه الانسان بالشلل كان ذلك علامة على أن العدوى قد اقتربت من أعصاب القلب والرئتين وأصبحت الوفاة أكيدة تقريباً

ولقاعدة الدماغ علاقة غريبة بالعواطف والحالات النفسانية . فاذا وصل مرض الزهري الى تلك القاعدة أصيب الانسان بنوبات عصبية وانفعالات نفسانية قوية قد تنقلب ضحكا أو بكاء . وفى الواقع أنه قد يضحك طويلا ضحكا هستيريا من دون أن يدرك أحد سبب ضحكه . وفى أوقات الهدوء تجده رزيناً عاقلا لا يختلف عن سائر الناس . وقد تكون الحالة أشد خطراً اذا كان الرجل مصابا بمرض النوم فقد يصاب إذ ذاك بنوبات هياج عصبية خطرة

وقد يصاب الدماغ نفسه بأمراض تنشأ عنها حالات تصح تسمية بعضها بالجنون . ولا يخفى أن فوق الاذن فى الدماغ منطقة تتحكم فى جميع حركات الانسان فاذا أصيب « بنوبة » أى بانفجار أحد الأوعية الدموية فى المنطقة المذكورة أعطبت خلايا الدماغ التى تتحكم فى الساقين أو الذراعين أو غير هذه الاعضاء

وفى المنطقة التى تحت الجزء البارز من الجبهة مركز العلم . وبفضل هذا المركز يتعلم المرء القراءة والكتابة والتصوير والعزف على الآلات الموسيقية واستعمال الأدوات الاعتيادية من قلم أو سكين أو شوكة . فاذا أصيبت هذه المنطقة بعطب ــ كالعطب برصاصة أو بانفجار وعاء دموى أو بمرض زهرى ــ نشأ عن ذلك مرض غريب يسميه الاطباء « ابراكسيا » أى فقدان القوة على تحريك اليدين أو القدمين تحريكا طبيعياً منطقياً . فتصبح حركات الانسان غريبة جنونية تضحك الناظرين وتدهشهم

واذا أصيب « مركز الكلام » فى الدماغ بعطب أصيب بما يعرف عند الاطباء بمرض « الافازيا » أو فقدان قوة التعبير عن الافكار وأصبح المصاب يهذى هذيانا غير مفهوم . وقد يصاب مركز السمع فى الدماغ بعطب ــ وهو المركز الذى يعين المرء على تعلم اللغة ــ فلا يفهم إذ ذاك أية لغة أو كلام يقال له إلا أنه يستطيع القراءة من دون أن يفهم حرفا واحداً مما يقرأه

وفى مؤخرة الدماغ مركز العلم عن طريق البصر . فاذا أصيب هذا المركز بعطب عجز المرء عن القراءة وعن معرفة الاشخاص الذين يراهم ، ومع ذلك يظل يفهم كل ما يقال له ويتكلم بسهولة

والزهرى والحمى الشوكية والانفلونزا والحمى القرمزية والدفتيريا وغير هذه من الامراض قد تؤثر فى الدماغ تأثيرات كالتأثيرات التى تقدم وصفها ، وللعقاقير المخدرة مثل تلك التأثيرات أيضا ، كما أن عدم انتظام الدورة الدموية فى مراكز الدماغ التى تقدم ذكرها قد يؤدى الى ارتباكات خطيرة

أما الجنون فلا يكون إلا اذا أصيب الدماغ كله بعطب

[خلاصة مقالة نشرت فى المجلة العلمية الاميركية . للاستاذ ايستا بروكس]

حرب الغازات المقبلة

والوسائل التى تتخذها أوربا لاتقائها

فى أوربا اليوم هلع عام وذعر مستول على جميع النفوس . ذلك لأن أحاديث الاوربيين وأقوال صحفهم تدور على محور واحد هو الحرب المقبلة وأهوالها وما سيكون للغازات السامة فيها من الأثر الهائل . والصحف الأوربية الكبرى تنشر المقالات المسهبة عن مختلف الغازات التى قد استنبطها علماء الكيمياء فى مختلف البلدان لتكون عدة الجيوش فى الحرب المقبلة

ولهذا ترى الناس فى لندن وباريس وايطاليا وغيرها من مدن أوربا يشترون اليوم كمائم شتى لاستعمالها فى الحرب المقبلة . وفى أكثر تلك البلدان توزع النشرات المختلفة عن كيفية استعمال الكمائم واتقاء الغازات السامة متى نشبت الحرب المقبلة . وجمعية الصليب الاحمر الدولية بجنيف تبذل جهدها منذ أكثر من سنتين لحمل الدول على اتخاذ الاحتياطات الواقية من الغازات . ومنذ سنة ١٩٣٢ تنشر جريدة « الجورنال » التابعة للجمعية المذكورة ملاحق شهرية خاصة تحتوى على خلاصة ما وصل اليه العلم من كيفية اتقاء تلك الغازات . والحكومة الالمانية تحاول تدريب شعبها على اتقاء اربعة أنواع مشهورة منها وهى : الغاز الابيض والغاز الاخضر والغاز الازرق والغاز الاصفر . فاما الأول (أى الغاز الابيض) فيعرف أيضا بغاز الدموع وهو يجعل العيون تدمع حتى تتعذر معها الرؤية تعذراً تاما والكميات الكبيرة منه تسبب نزيفا شديداً . وأما الغازان الثانى والثالث (الاخضر والازرق) فهما أكثر الغازات شيوعاً وهما غاز الكلورين وغاز الفوسجين . والغاز الرابع هو أشد تلك الانواع هولا ، ويسمى أيضا غاز ايبر لأنه استعمل أول مرة فى ميدان ايبر فى الحرب العظمى الماضية . ومن خصائصه أنه يخترق جلد الانسان ويصل الى أعضائه الباطنية ولا تحول الثياب دونه

وقد صنعت احدى الشركات الالمانية نماذج من هذه الغازات الأربعة تباع فى قوارير صغيرة وكمياتها لاتؤذى عند الاستعمال . والغرض منها تعويد الشعب الالمانى رائحتها حتى يكون على بينة منها وحتى يستطيع التمييز بينها فى الحرب

ومما يدل على انتشار الذعر بين الاوربيين أن كل مدينة وكل قرية فى فرنسا مجهزة بصفارات قوية لتنبيه الاهالى عندما يطلق العدو غازاته . وفى جميع بلدان أوربا تباع الكمائم المختلفة والناس يتهافتون على شرائها ، وأكثر تلك الكمائم معروضة فى المخازن الكبيرة فى معظم المدن وتجارتها رائجة رواجاً عظيما ، وقد كانت الكمامة حتى عهد قريب تباع بما يساوى نحو ثلاثة جنيهات ولكن رواجها مكن صانعيها من خفض أثمانها الى أقل من النصف

ويقول الدكتور كلوتز من أكبر علماء الالمان إن الكمائم لاتقى من جميع أنواع الغازات وإن هنالك غازات لم يصل العلم بعد الى ملافاتها ومنها نوع جديد من « الغاز الأخضر » تصنعه المعامل الالمانية ولا تدفع الكمائم شره ولا توصل العلم الى اكتشاف ترياق لسمه . وهو يخترق جسم الانسان ويصل الى رئتيه ثم يفجر المجارى الدموية فيغرق الرئتين بالدم . ويقتل الانسان بعد دقائق معدودة . ولما كان هذا الغاز أثقل من الهواء فهو يرسب الى أسفل ، وعليه فلا يمكن الاستتار منه فى الاقباء والسراديب

ومما يدعو الى الأسف أن هنالك سباقا مستمراً بين علماء الكيمياء وصناع الكمائم . فكلما استنبط الأولون غازاً جديدا حاول الآخرون أن يستنبطوا له كمامة خاصة . ولكن السبق دائما هو لعلماء الكيمياء . أضف الى ذلك أن وزارات الحرب فى الدول المختلفة تكتم أسرار الغازات وأسرار صنعها لكى تفاجىء بها أعداءها

فالكمائم إذن ليست علاجا حاسما لداء الغازات . ولهذا انصرفت جهود العلماء الى استنباط وسائل أخرى للوقاية . من ذلك ما استنبطه أحد المصانع الأوربية وهو شبه غرفة معدنية متحركة تحتوى على خزان فيه عنصر الاوكسجين والغرفة تسع عشرة أشخاص وخزان الاوكسجين الذى فيها يكفيهم ثمانى ساعات . وثمن هذه الغرفة لا يزيد على ما يساوى ثمانية عشر جنيهاً

وقد اتخذت الحكومة الفرنسية بعض الاحتياطات لوقاية المستشفيات فى زمن الحرب من خطر الغازات ، فانشأت لها اقباء وسراديب خاصة . وبعض شركات البناء بباريس تعلن الآن انها تبنى البيوت الجديدة على طراز تتوافر فيه أسباب الوقاية من الغازات فى زمن الحرب . ومما يجدر بالذكر أن أصحاب بعض القصور القديمة يعنون الآن بايجاد سراديب خاصة فى قصورهم لتلك الغاية

واتخذت ايطاليا احتياطات أخرى وهى أنها دبرت نظاما بديعا لاخلاء المدن الآهلة عند احداق الخطر ، بحيث لايبقى فى تلك المدن إلا أشخاص معينون لا بد من بقائهم فيها لأغراض حربية . والذين يخرجون منها ينتقلون الى ثكنات وقتية . وقد طبعت الحكومة الايطالية تعليمات بهذا الشأن وأمرت بتسجيلها على اسطوانات الفونوغراف لكى يتعلمها الناس ويحفظوها عن ظهر قلوبهم . وتعنى الحكومة الايطالية عناية خاصة بتلقين جميع الأفراد غير المحاربين وسائل الوقاية من الغازات . .

على أن الجنرال دوشين المفتش العام لجيش الدفاع الفرنسى يقول : « اننا فى الحروب الجوية المقبلة لن نستطيع أن نحمى جميع سكان المدن الكبرى من مقذوفات الطيارات والغازات . . واذا أمكننا أن نحمى من كل مائة نفس خمسين نفساً فقط فان جهودنا لاتكون قد ذهبت سدى »

ومثل هذا القول من قائد حربى خطير أقرب الى الجد من صيحات المتشائمين الهستيرية الذين يقولون ان الطيارات فى الحرب المقبلة ستمطر المدن الكبرى كباريس ولندن سيلا من المقذوفات

المتفجرة والنارية والغازية ، تترك تلك المدن بعد دقائق قليلة أثراً بعد عين . وعلى كل فان جميع حكومات العالم منهمكة اليوم فى اتخاذ مختلف وسائل الاحتياط لوقاية أنفسها وشعوبها من شرور الحرب القادمة . نعم ان موعد هذه الحرب لا يمكن تعيينه أو الانباء به على وجه التحقيق ، ولكن الحكومات لاتريد أن تؤخذ على فجأة . فهى إذن تسير على المبدأ القائل : « ان التسلح خير ضامن للسلام »

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة نيو اوتلوك . ثمرتك هاميجن]

أنت لاتعرف نفسك

كما يعرفك الناس

فى العالم كثيرون يعرفونك أحسن مما تعرف أنت نفسك . هنالك طبيبك وصديقك وزوجتك وأولادك وخادمك وعشراؤك ، بل الحيوانات الأليفة التى فى بيتك . جميع هؤلاء قد تكون معرفتهم بك أكمل من معرفتك أنت بنفسك ، وقد تدهش لو أنهم أطلعوك باخلاص على كل ما يعلمونه عنك

خذ طبيبك مثلا : فقد يلقى نظرة عليك فيكتسب من تلك النظرة معلومات وبيانات تدهشك . وهى لا تتعلق بمرآك الطبيعى فقط وما يشف عنه من صحة أو مرض ، بل أيضا بأخلاقك وعواطفك وميولك وما قد تحتمله من ثقل المرض وما قد تكون عليه من خلق طيب أو طبع لا يطاق . وقد يعلم من تلك النظرة هل أنت منظم فى معيشتك أو مرتبك مضطرب لا قيمة للترتيب في نظرك . وليس ذلك فقط بل قد يعرف بالتدقيق ما أنت معرض له فى المستقبل من خطر صحى ومن حوادث قد تؤثر فى جسمك وفى قواك وفى عملك

فقد يعلم مثلا انك سوف تحتاج بعد قليل الى نظارة لتستعين بها على القراءة ، وانك سوف تكون في حاجة الى هذه النظارة الى ما يقرب من سن الخمسين أو الستين ، وانك متى وصلت الى هذه السن بدأ وجهك يتجعد ومنظرك يتغير تغيراً تاماً

وقد يعرف أيضا ما أنت معرض له من الانفعالات فى ابان المفاجآت والحوادث غير المنتظرة ، وهل تستقبل تلك المفاجآت بالهلع والصياح أم برباطة الجأش . وكذلك القول فى زوجتك فقد يدهشك ما تعرفه عنك من الحقائق سواء ما يتعلق منها بعملك أم بأخلاقك أم بآدابك أم بماضيك أم بحاضرك . ومن العبث أن تخادع نفسك بقولك إنها لا تعرف شيئاً مهماً

ان الشاب يصور فى ذهنه الفتاة التى يحبها صورة لو أنها رأتها بعينها لضحكت فى سرها مقهقهة ساخرة . ذلك لانه يصورها كما يشتهى ويحب ، ويتغاضى عن كل ما يمكن أن يكون فيها من نقائص

وشوائب ، لانها قلما تبدو أمامه بخلقها الطبيعي بل تتكلف ما قد يخدعه ويضلله

وقد تكون بخيلا شحيحا وأنت لا تعلم ذلك ، إذ قلما يسلم البخيل بأنه بخيل ولو اتهمه جميع أصدقائه وعارفيه بالبخل . ذلك لان المرء يجهل عادة كثيراً من الصفات التي يمتاز بها إذا لم تكن مما يشرفه . ويتكلف الصفات التي تشرفه وان لم يكن لها أثر فيه . بل لقد يعتقد باخلاص انه متحل بها وهو على نقيض ذلك . وسواء تكلف ما يشرفه منها أو أنكر ما يحقره فان الغير يعرفون من حقيقة أمره أكثر مما يعرفه هو

واعلمى أيتها السيدة الحديثة العهد بالحياة الزوجية أن زوجك يعرفك ويعرف من آداب معاشرتك ، وان يكن عهده بك قصيراً ، أكثر مما تظنين . ومن المدهش أن الكثيرات من الفتيات اللواتى يظهرن قبل زواجهن بمظهر الملائكة ، يظهرن بعد زواجهن بخلاف ذلك وينقلبن الى الضد . وكأنى بزوجة من هؤلاء تقول لنفسها بعيد حفلة زواجها : « الحمد لله ! انني لن أتكلف ما ليس فى نفسي بعد الآن ، فقد أصبح هذا الزوج بعلى بحكم القانون ولن يفلت من يدي » . ولا شك فى أن زوجة تقول فى نفسها مثل هذا القول لا يمكن أن تخفى على زوجها وان خفيت فالى أمد قصير

وانظرى أيتها السيدة الى خدم منزلك وثق بانهم يعلمون من حقيقة أمرك ما تتمنين لو أنهم لا يعلمون . وهم لاحتكاكهم بك يعرفون أخلاقك ويصورونك فى أذهانهم صورة هى أقرب الى الحقيقة من الصورة التى قد رسمتها أنت فى غيلتك عن نفسك . وعليه فكل ثناء يوجهونه اليك فى غيبتك هو ذو قيمة عظيمة لانه صادر من أشخاص يعرفونك حق المعرفة

وقد يكون من خلقك ان تتبسطى في الحديث مع الرجال وتداعبيهم وتجتذبى قلوبهم . فأنت فى نظر زوجاتهم لص يسرق قلوب الرجال . ولا شك انك لا تسلمين بهذا الوصف ولا تعترفين بانك بمداعبتك أولئك الرجال تستهوينهم وتتلاعبين بعواطفهم . ولكنها الحقيقة ياسيدتى ، وزوجات أولئك الرجال غير مخطئات فيما يقلن عنك ، فهن أدرى منك بحقيقة أمرك وبما تنطوين عليه من صفات وأخلاق . بل هن أدرى الناس بقيمة صداقتك . وهل هن جديرات باستبقاء تلك الصداقة وبتقوية عراها أم ان الحكمة تقضى عليهن بفصمها . ومن المدهش ان عدد اللواتى هن جديرات بلقب « صديقة مخلصة » قليل جداً !

فهل أنت المرأة التى تستطيع أية امرأة اخرى ان تثق باخلاصها وتطمئن الى صداقتها ؟ ولا تقول : « هل انت المرأة التى يستطيع الرجل ان يثق باخلاصها ؟ » فان ثقة المرأة غير ثقة الرجل

ان الذين يعرفون حقيقة انفسهم فى العالم قليلون جداً ، او قل انهم لا وجود لهم على الاطلاق. ولكن الرجل ، وهو يجهل حقيقة نفسه ، لايعدم من يعرفه ويعرف اخلاقه حق المعرفة

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ومانس جرنال . للسيدة ف . بابلى]

كلنا يعذب نفسه

لاننا نتلذذ بالالم

لاشك أن جانباً كبيراً من الألم الذى يعانيه المرء هو من صنع يديه . ولا يكاد يخلو انسان من عادة تعذيب نفسه بوجه من الوجوه . والمصابون بالامراض العقلية هم أشد جنوحاً من غيرهم الى تعذيب أنفسهم

ولقد يظن القارىء أنه بمنجاة من هذه العادة . ولكنه مخطىء بلا شك لأن تعذيب النفس يكون كما قلنا على عدة وجوه . وما عض الشفتين وقضم الاظفار وحك الجلد وشد الشعر وهز قبضة اليد وضرب المنضدة وتحريق الارم وضرب الأرض بالقدمين الخ سوى دليل قاطع على صحة مانقول

ومما يجدر بالملاحظة أن الاولاد والاحداث هم أكثر ميلا الى التلذذ بالالم من البالغين . وكثيراً مايبدى الطفل من ضروب تعذيب نفسه ـ فى ساعة غضبه ـ مايجعل أمه تخاف عليه . وغنى عن البيان أن معظم مانراه من ضروب التعذيب ناشىء عن التهيج العصبى . وهذا يتضح لكل من يراقب ولداً فى ساعة يحاول فيها حل مشكلة أو مواجهة طارىء مزعج يستفز الغضب فيعض شفتيه ويشد شاربيه (اذا كان له شاربان) كأنه يحاول استئصالها . ولكم يمزق ، وهو فى سورة غضبه ، أوراقاً عظيمة الشأن يندم على تمزيقها متى هدأ جأشه

جميع هذه المظاهر دليل على فورة قوة عضلية كامنة فى النفس ، زائدة على الحد الطبيعى . وهذه القوة تفيض فى الاحداث أكثر من فيضانها فى البالغين . وهذا مايحملنا على القول بأن الاحداث عرضة للتلذذ بتعذيب النفس أكثر من الكبار

ثم إن هذه اللذة كثيراً ماترسخ فى النفس وتصبح عادة بسبب تكرار التعذيب . فالولد الذى يعتاد قضم أظفاره فى سورة غضبه يصبح فيه ذلك القضم عادة يتلذذ بممارستها مع انها ضرب من ضروب قمع النفس وتعذيبها . ويذهب بعض علماء النفس الى أن هذه العادة قد تبدأ بالرسوخ فى المرء فى ابان الابلال من المرض والنقه . فان الانسان يكون فى ذلك الحين فى أشد درجات القلق والاضطراب العصبى لأنه لايجد ـ وهو فى السرير ـ مصرفاً لتصريف مايفيض فيه من قوة عضلية ، وعليه تقضى الحكمة بتقصير مدة النقه الى أقل ماتقتضيه حالة العليل تخفيفاً لهياجه العصبى وابعاداً له عن عادة التلذذ بتعذيب جسمه

وقد يكون الحزن والشعور بالمذلة من أسباب رسوخ تلك العادة . ويقول علماء النفس إن آلام الجسم كثيراً ماتخفف آلام النفس . ولا يخفى أن الانسان كان منذ فجر المدنية اذا أصيب

بحزن شديد صام وانقطع عن الأكل أو رمى بنفسه على الارض أو ضرب صدره بقبضة يده أو ذر الرماد على رأسه أو مزق ثيابه . وما البكاء نفسه وسكب الدموع سوى دليل على قمع النفس واذلالها

ومن وسائل التلذذ بالألم ضرب من الزواج يعرف عند علماء الاجتماع « بزواج الانتقام » ، ومن أمثلة ذلك مارواه بعضهم من أن فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها أحبت شابا وعدها بالزواج ثم أخلف وعده وتزوج غيرها فلما بلغها ذلك غضبت وتملك منها اليأس ، وفى الحال قبلت يد شاب كان قد طلبها من قبل ولكنها كانت قد رفضته لأنها تكرهه . فهذا الزواج هو زواج الانتقام

وهنالك دافع آخر يحمل المرء على التلذذ بالألم وهو حب الظهور . راقب ولداً صغيراً يصخب ويرفس الارض بقدميه ويصرخ حتى يزرق وجهه وتكاد شرايينه تنفجر ويقيم الارض ويقعدها ، ويختار للظهور بهذا المظهر اسوأ ظروف المكان والزمان . انه انما يفعل ذلك لأنه يريد اجتذاب الأنظار اليه ولأنه يشعر شعوراً باطنياً يعرف عند علماء النفس بشعور الانحطاط أى بأنه أحط من غيره وبأن غيره أقدر منه على الفوز باعجاب الآخرين .

وهنالك عامل يسمو بالنفس ويدفعها الى التماس العذاب الجسمانى ، وهو الرغبة فى التقشف وقمع النفس . وتجد هذه الرغبة عند جميع الشعوب المتمدنة وغير المتمدنة . ولا شك فى أن بعض ضروب قمع النفس ضرورية لتقويم الاخلاق وترسيخها ، ومن جملتها الصوم والامتناع عن مسرات الحياة ولذاتها ، وغير هذه من ضروب الزهد والتقشف التى كثيراً مايمازجها الشعور الدينى والايمان بالقوة الكامنة غير المنظورة

انظر الى الرجل المتدين يحرم نفسه أشياء كثيرة ينهاه الدين عنها . بل انظر الى الدرويش الهندى يضطجع على سرير قد غرزت فيه مئات المسامير . أما ترى فيما يفعله كلاهما ــ وفيما يفعله كثيرون غيرهما ــ مظهراً من مظاهر الزهد والتقشف وقمع النفس ؟

كان ميشيل انجلو من أعظم عباقرة الفن فى عصره . ونظرا الى دمامة خلقته كان يشعر بشعور الانحطاط النفسانى . ومع ذلك فقد كانت عاطفة الحب فيه قوية الى مايجاوز الحد الطبيعى . ولذلك كانت حياته مأساة عظيمة . فاهمل العناية بصحته وأجاع نفسه وأجهد قواه وعمد الى ضروب كثيرة من التقشف وقمع النفس . وكان اذا فرغ من اكمال آية من آيات فنه اتلفها بلا شفقة إلا اذا أخذت منه بالقوة

على أن قمع النفس أو تعذيبها قد يكون لخير الآخرين . والمجال أضيق من أن يتسع لحكايات البطولة الخالدة والبسالة الحقيقية المتماثلة بها كتب التاريخ والتى ظهر فيها الانسان بمظهر العطف على غيره . فكم من امرىء غامر بحياته بأن قذف بنفسه الى البحر أو الى النار بقصد انقاذ غيره . فكأنه يجد فى تعذيب نفسه لذة ماكان ليجدها فى أى موضع آخر

[خلاصة مقالة نشرت فى مجموعة نبذجنيتك سايكولوجى . للدكتور كازمير دابروفسكي]

كشاف الكذب

جهاز يميز الكذب من الصدق

قد ثبت للعلماء منذ عهد بعيد أن تغييرات كثيرة تطرأ على جسم الانسان فى حالات الانفعالات النفسانية على اختلاف أنواعها ، وهذه التغييرات تقع من تلقاء نفسها ولا سلطة للانسان عليها على الاطلاق . وسببها اندفاع الدم الى الدماغ بحيث يشعر الانسان شعوراً غير اعتيادى . وقد تمكن الدكتور كيلر الاستاذ بكلية الحقوق بجامعة نورث ويسترن الاميركية من استنباط جهاز دقيق يسجل أقل تلك التغييرات تسجيلا دقيقاً ويسمى « البوليجراف » . فاذا اشتد تنفس الانسان قليلا أو أسرعت دقات نبضه أو اشتد ضغط دمه سجل البوليجراف تلك التغييرات تسجيلا دقيقا . وهذا الجهاز موجود فى جامعة نورث ويسترن المذكورة منذ خمس سنوات ، وقد فحص به نحو خمسة عشر ألف نفس لمعرفة صدقهم من كذبهم ، وكانت نتيجة الفحص داعية الى الارتياح دائما حتى إن ادارات الشحنة فى بعض الولايات الاميركية تستعين اليوم بهذا الجهاز على كشف الجرائم

على أن القانون لا يعترف بهذا الجهاز رسمياً إذ لا يصح ارغام المتهم على التقدم للفحص بواسطته واستخدام نتيجة ذلك الفحص لاثبات التهمة عليه

وعليه فان ادارات البوليس تستعين «بالبوليجراف» على سبيل الاسترشاد فقط من دون محاولة اثبات التهمة بواسطته . ومما يجدر بالذكر أن المتهم لا يستطيع ـ منطقياً ـ أن يمتنع عن الفحص بذلك الجهاز وان كان القانون يبيح له الامتناع . ذلك لان امتناعه هو بمنزلة اعتراف منه بجريمته. ثم إن السواد الأعظم من المتهمين يعتقدون أن فى وسعهم مخادعة البوليجراف والسخرية من الذين يعتمدون عليه . ويزعم بعضهم أن فى وسعهم مخادعة الجهاز بالامتناع عن الاجابة عن الأسئلة التى تلقى عليهم . وجميع هؤلاء مخطئون لان البوليجراف « يسجل » البيانات الصحيحة سواء أجابوا عن الأسئلة أم لم يجيبوا . وتدل الاحصاءات على أن ٧٥ فى المائة من الذين يثبت البوليجراف أنهم مذنبون ينتهون بالاعتراف بذنبهم لان الجهاز يسجل ذنوبهم بلا رحمة ولا شفقة

من أمثلة ذلك أن لصا سطا على منزل لسرقة ما فيه واضطر الى قتل صاحب المنزل لينجو بنفسه. وفى صباح اليوم التالى قبض على خمسة حامت حولهم الريب وبينهم اللص القاتل . وأنكر جميعهم التهمة . وإذ ذاك جيء بجهاز البوليجراف وبديء بفحص جميعهم . وكان يلقى على كل منهم أسئلة لا يشف ظاهرها عن أية علاقة بينها وبين الجريمة . فكان كل منهم يسأل مثلا : « هل فى

البيت الذى تسكن فيه منفذ خاص للنجاة من الحريق ؟ » و « هل على شبابيك منزلك ستائر كثيفة يسهل رفعها وسدلها ؟ »

وبعد يومين وجهت الى كل منهم أسئلة أخرى أحرج ومنها : «هل حاولت السطو على منزل ؟ » و «هل حاولت فتح الخزانة الحديدية ؟ » و « هل قتلت صاحب المنزل ؟ » . ولما جاء دور المتهم الحقيق سجل البوليجراف أجوبته تسجيلا دقيقا أثبت عليه التهمة بحيث لم يستطع فيما بعد إلا الاعتراف

أما هذا الجهاز فشبيه من وجوه كثيرة بآلة مقياس ضغط الدم . فله أنبوب من المطاط (الكاوتشوك) يسمى بنوموجراف ويوضع على صدر المتهم ويلف حول ذراعه نفس الحزام الذى يلف عادة لقياس ضغط الدم . ويمتد من كل من الحزام والبنوموجراف أنبوب مطاط ينتهى الى طبل معدنى فيه قلم خاص يتحرك فى اتجاه معين تبعا لحركة سير الدم فى الأوعية وسرعة ذلك السير وسرعة التنفس وقوته . وعند ما يتحرك القلم يسجل على ورقة ملفوفة حول الطبل اشارات تدل دلالة واضحة على حركة الدم والتنفس الناشئة عن الانفعالات النفسانية

ومما يجدر بالذكر أن عدة بيوت مالية ومصارف فى أميركا تستعمل البوليجراف لتلافى السرقة والاختلاس . وقد لوحظ أن السرقات فى تلك المصارف قد نقصت نقصا محسوسا ، إذ فى وسع البوليجراف اكتشاف السارق بكل دقة . وقد قلنا ان ادارات البوليس فى بعض الولايات الاميركية تستعين بالبوليجراف على سبيل الاسترشاد فقط . وفى الحقيقة أن هذا الجهاز لا يعين على اكتشاف السارق فقط بل على اكتشاف أسرار أخرى كثيرة ومن جملتها الشركاء فى الجريمة ومكان اختفاء المسروقات وهلم جرا . مثال ذلك أن المتهم قد يرفض أن يبوح بأسماء شركائه فيذكر له «المحقق» عدة أسماء . فاذا كان بينها اسم أحد الشركاء سجلت الآلة جواب المتهم بشأنه . واذا أراد المحقق معرفة المكان الذى قد أخفيت فيه المسروقات فما عليه إلا أن يذكر للمتهم أسماء عدة أمكنة فاذا كان بينها المكان سجلته الآلة بكل دقة

وقد يتوهم المتهم أن فى امكانه مخادعة البوليجراف بالامتناع عن الاجابة عن الأسئلة ، وهذا خطأ فان البوليجراف يسجل الحقائق سواء أنطق المتهم أم صمت . وبعبارة أخرى أن البوليجراف لا يسجل الكلمات التى يجيب بها المتهم بل يسجل التغييرات التى تطرأ على حالة الدم والتنفس . وهذه التغيرات يمكن تسجيلها سواء أنطق المتهم أم لم ينطق

ومما يجدر بالذكر أن زوجة هوبتمان الذى اتهم بقتل طفل لندبرج عرضت على ادارة البوليس أن تدلى بشهادتها بواسطة جهاز البوليجراف فقبل البوليس ما عرضته واستدعاها ووصلها بجهاز البوليجراف . وكان أول سؤال وجهه اليها عن عمرها . واذا لم تقل الحقيقة سجل الجهاز كذبها . فلما علمت ذلك نهضت من مكانها وقالت لرجل البوليس : «لا حاجة الى مواصلة التحقيق »

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة ماكولز . لهنرى برنجل]

حمام الزاجل

حيرة العلماء في غريزته الغامضة

في ١٥ أغسطس سنة ١٩٣١ زجلت في مدينة آراس بفرنسا حمامة فعادت الى وطنها أي الى مدينة سايجون بالهند الصينية ، والمسافة بين المدينتين سبعة آلاف ومائتا ميل ، قطعتها الحمامة في أربعة وعشرين يوما ، وهي أطول مسافة قطعها حمام الزاجل على ما هو معروف . وكانت أطول مسافة قطعها قبل ذلك الفي ميل ومائتي ميل ، أي من مدينة بروكلين بأمريكا الى كاراكاس بفنزويلا، ومثلها تقريبا المسافة التي قطعتها حمامة خاصة بالجيش الأميركي من مدينة فانبرو بولاية ماين (بأميركا) الى سان أنطونيو بولاية تكساس

والرحلات التي يقوم بها حمام الزاجل غريبة جداً ، ولا يزال العلم يجهل الغريزة التي تهدي ذلك الحمام في أثناء طيرانه بحيث لا يضل السبيل . وكان هذا الحمام معروفا عند قدماء اليونان إذ كانوا يستخدمونه في إرسال أنباء الألعاب الأولمبية الى مدن اليونان المختلفة

على أن العلم الذي لا يزال يجهل كنه غريزة الحمام الغامضة قد استطاع تنمية تلك الغريزة وتقويتها بالتعويد والتدريب . وقد حاول الكثيرون تعليل تلك الغريزة فأدلوا بنظريات كثيرة لم يثبت شيء منها ثبوتا قاطعا حتى الآن . فمن تلك النظريات أن حاسة الابصار في حمام الزاجل قوية جداً بحيث أنه يبصر من المرئيات ما لا يستطيع الانسان أن يبصره بالعين المجردة . وفوق ذلك يمتد بصر هذا الحمام الى مسافات شاسعة لا يصل اليها بصر الانسان . الا أن هذه النظرية لا تشرح كيف يستطيع الحمام أن يطير بضعة آلاف من الأميال من دون أن يضل السبيل ، قاطعاً نحو خمسين ميلا في الساعة

ويزعم البعض أن لحمام الزاجل ذاكرة قوية يستعين بها على معرفة طريقه . فهو عندما يطير من مكان الى مكان يرصد ما يراه في طريقه من أشجار وأنهار وأودية وجبال وسهول حتى اذا عاد الى مكانه الأول استرشد بتلك المرئيات وأمن الضلال

على أن هذه النظرية أيضاً مشكوك فيها لأن الحمامة التي أشرنا اليها في صدر هذه المقالة والتي طارت من آراس الى سايجون جيء بها في الأصل من سايجون في باخرة سارت حول الهند ثم دخلت البحر الأحمر فالبحر الأبيض المتوسط ففرنسا حتى مدينة آراس . فلم تتح للحمامة الفرصة لرؤية الطريق الذي طارت فوقه عند عودتها الى سايجون ، ولا تسنى لها اختيار علامات في ذلك الطريق تسترشد بها في طيرانها . وليس معقولا أن بصرها كان يمتد الى سبعة آلاف ومائتي ميل

ومن أغرب ما رواه بعض الذين زاولوا تدريب حمام الزاجل أن صياداً اصطاد حمامة في أثناء طيرانها واحتفظ بها بعد أن قص جناحيها ليمنعها من الطيران . فلما شفيت غافلت الصياد واستأنفت رحلتها . ولكنها بدلا من أن تطير مشت على ساقيها حتى وصلت الى المكان الذى أريد زجلها اليه

وفيما تقدم دليل قاطع على أن حمام الزاجل لا يستعين بحواسه الخمس على الاهتداء الى طريقه . فلا بد اذن من تعليل آخر لغريزته الغريبة !

ومما يزيد هذا السر غموضاً أن هذا الحمام لا يطير عادة فى خط مستقيم لكى يختصر المسافة ، بل كثيراً ما يضطر الى الدوران حول المناطق التى يكسوها الضباب أو تكثر فيها الأعاصير ، طلبا لأسهل الطرق وأكثرها أمناً وسلامة . أضف الى ذلك أنه لا يطير فى الليل الا فى أحوال نادرة وذلك اذا أجيع ثم وضع فى أبراجه ليلا نور ليهتدى به ، فانه يعود الى البرج طلبا للطعام . وقد يعتاد الطيران ليلا بهذا الأسلوب

ويذهب بعض علماء الحيوان الى أن فى آذان الحمام سلسلة من القنوات (كالقنوات التى فى اذن الانسان والتى هى بشكل نصف دائرة) وان فى هذه القنوات سر تلك الغريزة بدليل أنه اذا أصيبت تلك القنوات بعطب عجز الحمام عن معرفة طريقه وإن هو لم يعجز عن الطيران

على أن هذه النظرية أيضا لم تثبت ثبوتا قاطعا حتى الآن . وهى على فرض صحتها لا تبين لنا كنه تلك الغريزة وحقيقتها

ويزعم آخرون أن الحمام يستعين بمغناطيسية الأرض على اتجاهه فى خط معين بدليل أنه يضطرب عندما يطير في منطقة محفوفة بالاشعاعات الكهربائية المغناطيسية التى تنبعث فى الفضاء من جراء « الاذاعة » . وقد ذكر الكثيرون أن حمام الزاجل كثيراً ما ضل سبيله ضلالا تاما واضطر الى الاقلاع عن مواصلة الطيران بسبب وجود محطة اذاعة « لاسلكية » فى طريقه . وزيادة على ذلك فان الحمامة التى تزجل من محطة اذاعة صامتة تستطيع الطيران بسلام وتصل الى هدفها . فاذا كانت المحطة مشتغلة ضلت الحمامة طريقها وبعد أن تحوم فى الفضاء بضع دقائق على غير هدى تهبط الى الأرض وتعدل عن الطيران

على ان هذه النظرية وان يكن لها ما يؤيدها ، لا تشرح سر الغريزة التى نحن فى صددها

ومما يجدر بالذكر أن متوسط حياة الحمامة نحو عشر سنوات وقد تعمر عشرين سنة ، وأعظم الرحلات التى تقوم بها بين السنة الثانية والسنة الخامسة من عمرها . وقد استعمل حمام الزاجل فى أثناء الحرب العظمى الماضية فأدى للفريقين المتحاربين خدمات جليلة . وقد روى عنه المؤرخون روايات عجيبة مدهشة ، من ذلك أن حمامة اشتهرت فى تلك الحرب بأنها نقلت من فردون الى رامبون اثنتى عشرة رسالة كانت لها قيمة عظيمة من الوجهة الحربية إذ أنقذت حياة الألوف من الجنود . وفي أثناء رحلتها الأخيرة أطلق عليها أحد الألمان رصاصة أطارت إحدى ساقيها ، الا انها

واصلت طيرانها الى رامبون والدم يقطر منها وسلمت الرسالة بأمانة . وقد خلد الجنود ذكرها وكرموها أعظم تكريم

ووقعت في تلك الحرب حوادث كثيرة من هذا القبيل تدل على ما لحمام الزاجل من الذكاء . ولهذا تعنى جميع جيوش العالم بتربيته واستخدامه فى مختلف المهام ، لا فى زمن الحرب فقط بل فى زمن السلم أيضا

[خلاصة مقالة نشرت فى مجلة سايتنفيك اميركان . لجون فرازير فاس]

عم يشف وجهك ؟

رسام هزلى يتحدث عن فن الفراسة

ما شكل وجهك وعم يشف كل عضو من أعضائه وكل تجعيدة من تجاعيده ؟

ان لشكل كل من العين والجبين والأذن والأنف والفم والشفة والذقن معانى لا تخفى على الخبير بعلم الفراسة . فلكل منها قصة تدل على صفاتك وأخلاقك

كلما ابتسمت أو ضحكت أو تكلمت أو قمت بأية حركة نقشت على وجهك تجعيدة تشف عن معنى من المعانى . فالتجعيدات — كأعضاء الوجه — ليست مجردة من مغزى خاص

خذ الأنف مثلا وهو أبرز أعضاء الوجه . فالأنف الكبير دليل على الذكاء . والصغير يشف عن نقص فى القوى العقلية . واذا كانت فتحتا الأنف كبيرتين كان ذلك دليلا على دقة الشعور وفيضان العواطف وعلى الشجاعة والاقدام

وللشفتين معنى لا يكذب إذ أن ما يؤثر فى عضلات الوجه عامة يؤثر فيهما خاصة . فالشفتان الممتلئتان الضخمتان دليل سهولة الانفعال والاندفاع وراء الشهوات . واذا كانتا رقيقتين كانتا دليلا على الاستكانة والهدوء والبعد عن الانفعالات

واذا كانت الشفة العليا أكبر من السفلى كانت دليلا على قوة الارادة وصلابة العزم . وعليه فيجدر بالوالدة أن تلاحظ شكل شفتى ولدها لئلا تتعب فى تهذيبه ومراسه . أما اذا كانت الشفة السفلى بارزة قليلا مائلة الى الاسترخاء فذلك دليل على كثرة التفكير وإعمال الروية . والكتاب والمفكرون خير من يعرفون هذه الحقيقة . واذا كانت الشفتان مضمومتين معاً أو احداهما مطبقة على الاخرى كان ذلك دليل العزم وقوة الارادة

والذقن ثلاثة أشكال رئيسية (أولها) الذقن المخروطى ويدل على الذكاء وحدة التصور

(وثانيها) الذقن المربع وصاحبه مادى لا يتأثر بالخيالات (وثالثها) الذقن العريض وصاحبه جدير بالزعامة ومن أمثاله ذقن موسوليني وذقن غاندى وذقن روزفلت وغير هؤلاء

أما الجبين فمن أدل أعضاء الوجه على خلق صاحبه . فالجبين البارز دليل قاطع على المقدرة والذكاء . والجبين المستدير يشف عن التفكير وقوة الخيال

والأذن الكبيرة علامة الكرم والسخاء . بخلاف الصغيرة فانها دليل الشح

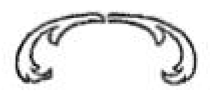
أما العين فهى النافذة التى ينفذ منها النظر الى أعماق النفس . وقد يستطيع المرء أن يغش الغير بجميع أعضاء وجهه إلا عينه فانه لا يستطيع أن يغش بها أحداً لانها تشف عما فى نفسه بكل صدق واخلاص . وهي ثلاثة أشكال رئيسية : (أولها) العين الكبيرة البراقة . وهي تنظر نظرات حادة تمر كالسهم فى خط مستقيم فلا تتحول يمنة ولا يسرة . وهـذه عين رجال الأعمال والمشروعات الكبيرة الذين ينجحون فى الحياة . والغالب فى هـذه العين أن يعلوها حاجب عرضى مستقيم . (والثانية) العين التى تحدج الغير من أحد طرفيها . وهى عين المفكر المستنبط واتجاه انسانها نحو الطرف ناشىء عن كثرة اعمال الفكر . (والثالثة) العين البارزة ـ كعين هتلر وموسوليني وغيرهما . وصاحب هذه العين رجل عملى بعيد عن الخيالات

والحاجبان المتصلان فوق الأنف دليل الحيوية والنشاط . واذا كان شعرهما كثيفاً ـ كحاجبي برنارد شو ـ كان ذلك دليلا على الذكاء

ولتجاعيد الوجه أيضا دليل خاص . فكلما كثرت كانت دليلا على الحيوية والنشاط . واذا خلا الوجه منها كان ذلك دليلا على الهمود والجمود ، أو على عدم النضج ، كوجه الطفل . والغريب أن المرأة تهلع كلما رأت فى وجهها تجعداً جديداً، وكثيراً ما تحاول ازالته بمختلف الوسائل، مع أنه دليل على الخلق وشتى الحوادث

فترى مما تقدم ان كل ما فى الوجه دليل على خلق أو طبع أو على حادث من الحوادث التى يسجلها الزمان على الوجه

[خلاصة مقالة نشرت فى صحيفة لوزنجليس تايمز . فالرسام الهزلى « وولو »]



تقدم العلم والعالم

من بقايا العصر الطباشيرى

يقدر علماء الجيولوجيا أن العصر المعروف بالعصر الكريستاسى أو الطباشيرى انتهى منذ مدة تختلف من خمسة وخمسين مليون سنة الى مائة وعشرين مليون سنة . وقد شهد هذا العصر انقراض الحيوانات والزحافات الهائلة التى كانت تسود الكرة الأرضية وفي مقدمتها الحيوان المعروف بالديناصور . ولكن علماء الجيولوجيا لا يعرفون شيئاً عن الحشرات والهوام فى ذلك العصر السحيق . وقد وفق المعهد السمشونى وهو من أعظم المعاهد العلمية الى اقتناء بقتين متحجرتين من بق ذلك العصر

التسمم الناشىء عن الحرق

تدل المباحث العلمية على أن الجسم الذى يصاب بالحرق يصاب فى الوقت عينه بالتسمم الذى قد يفضى الى الموت . فقد وجد العلماء فى الدم عند اصابة الجسم بالاحتراق آثار مادة سامة لاتلبث أن تزول تماماً عند شفاء الجسم . ويظهر أن جدران الأوعية الدموية الصغيرة تصبح عند الحرق رقيقة جداً يسهل اختراقها فيرشح منها مصل الدم المسمى بلازما ويعاق سير الدم نفسه فى تلك الأوعية

مكانة القصص عند القدماء

كان المصريون والبابليون القدماء يقدرون قيمة الكتب لا بالعلوم التى تبحث فيها ، بل بالروايات التى تقصها والقصص الشعبية التى تتضمنها، وكان معظم تلك القصص عن حوادث وهمية يزعم رواتها أنها وقعت فى العصور الخالية

التمساح الاميركى

هو حيوان يخشى المستحمون فى الأنهر فى أميركا بأسه، إلا أن المباحث التى قام بها بعض علماء الحيوان قد أثبتت أن هذا الحيوان يخشى الانسان ويهرب منه بالغوص فى الماء والانسان يزعم انه انما يغوص فى الماء ليكمن له

مناعة الجسم في الصيف والشتاء

يؤخذ من المباحث الواسعة النطاق التى قام بها فريق من العلماء أن مناعة الجسم من الامراض هى أقوى فى الجو الدافىء والمعتدل منها فى الجو البارد ، وأن الجسم يضطر عند اشتداد البرد الى مضاعفة جهوده لمقاومة الداء . ويظهر أن « الاجسام المقاومة » فى الدم أى التى تحارب الميكروبات التى تسطو على الجسم تكون أكثر وأقوى فى الجو الدافىء والجو المعتدل منها فى الجو البارد

كاهن عالم

نال الأب دى شاردان الكاهن الفرنسى وسام «مندل» من كلية فيلانوفيا وهو من أرق الأوسمة العلمية وأرفعها ، وذلك تكريماً له بسبب المباحث النفيسة التى قام بها عن «انسان بكين» — احدى الحلقات المفقودة بين الانسان والحيوان — وقد عثر العلماء على بقايا انسان بكين سنة ١٩٢٩ بالقرب من بلدة شوكوتيان بالصين

فيتامين جديد

من أخبار مدينة فينا أن الدكتور زنت جورجى من أساتذة جامعة زيجيد الهنغارية قد اكتشف فيتاميناً جديداً وسمه بالحرف "F" ولا نعرف جميع خواص هذا الفيتامين حتى الآن فان العلماء لا يزالون يدرسونها. ويظهر أنه يوجد فى بعض البقول والنباتات — ولا سيما الكمون — متحداً بالفيتامين «ج» أو "C"

عناصر جديدة فى الفضاء

عثر الدكتور دنهام من أساتذة مرصد ويلسون بأميركا على عدة غازات جديدة فى الفضاء الذى يتخلل الأجرام العلوية ، وقد عرف اثنين منها وهما غازا البوتاسيوم والكالسيوم «المتعادلان» فأصبح عدد الغازات المعروفة فى ذلك الفضاء أربعة . ولا تزال المباحث مستمرة لمعرفة الغازات الأخرى . ومما يجدر بالذكر أن اكتشاف غاز الكالسيوم «المتعادل» أمر ذو شأن علمى عظيم ، إذ لا تزيد الكمية الموجودة من هذا الغاز فى الفضاء على جوهر (جزء) واحد فى كل «يارد» مكعب من الفضاء . وقد تمكن الدكتور دنهام من اكتشاف هذا الغاز بواسطة النور المنبثق من بعض النجوم

الوفيات بحمى النفاس

فى الاحصاءات الطبية الموثوق بها أن نسبة الوفيات بحمى النفاس فى كلتا أوربا وأميركا قد هبطت فى السنوات العشر الأخيرة هبوطا عظيما بلغ أقصاها فى بعض الجهات ١٨ فى المائة وبلغ متوسطها ١٢ فى المائة . ومعنى ذلك أن كل مائة والدة مصابة بحمى النفاس ومعرضة للوفاة لم يمت منهن سوى اثنتى عشرة والدة فقط . ولا شك أن هبوط نسبة الوفيات يعود الى تحسين وسائل المعالجة والعناية الطبية

مصل التهاب الرئتين

يموت كل عام مئات الألوف من الناس بمرض التهاب الرئتين . وهذا المرض يختلف فى بعض أعراضه ومظاهره باختلاف الميكروب الذى يسببه . فهنالك ميكروب الصنف الأول وميكروب الصنف الثانى وهلم جرا . وقد وفق العلم الى اكتشاف أمصال لبعض تلك الأصناف. فاذا عرف الطبيب بواسطة الفحص العلمى حقيقة الصنف وكان له مصل خاص أمكن انقاذ حياة العليل. والمظنون أن فى الامكان انقاذ حياة معظم الذين يصابون بهذا الداء بشرط أن يحسن الطبيب تشخيص الصنف الحقيق (وهذا ممكن اذا استعان بالفحص العلمى) وبشرط أن يوجد لذلك الصنف مصله الخاص . ومما يدعو الى الأسف أن الطب لم يوفق حتى الآن الى اكتشاف أمصال لجميع أصناف التهاب الرئتين

الأولاد ومرض الاسنان

تدل الاحصاءات الطبية على أن الصبيان فى العقد الأول من حياتهم معرضون لأمراض الأسنان أكثر من البنات. وهنالك قرائن تدل على أن الجنس اللطيف أقل عرضة للامراض المذكورة من جنس الرجال فى جميع أدوار الحياة . ويقول بعض أطباء الأسنان ان هذه الظاهرة ليست ناشئة عن انتشار عادة التدخين بين الرجال أكثر منها بين النساء بل عن أسباب لم يوفق العلم بعد الى استجلائها

الفيتامين «د»

قد يخيل الى القارىء أن كل فيتامين من الفيتامينات المعروفة هو صنف قائم برأسه . وفى الواقع أن كلا منها يوجد فى الطبيعة - فى المملكتين النباتية والحيوانية - على وجوه مختلفة. ولعل الفيتامين الرابع الموسوم بحرف «د» هو أكثرها أنواعا فقد اكتشف العلماء عشرة أنواع منه حتى الآن فى مصادر نباتية وحيوانية

البراكين

من أوهام العامة أن البراكين أو جبال النار لا تنفجر إلا في البلاد الحارة ، مع أن فى قعور البحار براكين كثيرة . وقد اكتشف العلماء براكين فى بلاد ايسلند تغمرها طبقات كثيفة من الجليد وكثيراً ما تنفجر تحت تلك الطبقات

الدم فى الأوعية

عند ما تتلف خلايا الدم الحمر التى فى جسم الانسان تتحول الى ثلاث مواد : وهى الحديد والهيمين والجلوبين . فاما الحديد فانه يخزن فى الجسم الى أن تسنح الفرصة لاستعماله مرة أخرى. وأما الهيمين فهو المادة الملونة فى الصفراء يقذف بها الى المصارين. وأما الجلوبين فهو ذرات البروتايين التى يرجح العلماء أنها منشأ الهيموجلوبين الجديد فى الدم الجديد . على أن العلم لا يزال يجهل كيمياء هذه التحولات والتغيرات . ثم إن الكبد ونخاع العظام هما بمنزلة المصنع الذى تصنع فيه خلايا الدم الحمر

الحيوان وادمان المخدرات

يؤخذ من التجارب التى قام بها بعض العلماء أن الحيوان قد يعتاد ادمان المخدرات كالانسان. فقد حقنوا طائفة من قردة الشمبانزى بالمورفين على سبيل التجربة . وبعد تكرار الحقن مرتين أو ثلاث مرات صارت تلك القردة تبدى من الحركات والاشارات ما يدل على شدة تهافتها على الحقن . وكانت تخضع لعملية الحقن مطمئنة ومظهرة جميع دلائل الارتياح ، مما يدل على اعتيادها ادمان المخدرات . وهذه أول تجربة قام بها العلماء من هذا القبيل

خليج سان فرنسيسكو

عثر العلماء على صحيفة نحاسية فى خليج سان فرنسيسكو يستدل منها على أن السر فرنسيس درايك غادر ذلك الخليج فى سنة ١٥٧٩ . فاذا ثبت ما هو منقوش على هذه الصحيفة كان ذلك برهانا على أن السر فرنسيس درايك هو الذى اكتشف خليج سان فرنسيسكو ، بخلاف قول القائلين بان بورتولا هو الذى اكتشفه فى سنة ١٥٦٩

غذاء الاميركيين

فى بعض الاحصاءات الموثوق بها أن الشعب الاميركى لا يأكل كفايته من الأغذية البروتائينية وأهمها اللحوم والاسماك والبيض والجبن. ويقول الاطباء إنه لو كان الاميركيون يأكلون كفايتهم من تلك الاغذية لنجوا من أمراض كثيرة ، ولكانت قواهم العقلية والبدنية أفضل مما هى الآن

الغذاء الصناعي

يسعى الكثيرون من علماء الكيمياء الى استنباط غذاء صناعى من نوع البروتايين وذلك من المواد الكيميائية التى تتألف منها معظم البروتائينات . وقد قاموا فى سبيل ذلك بتجارب تدعو إلى الارتياح وتبشر بالنجاح

الانتصار على الحمى المخية الشوكية

الحمى المخية الشوكية داء وبيل ينشأ عن ميكروبات مختلفة . ومنذ بضع سنوات وفق الطب الى اكتشاف مصل لنوع من أنواع تلك الحمى وهو النوع الذى ينشأ عن المنجوكوك . أما الذى ينشأ عن الستربتوكوك فيعالج اليوم بمادة ملونة جديدة تسمى برونتوسيل . وقد أشرنا اليها فى جزء سابق من الهلال . على أن معالجة النوع الناشىء عن المنجوكوك بالمصل المذكور لاتدعو دائما الى الارتياح لما يتركه المصل وراءه من آثار سيئة . وقد جاءتنا الآن مجلة « الاتحاد الطبى الاميركى » ببشرى عظيمة نقلتها عن « رسالة الاخبار العلمية » وخلاصتها أن ثلاثة من كبار الأطباء الاميركيين وهم (الدكتور شوتنكر من أطباء مستشفى سيدنهام . والدكتور جلمان من أطباء مصلحة الصحة بمدينة بلتيمور . والدكتور لونج من أطباء جون هوبكنس) قد وفقوا الى معالجة عشرة مرضى مصابين بالحمى المخية الشوكية بمادة كيماوية جديدة ، فنال تسعة منهم الشفاء التام وتوفى العاشر بالتهاب الرئتين الذى صحب الحمى المخية الشوكية . أما المادة المذكورة فتسمى « بارا ــ امينو ــ بنزين ــ سلفوناميد » (Para - amine - benzine sulfonamide) وطريقة المعالجة بها هى الحقن تحت الجلد وفى القناة الشوكية . وتقول المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر إن تحسنا جلياً يظهر على المريض بعد الحقنة الأولى بمدة وجيزة مما يدل على عظم فائدة الحقنة

فهل نستطيع أن نقول إن الطب قد انتصر على الحمى المخية الشوكية ؟

فوائد علمية

مخترع الآلة الكاتبة : مخترع التايبريتر أو الآلة الكاتبة رجل أميركى يدعى كريستوفر شولز وقد سجل اختراعه فى أميركا سنة ١٨٦٧

أنواع العشب : بلغ عدد أنواع العشب التى اكتشفها علماء النبات حتى الآن أكثر من عشرة آلاف نوع

الخمر وسائقوا السيارات : من قوانين النرويج أنه لا يجوز لسائق الأتوموبيل أن يسوق أوتوموبيله أو أى مركبة أخرى اذا كان قد تناول شيئا من المشروبات الروحية . ولا يجوز له أن يقوم بمهمة السياقة إلا بعد مرور ثمانى ساعات على الأقل من تناوله تلك المشروبات

لأبادة الفئران : الثلج الصناعى المعروف بالثلج الناشف (ثانى أوكسيد الكربون المتجمد) هو من أفضل المواد المعروفة لابادة الفئران وذلك بوضعه فى المكان الذى تكثر فيه تلك الفئران

الأسد فى الآسكا : آلاسكا من البلاد المشهورة بشدة بردها ومع ذلك فقد ثبت أن الأسد كان يجوب سهولها ووهادها فى العصور الجيولوجية الغابرة

دودة الحرير فى نيويورك : من أخبار الصحف الأميركية أن رجلا من العراق يقيم بمدينة نيويورك قد شرع فى تربية دودة الحرير وهو يرجو أن يصادف نجاحاً عظيما

الغوريلا : الغوريلا هو من أكبر القرود جسما فقد يبلغ ارتفاع قامته ست أقدام ومحيط صدره خمس أقدام وثلاثة أرباع القدم وطول عنقه ثمانيا وعشرين بوصة

كتب جديدة

ديوان حافظ ابراهيم

الجزء الثانى

مطبعة دار الكتب المصرية . عدد صفحاته ٢٦٢

أتمت وزارة المعارف طبع الجزء الثانى والأخير من ديوان المغفور له حافظ ابراهيم ، وبهذا وفت بحق شاعرنا العظيم ، وأسدت خيراً الى العربية وأبنائها . وقد قام الاستاذ احمد أمين مستعينا بالأستاذين احمد الزين وابراهيم الابيارى على ضبط الديوان وتصحيحه وشرحه وترتيبه ، فجاء وافياً بحاجة من يريد تذوق شعر حافظ ودراسته

ويشتمل هذا الجزء على النواحي الثلاثة التى جلى فيها حافظ ابراهيم ، وهى السياسيات والشكوى والمراثى . فما يذكر تاريخ نهضتنا السياسية خلال الجيلين الأخيرين الا ذكر حافظ الذى غذى الوطنية المصرية أجدى غذاء بقصائده القوية الصادقة . وقليل من الشعراء من يبز حافظاً فى الشكوى ، وكيف يبزه وقد قاسى حافظ من الغير والأحداث ما لم يشهده الا القليل ؟ أما الرثاء فقد افتن حافظ وأبدع ، لما فطر عليه قلبه من الأسى والألم ، وما طبعت عليه روحه من الوفاء والاخلاص

ولهذا يمكننا أن نقول ان هذا الجزء ليس أثراً أدبياً فحسب ، بل هو سجل تاريخى لنهضتنا الأخيرة ، ومن قام عليها من الزعماء والأدباء والمفكرين . وقد أنشأ حافظ أغلب هذه القصائد وهو فى أوج مجده الأدبى ، فظهرت فيها خصاله الفنية أوضح ظهور ، وكانت أدل من غيرها على ما امتاز به من فهم صادق لعقلية الشعب واحساس دقيق لنفسية الأمة

كتاب الوراثة

للدكتور احمد فاضل الخشن

دار النشر الحديث . عدد صفحاته ٣٤٦

علم الوراثة التناسلية علم شائق طريف ، فكثيراً ما يسأل المرء نفسه : ما السر فى تشابهى بأبى ، ولماذا كان ابنى شبيها بى ؟ وقد حاول الناس منذ القدم أن يعللوا سر الوراثة ، ففرضوا فيها فروضا جدلية لا صلة لها بالواقع والتجربة ، الى أن كان العصر الحديث فقام العلم يفسر الوراثة ويعللها وفق بحوثه الدقيقة وتجاربه الثابتة

ومع أن هذا العلم يدرس فى بعض مدارسنا الا أن طلابه لا يجدون فيه كتابا واحداً باللغة العربية . لهذا نرى أن الدكتور احمد فاضل الخشن الاستاذ بكلية الزراعة ، قد سد فراغا فى تأليفنا العلمى بوضعه هذا الكتاب القيم الذى يتناول علم الوراثة بكثير من الوفاء والتفصيل . فقد بسط فيه نظريات مندل ومورجان ، وهما أكبر علماء الوراثة ، بسطا شاملا لدقائق هذا العلم وتفاصيله ، دقيقا فى شروحه وتفسيراته لنظرياته وقوانينه . وقلما يخلو فصل من فصول الكتاب من طرائف علمية تكشف للمرء عن مجاهل وخبايا فى حياة الانسان والحيوان ، فضلا عما يحفل به الكتاب من المعارف العلمية العميقة المستمدة من أصدق المراجع وثقات العلماء

ولغة الكتاب – الى هذا – سهلة بسيطة ، لا تصد بكثرة مصطلحاتها الفنية وعباراتها العلمية كما أنه مزين بكثير من الصور والرسوم التى تساعد على الشرح والتوضيح

طرق التدريس المثلى

ترجمة الاستاذ احمد سامح الخالدى

مطبعة بيت المقدس . عدد صفحاته ١٦٢

لعل مشكلة التربية والتعليم فى الشرق العربى هى أساس سائر مشاكله فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد . واذاً فكل من يضع أو يترجم كتابا فى هذه الناحية يساهم بنصيب وافر فى تدعيم حياتنا وإقامتها على أساس وطيد

ولهذا نرحب بهذا الكتاب القيم الذى وضعه المربى الكبير الاستاذ « بجلى » وترجمه الاستاذ احمد سامح الخالدى ، مدير الكلية العربية بالقدس وأستاذ التربية فيها ، فان الكتاب يشتمل على طائفة قيمة من الارشادات والتوجيهات التى يجدر بكل معلم وكل متعلم أن يعيها وينفذها . كما أن فى الكتاب عدة فصول عن طرق التربية التى ابتكرها المربون المعاصرون كطريقة المشروع ومنهاج الحركة ، ونظام دالتون ، ونظام دتنكا الخ . . فهو على الجملة عرض شامل لكل ما انتهى اليه العلماء فى أمر المعلم والتلميذ والمدرسة ، وفى مسائل التدريس والعقاب والامتحان وادارة أمور التلاميذ

وقد شرح المترجم غايته من نقل هذا الكتاب ، فقال انه يرجو ألا يتسرع القراء الى تطبيق هذه الطرق الحديثة ، فما زالت فى دور التجربة والاختبار ، وانه انما يقصد أن يطلع القارىء العربى على مبلغ ما وصل اليه فن التربية من التشعب والارتقاء ، ويثير فيه الطلعة الى الاستزادة من بحثه ودراسته . وقد نقل الاستاذ الخالدى كتابا آخر « لبجلى » هو كتاب « ادارة الصفوف » الذى قوبل خير مقابلة فى الأوساط المدرسية فى سائر أنحاء الشرق العربى

أدب الطبيعة

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى

مطبعة التعاون بالاسكندرية . عدد صفحاته ١٢٥

الطبيعة الجليلة الجميلة هى مثابة الوحى الفنى . والفن القوى الصادق هو الذى يستلهم الطبيعة موضوعه وأسلوبه . وأعظم الشعراء هم الذين تأثروا الطبيعة واستلهموها آياتها الخالدة . لهذا كانت دراسة أدب الطبيعة بمثابة دراسة لأعز وأرق ما أنتجته قرائح الأدباء

وهذا الكتاب عرض شامل طريف لأدب الطبيعة منذ نشأته الأولى الى هذا العهد الحديث . فبدأ بذلك عن نصيب وحى الطبيعة فى الأدب المصرى القديم مستشهداً بكثير من الأغانى والأناشيد . ثم استعرض الأدب العربى عامة وأبان نواحى أدب الطبيعة . وانتقل الى الحديث عن الأدب الانجليزى الذى يعد أصدق الآداب وأقواها على استلهام الطبيعة . وهل هناك من أبدع فى وصف الطبيعة كما أبدع ورد زورث وكوليريدج وشيلى وهاردى ؟ . . وتحدث بعد هذا عن الأدب الفرنسى ، حيث نجد لامارتين وفيكتور هيجو يتحدثان عن الطبيعة ببيانهما القوى الدافق ، وعن الأدب الأمريكي حيث نقل كثيراً من شعر امرسون وهويتمان

وختم الكتاب بفصل ضاف عن أدب الطبيعة فى الادب المصرى الحديث ، فاستعرض كل ما فيه من آثار فنية منشؤها النيل والصحراء والحقل وغيرها من مشاهد الطبيعة . وقد أشاد

حقاً بشعرائنا المجددين الذين كان لهم فى هـذا النحى أثر ظاهر مشهود . ولم يخل بالحـديث عن أدبائنا الناشئين الذين يستحقون كثيراً من اهتمام النقاد وتقديرهم ، حتى لا يلاقوا الاغفال من القراء والأدباء معا . والخلاصة أن هذا كتاب جديد فى موضوعه ، جدير بكل متأدب أن يطالعه ويستوعب فكرته السامية التى يدعو اليها

قصص من الغرب

للاستاذ أنور شاؤول

مطبعة المعارف ببغداد . عدد صفحاته ١٥٦

اتجه كثير من المتأدبين عندنا الى انشاء « القصة » القصيرة ، على زعم أنها أيسر سبيلا من « المقالة » التى تستدعى سعة الثقافة وطول البحث ، ولكنهم لم يوفقوا فى قصصهم هذه الا نادراً ، لان وضع القصة لا يستدعى دراسة اجتماعية فاحصة ودراسة نفسية دقيقة فحسب ، بل يقتضى استيعابا لآثار المجيدين من كتاب القصة فى الغرب ، يمكن الكاتب العربى من أن ينهج نهجهم أولا ، ومن أن يبتكر ويفتن على أساس ثابت وطيد

لهذا نرحب بهذا الكتاب القيم الذى جمع فيه الاستاذ أنور شاؤول مجموعة ثمينة من خير القصص الغربية ، انتقاها من شتى الآداب ولكثير من الأدباء . فهذه القصص الست عشرة التى نقلها عن أكبر أدباء أوربا القصصين هى بلا شك ثروة ثمينة تضاف الى الأدب العربى ، لاسيما وقد أجاد اختيارها من بين مئات القصص ونقلها فى لغة سليمة سهلة . وقد قال المترجم توضيحاً لطريقته فى اختيار القصص : « ان فى هـذه القصص أساليب مختلفة ، ومرامى شتى ، يتناول فيها كاتبوها الحياة وأبناء الحياة من مختلف المناحى . وهدفهم المبتغى مثال أعلى يفتح للانسانية طريقاً جديدة فى نضالها المستمر .. »

فردريك الكبير

للاستاذ توفيق مسرة

عدد صفحاته ١٠٠

كانت حياة فردريك الثانى ملك بروسيا العظيم ، حافلة بشتى أسباب المجد والعظمة والبطولة ، فقد كان ملكا سياسيا ، ومصلحا مفكراً ، وكان راعيا للعلوم والفنون ، وللفلاسفة والمفكرين ، كما كانت حياته الخاصة جديرة بأن تدرس وتستوعب ، اذ لم تكن الحياة الراكدة الخاملة ، بل الحياة العنيفة المضطربة

وهـذا الكتاب الصغير يقص قصة حياة فردريك أثناء حداثته . وهو يتبع فى هـذا أسلوب التراجم الحديثة ، التى تعرض حياة الافراد عرضا روائيا شائقا ، تتخلله الوقائع التاريخية الممحصة . وقد وفق المؤلف فى اتخاذ هذا النهج ، فجاء كتابه قيما بوقائعه التاريخية ، شائقا بعرضه الطريف . وقد زين الكتاب بمجموعة من الصور التاريخية الجميلة التى توضح نقط الموضوع ، كما نثرت فيه كثير من الطرائف التى أثرت عن فردريك وعن معاصريه من الساسة والمفكرين

أصل الشيعة وأصولها

للاستاذ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

مطبعة العرفان بصيدا . عدد صفحاته ٢٠٠

موضوع هذا الكتاب الدفاع عن الشيعة التى يلصق بأصولها كثير من التهم ويحوم حول غايتها كثير من الريب . وقد أبان المؤلف فى مقدمة مسهبة ما حمله على تأليف هذا الكتاب ،

فقال ان الوحدة الاسلامية المنشودة لايمكن أن تتم إذا كانت جماعة المسلمين على جهل تام بطائفة الشيعيين التي ينظرون اليها شزراً أو تحقيراً، ويتحدثون عنها تسفيها وتشويها، مع أنها بريئة من كل ماترمى به، نزيهة عن كل مايحاول الجهلاء أو المغرضون تلويثها به

فتحدث عن نشأة التشيع وبدايته، وأبان أنه كان على عهد الرسول، وتكلم عن الامامة عند الشيعة وعن الأئمة الاثنى عشر. وقد أفاض في شرح هذا الموضوع واستقصاه من كل ناحية، فجاء بحثه شاملا وافياً، ومبنيا على دعائم ثابتة من التدقيق والتمحيص

وقد قوبل هذا الكتاب بحفاوة من علماء التاريخ الاسلامي، شرقيين ومستشرقين، وتحدث عنه كثير منهم حديث التقدير والاكبار، ولا شك في أن الغاية السامية التي يرمي اليها مؤلف الكتاب جديرة بعناية كل من تهمه الوحدة الاسلامية أو يعنيه شأن العالم الاسلامي

ألحان الألم

للاستاذ فايد العمروسي

مطبعة صادق بالمنيا . عدد صفحاته ١٨٧

وضع الاستاذ العمروسي مقدمة لديوانه هذا بين فيها رأيه في قيمة الألم (القوى السامى) وحاجة الحياة اليه، وأوضح فيها شعوره الذى فطر على الألم فصار شعره ألحانا شجية حزينة، لا يعرف المرح ولا البهجة سبيلا اليها. وقد ينكر كثير من الناس هذا اللون من الأدب، ويرون مهمة الشعر أجدى من استدرار الدمع وتصعيد الزفرات، وان الشاعر يجب أن يكون رحب الأفق، فلا يقتصر احساسه على ناحية واحدة من نواحي الشعور. ولكن فريقا آخر يقول: فلنأخذ الادب كما هو، وخير له ولنا أن نقبله كما فطر، لا أن نرغمه على أن يتكلف ويتصنع ليرضينا

هذا من ناحية الموضوع. أما من ناحية الاسلوب فللاستاذ العمروسي أسلوب سهل بسيط، لا تنقصه مسحة القوة والفصاحة. فمن قوله في قصيدة «أشباح الفناء»:

ودع العيش يا فؤادى وحسبى أننى عشت في الحياة بقلبى
عشت كالروح حائما في علاه خاطراً في السماء جنبا لجنب
كلما هاجت الخواطر نفسى أرسل الدمع من عصارة قلبى
إيه يا قلب! خفف الخفق ماذا تبتغيه، وليس هذا بذنبى
أيها القلب! حسبك الله فيما ذقته من صروف دهرى وحبى

وفي الديوان عدة قصائد أخرى أنشئت في الرثاء، وفي مناسبات قومية، وفي مواضيع أخرى مشتتة

نبذة الدراسات الشرقية

المجلد الخامس

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome V

أصدر المعهد الفرنسي بدمشق المجلد الخامس من نبذه الموسومة بعنوان «الدراسات الشرقية» وهو يحتوى كالمجلدات السابقة على مباحث نفيسة في ثلاثة موضوعات تهم المشتغلين بالشؤون الشرقية الأثرية الحاضرة. فأولها بحث بقلم الاستاذ روندو في حروف الهجاء الكردية مع

ذكر ما يقابلها من الحروف اللاتينية . وثانيها مجموعة أغان وأناشيد وطنية شائعة بين عرب شمر بالجزيرة . وقد عنى بجمع هذه الأغانى والأناشيد الاستاذ مونتان المستشرق المعروف . وثالثها بحث ممتع بقلم الاستاذ لاسو موضوعه شوارع مدينة أنطاكية وما يوجد فى بعضها من الآثار القديمة النفيسة . والبحث موضح بالصور والرسوم الكثيرة . ويلى ذلك تقاريظ موجزة لطائفة من أنفس الكتب والمؤلفات الحديثة فى مختلف الدراسات الشرقية ،ومن ضمنها بحث فى تاريخ الاسلام فى بلاد إيران والعراق للمستشرق دونالدسون . وآخر فى تجليد الكتب عند الفرس فى القرن الخامس عشر ، وهو الوقت الذى بلغت فيه صناعة تجليد الكتب في بلاد ايران ذروة الاتقان . وبحث آخر فى الطب الشعبى فى مصر الحديثة للاستاذ ووكر ويحتوى على فصول من كتاب «طب الرق» لعبد الرحمن اسماعيل . وبحث آخر فى نظام النقد والمصارف فى سوريا للاستاذ سعيد حماده . الى غير هذه المباحث النفيسة والدراسات الشرقية الممتعة

واحة الغريب

للاستاذ عبد السلام رستم

مطبعة حجازى . عدد صفحاته ١١٢

هذه طاقة جميلة من الشعر ، أنشأها صاحبها – كما يقول – وفق ما «يأخذ النفس من رأى ساج . ويهتاجها من منظر صاخب» . ففيها كثير من قصائد الحب والغزل ، وقصائد الرثاء والعتاب ، وقصائد الوصف التى أبدع فى كثير منها تصوير مشاهد الطبيعة وكذلك القصائد الوطنية القوية المتينة ، وبعض المقطوعات المترجمة عن الأدب الغربى

وعلى أسلوب الشاعر مسحة ظاهرة من الجزالة والفصاحة ، كما أن خياله يبدو فسيح الأفق رحب الجوانب . فمن قوله فى «النفس الجانية» :

أراجع نفسى فى ذنوب أتيتها
فانفر منها بالكراهة والبغض !!
ويؤلمنى عتب الضمير مؤنباً
عليها ، ومالى من سبيل الى الغمض
اذا كان للجانى قصاص بجرمه
فان قصاصى لوم بعضى على بعضى
وشتان ما بين القصاصين انما
قصاص ضمير المرء أنكاً فى الثنى
مصيبة نفسى عند نفسى ، فليتنى
تبدلت نفساً لا تبالى بما تمضى !!

حياة يوسف

ترجمة الاستاذ حافظ داود

مطبعة الابانة . عدد صفحاته ١٦٧

ليست قصة يوسف عليه السلام قصة ممتعة جميلة فحسب ، بل هى كذلك حافلة بالأسوة الحسنة والعبرة البالغة . فهى مثال رفيع من النفس الطاهرة ، والصبر الجميل ، والكرامة المعززة . لهذا كانت محببة الى الناس جميعا ، فترى عامة الناس معجبين بها اعجاب الخاصة المثقفين

وهذا الكتاب الذى ترجم عن الألمانية يقص حياة يوسف فى أسلوب يقرب من أسلوب القصة ، وان كان لا يبعد كثيراً عن أسلوب التوراة في روايتها . على أن تنسيق الكتاب لا يخلو من طرافة وابتكار ، ولا سيما وقد زين بمجموعة كبيرة من الصور الفنية التى تعبر عن وقائع القصة ، وتبرز الكتاب فى حلة قشيبة . أما لغة المترجم فسهلة صحيحة

بين الهلال وقرائه

نهاية العالم

(اديس بابا ــ الحبشة) ا . ح

ما رأيكم في نهاية العالم وعلى أي وجه ينتظر أن تقع تلك النهاية ؟

(الهلال) تقول الاديان المنزلة إن نهاية العالم ستكون يوم الدين . أما كيفة الوصول الى تلك النهاية فان العلم يفرض لها الفروض المختلفة . فمن تلك الفروض أن الشمس ستبرد بالتدريج لانها تفقد كل يوم بل كل ساعة ملايين الاطنان من مادتها بسبب اشعاعها . وسيجيء يوم ــ بعد ألوف ملايين السنين ــ تنطفيء فيه انطفاء تاما فتحرم الكرة الارضية النور والحرارة . وهما العاملان الضروريان للحياة . فتموت كل نسمة حية على الارض وتنقرض الحياة . وهذه هي في مقدمة النظريات التي يفرضها العلماء لشرح الكيفية التي سينتهي بها العالم

وفي نظرية أخرى أن الكرة الارضية ستصدم في أثناء دورانها في الفضاء بجرم فلكي آخر فيؤدي اصطدامهما الى فناء الارض وانقراض الحياة التي على سطحها

ويزعم علماء آخرون أن عصراً جليديا (كالعصور الجليدية السابقة) سيجيء على الارض فتموت فيه الحياة وتنقرض . أو تبقى بعض آثارها لتعود فتتطور من جديد ، وسيحدث هذا العصر الجليدي بسبب مرور سحب سديمية كثيفة بين الارض والشمس ويستغرق مرورها ألوف السنين كما حدث في العصور الجليدية الماضية فتفنى إذ ذاك كل نسمة حية

الضغط الدموي

(بيكلي ــ الولايات المتحدة) السيدة و . أبو رحال

كثيراً ما نقرأ في الجرائد عن الموت بالضغط الدموي . فما هو هذا المرض ؟ وما اسمه بالانجليزية ؟ وما علاجه ؟

(الهلال) الضغط الدموي هو ضغط الدم على الأوعية الدموية في جسم الانسان ، وهذا الضغط يختلف باختلاف السن والحالة الطبيعية الجسمية . وقد يزداد في حالة التهاب الكلى وتصلب الشرايين وينقص في حالة ضعف القوى العام . أما اسمه بالانجليزية فهو (Blood Pressure) وأفضل طريقة لمعالجته الانقطاع عن أكل اللحوم والأطعمة الدسمة والتوابل والاقتصار على البقول واللحم الابيض واللبن . ويجب الاعتناء بحركة الامعاء والابتعاد عن الامساك وتنظيم حركة الكليتين مع النزهة في الهواء الطلق وتنظيم ساعات النوم . ويستحسن أيضاً استعمال الديدان (العلق) لاخراج كمية من الدم بحسب درجة الضغط الدموي

قرحة المعدة

(بيكلي ــ الولايات المتحدة) ومنها

هل من دواء لقرحة المعدة ؟ وما اسمها باللغة الانجليزية ؟

(الهلال) القرحة جرح تقادم عهده واجتمع فيه القيح . وقد يصيب المعدة لأسباب كثيرة وتختلف طرق معالجتها باختلاف أسبابها وقدم عهدها . ولا يتسع هذا المجال لشرح طرق تلك المعالجة فيجدر بكم الرجوع الى الطبيب . أما اسم هذه القرحة باللغة الانجليزية فهو (Stomach Ulcer)

نظرية الانتخاب الطبيعي

(القاهرة ــ مصر) السيد يوسف خليل

هل ثبت ناموس الانتخاب الطبيعي الذي اكتشفه داروين ؟

(الهلال) ان ما تشيرون اليه هو نظرية الانتخاب الطبيعي . وهذه النظرية تعلل تنوع الأحياء المائية والنباتية تعليلا لا يتسع له هذا المجال . وبعض علماء البيولوجيا في هذا العصر ينكرون أن للانتخاب الطبيعي شأناً كبيراً في تنوع المخلوقات الحية ، لأن هذه

النظرية لا تعلل بعض ظواهر المملكتين الحيوانية والنباتية تعليلا تاما . على أن جمهور العلماء لا يزالون يتمسكون بتلك النظرية ، ويعتبرونها أصدق تعليل لتنوع الاحياء

الكلف الشمسية

(القاهرة – مصر) ومنه

ما هي الكلف الشمسية ومن أول من اكتشفها ؟

(الهلال) الكلف الشمسية هي مناطق قاتمة ترى بالمنظار على سطح الشمس . وأول من اكتشفها غاليليو العالم الفلكي المشهور وذلك في سنة ١٦١٠ ، وكان ذلك بعيد استنباط المرقب (التلسكوب) وقد استعان به غاليليو على اكتشاف تلك الكلف . وتبدو هذه الكلف كثيرة جداً كأنها حفر هائلة تسع كل منها الكرة الأرضية . وهي تختلف في حجومها فبعضها لا يزيد قطره على ألف ميل حالة أن قطر البعض الآخر قد يبلغ مائة الف ميل . وهذه الكلف تكثر وتقل كل إحدى عشرة سنة أو ما يقرب من ذلك . ولظهورها واختفائها علاقة بمغناطيسية الأرض وبوقوع الأمطار والخصب والجدب بل بوقوع كثير من حوادث العالم من حروب ومجاعات وأمراض وما الى ذلك

تعليل الكلف الشمسية

(القاهرة – مصر) ومنه

كيف تعلل ظهور الكلف على سطح الشمس ؟

(الهلال) لا يزال العلماء يجهلون حقيقة هذه الكلف . والمظنون أنها مواد مصهورة غازية تخرج من جوف الشمس وتنتشر على سطحها في فترات محددة يبلغ متوسطها ٣٩ و ١١ سنة . ويكون فيها كهربائية مغناطيسية قوية . وهنالك علماء قد وقفوا حياتهم لدرس كنه هذه الكلف

روح النشادر

(الاسكندرية – مصر) احمد الزيات

قرأت في احدى المجلات العلمية أن كلمة «أمونيا» أي النشادر مأخوذة من كلمة آمون أحد آلهة قدماء المصريين . فهل هذا صحيح ، وما علاقة النشادر بذلك الاله ؟

(الهلال) في معظم المعجمات الأوربية وفي معجم « وبستر » الاميركي أن كلمة « أمونيا » مأخوذة من اسم الاله آمون وكان له معبد في صحراء ليبيا . ويقال ان كهنة هذا المعبد كانوا يستخرجون روح النشادر من بول الجمال بقرب ذلك المعبد ، وقيل أيضاً إن كهنة معبد جوبيتر كانوا يستخرجون ملح النشادر من نبات ذي صمغ كان ينمو بالقرب من ذلك المعبد . أما قوام مادة النشادر فهو عنصر النتروجين والايدروجين

ترياق العقرب

(الاسكندرية – مصر) ومنه

هل يصلح النشادر ترياقاً لسم العقرب ؟ فقد كثرت العقارب في جهتنا في هذه الأيام !

(الهلال) نعم يصلح فانك اذا دلكت المكان الملسوع بالنشادر أو بالثوم أو بالبصل خفف الألم كثيراً ، وفي بعض الحالات قد يزول بتاتاً . على أن لسم العقرب والأفعى ترياقاً معروفاً عند جمهور الأطباء والأفضل التداوي به

فعل الترياق

(الاسكندرية – مصر) ومنه

كيف يفعل الترياق في السموم ؟

(الهلال) في القاموس وغيره أن الترياق دواء بعينه قيل إنه مركب من اثنين وسبعين جزءاً يدفع السموم ، اخترعه ماغنيس وتممه اندروماخس القديم بزيادة لحوم الأفاعي فيه . ومعنى الترياق العلاج وهي كلمة معربة عن « تيرا » اليونانية . على أن الترياق أطلق فيما بعد على كل عقار أو دواء يقاوم فعل السموم ، وهو أنواع كثيرة تختلف باختلاف الامراض . وما اللقاح الذي يستعمل لايجاد المناعة في الجسم سوى ترياق . ولا يخفى أن الجسم ينشئ من تلقاء نفسه مواد كيميائية لقتل الميكروبات التي تهاجمه . وهو تدبير يدل على حكمة بالغة . على أن تلك المواد الكيميائية قد تعجز بسبب قلتها عن مقاومة الميكروبات المهاجمة ، لذلك اكتشف العلم طريقة لتوليد تلك المواد بطريقة

صناعية خارج الجسم – أى فى دم الخيل أو الأرانب أو غيرها – وبايصال تلك المواد الى الجسم تصبح فيه مناعة وقوة على مقاومة الميكروبات

التوائم

(القدس – فلسطين) حنا عبود

يقال إن كل توءمين متماثلين يصابان بأمراض متماثلة فى وقت واحد ويموتان فى يوم واحد ولو كانا منفصلين يبعد أحدهما عن الآخر ألوفا من الفراسخ . فما رأيكم فى ذلك ؟

(الهلال) روى بعضهم حوادث كالتى أشرتم اليها وهذا هو الاعتقاد الشائع بين الجمهور . ولكن العلم والاختبار لا يؤيدانه بل يثبتان بالعكس أن كل أخ توءم ينفصل عن أخيه ويعيش بعيداً عنه يصبح مختلفاً عنه بمرور الزمن حتى كأنه لا علاقة بين الاثنين على الاطلاق . أما القول بأن التوءمين المتماثلين يموتان فى يوم واحد فلا دليل عليه

صبغة الشعر

(يافا – فلسطين) ع . ب

ما رأيكم فى صبغ الشعر لاعادته الى اللون الاسود وهل من ضرر فى الأمر ؟

(الهلال) هنالك أنواع كثيرة من أصباغ الشعر يزيد ضررها على فائدتها وبعضها يعجل سقوط الشعر وانا لا ندرى الحكمة فى محاولة كتمان الشيب ! نعم قد يدب الشيب فى رأس الفتى أو الفتاة وهما لا يزالان فى ميعة الشباب . ولكن الناظر اليهما يعلم أنهما فى تلك السن وأن الشيب الذى قد داهمهما انما هو طارىء غير طبيعى . أما الكهل والرجل الطاعن فى السن فانهما بمحاولتهما كتمان شيبهما انما يفضحانه ويجتذبان أنظار الناس ان لم تقل سخريتهم . ولو تذكر الناس أن الشيب دليل الحكمة والاختبار ما عمدوا الى مختلف الأصباغ لكتمان شيبهم

ولنا فى هذا المقام نصيحة مبنية على أحدث المباحث والتجارب العلمية . وهى أن يكثر الاحداث والشبان والشابات من أكل المواد الغذائية الغنية بالفيتامين ، لان نقص الفيتامين يؤجل الشيب كثيراً جداً . ونذكر اننا قرأنا منذ عام أو اكثر فى احدى المجلات العلمية أن فريقا من الأطباء يحاولون استنباط لقاح أساسه الفيتامين « ب » يحقن به ذو الشعر الشائب فيستعيد الشعر لونه الأصلى . وقرأنا مثل هذا فى صحيفة علمية أخرى منذ عهد قريب . على أن مباحث العلماء وتجاربهم فى هذا الشأن لم تنته حتى الآن الى حد يحسن السكوت عليه وان كانت القرائن تدل على أن حل مشكلة الشيب سيجىء عن طريق الفيتامين المشار اليه

سم الفيروس

(بغداد – العراق) ح . ش

ما هو الفيروس وما الفرق بينه وبين الميكروبات ؟

(الهلال) الفيروس سم ميكرسكوبى دقيق لا يرى بالميكرسكوب ويمر بالمرشحات الدقيقة وكان بعض العلماء حتى عهد قريب يظنون أنه ميكروب حيوانى ، ولكن المباحث العلمية الأخيرة تدل على أنه قد يكون مادة كيميائية لا حيوانية . فاذا عض كلب كلب انسانا نفث فيه هذه المادة السامة التى يسميها العلماء « فيروس » (Virus) وذلك عن طريق لعابه

السل الرئوى

(منوف – مصر) عبد الواحد القادح

قرأت من مدة فى احدى المجلات الاميركية خبر اكتشاف مصل « واق » من السل الرئوى . فهل هذا الخبر صحيح ؟

(الهلال) المعروف أن هنالك بعض أنواع من اللقاح الواقى من السل ومن جملتها لقاح كليت . ولا شك فى أن لكثير من هذه الانواع فائدة محسوسة ، ولكن العلم لم يوفق حتى الآن الى اكتشاف لقاح يقى الانسان من مرض السل الرئوى وقاية ناجعة . ولا تزال جهود العلماء منصرفة الى تحقيق هذه الامنية

افيدرين وبنزيدرين

(قرطبة – الجمهورية الفضية) سعد الله غانم

بحثت عن دواء النعاس الذى أشرتم اليه فى الصفحة ٩٥٨ من الجزء الثامن من هلال السنة الرابعة والاربعين وهو « افيدرين » و بنزيدرين » فلم أعثر على هذا

الدواء فى هذه البلاد . فكيف يكتب اسمه بالحروف الافرنجية ؟

(الهلال) هذا الدواء هو مستحضران جديدان لا وجود لهما الا في بعض المعاهد الكيميائية بالولايات المتحدة ولم ينتشر استعمالها حتى الآن . وقد قرأنا عنهما فى احدى المجلات العلمية الاميركية . أما اسمها بالحروف الافرنجية فيكتب هكذا

(Ephedrine — Benzedrine)

معالجة الجنون بالأنسولين

(الناصرة ـ فلسطين) ن . ر

ذكرتم فى هلال يونيو الماضى فى الصفحة ٩٤٧ ان الدكتور برنارد كلوك من كبار أطباء نيويورك يعالج الجنون العام بالحقن بالانسولين . وبما أن ابنى مصاب بعوارض هذا الداء منذ ثمانى سنوات وقد عالجه كثيرون ولم ينجع فيه دواء فأرجو أن تفيدونى عن كيفية المعالجة بالمستحضر المذكور

(الهلال) قرأنا الخبر الذى تشيرون اليه فى احدى المجلات العلمية المحترمة ، ثم قرأنا فى عدة مجلات أخرى ما يؤيد هذا الخبر . ثم اتضح لنا أن مخترع طريقة معالجة الجنون العام بالانسولين ليس الدكتور برنارد كلوك الاميركي بل الدكتور مانفريد ساكل من كبار أطباء الامراض العقلية بمدينة فينا Dr. Manfred Sakel ويظهر أن طريقته هى حقن المصاب بجرعات كبيرة جداً من الانسولين تخفض كمية السكر الذى فى دمه إلى الحد الذى يحصل له عنده انحطاط وخور تقريباً . ويظهر أنه بانحطاط قواه وخوره تزول من مخيلته التصورات الجنونية . وعلى كل فاننا ننصح لكم باستشارة الدكتور ساكل المذكور أو أن تكتبوا الى مجلة :

" Science News Letter ", 2101, Constitution Avenue, Washington. D. C.

فلدى هذه المجلة بيانات مسهبة ومعلومات وافية عما ترومون معرفته

نهاية العالم

(طرطوس ـ سوريا) رشاد دملج

يقول بعض العلماء إن برودة القطبين الشمالى والجنوبى ترحف وتكتسح المناطق المعتدلة وستتبعها بالمناطق الحارة وإنه سيجيء يوم يقضى فيه البرد الزمهرير على الأحياء وفى ذلك فناء العالم

(الهلال) نظرية فناء الحياة على سطح الكرة الأرضية بسبب البرد معروفة عند العلماء ، وهم ينسبون اشتداد ذلك البرد الى انطفاء الشمس لا الى اكتساح برد القطبين للمناطق المعتدلة والحارة . وفى الحقيقة أن الشمس (على ما يقول العالم جينز) تفقد أربعة ملايين طن من مادتها فى كل ثانية . واذا استمرت تفقد مادتها بهذا المعدل فتفنى كلها بعد خمسة عشر وخمسائة الف الف مليون سنة . وبفنائها تفنى الحرارة التى تنبعث عنها . وفناء حرارتها يؤدى الى فناء كل كائن حى على سطح الأرض سواء أكان حيواناً أم نباتاً . وعلى كل ليس لنا أن نقلق من هذه الفاجعة فلن يشهدها أحفادنا ولا أحفاد أحفادنا ولن تقع الا بعد ملايين السنين

نهاية القمر

(طرطوس ـ سوريا) ومنه

يلاحظ علماء الفلك شقاً فى وسط القمر ويقولون ان القمر سوف ينشطر عند ذلك الشق شطرين وعندئذ تنفجر الكرة الأرضية وتفنى . فما رأيكم فى هذه النظرية ؟

(الهلال) هى حديث خرافة لم يقل بها عالم محترم

مركز القلب

(دمشق ـ الشام) أحد المشتركين

ما الحكمة فى كون مركز القلب الى الجهة اليسرى من الجسم بدلا من أن يكون فى الجهة اليمنى أو فى منتصف الجسم ؟

(الهلال) ان القول بأن القلب موجود فى الجانب الأيسر من تجويف الصدر خطأ شائع حتى بين الكثيرين من المتعلمين . ويكاد تسعون فى المائة من الذين تسألهم عن موضع القلب يشيرون الى الجهة اليسرى من الصدر . وسبب هذا الخطأ أن الكتلة الكبرى من القلب (وهى الجزء الذى يندفع منه الدم الى الجسم) هى على الجانب الأيسر من القلب وقتها

متجهة الى اليسار بانحدار طفيف الى أسفل . وعليه فان نبضات القلب تسمع من جهة اليسار بوضوح تام . على أنك لو شطرت جسم الانسان من الرأس فنازلا الى نصفين متعادلين فان جزء القلب الذي يقع إذ ذاك فى الشطر الأيسر لا يزيد على الجزء الذي يقع فى الشطر الأيمن سوى زيادة طفيفة لا تكاد العين تلحظها

الشعر بعد الموت

(دمشق ــ الشام) ومنه

أصحيح أن شعر الانسان يظل ينمو مدة قصيرة بعد الموت ثم ينقطع عن النمو متى دب الفناء الى الجسم ؟

(الهلال) لا تصدقوا هذه الخرافة فكلا العلم والاختبار ينكرها . ولعل سبب هذا الاعتقاد أن جلد الانسان بعد الموت يتقلص وينكمش فيخيل الى الناظر الى الميت أن شعره قد نما وطال بعد وفاته . وهذا من قبيل الخداع البصرى . على أن بعض أنسجة الجسم قد تظل حية بعد الوفاة مدة وجيزة لأسباب لا يتسع هنا المجال لشرحها

المخدرات فى الغرب

(طنطا ــ مصر) أحد المشتركين

هل المخدرات منتشرة فى أوربا وامريكا كانتشارها فى مصر ؟

(الهلال) نعم ويالالأسف ! وليس فى انتشارها فى بلاد الغرب ما يعزينا عن انتشارها بيننا

مكافحة المخدرات

(طنطا ــ مصر) ومنه

أما من وسيلة ناجعة لمكافحة تجارة المخدرات وعادة ادمانها والقضاء عليهما

(الهلال) لا وسيلة ناجعة إلا بتطبيق القانون الصينى أواليابانى وهو يقضى بالموت على كل من يتاجر بالمخدرات أو يروجها أو يدمنها . وحجة الصينيين واليابانيين فى ذلك معقولة جداً . فنحن نحكم على من يتعمد قتل انسان واحد بالموت . فلماذا لا نحكم على من يتعمد قتل أمة بأسرها بالموت ؟ وما أصدق هنا قول الشاعر :

قتل امرىء فى غابة ... جريمة لا تغتفر
لكن قتل أمة ... مسألة فيها نظر

وليت شعري أى حرج على من يجنى من تجارة المواد المخدرة ثروة طائلة اذا حكم عليه بالسجن مدة أقصاها خمس سنوات (ولا يقضى منها فى السجن حقيقة سوى ثلاثة أرباعها) وأى ضرر اذا حكم عليه بغرامة ألف جنيه من عشرات الألوف من الثروة التى يجمعها من تجارته المحرمة ؟

اعتياد فعل السموم

(بورسعيد ــ مصر) عزيز ناشد

نرى بعض الحواة يداعبون الافاعى والعقارب ولا يخشون سمومها . ويقال ان بعض الدراويش يبتلعون السموم المختلفة فلا تؤثر فيهم . فكيف تعللون ذلك ؟

(الهلال) لعلكم قرأتم منذ عهد قريب خبر وفاة حاو من أكبر الحواة الذين عرفتهم مصر ، وكان قد قام ببعض الاعمال المدهشة أمام جلالة الملك فاروق عند ما قام برحلته الى الصعيد . وقد ثبت أن الحاوى المذكور مات من لسعة احدى الافاعى التى كان يربيها ، مما يدل على أن الحواة هم كسائر البشر عرضة للموت بسموم الافاعى والعقارب اذا لم يبادروا الى العلاج ، وهذا العلاج أو الترياق فى متناول كل انسان . على أن الحواة يقتلعون عادة أنياب الافاعى التى يربونها . وكثيراً ما تكون الافاعى التى يربونها غير سامة على الاطلاق . أما العقارب فلهم فى مداعبتها طرق تدل على المهارة والذكاء

بقى قولكم ان بعض دراويش الهند يبتلعون السموم فلا تؤثر فيهم . وهذا صحيح . وهم يعتادون ابتلاع تلك السموم بالتدريج منذ حداثتهم ويزيدون الجرعات التى يتناولونها كلما تقدموا فى السن . وقد يبتلع أحدهم جرعات قاتلة من حامض النتريك وحامض السلفوريك وسيانيد البوتاسيوم معاً فلا تؤثر فيه هذه السموم ، وبعضهم يعتاد تناول الزرنيخ بانتظام فلا يؤثر فيه وانما تبدو عليه أعراض التسمم اذا هو انقطع عن تناول الزرنيخ فجأة